

إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

[مقدمة المحقق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الفتح: 29].

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى صاحب الخلق العظيم.. والخلق القويم.. إلى سيدنا ومولانا محمد، الفاتح لما أغلق.. والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق.. والهادي إلى صراط مستقيم.. وعلي آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.
أهدي هذا الجهد المتواضع من عنايتي بسيرته العطرة، راجيا أن أنال به الشفاعة العظمى يوم الفرع الأكبر، آملا أن ألقاه علي الحوض - إن كنت أهلا لذلك - وحتى ذلك الحين، له مني صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين، في كل نفس، ولحظة، وطرفة عين، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

دعاء

«لا أحوجك الله إلي اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا ألك إلي قبض عوض عن جميل أوليته، ولا جعل يدك السفلي لمن كانت عليه هي العليا. وأعاذك من عز مفقود، وعيش مجهود. وأحياك ما كانت الحياة أجمل لك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد، وسمو بعيد، وختم بالحسني عملك، وبلغك في الأولى أملك، وسدد فيها مضطربك، وأحسن في الأخرى منقلبك، إنه سميع قريب، جواد مجيب». . التقي المقريري، (السلوك في معرفة دول الملوك) : 1 / 1.

تقديم

* بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد جميل غازي [إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا وأن محمدا عبد الله ورسوله] .

أما بعد:

- فهذا كتاب من كتب التراث الإسلامي، عهد إلي بمراجعة تحقيقه، تمهيدا لإخراجه للدارسين والباحثين من أبناء هذه الأمة، والمنتفعين بعلمها وثقافتها، وهو واحد من الكتب التي منيت بما مني بها كثير من تراثنا الفكري والحضاري من الإهمال والضياع والتشويه.

- إنه كتاب: إمتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع.

لؤلفه: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني. العبيدي، تقي الدين المقرئ، رحمه الله.

إنني أعلم- ويعلم مؤرخو الفكر البشري، وراصدو خطو الحركة الثقافية الإنسانية علي أرض الله- ما لهذا التراث الإسلامي من ثراء، وقوة، وجدية، وقدرة علي الإعطاء، والإثراء، والزيادة. وإنني أعلم- أيضا- مدى ما يعانیه هذا التراث المجيد من ضياع وإهمال، علي الرغم من كثرة المؤسسات القائمة علي نشره وإذاعته هذه المؤسسات التي يعمل كثير منها بدافع الكسب المادي قبل كل شيء، وفوق أي اعتبار- ولا يهمها أن يخرج الكتاب علي الناس موثقا أو غير موثق، محققا أو غير محقق، بريئا من التحريف، أو يعتريه التحريف، في كل صفحاته وفقراته. لقد عانى التراث العربي من هذه المؤسسات الكثيرة، وما زال يعاني، وكما نود أن تقوم هيئة عليا لوضع برنامج لأولويات نشر التراث، يكون ملزما لجميع الناشرين، بحيث لا يخرج الكتاب الواحد في عدة طبعات في آن واحد!! في الوقت الذي لا تري النور ألوف من المخطوطات!! وبحيث لا يخرج الكتاب علي الناس محرفا، غير مقروء قراءة صحيحة، تلك مهمة هيئة عليا، ننتظر أن تقوم، إن صلحت النيات، وقويت الرغبة في الخير، وأريد لهذه الأمة أن تسلك مسالك الصلاح والإصلاح.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، وأحد من آثار المقرئ العلمي، وجزء من تراثه الكبير. والمقرئ مؤخر، أديب، فقيه، رواية، له أثر كبير في نفسي، ونفوس الكثيرين من دراسيه وعارفي فضله. ولقد وقفت وتعرفت علي كثير من أعماله التاريخية، والأدبية، والدينية، رأيت عالما جليلا، تأثر بمن سبقوه، وأثر فيمن جاءوا بعده، وكان لتأثره وتأثيره أثر كبير في إنتاجه الثقافي الذي أرى علي مائتي مجلد!! إن المقرئ علم من الأعلام الذين ينبغي أن نعني بدراساتهم، ونهتم بتراثهم وآرائهم، وقد آلمني- أثناء دراستي للرجل، وحياته- أن أجد كتب التراجم قد هجرت الرجل هجرا غير

جميل، فلم تشر إليه إلا إشارات عابرة لا تكفي في تكوين فكرة عن الرجل، أو إلقاء ضوء علي حياته! الأمر الذي يجعل الدارسين لحياة الرجل، والكاتبين لترجمته، يجدون عناء شديدا فيما يقصدون إليه، ويريدون له، فإنهم ينقبون فيما كتبه الرجل، لا فيما كتب عنه، فما كتبه كثير، وما كتب عنه قليل، بل دون القليل!

إن المقرئ من معلم من معالم الكتابة التاريخية الإسلامية، له آراؤه الصائبة، ورؤيته الواضحة، ومنهجه البين، وشخصيته المتميزة، وتراثه، كان، وسيظل مثابة قهوي إليها عقول الدارسين، والباحثين، ورواد المعرفة، مع أن الذي طبع منه ونشر قليل وضئيل، إذا قيس بما لم يطبع ولم ينشر. ولذا، فإن من حق المقرئ علينا - نحن الذين درسناه، وعرفناه، واستفدنا من علمه - أن نعني بتراثه، نشره، وإخراجه، حتى يكون متاحا، وميسرا للعلماء وطلاب العلم، حيثما كانوا من ارض الله. وقبل أن ارفع القلم عن هذه المقدمة القصيرة، أتمهل لأنوه بالجهود المشكور الذي قام به الأخ المحقق:

الأستاذ الشيخ/ محمد عبد الحميد النميسي، لقد عكف علي هذا الكتاب الكبير، المترامي الأطراف، في السيرة، والخصائص، والشمائل، دارسا لفصوله، محققا لأصوله، شارحا لغريبه، مناقشا لآرائه مخرجا لنقوله، وقد أحسن فيما قصد إليه، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء. وإنني إذ أنني هذه المقدمة، أرجو أن أكون قد وفقت، فيما إليه قصدت والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات. ويا رب العالمين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

دكتور محمد جميل غازي رئيس المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة بمصر وكبير الباحثين بالمجلس الأعلى للثقافة [سابقا]

ترجمة المقرئ [(1)]

اسمه:

هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقرئ، [بفتح الميم نسبة إلي مقرئ - محلة من بعلبك] البعلبي ثم المصري الفقيه المؤرخ الشافعي.

[(1)] مصادر ترجمة المقرئ:

- (هدية العارفين للبغدادى) : 5 / 127.

- (السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي) : 1 / 22 - 23 ، 3 / 52 وما بعدها.
- (الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر) : 2 / 291 - دار الجبل - بيروت.
- (إنباء الغمر لابن حجر) : 9 / 171 - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
- (دراسات عن المقريزي) ، د. محمد مصطفى زيادة، د. جمال الدين الشيال، في آخرين، هيئة الكتاب - القاهرة.
- (المقريزي مؤرخا) : د. محمد كمال الدين عز الدين علي، رقم (6) من سلسلة المؤرخين، عالم الكتب - القاهرة.
- (أربعة مؤرخين، وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة) : د. محمد كمال الدين عز علي رقم (53) من سلسلة تاريخ المصريين - هيئة الكتاب - القاهرة.
- (الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربيّ إلي نهاية العصر المملوكي) : د. سهام مصطفى أبو زيد - هيئة الكتاب القاهرة.
- (البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك) : أحمد عبد الرزاق أحمد، دراسة عن الرشوة - هيئة الكتاب - القاهرة.
- (المقريزي وكتابه درر العقود الفريدة - في تراجم الأعيان المفيدة) : دراسة وتحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين علي - عالم الكتب - القاهرة.
- (ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداريّ) للمقريزي: المقدمة، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عاشور.
- (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي للمقريزي) : المقدمة، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عاشور، هو والذي قبله، طبع دار الاعتصام - القاهرة.

مولده:

ولد سنة 766 هـ (1364 م) بحارة برجوان، بقسم الجمالية، بمحافظة القاهرة، بمصر.

نشأته:

نشأ المقريزي في أسرة معروفة بالاشتغال بالعلم في دمشق وبعليك والقاهرة. وعبر عشرين سنة - هي سنوات طفولته ومراهقته وشبابه - شهد المقريزي حوادث ذلك العصر الآفل من نافذته الفكرية المصرية البعيدة عن شئون الدولة المملوكية وأمرائها الذين جعلوا من السلاطين الأطفال وأشباه الأطفال وقتذاك، ستارا رقيقا شفافا ساذجا يعملون من ورائه لتحقيق مطامعهم.

ثقافته:

وفي وسط تلك الحوادث الصاخبة المتقلبة، عكف الشاب أحمد المقريري على الدراسة التقليدية لأبناء طبقتة، وهي دراسة علوم الدين وحفظ القرآن ومعرفة النحو ودراسة الفقه والتفسير، والحديث، وبعض العلوم الأخرى مثل التاريخ، وتقويم البلدان، والأدب، والحساب.

مصادر ثقافته:

ترجع مصادر ثقافة المقريري إلي:

- 1- أنه كان يملك مكتبة كبيرة ضخمة تضم العديد من الكتب في مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة في عصره، والدليل واضح في الكثرة الكثيرة من المراجع التي أشارت في مؤلفاته إلي أنه رجع إليها وأخذ عنها.
- 2- أنه ولي وظائف كثيرة مختلفة، مكنته من التعرف علي دولاب العمل وكيف يدار، وعلي مختلف النظم الإدارية والمالية، وعلي أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية.
- 3- اشتغاله بعلمي الحديث والتاريخ، وهما علمان يعتمدان أصلا علي الجرح والتعديل، والنقد والتحليل، والتثبت من كل قول، أو رواية أو حقيقة علمية.

شخصية المقريري:

أودع المقريري في صفحة العنوان من كتاب [السلوك لمعرفة دول الملوك] ، شيئا من صفاته الشخصية، حيث يقول بعد كتابة اسم الكتاب واسمه هو، وكأنما يخاطب نفسه: [لا أحوجك الله إلي اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا ألك إلي قبض عوض عن جميل أوليته، ولا جعل يدك السفلي لمن كانت عليه هي العليا، وأعاذك من عز مفقود، وعيش مجهود، وأحيك ما كانت الحياة أجمل لك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد، وسمو بعيد، وختم بالحسنى عملك، وبلغك في الأولى أملك، وسدد فيها مضطربك، وأحسن في الأخرى منقلبك، إنه سميع قريب، جواد منيب] .

الوظائف التي تولها المقريري:

التحق المقريري بالخدمة الحكومية، بعد أن غدا بحكم طبقتة وتعليمه من [أهل العلم والمعرفة] وهي التسمية المخصصة لهذه الطبقة تمييزا لها عن طبقة [أهل السيف] وهم المماليك وحدهم، دون غيرهم من سكان البلاد المصرية والشامية جميعا.

وأول عهد المقريري بالخدم الحكومية كأبيه من قبله: [ديوان الإنشاء بالقلعة] ، وهو الديوان

الذي يقابله في العصر الحاضر [وزارة الخارجية] ، فعمل المقريري الشاب سنة 1388 م موقعا- أي كاتباً- وهي وظيفة لا يبلغها وقتذاك سوى أصحاب الموهبة والمعرفة والتفوق في اللغة والأدب والتاريخ. ثم تعين المقريري نائبا من نواب الحكم- أي قاضيا- عند قاضي قضاة الشافعية بسبب ما اشتهر عنه من الحماسة للمذهب الشافعيّ منذ أيام دراسته، وتحوله عن مذهب الحنفية الذي نشأ فيه، ثم صار المقريري إمام الجامع الحاكم الفاطمي، وهي وظيفة في ذلك العصر. وتولى المقريري بعد ذلك وظيفة مدرس للحديث بالمدرسة المؤيدية، وهي وظيفة يقابلها في المصطلح الجامعي في العصر الحاضر [أستاذ ذو كرسي] .

- وربما كان تعين أحمد المقريري في تلك الوظيفة التعليمية بتوصية خاصة من أستاذه [عبد الرحمن بن خلدون] لدى صديقه [السلطان برقوق] . ثم انتقل المقريري من التدريس إلي الحسبة حين عينه [السلطان برقوق] سنة 1398 م محتسبا للقاهرة والوجه البحري، فانتقل بذلك من دائرة الإدارة والاختلاط بمختلف طبقات المجتمع، ذلك أن وظيفة المحتسب التي يقابلها في الوقت الحاضر عدة وظائف وزارية شملت وقت ذاك النظر في الأسعار الجارية، وأحوال النقود، وضبط الموازين والمكاييل والمقاييس، ومراقبة الآداب العامة ونظافة الشوارع، وتنظيم حركة المرور، مع الإشراف علي المدارس والمدرسين والطلاب، والعناية بالمساجد والحمامات والوكالات، فضلا عن مراقبة أصحاب الصناعات الفنية من الأطباء، والصيدلة، والمعلمين [أي المهندسين المعماريين] . ويضاف إلي هذه الواجبات الكثيرة الداخلة في اختصاص المحتسب أحوال الباعة الجائلين، والمتعشين، والشحاذين، والمتعطلين الذين كانوا خطرا دائما علي الأمن. ويتضح من ضخامة هذه الوظيفة ومسئوليتها أن أحمد بن علي المقريري الذي تعين عليها بأمر [السلطان برقوق] ، لا بدّ أنه اشتهر وقتذاك بالكفاية والدقة في الإدارة والأمانة في تطبيق الأحكام الشرعية. غير أنه لم يلبث أن تنحى عن هذه الوظيفة مرتين في عامين متتالين، إذ ضاق بمسئوليتها التي شغلت وقته ليلا ونهارا، وصرفته عن القراءة، وتطلبت منه الجلوس في دكة المحتسب- [بوابة المتولي الحالية]- للفصل في شكاوى السوق والسوق، وتوقيع عقوبات علي المخالفين، وإصدار الأوامر إلي العرفاء والأعوان والنقباء، مع العلم بأن وظيفة [محتسب القاهرة] شملت الوجه البحري كله.

مؤلفات المقرئزي:

ترك المقرئزي - رحمه الله - مؤلفات عديدة، في مجال التاريخ، والأنساب، والعقائد، والفقه، والأدب، والعلوم البحتة، زادت علي

نحو مائتي مجلدة كبار في مكتبات العالم، أو المثبت عنواناته لدى من ترجم له، أو اعتني بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية، ويمكن إجمال مؤلفاته علي النحو التالي:

1- (اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) :

أرخ فيه المقرئزي للدولة الفاطمية منذ قيامها في المغرب العربي، وحتى سقوطها في مصر، مترجما لخلفائها، مشيراً من خلال ترجماتهم إلي الحوادث الواقعة في زمانهم، وقد انتظمتها عدة حوليات متتابعة، مقدماً لترجماتهم بالحديث عن أولاد علي بن أبي طالب وأعقابهم، مع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين، والتعريف بنشأة دولتهم في المغرب العربي، ومذيلاً عليها بالتعريف برسوم دولتهم في مصر، وما عابه الفقهاء والمؤرخون عليهم، فضلاً عما صار إليه أمر أهليهم وذويهم، بعد سقوط دولتهم في مصر.

نشره بالقاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فيما بين سنتي (1967)، (1973)، في ثلاثة أجزاء بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، والدكتور محمد حلمي عبد الهادي.

2- (أخبار قبض مصر) :

وهو في تاريخ الأقباط، مستخرج من كتاب (المواعظ والاعتبار).
نشره هماكر بأستردام سنة (1824)، ونشره وستفيلد بغطا سنة (1845).

3- (الإخبار عن الأعدار) :

عالج المقرئزي من خلاله موضوعاً تاريخياً اجتماعياً، يدور حول ما يقام من ولائم في البناء [الزواج]، والختان. ذكره السخاوي في (الضوء اللامع) : 22 / 2.

4- (إزالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء) :

ذكره ابن تغري بردي في (المنهل الصافي) : 398 / 1، السخاوي في (الضوء اللامع) : 23 / 2

* منه نسخة في دار الكتب [فهرس الخديوية]: 7 / 564، ونسحة بالمكتبة الوطنية بباريس.

5- (الإشارة والإيماء في حل لغز الماء) :

وهو رسالة لطيفة الحجم، كتبها المقرئزي يوم الثلاثاء، لأربع عشر ليلة خلت من المحرم سنة (823 هـ، 1420 م) علي سبيل التسلية، مستعرضا من خلالها معارفه الأدبية، واللغوية، والبلاغية، والفقهية، والعلمية البحتة، وهي تدور حول حل [تفسير] لغز الماء. لكن يعيب هذا المؤلف ما تخلل مادته من التسليم ببعض الحرفات ومستغربات الحدوث، مع احتوائه علي بعض المعاني المستغلقة، بعيدة المرعى، تحتاج إلى إيضاح.

* توجد منه عدة نسخ خطية، في مسودتين، تحتفظ بهما مكتبة جامعة القاهرة، تحت رقمي (22075) و (26247) ضمن مجموع رسائل المقرئزي- رحمه الله- ومنه نسخة في دار الكتب المصرية [فهرس الدار]: 3 / 12، ونسخة في مكتبة نور العثمانية في استامبول برقم (4937/015).

6- (الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام) :

أو تاريخ بناء الكعبة* ذكره المقرئزي- رحمه الله- في (الذهب المسبوك): 26. منه نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق، وهي بخط المؤلف برقم (4805)، وليدن برقم (943).

7- (إغاثة الأمة بكشف الغمة) :

وهي رسالة لطيفة الحجم، فرغ المقرئزي- رحمه الله- من تأليفها في المحرم سنة (808 هـ، 1405 م) كما ذكره هو في (إغاثة الأمة): 43، 86، علي أثر المجاعات والكوارث الاقتصادية، التي لحقت بمصر فيما بين عامين (796 هـ)، (808 هـ) عارضا من خلالها لما حل بمصر من غلاء، وما ترتب عليه من مجاعات أو كوارث مجيحة فيما قبل نشوء الإسلام وبعده، حتى سنة ثمان وثمانمائة للهجرة، محصيا منها ستا وعشرين حادثة، خصّ مصر الإسلامية منها عشرين، وردت علي سبيل التمثيل لا الحصر وقد أشير من خلالها إلي أن فيها ما هو أشدّ وأنكى من الخن المعاصرة، معللا لهذه الخن بأسباب طبيعية، كقصور جري النيل في مصر، وعدم نزول المطر في الشام، والعراق، والحجاز، وما يصيب الغلال من الآفات وسائم الرياح. وأخرى غير طبيعية، ترجع إلى سوء تدبير ولادة الأمور، وتتحصر في أمور ثلاثة، هي:

1- ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشاء.

2- غلاء إيجار الأتبان الزراعية علي مبلغ ما تغله الأرض من محصول.

3- رواج الفلوس النحاسية.

وفي هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها في رأي المقرئزي- رحمه الله- ولذا صرف جل اهتمامه إليه، مستطرداً منه إلى ثلاثة موضوعات، هي:

- 1- النقد الإسلامي، وتطور سك العملة، وأثره في النظام النقدي في مصر.
 - 2- نشأة الفلوس المضروبة من النحاس الأحمر في مصر، وتراجع الدراهم المضروبة من الذهب لعدم ضربها، وسبكها حلياً.
 - 3- أسعار النقد [ذهبا وفضة] ، وبعض السلع الرئيسية من المحاصيل الزراعية.
- لكن شاب هذه الرسالة- كذلك- تسليم المقرئزي- رحمه الله- من خلال مادتها بكثير مما جاء في مصادره من المبالغات، أو مستغربات الحدوث، في مصر والشام. ومن ذلك إشارته إلى نطق ثور جبة عسال- قرية من قرى دمشق بالشام-.
- منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية [فهرس الدار] : 36 / 5 ، ونسخة خطية في مكتبة نور العثمانية برقم (1 / 4937) .
- نشره في القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، 1957 م، بتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، والدكتور جمال الدين الشيال.

- 8- (الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام) :
- هو رسالة لطيفة الحجم، كتبها المقرئزي- رحمه الله- أثناء مجاورته في مكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (1435-1436 م) ، مرتباً لها علي مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة قصيرة جداً، اقتصر فيها علي الصلاة والتسليم.
- * منه نسخ خطية في: مكتبة جامعة ليدن برقم (992) ، (993) ، مكتبة نور العثمانية برقم (11 / 4937) ، دار الكتب المصرية برقم (500) [فهرس الدار] :
- (38 / 5) مكتبة باريس، نسخة تاريخها (841 هـ) . وظهرت لهذا الكتاب طبعتان: نشره رينك، ليدن، سنة (1790 م) ، نشر في القاهرة سنة (1313 هـ) .

- 9- (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والخفدة والمتاع) :
- وهو مؤلف مطول في سيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جمع مادته من مصادر رئيسية ومتعددة، محرراً فيه الخلاف حول كثير من الوقائع، مع العناية بتحقيق الكثير من المسائل الفقهية المتصلة بحوادث السيرة، حدّث به المقرئزي في مكة، أثناء مجاورته فيها سنتي (834 هـ) (1431 م) ، (839 هـ) (1436 م) .
- توجد منه نسخ خطية محتفظ بها في مكتبة كوبربللي- تركيا برقم (1004) ، كتبت في شوال سنة (839 هـ) (1561 م) ، كوبربللي زاده محمد باشا كتابخانه سند محفوظ، صحيفة (66) وهي في

جزء واحد ضخيم، تقع في ستة أجزاء ضخمة، ضمت (919) ورقة، مقاسها 27*40 سم، ومسطرتها نحو 35 سطرا، وعنهما مصورتي: دار الكتب المصرية في القاهرة، برقم (886) تاريخ، ومعهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة، برقم (63) تاريخ، لكن عدد صفحاتها كما هو تحت يدي (1839) صفحة نسخة بمكتبة غوطا برقم (1830)، وهي في ستة أجزاء، وهذه النسخة قد اعتمدها في التحقيق، وهي ناقصة، وقد أنكر أمناء مكتبة غوطا أن تكون في ستة أجزاء، نسخة في مكتبة ليدن، برقم (871)، وهي نسخة صغيرة ناقصة جدا، كما توجد نسخة أخرى في خزانة عموجة حسين باشا في الآستانة، برقم (354) طبع الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، القاهرة (1941)، علي نفقة السيدة قوت القلوب الدمري داشية. ثم طبع نفس الجزء مصورا علي الأوفست في دولة قطر بإشراف الشيخ عبد الله الأنصاري. ثم طبع الجزء الأول مرة أخرى بتحقيقنا، نشرته دار الأنصار بالقاهرة (1981)، ثم أعيد نشر الكتاب كاملا بالمقدمة والفهارس في سبعة عشر مجلدا، نشرته دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (1998).

10- (الأوزان والأكيال الشرعية) :

وهي رسالة في الموازين والمكاييل، منها نسخة خطية في: مكتبة ليدن، برقم (1014)، دار الكتب المصرية، [فهرس الخديوية] :

(186/5).

* نشرها تيكس، روستوك بألمانيا سنة (1797 م)، (1800 م).

11- (البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد) :

منه نسختان خطيتان في ليدن، [فهرس أمين المدني] برقم 188، وهي بخط المؤلف، دار الكتب المصرية، [فهرس الخديوية] : 565 / 7، لكن جاء في فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، أن هذه المخطوطة تصنيف أحد علماء المائة الثامنة الهجرية، وأن المقرئ - رحمه الله - ناسخها فقط، (فهرس المخطوطات المصورة) :

119 / 1، عمود 2.

12- (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) :

هي رسالة لطيفة الحجم، كتبها المقرئ - رحمه الله - سنة (841 هـ 1437 م) مشيرا من خلالها إلي القبائل العربية التي دخلت مصر مع الفتح العربي، وأماكن وجودها في عصره، مقررا أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر، وجهلت أكثر أعقابهم، وقد بقيت من العرب

بقايا بأرض مصر حضرت لديه ست عشرة قبيلة، وهي ثعلبة، وجرم، وسنيس، وجدام وبني هلال، وبلى وجهينة، وقريش، وكنانة والأنصار، وعوف، وفزارة، ولواته، ولحم، وحرام، وبني سليم، غير مرتب لها علي حروف المعجم، ولا علي أصول الأنساب: [قحطانية وعدنانية] ، أو بحسب منازلهم في مصر، فأنت أشبه شيء بمذكرات كتبت علي عجل، وعلي غير نظام واضح. * منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية [فهرس الدار]: 64 / 5 ، مكتبة جامعة كمبرج، برقم (157) ، مكتبة نور العثمانية، برقم (10 / 4937) ، مكتبة ليدن، برقم (975) ، المكتبة الوطنية في باريس، برقم (1725) ، مكتبة فينة برقم (910) . ظهرت لهذا الكتاب طبعتان: نشره وستنفلد، غوطا سنة (1847 م) ، نشر في القاهرة سنة (1334 هـ) ، ثم أعاد نشره محققا الدكتور عبد الحميد عابدين، القاهرة، عالم الكتب، ط 1 سنة 1961، مع دراسة عن تاريخ العروبة في وادي النيل.

12- (التاريخ الكبير المقفى في تاريخ أهل مصر والواردين عليها) :

هو معجم تأريخي ضخيم، أتي في ست عشرة مجلدة، ترجم المقريزي- رحمه الله- فيه لمشاهير أهل مصر، فيما قبل الإسلام وبعده حتى وقته، علي اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، ممن استقروا فيها، أو تحولوا عنها إلي غيرها من البلدان [ميتا مخطا] أو [رأسا مقطوعة] ، حيث يقول [لما دخل المعز لدين الله أبو تميم معد إلي القاهرة، كان معه توأبيت آبائه: المنصور إسماعيل- هذا- والقائم أبي القاسم محمد، والمهدي عبيد الله، فدفنهم بترية القصر من القاهرة، فلذلك ذكرته في كتابي هذا] . (المقفى) : كما ترجم خلف بن جبير، أحد ثوار المغرب، وقد قتل في المغرب، وطيف برأسه في القيروان، ثم حملت إلي مصر فطيف بها في القاهرة. (المقفى) ، أشار المقريزي- رحمه الله- إلي هذا الكتاب في (إمتاع الأسماع) : 266 / 12 بتحقيقنا.

* منه نسخة خطية في مكتبة باريس، برقم (2144) ، بخط المؤلف- رحمه الله- ميونخ برقم (957) ، ليدن، بأرقام (1032) ، (1847) ، (1851) ، تم نشره بتحقيق محمد البيلاوي، بيروت، الغرب الإسلامي، ط 1، سنة 1987.

13- (تاريخ بناء الكعبة) :

منه نسخة خطية في: دار الكتب الظاهرية في دمشق، وهي بخط المؤلف، ونسخة في مكتبة ليدن، برقم (943) ، نسخة بالظاهرية في دمشق، برقم (4805) .

14- (تجريد التوحيد المفيد) :

هو مؤلف لطيف الحجم، يدور موضوعه حول علم التوحيد، أجمل المقرئزي - رحمه الله - الإشارة إليه في مقدمته بقوله وبعد، فهذا كتاب جم الفوائد، بديع الفرائد، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة، سميت: تجريد التوحيد المفيد، والله أسأل العون علي العمل بمنه وكرمه.

وهذا المؤلف علي وجازته لم يأت مؤرخنا فيه بموضوع ديني تقليدي، وإنما أحاط فيه إلي جانب ذلك بالتعريف بكثير من الفرق الإسلامية، ذكرا من خلالها مذاهبها وأدلتها، مناقشا لها.

* منه نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة، برقم (11 / 26247) ، مكتبة البلدية بالإسكندرية، برقم (6 / 99) فنون، ومكتبة نور عثمانية، برقم (02 / 5937) ، مكتبة باريس برقم 012، مكتبة جامعة برنستن [مجموعة كاريت] برقم (01496) ، مكتبة ليدن [هوتسما] برقم (993) .

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة (1343 هـ) ، ثم طبع في المطبعة المنيرية بالقاهرة، سنة (1373 هـ) بتحقيق طه الزيني.

15- (التذكرة) :

هو مؤلف في التاريخ - كما يوهم ملخصه - أشار إليه ابن تغري بردي في (المنهل الصافي) : 1 / 398، غلي أنه كمل منه ثمانون مجلدا.

16- (تراجم ملوك المغرب) :

احتوى علي بعض ترجمات ملوك المغرب العربي، وقد يكون مذكرات جمعها المقرئزي - رحمه الله - من المصادر للانتفاع بها في بعض مؤلفاته، مقدمة تحقيق (اتعاظ الحنفاء) : 1 / 14، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال. فيه أخبار أبي حمو، وأخلافه من ملوك تلمسان.

17- (تلقيح العقول والآراء، في تنقيح، أخبار الجلة الوزراء) :

ذكره المقرئزي - رحمه الله - في (الخطط) : 1 / 443 ، 2 / 223.

18- (جني الأزهار من الروض المعصار) :

منه نسخة خطية في مكتبة برلين، برقم (6049) ، مكتبة فينه، برقم (1266) ، دار الكتب المصرية، [فهرس الدار] : 6 / 25، مكتبة باريس، نسخة تاريخها (841 هـ) .

19- (حصول الإنعام والمير، في سؤال خاتمة الخير) :

هي رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول سؤال العبد ربه - تعالى - أن يختتم له ولأخيه المؤمن بخير، مستلهما ذلك من قول يوسف - عليه السلام - مناجيا ربه: تَوَفِّيْ مُسْلِمًا وَأَخِيْنَ بِالصَّالِحِيْنَ [يوسف: 101] .

20- (الخبر عن البشر) :

هو مؤلف ضخم، جعله المقرئزي - رحمه الله - مدخلا لكتاب (إمتاع الأسماع) ، مؤرخا من خلاله للخليفة حتى ظهور الإسلام، هادفا من وراء ذلك إلى التعريف بقبائل العرب، وتمييزها من سائر الأجناس، ليعرف لها حقها من المحبة والإعظام، والتجلة والإكرام لكونه صلى الله عليه وسلم هاشميا، قرشيا، عربيا.

قال عنه المقرئزي - رحمه الله - : ثم لما رأيت فضل الله علي - بما علمني وفهمني - عظيما، ومنته وطوله - بما رزقني من كثرة الأشراف علي مقالات الخليفة - جسيما، جعلته كتابا مستقلا، لاتساعه وكثرة فوائده، وشرف أوضاعه، وسميته: (الخبر عن البشر) : ورقة 4 أ، مخطوطة تونس. وترجع أهمية هذا الكتاب - كذلك - إلى احتوائه - فضلا عن ذلك - علي مادة رئيسية، تكشف عن مفهوم المقرئزي - رحمه الله - لموضوع ((علم التاريخ)) ، وأقسامه، وإقراره بفوائده، وتحمسه للدفاع عنه.

ومنه/ نسخة خطية في ليدن، برقم 01080، ونسخة في مكتبة أياصوفيا في الآستانة، تقع في ستة أجزاء متسلسلة، أرقام (3362) حتى (3341) ، وتشمل الأجزاء 1، 4، 5، 6 [غير متسلسلة] . (دفتر كتب خانة أياصوفيا) : ص 202، (دفتر فاتح كتبخانه سي) : ص 248.

21- (خلاصة التبر في كتاب السر) :

أشار إليه المقرئزي - رحمه الله - في (الخطط) : 63 / 2.

22- (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) :

هو معجم في ترجمات أعيان عصر المقرئزي - رحمه الله - أشار في مقدمته إلي دافعه لتأليفه، قائلا وبعد، فإني ما ناهزت من سني العمر الخمسين، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين، فاشتد حزني لفقدهم، وتنغص عيشي من بعدهم، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكاراتهم، وعوضتها عن مشاهدتهم باستماع أخبارهم، وأمليت ما حضرني من أنبائهم في هذا الكتاب وسميته (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) .

* له نسخة في مكتبة غوطا، المجلد الأول منها بخط المؤلف - رحمه الله -، ونسخة في الموصل،

لدى الدكتور محمود الجليلي، في جزأين، تاريخهما (878 هـ) وعن هذه النسخة الأخيرة تم نشر (300) ترجمة- حيث يحتوي الكتاب علي [556] ترجمة- بعالم الكتب- بيروت سنة (1412 هـ 1992 م) ، بتحقيق الدكتور محمد كمال الدين عز الدين علي، بعد تصديره بدراسة وافية عن المؤلف والكتاب بشكل موسوعي يستحق التقدير.

23- (الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية) :

منه نسخة خطية في كمبرج، برقم (365) ، أشار إليه السخاوي في (الضوء اللامع) : 23 / 2.

24- (الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك) :

رسالة لطيفة الحجم يدور موضوعها حول التأريخ لمن حج من الخلفاء والملوك في خلافته أو ملكه، فرغ المقرئزي- رحمه الله- من تصنيفها في ذي القعدة سنة (841 هـ 1438 م) ، مرتبا لها علي مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

- أما المقدمة، فقد أشار فيها إلي تسميته للكتاب، مهديا إياه إلي شخصية كبيرة في عصره، عزمت علي الحج، لم يفصح عن اسمها.
- وأما الفصول، فقد أجمال في أولها الإشارة إلي [حجة الوداع] ، لكونه صَلَّى الله عليه وسلّم هو الذي بين للناس معالم دينهم، مشيرا من خلال ذلك إلي بعض شعائر الحج والعمرة، كالقران، والتمتع، والهدي.
وجعل ثانيها من حج من الخلفاء في خلافته، مترجما من خلاله بترجمات قصيرة لثلاثة عشر خليفة، مؤرخا لحجهم.
وجعل ثالثها للترجمة لثلاثة عشر ملكا أو سلطانا ممن حج في ملكه أو سلطنته، منذ انقسمت الخلافة الإسلامية إلي دويلات يحكمها ملوك، وحتى عهد الأشرف شعبان- أحد سلاطين المماليك- مع التأريخ لحجهم.
- وأما الخاتمة، فقد أتت مقتضبة للغاية، تبين عن الفراغ من كتابته، وانتهاء مادته، علي النحو التالي:

" ... والله- سبحانه- هو أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم- والحمد لله رب العالمين) .

* منه له نسخة خطية في: مكتبة الاسكوريال [في أسبانيا] ، برقم (1771) ، مكتبة كمبرج، برقم (442) ، (443) ، مكتبة نور عثمانية، برقم (4937 / 6) .

26- (رسالة في حرص النفوس علي الذكر) :

رسالة لطيفة الحجم، أنشأها المقرئزي- رحمه الله- هادفا من خلالها إلي الترغيب في عمل الخير، مقدا مللوعه بقوله:

".. وبعء فهذه مقالة لطيفة، وئءفة سنفة شرففة، فف حرص النفوس الفاضلة علي بقاء الذكر، أسأل الله- تعالى- أن ففعل لنا ثناء حسنا فف الصالحفن، وأن ففبونا بالزلفف إلى فوم الءفن بمنه وكرمه) .

متبعا ذلك بموضوع الكئاب، وقد أشار من خلال مائه إلى أن البقاء من أعظم وأحسن صفاء الله- تعالى- فف ففن لفس للعبء من نفسه إلا العءم، والفاضل هو الءف فحرص علي بقاء ذكره ءائما، علي النحو الوارء فف القرآن الكرفم

علي لسان إبراهم- عليه السلام- **وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [الشعراء: 84]** .

* منه نسخة خطفة فف: خزانة ولف الءفن فف الآسئانة، ضمن مجموع خطف فشممل خمس عشرة رسالة كلها للمقرئزي- رحمه الله- برقم (3195) راجع ءفئر كئابئانه. ولف الءفن، صحفة (195) ، مكئبة جامعة القاهرة برقم (26247 /11) . وقد نشره فف القاهرة الخائئف سنة (1955) بفئقف ءءكئور جمال الءفن الشفال.

* منه نسخة خطفة فف خزانة ولف الءفن فف الآسئانة، وقد جاء فف (ئارفف آءاب اللغة العربفة) لجورئف زفءان: 3/ 187، أن اسم هذا المخطوط: (مقالة لطيفة فف حرص النفوس الفاضلة علي بقاء الذكر) ، وأنه محفوظ فف المتئف البرفطائف فف لءن.

27- (السلوك فف معرفة ءول الملوك) :

منه نسخة خطفة فف: ءار الكئب المصرفة [فهرس الءار] : 5/ 129، المكئبة الظاهرفة بءمشق، مجء رقم (7304) ، مكئبة كوبرفلفف برقم (1137) ، مكئبة بفف جامع [ضمن المكئبة السلفمانية فف اسئامول] ، برقم (887) ، مكئبة بائنا فف الهئء، برقم 1/ 166 (2223) ، مكئبة عوطا، برقم (1620) ، (1621) ، مكئبة بارفس، برقم (1726) ، (1728) ، مكئبة الفائئكان، (5/ 725) ، مكئبة جسئرفف فف ءبلن، [ففها المجلء الثامن منه] برقم (4102) ، مكئبة المتئف البرفطائف، الءفل: (480) .

طبع هذا الكئاب بكماله فف القاهرة فف أربعة أجزاء علي النحو ئالف:

- الجزء الأول فف ئالئة أقسام، بفئقف محمد زفءاة (1934- 1939) .

- الجزء الثاني في ثلاثة أقسام، بتحقيق محمد زيادة (1941-1958) .
- الجزء الثالث في ثلاثة أقسام، بتحقيق سعيد عاشور (1970-1972) .
- الجزء الرابع في ثلاثة أقسام، بتحقيق سعيد عاشور (1972-1973) .

28- (شارع النجاة) :

أشار السخاوي في (الضوء اللامع) : 2/ 23، إلى أنه يشتمل علي جميع ما اختلفت فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها، مع أدلتها، وتوجيه الحق منها، ذكره المقرئزي- رحمه الله- في (الذهب المسبوك) ، 5، 7.

29- (شذور العقود في ذكر النقود) :

رسالة لطيفة الحجم، انقسمت إلى مقدمة وخاتمة، فيما بينها ثلاثة فصول.
- أما المقدمة فقد أشار فيها إلى موضوع الكتاب: «نبذة لطيفة في أمور النقود الإسلامية». وأنه أنشأه تلبية [للأمر العالي] الذي يرجح أن يكون شخصية كبيرة في بلاط المؤيد [شيخ الحمودي]

- وأما الفصل الأول فقد جعله للحديث عن [النقود القديمة] ، التي كانت علي وجه الدهر، وجعل الفصل الثاني للتعريف ب [النقود الإسلامية]- نشأتها وتطورها- وجعل الفصل الثالث للحديث عن [النقود المصرية] ، وهو في هذه الفصول الثلاثة يشير إلى أنواع النقود، وأوزانها، وأعيانها، وزبونها، وما حدث فيها من التغيير والتبديل، علي اختلاف عصورها.
* منه نسخة خطية في: مكتبة نور العثمانية، برقم (4937) ، مكتبة برلين، برقم (6024) ، مكتبة ليدن، برقم (1012) ، (1013) ، مكتبة كمبرج، برقم (475) ، مكتبة الأسكوريال، برقم (1771) .

وقد ظهرت لهذا الكتاب طبعات مختلفة:

- نشرها تيكسن في روستك (1797 م) .
- نشرها أحمد فارس الشديقان، مطبعة الجوائب استامبول، (1298 هـ) ، ضمن ثلاث رسائل.
- نشرها ماير، الإسكندرية (1933) .
- نشرها محمد آل بحر العلوم، النجف (1938) ثم توالى طبعات لهذا الكتاب في النجف، فكانت الخامسة سنة (1967) .

- نشرها الأب أنستاس ماري الكرمللي، ضمن كتابه (النقود العربية وعلم النميات، القاهرة 1939 م) .

30- (ضوء الساري في معرفة خير تميم الداري) :

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول صحابي جليل، هو [تميم ابن أوس الداري]- رحمه الله- وكان نصرانيا، جاء الرسول صلى الله عليه وسلم، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم، وروي الرسول صلى الله عليه وسلم عنه حديث [الجساسة والمسيخ الدجال] ، فانفرد هو من دون الصحابة بذلك، وكانت روايته صلى الله عليه وسلم من باب رواية [الفاضل عن المفضول، والمتبوع عن تابعه] ، وقد استعرض المقرئ - رحمه الله- من خلال مادتها الحديث عن أنساب الناس وأنساب العرب، وقدم وفد الدارين علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلام تميم، وتحديثه- عليه السلام- عنه، وإقطاعه إياه قريتي [جبرون وعينون] ، ولم يكن فتحهما حدث بعد!! وما كان من أحوال تميم في الجاهلية والإسلام، معددا لمآثره، مؤرخا لوفاته بسنة أربعين للهجرة، مناقشا من خلال تلك الرسالة [قضية الهبة] ، مناقشة فقهية قضائية، محتتما لها بالتعريف بما آل إليه مصير [جبرون وعينون] حتى وقته.

* له نسخة خطية في خزانة ولي الدين بالآستانة. تم طبع هذا المخطوط تحت اسم (ضوء الساري في خبر تميم الداري) ، بتحقيق الأستاذ محمد أحمد عاشور، في دار الاعتصام بالقاهرة وبيروت، سنة (1392 هـ) ، اعتمادا علي نسختين خطيتين: الأولى منقولة من الخزانة الوليدية في الآستانة- لعلها نفس خزانة ولي الدين آنفة الذكر- وبديل علي ذلك الرقم الذي بينه المحقق، فهو نفس رقم المجموع الذي منه (ضوء الساري) ، والأخرى منقولة عن المكتبة الأهلية في باريس.

31- (الطرفة الغربية في أخبار وادي حضرموت العجيبة) :

رسالة لطيفة الحجم، استفاد المقرئ - رحمه الله- مادتها في مكة، أثناء مجاورته فيها سنة (839 هـ 1436 م) من بعض القادمين عليه من أهل حضرموت، ابتدأها بمقدمة موجزة، أشار فيها إلي ذلك قائلا: «وبعد، فهذه جملة من اخبار وادي حضرموت، علقته بمكة- شرفها الله تعالى- أيام مجاورتي بها في عام [تسعة وثلاثين وثمانمائة] ، حدثني بما ثقت من قدم مكة من أهل حضرموت» .

ثم أتبعها بوصف جغرافي موجز لبلاد حضرموت، وما تردد في بعض المصادر من الاختلاف في نسب [حضرموت] ، وما شهرت به هذه البلاد من مزروعات أو حيوان [كالماشية والإبل] ، مذيلا عليها بطائفة كبيرة من الروايات الشفهية، المتضمنة الكثير من الخرافات أو مستغربات

الحدوث، مما وثق مؤرخنا به، كنعحو قوله:

«وفي جبال ظفار قوم يقال لهم القمر، أهل بادية، وقد جرت العادة في ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلا ونهارا، مطرا غزيرا جدا فإذا أراد أحد أن يسافر في مدة المطر إلى جهة من الجهات، طلب واحدا من القمر، ودفع له مالا ليدفع عنه المطر، ثم سار معه والمطر نازل، فيصير عن يمينه وشماله ولا يصيبه هو ولا أحماله منه قطرة واحدة، حتى يبلغ حيث يريد. له نسخة خطية في مكتبة جستريني - برقم (02 / 4118) ، مكتبة نور العثمانية، برقم (4937/ 4) ، مكتبة ليدن، برقم (810) ، مكتبة كمبرج، برقم (654) ، (655) ، معهد المخطوطات العربية في الكويت، برقم (02 / 776) ، المصورة عن مخطوطة (شستريني) ، ومخطوطة ولي الدين في مصورتها المختفظ بها لدى جامعة القاهرة، برقم (26247) ، وقد نشرها [نوسكوى] مع ترجمة لاتينية في بون سنة (1866) .

32- (عجائب تيمور) :

33- (عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط) :

أشار إليه المقرئزي- رحمه الله- في صدر كتابه (اتعاظ الحنفاء) : 1 / 4 بقوله: «ضمنته ما وقفت عليه، وأرشدني الله- سبحانه- إليه من أحوال مدينة الفسطاط، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت دار إسلام، إلي أن قدمت جيوش الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد من بلاد المغرب، مع عبده وقائده وكتابه، أبي الحسين جوهر القائد الصقلي، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ونزلت في شمالي الفسطاط بالمناخ، وأسس مدينة القاهرة، وحل بها» ، كما ذكره أيضا في (السلوك) : 1 / 28. وقد اشتمل هذا المؤلف علي فترة من تاريخ مصر الإسلامية، امتدت فيما بين الفتحين الإسلامي والفاطمي لها.

34- (قرض سيرة المؤيد لابن ناهض) :

ذكره السخاوي في (الضوء اللامع) : 2 / 23.

35- (ما شاهدته وسمعه مما لم ينقل في كتاب) :

يبدو أنه احتوى علي كثير من النوادر التاريخية وغير التاريخية، مما عايشه المقرئزي- رحمه الله- أو أخبر به، علي النحو المدرك من قول السخاوي: «... ومن أعجب ما فيه أنه كان في رمضان سنة (إحدى وتسعين وسبعمائة) مارا بين القصرين، فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق

خرج من سجنه بالكرك، واجتمع عليه الناس. قال: فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك. (الضوء اللامع) : 24-25 / 2.

36- (مجمع الفرائد ومنبع الفوائد) :

ذكره السخاوي، مشيراً إلى أنه يشتمل علمي على العقل والنقل، المحتوي علي في الجد والهزل، بلغت مجلداته نحو المائة، بينما أشار ابن تغري بردي إلى أنه كمل منه نحو ثمانين مجلداً كالتذكيرة. (الضوء اللامع) : 23 / 2، (المنهل الصافي) : 398 / 1.

37- (مختصر الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة لابن عدي) :

* منه نسخة خطية بخط المقرئ - رحمه الله - مؤلف هذا المختصر، كتبها سنة (759 هـ) ، وهي في مكتبة مراد ملا باستامبول، برقم (569) ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة، برقم (456) تاريخ. أشار إليه المقرئ - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع) : 311 / 11 بتحققنا.

38- (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق علي من عداهم) :

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوي علي المسلمين من حبههم وإجلالهم، ونصرتهم ومودتهم، فرغ المقرئ - رحمه الله - من تأليفها في ذي القعدة سنة (841 هـ 1438 م) مرتباً لها علي مقدمة، أشار فيها إلي دافعه إلي تأليفها قائلاً: « ... وبعد فإني لما رأيت أكثر الناس في حق آل البيت مقصرين، وعمالهم من الحق معرضين، ولقدارهم مضيعين، وبمكانتهم من الله - تعالى - جاهلين، أحببت أن أقيد في ذلك نبذة تدل علي عظم مقدارهم، وترشد المتقي لله - تعالى - علي جليل أقدارهم ليقف عند حده، ويصدق بما وعدهم الله ومن به عليهم من صادق وعده» .

تتبعها فصول خمسة، شارحة من خلال أقوال أئمة اللغة والتفسير لحمس آيات قرآنية، مع ما أتصل بها من الأحاديث النبوية، عاجل موضوعة من خلالها، وهي قوله تعالى:

- إِمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: 33] .

- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الطور: 21] .

- وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً [الكهف: 82] .

- جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ [الرعد: 23] .

- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى [الشورى: 23] .
مختتما لهذه الرسالة بعدد من الرؤى والحكايات الشفهية- التي أمدته بها شيوخه ورفقته- وتدور
كلها حول الحث علي حب آل البيت النبوي وتعظيمهم.
* منه نسخة خطية في فينه، برقم (890) . طبع في دار الاعتصام، ط 2 سنة 1973 م بالقاهرة
وبيروت بتحقيق محمد أحمد عاشور.

39- (المقاصد السننية في معرفة الأجسام المعدنية) :

مؤلف علمي بحث يبحث في المعادن، أشار المقرئزي- رحمه الله- من خلاله إلي كروية الأرض،
وحركتها، وإحاطة الماء باليابسة من سائر جهاتها، والأجسام المتولدة عليها، وتكويناتها، وصفاتها،
وأمكنة وجودها، والقيمة العلمية والمادية والطبية لها.
ومنه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية، برقم (9/4937) ، ومكتبة باريس، نسخة تاريخها
(842 هـ) ، مكتبة كمبرج، برقم (1082) ، مكتبة جامعة القاهرة، برقم (10/26247) .

40- (منتخب التذكرة في التاريخ) :

مؤلف في التاريخ الإسلامي العام، اقتصر فيه المقرئزي- رحمه الله- علي ذكر العرب والفرس،
دون غيرهم من الأمم المطيفة بهم في أطراف الأرض، اختصره من مؤلف أبسط منه سماه (التذكرة)
، فكان ما أودعه في هذا المؤلف اللب منه.
* منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية، (فهرس الدار) : (5/368) ، مكتبة باريس برقم
(1514) عرب، ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية، برقم (1658) ، تاريخ عن مخطوطة
مكتبة باريس ذات الرقم (1514) عرب، وتقع في نحو 166 ورقة لطيفة الحجم، مزدوجة
الصفحات، باستثناء أولها وآخرها، مسطرتها نحو أربعة عشر سطرا.

41- (المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر) :

يضم الفترة فيما بين سنتي (439 هـ 1047 م) ، (553 هـ 1159 م) ، انتقاه المقرئزي- رحمه
الله- في ربيع الأول للآثار الشرقية سنة (814 هـ 1411 م) .
* طبع في القاهرة- المعهد الفرنسي للآثار الشرقية سنة (1981) بتحقيق أيمن فؤاد سيد.

42- (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)

وتعرف بخط المقرئزي:

منها نسخة خطية في: دار الكتب المصرية، (فهرس الخديوية) :

(1/ 162) ، المكتبة العمومية بدمشق، الأرقام (3437) ، (5696) ، (5697) ، (7004) ،
مكتبة أياصوفيا باستامبول، الأرقام (3471) ، (3484) ، مكتبة طوب قيو سراي
باستامبول، الأرقام (2947) ، (2954) ، مكتبة محمد الفاتح باستامبول برقم (4495) ،
(4499) ، .. وغير ذلك.

* طبع في مجلدين، بولاق (1270 هـ) ، وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست، طبع
في أربعة أجزاء، مطبعة النيل- القاهرة (1324-1326 هـ) ، طبعت منه خمسة أجزاء بتحقيق
المستشرق الآثاري فييت، القاهرة (1911-1927) ولم تتم.

وظهرت لهذا الكتاب طبعات جزئية، نذكر منها:

- أخبار قبط مصر، وقد سبقت الإشارة إليه.

- (القول الإبريزي للعلامة المقرئ) ، نشره مينا إسكندر، وهو يتضمن تاريخ الأقباط

وأحوالهم- نقلا عن (خطط المقرئ) .

43- (نبذ تاريخية) :

ليس مؤلفا مستقلا- علي ما يبدو- ولكنه ملتقطات مما جمعه المقرئ- رحمه الله- من
المصادر، ليضمنه بعض مؤلفاته.

منه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم (2125 د/ 259) ، تقع في (52) ورقة مقاسها
نحو (13* 16 سم) ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة برقم (845)
تاريخ.

44- (نحل عبر النحل) :

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول النحل، وما يتخلف منه من عسل وشمع، مستلهما منه
العبرة والعظة لبني الإنسان، وقد رتب علي مقدمة وعشرة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فقد أشار فيها إلي موضوع الكتاب قائلا: ((... وبعد، فهذا قول وجيز في ذكر

النحل، وما أودع فيه البارئ- جلت قدرته- من غرائب الحكمة وعجائب الصنع، ليعتبر أولو

الأبصار، ويتذكر أرباب الاعتبار)) وأما الفصول- فقد اتصلت بعلوم: الحيوان، واللغة،

والتفسير، والحديث، والفقه، والطب، والبيطرة، والنبات، والاقتصاد، والتاريخ، والأدب، فيجمل

المقرئ- رحمه الله- فيها الحديث عن النحل من الناحية الحيوانية، ذكرا أسماءه، وألوانه،

وأحجامه، وصفاته، وخلاياه، وآفاته، وعلاجها، وعسله، وأنواعه وأصنافه- وجامعه، [مشتاره]

وآلته التي يستعين بها في جمعه، وما يربعاها النحل من أزهار وأنوار، وما ينتجه من شمع، مفصحا

عن مركزه الاقتصادي في مصر الإسلامية، وما ورد في النحل والعسل من الآيات القرآنية،

والأحاديث النبوية، وأقوال الحكماء، والفقهاء والمفسرين، وما اتصل بالشمع من الحوادث التاريخية، سواء بالاستصباح [الإضاءة] به لدى الخلفاء، والسلاطين، والفقهاء، أو باستخدامه في القصور، والمواكب السلطانية، وحفلات العرس والزواج، أو بالختم به على تركات الموتى من أولاد الخلفاء، محتتما بذلك بما أنشئ في [الشمع] من أشعار وأما الخاتمة فقد أشار فيها إلى انتهاء مادة الكتاب باكتماله، قائلا:

((... تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله علي سيدنا محمد، وعلي آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا دائما إلي يوم الدين، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

منه نسخة خطية في: مكتبة نور عثمانية برقم (03 / 4937) ، مكتبة كمبرج، برقم (664) ، (923) ، مكتبة جسترستي في دبلن، برقم (02 / 4118) ، وقد طبع في القاهرة، مكتبة الخانجي، سنة (1946) بتحقيق د. جمال الدين الشيال.

45- (النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم) :

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول استئثار بني أمية وبني هاشم بالخلافة من دون [علي بن أبي طالب] وبنيه، أشار المقرئ - رحمه الله - من خلالها إلى ما كان من منافرة ومنافسة بين بني أمية وبني هاشم قبل الإسلام وبعده.

* منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية، (فهرس الدار) 5 / 385، المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم (3731) ، مكتبة نور عثمانية، برقم (4937) ، ومكتبة ستر اسبورج، مكتبة ليدن، برقم (885) ، مكتبة فينة، برقم (886) وقد طبع هذا الكتاب مرتين:

الأولى في ليدن، نشره فوس، سنة (1888) ، والثانية في القاهرة سنة (1927) ثم طبع عدة طبعات آخرها بدار المعارف - القاهرة - سنة (1988) بتحقيق الدكتور حسن مؤنس. وقد أشار إليه المقرئ - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع) : بتحقيقنا 12 / 355.

46- (النحل وما فيه من غرائب الحكمة) :

منه نسخة خطية في مكتبة جامعة كمبرج، راجع (تاريخ آداب اللغة العربية) جورج زيدان، 3 / 178، فقرة 12.

47- (نهاية الجمع لأخبار القراءات السبع) :

أشار إليه المقرئ - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا: 12 / 32 ولم أقف له علي مصدر آخر يشير إلي نسخ منه مخطوطة أو مطبوعة.

من هذا العرض الموجز لجهود المقرئ - رحمه الله - في الكتابة التاريخية، نجد أنه قد ألح من خلالها علي التوكيد علي ثلاث صفات امتاز بها، وهي:

[مصريته] و [عروبه] و [إسلامه] .

أما مصريته، فتبدو في تحمسه للتاريخ لمصر في أطوارها المختلفة، فيما قبل الإسلام وبعده، حيث أنشأ فيها مؤلفاً مجملاً، لتاريخها، وخطتها، وعمرائها - منذ القدم وحتى وفاته - وهو: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، ثم عمد إلي تفصيل أكثر، أجمل فيه بالتاريخ لمصر الإسلامية، منذ الفتح الإسلامي لها وإلي قبيل وفاته، في عدة مؤلفات متتابعة، وهي: (عقد جواهر الأسفاط) و (اعتاظ الحنفاء) و (السلوك) و (المقفي) وأما عروبه، فقد كانت دافعا قويا لديه إلي إنشاء عدة مؤلفات، منها (الخبر عن البشر) و (البيان والإعراب) و (تراجم ملوك المغرب) و (الطرفة الغربية) .

وأما إسلامه، فيتبدى - فضلا عن العاطفة الدينية الجياشة، المبتوثة في سائر مؤلفاته - في (إمتاع الأسماع) ، وقد جعله تاريخاً مجملاً للرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته، و (النزاع والتخاصم) وهو مبحث في الخلافة، و (التذكرة) و (منتخبها) و (الدرر المضيئة) و (الإمام) . وقد جعل من هذه المؤلفات تاريخاً عاماً للدولة الإسلامية في مختلف أطوارها وأمصارها. بل إن أكثر رسائله ومؤلفاته الموجزة، المفردة بالتأليف في موضوع بعينه، تنزع إلي أي من هذه الصفات الثلاث.

(ب) التعريف بكتاب إمتاع الأسماع

الأصول الخطية للكتاب:

لقد بذلت ما وسعني من جهد - بعد توفيق الله تعالى - للحصول على أكبر قدر من الأصول الخطية لكتاب (إمتاع الأسماع) ، وقد تيسر لي - بفضل الله تعالى - أن وجدت نسختين خطيتين بالإضافة إلي الجزء المطبوع.

فأما النسخة الأولى فقد رمزنا إليها بحرف (خ) والنسخة الثانية رمزنا إليها بحرف (ج) ، والجزء المطبوع رمزنا إليه بحرف (ط) ، وفيما يلي وصف موجز لكل من هذه الأصول:

أولاً: النسخة (خ) :

هذه النسخة محفوظة بتركيبها، ورقمها 1004، وهي مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد بن عثمان، وقد حصلنا علي صورة منها مسجلة علي الميكروفيلم من معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إحدى منظمات جامعة الدول العربية، وعلي صفحة العنوان من هذه النسخة يوجد بعض التقريرات والملاحظات، يمكن الوقوف عليها بمناظرة صور نماذج المخطوطات في الصفحات المقبلة بعد قليل.

وصف النسخة (خ) :

تقع هذه النسخة في 1839 ورقة، قام المصور بتصويرها في تسعة أجزاء علي النحو التالي:
الجزء الأول:

ويبدأ من الورقة الأولى، إلي الورقة رقم 215 وهو من أول الكتاب إلي قوله: (فصل في ذكر شمائل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم) .

الجزء الثاني:

من الورقة 216 إلي الورقة 440، وأوله: (فصل في حسن عهده صَلَّى الله عليه وسلّم) إلي قوله: (وأن الله تجلى لموسى في سيناء) .

الجزء الثالث:

من الورقة رقم 441 إلي الورقة رقم 651، ويبدأ بقوله عن اليهود:

(وهذه نبذة من غضب الله عليهم) ، إلي قوله: (كمل الجزء الثاني [(1)] من كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع) .

الجزء الرابع:

من الورقة رقم 652 إلي الورقة رقم 864، ويبدأ بعد البسملة بقوله:

«أعلم أنه كان لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ثلاثة بنين: القاسم وعبد الله وإبراهيم» ، إلي قوله «وخرج البخاري في المناقب الحديث بمعناه، وذكر نحواً منه في باب هجرة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم» .

الجزء الخامس:

من الورقة رقم 865 إلي الورقة رقم 1059، ويبدأ بقوله: «فصل في ذكر غزوات رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم» إلي قوله: «فصل في ذكر من أقام عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حد الزنا» .

الجزء السادس:

من الورقة رقم 1060 إلي الورقة رقم 1260، ويبدأ بقوله:

«ثم جاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم - وهم - جلوس ثم جلس فقال: استغفر الله لما عزر بن مالك» ،

إلى قوله: «وأوتي من البيان مثله، أي أذن له صَلَّى الله عليه وسلّم أن يبين ما في الكتاب، يعم ويخص، يزيد عليه ويشرح ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن» .
الجزء السابع:

من الورقة 1261 إلى الورقة رقم 1460، ويبدأ بقوله: «وقوله:
يوشك رجل شعبان علي أريكته - الحديث - يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنّها مما ليس في القرآن له ذكر» ، إلى قوله: «فقلت: لا والذي بعثك

[(1)] سيزول هذا اللبس عند الكلام علي عدد أجزاء الكتاب.

بالحق، أضع سيفي علي عاتقي ثم أضرب به حتى ألقاك أو ألحق بك، قال:
أو لا أدلك علي خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني» .
الجزء الثامن:

من الورقة رقم 1461 إلى الورقة 1660 ويبدأ بقوله: «فخرج البخاري من حديث شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية» إلى قوله: «من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، فرجعت وقلت: لا أسأله فلانا أكثر قومي مالا، والله تعالى أعلم» .
الجزء التاسع:

من الورقة رقم 1661 إلى الورقة 1839 ويبدأ بقوله: «وأما إخباره صَلَّى الله عليه وسلّم وابصة الأسدي بما جاء يسأله عنه قبل أن يسأله» ، إلى قوله: «وتم هذا الكتاب البديع المثال، البعيد المثال، البعيد المثال، بتمام هذا الجزء السادس وهو المسمى بإمتاع الأسماع بما للرسول صَلَّى الله عليه وسلّم من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع» .

وتحتوي كل ورقة من ورقات هذه النسخة علي خمسة وثلاثين سطرا، بكل سطر منها حوالي تسعة عشر كلمة تقريبا، وهي مكتوبة بخط واضح نسبيا، كما أن أوائل الفصول أو رؤوس الموضوعات مكتوبة بخط الثلث بحجم أكبر بحيث يشغل السطر منها قدر ما يشغله الثلاثة أسطر من تفاصيل الموضوع أو الخبر.

ومن الملاحظات الهامة عن هذه النسخة: تسهيل الهمزات في الناحية الإملائية، مثل «الملايكة وحينئذ» بدلا من «الملائكة وحينئذ» هذا بالإضافة إلى كتابة أسماء الأعلام بخط أكبر من الخط

الآخر، كما أن الآيات القرآنية مكتوبة برواية ورش عن نافع ويتضح ذلك في الآيات التي يظهر لاختلافها عن رواية حفص أثر في الرسم، مثل: فتثبتوا بدلا من فتَبَيَّنُوا* [الحجرات: 6] وفي قوله تعالى فلا يخاف عقباها بدلا من وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا [الشمس: 15] .

ثانيا: النسخة (ج)

وهذه النسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة غوطا برقم 440، وهي مكتوبة بخط أصغر من الخط الذي كتبت به النسخة (خ) ، وتحتوى الورقة منها على تسعة عشر سطرا بكل سطر منها حوالي سبعة عشر كلمة تقريبا، ويبدو أن هذه النسخة مقولة عن النسخة (خ) ، غير أن الناسخ كتب أوائل الفصول ورءوس الموضوعات وأسماء الأعلام بخط كبير وبمداد أحمد، بدليل أنه لم يظهر في التصوير الفوتوغرافي، وقد قمنا باستكمالها من النسخة (خ) .
وتبدأ هذه النسخة (بفصل في موالي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وتنتهي بقوله:
(كان صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بثة بن سليم الذكواني أبو عمرو، على ساقفة العسكر يلتقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به) .
وعدد ورقات هذه النسخة 225 الورقة الأولى منها تقابل في النسخة (خ) الورقة رقم 718، والأخيرة منها تلقى مع نهاية الورقة رقم 943 من النسخة (خ) .

ثالثا: الجزء المطبوع:

هذا الجزء عبارة عن (551) صفحة من القطع الكبير، يقابل في النسخة الخطية (خ) : من الصفحة الأولى وحتى السطر الثاني والعشرين من صفحة (179) وقد رمزنا إليه بالحرف (ط) ، أي أنه أقل من تسع الكتاب الأصلي، وقد تم طبع هذا الجزء عام 1941 م، بدار التأليف- القاهرة، علي نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية، بتحقيق الأستاذ المرحوم محمود محمد شاكر.

ولم أهمل هذا الجهد الذي قام به فضيلته، فلم يفتني الاستئناس بالجزء المطبوع، علي الرغم مما به من ملاحظات نوهت عنها في مكانها.

هذا بالإضافة إلي أنه اكتفى بنهاية السيرة النبوية، واتخذ من وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاية للجزء الأول دون مراعاة التقسيم الأصلي للكتاب، سواء أجزاء

المؤلف، أو أجزاء تصوير المخطوطة، كما بيناه عند كلامنا عن [عدد أجزاء الكتاب] .

عدد أجزاء الكتاب:

يقول (حاجي خليفة) في (كشف الظنون) ج 1 ص 166 عن كتاب إمتاع الأسماع «وهو كتاب نفيس في ست مجلدات حدث به في مكة» ، وذلك ما نقله الناسخ علي صفحة العنوان من النسخة (خ) .

وقد لاحظنا من خلال الجزء المطبوع أن الصفحة من المخطوطة يتم طبعها في ثلاث صفحات من القطع الكبير، فلو قمنا بطبع الكتاب في ست مجلدات فإن المجلد الواحد قد يتجاوز الألف صفحة، وهذا أمر غير مقبول عمليا.

اسم الكتاب والمؤلف:

ظهر كتاب إمتاع الأسماع في كثير من كتب التصانيف والمؤلفات بأكثر من اسم، فضلا عن أن النسخة الخطية (ج) قد أثارت إشكالا علي صفحة العنوان منها حيث يقول ناسخها: «هذا كتاب إمتاع الأسماع للشيخ تقي الدين المقرئزي» ويقول في زاوية أخرى من الصفحة ذاتها: «نقل العلقمي أن كتاب الإمتاع لأبي حيان التوحيدى» ، ويخط آخر «ونقل الدميري أيضا أن الإمتاع لأبي حيان» ، وفي موضع آخر من ذات الصفحة: «لكن نقل الشمس الشامي في (سيرته) أن (الإمتاع) للمقرئزي» .

ودفعا لهذا الإشكال فإننا نذكر ما أورده صاحب كشف الظنون بصفحة 166، 167 عن

المؤلفات المشابهة أو المقاربة في الاسم لكتاب الإمتاع للمقرئزي، وهي:

1- (إمتاع الأسماع والأبصار) - لأبي العباس أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي المتوفى سنة 923 هـ.

2- (إمتاع الأسماع فيما للتبيّ صلى الله عليه وسلم من الحفدة والمتاع) - للشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي المؤرخ المتوفى سنة 845 هـ، «وهو كتاب نفيس في ستة مجلدات حدث به في مكة» .

3- (الإمتاع والمؤانسة) - للشيخ أبي حيان علي بن محمد التوحيدى المتوفى 380 هـ.

4- (الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع) - للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ.

5- الامتاع في أحكام السماع- لكمال الدين أبي الفضل جعفر بن تغلب الأدفوي الشافعي المتوفى سنة 749 هـ.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره البغدادي في الجزء الأول من (هدية العارفين) ضمن مؤلفات المقرئ ص 127 باسم: (إمتاع الأسماع فيما للتبي صلى الله عليه وسلم من الحفدة والأتباع) .
والعمدة في تسمية هذا الكتاب، ما ذكره المقرئ نفسه في الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة الخطية الكاملة للكتاب حيث يقول: «فقد سميت إمتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع» .

منهج المقرئ في جمع مادة كتاب إمتاع الأسماع
اعتمد المقرئ في جمع مادة كتاب إمتاع الأسماع على النقول من المصادر الصحيحة بدء من الكتب الستة الصحيحة، وكتاب المستدرك للحاكم النيسابوري، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، واعتمد في تسجيل الدلائل والمعجزات على كتاب دلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة لأبي نعيم، فضلا عن مؤلفاته التي أشار إليها في (إمتاع الأسماع) ، وقام بحسم وشرح المسائل الفقهية العارضة في ثنايا الكتاب على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وكان رحمه الله - حريصا على التدرج في تدوين صحة الخبر أو الأثر مبتدئا بالأخبار والآثار ذات الأسانيد العالية ثم ينتقل إلى ما دونها من درجات الصحة حيث يقول في بعض عناوين الفصول: [إن صح الخبر] أو [إن ثبت الرواية] هذا بالنسبة للمتن .
وأما بالنسبة لسلسلة الرواة فإنه يبدل بدلوه جرحا أو تعديلا لرواة الحديث أو الأثر بقوله: [قال مؤلفه] ، وذلك بموضوعية شديدة وانحياز إلى الحق وقد ساعده على ذلك ثقافته الشمولية، وفكره الموسوعي في علم الحديث ورجاله، كما بينا ذلك في [الوظائف التي تولها المقرئ] ، فضلا على مؤلفاته الجملة التي أشرنا إليها آنفا. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن السيرة النبوية خير الجزاء.

منهج التحقيق

- 1- قمت بمقابلة النسخ المخطوطة والجزء المطبوع، مع اختيار النسخة (خ) كأم، معالجا لما وجدته من تصحيف أو تحريف أو سقط، مع تصويب النص.
- 2- قمت بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعزو الأقوال الواردة إلى أصحابها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.
- 3- قمت بشرح الألفاظ اللغوية الغامضة مبينا معناها تسهيلا للقارئ الكريم على استيعاب المعنى، مع مراجعة المراجع التي أشار إليها المقرئ في فقرات كتابه.
- 4- وضعت بعض العناوين الجانبية للموضوعات التي لم يرد لها عنوان في الأصل مع مراجعة النصوص على مظاهرها من كتب المغازي والسير والتواريخ.

5- عقت على بعض المواضع بالقدر الذي تدعو إلى الضرورة بما تقتضيه الأمانة العلمية، وتجنب الإكثار من ذلك خشية التدخل في مسار الكتاب، والخروج به عن أهدافه من كثرة النقد والتزيد.

وبعد فإنني أقدم هذا الجهد المتواضع في خدمة السيرة النبوية للقارئ الكريم، فله غنمه، وعلي غرمه، فإن كان هناك توفيق فمن الله تبارك وتعالى وإن تكن الأخرى فمن نفسي.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

صدق الله العظيم حدائق الزيتون - القاهرة في ليلة القدر 1419 هـ محمد عبد الحميد النميسي

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، وصلى الله على نبينا محمد الذي من به على عباده المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وأرسله بالشرع العام، إلى جميع الأنام ليكون رحمة للعالمين، ونجاة لمن اتبعه من خزي الدنيا وليكون في الآخرة من الفائزين، فبلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأعد لجهاد أعداء الله تعالى الأسلحة والعتاد، وارتبط في سبيل الله عز وجل المسومة الجياد، لمحاربة من حاد الله ورسوله بنفسه تارة، وندب لهم آونة من صحابته من رضيه لذلك واختاره، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

اللهم صل عليه من نبي كان يأكل الطيبات من الطعام، وينكح المبررات من العيوب والآثام، ويستخدم الموالي من الأرقاء والأحرار، ويصرفهم في مهنته ومهامه الجليلات الأقدار، ويركب البغلة الراتعة ويلبس الخبرة والقباء [(1)] ، ويمشي منتعلا وحافيا من مسجده إلى نحو قباء [(2)] ، ويدخر لأهله مما أفاء الله عليه أقوات سنة كاملة، ويجعلها تحت أيديهم محرزة حاصلة، ويؤثر بقوته وثوبه أهل الحاجة والمساكين، ثقة منه بخير الرازقين، اللهم وابعثه مقاما محمودا يغبطه الأولون والآخرون، وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومتبعيه إلى يوم الدين يا رب العالمين.

وبعد، فغير جميل بمن تصدر للتدريس والإفتاء، وجلس للحكم بين الناس وفصل القضاء، أن يجهل من أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه وجميل سيرته ورفيع منصبه، وما كان له من الأمور الذاتية والعرضية ما لا غنى [(3)] لمن صدقه وآمن به عن معرفته، ولا بد لكل من اتسم بالعلم من درايته، فقد أدركنا وعاصرنا وصحبنا ورأينا كثيرا منهم [وهم] [(4)] عن هذا النبأ العظيم معرضون، ولهذا النوع الشريف من العلم تاركون، وبه جاهلون، فجمعت في هذا

المختصر من أحوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة أرجو أن تكون إن شاء الله كافية، ولن وفقه - سبحانه - من

[(1)] الحبرة: برد يمان، مخطط. والقباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه.
[(2)] قباء: هي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. (معجم البلدان، ج 4 ص 342)

[(3)] في (خ) غنا.. بالألف.

[(4)] زيادة يقتضيها السياق.

(3/1)

داء الجهل شافية، التقط كتابا جامعا وبابا من أمهات العلم مجموعا، كان له غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، وكان له نفعه، [يجده] [(1)] ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولأغراض المنافسين، ومع عرضه عقله الكدود [(2)] على العقول الفارغة، ومعانيه على الجهابذة [(3)] وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة، ومع ذلك فقد سميت «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله أسأل التوفيق لديمة [(4)] العمل بالسنة، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم في بحبوحة الجنة، بمنه وكرمه.

[(1)] هكذا بالأصل، والأولى حذفها ليستقيم السياق، أو لعلها (يجده) بالجيم المعجمة وقد أصابها تصحيف.

[(2)] الكدود: الرجل لا ينال خيره إلا بعسر. (المعجم الوسيط ج 2 ص 779) .

[(3)] الجهابذة: جمع جهبذ، وهو النقاد الحبير بغوامض الأمور (المرجع السابق ج 1 ص 141) .

[(4)] الديمة: المطر يطول زمانه في سكون (المرجع السابق ج 1 ص 305) ، في حديث عائشة، وسئلت عن عمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبادته فقالت: كان عمله ديمة (النهاية لابن الأثير ج 2 ص 147) ، (البخاري في الصوم، باب هل يخص شيئا من الأيام) .

(4/1)

أسمائه وكناه وألقابه

هو سيد ولد آدم أبو القاسم، وأبو إبراهيم، وأبو قثم [(1)] ، وأبو الأرامل:
[(4)] محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم [(2)] وأحمد، والمأحي [(3)] ، والحاشر [(4)]
، والعاقب [(5)] ، والمقفي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملاحم [(6)] .

نسب أبيه

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فهر. (وهو قريش على الصحيح) [(7)] ، ابن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان [(8)] ، النبي المصطفى،
والرسول المجتبي، خيرة رب العالمين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه
وسلم [(9)] .

[(1)] القثم: بمعنى الإعطاء، يقال للرجل الجموع للخير فتقوم وقثم (تلقيح فهوم أهل الأثر
لابن الجوزي ص 9) .

[(2)] بياض في (خ) .

[(3)] وأما المأحي فإن الله محابه سينات من اتبعه (ابن سعد ج 1 ص 105) .

[(4)] فأما حاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد (المرجع السابق) .

[(5)] وأما العاقب فإنه عقب الأنبياء. (المرجع السابق) .

[(6)] يعني نبي القتال، وهو كقوله الآخر:

«بعثت بالسيف» ،

والملاحمة: الحرب وموضع القتال، جمع ملاحم (النهاية لابن الأثير ج 4 ص 240) ، وسيأتي
فصل خاص بأسمائه صلى الله عليه وسلم.

[(7)] وإلى فهر جماع قريش، وما كان فوق فهر فليس يقال له قرشي، يقال له كنائي (ابن

سعد ج 1 ص 55) .

[(8)] وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم بغير شك، غير أن أهل النسب يختلفون في الأسماء
ما بين عدنان وإسماعيل، وربما جرى منهم في أكثر الأسماء تصحيف أو اختلاف (تلقيح فهوم أهل
الأثر لابن الجوزي ص 8) .

[(9)] ورد أن نسب النبي صلى الله عليه وسلم، أنه: «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن

هاشم بن عبد مناف، ومناف أعظم أصنامهم، وبه سمي عبد مناف، واسمه المعتق بن قصي، وهو

مجمع، واسمه زيد بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن

كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن اليسع بن
الهميسع بن سلامان بن حمل بن قيذار

(5/1)

نسب أمه

أم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة
بن كعب [(1)] ، حملت به في شعب أبي طالب [(2)] (وقيل عند الجمرة الكبرى، وقيل
الوسطى) في ليلة رجب ليلة الجمعة [(3)] ، وقيل حملت به في أيام التشريق.

مولده صلى الله عليه وسلم

ولد محمد صلى الله عليه وسلم بمكة في دار عرفت بدار ابن يوسف، من شعب بني هاشم، يوم
الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل لليلتين خلتا منه، وقيل ولد في ثالثة، وقيل في
عاشرة، وقيل في ثامنة، وقيل ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من رمضان حين طلع الفجر،
وقد شذ بذلك الزبير بن بكار، إلا أنه موافق لقوله: إن أمه صلى الله عليه وسلم حملت به أيام
التشريق، فيكون حملها مدة تسعة أشهر على

[()] ابن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر، وهو تاريخ بن ناحور بن أسرع بن أرغوي بن والغ بن
شاخ بن أركشد بن سام بن نوح بن ملك بن المتوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس النبي، ابن يرد بن
مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث، وهو هبة الله بن آدم المصطفى عليه السلام وعلى جميع
الأنبياء. فهذا نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اختلف في أسماء الرجال من فوق عدنان،
فزاد بعضهم، ونقص، وقدموا، وأخروا، والله أعلم بالصحيح» .

(التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب) ص 36.

[(1)] ابن لؤي بن غالب بن فهر، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا. وهي يومئذ أفضل
امرأة في قريش نسبا وموضعا (ابن هشام ج 1 ص 292) .

[(2)] ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها: إنك
قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا. ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت

به قصور بصرى من أرض الشام. (ابن هشام ج 1 ص 293) .
ومن طريق محمد بن عمر عن علي بن زيد عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته
قالت:

كنا نسمع أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما حملت به أمه آمنة بنت وهب كانت تقول: ما
شعرت بأبي حملت به ولا وجدت له ثقلا كما يجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي. وربما كانت
تقول: وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول: ما أدري!
فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيّها. (عيون الأثر ج 1 ص 25) .
[(3)] «وذلك يوم الاثنين» (ابن سعد ج 1 ص 98) ، (صفة الصفوة ج 1 ص 23) ،
(عيون الأثر ج 1 ص 25) .

(6/1)

العادة الغالبة. وذلك عام الفيل، وقيل بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوما، وقيل بشهر، وقيل
بأربعين يوما، وقيل قدوم الفيل للنصف من المحرم قبل مولد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
بشهرين إلا أياما، وقيل ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يوما، وقيل بعده بعشر سنين، وقيل بعده
بثلاثين عاما، وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل قبله بأربعين عاما، وقيل ولد يوم الفيل،
وقيل ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل، وقيل في صفر، وقيل يوم عاشوراء، وقيل في ربيع الآخر]
(1) .

والراجح أنه ولد عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنوشروان ابن قباذ بن نيروز بن
يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الحشن بن بهرام بن سابور ابن سابور ذي الأكتاف.
وكان على الحيرة يوم ولد صَلَّى الله عليه وسلّم عمرو بن المنذر بن امرئ القيس وهو عمرو ابن
هند، وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة،
وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر بن فيلبس المجدوني على دارا، وهي سنة ألف
وثلاثمائة وستة عشرة لابتداء ملك نصر، ووافق يوم مولده العشرين من نيسان، وولد بالغفر]
(2) [من المنازل وهو مولد الأنبياء، ويقال كان طالعة برج الأسد والقمر فيه.

صفة مولده صَلَّى الله عليه وسلّم

وتركوا عليه جفنة كبيرة فانفلقت عنه فلقنتين، فكان ذلك من مبادئ أمارات النبوة في نفسه
الكريمة، ويقال ولد محتونا، مسرورا] (3) [مقبوضة أصابع يده،

[(1)] اتفقوا على أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل. واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال: أحدها: أنه ولد لليلتين خلتا منه، والثاني: لثمان خلون منه، والثالث: لعشر خلون منه، والرابع: لاثنتي عشرة خلّت منه. (صفة الصفوة ج 1 ص 24) .

[(2)] الغفر: منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلّة، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر (المعجم الوسيط ج 2 ص 656) . قال تعالى: وَالْقَمَرَ قَدْرُنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. (آية 39/يس) .

[(3)] وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ولد محتونا مسرورا، وروي في ذلك حديث لا يصح، ذكره أبو الفرج بن الجوزي في «الموضوعات» وليس فيه حديث ثابت، وليس هذا من خواصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن كثيرا من الناس يولد محتونا. القول الثاني: أنه ختن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم شقّ قلبه الملائكة عند ظفيرة حليلة. القول الثالث: أن جدّه عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا. (زاد المعاد ج 1 ص 80) .

(7/1)

مشيرا بالسبابة كالمسيح بها، فأعجب ذلك جدّه عبد المطلب وقال: «ليكون لابني هذا شأن» . وقيل: إن جدّه ختنه يوم سابعه، وقيل: ختنه جبريل عليه السلام، وختم حين وضع الخاتم.

مدة حمّله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وكانت مدة الحمل به تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل:

سبعة، وقيل: ستة. وعقّ [(1)] عنه بكبش يوم سابعه، وسماه محمدا [(2)] .

[()] ومعنى محتونا: أي مقطوع الختان، ومسرورا أي مقطوع السرة من بطن أمه (البداية والنهاية ج 2 ص 324) .

[(1)] عقّ عن ولده: ذبح ذبيحة يوم سبوعه (المعجم الوسيط ج 2 ص 616) .

[(2)] فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه، وروي أنه

قال يومئذ:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المههد على الغلمان ... أعينه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان ... أعينه من شر ذي شننان
من حاسد مضطرب العيان

(ابن سعد ج 1 ص 103) ، (صفة الصفوة ج 1 ص 26) وفي رواية أخرى:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المههد على الغلمان ... أعينه بالله ذي الأركان
حين يكون بلغة الفتیان ... حتى أراه بالغ البنيان
أعينه من كل ذي شننان ... من حاسد مضطرب العنان
ذي همة ليس له عينان ... حتى أراه دافع السان
أنت الذي سميت في القرآن ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على البيان

(البداية والنهاية ج 2 ص 324) ، (الروض الأنف ج 1 ص 184) ، (ابن هشام ج 1 ص 296) .

وفي هامش البداية والنهاية «حتى أرى منه رفيع الشان» والأردان: جمع رذن: والرذن: مقدم كم
القميمص أو أسفله. وطيب الأردن: كناية عن العفة والتقاء. والشنان: البغضاء (هامش ص 26
من ج 1 صفة الصفوة) ، (لسان العرب ج 1 ص 102) مادة: شنأ.
قال تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (آية 2/ المائدة) ، وقال
تعالى:

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا (آية 8/ المائدة) .

(8/1)

موت أبيه

ومات عبد الله بن عبد المطلب - ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل في بطن أمه - بالمدينة،
وقيل: بالأبواء بين مكة والمدينة، والأول هو المشهور، وقيل: مات بعد ولادته بثمانية وعشرين
يوماً، وقيل: بسبعة أشهر، وقيل: بسنة، وقيل: بسنتين، وقيل: بشهرين، والأول أثبت.

رضاعه وإخوته في رضاعه

أرضعته أمه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم سبعة أيام [(1)] ، ثم أرضعته «ثوبية» [(2)] مولاة «أبي هب»

[(1)] في (خ) أيام أمه، والصواب ما أثبتناه.

[(2)] قال عروة: «وثوبية مولاة لأبي هب، وكان أبو هب أعتقها، فأرضعت النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، فلما مات أبو هب، أريه بعض أهله بشرّ حبيبة، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو هب: لم ألق بعدكم غير أبي سقيت هذه بعنققي ثوبية». ذكرها ابن مندة في الصحابة، وقال: اختلف في إسلامها، وقال أبو نعيم: لا نعلم أحدا ذكر إسلامها غيره، والذي في السير أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان يكرمها، وكانت تدخل عليه بعد ما تزوج خديجة، رضي اللهُ عنها، وكان يرسل إليها الصلة من المدينة، إلى أن كان بعد فتح خيبر، ماتت، ومات ابنها مسروح. قوله: «وكان أبو هب أعتقها فأرضعت النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم» ظاهره أن عتقه لها كان قبل إرضاعها، والذي في السير يخالفه، وهو أن أبا هب أعتقها قبل الهجرة، وذلك بعد الإرضاع بدهر طويل. وحكى السهيلي أيضا أن عتقها كان قبل الإرضاع. قوله: «أريه» بضم الهمزة وكسر الراء وفتح التحتانية، على البناء للمجهول. قوله: «بعض أهله» بالرفع على أنه النائب عن الفاعل. وذكر السهيلي أن العباس قال: لما مات أبو هب، رأيت في منامي بعد حول في شرّ حال فقال: ما لقيت بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين، قال: وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم ولد يوم الاثنين، وكانت بشرت أبا هب بمولده فأعتقها. قوله: «بشرّ حبيبة» بكسر المهملة، وسكون التحتانية، بعدها موخدة، أي سوء حال. وقال ابن فارس: أصلها الحوبة وهي المسكنة والحاجة، فالإياء في حبيبة، منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها. ووقع في «شرح السنة للبغوي» بفتح الحاء، ووقع عند «المستملّي» بفتح الحاء المعجمة، أي في حالة خائبة من كل خير، وقال «ابن الجوزي»: هو تصحيف. وقال «القرطبي»: يروى بالمعجمة، ووجدته في نسخة معتمدة بكسر المهملة، وهو المعروف. وحكي في المشارق عن رواية «المستملّي» بالجيم، ولا أظنه إلا تصحيفا، وهو تصحيف كما قال. قوله: «ماذا لقيت؟» أي بعد الموت، قوله: «لم ألق بعدكم غير أبي»، كذا في الأصول بحذف المفعول، وفي رواية الإسماعيلي: «لم ألق بعدكم رحاء»، وعند عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: «لم ألق بعدكم راحة»، قال ابن بطال: سقط المفعول من رواية البخاري، ولا يستقيم الكلام إلا به. قوله: «غير أبي سقيت في هذه» كذا في الأصول بالحذف أيضا، ووقع في رواية عبد الرزاق المذكورة، وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه، وفي رواية الإسماعيلي المذكورة، وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع. وللبهقي في الدلائل من طريق كذا مثله بلفظ «يعني النقرة»، وهي ذلك إشارة

بلبن ابنها «مسروح» أيما قلائل [(1)] وكانت أرضعت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه «حمزة بن عبد المطلب» [(2)] ، وأرضعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبا سلمة بن عبد

[()] إلى حقارة ما سقي من ماء. قوله: «بعناقي» بفتح العين، وفي رواية عبد الرزاق «بعتي» وهو أوجه، والوجه الأول أن يقول: «باعتاقي» لأن المراد التخليص من الرق. وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، ولكنه مخالف لظاهر القرآن، قال تعالى: وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا (آية 23/ الفرقان) ، وأجيب:

أولا: بأن الخبر مرسل، أرسله عروة، ولم يذكر من حدّثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولا، فالذي في الخبر رؤيا منام، فلا حجة فيه، ولعلّ الذي رآها لم يك إذ ذاك أسلم، فلا يحتج به. وثانيا:

على تقدير القبول، فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصا من ذلك، بدليل قصة أبي طالب كما تقدم، أنه خفف عنه، فنقل من الغمرات إلى الصّحاح. وقال البيهقي: ما ورد من بطلان الخبر للكفار، فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار، ولا دخول الجنة، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم، سوى الكفر بما عملوه من الخيرات.

وأما القاضي عياض فقال: انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، وإن كان بعضهم أشدّ عذابا من بعض. قلت: وهذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي، فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر، فما المانع تخفيفه؟.

وقال القرطبي: هذا التخفيف خاص بهذا، ومن ورد النص فيه. وقال ابن المنير في الحاشية: هنا قضيتان: إحداهما محال، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مفقود من الكافر.

والثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال، تفضلا من الله تعالى، وهذا لا يحيله العقل، فإذا تقرّر ذلك لم يكن عتق أبي هب لثوبية قرينة معتبرة، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء، كما تفضل على أبي طالب، والمتبع في ذلك التوقيف نفيًا وإثباتًا. قلت: وتتمّة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراما

لمن وقع من الكافر من البرّ له ونحو ذلك. والله أعلم. (فتح الباري ج 9 ص 173، 174-
كتاب النكاح- باب: وأمها تكم اللاتي أرضعنكم، ويجرم من الرضاع ما يجرم من النسب).

[(1)] في (خ) «دلائل» وكتب تحتها بخط آخر «قلائل» .

[(2)] هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام البطل
الضرغام، أسد الله أبو عمارة، وأبو يعلي القرشي الهاشمي، المكي، ثم المدني، البدري، الشهيد، عم
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأخوه من الرضاعة.

قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد عزّ وامتنع،
وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

(ابن هشام) 2/ 129، (ابن الأثير) في أسد الغابة 2/ 52، (الهيثمي) 9/ 267 ونسبه للطبراني
وقال: مرسل ورواته ثقات، وأخرجه (الحاكم) 3/ 193.

قال أبو إسحاق: عن حارثة بن مضرب، عن علي قال: قال لي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم:
ناد حمزة،

(10/1)

الأسد» [(1)] ، ثم بعد رضاعه من «ثوية» أرضعته «أم كبشة» [(2)] ، حليلة بنت أبي
ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قضية ابن نصر بن سعد بن
بكر بن هوازن السعدية» بدين زوجها الحارث [(3)] بن عبد العزى السعدي، وأرضعت معه
صَلَّى الله عليه وسلّم ابن عمه «أبا سفيان [(4)] بن الحارث بن عبد

[()] فقلت: من هو صاحب الجمل الأحمر؟ فقال حمزة: هو عتبة بن ربيعة، فبارز يومئذ حمزة
عتبة فقتله.

(ابن سعد) 3/ 8 الطبقة الأولى على السابقة في الإسلام ممن شهد بدرًا، وأخرجه (الحاكم) مطوّلاً
3/ 194 وصححه، وهو كما قال. ولكن الذهبي قال: لم يخرج حارثة، وقد وهّاه ابن المديني،
وقد أخطأ رحمه الله في نقله توهية حارثة بن مضرب عن ابن المديني، فإنه لم يثبت عنه، وحارثة
وثقه أحمد، وابن معين، وابن حبان، وروى حديثه أصحاب السنن، والبخاري في الأدب المفرد.
[(1)] هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
بن كعب، السيد الكبير، أخو رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من الرضاعة، وابن عمته برّة بنت
عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، ومات

بعدها بأشهر، وله أولاد صحابة، كعمر وزينب، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة، تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة وكانت تقول: من خير من أبي سلمة، وما ظننت أن الله يخلفها في مصابها به بنظيره، فلما فتح عليها بسيد البشر، اغتبطت أيما اغتباط. مات كهلا في سنة ثلاث من الهجرة، رضي الله عنه.

(مسند أحمد) 27 / 4، (ابن سعد) 3 / 239، (الجرح والتعديل) 5 / 107، (حلية الأولياء) 2 / 3، (تهذيب الأسماء واللغات) 2 / 240 رقم 360، (تهذيب التهذيب) 5 / 251 رقم 487، (الإصابة) 4 / 152 رقم 4786.

[(2)] هي حليلة بنت عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصىة بن سعد بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، (تهذيب الأسماء واللغات) 2 / 239 رقم 729.

[(3)] هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قصىة بن سعد بن بكر، يكنى أبا ذؤيب. (المرجع السابق) .

[(4)] هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أخو نوفل وربيعه، تلقى النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلما، فانزعج النبي صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه، لأنه بدت منه أمور في أذية النبي صلى الله عليه وسلم، فتذلل للنبي صلى الله عليه وسلم حتى رق له، ثم حسن إسلامه، ولزم هو والعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين إذ فرّ الناس، وأخذ بلجام البغلة، وثبت معه.

وكان أخوا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أرضعتهم حليلة، سمّاه هشام بن الكلبي، والزبير: «مغيرة»، وقالت طائفة: اسمه كنيته، وإنما المغيرة أخوهم.

وقيل: كان الذين يشبهون بالنبي صلى الله عليه وسلم، جعفر، والحسن بن علي، وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث [و]

قد روى عنه ولده عبد الملك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا بني هاشم إياكم والصدقة، لا تعملوا عليها فإنها لا تصلح لكم، وإنما هي أوساخ الناس» (أبو نعيم عن عبد الله بن المغيرة الهاشمي، عن أبيه، وأكثر من عرف من الصحابة). (كنز العمال) 16534 [، وعبد الله بن المغيرة من أهل مصر، يروي عن الثوري، روى عنه المقدم بن داود الرعيّني، يغرب وينفرد. قال ابن حبان في:

المطلب» أياما بلبن ابنها عبد الله، ثم فطمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد سنتين. وكان حمزة بن عبد المطلب مسترضعا في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما وهو عند أمه حليلة، وكان حمزة رضيح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجهين، من جهة ثوية ومن جهة السعدية، وكانت ابنتها الشيماء تحضنه معها. وكان أخوه من الرضاعة عبد الله بن الحارث، وهو الذي شرب مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنيسة بنت الحارث، والشيماء وهي حذافة [(1)] بنت الحارث [(2)] .

مدة رضاعه

فأقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند حليلة في بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان نحو من أربع سنين [(3)] .

شق صدره

وشق فؤاده المقدس هناك ومليء حكمة وإيمانا بعد أن أخرج حظّ الشيطان منه،

[()] (الثقات ج 8 ص 344) ، وقال العقيلي: يحدث بما لا أصل له، وقال ابن يونس: منكر الحديث (لسان الميزان ج 3 ص 448) .

وكان أبو سفيان من الشعراء، وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة، فقد برح الخفاء

هجوت محمّدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

والبيتان من قصيدة طويلة لحسان بن ثابت، قالها يوم فتح مكة، مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

وتبلغ هذه القصيدة ثلاثين بيتا، والجواء وذات الأصابع موضعان بالشام، وعذراء على بريد من

دمشق، قتل بها حجر بن عدي وأصحابه، والمغلغلة: الرسالة المكتوبة.

(ديوان حسان بن ثابت) ص 71، (ابن هشام) ج 5 ص 85، (ابن سعد) ج 4 ص 49،

(الاستيعاب) ج 4 ص 1673 رقم 3002، (الإصابة) ج 7 ص 179 رقم 10022.

[(1)] في ابن هشام «خدامة بكسر الخاء المنقوطة» ج 1 ص 298.

[(2)] [زاد المعاد] 1 / 83.

[(3)] ذكر ابن الجوزي أن حليلة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين (صفة الصفوة ج 1 ص

63) وقال ابن قتيبة: (لبث فيهم خمس سنين) (المعارف ص 132) (انظر تلقيح فهوم أهل الأثر

لابن الجوزي ص 13) .

وروى البخاري [(1)] في الصحيح: شق صدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، وقد استشكله أبو محمد بن حزم [(2)] . ويقال: إن جبريل عليه السلام ختنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما طهر قلبه الشريف. ثم رده حليمة بعد شق فؤاده إلى أمة آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر، وقيل: ابن أربع سنين، وقيل: سنتين وشهر.

خروج آمنة وموتها

ثم خرجت به آمنة إلى المدينة تزور أحواله بما فماتت بالأبواء [(3)] وهي راجعة إلى مكة، وله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وقيل: وعمره أربع سنين، وقيل: ثمانية أعوام، والأول أثبت [(4)] .

كفالة جده

فكفله بعد آمنة جده عبد المطلب بن هاشم وكان يرى من نشوئه ما يسره فيدنيه، حتى كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل عليه إذا خلا وإذا نام وجلس على فراشه، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب: دعوا ابني، فإنه يؤنس ملكا [(5)] .

-
- [(1)] حديث شق الصدر: (البخاري) ج 2 ص 327 في باب الإسرائ- (مسلم) ج 2 ص 216 في باب الإسرائ- (سنن الدارمي) ج 1 ص 8- (مسند أحمد) ج 3 ص 121، ص 149، ص 288- (المستدرك للحاكم) ج 2 ص 616 وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك.
- [(2)] هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي، مولى زيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشي، الأندلسي، الإمام العلامة، المحقق، المدقق، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن حزم، ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانية وثلاثمائة (383 هـ) بقرطبة بالأندلس، وتوفي بقرنته، وهي من غرب الأندلس، على خليج البحر الأعظم، في شهر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وأربعمائة (457 هـ) (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم/ المقدمة.
- [(3)] [الأبواء: بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة، قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. (معجم البلدان ج 1 ص 101، 102) .
- الأبواء: في الشمال عن الجحفة على ثمان فراسخ (تقويم البلدان ص 81) .

[(4)] ماتت أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وله ست سنين وقيل: أربع (تهذيب الأسماء واللغات ج 1 ص 24) وذكر ابن هشام: أنها توفيت وله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين (ابن هشام ج 1 ص 305) وقيل: توفيت أمه وهو ابن أربع سنين (تلقيح فهوم أهل الأثر ص 13)

[(5)] نص ابن سعد: «دعوا ابني إنه ليؤنس ملكا» (ابن سعد ج 1 ص 118) وفي ابن هشام: «دعوا ابني، فو الله إن له لشأنا» (ابن هشام ج 1 ص 306) و (ابن كثير ج 2 ص 282) (البداية

(13/1)

رمده

ورمد عليه السلام في سنة سبع من مولده فخرج به عبد المطلب إلى راهب فعالجه وأعطاه ما يعالج به وبشّر بنبوته [(1)] .

حضانة أم أيمن وموت جده وكفالة عمه

وحضنته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه، حتى مات عبد المطلب وله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العمر ثماني سنين، وقد أوصى به إلى ابنه أبي طالب [(2)] لأنه كان أخوا عبد الله لأمه، فكفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب وحاطه أم حياطة.

حليته وخلقه في صغره

وكان بنو أبي طالب يصبحون غمضا رمضا [(3)] ويصبح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صقيلا دهينا [(4)] ، وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون وينهبون، ويكف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده لا ينهب معهم، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة. وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصبح في أكثر أيامه فيأتي زمزم فيشرب منه شربة، فرمما عرض عليه الغداء فيقول: لا أريده، أنا شبعان.

مخرجه الأول إلى الشام

وخرج به إلى الشام في تجارة وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن اثني عشرة سنة وشهرين وعشرة

[()] والنهائية) «دعوا ابني إنه يؤسس ملكا» .

[(1)] ذكر صاحب (تاريخ الخميس) ج 1 ص 239 في وقائع السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وسلم: «ومن وقائع هذه السنة ما روي أنه أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن عنه، فقبل لعبد المطلب:

إن في ناحية عكاظ راهبا يعالج الأعين فركب إليه فناداه وديره مغلق فكان لا يجيبه، فتزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا، وقال: يا عبد المطلب، إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ولو لم أخرج إليك لخزّ ديرى، وارجع به واحفظوه لا يغتاله بعض أهل الكتاب ثم عالج» .
[(2)] في (خ) «المطلب» والصحيح ما أثبتناه. فأبو طالب أخو عبد الله لأبيه وأمه، راجع: (المعارف لابن قتيبة) ص 118.

- [(3)] الغمص: ما سال من العين من رمص (المعجم الوسيط ج 2 ص 662) .
الرمص: وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العين (المرجع السابق ج 1 ص 327) .
[(4)] في ابن سعد «رمصا شعنا» ، «دهينا كحيفا» (ج 1 ص 120) .

(14/1)

أيام، وقيل ابن تسع سنين فبلغ به بصرى [(1)] ، وذلك فيما يقال لعشر خلون من ربيع الأول سنة ثلاث عشر للقبيل. فرأى أبو طالب ومن معه من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم ما زاده في الوصاة به والحرص عليه: من تظليل الغمام له، وميل الشجرة بظلها عليه.

خبر بحيرا الراهب

ويشر به بحيرا الراهب (واسمه سرجس من عبد القيس) ، وأمر أبا طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيرمونه بسوء، فكانت هذه أول بشرى بنبوته، وهو لصغره غير واع إليها ولا متأهب لها، وقيل: خرج مع عمه وله تسع سنين، والأول أثبت [(2)] .

أول أمره مع خديجة في التجارة

وكان حكيم بن حزام [(3)] قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق حباشة، واشترى منه بزّا من بز [(4)] [(4)] [(4)] [(5)] وقدم مكة. فذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله

- [(1)] بصرى: بالشام من أعمال دمشق. (معجم البلدان ج 1 ص 522) .
 وذكر ابن الجوزي أنه صَلَّى الله عليه وسلّم نزل تيماء، وهي واحة في شمالي جزيرة العرب (صفة
 الصفوة ج 1 ص 33) .
- [(2)] [أورد هذا الخبر بتمامه: ابن الجوزي في (صفوة الصفوة ج 1 ص 33-35) - ابن
 هشام (السيرة النبوية ج 1 ص 319-322) - الطبري (التاريخ ج 2 ص 277-279) -
 ابن كثير (البداية والنهاية ج 2 ص 345-349) - ابن سيد الناس (عيون الأثر ج 1 ص
 40-43) .
- [(3)] [حكيم بن حزام بن خويلد، وهو ابن أخي خديجة، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه،
 وغزا حنيناً والطائف، وكان من أشرف قريش، وعقلائها، ونبلائها، وكان الزبير ابن عمه، قال
 البخاري في «التاريخ»: عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام. قال الذهبي: لم يعيش في
 الإسلام إلا بضعا وأربعين سنة، باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف، فقال له ابن الزبير: بعث
 مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم يا ابن أخي إلا التقوى، إني اشتريت بها داراً في الجنة،
 أشهدكم أنني قد جعلتها لله. مات سنة أربع وخمسين، بلغ عدد مسنده (40) حديثاً، له في
 الصحيحين أربعة أحاديث متفق عليها. (مسند أحمد ج 4 ص 401-403)، (المعارف:
 311)، (الجرح والتعديل:
- [(4)] [البز: نوع من الثياب والسلاح. (المعجم الوسيط ج 1 ص 54) .
- [(5)] [تامة بالكسر، قال أبو المنذر: تامة تسائر البحر، منها مكة، قال: والحجاز ما حجز
 بين تامة

(15/1)

صَلَّى الله عليه وسلّم تدعوه أن يخرج في تجارة إلى سوق حباشة [(1)] . وبعثت معه غلامها
 ميسرة، فخرجا فابتاعا بزا من بز الجند [(2)] وغيره مما فيها من التجارة، ورجعا إلى مكة فربحا
 ربحا حسناً، ويقال إن أبا طالب كلم خديجة حتى وكلت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بتجارتهما.

مشاركته السائب في التجارة

وكان يشارك السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد [(3)] بن عبد الله بن عمر بن مخزوم،

فلما كان يوم الفتح جاءه فقال عليه السلام: (مرحبا بأخي وشريكي، كان لا يداري ولا يماري) ومعنى يداري: يشاحن ويخاصم صاحبه.

رعيه الغنم

وكان بعد ذلك يرعى غنما لأهل مكة على قراريط، قيل: كل شاة بقيراط، وقيل: قراريط موضع، ولم يرد بذلك القراريط من الفضة [(4)] .

مشهده حرب الفجار [(5)]

وشهد حرب الفجار الأيام سائرهما إلا يوم نخلة، وكان يناول عمه - الزبير

[()] والعروض.

قال الأصمعي: وإنما سمي الحجاز حجازا لأنه حجز بين تامة ونجد. (معجم البلدان ج 2 ص 74) .

[(1)] حباشة: بالضم والشين المعجمة، سوق من أسواق العرب في الجاهلية، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: لما استوى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغ أشده وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق حباشة.

[(2)] الجند: بالتحريك، قال أبو سنان اليماني: «... وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة:

فوال على الجند ومخاليقها، وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليقها، وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليقها، وهو أدناها». (معجم البلدان ج 2 ص 196) .

[(3)] هكذا في (خ) ، وفي ابن هشام:

قال ابن إسحاق: «السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم» (ابن هشام ج 3 ص 268) .

[(4)]

روى البخاري في كتاب (الإجارة): باب رعي الغنم على قراريط: «عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة» .

(صحيح البخاري ج 1 ص 32) وذكره ابن ماجه بلفظ آخر، (صحيح سنن ابن ماجه للألباني ج 2 ص 727 باب الصناعات حديث رقم 2149) .

[(5)] الفجار بكسر الفاء، «وإنما سمي يوم الفجار بما استحل فيه هذان الحيان- كنانة وعسقلان- من

(16/1)

بن عبد المطلب- النبيل، وكان عمره صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرين سنة [(1)] ، وقيل: أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة [(2)] .

مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة

ثم أجز نفسه من خديجة- بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب [ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر] [(3)] - سفرتين بقلوصين [(4)] . وخرج ثانيا إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة- لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل- وقد بلغ خمساً وعشرين سنة- حتى أتى بصرى فرآه نسطور الراهب وبشر بنبوته ميسرة. ورأى ميسرة من شأنه صلى الله عليه وسلم ما بهر فأخبر سيدته خديجة بما شاهد وبكلام الراهب [(5)] ، فرغبت خديجة رضي الله عنها إليه أن يتزوجها لما رجعت في ذلك من الخير.

زواجه بخديجة

فتزوج بخديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عقب صفر [و] سنه ست وعشرين، (وقيل: كانت [(6)] سنه إحدى وعشرين سنة وقيل: ثلاثين، وقال ابن جريج: وله سبع وثلاثون سنة، وقال البرقي: سبع وعشرون سنة قد راهق الثلاثين، ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون، والأول أثبت [(7)]) على اثني عشرة أوقية ونش [(8)] ، وقيل:

[()] المحارم بينهم». (البداية والنهاية ج 2 ص 353) ويقول السهيلي: «والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام، ففجروا فيه جميعا، فسمي: الفجار (الروض الأنف ج 1 ص 209) ، (أيام العرب في الجاهلية: ص 322-337)

[(1)] ابن كثير في (البداية والنهاية ج 2 ص 353) .

[(2)] ابن هشام في (السيرة ج 1 ص 324) .

- [(3)] تكملة النسب من ابن هشام.
- [(4)] القلوص «من الإبل» الفتية المجتمعة الخلق، وذلك حين تركب إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة» (المعجم الوسيط ج 2 ص 755) .
- [(5)] الخبر بتمامه في (ابن سعد) ج 1 ص 156.
- [(6)] في (خ) «كان» ، والصحيح ما أثبتناه لأن السن مؤنثة.
- [(7)] في ابن هشام «خمسا وعشرين سنة» (ج 2 ص 5) ونحوه في (عيون الأثر ج 1 ص 47) .
- [(8)] الأوقية جزء من اثني عشر جزءا من الرطل المصري (المعجم الوسيط ج 1 ص 33) الأوقية أربعون

(17/1)

عشرون بكرة [(1)] . وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت منية أخت يعلي بن منية، وقيل: بل سفر بينهما ميسرة، وقيل: بل مولاة مولدة. وكان الذي زوج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى وقال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة ابنة خويلد! هذا الفحل لا يقدر أنفه [(2)] .

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، فيما يحسب حماد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر خديجة وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه، فصنعت طعاما وشرابا ودعت أباه ونفرا من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة: إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها، فخلقت [(3)] وألبسته، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء، فلما سري عنه سكره نظر فإذا هو مخلق وعليه حلة فقال: ما شأنني؟ ما هذا؟! قالت: زوجتني محمد بن عبد الله، فقال: أنا أزوج يتيم أبي طالب! لا لعمرى، فقالت خديجة: ألا تستحي! تريد أن تسفه نفسك عند قريش، تخبر الناس أنك كنت سكران. فلم تزل به حتى رضي. وقد ردّ هذا القول بأن أباه توفي قبل الفجار [(4)] .

شهوده حلف الفضول [(5)]

وشهد صلى الله عليه وسلم حلف الفضول مع عمومته في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو

[()] درهما، والنش نصف أوقية، أو عشرون درهما (لسان العرب ج 6 ص 353) .

- [(1)] البكر: الفتى من الإبل، والأنثى بكرة، وفي المثل: «جاءوا على بكرة أبيهم» أي جميعا (المعجم الوسيط ج 1 ص 67) ، (جمهرة الأمثال ج 1 ص 316) .
- [(2)] في الروض الأنف «هو الفحل الذي لا يقدر أنفه» ج 1 ص 212. وهذا المثل يضرب للشريف لا يرّد عن مصاهرة ومواصلة. والقدرح: الكف (مجمع الأمثال للميداني ج 2 ص 395) المثل رقم 4552.
- [(3)] خلقه: ملّسه وسوّاه. وأتم خلقه وطيبه بالخلق. (المعجم الوسيط ج 1 ص 252) .
- [(4)] «المحفوظ عند أهل العلم أن أباه خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأن عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، (ابن سعد ج 1 ص 133) وذكر نحوه ابن كثير في (البداية والنهاية ج 2 ص 361) والسهيلي في (الروض الأنف ج 1 ص 213) ، والطبري في (التاريخ ج 2 ص 282) .
- [(5)] كان حلف الفضول بعد الفجار، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة، وذكر ابن قتيبة: «والفضول جمع فضل وهي أسماء الذين تحالفوا وهم الفضيل بن شراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاة، وكانوا قد تعاهدوا بالله ليكونن

(18/1)

ابن كعب [(1)] بن تميم بن مرة.

تحكيمة في أمر الحجر الأسود

وكان الله تعالى قد صانه وحماه من صغره، وطهره وبرّاه من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كل خلق جميل، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته، بحيث أنه لما بنيت الكعبة بعد هدم قريش لها في سنة خمس وثلاثين، وقيل: سنة خمس وعشرين من عمره صلّى الله عليه وسلّم وذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة- ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود، اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه، [فأرادت [(2)] كل قبيلة رفعه إلى موضعه، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت، ومكثوا على ذلك أربع ليال.

فأشار عليهم أبو أمية [(3)] حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم- وهو أسنّ قريش يومئذ- أن يجعلوا بينهم حكما أول من يدخل من باب المسجد،

فكان أول من دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رآوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال: [هلموا] (4) لي ثوبا، فأتي بثوب - يقال إنه كساء أبيض من متاع الشام كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم أرفعوه جميعا، ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده ثم بني عليه. ويقال: كان الثوب الذي وضع فيه الحجر للوليد بن المغيرة.

أول ما بدئ به من النبوة

ولما أراد الله رحمة العباد، وكرامته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإرساله إلى العالمين، كان أولا يرى

[()] يدا واحدة مع المظلوم على الظالم» (ابن هشام ج 1 ص 264، 265 بتصريف).
[(1)] ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي (تمام النسب من ابن هشام ج 1 ص 264)

[(2)] في (خ) فأراد.

[(3)] في ابن هشام «أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله ...» ج 2 ص 19.

[(4)] كذا في (خ) وصحتها (هلم)، وهي كلمة دعاء، أي تعال، وهي من أسماء الأفعال، تلزم لفظا واحدا في كل حالاتها عند الحجازيين: [للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى] (المعجم الوسيط ج 2 ص 992، 993) والنص في (ابن هشام ج 2 ص 19): «هلم إلي» والآية 150 الأنعام:

قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ، 18 الأحزاب: وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا، وانظر أيضا (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي) ج 5 ص 341.

(19/1)

ويعاين من آثار فضل الله أشياء: فشق في صغره بطنه واستخرج ما في قلبه من الغل والدنس، فكان يعاين الأمر معاينة ثم كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله. فكان يلتفت يمينا ويسارا فلا يرى أحدا [(1)]. وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك. ثم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [(2)]. فكان أول شيء رآه من النبوة في المنام بطنه طهر وغسل ثم أعيد

كما كان.

تحتنه بحراء وبدء الوحي

وحبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما كان يفعل ذلك متعبداً [(3)] ذلك الزمان، فيقيم فيه الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها يتحنث [(4)] بحراء ومعه خديجة، فيقال: إنه أول ما رأى جبريل عليه السلام بأجباد [(5)] فصرخ به: يا محمد يا محمد.

بعثته

ثم فجأة [(6)] الحق وهو بغار حراء [(7)] يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من رمضان

[(1)] أخرج الترمذي نحوه في صحيح سنن الترمذي للألباني ج 3 ص 192 حديث رقم 3885 وقال في آخره: «صحيح» .

[(2)] المرجع السابق حديث رقم 3893، وقال في آخره: «حسن صحيح» .

[(3)] في (خ) «متعبداً» بألف بعد الواو، والمعروف عند أهل اللغة أن جمع المذكر السالم تحذف منه ألف واو الجماعة إذا أضيف.

[(4)] تحنث: تعبد، وفعل ما يخرج به الحنث، والحنث: الذنب (المعجم الوسيط ج 1 ص 201) (وهذه اللفظة في (خ) : يتجنب) .

[(5)] قال أبو القاسم الخوارزمي: أجباد موضع بمكة يلي الصفا، وهو أحد جبال مكة غربي المسجد الحرام.

وقال الأصمعي: هو الموضع الذي كانت به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل عليه السلام (معجم البلدان ج 1 ص 130) .

[(6)] قوله: «فجأه الحق وهو بغار حراء» أي جاءه بغتة على غير موعد كما قال تعالى: وَمَا كُنْتُمْ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ آية 86 / القصص، (البداية والنهاية ج 3 ص 6) ، وفي (ط) «فجئته» والتصويب من (المعجم الوسيط) : «فجأه الأمر فجأً، وفجأة، وفجاءة: بغته: (ج 2 ص 674) .

[(7)] وحراء: يقصر ويمد، ويمنع ويصرف، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى، له قلة مشرقة على الكعبة منحنية، والغار في تلك الحنية. (معجم البلدان ج 2 ص 269) .

وقيل: لأربع وعشرين ليلة مضت منه، وله من العمر أربعون سنة. وهذا مروى عن عبد الله بن عباس [(1)] ، ...

[(1)] هو عبد الله بن عباس، حبر الأمة وفقه العصر، وإمام التفسير، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: العباس ابن عبد المطلب شيبه بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه.

مولده بشعب بني هاشم، قبل عام الهجرة بثلاث سنين. صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلق. وقرأ على أبي، وزيد. قرأ عليه مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة. روى عنه ابنه علي، وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه، عكرمة، ومقسم، وكريب، وأنس بن مالك، وطاووس، وخلق سواهم. وكان وسيما جميلا، مديد القامة، مهيبا، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال. انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال:

كنت أنا وأمّي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمّي من النساء. عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأسي، ودعا لي بالحكمة. قال الزبير بن بكار:

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابن عباس ثلاث عشرة سنة. قال أبو سعيد بن يونس: غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح، وروى من أهل مصر خمسة عشر نفسا. قال ابن عباس: «ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: اللهم علّمه الحكمة»، والحكمة: الإصابة في غير النبوة، وفي لفظ: «علّمه الكتاب»، وهو يؤيد من فسّر الحكمة هنا بالقرآن.

واختلف في المراد بالحكمة هنا، فقليل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل غير ذلك. وكان ابن عباس من أعلم الناس بتفسير القرآن.

وروى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه، عن ابن عمر قال: «هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد»

وقال مجاهد: ما رأيت أحدا قطّ مثل ابن عباس، لقد مات يوم مات وإنه لخبر هذه الأمة.

ومسندة ألف وستمئة وستون حديثاً، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون. وتفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث. توفي ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين، وعاش إحدى وسبعين سنة.

* سير أعلام النبلاء: 3/ 331-359، التاريخ الكبير: 5/ 3، التاريخ الصغير: 1/ 26، الجرح والتعديل: 5/ 116، المستدرک: 3/ 533، حلية الأولياء: 1/ 314، جمهرة أنساب العرب: 19، 20، تاريخ بغداد: 1/ 173، جامع الأصول: 9/ 63، تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 274، وفيات الأعيان: 3/ 62-64، خلاصة تذهيب الكمال: 2/ 69، تاريخ الصحابة: 148، 149، أسماء الصحابة الرواة: 40، فتح الباري: ج 7 ص 125، 126 باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم 3756.

(21/1)

وجبير بن مطعم [(1)] ، وقبث بن أشيم [(2)] ، ...

[(1)] هو جبر بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي. شيخ قريش في زمانه، أبو محمد، ويقال: أبو عدي القرشي النوفلي، ابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. من الطلقاء الذين حسن إسلامهم. وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان موصوفاً بالحلْم ونبل الرأي كأبيه. وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنو على أهل الشعب، ويصلهم في السر، ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء لنتنيتهم لهم» .

وهو الذي أجاز النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة، ثم كان جبير شريفاً مطاعاً، وله رواية أحاديث. ووفد على معاوية في أيامه. توفي جبير بن مطعم سنة ثمان وخمسين على خلاف في ذلك.

* سير أعلام النبلاء: 3/ 95-99، التاريخ الكبير: 2/ 223، المعارف: 485، الجرح والتعديل: 2/ 512، جمهرة أنساب العرب: 116، تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 146، مرآة الجنان:

1/ 127، خلاصة تذهيب الكمال: 1/ 161، شذرات الذهب: 1/ 64، صحيح البخاري،

كتاب الخمس، باب ما من النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم على الأسارى من غير أن يخمس، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه، أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم ابن عديّ حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له» حديث رقم 3139 (فتح الباري ج 6 ص 298، 299). وهو في (مسند الحميدي) رقم 558، وفي (صحيح سنن أبي داود) للألباني رقم 2338 ج 2 ص 12.

[(2)] هو قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح بن يعمر وهو الشدّاخ بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، شهد بدرا مع المشركين، وكان له فيها ذكر، ثم أسلم بعد ذلك، وشهد مع النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بعض المشاهد، وكان على مجنّبة أبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك، ونزل الشام بعد ذلك.

روى عنه عامر بن زياد الليثي، وأبو الحويرث، فرواية عامر عنه مرفوعة في فضل صلاة الجماعة، أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّ قال: حدثنا محمد بن شعيب قال: أخبرني أبو خالد الرّحبيّ، يعني ثور بن يزيد، عن ابن سيف الكلاعي عن عبد الرحمن بن زياد عن قباث بن أشيم الليثي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال: «صلاة رجلين يؤمّ أحدهما صاحبه أركى عند الله من صلاة ثمانية تترى، وصلاة أربعة يؤمهم أحدهم أركى عند الله من صلاة مائة تترى، قال ابن شعيب: فقلت لأبي خالد: ما تترى؟

قال: متفرقين.

وأما أبو الحويرث فإنه قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أشيم الكناني ثم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم؟ فقال: رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم أكبر مني وأنا أسنّ منه، ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم عام الفيل، ووقفت بي أُمي على روث الفيل محيلا أعقله، وتنبأ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم على رأس أربعين من الفيل». قال البخاري وابن أبي حاتم: قباث بن أشيم له صحبة. وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) قصة إسلامه بعد الخندق مطولة، وفيها علم من أعلام النبوة.

وحديث: «صلاة رجلين...»: أخرجه البخاري في التاريخ الكبير. وحديث أبي الحويرث، فأورده

(22/1)

وعطاء [(1)] ، وسعيد بن المسيب [(2)] ، ...

[()] البيهقي في (الدلائل) ، والترمذي في باب ما جاء في ميلاد النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم،

وقال عنه الألباني في ضعيف سنن الترمذي: «ضعيف الإسناد»، هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

* ضعيف سنن الترمذي: 484، سنن الترمذي: 5/ 550، جامع الأصول: 11/ 216، 217،
الدلائل للبيهقي: 1/ 79، 2/ 131، الدلائل لأبي نعيم: 1/ 143، طبقات ابن سعد: 7/
411، تاريخ الصحابة: 216، الاستيعاب: 3/ 1303، المؤتلف والمختلف: 4/ 1922،
التاريخ الكبير: 7/ 192، الجرح والتعديل: 7/ 143، الإصابة: 5/ 407، 408.

[(1)] هو عطاء بن يسار الهلاليّ أبو محمد المدنيّ القاصّ، مولى ميمونة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهو أخو سليمان، وعبد الملك، وعبد الله بن يسار.

روى عن معاذ بن جبل، وفي سماعه منه نظر، وعن أبي ذر، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت،
وزيد بن ثابت، ومعاوية بن الحكم السلمي، وأبي أيوب، وأبي قتادة، وأبي واقد الليثي، وأبي هريرة،
وزيد بن خالد الجهنيّ، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وأبي رافع مولى النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعائشة، وعامر بن سعد بن أبي وقاص وهو من أقرانه، وجماعة.
روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن، وهو من أقرانه، ومحمد بن عمر بن عطاء، ومحمد بن عمرو بن حلحلة، وهلال بن علي، وزيد بن أسلم، وشريك بن أبي نمر، ومحمد بن أبي حرملة، وعمرو ابن دينار، ومحمد بن إبراهيم التيميّ، ويزيد بن عبد الله بن قسيط، وحبيب بن أبي ثابت، وصفوان بن سليم، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وآخرون.

قال البخاريّ وابن سعد: سمع من ابن مسعود. وقال أبو حاتم: لم يسمع منه. وقال ابن معين، وأبو زرعة، والنسائي: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث. روى الواقدي: أنه مات سنة ثلاث أو أربع ومائة، وقال غيره: سنة (94)، وقال ابن سعد: وهو أشبه، وقال عمرو بن علي وغيره: مات سنة (103)، وهو ابن (84) سنة، جزم بذلك ابن يونس في تاريخ مصر، وذكره ابن حبان في (الثقات) وقال: قدم الشام، فكان أهل الشام يكتونه بأبي عبد الله، وقدم مصر، فكان أهلها يكتونه بأبي يسار، وكان صاحب قصص، وعبادة، وفضل، كان مولده سنة (19)، ومات سنة (103)، وكان موته بالإسكندرية.

* العقد الفريد: 7/ 353، المعارف: 459، طبقات الحفاظ: 41، 42، الثقات: 5/ 199، سير أعلام النبلاء: 4/ 448، 449، الجرح والتعديل: 6/ 338، التاريخ الكبير: 6/ 461، تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 335، تهذيب التهذيب: 7/ 194، خلاصة تهذيب الكمال: 2/ 232، شذرات الذهب: 1/ 125، مرآة الجنان: 1/ 214.

[(2)] هو سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام العلم، أبو محمد القرشيّ المخزوميّ، عالم أهل المدينة، وسيّد التابعين في زمانه. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة.

رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن مسلمة، وأم سلمة، وخلقا سواهم. وقيل: إنه سمع من عمر.
وروى عن أبي بن كعب مرسلًا، وسعد بن عبادة كذلك، وأبي ذرّ وأبي الدرداء كذلك، وبلال كذلك.

(23/1)

[()] وروايته عن عليّ، وسعد وعثمان، وأبي موسى، وعائشة، وأم شريك، وابن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن عمرو، وأبيه المسيّب، وأبي سعيد، في «الصحيحين» .

ورويته عن حسان بن ثابت، وصفوان بن أمية، ومعمّر بن عبد الله، ومعاوية، وأم سلمة، في «صحيح مسلم» .

ورويته عن جبير بن مطعم، وجابر، وغيرهما في «صحيح البخاري» .

ورويته عن عمر، في «السنن الأربعة» .

وروى أيضا عن زيد بن ثابت، وسراقة بن مالك، وصهيب، والضحاك بن سفيان، وعبد الرحمن ابن عثمان التيميّ، وروايته عن عتاب بن أسيد في «السنن الأربعة» ، وهو مرسل.

وأرسل عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعن أبي بكر الصديق، وكان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه.

قال الحافظ الذهبيّ: وكان ممّن برّز في العلم والعمل، وقع لنا جملة من عالي حديثه.

أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق القرافي، أنبأنا الفتح بن عبد الله الكاتب، أنبأنا محمد بن عمر الشافعيّ، ومحمد بن أحمد الطرائفي، ومحمد بن علي بن الداية، قالوا: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن المسلمة، أنبأنا عبيد الله بن عبد الرحمن الزهريّ سنة ثمانين وثلاث مائة، أنبأنا جعفر بن محمد الفريائيّ، حدثنا إبراهيم بن الحجّاج السّامي، حدثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وإن صلى، وزعم أنّه مسلم: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان» .

هذا صحيح عال، فيه دليل على أن هذه الخصال من كبار الذنوب، أخرجه مسلم في الإيمان، باب خصال المنافق من كبار الذنوب.

أخرجه مسلم برقم (59) ، (110) في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، وهذا الحديث مما عدّه جماعة من العلماء مشكلا، من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثر، وهو الصحيح المختار، أن معناه: أن هذه الخصال نفاق، وصاحبها شبيه المنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدّته، ووعدته، واثمنه من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار.

وعن عبد العزيز بن المختار، عن عليّ بن زيد، حدثني سعيد بن المسيّب بن حزن، أن جدّه حزنا أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ما اسمك؟ قال: حزن، قال: بل أنت سهل» قال: يا رسول الله، اسم سمّاني به أبواي وعرفت به في الناس، فسكت عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال سعيد: فما زلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت.

والحزن: ما غلظ من الأرض، وهو ضد السهل، واستعمل في الخلق، يقال: فلان حزون، أي

(24/1)

[()] في خلقه غلظة وقساوة.

هذا حديث مرسل، ومراسيل سعيد محتجّ بها، لكن عليّ بن زيد ليس بالحجة، وأما الحديث فمروي بإسناد صحيح، متصل، ولفظه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «ما اسمك؟ قال: حزن، قال: أنت سهل»، فقال: لا أغيّر اسمي سمّانيه أبي.

قال سعيد: فما زالت تلك الحزونة فينا بعد.

أخرجه البخاري في الأدب، باب اسم الحزن، قال ابن بطال: فيه أن الأمر بتحسين الأسماء، وتغيير الاسم إلى أحسن منه ليس على الوجوب. وقال ابن التين: معنى قول ابن المسيّب: «فما زالت فينا الحزونة»، يريد امتناع التسهيل فيما يريدونه. وقال الداودي: يريد الصعوبة في أخلاقهم، فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوء خلق معروف فيهم لا يكاد ينعدم منهم، إلا أن

سعيدا أفضى به ذلك إلى الغضب في الله.

قال أحمد بن حنبل، وغير واحد: مراسلات سعيد بن المسيّب صحاح.
وقال قتادة، ومكحول، والزهري، وآخرون، واللفظ لقتادة: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيّب.
وقال عليّ بن المديني: لا أعلم في التابعين أحدا أوسع علما من ابن المسيّب، هو عندي أجَلّ
التابعين.

عبد الرحمن بن حرمة: سمعت ابن المسيّب يقول حججت أربعين حجة.
قال يحيى بن سعيد الأنصاري: كان سعيد يكثر أن يقول في مجلسه: اللهم سلّم سلّم.
معن: سمعت مالكا يقول: قال سعيد بن المسيّب: إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث
الواحد.

أبو إسحاق الشيباني: عن بكير بن الأخنس، عن سعيد بن المسيّب، قال: سمعت عمر على المنبر
وهو يقول: لا أجد أحدا جامع فلم يغتسل، أنزل أو لم ينزل، إلا عاقبته. رجاله ثقات.
وفيه حجة لم يقول إن سعيدا رأى عمر وسمع منه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في (تهذيب
التهذيب) حديثا وقع له بإسناد صحيح لا مطعن فيه، فيه تصريح سعيد بسماعه من عمر.
قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن جعفر، وغيره من أصحابنا، قالوا: استعمل ابن الزبير جابر ابن
الأسود بن عوف الزهريّ على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فقال سعيد بن
المسيّب: لا، حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطا، فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر
يلومه ويقول: ما لنا ولسعيد، دعه.

وكان جابر بن الزبير قد تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة، فلما ضرب سعيد بن المسيّب
صاح به سعيد والسياط تأخذه: والله ما ربعت على كتاب الله، وإنك تزوجت الخامسة قبل
انقضاء عدة الرابعة، وما هي إلا ليال فاصنع ما بدا لك، فسوف يأتيك ما تكره. فما مكث إلا
يسيرا حتى قتل ابن الزبير.

عن أبي عيسى الخراساني: عن ابن المسيّب، قال: لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار
من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم.

أنبأنا أبو نعيم، حدثنا القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا الحسن بن عبد العزيز، قال:
كتب إلى ضمرة بن ربيعة عن إبراهيم بن عبد الله الكناني، أن سعيد بن المسيّب زوج ابنته
بدرهمين.

قال الواقدي: كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر
الصديق، وأخذته أسماء عن أبيها، ثم ساق الواقديّ عدة منامات، منها:

حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن السائب، قال رجل لابن المسيّب: إنه
رأى

وأنس بن مالك [(1)] ، وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر.

[()] كأنه يخوض النار، قال: لا تموت حتى تتركب البحر، وتموت قتيلا. فركب البحر، وأشفى على التهلكة، وقتل يوم قديد. (وقديد موضع بين مكة والمدينة، فيه كانت الواقعة سنة (130) بين أهل المدينة وبين أبي حمزة الخارجي، فقتل منهم مقتلة عظيمة).
العطّاف: عن ابن حرملة، قال: قال سعيد: لا تقولوا مصيحف، ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل.

الواقديّ: أنبأنا طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيّب، عن أبيه: قال سعيد بن المسيّب: قلة العيال أحد اليسارين. وفي لفظ آخر: أحد اليسارين.
مالك: عن يحيى بن سعيد قال: سئل سعيد بن المسيّب عن آية، فقال سعيد: لا أقول في القرآن شيئا. قال الذهبي: ولهذا قلّ ما نقل عنه في التفسير.

معاوية بن صالح: عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: أوصيت أهلي بثلاث: أن لا يتبعني راجز ولا نار، وأن يعجلوا بي، فإن يكن لي عند الله خير فهو خير مما عندكم.
أخبرنا محمد بن عمر، حدثني محمد بن قيس الزيات، عن زرعة بن عبد الرحمن، قال: قال سعيد بن المسيّب: يا زرعة إني أشهدك على ابني محمد لا يؤذّننّ بي أحدا، حسبي أربعة يحملونني إلى ربي.

مات سعيد بن المسيّب بالمدينة وهو بن خمس وسبعين سنة سنة أربع وتسعين وكان يقال لهذه السنة:

سنة الفقهاء، لكثرة من مات منهم فيها.

* طبقات ابن سعد: 5/ 119-143، التاريخ الكبير: 3/ 510-511، المعارف: 437،
الجرح والتعديل: 4/ 59-61، حلية الأولياء: 2/ 161-175، تهذيب الأسماء واللغات:
219-221، وفيات الأعيان: 2/ 375-378، تهذيب التهذيب: 4/ 74-77، طبقات
الحفاظ: 25، خلاصة تذهيب الكمال: 1/ 390-391، سير أعلام النبلاء:
4/ 217-246، شذرات الذهب: 1/ 102، صفة الصفوة: 2/ 57-58، البداية والنهاية:
9/ 117-119، مرآة الجنان: 1/ 185-187، معجم البلدان: 4/ 355، تاريخ الطبري:
7/ 393، لسان العرب: 13/ 117 (مادة حزن)، مسلم بشرح النووي:
2/ 406-408 كتاب الإيمان باب خصال المنافق، فتح الباري 10/ 702 باب (107) اسم

الحزن حديث رقم (9610) .

[(1)] هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، التجاري، المدني، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتا.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم علما جمًا، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاذ، وأسيد بن الحضير، وأبي طلحة، وأمه أم سليم بن ملحان، وخالته أم حرام، وزوجها عبادة بن الصامت، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وفاطمة النبوية، وعدة.

وروى عنه خلق عظيم، منهم: الحسن، وابن سيرين، والشعبي، وخلق كثير، وبقي أصحابه الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة.

وكان أنس يقول: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين، وكنّ

(26/1)

[()] أمهاتي يحننني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصحب أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم الصحبة، ولازمة أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وباع تحت الشجرة.

لم يعدّه أصحاب المغازي في البدرين لكونه حضرها صبيًا، ما قاتل، بلى بقي في رحال الجيش، فهذا وجه الجمع.

قال أبو هريرة: ما رأيت أحدا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم، يعني أنسا. وقال أنس ابن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

مسندة ألفان ومائتان وستة وثمانون، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا. ومسلم بتسعين، وروى له الأربعة، وجملة مروياته (2286) حديثًا.

قال أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما ضربني، ولا سبني، ولا عبس في وجهي، رواه الترمذي بأطول من هذا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أكثر ماله وولده،

قال أنس: والله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو من مائة اليوم، قال

بعضهم: بلغ مائة وثلاث سنين.

ذكر صلاح الدين الصفدي في (الوافي) ، أن علي بن زيد بن جدعان قال: كنت في دار الإمارة والحجاج يعرض الناس أيام ابن الأشعث، فدخل أنس بن مالك، فلما دنا من الحجاج قال الحجاج:

يا خبثه! جوال في الفتن، مرّة مع علي بن أبي طالب، ومرّة مع ابن الزبير، ومرّة مع ابن الأشعث، والله لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة، ولأجردنك كما يجرد الضب! فقال له أنس: من يعني الأمير، أصلحه الله؟ قال: إيتك أعني، أصمّ الله سمعك! فاسترجع أنس وشغل عنه، فخرج أنس وتبعته وقلت: ما منعك أن تحببه؟ فقال: والله لولا أني ذكرت كثرة ولدي، وخشيتة عليهم، لأسمعتني في مقامي هذا ما لا يستحسن لأحد من بعدي.

وكتب إلى عبد الملك: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلّم وصاحبه. أما بعد، فإن الحجاج قال لي هجرا من القول وأسمعي نكرا، ولم أكن لما قال أهلا، إنه قال لي كذا وكذا، وإني أقسمت. بخدمتي لرسول الله صلى الله عليه وسلّم عشر سنين كوامل: لولا صببية صغار ما باليت أية قتلة قتلت، وو الله، لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلا خدم نبيهم لأكرموه! فخذ لي على يده، وأعني عليه، والسلام. فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غضبا، وكتب إلى الحجاج: أما بعد، فإنك عبد من ثقيف، طمحت بك الأمور، فعلوت فيها وطغيت، حتى عدوت قدرك، وتجاوزت طورك، يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب، لأغمزنك غمز الليث، ولأخبطنك خبطة، ولأركضنك ركضة تودّ معها لو أنك رجعت في مخرجك من وجر أملك.

أما تذكر حال آبائك ومكاسيهم بالطائف، وحفرهم الأبار بأيديهم، ونقلهم الحجارة على ظهورهم؟

أم نسيت أجدادك في اللؤم والدناءة وخساسة الأصل، وقد بلغ أمير المؤمنين ما كان منك إلى أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلّم القريب، وصاحبه في المشهد والمغيب، جرأة منك على الله ورسوله، وأمير المؤمنين والمسلمين، وإقداما على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين، أصكّ الرجلين، ممسوح الجاعرتين، لقد هممت أن أبعث إليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتي بك أبا

[()] حمزة، فيحكم فيك بما يراه.

ولو علم أمير المؤمنين أنك اجترمت إليه جرماً، أو انتهكت له عرضاً غير ما كتب إليه، لفعل ذلك بك. فإذا قرأت كتابي هذا، فكن له أطوع من نعله، واعرف حقه، وأكرمه وأهله، ولا تقصرن في شيء من حوائجه، فو الله لو أن اليهود رأت رجلاً خدماً العزيز، أو التصاري رأت رجلاً خدماً المسيح، لو قرّوه وعظّموه، فتبا لك، لقد اجترأت ونسيت العهد، وإياك أن يبلغني عنك خلاف ذلك، فأبعث إليك من يضربك بطناً لظهر، ويهتك سترك، ويشمت بك عدوك، والقه في منزله متنصلاً إليه ليكتب إليّ برضاه عنك! ولِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وكتب عبد الملك إلى أنس: لأبي حمزة أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من عبد الملك، سلام عليك، أما بعد، فإني قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت في أمر الحجاج، وإني والله ما سلطته عليك ولا على أمثالك. وقد كتبت إليه ما يبلغك، فإن عاد لمثلها فعرفني حتى أحلّ به عقوبي، وأذله بسطوتي، والسلام عليك.

ثم أرسل إلى إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، ودفع إليه الكتابين، وقال: اذهب إلى أنس والحجاج، وابدأ بأنس، وقل له: أمير المؤمنين يسلم عليك ويقول لك: قد كتبت إلى عبد بني ثقيف كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك، واستعرض حوائجه، فركب إسماعيل البريد، فلما دفع الكتاب إلى الحجاج، جعل يقرأه ويتمعر وجهه، ويرشح عرقاً، ويقول: يغفر الله لأمر المؤمنين! ثم قال: ثمضي إلى أنس، فقال له: على رسلك، ثم مضي إلى أنس وقال له: يا أبا حمزة، قد فعل أمير المؤمنين معك ما فعل، وهو يقرأ عليك السلام، ويستعرض حوائجك. فبكى أنس وقال: جزاه الله خيراً، كان أعرف بحقي، وأبرّ بي من الحجاج. قال: وقد عزم الحجاج على المجيء إليك، فإن رأيت أن تنفضل عليه فأنت أولى بالتنفضل.

فقام أنس ودخل إلى الحجاج إليه واعتنقه وأجلسه على سريره، وقال: يا أبا حمزة، عجّلت عليّ بالملامة، وأغضبت أمير المؤمنين، وأخذ يعتذر إليه ويقول: قد علمت شعب أهل العراق، وما كان من ابنك مع ابن الجارود، ومن خروجك مع ابن الأشعث، فأردت أن يعلموا أنني أسرع اليهم بالعقوبة إذ قلت لمثلك ما قلت.

فقال أنس: ما شكوت حتى بلغ مني الجهد، زعمت أننا الأشرار، والله سمّانا الأنصار، وزعمت أننا أهل النفاق، ونحن الذين تبوّأنا الدار والإيمان، والله يحكم بيننا وبينك، وما وكلتكم إلى أمير المؤمنين إلا حيث لم يكن لي به قوة، ولا آوي إلى ركن شديد.

ودعا لعبد الملك وقال: إن رأيت خيراً حمدت، وإن رأيت شراً صبرت، وبالله استعنت.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما بعد، فأصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه، ولا أعدمناه، وصلني الكتاب يذكر فيه شتمي وتعيرتي بما كان قبل نزول النعمة بي من أمير المؤمنين، ويذكر استطالتي

على أنس، جرأة مني على أمير المؤمنين، وغرّة مني بمعرفة سطواته ونقماته، وأمير المؤمنين أعزّه الله في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحقّ من أقالني عثرتي، وعفا عن جرمي، ولم يعجل عقوبتي، ورأيه العالي في تفريج كربتي، وتسكين روعتي، أقاله الله العثرات: قد رأى إسماعيل بن أبي المهاجر خضوعي لأنس، وإعظامي إيّاه... واعتذر إليه اعتذارا كثيرا.

(28/1)

وقيل: بعث وله من العمر ثلاث وأربعون سنة، وقيل: أربعون ويوم [(1)] ، وقيل: وعشرة أيام وقيل: وشهرين [(2)] ، وقال ابن شهاب: بعث على رأس خمس عشرة سنة من ببيان الكعبة، فكان بين مبعثه وبين الفيل سبعون سنة.

قال إبراهيم بن المنذر: هذا وهم لا يشك فيه أحد من علمائنا، وذلك أن

[()] ولما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال: يا أبا حمزة، إنك قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ورأيت من عمله وسيرته ومنهاجه، فهذا خاتمي، فليكن في يدك، فأرى برأيك، ولا أعمل شيئا إلا بأمرك.

فقال له أنس: أنا شيخ كبير، قد ضعفت ورققت، وليس في اليوم ذاك. فقال: قد علمت، لفلان وفلان، فأبالي أنا؟ فانظر إن كان في بنيك ممن تثق بدينه وأمانته وعقله! قال ما في بني من أتق لك به! وكثر الكلام بينهما.

وقال الحجاج يوما من جملة كلام: لقد عبت فما تركت شيئا، ولولا خدمتك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وكتاب أمير المؤمنين لكان لي ولك شأن من الشأن، فقال أنس: هيهات! إني لما خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلّم علمني كلمات لا يضرّني معهنّ عتوّ جبار، فقال له الحجاج: يا عمّاه لو علمتنيهنّ! فقال أنس: لست لذلك بأهل، فدرس إليه الحجاج ابنه محمدا، ومعه مائتي ألف درهم، ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات.

وقال أنس: دفنت من صليبي مائة ولد، وإنّ نخلي ليثمر في السنة مرتين، وعشت حتى استحيت من أهلي وأنا أرجو الرابعة- المغفرة- لأن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: اللهم أكثر ماله، وولده، وأطل عمره، واغفر له ذنبه، وبارك له فيما أعطيته.

وقال ابن سعد: كان يصلي حتى تتفطر رجلاه دما، وكان محجّاب الدعوة، يدعو فينزل الغيث، وكان إذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله وعياله وولده، فيختم بحضرتهم.

بلغ مائة وثلاث سنين، وتوفي على الصحيح سنة ثلاث وتسعين للهجرة.

* مرآة الجنان: 1/ 182، البداية والنهاية: ص 131 من الفهارس (فهرس الوفيات)، تهذيب التهذيب: 1/ 329-331، الإصابة: 1/ 126-129، خلاصة تهذيب الكمال: 1/ 105، شذرات الذهب: 1/ 100-101، الثقات: 3/ 4، أسماء الصحابة الرواة: 39، تلقيح الفهوم: 363، تاريخ الصحابة: 28-29، صفة الصفوة: 1/ 361-362، الإعلام بوفيات الأعلام: 51، الوافي بالوفيات: 9/ 411-416، سير أعلام النبلاء: 3/ 395-406، طبقات ابن سعد: 7/ 17-26، التاريخ الكبير: 2/ 27، التاريخ الصغير: 1/ 209، المعارف: 308، الجرح والتعديل: 2/ 286، المستدرک: 3/ 573، الاستيعاب: 1/ 109-111، جامع الأصول: 9/ 88، تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 127.

[(1)] في (خ) «ويوما» والرفع أصح للعطف على نائب الفاعل.

[(2)] في ابن هشام: نقلا عن ابن إسحاق «أربعين سنة» ج 1 ص 216 وفي (البداية والنهاية) «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه، (ج 3 ص 4) .

(29/1)

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل لا يختلفون في ذلك، ونبي على رأس أربعين من الفيل، وذلك على رأس مائة وخمسين سنة من عام حجة الغدر [(1)] ولست عشرة سنة من ملك أبرويز، ويقال: بل لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وعلى الحيرة إياس بن قبيصة الطائي عاملا للفرس على العرب ومعه النخيجان [(2)] الفارسي على رأس سنتين وأربعة أشهر من ملكهما، وعلى اليمن يومئذ باذان [(3)] أبو مهران.

أول ما نزل من القرآن

فعلم صلى الله عليه وسلم من حينئذ أن الله بعثه نبيا، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه بغار حراء فقال له: اقرأ، قال: لست بقارئ، فغتنه [(4)] حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله، فقال: اقرأ، قال: لست بقارئ، فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [(5)] فرجع بما صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره، فأخبر بذلك خديجة رضي الله عنها وقال: قد خشيت على عقلي، فنبئتته وقالت:

أبشر! كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل [(6)]
وتعين على نوائب الدهر - في أوصاف آخر جميلة عددها من أخلاقه - تصديقا منها له وإعانة
على الحق، فهي أول صديق له صلى الله عليه وسلم.
وقيل: أول ما أنزل عليه من القرآن: البسملة و فاتحة الكتاب [(7)] وقيل: هي مدنية. وقيل:
لما فجأه الحق وأتاه جبريل قال له: يا محمد، أنت يا رسول

[(1)] كذا في (خ) ولم يرد لها ذكر في المراجع المعتمدة.

[(2)] في (خ) «الخرجان» .

[(3)] في (خ) «ساذام» وهو خطأ والصواب «باذان، أو باذام» (ط) ص 13 «هامش» .

[(4)] في المعجم الوسيط

«فأخذني جبريل ففتني حتى بلغ مني الجهد» :

أي ضغطني ضغطا شديدا (ج 2 ص 644) .

[(5)] الآيات من (1- 5) من سورة العلق وهي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق.

[(6)] الكل: تقول: «وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه» (التفسير الكبير

للفخر الرازي ج 20 ص 86) .

[(7)] ذكر الطبري في تفسيره «... عن عطاء بن يسار، قال: أول سورة نزلت من القرآن:

أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ج 30 ص 252.

(30/1)

الله [(1)] .

وقيل: أول ما أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له برسالة
الله يوم الاثنين لسبع عشر خلت من رمضان، فعلمه الوضوء والصلاة، وعلمه أقرأ باسم ربك
الذي خلق.

فترة الوحي

والتحقيق أن جبريل عليه السلام لما جاءه بغار حراء وأقرأه أقرأ باسم ربك الذي خلق ورجع إلى
خديجة، مكث ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئا وفتز عنه [(2)] الوحي، فاغتم لذلك وذهب
مرارا ليتردى من رءوس الجبال شوقا منه إلى ما عاين أول مرة من حلاوة مشاهدة وحي الله إليه.

فَقِيلَ: إِنَّ فِتْرَةَ الْوَحْيِ كَانَتْ قَرِيبًا مِنْ سِنْتَيْنِ، وَقِيلَ: كَانَتْ سِنْتَيْنِ وَنِصْفًا، وَفِي تَفْسِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَفِي كِتَابِ مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ كَانَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَفِي تَفْسِيرِ مِقَاتِلِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَرَجَّحَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِحَالِهِ عِنْدَ رَبِّهِ [(3)] .

تتابع الوحي وبدء الدعوة

ثم تبدي له الملك بين السماء والأرض على كرسي، وثبته وبشره أنه رسول الله حقا، فلما رآه فرق منه،

وذهب إلى خديجة رضي الله عنها فقال: «زملوني ...»

دثروني ...» ،

فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ [(4)] فكانت الحالة الأولى بغار حراء حالة نبوة وإيحاء، ثم أمره الله تعالى في هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل. فشمر صلى الله عليه وسلم عن ساق الاجتهاد، وقام في طاعة الله أتم قيام، يدعو إلى الله تعالى الصغير والكبير،

[(1)] هكذا في (خ) ولعلها «أنت رسول الله» .

[(2)] في (خ) «عن عنه» والصحيح ما أثبتناه.

[(3)] في (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) ص 513: «حبس الله عنه الوحي خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء، فقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه» وفي (البداية والنهاية) ج 3 ص 17 «وقد قال بعضهم:

كانت مدة الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصفا» .

وفي تفسير الطبري ج 3 ص 232: «لما نزل عليه القرآن أبطأ عنه جبريل أيما فغير بذلك، فقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه. فأنزل الله: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3/ الضحى)

[(4)] [1-4 / المدثر.

(31/1)

والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فكان فيما قاله عروة بن الزبير، ومحمد بن شهاب، ومحمد بن إسحاق: من حين أتت النبوة وأنزل عليه اقرأ باسم ربك [(1)] إلى أن كلفه الله الدعوة، وأمره بإظهارها فيما أنزل عليه من قوله: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَن

المُشْرِكِينَ [(2)] وقوله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [(3)] ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ [(4)]
[- ثلاث سنين، لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به، منهم خديجة وعلى وزيد وأبو بكر رضي الله
عنهم، فدعا ثلاث سنين مستخفياً، وقيل: دعا مستخفياً أربع سنين ثم أعلن الدعاء وصدع
بالأمر.

إسلام خديجة

ويقال: إن الله ابتعثه نبياً في يوم الاثنين لثمان مضي من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام
الفيل، وقد مضى من مولده صلى الله عليه وسلم أربعون سنة ويوم.
ويقال: علمه جبريل عليه السلام الوضوء والصلاة في يوم الثلاثاء وأقرأه أقرأ باسم ربك الذي
خَلَقَ [(1)] فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله، وعلمها الوضوء والصلاة
فصلت معه، فكانت أول خلق صلى معه.

إسلام أبي بكر

ثم استجاب له عباد الله من كل قبيلة، فكان حائز قصب السبق: «أبو بكر عبد الله بن أبي
قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب [(5)] بن غالب
القرشي التيمي رضي الله عنه» فأزره في دين الله وصدقته فيما جاء به، ودعا معه إلى الله على
بصيرة، فاستجاب لأبي بكر رضي الله عنه جماعة منهم:.

[(1)] [1 - 5 / العلق.

[(2)] [94 / الحجر.

[(3)] [214 / الشعراء.

[(4)] [89 / الحجر.

[(5)] [ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص 167.

(32/1)

أوائل المسلمين

«عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي [(1)] القرشي
الأموي»، و «طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة [(2)]

[القرشي التيمي » و «سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب [(3)] بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، و «الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي [(4)] [الأسيدي » ، و «عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث [(5)] بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري : فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استجابوا له بالإسلام وصلوا، فصار المسلمون ثمانية نفر، أول من أسلم وصلى لله تعالى.

إسلام علي وزيد الحبّ

وأما «علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي» ، فلم يشرك بالله قط، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم [(6)] ، فعند ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت، كانت هي وعلي بن أبي طالب، و «زيد بن حارثة بن شراحيل ابن عبد العزى بن امرئ القيس [(7)] بن عامر بن عبد ودّ بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبية» حب رسول

[(1)] ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (السهيليّ) ج 1 ص 288.

[(2)] ابن مرة بن كعب بن لؤي (السهيليّ) ج 1 ص 289.

[(3)] في بعض كتب السيرة: ابن «وهب» بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

الزيادة من (السهيليّ) ج 1 ص 288.

[(4)] ابن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص 219.

[(5)] هكذا في (خ) وفي (المعارف) ابن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. ص 235.

[(6)] في (خ) بعد قوله و «سلم» كلمة «الوحي» وهي زيادة من الناسخ اقتضى السياق حذفها.

[(7)] ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبية (الإصابة) ج 1 ص 45 في ترجمة أسامة بن زيد.

إمتاع الأسماع ج 1- م 2

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلون معه. وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلِّي صلاة الضحى، وكانت صلاة لا تنكرها [(1)] قريش. وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد علي أو زيد رضي الله عنهما يرصدانه.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى، وكانوا يصلون الضحى والعصر، ثم نزلت الصلوات الخمس، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين قبل الهجرة.

فلم يحتج علي رضي الله عنه أن يدعى، ولا كان مشركا حتى يوحد فيقال أسلم، بل كان- عند ما أوحى الله إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عمره ثماني سنين، وقيل: سبع سنين، وقيل: إحدى عشر سنة. وكان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله. وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم ممن له أهلية الذب عن رسول الله والحماية والمناصرة.

هذا هو التحقيق في المسألة لمن أنصف وترك الهوى من الفريقين، وقد قال عمر مولى غفرة [(2)] : سئل محمد بن كعب [القرظي] [(3)] عن أول من أسلم، على بن أبي طالب أو أبو بكر؟ فقال: سبحان الله! عليّ أولهما إسلاما، وإنما اشتبه علي الناس لأن عليا أول ما أسلم كان يخفي إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه، فكان أبو بكر أول من أظهر إسلامه، وكان علي أولهما إسلاما، فاشتبه علي الناس- وكذلك أسلمت خديجة وزيد بن حارثة [(4)] .

إسلام ورقة بن نوفل

ثم أسلم القس ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وصدق بما وجد من الوحي، وتمنى أن لو كان جذعا [(5)] ، وذلك أول ما نزل الوحي.

[(1)] في (خ) لا ينكرها.

[(2)] في (تهذيب التهذيب) : عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة ج 7 ص 471 ترجمة رقم 783، وفي (خ) «غفرة» .

[(3)] محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، زيادة من (تهذيب التهذيب) ج 9 ص 420 ترجمة رقم 689.

[(4)] راجع (الروض الأنف) ج 1 ص 284، 285 باب أول من أسلم، ونشأة علي بن أبي طالب.

[(5)] الجذع من الرجال: الشاب الحدث. (المعجم الوسيط) ج 1 ص 113.

(34/1)

إسلام الأرقم

ودخل من شرح الله صدره للإسلام على بصيرة فأسلم الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف [(1)] بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم سابع سبعة [(2)] ، وقيل: بعد عشرة [(3)] وفي داره كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا من قريش، وكانت على الصفا، فأسلم فيها جماعة كثيرة.

إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النبوة راعهم ذلك وكبر عليهم، ولم ينكروا عليه شيئا من أمره حتى عاب آهنتهم وسفّه أحلامهم، وذمّ آباءهم وأخبر أنهم في النار، فأبغضوه عند ذلك وعادوه، وتعرضوا لمن آمن به. فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة، وصان الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب، لأنه كان شريفا في قومه مطاعا فيهم، نبيلا بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من محبته له، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبي طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة.

إيذاء المسلمين

هذا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا، لا يصدده عن ذلك صاّد، ولا يردده عنه راّد، ولا يأخذه في الله لومة لائم. واشتد أذى المشركين على من آمن، وفتنوا جماعة منهم، حتى إنهم كانوا يضربونهم ويلقونهم في الحرّ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في الحر، وكان أحدهم إذا أطلق لا يستطيع أن يجلس لشدة الألم. ويقولون لأحدهم وهو يعذب في الله: اللات إلهك من دون الله؟ فيقول مكرها: نعم!، وحتى إن جعل ليمرّ فيقولون: وهذا إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم!.

ومرّ الخبيث أبو جهل: «عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن

[(1)] في (خ) عبد مناة، والتصويب من (الإصابة) ج 1 ص 43.

[(2)] ذكره الحاكم في (المستدرک) ج 3 ص 52.

[(3)] (الإصابة) ج 1 ص 40 ترجمة رقم 73.

(35/1)

محزوم بن يقظة بن مرة» بسميّة «أم عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العبسي» وهي تعذب في الله هي وزوجها ياسر بن عامر، وابنها عمار بن ياسر قطعها بحربة في فرجها فقتلها [(1)] .

الذين أعتقهم أبو بكر من الموالي المعذبين

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مر بأحد الموالي وهو يعذب في الله اشتراه من مواليه وأعتقه لله، فمن هؤلاء: بلال وأمه حمامة [(2)] ، وعامر بن فهيرة، وأم عبس، ويقال: أم عبيس فتاة بني تيم بن مرة، (وهي أم عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف) ، وزنيرة (زنيرة بكسر الزاي وتشديد النون مع كسرهما على وزن فعيلة، وقيل: بفتح الزاي وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة) ، وسمية بنت خباب [(3)] (بباء موحدة، قاله ابن مأكولا) ، والنهدية وابنتها، وجارية لبني عدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعذبها على الإسلام قبل أن يسلم.

حتى قال له أبوه أبو قحافة: يا بني أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أعتقت قوما جلدا يمنعونك! فقال أبو بكر رضي الله عنه: إني أريد ما أريد [(4)] فقال: نزلت فيه: وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى [(5)] إلى آخر السورة.

هم قريش بقتله عند البيت

هذا وقد اشتد مكر قريش برسول الله وهموا بقتله، فعرضوا على قومه ديتهم حتى يقتلوه، فحماه الله برهطه من ذلك، فهموا أن يقتلوه في الزحمة [(6)] بقول

[(1)] ذكر ابن الجوزي أنها «أول شهيدة في الإسلام» (صفة الصفوة) ج 2 ص 60.

[(2)] في (خ) «حامة» والصحيح ما أثبتناه من (ابن هشام بشرح السهيلي) ج 2 ص 67.

[(3)] في (خ) «خباءة» وهو خطأ.

[(4)] في ابن هشام «أريد ما أريد لله عز وجل» ج 2 ص 161.

[(5)] الآيتان 17-18 من سورة الليل.

[(6)] كان يوم الزحمة قبل الهجرة بقليل، يقول ابن سيد الناس في كتاب (عيون الأثر) ج 1 ص 177 باب ذكر يوم الزحمة نقلا عن ابن إسحاق «ولما رأته قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منعة فحزروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب ...»

(36/1)

قبائل قريش كلها، وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلي، حتى كادت أيديهم أن تخبط به أو تلتقي عليه، فصاح أبو بكر: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ فقال: دعهم يا أبا بكر، فوالذي نفسي بيده، إني بعثت إليهم بالذبح، فتفرجوا عنه. فكانت فتنة شديدة وزلزال شديد، فمن المسلمين من عصمه الله ومنهم من افتتن.

أول من جهر بالقرآن ومن رجع عن الإسلام

ويقال: أول من جهر بالقرآن عبد الله بن مسعود فضرب. ورجع عن الإسلام خمسة وهم: أبو قيس بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والعاص بن منبه بن الحجاج، والحارث بن زمعة بن الأسود، والوليد بن الوليد بن المغيرة.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما اشتد البلاء أذن الله لهم في الهجرة إلى الحبشة، فكان أول من خرج من مكة فارا بدينه إلى الحبشة: عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبعه الناس. فخرج أحد عشر رجلا وأربع نسوة متسللين حتى انتهوا إلى الشعبية [(1)]، منهم الراكب والماشي، فوفق لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار. وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا، وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه: عن قبيصة بن ذؤيب أن أبا سلمة ابن عمه رسول الله أول من هاجر

بظعينته [(2)] إلى أرض الحبشة.

وقيل: أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك، وذلك في رجب سنة خمس من المبعث، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة، فأقاموا شعبان وشهر رمضان وبلغهم أن قريشا أسلمت، فعاد منهم قوم وتخلف منهم قوم. فلما قدم الذين قدموا إلى مكة بلغهم

[(1)] الشعبية: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل

جدة.

(معجم البلدان ج 3 ص 351) .

[(2)] الظعينة: الراحلة يرتحل عليها. والهودج. والزوجة (المعجم الوسيط ج 2 ص 576) .

(37/1)

أن إسلام أهل مكة كان باطلا، فدخلوا مكة في شوال سنة خمس من النبوة، وما منهم من أحد إلا بجوار أو مستخفيا.

وأقام المسلمون بمكة وهم في بلاء، فخرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعات - بلغ عددهم بمن خرج أولا اثنين وثلاثين - فأواهم أصحاب النجاشي ملك الحبشة وأكرمهم.

بعثة قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة

فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وعمرو بن العاص، بمدايا وتحف إلى النجاشي ليردهم عليهم فأبى ذلك، فشفعوا إليه بقواده فلم يجبههم إلى ما طلبوا فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى عليه السلام قولا عظيما: يقولون إنه عبد.

فأحضر المسلمين إلى مجلسه وزعيمهم جعفر فقال: ما تقولون في عيسى؟

فتلا عليه جعفر سورة كهيعص [(1)] فلما فرغ أخذ النجاشي عودا من الأرض وقال: ما زاد هذا على ما في الإنجيل ولا هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم شيوم [(2)] بأرضي من سيكم غرم، وقال لعمرو وعبد الله: لو أعطيتموني دبرا من ذهب (يعني جبلا من ذهب) ما سلمتهم إليكما. ثم أمر فردت عليهما هداياهما ورجعا بشرّ خيبة [(3)] .

[(1)] أول سورة مريم عليها السلام.

[(2)] شيوم: كلمة حبشية معناها آمنون.

[(3)] وقد أورد الحافظ أبو نعيم الأصبهاني هذا الخبر مفصلا في (دلائل النبوة) ج 1 ص

243 حديث رقم (193)، حيث قال:

حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمد بن عمر بن خالد الحرايبي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن، عن عروة بن الزبير في خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى الحبشة، قال:

فبعثت قريش في آثارهم عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص السهمي، وأمروهما أن يسرعا السير حتى يسبقاهم إلى النجاشي، ففعلا، فقدموا على النجاشي فدخلوا عليه، فقالا له: إن هذا الرجل الذي بين أظهرنا، وأفسد فينا، تناولك ليفسد عليك دينك، وملكك وأهل سلطانك، ونحن لك ناصحون، وأنت لنا عيبة صدق، تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف، ويأمن تاجرنا عندك فبعثنا قومنا إليك لننذرك فساد ملكك، وهؤلاء نفر من أصحاب الرجل الذي خرج فينا، ونخبرك بما نعرف من خلافهم

(38/1)

[()] الحق، أنهم لا يشهدون أن عيسى بن مريم إله، ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك، فادفعهم إلينا فلنكفيكهم.

فلما قدم جعفر وأصحابه، وهم على ذلك من الحديث، وعمرو وعمارة عند النجاشي، وجعفر وأصحابه على ذلك الحال، قال: فلما رأوا أن الرجلين قد سبقا ودخلا، صاح جعفر على الباب يستأذن حزب الله، فسمعها النجاشي، فأذن لهم، فلما دخلوا وعمرو وعمارة عند النجاشي، قال: أيكم صاح عند الباب؟ فقال جعفر: أنا هو، فأمره فعاد لها.

فلما دخلوا وسلّموا تسلّم أهل الإيمان، ولم يسجدوا له، فقال عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد: ألم نبين لك خبر القوم، فلما سمع النجاشي ذلك أقبل عليهم، فقال: أخبروني أيها الرّهط ما جاء بكم؟

وما شأنكم؟ ولم أتيتموني ولستم بتجار ولا سؤال؟ وما نبيكم الذي خرج؟ وأخبروني ما لكم؟ لم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من أهل بلدكم؟ وأخبروني ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقام جعفر بن أبي طالب - وكان خطيب القوم - فقال: إنما كلامي ثلاث كلمات، إن صدقت

فصدقني، وإن كذبت فكذبني، فأمر أحدا من هذين الرجلين فليتكلم ولينصت الآخر، قال عمرو: أنا أتكلم، قال النجاشي: أنت يا جعفر فتكلم قبله.

فقال جعفر: إنما كلامي ثلاث كلمات، سل هذا الرجل أعبيد نحن أبقنا من أربابنا؟ فقال النجاشي:

أعبيد هم يا عمرو؟ قال عمرو: بل أحرار كرام، قال جعفر: سل هذا الرجل هل أهرقنا دما بغير حقه؟

فادفعنا إلى أهل الدم. فقال: هل أهرقوا دما بغير حقه؟ فقال: ولا قطرة واحدة من دم. ثم قال جعفر:

سل هذا الرجل أخذنا أموال الناس بالباطل؟ فعندنا قضاء؟ فقال النجاشي: يا عمرو، إن كان على هؤلاء قنطار من ذهب فهو عليّ. فقال عمرو: ولا قيراط، فقال النجاشي: ما تطالبونهم به؟ قال عمرو: فكنا نحن وهم على دين واحد، وأمر واحد، فتركوه ولزمناه.

فقال النجاشي: ما هذا الذي كنتم عليه فتركتموه وتبعتم غيره؟

فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فدين الشيطان، وأمر الشيطان، نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأما الذي نحن عليه فدين الله عزّ وجلّ، نخبرك أن الله بعث إلينا رسولا كما بعث إلى الذين من قبلنا، فاتانا بالصدق والبر، ونهانا عن عبادة الأوثان، فصدّقناه وآمنا به واتبعناه، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا، وأرادوا قتل النبي الصادق، وردّنا في عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا، ولو أقرّنا قومنا لاستقررنا، فذلك خبرنا.

وأما شأن التحية: فقد حيّيناك بتحية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والذي يحيي به بعضنا بعضا،

أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن تحية أهل الجنة السلام

فحييناك بالسلام، وأما السجود، فمعاذ الله أن نسجد إلا لله، وأن نعدلك به.

وأما في شأن عيسى ابن مريم: فإن الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه على نبينا، أنه رسول قد خلت من قبله الرسل، ولدته الصديقة العذراء البتول الحصان، وهو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وهذا شأن عيسى ابن مريم.

فلما سمع النجاشي قول جعفر أخذ بيده عودا، ثم قال لمن حوله: صدق هؤلاء نفر، وصدق

نبيهم، والله ما يزيد عيسى ابن مريم على ما يقول هذا الرجل ولا وزن هذا العود، فقال لهم

النجاشي: امكنوا فإنكم

وقد ذكر محمد بن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشعري، وأنكر ذلك الواقدي وغيره. وهذا ظاهر لا يخفى على من دون ابن إسحاق، فإن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر، كما ثبت في الصحيح وغيره. وقد قيل إن قريشا بعثت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بعد وقعة بدر، فلما

[()] سيوم- والسيوم: الآمون- قد منعكم الله، وأمر لهم بما يصلحهم.

فقال النجاشي: أيكم أدرس للكتاب الذي أنزل على نبيكم؟ قالوا، جعفر، فقرأ عليهم سورة مريم (عليها السلام)، فلما سمعها عرف أنه الحق، وقال النجاشي: زدنا من هذا الكلام الطيب، ثم قرأ عليه سورة أخرى، فلما سمعها عرف الحق، وقال: صدقتم وصدق نبيكم صلى الله عليه وسلم، أنتم والله صديقون، امكنوا على اسم الله وبركته، آمنين ممنوعين، وألقى عليهم المحبة من النجاشي.

فلما رأى ذلك عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص سقط في أيديهما، وألقى الله بين عمرو وعمارة العداوة في مسيرهما قبل أن يقدموا على النجاشي ليدركا حاجتهما التي خرجا لها من طلب المسلمين، فلما أخطأهما ذلك، رجعا بشر ما كانا عليه من العداوة وسوء ذات البين، فمكر عمرو بعمارة، فقال: يا عمارة، إنك رجل جميل وسيم، فأت امرأة النجاشي فتحدثت عندها إذا خرج زوجها، تصيبها فتعيننا على النجاشي، فإنك ترى ما وقعنا فيه من أمرنا، لعلنا نهلك هؤلاء الرهط.

فلما رأى ذلك عمارة انطلق حتى أتى امرأة النجاشي، فجلس إليها يحدثها، وخالف عمرو بن العاص إلى النجاشي فقال: إني لم أكن أخونك في شيء علمته إذ أطلعت عليه، وإن صاحبي الذي رأيت لا يتمالك عن الزنا إذا هو قدر عليه، وإنه قد خالف إلى امرأتك، فأرسل النجاشي إلى امرأته، فإذا هو عندها، فلما رأى ذلك أمر به فنفخ في إحليله سحر، ثم ألقى في جزيرة البحر فعاد وحشيا مع الوحش، يرد ويصدر معها زمانا، حتى ذكر لعشيرته، فركب أخوه، فانطلق معه بنفر من قومه، فرصدوه حتى إذا ورد أوثقوه فوضعوه في سفينة ليخرجوا به، فلما فعلوا به ذلك مات، وأقبل عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه، ومنع حاجته.

هذا الحديث مرسل، وفيه ابن لهيعة وهو صدوق، ولكنه خلط بعد احتراق كتبه، ولكن أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) 6/ 27 بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وأخرجه أبو نعيم في (الحلية) 1/ 115، و (السيرة) 2/ 179-180.

وفي هذا الحديث من الفقه: الخروج عن الوطن وإن كان الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فرارا بالدين، وإن لم يكن إسلام، فإن الأحباش كانوا نصارى يعبدون المسيح ولا يقولون: هو عبد

الله، وقد تبين ذلك في الحديث.

وسموا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: **وَالسَّابِقُونَ
الْأَوَّلُونَ**، وجاء في التفسير: أنهم الذين صلوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين.
وقد قيل أيضا: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، فانظروا كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم
قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم، ورجاء أن
يخلي بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين.

(40/1)

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث قريش عمرا وابن أبي [(1)] ربيعة، بعث عمرو بن
أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي، فقرأ كتابه ثم دعا جعفر بن أبي طالب، فقرأ عليهم سورة
مريم، فأمنوا.

هذا قول سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير. وقال أبو الأسود عن عروة:
إن بعثتهم عمرو بن العاص كانت عند خروج المهاجرين إلى الحبشة، وكان بين خروج المهاجرين
إلى الحبشة وبين وقعة بدر خمس سنين وأشهر. وقيل: كانت بعثتهم عمرو بن العاص مرتين، مرة
مع عمارة بن الوليد [(2)] ومرة مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، قاله أبو نعيم الحافظ.

أعداء رسول الله من قريش

هذا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة يدعو إلى الله، وكفار قريش تظهر حسده
وتبدي صفحتها في عداوته وأذاه، وتخاصم وتجادل وترد من أراد الإسلام عنه.
وكان أشد قريش عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيرانه، وهم: أبو جهل بن هشام بن
المغيرة، وعمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد
مناف بن زهرة وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحارث بن قيس ابن عدي بن
سعد بن سهم السهمي، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأميمة وأبي ابنا خلف
بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤي، وأبو قيس بن الفاكه بن
المغيرة، والعاص بن وائل بن هاشم [(3)] ابن سعيد بن سهم السهمي والد عمرو بن العاص،
والتضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج بن
عامر بن حذيفة ابن سعيد [(4)] بن سهم بن عمرو بن هصيص، وزهير بن أبي أمية حذيفة بن
المغيرة، وهو ابن عمه [(5)] رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعاص بن سعيد العاص بن

- [(1)] في (خ) «ابن ربيعة» .
[(2)] في (ط) «بين الوليد» وهو خطأ.
[(3)] في (خ) «هشام» وهي رواية ابن إسحاق، وأوردها ابن حجر في (الإصابة) «هاشم» في ترجمة عمرو بن العاص رقم 5877.
[(4)] في (خ) «وسعد» .
[(5)] عاتكة بنت عبد المطلب.

(41/1)

الحمراء الخزاعي، وأبو البخترى العاص بن هشام بن (الحارث) [(1)] بن أسد بن عبد العزى، وعقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وابن الأصداء [(2)] الهذلي، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف، (وطعيمة بن عدي) [(3)] أخو مطعم بن عدي، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف [(4)] ، والحارث بن مالك (وقيل: عمرو، وهو ابن الطلائعة، وهي أمه) [(5)] ابن عمرو بن الحارث (وهو غبشان) بن عبد عمر بن بوى بن ملكان [(6)] ، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب [(7)] ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي.

وكان الذين تنتهي إليهم عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو جهل، وأبو لهب، وعقبة بن أبي معيط) [(8)] . وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب [(9)] ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ذوي عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء، فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب، عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

[(1)] ما بين القوسين زيادة من ابن هشام ج 2 ص 5 «أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسد» .

وفي ابن سعد ج 1 ص 210 «أبو البخترى بن هاشم» وفي (خ) «أبو البخترى العاص بن هشام» .

- [(2)] هكذا في ابن سعد ج 3 ص 9 «ابن الأصداء الهذلي» وفي المرجع السابق ج 1 ص 201 «ابن الأصدى الهذلي» . وهو الذي نطحته الأروى .
- [(3)] زيادة من (ط) وهو من أصحاب يوم الزحمة .
- [(4)] في (خ) العبارة من قوله «أخو عدي ... إلى عبد مناف» تكرار من الناسخ .
- [(5)] في (خ) : «وقيل عمرو بن الطلائة بن عمرو» والصواب ما أثبتناه .
- [(6)] وفي ابن سعد ج 6 ص 228 «اسمه الحارث بن عمرو بن قيس بن عبلان بن مضر» .
- [(7)] في (خ) «ابن عبد المطلب» .
- [(8)] سقط في (خ) وصوابه من ابن سعد ج 1 ص 165، 201، 202، 211، 228، ج 2 ص 13، 23 وغير ذلك .
- [(9)] ابن عم النبي وأخوه من الرضاعة، وفي طبقات ابن سعد ج 1 ص 271 (أبو سفيان بن حرب) .
- وذكر ابن سيد الناس في «عيون الأثر» ج 1 ص 110 «وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به من بني هاشم: عمه أبا لهب وابن عمه أبا سفيان بن الحارث، ومن بني عبد شمس:
- عتبة وشيبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأبا سفيان بن حرب وابنه حنظلة ... » .

(42/1)

إسلام عمر بن الخطاب

وأسلم عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب القرشي العدوي رضي الله عنه، ويقال: إنه أسلم بعد تسعة وأربعين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، وقيل: أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وقيل: أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة، وقيل: أسلم بعد ثلاثة وثلاثين رجلا، وكان إسلامه بعد هجرة الحبشة، وكان المسلمون لا يقدرّون يصلون عند الكعبة.

عزّ الإسلام بعمر وحمزة

فلما أسلم عمر رضي الله عنه قاتل قريشا حتى صلى عندها، وصلى معه المسلمون، وقد قووا بإسلامه وإسلام حمزة رضي الله عنهما، وجهروا بالقرآن ولم يكونوا قبل ذلك يقدرّون أن يجهروا به، ففشا الإسلام وكثر المسلمون.

أمر الصحيفة

وبلغ أهل مكة فعل النجاشي بالقادمين عليه وإكرامهم، فساء ذلك قريشا وائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه ألا يناكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا يبائعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم. وكتبوا بذلك صحيفة وختموا عليها ثلاثة خواتيم، وعلقوها في سقف الكعبة. وقيل: بل كانت عند أمّ الجلاس مخزبة [(1)] الخنظلية خالة أبي جهل، ذكره ابن سعد [(2)] ، وعند ابن عقبة: كانت عند هشام بن عبد العزى. فيقال: كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هشام عبد مناف، ويقال: التضر بن الحارث، ويقال: بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت يده.

[(1)] في (خ) «محرمة» وهو خطأ والتصويب من (ابن سعد) .

[(2)] (الطبقات الكبرى) ج 1 ص 209.

(43/1)

انحياز بني هاشم وبني المطلب إلى شعب أبي طالب

وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة- إلا أبا لهب وولده. فإنهم ظاهروا قريشا على بني هاشم- فصاروا في شعب أبي طالب محصورين مضيقا عليهم أشد التضيق نحو من ثلاث سنين، وقد قطعوا عنهم الميرة [(1)] والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد، وكان حكيم بن حزام [(2)] بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيقبلها [(3)] الشعب ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من الحنطة.

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ثم هاجر المسلمون ثانيا إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا- إن كان عمار بن ياسر فيهم- [(4)] وثمانى عشرة امرأة.

نقض الصحيفة

ثم سعى في نقض الصحيفة أقوام من قريش. وكان أحسنهم في ذلك بلاء هشام ابن عمرو (بن ربيعة) [(5)] بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، مشى في ذلك إلى زهير بن أبي أمية، وإلى مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وإلى أبي البحتري بن هشام، وإلى زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد، وكان سهل بن بيضاء [(6)] الفهري هو الذي مشى إليهم حتى اجتمعوا

[(1)] الميرة: ما يجلب من الطعام.

[(2)] ابن أخي خديجة رضي الله عنها.

[(3)] أي يجعل وجوها قبالة الشعب لتسلكه.

[(4)] ذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب): «أنه هاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبليين وهو من المهاجرين الأولين» ج 8 ص 226.

[(5)] في (الإصابة) «ابن ربيعة بن الحارث بن حنيفة» ج 10 ص 250 وفي (خ)، (ط) (ابن حبيب).

[(6)] ذكره ابن حجر في (الإصابة) برقم 3513 ج 4 ص 269 وابن عبد البر في الاستيعاب برقم 1080 ج 4 ص 270.

(44/1)

عليه، واتعدوا [(1)] خطم الحجون [(2)] بأعلى مكة، وتعاهدوا هناك على القيام في نقض الصحيفة، وما زالوا حتى شقوها، فإذا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من «باسمك اللهم». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر عمه أبا طالب بأن الله قد أرسل على الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله تعالى.

وعن موسى بن عقبة عن الزهري أن النبي قال لعمه: إن الأرضة لم تترك اسما لله إلا لحسته، وبقي فيها ما كان من (جور) [(3)] أو ظلم أو قطيعة رحم.

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشعب كان له من العمر تسع وأربعون سنة، وكان خروجهم في السنة العاشرة، وقيل: مكثوا في الشعب سنتين، ويقال: إن رجوع من كان مهاجرا بالحبشة إلى مكة كان بعد الخروج من الشعب.

موت خديجة وأبي طالب (عام الحزن)

ومات عقيب ذلك أبو طالب وخديجة، فمات أبو طالب أول ذي القعدة، وقيل: في نصف شوال، ولرسول الله من العمر تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وماتت خديجة رضي الله عنها قبله بخمسة وثلاثين يوماً، وقيل: كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: كان موتهما بعد الخروج من الشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما وسمّاه «عام الحزن» وقال: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه - حاميا له ولا ذابا عنه - (غير أبي طالب) [(4)] .

خروجه إلى الطائف

فخرج ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة يلتمس من ثقيف النصر لأنهم كانوا أخواله، فكلم سادتهم، وهم: عبد ياليل ومسعود

[(1)] في (خ) (وأبعدوا) ، (اتعدوا) : تواعدوا.

[(2)] الحجون: جبل بأعلى مكة عنده أهلها، وقال السكري: مكان من البيت على ميل ونصف. (معجم البلدان) ج 2 ص 225.

[(3)] مكان هذه الكلمة بياض بالأصل (خ) وما أثبتناه يتمم المعنى.

[(4)] زيادة يتم بها المعنى.

(45/1)

وحبيب بنو عمر بن عمير، ودعاهم إلى نصره والقيام معه على من خالفه. فردّوا عليه رداً قبيحاً، وأغروا به سفاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان، وزيد يقيه بنفسه حتى لقد شجّ في رأسه شجاجاً، فرجع عنهم يريد مكة، حتى إذا كان بنخلة [(1)] قام يصلي من جوف الليل.

إسلام النفر من جنّ نصيبين

فمر به من جن نصيبين اليمن سبعة نفر فاستمعوا إليه (وهو يقرأ القرآن ثم ولّوا - بعد فراغه من صلاته) [(2)] - إلى قومهم منذرين، قد آمنوا فأجابوا.

إقامته بنخلة

وأقام بخلة أياما،

فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم مكة وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه.
ويقال: كان إيمان الجن برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وله من العمر خمسون سنة وثلاثة أشهر، وذكر ابن إسحاق أن إسلام الجن قبل الهجرة بثلاث سنين.

عودته إلى مكة في جوار المطعم بن عديّ

ويقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عاد من الطائف وانتهى إلى حراء بعث رجلا من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليخبره حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره.

إسلام الطفيل الدوسيّ ذي النور

ودخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة فأقام بها وجعل يدعو إلى الله، فأسلم (الطفيل) [(3)] بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم [(4)] بن فهم الدوسيّ، ودعا له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل الله له آية، فجعل الله له في وجهه

[(1)] واد بمكة (معجم البلدان ج 5 ص 277) .

[(2)] في (خ) «فاستمعوا إليه بعد فراغه من صلواتهم إلى قومهم» والصواب ما أثبتناه، راجع (تفسير الطبري) ج 26 ص 30 (عند تفسير سورة الأحقاف الآية 29) .

[(3)] بياض بالأصل (خ) .

[(4)] في (خ) «سالم» والتصويب من (الاستيعاب) رقم 1274 ج 5 ص 220.

نورا، فقال: يا رسول الله، أخشى أن يقولوا هذا مثلا، فدعا له فصار النور في سوطه، فهو المعروف بذي النور.

ودعا الطفيل قومه دوسا إلى الله، فأسلم بعضهم، وأقام في بلاده حتى قدم على [(1)] رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر في نحو ثمانين بيتا.

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات

(ثم أسري) [(2)] برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده - على الصحيح من قول صحابة - من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا البراق صحبة جبريل عليه سلام، فنزل ثم (أم) [(3)] بالأنبياء عليهم السلام ببيت المقدس فصلى بهم. ثم عرج تلك الليلة من هناك إلى السموات السبع ورأى بها الأنبياء على منازلهم، ثم عرج إلى سدرة المنتهى ورأى جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله بها، وفرضت [(4)] عليه الصلوات الخمس تلك الليلة. وكان الإسراء في قول محمد بن شهاب الزهري قبل الهجرة بثلاث سنين، قيل: بسنة واحدة، وقيل: وله من العمر إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر، قيل: كان الإسراء بين بيعتي الأنصار في العقبة، وقيل: كان بعد المبعث بخمسة عشر شهرا، وقال الحري: كان ليلة سبعة وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وعورض من قال: إنه كان قبل الهجرة بسنة، بأن خديجة صلت معه بلا خلاف، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، والصلاة إنما فرضت ليلة الإسراء، وأجيب بأن صلاة خديجة كانت غير المكتوبة، بدليل حديث مسلم [(5)] أنه صلى ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء، فتبين أن الصلاة كانت مشروعة

[(1)] زيادة يقتضيها التصويب. انظر ابن هشام ج 2 ص 24.

[(2)] بياض في (خ) والتكملة من (ط) .

[(3)] بياض في (خ) ، وما أثبتناه من (ط) ، وانظر (ابن هشام) ج 2 ص 33 «رواية الحسن لحديث الإسراء» .

[(4)] بياض في (خ) وانظر (ابن هشام) ج 2 ص 39 و (مسلم بشرح النووي) ج 2 ص 238.

[(5)] (صحيح مسلم بشرح النووي) ج 2 ص 209 باب الإسراء وفرض الصلوات.

في الجملة، كما كان قيام الليل واجبا قبل الإسراء بلا خلاف، وفي رواية عن الزهري: كان بعد المبعث.

وهما يقوي قول الحربي أنه عين الليلة من الشهر من السنة، فإذا تعارض خبران أحدهما فصلّ القصة والآخر أجملها، ترجحت رواية من فصلّ بأنه أوعى لها. وقال ابن إسحاق: أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، ويقال كان ليلة السبت لسبع عشر خلت من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا، وهو صلى الله عليه وسلم نائم في بيته ظهرا. وقيل: كان ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة من شعب أبي طالب، وكانت سنّة صلى الله عليه وسلم حين الإسراء اثنتين وخمسين سنة [(1)] .

وقيل - وقد حكي عن حذيفة وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم -: إن الإسراء كان بروحه صلى الله عليه وسلم، وقيل: كان بجسده إلى بيت المقدس، ومن هناك إلى السموات بروحه. وقيل: أسري به وهو نائم في الحجر، وقيل: كان في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، وفرضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين، وإنما كانت قبل الإسراء صلاة بالعشي، ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين ركعتين.

فلم يرع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس من صبيحة ليلة الإسراء فصلى به الظهر، ولهذا سميت الأولى، ثم صلى بقية الخمس في أوقاتها فصارت بعد الإسراء خمسا ركعتين ركعتين حتى أتمت أربعاً بعد الهجرة إلى المدينة بشهر. وقد اختلف أهل العلم: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء أم لا؟ فلما أصبح صلى الله عليه وسلم في قومه بمكة أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم إياه واستصراؤهم عليه، وارتد جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة، فأخبرهم بقدم عير يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف، قال ابن إسحاق: ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون.

[(1)] ذكر ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ج 1 ص 108: «فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به» .

عرض نفسه على القبائل

(ثم عرض) [(1)] نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام، وهم: بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مزة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثلعة بن عكابة، وكندة، وكنب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم [(2)] ، وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع [(3)] . وقد اقتصر الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلة قبيلة، ويقال: إنه صلى الله عليه وسلم بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام، ثم أتى كلبا، ثم بني حنيفة، ثم بني عامر، وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟

هذا، وعمه أبو لهب وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب! وكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعون من قريش فيه: إنه كاذب، إنه ساحر، إنه كاهن، إنه شاعر!! أكاذيب يقترفونه بما حسدا من عند أنفسهم وبغيا، فيصغي إليهم من لا تمييز له من أحياء العرب. وأما الألباء فإنهم إذا سمعوا كلامه صلى الله عليه وسلم وتفهموه شهدوا بأن ما يقوله حقّ وصدق، وأن قومه يفترون عليه الكذب، فيسلمون.

أول أمر الأنصار

وكان مما صنع الله للأنصار - وهم الأوس والخزرج - أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم بني قريظة والتضير - يهود المدينة - أن نبيا مبعوث في هذا الزمان، ويتوعدون الأوس والخزرج به إذا حاربوا فيقولون: إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم. وكانت الأنصار - وهم الأوس والخزرج - تحج البيت فيمن يحجه من العرب، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله رأوا أمارات الصدق عليه لائحة، فقالوا: والله هذا الذي توعدكم يهود به فلا تسبقنكم إليه.

[(1)] بياض في (خ) ، والتكملة من ابن هشام ج 2 ص 50.

[(2)] في (خ) : الخطيم، والتصويب من ابن سعد ج 8 ص 150.

[(3)] في ابن هشام ج 2 ص 54: «أبو الحيسر أنس بن رافع» .

سويد بن الصامت

وكان سويد بن الصامت [(1)] بن خالد بن عطية بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي، وهو ابن خالة عبد المطلب بن هاشم: أمه ليلى بنت عمرو من بني عدية بن النجار، وهي خالة عبد المطلب بن هاشم، قد قدم مكة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه القرآن، فلم يبعد منه ولم يجب، ثم قدم إلى المدينة فقتل في بعض حروبهم يوم بعث [(2)] .

إسلام إياس بن معاذ

ثم قدم أبو الحيسر أنس، وقيل: بشر بن رافع «مكة» في فتية من قومه بني عبد الأشهل يطلبون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام، فقال منهم إياس بن معاذ - وكان شابا حدثا - :
يا قوم والله خير مما جئنا له، فضرب أبو الحيسر وجهه وانتهره فسكت. وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف القوم إلى المدينة ولم يتم لهم حلف، فمات إياس مسلما فيما يقال [(3)] .

أصحاب العقبة الأولى

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة من منى في الموسم ستة نفر، كلهم من الخزرج، وهم يخلقون رءوسهم، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: إنه النبي الذي توعدكم [(4)] به يهود فلا تسبقنكم إليه، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدقوا، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرار بن

[(1)] في ابن هشام ج 2 ص 52 «ابن صامت» . وفي الإصابة ج 5 ص 41 «ابن

الصامت» وهو لم يعد من الصحابة لأنه لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا.

[(2)] في (خ) «بغاث» وهو تصحيف، ويوم بعث: بين الأوس والخزرج في الجاهلية (ابن

سعد) ج 1 ص 219، (أيام العرب في الجاهلية): ص 73-84.

[(3)] في (الاستيعاب) ج 1 ص 235: «فأخبرني من حضر عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون

يهلل لله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه مات مسلما، و (ابن هشام) ج 2 ص 54.

[(4)] في (خ) «بوعدكم» وما أثبتناه من (ابن هشام) ج 2 ص 55.

عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وعوف بن الحارث بن رفاعه ابن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم (ويقال له: عوف بن عفراء) ، ورافع ابن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، وقطبة بن عامر بن حديدة (ويقال: قطبة بن عمرو بن حديدة) بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن الخزرج، وعقبة بن عامر بن نايي [(1)] بن حرام، وجابر بن عبد الله رباب [(2)] بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا مبادرة إلى الخير.

إسلام الأنصار

ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة فذكروا لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعوهم إلى الإسلام، ففشا فيهم، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمر العقبة الثانية

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر - منهم تسعة من الخزرج، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر، ومعاذ بن الحارث بن رفاعه (أخو عوف بن عفراء) ، وذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، وعبادة بن الصامت ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة (ويقال: يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني فران (بن بلي) [(3)] ابن عمرو بن الحاف بن قضاة وكنيته أبو عبد الرحمن - وثلاثة من الأوس، وهم: أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم (وكان يقال

[(1)] في (خ) : «ابن ثايي» والتصويب من (ط) وفي ابن هشام: «عقبة بن عامر بن نايي بن زيد بن حرام» ج 2 ص 57.

[(2)] في (خ) «رباب» وفي (ط) «رئاب» وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج 2 ص 108.

[(3)] في (خ) ما بين القوسين «من بني» وفي (ط) «بن بلي» وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج 11 ص 64.

لأبي الهيثم: ذو السيفين من أجل أنه كان يتقلد بسيفين في الحرب) ، وعويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف، والبراء بن معرور [(1)] بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ابن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة- فأسلموا.

بيعة العقبة الثانية

وقد كان معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ أبو بكر وعلي رضي الله عنهما، فبايعوه عند العقبة على الإسلام كبيعة النساء [(2)] ، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال فبعث معهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدريّ [(3)] ، ويقال: وعبد الله بن أم مكتوم، ليعلمنا من أسلم القرآن ويدعوا [(4)] إلى الله.

إسلام بني عبد الأشهل

فنزلا بالمدينة على أبي أمامة أسعد بن زرارة فخرج بهما إلى دار بني ظفر، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم، فأتاهم أسيد بن حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وسعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل، وهما سيّدا بني عبد الأشهل. فدعاهما مصعب إلى الإسلام فهدهما الله وأسلما، ودعيا قومهما إلى الله، فما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وقد أسلموا- إلا الأصيرم عمرو بن ثابت بن وقش- فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد.

أول المهاجرين بالمدينة

ويقال: أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير، ثم أتى بعده عمرو

[(1)] في (خ) «بن معر» وما أثبتناه من (ابن هشام) ج 2 ص 61.

[(2)] بيعة النساء في الآية 12 من سورة الممتحنة.

[(3)] في (خ) «العبدريّ» وفي (الإصابة) ج 9 ص 208 ترجمة رقم 7996 «ابن قصي بن

كلاب العبدري» نسبة إلى عبد الدار.

[(4)] في (خ) «ليعلمان، ويدعوان» وهو خطأ من الناسخ، وما أثبتناه حق اللغة.

(52/1)

ابن أم مكتوم [(1)] . ولم يزل مصعب بن عمير يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عدّة مسلمون- إلا بني أمية بن زيد (وخطمة) ووائل وواقف، فإنّهم تأخر إسلامهم.

أول من جمّع بالمسلمين

وكان مصعب يؤمّ بمن أسلم، وجمع بهم يوماً وهم أربعون نفساً في هزم حرة نقيع الخضعات [(2)] ، وبهذا جزم أبو محمد بن حزم. وعند ابن إسحاق: أن أول من جمع بهم أسعد بن زرارة، ثم عاد إلى مكة وأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمن أسلم، فسره ذلك.

بيعة العقبة الأخيرة

ثم كانت بيعة العقبة ثانياً وقد وافى الموسم خلق من الأنصار ما بين مشرك ومسلم، وزعيمهم البراء بن معرور. فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد، واجتمعوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذي الحجة وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة وهم ثلاثة وسبعون [(3)] رجلاً وامرأتان هما: أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو [(4)] وأسماء بنت عمر بن عدي بن نايي. وجاءهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه عمه العباس، وهو على دين قومه، وأبو بكر وعليّ رضي الله عنهما، فأوقف العباس علياً على فم الشعب عينا له، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا له، وتكلم العباس أولاً يتوثق لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم [فقال: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز ومنعة في بلده، وإنه قد أبلى إلا الانحياز

[(1)] عبد الله بن أم مكتوم، وعمرو بن أم مكتوم: اسمان لشخص واحد، يقول ابن حجر في

«الإصابة» ج 7 ص 83 «وقال ابن سعد: أهل المدينة يقولون: اسمه عبد الله، وأهل العراق

يقولون: اسمه عمرو، واتفقوا على نسبه» .

[(2)] في (خ) «بقيع الخضعات» ، والتصويب من (ابن هشام) ج 2 ص 58.
[(3)] «وقال ابن إسحاق: إنما شهدها سبعون رجلا وامرأتان» (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص 423.

[(4)] في المرجع السابق «أم أبان نسيبة بنت كعب» وفي (خ) «نسيبة بنت عمرو بن كعب» ، وفي (ابن هشام) ج 2 ص 63 «أم عمارة» .

(53/1)

إليكم والذوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قالت الأنصار: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. فتكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلا [(1)] القرآن ورغبهم في الإسلام، وشرط عليهم أن يمنعوهم مما يمنعون منه نساءهم. فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: والذي بعثك لئمنعك مما تمنع منه أزرنا [(2)] ، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب. فاعترض الكلام أبو الهيثم بن تيهان فقال: يا رسول الله إننا بيننا وبنى الناس حبالا وإنا قاطعوها، فهل عسيت [(3)] إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أنتم مني وأنا منكم، أسلم من سالمتم، وأحارب من حاربتم، في كلام آخر.

وتكلم العباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، فأحسن ما شاء في شد العقد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: ابسط يدك. فبايعوه.

أول من بايع

وكان أولهم مبايعة أبو أمامة أسعد بن زرارة، وقيل: أو الهيثم بن التيهان، وقيل: البراء بن معرور، وقيل: إن العباس بن عبد المطلب هو الذي كان يأخذ عليهم البيعة. وكانت بيعتهم على أن يمنعوهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزهرهم [(4)] .

أمر النقباء الاثني عشر

وأقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم اثني عشر نقيباً هم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع بن عمرو

بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ [(5)] ، (وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة

[(1)] هذه التكملة ساقطة من (خ) وأكملناها من ابن هشام ج 2 ص 63.

[(2)] الأزر: جمع إزار وهو الثوب، كناية عن النساء كالفراش، وقد تكون كناية عن الأنفس.

[(3)] يريدون بها الشك، ورجاء أن لا يكون ذلك.

[(4)] الأزر هنا: كناية عن الأنفس.

[(5)] في (خ) «الأعز» والتصويب من (ابن هشام) ج 2 ص 65.

(54/1)

ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج [(1)] ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة [(2)] (وهو والد جابر بن عبد الله وقد أسلم ليلتذ) ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي سلمة (ويقال ابن أبي حزيمة) بن ثعلبة ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خنيس ابن حارثة بن لوازن بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج، وعبادة بن الصامت، فهؤلاء تسعة من الخزرج. ومن الأوس ثلاثة: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط [(3)] ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم [(4)] بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير [(5)] بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس (وهو أبو لبابة، وقيل اسمه مبشر [(6)] بن عبد المنذر) ، ويقال: بل الثالث من الأوس: أبو الهيثم مالك بن التيهان [(7)] ، وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود [(8)] ،

فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أن يميلوا على أهل منى بأسياقهم، فقال: لم تؤمر بذلك. فرجعوا وعادوا إلى المدينة.

بدء الهجرة إلى المدينة

واشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في الهجرة

- [(1)] زيادة من المرجع السابق لتمام العدد وهو ساقط من (خ) .
- [(2)] في (خ) «سليمة» ، والتصويب من المرجع السابق.
- [(3)] في (خ) «ابن الحارث» والتصويب من المرجع السابق.
- [(4)] في (خ) «ابن أسلم» والتصويب من المرجع السابق.
- [(5)] في (خ) «زنيرا، وفي (ط) «زبر» وفي المرجع السابق «زبر» وفي (الإصابة) ج 3 ص 282 يقول ابن حجر في الترجمة رقم 1952: «رفاعة بن زبر بزاي ونون وموحدة وزن جعفر. ذكره ابن ماكولا. وقال: له صحبة. واستدركه ابن الأثير، وأنا أظن أنه رفاعة بن عبد المنذر بن زبر» .
- ويقول في ج 3 ص 284 في الترجمة رقم 1958 «رفاعة بن عبد المنذر.. أحد ما قيل في اسم لبابة» .
- [(6)] في (خ) «بشر» ، وفي (ط) «مبشر» .
- [(7)] يقول ابن سعد في (الطبقات) ج 1 ص 220: «ومن الأوس رجالان: أو الهيثم بن التيهان من بلي حليف في بني عبد الأشهل، ومن بني عمرو بن عوف عويم بن ساعدة» .
- [(8)] في المرجع السابق: «فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء» .

(55/1)

إلى المدينة، فبادروا إلى ذلك وتجهزوا إلى المدينة في خفاء [(1)] وستر وتسللوا، (فيقال: إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة) وجعلوا يتراقدون [(2)] بالمال والظهر ويتراقون. وكان من هاجر من قريش وحلفائهم (يستودع دوره وماله) [(3)] رجلا من قومه، فمنهم من حفظ من أودعه، ومنهم من باع، فممن حفظ وديعته [(4)] هشام بن الحارث بن حبيب، فمدحه حسان.

أول من هاجر بعد العقبة الأخيرة

وخرج أول الناس أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [(5)] ، ومعه امرأته أم سلمة [(6)] هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فاحتبست دونه ومنعت من اللحاق به، ثم هاجرت بعد سنة، وقيل: بل هاجر أبو سلمة رضي الله عنه قبل العقبة الأخيرة. وقيل: أول من هاجر مصعب بن عمير [(7)] ثم هاجر عمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وبلال، ثم هاجر عمر بن الخطاب في عشرين

راكبا، ثم تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة أرسالا [(8)] حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما - أقاما بأمره هما - وإلا من اعتقله المشركون كرها.

اتنمار قريش به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخروجه واستخلافه عليا فحذرت قريش خروج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتوروا بدار الندوة، وكانوا خمسة عشر رجلا، وقيل: كانوا مائة رجل، أيحسبوه في الحديد ويغلقوا عليه بابا؟ أو يخرجوه من مكة؟ أو يقتلوه؟ ثم اتفقوا على قتله. ويسمى اليوم الذي اجتمعوا

-
- [(1)] في (خ) «خفي» .
 - [(2)] يترافدون: يتعاونون، والظَّهر: ما يركب .
 - [(3)] ما بين القوسين زيادة يتم بها المعنى، وفي (خ) مكان هذه الزيادة «دره» .
 - [(4)] في (خ) «وداعته» .
 - [(5)] «واسمه عبد الله» (ابن هشام) ج 2 ص 80.
 - [(6)] ثم هي بعد ذلك أم المؤمنين زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 - [(7)] ذكره ابن الجوزي في (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص 467.
 - [(8)] جمع رسل بفتحيتين، أي يتبع بعضهم بعضا.

(56/1)

فيه يوم الزحمة [(1)] ، فأعلمه الله بذلك .

فلما كان العتمة اجتمعوا على باب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرصدونه حتى ينام فيشبون عليه . فلما رأهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر عليا بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على فراشه ويتشح [(2)] ببرده الحضرمي الأخضر، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك . فقام عليّ مقامه عليه السلام وغطى ببرد أخضر، فكان أول من شرى نفسه [(3)] وفيه نزلت: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** [(4)] وخرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رءوسهم وهو يتلو الآيات من:

يس* **وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** [(5)] إلى قوله: **فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** [(5)] . فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه، وانصرف . وهم ينظرون عليا فيقولون: إن محمدا لنائم، حتى أصبحوا، فقام علي من

الفراس [(6)] ، فعرفوه. وأنزل الله تعالى في ذلك:
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ [(7)] ،
وسأل أولئك الرهط عليا رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لا أدري،
أمرتموه بالخروج فخرج، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم (دخلوا عليه) [(8)]
فأدى أمانة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هجرة الرسول وأبي بكر

ولما خرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى أبا بكر فأعلمه أنه يريد الهجرة. وقد جاء أنه أتى أبا بكر
بالحاجرة [(9)] وأمره أن يخرج من عنده، وأعلمه أن الله قد أذن له في الخروج،
فقال أبو بكر رضي الله عنه: الصحبة يا رسول الله؟ قال: الصحبة.
فبكى من

-
- [(1)] راجع (عيون الأثر) ج 1 ص 177.
 - [(2)] كذا في (خ) والصواب: «يتسجى» أي يتغطى.
 - [(3)] في (خ) «بنفسه» ، وشرى نفسه أي باعها.
 - [(4)] الآية 207/ البقرة.
 - [(5)] الآيات من 1-9/ يس.
 - [(6)] في (خ) عن الفرس.
 - [(7)] الآية 30/ الأنفال
 - [(8)] كذا في (خ) ولعلها «ثم خلوا عنه» .
 - [(9)] الهجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر (المعجم الوسيط) ج 2 ص 973.

(57/1)

الفرح. فاستأجر عبد الله بن أريقط الليثي من بني الدئل من بني عبد بن عدي، ليدهما على
الطريق. وخرجا من خوخة [(1)] في بيت أبي بكر، ومضيا إلى غار بجبل ثور، فلم يصعدا الغار
حتى قطرت قدما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دما، لم يتعود الحفية ولا الرعية ولا الشقوة [(2)]
[(2)] ، وعادت قدما أبي بكر كأخما صفوان.
وعمى الله على قريش خبرها فلم يدروا أين ذهبوا. وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح [

(3) [عليهما غنمه، وكانت أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنها تحمل لهما الزاد إلى الغار، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمع لهما ما يقال عنهما بمكة ثم يأتيهما بذلك. وجاءت قريش في طلبهما إلى ثور وما حوله، ومروا على باب الغار وحاذت أقدامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه، وقد نسج العنكبوت وعششت حمامتان على باب الغار، وذلك تأويل قوله تعالى: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا] (4) .

وبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لرآنا. فقال له: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟.

وعمى الله على قريش، وقد قفا [(5)] كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة [(6)] بن عبد نهم [(7)] بن حليل بن حبشية أثر النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى الغار، فرأى عليه نسج العنكبوت، فقال: ها هنا انقطع الأثر، فلم يهتدوا إليهما، ورجعوا فنادوا بأعلى مكة وأسفلها: من قتل محمدا وأبا بكر فله مائة من الإبل.

ويقال: جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله دينته، فلما مضت ثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما في الغار أتاهما دليلهما، وقد سكن الطلب عنهما ومعهما بغيرهما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من أبي بكر رضي الله عنه بالثمن، وقد

(1) [باب صغير كالنافذة.

(2) [الحفية: المشي بغير نعل، والرعية: أرض فيها حجارة ناتئة (المعجم الوسيط) ج 1 ص 356.

(3) [يريح الإبل والغنم: يردها من العشي إلى مراحلها حيث تأوي ليلا.

(4) [الآية 40/ التوبة.

(5) [قفا الأثر: تتبعه.

(6) [في (خ) «حرينة» .

(7) [في (خ) «فهم» والتصويب من (ط) .

كان أبو بكر قد أعدّها قبل ذلك، وأعد جهازه وجهاز رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم منتظرا متى يأذن الله لرسوله في الخروج، وعلف ناقتيه أربعة أشهر، فركب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الجداء.

وروي في حديث مرسل أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال: مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما، ما لنا طعام إلا البربر (يعني الأراك) ،
وخرجا من الغار سحر ليلة الاثنين لأربع خلون من ربيع الأول، وقيل: أول يوم منه، وقيل: كانت هجرته في صفر، وسنه صَلَّى الله عليه وسلّم ثلاث وخمسون سنة على الصحيح، وقيل: خمس وخمسون، وقيل: خمسون، ومعهما سفرة أتت بها أسماء ابنة أبي بكر. وكان خروجه من الغار في الصباح، فصلى عليه السلام بأصحابه جماعة، فكان صَلَّى الله عليه وسلّم أول من (جمع) بالمسلمين في صلاة الفجر) [(1)] وساروا وقد أردف أبو بكر رضي الله عنه عامر بن فهيرة، وسار عبد الله بن أريقط أمامهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء بقديد، وذلك بعد العقبة بشهرين ولبال. وقال الحاكم [(2)] : بثلاثة أشهر أو قريبا منها، وقال الليث: حدثني عقيل عن ابن شهاب [(3)] أنه قال: كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ثلاثة أشهر أو قريب منها. كانت بيعة الأنصار رسول الله ليلة العقبة في ذي الحجة، وكان عمره لما هاجر ثلاث وخمسون سنة.

خبر سراقه

ولما مروا بجي مدلج بصر بهم سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو ابن تميم بن مدلج [(4)] ، فركب جواده ليأخذهم، حتى إذا قرب من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم

[(1)] بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

[(2)] المستدرک للحاکم ج 2 ص 625.

[(3)] هو: ابن شهاب الزهري: عالم الحجاز والشام، مات سنة (123 هـ) (ط) ص 41.

[(4)] في الإصابة ج 4 ص 127: ابن مدلج، بن مرة، بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي:

أسلم يوم الفتح، ومات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وهو القائل مخاطبا لأبي جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا ... رسول برهان فمن ذا يقاومه

وذكر السهيلي في الروض الأنف ج 2 ص 233 وابن كثير في البداية والنهاية ج 3 ص 228

البيتين السابقين بالزيادة الآتية بعدهما:

وسمع قراءته ساخت يدا فرسه في الأرض إلى بطنها، وكانت أرضا صلبة، وثار من تحتها مثل الدخان، فقال: ادع لي يا محمد ليخلصني الله، ولك علي أن أراد عنك الطلب فدعا له، فتخلص فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية، فساخت قوائم فرسه أشد من الأول. فقال: يا محمد، قد علمت أن هذا من دعائك عليّ، فادع لي ولك عهد الله أن أردّ عنك الطلب، فدعا له فخلص، وقرب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: يا رسول الله خذ سهما من كنانتي فإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت. فقال: لا حاجة لي في إبلك. فلما أراد أن يعود عنه قال: كيف بك يا سراقا إذا سوّرت بسواري كسرى! قال: كسرى بن هرمز! قال: نعم.

وسأل سراقا أن يكتب له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا، فكتب له أبو بكر رضي الله عنه، ويقال: بل كتب له عامر بن فهيرة، في أديم [(1)] ورجع يقول للناس: قد كفيتم ما هاهنا، ويرد عنهم الطلب.

إسلام بريدة وقومه

ولقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سحابة [(2)] فأسلموا بعد ما دعاهم إليه، واعتذروا بقلّة اللبن معهم وقالوا: مواشينا شحصص، أي جافّة [(3)] وجاءوه [(4)] بلبن فشربه وأبو بكر، ودعا لهم بالبركة.

[()]

عليك فكف القوم عني فإنني ... أخال لنا يوما ستبدي معامله
بأمر تود النصر فيه فإنهم ... وإن جميع الناس طرا مسالمه
وفي رواية أخرى:

عليك بكف القوم عنه فإنني ... أرى أمره يوما ستبدو معامله
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طرا يسالمه

وقد قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه: دعا سراقا فألبسه، فقال سراقا: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز (من الإصابة بتصرف). ونسبه في (خ) «ابن عمرو بن مالك بن تيم» والصواب ما أثبتناه من الإصابة.

- [(1)] الأديم: الجلد المدبوغ يكتب فيه.
 [(2)] في (خ) «لحاية» .
 [(3)] في (خ) «حانة» .
 [(4)] في (خ) «وجاءه أبو بكر بلبن» .

(60/1)

خبر أم معبد

ولقي أيضا أوس بن حجر الأسلمي، فحمله صلى الله عليه وسلم على جمل وبعث معه غلاما له يقال مسعود (بن هنيذة) [(1)] ليؤديه إلى المدينة. ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيمتي أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف [(2)] بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة، فقال [(3)] عندها. وأراها الله تعالى من آيات نبوته في الشاة- وحبها لبنا كثيرا وهي حائل [(4)] في سنة مجديّة- ما بجر عقلها. ويقال: إنّها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها، وسفّرتهم منها بما وسعته سفرتهم [(5)] وبقي عندها أكثر لحمها.

وقالت أم معبد: لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها إلى عام الرمادة- وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة- وكنا نخلبها صبوحا [(6)] وغبوقا، وما في الأرض قليل ولا كثير [(7)] .

- [(1)] زيادة من (ابن هشام) ج 2 ص 98.
 [(2)] في (خ) «خفيف» ، وذكر ابن حجر في ترجمة أخيها «حبيش» رقم 1603 ج 2 ص 210 «ابن خالد بن سعد منقذ بن ربيعة» .
 [(3)] من القيلولة، وهي النوم نصف النهار.
 [(4)] في (خ) «حافل» وهو خطأ، والحائل التي لم تحمل سنتين فجفّ لبنها.
 [(5)] السّفرة: طعام يصنع للمسافر وما يحمل فيه هذا الطعام (المعجم الوسيط) ج 1 ص 433.
 [(6)] الصّبوح: شراب الصباح (المعجم الوسيط) ج 1 ص 505.
 والغبوق: ما يشرب بالعشي وما يخلب بالعشي (المرجع السابق) ج 2 ص 643.
 [(7)] وذكر أبو نعيم في (دلائل النبوة) ج 2 ص 337، حديث رقم 238:

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن عبد العزيز، وحدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني، ومحمد بن موسى الحلواني، وحدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق السراج قال:

حدثنا مكرم بن محرز الكعبي الخزاعي، قال: حدثني أبي محرز بن مهدي، عن هشام عن أبيه هشام، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خرج من مكة، خرج منها مهاجرا هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر ابن فهيرة، ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط، فمروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحما وقرما ليشتروا منها، فلم يصبوا عندها شيئا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين، فنظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أفتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: بأي أنت وأمي، نعم، إن رأيت بها حلبا فاحلبها.

(61/1)

[()] فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسح ضرعها بيده، وسمى الله عز وجل، ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه، ودرت، واجترت، فدعا بإناء يريض الرهط، فحلب فيها ثجا، حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت، وسقي أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراضوا.

ثم حلب ثانيا بعد بدء، حتى مالأ الإناء، ثم غادره عندها وباعها، ثم ارتحلوا عنها، فقال: ما لبثت إذ جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلا، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب حائل، ولا حلوبة في البيت، قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا، فقال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاعة، حسن الخلق، لم تبعه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دمع، وفي أشفاره عطف، وفي صوته سهل، وفي عنقه سطح، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نذر ولا هذر، كأن منطق خرزات نظم تحدرن، ربعة، لا بائن من طول، ولا تفتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، هو انظر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء

يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا معتد.
قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن
أصعبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا. فأصبح صوت بمكة عاليا، يسمعون ولا يدرون من
صاحبه:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالوا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنهم ... به من فعال لا تجازي وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدا للمؤمنين بمرصد
سلوا أحتكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صريحا صرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب ... يردد في مصدر ثم مورد
فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري الهاتف، شبّ يجاوب الهاتف وهو يقول:
لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحلّ على قوم بنور مجدد
هداهم بعد الضلالة ربهم ... فأرشدهم، ومن يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفها ... عمايتهم، هاد به كل مهتدي
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحي الغد
ليهن أبا بكر سعادة جدّه ... بصحبته، من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدا للمؤمنين بمرصد
والأبيات باختلاف يسير في (ديوان حسان) ص 376-377.

(62/1)

[()] قال أبو أحمد بن بشر بن محمد: حدثنا عبد بن وهب قال: بلغني أن أم معبد هاجرت
وأسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواه أبو أمية محمد بن إبراهيم بن بشر بن
محمد مثله:

شرح غريب هذا الحديث:

البرزة من النساء: الجلدة، تظهر للناس ويجلس إليها القوم.
مرملين مسنتين: المرمل: الذي قد نفذ زاده، والمستنين: هم الذين أصابتهم السنة، وهي المجاعة.
قال أبو عبيد: إذا قال: يال فلان: فذلك في الاستغاثة بالفتح، ويال المسلمين، وإذا أراد التعجب والنداء قال: يال فلان بالكسرة.
كسر الخيمة: هو مؤخرها، وفيه لغتان: كسر وكسر، وقال بعضهم: الكسر هو في مقدمة الخيمة.
فتفاجت عليه: فرجت رجلها كما تفعل التي تحلب.
بريض الرهط: أي ينهههم مما يجتريهم لكثرتة إذا شربوه.
فحلب فيها ثجًا: يعني سيلا، وكذلك كل سيل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الحج فقال: العج والثج، فالعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج سيل دماء الهدي.
أراضوا: أصل هذا في صب اللبن على اللبن، والمعنى: شرب لبن صب على لبن.
غادره عندها: تركه.
يسوق أعنزا تساوكن هزلا: التساوكن المشي الضعيف.
والشاة عازب: يعني قد عزبن عن البيت فخرجن إلى المرعى:
الحيل: التي ليست بحوامل، جمع حائل.
ظاهر الوضاعة: يعني الجمال، والوضيء: الجميل.
والمتبلج الوجه: الذي فيه إضاءة ونور.
لم تعبته تجلة: معناه عظم البطن، تقول: فليس هو كذلك.
لم تزر به صعلة: تريد صغر الرأس، يقال: رجل صعل.
وسيم قسيم: كلاهما هو الجمال.
في عينيه دعج: هو سواد الحدقة، يقال: رجل أدعج وامرأة دعجاء.
في أشفاره عطف: وكذلك كل مستطيل مسترسل.
في صوته سهل: وهو شبيه بالبحح، وليس بالشديد منه، ولكنه حسن، وبذلك توصف الطباء.
في عنقه سطم: هو الطول، يقال منه: رجل أسطم وامرأة سطماء، وهذا مما يمدح به الناس.
والأزج: هو الملقوس الحاجبين، وأما الأقرن: فهو الذي التقى حاجباه بين عينيه.
منطقه لا نزر ولا هذر: فالنزر: القليل، والهذر: الكثير، تقول قصد بين ذلك.
لا تقتحمه عين من قصر: تقول: لا تزدريه فتنبذه، ولكن تقبله وتهابه.
محفود محشود: فالمحفود: المخدم، قال تعالى: بَيْنَ وَحَفْدَةٍ، ومحشود: هو الذي قد حشده أصحابه، وحقوا حوله، وأطافوا به صلى الله عليه وسلم.

وهذا الحديث أخرجه الحاكم في (المستدرک) 9/3، من طرق كلها عن حزام بن هشام بسنده وقال:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ثم ذكر ما يستدل به على صحته وصدق رواته.

(63/1)

مقدمه إلى المدينة

وكان المهاجرون قد استتبطنوا قدوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغ الأنصار مخرجه من مكة وقصده إياهم، وكانوا كل يوم يخرجون إلى الحرة ينتظرونه فإذا اشتد الحر عليهم رجعوا، فلما كان يوم الاثنين - الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من المبعث - وافى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة حين اشتد الضحَاء [(1)] ، ونزل إلى جانب الحرة وقد عاد المهاجرون والأنصار بعد ما انتظروه على عادتهم.

فكان بين المبعث إلى أول يوم من المحرم الذي كانت الهجرة بعده اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل.

وقيل: قدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول، وقيل: خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة سنة منه حين اشتد الضحَاء، وقيل: دخل لهُلال ربيع الأول، وقيل: يوم الاثنين لليلتين خلتا منه، وقال ابن شهاب للنصف منه، وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل، وهو اليوم العشرون من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للإسكندر الأكبر (وهو الرابع من تير ماه) [(2)] .

عمره يوم بعثته وهجرته

وقيل: أقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد المبعث عشر سنين، منها خمس سنين يخفي ما جاء به، وخمس سنين يعلن بالدعاء إلى الله تعالى. وقيل: بعث وله خمس وأربعون سنة فأقام بمكة عشرا وبالمدينة ثمانيا، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين، وهذا قول شاذ.

ولم يختلفوا أنه بعث على رأس أربعين سنة من عمره، وأنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وإنما اختلفوا في إقامته بمكة بعد ما أوحى إليه، وأصح ذلك ما رواه سعيد بن جبیر، وعكرمة، وعمرو بن دينار، وأبو جمره نصر بن عمران الضبي، عن ابن عباس أنه قال: مكث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث عشرة سنة [(3)] ، ووافق ذلك ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن عليّ مثل ذلك، فإن أصح ما قيل: أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

-
- [(1)] الضحاء: يرتفع النهار ويشتد وقد الشمس.
[(2)] كذا في (خ) ولم أجدها فيما عندي من مراجع.
[(3)] تاريخ الطبري ج 2 ص 387.

(64/1)

أول من رآه من أهل المدينة

وكان أول من بصر برسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم رجل من يهود كان على سطح أطم [(1)] له فنادى بأعلى صوته: يا بني قبيلة [(2)] ، هذا جدكم الذي تنتظرون، فخرج الأنصار بالمهاجرين في سلاحهم، فلقوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة، وحيّوا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بتحية النبوة وقالوا: اركبا آمنين، فركب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم [(3)] وأبو بكر رضي الله عنه وحفوا حولهما بالسلاح، فقبل في المدينة: جاء نبيّ الله فاستشرفوا [(4)] نبي الله صَلَّى الله عليه وسلّم ينظرون إليه، وأقبل يسير حتى نزل على أبي القيس (كلثوم) بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، وقيل: بل نزل على سعد بن خيثمة، والأول أثبت. فجاء المسلمون يسلمون عليه وأكثرهم لم يره بعد، فكان بعضهم يظنه أبا بكر. حتى قام أبو بكر رضي الله عنه حين اشتد الحر يظلل على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بثوب، فتحقق الناس حينئذ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم.

إقامته بقباء

وأقام في بني عمرو بن عوف الاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج يوم الجمعة، ويقال: بل أقام (بقباء) [(5)] في بني عمرو بن عوف ثلاثا وعشرين ليلة، ويقال: بل أقام بقباء أربع عشرة ليلة، ويقال: خمسا، ويقال: أربعا، ويقال: ثلاثا فيما ذكر الدولابي.

إسلام عبد الله بن سلام ومخبريق

وأسس حينئذ مسجد قباء، وأتاه عبد الله بن سلام فأسلم (ثم أسلم) [(6)]

- [(1)] الأطم: الحصن أو البيت المرتفع.
- [(2)] بنو قبيلة: هم الأنصار، وقبيلة: جدة لهم.
- [(3)] في (خ) «فركب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بتحية النبوة وأبو بكر» وهو خطأ من الناسخ.
- [(4)] الاستشراف: الخروج للقاء.
- [(5)] بياض في (خ) .
- [(6)] زيادة للسياق.
- إمتاع الأسماع ج 1- م 3

(65/1)

مخبريق اليهودي [(1)] .

خبر ناقة رسول الله
وركب بأمر الله تعالى وسار على ناقته والناس معه عن يمينه وشماله قد حشدوا ولبسوا السلاح،
وذلك ارتفاع النهار من يوم الجمعة،
فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا: هلم يا رسول الله إلى القوة والمنفعة والثروة، فيقول لهم
خيرا، ويقول: دعوها فإنها مأمورة، وفي رواية: إنها مأمورة خلوا سبيلها
فلما أتى مسجد بني سالم جمّع بمن كان معه من المسلمين، وهم إذ ذاك مائة، وقيل: كانوا أربعين،
وخطبهم، وهي أول جمعة أقامها صَلَّى الله عليه وسلّم في الإسلام.

أول خطبة للرسول بالمدينة

وكانت أول خطبة خطبها أنه قام فيهم فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها
الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن [(2)] أحدكم ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع، ثم
ليقولنّ له ربه- ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك؟ وآتينك مالا
وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فليظننّ [(3)] يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن
قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّة من تمرّة فليفعل، ومن
لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.
والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته.

منزله على أبي أيوب الأنصاري

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرة به، وقد أرخى زمامها، حتى جاءت دار بني

-
- [(1)] في (عيون الأثر) ج 1 ص 208: «قال ابن إسحاق: وكان حبرا عالما غنيا كثير الأموال، وكان يعرف صفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفته وما يجد من علمه». وفي المرجع السابق: «وقال الواقدي: كان مخيريق أحد بني النضير، حبرا عالما فآمن برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعل ماله له وهو سبعة حوائط» أي بساتين.
- [(2)] يعني يخر ميتا أو كالميت.
- [(3)] في (خ) فلينظر. والتصويب من (ابن هشام) ج 2 ص 105.

(66/1)

النجار- موضع مسجده الآن- فبركت ثم نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول.

وقيل: إن جبار بن صخر من بني سلمة- وكان من صالحى المسلمين- جعل ينخسها لتقوم منافسة لبني النجار أن ينزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندهم فلم تقم، فنزل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهما، وحمل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف [(1)] بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري رحل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منزله، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت عنده.

أول ما أهدي إليه

وأول هدية أتته قصعة مثرودة خبزا وسمنا ولبنا جاءه بها زيد بن ثابت من عند أمه، فأكل وأصحابه. ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة وفيها عراق [(2)] لحم. فأقام في بيت أبي أيوب سبعة أشهر، وما كانت تحطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد ابن زرارة كل ليلة، وجعل بنو النجار يتناوبون حمل الطعام إليه [(3)] مقامه في منزل أبي أيوب، وبعثت إليه أم زيد بن ثابت بثرذة مرواة سمنا ولبنا، ونزل أسامة بن زيد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دار أبي أيوب.

مسجده وحجره

واشترى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضع مسجده وكان مربدا [(4)] لسهل وسهيل ابني عمرو - وكانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة - بعشرة دنانير، وفي الصحيح أن بني النجار بذلوه لله تعالى، فبناه مسجده المعروف الآن بالمدينة. وبني الحجر لأزواجه بجانب المسجد وجعلها تسعا: بعضها مبني بحجارة قد رصّت، وسقفها من جريد مطين بطين، ولكل بيت حجرة، وكانت حجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكسية من شعر مربوطة في خشب من عرعر [(5)] .

[(1)] في (خ) : «عبد مناف» ، وما أثبتناه من (ط) .

[(2)] العراق: عظام عليها لحوم رقيقة طيبة.

[(3)] في (خ) عليه.

[(4)] كل مكان أو فناء تحبس فيه الإبل يسمى (مربدا) .

[(5)] العرعر: جنس أشجار وجنات من الصنوبريات (المعجم الوسيط) ج 2 ص 595.

(67/1)

منزل أبي بكر

ونزل أبو بكر رضي الله عنه بالسّنع على خبيب بن إساف (ويقال: يساف) ابن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج (بن الأوس) [(1)] الأنصاري، وقيل: على خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ.

مقدم عليّ ومنزله

وقدم علي رضي الله عنه من مكة للنصف من ربيع الأول ورسول الله بقاء لم يرم [(2)] بعد وقدم معه صهيب. وذلك بعد ما أدى عليّ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الودائع التي كانت عنده، وبعد ما كان يسير الليل ويمكن النهار حتى تفتطرت [(3)] قدماه، فاعتنقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك حتى قتل رضي الله عنه.

ونزل على كلثوم بن الهدم، وقيل: على امرأة، والراجح أنه نزل مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

منزل عثمان

ونزل عثمان بن عفان برقية ابنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منزل سعد بن خيثمة، وكان

صلى الله عليه وسلم يأتيهم هنالك.

بعثة زيد بن حارثة إلى مكة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، ودفع إليهما بغيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه. وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلي بغيرين أو ثلاثة، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أهله: أم رومان، وعائشة، وأسماء. فاشترى زيد

[(1)] زيادة للإيضاح لأنه من الأوس لا من الخزرج.

[(2)] من رام يريم: برح وفارق، وأكثر ما يستعمل منفياً.

[(3)] تشققت.

(68/1)

بالخمسمائة ثلاثة أبعرة بقديد [(1)] ، وقدم مكة فإذا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة، فقدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بانبتيه: فاطمة، وأم كلثوم، وبزوجه سودة بنت زمعة، وبأسامة بن زيد، وأمه أم أيمن رضي الله عنهم. وكانت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد (هاجر) [(2)] بها عثمان رضي الله عنها قبل ذلك. وحبس أبو العاصي زوجته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخرج مع زيد وأبي رافع عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر رضي الله عنه.

موادعة يهود

ووادع [(3)] رسول الله صلى الله عليه وسلم من بالمدينة من يهود، وكتب بذلك كتاباً، وأسلم حبرهم عبد الله بن سلام بن الحارث، وكفر عامتهم وهم ثلاث فرق: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار - وقد أتت لهجرته ثمانية أشهر - فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثاً مقدماً على القرابة. وكان الذين آخى بينهم

تسعين رجلا: خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار، ويقال: خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء، ويقال: إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري. وقال ابن الجوزي: «وقد أحصيت جملة من آخى النبي بينهم، فكانوا مائة وستة وثمانين رجلا» ذكرهم في كتاب التلقيح [(4)] ، وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر، وقيل: بثمانية أشهر.

نسخ توارث المؤاخاة وفرض الزكاة

ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر. ونزل تمام الصلاة أربعا بعد شهر من مقدم

[(1)] قديد: موضع قرب مكة (معجم البلدان) ج 4 ص 313.

[(2)] مطموسة في (خ) .

[(3)] في (خ) : «وأودع» .

[(4)] في (خ) : «النقيح» ، واسمه «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير» ، أو

«تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر التاريخ والأخبار» .

(69/1)

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فتمت صلاة المقيم أربعا بعد ما كانت ركعتين، وأقرت صلاة المسافر ركعتين، وفرضت الزكاة أيضا- رفقا بالمهاجرين رضي الله عنهم- في هذا التاريخ، كما ذكره أبو محمد بن حزم، وقال بعضهم: إنه أعياه فرض الزكاة متى كان.

تحوله من بيت أبي أيوب إلى حجره

وتحول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من منزل أبي أيوب رضي الله عنه إلى حجره لما فرغت، بعد إقامته عنده سبعة أشهر، وخط لأصحابه في كل أرض ليس لأحد، وفيما وهبت له الأنصار من خططها، وأقام قوم من المسلمين- لم يمكنهم البناء- بقاء على من [(1)] نزلوا عنده.

زواجه عائشة

وبنى بعائشة رضي الله عنها بعد مقدمه بتسعة أشهر، وقيل: بثمانية أشهر، وقيل: بثمانية عشر شهرا في يوم الأربعاء من شوال، وقيل: في ذي القعدة، بالسنة في بيت أبي بكر [(2)] .

الأذان للصلوات وتمام الصلاة

وأري عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (الأذان للصلوات) [(2)] ، وقيل:
كان ذلك في السنة الثانية.

وبعد شهر من مقدمه المدينة زيد في صلاة الحضر لاثنتي عشرة خلت من ربيع، قال الدولابي: يوم
الثلاثاء، وقال السهيلي: بعد الهجرة بعام أو نحوه.

فرض القتال

ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بين أظهر الأنصار رضي الله عنهم وتكفلوا
ببصره ومنعه من الأسود والأحمر، رمتهم العرب قاطبة عن قوس واحدة وتعرضوا لهم من كل
جانب.

[(1)] في (خ) «ما» .

[(2)] ساقطة من (خ) .

(70/1)

وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين في الجهاد بقوله تعالى: أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ
اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [(1)] ، فلما صاروا إلى المدينة، وكانت لهم شوكة وعضد، كتب الله
عليهم الجهاد بقوله سبحانه: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [(2)] .

أول لواء عقد بعد فرض القتال

وكان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم - على رأس سبعة أشهر من مقدمه إلى
المدينة - لعمه حمزة بن عبد المطلب على ثلاثين راكبا، شطرين: خمسة عشر من المهاجرين،
 وخمسة عشر من الأنصار، إلى ساحل البحر من ناحية العيص [(3)] (وقيل: لم يبعث صلى
الله عليه وسلم أحدا من الأنصار حتى غزا بنفسه إلى بدر، وذلك أنه ظن أنهم لن ينصروه إلا في
الدار، وهو الثبت) [(4)] .

سرية حمزة إلى سيف البحر

فبلغوا سيف البحر يعترضون عيرا لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب. فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى بينهم مجدي بن عمر (الجهني) [(5)] حتى انصرف الفريقان بغير قتال، وعاد حمزة رضي الله عنه بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما حجز بينهم مجدي، وأنهم رأوا منه نصفة [(6)]. (وقدم رهط مجدي على النبي صلى الله عليه وسلم فكساهم وذكر مجدي بن عمرو فقال: إنه - ما علمت - ميمون النقيبة مبارك الأمر، أو قال: رشيد الأمر) .

وكان لواء حمزة أبيض، يحمله أبو مرثد كنان [(7)] بن حصين، ويقال ابن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف الغنوي.

[(1)] الآية 39/ الحج.

[(2)] الآية 216/ البقرة، وفي (خ) ، إلى قوله تعالى: «خَيْرٌ لَكُمْ» .

[(3)] موضع في بلاد بني سليم به ماء ويقال له ذنبان العيص (معجم البلدان) ج 4 ص 173.

[(4)] الثبت: الصحيح.

[(5)] زيادة للإيضاح من (ط) .

[(6)] إنصافا.

[(7)] في (خ) (كعاد) وفي (ط) (كناز) وفي (تلقيح الفهوم) ص 48 «وحامله أبو مرثد كدّاز بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب» .

(71/1)

سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ

ثم عقد لواء أبيض لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف [(1)] وبعثه، وهو أسفل ثنية المرة [(2)] ، على رأس ثمانية أشهر في شوال، فحمل اللواء مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، فخرج في ستين راكبا من قريش كلهم من المهاجرين، فلقى مكرز بن حفص، وقيل: عكرمة بن أبي جهل، وقيل: أبا سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ، وأبو سفيان في مائتين.

أول من رمى في الإسلام بسهم

وكان أول من رمى في الإسلام بسهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [(3)] :
نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه وقد ترسوا عنه فرمى بما في كنانته، وكان فيها عشرون سهماً، ما
منها سهم إلا ويجرح إنساناً أو دابة، ولم يكن بينهم يومئذ إلا هذا، لم يسألوا سيفاً. ثم انصرف كل
منهما، وفر يومئذ من الكفار إلى المسلمين: المقداد ابن الأسود الكندي، وعتبة بن غزوان.
وقيل: إن لواء عبدة [(4)] هذا هو أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار

[ثم عقد] [(5)] صلى الله عليه وسلم لواء لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار [(6)] حملة أبو
معبد المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد البهراي
[(7)] [وهو المقداد بن الأسود، نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب

[(1)] في (خ) «عبد مناف» مكررة مرتين وهو خطأ من الناسخ.

[(2)] «الثنية في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة» وثنية المرة بأسفلها ماء الحجاز (معجم
البلدان) ج 2 ص 85.

[(3)] (تلقيح الفهوم) ص 465.

[(4)] في (خ) «أبي عبدة» .

[(5)] بياض في (خ) .

[(6)] في (خ) «الخرار» ، وفي (معجم البلدان) ج 2 ص 350: «الخرار: موضع بالحجاز
يقال: هو قرب الجحفة، وقيل: واد من أودية المدينة، وقيل: ماء بالمدينة، وقيل: موضع بخيبر» .
[(7)] نسبة إلى البهراء من غير قياس (هامش ط) ص 53.

(72/1)

ابن عبد مناف لأنه كان تبناه] فخرج في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين أو أحد
وعشرين رجلاً من المهاجرين على أقدامهم، وقيل: بل كانوا ثمانية، فكانوا يكمنون النهار
ويسرون الليل حتى أصبحوا صبح خمس الخرار [(1)] من الجحفة قريباً من خم، يريدون غير
قريش فقاتتهم.
وقد جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة، وجعلها محمد بن إسحاق في

السنة الثانية، وجعل غزوة ودان بعد سرية سعد بن أبي وقاص.

غزوة رسول الله: ودان - الأبواء

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم [ودان] [(2)] وهو جبل بين مكة والمدينة، بينه وبين الأبواء ستة أميال، فخرج في صفر على رأس أحد عشر شهرا يعترض عيرا لقريش، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه، فبلغ الأبواء، فلم يلق كيدا، فوادع بني ضمرة [بن بكر] [(3)] بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مخشي [(4)] بن عمرو - على ألا يكثروا عليه ولا يعينوا عليه أحدا، وكتب بينه وبينهم [(5)] كتابا ورجع، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة. ويقال لهذه أيضا: غزاة الأبواء، وهي أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه. وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة أبيض يحمله حمزة رضي الله عنه.

زواج علي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي صفر هذا زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابنته فاطمة عليها السلام.

غزوة بواط

ثم كانت غزوة بواط من ناحية رضوى في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر

[(1)] في (خ) «الجزار» وخم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة. (معجم البلدان) ج 2 ص 389.

[(2)] بياض في (خ) .

[(3)] زيادة من (ابن هشام) ج 2 ص 170.

[(4)] في (خ) «مجدي» والتصويب من المرجع السابق.

[(5)] في (خ) «وبينه» .

(73/1)

شهرها [من مهاجره] [(1)] ، فخرج صلى الله عليه وسلم يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير. وخرج معه صلى الله عليه وسلم مائتان من

أصحابه وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وقيل:
السائب بن عثمان بن مظعون، ورجع ولم يلق كيدا.

غزوة سفوان، وهي بدر الأولى

ثم خرج صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا [من مهاجره] [(2)] في طلب كرز بن جابر الفهري- وقد أغار على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها- حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر ولم يدركه، وهي بدر الأولى. وكان يحمل اللواء علي رضي الله عنه، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، ويقال: كانت سفوان بعد العشرة بنحو عشر ليال.

غزوة العشرة

[ثم غزا غزوة] [(2)] العشرة [(3)] في جمادى الآخرة، ويقال جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهرا [من مهاجره] [(4)] خرج صلى الله عليه وسلم يعترض غيرا لقريش حين أبدأت [(5)] إلى الشام، ومعه خمسون ومائة رجل، ويقال: خرج معه مائتا رجل، يتعقبون ثلاثين بعيرا، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وحمل اللواء حمزة. وكان قد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر بفصول [(6)] العير من مكة تريد الشام، قد جمعت قريش أموالها في تلك العير. فبلغ صلى الله عليه وسلم ذا العشرة [(7)] ببطن ينبع، فأقام بقية الشهر

[(1)] ساقطة من (خ) والتصويب من (تلقيح الفهوم) ص 49.

[(2)] بياض في (خ) .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (المغازي) ج 1 ص 12 «ذي العشرة» ، وفي (التلقيح) ص 50 «ذات العشرة» «ويقال بالسين» .

وفي «ابن هشام» : ج 2 ص 176 «ويقال فيها أيضا العسيرة والعسراء، وفي البخاري أن قتادة سئل عنها فقال: «العشير» .

والعشيرة «من ناحية ينبع بين مكة والمدينة» معجم البلدان ج 4 ص 127.

[(4)] زيادة للإيضاح.

[(5)] في (خ) «أبدت» والصواب «أبدأت» بمعنى خرجت من أرض غيرها.

[(6)] الفصول: مصدر فصل بمعنى خرج، قال تعالى: وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ 94/ يوسف.

[(7)] في (خ) «العشراء» .

وليالي مما بعده، وصالح بني مدج وحلفاءهم بني ضمرة، ورجع ولم يلق كيدا. وهذه هي العير التي خرج في طلبها صلى الله عليه وسلم لما عادت وكانت وقعة بدر.

تكنية علي بن أبي طالب أبا تراب

وفي هذه السفارة

كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا تراب، في قول بعضهم، وقد مر به نائما تسفي عليه الريح التراب فقال: قم يا أبا تراب، ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين: عافر الناقة، والذي يضربك على هذا فيخضب هذه! [يعني على رأسك فيخضب لحيتك بدمك] وفي صحيح البخاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد نائما وقد ترب جنبه فجعل يمسح [(1)] التراب عن جنبه ويقول: قم أبا تراب [(2)] .

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي إلى بطن نخلة [وهو بستان ابن عامر الذي يقرب مكة] [(3)] في رجب على رأس سبعة عشر شهرا، دعاه صلى الله عليه وسلم حين صلى العشاء فقال: واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها، قال:

فوافيت الصبح وعلي سيفي وقوسي وجعبي ومعني درقتي، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس الصبح ثم انصرف، فيجديني قد سبقت واقفا عند بابه، وأجد نفرا من قريش، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتابا [(4)] ، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خولاني [(5)] فقال: قد استعملتك على هؤلاء النفرا،

[(1)] في (خ) «تحت» .

[(2)] «قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي عليا أبا تراب: أنه كان إذا عتب علي فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيء تكرهه، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه» (ابن هشام) ج 2 ص 178.

- [(3)] [معجم البلدان] ج 5 ص 278 .
[(4)] [المغازي] ج 1 ص 13 « فأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتب كتابا » .
[(5)] « خولان: من مخاليف اليمن » ، « وقرية قرب دمشق » ، فلعل الأديم منسوب إلى أحدهما (معجم البلدان) ج 2 ص 407 .

(75/1)

فامض، حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي ثم امض لما أنت فيه [(1)] ، قلت:
يا رسول الله أي ناحية؟ قال: اسلك النجدية تؤم [(2)] ركبة [(3)] فانطلق عبد الله في ثمانية- وقيل: اثني عشر من المهاجرين- كل اثنين يتعاقبان بعيرا، حتى إذا كان بيثر ابن ضميرة نشر الكتاب فإذا فيه: سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته: فترصد بها غير قريش. فلما قرأه عليهم قالوا أجمعين: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك، فسر على بركة الله.

فسار حتى جاء نخلة فوجد عيرا لقريش فيها عمرو بن الحضرمي خارجا نحو العراق، والحكم بن كيسان المخزومي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، فهاجم أصحاب العير، وأنكروا أمرهم، فحلق عكاشة ابن محصن بن حريثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي [حلقه عامر بن ربيعة] ثم وافى ليطمئن القوم. فقال المشركون:

لا بأس! قوم عمار [(4)] ، فأمنوا وقيدوا ركبهم وسرحوها، وتشاور المسلمون في أمرهم- وكان آخر يوم من رجب ويقال أول يوم من شعبان [(5)] فقالوا: إن تأخرتم عن هذا اليوم دخلوا الحرم [(6)] فامتنعوا، وإن أصبتموهم ففي الشهر الحرام. فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا وقتلوهم. فرمى واقد [(7)] بن عبد الله [بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم التميمي اليربوعي الحنظلي] عمرو بن الحضرمي فقتله. وشد القوم عليهم، فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وحكم ابن كيسان- وكان الذي أسر الحكم بن كيسان المقداد بن عمرو، فدعاه رسول الله إلى الإسلام فأسلم وقتل بيثر معونة شهيدا. وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن

[(1)] [المغازي] ج 1 ص 13 « ثم امض لما فيه » .

[(2)] تؤم: تقصد.

[(3)] في (خ) «ركبه» وفي المغازي «ركية، وركبة» بين مكة والطائف «معجم البلدان» ج 3 ص 63.

[(4)] عمّار: معتمرون يريدون أداء العمرة.

[(5)] في (الكامل) ج 2 ص 114 «آخر يوم من رجب» وفي (المغازي) ج 1 ص 14 «وكان آخر يوم من رجب ويقال: آخر يوم من شعبان» وفي (ابن سعد) ج 2 ص 10 «وشكوا في ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا؟» وفي (ابن هشام) ج 2 ص 179 «وذلك في آخر يوم من رجب» .

[(6)] أي الأشهر الحرم.

[(7)] في (خ) «وافد» .

(76/1)

المغيرة- واستاقوا العير- وكانت محملة خمرا وأدما وزبيبا- حتى قدموا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام. فأوقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العير فلم يأخذ منها شيئا، وحبس الأسيرين، وقال لأصحابه: ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، فسقط [(1)] في أيديهم وظنوا أنهم قد هلكوا.

وبعثت قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فداء أصحابهم فقال: لن نفديهما حتى يقدم صاحبانا، يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب [(2)] بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف [بن الحارث] بن مازن المازني، وكانا زميلين، فضل بيجران [(3)] (وهي ناحية معدن بني [(4)] سليم) بعيرهما، فأقاما يومين يبغيانه فلم يشهدا نخلة.

ثم قدما المدينة ففادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ الأسيرين بأربعين أوقية لكل واحد، وكان عبد الله بن جحش قد قسم في رجوعه من نخلة أربعة أخماس ما غنم بين أصحابه، وعزل الخمس لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أول خمس وأول غنيمة وأول قتيل وأول أسير

فكان أول خمس خمّس في الإسلام، وأول غنيمة، وأول قتيل وأول أسير كان في الإسلام ويقال:

إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف غنائم أهل نخلة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر، وأعطى كل قوم حقهم [(5)] .

وفي هذه الغزاة نزل قول الله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا لَهُ مِن شَيْءٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [(6)] .

- [(1)] «سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ»: ندموا على ما فعلوا «انظر الآية 149/ الأعراف» .
- [(2)] في (خ) «لسيب» .
- [(3)] في (خ) «بحران» .
- [(4)] في (خ) «ابن سليم» .
- [(5)] [(ابن سعد) ج 2 ص 11 .
- [(6)] الآية 217/ البقرة، وفي (خ) إلى قوله تعالى: قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ.

(77/1)

ويقال ودى [(1)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن الحضرمي، والصحيح أنه لم يده.

أول من سمي أمير المؤمنين في الإسلام

وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين.

وذكر أبو بكر بن شيبه في مصنفه: حدثنا أبو أمامة، عن مجالد، عن زياد ابن علاقة [(2)] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة جاءت جهينة فقالت: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأمنك [(3)] وتأمنا، فأوثق لهم ولم يسلموا [(4)] فبعثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رجب - ولا نكون مائة - وأمرنا أن نغير على حي من كنانة إلى جنب جهينة. قال: فأغرنا عليهم، وكانوا كثيرا فلجأنا إلى جهينة [فمنعونا] [(5)] وقالوا: لم تقاتلوا في الشهر الحرام، فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقالوا: نأتي رسول الله فنخبره، وقال بعضنا:

لا بل نقيم هاهنا، وقلت أنا، في أناس معي: لا بل نأتي غير قريش هذه فنصيبها [(6)] ،

فانطلقنا إلى العير- [وكان الفيء إذ ذاك- من أخذ شيئا فهو له- فانطلقنا إلى العير] [(7)]
وانطلق أصحابنا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمرا وجهه فقال:
أذهبتم [(8)] من عندي جميعا وجئتم متفرقين! إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة. لأبعثن
عليكم رجلا ليس بخيركم، أصبركم على الجوع والعطش.
فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير [أمر] [(9)] في الإسلام.

أول ما نسخ من الشريعة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

وفي شعبان على رأس ستة عشر شهرا، وقيل: على رأس سبعة عشر

-
- [(1)] وديه: أعطى دينه لوليه (المعجم الوسيط) ج 2 ص 1022.
[(2)] حديث زياد عن سعد بن أبي وقاص حديث مرسل لأنه لم يدرك سعدا، وقد مات سنة
135 وقد قارب المائة. (هامش ط) ص 58.
[(3)] في (المسند) ج 1 ص 178 «حتى نأتيك» .
[(4)] المرجع السابق «فأسلموا» .
[(5)] زيادة من المرجع السابق.
[(6)] المرجع السابق «فتقتطعها» .
[(7)] زيادة للإيضاح من المرجع السابق.
[(8)] في (خ) «ذهبتم» والتصويب من (المسند) .
[(9)] زيادة من المرجع السابق.

(78/1)

شهرا [(1)] ، حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فكان أول شيء نسخ من الشريعة
القبلة [(2)] ، وأول من صلى إليها أبو سعيد رافع، ويقال: الحارث، ويقال: أوس بن المعلی
بن نفع بن المعلی بن لوذان بن خالد بن زيد بن ثعلبة الزرقی الأنصاري وصاحب له [(3)] .
ثم صلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس الظهر إليها يومئذ.
ويقال حولت القبلة في يوم الاثنين النصف من رجب بعد زوال الشمس، قبل قتال بدر بشهرين،
ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجد بني سلمة [(4)] ، وقد صلى بأصحابه من صلاة
الظهر ركعتين، فتحول في صلاته واستقل الميزاب من الكعبة، وحول الرجال مكان النساء

والنساء مكان الرجال، فسمي المسجد «مسجد القبلتين» . ويقال: صرفت في الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين في منزل البراء بن معرور، وقيل: صرفت في صلاة الصبح.

فرض صيام رمضان وزكاة الفطر

وفي شعبان هذا فرض صوم رمضان وزكاة الفطر قبل العيد بيومين، وقال ابن سعد: قبل فرض زكاة الأموال، وقيل: إن الزكاة فرضت فيها، وقيل: قبل الهجرة. وكان المسلمون يصومون عاشوراء، فلما فرض رمضان لم يؤمروا بصيام عاشوراء ولم ينهوا عنه.

غزوة بدر الكبرى

وفي شهر رمضان هذا كانت غزوة بدر، وهي الواقعة العظيمة التي فرق الله

[(1)] القول الأول ذكره الطبري بسنده عن سعيد بن المسيب، والقول الثاني ذكره أيضا بسنده عن البراء.

راجع (تفسير الطبري) ج 2 ص 3، و (تفسير القرطبي) ص 532، 533 (ط. الشعب) وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) ج 3 ص 252 «في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا» .
[(2)] راجع (تفسير القرطبي) ص 534.

[(3)] ذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج 1 ص 238 أن «عباد بن نهيك بن إساف الشاعر بن عدي ابن زيد بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك الأوس» «هو الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين في الظهر ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة يوم صرفت القبلة، ثم أتى قومه بني حارثة وهم ركوع في صلاة العصر فأخبرهم بتحويل القبلة فاستداروا إلى الكعبة.
[(4)] في (خ) «بني سليمة» .

(79/1)

تعالى فيها بين الحق والباطل، وأعز الإسلام ودمغ الكفر وأهله.

ما فيها من دلائل النبوة

وجمعت الآيات الكثيرة والبراهين الشهيرة: بتحقيق الله ما وعدهم من إحدى الطائفتين، وما

أخبرهم به من ميلهم إلى العير دون الجيش، ومجيء المطر عند الالتقاء، وكان للمسلمين نعمة وقوة، وعلى الكفار بلاء ونقمة، وإمداد الله المؤمنين بجند من السماء حتى سمعوا أصواتهم حين قالوا: أقدم حيزوم، ورأوا الرءوس ساقطة من الكواهل من غير قطع ولا ضرب، وأثر السياط في أبي جهل وغيره، ورمى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين بالحصى والتراب حتى عمّت رميته الجمع، وتقليل الله المشركين في عيون المسلمين ليزيل عنهم الخوف ويشجعهم على القتال، وإشارة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مصارع المشركين بقوله: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه وذكره،

وقوله عليه الصلاة والسلام لعقبة بن أبي معيط: إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبياً] (1) [فحقق الله ذلك،

وإخباره عمه العباس بما استودع أم الفضل من الذهب، فزالت عن العباس رضي الله عنه الشبهة في صدقه وحقيقة نبوته، فازداد بصيرة و يقينا في أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحقيق الله للمؤمنين [من الأسرى]] (2) [وعده إذ يقول: إِنَّ يَعْزَمُ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ] (3) [، فأعطى العباس بدل عشرين أوقية- عشرين غلاما تجروا بماله، وإطلاع الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ائتمار عمير ابن وهب وصفوان بن أمية بمكة على قتله عليه السلام فعصمه الله من ذلك، وجعله سببا لإسلام عمير بن وهب وعوده إلى مكة داعيا للإسلام ... إلى غير هذا من الآيات والمعجزات التي أعطاها الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأراها من معه من المؤمنين فزادتهم بصيرة و يقينا، ورد عين قتادة بعد ما سألت على حدقته، وقيل: كان ذلك في وقعة أحد. فكانت غزوة بدر أكرم المشاهد.

أول الخروج إلى بدر

وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تحين انصراف العير التي خرج من أجلها إلى

[(1)] قتله صبياً: حسبته حتى مات (المعجم الوسيط) ج 1 ص 506.

[(2)] زيادة من (ط) .

[(3)] من الآية 70 / الأنفال.

العشيرة وإقبالها من الشام، ندب أصحابه للخروج إلى العير وأمر من كان ظهره [(1)] حاضرا بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالا كبيرا، وكان قد بعث طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة القرشي التيمي، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسسان [(2)] خبر العير فبلغا التجار [(3)] من أرض الحوراء [(4)] فنزلا على كشد [(5)] الجهني فأجارهما وأنزلهما وكنتم [(6)] عليهما حتى مرت العير، ثم خرج بهما يخفرهما حتى أوردتهما ذا المروة، فقدما المدينة ليخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العدو فوجداه قد خرج. وكان قد ندب المسلمين وخرج بمن معه يوم السبت الثاني عشر من رمضان بعد تسعة عشر شهرا من مهاجره، [وقيل: خرج لثمان خلون من رمضان وذلك بعد ما وجه طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بعشر ليال] فخرج معه المهاجرون وخرجت الأنصار ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك.

فنزل بالبقع [ويقال لها بئر أبي عنبة، وهي على ميل من المدينة] ، والتقى على أربع مراحل من المدينة، وهي بيوت السقيا، يوم الأحد لثني عشرة خلت من رمضان.

عرض المقاتلة وردّ الصغار

فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلة [(7)] ، فرد عبد الله بن عمرو، وأسامة بن

[(1)] [الظهر: ما يركب.

[(2)] [في (خ) «يتحسسان» . وفي (تاريخ الطبري) ج 2 ص 433 «يتحسسان» ، وفي

(المغازي) ج 1 ص 19 والتحسس بالحاء: أن تتسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك،

وفي الحديث: «لا تجسسوا ولا تحسسوا» (ابن هشام) ج 2 هامش ص 182.

[(3)] [كذا في (ط) وفي (ابن سعد) ج 2 ص 11.

[(4)] [الحوراء: مرفأ سفن مصر إلى المدينة، وفي قول الأصمعي: ماء لبني نبهان من طيّ قرب

ماء يقال له القلب لبني ربيعة من بني نمير (معجم البلدان) ج 2 ص 316 وفي (المغازي)

«بالنخار» ج 1 ص 19.

[(5)] [في (خ) «كشد» بالشين والبدال (المغازي) ج 1 ص 19 وفي الإصابة ج ص 287

«كسد» بالسين المهملة ترجمة رقم 7398.

[(6)] [في (خ) «وكنتمه» .

[(7)] [في (خ) «المقابلة» .

زيد، ورافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم الأنصاري الخزرجي [(1)] ، والبراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة [(2)] بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري [الأوسي] [(3)] الحارثي، وأسيد بن حضير ابن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، وزيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغرّ الأنصاري الخزرجي، وزيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري، ولم يجزهم. وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره فقال: ارجع، فبكى، فأجازه. فقتل بيدر وهو ابن ست عشرة سنة. وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستقوا من بئر السقيا وشرب من مائها، وصلى عند بيوت السقيا.

دعاؤه لأهل المدينة وتحريم حرمها

ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال: اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك و نبيك دعاك لأهل مكة، وإني محمد عبدك و نبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم و مدهم [(4)] و ثمارهم، اللهم وحبب إلينا المدينة، واجعل ما بها من الوباء بجم [(5)] ، اللهم إني حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة.

عيونه و خروج المسلمين إلى المشركين

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدي بن أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهني، وبسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان

[(1)] رافع هذا «أوسيّ» «وليس خزرجيّ» ، وترجمته رقم 1802 في الإصابة ج 3 ص 36

كما يلي:

«رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسيّ الحارثي» .

[(2)] قال في (الإصابة) «ولم يذكر ابن الكلبي في نسبه مجدعة وهو أصوب» ج 1 ص 234

ترجمة رقم 615.

[(3)] زيادة للإيضاح.

[(4)] الصاع والمدّ من المكابيل.

[(5)] خمّ: على ميلين من الجحفة.

(82/1)

الذبيانيّ [الجهنيّ] [(1)] من بيوت السقيا.

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة عبد الله بن أم مكتوم، وراح عشية الأحد من بيوت السقيا، وخرج المسلمون معه وهم ثلاثمائة وخمسة، ويقال كانت قريش ستة وثمانين رجلا، والأنصار مائتين وسبعة وعشرين رجلا. وقيل: كانت قريش ثلاثة وسبعين رجلا، والأنصار أربعين ومائتي رجل، وتخلف عنه ثمانية ضرب لهم بسهامهم وأجورهم.

هذا الحديث رواه محمد بن حرب، حدثنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن عمرو بن سليم الزرقنيّ، عن عاصم بن عمرو، عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ائتوني بوضوء، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال: اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبِرْكَةِ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُو لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي مَدْهَمٍ وَصَاعِهِمْ مِثْلَ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبِرْكَةِ بِرَكْتَيْنِ.

قلة الظَّهر يوم بدر ودعاؤه للمقاتلة

وكانت الإبل سبعين بعيرا، فكانوا يتعاقبون الإبل - الاثنين والثلاثة والأربعة - فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد، ويقال: زيد بن حارثة مكان مرثد [(2)] ، يتعاقبون بعيرا واحدا. وحمل سعد بن عبادة على عشرين جملا، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين فصل [(3)] من بيوت السقيا: «اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حَفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، وَعِرَاةٌ فَكْسِهِمْ، وَجِيَاعٌ فَاشْبِعْهُمْ، وَعَالَةٌ [(4)] فَأَغْنِهِمْ مِنْ فَضْلِكَ، فَمَا رَجَعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَّا وَجَدَ ظَهْرًا، لِلرَّجُلِ الْبَعِيرِ وَالْبَعِيرَانَ، وَاكْتَسَى مِنْ كَانَ عَارِيًا، وَأَصَابُوا طَعَامًا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ [(5)] ، وَأَصَابُوا فِدَاءَ الْأَسْرَى فَاغْتَنَى بِهِ كُلُّ عَائِلٍ.

[(1)] كذا في (المغازي) ج 1 ص 24.

[(2)] كذا في (المغازي) ج 1 ص 24.

[(3)] فصل: رحل.

[(4)] العالة: جمع عائل وهو الفقير.

[(5)] الأزواد: جمع زاد وهو الطعام.

(83/1)

تعبئة الجيش وعدّه

واستعمل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على المشاة وهم في السّاقّة [(1)] قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول، وأمره حين فصل من السّقياء أن يعدّ المسلمين، فوقف لهم عند بئر أبي عنبه فعدّهم ثمّ أخبر النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، وقدّم أمامه عينين له إلى المشركين يأتبانه بخبر عدوه، وهما بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء - وهما من جهينة حليفان للأنصار - فانتهاها إلى ماء بدر فعلموا الخبر، ورجعا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم. وسلك من السّقياء بطن العقيق حتى نزل تحت شجرة بالبطحاء، فقام أبو بكر رضي الله عنه فبنى مسجدا فصلى فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وأصبح يوم الاثنين ببطن ملل. وقال لسعد بن أبي وقاص، وهو بتربان: يا سعد، انظر إلى الظبي ففوق له بسهم [(2)] ، وقام صَلَّى الله عليه وسلّم فوضع ذقنه بين منكبي سعد وأذنيه، ثمّ قال:

ارم! اللهمّ سدّد رميته.

فما أخطأ سهم سعد عن نحر الظبي، فتبسم صَلَّى الله عليه وسلّم، وخرج سعد يعدو فأخذه وبه رمق فذكاه [(3)] وحمله حتى نزل قريبا، فأمر به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقسم بين أصحابه [(4)] .

أفراس المسلمين ببدر

وكان معهم فرسان، فرس لمثرد بن أبي مرثد الغنوي، وفرس للمقداد بن عمرو ابن ثعلبة البهراني، ويقال: فرس للزبير، ولم [يكن معهم] [(5)] إلا فرسان، ولا خلاف أن المقداد له فرس يقال له «سبحة» ، ويقال لفرس مرثد «السّيل» ولحقت قريش بالشام في غيرها [(6)] .

[(1)] السّاقّة: مؤخّرة الجيش (المعجم الوسيط) ج 1 ص 464.

[(2)] في (المغازي) ج 1 ص 26 «فأفوق له بسهم» ، واستغربه محقق (ط) .

[(3)] الذّكاة: الذّبح أو النحر (المعجم الوسيط) ج 1 ص 314.

[(4)] الخبر بتمامه في (المغازي) ج 1 ص 26، 27، وقد قال محقق (ط) أنه لم يجد هذا الخبر

فيما بين يديه من كتب.

[(5)] زيادة للبيان، ونصّ الواقدي: «ولم يكن إلا فرسان» (المغازي) ج 1 ص 27.
[(6)] قال (ابن هشام) ج 2 ص 224: «وحدثني بعض أهل العلم أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان يقال له السيل، وفرس المقداد بن عمرو البهراني، وكان يقال له بعزجة، ويقال: سبحة، وفرس الزبير بن العوام وكان يقال له اليعسوب»، «ومع المشركين مائة فرس».

(84/1)

عبر قريش وما فيها

وكانت العير ألف بعير فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له منقال فصاعدا إلا بعثت به في العير، فيقال: إن فيها خمسين ألف دينار، ويقال:
أقل. فأدركهم رجل من جذام بالزرقاء من ناحية معان [(1)] - وهم منحدرون إلى مكة - فأخبرهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيرهم في بدأتهم، وأنه تركه مقيما ينتظر رجعتهم وقد حالف عليهم أهل الطريق ووادعهم.

خوف أصحاب العير وإرسالهم إلى مكة يستنجدون

فخرجوا خائفين الرصد، وبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام - وكانوا قد مروا به وهو بالساحل معه بكران فاستأجروه بعشرين مثقالا - وأمره أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية أن يخبر قريشا أن محمدا قد عرض لعيرهم، وأمره أن يجذع [(2)] بعيره إذا دخل مكة، ويجول رحلة [(2)] ، ويشق قميصه من قبله ودبره [(2)] ، ويصيح: الغوث الغوث، ويقال: بعثوه من تبوك. وكان في العير ثلاثون رجلا من قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل فلم يرع أهل مكة إلا وضمضم يقول: يا معشر قريش، يا آل لؤي بن غالب، اللطيمة [(3)] ، قد عرض لها محمد في أصحابه، الغوث الغوث، والله ما أرى أن تدركوها. وقد جذع أذني بعيره، وشق قميصه، وحول رحله.

تأهب قريش لنجدة العير

فلم تملك قريش من أمرها شيئا حتى نفروا على الصعب والذلول، وتجهزوا في ثلاثة أيام، ويقال في يومين، وأعان قوتهم ضعيفهم. وقام سهيل بن عمرو، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عدي،

وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن أبي سفيان، يحضون الناس، فقال سهيل: يا آل غالب،
أتاركون أنتم محمدا

[(1)] الزرقاء: موضع بالشام بناحية معان، ... وهي أرض شبيب التبعي الحميري، (معجم
البلدان) ج 3 ص 137.

[(2)] أي يقطع أذنيه إنذارا بالشر، وهذا كله من عاداتهم في الإنذار بالشر.

[(3)] اللطيمة: غير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة (المعجم الوسيط) ج 2 ص 827
وفي (البداية والنهاية) ج 3 ص 258 «اللطيمة اللطيمة» .

(85/1)

والصباة [(1)] من أهل يثرب يأخذون عيراتكم وأموالكم؟ من أراد مالا فهذا مال، ومن أراد
قوة فهذه قوة. فمدحه أمية بن [أبي] [(2)] الصلت بأبيات، ومشى نوفل ابن معاوية الديلي
إلى أهل القوة من قريش فكلمهم في بذل النفقة والحملان لمن خرج، فقال عبد الله بن أبي ربيعة:
هذه خمسمائة دينار فضعها حيث رأيت.

وأخذ من حويطب بن عبد العزى مائتي دينار وثلاثمائة دينار قوى بما في السلاح والظهر، وحمل
طعيمة بن عدي على عشرين بعيرا وقواهم وخلفهم في أهله بمعونة، وكان لا يتخلف أحد من
قريش إلا بعث مكانه بعينا، ومشوا إلى أبي لب فأي أن يخرج أو يبعث أحدا، ويقال: إنه بعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة- وكان له عليه دين- فقال اخرج، وديني لك، فخرج عنه [(3)] .
[(3)] . [وكان الدين أربعة آلاف درهم] [(4)] .

استقسامهم بالأزلام وكراهية الخروج إلى بدر

واستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة عند هبل بالآمر والناهي من الأزلام فخرج القدح [(5)]
الناهي عن الخروج. وأجمعوا [(6)] المقام حتى أزعجهم أبو جهل، واستقسم زمعة بن الأسود
فخرج الناهي، وكذلك خرج لعمر بن وهب، وخرج حكيم ابن حزام وهو كاره لمسيره، وقد خرج
له القدح الناهي، فلما نزلوا مّر الظهران [(7)] نحر أبو جهل جزرا [(8)] ، فكانت جزور
منها بما حياة فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها. وأخذ عدّاس [(9)] يخذل
شيبه وعتبة ابني ربيعة

- [(1)] جمع «صاب» غير مهموز، كقاضي وقضاة، فقد كانت قريش تسمي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصابيين، والمسلمين الصباة.
- [(2)] زيادة للبيان والتصويب.
- [(3)] (المغازي) ج 1 ص 33.
- [(4)] زيادة من تاريخ الطبري ج 2 ص 430 «بتصرف» .
- [(5)] القدح: قطعة من الخشب كانت تستعمل في الميسر، الاستقسام هو إطاعة ما يخرج في هذه القدح من أمر أو نهي. (المعجم الوسيط) ج 2 ص 717 بتصرف.
- [(6)] في (خ) «أجمعوا» وفي المغازي «فأجمعوا» ج 1 ص 33، وأجمعوا: عزموا.
- [(7)] في (خ) «من الظهران» ومرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة (معجم البلدان) ج 5 ص 104.
- [(8)] جزر: جمع جزور، وهي الناقة المنحورة.
- [(9)] هو غلام نصراني كان لعبته وشيبة ابنا ربيعة. والتخذيل: تشييط الناصر عن النصر.

(86/1)

عن الخروج، والعاصي بن منبّه بن الحجاج. وأبي أمية بن خلف أن يخرج فأتاه عقبة ابن أبي معيط وأبو جهل فعتفاه، فقال: ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي، فابتاعوا له جملا بثلاثمائة درهم من نعم بني قشير فغنمه المسلمون [(1)] . وما كان أحد منهم أكره للخروج من الحارث بن عامر.

رؤيا ضمضم وعاتكة بنت عبد المطلب

ورأى ضمضم بن عمرو أن وادي مكة يسيل دما من أسفله وأعلاه، ورأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤياها التي ذكرت في ترجمتها [(2)] . فكره أهل الرأي المسير

- [(1)] «فصار في سهم خبيب بن إساف» (المغازي) ج 1 ص 36.
- [(2)] هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت زوج أبي أمية بن المغيرة والد أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورزقت منه عبد الله وقريبة، وغيرهما.

قال أبو عمر: اختلف في إسلامها، والأكثر يأبون ذلك، وفي ترجمة أروى: ذكرها العقيلي في

الصحابة، وكذلك ذكر عاتكة.

وأما ابن إسحاق فذكر أنه لم يسلم من عماته صَلَّى اللهُ عليه وسلّم إلا صفيّة. وذكرها ابن فتحون في ذيل الاستيعاب، واستدل على إسلامها بشعر لها تمدح فيه النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم وتصفه بالنبوة.

وقال الدارقطني في كتاب الإخوة: لها شعر تذكر فيه تصديقها، ولا رواية لها.

وقال ابن مندة - بعد ذكرها في الصحابة: روت عنها أم كلثوم بنت عقبة، ثم ساق من طريق محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، عن أم كلثوم بنت عقبة، عن عاتكة بنت عبد المطلب، قصة المنام الذي رآته في وقعة بدر.

وذكر الزبير بن بكار أنها شقيقة أبي طالب وعبد الله. وقال ابن سعد أسلمت عاتكة بمكة،

وهاجرت إلى المدينة، وهي صاحبة الرؤيا المشهورة في قصة بدر.

قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتهم، عن عكرمة، عن ابن عباس، ويزيد بن رومان، عن عروة ابن الزبير، قالوا: وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال، رؤيا أفرعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفضعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منه شرّ ومصيبة، فأكنتم عني ما أحدثك به، فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكبا أقبل على بعير له، وحتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه. فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث:

ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منه فلقته. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها، ولا تذكرها لأحد، ثم خرج العباس، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان صديقا له - فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة،

(87/1)

ومشى بعضهم إلى بعض، فكان من أبطئهم عن ذلك الحارث بن عامر، وأمّية ابن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وحكيم بن حزام، وأبو البختری، وعلي بن أمّية بن خلف، والعاص بن منبه،

حتى بكتهم أبو جهل بالجبن، وأعانه عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كعدة، فأجمعوا المسير.

خروج قريش والمطعمون في طريقهم

وخرجت قريش بالقيان والدِّفاف يغنين في كل منهل وينحرون الجزر وهم تسعمائة وخمسون مقاتلا. وكان المطعمون: أبو جهل، نحر عشرا- وأمّية بن خلف، نحر تسعا- وسهيل بن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لؤيّ، نحر عشرا- وشيبة بن ربيعة، نحر عشرا- ومنبه ونبية ابنا الحجاج، نحر عشرا- والعباس بن عبد المطلب، نحر عشرا- وأبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد، نحر عشرا. وذكر موسى بن عقبة أن أول من نحر لقريش أبو جهل بن هشام بمّر الظهران، عشر جزائر- ثم نحر لهم صفوان بن أمّية بعسفان تسع جزائر- ثم نحر لهم سهيل بن عمرو بقديد، عشر جزائر- ومضوا من قديد إلى مناة من البحر [(1)] فظلوا فيها وأقاموا يوما، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسع جزائر- ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر- ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس بن قيس [(2)] تسع جزائر- ثم نحر عباس بن عبد المطلب

[()] ففشا الحديث بمكة حتى تحدث به قريش في أنديةها.

شرح غريب هذا الحديث:

مثل به بعيره: قام به.

يا لغدر: بضم الغين والبدال، جمع غدور، تحريضا لهم، أي إن تخلفتم فأنتم غدر لقومكم، وفتحت لام الاستغاثة، لأن المنادي قد وقع موقع الاسم المضمر، ولذلك بني، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة- وهي لام الجرّ فتحت كما تفتح لام الجرّ إذا دخلت على المضمرات. أي قبيس: اسم جبل، سمّي باسم رجل هلك فيه من جرهم، اسمه: قبيس بن شالخ. ارفضت: تفتتت.

(الإصابة ج 8 ص 13 ترجمة رقم 11451، (الاستيعاب) ج 4 ص 11778، (ابن هشام) ج 3 ص 153-154.

[(1)] مناة: صخرة كانوا يعظمونها ويعبدونها.

[(2)] أخو سليم بن قيس (ذكره ابن سعد) ج 3 ص 489.

عشر جزائر - ثم نحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعا - ثم نحر لهم أبو البخترى على ماء بدر
عشر جزائر - ونحر مقيس السهمي على ماء بدر تسعا - ثم شغلتهم [(1)] الحرب فأكلوا من
أزوادهم [(2)] .

عدة أفراسهم وإبلهم

وقادوا مائة فرس عليها مائة دارع سوى دروع في المشاة، وكانت إبلهم سبعمائة بعير، وهم كما
ذكر الله تعالى عنهم بقوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُخِيطٌ [(3)] وأقبلوا في تجمل عظيم وحنق زائد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه لما يريدون من أخذ غيرهم، وقد أصابوا من قبل عمرو بن الحضرمي
والعير التي كانت معه.

وصول عير قريش إلى بدر

وأقبل أبو سفيان بالعير ومعها سبعون رجلا منهم مخزومة بن نوفل وعمرو بن العاص، فكانت
عيرهم ألف بعير تحمل المال، وقد خافوا خوفا شديدا حين دنوا من المدينة واستبطنوا ضمضم بن
عمرو والنفير [(4)] ، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر، جعلت العير تقبل
بوجوهها إلى ماء بدر - وكانوا باتوا [(5)] من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على أن يصبحوا بدرا
إن لم يعترض لهم - فما انقادت لهم العير حتى ضربوها بالعقل [(6)] ، وهي ترجع الحنين تراور
[(7)] إلى ماء بدر - وما

[(1)] في (خ) «شغلهم» .

[(2)] ذكره ابن قتيبة في (المعارف) ص 145 «أسماء المطعمين من قريش في غزوة بدر:

العباس بن عبد المطلب، وعتبة بن ربيعة، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، وأبو
البخترى ابن هشام، وحكيم بن حزام، والنضر بن الحارث بن كلدة، وأبو جهل بن هشام، وأميمة
بن خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، فنزل فيهم: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ (من الآية 36/
الأنفال) .

[(3)] آية 47/ الأنفال، وفي (خ) وَرِئَاءَ النَّاسِ الآية.

[(4)] النفير: القوم ينفرون للقتال. (المعجم الوسيط) ج 2 ص 940.

[(5)] في (خ) «بتوا» .

[(6)] في (خ) «العفل» والتصويب من (المغازي) ج 1 ص 40 والعقل: جمع عقال، وهو

الرباط الذي تربط به قوائم الدابة.

[(7)] في (خ) «تراودا» ولعل الصواب ما أثبتناه. وتراور: أي تميل بأعناقها وتعدل.

(89/1)

بها إلى الماء حاجة، لقد شربت بالأمس - وجعل أهل العير يقولون: هذا شيء ما صنعتته معنا منذ خرجنا، وغشيتهم تلك الليلة الظلمة حتى ما يبصر أحد منهم شيئاً. فأصبح أبو سفيان ببدر قد تقدم العير وهو خائف من الرصد، فضرب وجهه عيره فساحل بها [(1)] ، وترك بدرا يسارا وانطلق سريعا، وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل، يطعمون الطعام من أتايم وينحرون الجزر. وهم عتبة وشيبة أن يرجعا ثم مضيا وقد عنفهما أبو جهل.

رؤيا جهيم بن الصلت

فلما كانوا بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف في منامه رجلا أقبل على فرس معه [(2)] بعير حتى وقف عليه فقال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وزمعة بن الأسود، وأميمة بن خلف، وأبو البخري، وأبو الحكم، ونوفل بن خويلد، في رجال سماهم. وأسر سهيل بن عمرو، وفرّ الحارث بن هشام، وقائل يقول: والله إني لأظنكم [(3)] إلى مصارعكم، ثم رآه كأنه ضرب في لبة [(4)] بعيره فأرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه بعض دمه. فشاعت هذه الرؤيا في العسكر، فقال أبو جهل: هذا نبي آخر من بني المطلب: سيعلم غدا من المقتول، نحن أو محمدا وأصحابه.

نجاة عير قريش وإصرار النفير على البقاء ببدر

وأتايم قيس بن امرئ القيس من أبي سفيان يأمرهم بالرجوع، ويخبرهم أن قد نجت عيرهم: فلا تجزروا [(5)] أنفسكم أهل يثرب، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك، إنما خرجتم لتمنعوا العير وأموالكم، وقد نجاها الله. فعالج قريشا فأبّت الرجوع وردوا القيان من الجحفة. وقال أبو جهل: لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم

[()] قال تعالى: وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ مِنْ الْآيَةِ 17 / الكهف. أي تميل.

[(1)] أي قصد بها الساحل.

- [(2)] في (ط) «ومعه» .
 [(3)] في (خ) «لا أظنكم» .
 [(4)] اللبة من عنق البعير فوق صدره ومنها يذبح.
 [(5)] أي لا تجعلوا أنفسكم ذبائح لأهل مكة.

(90/1)

ثلاثا، نحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدا. وعاد قيس إلى أبي سفيان وقد بلغ الهدّة [(1)] - على تسعة أميال من عقبة عسفان - فأخبره بمضي قريش، فقال: وا قوماه!! هذا عمل عمرو ابن هشام [يعني أبا جهل] [(2)] ، كره أن يرجع لأنه ترأس على الناس فبغى، والبغي منقصة وشؤم، إن أصاب محمد النفير ذلنا.

رجوع الأخنس ببني زهرة عن بدر

ورجع الأخنس بن شريق [واسمه أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج ابن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة] ببني زهرة من الأبواء [(3)] - وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة - فلم يشهد بدرا أحد من بني زهرة إلا رجلا نهما عمّا مسلم ابن شهاب بن عبد الله [(4)] وقتلا كافرين، ويقال: إن الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل لما تراءى الجمعان فقال: أترى محمدا يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط! ولكن إذا كانت في عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة، فأبي شيء بقي لنا؟ فحينئذ الأخنس ببني زهرة [(5)] ورجعت بنو عدي قبل ذلك من مرّ الظهران.

الهاتف بمكة بنصر المسلمين

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل أن قريشا حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه [(6)] :

[(1)] الهدّة بالتشديد: موضع بين مكة والطائف (معجم البلدان) ج 5 ص 395.

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] كذا في (خ) والصواب أنهم رجعوا من الجحفة. راجع (تاريخ الطبري) ج 2 ص 438 و

(ابن سعد) ج 2 ص 14، ولم يذكر من الأبواء إلا (الواقدي في المغازي) ج 1 ص 45.

[(4)] يقول ابن قتيبة في (المعارف) ص 153: «وكان قوم من زهرة» قد خرجوا، فقام «الأخنس بن شريق الثقفي» فيهم - وكان حليفا لهم - فأشار عليهم بالرجوع، فرجعوا ولم يشهد بدرا منهم أحد» .

[(5)] في (خ) «بني زهرة» و«أخنس»: تأخر مستخفيا فرجع.

[(6)] هذه الأبيات في (المغازي للواقدي) ج 1 ص 119 على هذا النحو:

(91/1)

أزار الحنفيون بدرا وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤي وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا
فقال قائلهم: من الحنفيون؟ فقال: هم محمد وأصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف، ثم
لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين.

خبر الأعرابي بعرق الظبية
وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة أربع عشرة بعرق الظبية [(1)] فجاء من تمامة
أعرابي فستل عن أبي سفيان فقال: ما لي به علم، فقالوا له: تعال سلم على رسول الله، قال:
وفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فأيكم هو؟ قالوا: هذا،
قال: أنت رسول الله؟ قال: نعم،
قال: فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقا؟
فقال سلمة بن سلامة بن وقش: نكحتها فهي حبلى منك، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقالته وأعرض عنه. ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من
رمضان، فصلى عند بئر الروحاء، ولما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة.

دعاؤه على أبي جهل وزمعة

وقال: اللهم لا تغفلن أبا جهل فرعون هذه الأمة، اللهم لا تغفلن زمعة بن الأسود، اللهم وأسخن
عين أبي زمعة بزمعة، اللهم وأعم بصر أبي زمعة، اللهم لا تغفلن سهيلا، اللهم أنج سلمة بن هشام
وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين.

[()]

أزار الحنفيون بدرا مصيبة ... سينقض منها ركن كسرا وقيصرا
أرنت له صمّ الجبال وأفزعت ... قبائل ما بين الوتير وخبيرا
أجازت جبال الأخشيين وجردت ... حرائر يضربن الترائب حسرا
الوتير: موضع في ديار خزاعة (معجم ما استعجم) ص 836.
[(1)] عرق الطيبة: بين مكة والمدينة (معجم البلدان) ج 4 ص 108.

(92/1)

خروجه وأمره بالإفطار من الصوم

واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ورده من الروحاء، وقدم
خبيب بن يساف [(1)] بالروحاء مسلما.
وخرج صلى الله عليه وسلم فصام يوما أو يومين ثم نادى مناديه: يا معشر العصاة إني مفطر
فأفطروا، وذلك أنه قد قال لهم قبل ذلك:
أفطروا فلم يفعلوا.

خبر العير الذي برك

وكان رفاعة وخلاد ابنا رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريان، وعبيد
بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو يتعاقبون بعيرا، حتى إذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم وأعياء،
فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله برك علينا بكرنا، فدعا بماء فتمضمض
وتوضأ في إناء ثم قال: افتحاه، ففعلا، ثم صبه في فيه [(2)] ، ثم على رأسه وعنقه، ثم على
حاركه وسنامه، ثم على عجزه، ثم على ذنبه، ثم قال: اركبا، ومضى، فلحقاه وإن بكرهم لينفر [(3)]
بهم، حتى إذا كانوا بالمصلى راجعين من بدر برك عليهم فنحره خلاد، فقسم لحمه
وتصدق به.

المشورة قبل بدر

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان دوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فاستشار
الناس، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قال: يا رسول
الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم

عزها أبدا ولتقاتلنك، فاتهب [(4)] لذلك أهبتة، وأعدّ لذلك عدته، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها:

[(1)] «يساف» و «إساف» .

[(2)] في فيه: في فمه.

[(3)] في (خ) «ليغفر بهم» .

[(4)] كذا في (المغازي) ج 1 ص 48 وفي (ط) «فاتهب» .

وقد أغفلت غالبية كتب السيرة مقالة عمر هذه ولم يزيدوا على قوله: «ثم قام عمر فقال فأحسن» إلا الواقدي في (المغازي) كما أثبتنا.

(93/1)

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [(1)] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما [(2)] مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد [(3)] لسرنا، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا، ودعا له بخير.

مشورة الأنصار

ثم

قال أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وكان يظنهم لا ينصرونه إلا في الدار، لأنهم شرطوا له أن يمنعه [(4)] مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم، فقام [(5)] سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسول الله تريدنا! قال: أجل، قال: إنك عسى أن تكون قد خرجت عن أمر قد أوحى إليك [في غيره] [(6)] فإننا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق فأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا نبي الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت (بنا) [(7)] هذا البحر (فخضته) [(7)] لخضناه معك ما بقي منا رجل، وصل من شئت واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت، والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق قط وما لي بما من علم، وما نكره أن نلقى عدونا، إنا لصبر عند الحرب، صدق [(8)] عند اللقاء، لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عينك. وفي رواية [(9)] أن سعد بن معاذ قال: إنا قد خلفنا من قومنا قوما ما نحن بأشد حبا لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد

ونية، ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدوا ما تخلفوا، ولكن إنما ظنوا أنها العير، نبي لك عريشا فتكون فيه ونعد عندك [(10)] رواحك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأخرى جلست على رواحك فلحقت من وراءنا. فقال له

[(1)] اقتباس من الآية 24/ المائدة.

[(2)] في (خ) «معكم» .

[(3)] برك الغماد: موضع وراء مكة بخمس ليال، وقيل: بلد باليمن (معجم البلدان) ج 1 ص 399 وفي (الروض الأنف) ج 3 ص 45 «أنها مدينة بالحبشة» .

[(4)] في (خ) «يمنعوها» .

[(5)] في (خ) «فقال» .

[(6)] كذا في (خ) وفي (المغازي) ج 1 ص 48 وقال محقق (ط) إنه لم يعرف صوابه!!.

[(7)] زيادة من (ابن هشام) و (الواقدي) .

[(8)] جمع صدق: وهو الثابت عند اللقاء.

[(9)] هي رواية الواقدي، قال: «فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد» .

[(10)] كذا في (خ) و (ط) و (ابن هشام) ، وفي (المغازي) : «ونعد لك رواحك» .

(94/1)

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا، وقال: أو يقضي اللهُ خيرا من ذلك يا سعدا!.

دلالتة على مصارع المشركين يوم بدر

فلما فرغ سعد من المشورة

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم، ثم أراهم مصارعهم يومئذ: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كل رجل مصرعه، فعلم القوم أنهم يلاقون القتال وأن العير تفلت، ورجوا النصر لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عقد الأولوية

ومن يومئذ عقد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأولوية وهي ثلاثة: لواء يحملته مصعب بن عمير، ورايتان سوداوان [(1)] : إحداهما مع عليّ، والأخرى مع رجل من الأنصار، وأظهر السلاح، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود، وسار من الروحاء. وتعجل ومعه قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر [(2)] بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس الظفري، ويقال: بل كان معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أديّ بن سعد بن عليّ ابن أسد بن ساردة بن يزيد [(3)] بن جشم بن الخزرج الأنصاري، وقيل: بل كان معه عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن

[(1)] في (خ) «سوداوتان»، وأمر الأولوية هنا على خلاف ما في كتب السيرة، ففي (المغازي) ج 1 ص 58: «كان لواء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ الأعظم - لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج من الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ»، ونحوه في (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص 51 وفي (ابن هشام) ج 2 ص 186 «قال ابن إسحاق: ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال ابن هشام: وكان أبيض. قال ابن إسحاق: وكان أمام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار». وفي (تلقيح الفهوم) ص 51: «وعقد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ الأولوية، وكان لواء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم، ولواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ».

[(2)] في (خ) «كعب» وهو خطأ والتصويب من (الإصابة) ج 8 ص 138 ترجمة قتادة بن النعمان برقم 707.

[(3)] في (خ) «زيد» وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج 10 ص 104 ترجمة رقم 2416.

(95/1)

ابن النجار المازني.

خبر سفيان الضمريّ

فلقي سفيان الضمريّ

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من الرجل؟ فقال: بل من أنتم؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأخبرنا ونخبرك، قال: وذاك بذاك؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم. قال: فسلوا عما شئتم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخبرنا عن قريش، فقال: بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم يجنب هذا الوادي. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأخبرنا عن محمد وأصحابه، قال: خبرت أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم يجانب هذا الوادي، قال الضمريّ: فمن أنتم؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نحن من ماء، وأشار بيده نحو العراق، فقال (الضمريّ) [(1)] من ماء العراق؟ ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه، ولا يعلم واحد من الفريقين بمنزل صاحبه، بينهم قوز [(2)] من رمل، ومضى فلقبه بسبس وعدي بن أبي الزغباء فأخبراه خبر العير.

خبر العيون وسقاء قريش

ونزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وسبس بن عمرو رضي الله عنهم يتحسسون [(3)] على الماء، وأشار لهم إلى ظرب [(4)] وقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القلب الذي يلي الظرب [(4)] فوجدوا على تلك القلب [(5)] روايا [(6)] قريش فيها سقاؤهم، فأقلت عامتهم وفيهم عجير، فجاء قريشا فقال: يا آل غالب، هذا ابن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سقاؤكم، فماء العسكر وكرهوا ذلك، والسماء تمطر

[(1)] زيادة للإيضاح وهذه الرواية مطابقة لرواية الواقدي في (المغازي) ج 1 ص 50 خلاف ما أثبتته محقق (ط) .

[(2)] القوز: الكثيب العالي من الرمل (المعجم الوسيط) ج 2 ص 766.

[(3)] في (خ) «يتحسسون» بالجيم.

[(4)] ظرب: تصغير ظرب: ككتف، ما نتأ من الحجارة وحدّ طرفه، أو الجبل المنبسط أو

الصغير (ترتيب القاموس) ج 3 ص 120.

[(5)] القلب: البئر القديمة لا يعلم حافر لها.

[(6)] الروايا من الإبل: حوامل الماء.

عليهم، وأخذ تلك الليلة [أبو] [(1)] يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص، وأسلم غلام منبه بن الحجاج، وأبو رافع غلام أمية بن خلف، فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقالوا: [نحن] [(2)] سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهم فضربوهم، فقالوا: نحن لأبي سفيان، ونحن في العير، فأمسكوا عنهم. فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم، ثم أقبل عليهم يسألهم، فأخبره أن قريشا خلف هذا الكتيب.

عدة المشركين يوم بدر

وأهم ينحرون يوما عشرا ويوما تسعا، واعلموه بمن خرج من مكة، فقال صلى الله عليه وسلم: القوم بين الألف والتسعمائة، وقال: هذه مكة قد ألفت [ليكم] [(3)] أفلاذ كبدها.

المشورة في منزل الحرب

واستشار أصحابه في المنزل، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن (حرام بن) [(4)] كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري: انطلق بنا إلى أدنى ماء (إلى) [(5)] القوم فإني عالم بما وبقلبها [(6)] ، بما قليب قد عرفت عذوبة مائه، وماء كثير لا ينزح [(7)] ، ثم نبني عليها حوضا ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغور [(8)] ما سواها من القلب. فقال: يا حباب، أشرت بالرأي، ونهض بمن معه فنزل على القليب ببدر، وبات تلك الليلة يصلي إلى جذم [(9)] شجرة هناك- وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان- وفعل ما أشار به الحباب.

[(1)] زيادة من (ابن هشام) ج 2 ص 189.

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] زيادة لا بد منها.

[(4)] زيادة من نسبه.

[(5)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 15.

[(6)] القلب: جمع قليب.

- [(7)] لا ينزح: لا ينفذ وفي (ابن سعد) «قد عرفت غدوية مائه لا ينزح» ج 2 ص 15 وما أثبتناه من (خ) و (ط) وهي رواية الواقدي في (المغازي) ج 1 ص 53.
- [(8)] نغور: نفسد، في (ابن سعد) ج 2 ص 15 «نغور» ، وفي (المغازي) ج 1 ص 53 «نغور» ، وفي (ط) «نغور» .
- [(9)] جذم الشجرة: ما يبقى من جذعها بعد أن يقطع أعلاه.
- إمتاع الأسماع ج 1- م 4

(97/1)

المطر يوم بدر

وبعث الله السماء، فأصاب المسلمين ما لبد الأرض ولم يمنع من السير، وأصاب قريشا من ذلك ما لم يقدرُوا أن يرتحلوا منه، وإنما بينهم قوز من رمل [(1)] ، وكان مجيء المطر نعمة وقوة للمؤمنين، وبلاء ونقمة على المشركين.

التعاس الذي أصاب المسلمين

وأصاب المسلمين تلك الليلة نعاس ألقى عليهم فناموا حتى إن أحدهم [تكون] [(2)] ذقنه بين ثدييه وما يشعر حتى يقع على جنبه، واحتلم رفاعه بن رافع ابن مالك حتى اغتسل آخر الليل. وبعث صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فأطافا بالقوم، ثم رجعا فأخبراه أن القوم مذعورين، وأن السماء تسحّ عليهم [(3)] .

بناء عريش رسول الله

وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم - لما نزل القليب - عريش من جريد. وقام سعد ابن معاذ على بابه متوشح السيف. ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع الوقعة، وعرض على أصحابه مصارع رءوس الكفر من قريش مصرعا مصرعا، يقول: هذا مصرع فلان، و [هذا] [(4)] مصرع فلان، فما عدا واحد منهم مضجعه الذي حدّ له الرسول. وعدّل صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش فدخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه، وأصبح ببدر يوم الجمعة السابع عشر، وقيل: الثامن عشر من رمضان قبل أن تنزل قريش، فطلعت قريش وهو يصفهم، وقد أترعوا حوضا. ودفع رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم حيث أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يضعها، ووقف

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى الصَّفُوفِ فَاسْتَقْبَلَ الْمَغْرِبَ وَجَعَلَ الشَّمْسُ خَلْفَهُ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَقْبَلُوا الشَّمْسَ، فَنَزَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُدْوَةِ [(5)] الشَّامِيَّةَ، وَنَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْيَمَانِيَّةِ. فِجَاءٌ

[(1)] الْقَوْزُ: الْكَثِيبُ الْعَالِي مِنَ الرَّمْلِ (المعجم الوسيط) ج 2 ص 766.

[(2)] زِيَادَةٌ لِلسِّيَاقِ.

[(3)] السَّخَّ: الصَّبُّ وَالسِّيْلَانُ مِنْ فَوْقِ (ترتيب القاموس) ج 2 ص 527.

[(4)] زِيَادَةٌ لِلسِّيَاقِ.

[(5)] الْعُدْوَةُ: شَاطِئُ الْوَادِي وَجَانِبُهُ الصَّلْبُ.

(98/1)

رجل فقال: يا رسول الله إني أرى أن تعلقو الوادي، فإني أرى ربحا قد هاجت من أعلى الوادي، وإني أراها بعثت بنصرك.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد صففت صفوفي ووضعت رايبي، فلا أغير ذلك. ثم دعا ربه تعالى فنزل عليه: إِذْ تَسْتَعْجِلُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ [(1)] يعني بعضهم على إثر بعض.

خبر سواد بن غزوية

ولما عدل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفوف تقدم سواد بن غزوية أمام الصف، فدفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَطْنِهِ فَقَالَ: اسْتَوْ يَا سَوَادَ، فَقَالَ: أَوْجَعْتَنِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَقْدِنِي [(2)] ، فَكَشَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ: اسْتَقْدِ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَلَهُ. فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: حَضِرَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا قَدْ تَرَى، وَخَشِيتُ الْقَتْلَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ آخِرَ عَهْدِي [(3)] بِكَ [أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ] [(4)] وَأَنْ أَعْتَنَقَكَ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْوَى الصَّفُوفِ وَكَأَنَّمَا يَقُومُ بِهَا الْقَدَاحُ [(5)] .

الريح التي بعثت والملائكة

وجاءت ريح شديدة، ثم هبت ريح أشد منها، ثم هبت ريح ثالثة أشد منهما: فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والثانية ميكائيل

عليه السلام في ألف عن ميمنته، والثالثة إسرافيل في ألف عن ميسرته. ويقال: جاء جبريل في ألف من الملائكة في صور الرجال، وكان في خمسمائة من الملائكة في الميمنة، وميكائيل في خمسمائة من الميسرة، ووراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران [(6)] ، وكان إسرافيل وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة. وكان الرجل يرى الملك على صورة رجل يعرفه،

[(1)] الآية 9/ الأنفال.

[(2)] أقديني: أعطني القود، وهو القصاص.

[(3)] في (خ) «عهد» وما أثبتناه من (المغازي) ج 3 ص 271.

[(4)] في (تاريخ الطبري) ج 2 ص 447 «فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك» ونحوه في (البداية والنهاية) ج 3 ص 271.

[(5)] القداح: جمع قدح.

[(6)] الآيات من 123 إلى 127 آل عمران.

(99/1)

وهو يثبتته ويقول له: ما هم بشيء، فكر عليهم [(1)] ، وهذا معنى قوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [(2)] ، وفي مثل هذا قال حسان رضي الله عنه:

ميكال معك وجبرئيل كلاهما ... مدد لنصرك من عزيز قادر [(3)]

ألوية بدر

ويقال كان على الميمنة أبو بكر رضي الله عنه، والثابت أنه لم يكن على الميمنة والميسرة أحد، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعظم - لواء المهاجرين - مع مصعب ابن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ. ومع قريش ثلاثة ألوية: لواء مع أبي عزيز (بن عمير) [(4)] ، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة.

خطبته يوم بدر

وخطب صلى الله عليه وسلم يومئذ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنني أحننكم على ما حننكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم عنه، فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله، على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغي به وجهه، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به همم، وينجي به من الغم، وتدركون النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم بمقتكم عليه، فإن الله يقول: لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ [(5)] . انظروا الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وأعزكم [به] [(6)] بعد ذلة، فاستمسكوا به يرض به ربكم عنكم، وابلوا

[(1)] الكر: الإقدام على العدو.

[(2)] في (خ) إلى قوله تعالى: الرَّعْبُ والآية 12/ الأنفال.

[(3)] في (خ) جبريل، ولم يرد ذكر هذا البيت في الأشعار التي قيلت في غزوة بدر ولا في كتب السيرة ولا في ديوان حسان بن ثابت ولا في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة عند ترجمته لحسان بن ثابت.

[(4)] زيادة للإيضاح.

[(5)] من الآية 10/ غافر.

[(6)] زيادة للإيضاح.

(100/1)

ربكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد. وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألقانا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين.

دعاؤه على قريش

ولما رأى صلى الله عليه وسلم قريشا تصوب من الوادي- وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوا للقوم منزلا- قال صلى الله عليه وسلم: اللهم إنك أنزلت علي الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني إحدى

الطائفتين، وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك [(1)]
وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة [(2)] .

بعثة عمر إلى قريش يعرض عليهم الرجوع

ولما نزل القوم بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليهم يقول:
ارجعوا، فإنه إن يلي هذا الأمر مني غيركم، أحب إلي من أن تلوه مني، [وأن] [(3)] إليه من
غيركم أحب [إلي] من [أن] [(3)] إليه منكم، فقال حكيم بن حزام: قد عرض نصفنا
فاقبلوه، والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف [(4)] ، فقال أبو جهل: والله لا
نرجع بعد أن أمكننا الله منهم، [ولا نطلب أثرا بعد عين، ولا يعترض لعيرنا بعد هذا أبدا] [(5)]
.

النفر الذين شربوا من الحوض

وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض - منهم حكيم بن حزام - فأراد المسلمون طردهم
فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دعوهم، فوردوا الماء فشربوا، فما شرب منهم أحد إلا قتل،
إلا ما كان من حكيم بن حزام نجا [(6)] .

[(1)] حاده: خالفه وعصاه ونازعه.

[(2)] أحنهم: من أحانه الله: أهلكه.

[(3)] زيادات يقتضيها السياق.

[(4)] التّصف: الإنصاف وإعطاء الحق.

[(5)] زيادة من (المغازي) ج 1 ص 61.

[(6)] في (تاريخ الطبري) ج 2 ص 441 «نجا على فرس يقال له الوجيه، وأسلم بعد ذلك
فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني يوم بدر» وفي (ابن هشام) ج 2
ص 93: «لا والذي نجاني من يوم بدر» .

(101/1)

بعثة عمير بن وهب لحرز المسلمين وما قاله لقريش

وبعثت قريش عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن الجمحي ليحرز [(1)]

المسلمين، فلما لم ير لهم مددا ولا كميناً، رجع فقال: القوم ثلاثمائة إن زادوا [زادوا] [(2)] قليلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان، ثم قال: يا معشر قريش! البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت النافع، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ [(3)] إلا سيوفهم، ألا ترون خرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ [(4)] الأفاعي، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلاً، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير في العيش بعد ذلك فروا رأيكم. فبعثوا أبا سلمة الجشمي، فأطاف على المسلمين بفرسه، ثم رجع فقال: والله ما رأيت جلدًا ولا عداداً ولا حلقة ولا كراعاً، ولكني رأيت قوماً لا يريدون أن يؤوبوا إلى أهلهم، قوماً مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، زرق [(5)] العيون كأنها [(6)] الحصى تحت الحجف [(7)] ، فروا رأيكم.

حكيم بن حزام يؤامر قريشاً على الرجوع

فمشى حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا فوافقته عتبة بن ربيعة، وأبي أبو جهل وهب [(8)] إلى عامر الحضرمي أخي المقتول بنخله، وحثه على أخذه بأثر أخيه، فقام ثم حثا على استه التراب بعد ما اكتشف وصرخ: وا عمراه! فأفسد على الناس الرأي الذي رآه عتبة ودعاهم إليه.

بدء القتال يوم بدر وأول من قتل

ثم حرس بين الناس، وحمل فناوش المسلمين وشبت الحرب. فخرج إليه مهجع

-
- [(1)] في (خ) «ليجوز»، ويجرز: بقدر العدد بالتخمين.
[(2)] زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) بغير هذه الزيادة.
[(3)] في (خ) مطموسة، وما أثبتناه من (ابن سعد) ج 2 ص 16 (المغازي) ج 1 ص 63.
[(4)] التلمظ: تحريك اللسان في الفم بعد الأكل والتمطق بالشفيتين.
[(5)] في (خ) «زرق زرق» تكرر من الناسخ.
[(6)] في (خ) «كأنهم» .
[(7)] الحجف: جمع حجفة، وهي جلود يطارق بعضها ببعض حتى تغلظ فتكون درقة كالدرع.
[(8)] في (خ) «ووهب» .

مولى عمر [بن الخطاب] [(1)] فقتله عامر، فكان مهجع أول من استشهد يوم بدر، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة قتله حبان بن العرقة، ويقال: عمير بن الحمام قتله خالد بن الأعمى العقيلي.

مناشدة رسول الله ربه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وأصحابه على صفوفهم، فاضطجع فغشبه نوم غلبه-

وكان قد قال: لا تقاتلوا حتى أؤذنكم، وإن كتبوكم [(2)] فارموهم، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم

- فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد دنا القوم، وقد نالوا منا، فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يناشد ربه ما وعده من النصر

ويقول: اللهم إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك ولا يقيم لك دين،

وأبو بكر يقول: والله لينصرك الله وليبيضن وجهك. وقال عبد الله بن رواحة:

يا رسول الله، إني أشير عليك- ورسول الله أعظم وأعلم بالله من أن يشار عليه- إن الله أجل وأعظم من أن ينشد وعده.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن رواحة، ألا أنشد الله وعده، إن الله لا يخلف الميعاد.

ولم يذكر ابن إسحاق ولا الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم قاتل،

وخرج الفريري، نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة، عن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم

بدر وحضر الناس، أمتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان منا أحد أقرب إلى المشركين

منه، وكان أشد الناس بأسا [(3)] .

الأسود بن عبد الأسد: مقتله عند الحوض

فلما تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد [(4)] المخزومي- حين دنا من الحوض:-

أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته، أو لأموتنّ دونه، فشدّ حتى دنا منه، فاستقبله حمزة

بن عبد المطلب فضربه فأطنّ [(5)] قدمه، فزحف الأسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله

الصحيحة وشرب منه، وحمزة يتبعه

[(1)] زيادة للإيضاح.

[(2)] كتب وأكتب: إذا دنا من القوم وقاربهم.

[(3)] (مسند أحمد) ج 1 ص 126.

[(4)] في (خ) «الأسدي» .

[(5)] أي ضربه ضربة سريعة بالسيف قطعت رجله، ويسمع للضربة طنين.

(103/1)

فضربه في الحوض فقتله، فدنا بعضهم من بعض وخرج عتبة، وشيبة والوليد، ودعوا إلى المبارزة.

المبارزة وخروج الأنصار وكراهية رسول الله ذلك ودعوته للمهاجرين فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار فتبان وهم: معاذ ومعوذ وعوف بنو عفراء، ويقال ثالثهم عبد الله بن رواحة [(1)] فاستحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره أن يكون أول قتال - لقي فيه المسلمون المشركين - في الأنصار، وأحب أن تكون الشوكة [(2)] ببني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم،

وقال لهم خيرا. ثم نادى منادي المشركين: يا محمد، أخرج لنا [(3)] الأكفاء من قومنا، فقال صلى الله عليه وسلم: يا بني هاشم، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله.

فقام علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، فمشوا إليهم [(4)] . وكان علي رضي الله عنه معلما بصوفة بيضاء، فقال عتبة لابنه: قم يا وليد، فقام فقتله علي، ثم قام عتبة فقتله حمزة، ثم قام شيبة فقام إليه عبيدة فضربه شيبة فقطع ساقه، فكَرَّ حمزة وعلي فقتلا شيبة واحتملا عبيدة إلى الصف [(5)] فنزلت فيهما [(6)] هذه الآية:

هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ

[(1)] وهي رواية (الواقدي) ج 1 ص 68 إلا أنه استدرك ذلك بقوله: «والثبت عندنا أنهم

بنو عفراء» .

وفي (تاريخ الطبري) ج 2 ص 445 أن ثالثهم ابن رواحة.

[(2)] في (المغازي) ج 1 ص 68 «لبي» .

[(3)] في (خ) ، (المغازي) «لنا» وفي (ط) «إلينا» .

[(4)] في (ابن سعد) «فمشوا إليه» ج 2 ص 17 وفي (المغازي) «فمشوا إليهم» ج 1 ص

[(5)]

«فلما أتوا به النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألسنت شهيدا يا رسول الله؟ قال: بلى، قال: لو رأي أبو طالب لعلم إننا أحق منه بقوله:

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل»
(الكامل لابن الأثير) ج 1 ص 125.

وفي (المغازي) ج 1 ص 70:

«كذبتم وبيت الله نخلي محمدا ... ولما نطاعن دونه وناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وفي (ابن هشام) «كذبتم وبيت الله نبزي محمدا» أي لا يبزي والمعنى لا يقهر.

[(6)] في (المغازي) ج 1 ص 70 «ونزلت هذه الآية» .

(104/1)

مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ [(1)] .

استفتاح أبي جهل

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَأَحْنَهُ الْغَدَاةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّوْا وَلَنْ نُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ [(2)] . وقال يومئذ:

ما تنقم الحرب العوان مني ... بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أُمِّي [(3)]

إبليس يذمر المشركين ثم نكوصه على عقبيه

وتصور إبليس في صورة سراقفة (بن مالك) [(4)] ، بن جعشم (المدلجي) [(4)] يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس، فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون [(5)] فتشبت به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقفة، فضرب في صدر الحارث، فسقط، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر، [ورفع يديه وقال: يا رب، موعدك الذي وعدتني] [(6)] .

- [(1)] الآية 19 / الحج وفي (خ) إلى قوله تعالى في رَبِّهِمْ .
- [(2)] الآية 19 / الأنفال وفي (خ) إلى قوله تعالى: [«الفتح» ، «الآية»] .
- [(3)] في (البداية والنهاية) ج 3 ص 283 «ما تنقم الحرب الشموس مني» .
وفي (ابن هشام) ج 2 ص 200 «ما تنقم الحرب العوان مني» .
والحرب العوان جمع عون: الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، والبازل من الإبل الذي خرج سنه فهو في ذلك يصل لذروة مرحلة الشباب .
- [(4)] [زيادة من نسبه .
- [(5)] وذلك معنى الآية 48 / الأنفال، وهي قوله تعالى: وَإِذْ زَيْنَ هُتَمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَّا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ....
- [(6)] [زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 71 .

(105/1)

شعار المسلمين في القتال وإعلامهم

وأقبل أبو جهل يحض المشركين على القتال بكلام كثير [(1)] وجعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعار المهاجرين «يا بني عبد الرحمن» وشعار الخزرج «يا بني عبد الله» والأوس «يا بني عبيد الله» .

ويقال: كان شعار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا منصور أمت» [(2)] وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الملائكة قد سوّمت فسوّموا [(3)] ، فأعلموا بالصوف في مغافرههم وقلانسهم، وكان أربعة يعلمون في الزحوف [(4)] ، فكان حمزة معلما بريشة نعامة، وعلي معلما بريشة نعامة «وعليّ معلما بصوفة بيضاء، والزبير معلما بعصابة صفراء- وكان يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمائم صفر- وكان أبو دجانة معلما بعصابة حمراء .

خبر قتال الملائكة يوم بدر

وقال سهيل بن عمرو: ولقد رأيت يوم بدر رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين، يقتلون ويأسرون، وقال أبو أسيد الساعدي [بعد أن ذهب بصره] [(5)] ، لو كنت معكم الآن ببدر [ومعي بصري] [(5)] لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة. وكان [(6)] ابن عباس يحدث عن رجل من بني غفار حدثه، قال: أقبلت أنا وابن عم لي يوم بدر حتى

أصعدنا في [(7)] جبل ونحن مشرکان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة [(8)] ، فننتهب مع من ينتهب، فبينما نحن في الجبل إذ رأيت سحابة دنت منا «فسمعت فيها حمحمة الخيل وقعقة الحديد، وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات، وأما

[(1)] من هذا الكلام الكثير: «لا يغرنكم خذلان سراقبة بن جعشم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه، سيعلم إذا رجعنا إلى مديد ما نصنع بقومه» من (المغازي) ج 1 ص 71.

[(2)] في (ابن هشام) ج 2 ص 201

«أحد أحد» .

[(3)] أي اتخذوا سيما وهي العلامة، قال تعالى: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ من الآية 29/ الفتح.

[(4)] في (خ) «الرحوف» . والرحوف: جمع زحف وهو لقاء العدو، والقلائس: جمع قلنسوة، وهي مما يلبس في الرأس.

[(5)] زيادات للإيضاح.

[(6)] في (خ) «فكان» . وما أثبتناه من (ط) و (ابن هشام) .

[(7)] الخبر في (المغازي) ج 1 ص 76.

[(8)] الدبرة: الهزيمة. وفي (المغازي) ج 1 ص 76 «الدائرة» .

(106/1)

أنا فكدت أهلك، فتماسكت واتبعت البصر حيث تذهب السحابة، فجاءت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنت أسمع.

وقال أبو رهم الغفاري عن ابن عم له: بينا أنا وابن عم لي على ماء بدر - فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش - قلنا: إذا التقت الفتتان عمدنا إلى معسكر محمد وأصحابه، فانطلقنا نحو

الجنبّة اليسرى من أصحابه ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش. فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت

سحابة فغشيتنا، فرفعنا أبصارنا إليها، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا رجلاً يقول

لفرسه: أقدم حيزوم، وسمعناهم يقولون: رويدا تنام أحرآكم. فنزلوا على ميمنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليه وَسَلَّمَ ثم جاءت أخرى مثل [ذلك] [(1)] فكانت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فنظرنا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فإذا هم الضّعف على قريش فمات ابن عمي،

وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسن إسلامه.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رئي الشيطان يوما [هو] [(2)] فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة- وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام- إلا ما رئي يوم بدر، وقيل: ما رأى يوم بدر، قال: أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ: هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالذبور.

وقال عبد الرحمن بن عوف: رأيت يوم بدر رجلين، عن يمين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدهما، وعن يساره أحدهما، يقاتلان أشد القتال، ثم يليهما ثالث من خلفه، ثم ربعهما رابع أمامه. وعن صهيب: ما أدري كم يد مقطوعة أو ضربة جائفة [(3)] لم يدم كلمهما [(4)]- يوم بدر- قد رأيتها.

وعن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة رعوس فوضعتهم بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه فتدهدى [(5)] أمامه فأخذت رأسه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذاك فلان من الملائكة.

وكان ابن عباس يقول: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وعن ابن عباس: كان الملك يتصور في صورة من

[(1)] في (المغازي) ج 1 ص 77 «تلك» .

[(2)] زيادة من (المغازي) ج 1 ص 77.

[(3)] الجائفة: التي تبلغ الجوف.

[(4)] الكلم: الجرح.

[(5)] تدهدي: تدحرج (النهاية) ج 2 ص 143.

(107/1)

يعرفون من الناس يشبهونهم فيقول: إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء. وذاك قول الله تبارك وتعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا [(1)] .

وعن حكيم بن حزام: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص [(2)] بجاد [(3)] من

السماء قد سد الأفق، فإذا الوادي يسيل نملاً، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيّد به محمد صلّى الله عليه وسلّم، فما كانت إلا الهزيمة، وهي الملائكة.

نهي الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن قتل بني هاشم ورجال من قريش ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ عن قتل بني هاشم، فقال: من لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله.

ونهى عن قتل العباس بن عبد المطلب، ونادى مناديه:

من أسر أمّ حكيم بنت حزام فليخل سبيلها فإن رسول الله قد أمنها. وكان قد أسرها رجل من الأنصار وكتفها بذؤابتها [(4)] فلما سمع المنادي خلى سبيلها. ونهى أيضا عن قتل أبي البخترى فقتله أبو داود المازني، ويقال: قتله المجدر بن زياد [(5)]. ونهى عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل، فقتله خبيب بن يساف ولا يعرفه. ونهى عن قتل زمعة بن الأسود، فقتله ثابت بن الجذع [(6)] ولا يعرفه.

دعاؤه صلّى الله عليه وسلّم ثم رميه المشركين بالخصي

ولما التحم القتال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رافعا يديه يسأل الله النصر وما وعده. وأمر صلّى الله عليه وسلّم فأخذ من الحصا كفا فرماهم بها وقال: شأهت الوجوه، اللهمّ اربع قلوبهم، ووزلزل أقدامهم.

فأهزم أعداء الله لا يلوون على شيء، وألقوا دروعهم، والمسلمون يقتلون ويأسرون، وما بقي منهم أحد إلا امتلاً وجهه وعيناه، ما يدري أين يتوجه، والملائكة يقتلونهم، وذلك قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ

[(1)] آية 12 / الأنفال.

[(2)] وادي بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل (معجم البلدان) ج 2 ص 382.

[(3)] البجاد: كساء مخطط (المعجم الوسيط) ج 1 ص 38.

[(4)] الذؤابة: الضفيرة من الشعر.

[(5)] في (خ) «زياد» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 80.

[(6)] في (خ) «الجزع» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 81.

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [(1)] .

أسر عقبة بن أبي معيط وقتله

وجمح بعقبة بن أبي معيط فرسه، فأخذه عبد الله بن سلمة العجلاني. فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فضرب عنقه صبرا، وصدق الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله لعقبة: إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبرا . أسر أمية بن خلف

وبينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يجمع أدرعا بعد أن ولى الناس إذا أمية بن خلف وابنه عليّ، فأخذ يسوقهما أمامه إذ بصر به بلال فنادى يا معشر الأنصار، أمية بن خلف رأس الكفر، لا نجوت إن نجوت. فأقبلوا حتى طرح أمية على ظهره، فقطع الحجاب بن المنذر أرنبة أنفه، وضربه خبيب بن يساف حتى قتله، وقتل عمار بن ياسر عليّ بن أمية بن خلف. وقتل الزبير بن العوام عبدة ابن سعيد بن العاص، وقتل أبو دجانة عاصم بن أبي عوف بن ضبيرة [(2)] السهمي، وقتل عليّ رضي الله عنه عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، وحرملة بن عمرو وهو يراهما أبا جهل. وقتل حمزة رضي الله عنه أبا قيس بن الفاكة بن المغيرة وهو يراهما أبا جهل، [وكان أبو جهل في مثل الحرجة (وهو الشجر الملتف) والمشركون يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه] .

قتل أبي جهل

فصمد معاذ بن الجموح إلى أبي جهل، وأبو جهل يرتجز:
ما تنقم الحرب العوان مني ... بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتني أمي

[(1)] الآية 17 / الأنفال، وفي (خ) إلى قوله تعالى: رمى* .

[(2)] ويقال: ابن صبيرة، بالصاد المهملة.

(109/1)

فضربه فطرح رجله من الساق، فأقبل عليه عكرمة بن أبي جهل فضربه على عاتقه فطرح يده من العاتق، وبقيت الجلدة، فوضع / معاذ عليها رجله وتمطى (بها) [(1)] عليها حتى قطعها. وضربه مع معاذ معوذ وعوف ابنا عفراء، فنفل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذ سيف أبي جهل

ودرعه.

ولما وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلتمس أبو جهل فوجده عبد الله بن مسعود في آخر رمق، فوضع رجله على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى به بسلبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسرَّ به وقال: اللَّهُمَّ قد أنجرت ما وعدتني فتمم علي نعمتك. ويقال إن معاذًا ومعوذًا ابني عفراء أثبتا أبا جهل، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق، وقد رأى في كتفيه آثار السياط.

وفوق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مصرع ابني عفراء فقال: يرحم الله ابني عفراء، فإنهما قد شركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر، فقيل: يا رسول الله، ومن قتله معهما؟ قال: الملائكة، ودافة [(2)] ابن مسعود.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اكفني نوفل بن خويلد، فأسره جبار ابن صخر، ولقيه علي فقتله، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

وقتل علي أيضا العاص بن سعيد. وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عودا فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتل به حتى هزم الله المشركين، فلم يزل عنده حتى هلك.

وانكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش فأعطاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب [(3)] فقال: اضرب به، فإذا سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم خيبر.

فرق المسلمين

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تصافوا للقتال: من قتل قتيلا فله كذا، ومن أسر أسيرا فله كذا،

فلما انهزم [المشركون] [(4)] كان الناس ثلاث فرق: فرقة قامت عند

[(1)] زيادة يتم بها المعنى.

[(2)] دافه: أجهز عليه وحرّر قتله، (لسان العرب) ج 9 ص 103 مادة: دأف.

[(3)] العراجين: جمع عرجون، وهي شجيرة النخل، وابن طاب: ضرب من النخل بالمدينة (هامش ط) ص 92.

[(4)] زيادة يقتضيها السياق.

خيمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر معه فيها، وفرقة أغارت على النهب تنهب، وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا.

اختلاف المسلمين في الغنائم، وما نزل من القرآن في ذلك

وكان سعد بن معاذ ممن أقام على خيمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [(1)] :

ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الأجر ولا جبن [(2)] عن العدو، ولكن خفنا أن يرى [(3)] موضعك فتميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم، وقد أقام عند خيمتك وجوه من المهاجرين والأنصار ولم يشدَّ أحد منهم، والناس كثير، ومتى تعط هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء، والأسرى والقتلى كثير، والغنمة قليلة.

فاختلفوا، فأنزل الله تعالى: يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ [(4)] فرجع الناس وليس لهم من الغنمة شيء، ثم أنزل الله تعالى وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ [(5)] فقسمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويقال: لما اختلفوا في غنائم بدر أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أن [(6)] ترد في القسمة، فلم يبق منها شيء إلا رد، فظن أهل الشجاعة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخصهم بما دون أهل الضعف، [(7)] ثم أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقسم بينهم على سواء

فقال سعد: يا رسول الله، أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثكلتك أمك، وهل تنصرون إلا بضعفائكم؟

ونادى مناديه: من قتل فتيلاً فله سلبه، وأمر بما وجد في العسكر وما أخذوا بغير قتال فقسمه بينهم، ويقال: أمر أن ترد الأسرى والأسلاب وما أخذوا في المغنم، ثم أقرع بينهم، في الأسرى وقسم الأسلاب التي ينفل [(8)] الرجل نفسه في المبارزة، وما أخذوه من العسكر قسمه بينهم. والثبت من هذا: أن كل ما جعله لهم فإنه سلّمه لهم، وما لم يجعل قسمه بينهم.

[(1)] زيادة يقتضيها السياق.

[(2)] في (خ) «جنباً» ولعلها «زهادة في الأجر ولا جنباً» .

[(3)] أي يخلو ممن يحرسه.

[(4)] أول سورة الأنفال.

[(5)] الآية 41 / الأنفال.

[(6)] في (خ) «بأن» .

[(7)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 100.

[(8)] في (الواقدي) «نقل» وفي (خ) «لقتل» .

(111/1)

جمع الغنائم وقدرها وقسمتها

وجمعت الغنائم واستعمل عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن كعب بن عمرو المازني وقسمها بسير [(1)] ، وقيل: بل استعمل عليها خباب بن الأرت، وكان فيها إبل ومتاع وأنطاع [(2)] وثياب، وكانت السهمان على ثلاثمائة وسبعة عشر سهما، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر، والخيل فرسان لهم أربعة أسهم، وثمانية نفر لم يحضروا ضرب لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهامهم وأجورهم: ثلاثة من المهاجرين وهم: عثمان بن عفان - خلفه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ابنته رقية فماتت يوم قدم زيد بن حارثة - وطلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بعثهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحسنان العير تلقاء [(3)] الحوراء، ومن الأنصار أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي، خلفه على قباء وأهل العالية، والحارث بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف، وخوات بن جبير كسر بالروحاء [(4)] ، والحارث بن الصّمة كسر بالروحاء. وروي أن سعد بن عبادة ضرب له بسهمه [(5)] وأجره، وضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره، وضرب لرجل من الأنصار، ولرجل آخر، وهؤلاء الأربعة لم يجمع عليهم [(6)] ، وضرب أيضا لأربعة عشر رجلا قتلوا ببدر.

وكانت الإبل التي أصابوا مائة بعير وخمسين بعيرا، وكان معهم أدم كثير [(7)] حملوه للتجارة فغنمه المسلمون، وأصابوا قطيفة حمراء [(8)] وكانت الخيل التي غنمت عشرة أفراس، وأصابوا سلاحا وظهرا وجمل أبي جهل فصار للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يزل

[(1)] سير: بفتح أوله وثانيه: كتيب بين المدينة وبدر (معجم البلدان) ج 3 ص 296.

[(2)] جمع نطع: بساط من الجلد (المعجم الوسيط) ج 2 ص 930.

[(3)] في (المغازي) ج 1 ص 101 «بلغا الحوراء» «وراء ذي المروة بينها وبينها ليلتان على الساحل، وبين ذي المروة والمدينة ثمانية برد أو أكثر قليلا» .

[(4)] الروحاء، «من عمل الفرع على نحو من أربعين يوما» (معجم البلدان) ج 3 ص 76.

[(5)] (المغازي) ج 1 ص 101: «و

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين فرغ من القتال ببدر: لئن لم يكن شهدها سعد بن عبادَةَ، لقد كان فيها راغبًا» .

[(6)] في المرجع السابق: «وهؤلاء الأربعة ليس بمجتمع عليهم كاجتماعهم على الثمانية» .

[(7)] الطعام خلطة بالإدام (المعجم الوسيط) ج 1 ص 10 .

[(8)] في (المغازي) ج 1 ص 102 «فقال بعضهم: ما لنا لا نرى القطيفة؟ ما نرى رسول الله إلا أخذها» .

فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ 16 / آل عمران .

(112/1)

عنده يضرب في إبله ويغزو [(1)] عليه حتى ساقه في هدي [(2)] الحديدية. وكان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفية [(3)] من الغنيمة قبل أن يقسم منها شيء، فتنقل سيفه ذا الفقار وكان لمنبه بن الحجاج. وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عبادَةَ يقال له العضب، ودرعه ذات الفضول وأحذى [(4)] ممالك حضروا بدرًا ولم يسهم لهم، وهم ثلاثة: غلام لحاطب بن أبي بلتعة، وغلام لعبد الرحمن بن عوف، وغلام لسعد بن معاذ، ويقال: شهد بدرًا من الموالي عشرون رجلًا. واستعمل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شقران غلامه على الأسرى فأخذوه من كل أسير، ما لو كان حرا ما أصابه في المقسم.

أسر سهيل بن عمرو وفراره ثم يأسره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسر سهيل بن عمرو ففرّ بالروحاء من مالك بن الدخشم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من وجدته فليقتله، فوجده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يقتله، وأمر فربطت يده إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة. وأسر أبو بردة بن نيار رجلا يقال له معبد بن وهب من بني سعد بن ليث [(5)] ، فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يتفرق الناس فقال: أترون يا عمر أنكم قد غلبتم!! كلا واللوات والعزى. فقال عمر: عباد الله المسلمين!! أتتكلم وأنت أسير في أيدينا! ثم أخذه من أبي بردة فضرب عنقه، ويقال: إن أبا بردة قتله.

أمر الأسرى يوم بدر

ولما أتى بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا

[(1)] في (خ) «يغزا» .

[(2)] الهدي: ما أهدي إلى بيت الله الحرام لينحر .

[(3)] الصفيّ: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها (المعجم الوسيط) ج 1 ص 518.

[(4)] في (خ) «واحدًا» وأحذاه: أعطاه (المعجم الوسيط) ج 1 ص 163.

[(5)] كذا في (خ) وفي (المغازي) ج 1 ص 105 (وما أثبتناه) ، وفي (ابن هشام) ج 2 ص 256 «قال ابن إسحاق: ومعبد بن وهب، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث» .

(113/1)

عمرو، كأنه شقّ عليك الأسرى أن يؤسروا؟

فقال: نعم يا رسول الله، كانت أول وقعة التقينا فيها والمشركون، فأحببت أن يذلمهم الله، وأن ننخن فيهم القتل.

قتل النضر بن الحارث

وأسر المقداد بن الأسود النضر بن الحارث، فعرض على رسول الله بالأثيل [(1)] ، وقد سار من بدر فقتله علي رضي الله عنه بالسيف صبرا. وأسر عمرو ابن أبي سفيان بن حرب، فقبل لأبي سفيان: ألا تفدي عمرا! فقال: حنظلة قتل وأفتدي [(2)] عمرا، فأصاب بمالي وولدي؟ لا أفعل، ولكن أنتظر حتى أصيب منهم رجلا فأفديه.

أسر المشركين سعد بن النعمان

فأصاب سعد بن النعمان [بن زيد] [(3)] بن أكّال أحد بني عمرو بن عوف جاء معتمرا، فلما قضى عمرته صدر- وكان معه المنذر بن عمرو- فطلبهما [(4)] أبو سفيان فأدرك سعدا فأسره وفاته المنذر. ففي ذلك يقول ضرار بن الخطاب:
تداركت سعدا عنوة فأسرته ... وكان شفاء لو تداركت منذرا
وقال في ذلك أبو سفيان:

أرھط ابن أكّال أجيوا دعاءه ... تفاقدتم، لا تسلّموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو بن عوف أذلة ... لئن لم يفكّوا عن أسيرهم الكبلا [(5)]
ففادوه سعدا بابنه عمرو.

[(1)] الأثيل: موضع قرب المدينة، وهناك عين ماء لجعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي
الصفراء (معجم البلدان) ج 1 ص 94.

[(2)] في (خ) «وأقتديه» .

[(3)] زيادة من نسبه.

[(4)] في (خ) «فطلبهم» .

[(5)] هذان البيتان في (ابن هشام) ج 2 ص 213 وفي (ابن الأثير) ج 2 ص 133 هكذا:
أرھط ابن أكّال أجيوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلّموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لئام أذلة ... لئن لم يفكّوا عن أسيرهم الكبلا

(114/1)

مقالة عمر في سهيل بن عمرو

ولما أسر سهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، انزع ثنيتيه يدلع [(1)]
لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا،
فقال صلّى الله عليه وسلّم: لا أمثل به فيمّثل الله بي وإن كنت نبيا، ولعله يقوم مقاما لا تكرهه،
فقام سهيل بن عمرو حين جاءه وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم بخطبة أبي بكر رضي الله عنه
بمكة كأنه كان سمعها،
فقال عمر رضي الله عنه حين بلغه كلام سهيل: أشهد أنك رسول الله! يريد قول النبي صلّى الله
عليه وسلّم: لعله يقوم مقاما لا تكرهه.

تخيير رسول الله في أمر الأسرى

وكان علي رضي الله عنه يقول: أتى جبريل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر فخيره في
الأسرى أن تضرب أعناقهم أو يؤخذ منهم الفداء. ويستشهد منهم في قابل عدّتهم، فدعا رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابه [(2)] فقال ما أعلمه جبريل، فقالوا: بل نأخذ الفدية
نستعين بها ويستشهد منا فيدخل الجنة. فقبل منهم الفداء وقتل منهم عدّتهم بأحد. ولما حبس

الأسرى بعثوا إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليكلما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمرهم، فأخذ أبو بكر يكلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، ويلين أن يمنّ عليهم أو يفاديهم، وأخذ عمر يحث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضرب أعناقهم، فقبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم الفداء وأمن أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان [(3)] الجمحيّ الشاعر وأعتقه بعد ما أعطى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يقاتله ولا يكتر عليه أبدا.

طرح قتلى بدر في القلب

وأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقلب فعوّرت [(4)] وطرحت القتلى فيها إلا أمية بن خلف فإنه كان مسمّنا فانتفخ، ولما أرادوا أن يلقيه تزايل [لحمه فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتركوه] [(5)] .

-
- [(1)] دلع اللسان دلوعا: خرج من الفم واسترخى (المعجم الوسيط) ج 1 ص 293 .
[(2)] في (ط) «وأصحابه» .
[(3)] في (خ) «عمر بن عبد الله بن عمير» . وفي (المغازي) ج 1 ص 110 «أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحيّ» .
[(4)] في المرجع السابق «أن نغور» .
[(5)] زيادة من المرجع السابق، وتزايل: تفكك لحمه وتفرق.

(115/1)

موقف رسول الله على قتلى بدر وما قاله

ثم

وقف عليهم فناداهم: يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، هل وجدتم ما وعدكم [(1)] ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا؟ بنس القوم كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس! قالوا [(2)] : يا رسول الله تنادي قوما قد ماتوا! قال: قد علموا أن ما وعدهم ربهم حق. وقال السدي عن مقسم عن ابن عباس: وقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قتلى بدر فقال: جزاكم لله عني من عصابة شرا، فقد خوّنتموني [(3)] أمينا وكذبتموني صادقا. ثم التفت إلى أبي جهل فقال: هذا أعتى على الله من فرعون، إن فرعون لما أيقن [(4)] بالهلكة وحّد الله،

وإن هذا لما أيقن بالهلكة دعا باللات والعزى.

وكان انهماج القوم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وأمر عبد الله بن كعب ببعض الغنائم وحملها، وندب نفرا من أصحابه أن يعينوه، ثم صلى العصر وراح فمّر بالأثيل [(5)] قبل غروب الشمس فنزل وبات به. وكان ذكوان بن عبد قيس [(6)] يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل ارتحل. فلما كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح فضرب عنق عقبة بن أبي معيط، ويقال: بل أمر علي بن أبي طالب فضرب عنقه، والأول أشهر.

قسمة الغنائم

ولما نزل بسير وهو شعب بالصفراء قسم الغنائم بين أصحابه، وتنفل سيفه ذا الفقار وكان لمنبه بن الحجاج فكان صفية، وأخذ سهمه مع المسلمين وفيه جمل أبي جهل. وكان مهريا [(7)] ، فكان يغزو عليه ويضرب في لقاحه.

[(1)] في (خ) «ما وعد» .

[(2)] في (خ) «قال» ، وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 112.

[(3)] في (خ) «خرنتموني» وما أثبتناه من (ط) .

[(4)] في (خ) «لماها» .

[(5)] يقول (الواقدي) ج 1 ص 117: «الأثيل واد طوله ثلاثة أميال وبينه وبين بدر ميلان، فكأنه بات على أربعة أميال من بدر» .

[(6)] في (خ) «ذكوان بن قيس» والتصويب من المرجع السابق.

[(7)] نسبة إلى مهرة بن حيوان، وهم قبيلة عظيمة تنسب إليها الإبل (هامش ط) ص 98.

(116/1)

وبالصفراء مات عبيدة بن الحارث رضي الله عنه. واستقبل طلحة وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتربان [(1)] [فيما بين ملل والسيالة] وهو منحدر من بدر يريد المدينة.

بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله

وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل إلى المدينة فجاء يوم الأحد شدّ [(2)]

الضحى فنأدى عبد الله: يا معشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرههم، ثم أتبع دور الأنصار فبشرهم. وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشر أهل المدينة فلم يصدق المنافقون ذلك وشنعوا، وقدم شقران بالأسرى وهم في الأصل سبعون. وتلقى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالروحاء يهنئونه بفتح الله، فقدم المدينة صلى الله عليه وسلم مؤيدا مظفرا منصورا قد أعلى الله كلمته ومكن له وأعز نصره، ودخلها من ثنية الوداع في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رمضان فتلقاه الولائد بالدفوف وهنّ يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

إسلام المنافقين

فأذّل الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين واليهود، فلم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضع عنقه.

وأسلم حينئذ بشر كثير من أهل المدينة، ومن ثم دخل عبد الله بن أبي بن سلول [(3)] وجماعته من المنافقين في دين الإسلام تقيّة [(4)] .

نوح قريش على قتلاها

وناحت قريش على قتلاها بمكة شهرا، وجزّ النساء شعورهن، وجعل صفوان

[(1)] في (خ) «بغرثا» .

[(2)] شد الضحى: حين يرتفع قبل الزوال.

[(3)] في (خ) «أبي بن سلول»، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه لأن سلول جدته.

[(4)] في (خ) «مقيد»، والتقية: إظهار الصلح والاتفاق وإضمار الخلاف والمعاندة حذرا أو

جينا.

(117/1)

ابن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح لعمير بن وهب بن خلف بن وهب الجمحيّ - وهو المضرب - إن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحمل بدينه ويقوم بعياله، وحمله

على بعير وجّهه.

خبر عمير بن وهب ومقدمه المدينة لقتل رسول الله ثم إسلامه وعودته إلى مكة فقدم عمير المدينة ودخل المسجد متقلدا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدخله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما أقدمك يا عمير؟ قال: قدمت في أسير عندكم تقاربونا فيه، قال: فما بال السيف؟ قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت من شيء؟ إنما أنسيته [(1)] حين نزلت وهو في رقبتي. فقال: اصدق، ما أقدمك؟ قال: ما قدمت إلا في أسيري، قال: فما شرطت لصفوان ابن أمية في الحجر؟ ففزع عمير، قال: ماذا شرطت له؟ قال: تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك ويعول عيالك، والله حائل بينك وبين ذلك. قال عمير: أشهد أنك رسول الله وأنتك صادق. وأسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره، فعاد عمير إلى مكة يدعو الناس إلى الإسلام، فأسلم معه بشر كثير.

مقدم جبير بن مطعم في فداء أسرى قريش

وقد جبير بن مطعم في فداء الأسرى، وقدم أربعة عشر من قريش، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم فداء الرجل أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف [درهم] [(2)] ، ومنهم من منّ عليه لأنه لا مال له.

خبر زينب بنت رسول الله في فداء زوجها
وبعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بقلادة لها كانت لخديجة رضي الله عنها من جزع ظفار [(3)] - مع أخيه عمرو بن الربيع،

[(1)] في (خ) و (المغازي) «نسيته» .

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] الجزع: خرز فيه بياض وسواد. وظفار: بلدة باليمن. وذكر (الواقدي) ج 1 ص 130

أن هذه

فرق لها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا إليها متاعها فعلمتم،

قالوا: نعم، فأطلقوا أبا العاص وردّوا القلادة إلى زينب. وأخذ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم على أبي العاص أن يخلي سبيل زينب فوعده ذلك. وكان الذي أسره عبد الله بن جبير بن النعمان أخو خوات بن جبير، وفكّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عن السائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو بن علقمة بغير فدية، وقد أسرهما سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلي لأنه لا مال لهما، ولم يقدم لهما أحد.

أسرى قريش وفداؤهم بتعليم الغلمان الكتابة

وكان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، وكان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله.

فيومئذ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار. خرّج [(1)] الإمام أحمد من

حديث عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله [(2)] صَلَّى الله عليه وسلّم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلام يبكي إلى أبيه [(3)] فقال ما شأنك؟ قال ضربني معلمي، قال: الخبيث!! يطلب بذحل [(4)] بدر، والله لا تأتيه أبدا. وقال عامر الشعبي:

كان فداء الأسرى [من] [(5)] أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين، فكان زيد بن ثابت [من] [(5)] علم.

عدة من استشهد يوم بدر

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون، وقيل: أربعة وسبعون أحصي

[()] القلادة كانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رأى

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم القلادة عرفها ورقّها لها، وذكر خديجة ورحم عليها.

[(1)] [(المسند) ج 1 ص 247.

[(2)] في (خ) «النبي»، وهذا نصّ المسند.

[(3)] في (خ) «قال».

[(4)] في (خ) «يدخل»، والذحل: الثأر أو العداوة والحقد (المعجم الوسيط) ج 1 ص

(119/1)

منهم تسعة وأربعون أسيرا [(1)] .

قتل عصماء بنت مروان

وكانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي رسول الله وتعيب الإسلام وتحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وقالت شعرا [(2)] ، فنذر عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة [واسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس] الخطمي لئن رد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ليقتلنها. فلما رجع صلى الله عليه وسلم من بدر جاءها عمير ليلا حتى دخل عليها في بيتها [وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه في صدرها، فجسها بيده- وكان ضريب البصر- ونحى الصبي عنها] [(3)] [ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها،

وأتى فصلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم. فلما انصرف نظر إليه وقال: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم يا رسول الله [قال: نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال:

هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال] [(4)] لا ينتطح فيها عنزان. فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال لأصحابه: إذا أحببتهم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي، فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشرى [(5)] في طاعة الله فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم]: لا تقل الأعمى ولكنه البصير.

فلما رجع عمير وجد بينها في جماعة يدفنونها فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ قال: نعم، فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون، فوالذي نفسي بيده لو قتلتم جميعا ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم. فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة، فمدح حسان عمير

[(1)] ذكر ابن قتيبة في (المعارف) ص 155: «وعدة من قتل من المشركين يوم بدر خمسون

رجلا وأسر أربعة وأربعين رجلا» .

[(2)] ذكر (الواقدي) هذا الشعر في (المغازي) ج 1 ص 172:

فباست بني مالك والتّبيت ... وعوف وباست بني الخزرج
أطعتم أتاويّ من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرّءوس ... كما يرتجى مرق المنضج
والأتاوي: الغريب- ومراء ومذحج: قبيلتان من قبائل اليمن.
[(3)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 28.
[(4)] زيادة من (المغازي) ج 1 ص 173.
[(5)] تشرى: إذا شرى (أي باع) نفسه في سبيل الله.

(120/1)

ابن عدي [(1)] ، وكان قتل عصماء لخمس بقين من رمضان فرجع النبي صلّى الله عليه وسلّم
من بدر على رأس تسعة عشر شهرا.

فرض زكاة الفطر

وقام رسول الله قبل يوم الفطر بيومين خطيبا فعلم الناس زكاة الفطر، وخرج إلى المصلى يوم
الفطر فصلى بالناس صلاة الفطر والعنزة [(2)] بين يديه، وهي أول صلاة صلاها في يوم
العيد.

قتل أبي عفك اليهودي

ثم كان قتل أبي عفك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهرا، وكان شيخا من بني عمرو بن
عوف قد بلغ عشرين ومائة سنة [(3)] ، وكان يحرّض على عداوة النبي صلّى الله عليه وسلّم
ولم يدخل في الإسلام، وقال شعرا [(4)] ، فنذر سالم بن عمير بن ثابت ابن النعمان بن أمية
بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري أحد

[(1)] هذه هي الأبيات من (الواقدي) ج 1 ص 174:

بني وائل وبني واقف ... وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دعت أختكم ويحها ... بعولتها والمنايا تجي
فهزّت فتى ماجدا عرقه ... كريم المداخل والمخرج
فضرّجها من نجيع الدماء ... قبيل الصباح ولم يرح

فأوردك الله برد الجنان ... جذلان في نعمة الموج
ونجيع الدماء: ما كان إلى السواد أو دم الجوف.

[(2)] العنزة: عصا قصيرة في سنان ولها زج في أسفلها، وهذه العنزة كانت تحمل بين يدي
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وكانت للزبير بن العوام قدم بها من الحبشة فأخذها منه رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلّم (هامش ط) ص 103.
[(3)] في (خ) «سنة سنة» تكرر.

[(4)] ذكره (الواقدي) ج 1 ص 175 وهو:

قد عشت حينما وما إن أرى ... من الناس دارا ولا مجمعا
أجمّ عقولا وآتي إلي ... منيب سراجا إذا ما دعا
فسلبهم أمرهم راكب ... حراما حلالا لشتي معا
فلو كان بالملك صدقتكم ... وبالنصر تابعتم تبعا

(121/1)

البكائين [(1)] من بني النجار ليقتلته أو يموت دونه، وطلب له غرة [(2)] ، حتى كانت
ليلة صائفة- ونام (أبو عفك) [(3)] بالفناء في بني عمرو بن عوف- فأقبل [(4)] سالم
فوضع السيف على كبده فقتله.

غزوة بني قينقاع وإجلاؤهم

ثم كان إجلاء بني قينقاع [(5)] - أحد طوائف اليهود بالمدينة- في شوال بعد بدر، وقيل: في
صفر سنة ثلاث، وجعلها محمد بن إسحاق بعد غزوة «قرارة الكدر». وكان سببها أن رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلّم لما قدم المدينة مهاجرا وادعته يهود كلها، وكتب بينه وبينهم كتابا، وألحق
كل قوم بحلفائهم، وجعل بينه وبينهم أمانا، وشرط عليهم شروطا منها: ألا يظاهروا عليه عدوا.
فلما قدم من بدر بغت يهود، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من
العهد، فجمعهم [بسوق بني قينقاع] [(6)] وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يوقع الله
بكم مثل وقعة قريش، فوالله إنكم لتعلمون أي رسول الله،
فقالوا: يا محمد لا يغرنك من لقيت، إنك قهرت قوما أعمارا [(7)] وإنا والله أصحاب
الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا.

سبب إجلائهم

فبينما هم على ما هم عليه- من إظهار العداوة ونبذ العهد- جاءت امرأة رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ في حلّي لها، فجاء أحد بني قينقاع فحل درعها من ورائها بشوكة وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها، فاتبعه رجل من المسلمين فقتله، فاجتمع عليه بنو قينقاع وقتلوه، ونبذوا العهد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاربوا، وتحصنوا في حصنهم. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ [(8)]

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أخاف [(9)] بني قينقاع

فسار إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم السبت

[(1)] البكاءون: هم السبعة الذين نزل فيهم قوله تعالى: وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ الآية 92/ التوبة.

[(2)] في (خ) «عزة» .

[(3)] زيادة للإيضاح.

[(4)] في (خ) «أقبل» .

[(5)] في (خ) «قينقا» .

[(6)] زيادة للإيضاح.

[(7)] أغمار: جمع غمر، وهو الجاهل الذي لا تجربة عنده.

[(8)] الآية 58/ الأنفال.

[(9)] في (خ) «أخافه من» .

(122/1)

النصف من شوال بعد بدر ببضع وعشرين يوما، وهم سبعمائة مقاتل: منهم ثلاثمائة متدبرعون بدرود الحديد، ولم يكن لهم حصون ولا معاقل، وإنما كانوا تجارا وصاعة، وهم حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود فكانوا أول من غدر من اليهود، فحاصروهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر بهم فربطوا، واستعمل على رباطهم وكتافهم المنذر بن قدامة السلمي من بني غنم بن السلم بن مالك بن الأوس، ثم خلى عنهم

بشفاعة عبد الله بن أبي بن سلول، وأمرهم أن يجلبوا من المدينة، فأجلاهم محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: عبادة بن الصامت، وقبض أموالهم، وأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سلاحهم ثلاث قسي [(1)] وهي الكتوم والروحاء والبيضاء، وأخذ درعين: الصغديّة وفضة، وثلاثة أسياف وثلاثة أرماع. ووجدوا في منازلهم سلاحا كثيرا وآلة الصياغة، وخمس [(2)] ما أصاب منهم، وقسم ما بقي على أصحابه. وخرجوا بعد ثلاث فلاحقوا بأذرع [(3)] بنسائهم وذرايرهم، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا، وقال الحاكم: هذه وبني النضير واحدة وربما اشتبها على من [(4)] لا يتأمل.

واستخلف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان أبيض، ولم تكن الرايات يومئذ.

غزوة السويق

ثم كانت غزوة السويق، خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحد الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا في مائتين من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، فغاب [(5)] خمسة أيام. وذلك أن المشركين لما رجعوا إلى مكة من بدر حرم أبو سفيان صخر بن حرب الدهن حتى يثار من محمد وأصحابه بمن أصيب من قومه، فخرج في مائتي راكب، وقيل: في أربعين راكبا، فجاءوا بني النضير - في طرف المدينة - ليلا، ودخلوا على سلام بن مشكم فسقى

[(1)] جمع قوس.

[(2)] أخذ خمس الغنيمة.

[(3)] أذرع: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان (معجم البلدان) ج 1 ص

130.

[(4)] في (خ) «اشتبها ولا يتأمل» .

[(5)] في (خ) «ففات» .

أبا سفيان خمرأ وأخبره من أخبار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرج [أبو سفيان] [(1)] سحرا، فوجد رجلا من الأنصار في حرث فقتله وأجيره - وهذا الأنصاري هو معبد بن عمرو -

وحرق بيتين بالعريض، وحرق حرثا لهم وذهب. فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن معه في أثره، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق [(2)] - وهي عامة أزوادهم - يتخففون منها لسرعة سيرهم خوفا من الطلب، فجعل المسلمون يأخذونها. فسميت غزوة السويق لهذا.

أول عيد ضحى فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة. وصلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الأضحى بالمصلى، وضحى بشاة، وقيل: بشاتين، وضحى معه ذوو اليسار. قال جابر ضحينا في بني سلمة سبع عشرة أضحية، وهو أول عيد ضحى فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كتاب المعامل والديات

وكتب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه السنة المعامل [(3)] والديات، وكانت معلقة بسيفه.

زواج فاطمة بنت رسول الله و غزوة قرارة الكدر
ويقال: فيها بنى عليّ بفاطمة رضي الله عنهما، على رأس اثنتين وعشرين شهرا ثم كانت غزوة قرارة الكدر، ويقال: قررة بنى سليم و غطفان، خرج إليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنصف من محرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا، هذا قول محمد بن عمر الواقدي [(4)] ، وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة اثنين. وقال [(5)] ابن حزم: لم يقيم منصرفة من بدر بالمدينة إلا سبعة أيام، ثم خرج يريد بني سليم وحمل لواءه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وذلك أنه بلغه أن بقرارة الكدر جمعا من غطفان وسليم، فأخذ عليهم الطريق فلم

[(1)] زيادة للإيضاح.

[(2)] الجرب: جمع جراب، وهو وعاء يكون فيه الزاد، والسويق: طعام يتخذ من الحنطة والشعير.

[(3)] المعامل والديات: ما شرع الله من العوض في الجنايات وغيرها.

[(4)] في (المغازي) ج 1 ص 182.

[(5)] في (خ) «ويقال» .

يجد في المجال أحدا، فأرسل في أعلى الوادي نفرا من أصحابه واستقبلهم في بطن الوادي فوجد رعاء [(1)] فيها غلام يقال له يسار، فسأهم، فأخبره يسار أن الناس ارتفعوا إلى المياه، فانصرف وقد ظفر بالتعم [(2)] يريد المدينة، فأدركه يسار وهو يصلي الصبح فصلى وراءه، وطابت به أنفس المسلمين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبله وأعتقه. وقدم المدينة، وقد غاب خمس عشرة ليلة، وأخذ خمس النعم- وكانت خمسمائة- وقسم باقيها، وقيل: بل أصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة، وكانوا مائتي رجل، وكان قسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة.

سرية قتل كعب بن الأشرف

ثم كان قتل كعب بن الأشرف اليهودي لأربع عشرة من شهر ربيع الأول على رأس خمسة عشر شهرا [(3)] وذلك أنه كان من بني نبهان بن طَيْبٍ حليفا لبني قريظة، وأمه من بني النضير، وكان عدواً لله ولرسوله يهجو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره، ثم خرج إلى مكة بعد بدر فجعل يرثي [قتلى بدر ويحرض] [(4)] قريشا، وعاد إلى المدينة.

سبب قتله

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اكفني ابن الأشرف بما شئت- في إعلانه الشرّ وقوله الأشعار- وقال: من لي بابن الأشرف فقد آذاني. فقال محمد بن مسلمة: أنا به يا رسول الله، وأنا أقتله، قال: فافعل.

وأمره بمشاورة سعد بن معاذ، فاجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس منهم عباد بن بشر بن وقش بن رغبة بن زعورا ابن عبد الأشهل، وأبو نائلة سلكان بن سلامة والحارث بن أوس [بن معاذ، وأبو عبس بن جبر أحد بني حارثة] [(5)]

فقالوا: يا رسول الله، نحن نقتله فأذن لنا فلنقل، قال: قولوا [(6)] .

فأتاه أبو نائلة وهو في نادي قومه- وكان هو ومحمد بن

[(1)] جمع راع.

[(2)] في (خ) «بنعم» .

[(3)] كذا بالأصل والصواب من (المغازي) ج 1 ص 184 ومن (ابن سعد) ج 2 ص 31 «خمسة وعشرين شهرا من مهاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[(4)] زيادة للإيضاح.

[(5)] زيادة من (ابن هشام) ج 3 ص 10.

[(6)] قال يقول: كناية عن بعض الكذب في الحديث.

(125/1)

مسلمة أخويه من الرضاعة- فتحدثنا وتناشدا الأشعار حتى قام القوم، فقال له: كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء، حاربنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة، وتقطعت السبل عنا حتى جهدت الأنفس، وضاع العيال، فقال كعب: قد كنت أحدثك بهذا أن الأمر سيصير إليه، قال أبو نائلة: ومعى رجال من أصحابي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بما فنبتاع منك طعاما وتمرًا، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة، واكنم عنا ما حدثتكم من ذكر محمد، قال: لا أذكر منه حرفًا، لكن اصدقني، ما الذي تريدون في أمره؟ قال: خذلناه والتتحي عنه، قال: سررتني، فماذا ترهنونني! قال الحلقة [(1)] ، فرضي. وقام أبو نائلة من عنده على ميعاده. فأتى أصحابه فأجمعوا أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، وأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم، فمشى معهم ووجههم من البقيع [(2)] ، وقال: امضوا على بركة الله وعونه، وذلك بعد أن صلوا العشاء في ليلة مقمرة مثل النهار، فأتوا ابن الأشرف فهتف به أبو نائلة- وكان حديث عهد بعرس [(3)] - فوثب ونزل من حصنه إليهم، فجعلوا يتحدثون ساعة، ثم مشوا قبل شرح العجوز [(4)] ليتحدثوا بقية ليلتهم، فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب وقال: ما أطيب عطرك هذا!! ثم مشى ساعة وعاد لمثلها وأخذ بقرون [(5)] رأسه فضربه الجماعة بأسيافهم، ووضع محمد بن مسلمة مغولا [(6)] معه في سره كعب حتى انتهى إلى عانته، فصاح صيحة أسمعت جميع آطام اليهود، فأشعلوا نيرانهم. واحتز الجماعة رأس كعب واحتملوه وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقد قام يصلي ليلته بالبقيع- فلما بلغوه كبروا فكبر صلى الله عليه وسلم ثم قال: أفلحت الوجوه، فقالوا: ووجهك يا رسول الله. ورموا برأس كعب بين يديه، فحمد الله على قتله، وتفل على جرح الحارث بن أوس، وكان قد جرح ببعض سيوف أصحابه فبرأ من وقته. وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التي قتل فيها ابن الأشرف فقال: من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه، فخافت اليهود فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا،

- [(1)] الحلقة: السلاح عامة والدروع خاصة.
[(2)] بقبع الغرقد بالمدينة.
[(3)] يعني ابن الأشرف.
[(4)] شرح العجوز: موضع قرب المدينة. (معجم البلدان) ج 3 ص 334.
[(5)] ضفائر رأسه.
[(6)] سيف دقيق قصير ماض يكون في جرف سوط يشده القاتل على وسطه ليقتال به الناس.

(126/1)

(وخاصوا أن يبيتوا كما بيت ابن الأشرف) [(1)] .

مقتل ابن سنيينة

وكان ابن سنيينة من يهود بني حارثة حليفا لحويصة بن مسعود [قد أسلم] [(2)] ، فعدا [أخوه] [(3)] محيصة [بن مسعود] [(4)] على ابن سنيينة فقتله، فجعل أخوه حويصة يضربه ويقول: أي عدو الله أقتلته!! أما والله لربّ شحم في بطنك من ماله، فقال محيصة: [فقلت] [(5)] [[والله لو أمرني بقتلك الذي أمرني بقتله لقتلتك] قال: أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها، قال: والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة] [(6)] .

فجاءت يهود إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكون ذلك [(7)] ، فقال: إنه لو فر كما فرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف.

ودعاهم أن يكتب [بينه و] [(8)] بينهم كتابا ينتهون إلى ما فيه، فكتبوا بينهم وبينه كتابا. وحذرت يهود وخافت وذلت من يوم قتل ابن الأشرف.

غزوة ذي أمر بنجد

ثم كانت غزوة ذي أمر [(9)] بنجد، خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الخميس

[(1)] [زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 190].

[(2)] زيادة من المرجع السابق.

[(3)] زيادة للإيضاح.

[(4)] زيادة للإيضاح.

[(5)] زيادة من ابن هشام ج 3 ص 13.

[(6)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 191، 192 وزاد: «فأسلم حويصة يومئذ، فقال

محيصة- وهي ثبت، لم أر أحدا يدفعها- يقول:

يلوم ابن أُمي لو أمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب

حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما تصوبه فليس بكاذب

وما سرّني أنّي قتلتك طائعا ... ولو أن لي ما بين بصرى ومأرب

«والذفرى: عظم ناتئ خلف الأذن» .

[(7)] يعني في قتل ابن الأشرف، وفي (خ) «يشكو» .

[(8)] زيادة للسياق.

[(9)] في (خ) «ذي أمو» .

(127/1)

الثامن عشر من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا في قول الواقدي [(1)] ، وذكر ابن إسحاق أنها كانت في الحرم سنة ثلاث، ومعه أربعمائة وخمسون، فيهم عدّة أفراس. واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وذلك أنه بلغه أن جمعا- من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وبني محارب بن خصفة بن قيس- بذى أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطرافه صلّى الله عليه وسلّم، فجمعهم دعثور بن الحارث من بني محارب. فأصاب (رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) [(2)] رجلا منهم بذى القصة يقال له جبار من بني ثعلبة فأسلم، وسار معهم يدهم على عورات القوم حتى أهبطهم من كتيب، فهربت الأعراب فوق الجبال، فنزل صلّى الله عليه وسلّم ذي أمر، فأصابهم مطر كثير، فذهب صلّى الله عليه وسلّم لحاجته فأصابه المطر فبلّ ثوبه فنزعه ونشره على شجرة ليحفف واضطجع تحتها والأعراب تنظر إليه.

خبر دعثور الذي أراد قتل رسول الله

فبادر دعثور وأقبل مشتملا على السيف حتى قام على رأس النبي صلّى الله عليه وسلّم بالسيف

مشهورا وقال: يا محمد، من يمنك مني اليوم؟ قال: الله. ودفع جبريل عليه السلام في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقام به على رأسه فقال: من يمنك مني؟ فقال: لا أحد، وأسلم، وحلف لا يكثر عليه جمعا أبدا ثم أدبر، فأعطاه سيفه. فأتى قومه ودعاهم إلى الإسلام، وفيه نزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [(3)]. وعاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكانت غيبته أحد عشرة ليلة.

زواج أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ربيع الأول هذا تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل بها في جمادى الآخرة، رضي الله عنها.

-
- [(1)] (المغازي) ج 1 ص 193 (وتلقيح الفهوم) ص 54 وذكر (الطبري) في تاريخه ج 2 ص 487 «وهي غزوة ذي أمر، فأقام بنجد صفرا كله أو قريبا من ذلك» ذكر هذا في أحداث السنة الثالثة من الهجرة.
- [(2)] زيادة للإيضاح.
- [(3)] الآية 11/ المائدة، وفي (خ) «عنكم الآية» .

(128/1)

غزوة بني سليم بالفرع

ثم كانت غزوة بني سليم ببحران [(1)] من ناحية الفرع، خرج صلى الله عليه وسلم في السادس من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا في ثلاثمائة رجل، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ولم يظهر وجهها، فأغذ [(2)] السير، حتى إذا كان دون بحران [(1)] لبيلة لقي رجلا من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا، فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران [(1)] وليس بها أحد، فأقام أياما ورجع ولم يلق كيدا، وأرسل [(3)] الرجل. فكانت غيبته عشر ليالي [(4)] .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى القردة [(5)] - وهي أول سرية خرج زيد (ابن حارثة) [(6)] فيها أميراً، سار لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً - يريد صفوان بن أمية وقد نكب [(7)] عن الطريق - وسلك على جهة العراق يريد الشام بتجارة فيها أموال لقريش، خوفاً من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعترضها. فقدم نعيم بن مسعود الأشجعي على كنانة بن أبي الحقيق في بني النضير فشرب معه، ومعهم سليط بن النعمان [(8)] يشرب، ولم تكن الخمر قد حرمت، فذكر نعيم خروج صفوان في غيره وما معهم من الأموال، فخرج (سليط) [(9)] من ساعته وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم. فقدموا بالعين فخمسها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ الخمس عشرين ألف

[(1)] في (خ) «نجران» في كل المواضع.

[(2)] في (خ) «أغد» وأغد السير: أسرع.

[(3)] أرسله: أطلقه.

[(4)] كذا في (خ) وفي (الواقدي) ليال ج 1 ص 197.

[(5)] القردة: بالتحريك، ماء أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة لبني نعام (معجم البلدان) ج 4 ص 333.

[(6)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 197، ومن (الطبري) ج 2 ص 492.

[(7)] نكب: عدل.

[(8)] زعم محقق (ط) أنه لم يجد «سليط بن النعمان» هذا في الصحابة، وأنه لم يجد الخبر!! ونقول:

هذا الخبر بتمامه في: (المغازي للواقدي) ج 1 ص 198-199، و (البداية والنهاية لابن كثير) ج 4 ص 4-5.

[(9)] زيادة للإيضاح.

إمتاع الأسماع ج 1 م 5.

(129/1)

درهم، وقسم ما بقي على أهل السرية، وكان فيمن أسر فرات بن حيان [(1)] فأسلم.

زواج حفصة أم المؤمنين

وفي شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(2)] حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقال أبو عبيد: سنة اثنتين، ويقال: بعد أحد.

زواجه زينب أم المساكين

وتزوج زينب أم المساكين في رمضان قبل أحد بشهر، وفي نصف رمضان ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

غزوة أحد

ثم كانت غزوة أحد يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا [(3)] ، وقيل: كانت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، وقيل: كانت للنصف منه، وعن مالك بن أنس: كانت بعد بدر بسنة، وعنه أيضا كانت على أحد وثلاثين شهرا من الهجرة، وهي وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين واختبرهم، وميز فيها المؤمنين والمنافقين.

ما فيها من دلائل النبوة

وكان فيها من دلائل النبوة: تحقيق قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمية بن خلف: بل أنا أقتلك، فقتله، وردّ عين قتادة إلى موضعها بعد سقوطها، غسل الملائكة لحنظلة وظهور ذلك للأنصار، فرأوا الماء يقطر من رأسه رفعا للجنابة التي كانت عليه، وما اعتزاهم من النعاس مع قرب العدو منهم وذلك خلاف عادة من انهزم من عدوه،

[(1)] [و]

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين حين أعطى المؤلف قلوبهم: «إن من الناس ناسا نكلهم إلى إيمانهم منهم الفرات بن حيان» [(المعارف) ص 324.

[(2)] ذكره (الطبري) في التاريخ ج 2 ص 499 في أحداث السنة الثالثة.

[(3)] في رواية (الواقدي) ج 2 ص 199 (والطبري) في التاريخ ج 2 ص 499، وابن سعد في (الطبقات) ج 2 ص 36.

واستخلف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة ابن أم مكتوم.

سبب قتال أحد

وذلك أنه لما عاد المشركون من بدر إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة- وكذلك كانوا يصنعون- لم يحركها ولا فرقتها فطابت أنفُسُ أشرفهم أن يجهزوا منها جيشا كثيفا لقتال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وباعوها. وكانت ألف بعير، والمال خمسون ألف دينار، وكانوا يرجون في الدينار دينارا، فأخرجوا منها أرباحهم، فنزل فيهم قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ [(1)] .

بعثة قريش تستنفر العرب

وبعثوا- عمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب، وابن الزبير، وأبا عزة عمرو بن عبد الله الجمحي الذي من عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر- إلى العرب يستنفرونها، فألبوا العرب وجمعوها.

خروج قريش من مكة

وخرجوا من مكة ومعهم الطعن [(2)]- وهن خمس عشرة امرأة- وخرج نساء مكة ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم. وحشدت بنو كنانة، وعقدوا ثلاثة ألوية، وخرجوا من مكة لخمس ماضين من شوال في ثلاثة آلاف [رجل فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس] [(3)] وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة.

كتاب العباس إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع رجل من بني

[(1)] الآية 36/ الأنفال، وفي (خ) «ثم يغلبون الآية» .

[(2)] جمع طعينة، وهي المرأة تكون في هودجها.

[(3)] ما بين القوسين في (خ) «ومائتي فرس وسبعمائة دارع» ، وقد أثبتناه بعد إعادة السياق.

غفار يخبره بذلك، فقدم عليه وهو بقاء فقراء عليه أبي بن كعب واستكنم أبا [(1)] .
ونزل [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(2)] على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس
فقال: والله إني لأرجو أن يكون في ذلك خير [(3)] .
وقد أرجفت اليهود والمنافقون وشاع الخبر. وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر وقد فارقوا قريشا
من ذي طوى، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر وانصرفوا.

خبر أبي عامر الفاسق

وكان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلا [من الأوس] [(4)] إلى مكة وحرّض قريشا
وسار معها وهو يعدّها أن قومه يؤازروهم - واسم أبي عامر هذا عبد عمرو [(5)] بن صيفي
الراهب، وكان رأس الأوس في الجاهلية، وكان مترهبا، فلما جاء الإسلام خذل فلم يدخل فيه،
وجاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة فدعا عليه، فخرج من المدينة إلى مكة، وهمت
قريش وهي بالأبواء أن تنبش قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفهم الله عنه.

بث العيون

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنسا ومؤنسا ابني فضالة ليلة الخميس عيين، فاعترضا
لقريش بالعقيق [(6)] ، وعادا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبراه. ونزل المشركون ظاهر
المدينة يوم الأربعاء فرعت إبلهم آثار الحرث والزرع يوم الخميس ويوم الجمعة حتى لم يتركوا
خضراء. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح فنظر إليهم وعاد
وقد حرز عددهم وما معهم،
فقال صلى الله عليه وسلم: لا تذكروا من شأنهم حرفا، حسينا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول
وبك أصول.

المناوشة قبل أحد

وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة فلقى عشرة أفراس طليعة فراشقههم

[(1)] في (خ) «ابنا» .

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] في (خ) «خيرا» .

[(4)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 205.

[(5)] في (خ) «عمرو بن صبيح» .

[(6)] «والعرب تقول لكل مسيل ماء شقّه السيل في الأرض فأخمره ووسعه، عقيق وفي بلاد العرب أربعة أعقّة وهي أودية عادية شقّتها السيول» ، والمراد في هذا الخبر هو: عقيق بناحية المدينة، (معجم البلدان) ج 4 ص 138-139.

(132/1)

بالتبّل والحجارة حتى انكشفوا عنه، وعدا إلى قومه بني عبد الأشهل فأخبرهم ما لقي، وبات وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة لست مضين من شوال عليهم السلاح في المسجد بباب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خوفا من بيات [(1)] المشركين، وحرسّت المدينة حتى أصبحوا.

رؤيا رسول الله وخطبته

ورأى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا، فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناس خطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إني رأيت في منامي رؤيا، رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم [(2)] من عند ظبته [(3)] ، ورأيت بقرا تذبح، ورأيت كأني مردف كبشا. فقال الناس: يا رسول الله، فما أولتها؟ قال:

أما الدرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها، وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي، وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي، وأما أني مردف كبشا فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله. وفي رواية: وأما انقصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي. وقال: أشيروا عليّ.

اختلاف المسلمين في الخروج إلى العدو

ورأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يخرج من المدينة فواقفه عبد الله بن أبيّ والأكابر من الصحابة مهاجرهم وأنصارهم، وقال عليه السلام: امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فإن دخل علينا قاتلناهم في الأزقة- فنحن أعلم بما منهم- ورموا من فوق الصياصي والآطام [(4)] .

وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرا وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو: اخرج بنا إلى عدونا، وقال حمزة وسعد بن عباد، والنعمان بن مالك ابن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أننا كرهنا

الخروج إليهم جنبنا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنت يوم بدر

[(1)] البيات: أن يوقعوا بالناس ليلاً.

[(2)] انقصم: تكسر.

[(3)] الطبة: حد السيف من قبل ذبابه وطرفه.

[(4)] الصياصي: جمع صيصية وهي الحصن. (المعجم الوسيط) ج 1 ص 531 والآطام: جمع

أطم وهو البيت المرتفع (المرجع السابق) ج 1 ص 21.

(133/1)

في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في ساحتنا.

كراهية رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من إلحاحهم كاره، وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة:

والذي أنزل عليك الكتاب لا أطمع اليوم طعاماً حتى أجالدهم [(1)] بسيفي خارجاً من

المدينة، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً. وتكلم مالك ابن سنان والد أبي سعيد

الخدري، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس ابن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلما

أبوا إلا ذلك صلى [(2)] رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم

باجد والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، ففرح الناس بالشخص [(3)] إلى عدوهم،

وكره ذلك المخرج كثير. ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالناس وقد حشدوا،

وحضر أهل العوالي [(4)] ورفعوا النساء في الآطام: ودخل صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو

بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه ولبسوا. وقد صف الناس له ما بين حجرته إلى منبره.

خبر ندامة المسلمين على استكراههم الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس: قلتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلتم

واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه،

وما رأيتم فيه له هوى أو رأي فأطيعوه، فبينما هم على ذلك إذ خرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم قد لبس لأمته [(5)] ، ولبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقة (من آدم) [(6)]

من حمائل سيف، واعتم وتقلد السيف،
فقال الذين يلحون: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، فقال: قد دعوتكم
إلى هذا الحديث فأبئتم، ولا ينبغي لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه،
انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلکم

[(1)] جالد بالسيف: ضرب بسرعة كأنه يجلد بسوط.

[(2)] في (خ) «صلى الله» .

[(3)] الشخصوص: الخروج.

[(4)] العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة أربعة ليال (معجم البلدان) ج 4 ص 166.

[(5)] اللأمة: أداة الحرب ولباسها.

[(6)] ما بين القوسين كان في (خ) بعد قوله: «حمائل سيف» .

(134/1)

النصر ما صبرتم.

ووجد مالك بن عمرو النجاري [(1)] - وقيل بل هو محرز بن عامر بن مالك ابن عدي بن
عامر بن غنم بن عدي النجار، وهو قول ابن الكلبي - قد مات، ووضعه عند موضع الجنائز
فصلّى عليه.

الألوية يوم أحد

ثم دعا بثلاثة أرماع فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى
حباب بن المنذر بن الجموح - ويقال إلى سعد بن عبادة - ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي
طالب، ويقال: إلى مصعب بن عمير [(2)] رضي الله عنهم.
ثم ركب فرسه وتقلد القوس وأخذ قباءه [(3)] بيده. والمسلمون عليهم السلاح فيهم مائة
دارع، وخرج السعدان أمامه يعدوان - سعد بن عبادة وسعد بن معاذ - والناس عن يمينه وشماله،
حتى انتهى إلى رأس الثنية.

كتيبة عبد الله بن أبي وحلفاؤه من يهود

[حتى إذا كان بالشيخين التفت فنظر إلى] [(4)] كتيبة خشناء لها زجل [(5)] فقال: ما

هذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول من يهود، فقال:
لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك،
ومضى فعسكر بالشيخين [(6)] - وهما أطمان-، والمشركون بحيث يرونه، فاستعدوا لحربه،
وهم بنو سلمة وبنو حارثة ألا يخرجوا إلى أحد ثم خرجا.

خيل المسلمين

وكان المسلمون ألفا فيهم مائة دارع، وفرسان: أحدهما لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم

[(1)] وهو قول (الواقدي) ج 1 ص 214.

[(2)] في (خ) «عمرو» .

[(3)] في (المغازي) ج 1 ص 215 «وأخذ قناة بيده» .

[(4)] في (خ) مكان ما بين القوسين «رأى» وما أثبتناه من (ابن سعد) ج 2 ص 99.

[(5)] زجل: صوت وجلبة.

[(6)] موضع سمّي كذلك لأن شيخا وشيخة كانا يجلسان عليه يتناحيان هناك.

(135/1)

والآخر لأبي بردة بن نيار.

عرض الغلمان وردّهم عن القتال

وعرض عليه غلمان: عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنعمان بن بشير، وزيد

بن أرقم، والبراء بن عازب (وعمر بن حزم) [(1)] ، وأسيد بن ظهير، وعرابة بن أوس، وأبو

سعيد الخدريّ، (وسعد بن حبتة الأنصاري) [(2)] ، وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج،

فردّهم، ثم أجاز رافع بن خديج لأنه رام،

فقال سمرة بن جندب لزوج أمه مري بن سنان: أجاز رسول الله رافع بن خديج وردّني وأنا

أصرعه، فأعلم بذلك رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال:

تصارعا، فصرع سمرة رافعا فأجازه،

ونزل عبد الله بن أبي ناحية.

الحرس والأدلاء

فلما فرغ العرض وغابت الشمس، أذن بلال بالمغرب، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم، واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر.

وقال حين صلى العشاء: من يحفظنا الليلة؟ فقام ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه وأخذ درقته، فكان يطيف بالعسكر ليلته، ويقال:

بل كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقه. ونام صلى الله عليه وسلم حتى [(3)] كان السحر قال:

أين الأدلاء؟ من رجل يدلنا على الطريق [و] [(4)] يخرجنا على القوم من كئيب؟ فقام أبو حنثة الحارثي، ويقال: أوس بن قيظي، ويقال: محيصة، وأبو حنثة أثبت - فقال: أنا يا رسول الله.

[(1)] زيادة من (ابن هشام) ج 3 ص 18.

[(2)] أغفله (الواقدي) و (ابن هشام) ، وذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج 2 ص 6 «وسعد ابن حنثة - بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح التاء المثناة من فوق تاء التأنيث - جد أبي يوسف الفقيه وهو سعد بن بحير - بفتح الحاء الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون الباء - ابن معاوية حليف بني عمرو بن عوف» وذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) ج 4 ص 36 ترجمة رقم 923.

[(3)] في (الواقدي) ج 1 ص 217 «فلما كان في السحر» ، وفي (ابن هشام) «حتى إذا كان السحر» .

[(4)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 8.

(136/1)

نبوءة رسول الله بسل السيوف

فخرج صلى الله عليه وسلم فركب فرسه فسلك به في بني حارثة، فذبّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب [(1)] سيفه فسل سيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا صاحب السيف، شم شيفك، فإني إخال السيوف ستسلّ فيكثر سلها [(2)] .

ولبس من الشيخين درعا واحدة حتى انتهى إلى أحد، فلبس درعا أخرى ومغفرا وبيضة فوق المغفر، ولما نهض صلى الله عليه وسلم من الشيخين زحف المشركون على تعبئة، وقد رأس فيهم أبو سفيان صخر بن حرب لعدم أكابره الذين قتلوا ببدر، ووافى عليه السلام أحدا وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين، فأذن بلال وأقام، وصلى عليه السلام بأصحابه الصبح صفوفا.

الخزأل ابن أبي ورجوعه

والخزأل [(3)] ابن أبي في كتيبة وهو يقول: أيعصيني ويطيع الولدان؟ حتى عاد إلى المدينة ومعه ثلاثمائة، فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة، وذكر له قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبي [(4)] صلى الله عليه وسلم من ذلك ومن أن يستعين بمشرك.

تعبئة جيش المسلمين

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلا، عليهم عبد الله ابن جبير، [ويقال: بل جعل عليهم سعد بن أبي وقاص، وابن جبير أثبت] [(5)] ، وجعل على إحدى الجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو

[(1)] كآلاب السيف: المسمار أو الحلقة التي تكون في قائم السيف وتكون فيها علاقته.
[(2)] هذه رواية (الواقدي) ج 1 ص 218، وأما رواية (الطبري) ج 2 ص 506 فهي كما نقلها عن (ابن إسحاق) : «فذبّ فرس بذبّه، فأصاب كلاب سيف، فاستلّه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- وكان يحب الفأل ولا يعتاف- لصاحب السيف: شم سيفك، فإني أرى السيوف ستسلّ اليوم». ورواية (ابن الأثير) في (الكامل) ج 2 ص 151: «وذبّ فرس بذبّه فأصاب كآلاب سيف صاحبه، فاستله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيوفكم، فإني أرى السيوف ستسلّ اليوم» .

[(3)] الخزل: انقطع ثم انفرد ثم تراجع (هامش ط) وفي (المغازي) «ارتحل» .

[(4)] تقول: «أبي ذلك»، «أبي من ذلك» متعديا بنفسه أو بحرف جر.

[(5)] ما بين القوسين في (خ) بعد قوله «الغنوي» وهذا حق موضعها.

الغنوي [(1)] ، وجعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة.

تعبة المشركين يوم أحد

وأقبل المشركون: على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، ولهم مجنبتان مائتا فارس، وعلى الخيل صفوان بن أمية، ويقال: عمرو ابن العاص، وعلى رماثم - وكانوا مائة - عبد الله بن أبي [(2)] ربيعة. ودفعوا لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة: واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي.

تسوية صفوف المسلمين

ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجله يسوي الصفوف حتى كأنما يقوم بها القداح، إن رأى صدرا خارجا قال: تأخر. فلما استوت دفع اللواء إلى مصعب ابن عمير فتقدم به بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

ثم قام فخطب الناس فقال: يا أيها الناس: أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه. ثم إنكم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كره [(3)] ، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله له رشده، فإن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله. وعليكم بالذي أمركم به، فإني حريص على رشدكم، وإن الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر. يا أيها الناس: حدد في صدري [(4)] أن من كان على حرام فرق الله بينه وبينه ورغب له عنه غفر الله له ذنبه، ومن صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته عشرا،

[(1)] لعله المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة، ذكره صاحب (الإصابة) ترجمة رقم 8219

ج 9 ص 285، ولم أجده في ما عندي من كتب السيرة أو الرجال باسم «الغنوي» .

[(2)] في (خ) «ابن ربيعة» والتصويب من (المغازي) ج 1 ص 220.

[(3)] في نسخة من (المغازي) : «شديد كره» .

[(4)] حدد: أي قد امتنع بي ولزمني.

ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا، ومن استغنى عنها [(1)] استغنى الله عنه، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها، لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يقدر ما عنده إلا بطاعته. قد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينهما شيئا [(2)] من الأمر لا يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه، وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه. والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى [(3)] تداعى إليه سائر الجسد [(4)] ، والسلام عليكم.

أول من أنشب الحرب

وأول من أنشب الحرب أبو عامر. طلع في خمسين من قومه مع عبيد قريش فنادى: يا للأوس، أنا أبو عامر، فقالوا: لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر! فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولى. ودعا طلحة ابن أبي طلحة إلى البراز فبرز له علي رضي الله عنه فقتله، فكبر المسلمون وسرّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله: فإنه هو كبش الكتيبة.

نساء المشركين وغناؤهم

وكانت نساء المشركين- قبل التقاء الجمعين- أمام صفوفهم يضربن بالأكبار والدِّفَاف والغرابيل، ثم يرجعن فيمكن في مؤخر الصف، فإذا دنا القوم بعضهم من بعض تأخر النساء وقمن خلف الصفوف: فجعلن كلما ولى رجل حرضنه وذكرنه

[(1)] في (خ) «استغنى عن الله» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 222.

[(2)] في (خ) «شبهات» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 222.

[(3)] في (خ) «إذا اشتكى» مكررة.

[(4)] في (ط) «جسده». وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 222.

قتلاهم ببدر، ويقلن:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق [(1)]

إن تقبلوا نعانق ... أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَمِعَ قَوْلَهُنَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ أَجُولُ وَأَصُولُ، وَفِيكَ أَقَاتِلُ،

حسبي اللهُ وَنعم الوكيل،

ويقال: إن هندا قامت في النسوة يضربن بالدفوف وتقول:

ويها بني عبد الدار ... ويها حماة الأديار

ضربا بكل بتار

وتقول:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

[إلى آخره..]

النمارق، جمع نمرقة بضم النون والراء، وربما كسرت النون، حكاه يعقوب: وهي الوسائد، وقد

تسمى الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة، ويقال في قولها: «نحن بنات طارق»: إنما أرادت بنات

الأمر الواضح المضيء كإضاءة النجم، وذلك من قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ [.

خبر قرمان

وكان قرمان [(2)] يعرف بالشجاعة وقد تأخر، فغيرته نساء بني ظفر فأتى رسول الله صَلَّى اللهُ

عليه وَسَلَّمَ وهو يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول، فكان أول من رمى من المسلمين

بسهم، فجعل يرسل نبلا كأنها الرماح، ويكت كتيت [(3)]

[(1)] في (عيون الأثر) ج 2 ص 9 «ونفرش النمارق» وفي (تاريخ الطبري) ج 2 ص 510

«ونبسط النمارق». والنمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة، قال تعالى: وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ

آية 15/ العاشية وأضاف ابن الأثير في (الكامل) ج 1 ص 153:

«إيها بني عبد الدار ... إيها حماة الديار

ضربا بكل بتار

[(2)] يقول الواقدي في (المغازي) ج 1 ص 223: «وكان قرمان من المنافقين، وكان قد

تخلف عن أحد، فلما أصبح عبّره نساء بني ظفر... إلخ» .
[(3)] كتّ يكتّ كتيبتا: دفع من صدره صوتا شديدا يكون من شدة الغيظ. وفي اللغة: كتّت
القدر كتيبتا:

صوّت عند ابتداء غلباتها (المعجم الوسيط) ج 2 ص 775.

(140/1)

الجميل، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة، وأصابته جراحة فوق، فناداه فتادة بن
النعمان، أبا الغيداق، هنيئا لك الشهادة! فقال: إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين، ما
قاتلت إلى على الحفاظ [(1)] أن تسير إلينا قريش حتى تطأ سعفنا [(2)] ، ثم تحامل على
سيفه فقتل نفسه.
فذكر للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: من أهل النار، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

خبر الرماة يوم أحد

وتقدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرماة فقال: احموا لنا ظهورنا، فإننا نخاف أن نؤتى من ورائنا،
والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وإذا رأيتمونا نهمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم،
وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا، اللَّهُمَّ إني أشهدك عليهم. وأرشقوا خيلهم بالنبل،
فإن الخيل لا تقدم [(3)] على النبل.
وكان الرماة تحمي ظهور المسلمين، ويرشقون خيل المشركين بالنبل فلا تقع إلا في فرس أو رجل
فتولي الخيل هوارب. وشدّ المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربون حتى اختلت
صفوفهم.

حملة لواء المشركين ومصارعهم

[وحمل لواءهم بعد طلحة ابنه أبو شيبعة عثمان بن طلحة] [(4)] فحمل عليه حمزة فقتله،
فحملة أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله. فحملة مسافع بن طلحة بن
أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الألقح فقتله. فحملة الحارث بن طلحة فرماه عاصم
فقتله. فنذرت أمهم سلافة بنت سعد بن الشهيد- وكانت مع نساء المشركين- أن تشرب في
قحف رأس عاصم الخمر، وجعلت لمن جاء به مائة من الإبل. ثم تداول حمل لوائهم عدّة، وكلهم
يقتلون، وقال

-
- [(1)] الحفاظ: الذب عن المحارم والمنع عند الحروب (المعجم الوسيط) ج 1 ص 185 وفي (ابن هشام) ج 3 ص 34 «فو الله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت» .
- [(2)] سَعَف النخيل، كناية عن الزرع والأرض.
- [(3)] في (خ) «لا تقوم» . والتصويب من (الواقدي) ج 1 ص 225.
- [(4)] كذا في (خ) وهو خطأ، وصوابه في (المغازي) ج 1 ص 226: «ثم حمل لواءهم بعد طلحة عثمان بن أبي طلحة، أبو شيبه» .

(141/1)

الزبير بن بكار: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال: كان لواء المشركين يوم أحد مع طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار فقتله عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه. وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلميّ ثم البهزي [بزاي] [(1)] :

لله أيّ مذبّب عن حرمة ... أعني ابن فاطمة المعمم المخولا
جادت يداك لهم بعاجل طعنة ... فتركت طلحة للجبين مجذّلا
وشددت شدّة باسل فكشفتهم ... بالجرّ إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لتردّه حران [(2)] حتى ينهلا

قال: ثم أخذ اللواء بعد طلحة أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ثم أخذ اللواء أخوهما عثمان بن أبي طلحة وهو أبو شيبه، فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم أخذ اللواء مسافر بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله عاصم [بن ثابت] [(3)] بن أبي الأقلح، رماه فلما أحسّ بالموت دفع اللواء إلى أخيه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فرماه أيضا عاصم [بن ثابت] [(2)] ابن أبي الأقلح، فلما أحسّ الموت دفع اللواء إلى أخيه كلاب بن طلحة فقتله قزمان عديد [(4)] بني ظفر من الأنصار، ثم أخذ اللواء الحارث بن أبي طلحة فقتله قزمان،

-
- [(1)] ترجمته في (الإصابة) ج 2 ص 214-216 برقم 1618.
- [(2)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق: «لتردّه في الغمد حتى ينهلا» وهذه الأبيات في ابن هشام ج 3 ص 79 على هذا النحو:
- لله أيّ مذبب عن حرمة ... أعني ابن فاطمة المعمم المخولا

سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشدت شدة باسل فكشفتهم ... بالجر إذ يهون أخول أخولا
- المذنب: الحامي.

- الحرمة: ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه.

- ابن فاطمة: الإمام علي.

- المعم المخول: كريم الأعمام والأخوال.

- الجر: أصل الجبل.

- أخول أخولا: واحدا بعد واحد.

[(3)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 227.

[(4)] يقال فلان عديد بني فلان: أي يعد فيهم وليس منهم صليبة.

(142/1)

فأخذ اللواء ارطأة بن شرحبيل [(1)] بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله مصعب بن
عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار صاحب لواء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم
قتل مصعب بن عمير. ثم أخذ لواء المشركين أبو يزيد بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد
الدار فقتله قرمان أيضا. ثم أخذ اللواء القاسط بن شريح [(2)] ابن هاشم بن عبد مناف بن
عبد الدار فقتله قرمان أيضا. فذلك عشرة، وقيل:

سبعة من صليبتهم مشركون قتلوا يوم أحد. ثم أخذ اللواء «صؤاب» غلام لهم حبشي، فقالوا له:

[لا] [(3)] نؤتين من قبلك، فقطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله، فقطعت فالترزم القناة، وقال

[(4)] : قضيت ما علي؟ قالوا: نعم، فرماه قرمان فقتله. ووقع اللواء فتفرق المشركون،

فأخذت اللواء عمرة بنت علقمة الحارثية، [قال الكلبي: عمرة بنت الحارث بن الأسود بن عبد
الله بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة] فأقامته، فتراجع المشركون فقال حسان

ابن ثابت رضي الله عنه، يعير بني مخزوم بالفرار، ويذكر صبر بني عبد الدار:

صلي البأس منهم إذ فررتم ... عصبه من بني قصي صميم

عمرة تحمل اللواء وطارت ... في رعا من القنا مخزوم

لم تطلق حملة الزعانف منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم

وقال في صؤاب [(5)] :

- [(1)] كذا في (ابن سعد) ج 2 ص 41، و (الواقدي) ج 1 ص 228. وفي (ابن هشام) ج 3 ص 62 «أرطاة عبد شرحبيل» .
- [(2)] في (خ) «القاسط ثم شرحبيل» والتصويب من (ابن هشام) ج 3 ص 62.
- [(3)] زيادة للسياق.
- [(4)] في (المغازي) ج 1 ص 228 «وقال: يا بني عبد الدار، هل أعذرت؟» .
- [(5)] هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ص 372 هكذا:
- فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين ردّ إلى صؤاب
 جعلتم فخركم فيه لعبد ... من الأم من يطا عفر التراب
 حسبتهم والسفيه أخو ظنون ... وذلك ليس من أمر الصواب
 بأن لقاءنا إذ حان يوم ... بمكة بيعكم حمر العياب
 أقر العين إن عصبت يده ... وما إن تعصبان على خضاب
 ورواها أيضا (الطبري) ج 2 ص 513-514 (وابن هشام) ج 3 ص 27، باختلاف يسير
 وقال: آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي وأنشدنيه له خلف الأحمر:

(143/1)

فخرتم باللواء وشرّ فخر ... لواء حين ردّ إلى صؤاب
 جعلتم فخركم فيه لعبد ... للأأم من مشى فوق التراب
 وقال في إقامة الحارثية اللواء، وفي سياق الأحابيش معهم [(1)] :
 إذا عضل [(2)] سيقت إلينا كأهم ... جداية شرك معلمات الحواجب
 أقمنا لهم ضربا مبيرا منكلا ... وحرناهم بالطعن من كل جانب
 ولولا لواء الحارثية أصبحوا ... يباعون في الأسواق بيع الجلائب [(3)]
 وقال أبو عبيدة فيما سمع من علي:
 أقمنا لكم ضربا طلخفا [(4)] منكلا ... وحرناكم بالطعن من كل جانب

عصيان الرماة ودولة الحرب على المسلمين

وما ظفر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في موطن قط ما ظفروه وأصحابه يوم أحد حتى عصوا
 الرسول صلى الله عليه وسلم وتنازعوا في الأمر. لقد قتل أصحاب اللواء، وانكشف المشركون
 منهزمين لا يلوون، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح، ولكن المسلمين أتوا من

قبل الرماة، فإن المشركين لما انهزموا وتبعهم المسلمون: يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا، ووقعوا ينتهبون عسكرهم، قال بعض الرماة لبعض:
لم [(5)] تقيمون هاهنا في غير شيء؟ قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم! فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم.
فقال بعضهم: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكم: احموا ظهورنا، ولا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن غنمنا فلا تشركونا، احموا ظهورنا.
فقال

[()]

أقر العين أن عصبت يداها ... وما إن تعصبان على خضاب
في أبيات له، يعني امرأته، في غير حديث أحد.

[(1)] انظر الديوان ص 172.

[(2)] عضل: اسم قبيلة. والجداية: الصغير من ولد الظبي. شرك: موضع. انظر (ابن هشام)
ج 3 هامش ص 28.

[(3)] الجلائب: ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها (المرجع السابق) .

[(4)] كذا في (خ) و (ط) ولعلها «طلحفا» بالحاء المهملة. والطلحف: الشديد (ترتيب
القاموس) ج 3 ص 86.

[(5)] في (خ) «لا» .

(144/1)

الآخرون: لم يرد رسول الله هذا. وانطلقوا، فلم يبق منهم مع أميرهم عبد الله ابن جبير إلا دون
العشرة، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون، وكانت الريح أول النهار صبا فصارت دبوراً، وبيننا
المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم، إذ دخلت الخيول تنادي فرسائها بشعارهم: يا للعزيز [يا
هبل] [(1)] ، ووضعوا في المسلمين السيوف وهم آمنون، وكل منهم في يده أو حضنه شيء
قد أخذه، فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وتفرق المسلمون في كل وجه، وتركوا ما انتهبوا، وخلوا من
أسروا، وكثر خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في الخيل إلى موضع الرماة، فرماهم عبد الله بن
جبير بمن معه حتى قتل، فجردوه ومثل به أقبح المثل [(2)] ، وكانت الرماح قد شرعت في
بطنه حتى خرقت ما بين سرتة إلى خاصرته إلى عانته وخرجت حشوته [(3)] . وجرح عامة من

كان معه، وانتقضت صفوف المسلمين.

قولهم إن محمدا قتل، وانتقاض صفوف المسلمين

ونادى إبليس عند جبل عينين [(4)] - وقد تصور في صورة جعال بن سراقه-: إن محمدا قد قتل: ثلاث صرخات، فما كانت دولة أسرع من دولة المشركين [(5)] .

اختلاط الأمر على المسلمين، فيقتل بعضهم بعضا

واختلط المسلمون وصاروا يقتلون، ويضرب بعضهم بعضا، ما يشعرون من العجلة والدّهش، وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة [بن نيار] [(6)] وما يدري، وضرب أبو زعنة [(7)] أبا بردة ضربتين وما يشعر والتقت أسياف المسلمين على اليمان [حسيل بن جابر] وهم لا يعرفونه حين اختلطوا، وحذيفة يقول: أي، أي!! حتى قتل. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم

[(1)] في (خ) «إذ دخلت الخيول بالهبل تنادي فرسانها بشعارهم يا للعزى» .

[(2)] المثلة: التنكيل والعقوبة (المعجم الوسيط) ج 2 ص 854.

[(3)] الحشوة: جميع ما في البطن عدا الشحم (المرجع السابق) ج 1 ص 177.

[(4)] أحد جبال أحد، ويقال ليوم أحد: «يوم عينين» .

[(5)] الدّولة: الغلبة (المعجم الوسيط) ج 1 ص 304.

[(6)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 232.

[(7)] في (خ) «أبو رعدة» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 233.

(145/1)

الراحمين. فزادته عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا، وأمر رسول الله بديته أن تخرج، فتصدق حذيفة بن اليمان بديته على المسلمين. ويقال: إن الذي أصابه عتبة بن مسعود. وأقبل الحباب بن المنذر بن الجموح يصيح: يا آل سلمة!، فأقبلوا إليه عنقا [(1)] واحدة: لبيك داعي الله!! فيضرب يومئذ جبار بن صخر في رأسه وما يدري، حتى أظهروا الشعار بينهم [(2)] فجعلوا يصيحون: أمت أمت! فكف بعضهم عن بعض، وقتل مصعب بن عمير وبيده اللواء، فقتله ابن قميئة واسمه عمرو، وقيل:

عبد الله.

تفرق المسلمون ثم البشرى بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في كل وجه، وأصعدوا في الجبل لما نادى الشيطان: قتل محمد! فكان أول من بشرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم سالما كعب بن مالك، فجعل يصيح ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليه بإصبعه على فيه: أن اسكت. ودعا بلأمة كعب- وكانت صفراء أو بعضها- فلبسها ونزع لأمته فلبسها كعب. وقاتل كعب حتى جرح سبعة عشر جرحا لشدة قتاله. وصار أبو سفيان بن حرب يقول:

يا معشر قريش أيكم قتل محمدا؟ فقال ابن قميئة: أنا قتلته! قال: نسورك [(3)] كما تفعل الأعاجم بأبطالها [(4)]. وجعل يطوف بأبي عامر الفاسق في المعرك، هل يرى محمدا؟ وتصفح القتلى فقال: ما نرى مصرع محمد، كذب ابن قميئة. ولقي خالد ابن الوليد فقال: هل تبين عندك قتل محمدا؟ قال: رأيته قبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل. قال [أبو سفيان] [(5)] هذا حق، كذب ابن قميئة، زعم أنه قتله.

[(1)] العنق: الجماعة من الناس، يقال جاء الناس عنقا عنقا. (المعجم الوسيط) ج 2 ص 632.

[(2)] في (خ) «منهم»، والتصويب من (الواقدي) ج 1 ص 234.

[(3)] نسورك: نلبسك السوار (المعجم الوسيط) ج 1 ص 462.

[(4)] في (خ) «ببطلانها». والتصويب من (المغازي) ج 1 ص 236.

[(5)] زيادة للإيضاح.

(146/1)

نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إليه
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلوون عليه-
يقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول الله! فما عرج واحد عليه.
هذا، والنبيل يأتيه صلى الله عليه وسلم من كل ناحية وهو في وسطها والله يصرفها عنه. وعبد الله
بن شهاب الزهري يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا! ورسول الله صلى الله عليه وسلم
إن جنبه ما معه أحد. ثم جاوزه عبد الله بن شهاب فلقى صفوان بن أمية [(1)] فقال له:

ترحت [(2)] ! ألم يمكنك أن تضرب محمدا فتقطع هذه الشأفة [(3)] ، فقد أمكنك الله منه؟ قال: وهل رأيته؟ قال: نعم! إنه إلى جنبك، قال: والله ما رأيته! أحلف [(4)] أنه منا ممنوع، خرجنا أربعة تعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك.

أمر المسلمين بعد الهزيمة

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما انكشف المسلمون لم يبق معه إلا نغير [(5)] ، فأحرق به أصحابه من المهاجرين والأنصار، وانطلقوا به إلى الشعب وما للمسلمين لواء قائم ولا فئة ولا جمع، وإن كتائب المشركين لتحوشهم [(6)] مقبلة ومدبرة في الوادي يلتقون ويفترقون: ما يرون أحدا من الناس يردهم، ثم رجعوا نحو معسكرهم واشتوروا [(7)] في المدينة وفي طلب المسلمين، فبينما هم على ما هم فيه إذ طلع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى أصحابه: فكأنهم لم يصيبهم شيء حين رأوه سالما.

ما نال المشركون من المسلمين

وكان ابن قميئة- لما قتل مصعب بن عمير وسقط اللواء من يده- ابتدره رجلان من بني عبد الدار: سويبط بن حرملة وأبو الروم فأخذه أبو الروم فلم يزل في يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون. ويقال: بل دفعه رسول الله

[(1)] في (خ) «صفوان بن أمية بن شهاب» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 238.

[(2)] ترحت: في (خ) «قرحت» ، والصواب ما أثبتناه، وهو دعاء من الترح، وهو الحزن.

[(3)] الشأفة: قرحة تخشن فتستأصل بالكي (المعجم الوسيط) ج 1 ص 469.

[(4)] في (المغازي) «أحلف بالله» ج 1 ص 238.

[(5)] تصغير نفر.

[(6)] يأخذونهم من حواليتهم من كل جانب.

[(7)] في (الواقدي) ج 1 ص 238: «نحو معسكرهم، وتأمروا في المدينة وفي طلبنا» .

(147/1)

صَلَّى الله عليه وسلّم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. واقتتل الفريقان على الاختلاط من الصفوف، ونادى المشركون بشعارهم [يا للعزى، يا آل هبل] [(1)] فأوجعوا في المسلمين قتلا

ذريعا، ونالوا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نالوا. ولم يزل اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبرا واحدا بل وقف في وجه العدو، وأصحابه تثوب إليه مرة منهم طائفة، وتفرق عنه مرة، وهو يرمي عن قوسه أو بحجر حتى تهاجزوا.

من ثبت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسلمين في أحد وثبت معه خمسة عشر رجلا [(2)] : سبعة من المهاجرين هم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ومن الأنصار سبعة: الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ. ويقال: ثبت سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة: فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

المبايعون على الموت

وبايعه يومئذ على الموت ثمانية: ثلاثة من المهاجرين هم: علي، والزبير، وطلحة، وخمسة من الأنصار هم: أبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد يومئذ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم في أخراهم [حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من دون المهراس] [(3)] ويقال: ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودّع [(4)]

[(1)] زيادة من المرجع السابق.

[(2)] كذا في (خ) و (ط) ، ورواية (ابن سعد) ج 2 ص 42، و (الواقدي) ج 1 ص 240 «أربعة عشر رجلا، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار» .

[(3)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 240، والمهراس: ماء بجبل أحد (انظر المرجع السابق) .

[(4)] غير مودّع: غير متروك، إشارة إلى قوله تعالى: ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى آية 3/ الضحى.

خبر المدافعين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ويقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما لحمه القتال [(1)] وخلص إليه، ذب عنه

مصعب ابن عمير، وأبو دجاجة حتى كثرت به الجراحة،
 فجعل صلى الله عليه وسلم يقول: من رجل يشري [(2)] نفسه؟
 فوثب فتية من الأنصار خمسة، منهم عمارة بن زيادة بن السكن فقاتل حتى أثبت وفاءت [(3)]
 [فئة من المسلمين فقاتلوا حتى أجهضوا أعداء الله.
 فقال صلى الله عليه وسلم لعمارة بن زياد: أدن مني، إليّ إليّ! حتى وسده رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قدمه - وبه أربعة عشر جرحا - حتى مات.
 وجعل صلى الله عليه وسلم يومئذ يذمر [(4)] الناس ويحضهم على القتال. وكان رجال من
 المشركين قد أذلقوا [(5)] المسلمين بالرّمى، منهم حبان بن العرقه وأبو أسامة الجشمي،
 فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لسعد بن أبي وقاص: إرم فداك أبي وأمي.

خبر حبان بن العرقه وأم أيمن

ورمى حبان بن العرقه بسهم فأصاب ذيل أم أيمن - وقد جاءت تسقي الجرحى - فانكشف عنها
 فاستغرب [(6)] في الضحك، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فدفع إلى سعد بن
 أبي وقاص سهما لا نصل له فقال: إرم، فوقع السهم في نحر حبان فوق مستلقيا وبدت عورته،
 فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال:
 استقاد [(7)] لها سعد! أجاب الله دعوتك وسدد رميتك.
 وكان مالك بن زهير [(8)] - أخو أبي سلمة [(9)] الجشمي - هو وحبان بن العرقه قد
 أكثرا [(10)] في المسلمين القتل بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص مالكا أصاب السهم عينه
 حتى خرج من قفاه فقتله، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى صارت
 شظايا فأخذها قتادة بن النعمان فلم تزل عنده.

[(1)] كذا في (المغازي) ج 1 ص 240.

[(2)] أي يبيع نفسه للموت.

[(3)] رجعت.

[(4)] يحرض.

[(5)] في (خ) «أولقوا»، وأذلق: أسرع في الرمي وأضعفوا (المعجم الوسيط) ج 1 ص 314.

[(6)] في (خ) «استغربت».

[(7)] أي انتصف.

[(8)] في (خ) «أخا».

[(9)] كذا في (خ) ، (ط) وفي (الواقدي) «أبي أسامة» ج 1 ص 241 .
[(10)] في (خ) «أكثرُوا» .

(149/1)

خبر عين قتادة

وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذها وردها فعادت كما كانت، ولم تضرب عليه بعدها. وكان يقول بعد ما أسنّ: هي أقوى عيني! وكانت أحسنهما.

مباشرتة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتال

وباشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتال ورمى بالنبل حتى فنيته نبله، وتكسرت سية [(1)] قوسه. وقبل ذلك ما انقطع وتره وبقيت في يده قطعة تكون شبرا في سية القوس، فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتر [(2)] له فقال: يا رسول الله، لا يبلغ الوتر، فقال مدّه يبلغ!

قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق، لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثا على سية القوس، ثم أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوسه فما زال يرام القوم - وأبو طلحة يستره مترسا عنه - حتى تحطمت القوس.

خبر أبي طلحة

وكان أبو طلحة قد نثر كنانته - وفيها خمسون سهما - بين يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان راميا وكان صيتا [(3)] -

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلا، فلم يزل يرم بها ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلفه بين رأسه ومنكبه ينظر إلى مواقع التبل حتى فنيته نبله وهو يقول: نحري دون نحرك جعلني الله فداك. فإن كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليأخذ العود من الأرض فيقول: ارم أبا طلحة! فيرمي بها سهما جيدا.

سبب تسميته أبو رهم المنحور

ورمي يومئذ أبو رهم الغفاريّ بسهم فوقه في نحرة، فبصق عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فبراً، وسمي بعد ذلك المنحور.

[(1)] سية القوس: طرفه.

[(2)] يوتر للقوس: يشد وترها.

[(3)] رفيع الصوت جهيره.

(150/1)

المتعاهدون من قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفهم المشركون بذلك، وهم: عبد الله بن شهاب، وعتبة بن أبي وقاص، وعمرو بن قميئة، وأبي بن خلف [وزاد بعضهم (1)] وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي].

خبر ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجراحة يوم أحد ورمى عتبة يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أحجار فكسر ربايعته، أشطى [(2)] باطنها اليمنى السفلى، وشج في وجنتيه حتى غاب حلق المغفر [(3)] في وجنته، وأصيبت ركبته: جحشتا [(4)]، وكانت حفر حفرها أبو عامر كالحنادق يكيد بها المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على بعضها ولا يشعر به. والثبت أن الذي رمى وجنته صلى الله عليه وسلم ابن قميئة، والذي رمى شفته وأصاب ربايعته عتبة بن أبي وقاص. وأقبل ابن قميئة - وهو يقول: دلوني على محمد، فو الذي يحلف به [(5)] لئن رأيت لأقتلنه - فعلاه بالسيف، ورماه عتبة بن أبي وقاص مع تجليل [(6)] السيف - وكان عليه درعان. فوقع صلى الله عليه وسلم في الحفرة التي أمامه على جنبه فجحشت ركبته، ولم يصنع سيف ابن قميئة شيئا إلا وهن الضربة بثقل السيف فقد وقع لها صلى الله عليه وسلم وانتهض، وطلحة يحمله من ورائه، وعليّ أخذ بيده حتى استوى قائما. ويقال: الذي شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبهته ابن شهاب، والذي أشطى ربايعته وأدمى شفثيه عتبة بن أبي وقاص، والذي دمی وجنتيه حتى غاب الحلق في وجنته ابن قميئة وسال الدم من شجته التي [(7)] في جبهته حتى أخضل الدم لحيته صلى الله عليه وسلم، وكان سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

- [(1)] ذكره ابن الأثير في (الكامل) ج 2 ص 154 - 155.
- [(2)] الرباعية: إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدم الفم من أعلى وأسفل، وأشظى: كسرت فصارت لها شظية.
- [(3)] من أدوات الحرب لوقاية العنق والعاتقين.
- [(4)] جحشت الركبة: أصيب إصابة كالخدش أو أشد.
- [(5)] كناية عن اللات والعزى، وهو من أيمان الشرك.
- [(6)] في (خ) «تحليل» وجلل السيف: إذا علاه.
- [(7)] في (خ) «الذي» .

(151/1)

كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم؟ وهو يدعوهم إلى الله عز وجل، فأنزل الله تعالى:
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [(1)] وقال:
اشتد غضب الله [(2)] على قوم دموا فا [(3)] رسول الله، اشتد غضب الله على قوم
دموا وجه رسول الله، اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله، وقال: اللهم لا تحولن الحول
على أحد منهم! فما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه صلى الله عليه وسلم:
فمات عتبة، وقتل ابن قميئة في المعركة. ويقال بل رمي بسهم فأصاب مصعب ابن عمير رضي
الله عنه قتله، فقال صلى الله عليه وسلم: ما له أقماه الله؟ فعمد إلى شاة يحتلبها فنطحته بقرنها
وهو معتقلها فقتلته فوجد ميتا بين الجبال.
وكان عدو الله قد رجع إلى قومه فأخبرهم أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو رجل من
بني الأدرم] [(4)] من بني فهر] وأقبل عبد الله بن حميد بن زهير - حين رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على تلك الحال - يركض فرسه مقنعا في الحديد يقول: أنا ابن زهير! دلوني على
محمد، فو الله لأقتلنه أو لأموتن دونه. فقال له أبو دجاجة: هلم إلى من يقي نفس محمد بنفسه.
وضرب فرسه عرقها [(5)] ثم علاه بالسيف فقتله،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ويقول: اللهم ارض عن أبي خرشة كما أنا عنه راض،
وكان أبو دجاجة قد ترس عنه صلى الله عليه وسلم بظهره، ونبل يقع فيه وهو لا يتحرك، رضي
الله عنه.

نزع الحلق من وجنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ولما أصاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أصاب أقبال أبو بكر رضي الله عنه يسعى، فوافاه
طلحة بن عبيد الله، وبدر [(6)] أبو عبيدة بن الجراح فأخذ بثنيته حلقة المغفر فنزعها وسقط
على ظهره وسقطت ثنيته، ثم أخذ الحلقة الأخرى [فكان أبو عبيدة في الناس أثرم [(7)]
ويقال: إن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقبة ابن وهب بن كلد،
ويقال: أبو اليسر، وأثبت ذلك: عقبة بن وهب، فيما ذكره الواقدي [(8)] . وقال غيره:
الصحيح أن أبا عبيدة بن الجراح وعقبة بن وهب

[(1)] [الآية 128 / آل عمران، وفي (خ) «عليهم الآية» .

[(2)] في (خ) «غضب علي» .

[(3)] أي فم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[(4)] هم بني تيم الأدرم.

[(5)] أي قطع عرقوبها.

[(6)] بدر: أسع.

[(7)] في (خ) «وكان أثرم» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 247، والثرم هو سقوط الثنية

أو انكسار السن من أصلها (ترتيب القاموس) ج 1 ص 402.

[(8)] المغازي ج 1 ص 247.

(152/1)

عاجها حتى طارت ثنيتا أبي عبيدة في معالجته لهما، فكان أحسن أهتم خلق. ولما نزعنا جعل الدم
يسيل، فجعل مالك بن سنان [وهو والد أبي سعيد الخدري] يملج الدم بفيه ثم ازدرده [(1)] ،
فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى
مالك بن سنان. وقيل له: تشرب الدم؟ فقال نعم! أشرب دم رسول الله. فقال رسول الله صَلَّى
الله عليه وَسَلَّمَ: من مسّ دمه دمي لم تصبه النار.

مسح فاطمة الدم عن وجهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وخرجت فاطمة عليها السلام في نساء، فلما رأت الذي بوجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه، وذهب علي رضي الله عنه يأتي بماء وقال لفاطمة:
أمسكي هذا السيف غير ذميم فأتى بماء في مجنه [(2)] فأراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يشرب منه - وكان قد عطش - فلم يستطع، ووجد رجلاً من الماء كرهها فقال:
هذا ماء آجن [(3)] ، فمضمض منه فاه للدم الذي فيه، وغسلت فاطمة عن أبيها الدم،
ورأى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيف علي محتضبا فقال: إن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم
بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسيف أبي دجاجة غير مذموم.

النساء يحملن الطعام ويسقين الجرحى

وخرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماء - وكان قد جئن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة
عليها السلام، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى، ويداوينهم [(4)] .
ومنهن أم سليم بنت ملحان، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على ظهورهما القرب، ومنهن
حمئة بنت جحش وكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى، ومنهن أم أيمن تسقي الجرحى - فلم
يجد محمد بن مسلمة عند النساء ماء. وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عطش عطشا
شديداً، فذهب محمد إلى قناة حتى استقى من حسي [(5)] ، فأتى بماء عذب فشرب منه
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا له

[(1)] ملح: امتصّ ورضع، ازدرد: ابتلع، تقول ملح الصبي أمه إذا رضعها (النهاية) ج 4 ص
353.

[(2)] المجن: الترس.

[(3)] الماء الآجن: الماء المتغير الطعم واللون (النهاية) ج 1 ص 26.

[(4)] في (خ) : و «يداوينهم» .

[(5)] الحسي: حفيرة قريبة من القعر، قيل إنه لا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها

رمل، فإذا

(153/1)

بخير. وجعل الدم لا ينقطع،
وجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن.

دواء جرح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ [(1)] - وهي تغسله وعلي يصب الماء عليها بالجن، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم، ويقال: داوته بصوفة محترقة. وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مداوي الجرح في وجهه بعظم بال حتى يذهب أثره. ومكث يجد وهن ضربة ابن قميئة على عاتقه شهرا أو أكثر من شهر.

قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبي بن خلف

وأقبل يومئذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى [إذا] [(2)] دنا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعترض له ناس من المسلمين ليقتلوه فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: استأخروا عنه! وقام وحرته في يده فرماه بها بين سابعة [(3)] البيضة والدرع قطعته [(4)] هناك، فوقع عن فرسه وكسر ضلع من أضلاعه، فاحتملوه فمات - لما ولوا [قافلين] [(5)] - بالطريق، وفيه نزلت: وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [(6)]

وكان أبي بن خلف قدم المدينة في فداء ابنه وقد أسر يوم بدر، فقال: يا محمد! إن عندي فرسا أجلبها فرقا [(7)] من ذرة كل يوم أقتلك عليها، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله. ويقال: قال ذلك بمكة فبلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمته بالمدينة فقال:

أنا أقتله عليها إن شاء الله. وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القتال لا يلتفت وراءه، فكان يقول لأصحابه: إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي فإذا رأيتموه فأذوني، فإذا بأبي يركض على فرسه، وقد رأى رسول الله فعرفه، فجعل يصيح بأعلى صوته:

[()] أمطرت نشفها الرمل فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته (النهاية) ج 1 ص 387.

[(1)] في (خ) «يرقى» .

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] السابغ والسابعة والتسبغة: ما توصل به من حلق الدرود فتستر العنق. (المعجم

الوسيط) ج 1 ص 414.

[(4)] في (خ) فقطعه.

[(5)] زيادة للإيضاح.

[(6)] الآية 17/ الأنفال.

[(7)] أجلبها: أي أعلفها. (النهاية) ج 1 ص 289، والفرق: مكيال بالمدينة يسع ثلاثة

آصع، (ترتيب القاموس) ج 3 ص 479.

يا محمد، لا نجوت إن نجوت! فقال القوم: يا رسول الله! ما كنت صانعا حين يغشاك، فقد جاءك! وإن شئت عطف عليه بعضنا. فأبى صلى الله عليه وسلم، ودنا أيّ، فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، [ويقال: من الزبير بن العوام]، ثم انتفض [بأصحابه] [(1)] كما ينتفض البعير، فتطير عنه أصحابه - ولم يكن أحد يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جد الجدد - ثم أخذ الحربة فطعنه بها في عنقه وهو على فرسه، فجعل يخور كما يخور الثور، ويقول له أصحابه: أبا عامر! والله ما بك بأس، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره! فيقول: لا واللوات والعزى، ولو كان هذا الذي بي بأهل [ذي] [(1)] [(1)] المجاز لماتوا أجمعون! أليس قال: لأقتلنك؟

فاحتملوه، وشغلهم ذلك عن طلب النبي صلى الله عليه وسلم، ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم أصحابه في الشعب. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: مات أيّ بن خلف بطن رابغ، فإيّ لأسير بطن رابغ - بعد هويّ [(2)] من الليل - إذا نار تأجج لي فهبتها، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها يصيح: العطش! وإذا رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله، هذا أيّ بن خلف. فقلت: ألا سحقا [(3)] [(3)] ويقال: مات بسرف [(4)] ويقال: لما تناول النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من الزبير حمل أيّ على رسول الله ليضربه، فاستقبله مصعب بن عمير يحول بنفسه دون رسول الله، فضرب مصعب وجه أيّ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجة بين سابعة البيضة والدروع فطعنه هناك، فوقع وهو يخور.

قتل عثمان بن عبد الله المخزومي

وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس أبلق يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه لأمة [(5)] كاملة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم موجه إلى الشعب - وهو يصيح: لا نجوت إن نجوت! فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثر بعثمان فرسه في تلك

[(1)] زيادة للإيضاح والسياق.

[(2)] الهوى: الساعة من الليل (المعجم الوسيط) ج 2 ص 1002. ورابغ موضع بين المدينة، والجحفة (معجم ما استعجم) ج 1 ص 625.

[(3)] سحقا: بعد أشد البعد وسحق الله فلانا أي أبعده، (المعجم الوسيط) ج 1 ص 420.

- [(4)] موضع على ستة أميال من مكة (معجم البلدان) ج 3 ص 212.
- [(5)] اللأمة: أدوات الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع (المعجم الوسيط) ج 3 ص 810.

(155/1)

الحفرة فيقع، ويخرج الفرس عاترا [(1)] فأخذه المسلمون ففقروه. ومشى الحارث بن الصمة إليه فاضطربا ساعة بسيفهما، ثم ضربه الحارث على رجله فبرك، ودفف عليه وأخذ درعه ومغفره وسيفه- ولم يسمع بأحد [(2)] سلب يومئذ غيره-
فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: الحمد لله الذي أحانه
[(3)] . وكان عبد الله بن جحش أسره ببطن نخلة، فافتدى من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وعاد إلى مكة حتى قدم فقتله الله بأحد.

ذبح عبيد بن حاجز

[(4)] [(4)] عبيد بن حاجز العامري [فأقبل] يعدو فضرب الحارث ابن الصمة فجرحه على عاتقه، فاحتمله أصحابه. ووثب أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري إلى عبيد فناوشه ساعة ثم ذبحه بالسيف ذبحا، ولحق برسول الله [(5)] صَلَّى الله عليه وسلّم.

سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
وكان سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال عليه السلام: نبلو سهلا فإنه سهل. ونظر صَلَّى الله عليه وسلّم إلى أبي الدرداء رضي الله عنه والناس منهزمون فقال: نعم الفارس عويمر غير أفة

[(6)] . ويقال: لم يشهد أبو الدرداء أحدا. ولقي أبو أسيرة بن الحارث بن علقمة رجلا فاختلفا ضربات [(7)] حتى قتله أبو أسيرة، فأقبل خالد بن الوليد على فرس أدهم أغر فطعن أبا أسيرة من خلفه: خرج الرمح من صدره فمات.

قتال طلحة بن عبيد الله

وقاتل طلحة بن عبيد الله عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قتالا شديدا- حين انهزم عنه أصحابه وكثر المشركون فأحدقوا به من كل ناحية- وصار يذب بالسيف من بين

- [(1)] عار الفرس: انفلت فذهب على وجهه (هامش (ط) ص 141) .
- [(2)] في (خ) «بأخذ» .
- [(3)] أحانه: أهلكه.
- [(4)] زيادة للسياق من (الواقدي) ج 1 ص 253.
- [(5)] في (خ) «رسول الله» .
- [(6)] أغير آفة: غير جبان (المعجم الوسيط) ج 1 ص 21.
- [(7)] في (خ) «في ضرباته» .

(156/1)

يديه ومن ورائه وعن يمينه وعن شماله: يدور حوله يترس بنفسه حول رسول الله، وإن السيوف لتغشاه، والنبيل من كل ناحية، وإن هو إلا جنة بنفسه لرسول الله حتى انكشفوا، فجعل صلى الله عليه وسلم يقول لطلحة: قد أوجب

[(1)] . وكان طلحة أعظم الناس غناء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ.

ورمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتقى طلحة بيده عن وجهه المقدس فأصاب خنصره فشل خنصره. وقال حين رماه: حس [(2)] ! فقال صلى الله عليه وسلم: لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون! من أحب أن ينظر إلى رجل يمشى في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله، طلحة ممن قضى نجه.

ولما جال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا، أقبل رجل من بني عامر بن لؤي- يقال له: شيبه بن مالك المضرب- يصيح: دلوني على محمد! فضرب طلحة عرقوب فرسه فاكتسعت [(3)] به، ثم طعن حدقته وقتله. وأصيب يومئذ طلحة في رأسه: ضربه رجل من المشركين ضربة وهو مقبل وأخرى وهو معرض عنه، فنزف الدم حتى غشي عليه، فنضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق، فقال: ما فعل رسول الله؟ قال: خيرا، هو أرسلني إليك. قال: الحمد لله كل مصيبة بعده جلل [(4)] .

قتال علي والحباب بن المنذر

وكان علي بن أبي طالب يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية، وأبو دجاجة مالك بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصاري يذب من ناحية، وسعد ابن أبي وقاص يذب

طائفة. وانفرد علي بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل، فدخل وسطهم بالسيف - فضرب به وقد
اشتملوا عليه - حتى أفضى إلى آخرهم، ثم

[(1)] قد أوجب لنفسه الجنة.

[(2)] حسن: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة كالجمره والضربة ونحوهما
(النهاية) ج 1 ص 385.

[(3)] في (خ) «فانعكست» ، وهي رواية الواقدي في (المغازي) ج 1 ص 255 ومعناها:
سقطت من ناحية مؤخرها، ورمت به إلى الأرض.

[(4)] جلل: هينة قليلة.

(157/1)

كرّ فيهم ثانيا حتى رجع من حيث جاء. وكان الحباب بن المنذر الجموح يحوش المشركين كما
تحاش الغنم، واشتملوا عليه حتى قيل قد قتل، ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه، وجعل يحمل
على فرقة منهم وإنهم ليهربون [(1)] منه. وكان يومئذ معلما بعصابة خضراء في مغفره.

خبر عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مشركا

وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال: من يبارز؟ وارتجز فقال:

لم يبق إلا شكة ويعبوب ... وصارم يقتل ضلال الشيب [(2)]

وفي رواية: «وناشي يشرب أرحام الشيب» فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول: أنا
ذلك الأشيبي! ثم ارتجزه فقال:

لم يبق إلا حسبي وديني ... وصارم تقضي به يميني

فقال له عبد الرحمن: لولا أنك أبي لم أنصرف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: شم شيفك، وارجع مكانك،
ومتعنا بنفسك.

خبر شماس بن عثمان

كان شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي لا يرمي رسول الله صلى الله عليه وسلم [ببصره]]
(3) [يميننا ولا شمالا إلا رآه في ذلك الوجه يذب بسيفه، حتى غشي رسول الله صلى الله عليه

وسلم فترس بنفسه دونه حتى قتل رحمه الله،
فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ما وجدت لشماس شيها إلا الجنة
[(4)] .

-
- [(1)] في (خ) «ليهزموك» ، وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 257.
[(2)] ذكر الواقدي هذا الخبر بغير الشعر، وذكره (ابن هشام) ج 2 ص 203 ضمن أخبار
غزوة بدر، والبيت في (ابن هشام) هكذا:
لم يبق غير شكة ويعبوب ... وصار يقتل ضلال الشيب
وفي (خ) «إلا صارم» .
والشكة: السلاح. ويعبوب: الفرس الكثير الجري.
[(3)] زيادة للسياق.
[(4)] اللجنة: كل ما وقى من سلاح وغيره (المعجم الوسيط) ج 1 ص 147.

(158/1)

أول من أقبل بعد الهزيمة

وكان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن محرث، [ويقال: قيس ابن الحارث بن عدي
بن جشم بن مجدعة بن حارثة] مع طائفة من الأنصار، فصادفوا المشركين فدخلوا في حومتهم،
فما أفلت منهم رجل حتى قتلوا، ولقد ضاربهم قيس حتى قتل نفرا فما قتلوه إلا بالرمح: نظموه،
ووجد به أربع عشرة ضربة قد جافته [(1)] وعشر ضربات في بطنه.

خبر الداعين إلى القتال

وكان عباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن
عمرو بن عوف بن الخزرج، وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك ابن امرئ القيس بن مالك
الأغر، وأوس بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان يرفعون أصواتهم، فيقول عباس: يا معشر
المسلمين! الله ونبيكم! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم، فيوعدكم النصر فما [(2)] صبرتم.
ثم نزع مغفرة وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد: هل لك فيهما؟ قال: لا، أنا أريد الذي تريد.
فخالطوا القوم جميعا، وعباس يقول: ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ومنا عين تطرف؟
فيقول خارجة: لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة، فقتل سفيان بن عبد شمس السلمي عباسا،

وأخذت [(3)] خارجة الرماح، فجرح بضعة عشر جرحا، وأجهز عليه صفوان بن أمية. وقتل [(4)] أوس بن أرقم رضي الله عنهم.

خبر أبي دجانة وخبر السيف

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ قالوا: وما حقه؟ قال: يضرب به العدو.

فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، فأعرض عنه. ثم عرضه بذلك الشرط، فقام الزبير رضي الله عنه، فقال: أنا، فأعرض عنه حتى وجدا [(5)] في أنفسهما. ثم عرضه الثالثة، فقال ذو المشهرة أبو دجانة:

[(1)] جافته: أصابت جوفه (المرجع السابق) ج 1 ص 147.

[(2)] في (خ) «ما» .

[(3)] في (خ) «وأخذ» .

[(4)] في (خ) «وقيل» .

[(5)] وجدا: غضبا (المعجم الوسيط) ج 2 ص 1013.

(159/1)

أنا يا رسول الله آخذه بحقه. فدفعه إليه، فصدق به حين لقي العدو، فأعطى السيف حقه، فما قاتل أحد أفضل من قتاله. لقد كان يضرب به حتى إذا كلَّ عليه شحذه على الحجارة، ثم يضرب به العدو حتى رده كأنه منجل، وكان حين أعطاه السيف لبس مشهرة فأعلم بما، وكان قومه يعلمون- لما بلوا منه- أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غاية. فخرج يمشي بين الصفيين واختال في مشيته،

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه: إن هذه لمشيئة يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن،

ويقال: كان يعلم رأسه بعصابة حمراء.

خبر رشيد الفارسي

ولقي رشيد الفارسي مولى بني معاوية [(1)] رجلا من المشركين قد ضرب سعدا مولى حاطب

جزله [(2)] باثنتين، فضربه على عاتقه فقتله، فاعترض له أخوه يعدو [(3)] فقتله، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: أحسنت يا أبا عبد الله وكنّاه يومئذ ولا ولد له.

خبر عمرو بن ثابت

وكان عمرو [(4)] بن ثابت بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصاري شاكاً في الإسلام حتى كان يوم أحد فأسلم وقاتل حتى أثبت فوجد وهو بآخر رمق فقالوا: ما جاء بك؟ قال: الإسلام! آمنت بالله ورسوله، ثم أخذت سيفي وحضرت، فرزقني الله الشهادة. ومات، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: إنه لمن أهل الجنة.

خبر مخيريق

وكان مخيريق من أحبار يهود، فقال يوم السبت: يا معشر يهود! والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي، وأن نصره عليكم لحق! ثم أخذ سلاحه وحضر أحداً

[(1)] في (خ) «بني معوفة» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 261.

[(2)] في (المغازي) «ضربة جزلة» ج 1 ص 261.

وجزله جزلاً: أي قطعه (المعجم الوسيط) ج 1 ص 121.

[(3)] في (المغازي) ج 1 ص 261 «وأقبل يعدو كأنه كلب» .

[(4)] في (خ) «عمر» .

(160/1)

مع النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقتل. وقال حين خرج: إن أحببت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراد: فهي عامة صدقات رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم. وقال فيه صَلَّى الله عليه وسلّم: مخيريق خير يهود.

خبر عمرو بن الجموح وولده وما كان من أمر امرأته

وخرج عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة وهو أعرج، وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهلي!! فقتل شهيداً، واستشهد ابنه خلاد بن عمرو، وعبد الله بن عمرو بن حرام [بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي] [(1)] ، أبو جابر بن عبد الله،

فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام- زوجة عمرو بن الجموح- على بعير لها تريد بهم المدينة، فلقيتها عائشة رضي الله عنها- وقد خرجت في نسوة تستروح الخبر، ولم يضرب الحجاب يومئذ- فقالت لها: عندك الخبر، فما وراءك؟ قالت: أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح، وكل مصيبة بعده جليل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا. قالت عائشة: من هؤلاء؟

قالت: أخي وابن أخي خلاد وزوجي عمرو بن الجموح، قالت: فأين تذهبن بهم؟ قالت: إلى المدينة أقربهم فيها، ثم قالت: حل [(2)] ، تزجر بعيرها فبرك، فقالت عائشة: لما عليه [(3)] ، قالت: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران، ولكني أراه لغير ذلك. وزجرته فقام [(4)] فوجهته راجعة إلى أحد فأسرع، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال: فإن الحمل مأمور، هل قال شيئا [(5)] ؟

قالت [(6)] إن عمرا لما وجهه إلى أحد قال: اللهم لا تردني إلى أهلي خزيان [(7)] وارزقني الشهادة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلذلك الجمل لا يمضي، إن منكم

[(1)] زيادة من نسبه.

[(2)] كلمة لزجر الإبل (ترتيب القاموس) ج 1 ص 698.

[(3)] أي برك للذي عليه من الحمل.

[(4)] في (خ) بعد قولها: «فقام»، و «برك» ولا معنى لها. ومناسبتها في رواية (الواقدي)

«فقام، فلما وجهت به إلى المدينة برك» ج 1 ص 265.

[(5)] الضمير في قوله: «قال» عائد على الشهيد.

[(6)] في (خ) «قال» .

[(7)] في (خ) «خربا»، وفي (الواقدي) ج 1 ص 266 «خربا» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(161/1)

يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره: منهم عمرو بن الجموح. يا هند! ما زالت الملائكة مظلمة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن. ثم مكث صلى الله عليه وسلم حتى قبرهم. ثم قال يا هند! قد ترافقوا في الجنة، عمرو بن الجموح، وابنك خلاد، وأخوك عبد الله، قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني معهم [(1)] .

أول قتيل من المسلمين يوم أحد

وقال جابر بن عبد الله: كان أبي أول قتيل قتل من المسلمين يوم أحد، قتله سفيان بن عبد شمس أبو أبي الأعور السلميّ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم قبل الهزيمة.

خبر أم عمارة وقتالها يوم أحد

وكانت أم عمارة [نسبية بنت كعب بن عمرو بن عوف] (2) [بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار] امرأة غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول [بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار] (3) -: قد شهدت أحدا هي وزوجها وابنتها، ومعها شنّ (4) لتسقي الجرحى. فقاتلت وأبلت بلاء حسنا يومئذ- وهي حاضرة ثوبها على وسطها- حتى جرحت اثني عشر جرحا، بين طعنة برمح أو ضربة بسيف. وذلك أنها كانت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلّم هي وابناها عبد الله وحبیب ابنا زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن مبذول، وزوجها غزية بن عمرو- يذبون عنه، فلما انهزم المسلمون جعلت تباشر القتال وتذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالسيف، وترمي بالقوس. ولما أقبل ابن قميئة- لعنه الله- يريد النبي صلى الله عليه وسلّم كانت فيمن اعترض له، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد ذلك غور أجوف، وضربته هي ضربات. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: لمقام نسبية بنت

[(1)] في المرجع السابق «عسى أن يجعلني معهم» .

[(2)] في (خ) مكان «عوف» «خنساء» وهو خطأ في نسبها.

وما أثبتناه من (الإصابة) ترجمة 1240 ج 13 ص 257.

[(3)] [زيادة من (الاستيعاب) ج 3 ص 259 ترجمتها رقم (3590) .

[(4)] يقال: شنّ الماء على الشراب، وشنّت العين الدمع (المعجم الوسيط) ج 1 ص 496.

(162/1)

كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان، وقال: ما التفت يميننا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني. وقال لابنها عبد الله بن زيد: بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، ومقام ربيبك [يعني زوج أمه] خير من مقام فلان وفلان، ومقامك خير من مقام فلان

وفلان، رحمكم الله أهل بيت، قالت أم عمارة: ادع الله أن نرافقك في الجنة، قال: اللهم [(1)]
[اجعلهم رفقائي في الجنة، قالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا.

خبر حنظلة «غسيل الملائكة»

وخرج حنظلة بن أبي عامر [بن عمرو بن صيفي بن مالك بن أمية [(2)] بن ضبيعة بن زيد بن
[(3)] عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس] هو حنظلة الغسيل - إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يسوي الصفوف بأحد، فلما انكشف المشركون ضرب فرس أبي
سفيان بن حرب فوق [على [(4)] الأرض وصاح، وحنظلة يريد ذبحه، فأدركه الأسود بن
شعوب [(5)] فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه، ومشى حنظلة إليه في الرمح وقد أثبتته ثم
ضربه الثانية فقتله، ونجا أبو سفيان.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن [أبي] [(6)] عامر
بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة.
قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء. فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك أرسل إلى امرأته فسألها، فأخبرته أنه خرج وهو جنب.

خبر هند بنت عتبة

وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف - زوجة أبي سفيان بن حرب - أول
من مثل بقتلى المسلمين، وأمرت نساء المشركين أن

[(1)] في (خ) مكان «اللهم» ما نصه: «أبو مالك بن الأوس اجعلهم» والصواب: ما أثبتناه،
وانظر (المغازي) ج 1 ص 273.

[(2)] في (خ) «أمه» .

[(3)] في (خ) «زيد بن مالك بن عوف» وهو خطأ، والتصويب من (ط) .

[(4)] في (خ) «فوق الأرض» .

[(5)] كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج 1 ص 273، ولكن في (ابن هشام) ج 3 ص 60

«شداد ابن الأسود بن شعوب الليثي» . وفي (الكامل) ج 2 ص 158. بنحوه

[(6)] في (خ) «بن عامر» .

يمثلن بهم، فجدّعن الأنوف والآذان، فمثلن بالجميع إلا حنظلة الغسيل.

أول من دخل المدينة بعد الهزيمة

ولما صاح إبليس: إن محمدا قد قتل. تفرق الناس، فمنهم من ورد المدينة، فكان أول من دخلها بهذا الخبر أبو عبادة سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد بن عامر ابن زريق الأنصاري، ثم ورد بعده رجال. فجعل النساء يقلن: عن رسول الله تفرون. وجعل ابن أم مكتوم يقول: عن رسول الله تفرون!! وحشت أم أيمن في وجوه بعضهم التراب وتقول: هاك المغزل، اغزل به، وهلم سيفك!! وقيل:

إن المسلمين لم يعدوا الجبل - وكانوا في سفحه - لم يجاوزوه [(1)]. وأقبل [أبو] [(2)] أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو يقول: يوم بيوم بدر. وقتل رجلا من المسلمين فضربه علي رضي الله عنه فقتله.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ: أنا ابن العواتك [(3)]. وقال أيضا:
أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

خبر أنس بن النضر

ومر أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار - وهو عم أنس بن مالك - بنفر من المسلمين قعود فقال:
ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه! ثم جالد بسيفه حتى قتل رضي الله عنه، فوجد به سبعون ضربة، وما عرف حتى عرفته أخته.

[(1)] في (خ) «لم يجاوزه» .

[(2)] في (خ) ، وفي (الواقدي) ج 1 ص 279 «أمية» وما أثبتناه من (ابن هشام) ج 3 ص.

[(3)] العواتك: جمع عاتكة: وهي التي تكثر من الطيب حتى تحمّر بشرتها. (المعجم الوسيط) ج 2 ص 583، وقال ابن الأثير في (النهاية) ج 3 ص 180: «والعواتك: ثلاث نسوة كن من أمهات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إحداهن: عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان، وهي أم عبد مناف بن قصي.

والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، وهي أم هاشم بن عبد مناف.

والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم.

فلأولى من العواتك عمه الثانية، والثانية عمه الثالثة. وبنو سليم تفخر بهذه الولادة.

(164/1)

خبر خارجة بن زيد

ومرّ مالك بن الدخشم على خارجة بن زيد أبي زهير وهو قاعد، في حشوته ثلاثة عشر جرحاً، كلها قد خلصت إلى مقتل فقال: أما علمت أن محمداً قد قتل! فقال خارجة: فإن [(1)] كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، لقد بلغ [محمد] [(2)] ، فقاتل عن دينك. ومرّ على سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري أحد النقباء - وبه اثنا عشر جرحاً كلها خلص إلى مقتل - فقال:

علمت أن محمداً قد قتل!! فقال سعد: أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه، فقاتل عن دينك فإن الله حي لا يموت، وقال منافق: إن رسول الله قد قتل فارجعوا إلى قومكم فإنهم داخلوا البيوت.

خبر ثابت بن الدحداحة وأصحابه: آخر من قتل يوم أحد

وأقبل ثابت بن الدحداحة [(3)] (ويقال: ابن الدحداح) بن نعيم بن غنم بن إياس بن بكير والمسلمون أوزاع [(4)] قد سقط في أيديهم فصاح: يا معشر الأنصار!! إليّ إليّ، أنا ثابت بن الدحداحة، إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم. فنهض إليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتبية فيها: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم، فيقال: إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين. ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب مع أصحابه فلم يكن هناك قتال.

خبر وحشي ومقتل حمزة

وكان وحشي عبداً لابنة الحارث [(5)] بن عامر بن نوفل، ويقال: لجبير بن

[(1)] في (خ) «وإن» وما أثبتناه رواية (الواقدي) ج 1 ص 280 وهو أجود.

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] في (خ) «الدحداحة» و «الدحداح» .

- [(4)] الأوزاع: الجماعات والضروب المتفرقون (المعجم الوسيط) ج 2 ص 1029.
[(5)] في (خ) «الحرب» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 285.

(165/1)

مطعم، فقالت له ابنة الحارث: إن أبي قتل يوم بدر، فإن قتلت أحد الثلاثة فأنت حر: إن قتلت محمداً، أو حمزة، أو علياً، فأبي لا أرى في القوم كفواً لأبي غيرهم.
فكمن لحمزة رضي الله عنه إلى صخرة، وقد اعترض له سباع بن عبد العزى (واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم) - وهو ابن أم أثمار - فاحتمله ورمى به وبرك عليه فشحطه شحط [(1)] الشاة. ثم قام حتى بلغ المسيل فزلت رجله عن جرف، فهز وحشي حربته وضرب بها خاصرة حمزة خرجت من مثانته فلحق بربه. فأتاه وحشي فشق بطنه وأخرج كبده فجاء بها إلى هند بنت عتبة فقال لها:

ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ قالت: سلمي [(2)] ! فقال: هذه كبد حمزة! فمضغتها ثم لفظتها، ونزعت ثيابها وحليها فأعطتها وحشياً، ووعدته إذا جاء مكة أن تعطيه عشرة دنانير، وقامت معه حتى أراها مصرع حمزة فقطعت مذاكيره، وجدعت أنفه وقطعت أذنيه، ثم جعلت مسكتين ومعضدين وخدمتين [(3)] حتى قدمت بذلك مكة وكبده معها.
وفي المسند للإمام أحمد قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقرت بطنه، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكلت منها شيئاً؟ قالوا: لا، قال: ما كان الله ليدخل من حمزة النار. وفي رواية ابن سعد [(4)] : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً.

ويروى أن هنداً لما أخرجت كبد حمزة لاكتها فلم تستطع أن تسبغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهجاها حسان بن ثابت لما بلغه ذلك من قولها [(5)] .

- [(1)] شحط القليل في الدم: اضطرب (المعجم الوسيط) ج 1 ص 474.
[(2)] السلب: كل ما مع القليل من سلاح وثياب ودابة، والمراد هنا كل ما تملك من الحلي والذهب وغيره.
(المعجم الوسيط) ج 1 ص 441.
[(3)] المسكة وجمعها المسك: السوار تجعله المرأة في يديها.

والمعضدة والمعضد: الدمليج يكون كالسوار، تجعله على عضدها بين الكتف والمرفق. والخدمة وجمعها الخدم: الخللخال تجعله في رجلها. هامش (ط) ص 153.

[(4)] (الطبقات الكبرى) ج 3 ص 13.

[(5)] قالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت وحشي غليل صدري

(166/1)

موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقتل حمزة
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما فعل عمي؟ ويكرر ذلك، فخرج الحارث ابن
الصمة فأبطأ، فخرج علي رضي الله عنه فوجد حمزة رضي الله عنه مقتولا، فأخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فخرج يمشي حتى وقف عليه فقال: ما وقفت موقفاً أغيظ إلي من هذا! فطلعت
صفية بنت عبد المطلب [(1)] رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم:
[يا زبير] [(2)] أغن عني أمك. هذا وحمزة يحفر له فقال: إن في الناس تكشفاً.
فقالت: ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآته قالت: يا رسول الله،
أين ابن أُمي حمزة؟ قال: هو في الناس، قالت: لا أرجع حتى انظر إليه. فجعل الزبير يجلسها حتى
دفن حمزة رضي الله عنه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا أن يحزن نساءنا لتركناه
للعافية [(3)] حتى يحشر يوم القيامة من بطون السباع وحواصل الطير.

بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة
ويقال: لما أصيب حمزة رضي الله عنه جاءت صفية بنت عبد المطلب تطلبه فحالت بينها وبينه
الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوها، فجلست عنده،

[()]

فشكر وحشي عليّ عمري ... حتى ترم أعظمي في قبري
فأجابتها هند بنت أئاة بن عباد بن عبد المطلب فقالت:
خزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحك الله غداة الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري
إذا رام شيب وأبوك غدري ... فخضبا منه ضواحي التّحر
وندرك السوء فشرّ ندر
(عيون الأثر) ج 1 ص 18.
فقال حسان:

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤما إذا أشرت مع الكفر
(ابن هشام) ج 3 ص 36-37.

[(1)] أخت حمزة، وعمّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأم الزبير بن العوام.
[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] العافية: طلاب الرزق من الدواب والطيور (المعجم الوسيط) ج 2 ص 612.

(167/1)

فجعلت إذا بكت بكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا نشجت نشج [(1)] . وكانت
فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما بكت يبكي، وقال: لن أصاب
بمثلك أبدا. ثم قال: أبشرا! أتاني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة
بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

المثلة بحمزة

ورأى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به مثلا شديدا فأحزنه ذلك المثل، ثم قال: لئن فرت بقريش لأمثلن
بثلاثين منهم، فنزلت هذه الآية: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ [(2)] [فعفا رسول الله] فلم يمثل بأحد [(3)] ،
وجعل أبو قتادة الأنصاري يريد أن ينال من قريش، لما رأى من غم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلّم في قتل حمزة وما مثل به، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشير إليه أن اجلس - وكان
قائما -

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احتسبتك عند الله، ثم قال: يا أبا قتادة: إن قريشا أهل أمانة، من
بغاهم العوثر كبه [(4)] الله لفيه، وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم
وفعالك مع فعالمهم، لولا أن تبطر [(5)] قريش لأخبرتها بما لها عند الله، فقال أبو قتادة: والله

يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله حين نالوا منه ما نالوا، فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: صدقت، بئس القوم كانوا لنبيهم.

مقتل عبد الله بن جحش وخبره

وقال عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر [(6)] بن صبرة بن مرة بن كبير [(6)] ابن غنم بن دودان [(6)] بن أسد بن خزيمة الأسيدي: يا رسول الله! إن هؤلاء القوم قد نزلوا حيث ترى، وقد سألت الله فقلت: اللهم إني أقسم عليك لنلقى العدو غدا فيقتلونني ويقرؤني ويمثلون بي، فألقاك مقتولا قد صنع هذا بي، فتقول: فيم [(6)] صنع بك هذا؟ فأقول: فيك. وأنا أسألك أخرى: أن تلي تركتي من

[(1)] نشج نشيجا: تردد البكاء في صدره من غير انتحاب (المرجع السابق) ص 921.

[(2)] الآية 126/ النحل.

[(3)] هذه رواية (الواقدي) ج 1 ص 290.

[(4)] في (خ) «أكبه» .

[(5)] البطر: تقول بطر فلان النعمة: استخفها فكفرها.

[(6)] في (خ) «رباب بن نعمان» ، «ابن كثير» ، «داود» ، «قيم» .

(168/1)

بعدي. فقال: نعم. فخرج حتى قتل ومثل به. ودفن هو وحمزة [(1)] رضي الله عنه في قبر واحد. وولي تركته رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فاشترى لابنه [(2)] مالا بخير، فأقبلت أخته حمزة بنت جحش. فقال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: يا حمن! احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: خالك حمزة، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئا له الشهادة! ثم قال لها: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: أخوك، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئا له الشهادة، ثم قال لها: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: مصعب بن عمير، قالت وا حزناه!! وفي رواية أنها قالت: وا عقراه!! فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لأحد! ثم قال لها: لم قلت هذا؟ قالت: يا رسول الله، ذكرت يتم بنيه فراعني.

فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم لولده أن يحسن عليهم الخلف، فتزوجت طلحة فولدت له

محمد بن طلحة، فكان أوصل الناس لولدها. وكانت حمنة خرجت يومئذ إلى أحد مع النساء يسقين الماء.

طلوع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه في الشعب
وطلع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه في الشعب بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يتكفأ في الدرع [وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مشى يتكفأ تكفؤاً] [(3)] - وقد بدن وظاهر بين درعين- وكان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله، فما صلى الظهر يومئذ بأصحابه إلا جالسا. وقد حملة طلحة رضي الله عنه- حين انتهى إلى الصخرة- حتى ارتفع عليها. ثم مضى إلى أصحابه ومعه نفر الذين ثبتوا معه، فلما رأوهم ولوا في الشعب ظنا أنهم من المشركين، حتى جعل أبو دجانة يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه، فرجعوا أو بعضهم. وكانوا الذين ثبتوا معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وطلعوا وهو بينهم إلى الشعب- أربعة عشر: سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار.

سرور المسلمين بسلامة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فسرورا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كأنهم لم تصبهم في أنفسهم مصيبة، وبيناهم

[(1)] حمزة: خال عبد الله بن جحش.

[(2)] في (المغازي) «لأمه» ج 1 ص 291.

[(3)] زيادة للبيان، وهي صفة مشبهة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أنه كان «إذا مشى كأنما ينحط من صيب» راجع (صفة الصفوة لابن الجوزي) ج 1 ص 156 صفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وص 213 من هذا الكتاب.

(169/1)

على ذلك ردّ المشركون فإذا هم فوقهم، وإذا كتائبهم قد أقبلت،
فندبهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضهم على القتال، فعدوا إليهم فانكشفوا، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [(1)] .
وأبو سفيان في سفح الجبل فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا [(2)] .

خبر النعاس

وألقى الله النعاس على من مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم سَلَمٌ [(3)] لمن أرادهم، لما بهم من الحزن فناموا ثم هبوا من نومهم كأن لم تصبهم قبل ذلك نكبة. وقال معتب ابن قشير، ويقال: بشير بن مليل بن زيد بن العطف بن ضبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ [إلى آخر الآيات] [(4)] قال أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم [(5)] بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري: لقد رأيتني يومئذ - في أربعة عشر رجلاً من قومي - إلى جنب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أصابنا النعاس أمانة، فما منهم إلا رجل يغط غطيطة حتى إن الجحف [(6)] لتناطح. ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به حتى أخذه بعد ما تثلم: وإن المشركين لتحتنا. وقال أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري: ألقى علينا النعاس، فكنت أنعس حتى سقط سيفي من يدي. وكان النعاس لم يصب أهل النفاق والشك يومئذ، فكل [(7)] منافق يتكلم بما في نفسه، وإنما أصاب النعاس أهل اليقين والإيمان.

[(1)] في (خ) «الرسول الآية» 144/ آل عمران.

[(2)] في (خ) «ما انكشفوا» ، وما أثبتناه رواية (الواقدي) ج 1 ص 295.

[(3)] السَلَم: الاستسلام والتسليم، والأسر من غير حرب (المعجم الوسيط) ج 1 ص 446.

[(4)] الآيات من 153 - 155/ آل عمران.

[(5)] في (خ) «ابن غزیه» وهو خطأ، ونسبه في (الإصابة) هكذا: «كعب بن عمرو بن عباد

بن سواد بن غنم الأنصاري أبو اليسر» راجع (الإصابة) ترجمة رقم 7416 ج 8 ص 301.

[(6)] الجحف: تقول: جحف فلان مع فلان جحفاً: مال.

[(7)] في (خ) «وكل» وما أثبتناه من (المغازي) ج 1 ص 296.

خبر أبي سفيان ومقاتله وردّ عمر

ولما تجاوزوا أراد أبو سفيان بن حرب الانصراف، وأقبل على فرس حتى أشرف على المسلمين في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته: أعل هبل! ثم صاح: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ يوم بيوم بدر، ألا إن الأيام دول، وإن الحرب سجال، وحنظلة بحنظلة [(1)]

فقال عمر رضي الله عنه: أجيبه يا رسول الله؟ فقال: بلى، فأجبه!

فقال أبو سفيان: أعل هبل! فقال عمر:

الله أعلى وأجل! فقال أبو سفيان: إنما قد أنعمت فعال [(2)] عنها، ثم قال: أين ابن أبي

كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضي الله عنه:

هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا عمر. فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، ألا إن الأيام دول وإن الحرب سجال. فقال عمر: لا سواء! قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار، قال أبو سفيان: إنكم لتقولون ذلك، لقد خبنا إذا وخسرنا! لنا العزى ولا عزى لكم! فقال عمر: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: إنما قد أنعمت يا ابن الخطاب فعال [(2)] عنها قم إلي يا ابن الخطاب أكلمك، فقام عمر، فقال أبو سفيان: أنشدك بدينك، هل قتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا،

وإنه ليسمع كلامك الآن، قال أنت عندي أصدق من ابن قمينة، ثم

قال أبو سفيان ورفع صوته: إنكم واجدون في قتالكم عننا ومثلا، إلا أن ذلك لم يكن عن رأي سراتنا، أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إذ [(3)] كان ذاك فلم نكرهه ثم نادى: ألا إن موعدكم بدر [(4)] الصفراء على رأس الحول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل نعم! فقال عمر رضي الله عنه: نعم.

انصراف المشركين ومحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مباغطة المدينة

فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا في الرحيل،

فأشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من أن يغير المشركون على المدينة فتهلك

الذراري والنساء، فبعث سعد

[(1)] يريد حنظلة ولده، وحنظلة غسيل الملائكة.

[(2)] في (خ) «فقال» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 297 وعال عنها: تجاف عنها ولا تذكرها بسوء، يعني آهتهم. (النهاية) ج 3 ص 294.

[(3)] في (خ) «إذا» .

[(4)] كذا في (خ) و (الواقدي) ج 1 ص 197. أما في (ط) «بدر الصفراء» .

ابن أبي وقاص لينظر: إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الطعن، وإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهي الغارة. ثم قال عليه السلام: والذي نفسي بيده لئن ساروا إليه لأسيرن إليهم ثم لأناجزهم، فذهب سعد يسعى إلى العقيق فإذا هم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، بعد ما تشاوروا نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ألا يفعلوا فإنهم لا يدرون ما يغشاهم، فعاد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

قدوم أبي سفيان مكة

وقدم أبو سفيان مكة فلم يصل إلى بيته حتى أتى هبل فقال: قد أنعمت ونصرتني وشفيت نفسي من محمد وأصحابه، وحلق رأسه.

أول من قدم إلى مكة بخبر أحد

فكان أول من قدم مكة بخبر أحد وانكشاف المشركين عبد الله بن [أبي] [(1)] أمية بن المغيرة فكره أن يأتيهم بجزمة أهلهم، فقدم الطائف وأخبر أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهمنا. ثم قدم وحشي مكة فأخبرهم بمصاب المسلمين وقد سار أربعاً على راحلته، ووقف على الثنية التي تطل الحجون فنادى: يا معشر قريش! أبشروا، قد قتلنا أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها في زحف قط، وجرحنا محمد فأثبتناه بالجراح، وقتل حمزة. فسروا بذلك.

قتلى المسلمين وقتلى المشركين

وقتل من المسلمين بأحد أربعة وسبعون [(2)] : أربعة من قريش وسائرهم من الأنصار، ويقال: خمسة من قريش. وقتل من المشركين أربعة وعشرون، وأسر من المشركين أبو عزة عمرو [(3)] بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح، ولم يؤسر منهم غيره فقال: يا محمد، من عليّ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك تقول: خدعت [وفي رواية سحرت] محمداً مرتين، ثم أمر به عاصم بن ثابت فضرب عنقه، ويقال:

[(2)] رواية (الواقدي) ج 1 ص 330 «سبعون» .

[(3)] في (خ) «عمر» .

(172/1)

إن المشركين لما انصرفوا بحمراء الأسد في أول الليل ساعة، ثم حلوا وتركوا أبا عزة نائما مكانه حتى ارتفع النهار، ولحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدد، وكان الذي أخذه عاصم بن ثابت، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه.

صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهداء أحد

ولما انصرف المشركون أقبل المسلمون على أمواتهم،

فكان حمزة رضي الله عنه فيمن أتى به أولا، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: رأيت الملائكة تغسله، لأن حمزة كان جنبا ذلك اليوم. ولم يغتسل صلى الله عليه وسلم الشهداء، وقال: لفوهم بدمائهم وجراحهم، فإنه ليس أحد يجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة جرحه لونه لون الدم وريحه ريح مسك، ثم قال: ضعوه، أنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة. فكان حمزة أول من كبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جمع إليه الشهداء. فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهداء، حتى صلى عليه سبعين مرة، ويقال: كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه، ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلي عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات. ويقال: كبر عليهم تسعا وسبعا وخمسا. وقيل: لم يصل عليهم.

أخرجه أبو داود [(1)] من حديث جابر وأنس وابن عباس رضي الله عنهم: وهو مذهب مالك، والليث بن سعد والشافعي، وأحمد، وداود [(2)] : ألا يصلى على المقتول في المعركة. وقال فقهاء الكوفة والبصرة والشام: يصلى عليهم.

[(1)] في سنن أبي داود ج 3 ص 498 حديث رقم 3135: «حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا

ابن وهب، ...

أن أنس بن مالك حدثهم أن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم» وفي تعليق ابن القيم على أبي داود: «وقد ورد في الصلاة على قتلى أحد من المسلمين عدة أحاديث: منها ما أخرجه الشيخان عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما يصلي أهل

أحد صلواته على الميت، ومنها حديث أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى على حمزة،
ومنها حديث أبي مالك الغفاري قال: كان قتلى أحد يوتى منهم بتسعة عشرهم حمزة، فيصلي
عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يحملون، ثم يوتى بتسعة، وحمزة مكانه، حتى صلى
عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي (عون المعبود) ج 8 ص 311.

قال الحافظ: والخلاف في الصلاة على قتيل الكفار مشهور، قال الترمذي: قال بعضهم: يصلى
على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحاق، وقال بعضهم لا يصلى عليه، وهو قول المدنيين
والشافعي وأحمد.

والحديث سكت عنه المنذري .

[(2)] صاحب مذهب مستقل، وأتباعه يعرفون بالظاهرية توفى ببغداد سنة 270 هـ [هامش

(ط)] .

(173/1)

خبر دفن القتلى ودفن حمزة

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين، احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر.
وقدموا أكثرهم قرآنا، فكانوا يقدمون أكثرهم قرآنا في القبر، ولما واروا حمزة رضي الله عنه أمر
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببردة تمدّ عليه وهو في القبر، فجعلت البردة إذا خمّروا [(1)]
رأسه بدت قدماه، وإذا خمّروا رجله ينكشف وجهه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غطوا وجهه،
وجعل على رجله الحرمل [(2)] . فبكى المسلمون وقالوا:

يا رسول الله! عم رسول الله لا نجد له ثوبا؟ فقال: تفتح الأرياف والأمصار فيخرج إليها الناس ثم
يبعثون إلى أهلهم، إنكم بأرض حجاز [(3)] جردية [الجردية التي ليس بها شيء من
الأشجار] [(4)] والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يصبر أحد على
لوائها وشدتها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة.

مصعب بن عمير

ومر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مصعب بن عمير وهو مقتول في بردة [(5)] فقال: لقد رأيتك
بمكة وما بها أحد أرق حلة منك ولا أحن لمة منك، ثم أنت شعث الرأس في بردة. ثم أمر به فقبر.
وكان كثير من الناس حملوا موتاهم إلى المدينة فدفنوهم، فنادى منادي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلّم: ردّوا القتلى إلى مضاجعهم. فلم يردّ أحد إلا رجل واحد أدركه المنادي ولم يدفن، وهو شماس بن عثمان المخزومي.

موقف المسلمين للثناء على الله
ولما فرغ صلى الله عليه وسلّم من دفن أصحابه ركب فرسه وخرج، والمسلمون حوله:
عامتهم جرحى، ولا مثل لبني [(6)] سلمة وبني عبد الأشهل ومعه أربع عشرة امرأة،

[(1)] خمرؤا: غطّوا.

[(2)] الحرمل: نبات صحراوي.

[(3)] الحجاز: سمى بذلك لأنه يحتجز بالجبال، (معجم البلدان) ج 2 ص 218.

[(4)] هذه الزيادة من نص (الراقي) ج 1 ص 311.

[(5)] البردة: كساء مخطط يلحف به. (المعجم الوسيط) ج 1 ص 48.

[(6)] في (خ) «ولا مثل نبي»، وما أثبتناه عبارة (الواقدي) ج 1 ص 314.

(174/1)

فلما كانوا بأصل الحرة قال:

اصطفوا فنثني على الله، فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء ثم دعا فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت. اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف، والغنى يوم الفاقة، عائذا بك اللهم من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا. اللهم توفنا مسلمين. اللهم حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك، اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق.
آمين.

دخول رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة
وأقبل حتى طلع على بني عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم

فقال: لكن حمزة لا بواكي له:

فخرج الناس ينظرون إلى سلامته، فقالت أم سعد بن معاذ الأشهلية:

كل مصيبة بعدك جليل [(1)] وجاءت أم سعد بن معاذ [وهي كبشة بنت رافع بن معاوية] [(2)] بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبيجر، [وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج] [(2)] [(2)] تعدو نحو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد وقف على فرسه، وسعد ابن معاذ أخذ بعنان الفرس،

فقال سعد: يا رسول الله: أُمي، فقال: مرحبا بها،

فدنت حتى تأملت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: أما إذ رأيتك سالما فقد أشوت المصيبة [(3)] .

فعزاها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعمرو بن معاذ ابنها ثم قال: يا أم سعد: أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم تراقفوا في الجنة جميعا - وهم اثني عشر رجلا - وقد شفَعوا في أهليهم، قالت: رضينا برسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خلفوا. قال: اللهم اذهب حزن قلوبهم، وأجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا. ثم قال: خلّ أبا عمرو الدابة. فخلّى سعد الفرس، فتبعه الناس فقال: يا أبا عمرو، إن الجراح في أهل دارك فاشية، وليس منهم مجروح

-
- [(1)] جليل: هينة، قال ابن هشام: الجليل يكون من القليل ومن الكثير وهو هاهنا من القليل.
[(2)] زيادة من النسب.
[(3)] أشوت المصيبة: قلت، والشوية: القليل من الكثير (المعجم الوسيط) ج 1 ص 502.

(175/1)

إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان: اللون لون الدم والريح ريح المسك، فمن كان مجروحا فليقرّ في داره وليداو جرحه، ولا يبلغ معي بيتي، عزمة مني.
فنادى فيهم سعد، عزمة من رسول الله ألا يتبع رسول الله جريح من بني عبد الأشهل، فتخلف كل مجروح. فباتوا يوقدون النيران ويداؤون الجراح، وإن فيهم لثلاثين جريحا، ومضى سعد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جاء بيته فما نزل عن فرسه إلا حملا، واتكأ على سعد بن عبادة وسعد بن معاذ حتى دخل بيته، فلما أذن بلال بصلاة المغرب خرج على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ثم عاد إلى بيته.

خبر البكاء على حمزة

ومضى سعد بن معاذ إلى نسائه فساقهن حتى لم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكين حمزة رضي الله عنه بين المغرب والعشاء، والناس في المسجد يوقدون النيران يتكمدون [(1)] بها من الجراح. وأذن بلال رضي الله عنه حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل، ثم ناداه الصلاة يا رسول الله،

فهب صلى الله عليه وسلم من نومه وخرج، فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل، وسمع البكاء فقال: ما هذا؟ فقبل: نساء الأنصار يبكين على حمزة. فقال: رضي الله عنكن وعن أولادكن، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن، فرجعن بعد ليل مع رجالهن. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم رجع إلى بيته، وقد صف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشي وحده حتى دخل، وباتت وجوه الأوس والخزرج على بابه يحرسونه فرقا [(2)] من قريش أن تكرر، ويقال: إن معاذ بن جبل رضي الله عنه جاء بنساء بني سلمة، وجاء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بنساء بلحارث [بن الخزرج] [(3)] فقال صلى الله عليه وسلم: ما أردت هذا! ونهاهن الغد عن النوح أشد النهي.

شهادة المنافقين

وجعل عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون يشمتون معه ويسرون بما أصاب

[(1)] الكمادة: خرقة تسخن وتوضع على الورم أو موضع الوجع (المرجع السابق) ج 2 ص 798.

[(2)] فرقا: خوفا.

[(3)] زيادة للإيضاح.

(176/1)

المسلمين، ويظهرون أقبح القول: فيقول ابن أبي لابنه عبد الله- وهو جريح قد بات يكوي الجراحة بالنار- ما كان خروج معه إلى هذا الوجه برأي! عصاني محمد وأطاع الولدان، والله لكأني كنت انظر إلى هذا. فقال ابنه: الذي صنع الله لرسوله [(1)] وللمسلمين خير.

ما قالت اليهود والمنافقون شماتة بقتلى أحد

وأظهرت اليهود القول السيء فقالوا: ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب هكذا نبي قط! أصيب في بدنه، وأصيب في أصحابه! وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ويأمرونهم بالفرق عنه، ويقولون: لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل. وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك في أماكن، فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في قتل من سمع ذلك منه من يهود والمنافقين. فقال عليه السلام: يا عمر، إن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وليهود ذمة فلا أقتلهم، قال: فهؤلاء المنافقون! قال: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال: بلى يا رسول الله! وإنما يفعلون ذلك تعودا من السيف، فقد بان لنا أمرهم، وأبدى الله أضغانهم عن هذه النكبة! فقال: نهيتم عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يا ابن الخطاب، إن قريشا لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن.

ما نزل من القرآن في غزوة أحد

ونزل في غزوة أحد من قوله تعالى: **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ** من سورة آل عمران إلى آخرها [(2)] ، وكان قد نزل قبل أن يخرج صلى الله عليه وسلم إلى حد قوله تعالى: **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124)** بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسويين (125) **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [(3)]** . فلم يصبروا وانكشفوا، فلم يمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك واحد يوم أحد.

[(1)] في (خ) «ولرسوله» .

[(2)] قال ابن هشام: ستون آية.

[(3)] في (خ) تبدأ الآيات بقوله تعالى: **إِنِّي مَدَدْتُ لَكَ يَدِي بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ...** وهكذا نص (الواقدي) ج

1 ص 320، وما أثبتناه أجود.

خبر معاوية بن المغيرة وكان هو الذي مثل بحمزة
 وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قد انهزم ومضى على وجهه ونام قريبا من المدينة، فلما
 أصبح دخلها، وأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما رآه قال:
 ويحك أهلكني وأهلك نفسك، وأدخله بيته. ثم سأل فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فأجله ثلاثا فإن وجد بعدهن قتل. فجهزه عثمان. وخرج بعد ثلاث فأدركه زيد بن حارثة وعمار
 بن ياسر بالجماء [(1)] فرمياه حتى قتلاه، وكان هو الذي مثل بحمزة رضي الله عنه.

غزوة حمراء الأسد

ثم كانت غزوة حمراء الأسد [(2)] يوم الأحد صبيحة أحد. وذلك أن عبد الله ابن عمرو بن
 عوف المزني [(3)] أو في باب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الأحد، وبلال على الباب بعد
 ما أذن وهو ينتظر خروج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما خرج أخبره المزني أنه أقبل من أهله
 حتى كان بملل إذا قريش قد نزلوا، فسمع أبا سفيان وأصحابه يشتورون [(4)] ليرجعوا حتى
 يستأصلوا من بقي، وصفوان يأبي ذلك عليهم. فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر
 وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما ذلك، فقالا: أطلب العدو يا رسول الله، ولا يقتحمون على
 الذرية، فلما صلى الصبح يوم الأحد - ومعه وجوه الأوس والخزرج، وقد باتوا في المسجد على
 بابه - أمر بلالا فنادى: إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال
 بالأمس.

خروج جرحى أحد للغزوة

فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلها جريح فقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يأمركم أن تطلبوا عدوكم. فقال أسيد بن حضير - وبه سبع جراحات

[(1)] الجماء: جبل بالمدينة، على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف.

[(2)] حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يوم أحد في طلب المشركين.

(معجم البلدان) ج 2 ص 301.

[(3)] هذه رواية (الواقدي) في (المغازي) ج 2 ص 334 وقد ذكر (ابن هشام) ج 3 ص
 44، و (الكامل) ج 2 ص 164 و (الطبري) ج 2 ص 534، ذكروا خلاف ذلك في أمر بدء
 هذه الغزوة.

[(4)] هذه اللفظة عامية، وقد أكثر (المقريزي) من استعمالها.

يريد أن يداويها- سمعا وطاعة لله ولرسوله، وأخذ سلاحه ولم يعرج على دواء، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء سعد بن عباد بن عباد قومه، وجاء أبو قتادة إلى طائفة فبادروا جميعا. وخرج من بني سلمة أربعون جريحا- بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا [(1)] ، وبخراش بن الصمة عشر جراحات-

حتى وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لما رأهم: اللهم ارحم بني سلمة.

اللواء

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءه إلى أبي بكر، وقيل: لعلي رضي الله عنهما، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأقام على حرسه عباد بن بشر.

خبر عبد الله ورافع ابني سهل

وكان عبد الله ورافع ابنا سهل بن رافع بن عدي بن زيد بن أمية بن زيد الأنصاريان، رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة فخرجا يزحفان، فضعف رافع فحمله عبد الله على ظهره عقبه ومشى عقبه [(2)] .

فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتياه وقال: إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل وبغال وإبل، وليس ذلك بخير لكم، ولم يخرج أحد لم يشهد أحدا سوى جابر بن عبد الله، واستأذنه رجال لم يخرجوا أحدا فلم يأذن لهم.

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما اجتمع الناس ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين في المسجد ودعا بفرسه على باب المسجد- وعليه الدرع والمغفر- فركب، وإذا بطلحة رضي الله عنه، فقال: يا طلحة، سلاحك. فأسرع ولبس سلاحه- وبه تسع جراحات- وأقبل فقال له صلى الله عليه وسلم: أين ترى القوم الآن؟ قال: هم بالسبيالة. قال: ذلك ظننت، أما إنهم- يا طلحة- لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا.

[(2)] العقبة: المرة بعد المرة، ونصّ (الواقدي) ج 1 ص 335-336: «فكان عبد الله يحملهُ على ظهره عقبة ويمشي الآخر عقبة» .

(179/1)

الطلائع

وبعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم هم: سليط [(1)] ونعمان ابنا سفيان بن خالد بن عوف بن دارم وآخر [من أسلم من بني عوير، لم يسم لنا] [(2)] فقتلوا، ومضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد. وكان عامة زادهم التمر. وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت الحمراء، وساق جزرا لينحر، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر في النهار فيجمع الخطب، فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران، فيوقد كل رجل نارا، فقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رثيت من مكان بعيد. وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه، فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم.

خبر معبد الخزاعي وانصراف المشركين

ولقي معبد بن أبي معبد الخزاعي- [وهو يومئذ مشرك، وكانت خزاعة سلما للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [(3)] - رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد، لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصاب أصحابك، ولوددنا أن الله أعلى كعبك، وأن المصيبة كانت بغيرك، ثم مضى، فوجد أبا سفيان وقريشا بالروحاء وهم مجتمعون على الرجوع: فأخبرهم أن محمدا وقومه وأصحابه قد تركهم يتحرقون عليهم [(4)] مثل النيران، وأنهم في طلبهم، فانصرفوا سراعا خائفين من الطلب لهم. وبعث أبو سفيان مع نفر من عبد القيس مرّ بهم يريدون المدينة أن يعلموا [(5)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم أجمعوا الرجعة إليه، فلما بلغوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك قال: حسينا الله ونعم الوكيل. فنزل في ذلك قوله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [(6)] ، وقوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ [(7)] . وبعث معبد الخزاعي رجلا فأخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بانصراف أبي

[(1)] في (خ) «سليكا» .

- [(2)] زيادة في المرجع السابق ص 337.
- [(3)] زيادة للبيان من (الواقدي) ج 1 ص 338.
- [(4)] في (خ) «عليكم» وهو نص (الواقدي) .
- [(5)] في (خ) «وهو يعلم» .
- [(6)] في (خ) «فاخشوهم الآية» وهي الآية 173/ آل عمران.
- [(7)] في (خ) «القرح الآية» . وهي الآية 172/ آل عمران، وفي رواية (الواقدي) ج 1 ص 340

(180/1)

سفيان ومن معه خائفين، فانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ثلاث.

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن

ثم كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن: وهو جبل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمه بنجد، وذلك في الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا: دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال الحرم واستعمله على خمسين ومائة رجل، وعقد له لواء، وأمره أن يرد أرض [(1)] بني أسد، وأن يغير عليهم قبل أن تلاقي عليه جموعهم، وأوصاه ومن معه بتقوى الله، فسار. وكان الذي هيج هذا أن رجلا من طييء - يقال له الوليد بن زهير بن طريف - قدم المدينة، وأخبر أن طليحة وسلمة ابني [(2)] خويلد تركهما قد سارا - في قومهما ومن أطاعهما - لحرب رسول الله، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، بعث أبا سلمة. وخرج الطائي معه دليلا ونكب بهم عن الطريق، وسار بهم ليلا ونهارا حتى انتهوا بعد أربع إلى قطن، فوجدوا سرحا فأخذوه وثلاثة رعاء مماليك، ونذر بهم [(3)] القوم فتنفروا في كل وجه، وورد أبو سلمة الماء وقد تفرقوا عنه، فبعث في طلب النعم والشاء فأصابوا منها ولم يلقوا أحدا، فانحدروا إلى المدينة. وأعطى أبو سلمة الطائي الذي دهم رضاه من المغنم، ثم أخرج صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا، ثم أخرج الخمس، وقسم ما بقي بين أصحابه فأقبلوا بها إلى المدينة. ويقال: كان بين المسلمين وبين القوم قتال قتل فيه رجل من المشركين، واستشهد مسعود بن عروة.

غزوة بئر معونة

ثم كانت غزوة بئر معونة- وهي ماء لبني عامر بن صعصعة [(4)] ، وقيل:
قرب حرة بني سليم- في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا. وسببها أن عامر ابن مالك بن جعفر
بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة- أبا براء ملاعب، الأسنّة
قدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهدى له فرسين وراحتين، فقال: لا أقبل

[()] وردت الآيتان بالترتيب الطبيعي لهما.

[(1)] في (خ) «أن برد الأرض» .

[(2)] في (خ) «بني» .

[(3)] نذر بالشيء نذرا: علمه فحذره (المعجم الوسيط) ج 1 ص 912.

[(4)] راجع (معجم البلدان) ج 1 ص 302.

(181/1)

هدية مشرك، وردهما،

وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد، إني أرى أمرك هذا حسنا شريفا، وقومي
خلفي، فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك، فإن هم
اتبعوك فما أعزى أمرك!

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني أخاف عليهم أهل نجد.

فقال عامر: لا تخف عليهم، أنا لهم جار أن يعرض لهم أحد من أهل نجد.

خبر القراء وخروجهم إلى بئر معونة

وكان من الأنصار سبعون رجلا شبية، يسمون القراء، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا
وصلّوا، حتى إذا كان وجاء الصبح [(1)] استعذبوا من الماء وخطبوا من الخطب فجاءوا به إلى
حجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان أهلهم يظنون أنهم في المسجد، وأهل المسجد يظنون
أنهم في أهلهم، فبعثهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو بن حنيس بن
حارثة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري
الساعدي: أحد النقباء، وكتب معه كتابا. فساروا ودليلهم المطلب من بني سليم، حتى [إذا]
[(2)] كانوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بني سليم- عسكروا بها وسرحوا ظهرهم، وبعثوا في
سرحهم الحارث بن الصّمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر، وهو مبذول، ابن مالك بن

النجار، وعمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد ابن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة [جدي بضم الجيم وفتح الدال] الضمري، وقدّموا حرام بن ملحان، وهو مالك بن خالد بن زيد ابن حرام بن جندب [(3)] بن عامر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري بكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر، فلم يقرءوا الكتاب.

خبر عامر بن الطفيل ومقتل القراء

ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله، واستصرخ بني عامر فأبوا- وكان أبو براء بناحية نجد- فاستصرخ قبائل من سليم- عصية ورعلا [(4)]- فنفروا معه

[(1)] أول النهار قبيل الفجر.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] في (خ) «جنيدب» .

[(4)] في (خ) «ورعل» .

(182/1)

حتى وجدوا القراء فقاتلوهم، فقتلوا رضي الله عنهم إلا المنذر بن عمرو فإنهم آمنوه إن شاء، فأبى أن يقبل أماتهم حتى يأتي مقتل حرام، فلما أتى مصرعه قاتلهم حتى قتل، وأقبل الحارث [بن الصمة] [(1)] وعمرو بن أمية بالسرح والخيل واقفة، فقاتلهم الحارث حتى قتل بعد ما قتل منهم عدة. وأعتق عامر بن الطفيل عمرو ابن أمية عن أمة وجرّ ناصيته. وكان ممن قتل يومئذ عامر بن فهيرة: طعنه جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ابن كلاب الكلابي بالرمح ثم انتزعه، فذهب بعامر في السماء حتى غاب عنه وهو يقول: فزت والله! فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر.

دعاء رسول الله على أصحاب الغدر

ولما بلغ رسول الله خبر بئر معونة «جاء معها في ليلة واحدة مصاب [خبيب ابن عدي] [(2)] ومرثد بن أبي مرثد وبعث محمد بن مسلمة، فجعل يقول: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها. ودعا على قتلهم بعد الركعة من الصبح في صبح تلك الليلة التي جاء الخبر فيها. فلما

قال: سمع الله لمن حمده، قال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم عليك ببني لحيان وزغب ورعل وذكوان، وعصية فإثم عصوا الله ورسوله، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة، اللهم أنج الوليد ابن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين. غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله. ثم سجد. فقال ذلك خمس عشرة ليلة، ويقال: أربعين يوماً، حتى نزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [(3)] .

حزن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على القراء وما نزل فيهم من القرآن ولم يجد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة، وأنزل الله فيهم قرآناً نسخ بعد ما قرئ مدة «بلغوا قومنا [عنا] [(4)] أنا لقينا ربنا فرضي عنا

[(1)] زيادة للبيان.

[(2)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 53، و (الواقدي) ج 1 ص 349.

[(3)] الآية 128 / آل عمران، وفي (خ) «شيء الآية» .

[(4)] ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 53، وبدون هذه الزيادة رواها

(الواقدي) ج 1 ص 350.

(183/1)

ورضينا عنه» .

هدية أبي براء إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأقبل أبو براء فبعث ابن أخيه لبيد بن ربيعة بفرس هدية لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فرده وقال: لا أقبل هدية مشرك، قال: فإنه قد بعث يستشفيك من وجع به [وكانت به الدبيلة] [(1)] فتناول النبي صَلَّى الله عليه وسلّم مدرة من الأرض فتفل فيها ثم ناوله وقال: دفها [(2)] [بماء ثم اسقها إياه.

ففعّل فبرأ. ويقال: بعث إليه بعكة [(3)] عسل فلم يزل يلحقها حتى برأ، وشق على أبي براء ما فعل عامر بن الطفيل.

مقتل المشركين

وقدم عمرو بن أمية على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بعد ما لقي بصدور قناة [(4)]
رجلين من بني كلاب قد قدما على رسول الله فكساهما وأمنهما، فقتلهما للذي أصابت بنو
عامر من القراء.

فقال له النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: بتس ما صنعت! قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار!
لأدينهما.

وأخرج ديتهما دية حزين مسلمين، فبعث بها ويسلبهما إلى عامر بن الطفيل.

غزوة الرجيع (سرية مرثد بن أبي مرثد)

ثم كانت غزوة الرجيع: وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز، وذلك في صفر على
رأس ستة وثلاثين شهرا. وذلك أن بني لحيان جعلت فرائض لعضل والقارة [رحم من بني الهون بن
خزيمة بن مدركة إخوة بني أسد بن خزيمه] على أن يقدموا على النبي صَلَّى الله عليه وسلّم
فيكلموه أن يخرج إليهم نفرا يدعوهم إلى الإسلام ليقتلوا من قتل سفيان بن نبيح الهذلي [(5)]
، ويبيعوا سائرهم على قريش بمكة، فقدم

[(1)] الدبيلة على وزن جهينة: داء في الجوف (ترتيب القاموس) ج 2 ص 149.

[(2)] داف الدواء: خلطه وأذابه بالماء هاشم (ط) ص 173.

[(3)] العكة: وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل، وهو بالسمن أخصّ (النهاية)
ج 3 ص 284.

[(4)] في (خ) «بصدر قناء» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 351، (وابن سعد) ج 2
ص 53، وقناة: واد بالمدينة، وأحد أوديتها الثلاثة (معجم البلدان) ج 4 ص 401.

[(5)] هذا هو سبب سرية عبد الله بن أنيس، وهي خمس خلون من الحرم على رأس خمسة
وثلاثين شهرا من مهاجره صَلَّى الله عليه وسلّم (انظر ص 256).

(184/1)

سبعة نفر من عضل والقارة مقرّين بالإسلام، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما فاشيا، فابعث
معنا نفرا من أصحابك يقرئونا القرآن ويفقهونا في الإسلام.

خروج مرثد وأصحابه إليهم ومقتلهم

فبعث معهم ستة وقيل عشرة، وهو الأصح كما وقع في كتاب الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي [ويقال: عاصم بن ثابت بن أبي الألقح] فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذيل - يقال له الرجيع، قريب من الهدّة - لقيهم [(1)] مائة في أيديهم السيوف فقاموا ليقاتلوهم، فقالوا: ما نريد قتالكم، ولا نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمنًا، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم، فاستأسر خبيب بن عدي الأنصاري، وزيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاريّ البياضيّ وعبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلويّ، وأبي أبو سليمان عاصم بن ثابت، ومرثد، وخالد بن أبي البكير، ومعتب ابن عبيد: أن يقبلوا جوارهم.

خبر عاصم بن ثابت حمى الدبر

ورماهم عاصم حتى فنيت نبهه، ثم طاعنهم حتى كسر رمحه، ثم كسر غمد سيفه، وقاتل حتى قتل. فبعث عليه الدبر [(2)] فحمته، فلم يدن منه أحد إلا لدغت وجهه، ثم بعث الله في الليل سيلا فاحتمله فذهب به فلم يقدروا عليه. وذلك أنه كان قد نذر ألا يمسن مشركا ولا يمسنه مشرك. وكانوا يريدون أن يجزوا رأسه ليذهبوا به: إلى سلافة بنت سعد بن الشهيد لتشرب في قفة قحفة [(3)] الخمر، فإنها نذرت إن أمكنها الله منه أن تفعل ذلك من أجل أنه قتل لها ابنين في يوم واحد.

خبر الأسرى يوم الرجيع

وقتلوا [(4)] معتبا، وخرجوا بخبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مالك بن

[(1)] في (خ) «فلقبيهم» .

[(2)] الدبر: جماعة من النحل والزنابير (المعجم الوسيط) ج 1 ص 269.

[(3)] القحفة: ما انفلق من الجمجمة (المرجع السابق) ج 2 ص 716.

[(4)] في (خ) «وقتل» .

(185/1)

مجدعة بن جحجي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة، وهم موثقون بأوتار قسيهم، فنزع عبد الله بن طارق يده من رباطه وأخذ سيفه، فقتلوه رجما بالحجارة وقبروه بمز الظهران.

خبر خبيب بن عدي بمكة

وقدموا مكة بخبيب وزيد فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب بثمانين مثقالا ذهباً، ويقال: بخمسين فريضة [(1)] ويقال: اشترته ابنة [(2)] الحارث بن عامر بن نوفل بمائة من الإبل. [وكان حجير بن أبي إهاب قد ابتاع خبيب بن عدي لزوج أخته عقبة ابن الحارث بن عامر بن نوفل، ليقتله بأبيه: قتل يوم بدر] [(3)] واشترى زيدا صفوان بن أمية بخمسين فريضة ليقتله بأبيه. ويقال: أنه شرك فيه أناس من قريش.

وحبس حجير خبيبا- لأنه كان في ذي القعدة وهو شهر حرام- فأقام محبوسا في بيت ماوية [(4)] ، مولاة بني عبد مناف، وحبس زيد عند نسطاس مولى صفوان ابن أمية، ويقال: عند قوم من بني جمح، فرأت ماوية خبيبا وهو يأكل عنبا من قطف مثل رأس الرجل في يده، وما في الأرض يومئذ حبة عنب، فعلمت أنه رزق رزقه الله، فأسلمت بعد ذلك، وكان يجهر بالقرآن فيسمعه النساء فيبكين، فلما أعلمته ماوية- بعد انسلاخ الأشهر الحرم- بقتله، ما أكثر ذلك، وطلب حديدة فأتته بموسي مع ابنها أبي حسين [(5)] ، مولى بني الحارث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف بن قصي فقال له ممازحا له: وأبيك إنك لجرىء! أما خشيت أملك

-
- [(1)] الفريضة: ما فرض في السائمة من الصدقة، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة غير الزكاة، (ترتيب القاموس) ج 3 ص 473 و (النهاية) ج 3 ص 432.
- [(2)] في (خ) «اشتراه ابنه الحارث»، وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 257.
- [(3)] ما بين القوسين من (الواقدي) ج 1 ص 357 ومكانه في (خ) فهو هكذا، وكان خبيب قد قتله عقبة ابن الحارث بن عامر بن نوفل فأرادوا قتله به «وهذا خطأ كله وفي (ابن سعد) و (الواقدي) أنه اشتراه «لابن أخته» وهذا خطأ أيضا، بدليل ما قاله ابن حجر في (الإصابة) ج 7 ص 20 ترجمة رقم 5585 «مات عقبة بن الحارث في خلافة ابن الزبير» .
- [(4)] في (الواقدي) «في بيت امرأة يقال لها ماوية» وهو أجود.
- [(5)] في (خ) «أبي الحسن بن الحارث» «وهو خطأ» هكذا قال محقق (ط) ، وفي (ابن هشام) ج 3 ص 96. «قال ابن هشام: ويقال إن الغلام ابنها» . وفي (ابن الأثير) ج 2 ص 167 «ندب صبي لها ...» راجع (صحيح البخاري) ج 7 ص 382، 383.

غدري حين بعثت معك بحديدة، وأنتم تريدون قتلي؟ فقالت ماوية: يا خبيب، إنما أمنتك بأمان الله، فقال: ما كنت لأقتله! ثم أخرجه في الحديد إلى التنعيم [(1)] ومعه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة ومعه زيد بن الدثنة.

مقتل خبيب

فصلى خبيب ركعتين أتمهما من غير أن يطول فيهما- وكان أول من سن الركعتين عند القتل [(2)]- ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا. ثم أوثقوه رباطا وقالوا: ارجع عن الإسلام ونخلي سبيلك. فقال: لا إله إلا الله! والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعا! قالوا: أفتحب أن محمدا في مكانك وأنت جالس في بيتك؟ فقال: والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنا جالس في بيتي. فجعلوا يقولون: يا خبيب ارجع! قال: لا أرجع أبدا. قالوا: أما واللوات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك! قال: إن قتلي في الله لقليل [(3)] ، فجعلوا وجهه من حيث جاء، فقال: ما صرفكم وجهي عن القبلة؟ ثم قال: اللهم إني لا أريد إلا وجه عدو، اللهم ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو جالس مع أصحابه وقد أخذته غمية [(4)]-: وعليه السلام ورحمة الله، ثم قال: هذا جبريل يقرئي من خبيب السلام. ثم أحضروا أبناء من قتل ببدر- وهم أربعون غلاما- فأعطوا كل غلام رحما فطعنوه برماحهم، فاضطرب على الخشبة، وقد رفعوه إليها. وانفلت فصار [(5)] وجهه إلى الكعبة فقال: الحمد لله [(6)] فطعنه أبو سروعة- واسمه عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي- حتى أخرجها من ظهره، فمكث ساعة يوحد ويشهد أن محمدا رسول الله ثم مات رضي الله عنه، وتولى قتل زيد نسطاس، وقد روي أن غزوة الرجيع كانت قبل

[(1)] التنعيم: موضع بمكة في الحلّ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة وقيل أربعة (معجم البلدان) ج 2 ص 49.

[(2)] وكذلك فعلهما حجر ابن الأدبر حين قتله معاوية وقد صلى هاتين الركعتين أيضا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيل الخبرين في (الروض الأنف) ج 3 ص 325.

[(3)] في (خ) «لقتل» .

[(4)] الغميمة: كالغشية.

[(5)] في (خ) «وصار» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 361.

[(6)] وفي المرجع السابق: «الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضى لنفسه ولنبيه وللمؤمنين» .

(187/1)

بئر معونة.

غزوة بني النضير

ثم كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهرا من مهاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقال: كانت في جمادى الأولى [(1)] سنة أربع، وروى عقيل ابن خالد وغيره عن ابن شهاب قال: كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر.

سببها، وغدر اليهود برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سببها أن عمرو بن أمية الضمري لما قتل الرجلين من بني عامر خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بني النضير يستعين في ديتهما- لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر، وكان ذلك يوم السبت- فصلى في مسجد قباء ومعه رهط من المسلمين. ثم جاء بني النضير ومعه دون العشرة من أصحابه [(2)] فيجدهم في ناديتهم، فجلس يكلمهم أن يعينوه في الكلابيين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية، فقالوا: نفعل، اجلس حتى نطعمك، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستند إلى بيت، فخلا بعضهم إلى بعض، وأشار عليهم حبي بن أخطب أن يطرحوا عليه حجارة من فوق البيت الذي هو تحته فيقتلوه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش لي طرح عليه صخرة، وهياً الصخرة ليرسلها على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشرف بها، فجاء الوحي بما هموا به، فنهض صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سريعا كأنه يريد حاجة ومضى إلى المدينة. فلما أبطأ لحق به أصحابه- وقد بعث في طلب [(3)] محمد بن مسلمة- فأخبرهم بما هممت به يهود، وجاء محمد بن مسلمة فقال:

اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم: [إن رسول الله أرسلني إليكم] [(4)] أن اخرجوا من بلده، فإنكم قد نقضتم العهد بما همتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرا، فمن رأي بعد ذلك ضربت عنقه.

أمر إجلاء بني النضير

فأخذوا يتجهزون في أيام، ثم بعث حبي بن أخطب مع أخيه جدي [(5)] بن

[(1)] في (خ) «الأول» .

[(2)] في (خ) «وأصحابه» .

[(3)] في (خ) «طلبه» .

[(4)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 366.

[(5)] في (خ) «حدي» .

(188/1)

أخطب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا لا نخرج، فليصنع ما بدا له. وقد غره عبد الله بن أبي
بأن أرسل إليه سويدا وداعسا بأن يقيم بنو النضير ولا يخرجوا: فإن معي من قومي وغيرهم [من
العرب] [(1)] ألفين، يدخلون معكم فيموتون من آخرهم دونكم.
فلما بلغ جدي رسالة أخيه حبي كبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه وقال:
حاربت يهود.
ونادى مناديه بالمسير إلى بني النضير.

مسير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم وحصارهم
وسار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه فصلى العصر بفضاء بني النضير وقد قاموا
على جدر [(2)] حصونهم ومعهم النبل والحجارة، ولم يأتم ابن أبيّ واعتزلتهم [(3)] قريظة
فلم تعنهم بسلاح ولا رجال، وجعلوا يرمون يومهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا، فلما صلى
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشاء - وقد تنام أصحابه - رجع إلى بيته في عشرة من
أصحابه، وعليه الدرع والمغفر وهو على فرس. واستعمل عليا رضي الله عنه على العسكر،
ويقال: بل استعمل أبا بكر رضي الله عنه. وبات المسلمون محاصريهم يكبرون حتى أصبحوا.
وأذن بلال رضي الله عنه بالمدينة، فغدا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه الذين كانوا
معه فصلى بالناس في فضاء بني خزيمة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قتال بني النضير

وحملت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبة آدم أرسل بها سعد بن عباد، فضربها بلال

ودخلها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرمى عزوك - من اليهود - فبلغ نبه القبة، فحولت حيث لا يصلها التبل. ولزم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدرع وظل محاصرهم ست ليال من ربيع الأول. وحينئذ حرمت الخمر، على ما ذكره أبو محمد بن حزم. وفقد علي رضي الله عنه في بعض الليالي

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه في بعض شأنكم! فعن قليل جاء برأس عزوك: وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعا راميا، فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله، وفرّ اليهود، فبعث معه

[(1)] زيادة من (الواقدي) ج 1 ص 366.

[(2)] في (خ) «جذر» .

[(3)] في (خ) «اعتزهم» .

(189/1)

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا دجانة وسهل بن حنيف، في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوهم، وأتوا براءوسهم فطرحت في بعض البئار [(1)] . وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يحمل التمر إلى المسلمين.

تحريق نخلهم وشرط إجلائهم

وأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنخل فقطعت وحرقت، واستعمل على ذلك أبا ليلى المازني وعبد الله بن سلام فشق على يهود قطع النخل، وبعث حبي بن أخطب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يخرج ومن معه.

فقال عليه السلام: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها ولكم [دماؤكم] و [(2)] ما حملت الإبل إلا الحلقة [(3)] ،

فلم يقبل حبي، وحالفت عليه طائفة ممن معه وأسلم منهم يامين بن عمير بن كعب [ابن عم عمرو ابن جحاش] [(4)] وأبو سعد بن وهب ونزلا فأحرزا أموالهما، ثم نزلت يهود على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، وجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير. ويقال: خمسة أوسق من تمر حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة، فسرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله.

كيف كان جلاؤهم

وأقام على حصار يهود خمسة عشر يوما حتى أجلاهم وولي إخراجهم محمد ابن مسلمة. وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم [بأيديهم] [(5)] مما يليهم، والمسلمون يخربون مما يليهم ويحرقون، حتى وقع الصلح، جعلوا يحملون الخشب ويحملون النساء والذرية، وشقوا سوق المدينة والنساء في الهوادج عليهنّ الحرير والديباج وحلي الذهب والمعصفرات وهن يضررن بالدفوف ويזمرن بالمزامير تجلدا- وكبارهم يومئذ حبي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق- وقد صف لهم الناس وهم يمرون، فكانوا على ستمائة بعير، فنزل أكثرهم بخير فدانت لهم، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، فكان من صار منهم إلى خير أكابرهم كحبي بن أخطب، وسلام ابن أبي الحقيق، وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن.

[(1)] في (خ) «البيار» والبتار: جمع بئر.

[(2)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 58.

[(3)] الحلقة: السلاح كله.

[(4)] في (خ) «كعب بن عمرو بن جحاش»، وهو خطأ، وما أثبتناه من سياق ترجمته في

(الإصابة) ج 10 ص 333 برقم 9112.

[(5)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 58.

(190/1)

أموال بني النضير

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة: فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة [

(1)] ، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً. وقال عمر رضي الله عنه: ألا تحمّس ما أصبت.

فقال صلى الله عليه وسلم: لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين- بقوله: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم [(2)] كهيئة ما وقع فيه السهمان للمسلمين.

وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه، وكان ينفق

على أهله منها: كانت خالصة له، فأعطى من أعطى منها، وحبس ما حبس، وكان يزرع تحت

النخل، وكان يدخل منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبنو المطلب [(3)] ، وما

فضل جعله في الكراع والسلاح.
واستعمل على أموال بني النضير أبا رافع مولاة، وكانت صدقاته منها ومن أموال مخيريق.

المهاجرون والأنصار

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تحول من بني عمرو بن عوف إلى المدينة تحول المهاجرون فتناقصت فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقتنعوا فيهم السهمان، فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الأنصار إلا بقرعة، فكان المهاجرون في دور الأنصار وأمواهم.

خبر قسمة أموال بني النضير على المهاجرين دون الأنصار

فلما غنم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الأنصار كلها- الأوس والخزرج- فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالهم إياهم في منازلهم، وأثرهم على أنفسهم، ثم قال: إن أحببت قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بني النضير، وكان

[(1)] البيضة، من أدوات الحرب.

[(2)] آية 7/ الحشر، وفي (خ) «... القرى، الآية» .

[(3)] في (خ) «بني عبد المطلب» .

(191/1)

المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأمواكم، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم.

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: يا رسول الله، بل تقسمه للمهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار.

وقسم ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين: سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خناس (ويقال خنساء) بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، وأبو دجاجة سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ودّ بن ثعلبة الأنصاري. وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفاً له ذكر. ووسع صَلَّى اللهُ

عليه وسلّم في الناس من أموال بني النضير، وأنزل الله تعالى في بني النضير «سورة الحشر». .
وفي جمادى الأولى [(1)] مات عبد الله بن عثمان عن رقية.

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأمة سلمة
وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأمة سلمة رضي الله عنها.

غزوة بدر الموعد

ثم كانت غزوة بدر الموعد لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهرا.
وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى: موعد بيننا وبينكم بدر
الصفراء رأس الحول نلتقي فيه فنقتل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وقد أمره رسول
الله صلى الله عليه وسلّم-: نعم، إن شاء الله.

سوق بدر الصفراء وكراهية أبي سفيان الخروج إلى الموعد

وكانت بدر [(2)] الصفراء مجمعا للعرب في سوق يقام لهلال ذي القعدة إلى ثمان

[(1)] في (خ) «الأول» .

[(2)] «وبدر الموعد، وبدر القتال، وبدر الأولى، والثانية: كلها موضع واحد» (معجم

البلدان) ج 1 ص 358.

(192/1)

منه، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وأحبّ ألا يوافي رسول الله صلى الله عليه وسلّم
الموعد، وكان يظهر أنه يريد الغزو في جمع كثيف، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع ويسير
في العرب، فتأهب المسلمون له.

رسالة أبي سفيان نعيم بن مسعود لتخذيل المسلمين

وقدم [(1)] نعيم بن مسعود الأشجعي مكة فأخبر أبا سفيان [(2)] وقريشا بتهبؤ المسلمين
لحربهم. وكان عاما [(3)] جدبا، أعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين، واعتل
بجدب الأرض. وجعل له عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو، على أن يخذل المسلمين

عن المسير لموعده وحمله على بعير. فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أي سفيان حتى رعب [(4)] المسلمين، وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم تبق لهم نية في الخروج. واستبشر المنافقون واليهود وقالوا: محمد لا يغلب! - من هذا الجمع - فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خشى ألا يخرج معه أحد. وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - وقد سمعا ما سمعا - وقالوا: يا رسول الله، إن الله مظهر دينه ومعزّ نبيه، وقد وعدنا القوم موعدا، ولا نحب أن نتخلف فيرون أن هذا جبن، فسر لموعدهم، فو الله إن في ذلك لحيرة. فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد. فبصر الله المسلمين وأذهب ما كان رعبهم الشيطان، وخرجوا بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحا كثيرا.

خروج المسلمين إلى بدر

واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة، وسار في ألف وخمسمائة، فيهم عشرة أفراس، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهاوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة. وخرج أبو سفیان من مكة في ألفين معهم خمسون فرسا ثم رجعوا من مجنة [(5)] ، [وذلك أن أبا سفیان بدا له الرجوع فقال: يا معشر قريش، ارجعوا

[(1)] في (خ) «وقد» .

[(2)] في (خ) «أخبر أبا سفیان» مكررة.

[(3)] في (خ) «عامّة» .

[(4)] رعب: خوَف.

[(5)] مجنة: موضع على أميال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران واسم سوق للعرب (معجم البلدان) ج 5 ص 58.

(193/1)

فإنه لا يصلحنا إلا عام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب، فإني راجع فارجعوا. فرجع الناس، فسمّاهم أهل مكة: «جيش السويق». يقولون:

إنما خرجتم تشربون السويق] [(1)] .

خبر مجدي بن عمرو، وبني ضمرة

وقام مجدي بن عمرو من بني ضمرة [- ويقال: مخشي بن عمرو-] والناس مجتمعون في سوقهم، والمسلمون أكثر ذلك الموسم فقال: يا محمد لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد، فما أعلمكم إلا أهل الموسم!.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أخرجنا إلا موعداً أي سفيان وقتال عدونا، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جالدناكم [(2)] قبل أن نبرح منزلنا هذا. فقال الضمري: بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك.

معبد الخزاعي ينذر أهل مكة

وانطلق [(3)] معبد بن أبي معبد الخزاعي سريعاً - بعد انقضاء الموسم [(4)] - إلى مكة، وأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك الموسم وأنهم ألفان، وأخبرهم بما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للضمري. فأخذوا في الكيد والنفقة لقتال [(5)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستجلبوا من حولهم من العرب وجمعوا الأموال، وضربوا البعث على أهل مكة فلم يترك أحد منهم إلا أن يأتي بمال، ولم يقبل من أحد أقل من أوقية لغزو الخندق. وأنزل الله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [(6)] يعني نعيم بن مسعود.

وعاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة فكانت غيبته عنها ست عشرة ليلة. وذكر

[(1)] هذه زيادة من (المغازي) ج 1 ص 388 ومن (ابن هشام) ج 3 ص 123 وغيرهما من كتب السيرة، وفي (خ) بعد قوله «مجنة»، «ويقال مخشي بأنه عام جذب وقام مجدي بن عمرو من بني ضمرة والناس مجتمعون» .

[(2)] في (خ) «جالدناكم» والمجالد: المضاربة بالسيف.

[(3)] في (خ) «فانطلق» وهذه أجود.

[(4)] في (خ) «المسوم» .

[(5)] في (خ) «فأخذوا للكيد والنفقة للقتال ...» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 1 ص 389.

[(6)] [آية 113 / آل عمران، وفي (خ) إلى قوله «فاخشوهم» .

أبو محمد بن حزم أن بدر الموعد بعد ذات الرقاع [(1)] .

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع اليهودي، وسبب ذلك
ثم كانت سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق حتى قتل سحر ليلة الاثنين
لأربع خلون من ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهرا، وقيل:
كان قتله في جمادى الأولى سنة ثلاث. وكان سبب ذلك أن أبا رافع كان قد أجلب في غطفان
ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم -
فإنه كانت له رياسة قريظة بعد يوم بعث [(2)] - فبعث صَلَّى الله عليه وسلّم عبد الله ابن
عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن زيد بن معاوية بن مالك بن عوف بن
عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري [(3)] - وكانت أمه بخير يهودية أرضعته -
وبعث معه أربعة هم: عبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، والأسود بن الخزاعي، ومسعود بن سنان،
وأمرهم بقتله، ونهى عن قتل النساء والولدان، فانتهوا إلى خير ونزلوا على أم عبد الله [ابن
عتيك] [(4)] ليلا - وقد تلقتهم بتمر وخبز - فكمنا [(5)] حتى هدأت الرجل،
واستفتحوا على أبي رافع.

فقالت امرأته: ما شأنكم؟ فقال لها عبد الله بن عتيك - وكان يرطن باليهودية -:
جئت أبا رافع بهدية. ففتحت له فدخل بمن معه - وأبو رافع نائم - فعلوه بأسيا فهم وقد صاحت
المرأة، واتكأ عبد الله بن أنيس بسيفه على بطنه حتى بلغ الفراش، وهلك. فنزولا، ونسي أبو
قتادة الأنصاري قوسه فرجع فأخذها، [فوقع من الدرجة] [(6)] فانكفت رجله فاحتملوه.
وقام الصائح وأتت يهود، فخرج منهم أبو

[(1)] وكذلك أوردها (ابن هشام) بعد ذات الرقاع وأيضا (الطبري) في التاريخ و (ابن الأثير)
في الكامل و (ابن كثير) في البداية والنهاية.

[(2)] في (خ) «بغات» .

[(3)] هذا نسبه إلى الأوس، ولا شك أنه من الخزرج، يقول (ابن عبد البر) في (الاستيعاب)

ج 6 ص 297: «لأن الرهط الذي قتلوا ابن أبي الحقيق خزرجيون، والذين قتلوا كعب بن

الأشرف أوسيون، كذا قال ابن إسحاق وغيره، ولم يختلفوا في ذلك» .

[(4)] زيادة للإيضاح.

[(5)] في (خ) «فأكمنوا» .

[(6)] زيادة للبيان: وقد اختلف فيمن وقع من الدرجة، يقول (ابن هشام) ج 3 ص 102 .
«وكان عبد الله بن عتيك رجلا شيء البصر قال: فوقع من الدرجة ... إلخ» .

(195/1)

ذؤيب [(1)] الحارث في آثار القوم ومعه جمع، فنجاهم الله منهم. وقد كمنوا يومين حتى سكن
الطلب،
ثم أقبلوا إلى المدينة ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على المنبر، فقال: أفلحت الوجوه! فقالوا:
أفلح وجهك يا رسول الله! قال: أقتلتموه؟ قالوا: نعم، كلنا يدّعي قتله. وأروه أسيافهم فقال:
هذا قتله، هذا أثر الطعام في سيف عبد الله ابن أبيس.
فكانت غيبتهم عشرة أيام. ويقال: كانت هذه السرية في رمضان سنة ست [(2)] .

تعليم زيد بن ثابت كتابة اليهود

وفي هذه السنة الرابعة أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن
لوزان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك النجار الأنصاري رضي الله عنه أن يتعلم كتاب
يهود،
وقال: لا آمن أن يبدلوا كتابي.
وولد الحسين بن علي رضي الله عنهما- في قول بعضهم- لليلال خلون من شعبان.

غزوة ذات الرقاع

ثم كانت غزوة ذات الرقاع: وسميت بذلك لأنها كانت عند جبل فيه بقع حمر وبيض وسود كأنها
رقاع، وقيل: سميت بذلك لأنها رقعوا راياتهم، ويقال أيضا: ذات الرقاع شجرة بذلك الموقع يقال
لها ذات الرقاع. وأصح الأقوال ما رواه البخاري من طريق أبي موسى قال: خرجنا مع النبي [(3)
[(3)] صَلَّى الله عليه وسلّم في غزاة [(4)] - ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه- فنقبت أقدامنا،
ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا [(5)] نلفّ على أرجلنا الحرق، فسميت غزوة ذات
الرقاع لما كنا

[(1)] كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج 1 ص 393، «الحارث أبو زينب» . وهو الصواب.

[(2)] ذكر المؤلف سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، وجعلها في ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهرا- أي في السنة الرابعة من الهجرة- وهذا التاريخ من رواية موسى بن عقبة. ومقتل سلام بن أبي الحقيق كان بعد غزوة الأحزاب، وغزوة الأحزاب عند موسى بن عقبة، وعند ابن حزم كانت سنة أربع، فهذا تاريخ صحيح عند ابن عقبة يجعل الغزوة والسرية في سنة أربع على الترتيب، ولكن المقرئ أخذ تاريخ السرية من موسى بن عقبة وصححه وأعتمده فجعله في سنة أربع، ثم جعل غزوة الأحزاب في سنة خمس، ولا أدري لم فصل هذا الفصل بينهما وصحح واحدة- وهي السرية- من تاريخ موسى بن عقبة، ورد الغزاة إلى سنة خمس من رواية غيره؟.

[(3)] في (خ) «مع رسول الله»، وما أثبتناه من رواية البخاري ج 3 ص 35.

[(4)] في (خ) «غزوة» .

[(5)] في (خ) «فكنا» .

(196/1)

نعصب من الخرق على أرجلنا [(1)] .

ما فيها من دلائل النبوة

وفي هذه الغزاة ظهر من أعلام النبوة: ظهور بركة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكل أصحابه من ثلاث بيضات حتى شبعوا ولم تنقص، وسبق جمل جابر بعد تخلفه، وبرء الصبي مما كان به، وقصة الأشاءتين [(2)] ، وقصة غورث [بن الحارث] [(3)] وقصة الجمل لما برك يشكو.

الخروج إلى الغزوة

وخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة السبت لعشر خلون من الحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا، وقدم صرار [(4)] يوم الأحد لخمس بقين منه، وغاب خمس عشرة ليلة. وسببها أن [قادما- قدم يجلب له] [(5)] من نجد إلى المدينة- أخبر أن بني أثمار بن بغيض، وبني سعد بن ثعلبة بن ذبيان بن بغيض، قد جمعوا لحرب المسلمين، فخرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أربعمائة، وقيل: في سبعمائة، وقيل: ثمانمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبتّ السرايا في طريقه فلم يروا أحدا، ثم قدم محالهم وقد ذهبوا إلى رءوس الجبال وأطلّوا على المسلمين، فخاف الفريقان بعضهم من بعض.

صلاة الخوف

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، فكان أول ما صلاها يومئذ، وقد خاف أن يغيروا عليه وهم في الصلاة، فاستقبل القبلة وطائفة خلفه وطائفة مواجهة للعدو، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدتين ثم ثبت قائما فصلوا خلفه ركعتين وسجدتين ثم سلموا، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم ركعة وسجدتين،

[(1)] وتتمه رواية البخاري: «وحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك، قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه.

[(2)] في (خ) «الأشأتين» وأشاء النخل: صفاره، أو عامته، أشاءة (ترتيب القاموس) ج 1 ص 151.

[(3)] زيادة للبيان.

[(4)] صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق المدينة (معجم البلدان) ج 3 ص 398.

[(5)] في (خ) «قدما قادما مجلب»، والجلب: ما يجلب لبيع.

(197/1)

والطائفة الأولى مقبلة على العدو، فلما صلى بهم ركعة ثبت جالسا حتى أتموا لأنفسهم ركعة وسجدتين ثم سلم. هكذا ذكر ابن إسحاق والواقدي وغيرهما من أهل السير، وهو مشكل.

تحقيق القول في صلاة الخوف متى كانت

فإنه قد جاء في رواية الشافعي وأحمد والتسائي عن أبي سعيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسه المشركون يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جمعا، وذلك قبل نزول صلاة الخوف. قالوا: وإنما نزلت صلاة الخوف بعسفان، كما رواه أبو عبيد الله الزرقاني قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان فصلى بنا الظهر، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد، فقالوا: لقد أصبنا منهم غفلة، ثم قالوا: إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم. فنزلت - يعني صلاة الخوف - بين الظهر والعصر، فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين، وذكر الحديث.

أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي [(1)] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بين ضحجان [(2)] وعسفان محاصر المشركين، فقال المشركون: إن هؤلاء صلاة هي أهم إليهم من أبنائهم وأبكارهم، أجمعوا أمرهم ثم ميلوا عليهم ميلاً واحدة. فجاء جبريل عليه السلام فأمره أن يقسم أصحابه نصفين، وذكر الحديث. رواه النسائي [(1)] والترمذي [(3)] وقال: حسن صحيح. وقد علم بلا خلاف أن غزوة عسفان كانت بعد الخندق فاقضى هذا أن ذات الرقاع بعدها بل بعد خيبر. ويؤيد هذا أن أبا موسى الأشعري وأبا هريرة رضي الله عنهما شهداها:

أما أبو موسى الأشعري فإنه قدم بعد خيبر، وقد جاء في الصحيحين عنه: أنه شهد غزوة ذات الرقاع، وأنهم كانوا يلقون على أرجلهم الخرق لما نقتبت، فسميت بذلك، وأما أبو هريرة، فعن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟ قال: نعم، قال: متى؟ قال: عام غزوة

[(1)] (مسند الإمام أحمد) ج 4 ص 59، 60. (أبو داود) ج 2 ص 28 حديث رقم 1236.

(عون المعبود) ج 4 ص 104 حديث رقم 1224. (سنن النسائي) ج 3 ص 167.

[(2)] ضحجان: «جبل على بريد من مكة ... ، وقال الواقدي: ضحجان ومكة خمسة وعشرون ميلاً» (معجم البلدان) ج 3 ص 453 وفي (خ) «ضحجان» .

وعسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (المرجع السابق) ج 4 ص 122.

[(3)] (سنن الترمذي) ج 2 ص 39 باب 393 حديث رقم 561.

(198/1)

نجد، وذكر صفة من صفات صلاة الخوف. أخرجه [(1)] الإمام أحمد وأبو داود والنسائي. وإنما جاء أبو هريرة مسلماً أيام خيبر.

وكذلك قال عبد الله بن عمر، قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فذكر صلاة الخوف. وإجازة [(2)] عبد الله في القتال كانت عام الخندق. وقد قال البخاري: إن

ذات الرقاع بعد خيبر، واستشهد بقصة [(3)] أبي موسى وإسلام أبي هريرة.

وقال ابن إسحاق: إنما كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين، وقد قال بعض من أخرج: إن غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة، فواحدة كانت قبل الخندق، وأخرى بعدها.

وقد قيل: إن قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت في غزوة ذات الرقاع. وفي ذلك نظر، لأنه جاء أن ذلك كان في غزوة تبوك. وبعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعال بن سراقفة بشيرا إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين.

خبر الربيثة: عباد بن بشر وعمار بن ياسر

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أصاب في محالهم نسوة منهن جارية وضيئة كان زوجها يجهها، فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعا إلى المدينة حلف زوجها ليطلبن محمدا، ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمدا، أو يهريق فيهم دما، أو يتخلص صاحبتة.

فبينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسيرة في عشية ذات ربح فنزل في شعب فقال: من رجل يكلأنا [(4)] الليلة؟

فقام عمار بن ياسر وعباد بن بشر فقالا: نحن يا رسول الله نكلؤك: وجعلت الريح لا تسكن، وجلسا على فم الشعب. فقال أحدهما لصاحبه:

أي الليل [(5)] أحب إليك [أن أكفيك، أوله أم آخره] [(6)] ؟ قال: [بل] [(7)]
أكفني

[(1)] في (خ) «أرجه» .

[(2)] في (خ) «وإجارة» .

[(3)] في (خ) «بقضية» .

[(4)] يكلأنا: يرعانا، وفي التنزيل: قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ (المعجم الوسيط) ج 2 ص 793.

[(5)] في (خ) «الليلة» .

[(6)] ما بين الأقواس لفظ مضطرب في (خ) والتصويب من (ابن هشام) ج 3 ص 122

ونحوه مع اختلاف يسير في (الواقدي) ج 1 ص 397.

[(7)] زيادة للسياق.

(199/1)

أوله. فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي، وأقبل عدو الله يطلب غرة وقد سكنت الريح. فلما رأى سواده من قريب قال: يعلم الله إن هذا لربيثة القوم:

ففرّق له سهما فوضعه فيه، فانتزعه [فوضعه] [(1)] ، ثم رماه بآخر فوضعه فيه، فانتزعه فوضعه، ثم رماه الثالث فوضعه فيه. فلما غلبه الدم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد أتيت: فجلس عمار، فلما رأى الأعرابي أن عمارا قد قام علم أنهم قد نذروا به. فقال عمار: أي أخي؟ ما منعك أن توقظني في أول سهم رمى به؟ قال: كنت في سورة أقرأها- وهي سورة الكهف- فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها. ولولا إني خشيت أن أضيع ثغرا أمرني به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ما انصرفت ولو أتى على نفسي. ويقال: بل هو عمارة بن حزم، وأثبتهما عباد بن بشر.

خبر فرخ الطائر

وجاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أبواه، أو أحدهما حتى طرح نفسه في يد الذي أخذ فرخه، فعجب الناس من ذلك، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه! والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه.

خبر صاحب الثوب الخلق

ورأى صَلَّى الله عليه وسلّم رجلا وعليه ثوب منخرق فقال: أما له غير هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، إن له ثوبين جديدين في العيبة [(2)] ، فقال له: خذ ثوبيك. فأخذ ثوبيه فلبسهما ثم أدبر فقال صَلَّى الله عليه وسلّم: أليس هذا أحسن؟ ما له ضرب الله عنقه! فسمع ذلك الرجل، فقال: في سبيل الله يا رسول الله! فقال صَلَّى الله عليه وسلّم: في سبيل الله. فضربت عنقه بعد ذلك في سبيل الله.

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] العيبة: وعاء من خوص ونحوه. (المعجم الوسيط) ج 2 ص 639.

(200/1)

خبر البيضات

وجاءه علبة [(1)] بن زيد الحارثي بثلاث بيضات وجدها في مفحص [(2)] نعم، فأمر جابر بن عبد الله بعملها، فوثب فعملها وأتى بها في قصعة، فأكل صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه

منه بغير خبز، والبيض في القصعة كما هو، وقد أكل منه عامتهم.

خبر غورث

وقيل: إن حديث غورث بن الحارث كان في هذه الغزاة [(3)] ، وقيل: كان في غزوة ذات الرقاع التي بعد الخندق - لما أخرجنا في الصحيحين [(4)] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع، قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجاء رجل من المشركين - وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة - فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم [(5)] فاخترطه [(6)] ،

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك [(7)] ! قال: فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأغمد السيف وعلقه. قال: فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين. قال: فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان. واللفظ لمسلم.

تحريم الخمر

قال البلاذري: وفي سنة أربع من الهجرة حرمت الخمر.

غزوة دومة الجندل

ثم كانت غزوة دومة الجندل. خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخامس والعشرين

[(1)] في (خ) «غلبة» والتصويب من (الواقدي) ج 1 ص 319.

[(2)] المفحص: ما تفحصه النعام والقطا من الأرض لتتخذ منه مجثما للبيض والفرخ.

[(3)] في (خ) «وقيل كان في هذه الغزوة» مكررة.

[(4)] صحيح البخاري: ج 3 ص 36، صحيح مسلم: ج 6 ص 129.

[(5)] في (خ) «فأخذ السيف» وهذا نص مسلم.

[(6)] اخترط السيف: استله (ترتيب القاموس) ج 2 ص 39.

[(7)] في (خ) «قال الله» نص مسلم.

من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا في ألف من المسلمين، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري.

سبب غزوة دومة الجندل

وسببها أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يدنو إلى أدنى الشام، وقيل له: إنها طرف من أفواه الشام فلو دنوت لها كان ذلك مما يفرع قيصر، وذكر له أن بدومة الجندل جمعا كثيرا من [الضافطة] [(1)] ، وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم، ويريدون أن يدنوا [(2)] من المدينة. فندب الناس وسار مغدًا [(3)] للسير، ونكَّب عن طريقهم، فكان يسير الليل [(4)] ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عذرة يقال له: مذکور. فلما كان بينه وبين دومة الجندل يوم أو ليلة، هجم على ماشيتهم [ورعائهم فأصاب منها ما أصاب] [(5)] ، وفرَّ باقيهم، فتنفرق أهل دومة لما بلغهم الخبر، ونزل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بساحتهم فلم يجد بها أحدا، فأقام أياما وبث سراياه، فعادت ببابل ولم يلق أحدا، وعاد إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر. ووادع في طريقه عيينة بن حصن الغفاري.

زواجه بأُم سلمة ثم بزینب بنت جحش ونزول آية الحجاب

وفي ليال بقين من شوال تزوج أم سلمة، وقيل: تزوجها سنة اثنين بعد بدر، وقيل: قبل بدر. وفي ذي القعدة من هذه السنة تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش. وقيل: تزوجها سنة ثلاث، ويقال: سنة خمس، وقيل: تزوجها سنة ثلاث مع زينب أم المساكين. ونزلت آية الحجاب. وفي هذه السنة أمر زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود، وفيها رجم اليهودي واليهودية، وفي جمادى الآخرة خسف القمر وصلى صلاة الخسوف. وزلزلت [(6)] المدينة. وسابق بين الخيل، وقيل: في سنة ست،

[(1)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 62، والضافطة من الناس، من يجلب الميرة والمتاع إلى المدن.

[(2)] في (خ) «يدلو» .

[(3)] في (خ) «مفدا» .

[(4)] في (خ) «بالليل» .

[(5)] في (خ) مكان ما بين القوسين «فأصاب منها» والتتمة من (ابن سعد) ج 2 ص 62.

[(6)] في (خ) «زلزل» .

وجعل بينها سبقا ومحللا.

غزوة المريسي «بني المصطلق»

ثم كانت غزوة المريسي، ويقال: غزوة بني المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب ابن خزاعة، فجذيمة هو المصطلق. والمريسي ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو من يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد [(1)] . وكانت في سنة ست من الهجرة، وقيل:

سنة خمس. خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وقال ابن هشام: استعمل أبا ذر، ويقال: فميلة بن عبد الله الليثي، [ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه] [(2)] ، وقيل: إلى عمار بن ياسر، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد.

سببها

وسببها أن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب [بن الحارث بن عائد [(3)]] بن مالك بن جذيمة [بن سعد] [(3)] بن كعب بن خزاعة سيد بني المصطلق، جمع لحرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قومه ومن العرب [جمعا] [(4)] كبيراً، فتهيئوا [(5)] ليسيروا إليه، وكانوا ينزلون ناحية الفرع، فبلغ خبرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعث بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم ابن مازن بن الحارث بن سلامان بن سلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمي - يعلم علم ذلك، فأتاه بخبرهم. فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، فأسرعوا الخروج، وقادوا ثلاثين فرسا منها: عشرة للمهاجرين، وعشرون للأنصار، ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرسان هما: لزاز والطرب. وخرج كثير من المنافقين ليصيبوا من عرض الدنيا ولقرب السفر عليهم.

-
- [(1)] يرد: جمع يريد، والبريد، فرسخان أو اثنا عشر ميلا (ترتيب القاموس) ج 1 ص 244.
والميل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ: ثلاثة أميال (تقويم البلدان) ص 15.
[(2)] ما بين القوسين مكرر في (خ) .
[(3)] زيادة من النسب.

[(4)] زيادة للسياق.

[(5)] في (خ) «فتيانوا» .

(203/1)

إسلام رجل من عبد القيس

فلقي صلى الله عليه وسلم في طريقه رجلا في طريقه من عبد القيس فأسلم، وسأل: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة في أول وقتها.
فكان بعد ذلك لا يؤخر الصلاة إلى الوقت الآخر.
فأصاب عينا من المشركين فضرب عنقه بعد أن عرض عليه الإسلام فأبي.

الانتهاه إلى المريسيع ولقاء العدو

وانتهى صلى الله عليه وسلم إلى المريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل] وقد بلغ القوم مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله عينهم، فتفرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أنفائه [(1)] العرب، وضرب له صلى الله عليه وسلم قبة من آدم، وكان معه من نسائه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما. فصاف أصحابه وقد تهيأ الحارث للحرب، ونادى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في الناس: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم. فأبوا ورموا بالنبل، فرمى المسلمون ساعة بالنبل ثم حملوا على المشركين حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، وسبيت النساء والذرية، وغنمت الإبل والشاء، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد يقال له: هشام بن صبابه، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو [(2)] ، فقتله خطأ.

شعار المسلمين

وكان شعارهم: يا منصور أمت أمت. وقيل: بل أغار عليهم صلى الله عليه وسلم وهم غارون ونعمهم تسقي على الماء. والحديث الأول أثبت.
وكان من خبر الرجل الذي قتل: أنه خرج هشام بن صبابه في طلب العدو، فرجع في ربح شديدة فوجد رجلا [من رهط عبادة بن الصامت يقال له أوس] فقتله وهو يظنه مشركا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخرج ديتته، [ويقال: قتله رجل من بني عمرو بن عوف] فقدم أخوه مقيس بن صبابه من مكة مسلما فيما يظهر يطلب دية أخيه، فأمر له النبي صلى الله عليه وسلم

بالدّية فقبضها، ثمّ عدا على قاتل أخيه

[(1)] أخلاط من قبائل مختلفة.

[(2)] في (خ) «العدد» .

(204/1)

فقتله، ثم ارتدّ ولحق بقريش وقال شعرا، فأهدر صلّى الله عليه وسلّم دمه، حتى قتله نميلة [ابن عبد الله الليثي] [(1)] يوم الفتح.

الأسرى والغنائم

وأمر صلّى الله عليه وسلّم بالأسرى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيبي، وأمر بما وجد في رحاهم من متاع وسلاح فجمع، وسيقت النعم والشاء، واستعمل عليها شقران: مولاة. واستعمل على المقسم - مقسم الخمس وسهمان المسلمین - محمية ابن جزء [(2)] بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد الأصغر الزبيدي، فأخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخمس من جميع المغنم فكان يليه محمية بن جزء [(2)] ، وكان يجمع إليه الأخماس. وكانت الصدقات على حدتها، أهل الفياء بمعزل عن الصدقة، [وأهل الصدقة] [(3)] بمعزل عن الفياء. فكان يعطي من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف، فإذا احتلم اليتيم نقل إلى الفياء وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئا، وخلى بينه وبين أن يكتسب لنفسه.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يمنع سائلا:

فأتاه رجلان يسألانه من الخمس فقال [(4)] :

إن شئتما أعطيتكما منه، ولا حظّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب.

قسمة الغنائم

وفرق السبي فصار في أيدي الرجال، وقسم المتاع والنعم والشاء، وعدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت رثة المتاع فيمن يزيد، وأسهم للفرس سهمان ولصاحبه سهما، وللراجل سهما، وكانت الإبل ألفي بعير وخمسة آلاف شاة، وكان السبي مائتي أهل بيت.

خبر جويرية بنت الحارث وزواج رسول الله بها، وبركتها على أهلها
وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس

[(1)] زيادة البيان.

[(2)] في (خ) «جز» .

[(3)] في (خ) «بمعزل عن الصدقة بمعزل عن الفيء» .

[(4)] في (خ) «وقال» .

(205/1)

أو ابن له، فكاتبها على تسع أواق من ذهب،
فبينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت: يا رسول الله،
إني امرأة مسلمة وتشهدت وانتسبت، وأخبرته بما جرى لها واستعانتها في كتابتها، فقال: أو خير
من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك! قالت: نعم. فطلبها من ثابت فقال: هي لك يا رسول
الله.

فأدى ما عليها وأعتقها وتزوجها، وخرج الخبر إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق،
وملكوهم ووطنوا نساءهم، فقالوا: أصهار النبي! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي. وكانت
جويرية رضي الله عنها عظيمة البركة على قومها.

فداء أسرى بني المصطلق

ويقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق،
ويقال: جعل صداقها عتق أربعين من قومها، وقيل: كان السبي: منهم من منّ عليه رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير فداء، ومنهم من افتدى، وذلك بعد ما صار السبي في أيدي الرجال،
فافتديت المرأة والذرية بست فرائض، وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي، فقدم عليهم أهلهم
فافتدوهم، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها، قال الواقدي: وهذا الثبت.
وقيل: إن الحارث افتدى ابنته جويرية من ثابت بن قيس بما افتدى به امرأة من السبي ثم خطبها
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبيها فأنكحها: وكان اسمها برة، فسامها [(1)] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ جويرية [(2)] . قال الواقدي: وأثبت هذا عندنا حديث عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ قضى عنها كتابتها وأعتقها وتزوجها.

خبر العزل

وسئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الغزوة عن العزل فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا؟ ما من نسمة كائنة يوم القيامة إلا وهي كائنة. فقال رجل من اليهود لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد خرج بجارية يبيعها في السوق: لعلك تريد بيعها وفي بطنها منك سخلة [(3)] ؟ فقال: كلا، إني كنت أعزل عنها. فقال: تلك الموءودة الصغرى! فلما أخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك قال: كذبت يهود.

[(1)] في (خ) «فسما» .

[(2)] في (خ) «جويرة» .

[(3)] السخلة: وليدة الغنم، والمراد هنا كناية عن الحمل.

(206/1)

خبر جهجاه وسانان على الماء

وبينا المسلمون على ماء المريسيع إذ أقبل سنان بن وبر الجهني - وقيل: هو سنان بن تيم الله، وهو من جهينة بن سود بن أسلم - حليف الأنصار - ومعه فتيان من بني سالم يستقون. [وعلى] [(1)] الماء جمع من المهاجرين والأنصار. فأدلى دلوه، وأدلى جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري - أجير عمر بن الخطاب رضي الله عنه - دلوه.

تنازعهما واختلاف المهاجرين والأنصار

فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعا، فضرب جهجاه سنانا فسال الدم، فنادى: يا للخزرج! وثارت الرجال، فهرب جهجاه وجعل ينادى في العسكر: يا لقريش! يا لكنانة! فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج، وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه.

تحريض عبد الله بن أبي وما كان من مقاتله في ذلك

وكان عبد الله بن أبي جالسا في عشرة من المنافقين فغضب وقال: والله ما رأيت كاليوم مذلة!

والله إن كنت لكارها لوجهي هذا، ولكن قد غلبوني. قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا منتنا، والله ما صرنا وجلابيب [(2)] قريش هذه إلا كما قال القائل: «سَمَنَ كلبك يأكلك»، والله لقد ظننت أبي سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غير [(3)] ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرّ منها الأذلّ. ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم بلادكم، ونزلوا منازلكم، وآسيتموهم [(4)] في أموالكم حتى استغنوا. أما والله لو أمسكتهم [عندهم ما] [(5)] بأيديكم لتحولوا [(6)] إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] كان يحلو للمناققين تسمية المهاجرين بجلابيب قريش كناية عن فقرهم.

[(3)] في (خ) «لا يكون ذلك متى غير»، يريد لا يكون متى لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص.

[(4)] من المساواة.

[(5)] زيادة للبيان.

[(6)] في (خ) «لعلوا» .

(207/1)

أنفسكم- أغراضا [(1)] للمنايا فقتلتهم دونهم [(1)] ، فأيتتمت أولادكم وقللتهم وكثروا.

إبلاغ زيد بن أرقم رسول الله مقالة عبد الله بن أبيّ

وكان زيد بن أرقم حاضرا- وهو غلام لم يبلغ أو قد بلغ- فحدّث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك، وعنده نفر من المهاجرين والأنصار، فتغير وجهه ثم قال: يا غلام، لعلك غضبت عليه؟ قال: لا والله، لقد سمعت منه. قال: لعله أخطأ سمعك! قال: لا يا نبي الله. قال: فلعله شبه عليك؟ قال: لا والله لقد سمعت منه يا رسول الله.

وشاع في العسكر ما قاله ابن أبيّ، حتى ما كان للناس حديث إلا هو. وأنّب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم، فقال- في جملة كلام-: وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه، حتى تعلموا أي كاذب أم غيبي. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! مر عباد بن بشر فليأتك برأسه. ففكره ذلك

وقال: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه.
وبلغ الخبر ابن أبيّ، فحلف بالله ما قال من ذلك شيئا، ثم مشى [(2)] إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلّم وحلف بالله ما قال.

رحيل رسول الله بعد مقالة المنافقين
وأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلّم عند ذلك السير، ورحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها.
فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو في فيء
شجرة عنده غليم أسود يغمز ظهره [(3)] فقال: يا رسول الله! كأنك تشتكي ظهرك! فقال:
تفحمت بي الناقة [(4)] الليلة. فقال عمر: يا رسول الله، انذن لي أن أضرب عنق ابن أبيّ في
مقاتله. فقال: لا يتحدث الناس أن محمدا قتل أصحابه.

طلوع رسول الله على العسكر ومقالة سعد بن عبادة
ويقال: لم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله صلى الله عليه وسلّم قد طلع على راحلته وكانوا في
حر شديد، وكان لا يروح حتى يبرد، إلا أنه لما جاءه ابن أبيّ رحل في تلك

[(1)] في (خ) «أعراضا»، «دونه» .

[(2)] في (خ) «مشى مشى» مكررة.

[(3)] الغمز باليد: النخس، وبالعين والجفن والحاجب: الإشارة، وبالرجل: السعي بالشر،
والغمزة:

الجارية الحسنة الغمز للأعضاء (ترتيب القاموس) ج 3 ص 417.

[(4)] تفحمت الدابة براكبها: شردت به، وربما طوّحت به في وهذه (المعجم الوسيط) ج 2
ص 717.

(208/1)

الساعة، فكان أول من لقيه سعد بن عبادة رضي الله عنه، ويقال: أسيد بن حضير. فقال:
خرجت يا رسول الله في ساعة ما كنت تروح فيها! قال:
أو لم يبلغك ما قال صاحبكم ابن أبيّ، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ؟
قال: فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، فهو الأذل وأنت الأعز، يا رسول الله! ارفق به، فو

اللَّهِ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِكَ وَإِنْ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخُرْزَ، مَا بَقِيَتْ عَلَيْهِمْ إِلَّا خُرْزَةٌ وَاحِدَةٌ عِنْدَ يَوْشَعَ الْيَهُودِيِّ لِيَتَوَجَّهَ، فَمَا يَرَى إِلَّا قَدْ سَلَبْتَهُ مَلَكَهُ.

تصديق الله خبر زيد بن أرقم

وبينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير من يومه ذلك - وزيد بن أرقم يعارضه براحلته يريد وجهه،

ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستحث راحلته فهو مغدّ في المسير - إذ نزل عليه الوحي

فسرّي [(1)] عنه، فأخذ بأذن زيد بن أرقم حتى ارتفع عن مقعده عن راحلته وهو يقول:

وفت [(2)] أذنك يا غلام وصدّق الله حديثك!

ونزل في ابن أبيّ:

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ [(3)] وَكَانَ عِبَادَةَ بِنِ الصَّامِتِ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ لِابْنِ أَبِيّ:

ايت رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه معرضاً، فقال له عبادة: والله لينزلن في لي رأسك قرآن

يصلّي به. ومرّ عبادة بن الصامت بابن أبيّ - عشية راح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

المريسيع، وقد نزل فيه القرآن - فلم يسلم عليه، ثم مرّ أوس بن خوليّ فلم يسلم عليه، فقال: إن

هذا الأمر قد تمالأتما عليه. فرجعا إليه فأنبأه [(4)] وبكتاه بما صنع، وبما نزل القرآن إكذاباً

لحديثه. فقال: لا أعود أبداً.

حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي عن أبيه وخبره

وجاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي فقال: يا رسول الله، إن كنت تريد أن تقتل [(5)] أبي

فيما بلغك عنه فمربي به، فو الله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم

[(1)] سرّي عنه: كشف عنه.

[(2)] وفّت أذنه: ظهر صدقه في أخباره عما سمع، وأوفى الله بأذنه: أظهر صدقه في إخباره

عما سمعت أذنه (المعجم الوسيط) ج 2 ص 1047.

[(3)] سورة المنافقون كلها.

[(4)] في (خ) «فأنبأه» .

[(5)] في (خ) «يقتل» وما أنبتناه من (الواقدي) ج 2 ص 421.

من مجلسك هذا. والله لقد علمت الخزرج ما كان فيها [(1)] رجل أبرّ بوالده [(1)] مني،
وإني لأخشى - يا رسول الله - أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن انظر إلى قاتل أبي يمشي
في الناس فأقتله فأدخل النار، وعفوك أفضل، ومنك أعظم.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أردت قتله، وما أمرت به، ولنحسن صحبته ما كان
بين أظهرنا.

فقال: يا رسول الله! إن أبي كانت هذه البحيرة قد استقوا [(2)] عليه ليتجوه، فجاء الله بك
فوضعه ورفعنا بك، ومعه قوم يطيفون به [(3)] يذكرونه أمورا قد غلب الله عليها. وقال عبد
الله في ذلك شعرا.

سير رسول الله

ولما خرجوا من المريسيع قبل الزوال لم ينخ [(4)] أحد إلا لحاجة أو لصلاة، ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يستحث راحلته بالسوط في تراقبها [(5)] حتى أصبحوا، ومدّوا يومهم حتى
انتصف النهار، ثم راحوا مردين [(6)] ، فنزل من الغد ماء يقال له:
بقعاء.

الريح التي أذرت بموت كهف المنافقين رفاعة بن التابوت

فأخذتهم ريح شديدة - اشتدت إلى أن زالت الشمس ثم سكنت آخر النهار - حتى أشفقوا منها،
وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى
المدينة، وقالوا: لم تهج هذه الريح إلا من حدث.
فقال صلى الله عليه وسلم: ليس عليكم بأس منها، فما بالمدينة من نقب [(7)] إلا عليه ملك
يجرسه، وما كان ليدخلها

[(1)] في (خ) «ما كان فيها ما كان رجل»، «بوالدي» .

[(2)] البحيرة: تصغير بحرة وهي الأرض والبلدة، استقوا: أجمعوا أمرهم.

[(3)] أطافوا به: أحاطوا به.

[(4)] في (خ) «ينخ» .

[(5)] في (خ) «مراقبها» والتراقي جمع ترقوه، وهو عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق من

الجانين، وفي التنزيل كلاً إذا بلغت التراقي وقيل من راق 26، 27/ القيامة.

[(6)] رد الفرس: ردبا، ورديانا: رجم الأرض بجوافره، في سيره وعدوه (المعجم الوسيط) ج 1

(210/1)

عدو حتى تأتوها، ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة: فلذلك عصفت الريح. وكان موته للمنافقين غيظا شديدا، وهو رفاعة بن زيد بن النابوت [(1)] [أحد بني قينقاع، وكان عظيما من عظماء يهود، وكهفا للمنافقين] [(2)] ، مات ذلك اليوم. وكانت هذه الريح أيضا بالمدينة حين دفن عدو الله فسكنت.

جزع المنافقين لموته

وقال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبيّ: أبا حباب! مات خليلك. قال: أي أخلائي؟ قال: من موته فتح للإسلام وأهله! رفاعة بن زيد [(1)] بن النابوت، قال: يا ويلاه! كان والله وكان وكان، وجعل يذكر. فقال له عبادة: اعتصمت والله بالذنب الأبر! قال: من خبرك يا أبا الوليد بموته؟ قال: رسول الله أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة، فأسقط في يديه وانصرف كئيبا حزينا. فلما دخلوا المدينة وجدوا عدو الله مات في تلك الساعة.

خبر ناقة رسول الله التي فقدت، ومقالة المنافق
وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم - القصواء - من بين الإبل وهي سارحة، فتطلبها المسلمون في كل وجه، فقال زيد بن اللصيت [القينقاعي] [(3)] وكان منافقا: أفلا يخبره الله بمكان ناقته! فأنكر القوم ذلك عليه، وأسمعوه كل مكروه، وهوأ به، فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به وقد جاءه الوحي بما قال، فقال - والمنافق يسمع - : إن رجلا من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله وقال: ألا يخبره الله بمكانها؟ فلعمري أن محمدا ليخبر بأعظم من شأن الناقة! ولا يعلم الغيب إلا الله، وإن الله قد أخبرني بمكانها، وأنها في هذا الشعب: مقابلكم، قد تعلق زمامها بشجرة، فاعمدوا عمدها. فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[(1)] في (خ) «زيد بن رفاعة بن النابوت» وهي رواية الواقدي ج 2 ص 423، وفي (الطبري) ج 2 ص 607 «رفاعة بن زيد بن النابوت»، وفي (عيون الأثر) ج 2 ص 94

«رفاعة بن زيد بن التابوت» .

[(2)] زيادة من المراجع السابقة.

[(3)] زيادة من نسبه، وفي (خ) اللصيب.

(211/1)

حماية النقيع لخييل المسلمين

ولما مرّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنقيع [(1)] رأى سعة وكلاً وغدرا [(2)] كثيرة، فأمر حاطب بن أبي بلتعة أن يحفر به بئراً، وأمر بالنقيع أن يحمي، واستعمل عليه بلال ابن الحارث المزني، قال: وكم أحمي منه يا رسول الله؟ قال: أقم رجلا صيتا- إذا طلع الفجر- على هذا الجبل فحيث انتهى صوته، فاحمه لخييل المسلمين وإبلهم التي يغزون عليها. قال: يا رسول الله، أفرأيت ما كان من سوائم [(3)] المسلمين؟ فقال: لا يدخلها. قال: أ رأيت المرأة والرجل الضعيف يكون له المشية اليسيرة وهو يضعف عن التحول؟ قال: دعه يرحى.

وسبق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ بين الخيل والإبل، فسبقت القصواء الإبل وعليها بلال، وسبق فرسه الظرب وعليه أبو أسيد الساعدي.

بدء حديث الإفك

وكان حديث الإفك [(4)] ، وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل منزلا ليس معه ماء، وسقط عقد عائشة رضي الله عنها من عنقها، فأقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس حتى أصبحوا، وضجر [(5)] الناس وقالوا: حبستنا عائشة. فضاق بذلك أبو بكر رضي الله عنه وعاتب عائشة عتابا شديدا.

نزول آية التيمم

ونزلت آية التيمم

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كان من قبلكم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم، وجعلت لي الأرض طهورا حيثما أدركتني الصلاة.

ونزلت آية التيمم عند طلوع الفجر، فمسح المسلمون أيديهم بالأرض، ثم مسحوا أيديهم إلى

- [(1)] النقيع: من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة يسلكه العرب إلى مكة منه، وه نقيع الخضمات (معجم البلدان) ج 5 ص 301.
- [(2)] غدر: جمع غدِير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل (المعجم الوسيط) ج 2 ص 645.
- [(3)] السوائم: جمع سائمة، وهي الإبل الراحية.
- [(4)] الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الكذب بكونه إفكا لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك (التفسير الكبير للفخر الرازي) ج 23 ص 172.
- [(5)] في (خ) «ضحى» .

(212/1)

المنالك ظهرا وبطنا. وكانوا يجمعون مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الصلاتين في سفره.

مسابقة رسول الله عائشة

ثم صاروا ونزلوا حوضا دمثا [(1)] طيبا ذا أراك، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا عائشة! هل لك في السباق؟ قالت: نعم! فتحزمت ثيابها، وفعل ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم استبقا، فسبق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رضي الله عنها، فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتني. وكان جاء إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه، ومع عائشة شيء فقال: هلميه! فأبت وسعت، وسعى في أثرها، فسبقته. خرج أبو داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه، وعن أبي سلمة عن عائشة أنها كانت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقتني، فقال: هذه بتلك السبقة [(2)] . وخرجه أبو حبان به ولفظه: سابقني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبقتني، فقال: هذه بتلك. وكانت هذه الغزوة قبل أن يضرب الحجاب.

تخلف عائشة ومجيء صفوان وحديث الإفك

- وكان يرحل بعير عائشة رضي الله عنها أبو موهبة [(3)] ورجل آخر، وكانت تقعد في هودج [(4)] ، فحمل الهودج وهو يظنها فيه - لحفة النساء يومئذ من قلة أكلهن - وساروا وقد ذهبت

عائشة لحاجتها وتجاوزت العسكر، وفي عنقها عقد من جزع ظفار [(5)] فانسل من عنقها ولا تدري به، فرجعت تلتتمسه حتى وجدته، ثم عادت وليس في العسكر أحد، فاضطجعت ونامت، فجاء صفوان بن المعطل ابن ريضة [(6)] بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج [(6)] بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة

-
- [(1)] دمث المكان وغيره: سهل ولان (ترتيب القاموس) ج 2 ص 209.
- [(2)] سنن أبي داود ج 3 ص 65 الحديث رقم 2578.
- [(3)] في (خ) «موبهية» وفي (الواقدي) ج 2 ص 427 «موبهية» وما أثبتناه من (ط) .
- [(4)] الهودج: مركب للنساء، (ترتيب القاموس) ج 4 ص 543.
- [(5)] ظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجذع الظفاري (أي الخرز) (معجم البلدان) ج 4 ص 60 وفي (خ) «أظفار» .
- [(6)] في (خ) «فاتح» ، في (ط) «ريضة» . ونسبه في (الاستيعاب) ج 5 ص 142 ترجمة رقم 1223:

(213/1)

ابن سليم السلمي ثم الذكواني أبو عمرو- وكان في الساقفة [(1)] - فاسترجع لما رآها، فاستيقظت وخمرت [(2)] وجهها بملحفتها. فلم يكلمها، وأناخ بعيره وولى عنها حتى ركبت، وقاد بها حتى أتى العسكر. فقال أصحاب الإفك- وكبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول- ما قالوا، حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير لعائشة وهي لا تشعر، حتى أعلمتها أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصي، وكانت أمها خالة أبي بكر رضي الله عنه. فأتت أبويها لتستيقن الخبر، فوجدت عندهما العلم بما قاله أهل الإفك. فبكت ليلتها حتى أصبحت.

استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أصحابه في فراق عائشة واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وأسامة في فراق عائشة. فقال أسامة: هذا الباطل والكذب، ولا نعلم إلا خيرا.

وقال علي: لم يضيّق الله عليك، والنساء كثير، وقد أحلّ الله لك وأطاب، فطلقها وأنكح غيرها.

وخلا صلى الله عليه وسلم ببريرة وسألها فقالت: هي أطيب من طيب الذهب، والله ما أعلم

عليها إلا خيرا، والله يا رسول الله لئن كانت علي غير ذلك ليخبرنك الله بذلك، ألا إنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجيناها. وسأل زينب بنت جحش فقالت: حاشى سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا، والله ما أكلمها، وإني لمهاجرتها، وما كنت أقول إلا الحق. وسأل أم أيمن فقالت: حاشى سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيرا.

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الإفك واختلاف الأوس والخزرج
ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي؟
ويقولون لرجل، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيرا، وما كان يدخل بيتا من بيوتي إلا معي،
ويقولون عليه غير الحق!
فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرك

- [()] «صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بثة بن سليم السلمى ثم الذكواني، يكنى أبا عمرو» .
[(1)] الساقية: مؤخرة الجيش (المعجم الوسيط) ج 1 ص 464.
[(2)] خمرت: غطت.

(214/1)

منه يا رسول الله، إن يك من الأوس آتيك برأسه، وإن يك من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك يمضي لك. فقام سعد بن عبادة- وقد غضب منه- فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر [(1)] على قتله. فقال أسيد بن حضير: كذبت، والله ليقتلنه وأنفك راغم. وكادت تكون فتنة، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى الأوس والخزرج أن اسكتوا، ونزل عن المنبر، فهدأهم وخفضهم حتى انصرفوا.

دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وحديثهما
ودخل على عائشة- وقد مكث شهرا قبل ذلك لا يوحى إليه في شأنها- فتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة، فإنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة يبرئك الله، وإن كنت ألممت بشيء مما يقول الناس فاستغفري الله عز وجل، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه.
فقال لأبيها: أجب عني رسول الله. قال: والله ما أدري ما أقول وما أجيب به عنك! فقالت

لأمرها: أجيبي عني. فقالت: والله ما أدري ما أجيب به. فقالت: إني والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث، فوقع في أنفسكم فصدقتم به! فلئن قلت لكم إني بريئة [(2)] لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أني منه بريئة لتصدقني، وإني والله ما أجد لي مثلاً إلا أبا يوسف إذ يقول: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [(3)] ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد [(4)] الله، فيقال لنا في الإسلام! وأقبل عليها مغضبا فبكت.

نزول القرآن براءة عائشة

فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغطاه وسجى [(5)] بثوبه، وجمعت وسادة من آدم تحت رأسه، ثم كشف عن وجهه وهو يضحك ويمسح جبينه وقال: يا عائشة، إن الله قد أنزل براءتك. فأنزل الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي

[(1)] في (خ) «يقتله ولا يقدر» .

[(2)] في (خ) «برية» .

[(3)] آية 18 / يوسف.

[(4)] في (خ) «لا يعبد» .

[(5)] سجي: غطى.

(215/1)

تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ [(1)] فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس مسرورا، فصعد المنبر وتلا على الناس ما نزل عليه في براءة عائشة رضي الله عنها. ويقال: كان نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة.

أصحاب الإفك

وكان الذين خاضوا في الإفك مع ابن أبي: مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمزة بنت جحش. فضربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحد. قال الواقدي: وقيل: لم يضربهم [(2)] ، وهو أثبت.

إصلاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الأوس والخزرج
ومكث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أياما، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على
سعد بن عباد ومن معه، فتحدثوا ساعة، وقرب لهم سعد بن عباد طعاما فأصابوا منه وانصرفوا.
فمكث أياما، ثم أخذ بيد سعد بن عباد ونفر معه، فانطلق به حتى دخل منزل سعد بن معاذ،
فتحدثوا ساعة، وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما، فأصابوا [منه] [(3)] ، ثم خرجوا، فذهب
من أنفسهم ما كانا نقاولا من ذلك القول.

- [(1)] آية 11/ النور وفي (خ) إلى قوله: «عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» .
- [(2)] «قال الماوردي وغيره: اختلفوا هل حدّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحاب الإفك،
على قولين: أحدهما أنه لم يجد أحدا من أصحاب الإفك لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة، ولم
يتعبده الله أن يقيمها بإخباره عنها، كما لم يتعبده بقتل المنافقين، وقد أخبره بكفرهم» .
«قلت: وهذا فاسد مخالف لنص القرآن، فإن الله عز وجل يقول: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ
لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ أَي عَلَى صَدَق قَوْلِهِمْ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً .
«والقول الثاني: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حد أهل الإفك: عبد الله بن أبي ومسطح بن
أثائه، وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش، وفي ذلك قال شاعر من المسلمين:
لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح
وابن سلول ذاق في الحد خزيه ... كما خاض في إفك من القول يفصح
«قلت: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حدّ حسان ومسطح وحمنة ولم
يسمع بحد عبد الله بن أبي» راجع (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) ص 4592.
[(3)] زيادة للسياق.

(216/1)

مقالة عبد الله بن أبي في جعيل بن سراقه
وكان عبد الله بن أبي بن سلول [وسلول أمه، وإنما هو أبي بن مالك بن الحارث ابن عبيد بن
مالك بن سالم بن غنم بن عمرو بن الخزرج] لما قال - وذكر جعيل ابن سراقه الغفاري. ويقال:
الضمري، وجهجاه بن مسعود، ويقال: ابن سعيد ابن حرام بن غفار الغفاري، وكان من فقهاء
المهاجرين - قال: ومثل هذين يكثر على قومي، وقد أنزلنا محمدا في ذروة كنانة وعزها؟ والله لقد

كان جعيل يرضى أن يسكت فلا يتكلم، فصار اليوم يتكلم!.

مقالته في صفوان

ثم كان من كلامه- في صفوان بن المعطل بن ربيعة بن الخزاعي بن محارب ابن مرة بن فالج [(1)]
[بن ذكوان بن ثعلبة بن بھثة [(1)] بن سليم السلميّ- ما كان، ورميه بالإفك. قال حسان
بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار
الأنصاري رضي الله عنه:

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا ... وابن الفريضة أمسى بيضة البلد [(2)]
وفي أبيات أخر.

خبر صفوان بن المعطل في ضرب حسان بن ثابت

فجاء صفوان بن المعطل- بعد ما قدموا المدينة- إلى جعيل بن سراقه فقال:
انطلق بنا نضرب حسان، فو الله ما أراد غيرك وغيري، ولنحن أقرب إلى رسول الله منه، فأبي
جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج صفوان مصلتنا بالسيف، حتى
ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه. فوثب الأنصار فأوثقوه رباطا، وولي ذلك منه ثابت بن
قيس بن شماس [بن زهير] [(3)] بن مالك بن

[(1)] في (خ) «فألح»، «بھثة»، وسبق تصويب نسبه من الاستيعاب تحت رقم 1223.

[(2)] وفي (ديوان حسان) ص 160: «أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا» .

[(3)] زيادة من نسبه.

(217/1)

امرئ القيس بن مالك الأغر الأنصاري- فمرّ به عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان ابن عمرو بن
عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري [(1)] فخلّى عنه.
وجاء به وبحسان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال حسان: يا رسول الله شهر علي
السيف في نادي قومي، ثم ضربني لأن أموت ولا أراني إلا ميتا من جراحاتي!
فقال [صلى الله عليه وسلم] لصفوان: ولم ضربته وحملت السلاح عليه؟ وتغيظ صلى الله عليه
وسلم. فقال:

يا رسول الله، آذاني وهجاني وسفه عليّ [(2)] وحسدني على الإسلام! فقال لحسان:
أسفّهت على قوم أسلموا؟.

حبس صفوان وما كان من أمر سعد في إطلاقه

ثم قال: احبسوا صفوان، فإن مات حسان فاقتلوه به. فخرجوا بصفوان، وبلغ ذلك سعد بن عبادة، فأقبل على قومه من الخزرج فقال: عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله تؤذونه، وتهجونه بالشعر، وتشتمونونه، فغضب لما قيل له، ثم أسرتموه أقبح الأسر ورسول الله بين أظهركم؟ قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بحبسه وقال: إن مات صاحبكم فاقتلوه. قال سعد: والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله العفو، ولكن رسول الله قد قضى لكم بالحق، وإن رسول الله ليحب أن يترك صفوان، والله لا أبرح حتى يطلق. فقال حسان: ما كان لي من حق فهو لك. وأتى قومه، فغضب قيس بن سعد [بن عبادة] [(3)] وقال: عجباً لكم! ما رأيت كاليوم! إن حسان قد ترك حقه وتأبون أنتم؟ ما ظننت أحداً من الخزرج يردّ أبا ثابت في أمر يهواه: فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق، فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة، ثم خرج به إلى المسجد ليصلي فيه،

فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صفوان؟ قالوا: نعم يا رسول الله! قال: من كساه؟ قالوا: سعد ابن عبادة. قال: كساه الله من ثياب الجنة.

عفو حسان عن حقه قبل صفوان

ثم
كلم حسان حتى أقبل في قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله،

[(1)] في (خ) «كرر الناسخ من قوله «فمر به عمارة...» إلى قوله «بن النجار الأنصاري»

، و (خ) بعده «وجاء به وثابت» وفي (الواقدي) «ثم جاء به وثابت» ج 2 ص 436.

[(2)] من السفاهة.

[(3)] زيادة للإيضاح.

كل حق لي قبل صفوان بن معطل فهو لك. قال: أحسنت وقيلت ذلك.
 وأعطى حسان أرضا براحا [(1)] وهي بيرحا، وسيرين أخت مارية. وأعطاه سعد بن عبادة
 حائطا كان يجدد [(2)] مالا كثيرا، عوضا بما عفا من حقه.
 ويروى أن حسان - لما حبس صفوان - أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا
 حسان أحسن فيما أصابك.
 فقال: هو لك يا رسول الله! فأعطاه بيرحا [(3)] وسيرين [(4)] عوضا.

خبر عبد الله بن رواحة، وطروق أهله ليلا حتى رابه ما رابه
 وكان جابر بن عبد الله رفيق عبد الله بن رواحة في غزوة المريسيع، فأقبلا حتى انتهيا إلى وادي
 العقيق في وسط الليل، والناس معرسون، فتقدم ابن رواحة إلى المدينة فطرق أهله، فإذا مع امرأته
 إنسان طويل. فظن أنه رجل، وندم على تقدمه، واقتحم البيت رافعا سيفه يريد أن يضربهما، ثم
 فكر وادكر، فغمز امرأته برجله فاستيقظت وصاحت، فقال: أنا عبد الله، فمن هذا؟ قالت: هي
 رحيلة [(5)] سمعنا بقدمكم [(6)] فدعوتهما تمشطني فباتت عندي. فبات وأصبح. فخرج
 يلقي [(7)] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سائر بين أبي بكر الصديق، وبشير بن سعد
 بن ثعلبة ابن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري رضي الله عنهما،
 فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى بشير فقال: يا أبا النعمان، إن وجه عبد الله ليخبرك أنه كره
 طروق أهله. فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: خبرك

[(1)] في (خ) «أرض أبرحا» .

[(2)] جد النخل: قطع ثمره (المعجم الوسيط) ج 1 ص 109.

[(3)] في (خ) «براحا» .

[(4)] أخت مارية القبطية أم إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي (المغازي) ج 2
 ص 438 وما بعدها.

وحدثني سعيد بن أبي زيد الأنصاري قال: حدثني من سمع أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدي
 يخبر أنه سمع حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول: حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين، لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن
 . وقال حسان يمدح عائشة رضي الله عنها:

حصان رزان لا ترنّ بريبة ... وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
 فإن كان ما قد جاء عنى قلته ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

والغزوى: الجائعة، والغوافل: جمع غافلة والمعنى أنها كافة عن أعراض الناس. (ديوان حسان بن ثابت) ص 228 باختلاف يسير.

[(5)] اسم امرأة كانت معها.

[(6)] في (خ) «نقدمكم» .

[(7)] في (خ) «تلقى» .

(219/1)

يا ابن رواحة!

النهي عن طروق النساء ليلا

فأخبره،

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تطرقوا النساء ليلا. فكان ذلك أول ما نهي عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان قدومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المريسيع إلى المدينة لهلال رمضان، فغاب شهرا إلا ليلتين.

الخلافا في تاريخ غزوة بني المصطلق

تنبيه: قد اختلف في غزوة المريسيع. فذهب الواقديّ- كما تقدم- إلى أنها كانت في شعبان سنة خمس، وقال ابن إسحاق: في شعبان من السنة السادسة، وصححه جماعة. وفيه إشكال، فإنه وقع في الصحيحين وغيرهما أن المقاتل لسعد ابن عباد سعد بن معاذ، كما تقدم عند خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب أهل الإفك.

ولا يختلف أحد في أن سعد بن معاذ مات إثر قريظة، وقد كان عقب الخندق، وهي في سنة خمس على الصحيح، ثم حديث الإفك لا يشك أحد من علماء الآثار أنه في غزوة بني المصطلق هذه، وهي غزوة المريسيع، وقد اختلف الناس في الجواب عن هذا. فقال موسى بن عقبة- فيما حكاه

البخاري عنه [(1)]- إن غزوة المريسيع كانت في سنة أربع، وهذا خلاف الجمهور. ثم في

الحديث ما ينفي ما قال، لأنها قالت: «وذلك بعد ما نزل الحجاب». ولا خلاف أن الحجاب

نزل صبيحة دخول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزینب بنت جحش، وقد سأل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زینب عن شأن عائشة في ذلك فقالت: «أحمي سمعي وبصري» قالت عائشة: «وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وقد ذكر علماء الأخبار أن تزويجه

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَزِينِبَ كَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ، فَبَطَلَ مَا قَالَ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، وَلَمْ يَنْحَلِ الْإِشْكَالَ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ الْمُرَيْسِيعَ كَانَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَذَكَرَ فِيهَا حَدِيثَ الْإِفْكَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ [بْنِ عَتْبَةَ] [(2)] ، عَنْ عَائِشَةَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ - قَالَ: فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ فَقَالَ: «أَنَا أَعْدَرُكَ مِنْهُ» ،

[(1)] صحيح البخاري ج 3 ص 37.

[(2)] زيادة للبيان من (ابن هشام) ج 3 ص 187.

(220/1)

ولم يذكر سعد بن معاذ.

قال الحافظ أبو محمد علي بن [(1)] أحمد بن سعيد بن حزم: وفي مرجع الناس من غزوة بني المصطلق قال أهل الإفك ما قالوا، وأنزل الله تعالى في ذلك من براءة عائشة رضي الله عنها ما أنزل. وقد روينا من طرق صحاح أن سعد بن معاذ كانت له في شيء من ذلك مراجعة مع سعد بن عباد. وهذا عندنا وهم [(2)] ، لأن سعد ابن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك، وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة - بعد سنة وثمانية أشهر من موته، وكانت المفاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة. وذكر ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وغيره: أن المفاولة لسعد بن عباد إنما كان أسيد بن الحضير، وهذا هو الصحيح، والوهم لم يعر [(3)] منه أحد من بني آدم. والله أعلم.

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق: وتسمى الأحزاب. وهي الغزاة التي ابتلى الله سبحانه فيها عباده المؤمنين وزلزلهم، وثبت الإيمان في قلوب أوليائه، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم وقرعهم. ثم أنزل تعالى نصره ونصر عبده، وهزم الأحزاب، وأعز جنده، ورد الكفرة بغيظهم، ووقى المؤمنين شر كيدهم، وحرّم عليهم شرعا وقدرا أن يغزوا المؤمنين بعدها، بل جعلهم المغلوبين، وجعل حزبه هم الغالبين بمَنَّةِ وَفَضْلِهِ.

بدؤها

وكان من خبرها: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس، وقيل: كانت في شوال منها، وقال موسى بن عقبة: كانت في سنة أربع، وصححه ابن حزم. وقال ابن إسحاق في شوال سنة خمس، وذكرها

[(1)] في (خ) «باب» .

[(2)] الوهم بالتحرك: الغلط.

[(3)] في (خ) «يصر» والمعنى: لم يخل ولم يبرأ.

(221/1)

البخاري قبل غزوة ذات الرقاع [(1)] . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

سببها

وسبب ذلك أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أجلى بني النضير ساروا إلى خيبر، وبها من يهود قوم أهل عدد وجلد، وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير فخرج [سلام ابن أبي الحقيق، و] [(2)] حبي بن أخطب، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس اللواتلي من الأوس، وأبو عامر الراهب [(3)] . في بضعة عشر رجلا إلى مكة يدعون قريشا وأتباعها إلى حرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا، جننا لنحالفكم على عداوته وقتاله. فنشطت قريش لذلك، وتذكروا أحقادهم بيد، فقال أبو سفيان: مرحبا وأهلا: أحبّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد.

تعاهد بطون قريش عند الكعبة على قتال المسلمين

وأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها وتحالفوا وتعاهدوا- وقد ألقوا أكبادهم [(4)] بالكعبة، وهم بينها وبين أستاها-: ألا يخذل بعضهم بعضا، ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقي منهم رجل. ثم قال أبو سفيان: يا معشر يهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا [تختلف] فيه [(5)] نحن ومحمد، أديننا خير أم دين محمد؟ فنحن عمار البيت، وننحر الكوم ونسقي الحجيج، ونعبد الأصنام!.

- [(1)] صحيح البخاري ج 3 ص 30.
- [(2)] زيادة من (ابن هشام) ج 3 ص 127، وهذا الذي عليه أكثر الرواة، ولكن المقرئزي قدّم مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق على غزوة الأحزاب فعلى هذا التقديم ليس يصحّ أن يذكر سلام بن أبي الحقيق في عداد أصحاب الأحزاب، لأن مقتله عند المقرئزي في سنة أربع، وكانت الغزوة في سنة خمس، راجع (زاد المعاد) ج 3 ص 270.
- [(3)] كذا في (خ) ، ومكانه في (ابن هشام) ج 3 ص 127 «أبو عمار الوائلي» .
- [(4)] في (خ) «أكابدهم» وهذه عادتهم في إعظام اليمين.
- [(5)] في (خ) «أخبرونا عما أصبحنا فيه ومحمد» وهو نص (الواقدي) ج 2 ص 442، وما أثبتناه أجود، وهو نص (ابن هشام) ج 3 ص 127 وما بين القوسين زيادة منه.

(222/1)

خبر اليهود في نصره المشركين

فقلت يهود: اللهم أنتم أولى بالحق منه، إنكم لتعظمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتتحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه.

فأنزل الله تعالى في ذلك [(1)] : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا.

الخروج إلى القتال

واتعدوا لوقت وقتوه، وخرجت يهود إلى غطفان، وجعلت لهم ثمر خير سنة إن هم نصرهم.

وتجهزت قريش، وسيرت تدعو العرب إلى نصرها، وألبوا [(2)] أحابيشهم [(3)] ومن تبعهم.

الأحزاب ومنازلهم

وأنت يهود بني سليم فوعدوهم السير معهم، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جرية [(4)] بن لؤذان بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان [ويقال له ابن اللقيطة: يعني لا تعرف له أم] [(5)] الفزاري.

وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في

[(1)] الآية 51/ النساء، والآيات التي نزلت في شأنهم من أول الآية 51 إلى آخر الآية 55/ النساء.

راجع أسباب النزول للواحي ص 114، 115.

[(2)] في (خ) «واللبوا» .

[(3)] نسبة إلى حبشيّ، وهو جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك، يقال به سميت أحابيش قريش، وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده وحالفوا قريشا وتحالفوا بالله: إنا ليد واحدة على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار، وما رسا حبشي مكانه (معجم البلدان) ج 2 ص 247.

[(4)] في (خ) «جوثة» .

[(5)] كذا في (خ) وهو خطأ، وصوابه: من هامش (ط) ص 218. «أن اللقيطة هي أم حصن بن حذيفة بن بدر وإخوانه وهم خمسة، واسمها «نضيرة بنت عصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة»، يقال في خبر تلقيبها باللقطة أخبار، أجودها أن حذيفة بن بدر التقطها في جوار قد أضربكن السنة الجذب، فضمها إليه، ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها» .

(223/1)

دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم ألف بغير وخسمائة بغير. ولاقتهم سليم بمر الظهران في سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس [حليف حرب بن أمية وهو] [(1)] أبو أي الأعرور السلمي الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين. وكان أبو سفيان بن حرب قائد جيش قريش. وخرجت بنو أسد وقائدها طلحة بن خويلد الأسدي.

وخرجت بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن. وخرجت أشجع في أربعمائة يقودهم مسعود بن رحيلة بن عائذ بن مالك بن حبيب بن نبيح بن ثعلبة بن قنفذ ابن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث [(2)] بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان [(3)] [وقال ابن إسحاق: هو مسعر بن رحيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة [(4)] بن عبد الله بن هلال بن خلادة بن أشجع]. وخرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث [بن عوف] [(5)] بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ ابن مرة بن عوف [بن سعد] [(5)] بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان،:

وقيل: لم يحضر بنو مزة. وكانوا جميعا عشرة آلاف، [وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من بني كنانة] [(6)] حتى نزلت وادي العقيق، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس فسرحت قريش ركابها في عضاة [(7)] وادي العقيق، ولم تجد لحيلها هناك شيئا إلا ما حملت من علفها، وهو الذرة، وسرّحت غطفان إبلها إلى الغابة في أثلها وطرفائها [(8)] . وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر، وأدخلوا حصادهم وأتبانهم. وكادت خيل غطفان وإبلها تمك من الهزال، وكانت المدينة إذ ذاك جديدة.

[(1)] زيادة البيان من (ابن سعد) ج 2 ص 66.

[(2)] في (خ) «أيث» .

[(3)] في (خ) «غيلان» .

[(4)] في (خ) (سمحة) والتصويب من (ابن هشام) ج 3 ص 128.

[(5)] زيادة من نسبه.

[(6)] زيادة للسياق (ابن هشام) ج 3 ص 131 بتصريف.

[(7)] العضاة: كل شجر له شوك. (المعجم الوسيط) ج 3 ص 128.

[(8)] الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يعمر جيد الخشب كثير الأغصان (المعجم الوسيط) ج 1 ص 6. والطرفاء: جنس من النبات منه أشجار وجنات من الفصيلة الطرفاوية ومنه الأثل (المرجع السابق) ج 2 ص 555.

(224/1)

مشورة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين بلغه خبر خروج الأحزاب وإشارة سلمان بحفر الخندق

وكانت خزاعة عند ما خرجت من مكة: أتى ركبهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم - في أربع ليال - حتى أخبروه، فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم: أيرز من المدينة، أم يكون فيها ويخندق عليها، أم يكون قريبا والجبل وراءهم؟ فاختلفوا.

وكان سلمان الفارسي يرى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يهيم بالمقام بالمدينة - ويريد [(1)] أن يتركهم حتى يردوا ثم يجارهم على المدينة وفي طرقها - فأشار بالخندق فأعجبهم ذلك، وذكروا يوم أحد، فأحبوا الثبات في المدينة. وأمرهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالجِد، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا، وأمرهم بالطاعة.

خبر حفر الخندق

وركب فرسا له- ومعه عدة من المهاجرين والأنصار- فارتاد موضعا ينزله، وجعل سلعا [(2)] خلف ظهره وعمل في [حفر] [(3)] الخندق لينشطهم، وندب الناس وخبرهم بدنو عدوهم، وعين حفر الخندق في المراد [(4)] وعسكر بهم إلى سفح سلع، فتبادر المسلمون في العمل، وقد استعاروا من بني قريظة آلة كثيرة- من مساحي وكرازين ومكاتل [(5)]-، للحفر في الخندق. ووكل صلى الله عليه وسلم بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه. وكان الشباب ينقلون التراب، ويخرج المهاجرون والأنصار في نقل التراب وعلى رؤوسهم المكاتل، ويرجعون بها بعد إلقاء التراب منها وقد ملئوها حجارة من جبل سلع: وهي أعظم سلاحهم، يرمون بها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل التراب في المكاتل والقوم يرتجزون [(6)] ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هذا الجمال لا جمال خبير... هذا أبر ربنا وأطهر

-
- [(1)] هذا الحرف في (خ) يقرأ ما بين «يريد» ، «يدبر» والأقرب للمعنى ما أثبتناه.
 - [(2)] سلع جبل قرب المدينة (معجم البلدان) ج 3 ص 236.
 - [(3)] زيادة للإيضاح.
 - [(4)] في (خ) «المزاد» .
 - [(5)] المساحي والكرازين والمكاتل: المجارف والفؤوس والقفف.
 - [(6)] ترتجزون: يترنمون بالترجيز من أوزان الشعر.

(225/1)

أخبار المسلمين يوم حفر الخندق

وجعل المسلمون إذا رأوا من الرجل فتورا ضحكوا منه، وتنافس الناس في سلمان الفارسي، فقال المهاجرون: سلمان منا- وكان قويا عارفا يحفر الخنادق- وقالت الأنصار: هو منا ونحن آخرته [(1)] .

فقال صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت.

ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانة [(2)] قيس بن أبي صعصعة فلبط به [(3)] فقال صلى الله عليه وسلم: مروه فليتوضأ وليغتسل به، ويكفأ الإناء خلفه، ففعل فكأنا حلّ من

عقال. وجعل لسلمان خمس أذرع طولاً وخمسا في الأرض ففرغها وحده وهو يقول: اللّهم لا عيش إلا عيش الآخرة. وحفر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحمل التراب على ظهره. وفي حديث سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي: أنه عليه السلام حين ضرب في الخندق قال:

بسم الله وبه هدينا ... ولو عبدنا غيره شقينا

حبذا ربا وحبذا ديننا [(4)]

وكان بنو سلمة في ناحية يحفرون ويرتجزون،

فعزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على كعب ابن مالك ألا يقول شيئا، وعزم على حسان بن ثابت، وقال: لا يغضب أحد مما قاله صاحبه، لا يريد بذلك سوءا، إلا ما قال كعب وحسان فإتّهما يجدان ذلك [(5)] .

[(1)] في (خ) «إخوته»، وآخرفته: آخر من نزل بهم بعد طوافه البلاد.

[(2)] عانة: أصابه بالعين من الحسد (المعجم الوسيط) ج 2 ص 641.

[(3)] لبط به: سقط على الأرض من قيام (المرجع السابق) ص 813.

[(4)] قال محقق (2): «هذا كلام لم أجده فيما بين يدي من أصول الكتب، ولا أدري ما هو» ونقول:

روى ابن كثير في (البداية والنهاية) ج 4 ص 96، ص 97 ما نصه:

«وقال البيهقي في الدلائل: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان (بسنده) عن أبي عثمان عن سلمان

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضرب في الخندق وقال:

بسم الله وبه هدينا ... ولو عبدنا غيره شقينا

يا حبذا ربا وحبذا ديننا

قال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

[(5)] قال محقق (ط):

«هذا خبر ناقص مضطرب، ولم أعرف أصله ولا كيف ساقه» ونقول:

روى (الواقدي) في (المغازي) ج 2 ص 447 ما نصه: «حدثني أيوب بن النعمان عن أبيه عن

جده، عن كعب بن مالك

تغيير اسم جعيل وتسميته عمرا

وكان جعيل بن سراقبة رجلا صالحا «وكان ذميما قبيحا، وكان يعمل في الخندق، فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه يومئذ وسماه عمرا، وجعل المسلمون يرتجزون ويقولون: سماه من بعد جعيل عمرا ... وكان للبائس يوما ظهرا

سبب النهي عن أن يروّع المسلم أو يؤخذ سلاحه وكان زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاريّ فيمن ينقل التراب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه نعم الغلام!

وغلبته عيناه فنام في الخندق - وكان القرّ شديدا - فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو لا يشعر، فلما قام فزع. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك! ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟ فقال عمارة: يا رسول الله، هو عندي. فقال: فرده عليه. ونهى أن يروّع المسلم، و [(1)] يؤخذ متاعه [جادا ولا] [(1)] لاعبا.

ولم يتأخر عن العمل في الخندق أحد من المسلمين، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة، إذ [(2)] لم يجدا مكاتل - لعجلة المسلمين - وكانا لا يتفرقان في عمل ولا مسير ولا منزل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يعمل في الخندق:
اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

[()] قال: جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر، وكنا - بني سلمة - ناحية فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ألا أقول شيئا فقلت: هل عزم على غيري؟ قالوا: حسان بن ثابت قال: فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما نمانا لوحدا له وقتله على غيرنا، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: لا يفضب أحد مما قال صاحبه، لا يريد بذلك سوءا، إلا ما قال كعب وحسان، فإنهما يجدان ذلك» .

والظاهر لنا أن المقرئ قد اختصر رواية الواقدي اختصارا أخلّ بمعناها، والله تعالى أعلم.
[(1)] زيادة للسياق من (الإصابة) ج 4 ص 42 عند ترجمة زيد بن ثابت رقم 2874، ونص (الواقدي) ج 2 ص 448: «ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروّع المسلم أو يؤخذ متاعه لاعبا جادا» والقرّ: البرد.

قال في (النهاية) ج 1 ص 245: «أي لا يأخذ على سبيل الهزل ثم يجسه، فيصير ذلك جدا» .
[(2)] في (خ) «إذا» .

[فأنزلن سكينه علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا] [(1)]

[إن الأولى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا] [(1)]

يردد ذلك.

خبر نبوءته صلى الله عليه وسلم عن الفتوح يوم حفر الخندق

وضرب بالكركزين فصادف حجرا فصل [(2)] الحجر، فضحك رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فقيل: ممّ تضحك يا رسول الله؟ قال: أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق في الكبول [

(3)] ، يساقون إلى الجنة وهم كارهون.

وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمعول فصادف حجرا صلدا، فأخذ رسول الله صلى الله

عليه وسلم منه المعول فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة

إلى الشام، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق، وكسر الحجر عند الثالثة،

فقال صلى الله عليه وسلم: إني رأيت في الأولى قصور اليمن، ثم رأيت في الثانية قصور الشام،

ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمداين.

وجعل يصفه لسلمان فقال: صدقت! والذي بعثك بالحق إن هذه لصفته! وأشهد أنك رسول

الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي، يا سلمان لتفتحن

الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته، وتظهرون على الشام ولا ينازعكم أحد، ولتفتحن اليمن،

ولتفتحن هذا المشرق ويهرب كسرى فلا يكون كسرى بعده.

ولما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن، ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام.

البركة في طعام جابر

ورأى جابر بن عبد الله رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفر، ورآه خميصا [(4)

] ، فأتى امرأته فأخبرها ما رأى من خمص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: والله ما عندنا

شيء إلا هذه الشاة ومدّ من شعير، قال: فاطحنى وأصلحي. فطبخوا بعضها، وشووا

[(1)] زيادة من (البخاري) ج 3 ص 32.

[(2)] صلّ الحجر: صوت صوتا ذا رنين (المعجم الوسيط) ج 1 ص 520.

- [(3)] الكبول: جمع كبل: وهو القيد من أي شيء كان، (المرجع السابق) ج 2 ص 774 .
[(4)] يقال: خمص الجوع فلانا: أضعفه وأدخل بطنه في جوفه فهو خميص .

(228/1)

بعضها، وخبزوا الشعير، ثم أتى جابر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! قد صنعت لك طعاما، فأت أنت ومن أحببت من أصحابك.
فشبك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال: أجيئوا جابرا يدعوكم. فأقبلوا معه، فقال جابر في نفسه: والله إنها الفضيحة!
وأتى المرأة فأخبرها فقالت: أنت دعوتهم أو هو؟ فقال: بل هو دعاهم! قالت: دعهم فهو أعلم.
وأقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر أصحابه، وكانوا فرقا: عشرة عشرة. ثم قال لجابر:
اغرفوا وغطوا البرمة، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه.
ف فعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها [(1)] نقصت شيئا، ويخرجون
الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئا، فأكلوا حتى شبعوا، وأكل جابر وأهله [(2)] .

عرض الغلمان وإجازتهم

وعرض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغلمان وهو يحفر الخندق، فأجاز من أجاز وردّ من ردّ.
فكان ممن أجاز: [عبد الله] [(2)] بن عمر [بن الخطاب] [(3)] ، وزيد بن ثابت، والبراء
ابن عازب، وما منهم إلا ابن خمس عشرة سنة. وكان الغلمان الذين لم يبلغوا يعملون معه ثم
أمرهم [(4)] فرجعوا إلى أهليهم.

عدة المسلمين يوم الخندق

وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، وزعم ابن إسحاق أنه إنما كان في سبعمائة، وهذا غلط. وقال
ابن حزم: وخرج رسول الله - يعني في الخندق - في ثلاثة آلاف، وقد قيل: في تسعمائة فقط، وهو
الصحيح الذي لا شك فيه، والأول وهم [(5)] .

اجتهاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العمل يوم الخندق
ومن شدة اجتهاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العمل: كان يضرب مرة بالمعول ومرة بالمسحاة يغرف
بها التراب، ومرة يحمل التراب في المكتل، وبلغ يوما منه التعب مبلغا فجلس، ثم اتكأ

- [(1)] في (خ) «يروها» .
- [(2)] راجع (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) ج 8 ص 302 باب معجزته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطعام وبركته فيه.
- [(3)] زيادة للإيضاح.
- [(4)] في (خ) «أمر بهم» .
- [(5)] يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج 3 ص 271: «وخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فتحصن بالجبل من خلفه، وبالخندق أمامهم» وقال ذلك أيضا (الطبري) ج 2 ص 570.

(229/1)

على حجر بشقه الأيسر فنام، فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه يمنعان الناس من أن يمروا به فينبهوه، ثم فزع ووثب فقال:

أفلا أفرعتموني! وأخذ الكرزين يضرب به وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنِّ الْعَيْشُ عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ [(1)] والمهاجرة، اللَّهُمَّ الْعَنْ عَضَلًا وَالْقَارَةَ، فَهَمَّ كَلْفُونِي أَنْقَلِ الْحِجَارَةَ [(2)] .

وفرغ حفر الخندق في ستة أيام.

مواقف المسلمين

وعسكر فجعل سلعا خلف ظهره والخندق أمامه. ودفع لواء المهاجرين إلى زيد ابن حارثة، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد. وضرب له قبة من آدم. وعاقب بين ثلاث من نسائه، وكانت عائشة أياما، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، وبقية نسائه في الآطام.

خبر حبي بن أخطب وأبي سفيان

وكان حبي بن أخطب يقول- لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم-: إن قومي قريظة معكم، وهم أهل حلقة وافرة، وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا. فلما دنوا قال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد.

عهد بني قريظة

فأتى بني قريظة- وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير
ومن معهم من يهود ألا يكونوا معه ولا عليه، ويقال: صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه [(3)]
، وقيموا على معاقلمهم [(4)] الأولى التي بين الأوس والخزرج- فأتى

[(1)] في (خ) «لي الأنصار» .

[(2)] يقول محقق (ط) : هكذا روى! وقد روى الثقات، ولم يذكر هذا الكلام من قوله:
«اللهم العن ...

إلخ» ، وهو كلام هالك ليس بشيء. ونقول:

قوله صَلَّى الله عليه وسلّم: اللهم العن عضلا والقارة، فهم كلفوني أنقل الحجارة) « ذكره (ابن
حجر) في (فتح الباري) ج 7 ص 394 هكذا:
والعن عضلا والقارة ... هم كلفونا نقل الحجارة

وذكره أيضا في (المطالب العالية) ج 4 ص 228 برقم 4332.

[(3)] في (خ) «دهمه منهم» وهي رواية (الواقدي) ج 2 ص 454 وما أثبتناه من (ط) .

[(4)] معاقلمهم الأولى: أي الديات التي كانت في الجاهلية، أو على مراتب آبائهم (ترتيب
القاموس) ج 3 ص 287.

(230/1)

كعب بن أسد، وكان صاحب عقد بني قريظة وعهدها [(1)] ، فكرهت قريظة دخول حبي
بن أخطب إلى دارهم، فإنه يحب الرئاسة والشرف عليهم، وكان يشبهه بأبي جهل في قريش [(2)]
[(3)] فلقيه عزّال [(3)] بن سمؤال أول الناس، فقال له حبي:
قد جئتكم بما تستريح به من محمد، هذه قريش قد دخلت وادي العقيق، وغطفان بالزغابة! فقال
عزال [(3)] : جئتنا والله بذل الدهر! فقال: لا تقل هذا! ثم أتى كعب بن أسد فقال له: إنك
امرؤ مشنوم، وقد شأمت [(4)] قومك حتى أهلكتهم، فارجع عنا! فما زال به حبي حتى لان
له ونقض العهد، وشقوا الكتاب الذي كتب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم (بينه و) [(5)]
بينهم، واستدعى رؤسائهم- وهم: الزبير ابن باطا، ونباش بن قيس، وعزال بن سمؤال، وعقبة بن
زيد، وكعب ابن زيد- وأعلمهم بما فعل من نقض العهد، فلحمه [(6)] الأمر لما أراد الله بهم
من هلاكهم.

نقض بني قريظة العهد ومجاهرتهم بالعداوة

فبينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبتة، - والمسلمون على خندقهم يتناوبونه، معهم بضعة وثلاثون فرسا، والفرسان يطوفون على الخندق- إذ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت. فاشتد ذلك على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

بعثة الزبير بن العوام لاستطلاع خبر بني قريظة وتسميته (حواري رسول الله) وبعث الزبير بن العوام رضي الله عنه إليهم لينظر. فعاد بأنهم يصلحون حصونهم، ويدربون [(7)] طرفهم وقد جمعوا ماشيتهم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لكل نبي

-
- [(1)] في (خ) في هذا المكان «حي بن أخطب» وهو تكرار لا معنى له.
- [(2)] في (خ) كان يشبهه في قريش بأبي جهل، وفي (الواقدي) ج 2 ص 455 «وله في قريش شبه أبو جهل ابن هشام» وما أثبتناه من (ط) .
- [(3)] في (خ) «غزال»
- [(4)] في (خ) «شوم، وقد شمت»
- [(5)] زيادة لا بدّ منها.
- [(6)] في (خ) (لجمة) ولحمة الأمر: أحكمه (المعجم الوسيط) ج 2 ص 819.
- [(7)] قد تكون من «الدربة» وهي الجرأة على الأمر أو من «الدرب» وهو باب السكة الواسع (ترتيب القاموس ج 2 ص 163، 164).

(231/1)

حواريا، وإن حواريا [(1)] الزبير.

ثم بعث سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، وأسيد ابن حضير لينظروا ما بلغه عن بني قريظة، وأوصاهم- إن كان حقا- أن يلحنوا له [أي يلغزوا] لئلا [(2)] يفت ذلك في عضد المسلمين ويورث وهنا، فوجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر، فتسابوا، ونال اليهود- عليهم لعائن [(3)] الله- من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما وراءكم؟ قالوا: عضل والقارة! [يعنون غدرهم بأصحاب

الرجيع] . فكبر صلى الله عليه وسلم وقال: أبشروا بنصر الله وعونه.

رعب المسلمين يوم الأحزاب

وانتهى الخبر إلى المسلمين، فاشتد الخوف وعظم البلاء، ونجم النفاق وفشل الناس: وكانوا كما قال الله تعالى: إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا [(4)] .

مقالة المنافقين

وتكلم قوم بكلام قبيح، فقال معتب بن قشير [(5)] (ويقال له: ابن بشر، ويقال له: ابن بشير) بن حليل (ويقال: ابن مليل) بن زيد بن [(6)] العطف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري: يعدنا محمد (أن نأكل) [(7)] كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته! ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا!.

[(1)] في (خ) «حواري» .

[(2)] في (خ) «لئن لا» .

[(3)] لعله يقصد جهنم لعنة، وفي (المعجم الوسيط) ج 2 ص 829: 879 أنها تجمع على لعان، ولعنات.

[(4)] آية 10-11 الأحزاب، وفي (خ) إلى قوله تعالى «الحناجر» .

[(5)] في (خ) «قريش» والتصويب من (الواقدي) ج 2 ص 459.

[(6)] في (خ) بعد قوله «ابن مليل» ما نصه: «مجد الأزعر العطف» وهو خطأ، فإن مليلا هذا هو أخو الأزعر، وكلاهما زيد بن العطف.

[(7)] هذه رواية (ابن هشام) ج 2 ص 123 وفي (خ) بدون هذه الزيادة وهي رواية (الواقدي) ص 549.

(232/1)

من أخبار يهود يوم الأحزاب

وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلا، وبعث حبي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف، فغيروا بهم، فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم

البلاء. وبعث سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري- في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، ومعهم خيل المسلمين، وكانوا يبيتون بالخندق خائفين، فإذا أصبحوا أمنوا. وكان الخوف على الدراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان إلا أن الله ردّ بني قريظة عن المدينة بأنها كانت تحرس. وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خوات ابن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري لينظر غرة لبني قريظة فكمن [(1)] لهم، فحملة رجل منهم وقد أخذه النوم، فأمكنه الله من الرجل وقتله ولحق بالنبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره. وخرج نباش بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة ابن أسلم فرموهم حتى هزموهم، ومر سلمة فيمن معه فأطاف بحصون يهود فخافوه، وظنوا أنه البيات.

بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا عورة

وبعث بنو حارثة بأوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: إن بيوتنا عورة، وليس في دار من دور الأنصار مثل دارنا، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا. فأذن لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فبلغ سعد بن معاذ ذلك فقال: يا رسول الله! لا تأذن لهم؟ إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة قطّ إلا صنعوا هكذا. فردهم. وقال ابن الكلبي: وأبو مليل [(2)] بن الأزعر بن زيد بن العطف بن ضبيعة شهد بدرًا، وهو الذي قال: «بيوتنا عورة» يوم الخندق. وقال ابن عبد البر:

[(1)] في (خ) «فأكمن» .

[(2)] في (خ) «وابن مليل» والتصويب من (الإصابة) ج 12 ص 3 ترجمة رقم 1077 حيث يقول: «وأنا أخشى أن يكون هو الذي بعده، وقع فيه تصحيف وتحريف وجوّز ابن فتحون أن يكون هو الذي بعده» «والذي بعده» هو: أبو مليل الأزعر.

حراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يخافها من الخندق
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إلى ثلثة في الخندق يحرسها [(2)] «فإذا آذاه
البرد دخل قبته فأدفأته عائشة رضي الله عنها في حضنها، فإذا دفيء خرج إلى تلك الثلثة يحرسها
ويقول:

ما أخشى على الناس إلا منها، فبينما هو ليلة في حضن عائشة قد دفيء وهو يقول: ليت رجلا
صالحا يحرسني الليلة، فجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم: عليك
بهذه الثلثة فاحرسها، ونام، وقام صلى الله عليه وسلم ليلته في قبته يصلي، ثم خرج فقال: هذه
خيال المشركين تطيف بالخندق! ثم نادى: يا عباد ابن بشر، قال: لبيك! قال: معك أحد؟ قال:
نعم، أنا في نفر حول قبتك.
فبعثه يطيف بالخندق، وأعلمه بخيل تطيف بهم. ثم قال: اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم،
واغلبهم لا يغلبهم غيرك.

نوبة المشركين عند الخندق

وكان المشركون يتناوبون بينهم: فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما، ويغدو خالد بن
الوليد يوما، ويغدو عمرو بن العاص يوما، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما، ويغدو عكرمة بن أبي
جهل يوما، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوما، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويتفرقون مرة
ويجتمعون مرة أخرى، ويناوشون المسلمين، ويقدمون رماثهم فيرمون، وإذا أبو سفيان في خيل
يطبقون بمضيق من الخندق، فرماهم المسلمون حتى رجعوا.

طلب المشركين مضيقا من الخندق وردهم

وكان عباد بن بشر ألزم الناس لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها. وكان أسيد بن
حضير يحرس في جماعة، فإذا عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق، فرماهم
حتى ولو، وكان المسلمون يتناوبون الحراسة، وكانوا في قر شديد وجوع. وكان عمرو بن العاص
وخالد بن الوليد كثيرا ما يطلبان غرة، ومضيقا

[(1)] (الاستيعاب) (لابن عبد البر) ج 12 ص 154 ترجمة رقم 3186 «ابن الأغر» .

[(2)] [الثلثة: الموضع الذي قد انثلم أي انشق (المعجم الوسيط) ج 1 ص 99. في (خ)

«ويحرسها» .

من الخندق يقتحمانه، فكانت للمسلمين معها وقائع في تلك الليالي.

شعار المهاجرين

وكان شعار المهاجرين: يا خيل الله. وجاء في بعض الليالي عمرو بن عبد [بن أبي القيس] [(1)] في خيل المشركين، ومعه مسعود بن رخيلة [(2)] بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان في خيل غطفان، فرماهم المسلمون. وليس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درعه ومغفره، وركب فرسه وخرج، فصرفهم الله وقد كثرت فيهم الجراحة، فرجع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونام، وإذا بضرار بن الخطاب وعيينة بن حصن في عدة فركب عليه السلام بسلاحه ثانيا، فرماهم المسلمون حتى ولوا وفيهم جراحات كثيرة.

الخوف يوم الخندق وشدة البلاء

قالت أم سلمة رضي الله عنها: شهدت معه مشاهد - فيها قتال وخوف - المريسي وخيبر، وكنا بالحديبية، وفي الفتح، وحين - لم يكن من ذلك أتعب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أخوف عندنا من الخندق. وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وأن قريظة لا تأمنها على الذراري: فالمدينة تحرس حتى الصباح، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفا، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا [(3)]. وقال محمد بن مسلمة وغيره: كان ليلنا بالخندق نهارا، وكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما، ويغدو خالد بن الوليد يوما، ويغدو عمرو بن العاص يوما، ويغدو هبيرة بن أبي وهب [(4)] يوما، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما، ويغدو ضرار بن الخطاب يوما، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفا شديدا.

رماة المشركين

وكان معهم رماة يقدمونهم إذا غدوا، متفرقين أو مجتمعين بين أيديهم، وهم:

[(1)] في (خ) (وخيله)

[(2)] وفي (المغازي) ج 2 ص 467 (مسعود بن رخيطة).

[(3)] في (خ) (لن)

[(4)] في (خ) (ابن أبي هب) وهو خطأ محض.

حَبَّان بن العرقعة وأبو أسامة الجشمي في آخرين، فتناوشوا بالنبل ساعة، وهم جميعا في وجه واحد وجاه قبة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، ورسول الله قائم بسلاحه على فرسه.

إصابة سعد بن معاذ وهي الإصابة التي قتلته

فرمى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله [(1)] وقال: خذها وأنا ابن العرقعة!

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: عرّق الله وجهه في النار، ويقال: بل رماه أبو أسامة الجشمي.

اقتحام المشركين مضيقا من الخندق وقتالهم وردهم

ثم أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جميعا، وجاءوا يريدون مضيقا يقحمون خيلهم إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم حتى أتوا مكانا ضيقا أغفله المسلمون فلم تدخله خيولهم.

وعبره عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب [هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو آكل السّقب بن حبيب بن عمرو ابن شيبان بن محارب] (2) [بن فهر بن مالك الفهري، أسلم يوم الفتح] ، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد- وقام سائرهم وراء الخندق، فدعا عمرو بن عبد إلى البراز- وكان قد بلغ تسعين سنة، وحرم الدهن حتى يثار بمحمد وأصحابه-

فأعطى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عليا رضي الله عنه سيفه وعمّمه وقال: اللَّهُمَّ أعنه عليه! فخرج له وهو راجل [(3)] وعمرو فارسا، فسخر به عمرو، ودنا منه عليّ، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي، فولى أصحابه الأدبار. وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة حتى قتل. ومّر عمر بن الخطاب والزبير في إثر القوم فناوشوهم ساعة، وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب، فأخذها الزبير رضي الله عنه.

[(1)] الأكحل: ويريد في وسط الذراع (المعجم الوسيط) ج 3 ص 778، وقال سعد رضي

الله عنه حينئذ

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل ... لا بأس بالموت إذا حان الأجل

راجع: (عيون الأثر) ج 2 ص 2، (ابن هشام) ج 3 ص 136، وفي (الواقدي) ج 2 ص 469

(.. ما أحسن الموت إذا حان الأجل) ، وحمل: وهو حمل بن سعدانة بن حارثة الكلبي.

[(2)] في (خ) (مجار) .

[(3)] راجل: على رجله، بغير فرس أو دابة.

(236/1)

تعبئة المسلمين

ثم وافى المشركون سحرا، وعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فقاتلوا يومهم إلى هوي من الليل: وما يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعهم.

تخلف المسلمين عن الصلاة يوم الخندق

وما قدر صلى الله عليه وسلم على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء، فجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، ما صلينا! فيقول: ولا أنا ما صليت! حتى كشف الله المشركين، ورجع كل من الفريقين إلى منزله. وأقام أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق، فكرت خيل للمشركين يطلبون غرة- وعليها خالد بن الوليد- فناوشهم ساعة، فزرق وحسي الطفيل بن النعمان [وقيل: الطفيل بن مالك بن النعمان] [(1)] بن خنساء الأنصاري بمزراقه [(2)] فقتله كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد.

إقامة الصلاة التي شغلوا عنها

فلما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع قبته أمر بلالا فأذن وأقام للظهر، وأقام بعد لكل صلاة إقامة، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصلها في وقتها، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف، وذلك قوله تعالى: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَفُؤِمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ* فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [(3)] . وقال يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم: شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى: صلاة

[(1)] قال في (الإستيعاب) ج 5 ص 231 ترجمة رقم 1275 «الطفيل بن مالك بن النعمان

بن خنساء.

وقيل: الطفيل بن النعمان ابن خنساء الأنصاري السلمي، من بني سلمة، شهد العقبة، وشهد

بدرا، وأحد، وجرح بأحد ثلاثة عشر جرحا، وعاش حتى شهد الخندق وقتل يوم الخندق شهيدا، قتله وحشي ابن حرب» «وذكر موسى بن عقبة في البدرين: الطفيل بن النعمان بن الخنساء، والطفيل بن مالك بن خنساء، رجلين» .

[(2)] المزراق: الرمح القصير (المعجم الوسيط) ج 1 ص 392.

[(3)] الآيتان 238، 239/ البقرة، وفي (خ) «قبل أن تنزل صلاة الخوف فرجالا أو ركباناً

... » .

(237/1)

العصر، ملاً الله أجوافهم وقبورهم ناراً.

وفي حديث جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما شغل يومئذ عن صلاة العصر. وفي حديث أبي سعيد وعبد الله بن مسعود:

أنه شغل يومئذ عن أربع صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وفي مرسل سعيد بن المسيّب: أنه شغل عن الظهر والعصر. فاحتمل أن يكون كله صحيحاً، لأنهم حوصروا في الخندق وشغلوا بالأحزاب أياماً.

ومثل حديث جابر في ذلك حديث علي رضي الله عنه: «وهو حديث ثابت من طرق عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس، ملاً الله قلوبهم وبطونهم - أو بيوتهم - ناراً.

طلب المشركين جيفة نوفل بن عبد الله

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله: يشترونها، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هي جيفة حمار! وكره ثمنه، فخلّى بينهم وبينه. وفي رواية: أن أبا سفيان بعث بدينه مائة من الإبل، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: خذوه، فإنه خبيث الدية خبيث الجنة.

اقتتال الطليعتين من المسلمين

وخرجت طليعتان من المسلمين ليلاً فالتقيا - ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو - فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الإسلام: «حم لا ينصرون»، فكف بعضهم عن بعض، وجاءوا،

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد.
فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم.

خبر الفتى الذي ذهب إلى أهله
وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا إلى أهلهم،
فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني أخاف عليكم من قريظة. فإذا ألحوا يقول: من ذهب
منكم فليأخذ سلاحه.
وكان فتى حديث عهد بعرس، فأخذ سلاحه وذهب، فإذا امرأته قائمة بين البابين، فهياً لها الرمح
ليطعنها فقالت: اكفف حتى ترى ما في بيتك! فإذا بجية على فراشه،

(238/1)

فركز فيها رمحه فاضطربت، وخر الفتى ميتاً،
فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما أخبر بذلك-: إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم
منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام [(1)] ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان.

جوع المسلمين وخبر البركة في الطعام

وكان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة، وكان أهلهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه، فأرسلت
عمرة ابنة رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها إلى زوجها بشير ابن سعد بن ثعلبة الأنصاري،
وإلى أخيها عبد الله بن رواحة-
فوجدت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسا في أصحابه فقال: تعالي يا بنية! ما هذا معك؟
فأخبرته، فأخذه في كفيه ونثره على ثوب بسط له، وقال لجعال بن سراقة: اصرخ، يا أهل الخندق
أن هلم إلى الغداء:
فاجتمعوا عليه يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق وإنه ليفيض من أطراف الثوب. وأرسلت أم
متعب [(2)] الأشهلية [(3)] بقبعة فيها حيس [(4)] إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلّم وهو في قبته مع أم سلمة، فأكلت حاجتها، ثم خرج بالقبعة فنادى مناديه:
هلم إلى عشاءه! فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهي كما هي.

موادعة عيينة بن حصن ثم نقض ذلك

وأقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب،
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَشَأُ لَا تَعْبُدُ.
وأرسل إلى عيينة بن حصن، والحارث بن عوف - وهما رئيسا غطفان - أن يجعل لهما ثلث تمر
المدينة ويرجعان بمن معهما، فطلبنا نصف التمر، فأبى عليهما إلا الثلث، فرضيا. وجاء في عشرة
من قومهما حتى تقارب الأمر، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله
عنه الصلح - وعباد بن بشر قائم على

[(1)] راجع: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) ج 1 ص 268 - 272 حيث ذكر هذا الخبر
بتمامه.

[(2)] كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) «أم عامر الأشهلية» .

[(3)] قال محقق (ط) «لم أجد لها ترجمة ولا خبرا» .

والخبر بسنده وتمامه في (الاستيعاب) ج 3 ص 247 برقم 3576 وترجمتها في (الإصابة) ج 3
ص 243 برقم 1368، والخبر بسنده وتمامه في (المغازي) ج 2 ص 476، 477.

[(4)] القعبة: حقة مطبقة للسويق (ترتيب القاموس) ج 3 ص 654.

والخيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديدا ثم يندر من نواه وربما يجعل فيه سويق (المرجع
السابق) ج 1 ص 479.

(239/1)

رأس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقنع في الحديد -، فأقبل أسيد بن حضير، وعيينة مادّ
رجليه، فقال له: يا عين الهجرس [(1)] ، اقبض رجلك، أتمد رجلك بين يدي رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ والله لولا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنفذت حضنيك بالرمح! ثم
قال:

يا رسول الله صلى الله عليك، إن كان أمرا من السماء فامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا
نعطيهم إلا السيف، متى طمعتم بهذا منا؟ فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن معاذ
وسعد بن عباد فاستشارهما خفية، فقالا [(2)] : إن كان هذا أمرا من السماء فامض له، وإن
كان أمرا لم تؤمر فيه ولك فيه هوى فسمع وطاعة، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا
السيف.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقلت

أرضيهم ولا أقاتلهم.

فقالا: يا رسول الله، والله إن كانوا ليأكلون العلهز [(3)] في الجاهلية من الجهد، ما طمعوا بهذا منا قط: أن يأخذوا ثمرة إلا بشراء أو قرى! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك، وهدانا بك، نعطي الدنيا! لا نعطيهم أبدا إلا السيف.

فقال صلى الله عليه وسلم: شق الكتاب. فشقه سعد، فقام عيينة والحارث، فقال صلى الله عليه وسلم: ارجعوا، بيننا السيف: رافعا صوته.

خبر نعيم بن مسعود الأشجعي في تخذيل الأحزاب

وكان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة الأشجعي صديقا لبني قريظة، وقدم مع قومه من الأحزاب حين أجذب الجناب [(4)] وهلك الخف والكراع [(5)] ، فقذف الله في قلبه الإسلام. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فأسلم، فأمره أن يخدّل الناس: وأذن له أن يقول [(6)] . فتوجه إلى بني قريظة، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهنا من أشرفهم فقبلوا رأيه، واستكتمهم مجيئه إليهم. ثم جاء إلى أبي سفيان في رجال قريش، وأعلمهم أن قريظة قد ندمت على ما كان منها، وأنهم راسلوا محمدا بأنهم يأخذون [(7)] من أشرف قريش وغطفان

[(1)] الهجرس: القرد والثعلب، أو ولده، والدب، ويقال: فلان هجرس: لئيم (المعجم

الوسيط) ج 2 ص 973.

[(2)] في (خ) (فقال) .

[(3)] العلهز: طعام من الدم والوبر كان يتخذ في الجماعة، ونبات ينبت في بلاد بني سليم.

(ترتيب القاموس) ج 3 ص 303، 304.

[(4)] في (خ) (أحدب الحباب) وما أثبتناه من (المغازي) ج 2 ص 480.

[(5)] كناية عن هلاك الأفعال.

[(6)] أي يقول ما يشاء في الحيلة والخدعة.

[(7)] في (خ) (يأخذوا) .

سبعين رجلا يسلموهم [(1)] إليه ليضرب أعناقهم، حتى يرد بني النضير إلى ديارهم، ويكونون معه حتى يردوا قريشا عنه، وأشار عليهم ألا يجيبوا قريظة إلى إعطاء الرهن، وسألهم كتمان أمره ثم جاء إلى غطفان وأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشا عنهم، وحذرهم أن يدفعوا إليهم رهنا، فأرسلت يهود غزال [(2)] ابن سموأل إلى قريش بأن التواء قال طال ولم يصنعوا شيئا، والرأي أن يتواعدوا على يوم تزحف فيه قريش وغطفان وهم، ولكنهم لا يخرجون لذلك معهم حتى يرسلوا إليهم برهائن من أشرفهم، فإنهم يخافون: إن أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتمونا. فلم يرجعوا إليهم بجواب. وجاء نعيم إلى بني قريظة وقال لهم: إني عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم يطلب منه الرهان فلم يرد عليه شيئا، فلما ولي رسولكم قال: لو طلبوا مني عنقا [(3)] ما رهنتها! فلا تقاتلوا معه حتى تأخذوا الرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمدا - وانصرف أبو سفيان - تكونوا على موادعتكم الأولى.

فلما كانت ليلة السبت بعث أبو سفيان بعكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة أن يخرجوا غدا ليناجزوا محمدا جميعا، فقالوا: إن غدا السبت، لا نقاتل فيه ولا نعمل عملا، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهانا من رجالكم لئلا تبرحوا، فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا إلى محمد، ولا طاقة لنا به. فتحققت قريش صدق ما قال لهم نعيم: وأرسلت غطفان إلى بني قريظة بمسعود بن رخيصة في رجال يمثل ما راسلهم أبو سفيان، فأجابوهم بمثل [(4)] ما أجابوا به عكرمة، فتحققت غطفان وبنو قريظة ما قاله نعيم، وبتس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم.

اختلاف الأحزاب

وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حبي بن أخطب، فأتى بني قريظة فلم يجد منهم موافقة له، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلا من قريش

[(1)] في (خ) (يسلموهم) .

[(2)] في (خ) (غزال) .

[(3)] العناق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول (المعجم الوسيط)

ج 2 ص 632.

[(4)] في (خ) (ماما) مكررة.

وغطفان رهانا عندهم.

دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَحْزَابِ وَهَبُوبِ الرِّيحِ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَعَا عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ مَنْزِلِ الْكِتَابِ، سَرِيعِ
الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِهِمْ.
وَكَانَ دَعَاؤُهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْثَلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَاسْتَجِيبَ لَهُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ
الْأَرْبَعَاءِ، فَعَرَفَ السَّرُورَ فِي وَجْهِهِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ السَّبْتِ، بَعَثَ اللَّهُ الرِّيحَ عَلَى الْأَحْزَابِ حَتَّى مَا
يَكَادُ أَحَدُهُمْ يَهْتَدِي لِمَوْضِعِ رَحْلِهِ، وَلَا يَقْرَأُ لَهُمْ قَدْرًا وَلَا بِنَاءً. وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَصِلِي إِلَى أَنْ ذَهَبَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ لَيْلَةَ قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ. وَكَانَ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ الْأَمْرَ أَكْثَرَ مِنَ الصَّلَاةِ.

خبر الريح وتفرق الأحزاب ورجوعهم

وبعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لينظر ما فعل القوم وما يقولون. فدخل عسكرهم في ليلة
شديدة البرد فإذا هم مصطلون على نار لهم والريح لا تقر لهم قدرا ولا بناء، وهم يشنورون [(1)
] في الرحيل حتى ارتحلوا. وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس جريدة [(2)
] . ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا، فأخبرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بذلك. فلما كان السحر لحق عمرو وخالد بقريش، ولحقت كل قبيلة بمحلتها [(3)] .

مدة حصار الخندق

فكانت مدة حصار الخندق خمسة عشر يوما، وقيل: عشرين يوما، وقيل:
قريبا من شهر. وأصبح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد رحيل الأحزاب، فأذن للمسلمين في
الانصراف، فلحقوا بمنزلهم.

كتاب أبي سفيان إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وكتب أبو سفيان إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا فيه: «باسمك اللهم. فإني أحلف

[(1)] هذه اللفظة عامية، واللغة فيها (يتشاورون) .

[(2)] جريدة: خيل لا رجالة فيها (المعجم الوسيط) ج 1 ص 116.

[(3)] المحلة: منزل القوم.

باللات والعزى، لقد سرت إليك في جمعنا وأنا نريد ألا نعود [(1)] أبدا حتى نستأصلكم [(2)] ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخذاق، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن نرجع عنك فلکم منا يوم كيوم أحد» وبعث به مع أبي أسامة الجشمي، فقرأه أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبته، وكتب إليه: «من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب. أما بعد، فقد بما غرك بالله الغرور. أما ما ذكرت - أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا - فذلك أمر يحول الله بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى. وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق؟ فإن الله ألهمني لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعي بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل، حتى أذكرك ذلك.

ويقال: كان في كتاب أبي سفيان: «ولقد علمت أني لقيت أصحابك ناجيا [(3)] وأنا في غير لقريش فما خص أصحابك منا شعره، ورضوا منا بمدافعتنا بالراح، ثم أقبلت في غير قريش حتى لقيت قومي - فلم تلقنا - فأوقعت بقومي ولم أشهدا من وقعة، ثم غزوتكم في عقر داركم، فقتلت وحرقت [يعني غزوة السويق] . ثم غزوتك في جمعنا يوم أحد، فكانت وقعتنا فيكم مثل وقعتكم بنا بيدر. ثم سرنا إليكم في جمعنا ومن تألب إلينا يوم الخندق، فلزمتهم الصياصي وخذقتهم الخنادق» .

ما نزل من القرآن في شأن الخندق

وأُنزل الله تعالى - في شأن الخندق يذكر نعمته وكفايته عدوهم، بعد سوء الظن منهم، ومقالة من تكلم بالنفاق - قوله عز وجل: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [(4)] .

[(1)] في (خ) «ألا نعود إليك» وهي رواية (الواقدي) ج 2 ص 492 وما أثبتناها من (ط) .

[(2)] في (خ) «نستأصلهم» وفي (الواقدي) «نستأصلك» () .

[(3)] في (خ) (باسا) .

[(4)] الآيات من 1 إلى 27/ الأحزاب، «لم تروها، الآيات» .

ذكر من قتل من المسلمين

وقتل من المسلمين يومئذ ستة نفر، ثلاثة من بني الأشهل هم: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل، واثنان من بني جشم ابن الخزرج ثم من بني سلمة هما:
الطفيل بن النعمان، وثعلبة بن عتمة [(1)] ، وواحد من بني النجار ثم من بني دينار [هو] [(2)] : كعب بن زيد، أصابه سهم غرب [(3)] فقتله.

من قتل من الكفار

وقتل من المشركين ثلاثة نفرهم [(4)] : منبّه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة بن مخزوم، وعمرو بن عبد ود قتلته علي رضي الله عنه. ولم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق.

غزوة بني قريظة

ثم كانت غزوة بني قريظة: خرج إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وحصرها خمسا وعشرين ليلة، وقيل: خمسة عشر يوما، وقيل: شهرا.

سببها

وسبب ذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع من الخندق دخل بيت عائشة رضي الله عنها [(5)] فاغتسل ودعا بالجمرة ليتخير، وقد صلى الظهر، فأتاه جبريل عليه السلام وقت الظهر - على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة، وعلى ثناياه النقع - فوقف عند موضع الجنائز فنادى: عذيرك [(6)] من محارب. فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[(1)] في (خ) «غنمة» وهي رواية (الواقدي) ، وفي (ابن هشام) ج 3 ص 155 «ابن

غنيمة)

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] قال ابن هشام: سهم غرب، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا

من أين رمى به ويقول (الواقدي) ج 2 ص 496 في شأن كعب بن زيد. وقتله ضرار بن

الخطاب» .

[(4)] هكذا في (ابن هشام) ج 3 ص 155، وفي (الواقدي) ج 2 ص 496 «عثمان بن

منبه» .

[(5)] في (خ) «عنه» .

[(6)] أي هات من ينصرك.

(244/1)

فرعا، فقال: ألا أراك وضعت الالامة ولم تضعها الملائكة بعد؟ لقد طردناهم إلى حمراء الأسد، إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمززل بهم حصونهم. [ويقال: جاءه على فرس أبلق] [(1)] .

الخروج إلى قريظة

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فدفع إليه لواءه، وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق، وبعث بلالا رضي الله عنه فأذن في الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة. وعن قتادة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مناديا، يا خيل الله اركبي. ولبس الدرع والمغفر والبيضة، وأخذ قناة بيده، وتقلد الترس، وركب فرسه. وحف به أصحابه وقد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وكانت ستة وثلاثين فرسا، وكانت له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس معه.

وقيل: خرج صلى الله عليه وسلم وهو راكب على حمار عربي [(2)] . وسار فمر بنفر من بني النجار قد صفوا وعليهم السلاح، فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: نعم! دحية الكلبي، مر على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من إستبرق، فأمرنا بلبس السلاح، فأخذنا سلاحنا وصففنا، وقال لنا: هذا رسول الله يطلع عليكم الآن! فقال: ذلك جبريل.

وصول علي إلى حصن بني قريظة وسفاهة يهود

وانتهى إلى بني قريظة، وقد سبق علي في نفر من المهاجرين والأنصار، وغرز الراية عند أصل الحصن، فاستقبلهم يهود يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، فسكت المسلمون وقالوا: السيف بيننا وبينكم. فلما رأى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع إليه، وأمر أبا

قتادة الأنصاري أن يلزم اللواء.

مسيره صَلَّى الله عليه وسلّم إليهم وما قاله
وسار صَلَّى الله عليه وسلّم إلى يهود، وقال يومئذ: الحرب خدعة.
وتقدمه أسيد بن حضير فقال: يا أعداء الله! لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً، إنما أنتم بمنزلة
ثعلب

[(1)] ذكره (الواقدي) ج 2 ص 497.

[(2)] عرى: لا سرح عليه.

(245/1)

في حجر. قالوا: يا ابن الحضير، نحن مواليك دون الخزرج! وخاروا. فقال:
لا عهد بيني وبينكم ولا إلّ [(1)] .
ودنا صَلَّى الله عليه وسلّم منهم وقد ترس عنه أصحابه. فقال:
يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت! أتشتموني؟ فجعلوا يلحفون: ما فعلنا! ويقولون: يا أبا
القاسم ما كنت جهولاً!.

تقدم الرماة وبدء المرأمة

وتقدمت الرماة من المسلمين،
وقال صَلَّى الله عليه وسلّم لسعد بن أبي وقاص: يا سعد، تقدم فارمهم.
فرماهم والمسلمون ساعة، ويهود تراميهم، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم واقف على فرسه
فيمن معه. ثم انصرفوا إلى منازلهم، وباتوا وقد بعث إليهم سعد بن عبادة بأحمال تمر فأكلوا،
وقال صَلَّى الله عليه وسلّم وهو يأكل منه: نعم الطعام التمر.
 واجتمع المسلمون عنده عشاء، ومنهم من صلى ومنهم من لم يصل حتى جاء بني قريظة، فما
عاب على أحد من الفريقين.

تعبئة المسلمين حول الحصن

ثم غدا سحراً وقدم الرماة وعبأ أصحابه، فأحاطوا بحصون يهود وراموهم بالنبل والحجارة وهم

يرمون من حصونهم حتى أمسوا، فباتوا حول الحصون.

مفاوضة يهود للصلح

فنزل نبّاش بن قيس وكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير: له الأموال والحلقة، ويحقن دماءهم، ويخرجون من المدينة بالنساء والذراري، ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن ينزلوا عن حكمه، وعاد نبّاش إليهم بذلك.

مشورة كعب بن أسد اليهودي

فأشار عليهم كعب بن أسد بأن يدخلوا في الإسلام، وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته، فلم يقبلوا رأيه. فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا

[(1)] الإل: العهد والقرابة قال تعالى لا يَرْفُقُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً 8/ التوبة.

(246/1)

فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا، فأبوا ذلك. فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتوتهم فقالوا: لا نحل السبت. واختلفوا وندموا على ما صنعوا.

ذكر من أسلم من يهود بني قريظة

ونزل منهم [ثعلبة بن سعيه، وأسيد بن سعيه] [(1)] ، وأسد بن عبيد، وأسلموا. وأمنوا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ونزل عمرو بن سعدى، [وكان أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: لا أعدر بمحمد أبدا. فبات في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب] [(2)] فلم يدر أين هو! وقيل: [إنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب!] [(3)] .

خبر أبي لبابة في مشورة اليهود

فلما اشتد عليهم الحصار طلبوا أبا لبابة بن عبد المنذر، فدخل عليهم فقالوا له: ما ترى؟ إن

محمدًا أبي إلا أن نزل عن حكمه! قال: فانزلوا. وأوماً إلى حلقه، وهو الذبح. ثم نزل - والناس ينتظرونه - وقد ندم على ما كان منه.

فمر على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى سارية،
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع وذهابه، فقال: دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء،
ولو جاءني استغفرت له، وأما إذ [(4)] لم يأتيني وذهب فدعوه.
فكان كذلك خمس عشرة ليلة، - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمله على
القتال، وأنزل فيه: **وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** [(5)] .

-
- [(1)] في (خ) «ثعلبة بن أسيد ابنا سعيد» وهو خطأ، وصوبه من (الواقدي) ج 2 ص 503
هكذا: «ثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد عمهم»: وفي (ابن هشام) ج 3 ص 144 «قال
ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد ابن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذل،
ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك. هم بنو عم القوم» .
- [(2)] في (خ) ونزل عمرو بن سعدي فلم يدري أين هو، وسياقه مضطرب فاستوفينا من
(المرجع السابق) ذات الجزء والصفحة.
- [(3)] في (خ) «وقيل وجدت رمته» وتام السياق من المرجع السابق. ج 3 ص 144-
145.
- [(4)] في (خ) «إذا» .
- [(5)] [102 / التوبة، وفي (خ) «... يتوب عليهم، الآية» .

(247/1)

ويقال نزلت: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** [(1)]

ويقال نزلت فيه: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** [(2)] . والأول أثبت.

نزول بني قريظة على حكم رسول الله وكتافهم وما وجد عندهم
ثم نزلت يهود على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بأسراهم فكتفوا رباطا - وجعل

على كتافهم محمد بن مسلمة- وتحووا ناحية، وأخرج النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية، واستعمل عليهم عبد الله بن سلام. وجمعت أمتعتهم وما وجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب، فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفا رمح، وألف وخمسمائة ترس وجحفة، وأثاث كبير وآنية كثيرة، وخمر وجرار سكر، فهريق ذلك كله ولم يخمس. ووجد من الجمال النواضح عدة، ومن الماشية شيء كثير، فجمع ذلك كله.

طلب الأوس حلفاءهم بني قريظة

وطلب الأوس من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يهب لهم بني قريظة فإنهم حلفاؤهم، كما وهب لابن أبي [بني] [(3)] قينقاع حلفاءه.

تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة

فقال:

أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟ قالوا: بلى! قال:
فذلك إلى سعد بن معاذ.

وسعد يومئذ في المسجد في خيمة رفيدة، ويقال:

كعبية [(4)] بنت سعد بن سعد بن كعب بن عبد الأسلمية، وكانت تداوي الجرحى، وتلم الشعث، وتقوم على الضائع الذي لا أحد له، وكان لها خيمة في المسجد، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل سعد بن معاذ فيها منذ جرح. فخرجت

[(1)] 27/ الأنفال وفي (خ) «... والرسول، الآية» .

[(2)] 41/ المائة وفي (خ) «... بأفواههم، الآية» .

[(3)] زيادة للإيضاح.

[(4)] في (خ) «كفيتة» .

الأوس فحملوه على حمار. وجعلوا وهم حوله يقولون له: يا أبا عمرو! إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن، فقد رأيت ابن أبي وما صنع من حلفائه، وأكثروا في هذا وشبهه، وهو لا يتكلم، ثم قال: قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فقال الضحاك بن

خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري: وا قوماه! وقال غيره منهم نحو ذلك. ثم رجع إلى الأوس فنعى لهم قريظة.

فلما جاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله قال: قوموا إلى سيدكم! فقاموا له على أرجلهم صفين يحييه كل منهم. [ويقال: إنما عني صلى الله عليه وسلم بقوله: «قوموا لسيدكم» الأنصار دون قريش].

وقالت الأوس الذين حضروا:

يا أبا عمرو! إن رسول الله قد ولّك فأحسن فيهم، واذكر بلاءهم عندك. فقال سعد: أترضون بحكمي لبني قريظة؟ قالوا: نعم، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم، ثم قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه المواصي، وتسي النساء والذرية، وتقسم الأموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة [(1)] .

خبر بني قريظة بعد حكم سعد وما جرى في قتلهم

فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث، وقد اختلف في اسمها، فقيل: كيسة بنت الحارث بن كريز بن [ربيعة] [(2)] بن حبيب بن عبد شمس، وكانت تحت مسيلمة الكذاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز، وأمر بأحمال التمر فنثرت على بني قريظة، فباتوا يكدمونها كدم الحمر [(3)] . وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل، وبالإبل والغنم فتركت [(4)] هناك ترعى الشجر، ثم غدا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في يوم الخميس السابع من ذي الحجة والأسرى معه، وأتى إلى السوق، فأمر بخدود فخذت [(5)] ،

[(1)] والأرقعة السموات.

[(2)] زيادة من نسب عبد الله بن عامر بن كريز.

[(3)] الكدم: أثر العضّ (المعجم الوسيط) ج 2 ص 78 والحمر: جمع حمار.

[(4)] في (خ) «فبركت» .

[(5)] الخدود: جمع خد: كالأخدود وهو الحفرة (المعجم الوسيط) ج 1 ص 220.

وحفر فيها هو وأصحابه، وجلس ومعه عليه أصحابه، ودعا [(1)] برجال بني قريظة فكانوا يخرجون أرسالا تضرب أعناقهم.

مقالة حبي بن أخطب عند قتله

ولما جاء بعدو الله حبي بن أخطب [بن سعيه بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن ناخوم من بني إسرائيل من سبط لاوي ابن يعقوب، ثم من ولد هارون بن عمران أخي موسى صلى الله عليه] [(2)] ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟ فقال: بلى! والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولقد التمسيت العز في مظانته، وأبى الله إلا أن يمكّنك مني، قلقت كل مقلقل، ولكنه من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس! لا بأس بأمر الله، قدر وكتاب، ملحمة كتبت على بني إسرائيل! فأمر فضربت عنقه.

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأسرى ثم أتى بعزال [(3)] بن سمؤال، ونباش بن قيس، فضربت أعناقهما، وقد جابذ [(4)] نباش الذي جاء به، حتى قاتله ودق أنفه فأرعفه، فقال صلى الله عليه وسلم للذي جاء به: لم صنعت به هذا؟ أما كان السيف كفاية! ثم قال: أحسنوا إسهامهم، وقيلوهم واسقوهم، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح. وكان يوما صائفا، فقيلوهم وسقوهم وأطعموهم، فلما أبردوا راح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل من بقي منهم.

إسلام رفاعة بن سمؤال

وسألت أم المنذر سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي

-
- [(1)] في (خ) «دعي» .
- [(2)] في (خ) في مكان ما بين القوسين في نسب حي بنت أخطب: «بنرية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيلة بن نجم بن أشرس بن سهيت بن السكون وفيه خلط كثير، وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج 13 ص 62 ترجمة صافية بنت حي رقم 3405 وانظر أيضا ترجمتها في (الإصابة) ج 13 ص 14 رقم 647.
- [(3)] في (خ) «يغزل» .

[(4)] جابذ: من الجبذ وهو الجذب. وليس مقلوبة، بل لغة صحيحة (ترتيب القاموس) ج 2
ص 517.

(250/1)

ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفعة بن
سموأل فقال: هو لك؟ فأسلم.

كراهة بعض الأوس قتل قريظة، ثم تفريق الأسرى في الأوس

وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا: يا رسول الله، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة
لمكان حلفهم. فقال سعد بن معاذ: ما كرهه من الأوس أحد فيه خير، فمن كرهه فلا أرضاه الله.
فقام أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله، لا تبقيّ دار من دور الأوس إلا فرقتهم فيها. ففرقهم
في دور الأنصار فقتلوهم.
وضرب رسول الله عنق كعب بن أسد بين يديه.

قتل بنانة اليهودية وسببه

وأمر بنانة امرأة الحكم القرظي - وهي من السبي - فقتلت، لأنها ألفت من حصن الزبير بن باطا
رحي [(1)] بإشارة زوجها على نفر من المسلمين كانوا يستظلون في فيئه، فشذخت رأس خلاد
بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن امرئ القيس بن مالك الأغر، فمات.

قتل كل من أنبت، وبكاء نساء يهود

وأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل كل من أنبت منهم، وترك من لم ينبت، وتمادى القتل
فيهم إلى الليل فقتلوا على شعل السعف، ثم ردّ عليهم التراب في الخنادق.
وكان من شك فيه منهم أن يكون بلغ، نظر إلى مؤتزره: فإن كان أنبت قتل، وإلا ترك في السبي.
وكانوا ستمائة، [وقيل: ما بين الستمئة إلى السبعمئة]. وقيل:
كانوا سبعمئة وخمسين] ، ولما قتلوا صاحت نساءهم وشقّت جيوبها، ونشرت شعورها، وضربت
خدودها، وملاّت المدينة.

[(1)] في (خ) بعد قوله «باطا» باقي الخير لم يظهر في التصوير الميكروفيلمي، وتماه من (الواقدي) ج 2 ص 517.

(251/1)

خبر الزبير بن باطا

وسأل ثابت بن قيس بن شماس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزبير بن باطا فقال: هو لك. فلم يرض بالحياة وطلب أن يلحقوه بأحبته، فضرب الزبير بن العوام عنقه. وطلب ثابت بن قيس أهله وولده فردوا إليه إلى الحلقة، فكانوا مع آل ثابت بن قيس.

إسلام ريحانة بنت زيد

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد لنفسه صفيا وعزها حتى تسلم، فما زال بها [ثعلبة بن سعية] [(1)] حتى أسلمت، فبعثها إلى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس حتى حاضت ثم طهرت. فجاءها وخيرها: أيعتقها ويتزوجها أو تكون في ملكه يطؤها بالملك؟ فاختارت أن تكون في ملكه، وقيل: أعتقها وتزوجها.

بيع المتاع وقسمة الفيء

وأمر بالمتاع فبيع في من يزيد، وبيع السبي، وقسمت النخل أسهما، وكانت الخيل ستا وثلاثين فرسا، فأسهم: للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وللراجل سهم. وقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس فلم يضرب إلا سهما واحدا. وأسهم خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، وقد قتل تحت الحصن: طرحت عليه رحي، فشدخته شدخا شديدا. وأسهم لأبي سنان بن محصن [واسمه وهب بن عبد الله، ويقال: عبد الله بن وهب، ويقال: عامر، ولا يصح، ويقال: اسمه وهب بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وعلى هذا فهو أخو عكاشة بن محصن، وهو أصح ما قيل فيه. وبات ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصرهم، وكان يقاتل مع المسلمين. وكان المسلمون ثلاثة [(2)] آلاف، فكانت سهمان الخيل والرجال على ثلاثة آلاف واثنتين وسبعين سهما: للفرس سهمان ولصاحبه سهم. وأسهم يومئذ على الأموال فجزئت خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، فخرجت السهمان، وكذلك الرثة [(3)] والإبل والغنم والسبي،

[(1)] في (خ) «ابن سعد» .

[(2)] في (خ) «ثلاثة، ثلاثة» مكررة.

[(3)] الرّثة: رديء المتاع (المعجم الوسيط) ج 1 ص 328.

(252/1)

ثم فضّ أربعة أسهم على الناس.

ترك فيء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للنساء

وأخذ [(1)] فيء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النساء اللاتي حضرت القتال ولم يسهم لهن، وهن: صفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة، وأم سليط، وأم العلاء الأنصارية، والسميراء بنت قيس الأنصارية، وأم سعد بن معاذ، وهي: كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرج، وهو خدره بن عوف بن الحارث بن الخزرج.

أمر السبي

ولما بيعت السبايا والذرية بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بطائفة إلى الشام مع سعد بن عبادة [(2)] ، يبيعهم ويشترى بهم سلاحا وخيلا. واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما طائفة. فكان يوجد عند العجائز المال ولا يوجد عند الشواب، فريح عثمان مالا كثيرا لأنه صار في سهم العجائز. ويقال: لما قسم صلّى الله عليه وسلّم جعل الشواب على حدة، والعجائز على حدة، وخير عبد الرحمن وعثمان فأخذ عثمان العجائز. واشترى أبو الشحم اليهودي امرأتين - مع كل واحدة ثلاثة أطفال - بخمسين ومائة دينار، وجعل يقول: ألستم على دين يهود؟ فتقول المرأتان: لا نفارق دين قومنا حتى نموت عليه، وهن يبكين. وكان السبي ألفا من النساء والصبيان، فأخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمسة قبل بيع المغنم، فجزأ السبي خمسة أجزاء: فأخذ خمسا، فكان يعتق منه ويهب منه، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما أصاب من رثتهم: قسمت قبل أن تباع. وكذلك النخل عزل خمسة، وكل ذلك يسهم عليه خمسة أجزاء ويكتب في سهم منها [لله] [(3)] ، ثم يخرج السهم، فحيث طار سهمه أخذه ولم يتخير. وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي، وهو الذي قسم المغنم بين المسلمين.

- [(1)] كذا في (خ) ، و (ط) ، وفي (الواقدي) ج 2 ص 522 «وأخذى» .
 [(2)] كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج 2 ص 523، وفي باقي كتب السيرة: «سعد بن زيد الأشهلي» .
 [(3)] غير بينة في (خ) ، وأثبتناها من (الواقدي) ج 2 ص 523.

(253/1)

النهي عن التفريق بين النساء والولد حتى يبلغوا

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق في القسم والبيع بين النساء والذرية، وقال:
 لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا، فقيل: يا رسول الله! وما بلوغهم؟ قال:
 تحيض الجارية ويحتلم الغلام.

وكان يفرق يومئذ بين الأختين إذا بلغتا، وبين الأم وابنتها إذا بلغت. وكانت الأم وولدها الصغار تباع من المشركين من العرب، ومن يهود المدينة وتيماء وخيبر، يخرجون بهم. وإذا كان الولد صغيرا ليس معه أم لم يبع من المشركين ولا من يهود إلا من المسلمين. فكانت أموال بني قريظة أول فيء وقع فيه السهمان والخمس.

موت سعد بن معاذ، وبكاء أمه، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد ثم دفنه
 ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة، رجع إلى خيمة ربيعة بنت سعد الأسلمية—
 وكان قد كوى جرحه بالنار فانتفخت يده، وسال الدم فحمّه أخرى فانتفخت يده، فسأل الله أن
 يبقيه حتى يقاتل بني قريظة— فانفجر جرحه ومات بعد ما عاده النبي صلى الله عليه وسلم فحمل
 إلى منزله. وغسّله الحارث بن أوس ابن معاذ، وأسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة بن وقش
 بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم سعد تبكي وتقول:

[ويل أم سعد سعدا ... صرامة وحدًا

وسؤددا ومجدا ... وفارسا معدًا

سدّ به مسدًا ... يقدها ما قدًا] [(1)]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل البواكي يكذبن إلا أم سعد.
 ثم كفن في ثلاثة أثواب وحمل في سرير. فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم [جنازته] [(2)]
 [وهو بين عمودي سريره حتى رفع من داره إلى أن خرج، ومشى أمام جنازته، ثم صلى عليه
 ونزل في قبره أربعة نفر: الحارث بن أوس بن معاذ، وأسيد بن حضير، وأبو نائلة،

[(1)] وردت هذه الندبة بروايات كثيرة في كتب السيرة، وما أثبتناه هو أجودها.

[(2)] الجنازة: سرير الميت أو الميت نفسه.

(254/1)

وسلمة بن سلامة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على قدميه على قبره. ولما وضع في لحده تغير وجهه وسبح ثلاثا، فسبح المسلمون ثلاثا حتى ارتج البقيع [(1)] ، ثم كبر ثلاثا وكبر أصحابه حتى ارتج البقيع، فستل عن ذلك فقال: تضايق على صاحبكم قبره، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد، ثم فرج الله عنه. وجاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد وقالت: احتسبك عند الله. وعزاها [(2)] رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره. وجلس ناحية والمسلمون يردون تراب القبر حتى سوي ورش الماء عليه، ثم وقف صلى الله عليه وسلم فدعا، ثم انصرف.

بلوغ خبر قريظة إلى يهود بني النضير

وسار حسيل بن نوية الأشجعي يومين حتى قدم خيبر، فأعلم سلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، ويهود بني النضير، ويهود خيبر بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل مقاتلة قريظة صبرا بالسيف، وسبي النساء والذرية، فقال سلام بن مشكم - وكانت له رئاسة بني النضير بعد يوم بعث [(3)] - : هذا كله عمل حبي بن أخطب، لا قامت يهودية بالحجاز أبدا! وصاح نساؤهن وأقمن المآثم، وفرغت اليهود إلى سلام ليروا رأيه. فأشار عليهم يسيروا معه، ويهود تيماء وفدك ووادي القرى - ولا يجلبوا معهم أحدا من العرب - حتى يغزوا محمدا في عقر داره، فوافقوا على ذلك.

زواجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
وفي هذه السنة الخامسة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، في قول طائفة.

فرض الحج

وفيها فرض الحج، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان، وقيل غير ذلك.

[(1)] البقيع: بقيع الغرقد، وهو مدافن أهل المدينة.

[(2)] في (خ) «وعزها» .

[(3)] في (خ) «يغات» .

(255/1)

سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان ابن خالد بن نبيح الهزلي
ثم كانت سرية عبد الله بن أنيس بن أسعد [(1)] بن حرام بن حبيب بن مالك ابن غنم بن
كعب بن تميم بن نفاثة بن إياس [(2)] بن يربوع بن البرك بن وبرة [ويعرف بالجهني وليس
بجهني، ولكنه من وبر قضاة وجهينة أيضا من قضاة] [(3)] - إلى سفيان بن خالد بن نبيح
الهزلي، ثم اللحياني.

خروجه إليه وسببه

خرج إليه يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس أربعة وخمسين شهرا [(4)] ، فغاب
اثنتي عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم.
وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سفيان بن خالد بن نبيح الهزلي ثم اللحياني نزل عرنة
وما حولها في ناس فجمع لحره، وضوى إليه بشر كثير من أفناء العرب. فبعث عبد الله بن أنيس
وحده ليقتله، وقال له: انتسب إلى خزاعة.

صفة ابن نبيح

(فقال عبد الله بن أنيس: يا رسول الله، انعت لي حتى أعرفه) [(5)] ، قال:
إذا رأيته هبته، وفرقت منه، وذكرته الشيطان، وآية (ما بينك وبينه) [(6)] أن تجد له قشعريرة
إذا رأيته، وأذن له أن يقول ما بدا له،
وكان أنيس [(7)] لا يهاب

[(1)] في (خ) «ابن إسحاق» .

[(2)] في (خ) «أنيس» .

[(3)] ما بين القوسين في (خ) بعد قوله «الهذلي ثم اللحياني» وهذا هو حق مكانه.

[(4)] وهي رواية (الواقدي) في ج 2 ص 531، وذكر في (تلقيح الفهوم) ص 56، «خرج

من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجر رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وذكره أيضا (ابن سعد) ج 2 ص 50 وهو الصواب.
[(5)] زيادة للسياق من (الواقدي) ج 2 ص 532 و (ابن سعد) ج 2 ص 51.
[(6)] في (خ) «وآية ذلك تجد» وفي (الواقدي) ج 2 ص 532: «آية بينك وبينه» وما
أثبتناه من (ط) فهو أدلّ على السياق.
[(7)] كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج 2 ص 532 و (ابن سعد) ج 2 ص 51 «وكننت لا
أهاب الركال» ولعلها في (خ) «وكان ابن أنيس» وكلمة «ابن» ساقطة من الناسخ.

(256/1)

الرجال. فأخذ سيفه وخرج، حتى (إذا) [(1)] كان ببطن عرنة لقي سفيان يمشي:
ووراءه الأحابيش، فهابه، وعرفه بالنتع الذي نعت له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم. وقد
دخل وقت العصر، فصلى وهو يمشي يومئ إيماء برأسه، فلما دنا منه قال: من الرجل؟ قال:
رجل من خزاعة، سمعت لجمعك ل محمد فجتتك لأكون معك.
ومشى معه يحدّثه وينشده، وقال: عجبنا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث، فارق الآباء
وسفه أحلامهم! فقال سفيان: لم يلق محمد أحدا يشبهني! حتى انتهى إلى خبائه وتفرّق عنه
أصحابه. فقال: هلمّ يا أخا خزاعة.

قتل سفيان بن خالد

فدنا منه وجلس عنده حتى نام الناس، فقتله وأخذ رأسه واختفى في غار، والحيل تطلبه في كل
وجه، ثم سار الليل وتوارى في النهار إلى أن قدم المدينة ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في
المسجد فقال: أفلح الوجه! قال: أفلح وجهك يا رسول الله! ووضع الرأس بين يديه، وأخبره
الخبر، فدفع إليه عصا وقال: تخصّر [(2)] بهذه في الجنة، فإن المتخصّرين [(2)] في الجنة
قليل،
وكانت عنده حتى أدرجت في أكفانه بعد موته.

غزوة القرطاء

ثم كانت غزوة القرطاء من بني بكر [(3)] بن كلاب، بناحية ضريبة بالبكرات، وبين ضريبة
والمدينة سبع ليال. خرج فيها محمد بن مسلمة لعشر خلون من المحرم، فغاب تسع عشرة ليلة،

وقدم لليلة بقيت من المحرم. وكان في ثلاثين رجلا، فسار الليل وكمن [(4)] النهار [حتى إذا] [(5)] كان بالشربة [(6)] لقي ظعنا من محارب، فأغار عليهم. وقتل نفرا منهم وفرّ سائرهم، واستاق نعما وشاء، ومضى. وقدّم عباد ابن بشر عينا لينظر بني بكر بن كلاب. فلما أتاه بخبرهم شنّ الغارة عليهم، وقتل منهم عشرة، واستاق النعم، والشاء، وقدم المدينة، وهي خمسون ومائة بعير،

[(1)] زيادة السياق.

[(2)] اختصر فلان: أمسك المخصرة واختصر بما: اعتمد عليها. والمخصرة: ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها.

(المعجم الوسيط) ج 1 ص 237.

[(3)] في (خ) «من بني أبي بكر»

[(4)] في (خ) «وأكمن»

[(5)] زيادة للسياق.

[(6)] الشربة: قال الأصمعي: الشربة وادي الرمة يقع بين عدنة والشربة (معجم البلدان) ج 3 ص 333 وضربة: قرية في طريق مكة من البصرة من نجد (المرجع السابق) ج 3 ص 457 وهي في (خ) «الشربة» .

(257/1)

وثلاثة آلاف شاة، فخمّس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقسم ما بقي، فعَدّل الجزور بعشر من الغنم.

غزوة بني لحيان

ثم كانت غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة، بناحية عسفان [(1)] . خرج فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهُلال ربيع الأول سنة ست في مائتي رجل، ومعهم عشرون فرسا، يريد بني لحيان ليأخذ بثأر أصحاب الرجيع، فعسكر من ناحية الجزف في أول نهاره، وأظهر أنه يريد الشام، ثم راح مبردا حتى انتهى إلى حيث كان مصاب عاصم بن ثابت وأصحابه بين أمج وعسفان ببطن عران [(2)] ، وبينها وبين عسفان خمسة أميال. وقد هرب بنو لحيان، فأقام يوما أو يومين وبث السرايا فلم يقدر على أحد. فأتى عسفان في مائتي راكب من أصحابه، ثم

بعث فارسين حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا. وقال الواقدي [(3)] : بعث أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس فبلغ كراع الغميم ورجع. ولم يلق أحدا. فقال صلى الله عليه وسلم: إن هذا يبلغ قريشا فيذعرهم، ويخافون أن نكون نريدهم. وكان خبيب بن عدي يومئذ في أيديهم، فخافوا أن يكون قد جاء ليخلصه. وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقد غاب أربع عشرة ليلة وكان يخلفه على المدينة ابن أم مكتوم.

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال في منصرفه إلى المدينة: آتبون تائبون عابدون، لربنا حامدون. اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة على الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال. اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ إلى خير، مغفرة منك ورضوانا، وهذا أول ما قال هذا الدعاء [(4)] .

وصحح جماعة أن غزوة بني لحيان هذه كانت بعد قريظة بستة أشهر، وأنها كانت في جمادى الأولى. وصحح ابن حزم أنها في الخامسة.

[(1)] قال السكري: عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة المنورة والرحفة على ثلاث مراحل، غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوما (معجم البلدان) ج 4 ص 122.

[(2)] في (خ) «غشران» .

[(3)] في (المغازي) ج 2 ص 536.

[(4)] ذكره النووي في (الأذكار) ص 198، 103، وابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج 3 ص 83 وغيرهما.

(258/1)

غزوة الغابة

وكانت غزوة الغابة. ويقال: غزاة ذي قره [ويقال: قرد بضمين] ، وهو ماء على بريد من المدينة، في ربيع الأول. وقال ابن عبد البر [(1)] : كانت بعد لحيان بليال. وقال البخاري: كانت قبل خيبر بثلاثة أيام [(2)] ، وفي مسلم نحوه [(3)] ، وفيه نظر لإجماع أهل السير

على خلافه [(4)] .

سببها

وسببها: أن لقاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكانت عشرين لقحة [(5)] : منها ما أصاب في ذات الرقاع: ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد - وكانت ترعى البيضاء فقربوها إلى الغابة، وكان الراعي يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب. فاستأذن أبو ذر جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار الغفاري، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخروج إلى لقاحه،

فقال: إني أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير [(6)] عليك، ونحن لا نأمن عينه بن حصن وذويه. وهو في طرف من أطرافهم، فلما ألح عليه أبو ذر رضي الله عنه قال: لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك، وجئت تتوكأ على عصاك.

ليلة السرح

فلما كانت ليلة السرح، جعلت سبحة فرس المقداد بن عمرو لا تقرّ ضربا

[(1)] في (خ) «أبو عبيد البر» .

[(2)] (صحيح البخاري) ج 3 ص 48، فتح الباري ج 7 ص 460.

[(3)] (شرح صحيح مسلم للنووي) ج 12 ص 173 وما بعدها.

[(4)] يقول (ابن جرير الطبري): «وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مقدمة المدينة، منصرفا من مكة عام الحديبية، فإن كان ذلك

صحيحا، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع إما في ذي الحجة من سنة ست من

الهجرة، وإما في أول سنة سبع، وذلك أن انصراف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى

المدينة عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة، وبين الوقت الذي وقته ابن

إسحاق لغزوة ذي قرد والوقت الذي روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر» (تاريخ

الطبري) ج 2 ص 596.

[(5)] اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (المعجم الوسيط) ج 2 ص 834.

[(6)] في (خ) «نغيره» والتصويب في (الواقدي) ج 2 ص 538.

بيديها وصهيلًا، فيقول أبو معبد: والله إن لها لشأنًا! فينظر آريتها [(1)] فإذا هو مملوء علفًا. فيقول: عطشى! فيعرض الماء عليها فلا تريده، فلما طلع الفجر أسرجها ولبس سلاحه وخرج، حتى صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلم ير شيئًا. ودخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته، ورجع المقداد إلى بيته، وفرسه لا تقرّ، فوضع سرجه وسلاحه واضطجع. فأتاه آت فقال: إن الخيل قد صبح بها [(2)] !.

غارة ابن عيينة على السرح

وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روّحت وعطنت وحلبت عتمتها [(3)] ، وأحدق عبد الرحمن بن عيينة بن حصن في أربعين فارسًا من بني عبد الله بن غطفان، [وذكر ابن الكلبي أن الذي أغار على سرح المدينة عبد الله بن عيينة بن حصن] . وهم نيام. فأشرف لهم ابن أبي ذر فقتلوه وساقوا اللقاح. فجاء أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فتبسّم.

خبر سلمة بن الأكوع

وكان سلمة بن عمرو [بن] [(4)] الأكوع- [واسمه سنان] [(4)] بن عبد الله ابن قشير بن خزيمية بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي قد غدا إلى الغابة للقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم [بفرس لطلحة بن عبد الله] [(5)] لأن يبلغه [(6)] لبنها، فلقي غلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه- وكان في إبله فأخطئوا مكانها، فأخبره أن لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغار عليها ابن عيينة في أربعين فارسًا. وأنهم رأوا إمدادا بعد ذلك أمدّ به ابن عيينة، فرجع سلمة إلى المدينة وصرخ على ثنية الوداع بأعلى صوته! يا صباحاه! ثلاثًا، ويقال نادى: الفرع الفرع! ثلاثًا.

[(1)] الآري: محبس الدابة ومربطها ومعلقها (المعجم الوسيط) ج 1 ص 14.

[(2)] صبح بها: أغبر عليها صباحًا (المعجم الوسيط) ج 1 ص 505.

[(3)] روّحت: ردت إلى مكان مبيتها وعطنت: سعت ورجعت إلى مأواها، والعمته: ثلث الليل الأول، وهو ووقت حليبها، فسّمى اللبن باسم وقت حلبة.

[(4)] زيادة لا بد منها.

[(5)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 82.

[(6)] هذه الكلمة في (ط) «لبلينه» وما أثبتناه من (خ) وهي في (الواقدي) ج 2 ص 539

على لسان سلمة ابن الأكوع: «لأن أبلغه لبنها»، ومع ذلك يقول محقق (ط): «ولم أجد الكلمة في خبر من أخبار سلمة بن الأكوع» وللحق: فإن رسم هذه الكلمة في (خ) «يبلعنه».

(260/1)

ووقف على فرسه حتى طلع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديد مقنعا، فوقف واقفا.
و]

قيل: ركب فرسا عريا لأبي طلحة يقال له مندوب، فلما انصرف قال: إن وجدناه لبحرا
[(1)] .

نداء الفرع ليلة السرح

[ونودي يا خيل الله اركبي! وكان أول ما نودي بها] [(2)] ، فكان [(3)] أول من أقبل إليه
المقداد بن عمرو وعليه السلاح شاهرا سيفه. فعقد له لواء على رمحه وقال:
امض حتى تلحقك الخيول، إنا على أترك. فخرج حتى أدرك أخريات العدو، فظفر له بفرس.
وأدرك مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري فتطاعنا برمحيهما، ثم فرّ مسعدة.
فنصب مقداد اللواء، ولحقه أبو قتادة - معلما بعمامة صفراء على فرس له - فتسايرا ساعة،
فاستحث أبو قتادة فرسه حتى غاب، وقد أدرك مسعدة فقتله.
وخرج سلمة بن الأكوع على رجليه يعدو، يسبق الخيل، حتى لحق العدو فرماهم بالنبل والخيول
تكر عليه وهو يقول:
خذها وأنا ابن الأكوع ... اليوم يوم الرضع
[حتى انتهى إلى ذي قرد وقد استنفذ منهم جميع اللقاح وثلاثين بردة، قال سلمة:..

وصول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذي قرد

فلحقنا] [(4)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخيول عشاء، وكانوا ثمانية أفراس، وكان

[(1)] ما بين القوسين زيادة في (خ) ولعلها خطأ من الناسخ وحذفها أولى، لأن خبر أبي طلحة
ليس في هذه الغزوة.

[(2)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 80 و (زاد المعاد) ج 3 ص 278.

[(3)] في (خ) «وكان» والصواب ما أثبتناه من: (تاريخ الطبري) ج 2 ص 601، (زاد المعاد)

ج 2 ص 278، (المغازي) ج 2 ص 539.

[(4)] ما بين القوسين زيادة من: (زاد المعاد) ج 3 ص 278، وسياقه مضطرب في (خ) فبعد قوله: «اليوم يوم الرضع» ما يأتي: «حتى لحقهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم والخيول عشاء، وكانوا ثمانية أفراس، وكان المقداد أمير الفرسان حتى لحقهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بذي قرد» راجع (ابن سعد) ج 2 ص 81. و (الواقدي) ج 2 ص 541.

(261/1)

المقداد أمير الفرسان [وقيل: بن أميرهم سعد بن زيد الأشهلي] [(1)] .
فقال سلمة:

يا رسول الله! إن القوم عطاش، وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما بين أيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم! فقال:
ملكنت فأسجح [(2)] ! ثم قال: [إنهم الآن] [(3)] ليقرون [(4)] في غطفان.
وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي، والرجال على أقدامهم، و [على] [(5)] الإبل، والقوم يعتقبون البعير والحمار، حتى انتهوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بذي قرد، فاستنقذوا عشر لقاح- منها جمل أبي جهل- وأفلت القوم بعشر [(6)] .

ذكر القتلى

وكانت راية رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم العقاب يحملها سعد، وكان قد أدرك محرز، نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمية- القوم بھيفا [(7)] ، فطاعنهم ساعة [(8)] بالرمح فقتله مسعدة بن حكمة. وأقبل عباد بن بشر

[(1)] في (خ) «مسعدة بن زيد» والصواب ما أثبتناه من (ابن سعد) ج 2 ص 81. و (الواقدي) ج 2 ص 541، يقول (ابن سعد) والثابت عندنا أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أمر على هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي، ولكن الناس نسبوها إلى المقداد لقول حسان بن ثابت:

سرّ أولاد اللقيطة أننا ... سلم غداة فوارس المقداد
راجع (ديوان حسان) ص 326.

[(2)] الإسجاح: حسن العفو، أي ملكت الأمر على فأحسن العفو عني، وأصله السهولة والرفق، وهو مثل يضرب لذلك: (مجمع الأمثال للميداني) ج 1 ص 460، ج 2 ص 248 مثل رقم 1629.

[(3)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 84 (وزاد المعاد) ج 3 ص 279.

[(4)] من القرى، وهو ما يقدم للضيف.

[(5)] زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) ج 2 ص 542، (وزاد المعاد) ج 3 ص 279 بدون هذه الزيادة.

[(6)] يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج 3 ص 279: «قلت: وهذا غلط بين، والذي في الصحيحين:

أنهم استنفذوا اللقاح كلها» ولفظ مسلم في صحيحه ج 12 ص 179 (بشرح النووي) «حتى ما خلق الله من يعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري، وخلّوا بيني وبينه» .

[(7)] في (خ) و (المغازي) «بهيقا» وهو خطأ قد صححه محقق (المغازي) وصوابه: «بهبفا» وهيذا:

موضع على ميل من بئر المطلب (وفاء ألوفا) ج 2 ص 387، وقد ذكر محقق (ط) في (المستدرک) أن هذا الموضوع لم يذكره أحد من أصحاب كتب البلدان.

[(8)] في (خ) «ساعد» هكذا مشكولة وهو خطأ، وما أثبتناه من (المغازي) ج 2 ص 548.

(262/1)

على أوبار بن عمرو بن أوبار [(1)] وقاتله، فقتله عباد، وقيل: بل قتله عكاشة بن محصن.

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة لما أدركه فقال: اللهم بارك له في شعره، وبشره.

وقال: أفلح وجهك! فقال: ووجهك يا رسول الله! ثم قال: قتلت مسعدة؟ قال: نعم! قال: ما

هذا بوجهك؟ قال: سهم رميت به يا رسول الله! قال: فادن مني! فدنا منه فبصق عليه فما

ضرب عليه قطّ ولا قاح [(2)]

فمات أبو قتادة، وهو ابن سبعين سنة، وكأنه ابن خمس عشرة [(3)] سنة،

وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فرس مسعدة وسلاحه وقال: بارك الله لك فيه.

أصحاب الخيل

واستعمل صلى الله عليه وسلم يومئذ على الخيل سعد بن زيد الأشهلي وقدمه أمامه، فلحق القوم وناوشهم ساعة: هو والمقداد بن عمرو، ومعاذ بن معص، وأبو قتادة، وسلمة بن الأكوع، فحمل سعد على حبيب بن عيينة بن حصن فقتله وأخذ فرسه، وقيل: قتل حبيب بن عيينة المقداد. وكان شعار المسلمين يومئذ: أمت أمت.

صلاة الخوف

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة الخوف: فقام إلى القبلة وصف طائفة خلفه، وطائفة مواجهة العدو، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدتين ثم انصرفوا. وقاموا مقام أصحابهم، وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجدتين وسلم، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان، ولكل رجل من الطائفتين ركعة.

[(1)] كذا في (خ) ، وفي (خ) «آثار» وفي المغازي ج 1 ص 543 «أونار» .

[(2)] كذا في (خ) وفي (المغازي) ج 2 ص 545 والقيح: المدة لا يخالطها دم، قاح الجرح يقيح (ترتيب القاموس) ج 3 ص 721 وفي (ط) «فاح» بالفاء، وقد ذكر محقق (ط) أن هذا صوابها.

[(3)] في (خ) «خمسة عشر سنة» .

(263/1)

تاريخ الغزوة

وكانت غزاة ابن عيينة ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ست. فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأقام بذي قرد يوما وليلة. وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها، وكانوا خمسمائة، ويقال: كانوا سبعمائة.

حراسة المدينة وإمداد سعد بن عبادة المسلمين

وأقام سعد بن عبادة- في ثلاثمائة من قومه- يجرسون المدينة خمس ليال حتى رجع صلى الله عليه

وسلم ليلة الاثنين. وأمدّ المسلمين سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر، ويعشر جزائر بذي قرد: وبعث بذلك مع ابنه قيس بن سعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس! بعثك أبوك فارسا، وقرى المجاهدين، وحرس المدينة من العدو! اللهم ارحم سعدا وآل سعد! ثم قال: نعم المرء سعد بن عبادة! فقالت الأنصار:

يا رسول الله، هو بيننا وسيدنا وابن سيدنا. كانوا يطعمون في الخل [(1)] ، ويحملون الكل [(2)] ، ويقرون الضيف، ويعطون في النائية، ويحملون عن العشيرة [(3)] . فقال: خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين.

الرجوع إلى المدينة وخبر امرأة أبي ذر

ورجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليلة الاثنين وقد غاب عنها خمس ليال. فأقبلت امرأة أبي ذر على ناقته القصواء. - وكانت في السرح- فدخلت عليه فأخبرته من أخبار الناس، ثم قالت: يا رسول الله! إني نذرت إن نجاني الله عليها أن أنحرها فأكل من كبدها وسنامها! فتبسم وقال: بنس ما جزيتها! أن حملك الله عليها ونجاك [بها] [(4)] ثم تنحريتها! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي، فارجمي إلى أهلك على بركة الله.

[(1)] الخل: محل المكان: أجذب (المعجم الوسيط) ج 2 ص 756.

[(2)] الكل: الفقير المعدم.

[(3)] من الحمالة: وهي الدية والغرامة.

[(4)] زيادة من ابن هشام ج 3 ص 179، وفي (خ) (المغازي) بدونها.

(264/1)

خبر الهدية

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه لقحتك السمراء على بابك، فخرج مستبشرا، فإذا رأسها بيد ابن أخي عيينة بن حصن، فلما نظر عرفها، فقال: أيم بك [(1)] ؟ فقال: يا رسول الله! أهديت إليك هذه اللقحة، فتبسم وقبضها منه، وأمر له بثلاثة أواق فضة، فتسخط، فصلى عليه السلام الظهر وصعد المنبر فحمد الله، ثم قال: إن الرجل أهدى لي الناقة من إبلي، أعرفها كما أعرف بعض أهلي ثم أثيبه عليها، فيظل يتسخط علي! ولقد هممت ألا

أقبل هدية إلا من قريشي أو أنصاري.
وفي رواية [(2)] : أو ثقفني أو دوسي.

بعض تاريخ الغزوة

ووقع في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع في هذه القصة قال: فرجعنا إلى المدينة فلم نلبث إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر. وذهب قوم إلى غزوة المريسيع كانت في شعبان، بعد غزوة الغابة هذه [(3)] .

يا خيل الله اركبي

وفي غزوة الغابة نودي عند ما جاء الفرع: يا خيل الله اركبي: ولم يكن يقال قبلها.

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر

ثم كانت سرية عكاشة بن محصن بن حريثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمه- الأسدي- إلى الغمر: وهو ماء لبني أسد على ليلتين من قيد [(4)] في ربيع الأول سنة ست. فخرج في أربعين رجلا يغذ السير، فنذر به القوم فهربوا، وانتهى إلى علياء بلادهم فلم يلق أحدا. وبث سراياه فظفروا

[(1)] يريد: أي شيء بك؟

[(2)] عن أبي هريرة، ذكرها (الواقدي) ج 2 ص 549.

[(3)] يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج 3 ص 279: «وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية، وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي والسير، فذكروا أنها قبل الحديبية» .

[(4)] قيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان) ج 4 ص 282.

(265/1)

بنعم فاستاقوا مائتي بعير وعادوا.

سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

ثم كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة- موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرين ميلا-

يريد بني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة [(1)] : وهم مائة رجل، في ربيع الأول، فسار في عشرة حتى وردوا ليلا وناموا، فأحاط بهم المائة رجل من بني ثعلبة ففزعوا، وراموهم ساعة بالنبل، ثم حملت الأعراب بالرماح عليهم فقتلوهم، وسقط محمد بن مسلمة جريحا، فحمل بعد ذلك إلى المدينة.

سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

ثم كانت سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست. خرج في ليلة السبت ومعه أربعون رجلا، فغاب ليلتين، وكانت بلاد بني ثعلبة وأثمار قد أجدبت، فاتبعت بنو محارب وثعلبة وأثمار سحابة وقعت بالمراس إلى تغلمين، [والمراس على ستة وثلاثين ميلا من المدينة] ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة ببطن هيفاء [(2)] : [موضع على سبعة أميال من المدينة] . فبعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أبا عبيدة رضي الله عنه بمن معه بعد ما صلوا صلاة المغرب: فمشوا ليلهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح [(3)] ، فأغاروا على القوم فأعجزوهم هربا، وأخذوا رجلا، واستاقوا نعما، ووجدوا رثة من متاع، وعادوا، فخمس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الغنيمة، وقسم باقيها. وأسلم الرجل وترك لحاله.

سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وكانت سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى العيص: على أربع ليال من المدينة، في جمادى الأولى منها، ومعه سبعون ومائة راكب، ليأخذوا عيرا لقريش قد أخذت طريق العراق. ودليلها فرات بن حيان العجليّ. فظفر بها زيد، وأسر أبا العاص بن الربيع، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص، ووجد فضة كثيرة لصفوان

[(1)] في (خ) «تغلب»

[(2)] في (خ) «هيفاء»

[(3)] عماية الصبح: بقية الظلمة في آخر الليل.

(266/1)

ابن أمية. وقدم المدينة، فأجازت زينب [بنت رسول الله] [(1)] عليها السلام زوجها أبا العاص.

إسلام أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المؤمنون يد علي من سواهم، يجير عليهم أذنهم، وقد
أجرنا من أجات: ورد عليه كل ما أخذ من المال.
فعاد إلى مكة وأدى إلى كل ذي حقّ حقه، وأسلم. ثم قدم المدينة مهاجرا، فرد رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلم عليه زينب بذلك النكاح.

إفلات المغيرة بن معاوية من أسر عائشة رضي الله عنها
وأفلت المغيرة بن معاوية فتوجه إلى مكة، فأخذه خوات بن جبير أسيرا- وكان في سبعة نفر مع
سعد بن أبي وقاص- فدخلوا به المدينة بعد العصر،
فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رضي الله عنها: احتفظي عليك بهذا الأسير،
وخرج.
فلهت عائشة مع امرأة بالحديث، فخرج وما شعرت به.

خبر دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عائشة رضي الله عنها
فدخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يره وسأها، فقالت: غفلت عنه، وكان هاهنا آنفا! فقال:
قطع الله يدك. وخرج فصاح بالناس، فخرجوا في طلبه حتى أخذوه وأتوا به. فدخل صَلَّى اللهُ
عليه وسلم على عائشة وهي تقلّب يدها فقال: مالك؟ قالت: انظر كيف تقطع يدي! قد دعوت
عليّ بدعوتك! فاستقبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القبلة ورفع يديه ثم قال:
اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ وَأَسْفُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ فَاجْعَلْهَا
لَهُ رَحْمَةً [(2)] .

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وكانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف- ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، بناحية نخل من
طريق العراق- في جمادى الآخرة منها، ومعه خمسة عشر

[(1)] زيادة للإيضاح.

[(2)] راجع ج 2 من هذا الكتاب باب «وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه لم سب من أمته
أجرا» .

رجلا يريد بني ثعلبة، فأصاب لهم نعمًا وشاء. وقدم من غير قتال بعشرين بعيرا، ثم غاب أربع ليال.

سرية زيد بن حارثة إلى حسمي وسببها

وكانت سرية زيد أيضا إلى حسمي وراء وادي القرى، في جمادى الآخرة هذا. وسببها أن دحية الكلبي أقبل من عند قيصر ملك الروم بجائزة وكسوة، فلقيه بحسمي الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد في جمع من جذام، فأخذوا ما معه.

ودخل المدينة بسمل [(1)] ثوب، [ويقال: بل نفر إليه النعمان بن أبي جعال في نفر من بني الضبيب فخلص له متاعه بعد حرب] . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا على خمسمائة رجل ومعه دحية، فكان يسير ليلا ويكمن نهارا، حتى هجم مع الصبح على الهنيد وابنه فقتلها، واستاق ألف بعير وخمسة آلاف شاة، ومائة ما بين امرأة وصبي. فأدركه بنو الضبيب - وقد كانوا أسلموا وقرءوا من القرآن - وحدّثوه أن يرد عليهم ما أخذ. ثم قدم زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فذكر له ما صنع زيد بن حارثة، ورضوا بأخذ ما أصاب لهم من الأهل والمال، وأغضوا عمّن قتل. فبعث معهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه سيفه أمارة - ليردّ عليهم زيد ما أخذ منهم - فردّ جميع ذلك بعد ما فرّقه فيمن معه، وقد وطئوا النساء.

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل يدعوهم إلى الإسلام

وكانت سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى كلب بدومة الجندل في شعبان منها [(2)] ، ليدعوا كلبا إلى الإسلام، ومعه سبعمائة رجل. فأقعدته بين يديه، ونقض عمامته بيده الكريمة، صلى الله عليه وسلم، ثم عمّمه بعمامة سوداء وأرّخى بين كتيفيه منها، ثم قال: هكذا فاعتم يا ابن عوف! ثم قال صلى الله عليه وسلم: أغد باسم الله وفي سبيل الله. فقاتل من كفر بالله. لا تغلّ ولا تغدر ولا تقتل وليدا.

[(1)] ثوب سمل: بال خلق.

[(2)] من سنة ست.

الخمس المهلكات

ثم بسط يده فقال: يا أيها الناس! اتقوا خمسا قبل أن تحلّ بكم: ما نقص [(1)] مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين [(2)] ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون، وما نكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عنهم فطر السماء: ولولا البهائم لم يسقوا، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون، وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا ألبسهم شيئا [(3)] وأذاق بعضهم بأس بعض.

إسلام الأصبغ ملك كلب، وزواج عبد الرحمن ابن عوف تماضر ابنته

فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل، ودعا أهلها ثلاثة أيام إلى الإسلام وهم يأبون إلا محاربتة. ثم أسلم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم الكلبي: وكان نصرانيا وهو رأس القوم،

فكتب عبد الرحمن بن عوف بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رافع بن مكيث، وأنه أراد أن يتزوج فيهم، فكتب إليه أن تزوج تماضر ابنة الأصبغ، فتزوجها، فهي أول كلبية تزوجها قرشي، فولدت له أبا سلمة، [العقبة] [(4)]. [وهي أخت النعمان بن المنذر لأمه].

وأقبل بعد ما فرض الجزية على من أقام على دينه.

سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر [(5)]

[(1)] كذا في (خ) و (ط) وفي (الواقدي) ج 2 ص 561 «ما يقضى» .

[(2)] السنين جمع سنة، وهي القحط والجذب.

[(3)] أي مختلفين المتباعدين، إشارة إلى قوله تعالى: أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ من الآية 65/ الأنعام.

[(4)] هكذا رسم هذه الكلمة في (خ) والسياق مستقيم بدونها وحذفها أولى.

[(5)] في (خ) «بني عبد الله سعد بن بكر» والذي أثبتناه من: (الواقدي) ج 2 ص 562، و

(ابن سعد) ج 2 ص 89.

وكانوا بفدك [(1)] في شعبان منها، ومعه مائة رجل. وقد أجمعوا [يعني بني سعد ابن بكر] [(2)] على أن يمدوا يهود خيبر. فسار ليلاً وكمن نهاراً، حتى [إذا] [(2)] انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك يقال له: الهمج، وجد عينا لبني سعد قد بعثوه إلى خيبر - لتجعل لهم يهود من ثمرها كما جعلوا لغيرهم، حتى يقدموا عليهم - فدلهم على القوم بعد ما أمتنوه. فسار عليّ حتى أغار على نعمهم وضمّهم، وفرت رعاتها فأندرت القوم. وقد تجمّعوا مائتي رجل، وعليهم وبر بن عليم [(3)] ، فتفرقوا. وانتهى عليّ بمن معه فلم ير منهم أحداً، وساق النعم: وهي خمسمائة بعير وألفا شاة، فعزل الخمس وصنّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقوحا تدعى (الحفدة) [(4)] ، ثم قسم ما بقي، وقدم المدينة.

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة [(5)] ، وسببها

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، بناحية وادي القرى: على سبع ليال من المدينة، في رمضان سنة ست، وسببها أن زيدا خرج في تجارة إلى الشام، [ومعه بضائع لأصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم] [(6)] ، فخرج عليه - دوين وادي القرى - ناس من بني بدر من فزارة فضربوه، ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوه، وأخذوا ما كان معه، ثم تحامل حتى قدم المدينة. فبعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سرية إلى بني فزارة، فكان يكمن نهاره ويسير ليله، ونذرت بهم بنو بدر فاستعدّوا، فلما كان زيد ومن معه على مسيرة ليلة أخطأ بهم دليلهم الطريق، حتى صبحوا القوم فأحاطوا بهم، فقتل سلمة بن الأكوع رجلاً منهم، وأخذ [سلمة بن] [(7)] سلامة بن وقش، [ويقال: بل سلمة بن الأكوع، واسم

[(1)] فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة. (معجم البلدان) ج 4 ص 238.

[(2)] زيادة للبيان والإيضاح.

[(3)] في (خ) «وبرب عليم» والتصويب من: (ابن سعد) ج 2 ص 90 و (الواقدي) ج 2 ص 562.

[(4)] كذا في (خ) ، و (ابن سعد) ج 2 ص 90 وفي (الواقدي) ج 2 ص 563: «الحفدة» مضبوطة.

[(5)] قال (الميداني) في (مجمع الأمثال) ج 2 ص 323: قال الأصمعي: هي امرأة فزارية،

وكانت تحت مالك بن حذيفة بن بدر وكان يعلّق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً كلهم محرّم» ذكره تعليقا على المثل رقم 164 وهو: «أمنع من أمّ قرفة» وفي (جمهرة الأمثال) (لأبي هلال العسكري): رقم 1244 «أعزّ من أمّ قرفة» ج 2 ص 66.
[(6)] زيادة للبيان والإيضاح من (ابن سعد) ج 2 ص 90.
[(7)] زيادة لا بد منها.

(270/1)

الأكوع سنان] ، جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وأُمّها أمّ قرفة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وغنموا. ثمّ قدموا المدينة، ففرع زيد بن حارثة الباب، فقام إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يجرّ ثوبه عربانا حتى اعتنقه وقبله، وساءله، فأخبره بما ظفّره الله.
وقتل في هذه السرية عبد الله بن مسعدة، وقيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك [بن حذيفة] [(1)] بن بدر، أحد بني قرفة. وأمّ قرفة قتلها قيس ابن المحسر [اليعمري] [(2)] قتلا عنيفا: ربط بين رجلها حبلا، ثمّ ربطها بين بعيرين [ثمّ زجرهما فذهبا فقطعاها] [(3)] وهي عجوز كبيرة. فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم برأسها فدير به في المدينة ليعلم قتلها، ويصدق
قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قوله لقريش: «أرايتم إن قتلتم أمّ قرفة؟ فيقولون: أيكون ذلك؟»

وكان زوجها مالك بن حذيفة ابن بدر. وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من سلمة بن الأكوع ابنة أمّ قرفة، فوهبها لحزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي مشركة وهو مشرك، فولدت له عبد الرحمن بن حزن، وكانت جميلة.

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم اليهودي بخيبر
ثمّ كانت سرية أميرها عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم [(4)] بخيبر، وكان من يهود، في شوال سنة ست. وكان قد بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك في رمضان في ثلاثة نفر ينظر إلى خيبر وما تكلم به يهود، فوعى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيام، فقدم لليال بقين منه، فأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما ندبه إليه.

خبر أسير بن زارم

وكان أسير قد تأمر على يهود بعد أبي رافع، فقام فيهم يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار في غطفان فجمعها ليسير إلى المدينة، فقدم بخبره خارجة بن حنبل

[(1)] زيادة من النسب.

[(2)] في (ابن هشام) ج 4 ص 195: «قيس بن المسحر اليعمري» وفي (الواقدي) ج 2 ص 565 «قيس بن المحسّر» .

[(3)] زيادة لتمام المعنى من المرجع السابق ومن (الطبراني) ج 2 ص 642، 643.

[(4)] وفي بعض كتب السيرة «رازم» وفي (ابن هشام) «اليسير بن رازم» ج 4 ص 196.

(271/1)

الأشجعي [(1)] . فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فانتدب له ثلاثون رجلا، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. فقدموا خيبر، وبعثوا إلى أسير فأمنهم حتى يأتوه [(2)] ، فيما جاءوا فيه، فأتوه وقالوا له: إن رسول الله قد بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك. فطمع في ذلك، وخرج في ثلاثين من يهود، ثم ندم في أثناء الطريق حتى عرف ذلك منه.

غدره لليهودي

وهم بعبد الله بن أنيس - وكان فيمن خرج مع ابن رواحة - ففطن عبد الله بغدره وبادر ليقتله، فشجّه أسير ثم قتل. ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم، إلا رجلا واحدا فرّ منهم، ولم يصب أحد من المسلمين. وقداموا المدينة - وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحسب أخبارهم - فحدثوه الحديث،

فقال: نجاكم الله من القوم الظالمين - ونفت في شجة عبد الله بن أنيس فلم تفتح [(3)] بعد ذلك ولم تؤذ، وكان العظم قد نقل. ومسح على وجهه ودعا له، وقطع له قطعة من عصاه فقال:

أمسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها، فإنك تأتي يوم القيامة متخصّرا. فجعلت معه في قبره تلي جلده، ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد قال له: يا عبد الله! لا أرى أسير بن زارم! أي اقتله.

سرية كرز بن جابر

ثم كانت سرية كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشيّ الفهريّ- لما أُغِيرَ على لقاح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْجَدْرِ - في شوال سنة ست- وهي على ستة أميال من المدينة، وذلك أن نفرا من عريضة ثمانية قدموا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فأسلموا، واستوثبوا المدينة. وطحلوا، فأمر بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (4)] إلى لقاحه- وكان سرح المسلمين بذِي الْجَدْرِ ناحية

[(1)] في (الواقدي) «ابن حسيل» وفي (خ) ، (ط) «حئيل» . ويقول محقق (ط) عن «خارجة» «ولا رأيت أحدا.

[(2)] في (خ) «حتى يأتونه» .

[(3)] كذا في (ط) وفي (خ) ، (الواقدي) «تقح» بالقاف.

[(4)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 93 واستوثبوا: استوخموا (ترتيب القاموس) ج 4 ص 554 وطحل الماء: فسد وأنتن (المرجع السابق) ج 3 ص 58.

(272/1)

قباة قريبا من غير ترعى هناك- فكانوا فيها حتى [(1)] صحوا وسمنوا- وكانوا استأذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذن لهم- فغدوا على اللقاح فاستاقوها، فيدركهم يسار مولى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه نفر فقَاتَلَهُمْ، فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، وانطلقوا بالسرح. فأقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف على حمار لها حتى تمرّ بيسار فتجده تحت شجرة، فلما رآته وما به رجعت إلى قومها فأخبرتهم، فخرجوا نحو يسار حتى جاءوا به إلى قباة ميتا.

فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثرهم عشرين فارسا، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري، فخرجوا في طلبهم حتى أدركهم الليل فباتوا بالحرّة، وأصبحوا لا يدرون أين يسلكون، فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فأخذوها، فقالوا: ما هذا معك؟

قالت: مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطوني هذا. ودلتهم على موضعهم فأتوهم. فأحاطوا بهم وأسروهم جميعهم.

عقاب الأسرى

وربطوهم وأردفوههم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة- وقد خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغابة [(2)] - فأتوه بهم. فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمل [(3)] أعينهم، وصلبوا بالزغابة.

النهي عن المثلة

فنزلت هذه الآية: **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** [(4)] فلم تسمل بعد ذلك عين، ولا بعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك بعثاً إلا نهاهم عن المثلة. وروى جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده: لم يقطع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لساناً قط، ولم يسمل عينا ولم يزد على قطع اليد والرجل.

[(1)] في (خ) «حتى إذا»، وحذف «إذا» أولى للسياق.

[(2)] في (خ) «بالغابة» .

[(3)] سمل العين: فقأها (ترتيب القاموس) ج 2 ص 617.

[(4)] في (خ) «فسادا، الآية»، والآية 33/ المائدة.

(273/1)

اللقاح

ولما ظفر المسلمون باللقاح خلفوا عليها سلمة بن الأكوع ومعه أبو رهم الغفاري. وكانت خمسة عشرة لقحة غزارا. فلما أقبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الزغابة إذا اللقاح على باب المسجد تخان [(1)] ، فلما نظر إليها تفقد منها لقحة يقال لها الحناء، وقد نخرها القوم، فردها إلى ذي الجدر فكانت هناك، وكان لبنها يروح به سلمة ابن الأكوع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل ليلة وطب [(2)] لبن.

عمرة الحديبية

ثم كانت عمرة الحديبية [على مقربة مكة] [(3)] . وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى في النوم أنه دخل البيت وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرف مع المعرفين [(4)] ،

فاستنفر أصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وتهبأوا للخروج.

إسلام بسر بن سفيان وشراؤه الهدي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وقدم عليه بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي في ليال من شوال مسلما، فقال له: يا
بسر! لا تبرح حتى تخرج معنا، فإننا إن شاء الله معتمرون.
فأقام وابتاع بدنا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يبعث بها إلى ذي الجدر حتى حضر
خروجه، فأمر بها فجلبت إلى المدينة، وسلمها إلى ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن
عمرو بن وائلة بن سهم [(5)] بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي ليقدمها إلى
ذي الحليفة.

سلاح المسلمين وهدبهم

وخرج المسلمون لا يشكون في الفتح- للرؤيا المذكورة-، وليس معهم

-
- [(1)] هذه الكلمة غير منقوطة في (خ) ولعلها «تخان» تفاعل من الحنين، وتخانّ القوم:
اشتقاق بعضهم إلى بعض (المعجم الوسيط) ج 1 ص 203.
- [(2)] الوطب: «سقاء اللبن» وهو جلد الجذع فما فوقه (المرجع السابق) ج 2 ص 1041.
- [(3)] ما بين القوسين في (خ) كان بعد قوله «وطب اللبن»، وهذا حق مكانه. والحديبية في
الحل وبعضها في الحرم، وعند مالك بن أنس أنها جميعها في الحرم. (معجم البلدان) ج 2 ص
229، 230.
- [(4)] عرّف: وقف بعرفة في الحج.
- [(5)] في (خ) «وائلة بن تيم» وما أثبتناه من (ط).

(274/1)

سلاح إلا السيوف في القرب. وساق قوم الهدي [(1)] : منهم أبو بكر، وعبد الرحمن بن
عوف، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن عباد، رضوان الله عليهم.

كلام عمر في أمر السلاح

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتخشى يا رسول الله علينا من أبي سفيان ابن حرب

وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها؟ فقال: ما أدري، ولست أحب أحمل السلاح معتمرا. وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو حملنا يا رسول الله السلاح معنا، فإن رأينا من القوم ريبا كنا معدين لهم! فقال صلى الله عليه وسلم: لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمرا.

يوم الخروج

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وخرج من المدينة يوم الاثنين لئلال ذي القعدة. هذا هو الصحيح، وإليه ذهب الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، والواقدي [(2)] ، واختلف فيه على عروة بن الزبير، فعنه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان، وكانت الحديبية في شوال [(3)] . وعنه أنها كانت في ذي القعدة من سنة ست.

بدء الجهاز للعمرة

قال الواقدي: فاغتسل في بيته، ولبس ثوبين من نسج صحار [(4)] ، وركب راحلته القصواء من عند بابه، وخرج المسلمون. فصلى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبدن فجللت [(5)] ، ثم أشعر [(6)] منها عدة- وهي موجهاً إلى القبلة- في

[(1)] الهدى: ما يهدى إلى الحرم من النعم. (المعجم الوسيط) ج 2 ص 978.

[(2)] في (المغازي) ج 2 ص 573.

[(3)] قال ابن القيم في (زاد المعاد) ج 3 ص 285، 287: «وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان» .

[(4)] صحار: قرية باليمن ينسب الثوب إليها (النهاية) ج 2 ص 12.

[(5)] من الجلل: وهو البسط أو الأكسية التي تلبسها فتصان به (ترتيب القاموس) ج 1 ص 518.

[(6)] أشعر البدنة: أعلمها، وهو أن يشق جلدها، أو يطعنها حتى يظهر الدم (ترتيب القاموس) ج 2 ص 720.

الشق الأيمن.

إشعار الهدي وتقليده

ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقي، وقلد [(1)] نعلا نعلا، وهي سبعون بدنة: منها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر. وأشعر المسلمون بدتهم، وقلدوا النعال في رقابها. وبعث بسر بن سفيان عينا له، وقدم عباد بن بشر طليعة في عشرين فرسا، ويقال: أميرهم سعد بن زيد الأشهلي.

إحرام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذي الحليفة
ثم صلى ركعتين وركب من باب المسجد بذي الحليفة [(2)] ، فلما انبعثت به راحلته مستقبلة القبلة أحرم فلبى: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» .
وأحرم عامة الناس بإحرامه.

عدد المسلمين

وسلك طريق البيداء [(3)] ، وخرج معه من المسلمين ألف وستمائة، ويقال:
ألف وأربعمائة، ويقال: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا، ويقال: ألف وثلاثمائة [(4)] .

عدد النساء

وأربع نسوة: أم سلمة أم المؤمنين، وأم عمارة، وأم منيع - أسماء بنت عمرو ابن عدي [بن سنان بن ناي] [(5)] بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارية، وأم عامر الأشهلية، وقال بعضهم: كانوا سبعمائة. قال ابن حزم:

[(1)] قَلَدَتْهَا قِلَادَةٌ: جعلتها في عنقها، ومنه تقليد البدنة شيئا بعلم به أنها هدى. (ترتيب

القاموس) ج 3 ص 674.

[(2)] في (خ) «بالحدبية» .

[(3)] البيداء: اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب. (معجم البلدان) ج 1 ص 523.

[(4)] راجع: (فتح الباري) ج 7 ص 443 الحديث رقم 4153، 4154، 4155. و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ص 6094 و (تفسير الطبري) ج 26 ص 87 و (زاد المعاد)

[(5)] في (خ) مكان ما بين القوسين «بين أبي بن عمرو، وهو خطأ، وما أثبتناه من (ط) .

(276/1)

وهذا وهم شديد البتة، قال: والصحيح بلا شك ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة.

مقالة بني بكر ومزينة وجهينة

ومر فيما بين مكة والمدينة بالأعراب بني بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم، فتشاكلوا بأبنائهم وأموالهم، وقالوا فيما بينهم: أيريد محمد أن يغزو بنا [(1)] إلى قوم معدّ في الكراع والسلاح؟ وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور [(2)] ! لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبدا! قوم لا سلاح معهم ولا عدد!.

هدية بني نهد

ثم قدم ناجية بن جندب مع الهدي في فتیان من أسلم، ومعهم هدي للمسلمين. ولقي بالروحاء طائفة من بني نهد، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، وبعثوا إليه بلبن من نعمهم فقال: لا أقبل هدية من مشرك.

رد هدية المشركين

وردّه، فابتاعه المسلمون منهم. وابتاعوا ثلاثة أضب [(3)] فأكل منها قوم أجلة. وسأل المحرمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها فقال: كلوا، فكلّ صيد البر لكم حلال في الإحرام تأكلونه إلا ما صدتم أو صيد لكم.

الصيد في الحرم

ورأى أبو قتادة بالأبواء حمارا وحشيا- وكان محلا [(4)] فحمل عليه فقتله، فأكل منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجاءه يومئذ الصّعب بن جثامة بن قيس اللبثي بحمار وحشيّ أهداه له فردّه، وقال: إنا لم نرده إلا أنا حرم.

- [(1)] في (خ) «أريد محمدا يغزوننا» ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج 2 ص 574.
- [(2)] كناية عن قلة العدد، فإن أكلة الجزور عادة لا يتجاوزون العشرة.
- [(3)] أضب: جمع ضب، وهو حيوان من جنس الزواحف تأكل الأعراب لحمه (المعجم الوسيط) ج 1 ص 532.
- [(4)] محلّ: غير محرم.

(277/1)

هدية إيماء بن رحضة

وأهدي له إيماء بن رحضة بن خربة الغفاريّ مائة شاة وبعيرين يحملان لبنا:
بعث بهما مع ابنه خفاف بن إيماء ففرق ذلك وقال: بارك الله فيكم. وأهدي له من ودان لباء
[وهو حب أبيض كالحمص] وعتر [(1)] وضغابيس [(2)] ، فجعل يأكل الضغابيس والعتر
وأعجبه،
وأدخل منه على أمّ سلمة.

خبر كعب الذي آذاه القمل وهو محرم

ورأى بالأبواء كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث البلوي ورأسه يتهافت قملا
وهو محرم، فقال: هل تؤذيك هوامك يا كعب؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: فاحلق رأسك. وفيه
نزلت: **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ [(3)]**
، فأمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يذبح شاة، أو يصوم ثلاثة أيام، أو يطعم ستين
مسكيناً: لكل مسكين مدين، أي ذلك فعل أجزأه.
ويقال: إن كعب بن عجرة أهدي بقرة قلدها وأشعرها.

ما عطب من الهدى

وعطب [(4)] من ناجية بن جندب بعير من الهدى، فجاء بالأبواء إلى رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم وأخبره، فقال: أنحرها [(5)] ، وأصبغ قلائدها في دمها، ولا تأكل أنت ولا أحد
من أهل رفقتك منها، وخلّ بين الناس وبينها.

نزول الجحفة

ولما نزل الجحفة لم يجد بها ماء، فبعث رجلا في الروايا إلى الخزار، فرجع

- [(1)] العتر: نبت أو شجر صغار فإذا طال وقطع خرج منه شبه اللبن (النهاية) ج 3 ص 177 و (ترتيب القاموس) ج 3 ص 146.
- [(2)] الضغاييس: صغار القثاء، جمع ضغبوس (المرجع السابق) ص 78.
- [(3)] آية 196/ البقرة، وفي (خ) «وفيه نزلت، ففدية ...» .
- [(4)] عطب البعير والفرس: انكسر (ترتيب القاموس) ج 3 ص 250.
- [(5)] الضمير هنا عائد على البدنة وهي البعير.

(278/1)

بها وقال: يا رسول الله! ما أستطيع أن أمضي رعبا! فبعث رجلا آخر بالروايا، فرجع وذكر كما ذكر الأول: فبعث آخر وخرج السقاء معه، فاستقوا وأتوا بالماء. ثم أمر بشجرة يقيم [(1)] ما تحتها.

خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وخطب الناس فقال: إني كائن لكم فرطا [(2)] ، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم [(3)]
تضلوا: كتاب الله وسنة نبيه.

بلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة وخروجهم إليهم

وبلغ أهل مكة خروج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فراعهم ذلك، وتشاوروا. ثم قدّموا عكرمة بن أبي جهل- ويقال: خالد بن الوليد- على مائتي فارس إلى كراع الغميم، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت ثقيف معهم: ووضعوا العيون على الجبال، وهم عشرة رجال يوحى بعضهم إلى بعض بالصوت: فعل محمد كذا كذا، حتى ينتهي ذلك إلى قريش ببلدح [(4)] . وخرجوا إلى بلدح وضربوا بها القباب والأبنية، ومعهم النساء والصبيان، فعسكروا هناك، وقد أجمعوا على منع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دخول مكة ومحاربتة.

إجماع قريش على منع المسلمين من دخول مكة، ومشورة المسلمين

ورجع بسر بن سفيان من مكة وقد علم خبر القوم، فلقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

وراء عسفان وأخبره الخبر.

واستشار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(5)] الناس: هل يمضي لوجهته ويقاوم من صدّه عن البيت أو يخالف الذين استنفروا إلى أهلهم فيصيبهم؟

[(1)]

وفي حديث فاطمة «أنا قمت البيت حتى اغبرت»

أي كنسته، والقمامة: الكناسة. (النهاية) ج 4 ص 110.

[(2)] فرط: سبق، وأكثر ما يستعمل في السبق إلى الماء (المعجم الوسيط) ج 2 ص 673.

[(3)] في (خ) «لن» وما أثبتناه من (الوافدي) ج 2 ص 577.

[(4)] بلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج 1 ص 480.

[(5)] زيادة للبيان.

(279/1)

فأشار أبو بكر رضي الله عنه أن يمضوا لوجههم، ويقاوموا من صدّهم. وقال المقداد بن عمرو:

يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا

قاعدون» ولكن: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما [(1)] مقاتلون». والله يا رسول الله!

لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل.

وقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله! نرى أن نصمد لما خرجنا له، فمن صدنا قاتلناه. فقال: إنا

لم نخرج لقتال أحد، إنما خرجنا عمارا.

بديل بن ورقاء وخبر قريش

ولقيه بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جرى بن عامر بن مازن ابن عدي بن عمرو بن

ربيعة [وهو الحمي] [(2)] الخزاعي - في نفر من خزاعة، منهم الحليس بن علقمة الحارثي، من

بني الحارث بن عبد مناة، فقال: يا محمد! لقد اغتررت بقتال قومك حلائب [(3)] العرب،

والله ما أرى معك أحدا له وجه، مع أي أراكم قوما لا سلاح معكم! فقال أبو بكر رضي الله

عنه: عضضت ببظر اللات! فقال بديل: أما والله لولا يد لك عندي لأجبتك، فو الله ما أهتم أنا

ولا قومي ألا أكون أحب أن يظهر محمد. إني رأيت قريشا مقاتلتك عن ذراريها وأمواها، قد

خرجوا إلى بلدح فاضطربوا [(4)] الأبنية، معهم العوذ المطافيل [(5)]، وترافدوا على

الطعام [(6)] يطعمون الخزير [(7)] من جاءهم، يتقوون به على حربك، فر رأيك [(8)] . وكانت قريش قد توافدوا وجمعوا أموالا يطعمون بها من ضوى إليهم من الأحابيش. وكان يطعم في أربعة أمكنة: في دار الندوة لجماعتهم، وكان صفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وحويطب بن عبد العزى، كل منهم يطعم في داره.

[(1)] في (خ) «معكم» .

[(2)] في (خ) «عمرو بن ربيعة» .

[(3)] استحلب القوم: اجتمعوا للتصرة (المعجم الوسيط) ج 1 ص 191.

[(4)] اضطرب البناء: أقامه.

[(5)] العوذ: جمع عائد، وهي الناقة حديثة عهد بالنتاج (المعجم الوسيط) ج 2 ص 635،

المطافيل: جمع مطفل وهي ذات الطفل من الإنسان والحيوان (المرجع السابق) ص 560.

[(6)] توافدوا: تعاونوا (المرجع السابق) ج 1 ص 359.

[(7)] الخزير: لحم يقطع قطعاً صغيراً ثم يطبخ بماء كثير وملح، فإذا اكتمل نضجه ذرّ عليه

الدقيق وعصده به، ثم أدم بإدام ماء (المرجع السابق) ص 231.

[(8)] ر: فعل الأمر من «رأى» .

(280/1)

دنو خالد بن الوليد في المشركين للقاء المسلمين

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى المسلمين، فصَفَّ خيله فيما بينهم وبين القبلة، فقدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عباد بن بشر في خيله، فقام بإزائه وصف أصحابه. وحانت صلاة الظهر، فأذن بلال وأقام، فصلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه مستقبل القبلة وهم خلفه، يركع بهم ويسجد. ثم قاموا، فكانوا على ما كانوا عليه من التعبئة. فقال خالد بن الوليد: قد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم أصبنا منهم! ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم!.

صلاة الخوف

فنزّل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ

أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ
أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ
كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً
[(1)]

فحانت العصر، فأذن بلال وأقام، فقام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مواجهاً للقبلة والعدو
أمامه فكبر وكبر الصفان جميعاً، ثم ركع فركع الصفان جميعاً، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه،
وقام الآخرون يحرسونه. فلما قضى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم السجود بالصف الأول، قام
وقاموا معه، وسجد الصف المؤخر السجدين، ثم استأخر الصف الذي يلونه، وتقدم الصف
المؤخر فكانوا يلون رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، فقاموا جميعاً. ثم ركع صَلَّى الله عليه وسلّم
فركع الصفان جميعاً ثم سجد وسجد الصف الذي يلونه، وقام الصف المؤخر يحرسونه مقبلين على
العدو. فلما رفع رأسه من السجدين، سجد الصف المؤخر السجدين اللتين بقيتا عليهم،
واستوى صَلَّى الله عليه وسلّم جالسا فتشهد ثم سلّم.

[(1)] الآية 102/ النساء، وفي (خ) « ... فلتقم الآية » .

(281/1)

الخلافة في أول صلاة الخوف

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: هذه أول صلاة صلاها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في
الخوف. وقال سفيان بن سعيد، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي عياش الزرقبي: أنه كان - يعني
ابن عباس - مع النبي صَلَّى الله عليه وسلّم يومئذ، فذكر أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم صلى
هكذا. وذكر أبو عياش أنها أول ما صلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم صلاة الخوف - يعني
ابن عباس: وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أول صلاة الخوف في غزوة ذات
الرقاع، ثم صلاها بعد بعسفان، بينهما أربع سنين.
قال الواقدي [(1)] : وهذا أثبت عندنا.

مسير المسلمين إلى ثنية ذات الحنظل وحيرة الدليل

فلما أمسى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال: تيامنوا في هذا العصل [(2)] ، فإن عيون

قريش بمّر الظهران أو بضجنان، فأبيكم يعرف ثنية ذات الحنظل؟ فقال بريدة بن الحصيب: أنا يا رسول الله! فقال: اسلك أماننا.

فأخذ بريدة في العصل، قبل جبال سراوع قبل المغرب، فسار قليلاً [(3)] وحرار. فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي فسار بهم قليلاً، ثم لم يدر أين يتوجه. فسار بهم عمرو بن [عبد] [(4)] نهم الأسلمي حتى بلغها.

خبر الثنية وأن من جازها غفر له

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِثْلَ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ إِلَّا مِثْلَ الْبَابِ الَّذِي قَالَ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً [(5)] ثُمَّ قَالَ: لَا يَجُوزُ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ أَحَدٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْرَعُونَ.

[(1)] [المغازي] ج 2 ص 583.

[(2)] في [خ] «تنامنوا» والعصل: الاعوجاج في صلابة، والمراد هنا الرمل الملتوى. (الترتيب القاموس) ج 3 ص 240، (النهاية) ج 3 ص 248.

[(3)] في [خ] «ليلاً» والتصويب من (الواقدي) ج 2 ص 583.

[(4)] زيادة من (المرجع السابق) ص 584، ونهم: اسم صنم.

[(5)] آية 58/ البقرة، والحطة: طلب المغفرة (المعجم الوسيط) ج 1 ص 182.

(282/1)

طعام المسلمين

فلما نزل من الثنية قال: من كان معه ثقل [أي دقيق] فليصطنع [(1)] . فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: وأيتنا معه ثقل؟ إنما كان عامة زادنا التمر. فقالوا: يا رسول الله! إنا نخاف من قريش أن ترانا! فقال: إنهم لن يروكم، إن الله سيعينكم [(2)] عليهم.

فأوقدوا النيران، واصطنع من أراد أن يصطنع: فلقد أوقدوا خمسمائة نار.

الغفران، وخبر الرجل المحروم من غفران الله

فلما أصبحوا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم قال: والذي نفسي بيده، لقد غفر الله للركب أجمعين، إلا رويكبا واحدا على جمل أحمر التفت عليه رحال [(3)] القوم: ليس منهم.

فطلب في العسكر فإذا به ناحية، وهو من بني ضمرة من أهل سيف البحر [(4)] ، قد أوى إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال له سعيد- وقد قيل له ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم -: ويحك! اذهب إلى رسول الله يستغفر لك! فقال: بعيري أهم إلي من أن يستغفر. وكان قد أضلّ بعيره. فقال سعيد:

تحول عني، لا حياك الله! فانطلق يطلب بعيره، فبينما هو في جبال سراوع [(5)] إذ زلقت نعله فتردى فمات وأكلته السباع.

أهل اليمن

وقال يومئذ: أتاكم أهل اليمن كأنهم قطع الحساب، هم خير من على الأرض.

الدنو من الحديبية، وخبر راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار حتى [(6)] دنا من الحديبية- وهي طرف الحرم، على تسعة أميال من

[(1)] من الصنيع، وهو الطعام في سبيل الله.

[(2)] [(الواقدي) ج 2 ص 585.

[(3)] في (خ) رجال.

[(4)] سيف البحر: ساحله.

[(5)] علم مرتجل لاسم موضع (معجم البلدان) ج 3 ص 204

[(6)] في (خ) ، (الواقدي) و «سار فلما» وفي (ط) و (ابن سعد) «وسار حتى» .

(283/1)

مكة، فوقعت يد راحلته صلى الله عليه وسلم على ثنية تمبط على غائط [(1)] ، فبركت، فقال المسلمون: حل حل [يزجرونها]- فأبت أن تنبعث، فقالوا: خلأت القصواء [(2)] ! فقال: إنها ما خلأت، ولا هو لها بعادة، ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها.

ثم زجروها فقامت، فولى راجعا حتى نزل بالناس على ثمد من ثمد [(3)] الحديبية [ظنون] قليل الماء.

خبر جيشان الماء من التمد

واشتكى الناس قلة الماء، فانتزع سهما من كنانته فأمر به فغرز في التمد، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه بعطن، وإنهم ليغترفون بأنيتهم جلوسا على شفير البئر. وكان الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب، وقيل: ناجية بن الأعجم، وقيل: خالد بن عبادة [(4)] الغفاري، وقيل: البراء بن عازب.

مقالة المنافقين في دليل النبوة

وكان على الماء نفر من المنافقين، الجدد بن قيس، وأوس [بن خولي] [(5)] ، وعبد الله بن أبي، فقال أوس بن خولي: ويحك يا أبا الحباب! أما آ ن لك أن تبصر ما أنت عليه! أبعده هذا شيء؟ فقال: إني قد رأيت مثل هذا. فقال أوس: قبحك الله وقبح رأيك! فأقبل ابن أبي [(6)] يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أي أبا الحباب! أين رأيت مثل ما رأيت اليوم؟ فقال: ما رأيت مثله قط! قال: فلم قلت ما قلت؟ فقال عبد الله بن أبي: أستغفر الله. فقال ابنه: يا رسول الله! استغفر له! فاستغفر له.

[(1)] الغائط: من الغوط، وهو المطمئن الواسع من الأرض (ترتيب القاموس) ج 3 ص 428.

[(2)] خلأت الناقة خلنا: حرنت: (المعجم الوسيط) ج 1 ص 248.

[(3)] التمد: مكان اجتماع الماء، ثم الماء: قل (المرجع السابق) ص 100.

[(4)] في (خ) «عبادة» .

[(5)] ظاهر العبارة يوهم أن أوس بن خولي من المنافقين، وهو ليس منهم، وما بين القوسين زيادة للبيان.

[(6)] في (خ) «فأقبل أبي» .

المطر والصلاة في الرحال

ومطر المسلمون بالحديبية مرارا وكثرت المياه، ومطروا مطرا ما ابتلت منه أسفل النعال، فنودي:
إن الصلاة في الرحال. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح في الحديبية في إثر سماء [(1)] كانت من الليل،

فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم.

الأنواء

قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي [(2)]. وكان ابن أبي قال: هذا نوء الخريف، مطرنا بالشعرى.

المدايا

وأهدى عمرو بن سالم ويسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وجزورا، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عباد جزرا، وكان صديقا له.
فجاء سعد بالغنم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره أن عمرا أهداها له فقال: وعمرو قد أهدى إلينا ما ترى فبارك الله في عمرو! ثم أمر بالجزر [(3)] تنحر وتقسم في أصحابه، وفرق الغنم فيهم من آخرها. فدخل على أم سلمة بعضها، وأمر صلى الله عليه وسلم للذي جاء بالهدية بكسوة.

خبر بديل بن ورقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اطمأن بالحديبية، جاءه بديل بن ورقاء وركب من خزاعة - وهم عيبة [(4)] نصح رسول الله بتهامة، منهم المسلم ومنهم الموادع، لا يخفون عليه بتهامة

[(1)] السماء: من أسماء المطر.

[(2)] في (خ)

«أصبح من عبادي مؤمنا وكافرا»

وما أثبتناه هو رواية (البخاري) ج 3 ص 42 وفي (المغازي) باب غزوة الحديبية، وأحمد في (المسند) ج 4 ص 117 و (أبو داود) ج 4 ص 227 حديث رقم 3906، (النسائي) ج 3 ص 164، باب كراهية الاستمطار بالكوكب.

[(3)] في (خ) «الجزور» .

[(4)] المعنى: أن بيننا صدورا سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا.

(285/1)

شيئا- فسلموا، ثم قال بديل: جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي، وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذ المطافيل- [النساء [(1)] والصبيان]- يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم [(2)] . فقال صلى الله عليه وسلم: إنا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه. وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب وهككتهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة يأمنون فيها، ويخلون فيما بيننا وبين الناس- والناس أكثر منهم-، فإن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو يقاتلوا وقد جموا [(3)] . والله لأجهدن على أمرى هذا إلى أن تنفرد سالفتي [(4)] أو ينفذ الله أمره! فعاد بديل وركبه إلى قريش، وقد تواصوا ألا يسألوا بديلا عما جاء فيه. فلما رأى أنهم لا يستخبرونه قال: إنا جئنا من عند محمد. أتحبون أن نخبركم؟ فقال عكرمة بن أبي جهل، والحكم بن أبي العاص: لا، والله ما لنا حاجة بأن نخبرونا عنه، ولكن أخبره عنا: أنه لا يدخلها علينا عامه هذا حتى لا يبقى منا رجل.

سماع المشركين مقالة بديل

فأشار عليهم عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف [واسمه قسي] [(5)] بن منبه بن بكر بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان- أن يسمعوا كلام بديل، فإن أعجبهم قبلوه، وإلا تركوه، فقال صفوان بن أمية، والحارث بن هشام: أخبرنا بالذي رأيتم والذي سمعتم. فأخبروه بمقالة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عروة بن مسعود: فإن بديلا قد جاءكم بخطة رشد، لا يردها أحد إلا أخذ شرا منها، فاقبلوها منه، وابعثوني حتى آتيكم بمصدقها، وأكون لكم عينا.

بعثة قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوه. فقال: يا محمد! إني تركت قومك على أعداد [(6)] مياه الحديدية قد

- (1) [في (خ) «والنساء» .
- (2) [الياؤهم: دهماؤهم وجماعتهم.
- (3) [جَمَّوا: استراحوا.
- (4) [السالفة: ناحية مقدم العنق «كناية عن الموت» (ترتيب القاموس) ج 2 ص 598.
- (5) [في (خ) «قيس» .
- (6) [الأعداد: جمع عدّ وهو: الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين (ترتيب القاموس) ج 3 ص 169.

(286/1)

استنفروا لك، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين: إما أن تجتاح قومك- فلم نسمع برجل اجتاح أصله قبلك- أو بين أن يخذلك من نرى معك، فإني لا أرى معك إلا أوباشا [(1)] من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم، فغضب أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال: امصص ببطر اللات! أنحن نخذله؟ فقال: أما والله لولا يد لك عندي لأجبتك! وطلق عروة يمس لحية رسول الله وهو يكلمه، والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك قائم على رأسه بالسيف، ففرع يد عروة [وهو عمه] وقال: اكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك، فلما فرغ عروة من كلامه، ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لبديل بن ورقاء، عاد إلى قريش فقال: يا قوم، قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكا قط أطوع فيمن هو بين ظهرائيه من محمد في أصحابه، والله ما يشدون [(2)] إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يشير إلى امرئ فيفعل، وما ينتخّم وما يبصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده، وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء. وقد حزرت القوم، واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم، وقد رأيت قوما لا يبألون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم، والله لقد رأيت نسيات [(3)] معه، إن كنّ ليسلمنه أبدا على حال، فروا رأيكم. وقد عرض عليكم خطة، فمادوه [(4)] يا قوم. أقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح، مع أي أخاف ألا تنصروا عليه. رجل أتى هذا البيت معظما له مع المهدي ينحره وينصرف! فقالوا: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور! لو غيرك تكلم بهذا! ولكن نرده في عامنا هذا ويرجع إلى قابل.

بعثة مكرز بن حفص إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثم جاء مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عبد الحارث بن الحارث ابن منقذ بن عمرو بن
معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر - فلما طلع
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن هذا رجل غادر (وفي رواية: هذا رجل فاجر)
وجاء،

[(1)] الأوباش والأوشاب بمعنى، وهم الأخلاط من الناس وغيرهم.

[(2)] أي يحدون إليه النظر.

[(3)] تصغير نسوة، للتقليل والتعظيم.

[(4)] أي اجعلوا بينكم وبينه مدة هدنة.

(287/1)

فكلمه بنحو مما كلم به أصحابه، وعاد بذلك إلى قريش.

بعثة الحليس سيد الأحابيش

فبعثوا الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث ابن عبد مناة بن
كنانة الحارثي الكناني سيد الأحابيش ورأسهم،
فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا من قوم يعظّمون الهدى، (وفي رواية يتأهلون) [(1)] ، ابعثوا
الهدى في وجهه، فبعثوه،
فلما رأى الهدى يسيل في الوادي-: عليه القلائد، قد أكل أوباره (من طول الحبس عن محله [(2)]) ،
يرجع الحنين، واستقبله القوم في وجهه يلبون، وقد أقاموا نصف شهر فتفلوا وشعثوا [(3)] -
رجع، ولم يصل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إعظاما لما رأى. وقال لقريش: إني قد
رأيت ما لا يحل صده! رأيت الهدى في قلائده قد أكل أوباره معكوبا [(4)] عن محله، والرجال
قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت! أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم: على أن
تصدوا عن بيت الله من جاء له معظما لحرمة مؤديا لحقه، والهدى معكوبا أن يبلغ محله! والذي
نفسى بيده، لتخلن بينه وبين ما جاء به، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد! قالوا: كل ما
رأيت مكيدة من محمد وأصحابه، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به. وفي رواية
الزبير بن بكار) [(5)] أنه لما رجع قال: يا قوم! الهدى! البدن! القلائد! الدماء! فقالت

قريش: ما نعجب منك، ولكن نعجب منا إذ أرسلناك، إنما أنت أعرابي جلف.

بعثة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خراش بن أمية إلى قريش
وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قريش خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي -
على جمل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقال له الثعلب - ليبلغ أشرافهم أنه إنما جاء معتمرا.
فعقر الجمل عكرمة بن أبي جهل، وأرادوا قتله، فمنعه من هناك من قومه، فرجع.
فأراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخاف على نفسه
وأشار بعثمان رضي الله عنه.

[(1)] يتعبدون.

[(2)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 96.

[(3)] التفل: ترك التطيب، والشعث، تلبد الشعر من الطول.

[(4)] معكوكفا: محبوبا.

[(5)] ما بين القوسين بياض في (خ) .

(288/1)

بعثة عثمان بن عفان

فبعثه ليخبرهم:

إنما لم تأت [(1)] لقتال أحد، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين لحرمته، ومعنا الهدى ننحره
وننصرف.

فأبوا على عثمان أن يدخل عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحب به أبان بن سعيد بن
العاص وأجاره، وحمله من بلدح [(2)] إلى مكة وهو يقول: أقبل وأدبر ولا تخف أحدا، بنو
سعيد أعزة الحرم! فبلغ عثمان من بمكة ما جاء فيه، فقالوا جميعا: لا يدخل محمد علينا أبدا.

حراسة المسلمين وأسر بعض المشركين

وكان يتناوب حراسة المسلمين بالحديبية ثلاثة: أوس بن خولي، وعباد بن بشر، ومحمد بن
مسلمة. فبعثت قريش مكرز بن حفص على خمسين رجلا ليصيبوا من المسلمين غرة، فظفر بهم
محمد بن مسلمة، وجاء بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

بعد إقامة عثمان بمكة ثلاثاً - أنه قتل، وقتل معه عشرة رجال مسلمون قد دخلوا مكة بإذن رسول الله ليروا أهليهم. وبلغ قريشا حبس أصحابهم، فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة، فرماهم المسلمون، وأسروا منهم اثني عشر فارساً. وقتل من المسلمين زعيم، وقد اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون فقتلوه.

بدء الصلح

فبعثت قريش سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر [(3)] ، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص (ليصالحوه) [(4)] .

تحرك المسلمين إلى منازل بني مازن بعد خبر مقتل عثمان، والبيعة

وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم منازل بني مازن بن النجار، وقد نزلت في ناحية من

[(1)] في (خ) «إنه لم يأن» .

[(2)] بلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج 1 ص 480.

[(3)] في (خ) «فهم» .

[(4)] زيادة من (ط) ، ورواية (للواقدي) ج 2 ص 602 بدون هذه الزيادة.

(289/1)

الحديبية جميعاً، فجلس في رحالمهم.

وقد بلغه قتل عثمان رضي الله عنه، ثم قال:

إن الله أمرني بالبيعة.

فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا، فما بقي لهم متاع إلا وطنوه، ثم لبسوا السلاح، وهو معهم

قليل. وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدت سكيناً في وسطها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناس، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ بيده،

فبايعهم على ألا يفروا، وقيل بايعهم على الموت. ويقال: أول من بايع سنان بن أبي سنان وهب

بن محصن فقال:

يا رسول الله، أبايعك على ما في نفسك. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناس على

بيعة سنان، فبايعوه (إلا) [(1)] الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعير.

بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح والأسرى
فلما جاء سهيل بن عمرو،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سهّل أمرهم! فقال سهيل:
يا محمد! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك، وما كان من قتال من قاتلك - لم يكن من رأي
ذوي رأينا، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به - وكان من سفهائنا. فابعث إلينا بأصحابنا
الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة.
قال: إني غير مرسلهم حتى ترسلوا [(2)] أصحابي.
قال: أنصفتنا. فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشّميم بن عبد مناف التيمي فبعثوا بمن كان
عندهم، وهم:

عثمان وعشرة من المهاجرين، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابهم الذين أسروا.

البيعة تحت الشجرة وخوف المشركين

وكان صلى الله عليه وسلم يبائع الناس تحت شجرة خضراء، وقد نادى عمر رضي الله عنه:
إن روح القدس نزل على الرسول وأمر بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا.
فلما رأى سهيل بن عمرو ومن معه، ورأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى
الحرب، اشتد رعبهم وخوفهم، وأسرعوا إلى القضية [(3)]. ولما جاء عثمان رضي الله عنه
بايع تحت الشجرة. وقد كان قبل ذلك - حين بايع الناس -
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله، فأنا أبايع له،
فضرب بيمينه شماله.

[(1)] زيادة لا بد منها للسياق.

[(2)] في (خ) «ترسل» .

[(3)] القضية: حكم الصلح.

بعثة قريش إلى عبد الله بن أبي

وبعثت قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل، فقال له ابنه: يا أبت! أذكرك الله أن تفضحنا في كل موطن! تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأبى حينئذ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه، فسرّ به.

رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورجع سهيل وحويطب ومكرز فأخبروا قريشا بما رأوا من سرعة المسلمين إلى التنعيم [(1)] فأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعود من قابل فيقيم ثلاثا، فلما أجمعوا على ذلك أعادوا سهيلا وصاحبيه ليقروا هذا. فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: أراد القوم الصلح. وكلم رسول الله، فأطالا الكلام وتراجعا، وارتفعت الأصوات، وكان صلى الله عليه وسلم يومئذ جالسا متربعا، وعباد بن بشر، وسلمة ابن أسلم بن حريش مقنّعان بالحديد قائمان على رأسه. فلما رفع سهيل صوته قال: اخفض صوتك عند رسول الله! وسهيل بارك على ركبته [(2)] ، رافع صوته، والمسلمون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس.

خبر الصلح وغضب عمر بن الخطاب

فلما اصطلحوا ولم يبق إلا الكتاب،

وثب عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! ألسنا بالمسلمين؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى! فقال: فعلام [(3)] نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره، ولن يضيعني. فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال: يا أبا بكر! ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى! قال: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال: الزم غرزه [(4)] ! فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن يخالف أمر الله، ولن يضيعه الله. ولقي عمر رضي الله عنه من القضية أمرا كبيرا، وجعل يردّد على رسول

[(1)] التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف (معجم البلدان) ج 2 ص 49.

[(2)] في (خ) «ركبته» .

[(3)] في (خ) «فعلى ما» .

[(4)] كناية عن لزوم الاتباع وعدم المخالفة.

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكلام، وهو يقول: أنا رسوله ولن يضيعني!
ويردد ذلك أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما
يقول! تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك!. فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيناً.

كراهية المسلمين الصلح

وكان المسلمون يكرهون الصلح، لأنهم خرجوا ولا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خلق رأسه، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة وعرف مع المعرفين، فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فجعل الله عاقبة القضية خيراً - فأسلم في الهدنة أكثر ممن كان أسلم - من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية -، وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية، فإن الحرب كانت قد حجزت بين الناس. فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس بعضهم بعضاً، ودخل في تلك الهدنة صناديد قريش الذين كانوا يقومون بالشرك، وما يحدث عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأشباههما، وفشا الإسلام في جميع نواحي العرب. وكانت الهدنة إلى أن نقضوا العهد اثنين وعشرين شهراً.

خبر أبي جندل بن سهيل بن عمرو

وبينما الناس قد اصطلحوا والكتاب لم يكتب، أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري - وقد أفلت يرسف في القيد متوشح السيف خلال أسفل مكة، فخرج من أسفلها حتى أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يكاذب أباه سهيلاً، وكان سهيل قد أوثقه في الحديد وسجنه، فخرج من سجن سهيل، واجتنب الطريق وركب الجبال حتى هبط بالحديبية. ففرح المسلمون به وتلقوه حين هبط من الجبل فسلموا عليه وآووه، فرفع سهيل رأسه فإذا بابنه أبي جندل، فقام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلبيته [(1)]. فصاح أبو جندل بأعلى صوته: يا معشر المسلمين! أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد المسلمين ذلك شراً إلى ما بهم، وجعلوا يبكون لكلام أبي جندل. فقال حويطب بن عبد العزى لمكرز بن حفص: ما رأيت قوماً قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد وبعضهم لبعض! أما إني

[(1)] في (خ) «بليته» .

أقول لك: لا تأخذ من محمد نصفاً [(1)] أبداً بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة [(2)] !
فقال مكرز: وأنا أرى ذلك.

رد أبي جندل إلى أسر المشركين

وقال سهيل بن عمرو: هذا أول ما قاضيتك عليه، ردّه!
فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنا لم نقض الكتاب بعد!
فقال سهيل: والله لا أكاتبك على شيء حتى تردّه إليّ. فردّه عليه، وكلمه أن يتركه، فأبى سهيل
وضرب وجهه بغصن من شوك،
فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هبه لي أو أجره من العذاب! فقال: والله لا أفعل.
فقال مكرز وحويطب: يا محمد، نحن نجيره لك. فأدخله فسطاطاً فأجاراه، فكف عنه أبوه. ثم
رفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صوته فقال: يا أبا جندل: اصبر واحتسب، فإن الله جاعل
لك ولن معك فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً،
وإنا لا نغدر.

عودة عمر إلى مقالته

وعاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله!
ألست برسول الله؟ قال: بلى! قال: ألسنا على الحق؟ قال: بلى! قال:
أليس عدونا على الباطل؟ قال: بلى! قال: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال:
إني رسول الله، ولن أعصيه ولن يضيعني.
فانطلق إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك، فأجابه بنحو ما أجاب به رسول الله، ثم
قال: ودع عنك ما ترى يا عمر. فوثب إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه، وسهيل يدفعه، وعمر
يقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب! وإنما هو رجل، ومعه [(3)]
السيف يخرضه على قتل أبيه. وجعل يقول: يا أبا جندل! إن الرجل يقتل أباه في الله! والله
لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله، فرجل برجل. فقال له أبو جندل: مالك لا تقتله أنت؟ قال
عمر: نهاني رسول الله عن قتله وقتل غيره.
قال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني.

[(1)] التّصف: الإنصاف.

[(2)] العنوة: القهر والإذلال.

[(3)] في (خ) «ومعك» والتصويب من ابن هشام.

(293/1)

مقالة المسلمين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلح
وقال عمر ورجال معه: يا رسول الله! ألم تكن حدثتنا أنك تدخل المسجد الحرام، وتأخذ مفتاح
الكعبة، وتعترف مع المعرفين؟ وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن! فقال: قلت لكم في سفركم
هذا؟ قال عمر: لا. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما إنكم ستدخلونه، وآخذ مفتاح الكعبة،
وأحلق رأسي ورءوسكم ببطن مكة، وأعترف مع المعرفين، ثم أقبل على عمر رضي الله عنه وقال:
أنسيتم يوم أحد، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم
الأحزاب، إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؟
أنسيتم يوم كذا؟ أنسيتم يوم كذا؟ والمسلمون يقولون: صدق الله ورسوله، يا نبي الله! ما فكرنا
فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا.
فلما دخل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام القضية [(1)] وحلق رأسه قال: هذا الذي وعدتكم.
فلما كان يوم الفتح، أخذ المفتاح وقال: ادعوا إليّ عمر بن الخطاب! فقال: هذا الذي قلت
لكم. فلما كان في حجة الوداع وقف بعرفة فقال: أي عمر! هذا الذي قلت لكم. قال: أي
رسول الله! ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية.

فتح الحديبية وخبر أبي بكر

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية،
ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون، والله لا يعجل كعجلة
العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد. لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند النحر
يقرب إلى رسول الله بدنة، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينحرفها بيده! ودعا الحلاق فحلق
رأسه، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه! وأذكر إياه أن يقرّ يوم الحديبية
بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم! وإياه أن يكتب أن محمدا رسول الله! فحمدت الله الذي
هداه للإسلام. فصلوات الله وبركاته على نبي الرحمة الذي هدانا به، وأنقذنا به من الهلكة.

[(1)] في عمرة القضية: وسيأتي ذكرها بعد غزوة وادي القرى.

(294/1)

كتاب الصلح

فلما حضرت الدواة والصحيفة - بعد طول الكلام والمراجعة - دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولي يكتب، فقال سهيل: لا يكتب إلا ابن عمك علي، أو عثمان بن عفان، فأمر عليا فكتب، فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف الرحمن، اكتب ما نكتب، باسمك اللهم. فضاق المسلمون من ذلك، وقالوا: هو الرحمن، والله ما نكتب إلا الرحمن. قال سهيل: إذا لا أقاضيه على شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب، باسمك اللهم. هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك، محمد بن عبد الله؟ فضح المسلمون منها ضحجة هي أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات، وقام رجال يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله! وأخذ أسيد بن حضير وسعد بن عباد رضي الله عنهما بيد الكاتب فأمسكاهما وقالوا: لا تكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي هذه الدنيا في ديننا؟ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومئ إليهم بيده: اسكتوا. وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون، ويقول لمكرز: ما رأيت قوما أحوط لدينهم من هؤلاء! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا محمد بن عبد الله، فاكتب. فكتب.

نص كتاب الصلح

«باسمك اللهم، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال [(1)] ، وأن بيننا عيبة مكفوفة. وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمدا منهم بغير إذن وليه رده محمد إليه. وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا من قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثا، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر: السيف في القرب» .

[(1)] الإسلاال والإغلال: السرقة والخبانة. والعبية: سبق شرحها ص 285 تعليق رقم (4) .

(295/1)

شهود الكتاب

شهد أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، ومحمد بن مسلمة، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن عبد الأخيف، وكتب عليّ صدر الكتاب.

نسخة كتاب الصلح ودخول خزاعة في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبني بكر في عهد قريش

فقال سهيل: يكون عندي:

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: بل عندي!

ثم كتب له نسخة، وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الكتاب الأول، وأخذ سهيل نسخته. ووثب من هناك من خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ونحن على من وراءنا من قومنا. ووثبت بنو بكر فقالوا: ندخل مع قريش في عهدها وعقدها، ونحن على من وراءنا من قومنا. فقال حويطب لسهيل: بادأنا أخوالك بالعداوة، وقد كانوا يستترون منا، قد دخلوا في عقد محمد وعهده! وقال سهيل: ما هم إلا كغيرهم، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا [(1)] قد دخلوا مع محمد، قوم اختاروا لأنفسهم أمرا فما نضنع بهم؟ قال حويطب: نضنع بهم أن نضصر عليهم حلفاءنا بني بكر! قال سهيل: إياك أن تسمع هذا منك بكر، فإنهم أهل شؤم، فتقعوا بخزاعة، فيغضب محمد لحلفائه، فينتقض العهد بيننا وبينه.

مدة الهدنة

وقال عبد الله بن نافع، عن عاصم بن عمر، عن عبد الله بن دينار [(2)] ، عن ابن عمر قال: كانت الهدنة بين النبي صلّى الله عليه وسلّم وبين أهل مكة بالحديبية أربع سنين، خرّجه الحاكم وصححه، وفي كتاب عمر [(3)] بن شيبه في أخبار مكة: كانت

[(1)] في (الواقدي) «ولحمتنا» ج 2 ص 612.

[(2)] في (خ) «ابن دنيه» وما أثبتناه من (ط) .

[(3)] في (خ) «ابن أبي شيبه» وصوابه: عمر بن شيبه، يزيد بن عبدة بن رابطة النميري، أبو زيد البصري، ثم البغدادي، الأديب، الأخباري، الشهير بابن شيبه، ولد سنة 173 هـ وتوفي بسر من رأى سنة 262 هـ (هدية العارفين ج 5 ص 78) .

(296/1)

سنتين.

خبر أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين بالنحر والحلق والإحلال فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب، وانطلق سهيل وأصحابه، قال: قوموا فانحروا واحلقوا وحلوا. فلم يجبه أحد إلى ذلك. فرددها ثلاث مرات، فلم يفعلوا. فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب، فاضطجع، فقالت: مالك يا رسول الله؟ مرارا، وهو لا يجيبها، ثم قال: عجبا يا أم سلمة، إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مرارا، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك، وهم يسمعون كلامي، وينظرون في وجهي. فقالت: يا رسول الله، انطلق أنت إلى هديك فانحروا، فإنهم سيفتدون بك، فاضطجع [(1)] بثوبه وخرج، فأخذ الحربة ويمم هديه، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعا صوته: بسم الله والله أكبر. ونحر.

نحر الهدى

فتواثب المسلمون إلى الهدى وازدحموا عليه ينحرونه، حتى كاد بعضهم يقع على بعض، وأشرك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه في الهدى، فنحر البدنة عن سبعة، وكان الهدى سبعين بدنة، وقيل: مائة. وكان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، عرض له المشركون فردّوا وجوه البدن، فنحر رسول الله بدنه حيث حبسوه، [وهي الحديدية] . وشرّد جمل أبي جهل من الهدى وهو يرعى - وقد قلد وأشعر، وكان نجيبا مهريا - فمرّ من الحديدية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة. وخرج في إثره عمرو بن غنمة [(2)] بن عدي بن نايي السلميّ الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه، فدفعوا فيه مائة ناقة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لولا أننا سمعناه في الهدى فعلنا. ونحره عن سبعة. ونحر طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان بدنات ساقوها. وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضطربا [(3)] في الحل، وإنما يصلى في الحرم. وحضره

من يسأل من لحوم البدن معتزاً [(4)] ، فأعطاهم من لحومها وجلودها. وأكل المسلمون من هديهم وأطعموا المساكين، وبعث صلى الله عليه وسلم من الهدى بعشرين بدنة لتتحرر عند المروة

[(1)] اضطلع بثوبه: أدخله من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر.

[(2)] في (خ) «غنمه» .

[(3)] نازلاً في بناء بناه.

[(4)] فقيراً.

(297/1)

مع رجل من أسلم، فنحرها عند المروة وفرّق لحمها.

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين والمقصرين
فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحر البدن، دخل قبة له من آدم حمراء، فيها الحلاق
فحلق رأسه، ثم أخرج رأسه من قبته
وهو يقول: رحم الله المحلقين! قيل:
يا رسول الله والمقصرين! قال: رحم الله المحلقين! ثلاثاً، ثم قال: والمقصرين.
ورمى بشعره على شجرة كانت يجنبه من سمرة خضراء، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق
الشجرة فيتحاصون فيه [(1)] . وأخذت أم عمارة طاقات من شعر، فكانت تغسلها للمريض
وتسقيه حتى يبرأ، وحلق ناس وقصّر آخرون. وكان الذي حلقه صلى الله عليه وسلم [(2)]
خراش بن أمية بن الفضل الكعبي، فلما حلقوا بالحديبية ونحروا، بعث الله تعالى ريحا عاصفة
فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم.

خبر أم كلثوم بنت عقبة

وخرجت يومئذ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي عاتق [لم تتزوج] فقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم هجرتها ولم يردّها إلى المشركين [(3)] ، وقدمت المدينة، فتزوجها زيد بن
حارثة.

إقامة المسلمين بالحديبية، وما أصابهم من الجوع

وأقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَدِيثِ بضعَة عشر يوماً، ويقال: عشرين يوماً، ثم انصرف.
فلما نزل عسفان أرمل [(4)] المسلمون من الزاد، وشكوا أنهم قد بلغوا [(5)] من الجوع،
وسألوا أن ينحروا من إبلهم، فأذن لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، فقال عمر بن الخطاب
رضي اللهُ عنه: يا رسول الله! لا تفعل، فإن يك في الناس بقية ظهر يكن أمثل، ولكن ادعهم
بأزوادهم، ثم ادع لهم فيها الله. فأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنطاع فبسطت، ثم

[(1)] يأخذ كل منهم حصته.

[(2)] زيادة للبيان.

[(3)] يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج 3 ص 308 في الكلام عن الفوائد الفقهية المستفادة
من صلح الحديبية: «ومنها جواز صلح الكفار على ردّ من جاء منهم إلى المسلمين وألا يرد من
ذهب من المسلمين إليهم، هذا في غير النساء، وأما النساء فلا يجوز ردهن إلى الكفار، وهذا
موضع النسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن، ولا سبيل إلى دعوى النسخ في غيره بغير
موجب» .

[(4)] أرمل المسافر: نفذ زاده.

[(5)] بلغوا: أدركتهم المشقة.

(298/1)

نادى مناديه: من كان عنده بقية زاد فليئثره على الأنطاع. فكان منهم من يأتي بالتمرة الواحدة
وأكثرهم لا يأتي بشيء، ويؤتى بالكف من الدقيق والكف من السويق، وذلك كله قليل.
فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادهم مشى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها فدعا فيها بالبركة، ثم
قال: قربوا بأوعيتكم.
فجاءوا بأوعيتهم، فكان الرجل يأخذ ما شاء من الزاد حتى إنّ أحدهم ليأخذ ما لا يجد له محملاً.

المطر

ثم أذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرحيل، فلما ارتحلوا مطروا ما شاءوا وهم صائفون،
فنزل ونزلوا معه فشربوا من ماء السماء، وقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخطبهم. فجاء ثلاثة نفر،
فجلس اثنان وذهب واحد معرضاً،

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا أخبركم خبر الثلاثة؟

قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: أما واحد فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فتأب فتأب الله عليه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه.

سؤال عمر وسكوت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جوابه، ونزول سورة الفتح وبيننا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال: ثكلتك أمك يا عمر! بدرت [(1)] رسول الله ثلاثاً، كل ذلك لا يجيبك! وحرك بعيره حتى تقدم الناس، وخشي أن يكون نزل فيه قرآن، فأخذه ما قرب وما بعد: لمراجعته بالحديبية وكراهته القضية. وبيننا هو يسير مهموماً متقدماً على الناس، إذ منادي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينادي: يا عمر بن الخطاب! فوقع في نفسه ما الله به أعلم، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلم، فردّ عليه السلام وهو مسرور ثم

قال: أنزلت عليّ سورة هي أحب مما طلعت عليه الشمس. فإذا هو يقرأ: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا [(2)] ،

فأنزل الله في ذلك سورة الفتح، فركض الناس وهم يقولون:
أنزل على رسول الله! حتى توافوا عنده وهو يقرأها. ويقال: لما نزل جبريل عليه

[(1)] في (خ) «نذرت» وأيضاً في (الواقدي) ج 2 ص 617، وفي (ط) بدرت: بمعنى عجلت إليه.

[(2)] أول سورة الفتح.

(299/1)

السلام قال: نهنئك [(1)] يا رسول الله! فلما هنأه جبريل هنأه المسلمون. وكان نزول سورة الفتح بكراع الغميم، ويقال [(2)] : نزلت بضجنان. وعن قتادة عن أنس رضي الله عنهم: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، قال: خير. وقال غيره:
الحديبية، منحره وحلقه. وقيل: نزلت سورة الفتح منصرفه من خير.

خبر فرار أبي بصير من أسر المشركين

ولما قدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة من الحديبية، في ذي الحجة جاء أبو بصير عتبة

بن أسيد [وقيل: عبید بن أسيد] بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن [أي] [(3)] سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي [وهو ثقيف] حليف بني زهرة- مسلما، قد انفلت من قومه، وسار على قدميه سبعا [(4)] .

كتاب قريش في أمر أبي بصير

وكتب الأحنس بن شريق، وأزهر بن عوف الزهري إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا مع خنيس بن جابر من بني عامر، واستأجراه ب بكرين لبون، وحمله على بعير، وخرج معه مولى يقال له: كوثر، وفي كتابهما ذكر الصلح، وأن يرد عليهم أبا بصير. فقدموا بعد أبي بصير بثلاثة أيام، فقرأ أبي بن كعب الكتاب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا فيه: «قد عرفت ما شارطناك عليه- وأشهدنا بيننا وبينك- من ردّ من قدم عليك من أصحابنا، فابعث إلينا بصاحبنا» .

رد أبي بصير إلى المشركين

فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما، فقال: يا رسول الله! تردني إلى المشركين يفتنوني في ديني!
فقال: يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر. وإن الله جعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا. فقال: يا رسول الله! تردني إلى المشركين، قال: انطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك مخرجا. ودفعه إلى العامري وصاحبه. فخرج

[(1)] في (الواقدي) «يهنيك» .

[(2)] وهي رواية (الواقدي) ج 2 ص 618.

[(3)] زيادة من نسبه.

[(4)] في (الواقدي) «سعيًا» .

(300/1)

معهما، وجعل المسلمون يسرون إلى أبي بصير، يا أبا بصير، أبشرا! فإن الله جاعل لك مخرجا، والرجل يكون خيرا من ألف رجل، فافعل وافعل: يأمرونه بالذين معه فانتهاها به عند صلاة الظهر

إلى ذي الحليفة. فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين صلاة المسافر. ومعه زاد له من تمر يحمله، ثم أكل منه ودعا العامريّ وصاحبه ليأكلا معه، فقدموا سفرة فيها كسر وأكلوا جميعاً.

قتله العامري

وقد علق العامري سيفه في الجدار، وتحادثوا، فقال أبو بصير: يا أخا بني عامر! ما اسمك؟ قال: خنيس. قال: ابن من؟ قال: ابن جابر. قال: يا أبا جابر، أصارم سيفك هذا؟ قال: نعم! قال: ناولينه انظر إليه إن شئت. فناوله، فأخذ أبو بصير بقائم السيف - والعامري ممسك بالجنف - فعلاه به حتى برد.

وخرج كوثر هاربا يعدو نحو المدينة، وأبو بصير في أثره فأعجزه، حتى سبقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ورسول الله جالس في أصحابه بعد العصر، إذ طلع كوثر يعدو، فقال: هذا رجل قد رأى ذعرا! وأقبل حتى وقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك! مالك؟ قال: قتل صاحبكم صاحبي، وأفلت منه ولم أكد!

مرجع أبي بصير إلى المدينة

وأقبل أبو بصير فأناخ بغير العامري بباب المسجد، ودخل متوشحا سيفه، فقال: يا رسول الله! وقت ذمتك، وأدى الله عنك، وقد أسلمتني بيد العدو، وقد امتنعت بديني من أن أفتن، ويعبث بي أو أكذب بالحق.

فقال عليه السلام: ويل أمه محشّ حرب [(1)] لو كان معه رجال! وقدم سلب العامري ورحله وسيفه ليخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني إذا خمسته رأوا [(2)] أي لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك. ثم قال: لكوثر: ترجع به إلى أصحابك؟ فقال: يا محمد! ما لي به قوة ولا يدان! فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بصير: اذهب حيث شئت.

[(1)] يقال حش الحرب إذا أسعرها وهيجهها.

[(2)] أي قريش.

خروج أبي بصير إلى العيص

فخرج حتى أتى العيص، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريق عير قريش إلى الشام، وعند ما خرج لم يكن معه إلا كف تمر فأكله ثلاثة أيام، وأصاب حيتانا قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها، وبلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبره. فتسللوا إليه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي كتب إليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير: ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال، وأخبرهم أنه بالساحل. فاجتمع عند أبي بصير قريب من سبعين مسلما، فكانوا بالعيص. وضيقوا على قريش، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر عليهم عير إلا اقتطعوها، ومر بهم ركب يريدون الشام، معهم ثمانون بعيرا، فأخذوا ذلك، وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين دينارا، وكانوا قد أمروا عليهم أبا بصير، فكان يصلى بهم ويقرئهم ويجمعهم، وهم له سامعون مطيعون، فغاظ قريشا صنيع أبي بصير وشق عليهم، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير إليه ومن معه: فلا حاجة لنا بهم. فكتب صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه، فجاءه الكتاب وهو يموت، فجعل يقرأه، ومات وهو في يده فدفنوه. وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون فيهم الوليد بن الوليد بن المغيرة، فمات بعقب قدمه فبكته أم سلمة رضي الله عنها.

هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة

وكانت أم كلثوم بنت عقبة [(1)] بن أبي معيط قد أسلمت بمكة، فكانت تخرج إلى بادية أهلها [لها بها أهل]، فتقيم أياما بناحية التنعيم ثم ترجع. حتى أجمعت على المسير مهاجرة، فخرجت كأنها تريد البادية على عادتها، فوجدت رجلا من خزاعة فأعلمته بإسلامها، فأركبها بعيره حتى أقدمها المدينة بعد ثمان ليال، فدخلت على أم سلمة رضي الله عنها، وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة، وتخوفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة أعلمته، فرحب بأم كلثوم وسهّل، فذكرت له هجرتها، وأنها تخاف أن يردها.

[(1)] في (خ) «عتبة» .

ما نزل فيها من القرآن

فأنزل الله فيها آية الممتحنة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وَأَتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا، ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [(1)] .

طلب قريش رد أم كلثوم

فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد من جاءه من الرجال، ولا يرد من جاءه من النساء، وقدم أخاها من غد قدومها- الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط- فقالا:

يا محمد! ف [(2)] لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه. فقال: قد نقض ذلك. فانصرفا إلى مكة فأخبرا قريشا، فلم يبعثوا أحدا، ورضوا بأن تحبس النساء.

فرار أميمة بنت بشر وهجرتها إلى المدينة

ويقال: إن أميمة بنت بشر الأنصارية، ثم من بني عمرو بن عوف، كانت تحت حسان بن الدحاح [(3)] [أو ابن الدحاحة] وهو يومئذ مشرك، ففرت من زوجها بمكة وأتت [(4)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تريد الإسلام، فهم أن يردوها إلى زوجها، حتى أنزل الله تعالى: فَامْتَحِنُوهُنَّ [(5)] . ثم زوجها رسول الله سهل بن حنيف، فولدت له عبد الله بن سهل.

طلاق الكوافر

وأنزل الله تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ [(5)] فطلق عمر بن الخطاب امرأتين هما: قريبة بنت أبي أمية، [بن المغيرة] [(6)] ، فتزوجها معاوية بن أبي

[(1)] الآية 1/ الممتحنة، وفي (خ) «... فامتنحوهن، الآية» .

[(2)] ف: فعل الأمر من أوفى.

[(3)] في (خ) هكذا: «كانت ثابت بن الدحاح» والصواب «كانت تحت» حيث أن ثابت

بن الدحاح رضي الله عنه قد استشهد بأحد (ابن سيد الناس) ج 2 ص 29.

[(4)] في (خ) «أنت» .

[(5)] من الآية 10/ الممتحنة.

[(6)] في (خ) «قريبة بنت أمية» وما بين القوسين زيادة من (ط) ، وفي (الواقدي) «زينب بنت أمية» .

(303/1)

سفيان، والأخرى أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيّب بن ربيعة بن أصرم ابن حبيش بن حرام بن حبيشة بن سلول بن كعب الخزاعية، فتزوجها أبو جهم ابن حذيفة. وطلق عياض بن غنم الفهري أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب. فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فولدت له عبد الرحمن ابن أم الحكم، وكلهم يومئذ مشرك. ولم يعلم أن امرأة من المسلمين لحقت بالمشركين.

بعثة الرسل إلى الملوك

وفي هذه السنة السادسة، بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسله إلى الملوك بكتبه، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة [عمرو، وقيل: راشد] بن معاذ اللخمي إلى المقوقس بمصر. * أرسل شجاع بن وهب [ويقال: ابن أبي وهب] بن ربيعة بن أسد ابن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسديّ إلى الحارث ابن أبي شمر الغسائيّ. * وأرسل دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج [(1)] [وهو زيد مناة] بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن غدرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي، إلى قيصر ملك الروم. * وأرسل سليط بن عمر بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤيّ القرشي العامري، إلى هوذة بن علي الحنفي، وإلى ثمامة بن أنال [وهما] [(2)] رئيسا اليمامة. * وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، إلى كسرى ملك فارس. * وأرسل عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة [(3)] ابن كعب الضمريّ، إلى النجاشي ملك الحبشة. * وأرسل العلاء بن الحضرميّ [اسمه عبد الله] بن عباد [وقيل: عبد الله بن عمار، وقيل: عبد الله بن ضمّار، وقيل: عبد الله بن عبيدة بن ضمّار] بن مالك

[(1)] في (خ) «الخزرج» .

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] في (خ) «عتيك بن باشرة» .

(304/1)

وقيل: العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف بن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصدف، إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين.
وقيل: إن إرساله كان سنة ثمان.

ردود الملوك

* فأما المقوقس، فإنه قبل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى إليه أربع جوارى، منهن مارية [القبطية] .

* وأما قيصر [واسمه هرقل] ، فإنه قبل أيضا الكتاب واعترف بالتبوة، ثم خاف من قومه فأمسك.

* وأما الحارث بن أبي سمر الغساني، فإنه لما أتاه الكتاب قال: أنا سائر إليه [يعني محاربا] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغه ذلك عنه: باد ملكه.

* وأما النجاشي فإنه آمن برسول الله واتبعه، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وأرسل ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر. وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بأمة حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب - وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصّر هناك - فزوجه إياها، وقام بصدقها: أربعمائة دينار من عنده.

* وأما كسرى أبرويز هرمز، فإنه مزق الكتاب،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مزق الله ملكه، فسلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

* وأما هودبة بن عليّ، فبعث وفدا بأن يجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بعده حتى يسلم، وإلا قصده وحاربه،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اكفنيه! فمات بعد قليل.

* وأما المنذر بن ساوي، فإنه أسلم وأسلم أهل البحرين.

سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي محرم سنة سبع سحر لبيد بن الأعصم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على مال جعله له من بقي بالمدينة من اليهود والمنافقين.

(305/1)

غزوة خيبر

وكانت غزوة خيبر في صفر سنة سبع، وبينها وبين المدينة ثمانية برد، مشى ثلاثة أيام. وقيل: سميت بخيبر بن قانية بن هلال بن مهلهل بن عبيل بن عوض ابن إرم بن سام بن نوح [(1)] : وكان عثمان بن عفان مصرّها.

أول الخروج إلى خيبر

ويقال: خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لهلال ربيع الأول. ونقل عن الإمام مالك أن خيبر كانت في سنة ست. وإليه ذهب أبو محمد بن حزم، والجمهور على أنها كانت في سنة سبع، وأمر أصحابه بالتهيؤ للغزو، واستنفر من حوله يغزون معه. وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقال: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، وأما الغنيمة فلا. وبعث مناديا فنادى: لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد. واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وقيل: أبا ذر، وقيل: نميلة بن عبد الله الليثي.

ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يغزوهم، لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون: محمد يغزونا!! هيهات هيهات [(2)] ! فعمى الله عليهم، فخرج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم حتى نزل بساحتهم ليلاً.

دعاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما أشرف خيبر
ولما أشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا، ثم قال قولوا: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، [ورب الشياطين وما أضللن] [(1)] ، ورب الرياح وما ذرت، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها [وشر أهلها]

[(3)] وشر ما فيها! ثم قال:

[(1)] [معجم البلدان] ج 2 ص 409، 410.

[(2)] اسم فعل ماض بمعنى «بعد» .

[(3)] زيادة في بعض كتب السيرة، وفي (خ) و (الواقدي) ج 2 ص 642 بدون هذه الزيادة، وذكره الإمام النووي في (الأذكار) ص 201 (باب ما يقول إذا رأى قرية يريد دخولها أو لا يريد)

(306/1)

ادخلوا على بركة الله. وعزّس بمنزله ساعة.

خبر يهود وغزو المسلمين

وكانت يهود يقومون كل ليلة قبل الفجر، ويصفون الكنائس، وخرج كنانة ابن أبي الحقيق في أربعة عشر رجلا إلى غطفان، يدعوهم إلى نصرهم وهم نصف ثم خبير سنة. فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم، لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك، حتى طلعت الشمس، فأصبحوا وأفندتهم تحفق، وفتحوا حصونهم، [وغدوا إلى أعمالهم] [(1)] ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل، فلما نظروا المسلمين قالوا: محمد والخميس [(2)] !! وولوا هاربين إلى حصونهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الله أكبر! خربت خبير! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

قتال أهل النطاة

وقاتل يومه ذلك إلى الليل أهل النطاة [(3)] ، فلما أمسى تحول بالناس إلى الرجيع [(4)] . وكان يغدو [(5)] بالمسلمين على راياتهم. وكان شعارهم: يا منصور أمت. وأمر بقطع نخلهم، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمئة عذق [(6)] ، ثم نادى بالنهي عن قطعها. ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل خبير أخذته الشقيقة [(7)] ، فلم يخرج إلى الناس.

- [(1)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 106 .
- [(2)] «يعنون بالخميس الجيش» المرجع السابق.
- [(3)] حصن من حصون خيبر التي ذكرها (ابن سعد) ج 2 ص 106 «وهي: حصن الصعب بن معاذ، وحصن ناعم، وحصن قامة الزبير والشق، وبه حصون منها حصن أبي وحصن النزار، وحصون الكتيبة منها القموص والوطيح وسلام، وهو حصن بني أبي الحقيق» .
- [(4)] الرجيع: «هو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم الله صلى الله عليه وسلم، وهذا غير ذلك، وذكر ابن إسحاق في غزاة خيبر أنه عليه السلام حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع ... وهذا غير الأول لأن ذلك قرب الطائف وخيبر من ناحية الشام خمسة أيام عن المدينة، فيكون بين الرجيعين أكثر من خمسة عشر يوماً» (معجم البلدان) ج 3 ص 29 .
- [(5)] في (خ) «يغذو» .
- [(6)] العذق: النخلة يحملها (ترتيب القاموس) ج 3 ص 179 .
- [(7)] الشقيقة: وجع يأخذ نصف الرأس والوجه (ترتيب القاموس) ج 2 ص 739، (زاد المعاد) ج 4 ص 87 فصل هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الصداع والشقيقة.

(307/1)

مقتل محمود بن مسلمة

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع فيئة [(1)] ، وقد قاتل يومئذ، وكان يوما صائفا [(2)] ، فدلى عليه مرحب [اليهودي] [(3)] رحى فهشمت البيضة، وسقطت جلدة جبينه على وجهه، وندرت عينه [(4)] ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الجلدة كما كانت، وعصبتها بثوب، وتحوّل إلى الرجيع خشية على أصحابه من البيات. فكان مقامه بالرجيع سبعة أيام، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقاتل أهل النطاة يومه [(5)] ، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين.

اليهودي المستأمن

ونادى يهودي من أهل النطاة بعد ليل: أنا آمن وأبلغكم؟ فقالوا: نعم! فدخل على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فدلّه على عورة يهود. فدعا أصحابه وحضّهم على الجهاد. فعدوا عليهم، فظفرهم الله بهم، فلم يك في النطاة شيء من الذرية، فلما انتهوا إلى الشق وجدوا فيه ذرية، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودي زوجته.

حراسة المسلمين وفتح النطاة

وكانت الحراسة نوبا بين المسلمين، حتى فتح الله حصن النطاة، فوجد فيها منجنيق، فنصب على حصن النزار [(6)] ، ففتحه الله، ونازل المسلمون حصن ناعم في النطاة، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال حتى يأذن لهم. فعمد رجل من أشجع فحمل على يهود فقتله مرحب،

فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحل الجنة لعاص. ثم أمر الناس بالقتال. وكان لليهود عبد حبشي اسمه يسار، في ملك عامر اليهودي، يرعى له غنما، فأقبل بالغنم حتى أسلم، ورد الغنم لصاحبها، وقاتل حتى قتل شهيدا.

[(1)] في (خ) «فئة» والفيء: الظل.

[(2)] الصائف: شديد الحر.

[(3)] زيادة للإيضاح.

[(4)] ندر الشيء ندورا: سقط من جوف شيء، أو من بين أشياء تظهر (ترتيب القاموس) ج 4 ص 347.

[(5)] في (خ) «قومه» .

[(6)] في (خ) «البراز» .

(308/1)

الألوية، وأول راية في الإسلام

وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايات، ولم تكن راية قبل خير، إنما كانت الألوية، فكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم سوداء تدعى العقاب: من برد لعائشة رضي الله عنها، ولواؤه أبيض، ورفع راية إلى علي، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد ابن عباد رضي الله عنهم.

مدد عيينة بن حصن ليهود

وكان عيينة بن حصن قد أقبل مددا ليهود بغطفان في أربعة آلاف، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يرجع وله نصف ثمر خيبر، فأبى أن يتخلى عن حلفائه، فبعث الله على غطفان الرعب، فخرجوا على الصعب والذلول [(1)] ، فذل عند ذلك عدو الله كنانة بن أبي الحقيق، وأيقن بالهلكة.

حصن ناعم ورجوع المسلمين

وجثم [(2)] رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحصون، وألح على حصن ناعم بالرمي، ويهود تقاتل. ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال له الطرب، وعليه درعان ومغفر وبيضة، وفي يده قناة وترس. وقد دفع لواءه إلى رجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا. فحث صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد، وسالت كتائب يهود: أمامهم الحارث أبو زينب يهذ [(3)] الناس هذا. فساقهم صاحب راية الأنصار حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه، وخرج أسير يقدم يهود، فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما [(4)] .
[وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] ،

فقال صلى الله عليه وسلم: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار، أبشر يا محمد بن مسلمة! غدا- إن شاء الله تعالى- يقتل قاتل أخيك، وتوَّى عادية يهود.

[(1)] كناية عن شدة الرعب.

[(2)] جثم: لزم مكانه.

[(3)] في (خ) «بهذا» ، والهدّ: الإسراع.

[(4)] في (الواقدي) ج 2 ص 653 بعد قوله «مهموما» «وقد كان سعد بن عبادة رجع مجروحا» فيستقيم بذلك السياق إذا قيل بعدها عبارة: [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] .

بعثة علي لفتح حصن ناعم

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى علي رضي الله عنه- وهو أرمد- فقال [علي] [(1)] : ما أبصر سهلا ولا جبلا! فذهب إليه فقال صلى الله عليه وسلم: افتح

عينيك! ففتحهما، فتفل فيهما، فما رمد بعدها.

مقتل أبي زينب اليهودي

ثم دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه بالنصر. وكان أول من خرج إليه الحارث أبو زينب - أخو مرحب - فأنكشف المسلمون وثبت علي، فاضطربا ضربات فقتله علي، وانهمز اليهود إلى حصنهم.

خبر مرحب اليهودي ومقتله

ثم خرج مرحب فحمل علي وعليّ وضربه، فاتقاه بالترس، فأطن ترس علي رضي الله عنه، فتناول بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن، وبعث رجلا يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتح حصن مرحب.

ويقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلك، فلم يحمله أربعون رجلا. وروي - من وجه ضعيف عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلا، فكان جهدهم أن أعادوا الباب. وعن أبي رافع: فلقد رأيتني في نفر مع سبعة - أنا ثامنهم - نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه. وزعم بعضهم: أن حمل عليّ باب خيبر لا أصل له، وإنما يروى عن رعاك الناس. وليس كذلك، فقد أخرجه ابن إسحاق في سيرته عن أبي رافع، وأن سبعة لم يقلبوه. وأخرجه الحاكم من طرق منها: عن أبي علي الحافظ: حدثنا الهيثم بن خلف الدوري، حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري [نسيب] [(2)] السدي، حدثنا المطلب بن زياد، حدثنا الليث بن أبي سليم، حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن حسين، عن جابر: أن عليا حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا.

[(1)] زيادة للبيان.

[(2)] زيادة من نسبه (تهذيب التهذيب) ج 1 ص 325.

(310/1)

خبر مرحب وأسير وياسر ومقتلهم

ويقال: إن مرحبا برز كالفحل الصئول يدعو للبراز، فخرج إليه محمد بن مسلمة فتجاولا ساعة، وضرب محمد مرحبا فقطع رجله وسقط، فمر به علي رضي الله عنه فضرب عنقه وأخذ سلبه، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه محمد بن مسلمة. وبرز أسير، فخرج له محمد بن

مسلمة فقتله محمد، ثم برز ياسر، وكان من أشدائهم، فقال:
قد علمت خبير أني ياسر ... شاكي السلاح بطل مغاور
إذا الليوث أقبلت تبادر ... وأحجمت من صولتي المخاطر [(1)]
إن حمائي فيه موت حاضر

فقتله الزبير رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خبير أني زبّار ... قوم لقوم غير نكس فرّار
وابن حماة المجد وابن الأخيّار ... ياسر! لا يغرك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الجرار [(2)]

(وفي رواية: «فإنّهم مثل السراب الموار»)

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أبشروا! قد ترحبت خبير وتيسرت. وبرز عامر فقتله عليّ
وأخذ سلاحه.

البشرى بقتل قاتل محمود بن مسلمة

ولما قتل مرحب بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعيل بن سراقه الغفاريّ يبشر محمود ابن
مسلمة: أن الله قد أنزل فرائض البنات، وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله، فسر بذلك، ومات
في اليوم الذي قتل فيه مرحب، بعد ثلاث من سقوط الرحي عليه.

فتح حصن الصعب بن معاذ بعد الجوع والجهد

وكان الناس قد أقاموا على حصن النطاة عشرة أيام لا يفتح، وجهدهم الجوع،

[(1)] في (الطبري) ج 3 ص 11 «وأحجمت عن صوتي المغاور» .

[(2)] في (خ) «فإنّهم مثل الشراب الجار» وما أثبتناه من (الطبري) ج 3 ص 11.

(311/1)

فبعثوا أسماء بن حارثة بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر ابن ثعلبة بن
مالك بن أفضى الأسلمي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نشكو الجوع والضعف، فادع الله
لنا! فقال: اللّهم افتح عليهم أعظم حصن فيه، أكثره طعاما وأكثره ودكا.
ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح، وندب الناس. فما رجعوا حتى فتح الله عليهم

حصن الصعب.

خبر أبي اليسر في إطعام المسلمين

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟ فقال أبو اليسر كعب ابن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة: أنا يا رسول الله! وخرج يسعى مثل الظبي، فقال عليه السلام: اللَّهُمَّ متعنا به! فأدرك الغنم وقد دخل أولها الحصن، فأخذ شاتين من آخرها واحتضنهما، ثم أقبل عدوا، فأمر بهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذبحتا [(1)] وقسمتا، فما بقي أحد من أهل العسكر المحاصرين الحصن إلا أكل منها، وكانوا عددا [(2)] كثيرا.

نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها

وخرج من الحصن عشرون حمارا أو ثلاثون، فأخذها المسلمون وانتحروها، وطبخوا لحومها، فمر بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم على تلك الحال، فسأل، فأخبر خبرها، وأمر فنودي: إن رسول الله نهاكم عن لحوم [الحمر] [(3)] الإنسية فأكفئوا القدر.

النهي عن متعة النساء وكل ذي ناب ومخلب

[نهاكم] [(4)] عن متعة النساء [(5)] ، وعن كل ذي ناب ومخلب. وذبح المسلمون فرسين قبل فتح حصن الصعب فأكلوا.

[(1)] في (خ) «قد لحقا» .

[(2)] في (خ) «عدادا» .

[(3)] زيادة للسياق.

[(4)] زيادة للسياق.

[(5)] يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج 3 ص 343 وما بعدها: «ولم تحرم المتعة يوم خيبر وإنما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب» .
«وقال الشافعي: لا أعلم شيئا حرم، ثم أبيح، ثم حرم إلا المتعة، قالوا: نسخت مرتين، وخالفهم في ذلك آخرون، وقالوا: لم تحرم إلا عام الفتح» .

مقتل عامر بن سنان الأنصاري

وقتل عامر بن سنان الأنصاري - عمّ سلمة [(1)] بن عمرو بن الأكوع [وسنان هو الأكوع]- وقد لقي يهوديا فبدره بضربة، فاتقى عامر بدرقته، فبنا سيف اليهودي عنه، وضرب عامر رجل اليهودي فقطعها، ورجع السيف عليه، فنزف فمات. فقال أسيد بن حضير: حبط عمله.
فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: كذب من قال ذلك، إن له لأجرين، إنه جاهد [(2)] مجاهد، وإنه ليعوم في الجنة عوم الدعموص [(3)] .

خبر حصن الصعب

ولما أقام المسلمون على حصن الصعب يومين، عدا بهم الحباب بن المنذر في اليوم الثالث ومعه الراية، فقاتلهم أشد قتال. وبكر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فتراموا بالنبل، وقد ترس المسلمون على رسول الله. ثم حملت اليهود حملة منكرة، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وهو واقف قد نزل عن فرسه، ومدعم [(4)] يمسك الفرس، وثبت الحباب برايته يراميههم على فرسه. فندب رسول الله الناس وحضهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحف بهم الحباب، واشتد الأمر، فانهمزت يهود وأغلقتوا الحصن عليهم، ورموا من أعلى جدره بالحجارة رميا كثيرا فتباعد عنه المسلمون ثم كروا. فخرجت يهود وقاتلوا أشد قتال، فقتل ثلاثة من المسلمين، ثم هزمهم الله تعالى.

غنائم حصن الصعب

واقترح المسلمون الحصن يقتلون ويأسرون. فوجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك كثيرا [(5)] فنادى منادي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: كلوا

[(1)] في (خ) «مسلمة» .

[(2)] الجاهد: الجاد في أمره.

[(3)] الدعموص: دويبة أو دودة تكون في الغدران إذا نشّت (ترتيب القاموس) ج 2 ص 187. والغدران:

جمع غدير.

[(4)] مدعم: اسم عبد اسود.

[(5)] في (خ) «كبيرا» .

واعلفوا ولا تحتملوا [يعنى لا تخرجوا به إلى بلادكم
[. فأخذوا من ذلك الحصن طعامهم، وعلف دوابهم، ولم يمنع أحد من شيء، ولم يخمس .
ووجدوا بزًا في عشرين عكماً [(1)] محزمة من متاع المين [(2)] ، ووجدوا خواصي سكر [(3)] ، فأمر بالسكر فكسر خواصيه . ووجدوا آنية من نحاس وفخار كانت يهود تأكل فيها
وتشرب،
فقال عليه السلام: اغسلوها واطبخوا، وكلوا فيها واشربوا.
وأخرجوا منها غنماً وبقراً وحمراً، وآلة الحرب، ومنجنيقاً، ودبابات وعدة، وخمسائة قطيفة،
وعشرة أحمال خشب [(4)] فأحرق،
وشرب الخمر رجل من المسلمين يقال له: «عبد الله الحمار» [(5)] ، فخففه رسول الله
بنعليه، وأمر من حضره فخففوه [(6)] بنعالهم.
ولعنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم: فإنه يجب الله ورسوله!
ثم راح عبد الله كأنه أحدهم، فجلس معهم.

فتح قلعة الزبير

وتحولت يهود إلى قلعة [(7)] الزبير، فزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وحصرهم -
وكانوا في حصن منيع - مدة ثلاثة أيام حتى فتحه، وكان آخر حصون النطاة.

فتح حصون الشق

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنفال والعسكر أن يحول من الرجيع إلى مكانه الأول
بالشق، وبه عدة حصون، فنازلها حتى فتحها. ووجد في حصن منها صفيية بنت حبي وابنة عمها،
ونسبيات معها وذراري، يبلغ عدة الجميع زيادة على ألفين.

مصالحة كنانة بن أبي الحقيق على أهل الكتيبة

وصالح كنانة بن أبي الحقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم [على] [(8)] أهل الكتيبة فأمن

[(1)] العكم: من قوله: عكم المتاع يعكمه، شده بثوب (ترتيب القاموس) ج 2 ص 664.

[(2)] في (خ) «اليمين» .

- [(3)] خوايي: جمع خابية وهي كالدق، والسّكر: كل ما يسكر.
- [(4)] في (خ) ، (ط) «كشوب» وهو خطأ من الناسخ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج 2 ص 664.
- [(5)] كذا في (خ) ، (ط) وفي المرجع السابق «عبد الله الحمار» .
- [(6)] في (خ) «فخفوهم» .
- [(7)] في (خ) «قطعة» .
- [(8)] زيادة للسياق.

(314/1)

الرجال والذرية، ودفعوا إليه الأموال من الذهب والفضة والحلقة والثياب إلا ثوبا على إنسان، بعد ما حصرهم أربعة عشر يوما. وقال مالك، عن ابن شهاب: والكتيبة أكثرها عنوة، وفيها صلح. وقال ابن وهب: قلت لمالك: وما الكتيبة؟ قال: من أرض خيبر، وهي أربعون ألف عدق. فوجد خمسمائة قوس عربية، ومائة درع، وأربعمائة سيف، وألف رمح.

ما كتبه ابن أبي الحقيق من أموال يهود وما كان فيه من الغنائم

وسأل [رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم] [(1)] كنانة بن أبي الحقيق عن الأموال- وكان قد قال صَلَّى الله عليه وسلّم حين صالحه برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم مويني شيئا- فقال كنانة: يا أبا القاسم! أنفقناه في حربنا فلم يبق منه شيء! وأكد الأيمان، فقال رسول الله: برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكم؟ قال: نعم! ثم قال صَلَّى الله عليه وسلّم: وكل ما أخذت من أموالكم، وأصبت من دمائكم، فهو حل لي ولا ذمة لكم؟ قال: نعم! وأشهد عليه عدة من المسلمين ومن يهود.

فدله سعية [(2)] ابن سلام بن أبي الحقيق على خربة، فبعث عليه السلام الزبير في نفر مع سعية [(2)] حتى حفر، فإذا كنز في مسك [(3)] جمل، فيه حلي. فأتى به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، فأمر الزبير أن يعذب كنانة حتى يستخرج كل ما عنده، فعذبه حتى جاءه بمال، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود، وعذب ابن أبي الحقيق الآخر، ثم دفع إلى ولاية بشر بن البراء فقتل به، وقيل ضرب عنقه، واستحل صَلَّى الله عليه وسلّم بذلك أموالهما، وسي ذراريهما. ووجد في المسك: أسورة الذهب، ودمالج الذهب، وخلاخل الذهب، وأقرطة ذهب،

ونظم من جوهر وزمرد، وخواتم ذهب، وفتح بجزع ظفار مجزع [(4)] بالذهب. [وذكر] [(5)] .

[(1)] زيادة للبيان.

[(2)] كذا في (ط) ، وفي (خ) و (الواقدي) ج 2 ص 672 «ثعلبة» .

[(3)] مسك الدابة: جلدها بعد السلخ.

[(4)] في (خ) «وفتح بجزع ظفار مجزع» ، والفتح. الدبلة، وجزع الظفار: سبق شرحه في

حديث الإفك.

[(5)] كذا في (خ) ، والسياق مستقيم بدونها.

(315/1)

صفية بنت حبي: إسلامها، وزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا
وكانت صفية بنت حبي تحت كنانة بن أبي الحقيق، فسبها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وبعث بها مع بلال إلى رحله، فمر بها وبابنة عمها على القتلى، فصاحت ابنة عمها صياحا
شديدا،

فكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صنع بلال وقال: ذهبت منك الرحمة؟

تمر تجارية حديثه السن على القتلى!!

فقال: يا رسول الله! ما ظننت أنك تكره ذلك، وأحببت أن ترى مصارع قومها! فدفع ابنة عم
صفية إلى دحية الكلبي، وأعتق صفية وتزوجها، وجعل عتقها صداقها.

خبر الشاة المسمومة التي أكل منها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتلت بشر بن البراء
ثم إن زينب ابنة الحارث اليهودية أخت مرحب [(1)] ، ذبحت عنزا لها وطبختها وسمتها، فلما
صلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المغرب وانصرف إلى منزله، وجد زينب عند رحله، فقدمت
له الشاة هدية. فأمر بها فوضعت بين يديه، وتقدم هو وأصحابه إليها ليأكلوا، فتناول الذراع،
وتناول بشر بن البراء عظما،

وانتهس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم ازدرد، وقال: كفوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني
أنها مسمومة!

فقال بشر بن البراء: والله يا رسول الله، وجدت ذلك من أكلتي [(2)] التي أكلت، فما منعني

أن ألفظها إلا كراهية أنغص عليك طعامك. فلم يرم [(3)] بشر من مكانه حتى تغير ثم مات. ودعا رسول الله زينب وقال: سممت الذراع؟ قالت: من أخبرك؟ قال: الذراع! قالت: نعم! قال: وما حملك على ذلك؟ قالت: قتل أبي وعمي وزوجي، ونلت من قومي ما نلت، فقلت: إن كان نبيا فستخبره الشاة، وإن كان ملكا استرحنا منه! فقيل: أمر بما فقتلت ثم صلبت [(4)] ، كما رواه أبو داود. وقيل: عفا عنها [(5)] .

[(1)] كذا في (خ) ، وفي سنن أبي داود ج 4 ص 648، ويرى بعض الرواة أن «زينب بنت الحارث» هذه هي ابنة أخي مرحب اليهودي، راجع (مجمع الزوائد) ج 6 ص 153. [(2)] أكلتي: لقمتي. [(3)] لم يرم: لم يفارق مكانه. [(4)] (مجمع الزوائد) ج 8 ص 296. [(5)] (سنن أبي داود) ج 4 ص 647 وما بعدها، (باب من سقى رجلا سما أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟) الأحاديث أرقام: 5408، 5409، 5410، 5411، 5412، 5413، 5414 وقال الخطابي في

(316/1)

الاختلاف في قتل صاحبة الشاة المسمومة

وقد اختلفت [(1)] الآثار في قتلها [(2)] : ففي صحيح مسلم أنه لم يقتلها، وهو مروى عن أبي هريرة وجابر، وفي أبي داود أنه قتلها. وعن ابن عباس: دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور، وكان أكل منها فمات بها، فقتلوا. وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله قتلها. وكان نفر ثلاثة قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيئا، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتجموا أو ساط رؤوسهم.

احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سم الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم تحت كتفه اليسرى، وقيل: على كاهله، حجه أبو هند بالقرن والشفرة. وقال صلى الله عليه وسلم في مرض موته: ما زالت أكلة خبير يصيبني منها عداد [(3)] ،

حتى كان هذا أوان أن تقطع أجهري [(4)] .
ويقال: الذي مات مسموما من الشاة بشر بن البراء، وبشر أثبت.

مغانم خير

واستعمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مغانم خير فروة بن عمرو بن وذفة [(5)] بن عبيد ابن عامر بن بياضة البياضي الأنصاري، فلم يخمس الطعام والأدم والعلف، بل أخذ

[()] [معالم السنن] ج 4 ص 649 «وفي الحديث دليل على إباحة أكل طعام أهل الكتاب، وجواز مبايعتهم ومعاملتهم، مع إمكان أن يكون في أموالهم الربا ونحوه من الشبهة» .
[(1)] في (خ) «اختلف» .

[(2)] وفي (الشفاء) للقاضي عياض ج 1 ص 268، 269: «... قال: فأمر بها فقتلت، وقد روى هذا الحديث أنس، وفيه قالت: أردت قتلك فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك، فقالوا: نقلها، قال:

لا. وكذلك روى عن أبي هريرة من رواية غير وهب، قال: فما عرض لها، ورواه أيضا جابر بن عبد الله، وفيه: أخبرني به هذه الذراع، قال: ولم يعاقبها، وفي رواية ابن إسحاق وقال فيه: فتجاوز عنها،

وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل اليهودية التي سمته، وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر، وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها» .

[(3)] [العداد: اهتياج وجع اللديغ بعد سنة (ترتيب القاموس) ج 3 ص 170 .

[(4)] [الأهمر: وريد العنق (المرجع السابق) ج 1 ص 231 .

[(5)] في (خ) «وذفة بن عميل» والصواب ما أثبتناه من كتب السيرة.

(317/1)

الناس منه حاجتهم. وكان من احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغانم ثم رده [(1)] إليه.

فلما اجتمعت المغانم كلها جزأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، وسائر السهمان أغفال. وكان أول سهم خرج سهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يتخير

في الأخماس. ثم أمر ببيع الأخماس الأربعة فيمن يزيد، فباعها فروة ابن عمرو، ودعا فيها صلى الله عليه وسلم بالبركة فقال: اللهم ألق عليها التناق! - فتذاك الناس عليها حتى نفق في يومين، وكان يظن أنهم لا يتخلصون منه حيناً لكثرتهم. فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خمسه ما أراد الله: فأعطى أهله، وأعطى رجالاً من بني عبد المطلب ونساء، وأعطى اليتيم والسائل. وجمعت مصاحف فيها التوراة، ثم ردت على يهود.

الغلول من الغنائم

ونادى منادي رسول الله: أدوا الخياط والمخيط [(2)] ، فإن الغلول عار وشنار، ونار يوم القيامة!

فعصب فروة رأسه بعصابة ليستظل بها من الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عصابة من نار عصبت بها رأسك! فطرحها.

وسأل رجل أن يعطى من الفيء شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم: لا يحل من الفيء خيط ولا مخيط لأحد، ولا معطي.

وسأله رجل عقالا فقال: حتى تقسم الغنائم ثم أعطيك عقالا،

وقتل [(3)] كركرة يومئذ فقال صلى الله عليه وسلم: إنه الآن ليحرق في النار على شملة غلها.

وتوفي رجل من أشجع فلم يصل عليه، وقال: إن صاحبكم غلّ في سبيل الله:

فوجد في متاعه خرز [(4)] لا يساوي درهمين. واشترى الناس يومئذ تبراً بذهب جزافاً [(5)]

[(6)] فهي [رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. ووجد رجل في خربة مائتي درهم، فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ودفعتها إليه.

[(1)] في (خ) «ردوه» .

[(2)] الخياط والمخيط: الخيط والإبرة، (راجع مسند الحميدي) ج 2 ص 396 حديث رقم 894.

[(3)] في (خ) «وقيل» .

[(4)] في (خ) «حزو» وما أثبتناه من (المغازي) ج 2 ص 681.

[(5)] في (خ) «وأسرى الناس يومئذ يذهب جزافاً» وما أثبتناه من المرجع السابق ج 2 ص 682.

[(6)] في (خ) «فانتهى» وفي (ط) «فهي» وفي (المغازي) «فلهي» .

النهي عن أشياء

وسمع [صلى الله عليه وسلم] [(1)] يومئذ يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره [(2)] ، ولا يبيع شيئا من المغنم حتى يعلم. ولا يركب دابة من المغنم حتى إذا أدبرها [(3)] ردها. ولا يلبس ثوبا من المغنم حتى إذا أخلقه رده، ولا يأت [(4)] امرأة من السبي حتى تستبرأ بحيضة، وإن كانت حبلى حتى تضع الحمل.
ومرّ على امرأة مجح [(5)] فقال: لمن هذه؟ فقيل: لفلان. فقال: لعله يطؤها؟
قالوا: نعم! قال: كيف بولدها؟ يرثه وليس بابنه، ويسترقه، وهو يغذو [(6)] في سمعه وبصره!
لقد هممت أن ألعنه لعنة تتبعه في قبره.

قدوم أصحاب السفينتين

وقدم أهل السفينتين من عند النجاشي بعد أن فتحت خيبر، فيهم جعفر بن أبي طالب وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، في جماعة من [(7)] الأشعريين يزيدون على سبعين. وذكر ابن سعد عن الواقدي بسنده [(8)] : أنهم لما سمعوا خبر هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، رجع ثلاثة وثلاثون رجلا وثماني نسوة، فمات منهم رجالان بمكة، وحبس بمكة سبعة نفر. وشهد بدرًا منهم أربعة وعشرون رجلا. فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة، كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري، فأسلم. وكتب إليه أيضا أن يزوجه أم حبيبة [بنت أبي سفيان] [(9)] - وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة - فزوجه إياها. وكتب إليه أيضا أن يبعث بمن بقي عنده من أصحابه

[(1)] زيادة للبيان.

[(2)] الماء: المنى، وزرع غيره، الحمل الذي من غيره.

[(3)] في (الواقدي) «برها» وأدبر الدابة: أنقل عليها الحمل. والدبرة: فرحة الدابة (ترتيب

القاموس) ج 2 ص 146.

[(4)] في (خ) «ولا يأتي» .

[(5)] في (خ) «نحج» والمجح: الحامل المقرب التي دنا ولدها (النهاية) ج 1 ص 240.

[(6)] في (المغازي) «يعدو» ج 2 ص 683، وفي (ط) «بغزو»، وفي سنن الدارمي ج 2 ص

227 باب النهي عن وطء الحبالي:

«عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة مجحة يعنى حبلى ... فقال لعله قد ألمّ بما قالوا نعم، قال لقد هممت أن العنة لعنة تدخل معه قبره، كيف يورثه وهو لا يحل له؟ وكيف

يستخدمه وهو لا يحل له؟» .

[(7)] في (خ) «في» .

[(8)] (المغازي) ج 2 ص 683.

[(9)] زيادة للبيان من (ط) .

(319/1)

ويحملهم، فحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية، فأرسلوا بساحل بولا وهو الجار [(1)] . ثم ساروا حتى قدموا المدينة، فوجدوا [(2)] رسول الله بخير فأتوه، فقال صلى الله عليه وسلم: ما أدري بأيهما أنا أسر؟ قدوم جعفر، أو فتح خيبر!! ثم ضمّه وقبل بين عينيه.

إشراك القادمين في غنائم خيبر

وهم المسلمون أن يدخلوا جعفرا ومن قدم معه في سهمانهم ففعلوا، وقدم الدوسيون، فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم، ونفر من الأشعرين، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه [(3)] فيهم أن يشركوهم في الغنيمة، فقالوا: نعم، يا رسول الله.

الخمس وقسمته

وكان الخمس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم غنمه المسلمون، شهدوا أو غاب عنه. وكان لا يقسم لغائب في مغنم لم يشهده، إلا أنه في بدر ضرب لثمانية لم يشهدوا، وكانت خيبر لأهل الحديبية من شهدها أو غاب عنها. قال الله سبحانه: وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ [(4)] - يعني خيبر، وقد تخلف عنها رجال، ومات رجالان وأسهم صلى الله عليه وسلم لمن تخلف منهم ومن مات، وأسهم لمن شهد خيبر ولم يشهد الحديبية، وأسهم لرسول كانوا يختلفون إلى أهل فدك، وأسهم لثلاثة مرضى لم يحضروا القتال، وأسهم للذين استشهدوا. وقيل: كانت خيبر لأهل الحديبية، لم يشهدوا غيرها، ولم يسهم فيها لغيرهم، والأول أثبت.

وأسهم لعشرة من يهود المدينة - غزاهم إلى خيبر - كسهمان المسلمين، ويقال: أحذاهم [(5)] ولم يسهم لهم، وأعطى ممالك كانوا معه ولم يسهم.

- [(1)] الجار: «مدينة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم وليلة ...» وهي فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند (معجم البلدان) ج 2 ص 92، 93.
- [(2)] في (خ) «فواجدوا» .
- [(3)] في (خ) «وأصحابه» .
- [(4)] الآية 20/ الفتح.
- [(5)] في (خ) «أحدهم» وأحذى: منح ووهب.

(320/1)

من شهد خيبر من النساء

وشهد خيبر عشرون امرأة، منهن: أم المؤمنين أم سلمة، وصفية بنت عبد المطلب، وأم أيمن، وسلمى امرأة أبي رافع مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وامرأة عاصم بن عدي، [وولدت بخيبر سهلة بنت عاصم] ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب، وأم منيع وهي أم شباث، وكعبية بنت سعد الأسلمية، وأم مطاوع الأسلمية، وأم سليم بنت ملحان، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية، وهند بنت عمرو بن حرام، وأم العلاء الأنصارية، وأم عامر الأشهلية، وأم عطية الأنصارية، وأم سليط، وأممية بنت قيس الغفارية، فرضخ لهن [(1)] من الفياء ولم يسهم لهن. وولدت امرأة عبد الله بن أنيس فأحذاها ومن ولدته.

خبر أفراس المؤمنين وسهماها

وقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر ثلاثة أفراس: لزار، والظرب، والسكب. وقاد المسلمون مائتي فرس، وقيل: ثلاثمائة، والأول أثبت. فأسهم لمن له فرسان خمسة أسهم: أربعة لفرسيه وسهما له [(2)] ، ولم يسهم لأكثر من فرسين لرجل واحد. ويقال: إنه لم يسهم إلا لفرس واحد، وهذا أثبت. ويقال: إنه عرب العري وهجن الهجين [(3)] يوم خيبر، فأسهم للعري دون الهجين. وقيل: لم يكن في عهده عليه السلام هجين، إنما كانت العراب [(4)] حتى كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحت الأمصار، ولم يسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لما كان معه من الخيل لنفسه إلا لفرس واحد، فكان له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسهم: لفرسه سهما وله سهم.

إحصاء الناس بخيبر

وولي إحصاء الناس بخيبر زيد بن ثابت، فقسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم الغنائم:

[(1)] رضخ له: أعطاه عطاء يسيرا.

[(2)] في (سنن الدارميّ) ج 2 ص 325، 326: «عن ابن عمر أن رسول الله صَلَّى اللهُ

عليه وَسَلَّمَ أسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمين» .

[(3)] الهجين من الخيل: ما كانت أمه غير عربية، وهو عيب يعاب به.

[(4)] العراب: من الخيل الأصيل.

(321/1)

وهم ألف وأربعمائة، والخيل مائتا فرس. وكانت السهمان التي في النطاة والشق على ثمانية عشر سهما. وكان من كان فارسا له في ذلك ثلاثة أسهم فوضى لم تحد ولم تقسم، إنما لها رءوس مسمون، لكل مائة رأس يقسم على أصحابه ما خرج من غلتها.

مساقاة اليهود على زرع خيبر

ولما فتح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر، ساقى [(1)] يهود على الشطر من الثمر والزرع، وكان يزرع تحت النخل، وكان يبعث عبد الله بن رواحة يخرص [(2)] عليهم النخل، ويقول إذا خرص، إن شتتم [فلكم] [(3)] ، وتضمنون نصف ما خرصت، وإن شتتم فلنا، ونضمن لكم ما خرصت. وخرص عليهم أربعين ألف وسق [(4)] . فلما قتل ابن رواحة بمؤتة «خرص عليهم أبو الهيثم بن التيهان، وقيل: جبار بن صخر، وقيل: فروة بن عمرو.

شكوى اليهود من المسلمين وإنصافهم

وجعل المسلمون يقعون [(5)] في حرثهم وبقلهم بعد المساقاة، فشكت يهود ذلك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنادى عبد الرحمن بن عوف: الصلاة جامعة، ولا يدخل الجنة إلا مسلم، فاجتمع المسلمون،

فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن يهود شكوا إلي أنكم وقعتم في حظائرهم، وقد أمناهم على دمائهم،

[(1)] المساقاة: «ما كان في النخل والكرم وجميع الشجر الذي يثمر بجزء معلوم من الثمرة للأجير، وإليه ذهب الجمهور، وخصها الشافعي في قوله الجديد بالنخل والكرم، وخصها داود بالنخل، وقال مالك تجوز في الزرع والشجر، ولا تجوز في البقول عند الجمع». (نيل الأوطار للشوكاني) ج 6 ص 8.

[(2)] الخرص: الحرز (ترتيب القاموس) ج 2 ص 37، وحكى الترمذي عن بعض أهل العلم أن تفسيره:

أن الثمار إذا أدركت من الرطب والعنب مما تجب فيه الزكاة، بعث الإمام خارصا ينظر، فيقول: يخرج من هذا كذا وكذا زبيبا، وكذا تمرا فيحصيه، وينظر مبلغ العشر فيه فيثبته عليهم ويحلي بينهم وبين الثمار، فإذا جاء وقت الجذاذ، أخذ منهم العشر، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

[(3)] زيادة للسياق، وفي (الواقدي) ج 2 ص 691: (إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ما خرصت، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ما خرصت).

[(4)] الوسق: ستون صاعا أو حمل بعير (ترتيب القاموس) ج 4 ص 611.

[(5)] وقع في الحرث: ترك دوابه ترعى فيه.

(322/1)

وعلى أموالهم التي في أيديهم في أراضيهم، وعاملناهم [(1)] وإنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها.

فكان [(2)] المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئا إلا بثمن.

خبر الكتيبة وأنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وقيل: إن الكتيبة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة، لأنهم لم يوجفوا عليها [(3)] ، وقيل: هي خمسة من خيبر. وكان صلى الله عليه وسلم يطعم من الكتيبة من أطمع، وينفق على أهله منها، وكانت تخرص ثمانية آلاف وسق تمرا، فليهود نصفها: أربعة آلاف. وكان يزرع فيها الشعير، فيحصد منه ثلاثة آلاف صاع، لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصفه، وليهود نصفه. وربما اجتمع منها ألف صاع نوى [(4)] ، هي أيضا بينهما نصفين. فأطعم من الكتيبة كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا تمرا، وعشرين وسقا شعيرا، وللعباس بن عبد المطلب مائتي وسق، ولفاطمة وعلي عليهما السلام ثلاثمائة وسق شعيرا وتمرا، ولأسامة بن زيد

مائة وخمسين وسقا شعيرا وتمرا، وأطعم آخرين.
وقسم بين ذوي [(5)] القرى بخيبر: بين بني هاشم وبني عبد المطلب فقط.

شهداء خيبر

واستشهد بخيبر خمسة عشر رجلا: أربعة من المهاجرين، والبقية من الأنصار.
فقتل: صلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: لم يصل عليهم.
وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلا، وأعطى صلى الله عليه وسلم جبل [(6)] بن جوال
الثعلبي كل داجن بخيبر، وقيل: إنما أعطاه كل داجن [(7)] في النطاة، ولم يعطه من الكتيبة ولا
من الشق شيئا.

ما نهي عنه في خيبر

وفي غزاة خيبر نهي صلى الله عليه وسلم: عن أكل الحمار الأهلي [(8)] ، وعن أكل كل ذي

[(1)] المعاملة: المساقاة في كلام فقهاء العراق.

[(2)] في (خ) «وكان» .

[(3)] وجف: ضرب من سير الخيل والإبل (ترتيب القاموس) ج 4 ص 578.

[(4)] نوى: جمع نواة.

[(5)] في (خ) «وقسم بينهم ذي القرى» .

[(6)] في (خ) جبلة.

[(7)] الداجن: الحمام والشاة وغيرها ألفت البيوت (ترتيب القاموس) ج 2 ص 152.

[(8)] [(سنن أبي داود) ج 4 ص 164 حديث رقم 3811.

(323/1)

ناب من السباع [(1)] ، وأن توطأ الحبالى حتى يضعن، وعن أن تباع السهام حتى تقسم [(2)] ، وأن تباع الثمرة حتى يبدو صلاحها [(3)] . ولعن يومئذ الواصلة والموصلة [(4)] ،
والواشمة والموشومة [(4)] ، والحامشة وجهها [(5)] ، والشاقة جيها [(6)] ، وحرم
لحوم البغال وكل ذي مخلب من الطيور، وحرم الجثمة [(7)] والخليسة [(8)] ، والنهبة [(9)] ، ونهى عن قتل النساء.

بلوغ خبر خيبر إلى أهل مكة

وقدم عباس بن مرداس السلمي مكة، فخبّر أن محمداً سار إلى خيبر، وأنه لا يفلت. فقال صفوان بن أمية: أنا معك يا عباس. وضوى معه نفر، وقال حويطب بن عبد العزى: إن محمداً سيظهر [(10)]. ووافقه جماعة، فتخاطر [(11)] مائة بعير. فلما جاء الخبر بظهور [(10)] رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حويطب وحيّزه [(12)] الرهن. وكان الذي جاءهم بذلك علاط السلمي [بن ثويرة بن حنتر بن هلال بن عبيد ابن ظفر بن سعد بن عمرو بن تيم بن بجز] [(13)] بن امرئ القيس بن بثة بن سليم ابن منصور، وقد أسلم بخيبر. [وكان قد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة،

[(1)] [المرجع السابق] ج 4 ص 159، 160 حديث رقم 3802، 3805.

[(2)] [سنن الدارمي] ج 2 ص 226، 227.

[(3)] [سنن أبي داود] ج 3 ص 669 حديث رقم 3373.

[(4)]

[سنن أبي داود] ج 4 ص 396 باب صلة الشعر حديث رقم 4168 «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة» وأخرجه البخاري في اللباس باب تحريم فعل الواصلة، والترمذي في اللباس حديث 1814 باب ما جاء في مواصلة الشعر، وسنن النسائي ص 145 في الواصلة والمستوصلة، ص 147 في المتوشمات.

[(5)] [خمس وجهه: خدشه ولطمه وضربه (ترتيب القاموس)] ج 2 ص 109.

[(6)] [سنن النسائي] ج 4 ص 2، 21 باب ضرب الحدود، وشق الجيوب.

[(7)] [المجثمة: هي كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل، إلا أنها تكثر في الطير والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم في الأرض: أي يلزمها ويلتصق بها. (النهاية)] ج 1 ص 239.

[(8)] [في (خ) «الجلسة» والخليسة: وهي ما يستخلص من السبع فيموت قبل أن يدكى، من

خلست الشيء واختلسته إذا سلبته، وهي فعيلة بمعنى مفعولة (النهاية)] ج 2 ص 61.

[(9)] [التهبة: ما ينهب من الشيء.

[(10)] [من الظهور: وهو النصر والغلبة.

[(11)] [تخاطرا: تراهننا.

[(12)] [في (خ) «وجيزة» والحيزة: الناحية.

[(13)] [في (خ) بعد «السلمي» ما نصه: «بن عمرو بن زهير بن امرئ القيس ...» وصواب

النسب ما بين القوسين.

وكان له بها مال وأهل، وتحوّف إن علمت قريش بإسلامه أن يذهبوا بماله، فأذن له رسول الله أن يأتي مكة [(1)] ليجمع ماله.

مصالحة أهل فدك

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما أقبل أهل خيبر، بعث محيصة بن مسعود بن كعب ابن عامر بن عددي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري إلى فدك، يدعوهم إلى الإسلام، فبعثوا معه بنفر منهم، حتى صالحهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أن يخلّوا بينه وبين الأموال، وأن لهم نصف الأرض: وصارت [(2)] فدك خالصة لرسول الله أبداً، أخذها بغير إيجاب خيل ولا ركاب.

إعراسه بصفية بنت حيبي

وانصرف صلّى الله عليه وسلّم من خيبر يريد وادي [(3)] القرى، فلما كان بالصهباء أعرس بصفية بنت [(4)] حيبي مساءً، وأو لم عليها [(5)] بالحيس والسويق والتمر [(6)] . وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قريباً من قبته، أخذاً بقائم السيف حتى أصبح، وهو يجرسه صلّى الله عليه وسلّم.

غزوة وادي القرى

فلما انتهى إلى وادي القرى - وقد ضوى إليها [(7)] ناس من العرب - استقبله اليهود بالرّمي، فقلت مدعم [(8)] ، - وهو يحط رحل النبي صلّى الله عليه وسلّم - بسهم، فعبا عليه السلام أصحابه وصفهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عبّاد بن بشر. ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا، وبرزوا فقتل منهم أحد عشر رجلاً. وبات عليهم وغدا لقتالهم،

[(1)] ما بين القوسين سقط في (خ) وقد استوفيناها من كتب السيرة.

[(2)] في (خ) «وضارب» .

[(3)] في (خ) «وأخرى» .

[(4)] في (خ) «بن حيبي» .

[(5)] أولم: من الوليمة.

[(6)] الحيس: طعام العرب، والسويق: يتخذ من الخنطة والشعير.

[(7)] ضوى إليه ضيًّا وضويًا، وانضوى إليه، إذا أوى إليه (الفائق للزمخشري) ج 2 ص

350.

[(8)] مدعم: غلام لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(325/1)

فأعطوا بأيديهم [(1)] ، فأخذها عنوة، وغنم ما فيها فقسمه، وعامل يهود على النخل.

مصالحة يهود تيماء

فطلب يهود تيماء الصلح فصولخوا على الجزية، وأقاموا على أموالهم. وانصرف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وادي القرى- وقد أقام أربعة أيام- يريد المدينة، فلما قرب منها نزل وعوّس.

النوم عن صلاة الصبح

فنام ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، فأذن بلال، وركعوا ركعتي الفجر، ثم صلى بهم حتى إن أحدهم ليسلت [(2)] العرق عن جبينه من حرّ الشمس، فلما سلم قال: كانت أنفسنا بيد الله، فلو شاء قبضها، وكان أولى بها، فلما ردّها إلينا صلينا، ثم أقبل على بلال- وكان قد قال قبل أن ينام: ألا رجل صالح حافظ لعينيه يحفظ لنا صلاة الصبح؟ فقال بلال: أنا! ثم نام معهم، غلبته عيناه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(3)] : مه [(4)] يا بلال؟ فقال: بأبي وأمي، قبض نفسي الذي قبض نفسك! فتبسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(5)] . وقد قيل: إن ذلك كان مرجعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

[(1)] أعطى بيده: سلم من غير قتال.

[(2)] سلت: مسح (ترتيب القاموس) ج 2 ص 590.

[(3)] زيادة للإيضاح.

[(4)] مه: كلمة استفهام بمعنى ماذا.

[(5)] [المغازي للواقدي) ج 2 ص 212، (باب النوم عن الصلاة حديث رقم 24، 25،

(سنن أبي داود) حديث رقم 435، 436 باب من نام عن الصلاة أو نسيها وقال الخطابي في

(معالم السنن) ج 1 ص 302:

(وفي الحديث من الفقه أنهم لم يصلوا في مكانهم ذلك عند ما استيقظوا حتى اقتادوا رواحلهم ثم توضئوا ثم أقام بلال وصلى بهم. وقد اختلف الناس في معنى ذلك وتأويله فقال بعضهم: إنما فعل ذلك لترتفع الشمس قال تكون صلاتهم في الوقت المنهي عن الصلاة فيه، وذلك أول ما تبرغ الشمس قالوا:

والفوائد لا تقضى في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، وعلى هذا مذهب أصحاب الرأي. وقال مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: نقضي الفوائد في كل وقت نهي عن الصلاة فيه أو لم ينعها، وإنما نهي عن الصلاة في تلك الأوقات إذا كانت تطوعا وابتداء من قبل الاختيار دون الواجبات، فإنها تقضى الفوائد فيها إذا ذكرت أي في وقت كان

وانظر أيضا (سنن النسائي) ج 1 ص 298، (سنن ابن ماجه) حديث رقم 697.

(326/1)

حنين. والأول قول محمد بن شهاب عن سعيد بن المسيّب، وهو أعلم الناس بالسّير والمغازي، وكذلك سعيد بن المسيّب،

ولا يقاس بهما المخالف لهما في ذلك: وروي عن قتادة أن ذلك كان في جيش الأمراء، وهذا وهم، وجيش الأمراء كان في غزوة مؤتة، ولم يشهدا النبي صلى الله عليه وسلّم. وعن عطاء بن يسار أنها كانت في غزوة تبوك، وهذا لا يصح [(1)]، لأن الآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة، وقوله مرسل.

جبل أحد واتخاذ المنبر وحنين الجذع

ولما نظر إلى أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه [(2)] ! اللهمّ إني حرّمت ما بين لابتي المدينة [(3)] . ونهى أن يطرق الرجل أهله ليلا بعد صلاة العشاء [(4)]
ولما قدم المدينة اتخذ المنبر، وله درجتان والمستراح، وخطب عليه فحنّ الجذع [(5)] الذي كان

[(1)] يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج 3 ص 357: «لكن قد اضطربت الرواة في هذه القصة، فقال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبه، عن جامع: إن الحارس فيها كان ابن مسعود، وقيل: إن الحارس كان بلالا، واضطربت الرواية في تاريخها، فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة

عنه: إنها كانت في غزوة تبوك، وقال غيره عنه: أنها كانت في مرجعهم من الحديبية، فدلّ على وهم وقع فيها، ورواية الزهري عن سعيد سالمة من ذلك، وبالله التوفيق» .
ويقول أيضا في ص 358 من المرجع السابق: فصل في فقه هذه القصة (باختصار) :
- أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها.
- أن السنن والرواتب تقضى كما تقضى الفرائض - أن الفائتة يؤذن لها ويقام - قضاء الفائتة جماعة.

- قضاؤها على الفور

لقوله «فليصلها إذا ذكرها»

- وفيها تنبيه على اجتناب الصلاة في أمكنة الشيطان.

[(2)] [مجمع الزوائد] ج 6 ص 155، رواه أحمد، وعقبة، ذكره ابن أبي حاتم وقال: روى عنه عبد العزيز ولم يخرج، قلت: وروى عن الزهري عند أحمد، وفيه رجاله رجال الصحيح، وانظر أيضا (موطأ مالك) حديث رقم 1610.

[(3)] [اللابة: الأرض الواسعة، والمدينة ما بين لابتين، (المرجع السابق) حديث رقم 1602.

[(4)] [(سنن الترمذي) ج 4 ص 166 حديث رقم 2855 «وفي الباب عن أنس وابن عمر وابن عباس. هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد روى عن ابن عباس «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَاهُمْ أَنْ يَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا، قَالَ: فَطَرَقَ رَجُلَانِ بَعْدَ نَهْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ وَاحِدًا مِنْهُمَا مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا» .

وفي (المغازي) ج 2 ص 712، 713:

«عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وهو بالجرف: لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء.

قالت: فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره فخلّى عن سبيله ولم يهجه، وضمن بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يجبهها، فعصى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأى ما يكره.

[(5)] [(الشفة للقاضي عياض) ج 1 ص 257، 258 و (دلائل النبوة لأبي نعيم) ج 2 ص

142، 143 و (المطالب

يستند إليه إذا خطب.

رد زينب إلى أبي العاص

وفي جمادى الأولى من سنة سبع، ردّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع.

سرية عمر بن الخطاب إلى تربة

ثم كانت سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة، في شعبان سنة سبع. بعثه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثين رجلا إلى عجر هوازن بتربة، وهي بناحية العباء، على أربع ليال من مكة، طريق صنعاء ونجران، فخرج ومعه دليل من بني هلال، فكانوا يسرون الليل ويكمنون النهار، حتى أتوا محاهم وقد فزوا، فلم يلقوا أحدا وعادوا إلى المدينة.

سرية أبي بكر إلى بني كلاب

ثم كانت سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد بناحية ضرية، في شعبان هذا، فبيت ناسا من هوازن، وقتل منهم.

سرية بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك

وسرية بشير بن سعد إلى فدك، فيه أيضا. ومعه ثلاثون رجلا ليوقع بني مرة، فاستاق نعماء وشاء وانحدر إلى المدينة، فأدركوه ليلا، وراموهم بالتبل حتى فنيت نبل المسلمين، وأحيط بهم وأصيبوا. واستاق المريتون نعمهم وشاءهم، فتحامل بشير ابن سعد حتى انتهى إلى فدك، فأقام عند يهودي حتى اندملت جراحة، وعاد إلى المدينة.

[()] العالبة لابن حجر) ج 4 ص 3 حديث رقم 3822 باب علامات النبوة و (سنن ابن ماجة) ج 1 ص 454، باب ما جاء في بدء شأن المنبر حديث رقم 1414، 1415.

(328/1)

سرية الزبير بن العوام ثم سرية غالب ابن عبد الله إلى بني مرة أيضا فهياً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزبير بن العوام، وبعثه إلى مصاب القوم، ومعه مائتا رجل،

وعقد له لواء. ثم بعث غالب بن عبد الله [الليثي] [(1)] على مائتي رجل في صفر سنة ثمان، ومعه أسامة بن زيد وعلبة بن زيد الحارثي، فسار حتى دنا منهم، فبعث الطلائع عليها علبة بن زيد، فأعلموه خبرهم، ثم وافاهم، وحض من معه على الجهاد، وأوصاهم بالتقوى، وحمل بهم على القوم، فقاتلوا ساعة ثم حووا الماشية والنساء وقد قتلوا الرجال.

قتل أسامة الرجل الذي قال: لا إله إلا الله

ومرّ أسامة بن زيد في إثر رجل منهم يقال له: نهيك بن مرداس، حتى دنا منه، فقال: لا إله إلا الله! فقتله، ثم ندم، وأقبل إلى جماعته، فقال له غالب ابن عبد الله: بئس والله ما فعلت! تقتل امرأ يقول: لا إله إلا الله! وساق النعم والشاء والسبي فكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل، أو عدلها من الغنم: كل جزور بعشرة. وقدموا المدينة،

فحدّث زيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخبره، فقال [صلّى الله عليه وسلّم] [(1)] : قتلته يا أسامة، وقد قال: لا إله إلا الله؟ فجعل [أسامة] يقول:

إنما قالها تعوذاً من القتل! فقال [صلّى الله عليه وسلّم] [(2)] : أفلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟

فقال أسامة: لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً [(2)] .

سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة

ثم كانت سرية غالب بن عبد الله بن مسعر الليثي أيضاً- في رمضان منها إلى الميفعة، ليوقع ببني عوال وبني عبد بن ثعلبة، في مائة وثلاثين رجلاً، ومعه يسار مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاستاقوا نعماً وشاء، وقتلوا من أشرف لهم، على ماء يقال له الميفعة بناحية نجد، بعده من المدينة ثمانية برد، وعادوا بالغنيمة.

[(1)] زيادة للبيان.

[(2)] ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ج 2 ص 119 أن هذا الخبر في سرية غالب بن

عبد الله الليثي إلى الميفعة

سرية بشير بن سعد إلى يمن وجبار

ثم كانت سرية بشير بن سعد إلى يمن وجبار في سنة سبع. وذلك أن حسيل ابن نويرة الأشجعي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان بالجناب، قد واعدوا عيينة بن حصن أن يزحفوا إلى أطراف المدينة. فذكر ذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأشارا بإرسال بشير بن سعد، فعقد له لواء، وبعث معه ثلاثمائة رجل.

وكان حسيل دليلهم، حتى أتوا إلى يمن وجبار وهي نحو الجناب، والجناب يعارض سلاح وخبير ووادي القرى، فنزلوا بسلاح، ثم دنوا من القوم فأصابوا نعما كثيرا ملئوا منه أيديهم، وتفرق الرعاء فأنذروا أصحابهم، فمروا على وجوههم، فلم يلق بشير أحدا، وعاد بالنعم، فوجدوا عينا لعيينة فقتله، ثم لقي جمع عيينة فأوقع بهم وهم لا يشعرون، فناوشهم فانهمزوا، وأسر منهم رجلا أو رجلين، وقدموا المدينة فأسلما وتركوا حالهما.

عمرة القضية

ثم كانت عمرة القضية، وتسمى عمرة القضاء، وغزوة القضاء، وعمرة الصلح، ويقال لها: عمرة القصاص، قال الغريبي: أخبرنا [(1)] ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله تعالى: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ [(2)] قال: فحزنت قريش لردها [(3)] رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية محرما في ذي القعدة عن البلد الحرام، فأدخله الله مكة من العام القابل فقضى عمرته، وأقصه [(4)] ما حيل بينه وبين يوم الحديبية.

أول الجمع للعمرة

وذلك أن ذا القعدة لما أهلّ في سنة سبع، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف من أهلها أحد هو حي، وخرج سوى أهل الحديبية رجال عمار. وكان المسلمون في عمرة القضية ألفين. وقال جماعة من العرب: والله يا رسول الله ما لنا زاد، وما من

[(1)] في (خ) «نا» وهي اختصار «أخبرنا»، كما أن «ثنا» اختصار «حدثنا» .

[(2)] الآية 194 / البقرة.

[(3)] في (خ) «بردها» .

[(4)] أعطاه القصاص.

أحد يطعمنا.

فأمر المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله، وأن يتصدقوا، وألا يكفوا أيديهم فيهلكوا [(1)] .

فقالوا: يا رسول الله! بم نتصدق وأحدنا لا يجد شيئا؟

فقال: بما كان، ولو بشق تمر، ولو بمشقص [(2)] يحمل به أحدكم في سبيل الله.

فأنزل الله تعالى في ذلك: وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [(3)] يعني: ترك النفقة في سبيل الله.

الهدى ومسير المسلمين

وساق عليه السلام ستين بدنة، وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمي ليسيير أمامه يطلب الرعي في الشجر، ومعه أربعة فتيان من أسلم. وكان أبو رهم كلثوم ابن حصين الغفاري ممن يسوقها ويركبها. وقلد صلى الله عليه وسلم هديه بيده وحمل السلاح فيها البيض والدروع، وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة، وقدم الخيل والسلاح، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري، وأحرم من باب المسجد، لأنه سلك طريق الفرع [(4)] ، ولولا ذلك لأهل من البيداء، وسار يلبي والمسلمون معه يلبون، فلما انتهى محمد بن مسلمة بالخيال إلى مر الظهران [(5)] ، وجد بها نفرا من قريش، فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يصبح هذا المنزل إن شاء الله.

بلوغ الخبر إلى قريش

ورأوا سلاحا كثيرا مع بشير بن سعد، فأسرعوا إلى مكة وأخبروا قريشا ففزعوا، وقالوا: والله ما أحدثنا حدثا، ففيم يغزونا: محمد؟ ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر [(6)] الظهران قدم السلاح إلى بطن يأجج [(7)] ، وترك معه مائتين من أصحابه، عليهم أوس بن خولي. وخرج مكرز بن حفص في نفر حتى لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج [(7)] ، فقالوا: يا محمد! والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر! تدخل بالسلاح الحرم! وقد شرطت ألا تدخل إلا بسلاح المسافر، السيوف في القرب؟ فقال: إني لا أدخل عليهم السلاح. فعاد [مكرز] [(8)] إلى مكة، فخرجت قريش إلى رءوس الجبال، وقالوا: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه.

[(1)] في (خ) «فهلكوا» .

[(2)] المشقص: السهم العريض.

[(3)] 195 / البقرة.

[(4)] في (خ) «الفروع» .

[(5)] في (خ) «من الظهران» .

[(6)] في (خ) «من الظهران» .

[(7)] في (خ) «ياحج» .

[(8)] زيادة للإيضاح.

(331/1)

دخول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة
وحبس المهدي بذى طوى، ودخل عليه السلام مكة من الثنية [(1)] التي تطلع على الحجون،
وقد ركب القصواء، وأصحابه حوله متوشحو السيوف يلبون، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام
راحلته، فلم يزل عليه السلام يلبي حتى استلم الركن. وقيل: لم يقطع التلبية حتى جاء عروش
مكة.

طواف المسلمين بالكعبة

وتحدثت قريش أن المسلمين في جهد، ووقفت منهم جماعات عند دار الندوة،
فاضطبع [(2)] عليه السلام بردائه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم الله امرأ أراهم اليوم
قوة!

فلما انتهى إلى البيت - وهو على راحلته، وابن رواحة أخذ بزمامها، وقد صف له المسلمون -
دنا من الركن فاستلمه بمحجنه [(3)] وهو مضطبع بثوبه، وهرول هو والمسلمون في الثلاثة
الأشواط الأولى، وكان ابن رواحة يرتجز [(4)] في طوافه، وهو أخذ بزمام الناقة،
فقال عليه السلام: إيها [(5)] يا بن رواحة! قل: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر
عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده! فقاها الناس.
فلما قضى طوافه خرج [(6)] إلى الصفا فسعى على راحلته، والمسلمون يسترونه من أهل
مكة أن يرميه أحد منهم أو يصيبه بشيء.

نحر المهدي عند المروة

ووقف عند فراغه قريبا من المروة - وقد وقف المهدي عندها - فقال: هذا المنحر، وكل فجاج

مكة منحر. ونحر عند المروة.

وكان قد اعتمر معه قوم لم يشهدوا الحديبية فلم ينحروا، وشركه في الهدى من شهد الحديبية، فمن وجد بدنة من الإبل نحرها، ومن لم يجد بدنة رخص له في البقرة، وكان قد قدم رجل ببقر فاشتره الناس منه. وحلق عليه السلام عند المروة، حلقه معمر بن عبد الله

[(1)] في (خ) «البنية» .

[(2)] الاضطباع: هو أن يدخل الطائف بالبيت رداءه من تحت إبطه الأيمن ويغطي به الأيسر من جهتي صدره وظهره.

[(3)] المحجن: عصا معقفة الرأس.

[(4)] ارتجز: ترمم بالرجز من الشعر.

[(5)] إيه طلب الاستزادة من الكلام إياها: طلب السكوت.

[(6)] في (خ) «وخرج» .

(332/1)

العدوي.

دخول رسول الله الكعبة

ثم دخل البيت، ولم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهور فوق ظهر الكعبة، فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم! لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول!! وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا! وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم، حين يقوم ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة!! وغطى سهيل بن عمرو ورجال معه وجوههم حين سمعوا.

وقيل: لم يدخل عليه السلام الكعبة، بل أرسل إليهم فأبوا، وقالوا: لم يكن في شرطك! فأمر بلالا فأذن فوق الكعبة مرة ولم يعد بعد، وهو الثبت.

زواجه صلى الله عليه وسلم ميمونة رضي الله عنها

وخطب ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فتزوجها وهو محرم، وقيل: تزوجها لما أحل.

وكلم عليّ بن أبي طالب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عمارة بنت حمزة- وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة- فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين! فخرج بها، حتى إذا دنوا من المدينة، أراد زيد ابن حارثة- وكان وصيّ حمزة وأخاه إخوة المهاجرين- أن يأخذها من عليّ، وقال: أنا أحقّ بها، ابنة أخي! فقال جعفر بن أبي طالب: الخالة والدة، وأنا أحقّ بها لمكان خالتها عندي، أسماء بنت عميس [(1)] .

فقال عليّ رضوان الله عليه: ألا أراكم في ابنة عمي، وأنا أخرجتها [(2)] من بين أظهر المشركين، وليس لكم إليها نسب دوني، وأنا أحقّ بها منكم. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أحكم بينكم: أما أنت يا زيد فمولى الله ورسوله، وأما أنت يا عليّ فأخي وصاحبي، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلقي، وأنت يا جعفر أولى بها، تحتك [(3)] خالتها، ولا تنكح المرأة على خالتها ولا عمتها. ففضى بها لجعفر، فقام جعفر فحجل حول النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال:

ما هذا يا جعفر؟ قال: يا رسول الله، كان النجاشيّ إذا أرضى أحدا قام فحجل حوله. فقال علي رضي الله عنه: تزوجها يا رسول الله! قال: هي ابنة أخي من

[(1)] في (خ) «عميش» .

[(2)] في (خ) «أخرجها» .

[(3)] في (خ) «تحتك» .

(333/1)

الرضاعة.

طلب قريش خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مكة ولما كان عند الظهر يوم الرابع، أتى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- في مجلس الأنصار، وهو يتحدث مع سعد بن عباد- فقال:

قد انقضى أجلك، فاخرج عنا.

فقال صلّى الله عليه وسلّم [(1)] : وما عليكم لو تركتموني فأعرست [(2)] بين أظهركم، وصنعت طعاما؟ فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك،

اخرج عنا، ننشدك [(3)] الله والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا! فهذه الثلاث

قد مضت! فغضب سعد بن عبادة وقال لسهيل [بن عمرو] [(4)] كذبت لا أم لك! ليست بأرضك ولا أرض أبيك، والله لا يبرح منها إلا طائعا راضيا!
فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا سعد، لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا.
فأسكت الرجلان [(4)] عن سعد. وروي أنهم بعثوا عليا إلى النبي عليه السلام ليخرج عن بلدهم.

الرحيل والبناء بميمونة

وأمر عليه السلام أبا رافع بالرحيل، وقال: لا يمسينّ بها أحد من المسلمين.
وركب حتى نزل سرف، وخلف أبا رافع ليحمل إليه ميمونة حين يمسي، فخرج بها مساء، ولقي عننا [(5)] من سفهاء المشركين. فبنى النبي صلى الله عليه وسلم على ميمونة بسرف.

منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم ينزل بمكة بيتا، وإنما ضربت له قبة من أدم بالأبطح، وكان هناك حتى سار منها. وبعث بمائتي رجل ممن طافوا بالبيت إلى بطن يأجج [(6)]، فأقاموا عند السلاح حتى أتى الآخرون فقبضوا نسكهم، وقدم المدينة في ذي الحجة.

[(1)] زيادة للإيضاح.

[(2)] بزواج ميمونة رضي الله عنها.

[(3)] ننشذك الله: نستحلفك بالله.

[(4)] أسكت الرجل: سكت سكوتا طويلا على غضب.

[(5)] في (خ) «عيننا» .

[(6)] في (خ) «يأجج» .

(334/1)

سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم

وكانت سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم، في ذي الحجة سنة سبع.
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين رجلا إلى بني سليم، وقد أئذروا به فجمعوا [(1)] له، فقاتلوا حتى قتل عامة أصحاب ابن أبي العوجاء، وأثخنوه بالجراح، ثم تحامل إلى المدينة

فقدمها أول يوم من صفر.

إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن أبي طلحة

وفي صفر سنة ثمان، خرج عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي من مكة - بعد مرجعه من الحبشة - يريد المدينة، فهاجر، فوجد في طريقه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر [(2)] بن مخزوم القرشي المخزومي، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري، وقد قصدا قصده، فقدموا المدينة، ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبايعه خالد أولاً، ثم بايعه عثمان، ثم عمرو على الإسلام، فقال عليه السلام: إن الإسلام يجب [(3)] ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها.

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد

وفي صفر هذا كانت سرية غالب بن عبد الله بن [مسعر بن جعفر بن] [(4)] كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر [(5)] بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الكناني ثم الليثي - إلى الكديد لغير على بني الملوح من بني ليث، في ربيع الأول منها. فخرج في بضعة عشر رجلاً حتى [إذا] [(6)] كان بقديد لقي الحارث بن مالك بن قيس بن عوذ [(7)] بن جابر بن عبد مناف بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة

[(1)] في (خ) «وجمعوا له» .

[(2)] في (خ) «عمرو» .

[(3)] يحو ما كان قبله من المعاصي والذنوب.

[(4)] هكذا سياق النسب.

[(5)] في (خ) «بكر» .

[(6)] زيادة للسياق.

[(7)] في (خ) «عوف» .

ابن كنانة، [وكان يقال لمالك بن قيس: ابن البرصاء] فأخذه فشدّه وثاقاً، [البرصاء هي أم قيس بن عوذ] (1) ، واسمها: ربيعة بنت رباح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر] ، وخلف عليه سويد بن صخر. وأتى الكديد عند غروب الشمس، فكمن في ناحية الوادي، وبعث جندب بن مكيث الجهنيّ ربيّة، فأتى تلا مشرفاً على الحاضر (2) [فعلاه وانبطح، فخرج رجل من خباء فقال [لامرأته] (3)] : إني أرى على هذا التل سواداً ما رأيته عليه [أول يومي هذا] (3) .

ورماه بسهم ثم آخر، فما أخطأه، وثبت مكانه، فقال: لو كان زائلة (4) [لقد تحرك بعد! لقد خالطه سهماي!! ثم دخل خبائه. وراحت ماشية الحي من إبلهم وأغنامهم، فحلبوا وعطنوا، حتى إذا اطمأنوا شن المسلمون عليهم الغارة، فقتلوا المقاتلة، وسبوا/ الذرية، واستاقوا النعم والشاء. وكان شعارهم: أمت أمت. ثم انحدروا بها نحو المدينة، واحتملوا ابن البرصاء معهم، فجاء القوم بما لا قبل لهم به، وبينهم وبين الوادي، فجاء الله بالسيل حتى ملأ جنبتيه (5)] ، ولم يستطع أحد أن يجوزه، فوقف المشركون ينظرون إليهم، حتى فاتوهم ولا يقدرّون على طلبهم، إلى أن قدموا المدينة. فبعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مائتي رجل إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد، وذلك في صفر سنة ثمان كما تقدم.

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاق

ثم كانت سرية كعب بن عمير الغفاريّ إلى ذات أطلاق من أرض الشام، وراء وادي القرى، في خمسة عشر رجلاً، فقاتلهم حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح، فتحامل حتى أتى المدينة فشقّ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

سرية شجاع بن وهب إلى السّيّ

وكانت سرية شجاع بن وهب [الأسدي] (6) [إلى السّيّ - وهو ماء من

(1) في (خ) «عوف» .

(2) الحاضر: الحي الذي يسكنه القوم.

(3) [زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 124.

(4) [في (خ) «ذابلا» وفي رواية المسند ج 3 ص 468 «لو كان دابة» وفي (ابن سعد)

«ربيّة» وكلها بمعنى.

(5) [جنبية الوادي: ناحيته وشاطئه.

(6) [زيادة للبيان.

ذات عرق إلى وجرة، على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة، وخمس من المدينة- يريد بني عامر بناحية ركة في ربيع الأول أيضا، على أربعة وعشرين رجلا. فخرج حتى أغار على القوم وهم غارون فأصابوا نعما وشاء، وقدموا المدينة. وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا كل رجل، وعدلوا البعير بعشرة من الغنم. وغابوا خمس عشرة ليلة، وقدموا بسبايا، فيهن جارية وضيئة. فقدم وفداهم مسلمين، فردوهن إليهم، واختارت الجارية الوضيئة شجاع بن وهب، وكان قد أخذها بثمن، فأقامت عنده حتى قتل باليمامة.

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم بتبالة

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلا إلى حيّ ابن خثعم بناحية تبالة. فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، فوجد رجلا فسأله فلم يجبه عن القوم، وجعل يصيح بالحاضر، فضرب عنقه، وشنّ الغارة ليلا فقاتله القوم قتالا شديدا حتى أتى قطبة عليهم، وساق النعم والشاء والنساء حتى قدم المدينة. فكانت سهامهم أربعة أبعرة لكل رجل أو عدلها: عشرة من الغنم عن كل بعير.

غزوة مؤتة

ثم كانت غزوة مؤتة من عمل اللقاء بالشأم دون دمشق، [وهي بضم أوله، وإسكان ثانيه، بعده تاء معجمة باثنتين من فوقها]، كانت في جمادى الأولى.

سببها

وسبب ذلك أن الحارث بن عمير الأزدي لما نزل مؤتة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب بصرى، أخذه شرحبيل بن عمرو الغساني وضرب عنقه. فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب الناس فأسرعوا، وعسكروا بالجرف، ولم يبن لهم الأمر [(1)] .

[(1)] في (خ) «الأمراء» .

الأمراء يوم مؤتة

فلما صلى الظهر جلس في أصحابه

وقال: زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه [(1)] عليهم.

وعقد لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة، فودّع الناس الأمراء، وخرج معهم إلى مؤتة ثلاثة آلاف. وجعل المسلمون ينادون: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين.

وداع جيش مؤتة ووصية الأمراء

وشيّعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع، ثم وقف وهم حوله، وقال: أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيرا. اغزوا بسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث، فأيتهن ما أجابوك إليها، فاقبل منهم واكف عنهم: ادعهم إلى الدخول في الإسلام، فإن فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم في الفياء، ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزهم على حكم الله فلا تستنزهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟ وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا [(2)] ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وستجدون رجالا في الصوامع معتزلين للناس، فلا تتعرضوا لهم، وستجدون

[(1)] في (خ) «فليجعلوه» .

[(2)] أخفر الذمة: نقضها.

آخرين في رءوسهم مفاحص [(1)] فافتعلوها بالسيوف. لا تقتلن امرأة ولا صغيرا ضرعا [(2)] ولا كبيرا فانيا، ولا تغرقن نخلا، ولا تقلعن شجرا، ولا تهدموا بيتا.

من خبر عبد الله بن رواحة

وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله! مرني بشيء أحفظه عنك. قال: إنك قادم غدا بلدا، السجود فيه قليل فأكثر السجود. قال: زدني يا رسول الله. قال: اذكر لله، فإنه عون لك على ما تطلب [(3)]. فقام من عنده، حتى إذا مضى ذاهبا رجع. فقال: يا رسول الله، إن الله وتر يحب الوتر! فقال: يا ابن رواحة، ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشرا أن تحسن واحدة. فقال: لا أسألك عن شيء بعدها.

بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث بن عمير

ومضى المسلمون، وقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتهوا إلى مقتل الحارث ابن عمير، وسمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم. فقام فيهم رجل من الأزد يقال له: شرحبيل [بن عمرو الغساني] [(4)] ، وقدم [(5)] الطلائع أمامه، وبعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين فلقوا المسلمين في وادي القرى فقاتلوه وقتلوه. ونزلوا معان [من أرض الشام] [(6)] ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من البلقاء، في مائة ألف من الروم ومعه بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام مائة ألف، عليهم رجل من بلبي، يقال له: مالك.

أول القتال يوم مؤتة، وخوف المسلمين ثم إقدامهم

فأقاموا ليلتين، وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ليردهم أو يزيدهم رجالا، فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به! انطلقوا،

[(1)] المفاحص: جمع مفحص، وهو مجثم القضا، والمعنى أن الشيطان قد استوطن في رؤوس هؤلاء.

[(2)] الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

[(3)] كذا في (ط) وفي (خ) «تطلب» .

[(4)] زيادة للإيضاح من (ط) .

[(5)] في (خ) «أو قدم» .

[(6)] زيادة للبيان من (ط) .

والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا فرسان، ويوم أحد فرس واحد! فإنما هي إحدى الحسينيين: إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا الله ووعد نبيّنا، وليس لوعده خلف، وإما الشهادة، فلنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان! فشجع الناس ومضوا إلى مؤتة. فرأوا المشركين ومعهم ما لا قبل لهم به من العدد والسلاح والكراع، والديباج والحريير والذهب. قال أبو هريرة: وقد شهدت ذلك فبرق بصري [(1)] فقال لي ثابت بن أقرم [(2)] : يا أبا هريرة! مالك، كأنك ترى جموعا كثيرة! قلت: نعم! قال: لم تشهدنا ببدر! إنا لم ننصر بالكثرة.

مقتل زيد بن حارثة

وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم: فأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل وقاتل الناس معه، والمسلمون على صفوفهم، وعلى الميمنة قطبة بن قتادة السدوسي وعلى الميسرة عباية [(3)] بن مالك، فقتل زيد طعنا بالرمح.

مقتل جعفر بن أبي طالب

ثم أخذه جعفر فنزل على فرسه فعرقبها، ثم قاتل حتى قتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوقع أحد نصفيه في كرم، فوجد في نصفه بضع وثلاثون جرحا. وقيل: وجد - مما قبل يديه [(4)] فيما بين منكبيه - اثنتان وسبعون [(5)] ضربة بسيف أو طعنة برمح، ووجد به طعنة قد أنفذته.

مقتل عبد الله بن رواحة

ثم أخذ اللواء بعده عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل.

سقوط لواء المسلمين

وسقط اللواء، فاختلط المسلمون والمشركون، وانهمز المسلمون أسوأ هزيمة، وقتلوا، واتبعهم المشركون. فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرجل مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا! فما يثوب [(6)] إليه أحد. ثم تراجعوا، فأخذ اللواء

[(1)] كناية عن الفرع والحيرة.

[(2)] في (خ) «بن أقوم» .

[(3)] في (خ) «عياية» .

[(4)] في (خ) «هما قبل من يديه» .

[(5)] في (خ) «اثنتين وسبعين» .

[(6)] يثوب: يرجع

(340/1)

ثابت بن أقرم، وصاح يا للأنصار!! فأتاه الناس من كل وجه وهم قليل، وهو يقول: إني أيها الناس.

أخذ اللواء لخالد بن الوليد

فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال: خذ اللواء يا أبا سليمان! فقال: لا آخذه، أنت أحق به، أنت رجل لك سنّ [(1)] ، وقد شهدت بدرا. قال ثابت: خذه أيها الرجل! فوالله ما أخذته إلا لك! فأخذه خالد فحملة ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه، فثبت حتى تكركر [(2)] المشركون، وحمل بأصحابه ففض جمعا من جمعهم، ثم دمه منهم بشر كثير [(3)] ، فانحاش [(4)] بالمسلمين فانكشفوا راجعين.

وقد قيل: إن ابن رواحة قتل مساء، فبات خالد فلما أصبح غدا، وقد جعل مقدّمته ساقية وساقته مقدّمة، وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة، [فأنكر المشركون] [(5)] ما كانوا يعرفون من راياتهم وهياتهم، فقالوا: قد جاءهم مدد! ورعبوا، فانكشفوا منهزمين، فقتلوا منهم مقتلة لم يقتلها قوم. والأول أثبت: أن خالدا انهزم بالناس فعبروا بالفرار، وتشاءم الناس به [(6)] .

مرجع المسلمين إلى المدينة

فلما سمع أهل المدينة بقدمهم تلقوهم، وجعلوا يحنون في وجوههم التراب، ويقولون: يا فرّار!! أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بفرار، ولكنهم كَرّار إن شاء الله.

خبر المنهزمين وما لقوا من الناس

فانصرفوا إلى بيوتهم فلزموها، فإنهم كانوا إذا خرجوا صاحوا بهم: يا فرّار! أفررتم في سبيل الله؟

وكان الرجل يدق عليهم فيأبون يفتحون له لئلا يقول [(7)] :
ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت؟ حتى جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يرسل إليهم رجلا

-
- [(1)] في (خ) «شن» .
[(2)] تكرر: ارتد ورجع.
[(3)] في (خ) «كبير» .
[(4)] الخاش: جمعهم ثم انصرف بهم.
[(5)] في (خ) ما بين القوسين «فأنكروا» ، وهي رواية (الواقدي) ج 2 ص 764، وما أثبتناه من (ط) .
[(6)] أي بخالد.
[(7)] في (خ) «تقول» .

(341/1)

رجلا، يقول: أنتم الكرار في سبيل الله!
وكان بين أبي هريرة وابن عم له كلام، إلا فراركم يوم مؤتة! فما دري ما يقول له.

إخبار رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عن أهل القتال يوم مؤتة
وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم - لما التقى الناس بمؤتة - جلس على المنبر وكشف له ما
بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معتركهم فقال: .

زيد بن حارثة

أخذ الراية زيد بن حارثة، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت فقال: الآن حين
استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين، تحبب إليّ الدنيا! فمضى قدما حتى استشهد: فصلى عليه
وقال: استغفروا له! وقد دخل الجنة وهو يسعى.

جعفر بن أبي طالب

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت، فقال: الآن حين
استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا! ثم مضى قدما حتى استشهد [(1)] . فصلى

عليه ودعا له. ثم قال: استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة.

عبد الله بن رواحة

ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد، ثم دخل الجنة معترضا. فشق ذلك على الأنصار، فقال: أصابته الجراح. قيل: يا رسول الله ما إعراضه؟ قال: لما أصابته الجراح نكل [(2)] ، فعاتب نفسه فشجع، فاستشهد فدخل الجنة، فسرى عن قومه.

سلمة بن الأكوع

وقال يومئذ: خير الفرسان أبو قتادة، وخير الرجال [(3)] سلمة بن الأكوع.

[(1)] في (خ) «فاستشهدوا» .

[(2)] نكل: تخاذل.

[(3)] الرجال: جمع راجل، وهو الذي لا فرس له.

(342/1)

ولما أخذ خالد الراية قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآن حمي الوطيس [(1)] .

دخول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهل جعفر بن أبي طالب ودخل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسماء بنت عميس [(2)] امرأة جعفر بن أبي طالب فقال: يا أسماء أين بنو جعفر؟ فجاءت بهم إليه، فضمهم إليه وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقالت: أي رسول الله لعلّه بلغك عن جعفر شيء؟ فقال: نعم، قتل اليوم! فقامت تصيح، واجتمع إليها النساء فجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: يا أسماء لا تقولي هجرا [(3)] ، ولا تضربي صدرا. وخرج حتى دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وهو يقول: وا عماء! وقال [(4)] . على مثل جعفر فلتبك [(5)] الباكية! ثم قال:

اصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم. وقد روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نعى لأسماء جعفرا، مسح على رأس عبد الله بن جعفر، وعيناه تمراقان الدموع حتى لحيته تقطر

[(6)] ، ثم قال: اللهم إن جعفرا قد قدم إليّ أحسن الثواب، فاخلفه [(7)] في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك في ذريته! ثم قال: يا أسماء، ألا أبشرك؟ قالت: بأبي أنت وأمي! قال: فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة! قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فأعلم الناس ذلك.

خطبته في أمر جعفر

فقام، وأخذ بيد عبد الله بن جعفر، يمسح بيديه رأس عبد الله حتى رقي المنبر، وأجلس عبد الله أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلم وقال:
إن المرء كثير بأخيه وابن عمه. ألا إن جعفرا قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة،

ثم نزل، ودخل بيته وأمر بطعام يصنع لآل جعفر، وأرسل إلى أخي عبد الله بن جعفر فتغديا عنده: شعيرا طحنته سلمى خادمه، ثم نسفته [(8)] ، ثم أنضجته. وأدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلا. وأقاما ثلاثة أيام في

[(1)] كناية عن شدة الحرب واحتدامها.

[(2)] في (خ) «عميش» .

[(3)] الهجر: الإفحاش.

[(4)] في (خ) «فقال» .

[(5)] في (خ) «فتبكي» .

[(6)] في (خ) «حتى تقطر لحيته» وهي رواية (الواقدي) ج 2 ص 767 وما أثبتناه من (ط)

[(7)] خلف الله عليك: دعاء لمن هلك له ما لا يعترض وأخلف الله عليك: دعاء لمن هلك

له ما يتعتاض عنه.

[(8)] نسفته: أذهبت نسافته وقشره.

(343/1)

بيته، يدوران معه في بيوت نسائه.

غنائم مؤتة

وغنم المسلمون بعض أمتعة بمؤتة، وجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخاتم، فقال: قتلت صاحبه يومئذ، فنقله إياه. وقتل خزيمة بن ثابت يومئذ رجلا، وعليه بيضة فيها ياقوتة، فأخذها وأتى بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنقله إياها، فباعها بمائة دينار. واستشهد بمؤتة ثمانية نفر.

غزوة ذات السلاسل

ثم كانت غزوة ذات السلاسل. [ويقال التسلسل] [(1)] ، وهو ماء وراء وادي القرى من المدينة، [بينه وبين المدينة] [(1)] عشرة أيام. وسببها أن جمعا من بليّ وقضاة تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة، فعقد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن العاص لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في جمادى الآخرة سنة ثمان على ثلاثمائة من سراة [(2)] المهاجرين والأنصار، وأمره أن يستعين بمن مر به من بلاد بليّ وعذرة وبلقين. وذلك أن عمرو كان ذا رحم فيهم: كانت أم العاص بن وائل بلوية، فأراد عليه السلام يتألفهم بعمر بن عمرو. فسار يكمن النهار ويسير الليل - وكان معه ثلاثون فرسا - حتى دنا منهم. فنزل على ماء بأرض جذام [(3)] يقال له السلاسل.

وكان شتاء، فجمع أصحابه ليصطلوا فمنعهم، فشق ذلك عليهم، حتى كلمه بعض المهاجرين بغلظة، فقال عمرو: قد أمرت أن تسمع لي وتطيع! قال: أفعّل.

المدد واختلاف عمرو وأبي عبيدة على الإمارة

وبعث رافع بن مكيث الجهني يخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن للقوم جمعا كثيرا ويستمدده، فبعث أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء. وبعث معه سراة المهاجرين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعدة من الأنصار. فسار في مائتين، وأمره أن يكونا جميعا ولا يختلفا، فلما لحق بعمر، وأراد أن يؤم الناس ويتقدم عمرا، فقال له عمرو: إنما قدمت مددا لي، وليس لك أن تؤمني، وأنا الأمير! فقال

[(1)] زيادة للسياق من (ط) .

[(2)] سراة القوم: أشرافهم وسادتهم.

[(3)] في (خ) «خدام» .

المهاجرون: كلا! بل أنت أمير أصحابك، وهو أمير أصحابه. فقال: لا! أنتم مدد لنا. فقال أبو عبيدة- وكان حسن الخلق- انظرن يا عمرو! تعلمن أن آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا، وإنك والله إن عصيتني لأطعنك! فكان عمرو يصلي بالناس. وسار- وقد صار في خمسمائة- حتى وطئ بلاد بلي ودوخها، وكلما انتهى إلى موضع، بلغه أنه قد كان به جمع فلما سمعوا به تفرقوا. حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعا، فقاتلهم ساعة وهزمهم. وأقام أياما يبيت سراياه، فيؤتى بالشاء والنعم فينحرون ويدبحون، ولم يكن في ذلك أكثر من هذا، ولم تكن غنائم تقسم.

خبر صاحب الجزور

وخرج عوف بن مالك الأشجعي يوما في العسكر، فمر بقوم [(1)] قد عجزوا عن نحر جزورهم وعملها، فقال: أتعطوني عليها وأقسمها بينكم؟ فجعلوا له شعيرا منها، فنحرها، وجزأها بينهم، وأخذ جزءه وأتى به إلى أصحابه، فطبخوه وأكلوه، فلما فرغوا، قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. من أين لك هذا اللحم؟ فأخبرهما، فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا! ثم قاما يتقيان، وفعل ذلك الجيش. وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لعوف: تعجلت أخرى! ثم أتى أبا عبيدة رضي الله عنه فقال له مثل ذلك.

صلاة عمرو بالناس بغير غسل

واحتلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد فقال لأصحابه: ما ترون؟ قد والله احتلمت، وإن اغتسلت مت! فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم، ثم قام فصلى بهم. وبعث عوف بن مالك بريدا [(2)] ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه، فقال: عوف بن مالك؟ قال: عوف بن مالك يا رسول الله! قال: صاحب الجزور! قال: نعم! قال: أخبرني! فأخبره بمسيرهم، وما كان بين أبي عبيدة وبين عمرو، ومطاوعة أبي عبيدة! ثم أخبره أن

[(1)] في (خ) «فمن يقوم» .

[(2)] البريد: الرسول.

عمرا صلى وهو جنب ومعه الماء، لم يزد على أن غسل وجهه بماء وتيمم، فلما قدم عمرو وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال: والذي بعثك بالحق لو اغتسلت لمت، ولم أجد قط برد مثله، وقد قال الله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا [(1)] ، فضحك صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا.

سرية الخبط

ثم كانت سرية الخبط [(2)] أميرها أبو عبيدة بن الجراح، [وقيل: عبد الله بن عامر بن الجراح] [(3)] ، والصحيح: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري. بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم - في رجب على ثلاثمائة إلى حي من جهينة، بالقبليّة مما يلي ساحل البحر، على خمس ليال من المدينة. فأصابهم جوع شديد، جمعوا زادهم حتى إن كانوا ليققسمون [(4)] التمرة، ولم يكن معهم حمولة [(5)] ، إنما كانوا على أقدامهم، وأباعر يحملون عليها زادهم، فأكلوا الخبط، حتى ما كادوا [(6)] أن تكون بهم حركة إليه، فابتاع قيس بن سعد بن عبادة خمس جزائر، كل جزور بوسقين من تمر: يقوم بها إذا رجع، ونحرها - كلّ يوم جزورا - للقوم، مدّة ثلاثة أيام، حتى وجدوا حوتا يقال له العنبر قد ألقاه البحر، فأكلوا منه اثنتي عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت، ومرّ تحتها راحلة برحله فلم تصبها، وكان يجلس في مأق [(7)] عين الحوت الجماعة من الناس.

سرية أبي قتادة إلى الخضره

ثم كان سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضره، وهي أرض محارب

[(1)] الآية 29 / النساء.

[(2)] الخبط: ورق ينفض بالمخاطب ويجفف ويطحن بدقيق أو غيره، (ترتيب القاموس) ج 2 ص 9.

[(3)] ما بين القوسين مكرر في (خ) .

[(4)] في (خ) «ليقتسموا» .

[(5)] الحمولة: ما يحتمل عليه الناس من الدواب، وهنا كناية عن عدم وجود الزاد أو الميرة

يحملونها على دواب.

[(6)] في (خ) «حتى ما كاد أن يكون» .

[(7)] في (خ) «مبق» . والمأق: طرف العين مما يلي الأنف (ترتيب القاموس) ج 4 ص

197.

(346/1)

بنجد [(1)] ، أميرها أبو قتادة الأنصاريّ، [بعثه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [(2)] في شعبان منها- في خمسة عشر رجلا إلى غطفان نحو نجد. فساروا ليلا وكمنوا نخارا، حتى أتوا ناحيتهم، فهجموا على حاضر منهم [(3)] عظيم، وجرّدوا سيوفهم وكبروا، فقتلوا رجلا، واستاقوا النعم وحملوا النساء، حتى قدموا بمائتي بعير، وألف شاة وسي كثير، فغزلوا من ذلك الخمس. وقد غابوا خمس عشرة ليلة، وكانت سهماهم اثني عشر بعيرا، أو عدلها عن البعير عشرة من الغنم.

سرية أبي قتادة إلى بطن إضم

ثم كانت سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن إضم- وهي فيما بين خشب وذبي المروة، على ثلاثة برد من المدينة- في رمضان، على ثمانية أنفس. وذلك حين هم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغزوة الفتح، ليظنّ ظان أنه عليه السلام توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار.

قتل المسلم

فلقبهم عامر بن الأضبط الأشجعيّ، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فبدر إليه محمّد بن جثمّة الليثي فقتله، وأخذ بعيره وسلبه، ثم لحقوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد علموا مسيره فأدركوه بالسقيا ولم يلقوا جمعا.

ما نزل فيه من القرآن

وفيه نزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَايِمٌ كَثِيرَةٌ، كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [(4)] .

- (1) [في (خ) «ثم كانت خضرة أرض محارب سرية أبي قتادة بنجد» .
(2) [زيادة لسياق الكلام من (ط) .
(3) [في (خ) «على حاضرهم عظيم» .
(4) [الآية 94/ النساء، وفي (خ) «... الحياة الدنيا، الآية» .

(347/1)

الاختلاف في سبب نزول الآية

وقال ابن عبد البرّ، والاختلاف في المراد بهذه الآية كثير مضطرب جدا، قيل: نزلت في المقداد، وقيل: نزلت في أسامة بن زيد، وقيل: في محمّد بن جثامة.
وقال ابن عباس: نزلت في سرية، ولم يسمّ أحدا. وقيل: نزلت في غالب الليثي من بني ليث، يقال له: فليت، كان على السرية، وقيل: نزلت في أبي الدرداء.
وهذا اضطراب شديد جدا [(1)] .

غزوة الفتح وسببها

ثم كانت غزوة الفتح. وسببها أن أنس بن زعيم الديليّ هجا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجّه، فنار الشّرّ بين بني بكر [حلف قريش] ، وبين خزاعة [حلف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم] . فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهرا من صلح الحديبية- [وقال ابن إسحاق: فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهرا]- كلمت بنو نفاثة من بني الدليل أشراف قريش أن يعينوها بالرجال والسلاح على خزاعة، فأمدوهم بذلك. وخرج إليهم صفوان بن أمية ومكرز بن حفص بن الأخيف [(2)] ، وحويطب بن عبد العزّي، وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو، وأجلبوا معهم أرقاءهم فيبتوا- مع بني بكر ورأسهم نوفل بن معاوية الدؤي- خزاعة ليلا وهم آمنون [(3)] ، فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلا، وذلك على ماء يقال له الوثير قريب من مكة، وعامتهم نساء وصبيان وضعفة الرجال، حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء، وقيل: حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم [(4)] .

ندم قريش على نقض العهد

وندمت قريش، وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقض [(5)] للمدة والعهد الذي بينهم وبين

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجاء الحارث بن هشام وجماعة إلى صفوان بن أمية

[(1)] راجع أسباب النزول للواحيدي ص 127-130.

[(2)] في (خ) «الأحيف» .

[(3)] ذكر (ابن سعد) ج 2 ص 134 أنهم خرجوا «متنكرين متنقبين» .

[(4)] أنصاب الحرم: حدوده التي تفصل بين الحل والحرام.

[(5)] في (خ) «نقضا» .

(348/1)

ومن كان معه فلاموهم، وقالوا لأبي سفيان بن حرب: هذا أمر لا بد له من أن يصلح، فاتفقوا على مسيره إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليزيد في الهدنة، ويجدد العهد، فخرج لذلك وقد سار عمرو بن سالم بن حصيرة بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة، حتى دخل المسجد ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس في أصحابه، فقام ينشد شعرا، وأخبره الخبر واستصرخه، فقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يجزّ ثوبه ويقول: لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي!.

قدوم أبي سفيان إلى المدينة

وقدم أبو سفيان فقال: يا محمد! إني كنت غائبا في صلح الحديبية، فاشدد العهد وزدنا في المدّة. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولذلك قدمت يا أبا سفيان؟ قال: نعم! قال: هل كان قبلكم حدث؟ قال: معاذ الله! قال: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغيّر ولا نبذل.

خبر أبي سفيان في دار أم المؤمنين ابنته

ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته أم حبيبة [(1)] رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوته دونه وقالت: أنت امرؤ نجس مشرك!! فقال: يا بنية! لقد أصابك بعدي شرّ! قالت: هداي الله للإسلام، وأنت يا أبت سيّد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخولك للإسلام؟ وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر. قال: يا عجباه!! وهذا منك أيضا! أترك ما كان يعبد آبائي، وأتبع دين محمد!؟.

مناشدة أبي سفيان لكبار أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثم خرج فلقي أبا بكر رضي الله عنه فكلمه، وقال: نكلّم محمداً، أو تجير [(2)] أنت بين
الناس! فقال: جوارى في جوار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لقي عمر رضي الله عنه،
فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال [عمر] [(3)] : والله لو وجدت الذرّ [(4)]

[(1)] أم المؤمنين.

[(2)] في (خ) «ونجير» .

[(3)] زيادة للبيان من (ط) .

[(4)] النمل الصغير.

(349/1)

تقاتلكم لأعنتها عليكم! فقال [أبو سفيان] [(1)] : جزيت من ذي رحم شراً، ثم دخل على
عثمان رضي الله عنه فقال: إنه ليس في القوم أحد أقرب بي رحماً منك! فزد في الهدنة وجدّد
العهد، فإن صاحبك لن يرده عليك أبداً! قال: جوارى من جوار رسول الله!
فدخل على فاطمة وكلمها في أن تجير بين الناس، فقالت: إنما أنا امرأة! قال: مري أحد ابنك
يجير بين الناس! قالت: إنما هما صبيان! وليس مثلهما يجير.

مناشدته علياً ومشورة علي

فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن! أجز بين الناس أو تكلم محمداً يزيد
في المدة! فقال: ويحك يا أبا سفيان! إن رسول الله قد عزم أن لا يفعل، وليس أحد يستطيع أن
يكلمه في شيء يكرهه. قال: فما الرأي؟

يسّرني [(2)] لأمرى، فإنه قد ضاق عليّ، فمري بأمر ترى أنه نافع. قال: والله ما أجد لك
شيئاً أمثل من أن تقوم فتجير بين الناس، فإنك سيّد كنانة. قال:

ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا أظن ذلك والله، ولكني لا أجد لك غيره.

فقام أبو سفيان بين ظهري الناس فصاح: ألا إني قد أجزت بين الناس، ولا أظنّ محمداً يخفّرني!
ثم دخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد! ما أظنّ أن تردّ جوارى! فقال: أنت
تقول ذلك يا أبا سفيان!!

ثم جاء [أبو سفيان] [(3)] لسعد بن عباد فقال: يا أبا ثابت! قد عرفت الذي كان بيني وبينك! وأني كنت لك في قومنا جارا، وكنت لي بيثرب مثل ذلك، وأنت سيد هذه البحرة [(4)] ، فأجر بين الناس وزد في المدة. فقال: يا أبا سفيان! جوارى في جوار رسول الله! ما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقال: خرج أبو سفيان على أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت تقول ذلك يا أبا سفيان!!

ويقال: لما صاح لم يقرب النبي عليه السلام وركب راحلته وانطلق إلى مكة.

[(1)] زيادة للبيان من (ط) .

[(2)] في (خ) «بشرني» .

[(3)] زيادة للبيان.

[(4)] البحرة: البلدة.

(350/1)

مرجع أبي سفيان إلى مكة وما قيل له

وكانت قد طالت غيبته، وأتمته قريش أنه قد أسلم. فلما دخل على هند ليلا قالت: لقد حبست حتى أتمك قومك! فإن كنت مع طول الإقامة جنتهم بنجح، فأنت الرجل! ثم دنا منها فجلس منها مجلس الرجل من امرأته، فجعلت تقول: ما صنعت؟ فأخبرها الخبر وقال: لم أجد إلا ما قال لي علي! فضربت برجلها في صدره، وقالت: قبحت من رسول قوم! وأصبح فحلق رأسه عند إساف ونائلة [(1)] ، وذبح لهما ومسح بالدم رءوسهما، وقال: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي.

وقالت له قريش: ما وراءك؟ هل جئنا بكتاب من محمد، أو زيادة في مدة أماننا من أن يغزونا؟ فقال: والله لقد أبي علي، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قدرت على شيء منهم، إلا أنهم يرموني بكلمة واحدة. إلا

أن عليا قد قال- لما ضاقت بي الأمور-: أنت سيد كنانة، فأجر بين الناس!! فنادت بالجوار، ثم دخلت على محمد فقالت: إني قد أجزت الناس، وما أظن أن تردّ جوارى! فقال: أنت تقول ذلك يا أبا سفيان!! لم يزدني على ذلك.

قالوا: ما زاد على أن تلعب بك تلعبا!! قال: والله ما وجدت غير ذلك.

جهاز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للفتح
ولمَّا ولى أبو سفيان راجعا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رضي الله عنها: جهّزينا
وأخفي أمرك. وقال عليه السلام: اللَّهُمَّ خذ من قريش الأخبار والعيون حتى تأتيهم [(2)]
بغته، [وفي رواية: اللَّهُمَّ خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغته، ولا يسمعون بي إلا فجأة] .
وأخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنقاب [(3)] ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف
عليها ويقول: لا تدعوا أحدا يمرّ بكم تنكرونه إلا ردّدتموه. وكانت الأنقاب مسلمة، إلا من سلك
إلى مكة فإنه يتحفّظ به ويساءل عنه.

[(1)] إساف ونائلة من أصنام المشركين.

[(2)] في (خ) «تأتيهم» .

[(3)] الأنقاب: جمع نقب وهو الطريق بين الجبلين.

(351/1)

خبر أبي بكر

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي تجهّز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تعمل قمحا سويقا ودقيقا، فقال: يا عائشة، أهما رسول الله يغزو؟
قالت: ما أدري! قال: إن كان همّ بسفر فأذنينا [(1)] نتهيأ له. قالت: ما أدري! لعله يريد
بني سليم، لعله يريد ثقيفا! لعله يريد هوازن! فاستعجمت عليه [(2)] حتى دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فقال له: يا رسول الله، أردت سفرا؟ قال: نعم. قال:
أفأجهّز؟ قال: نعم، قال: فأين تريد يا رسول الله؟ قال: قريشا، وأخف ذلك يا أبا بكر! وأمر
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بالجهاز، وطوى عنهم [(3)] الوجه الذي يريد، وقال أبو بكر: يا
رسول الله! أو ليس بيننا وبينهم مدة؟ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد، فأنا غازيهم، واطو ما
ذكرت لك!
فظان يظن أنه يريد الشام، وطان يظن ثقيفا، وطان يظن هوازن.

خبر حاطب بن أبي بلتعة ورسالته إلى قريش

فلما أجمع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسير إلى قريش وعلم بذلك الناس، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمرهم. وكان كتابه إلى ثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فيقول فيه: «إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد بكتابي إليكم». وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج- [يقال لها كنود، ويقال لها سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم ابن عبد مناف]- وجعل لها ديناراً [وقيل: عشرة دنانير] ، على أن تبلاغه قريشا، وقال: أخفيه ما استطعت، ولا تمري على الطريق فإن عليه حرسا [(4)] . فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، وسلكت على غير نقب، حتى لقيت الطريق بالعقيق. وأتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليا والزبير رضي

[(1)] آذينا: أعلمينا وأخبرينا.

[(2)] استعجمت عليه: لم تعطه جوابا بيّنا.

[(3)] وى عنهم: أخفى عنهم.

[(4)] في (خ) «محرسا» .

(352/1)

الله عنهما فقال: أدركا امرأة من مزينة، قد كتب معها حاطب كتابا يحذر قريشا. فخرجا، فأدركاها، فاستنزلاها، والتمسها [(1)] في رحلها فلم يجدا [(2)] شيئا. فقالا لها: إنا نخلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا، ولتخرجن هذا الكتاب! أو لنكشفنك! فلما رأت منهما الجذ قالت: أعرض عني! فأعرضا عنها، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب. فجاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا حاطبا فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله! والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم. فقال عمر رضي الله عنه: قاتلك الله! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب، وتكتب إلى قريش تحذرهم!! دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق. فقال: وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم [(3)] ،

وأَنْزَلَ اللهُ فِي حَاطَبٍ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ

جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [(4)] .

ومضت سارة إلى مكة، وكانت مغتبية، فأقبلت تتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ارتدت عن الإسلام.

دعوة المسلمين من القبائل

فلما أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزو، أرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من

[(1)] في (خ) «والتماساه» .

[(2)] في (خ) «فلم يجد» .

[(3)] أخرجه أبو داود ج 3 ص 108، 109، 110، باب في حكم الجاسوس إذا كان

مسلمًا، حديث رقم 2650، أخرجه (البخاري) في المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، وفي التفسير، تفسير سورة الممتحنة، وفي الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا و (مسلم) في فضائل أهل بدر، و (الترمذي) في التفسير، تفسير سورة الممتحنة، و (الدارمي) في الرقاق، و (أحمد) في (المسند) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانظر أيضا (معالم السنن) للخطابي ج 3 ص 110.

[(4)] أول سورة الممتحنة، وفي (خ) «... تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ»، الآية.

(353/1)

المسلمين يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة. وبعث رسلا في كل ناحية حتى قدموا. فقدمت أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، المدينة، وأتت بنو سليم بقديد، وعسكر بئر أبي عنبه، وعقد الألوية والرايات.

عدة المسلمين

وكان المهاجرون سبعمائة، ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الأنصار أربعة آلاف، ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مزينة ألفا، فيها مائة فرس ومائة درع، وكانت أسلم أربعمائة، فيها ثلاثون فرسا، وكانت جهينة ثمانمائة، معها خمسون فرسا، وكانت بنو كعب بن عمرو خمسمائة. ويقال: لم يعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية والرايات حتى انتهى إلى قديد.

الخروج إلى الفتح

وخرج يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر. وروى أبو خليفة الفضل بن الحباب من حديث شعبة بن قتادة عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنا مع رسول الله حين فتح مكة لسبع عشرة أو تسع عشرة بقين من رمضان. الحديث. ورواه سعيد [(1)] بن أبي عروبة، عن قتادة بإسناده، فقال فيه: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتي عشرة. وقال هشام عن قتادة فيه بإسناده: لثمان عشرة. وعن عطية بن قيس، عن قرعة [(2)]، عن أبي سعيد الخدري، قال: آذنا [(3)] رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان. الحديث.

مسير المسلمين

وخرج المسلمون وقادوا الخيول، وامتطوا الإبل، وكانوا عشرة آلاف رجل، وقال الحاكم: اثنا عشر ألفا. وقدّم صلى الله عليه وسلم أمامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في

[(1)] في (خ) «سعد» .

[(2)] هو «قرعة بن يحيى» أبو الغاوية البصري.

[(3)] في (خ) «آذنا» .

(354/1)

مائتين، فلما كان بالبيداء قال: إني لأرى [(1)] السحاب يستهلّ بنصر بني كعب. ولما خرج من المدينة نادى مناديه: من أحبّ أن يصوم فليصم، ومن أحبّ أن يفطر فليفطر. وصام هو، حتى [إذا] [(2)] كان بالعرج صبّ على رأسه ووجهه الماء من العطش، فلما كان بالكديد - بين الظهر والعصر أخذ إناء من ماء في يده حتى رآه المسلمون، ثم أفطر تلك الساعة، ويقال: كان فطره يومئذ بعد العصر. وبلغه أن قوما صاموا، فقال: أولئك العصاة! وقال بمرّ الظهران: إنكم مصبّحو [(3)] عدوكم. والفطر أقوى لكم.

منزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعرج

فلما نزل العرج- والناس لا يدرون أين يتوجه [(4)] ! إلى قريش، أو إلى هوازن، أو إلى ثقيف؟ وأحبوا أن يعلموا أتى [(5)] - كعب بن مالك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد جلس في أصحابه، وهو يتحدث- ليعلم ذلك، فأنشده شعرا، فتبسّم ولم يزد على ذلك. فلما نزل بقديد قيل: هل لك يا رسول الله في بيض النساء وأدم الإبل؟ فقال: إن الله حرّمهم عليّ بصلة الرحم، ووكزهم في لبّات الإبل. [وفي رواية: [إن] [(6)] الله حرّمهم عليّ ببر الوالدين ووكزهم في لبّات الإبل. [(7)] . وجاء عيينة بن حصن بالعرج وسار [(8)] وكان الأقرع بن حابس قد وافى بالسّقيا في عشرة من قومه. فلما عقد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الألوية بقديد ندم عيينة ألا يكون قدم بقومه.

خبر الكلبة

ونظر عليه السلام بعد مسيره من العرج إلى كلبة تمرّ [(9)] على أولادها، وهنّ

[(1)] في (خ) «لا أرى»، وفي (المغازي) ج 2 ص 801 «لأرى السحاب تستهل» .

واستهل السحاب أشرق قبل أول مطر.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] في (خ) «مصبحوا» بإثبات الألف بعد واو الجماعة.

[(4)] في (خ) «توجه» .

[(5)] في (خ) «فأتى» وفي رواية (الواقدي) ج 2 ص 802: «قال كعب بن مالك: أتى

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعلم لكم علم وجهه» .

[(6)] زيادة للسياق من (ط) ج

[(7)] قال ابن الأثير في (النهاية): لبّات: جمع لبّة، وهي الهزيمة التي فوق الصدر وفيها تنحر

الإبل، (النهاية) ج 4 ص 223، وهنا كناية عن الكرم وصلة الرحم، فلذلك استحقوا العفو.

[(8)] وذلك بعد إسلامه، ففي (الواقدي) ج 2 ص 804 «فدخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلّم يومئذ مكة بين الأقرع وعيينة» .

[(9)] تمرّ: تنبّح وتكشّر عن أنيابها دفاعا عن أولادها.

حولها يرضعنها، فأمر جعيل بن سراقة يقوم حذاءها، لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها.

الطلائع

وقدم من العرج جريدة من خيل [(1)] طليعة، فأتوا بعين من هوازن، فسأله عنهم فقال: تركتهم بيقعاء قد جمعوا الجموع، وأجلبوا العرب، وبعثوا إلى جرش [(2)] في عمل الدبابات [(3)] والمنجنيق، وهم سائرون إلى هوازن فيكونوا جميعا. فقال [صلى الله عليه وسلم] [(4)] : وإلى من جعلوا أمرهم؟ قال: إلى مالك بن عوف. قال: وكل هوازن قد أجاب؟ قال: أبطأ من بني عامر كعب وكلاب. وقد مررت بمكة فرأيتهم ساخطين لما جاء به أبو سفيان، وهم خائفون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حسبنا الله ونعم الوكيل، ما أراه إلا صدقني! وأمر خالد بن الوليد فحبسه حتى دخل مكة وفتحها فأسلم، ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن فقتل بأوطاس. [وأوطاس واد في ديار هوازن، وفيه كانت وقعة حنين].

إسلام أبي سفيان

وقدم بالأبواء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يريد الإسلام، بعد ما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته سنة وهجاه، ولم يتخلف عن قتاله. فلما طلع صلى الله عليه وسلم في موكبه، وقف تلقاء وجهه، فأعرض عنه، فتحرك إلى ناحيته، فأعرض عنه مرارا، وأعرض عنه الناس وتجهموا له، فجلس على باب منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلازمة حتى فتح مكة، وهو لا يكلمه ولا أحد من المسلمين. فلما كان يوم هوازن، ثبت فيمن ثبت مع رسول الله، وأخذ العباس رضي الله عنه بلجام بغلته، وأخذ أبو سفيان بالجانب [(5)] الآخر، فقال صلى الله عليه وسلم: من هذا؟ فقال العباس:

[(1)] في (خ) «من خيل جديدة». والجريدة: الطائفة من الفرسان لا رجالة فيها (ترتيب القاموس) ج 2 ص 127.

[(2)] جرش: مدينة شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحواران من عمل دمشق (معجم البلدان) ج 2 ص 127.

[(3)] الدبابات: في عهدهم آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال، ثم يقربونها من الحصن المحاصر والرجال في جوفها لينقبوه، وسميت بذلك لأنها تدب دبيبا.

[(4)] زيادة للبيان.

[(5)] في (خ) «بالجناب» .

(356/1)

يا رسول الله! أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث [(1)] ! فارض عنه، أي رسول الله! قال: قد فعلت، فغفر الله له كلّ عداوة عاداها. فقبل أبو سفيان رجله في الركاب. فالتفت عليه السلام إليه، فقال: أخي لعمرى!
ويقال: إنه جاء هو وعبد الله بن أبي أمية- أخو أم سلمة- إلى نيق العقاب [(2)] فطردهما، فشفعت فيهما أم سلمة، وأبلغته عنهما ما رقّقه عليهما، فقبلهما.

العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل

وقدم العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل، بالسقيا. وقيل: بل قدم العباس بذي الحليفة- وقيل: بالجحفة- فأسلم، وبعث ثقله [(3)] ومضى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام معه، ولم يخرج من عنده حتى راح عليه السلام. وكان ينزل معه في كل منزل حتى دخل مكة.

رؤيا أبي بكر

ورأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه- في الليلة التي أصبح فيها بالجحفة- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دنوا من مكة، خرجت عليهم كلبة تهرّ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها، فإذا أطباؤها تشخب لبنا [(4)] . فذكرها أبو بكر.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذهب كلبهم [(5)] ، وأقبل درهم [(6)] . هم سائلوكم بأرحامكم! وأنتم لا قون بعضهم، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه.

[(1)] ذكرنا في أول الكتاب أنه أخوه من الرضاعة من قبل حليلة السعدية

[(2)] في (خ) ، (ط) «فيق العقاب» وهو خطأ وصوابه «نيق العقاب» وهي: (موقع بين مكة

والمدينة قرب الجحفة، لقي به أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة مهاجر بن أبي أمية وهو يريد مكة عام الفتح) (معجم البلدان) ج 5 ص 333.

[(3)] [الثقل: متاع المسافر وحشمه (ترتيب القاموس) ج 1 ص 412.

[(4)] [الأطباء: جمع طبي، والطبي: بالكسر والضم: حلقات الضرع التي من خف وظلف

وحافر.

- [(5)] الكلب: صياح من عضه الكلب الكلب، وجنون الكلاب المعتزى من أكل لحم الإنسان، وشبه جنونها المعتزى للإنسان من عضها. (ترتيب القاموس) ج 4 ص 70 والمقصود هنا: كناية عن عداء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- [(6)] الدرّ: اللبن يسيل من الثدي، وهذا كناية عن إدبار شهرهم وإقبال خيرهم.

(357/1)

منزل المسلمين بقديد

فلما نزل عليه السلام قديدا لقيته سليم- وهم تسعمائة على الخيول جميعا، مع كل رجل رحله وسلاحه، ويقال: إنهم ألف- فجعلهم مقدمته مع خالد بن الوليد رضي الله عنه واجتمع المسلمون بمزّ الظهران، ولم يبلغ قريشا حرف واحد من مسيرهم، فأمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يوقدوا النيران، فأوقدوا عشرة آلاف نار، وأمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل ليالي فتح مكة، وفي غزوة بدر.

بعثة قريش أبا سفيان يتجسس

وبعثت قريش أبا سفيان يتجسس الأخبار، وإن لقي محمدا يأخذ لهم منه جوارا، فإن رأى رقعة من أصحابه آذنه بالحرب، فخرج ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فرأوا الأبنية والعسكر والنيران بمزّ الظهران، وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل، فأفزعهم ذلك فزعا شديدا وقالوا: هؤلاء بنو كعب جاشتها الحرب [(1)] ! فقال بديل: هؤلاء أكثر من بني كعب! قالوا: فتنجعت [(2)] هوازن على أرضنا! والله ما نعرف هذا، إن هذا العسكر مثل حاجّ الناس! وكان على الحرس تلك الليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

خبر العباس وقدومه بأبي سفيان وصاحبيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ركب العباس رضي الله عنه دلدل [(3)] ، على أن يصيب رسولا إلى قريش يخبرهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل عليهم في عشرة آلاف. فسمع صوت أبي سفيان، فقال: أبا حنظلة! فقال: يا لبيك! أبا الفضل؟ قال: نعم! قال: فما وراءك؟ قال: هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين، فأسلم، ثكلتك أمك وعشيرتك، وأقبل على حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقال: أسلما، فإني لكما جار حتى تنتهوا إلى رسول الله، فإني أخشى أن تقطعوا دون

النبي! قالوا: فنحن معك.

- [(1)] جاشتها الحرب: هاجتها كما تجيش النار القدر فيغلي بها.
- [(2)] من الانتجاع، وهو طلب الكلا أيام الربيع.
- [(3)] اسم بغلة كانت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(358/1)

ويروى أن أبا سفيان وحكيما وبديلا لما طلعا مر [الظهران] [(1)] عشاء، ورأوا النيران والفساطيط والعسكر راعهم ذلك، فبينما هم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفر - كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثهم عيوننا له - بخطم [(2)] أبعرتهم، وأتوا بهم العسكر، فلقيهم عند ذلك العباس فأجارهم.

دخولهم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأتى بهم العباس ودخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، قد أجزتهم، وهم يدخلون عليك! فقال:
أدخلهم. فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامة الليل ليستخبرهم، ودعاهم إلى الإسلام، فأسلم حكيم وبديل. وقال أبو سفيان: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله: وأني رسول الله. قال: والله يا محمد، إن في النفس من هذا لشيئا بعد، فارجها [(3)]. ثم قال للعباس: قد أجزناهم، اذهب بهم إلى منزلك. فذهب بهم.

خبر أبي سفيان بعد سماع الأذان

فلما أذن الصبح، أذن العسكر كلهم، ففزع أبو سفيان من أذانهم وقال:
ما يصنعون؟ أمروا فيّ بشيء؟ قال: لا! ولكنهم قاموا إلى الصلاة! قال أبو سفيان: كم يصلون في اليوم والليلة؟ قال: يصلون خمس صلوات. قال: كثير والله! فلما رآهم أبو سفيان يبتدرون وضوء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ما رأيت يا أبا الفضل ملكا كهذا! لا ملك [(4)] كسرى ولا ملك بني الأصفر! فقال العباس:
ويحك آمن! قال: أدخلني عليه. فأدخله، فقال: يا محمد! استنصرت إلهي واستنصرت إلهك، فلا والله ما لقيتك من مرة إلا ظفرت عليّ، فلو كان إلهي حقا وإلهك مبطلا لقد غلبتك! وشهد أن

- [(1)] زيادة للبيان، وفي (خ) «مدعشا» .
[(2)] خطم: جمع خظام، وهو الحبل الذي يقاد به البعير.
[(3)] من الإرجاء وهو التأخير، وقد سهلت الهمزة.
[(4)] في (خ) «إلا ملك كسرى» .

(359/1)

مقالة أبي سفيان وحكيم بن حزام

ثم قال أبو سفيان وحكيم: يا محمد! جنت بأوباش الناس - من نعرف ومن لا نعرف [(1)] - إلى عشيرتك وأصلك! فقال صلى الله عليه وسلم: أنتم أظلم وأفجر، غدرتم عهد الحديبية، وظاهرتم على بني كعب بالإثم والعدوان في حرم الله وأمنه. فقال أبو سفيان وحكيم بن [(2)] حزام: يا رسول الله! لو كنت جعلت حدك [(3)] ومكيدتك بهوازن، فهم أبعد رحما وأشد لك عداوة! فقال: إني لأرجو [(4)] من ربي أن يجمع ذلك لي كله: فتح مكة وإعزاز الإسلام بها، وهوازن، وأن يغنمني الله أموالهم وذرايبهم، فإني راغب إلى الله في ذلك. وقيل: إن أبا سفيان ركب خلف العباس، ورجع حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء.

خبر عمر بن الخطاب حين رأى أبا سفيان

فلما مرّ العباس بعمر بن الخطاب، ورأى أبا سفيان قال: أبا سفيان! عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بلا عهد ولا عقد. ثم خرج نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتمّه، فركض العباس البغلة حتى اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا. فقال عمر: يا رسول الله! هذا أبو سفيان عدوّ الله، قد أمكن الله منه بلا عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه. فقال العباس: إني قد أجرته! ثم التزم [(5)] رسول الله، فقال: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني. فلما أكثر عمر في أبي سفيان قال العباس: مهلا يا عمر! وتلاحيا [(6)] . فقال النبي عليه السلام للعباس: اذهب به فقد أجرته، فليبت عندك حتى تغدو علينا إذا أصبحت. فغدا به. فقال له رسول الله: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك [(7)] أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك! قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إله [(8)] لقد أغنى عني شيئا بعد. قال: يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني

[(1)] في (خ) «من تعرف ومن لا تعرف» .

[(2)] في (خ) «فقال أبو سفيان يا رسول الله وحكيم بن حزام» .

[(3)] الحدّ: الشدّة، وهي في (خ) «جدك» .

[(4)] في (خ) «لأرجو» .

[(5)] التزمه: اعتنقه.

[(6)] تلاحيا: تنازعا.

[(7)] ألم يأن: ألم يحن.

[(8)] في (خ) «إلاه» .

(360/1)

رسول الله؟

[قال] [(1)] : بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك! أما هذه فو الله إن في النفس منها لشيئا بعد، فقال العباس: ويحك! اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل والله أن تقتل! فشهد شهادة الحق.

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

فقال العباس: يا رسول الله! إنك قد عرفت أبا سفيان وحبّه الشرف والفخر، اجعل له شيئا. قال: نعم! من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق [عليه] [(1)] داره فهو آمن. وأمر ألا يجهز على جريح، ولا يتبع مدبر. ويروى أن أبا سفيان وحكيما قالا: يا رسول الله! ادع الناس إلى الأمان! رأيت إن اعتزلت قريش وكفت أيديها، آمنون هم؟ قال: نعم! من كفّ يده وأغلق [عليه] [(1)] بابه فهو آمن. قالوا: فابعثنا نؤذّن فيهم بذلك. قال: انطلقوا، فمن دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن، ودارك يا حكيم، و [ومن] [(1)] كفّ يده فهو آمن.

رد أبي سفيان بعد فراقه

فلما توجهوا قال للعباس: إني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه وبكفر، فاردده حتى يفقه ويرى جنود الله معك.

فأدركه عباس فحبسه، فقال: أغدرا يا بني هاشم؟ قال: ستعلم أنا لسنا بغدر [(2)] ، ولكن

لي إليك حاجة، فأصبح حتى تنظر إلى جنود الله، وإلى ما أعدّ للمشركين. فحبسه بالمضيق - دون الأراك إلى مكة - حتى أصبحوا.

وقيل: بل قال عليه السلام للعباس بعد ما خرج أبو سفيان: احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها.

فعدل به العباس في مضيق الوادي، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى: لتصبح كل قبيلة قد ارتحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته، وتظهر كل ما معها من العدة.

[(1)] زيادة في السياق.

[(2)] غدر: جمع غدور، وهو الغادر.

(361/1)

تعبة المسلمين ومرورهم على أبي سفيان

فأصبح الناس على ظهر [(1)] ، وعبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فجعل أبا عبيدة ابن الجراح [(2)] على المقدمة،

[(1)] على استعداد للسفر.

[(2)] هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيبي بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي الفهري المكي. أحد السابقين الأولين، عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة، لكمال أهليته عند أبي بكر. يجتمع في النسب هو والنبي صلى الله عليه وسلم في فهر، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمّة، وغزا غزوات مشهورة، له في صحيح مسلم حديث واحد، وله في جامع أبي عيسى حديث، وله في مسند بقي خمسة عشر حديثا.

وقد شهد أبو عبيدة بدرا، فقتل يومئذ أباه، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا، ونزع الحلقة اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضربة أصابته، فانقلعت بهما ثنيتاه، حتى قيل: ما رأي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة، وكان أبو عبيدة معدودا فيمن جمع القرآن العظيم.

وكان موصوفا بحسن الخلق، وبالعلم الزائد والتواضع. ولما فرغ الصديق من حرب أهل الردّة،

وحرب مسيلمة الكذاب، جهّز أمراء الأجناد لفتح الشام، فبعث أبا عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، فتمّت وقعة أجنادين بقرب الرملة، ونصر الله المؤمنين، فجاءت البشرية، والصدّيق في مرض الموت.

ثم كانت وقعة فحل، ووقعة مرج الصّفر، وكان قد سيّر أبو بكر خالدًا لغزو العراق، ثم بعث إليه لينجد من بالشام، فقطع المفاوز على بريّة السماوة، فأمره الصديق على الأمراء كلهم، وحاصروا دمشق، وتوفّي أبو بكر، فبادر عمر بعزل خالد، واستعمل على الكل أبا عبيدة، فجاءه التقليد، فكتمه مدة، وكل هذا من دينه ولبنه وحلمه، فكان فتح دمشق على يده، فعند ذلك أظهر التقليد، ليعقد الصلح للروم، ففتحوا له باب الجابية صلحا، وإذا بخالد قد افتتح البلد عنوة من الباب الشرقيّ، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح.

وعن المغيرة، أن أبا عبيدة صالحهم على أنصاف كنائسهم ومنازلهم، ثم كان أبو عبيدة رأس الإسلام يوم وقعة اليرموك، التي استأصل الله فيها جيوش الروم، وقتل منهم خلق عظيم. وتوفي أبو عبيدة رضي الله عنه في سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة.

* (مسند أحمد) : 1 / 195 - 196، (طبقات ابن سعد) : 3 / 1 / 409، (التاريخ الكبير) : 6 / 444، (التاريخ الصغير) : 1 / 40، (المعارف) : 247 - 248، (تاريخ الطبري) : 3 / 202 (الجرح والتعديل) : 6 / 635، (المستدرک) : 3 / 262 - 268، (حلية الأولياء) : 1 / 100 - 102، (الاستيعاب) : 4 / 1710، (صفة الصفوة) : 1 / 192، (جامع الأصول) : 9 / 20 - 21، (الكامل في التاريخ) 2 / 259، (تاريخ الإسلام) : 2 / 138،

(362/1)

وخالد بن الوليد [(1)] على الميمنة، والزيير بن العوام [(2)]

[()] (تهذيب التهذيب) : 5 / 630، (الإصابة) 3 / 586 - 590، (تاريخ الخميس) : 2 / 244، (كنز العمال) : 13 / 214 - 219، (فتح الباري) : 7 / 116 - 117، (صحيح سنن ابن ماجة) : 1 / 29، (سير أعلام النبلاء) 1 / 5 - 23، (الزهد للإمام أحمد) : 176، (زاد المعاد) : 3 / 197، 204، (تهذيب الأسماء واللغات) : 2 / 259، (التاريخ الصغير) : 1 / 40.

[(1)] هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف

الله تعالى، وفارس الإسلام، ليث المشاهد، السيد الإمام الكبير، وقائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة: مولاة زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله، فقال:

إن خالدا سيف سله الله على المشركين،

وشهد الفتح، وحنينا، وتأمر في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، واحتسب أذراعه ولأمته في سبيل الله، وحارب أهل الردة، ومسيلمة، وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية، بحيث أنه قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال، في عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء.

ومناقبه غزيرة، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق، فافتتحها هو وأبو عبيدة رضي الله عنهما. له في الصحيحين حديثان، وفي مسند بقي واحد وسبعون، توفي بجمص سنة إحدى وعشرين. وذكر محمد بن سلام قال: لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد ابن الوليد، يقول: حلقت رأسها.

* (مسند أحمد) : 4 / 88، (ابن هشام) : 4 / 237-239، (طبقات ابن سعد) :

4 / 252 (التاريخ الصغير) : 1 / 23، 40، (المعارف) : 267، (الجرح والتعديل) :

3 / 356، (الاستيعاب) : 2 / 427-431، (تهذيب الأسماء واللغات) : 1 / 182-174،

(تهذيب التهذيب) : 3 / 142، (الإصابة) : 2 / 251-256، (كنز العمال) :

13 / 366-375.

[(2)] هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أبو عبد الله رضي الله عنه. أسلم وهو حدث، له ستة عشرة سنة روي أحاديث يسيرة، اتفقا له على حديثين، وانفرد له البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بحديث. وعن عمر بن مصعب بن الزبير قال: قاتل الزبير مع نبي الله، وله سبع عشرة سنة، وقال هشام بن عروة عن أبيه، قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير. وهو ممن هاجر إلى الحبشة، فيما نقله موسى بن عقبة، وابن إسحاق، ولم يطول الإقامة بها. عن علي بن زيد: أخبرني من رأى الزبير، وفي صدره أمثال العيون من الطعن والزمي، وعن عروة

قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها،
ضرب

(363/1)

على الميسرة، وهو صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في القلب، وقدم بين يديه الكتاب فمَرَّت القبائل على
قادتھا، والكتائب على راياتها. فقدم خالد بن الوليد في بني سليم [(1)] - وهم ألف

[()] ثنتين يوم بدر، وواحدة في اليرموك.

عن ابن عباس أنه قال للزبير يوم الجمل: يا ابن صفية! هذه عائشة تملك الملك طلحة، وأنت
علام تقاتل قريبك علياً؟ فرجع الزبير، فلقبه ابن جرهموز فقتله.
قال البخاري وغيره: قتل في رجب سنة ست وثلاثين.

* (مسند أحمد): 1/ 164-167، (طبقات ابن سعد): 3/ 70-80، (التاريخ الكبير):
3/ 409، (التاريخ الصغير): 1/ 75، (المعارف): 219-227، (الجرح والتعديل): 3/
578، (المستدرک): 3/ 359-368، (حلية الأولياء): 1/ 89، (الاستيعاب): 2/ 510،
(صفة الصفوة): 1/ 180-183، (جامع الأصول):

9/ 5-10، (تهذيب الأسماء واللغات): 1/ 194-196، (تهذيب التهذيب):

3/ 318، (الإصابة): 2/ 553-558، (تاريخ الخميس): 1/ 172، (كنز العمال):
13/ 204-212، (تاريخ الإسلام): 2/ 138، 184، 314، 333، 382، (سير أعلام
النبلاء): 1/ 41، (المعارف): 219-220، (الزهد للإمام أحمد): 137.

[(1)] هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، ولد سليم بن
منصور: بھثة، فولد بھثة بن سليم: الحارث، وثعلبة، بطن صغير، وامرؤ القيس، وعوف، وكان
كاهناً، وثعلبة، ومعاوية.

(جمهرة أنساب العرب): 261.

- وبھثة بطن من قيس عيلان، وهو الذي ينسب إليه بنو سليم، وهم بنو بھثة بن سليم بن
منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، منهم عمرو بن عبسة السلمي، وهو
بھثي، وكذلك العرياض بن سارية وغيرهما، وبنو بھثة بن حرب بن وهب بن بلي بن أحمس بن
ضبيعة، وفي العرب بنو بھثة جماعة. (اللباب في تهذيب الأنساب): 1/ 191، (معجم قبائل
العرب): 1/ 109.

- وروي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أنا ابن العواتك من سليم»
والعواتك من جداته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع كل تسمى عاتكة، وهن: عاتكة بنت هلال بن
فالج بن ذكوان أم عبد مناف، وعاتكة بنت مرة بنت هلال بن فالج أم هاشم، وعاتكة بنت
الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة، وبقية التسع من غير بني سليم.
وعاتكة: اسم منقول من الصفات، يقال امرأة عاتكة، وهي المصفرة بالزعفران والطيب،
والعاتك:

الكريم والخالص من الألوان، والعواتك من الصحابيات هن: عاتكة بنت أسيد، وبنت خالد،
وبنت زيد بن عمرو، وبنت عبد المطلب، وبنت عوف، وبنت نعيم، وبنت الوليد. (ترتيب
القاموس المحيط): 3/ 150-151.

وحدث «أنا ابن العواتك»، ذكره الألباني في (الصحيحة): 1569، وقال الهيثمي: رجاله
رجال الصحيح. وقال الذهبي، كابن عساكر في التاريخ: اختلف على هيثم فيه، وهو هيثم بن
بشير السلمي، أبو معاوية الواسطي الحافظ، أحد الأعلام، سمع الزهري، وحصين بن عبد
الرحمن. وعنه يحيى القطان، وأحمد، ويعقوب الدورقي، وخلق كثير. مولده سنة أربع ومائة، وسمع
من الزهري، وابن عمر أيام الحج، وكان مدلسا، وهو لئيم في الزهري. (ميزان الاعتدال): 4/
306، ت 9250.

(364/1)

يحمل لواءهم عباس بن مرداس [(1)] ،

[()] هيثم بن بشير الواسطي، أحد الأئمة، متفق على توثيقه، إلا أنه كان مشهورا بالتدليس
وروايته عن الزهري خاصة لينة عندهم، فأما التدليس، فقد ذكر جماعة من الحفاظ أن البخاري
كان لا يخرج عنه إلا ما صرح فيه بالتحديث، واعتبرت أنا هذا في حديثه، فوجدته كذلك، إما أن
يكون قد صرح به في نفس الإسناد، أو صرح به من وجه آخر، وأما روايته عن الزهري فليس في
الصحيحين منها شيء، واحتج به الأئمة كلهم. والله أعلم. (هدي الساري): 626. هشيم،
حجة يدلس، وهو لين في روايته عن الزهري. (المغني في الضعفاء): 2/ 712، ت 6765.
[(1)] هو عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عيس بن رفاعة بن الحارث بن
حيي بن الحارث ابن بثة بن سليم السلمي، يكنى أبا الفضل، وقيل أبا الهيثم. أسلم قبل فتح
مكة ببسير، وكان مرداس أبوه شريكا ومصافيا لحرب بني أمية، ويزعم بعض أهل الأخبار أن الجن

قتلتها جميعا، وذكروا أن ثلاثة نفر ذهبوا على وجوههم، فهاموا ولم يوجدوا، ولم يسمع لهم بأثر: طالب بن أبي طالب، وسنان ابن حارثة، ومرداس بن أبي عامر، أبو عباس بن مرداس. وكان عباس بن مرداس من المؤلفة قلوبهم ومن حسن إسلامهم، ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من سبي حنين «الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن» مائة مائة من الإبل، ونقص طائفة من المائة، منهم عباس بن مرداس، جعل عباس بن مرداس يقول، إذا لم يبلغ به من العطاء ما بلغ به من العطاء ما بلغ بالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن:

أجعل نهي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

وقد كنت في القوم ذا تدرأ ... فلم أعط شيئا ولم أمنع

فصالا أفائل أعطيها ... عديد قوائمها الأربع

وكانت نهابا تلافيتها ... بكرى على المهر في الأجرع

ويقاضي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهبوا فاقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رضي،

وكان شاعرا محسنا مشهورا، وله في يوم حنين أشعار حسان، وهو القائل:

يا خاتم النبأ إنك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا

إن الإله بني عليك محبة ... في خلقه، ومحمدا سَمَاكا

وكان عباس بن مرداس ممن حرّم الخمر في الجاهلية. وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية أيضا: أبو بكر الصديق، وعثمان بن مظعون، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وقيس بن عاصم، وحرّمها قبل هؤلاء: عبد المطلب بن هاشم، وعبد الله بن جدعان، وشيبة بن ربيعة، وورقة بن نوفل، والوليد ابن المغيرة، وعامر بن الظرب، ويقال: هو أول من حرّمها في الجاهلية على نفسه، ويقال: بل عفيف ابن معديكرب العبدي، كان عباس بن مرداس ينزل بالبادية بناحية البصرة، روي عنه ابنه كنانة ابن عباس.

* (تهذيب التهذيب): 5/ 114، (طبقات ابن سعد): 1/ 273، 307، 308، 2/ 53، 4/

271، 346، 5/ 516، (الإصابة): 3/ 633-634، (الاستيعاب):

(365/1)

وخفاف بن ندبة [(1)] - فقال أبو سفيان [(2)] : من هؤلاء؟ قال العباس [(3)] :
خالد بن الوليد، فلما حاذى خالد العباس وأبا سفيان،

[()] [2 / 817 - 820 ، (ابن هشام) : 5 / 91 - 92 ، (المعارف) : 336 - 342 ، (زاد
المعاد) : 3 / 473 ، 476 . (الشعر والشعراء) : 184 .

[(1)] هو خفاف بن ندبة «بالحركات الثلاث» ابن عمير بن عمر بن الشريد السلمي، «ندبة
أمه، وأبوه عمير». . يكنى أبا خرشة، أو خراشة، وهو ابن عم خنساء، وصخر، ومعاوية، وخفاف
هذا شاعر مشهور بالشعر، وكان أسود حالكا. قال أبو عبيدة: هو أحد أغربة العرب. قال
الأصمعي: شهد خفاف حنيننا. وقال غيره: شهد مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكة، ومعه
لواء بني سليم، وشهد حنيننا والطائف. وقال أبو عبيدة: حدثني أبو بلال سهم بن العباس بن
مرادس السلمي قال:

غزا معاوية بن عمرو بن الشريد أخو خنساء مرة وفزارة ومعه خفاف بن ندبة، فاعتوره هاشم
وزيد ابنا حرملة المرثان، فاستطرد له أحدهما، ثم وقف وشدّ عليه الآخر فقتله، فلما تنادوا قتل
معاوية.

قال خفاف، قتلني الله إن رمت حتى أثار به، فشدّ علي مالك بن حمار سيد بني شخ بن فزارة
فقتله، وقال:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوي وقد خان صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثار هالكا

أقول له والرمح ياطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

قال أبو عمر: له حديث واحد لا أعلم غيره، رواه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقلت: يا
رسول الله، أين تأمرني أن أنزل، أعلى قرشي؟ أم أنصاري؟ أم أسلم؟ أم غفاري؟ فقال رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا خفاف، ابتغ الرفيق قبل الطريق، فإن عرض لك أمر نصرك، وإن
احتجت إليه رفدك». هذا الحديث عند الخطيب في الجامع، من طريق عبد الله بن محمد اليماني،
عن أبيه عن جده قال: قال خفاف بن ندبة: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا خفاف
ابتغ الرفيق قبل الطريق»

وكلها ضعيفة.

* (المعارف) : 325 ، 597 ، (تاريخ الطبري) : 3 / 265 ، 427 ، (طبقات ابن سعد) :

3 / 604 ، 4 / 275 ، (الشعر والشعراء) : 212 ، (الإصابة) : 2 / 236 - 237 ،

(الاستيعاب) : 2 / 450 - 451 ، (تحاف السادة المتقين) : 7 / 452 ، (كنز العمال) :

.17539

[(2)] راجع ترجمته ص (11) من هذا الجزء.

[(3)] هو العباس، عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وكنتم إسلامه، وخرج مع قومه إلى بدر، فأسر يومئذ، فادّعى أنه مسلم، فالله تعالى أعلم، وليس هو في عداد الطلقاء، فإنه كان قدم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الفتح، ألا تراه أجار أبا سفيان بن حرب؟ وله عدة أحاديث، منها خمسة وثلاثون في مسند بقي، وفي البخاري ومسلم حديث، وفي البخاري حديث، وفي مسلم ثلاثة أحاديث، وقدم الشام مع عمر.

قال الكلبي: كان العباس شريفا مهيبا، عاقلا جميلا، أبيض بضاً، له ضفيران، معتدل القامة، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين.

بل كان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم وأجهرهم صوتاً، مع الحلم الوافر والسؤدد.

(366/1)

كبر بمن معه ثلاثاً ومضوا. ثم مرّ على إثره الزبير بن العوام: في خمسمائة ومعه راية سوداء، فلما حاذاهما كبر ثلاثاً وكبر أصحابه، فقال [أبو سفيان]: من هذا؟ قال [العباس]: الزبير بن العوام. قال: ابن أختك؟ قال: نعم! ومرت بنو غفار [(1)] في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر الغفاري [(2)] [ويقال: إيماء

[()] روي مغيرة عن أبي رزين، قال: قيل للعباس: أنت أكبر أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله، وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطي في النوائب.

وثبت أن العباس كان يوم حنين، وقت الهزيمة، أخذاً بلجام بغلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثبت معه حتى نزل النصر. وثبت من حديث أنس: أن عمراً استسقى فقال: اللهم إنا كنا قحطنا على عهد نبيك توسلنا به، وإنا نستسقي إليك بعم نبيك العباس.

قال الضحاک بن عثمان الحزامي: كان يكون للعباس الحاجة إلى غلمانهم وهم بالغابة، فيقف على سلع، وذلك في آخر الليل فيناديهم، فيسمعهم، والغابة نحو من تسعة أميال.

كان تامّ الشكل، جهوريّ الصوت جدا، وهو الذي أمره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يهتف يوم حنين:

يا أصحاب الشجرة.

كانت وفاته في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وله ست وثمانون سنة، ولم يبلغ أحد هذه السن من أولاده، ولا أولادهم، ولا ذريته الخلفاء، وقبره بالبقيع.

* (مسند أحمد) : 1 / 206، (طبقات ابن سعد) : 4 / 5 - 33، (التاريخ الكبير) :
 2 / 7، (المعارف) : 118، 137، 156، 589، 592، (الجرح والتعديل) : 6 / 210،
 (المستدرک) : 3 / 321 - 334، (تهذيب التهذيب) : 5 / 214 - 215، (الاستيعاب) :
 2 / 810 / 817، (صفة الصفوة) : 1 / 262 - 264، (الإصابة) : 3 / 631 - 632
 خلاصة تذهيب الكمال) : 2 / 35، (كنز العمال) : 3 / 502.
 [(1)] غفار بن مليل: بطن من كنانة من العدنانية، وهم بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر
 بن عبد مناف ابن كنانة بن خزيمية بن مدركة (عمرو) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن
 عدنان، كانوا حول مكة، ومن مياهمهم: بدر، ومن أوديتهم ودّان.
 وقد قاتلوا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في غزوة حنين، وعددهم ألف،
 فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: الأنصار، ومزينة، وجهينة، وغفار، وأشجع، ومن كان من
 بني عبد الله، مواليّ دون الناس، والله ورسوله مولاهم.
 وولد مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد منافة بن كنانة: غفار بطن ضخم، ونعيلة. منهم: الحكم ابن
 عمرو بن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليل، له صحبة ورواية ولي خراسان، وأبو
 سريحة حذيفة بن أمية بن أسيد بن الأحوص بن واقعة بن حرام بن غفار، له صحبة ورواية، وأبو
 ذر الصاحب.
 (معجم قبائل العرب) : 3 / 890، (جمهرة أنساب العرب) : 186، (ترتيب القاموس المحيط) :
 3 / 406، (معجم البلدان) : 5 / 420، (اللباب في تهذيب الأنساب) : 2 / 387.
 [(2)] هو جندب بن جنادة الغفاريّ، وقيل: جندب بن سكن. وقيل: برير بن جنادة، وقيل:
 برير ابن عبد الله، ونبأني الدميّطيّ: أنه جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار -
 أخي

(367/1)

ابن رخصة] [(1)] ، فلما حاذوهما كبروا ثلاثا، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال

[()] ثعلبة - ابني مليل بن ضمرة، أخي ليث والدليل، أولاد بكر، أخي مرة، والد مدلج بن مرة،
 ابني عبد مناة بن كنانة.
 أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد صَلَّى الله عليه وسلّم. قيل: كان خامس خمسة في
 الإسلام. ثم إنه ردّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي صَلَّى الله عليه وسلّم له بذلك، فلما أن

هاجر النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، هاجر إليه أبو ذرّ رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر وعثمان، وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدّة فيه، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر، رضي الله عنهما.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم لأبي ذرّ - مع قوّة أبي ذرّ في بدنه وشجاعته-: «يا أبا ذرّ، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمّن على اثنين، ولا تولّي مال يتيم». فهذا محمول على ضعف الرأي، فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كلّه في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيراً، فإنه كان لا يستجيز ادخار النقدين، والذي يتأمّر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه حدّة فنصح النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم. وله مائتا حديث وأحد وثمانون حديثاً، اتّفقا منها على اثني عشر حديثاً، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر.

قال الواقدي كان حامل راية غفار يوم حنين أبو ذر. قال الفلاس والعيصم بن عدي وغيرهما: مات سن اثنتين وثلاثين، ويقال: مات في ذي الحجة.

* (الزهد للإمام أحمد): 139، (مسند أحمد): 5/ 144، (طبقات ابن سعد): 4/ 219-237، (التاريخ الكبير): 2/ 212، (المعارف): 2/ 67، 152، 195، 252، 253، (تاريخ الطبري): 4/ 283، (المستدرک): 3/ 337-346، (حلية الأولياء): 1/ 156-170، (الاستيعاب): 1/ 252-456، 4/ 1652-1656، (جامع الأصول): 9/ 50-59، (تاريخ الإسلام): 2/ 165-170، (تهذيب التهذيب): 12/ 98-99، (خلاصة تذهيب الكمال): 1/ 173 (كنز العمال): 13/ 311، (شذرات الذهب): 1/ 24، 56، 63، (الإصابة): 1/ 506، 7/ 125-130، (سير أعلام النبلاء): 1/ 46-78.

[(1)] هو إيماء بن رحضة بن خزّبة بن خفاف بن حارثة بن غفار، قديم الإسلام، قال ابن المديني: له صحبة. قال: وقد روي حنظلة الأسلمي عن خفاف بن إيماء بن رحضة حديث القنوت، وقال بعضهم: عن إيماء بن رحضة.

وروي مسلم في صحيحه، قصة إسلام أبي ذر، من طريق عبد الله بن الصامت، عن أبي ذرّ، وفيها: فجتنا قومنا فأسلم نصفهم قبل أن يقدم النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم المدينة، وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفاري. ولكن ذكر الإمام أحمد في هذا الحديث الاختلاف على رواية سليمان بن المغيرة، هل هو خفاف بن إيماء أو أبوه إيماء ابن رحضة؟ وعلى هذا فيمكن أن يكون إسلام خفاف تقدم على إسلام أبيه.

وذكر الزبير بن بكار من حديث حكيم بن حزام، أن إيماء بن رخصة حضر بدرا مع المشركين، فيكون إسلامه بعد ذلك.

(368/1)

العباس: بنو غفار. فقال: ما لي ولبني غفار!! ثم مضت أسلم [(1)] في أربعمئة فيها لواءان يحمل أحدهما بريدة بن الحصيب [(2)] ، والآخر ناجية بن الأعجم [(3)] .

[()] وقال ابن سعد: كان قد سكن غيقة من ناحية السّقياء، ويأوى إلى المدينة، وقال أبو عمر في الاستيعاب: أسلم قريبا من الحديبية، وكانوا مروا عليه ببدر وهو مشرك، ولابنه خفاف صحبة، وكانا ينزلان غيقة من بلاد بني غفار، ويأتون المدينة كثيرا، ولابنه خفاف رواية عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* (الإصابة): 1/ 169، (الاستيعاب): 1/ 135، (طبقات ابن سعد): 4/ 221، (مسلم بشرح النووي): 16/ 31.

[(1)] أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، منهم أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي، له صحبة، أبو برزة الأسلمي وغيرهما. (اللباب في تهذيب الأنساب): 1/ 58.

ولد أسلم بن أفضى: سلامان بن أسلم، بطن، وهوازن بن أسلم، بطن، منهم: مالك والنعمان ابنا خلف بن عوف بن دارم بن عدّ بن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم، كانا طبيعتين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، قتلا فدفنا في قبر واحد، وبريدة بن الحصيب الأسلمي. (جمهرة أنساب العرب): 240.

[(2)] هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد. أبو عبد الله، وقيل أبو سهل، وأبو ساسان، وأبو الحصيب، الأسلمي. قيل إنه أسلم عام الهجرة، إذ مرّ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجرا، وشهد غزوة خيبر، والفتح، وكان معه اللواء، واستعمله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدقة قومه. وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء، إثر وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

له جملة أحاديث، نحو مائة وخمسين حديثا، نزل مرو، ونشر العلم بها، وسكن البصرة مدة، ثم غزا خراسان زمن عثمان، وكان بريدة من أمراء عمر بن الخطاب في نوبة سرغ. وقال ابن سعد: مات بريدة سنة ثلاث وستين.

* (مسند أحمد) : 5 / 346، (طبقات ابن سعد) : 4 / 241 - 243، 7 / 365، (التاريخ الكبير) : 2 / 141، (المعارف) : 300، (الجرح والتعديل) : 2 / 424، (الإصابة) : 1 / 286 - 287، (الاستيعاب) : 1 / 185 - 186، (شذرات الذهب) : 1 / 70، (سير أعلام النبلاء) : 2 / 469 - 471.

[(3)] هو ناجية بن الأعجم الأسلمي، شهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال:

حدثني الهيثم بن واقد عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه قال: حدثني أربعة عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن ناجية بن الأعجم هو الذي نزل بالسهم في البئر بالحديبية فجاشت بالروء حتى صدورا بعطن.

قال: وقال محمد بن عمر: ويقال الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب، ويقال: البراء بن عازب، ويقال: عباد بن خالد الغفاري، والأول أثبت أنه ناجية بن الأعجم، وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لأسلم لواءين، فحمل أحدهما ناجية بن الأعجم، والآخر بريدة بن الحصيب.

ومات ناجية بن الأعجم بالمدينة، في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وليس له عقب.
* (طبقات ابن سعد) : 4 / 314 - 315، (مغازي الواقدي) : 587، 588، 800، 819، (الإصابة) : 4 / 314 - 315.

(369/1)

فلما حاذوهما كبروا، فقال: من هؤلاء؟ قال: أسلم. قال ما لي ولأسلم! ما كان بيننا وبينهم ترة [(1)] قط. قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام ثم مرت بنو كعب بن عمرو [(2)] في خمسمائة، يحمل لواءهم بسر بن سفيان [(3)]. قال من هؤلاء؟ قال: بنو كعب بن عمرو. فلما حاذوه كبروا ثلاثا. ثم مرت مزينة [(4)]

[(1)] الترة: الثأر، كناية عن هوانهم.

[(2)] هم بنو كعب بن عمرو مزقياء، ولد كعب بن عمرو مزقياء: ثعلبة، وامرؤ القيس قاتل الجوع، وجبله، ومالك. منهم التمس، وهو يزيد ابن الأسود بن معد بن شراحيل بن الأرقم بن الأسود ابن ثعلبة بن كعب، دخل مع جبله إلى الروم، ثم رجع مسلما، ولولده بالشام عدد وشرف، ورجع معه جماعة من غسان مسلمين.

ومنهم: فروة بن المنذر، قاتل مع ابن الزبير، والسّمؤال بن حيّا بن عادي بن رفاعة بن الحارث ابن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزقياء، وكان يهوديا، وهو الذي يضرب به المثل في الوفاء، وهو صاحب تيماء، وولده شريح بن السّمؤال، وولده هنالك عدد، ومدحه الأعشى، وكانوا ملوك تيماء.

والكعبيّ: نسبة إلى سبعة رجال، ذكرهم ابن الأثير في تهذيبه لأنساب السمعاني فليراجع هناك. * (جمهرة أنساب العرب) : 372، (اللباب في تهذيب الأنساب) : 101-102، (الاشتقاق) : 436.

[(3)] هو بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر بن صرمة بن عبد الله بن عمير بن حبيشة بن سلول الخزاعيّ، قال ابن الكلبي: كتب إليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكان شريفا. وقال أبو عمر: أسلم سنة ست، وجرى ذكره في حديث الحديبية وغيره. قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا، وساق معه الهدى سبعين بدنة، حتى إذا كان بعسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي، فقال:

يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجت معها العوذ المطافيل،.... فذكر الحديث مطوّلا.

وله يقول عبد الله بن الزبيري في قصة طلب آل مخزوم بدم الوليد بن الوليد بن المغيرة من خزاعة.

ألا بلّغا بسر بن سفيان أنّه ... يبلّغها عني الخبير المفرد

فذكر القصيدة، قال: فأخذ بسر بيد ابنه فقال: يا معشر قريش، هذا ابني رهين لكم بالدية، فأخذه خالد بن الوليد، فأطعمه وكساه حلّة وطيبه، وقال: انطلق إلى أبيك، فحمل بسر بن سفيان إليهم دية الولد. وفرد الرجل: إذا تفقه وخلا بمراعاة الأمر والنهي، وقد جاء في الخبر: طوبى للمفردين.

* (الإصابة) : 1/ 292، (طبقات ابن سعد) : 2/ 95، 160، 4/ 294، (الاستيعاب) : 1/ 166، (مغازي الواقدي) : 592، 943، (مسند أحمد) : 4/ 323، (لسان العرب) : 3/ 332 مادة «فرد» .

[(4)] نسبوا إلى مزينة بنت كلب بن وبرة، أم عثمان وأوس، وهم قبيلة كبيرة، منها عبد الله بن مغفل المزني، له صحبة ومعقل، والنعمان وسويد بنو مقرن المزني، لهم صحبة، وأبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري صاحب الشافعيّ، وأما أحمد بن إبراهيم بن العيزار المزني، فإنه نسبة إلى قرية مزنة، وهي

في ألف - فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس، يحمل ألويتها: النعمان بن مقرن [(1)] ، وبلال بن الحارث [(2)] ، وعبد الله بن عمر [(3)] - فلما حاذوه كبروا، فقال: من

[()] من قرى سمرقند وتحرك النسبة إليها.

* (اللباب في تهذيب الأنساب) : 205 / 3 ، (جمهرة أنساب العرب) : 201 ، (معجم البلدان) : 614 / 1 ، مراصد الاطلاع : 236 / 1 ، (معجم ما استعجم) : 287 / 1 ، الاشتقاق : 180 .

[(1)] هو النعمان بن مقرن أبو حكيم، وقيل: أبو عمرو المزنيّ الأمير، صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان إليه لواء قومه يوم فتح مكة، ثم كان أمير الجيش الذين افتتحوها نھاوند، فاستشهد يومئذ، وكان مجاب الدعوة، فنعاه عمر على المنبر إلى المسلمين، وبكى. حدث عنه ابنه معاوية، ومعقل بن يسار، ومسلم بن الهيثم، وجبير بن حية الثقفي، وكان مقتله في سنة إحدى وعشرين، يوم جمعة، رضي الله عنه.

* (مسند أحمد) : 444 / 5 ، (الإصابة) : 449 / 6 ، (الاستيعاب) : 1505 / 4 ، (تهذيب التهذيب) : 407 / 10 ، (خلاصة تذهيب الكمال) : 196 / 3 ، (التاريخ الكبير) : 75 / 8 (المستدرک) : 295 - 292 / 3 ، (شذرات الذهب) : 32 / 1 ، (المعارف) : 75 ، 183 ، 299 ، (طبقات ابن سعد) : 18 / 6 ، (الجرح والتعديل) : 444 / 8 ، (سير أعلام النبلاء) : 356 - 358 .

[(2)] هو بلال بن الحارث بن عصم بن سعيد بن قرّة بن خلاوة - بالخاء المعجمة المفتوحة - ابن ثعلبة ابن ثور، أبو عبد الرحمن المزني، من أهل المدينة، أقطعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العقيق.

وفد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وفد مزينة سنة خمس من الهجرة، وسكن موضعاً يعرف بالأشعر وراء المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح. ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من المهاجرين، توفي سنة ستين في خلافة معاوية رحمه الله، وهو ابن ثمانين سنة. وابنه حسان بن بلال، أول من أحدث الإرجاء بالبصرة.

* (شذرات الذهب) : 65 / 1 ، (الاستيعاب) : 183 / 1 ، (الإصابة) : 326 / 1 ، (تهذيب التهذيب) : 440 / 1 ، (طبقات ابن سعد) : 272 / 1 ، 291 ، 339 ، (حلية الأولياء) : 8 / 187 ، (المعارف) : 298 ، (مغازي الواقدي) : 276 ، 425 ، 426 ، 571 ، 799 ، 800 ، 820 ، 896 ، 1014 ، 1029 .

[(3)] هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤي بن غالب، الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي، ثم المدني.

أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه قبل أن يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه وأم المؤمنين حفصة، زينب بنت مضعون أخت عثمان بن مضعون الجمحي.

روي علما كثيرا نافعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبيه، وأبي بكر، وعثمان، وعلي، وبلال، وصهيب، وعامر بن ربيعة، وزيد بن ثابت، وزيد عمه (زيد بن الخطاب)، وسعد، وابن مسعود، وعثمان ابن طلحة، وأسلم، وحفصة أخته، وعائشة، وغيرهم.

(371/1)

هؤلاء؟ قال: مزينة. قال: ما لي ولمزينة! جاءني تفقح من شواهدها [(1)] ! ثم مرت جهينة [(2)] في ثمانمائة-

[()] روي عنه الحسن البصري وطاووس، وابن شهاب الزهري، وأمم سواهم. قدم الشام والعراق، والبصرة وفارس غازيا، وقال ابن يونس: شهد ابن عمر فتح مصر، واختط بها، وروي عنه أكثر من أربعين نفسا من أهلها.

قال ابن مسعود: إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر، وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر.

قال مالك: كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت، عبد الله بن عمر، مكث ستين سنة يفتي الناس.

عن مالك، بلغه أن ابن عمر قال: لو اجتمعت علي الأمة إلا رجلين ما قاتلتهم، ولا ابن عمر في مسند بقي ألفان وستمائة وثلاثون حديثا بالمكرر، وانفقا له على مائة وثمانية وستين حديثا، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثا، ومسلم بأحد وثلاثين.

قال ضمرة بن ربيعة: مات ابن عمر سنة ثلاث وسبعين. وقال مالك: بلغ ابن عمر سبعا وثمانين سنة.

* (طبقات ابن سعد): 2 / 373، 4 / 188، (الزهد للإمام أحمد): 237، (التاريخ الصغير): 1 / 154، (حلية الأولياء): 1 / 292-314، (المعارف): 37، 135، 162، 184-

185، 186، 187، 188، 189، 190، 200، 274، 364، 401، 452، 453،
460، (تهذيب الأسماء واللغات) : 1/ 278، 281، (وفيات الأعيان) :
3/ 28-31، (جمهرة أنساب العرب) : 152، (المستدرک) : 3/ 556، 557، (جامع
الأصول) : 9/ 64، (تاریخ بغداد) : 1/ 171-173، (الجرح والتعديل) : 5/ 107، (مرآة
الجنان) : 1/ 154، (البداية والنهاية) : 9/ 7-9، (الإصابة) : 4/ 181-188، (خلاصة
تذهيب الكمال) : 2/ 81، (شذرات الذهب) : 1/ 81، (سير أعلام النبلاء) :
3/ 203-239.

[(1)] الققعاع: من إذا مشى سمع لمفاصل رجله تقعقع. (ترتيب القاموس) : 3/ 660،
والشواهد:

جمع شاهق، وهي الجبال العالية، وكانت مزينة من أصحاب الجبال، وكفي أبو سفيان بذلك عن
أنهم أجلاف غلاظ.

[(2)] جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم، ولد جهينة بن زيد: قيس، ومودوعة. فولد
قيس ابن جهينة: غطفان وغيان،

وفد بنو غيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: أنتم بنو رشدان،
وكان واديهم يسمى غوى، فسمي رشدان.

وينسب إليها خلق كثير من الصحابة التابعين ومن بعدهم. قال ابن الأثير في (اللباب) : هكذا
قال السمعاني جهينة، واسمه زيد، وليس كذلك، وإنما جهينة هو ابن زيد، وأسلم بضم اللام.
وجهينة أيضا قرية من قرى الموصل، منها تاج الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد ابن
خميس الموصلية الجهني، الفقيه المحدث المشهور.

* (اللباب في تهذيب الأنساب) : 1/ 317-318، (جمهرة أنساب العرب) : 444.

(372/1)

معها أربعة ألوية يحملها أبو روعة معبد بن خالد [(1)] ، وسويد بن صخر [(2)] ، ورافع
بن مكيث [(3)]

[(1)] هو معبد بن خالد الجهني، يكنى أبو روعة، أو أبو زرعة. ذكره الواقدي في الصحابة،
وقال:

أسلم معبد بن خالد قديما، وهو أحد الأربعة لذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح، ومات سنة

اثنتين وسبعين، وهو ابن بضع وثمانين، وكان يلزم البادية.

وقال أبو أحمد في كتاب الكنى في الرءاء: أبو روعة هو معبد بن خالد الجهني، له صحبة، كان يلزم البادية، ذكره الواقدي، وقال عنه: توفي سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن ثمانين سنة. وكذلك قال ابن أبي حاتم سواء في الكنية والسّن والوفاء، وقالوا: له صحبة، وزاد ابن أبي حاتم: وروي عن أبي بكر وعمر. وقال ابن أبي حاتم: هو غير معبد بن خالد الذي هو عندهم أول من تكلم بالقدر بالبصرة. وقال: لا يعرف معبد الجهني ابن من هو؟ وليس ابن خالد، وقال غيره: هو نفسه.

* (مغازي الواقدي): 571، 800، 820، 896، 940، 1038، (المعارف): 122، 441، 484، 547، 625، (الاستيعاب): 3/ 1426، (الإصابة): 6/ 364-365، (تاريخ الصحابة): 238، (شذرات الذهب): 1/ 78، (طبقات ابن سعد): 3/ 25، 7/ 364.

[(2)] هو سويد بن صخر الجهني الأنصاري، ذكر الطبري أنه كان أحد الأربعة الذين يحملون ألوية جهينة، وشهد الحديبية، وذكره الواقدي في جملة العشرين الذين خرجوا إلى العرنيين في سرية غالب بن عبد الله الليثي، وهو والد عقبة بن سويد، له صحبة، وذكره ابن حبان في الثقات، والبخاري في تاريخه الكبير.

* (مغازي الواقدي): 571، 751، 800، 820، 896، (التاريخ الكبير للبخاري): 4/ 141، (الجرح والتعديل): 4/ 232، (الثقات): 3/ 178، (الإصابة): 3/ 226، (تاريخ الصحابة): 125 ت 592.

[(3)] هو رافع بن مكيث بن عمرو بن جراد بن يربوع بن طحيل بن عدي بن الربعة بن رشدان بن قيس ابن جهينة، أسلم وشهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: وباع تحت الشجرة بيعة الرضوان، وكان مع زيد بن حارثة في السرية التي وجهه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسمى، وأكانت في جمادى الآخرة سنة ست، وبعثه زيد بن حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا على ناقة من إبل القوم، فأخذها منه علي بن أبي طالب في الطريق، فردّها على القوم، وذلك حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليردّ عليهم ما أخذ منهم، لأنهم قد كانوا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، وكتب لهم كتابا. وكان رافع بن مكيث أيضا مع كرز بن جابر الفهري حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الجدر، وكان مع عبد الرحمن بن سريته إلى دومة الجندل، وبعثه بكتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا بما فتح الله عليه.

ورافع بن مكيث أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة الأربعة، التي عقدها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات جهينة

يصدّقهم، وكانت له دار بالمدينة، ولجهينة مسجد بالمدينة.

* (طبقات ابن سعد) : 2 / 88، 131، 160، (الجرح والتعديل) : 3 / 480، (التاريخ

(373/1)

وعبد الله بن بدر [(1)] - فلما حاذوهما كبروا ثلاثا. ثم مرت كنانة [(2)] : [بنو ليث]
[(3)] ، وضمرة، وسعد ابن بكر [(4)] في مائتين، يحمل لواءهم أبو واقد الليثي [(5)] ،
فلما حاذوهما كبروا

[() الكبير] : 3 / 302، (تهذيب التهذيب) : 3 / 201، (الإصابة) : 2 / 445، (تاريخ
الصحابة) : 98، (الاستيعاب) : 2 / 485.

[(1)] هو عبد الله بن بدر بن زيد بن معاوية بن حسان بن أسعد بن وداعة بن مبدول بن
عدي بن غنم ابن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة، وكان اسمه عبد العزى، فلما أسلم غير
اسمه، فسُمّي عبد الله، وأبوه بدر بن زيد الذي ذكره العباس بن مرداس في شعره.
وكان عبد الله بن بدر مع كرز بن جابر الفهري، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، سرية
إلى العرنيين الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الجدر، وهو أحد
الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة التي عقدها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة،
ونزل عبد الله بن بدر المدينة، وله بها دار، وكان ينزل أيضا البادية بالقبليّة جبال جهينة، وقد
روي عن أبي بكر. ومات رضي الله عنه في خلافة معاوية ابن أبي سفيان.

* (تاريخ الصحابة) : 161 ت 790، (طبقات ابن سعد) : 1 / 333، 4 / 346، 347، 5 /
556، (التاريخ الكبير) : 3 / 23، (تاريخ الطبري) : 7 / 415، 451، (مغازي الواقدي) :
571، 800، 820، (الثقات) : 3 / 239، (الاستيعاب) : 3 / 871-872، (الإصابة) :
4 / 19-20، (الشعر والشعراء) : 184.

[(2)] ، [(3)] ، (4) كنانة: بطن من عذرة بن زيد اللات، كان له من الولد عبد الله بطن،
وعوف وهم العنطوان بطن. وأما كنانة كلب: فهو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات
بن ربيعة ابن ثور بن كلب. وكنانة قريش: هو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهو
والد النضر جد قريش. ففي قول إن ولد النضر يقال لهم قريش، وفي قول يقال ذلك لولد فهر
بن مالك ابن النضر. وإذا قيل في النسب كناني، فهم ولد كنانة بن خزيمة غير النضر، مثل ليث،
والدليل، وضمرة بني عبد مناة بن كنانة، فيقال كناني ليثي.

* (اللباب في تهذيب الأنساب) : 3 / 111 - 112 ، (سبائك الذهب) : 106 .

وبنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهم أظار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندهم استرضع عليه السلام.

* جمهرة أنساب العرب: 265.

[(5)] هو أبو واقد الليثي، مختلف في اسمه، قيل: الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، وقيل:

عوف ابن الحارث بن أسيد بن جابر بن عبد مناة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي ابن كنانة. كان حليف بني سعد، قال البخاري، وابن حبان، والباوردي، وأبو أحمد الحاكم: شهد بدرًا. وقال أبو عمر: قيل شهد بدرًا، ولا يثبت. وقال ابن سعد: أسلم قديمًا، وكان يحمل لواء بني ليث، وضمرة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وحنين، وفي غزوة تبوك يستنفر بني ليث، وكان خرج إلى مكة فجاور بها سنة فمات وقال في موضع آخر: دفن في مقبرة المهاجرين.

وروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن أبي بكر، وعن عمر، وأسماء بنت أبي بكر. وروى عنه ابنه:

(374/1)

ثلاثًا. فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر. قال: أهل شؤم! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم، أما والله ما شوورت [(1)] فيه ولا علمته، ولقد كنت له كارها حيث بلغني، ولكنه أمر حمّ [(2)] ! قال العباس: قد خار الله لك [(3)] في غزو محمد لكم. ودخلتم في الإسلام كافة. ومرت بنو ليث [(4)] - وهم مائتان وخمسون يحمل لواءهم الصعب بن جثامة [(5)] - فلما حاذوهما كبروا ثلاثًا فقال

[()] عبد الملك، وواقد، وأبو سعيد الخدري، وعطاء بن يسار، وعروة، وآخرون. وأما شهوده بدرًا فهذا محل خلاف بين الأئمة.

* (حلية الأولياء) : 8 / 359، (مسند أحمد) : 5 / 217، (التاريخ الكبير) : 2 / 58، (الجرح والتعديل) : 3 / 82، (المستدرک) : 7 / 531، (الاستيعاب) : 4 / 1774، (تهذيب التهذيب) : 12 / 270 - 271، (الإصابة) : 7 / 55 - 456، (خلاصة تذهيب الكمال) : 3 / 252، (شذرات الذهب) : 1 / 76، (تاريخ الصحابة) : 68 - 69، (مغازي الواقدي) : 453، 820، 890، 896، 990، (طبقات ابن سعد) : 5 / 173، 175، (سير أعلام النبلاء) :

574 / 2 - 576.

[(1)] شوورت: من المشاورة، وفي (خ) : «شوت» .

[(2)] حمّ الأمر: قضى وأنفد، وفي (خ) : «جم» .

[(3)] خار الله لك: اختار لك خير الأمرين.

[(4)] انظر التعليق رقم: (29) ، (30) ، (31) .

[(5)] هو الصعب بن جثامة بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر الليثي، حليف قريش.

واسم جثامة يزيد، أمه أخت أبي سفيان بن حرب، واسمها فاختة. وقيل زينب. وكان ينزل ودان.

مات في آخر خلافة أبي بكر، أو في أول خلافة عمر، قال ابن حبان، ويقال: مات في خلافة

عثمان، والأول أثبت. وشهد فتح إصطخر، فقد روي ابن السكن من طريق صفوان بن عمرو،

حدثني راشد بن سعد قال: لما فتحت إصطخر نادى مناد: ألا إن الدجال قد خرج،

فلقيهم الصعب بن جثامة قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يخرج

الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره.

قال ابن السكن: إسناده صالح. قال الحافظ ابن حجر: فيه إرسال، وهو يردّ على من قال: إنه

مات في خلافة أبي بكر.

وقال ابن مندة: كان الصعب ممن شهد فتح فارس.

وقال يعقوب بن سفيان: أخطأ من قال: إن الصعب بن جثامة مات في خلافة أبي بكر خطأ بينا،

فقد روي ابن إسحاق عن عمر بن عبد الله، أنه حدّثه عن عروة، قال: لما ركب أهل العراق في

الوليد بن عقبة كانوا خمسة، منهم: الصعب بن جثامة، وللصعب أحاديث في الصحيح من رواية

ابن عباس عنه.

وأخرج أبو بكر بن لال في كتاب المتحابين، من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت قال: آخى

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عوف بن مالك والصعب بن جثامة، رضي الله تعالى عنهما.

* (تاريخ الصحابة) : 137 ، (الإصابة) : 3 / 426 - 427 ، (الاستيعاب) : 2 / 739 ،

(الثقات) : 3 / 195 ، (تهذيب التهذيب) : 4 / 369 ، (مغازي الواقدي) : 556 ، 820 .

(375/1)

أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو ليث. ثم مرّت أشجع [(1)] - وهما ثلاثمائة معهم لواءان

يحملهما معقل بن سنان [(2)] ، ونعيم بن مسعود [(3)] - فقال أبو سفيان:

[()] 1096 ، (جمهرة أنساب العرب) : 181 ، (التاريخ الكبير) : 4 / 322 ، (الجرح

والتعديل) :

450 / 4، (تهذيب الأسماء واللغات) : 1 / 249، (الكامل في التاريخ) : 2 / 449، (تاريخ الإسلام) : 3 / 76-77.

[(1)] هم بنو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. منهم معقل بن سنان بن مظاهر بن عركيّ ابن فتيان بن سبيع بن أشجع بن ريث.
* (لسان العرب) : 8 / 175، (جمهرة أنساب العرب) : 249-250، (اللباب) : 1 / 64، (سبائك الذهب) : 270.

[(2)] هو معقل بن سنان الأشجعي، له صحبة ورواية، حمل لواء أشجع يوم الفتح، وهو راوي قصة «بروع»، وكان من كبار أهل الحرة، أسر فذبح صبيرا يوم الحرة، وله نيف وسبعون سنة، قتل في سنة ثلاث وستين.

أخرج أحمد، وأبو داود، والنسائي، في النكاح: باب إباحة التزوج بغير صداق، والترمذي في الرضاع: باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، وابن ماجه في النكاح، من طريق الشعبي عن مسروق، عن عبد الله، في رجل تزوج امرأة، فمات عنها، ولم يدخل بها، ولم يفرض لها الصداق، فقال: لها الصداق كاملا، وعليها العدة، ولها الميراث، فقال معقل بن سنان:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بروع بنت واشق. وإسناده صحيح، وصححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي.

* (مسند أحمد) : 3 / 474، (طبقات ابن سعد) : 4 / 282-283، (التاريخ الكبير) :

7 / 391، (المعارف) : 298، (الجرح والتعديل) : 8 / 284، (تهذيب التهذيب) :

10 / 210 (الإصابة) : 6 / 181-183، (خلاصة تذهيب الكمال) : 3 / 45، (شذرات

الذهب) : 1 / 71، (سير أعلام النبلاء) : 2 / 576-577، (تاريخ الصحابة) : 239.

[(3)] هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيس بن ثعلبة بن قنفذ بن خلادة بن سبيع بن بكر

بن أشجع بن ريث ابن غطفان، الغطفاني، الأشجعي، الصحابي، أبو سلمة، أسلم في وقعة الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، وخذل بعضهم عن بعض، وأرسل الله تعالى عليهم ريحا وجنودا لم يروها.

وقيل: إنه الذي نزلت فيه: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ يعني نعيم بن مسعود وحده، كني عنه وحده بالناس في قول طائفة

من أهل النفسير. قال بعض أهل المعاني: إنما قيل ذلك، لأن كل واحد من الناس يقوم مقام

الآخر في مثل ذلك وقد قيل في تأويل الآية غير ذلك. سكن نعيم بن مسعود المدينة، ومات في

خلافة، عثمان، يوم الجمل مع علي، رضي الله عنهم.

* (تهذيب التهذيب) : 10/415 - 416، (الثقات) : 3/415، (رجال أنزل الله فيهم قرآنا) : 1/106 - 107، 4/197، 198، 199، (تاريخ الصحابة) : 250، (الاستيعاب) : 1508، 1509، (الإصابة) : 6/461، (تهذيب الأسماء واللغات) : 2/131، (خلاصة تهذيب الكمال) : 3/98.

(376/1)

[من هؤلاء؟ قال: بنو أشجع. قال] [(1)] : هؤلاء كانوا أشدّ العرب على محمد! قال العباس: أدخل الله قلوبهم الإسلام، فهذا من فضل الله.

كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما طلعت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضراء، طلع سواد وغبرة من سنايك الخيل،
ومرّ الناس حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء بين أبي بكر [(2)]

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي،
وفي «مرة» يلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واسم أمه: أم الخير، سلمى بنت صخر بن عامر، ماتت مسلمة.

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال: أحدهما،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إليه فقال: هذا عتيق من النار.

والثاني أنه اسم سمّته به أمه. الثالث: أنه سمّي به لجمال وجهه. وكان رضي الله عنه أبيض نحيفا،
خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، يخضب شبيبة بالحناء والكتم. وكان

أول من آمن من الرجال. وعن عائشة قالت: ما أسلم أحد من المهاجرين إلا أبو بكر.

وجاء أنه اتّجر إلى بصري غير مرة، وأنه أنفق أمواله على النبي صلى الله عليه وسلم وفي سبيل
الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإن له
عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قطّ ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت
متخذًا خليلًا لآخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإنّ صاحبكم خليل الله.» .

قال حسان بن ثابت، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم التّخعي: أول من أسلم أبو

بكر.

وكان له من الولد: عبد الله، وأسماء ذات النطاقين وأمهما قتيلة. وعبد الرحمن وعائشة، أمهما أم رومان. ومحمد، أمه أسماء بنت عميس. وأم كلثوم، أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على «خارجة» فتزوج ابنته.

فأما عبد الله: فإنه شهد الطائف. وأما أسماء: فتزوجها الزبير فولدت له عدة ثم طلقها، فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قتل، وعاشت مائة سنة، وأما عبد الرحمن: فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم. وأما محمد: فكان من نساك قريش، إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار، ثم ولّاه علي ابن أبي طالب مصر، فقتله هناك صاحب معاوية. وأما أم كلثوم: فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاء الصريخ إلى أبي بكر، فقبل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإنّ له غدائر، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (28/ غافر) قال: فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

(الغدائر): الصفائر. ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير، أن أبا بكر شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وجميع المشاهد، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع

(377/1)

[()] إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته العظمى يوم تبوك، وأنه كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين، وهو أول من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، وهو أول من قاء تحرجاً من الشبهات. وذكر محمد بن إسحاق أنه أسلم على يده من العشرة خمسة: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم. عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله عز وجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عنده». فبكى أبو بكر رحمة الله عليه، فعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد خير، فكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر، لكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر.

أخرجه في الصحيحين، البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر»، ومسلم في باب من فضائل أبي بكر الصديق.

وعن الحسن قال: قال علي عليه السلام: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لديننا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فقدمنا أبا بكر.

وقالت عائشة: لما استخلف أبو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت المال وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به، فلما وليتهم شغلوني. وأخرج ابن سعد نحوه من طريق الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: لما ولي أبو بكر قال: قد علم قومي أن حرفتي لم تكن لتعجز عن مؤنة أهلي وقد شغلت بأمر المسلمين، وسأحتزف للمسلمين في ما لهم، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن، وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا، اعلّموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحق الحمق الفجور، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس، إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني. وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فنظرنا فإذا عبد نوي (نسبة إلى بلاد النوبة جنوبي مصر) كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح (بغير يستقي عليه) كان يسقي بستاننا له، فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا. روي أبو بكر رضي الله عنه مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا.

وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء، لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين، وأوصي أن تغسله أسماء زوجته، فغسلته، وأن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن، وعمر، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله. رحمه الله ورضي عنه، وحشرنا في زمرة، وأماتنا على سنته ومحبته.

* (طبقات ابن سعد): 3/ 169-213، (تاريخ الطبري): 2/ 314، (المعارف):

167-178، (تاريخ الإسلام): 3/ 105-122، (صفة الصفوة): 1/ 123-139،

وأسيد بن حضير [(1)] - وهو يحدثهما-، ومعه المهاجرون [(2)] والأنصار، - فيها الرايات والألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار راية ولواء- في الحديد لا يرى

[()] [معجم البلدان) : 5 / 356 - 357 ، (لسان العرب) : 2 / 619 (مادة نضح) ، 5 / 11 (مادة غدر) ، (مسلم بشرح النووي) : 15 / 158 كتاب (44) باب (1) حديث رقم (2) ، (صحيح سنن الترمذي) : 3 / 200 باب (52 / 33) حديث رقم (2894) ، (صحيح ابن ماجة) : 1 / 22 باب (11) حديث رقم (77) ، (السلسلة الصحيحة) : حديث رقم (278) ، (شذرات الذهب) : 1 / 24 ، (تاريخ الخلفاء) : 21 - 85 ، (العقد الفريد) : 3 / 90 - 91 ، 176 ، (تلقيح الفهوم) : 104 - 106 ، (أسماء الصحابة الرواة) : 57 .

[(1)] هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الإمام أبو يحيى، وقيل: أبو عتيك الأنصاري، الأوسي، الأشهلي، أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة.

أسلم قديما، وما شهد بدرا، وقال ابن عبد ربه: شهد بدرا، وكان أبوه شريفا مطاعا، يدعى حضير الكتائب، وكان رئيس الأوس يوم بعث، فقتل يومئذ قبل عام الهجرة بست سنين، وكان أسيد يعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي.

قال محمد بن سعد: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة، وله رواية أحاديث روت عنه عائشة، وكعب بن مالك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى. ولم يلحقه.

وذكر الواقدي أنه قدم الجابية مع عمر، وكان مقدا على ربع الأنصار، وأنه ممن أسلم على يد مصعب بن عمير، هو وسعد بن معاذ.

قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أسيد بن حضير» أخرجه الترمذي،

وإسناده جيد، وروي أن أسيدا كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن.

وقال ابن إسحاق: حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن عائشة قالت: ثلاث من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل، كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ،

وأسيد ابن حضير، وعباد بن بشر.

مات رضي الله عنه في شعبان سنة عشرين، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودفن بالبقيع.

* (تاريخ الصحابة) : 30، (العقد الفريد) : 3 / 327، (أسماء الصحابة الرواة) : 129،
(صحيح سنن الترمذي للألباني) : 3 / 228، (سير أعلام النبلاء) : 1 / 340-343،
(الثقات) : 3 / 6-7، (الإصابة) : 1 / 83-84، (الاستيعاب) : 1 / 92-94، (طبقات
ابن سعد) : 3 / 603-607، (خلاصة تذهيب الكمال) : 1 / 98، (الوافي بالوفيات) : 9 /
258، (تهذيب التهذيب) : 1 / 303-304، (الجرح والتعديل) :
2 / 310، (صفة الصفوة) : 1 / 259-261، (التاريخ الكبير) : 2 / 47، (البداية والنهاية)
: 7 / 116، (مسند أحمد) : 4 / 226، (التاريخ الصغير) : 1 / 46، (شذرات الذهب) : 1 /
31، (تاريخ الإسلام) : 2 / 294، 295، 297، 304، 490، (كنز العمال) : 13 /
277-281، (مرآة الجنان) : 1 / 76، (تلقيح الفهوم) : 162.
[(2)] في (خ) : «المهاجرين» .

(379/1)

منهم إلى الحدق، ولعمر بن الخطاب [(1)]

[(1)] هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن
كعب بن لؤي، أمير المؤمنين، أبو حفص، القرشي، العدوي، الفاروق، أسلم في السنة السادسة
من النبوة، وله سبع وعشرون سنة.

أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، المخزومية، وقيل: حنتمة بنت هشام، أخت أبي جهل. ولد
عمر رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة. وقيل: ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين،
قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، وقيل: غير ذلك.

وكان من أشرف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب
بينهم - أو بينهم وبين غيرهم - بعثوه سفيرا: أي رسولا، وإن نافرهم منافرا أو فاخرهم مفاخر،
بعثوه منافرا أو مفاخرا.

أسلم قديما بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وقيل: بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين
امرأة، وقيل: غير ذلك، فما هو إلا أن أسلم، فظهر الإسلام بمكة، وفرح به المسلمون.
وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد
أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم. روي له عن رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلّم خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثا.

روي عنه عثمان بن عفان، وعلي، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عبسة، وابنه عبد الله، وابن عباس، وابن الزبير، وأنس، وأبو هريرة وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وآخرون.

أخرج الترمذي عن ابن عمر، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام». وأخرج الحاكم عن ابن عباس، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة».

وأخرج أحمد عن عمر قال: خرجت أتعرض لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: والله هذا شاعر كما قالت قريش، فقراً: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (الحاقة: 40-41) فوقع في قلبي الإسلام كل موقع، وقصة إسلامه معروفة، نمسك عن ذكرها لطولها واشتهارها.

وقيل لأبي بكر في مرضه: ماذا تقول لربك وقد وليت عمر؟ قال: أقول له: وليت عليهم خيرهم. أخرجه ابن سعد.

وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (البقرة/ 125)، وقلت: يا رسول الله، يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن يحتجن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغيرة، فقلت: عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك.

قال أبو عبد الله الشيباني في (فضائل الإمامين): وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً، فذكرها، وقد أمسكنا عن ذكرها خشية الإطالة.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم - كلاهما في دلائل النبوة - عن نافع عن ابن عمر، قال: وجّه عمر

(380/1)

[()] جيشا، ورأس عليهم رجلا يدعى سارية، فبينما عمر يخطب، جعل ينادي: يا سارية الجبل، ثلاثاً، ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا، فبينما نحن كذلك إذا سمعت صوتاً ينادي: يا سارية الجبل، ثلاثاً، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله! قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده وفد من أرض العجم. قال ابن

حجر في الإصابة:

إسناده حسن.

وقال خزيمه بن ثابت: كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له، واشترط عليه أن لا يركب برذونا، ولا يأكل نقيًا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يعلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة.

ولي الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، قال الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر، يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة. أخرج الحاكم، فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوح في أيامه.

وقال أبو رافع: كان أبو لؤلؤة مولى المغيرة يصنع الأرحاء (جمع رحى) ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أنقل عليّ فكلمه، فقال: أحسن إلى مولاك- ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه- فغضب وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، وأضمر قتله، واتخذ خنجرا، وشحذه وسمه، وكان عمر يقول: «أقيموا صفوفكم» قبل أن يكبر، فجاء فقام حذاءه في الصف، وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه، فمات منهم ستة.

وحمل عمر إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين (الكوثر والنصر) . وأتى عمر بنبيذ فشربه، فخرج من جرحه، فلم يتبين، فسقوه لبنا، فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك، فقال:- إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت، فقال: أما والله وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي.

وأثنى عليه ابن عباس فقال: لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافنتديت به من هول المطلع، وقد جعلتها شورى في عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد. وأمر صهيبا أن يصلى بالناس. أخرج الحاكم. وقال ابن عباس: كان أبو لؤلؤة مجوسيا. وقال عمرو بن ميمون: قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل مني بيده رجل يدعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله، انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوها، فقال: إن وفي مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش.

أذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فذهب إليها فقالت: كنت أريده- تعني المكان- لنفسي، ولأثرته اليوم على نفسي، فأتي عبد الله فقال: قد أذنت، فحمد الله تعالى، وقيل له: أوصي يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمي الستة.

وأما أوليات عمر رضي الله عنه:

- * فهو أول من سمي أمير المؤمنين. * وأول من كتب التاريخ من الهجرة.
- * وأول من اتخذ بيت المال. * وأول من سنّ قيام شهر رمضان في جماعة.

(381/1)

فيها زجل [(1)] ، وعليه الحديد، وهو يزعمها [(2)] فقال أبو سفيان: لقد أمر أمر بني عدّي [(3)] بعد قلة وذلة! فقال العباس: إن الله يرفع ما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام.

مقالة سعد بن عبادة لأبي سفيان

وكان في الكتيبة ألف دارع: وسعد بن عبادة يحمل راية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام الكتيبة، فنادى: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشا! فنادى أبو سفيان- عند ما حاذاه النبي عليه السلام- يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه كذا- وذكر ما قاله سعد- وإني أشدك الله في قومك! فأنت أبرّ الناس، وأرحم الناس وأوصل الناس!!.

[()] * وأول من عسّ بالليل. * وأول من عاقب على الهجاء.

* وأول من ضرب في الخمر ثمانين. * وأول من حرّم المتعة.

* وأول من نهي عن بيع أمهات الأولاد. * وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات.

* وأول من اتخذ الديوان.

* وأول من فتح الفتوح ومسح السواد.

* وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة. * وأول من احتبس صدقة في الإسلام.

* وأول من أعمال الفرائض. * وأول من أخذ زكاة الخيل. * وأول من قال: أطال الله بقاءك. *

وأول من قال: أيّدك الله (قالها لعليّ). * وهو أول من اتخذ الدرّة، ولقد قيل بعده: لدرّة عمر أهيب من سيفكم. * وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار. * وهو أول من مصّر الأمصار: الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر.

أصيب عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، ودفن يوم الأحد مستهلّ الحرم الحرام، وله ثلاث وستون سنة، وقيل-: ستون، ورجحه الواقديّ، وصلى عليه صهيب في

المسجد.

وفي تهذيب المزني: كان نقش خاتم عمر «كفى بالموت واعظا يا عمر» وأخرج الطبراني عن طارق ابن شهاب قال: قالت أم أيمن يوم قتل عمر: اليوم وهي الإسلام.

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال: شهدت موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فانكسفت الشمس يومئذ. رجاله ثقات.

* (تاريخ الخلفاء): 86-117، (الإصابة): 4/ 588-591 (ترجمة رقم 5740)، (حلية الأولياء): 1/ 38-55، (الاستيعاب): 3/ 1144-1159 (ترجمة رقم 1878)، (جمهرة أنساب العرب): 150-156، (المستدرک): 3/ 86-101، (صفة الصفوة): 1/ 139-153، (تهذيب الأسماء واللغات): 2/ 3-14، (مرآة الجنان): 1/ 78-82، (شذرات الذهب): 1/ 33-34، (تاريخ الإسلام): 2/ 253-284.

[(1)] زجل: جلبة وصوت.

[(2)] يكفها عن التفرق والانتشار.

[(3)] أمر أمره: ارتفع شأنه.

(382/1)

عزل سعد راية رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله! ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا سفيان! اليوم يوم الرحمة [(1)] ، اليوم أعز الله فيه قريشا!

وأرسل إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد، فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمانة، فأرسل صلى الله عليه وسلم بعمامته، فدفع اللواء إلى ابنه قيس. ويقال: دخل سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون. ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا فأخذ الراية، فذهب علي بها حتى دخل بها مكة فغرزها عن الركن، وقيل: بل أمر الزبير بن العوام فأخذ اللواء [(2)] وصححه جماعة.

مقالة أبي سفيان حين رأى ما رأى

وقال أبو سفيان: ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط، ولا خبرنيه مخبر! ما لأحد به طاقة ولا يدان!

لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً! فقال له العباس:
يا أبا سفيان! ليس بملك ولكنه نبوة. قال: فنعز [(3)] ! قال فانح ويحك فأدرك قومك قبل
أن يدخل عليهم.

خروج أبي سفيان إلى مكة وما كان منه

فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء وهو يقول:
من أغلق بابي فهو آمن! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة فأخذت برأسه فقالت:
ما وراءك؟ قال: هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد. وقد جعل لي: من دخل داري فهو
آمن! قالت: قبحك الله رسول قوم! وجعل يصرخ بمكة! يا معشر قريش! ويحكم! إنه قد جاء ما
لا قبل لكم به! هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد فأسلموا تسلموا! قالوا! قبحك الله
وافد قوم! وجعلت هند تقول: اقتلوا وافدكم هذا، قبحك الله وافد قوم! فيقول! ويلكم! لا
تغرنكم هذه من أنفسكم! رأيت ما لم تروا [(4)] رأيت الرجال والكراع والسلاح، فما لأحد [(5)]

[(1)] في (الواقدي) ج 2 ص 822 «اليوم يوم المرحمة» .

[(2)] راجع (زاد المعاد) ج 3 ص 404 .

[(3)] نعر: صوت صوتا شديدا من خيشومه .

[(4)] في (خ) «ما لا تروا» .

[(5)] في (خ) «مال أحد» .

(383/1)

بهذا طاقة!

خبر العباس في مكة

وذكر عمر بن شبة [(1)] : أن العباس ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر
[الظهران] [(2)] ليدعو أهل مكة فقدمها وقال: يا أهل مكة أسلموا تسلموا. قد استبطنتم
بأشهب بازل [(3)] ، وأعلمهم بمسير الزبير من أعلى مكة، ومحيء خالد ابن الوليد من
أسفلها لقتاهم، ثم قال: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابي فهو آمن، ومن دخل دار أبي

سفيان فهو آمن.

موقف المسلمين

وانتهى المسلمون إلى ذي طوى، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تلاحق الناس، وقد كان صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو دعوا إلى القتال، واجتمع إليهم - من قريش وغيرهم - جماعة عليهم السلاح، يحلفون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبدا.

دخول رسول الله مكة

وأقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتيبته الخضراء - على ناقته القصواء، معتجرا بشقة برد حبرة، [وفي رواية: وهو معتجر بشقة برد أسود] ، وعليه عمامة سوداء، ورايته سوداء، ولواؤه أسود - حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس، وإن عثونه [(4)] ليمسّ واسطة الرّحل أو يقرب منه، تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين، ثم قال: العيش عيش الآخرة.

[(1)] في (خ) «عمرو بن شيبعة» .

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] استيطان الوادي: دخول بطنه، الأشهب الأبيض: الجيش، والبازل: البعير الذي أتم

السنة الثامنة، وهي تمام قوته، والمعني أنكم رميتم بهذا الجيش الصعب الذي لا طاقة لكم به.

[(4)] العثون: اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين، أو ما نبت على الذقن وتحتة سفلا،

أو هو طولها.

(ترتيب القاموس) ج 3 ص 165.

(384/1)

مداخل المسلمين إلى مكة

وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة، وأن ينصب رايته بالحجون، وأمر خالد

بن الوليد أن يدخل من اللّيط: وهي كداء من أسفل مكة.

[ويقال: بعث الزبير بن العوام من أعلى مكة، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء] . ودخل

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من أذخر.

النهي عن القتال

ونهى عن القتال. ويقال: بل أمرهم بقتال من قتلهم، فتراموا بشيء من النبل. فظهر عليهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأمن الناس إلا خزاعة عن [(1)] بني بكر. وذكر جماعة أنه لم يؤمنهم. وقيل: أمر بقتل ستة نفر، وأربع نسوة: عكرمة بن أبي جهل، وهبار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صباية الليثي، والحويرث بن نقيذ [(2)] بن بجير بن عبد قصي، وهلال بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهر [(3)] ، فتيم هو الأدرم [(4)] [وعبد بن عبد مناف هو خطل بن خطل الأدرمي] . وهند بنت عتبة بن ربيعة، وسارة مولاة عمرو بن هشام، وقينتين لابن خطل: قرينا وقريبة، ويقال فرتنا وأرنبة.

قتال خالد بن الوليد

فكل الجنود دخل فلم يلق جمعا، إلا خالد بن الوليد، فإنه وجد جمعا من قريش وأحابيشها: فيهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، فمنعوه الدخول، وشهروا السلاح، ورموا بالنبل، وقالوا: لا تدخلها عنوة أبدا. فصاح خالد في أصحابه وقتلهم، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلا من قريش، وأربعة من هذيل، [وقيل: بل قتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا] ،

[(1)] في (خ) «غير» .

[(2)] في (خ) «نقيذ» ، وبعد هذا في (خ) «وابن بجير» والصواب حذف واو العطف.

[(3)] في (خ) «فهم» .

[(4)] في (خ) بعد قوله: «هو الأدرم» ما نصه (عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهر) وهو تكرار من الناسخ.

(385/1)

واهزموا أقبح هزيمة. وقتل من المسلمين ثلاثة.

خبر راعش المشرك

وكان راعش [(1)] ، أحد بني صاهلة الهذليّ، [وقيل: حماس [(2)] بن قيس بن خالد أحد بني بكر] ، يعدّ سلاحاً، فقالت له امرأته: لم تعدّ ما أرى؟ قال: محمد وأصحابه! فقالت له: ما أرى أن يقوم لمحمد وأصحابه شيء! فقال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال [(3)] :
إن تقدموا اليوم فما بي علة ... هذا سلاح كامل وألّة [(4)]
وذو غرارين سريع السّله [(5)]

هزيمة المشركين

ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل، فهزمهم خالد بن الوليد، فمّر حماس [(6)] منهزماً حتى دخل بيته، وقال لامرأته: أغلقتي عليّ يا بني! فقالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال [(7)] :

إنك إن شهدت يوم الخندمة ... إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة ... يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه ... لهم نحيب خلفنا وهمهمه

-
- [(1)] في (ابن هشام) ج 4 ص 37 (الرعاش الهذلي) .
[(2)] المرجع السابق ص 38، (البداية والنهاية) : ج 4 ص 339.
[(3)] في المرجع السابق: «إن يقبلوا اليوم فما لي علّة» .
[(4)] الألّة: الحربة ذات السنان الطويلة.
[(5)] غرارين: حدّين.
[(6)] في (خ) «حماس» .
[(7)] هذه الأبيات في (ابن هشام ج 4 ص 38، وفي (البداية والنهاية) ج 4 ص 339،
:340

إنك لو شهدت يوم الخندمة ... إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمّة ... واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ... ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة
لهم نحيب خلفنا وهمهمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة
وفي (الواقدي) : ج 2 ص 827، 828:
وأنت لو شهدتنا بالخندمة ... إذا فرّ صفوان وفرّ عكرمة

وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة ... لهم زئير خلفنا وغمغمة

(386/1)

لم تنطقي في اللوم [(1)] أدنى كلمه

التأمين

واتبعهم المسلمون، وأبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان: يا معشر قريش! علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن. ومن وضع السلاح فهو آمن! فاقتحم الناس الدور وأغلقوا عليهم الأبواب، وطرحوا السلاح في الطّرق، فأخذها المسلمون، ويروي أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عقد لأبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن - أحد الفزح بن شهران بن عفرس بن خلف بن أفل [وهو خثعم] - لواء وأمره أن ينادي: من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن.

قتال خالد بن الوليد

ولما ظهر [(2)] رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على ثنية أذاخر، نظر إلى البارقة [(3)] فقال: «ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟» فقيل: يا رسول الله، خالد بن الوليد قوتل، ولو لم يقاتل ما قاتل! فقال: «قضاء الله خير» .

ابن خطل

وأقبل ابن خطل من أعلى مكة في الحديد على فرس بيده قناة، وبنات سعيد ابن العاص قد نشرن رءوسهن ويضربن بخمرهن [(4)] وجوه الخيل، فقال هن: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضربا كأفواه المزاد [(5)] ! فلما انتهى إلى الخندمة،

[()] ومن معاني هذه الأبيات:

النهيت والمهممة، أصوات الأبطال في الحرب.

الزئير: صوت الأسد.

أبو يزيد: هو سهيل بن عمرو.

المؤتمة: المرأة التي قتل زوجها فبقي لها أيتام.

- [(1)] في (خ) «في اليوم» .
- [(2)] ظهر: ارتفع عليها.
- [(3)] البارقة: بريق السلاح ولمعانه.
- [(4)] الخمر: جمع خمار: وهو غطاء الرأس عند المرأة.
- [(5)] المزاد: جمع مزادة، هي كقربة للماء، المعنى أنه يريد ضرباً يتفجر منه الدم كما يتفجر الماء من المزاد إذا أرسل فوه.

(387/1)

ورأى خيل المسلمين وقتلهم، دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة، فانتهى إلى الكعبة فنزل، وطرح سلاحه، ودخل بين أستارها. فأخذ رجل من بني كعب درعه ومغفره وبيضته وسيفه وفرسه، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم بالحجون.

دخول الزبير مكة

وأقبل الزبير بمن معه حتى انتهوا إلى الحجون، فغرز به الراية. ولم يقتل من المسلمين إلا رجلان [(1)] أخطأ الطريق، هما: كرز بن جابر الفهري، وخالد الأشعري الخزاعي.

منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذاخر فنظر بيوت مكة، وقف فحمد الله وأثنى عليه، ونظر إلى موضع قبته فقال: هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها!
وكان أبو رافع قد ضرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون قبة من آدم، فأقبل حتى انتهى إلى القبة في يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان، وقيل لثلاث عشرة [(2)] مضت من رمضان. فمضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله، وكان معه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما.

وقيل: يا رسول الله، ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟
وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل إخوته، والرجال والنساء بمكة

فقال: يا رسول الله، فانزل في بعض بيوت مكة في غير منازلك، فقال: لا أدخل البيوت.
فلم يزل مضطرباً [(3)] بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة.

خبر إجارة أم هانئ عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام
وكانت أم هانئ بنت أبي طالب تحت [(4)] هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فدخل

[(1)] في (خ) «إلا رجلين» وهو خطأ، وما أثبتناه حق اللغة.

[(2)] في (خ) جملة «وقيل لثلاث عشرة» مكررة.

[(3)] مضطربا: ضاربا قيته.

[(4)] في (خ) «تحب»، والتصويب من (المغازي) ج 2 ص 829.

(388/1)

عليها حموان لها - عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر [(1)] ابن مخزوم
المخزومي، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر [(1)] ابن مخزوم - يستجيران بما
فأجارتهما.

فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب يريد قتلها، وقال: تخيرين المشركين؟ فحالت دونهما
وقالت: والله لتبدأن بي قبلهما! فخرج ولم يكده، فأغلقت عليهما بيتا، وذهبت إلى خباء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء، فشكت إلى فاطمة عليها السلام عليا فلم تشكها، وقالت
لها: لم تخيرين المشركين؟

وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم عليه [(2)] رهجة الغبار [(3)] ، فقال: مرحبا بفاختة
أم هانئ، فقالت: ماذا لقيت من ابن أمي علي! ما كدت أنفلت منه! أجرت حموين لي من
المشركين، فتفلت عليهم ليقتلها، فقال: ما كان ذلك له! قد أمنا من أمت، وأجرنا من أجرت.
ثم أمر فاطمة عليها السلام فسكبت له ماء فاغتسل، وصلى ثماني ركعات في ثوب واحد ملتحفا
به، وذلك ضحى. ورجعت أم هانئ فأخبرتهما، فأقاما عندها يومين ثم مضيا. وأتى آت فقال: يا
رسول الله: الحارث ابن هشام وابن أبي ربيعة جالسان في ناديهما في الملاء المزعفر [(4)] !
فقال: لا سبيل إليهما فقد أمناهما.

تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للطواف بالبيت
ومكث صلى الله عليه وسلم في منزله ساعة من نهار، واغتسل وضفر رأسه ضفائر أربع، [وقيل:
بل اغتسل في بيت أم هانئ بمكة] ، وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى، وذلك في الصحيحين]

(5) [، وزاد أبو داود: سلّم من كلّ ركعتين ثمّ لبس السلاح ومغفرا من حديد، وقد صف له الناس، وركب القصواء ومزّ وأبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه يحادثه، وعبد الله بن أم مكتوم بين يديه من بين الصفا والمروة وهو يقول:

يا حبذا مكة من وادي ... [أرض] بها أهلي وعوادي [(6)]

[(1)] في (خ) «عمرو» .

[(2)] في (خ) «عليها» .

[(3)] رهجة الغبار: آثار الغبار.

[(4)] الملاء جمع ملاءة: وهي للربطة (ترتيب القاموس ج 4 ص 274 والمزعر: الأسد الورد والفالوذ (المرجع السابق) ج 2 ص 453.

[(5)] صحيح البخاري ج 3 ص 62.

[(6)] ما بين الأقواس زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 141.

(389/1)

[أرض] بها أمشي بلا هادي ... [أرض] بها ترسخ أوتادي [(1)] حتى انتهى إلى الكعبة: فتقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبر، فكبر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة تكبيرا. فأشار إليهم أن اسكتوا! والمشركون فوق الجبال ينظرون.

الأصنام التي حول الكعبة

ثم طاف، ومحمد بن مسلمة [(2)] آخذ بزمامها، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما مرصصة بالترصاص - وهبل أعظمها وهو وجه الكعبة على بائها، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون - فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم كلما مرّ بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» .

فيقع الصنم لوجهه. فطاف سبعا يستلم الركن بمحجنه في كل طواف. فعطش صلى الله عليه وسلّم [(3)] - وكان يوما صائفا - فاستسقى [(4)] فأتى بقدر من شراب زبيب، فلما أدناه من فيه وجد له ريحا شديدة فردّه. ودعا بماء من زمزم فصبّه عليه حتى فاض من جوانبه، وشرب منه، ثم ناوله الذي عن يمينه. فلما فرغ من [سبعة] [(5)] نزل عن راحلته، وجاء معمر بن

عبد الله بن نضلة فأخرج راحلته.

وانتهى رسول الله إلى المقام- وهو يؤمئذ لاصق بالكعبة، والدَّرْع والمغفر عليه، وعمامة لها طرف بين كتفيه- فصلى ركعتين، ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلع فيها وقال: لولا أن يغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا!

فنزع له العباس بن عبد المطلب دلوا فشرِب منه. ويقال: الذي نزع الدلو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ولم يسع بين الصفا والمروة لأنه لم يكن يؤمئذ معتمرا.

كسر هبل

وأمر بهبل فكسّر وهو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان ابن حرب: يا أبا سفيان! قد كسر هبل! أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور،

[(1)] في (خ) «ترنج» .

[(2)] في (خ) «سلمة» .

[(3)] ما بين القوسين في (خ) بعد قوله «صائفا» وهذا موضعه.

[(4)] استسقى: طلب أن يسقى.

[(5)] سبعة: الطواف سبعة أشواط.

(390/1)

حين تزعم أنه قد أنعم! فقال: دع عنك هذا يا ابن العوام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

خبر زمزم

ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجلس ناحية من [(1)] المسجد والناس حوله، فأتى بدلو من زمزم فغسل منها وجهه، فما يقع منه قطرة إلا في يد إنسان: إن كانت قدر ما يحسوها حساها، وإلا تمسح بها. والمشركون ينظرون، فقالوا: ما رأينا ملكا قطّ أعظم من اليوم. ولا قوما أحتمق من القوم يتصل به.

إسلام قريش والبيعة

وجاءته قريش فأسلموا طوعا وكرها وقالوا: يا رسول الله اصنع بنا صنع أخ كريم. فقال: أنتم الطلقاء! وقال مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. ثم اجتمعوا لمبايعته، فجلس على الصفا، وجلس عمر بن الخطاب أسفل مجلسه يأخذ على الناس، فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما استطاعوا، فقال: لا هجرة بعد الفتح.

غسل الكعبة

وتجرد الرجال [(2)] من الأزر، ثم أخذوا الدلو فغسلوا ظهر الكعبة وبطنها حتى انبعج [(3)] الوادي من الماء، فلم يدعوا فيه صورة ولا أثرا من آثار المشركين إلا محوه. وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جلس ناحية من المسجد، توضأ بسجل [(4)] من زمزم قريبا من المقام، والمسلمون يبادرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركين يتعجبون ويقولون: ما رأينا ملكا قط بلغ هذا ولا شبيها به!

مفتاح الكعبة

ثم أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة ليأتيه بمفتاح الكعبة فمنعته أمه، حتى جاء

[(1)] في (خ) «من من» مكررة.

[(2)] في (خ) «في» .

[(3)] في (خ) «إن بعج» .

[(4)] السَّجَل: الدلو الكبيرة.

(391/1)

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فدفعته إلى ابنها فأتى به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلما تناولته

قال العباس: يا رسول الله، اجمع لنا السقايا والحجابه. فقال عليه السلام:

«أعطيكم ما ترزءون فيه ولا أعطيكم ما ترزءون به»

[(1)] . وقيل بل جاء عثمان ابن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغ

رأس الثانية.

محو الصور

وقيل: بعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البطحاء - ومعه عثمان ابن طلحة - ليفتح البيت، ولا يدع صورة إلا محاه، [ولا تمثالا] [(2)] ، فترك عمر صورة إبراهيم عليه السلام حتى محاه عليه السلام.

دخوله الكعبة

ودخل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكعبة - ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة - فمكث فيها وصلى ركعتين، ثم خرج والمفتاح في يده، ووقف على الباب خالد بن الوليد يذب الناس عنه حتى خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوقف على باب البيت وأخذ بعضادتيه [(3)] ، وأشرف على الناس وفي يده المفتاح، ثم جعله في كمه، وقال - وقد جلس الناس -:

خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على باب البيت

الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده: [يا معشر قريش] [(4)] :
ماذا تقولون؟ وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرا ونظن خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت.
فقال: فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ:

لَا تَثْرِبَ عَلَيْنَكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

ألا إن كل ربا في الجاهلية أو دم، أو مال، أو مأثرة فهو تحت قدمي هاتين

[(1)]

يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعطيتكم ما يصيب الناس به من خير أموالكم، ولا أعطيتكم ما تصيبون به من خير الناس.

[(2)] (المغازي) ج 2 ص 834.

[(3)] عضاداتا الباب: الخشبستان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله.

[(4)] زيادة للبيان.

إلا سدانة البيت وسقاي الحاج.

ألا وفي قتيل العصا والسوط الخطأ شبه العمدة، والدببة مغلظة مائة ناقة، منها أربعون في بطونها أولادها.

إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتكثرها بآبائها، كلكم لآدم وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم.

ألا إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرام الله، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد كائن بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من النهار [(1)] ، ألا لا ينفر صيدها، ولا يعضد عضائها [(2)] ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد [(3)] ، ولا يختلى خلاها [(4)] ، فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله، فإنه لا بد منه للقبور وطهور البيوت! فسكت ساعة ثم قال: إلا الإذخر فإنه حلال.

ولا وصية لوارث: وإن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ولا يحل لامرأة تعطى من مالها إلا بإذن زوجها. والمسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة، والمسلمون يد واحدة على من سواهم، يتكافئون دماءهم، يرد عليهم أقصاهم، ويعقد عليهم أذانهم، ومشدهم على مضغفهم [(5)] ومسيرهم [(6)] على قاعدتهم، ولا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا جلب ولا جنب [(7)] . ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا في بيوتهم وأفئنتهم. ولا تنكح المرأة على

[(1)] على معنى دخوله إياها من غير إحرام لأنه صلى الله عليه وسلم دخلها وعليه عمامة سوداء، وقيل إنما أحلت له في تلك الساعة إراقة الدم دون الصيد وقطع الشجر وسائر ما حرم على الناس منه (معالم السنن للخطابي) ج 2 ص 518، 519.

[(2)] العضاة: شجر عظام له شوك.

[(3)] المنشد: المعرف الذي يعرف الضالة واللقطة.

[(4)] أي لا ينزع حشيشها من بقول الربيع ما دام رطباً راجع (سنن أبي داود): ج 2 ص 518، 519، 520، 521 باب تحريم حرم مكة الأحاديث أرقام 2017، 2018.

[(5)] المشدّ: ذو الدواب الشديدة. والمضعف: ذو الدواب الضعيفة.

[(6)] في (خ) «متسيرهم»، والمسير الذي خرج من بلده للغزو، والقاعد الذي لم يخرج له.

[(7)] الجلب والجنب: هو أن يرسل في الحلبة فيجتمع له جماعة تصيح به ليرد عن وجهه، أو هو أن لا تجلب الصدقة إلى المياه والأمصار، ولكن يتصدق بها في مراعيها، أو أن ينزل العامل موضعاً ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها، أو أن يتبع الرجل فرسه

فيركض خلفه ويزجره ويجلب عليه. (ترتيب القاموس) ج 1 ص 509.

عمتها وخالتها [(1)] . والبينة على من ادّعى، واليمين على من أنكر. ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذي محرم [(2)] . ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح.
وأحكام عن صيام يومين [(3)] : يوم الأضحى ويوم الفطر، وعن لبستين: لا يحتب أحدكم في ثوب واحد يفضي بعورته إلى السماء، ولا يشتمل الصّماء [(4)] : ولا إخالكم إلا وقد عرفتموها.

رد المفتاح إلى عثمان بن طلحة

ثم نزل ومعه المفتاح، فتنحى ناحية من المسجد فقال: ادعوا إليّ عثمان ابن طلحة، فدعي. وكان صَلَّى الله عليه وسلّم قال له يوما بمكة وهو يدعو إلى الإسلام، ومع عثمان المفتاح، فقال: لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت! فقال له عثمان: لقد هلكت إذن قريش وذلت! فقال صَلَّى الله عليه وسلّم: بل عمرت وعزت يومئذ! فأقبل عثمان، فقال عليه السّلام: خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة، ولا ينزعها منكم إلا ظالم! يا عثمان! إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا بالمعروف. فلما ولي عثمان ناداه عليه السلام فرجع إليه، فقال له: ألم يكن الذي قلت لك؟ فذكر عثمان قوله له بمكة، فقال: بلى أشهد أنك رسول الله. فقال: قم على الباب، وكل بالمعروف. ودفع عليه السلام السقاييا إلى العباس رضي الله عنه.

معاينة خالد بن الوليد من أجل قتاله

وقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه: لم قاتلت وقد نُهيت عن القتال؟ فقال:

[(1)] (سنن ابن ماجة) ج 1 ص 621 حديث رقم 1929، 1930، 1931، (سنن أبي

داود) ج 2 ص 553 حديث رقم 2065.

[(2)] (سنن أبي داود) ج 2 ص 348 حديث رقم 1727.

[(3)] (سنن أبي داود) ج 2 ص 802 حديث رقم 2416.

[(4)] [اشتمال الصماء: (في النهاية) : هو أن يتجلل بثوبه ولا يرف منه جانبا، وأما قيل لها

«صماء» لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها. كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا

صدع.

والفقهاء يقولون: هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه

على منكبه، فتنكشف عورته. وعن الاحتباء: (في النهاية) :
هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما. وإنما نهي عنه
لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك، أو زال الثوب، فتبدو عورته. راجع (سنن ابن
ماجة) ج 2 ص 1179 الأحاديث رقم 3559، 3560، 3561 باب ما نهي عنه من
«اللباس» و (سنن أبي داود) ج 4 ص 342 حديث رقم 4081.

(394/1)

هم يا رسول الله بدءونا بالقتال، ورشقونا بالتبيل، ووضعوا فينا السلاح، وقد كفت ما استطعت،
ودعوتهم إلى الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأبوه، حتى إذا لم أجد بدا قاتلتهم،
فظفرنا الله عليهم وهربوا في كل وجه يا رسول الله! فقال: فكف عن الطلب. قال: قد فعلت يا
رسول الله. قال: قضاء الله خير.

النهي عن القتال إلا خزاعة عن بني بكر

ثم

قال: يا معشر المسلمين! كفوا السلاح، إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر، فخبطوهم
ساعة.
وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل لأحد قبله. وقيل: خبطوهم إلى
نصف النهار وكان صلى الله عليه وسلم نهي أن يقتل من خزاعة أحد.
وبعث تميم بن أسد الخزاعي فجدد أنصاب الحرم. ودخل جنيد بن الأذلع [الهذلي] [(1)]
مكة يرتاد وينظر- والناس آمنون- فرآه جندب بن الأعجم [(2)] الأسلمي. فقال: جنيد
بن الأذلع! قاتل أحمر [بأسا] [(3)] ! فقال: نعم فخرج جندب [بن الأعجم] يستجيش
عليه حيّه، فلقي خراش بن أمية الكعبي فأخبره.
فاشتمل خراش على السيف ثم أقبل إليه- والناس حوله وهو يحدثهم- فحمل عليه فقتله، ويقال
إنه قتله بالمزدلفة.

خطبته صلى الله عليه وسلم لما كثر القتل بين خزاعة وبني بكر
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله، قام خطيبا- الغد من يوم الفتح بعد الظهر-
فقال: يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ويوم خلق الشمس والقمر،

ووضع هذين الجبلين، فهي حرام إلى يوم القيامة لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما. ولا يعضد فيها شجرا، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد [يكون] [(4)] بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، ثم رجعت حرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم، فإن قال قائل: قد قاتل فيها رسول الله! فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة!

[(1)] زيادة للبيان من (ط) .

[(2)] في (خ) «الأعجر» .

[(3)] زيادة من (الواقدي) ج 2 ص 843، (ابن هشام) ج 4 ص 42.

[(4)] زيادة من (ابن هشام) ج 4 ص 43.

(395/1)

ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد والله كثر إن نفع [(1)] . وقد قتلتم هذا القتيل، والله لأدينه! فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بالخيار: إن شاءوا قدم قتيلهم، وإن شاءوا فعقله [(2)] . ويروي أنه قام خطيبا فقال: إن أعدى الناس على الله: من قتل في الحرم، ومن قتل غير قاتله، ومن قتل بدحول الجاهلية [(3)] . ويقال: إن قتل خراش لجنيذب كان بعد ما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن القتل، وإنه عليه السلام قال: لو كنت قاتلا مؤمنا بكافر لقتلت خراشا بالهدنى: ثم أمر خزاعة بخرجون دينته، فأخرجوها مائة من الإبل، فكان أول قتيل وداه [(4)] رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام.

أذان بلال على ظهر الكعبة ومقالة قريش

وجاءت الظهر، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن فوق ظهر الكعبة، وكانت قريش فوق رءوس الجبال وقد فرّ وجوههم وتغيبوا خوفا أن يقتلوا. فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد ما يكون وقال: أشهد أن محمدا رسول الله - قالت جويرية بنت أبي جهل: قد لعمرى رفع لك ذكرك! أما الصلاة فسنصلي، والله لا نحب من قتل الأحبة أبدا، ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمدا من النبوة فردّها، وكره خلافة قومه. وقال خالد بن الأسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم! وقال الحارث بن هشام: وا ثكلاه! ليتني متّ قبل هذا اليوم قبل أن أسمع

بلالا ينهق فوق الكعبة! وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم.
أن يصبح عبد بني جمح على بنية [(5)] أبي طلحة! وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا
سخطا لله فسيغيره، وإن كان لله رضي فسيقرّه. وقال أبو سفيان بن حرب أما أنا فلا أقول شيئا،
لو قلت شيئا لأخبرته هذه الحصباء! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره خبرهم.

-
- [(1)] في (خ) «كبر أن يقع» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 2 ص 844 و (ابن هشام) ج 4
ص 42 وهو هناك «كثر [القتل] إن تقع» .
[(2)] في (خ) «ففعله» ، والعقل: دية القتيل.
[(3)] ذحول: جمع ذحل، وهو النار والعداوة.
[(4)] وداه: دفع ديته.
[(5)] البنية: البيت المبني.

(396/1)

أمية بن أبي عبيدة

أتاه يعلي بن أمية بأبيه. فقال: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة، فقال:
لا! بل أبايعه على الجهاد فقد انقضت الهجرة.

سهيل بن عمرو

وكان سهيل بن عمرو أغلق عليه [بابه] [(1)] ، وبعث إلى ابنه عبد الله ابن سهيل أن يأخذ
له أمانا، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال. من لقي سهيل بن عمرو، فلا يشد النظر
إليه فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع
فيه [(2)] أنه لم يكن له بنافع،
فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره، فقال سهيل: كان والله برا صغيرا وكبيرا! فخرج وشهد حنيئا،
وأسلم بالجعرانة.

هبيرة بن أبي وهب وابن الزبيري

وهرب هبيرة بن أبي وهب زوج أم هانئ بنت أبي طالب - هو وعبد الله ابن الزبيري بن قيس بن

عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي - إلى نجران.
فبعث حسان بن ثابت بشعر إلى ابن الزبيري فجاء.
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه قال: هذا ابن الزبيري ومعه وجه فيه نور الإسلام!
فأسلم.
ومات هبيرة بنجران مشركا.

حويطب بن عبد العزى

وهرب حويطب بن عبد العزى بن أبي القيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر
بن لؤي القرشي العامري! فأمنه أبو ذر رضي الله عنه ومشى معه، وجمع بينه وبين عياله.

إسلام نساء من قريش

وأسلمت هند بنت عتبة، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام: امرأة عكرمة

[(1)] زيادة للبيان.

[(2)] أوضع الأمر: اشتد فيه.

(397/1)

ابن أبي جهل، والبغوم بنت المعذل [(1)] : امرأة صفوان بن أمية، وفاطمة بنت الوليد بن
المغيرة، وهند بنت منبّه بن الحجاج: أم عبد الله بن عمرو بن العاص في عشر نسوة من قريش.

بيعة النساء وخبر هند بنت عتبة

فأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح - وعنده زوجته وفاطمة ابنته، في نساء من نساء
بني عبد المطلب، فبايعنه، ولم تمسّ يده يد امرأة. وقيل: - وضع على يده ثوبا ثم مسح على
يده. وقيل: أدخل يده في قدح فيه ماء، ثم دفعه إليهن فأدخلن أيديهنّ فيه. وقيل: بل كانت بيعة
النساء عقيب بيعة الرجال عند الصفا.

ورئيت [(2)] فيهن هند وهي متنكرة لأجل صنيعها بحمزة - وكان زوجها أبو سفيان حاضرا -
فعرّفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنك لهند! فقالت: أنا هند، فاعف عما سلف.
فبايعهن عمر رضي الله عنه واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إسلام عكرمة بن أبي جهل

وطلبت أم حكيم أمانا لعكرمة وقد هرب إلى اليمن فأمنه. فخرجت إليه حتى قدم.
فلما دنا من مكة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيكُمْ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مَهَاجِرًا،
فَلَا تَسْبُوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيْتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ! فلما رآه وثب إليه فرحا، فوقف -
ومعه امرأته منتقبة- فقال: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنك أمنتني! فقال: صدقت، فأنت آمن!
فأسلم.

صفوان بن أمية

وهرب صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشيّ الجمحيّ. فأخذ له عمير
بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة أمانا، وخرج في أثره حتى رجع، وشهد هوازن كافرا،
وأسلم بالجعرانة.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ممن أهدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه يوم الفتح،

[(1)] في (خ) «المعزل» .

[(2)] في (خ) «رأت» .

(398/1)

فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه، وسأله أن يهبه له، فوهب له جرمه. وأسلم.

الحويرث بن نقيذ

وأهدر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دم الحويرث بن نقيذ [(1)] بن بجر بن عبد قصي، فضرب عليّ
رضي الله عنه عنقه، وكان مؤذيا لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هبار بن الأسود

وأهدر دم هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن الأسدي القرشيّ،
فأسلم.

ابن خطل

وأخرج أبو برزة الأسلمي عبد الله بن خطل - وهو متعلق بأستار الكعبة - فضرب عنقه بين الركن والمقام. [ويقال: قتله سعيد بن حريث المخزومي، ويقال:

عمّار بن ياسر، وقيل: نضلة بن عبد الله بن الحارث بن حيال بن ربيعة [(2)] بن دعبل ابن أنس بن خزيمه بن حديده بن مازن بن الحارث [(3)] بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو مزقياء [(4)] ويقال: شريك بن عبدة العجلاني [(5)] [وأثبتته أبو برزة]. وفيه نزلت لا أُقسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ

وفي المستدرک للحاكم، عن السائب بن يزيد قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عبد الله بن خطل من بين أستار الكعبة فقتله صبوا [(6)] ، ثم قال: لا يقتل أحد من قريش بعد هذا صبوا.

[(1)] في (خ) «نفيد» .

[(2)] في (خ) «ربيع» .

[(3)] في (خ) «الحرب» .

[(4)] كذا في (ط) ، (خ) ، ونسبه في (الاستيعاب) ج 10 ص 295 هكذا:

«نضلة بن عبيد بن الحارث، أبو برزة الأسلمي. غلبت عليه كنيته، واختلف في اسمه، فقيل:

نضلة ابن عبيد بن الحارث، وقيل: نضلة بن عبد الله بن الحارث، وقيل: عبد الله بن نضلة،

وقيل:

سلمة بن عبيد» ، «وروي عن أبي برزة أنه قال: أنا قتلت ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة» .

[(5)] «وهو شريك بن السحماء» .

[(6)] قتل صبوا في غير حرب ولا معركة ولا خطأ.

(399/1)

سارة

وقتل سارة مولاة عمرو بن هشام [(1)] ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة.

قتلها علي رضي الله عنه. ويقال غيره.

أرنب

وقتلت أرنب [أو قيربة] وأسلمت فرتنى.

مقيس بن صبابة

وقتل مقيس بن صبابة نميلة بن عبد الله الليثي. وقيل رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسيافهم.

مقالة أبي سفيان في القتلى

ولما قتل النفر الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم، سمع النوح عليهم. وجاء أبو سفيان بن حرب فقال: فداك أبي وأمي! البقية في قومك!
فقال صلى الله عليه وسلم: لا تقتل قريش صبرا بعد اليوم [يعني على كفر]
وفي رواية: لا تغزي قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة. [يعني على كفر].

الأمر بقتل وحشي

وأمر عليه السلام بقتل وحشي، ففرّ إلى الطائف حتى قدم في وفدهم فأسلم: فقال له عليه السلام: غيب عني وجهك! فكان إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم تواري [(2)] عنه.

سلف رسول الله من بعض قريش
واستسلف صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم فأعطاه، فردّها عليه
من غنائم هوازن،

وقال: إنما جزاء السلف الحمد والأداء. وقال بارك الله لك في مالك وولدك؟
واستقرض من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه.
واستقرض من حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم. فكانت ثلاثين ومائة ألف قسمها بين
أهل الضّعف، فأصاب الرجل خمسين درهما وأقلّ وأكثر. وبعث من ذلك إلى بني جذيمة.

[(1)] في (خ) «هاشم» .

[(2)] في (خ) «تورى» .

[الجلد الثاني]

[تنمة غزوة الفتح]

بسم الله الرحمن الرحيم

هدية الخمر

وأهدي له يومئذ راوية خمر فقال: إن الله حرّمها! فسارّ الرجل غلامه: اذهب بها إلى الخزوة [(1)] فبيعها. فقال: بم أمرته؟ قال: ببيعها! فقال: إن الذي حرّم شربها حرّم بيعها! ففرّغت بالبطحاء. ونهي يومئذ عن ثمن الخمر. وثن الخنزير، وثن الميتة، وثن الأصنام، وحلوان الكاهن.

تحريم شحوم الميتة

وقيل له يومئذ: ما ترى في شحوم الميتة يدهن به السقاء؟ فقال قاتل الله يهودا! حرّم عليهم الشحوم فباعوها، فأكلوها ثمنها. وحرّم متعة النساء يومئذ، وقال يومئذ- وهو بالخرزوة-: والله إنك لخير أرض الله إليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت [(2)] .

العفو عن بعض أهل مكة

وهبط ثمانون من أهل مكة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من جبل التنعيم عند صلاة الفجر، فأخذهم سلماً [(3)] فعفا عنهم، ونزل فيهم: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [(4)] .

-
- [(1)] كانت الخزوة سوق مكة، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه، وفي الحديث: وقف النبي صلّى الله عليه وسلّم بالخرزوة وقال: يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك (معجم البلدان) ج 2 ص 255.
- [(2)] لفظ الحديث في التعليق السابق، وفي (خ) «أخرجت» .
- [(3)] مستسلمين بغير حرب.
- [(4)] الآية 24/ الفتح، وفي (خ) إلى قوله تعالى أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ.

حد شارب الخمر

وأني بشارب فضربوه بما في أيديهم، فمنهم من ضرب بالسوط وبالتعل وبالعضا، وحثا عليه النبي صلى الله عليه وسلم التراب.

إسلام جبر

وجاء جبر غلام بني عبد الدار- وقد كان يكتنم إسلامه- فأعطاه ثمنه، فاشترى نفسه فعتق.

نذر رجل الصلاة في بيت المقدس

وقال رجل يومئذ: إني نذرت أن أصلي في بيت المقدس إن فتح الله عليك مكة، فقال صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده! لصلاة ها هنا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان.

نذر ميمونة أم المؤمنين

وقالت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا رسول الله، إني جعلت على نفسي- إن فتح الله عليك مكة- أن أصلي في بيت المقدس! فقال: لا تقدرين على ذلك، ولكن ابعني بزيت يستصبح [(1)] لك فيه به، فكأنك أتيته [(2)] .

وكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال ليشتري به زيت يستصبح به في بيت المقدس، حتى ماتت فأوصت بذلك.

نساء قريش وجماهن

وجلس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في مجلس فيه جماعة- منهم سعد ابن عبادة رضي الله عنه- فمرت نسوة من قريش فقال سعد: قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسن وجمال [(3)] ، ما رأيناهن كذلك! فغضب عبد الرحمن ابن عوف حتى كاد أن يقع بسعد وأغلظ له [(4)] ، ففر منه سعد حتى أتى رسول

[(1)] الاستصبح: الاستسراج، أي إشعال السراج به.

[(2)] في (خ) «أنتيته» .

[(3)] في (خ) «حسننا وجمالاً» .

[(4)] في (خ) «وأغلظ» .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ماذا لقيت من عبد الرحمن؟ فقال: وما له؟ فأخبره بما كان، فغضب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان وجهه ليتوقد [(1)] ، ثم قال: رأيتهنّ وقد أصبن بآبائهنّ وأبنائهنّ وإخوانهنّ وأزواجهنّ! خير نساء ركن الإبل نساء قريش! أحناه على ولد، وأبدله لزوج بما ملكت يد.

هدية هند بنت عتبة بعد إسلامها

وأهدت هند بنت عتبة بعد إسلامها هدية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو بالأبطح - مع مولاة لها، جديين [(2)] مرضوفين وقدّا [(3)] ، فانتهت الجارية إلى خيمته، فسلمت واستأذنت فأذن لها فدخلت ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أم سلمة وميمونة ونساء بني عبد المطلب، فقالت: إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية، وهي معتذرة إليك، وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة، فقال: بارك الله لكم في غنمكم، وأكثر والدتها! فسرت هند لما أخبرتها مولاتها بذلك، ورأوا من كثرة غنمهم ووالدتها ما لم يكن من قبل ولا قريباً. وكانت هند تقول: هذا بدعاء رسول الله وبركته.

إحدى نساء بني سعد وخير وفاة حليلة السعدية

وأنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحدى نساء بني سعد بن بكر - إمّا خالة أو عمّة - بنحي [(4)] مملوء سمناً وجراب أقط [(5)] - وهو بالأبطح - فعرّفها، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، وأخبرته بوفاة حليلة [(6)] فذرفت عيناه، وقالت: أخواك وأختاك محتاجون! فأمر لها بكسوة وجمل ومائتي درهم، فقالت: نعم والله المكفول كنت صغيراً، ونعم المرء كنت كبيراً، عظيم البركة.

السرايا وهدم الأصنام

ويث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سراياه وأمرهم أن يغيروا على من لم يسلم. فخرج هشام بن العاص

[(1)] توقد: تالألأ.

[(2)] في (خ) «جد بين» .

[(3)] المرضوف: المشوي، والقُد: سقاء صغير متخذ من جلد السخلة يكون فيه لبن.

[(4)] النحي: زق من الجلد يكون فيه السمن خاصة.

[(5)] الأقط: يتخذ من ألبان الإبل.

[(6)] حليلة السعدية، ظنره وحاضنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في مائتين قبل يلملم. وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة قبل عرنة وبعث خالد بن الوليد إلى العزى في ثلاثين فارسا فهدمها خمس [(1)] بقين من رمضان، وكانت بنخلة. وبعث الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم ابن فهم [(2)] الدوسي إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة فحرّقه بالنار، وبعث سعد بن زيد الأشهليّ إلى مناة بالمشلل [(3)] فهدمه. وبعث عمرو بن العاص إلى صنم هذيل سواع فهدمه. ونادى منادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يدعنّ في بيته صنما إلا كسره أو حرّقه، وثمنه حرام. فجعل المسلمون يكسرون الأصنام، ولم يكن رجل من قريش بمكة إلا وفي بيته صنم: إذا دخل مسحه وإذا خرج مسحه: تبركا به. وكان عكرمة بن أبي جهل لما أسلم لم يسمع بصنم في بيت إلا مشى إليه حتى يكسره. وجعلت هند بنت عتبة تضرب صنما في بيتها بالقدوم فلذة فلذة [(4)] وهي تقول: كنا منك في غرور!!

مدة المقام بمكة

وأقام صلّى الله عليه وسلّم بمكة - على ما في صحيح البخاريّ - خمس عشرة ليلة. [وفي رواية تسع عشرة، وفي أبي داود تسع عشرة، وفي الترمذي ثمان عشرة، وقيل عشرا، وقيل بضع عشرة، وقيل: عشرين ليلة] يصلي ركعتين، ويأمر أهل مكة أن يتموا، كما رواه النسائي. وأفطر بقية شهر رمضان.

بعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وقتلهم، وكانوا مسلمين

ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بني جذيمة ابن عامر بن عمرو بن مناة بن كنانة يدعوهم إلى الإسلام فخرج أول شوال في ثلاثمائة وخمسين إلى أسفل مكة وانتهى إليهم، فقالوا: نحن مسلمون! فقال خالد: استأسروا! فكتف بعضهم بعضا، ودفع خالد إلى كل رجل من أصحابه رجلا أو رجلين، فباتوا في وثاق إلى السحر. فنادى خالد: من كان معه أسير فليداقه [(5)] .

[(1)] في (خ) «بخمس» .

[(2)] في (خ) «سالم بن فهر» ، وما أثبتناه من (الإصابة) ج 5 ص 223 ترجمة رقم 4247.

[(3)] جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (معجم البلدان) ج 5 ص 136.

[(4)] الفلذة: القطعة.

[(5)] فليدافه: فليجهز عليه.

(6/2)

فقتل بنو سليم من كان في أيديهم، وكانوا قريبا من ثلاثين رجلا. وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم وقالوا: اذهبوا حيث شئتم! فغضب خالد على من أرسل أسيره. فقال له أبو أسيد الساعدي: اتق الله يا خالد! ما كنا لنقتل قوما مسلمين! قال: وما يدريك؟ قال: تسمع إقرارهم بالإسلام، وهذه المساجد بساحتهم!

فلما قدم خالد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاب [(1)] عبد الرحمن بن عوف عليه ما صنع، فتلاحيا، وأعانه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعرض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه وقال له- وقد بلغه ما صنع بعبد الرحمن بن عوف-: يا خالد! ذروا لي أصحابي! متى ينكأ أنف المرء يجمع [(2)] ! لو كان أحد ذهباً تنفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن بن عوف! ورفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه حتى رئي بياض إبطيه، وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ!!

بعثة عليّ بالديار إلى بني جذيمة

وبعث عليا رضي الله عنه إلى بني جذيمة بمال فودى لهم ما أصاب خالد، ودفع إليهم ما لهم، فبقيت لهم بقية مال، فبعث عليّ أبا رافع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستزيده فزاده مالا، فودى لهم كل ما أصاب [خالد] ، حتى إنه ليدي لهم ميلغة [(3)] الكلب وبقي مع عليّ شيء من المال. فقال: هذه البقية من هذا المال لكم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما أصاب خالد، مما لا يعلمه ولا تعلمونه. فأعطاهم ذلك وعاد فأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما صنع فقال: أصبت! ما أمرت خالدا بالقتال، إنما أمرته بالدعاء! ثم أقبل على خالد رضي الله عنه وقال: لا تسبوا خالدا ابن الوليد، فإنما هو سيف من سيوف الله سله على المشركين.

فتح مكة

وقد اختلف في فتح مكة، فقال الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة: إنما فتحت عنوة ثم آمن أهلها. وقال مجاهد والشافعي: فتحت صلحا بأمان عقده. وقيل:

[(1)] في (خ) «غاب» .

[(2)] كذا في (ط) ، وفي (خ) «متى يتكأ أنف المرء وينكأ» ولم أجد هذا المثل في (مجمع الأمثال للميداني) ولا في جمهرة الأمثال للعسكريّ) ، ولا في كتاب (الأمثال في الحديث النبوي) لأبي الشيخ الأصبهاني. ونكأ القرحة: نشرها.
[(3)] في (خ) «مبلغة» .

(7/2)

فتح أسفلها عنوة وأعلاها صلحا [(1)] .

وروي أنه يوم فتح مكة حمام حرم [(2)] فأظلمت صلي الله عليه وسلّم، فدعا لها بالبركة. وكان يحبّ الحمام.

غزوة حنين «هوازن»

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى غزوة حنين: وذلك واد- ويقال ماء- بينه وبين مكة ثلاث ليال في قرب الطائف. سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل من جرهم، وقيل: حنين بن مائقة بن مهلان بن مهليل بن عبيل بن عوص بن إرم ابن سام [(3)] بن نوح.

جموع هوازن وثقيف

وذلك أن أشراف هوازن وثقيف حشدوا، وقد جعلوا أمرهم إلى مالك ابن عوف بن سعيد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة [(4)] بن دعثمان بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن النصرى، وهو ابن ثلاثين سنة. وأقبلت ثقيف ونصر وجشم، وكان في ثقيف سيّدان [(5)] لهم هما: قارب بن عبد الله بن الأسود بن مسعود الثقفيّ، وذو الخمار سبيع بن الحارث، [ويقال: الأحمر بن الحارث] ، واجتمع إليهم من بني هلال بن عامر نحو المائة، ولم يحضرهم أحد من كعب ولا كلاب

[(1)] يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج 3 ص 429 في الإشارة إلى ما في الغزوة من الفقه واللطائف، «وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم، ولا يعرف في ذلك خلاف إلا عن الشافعيّ وأحمد في أحد قوليه» ثم قال: «قال أصحاب الصلح: لو فتحت عنوة لقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلّم بين الغانمين كما قسم خير» ، «ولو

فتحت عنوة لملك الغامون رباعها ودورها» ، «قال أرباب العنوة: لو كان قد صالحهم لم يكن لأمانه المقيد بدخول كل واحد داره، وإغلاق بابه، وإلقاء سلاحه فائدة» .
«وأيضاً فلو كان فتحها صلحاً، لم يقل: إن الله قد أحلها لي ساعة من نهار، فإنها إذا فتحت صلحاً كانت باقية على حرمتها» .

[(2)] في (خ) «الحرر» .

[(3)] في (خ) «سلام» .

[(4)] في (خ) «وائله» .

[(5)] في (خ) «سيدان» .

(8/2)

[(1)] [(2)] [(3)] [(4)] [(5)] [(6)] [(7)] [(8)] [(9)] [(10)] [(11)]
[(12)] [(13)] [(14)] [(15)] [(16)] [(17)] [(18)] [(19)] [(20)] [(21)] [(22)] [(23)] [(24)] [(25)] [(26)] [(27)] [(28)] [(29)] [(30)] [(31)] [(32)] [(33)] [(34)] [(35)] [(36)] [(37)] [(38)] [(39)] [(40)] [(41)] [(42)] [(43)] [(44)] [(45)] [(46)] [(47)] [(48)] [(49)] [(50)] [(51)] [(52)] [(53)] [(54)] [(55)] [(56)] [(57)] [(58)] [(59)] [(60)] [(61)] [(62)] [(63)] [(64)] [(65)] [(66)] [(67)] [(68)] [(69)] [(70)] [(71)] [(72)] [(73)] [(74)] [(75)] [(76)] [(77)] [(78)] [(79)] [(80)] [(81)] [(82)] [(83)] [(84)] [(85)] [(86)] [(87)] [(88)] [(89)] [(90)] [(91)] [(92)] [(93)] [(94)] [(95)] [(96)] [(97)] [(98)] [(99)] [(100)]
[(101)] [(102)] [(103)] [(104)] [(105)] [(106)] [(107)] [(108)] [(109)] [(110)] [(111)] [(112)] [(113)] [(114)] [(115)] [(116)] [(117)] [(118)] [(119)] [(120)] [(121)] [(122)] [(123)] [(124)] [(125)] [(126)] [(127)] [(128)] [(129)] [(130)] [(131)] [(132)] [(133)] [(134)] [(135)] [(136)] [(137)] [(138)] [(139)] [(140)] [(141)] [(142)] [(143)] [(144)] [(145)] [(146)] [(147)] [(148)] [(149)] [(150)] [(151)] [(152)] [(153)] [(154)] [(155)] [(156)] [(157)] [(158)] [(159)] [(160)] [(161)] [(162)] [(163)] [(164)] [(165)] [(166)] [(167)] [(168)] [(169)] [(170)] [(171)] [(172)] [(173)] [(174)] [(175)] [(176)] [(177)] [(178)] [(179)] [(180)] [(181)] [(182)] [(183)] [(184)] [(185)] [(186)] [(187)] [(188)] [(189)] [(190)] [(191)] [(192)] [(193)] [(194)] [(195)] [(196)] [(197)] [(198)] [(199)] [(200)] [(201)] [(202)] [(203)] [(204)] [(205)] [(206)] [(207)] [(208)] [(209)] [(210)] [(211)] [(212)] [(213)] [(214)] [(215)] [(216)] [(217)] [(218)] [(219)] [(220)] [(221)] [(222)] [(223)] [(224)] [(225)] [(226)] [(227)] [(228)] [(229)] [(230)] [(231)] [(232)] [(233)] [(234)] [(235)] [(236)] [(237)] [(238)] [(239)] [(240)] [(241)] [(242)] [(243)] [(244)] [(245)] [(246)] [(247)] [(248)] [(249)] [(250)] [(251)] [(252)] [(253)] [(254)] [(255)] [(256)] [(257)] [(258)] [(259)] [(260)] [(261)] [(262)] [(263)] [(264)] [(265)] [(266)] [(267)] [(268)] [(269)] [(270)] [(271)] [(272)] [(273)] [(274)] [(275)] [(276)] [(277)] [(278)] [(279)] [(280)] [(281)] [(282)] [(283)] [(284)] [(285)] [(286)] [(287)] [(288)] [(289)] [(290)] [(291)] [(292)] [(293)] [(294)] [(295)] [(296)] [(297)] [(298)] [(299)] [(300)] [(301)] [(302)] [(303)] [(304)] [(305)] [(306)] [(307)] [(308)] [(309)] [(310)] [(311)] [(312)] [(313)] [(314)] [(315)] [(316)] [(317)] [(318)] [(319)] [(320)] [(321)] [(322)] [(323)] [(324)] [(325)] [(326)] [(327)] [(328)] [(329)] [(330)] [(331)] [(332)] [(333)] [(334)] [(335)] [(336)] [(337)] [(338)] [(339)] [(340)] [(341)] [(342)] [(343)] [(344)] [(345)] [(346)] [(347)] [(348)] [(349)] [(350)] [(351)] [(352)] [(353)] [(354)] [(355)] [(356)] [(357)] [(358)] [(359)] [(360)] [(361)] [(362)] [(363)] [(364)] [(365)] [(366)] [(367)] [(368)] [(369)] [(370)] [(371)] [(372)] [(373)] [(374)] [(375)] [(376)] [(377)] [(378)] [(379)] [(380)] [(381)] [(382)] [(383)] [(384)] [(385)] [(386)] [(387)] [(388)] [(389)] [(390)] [(391)] [(392)] [(393)] [(394)] [(395)] [(396)] [(397)] [(398)] [(399)] [(400)] [(401)] [(402)] [(403)] [(404)] [(405)] [(406)] [(407)] [(408)] [(409)] [(410)] [(411)] [(412)] [(413)] [(414)] [(415)] [(416)] [(417)] [(418)] [(419)] [(420)] [(421)] [(422)] [(423)] [(424)] [(425)] [(426)] [(427)] [(428)] [(429)] [(430)] [(431)] [(432)] [(433)] [(434)] [(435)] [(436)] [(437)] [(438)] [(439)] [(440)] [(441)] [(442)] [(443)] [(444)] [(445)] [(446)] [(447)] [(448)] [(449)] [(450)] [(451)] [(452)] [(453)] [(454)] [(455)] [(456)] [(457)] [(458)] [(459)] [(460)] [(461)] [(462)] [(463)] [(464)] [(465)] [(466)] [(467)] [(468)] [(469)] [(470)] [(471)] [(472)] [(473)] [(474)] [(475)] [(476)] [(477)] [(478)] [(479)] [(480)] [(481)] [(482)] [(483)] [(484)] [(485)] [(486)] [(487)] [(488)] [(489)] [(490)] [(491)] [(492)] [(493)] [(494)] [(495)] [(496)] [(497)] [(498)] [(499)] [(500)] [(501)] [(502)] [(503)] [(504)] [(505)] [(506)] [(507)] [(508)] [(509)] [(510)] [(511)] [(512)] [(513)] [(514)] [(515)] [(516)] [(517)] [(518)] [(519)] [(520)] [(521)] [(522)] [(523)] [(524)] [(525)] [(526)] [(527)] [(528)] [(529)] [(530)] [(531)] [(532)] [(533)] [(534)] [(535)] [(536)] [(537)] [(538)] [(539)] [(540)] [(541)] [(542)] [(543)] [(544)] [(545)] [(546)] [(547)] [(548)] [(549)] [(550)] [(551)] [(552)] [(553)] [(554)] [(555)] [(556)] [(557)] [(558)] [(559)] [(560)] [(561)] [(562)] [(563)] [(564)] [(565)] [(566)] [(567)] [(568)] [(569)] [(570)] [(571)] [(572)] [(573)] [(574)] [(575)] [(576)] [(577)] [(578)] [(579)] [(580)] [(581)] [(582)] [(583)] [(584)] [(585)] [(586)] [(587)] [(588)] [(589)] [(590)] [(591)] [(592)] [(593)] [(594)] [(595)] [(596)] [(597)] [(598)] [(599)] [(600)] [(601)] [(602)] [(603)] [(604)] [(605)] [(606)] [(607)] [(608)] [(609)] [(610)] [(611)] [(612)] [(613)] [(614)] [(615)] [(616)] [(617)] [(618)] [(619)] [(620)] [(621)] [(622)] [(623)] [(624)] [(625)] [(626)] [(627)] [(628)] [(629)] [(630)] [(631)] [(632)] [(633)] [(634)] [(635)] [(636)] [(637)] [(638)] [(639)] [(640)] [(641)] [(642)] [(643)] [(644)] [(645)] [(646)] [(647)] [(648)] [(649)] [(650)] [(651)] [(652)] [(653)] [(654)] [(655)] [(656)] [(657)] [(658)] [(659)] [(660)] [(661)] [(662)] [(663)] [(664)] [(665)] [(666)] [(667)] [(668)] [(669)] [(670)] [(671)] [(672)] [(673)] [(674)] [(675)] [(676)] [(677)] [(678)] [(679)] [(680)] [(681)] [(682)] [(683)] [(684)] [(685)] [(686)] [(687)] [(688)] [(689)] [(690)] [(691)] [(692)] [(693)] [(694)] [(695)] [(696)] [(697)] [(698)] [(699)] [(700)] [(701)] [(702)] [(703)] [(704)] [(705)] [(706)] [(707)] [(708)] [(709)] [(710)] [(711)] [(712)] [(713)] [(714)] [(715)] [(716)] [(717)] [(718)] [(719)] [(720)] [(721)] [(722)] [(723)] [(724)] [(725)] [(726)] [(727)] [(728)] [(729)] [(730)] [(731)] [(732)] [(733)] [(734)] [(735)] [(736)] [(737)] [(738)] [(739)] [(740)] [(741)] [(742)] [(743)] [(744)] [(745)] [(746)] [(747)] [(748)] [(749)] [(750)] [(751)] [(752)] [(753)] [(754)] [(755)] [(756)] [(757)] [(758)] [(759)] [(760)] [(761)] [(762)] [(763)] [(764)] [(765)] [(766)] [(767)] [(768)] [(769)] [(770)] [(771)] [(772)] [(773)] [(774)] [(775)] [(776)] [(777)] [(778)] [(779)] [(780)] [(781)] [(782)] [(783)] [(784)] [(785)] [(786)] [(787)] [(788)] [(789)] [(790)] [(791)] [(792)] [(793)] [(794)] [(795)] [(796)] [(797)] [(798)] [(799)] [(800)] [(801)] [(802)] [(803)] [(804)] [(805)] [(806)] [(807)] [(808)] [(809)] [(810)] [(811)] [(812)] [(813)] [(814)] [(815)] [(816)] [(817)] [(818)] [(819)] [(820)] [(821)] [(822)] [(823)] [(824)] [(825)] [(826)] [(827)] [(828)] [(829)] [(830)] [(831)] [(832)] [(833)] [(834)] [(835)] [(836)] [(837)] [(838)] [(839)] [(840)] [(841)] [(842)] [(843)] [(844)] [(845)] [(846)] [(847)] [(848)] [(849)] [(850)] [(851)] [(852)] [(853)] [(854)] [(855)] [(856)] [(857)] [(858)] [(859)] [(860)] [(861)] [(862)] [(863)] [(864)] [(865)] [(866)] [(867)] [(868)] [(869)] [(870)] [(871)] [(872)] [(873)] [(874)] [(875)] [(876)] [(877)] [(878)] [(879)] [(880)] [(881)] [(882)] [(883)] [(884)] [(885)] [(886)] [(887)] [(888)] [(889)] [(890)] [(891)] [(892)] [(893)] [(894)] [(895)] [(896)] [(897)] [(898)] [(899)] [(900)] [(901)] [(902)] [(903)] [(904)] [(905)] [(906)] [(907)] [(908)] [(909)] [(910)] [(911)] [(912)] [(913)] [(914)] [(915)] [(916)] [(917)] [(918)] [(919)] [(920)] [(921)] [(922)] [(923)] [(924)] [(925)] [(926)] [(927)] [(928)] [(929)] [(930)] [(931)] [(932)] [(933)] [(934)] [(935)] [(936)] [(937)] [(938)] [(939)] [(940)] [(941)] [(942)] [(943)] [(944)] [(945)] [(946)] [(947)] [(948)] [(949)] [(950)] [(951)] [(952)] [(953)] [(954)] [(955)] [(956)] [(957)] [(958)] [(959)] [(960)] [(961)] [(962)] [(963)] [(964)] [(965)] [(966)] [(967)] [(968)] [(969)] [(970)] [(971)] [(972)] [(973)] [(974)] [(975)] [(976)] [(977)] [(978)] [(979)] [(980)] [(981)] [(982)] [(983)] [(984)] [(985)] [(986)] [(987)] [(988)] [(989)] [(990)] [(991)] [(992)] [(993)] [(994)] [(995)] [(996)] [(997)] [(998)] [(999)] [(1000)]

منزل هوازن

وجاءوا جميعاً بأموالهم ونسائهم وأبنائهم يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا بأوطاس، فقال دريد: بأيّ واد أنتم: قالوا: بأوطاس فقال: مجال الخيل! لا حزن ضرر، ولا سهل دهس [(5)] . ثم قال لمالك بن عوف: ما لي أسمع بكاء الصغير، ورغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاة؟ قال مالك: يا أبا قرّه! إني سقت مع الناس أموالهم وذرائعهم، وأردت أن أجعل خلف كلّ رجل منهم أهله وماله يقاتل عنه، فأنقض به دريد، ثم قال: رويعي ضأن والله! وهل يردّ المنهزم شيء؟ وقال: هذا يوم لم أشهده [(6)] ، ولم أعب عنه! وقال:
يا ليتني فيها جذع [(7)] ... أحب فيها وأضع [(8)]
أفود وطفاء الرّمع [(9)] ... كأنها شاة صدع [(10)]
قوله: «أنقض به دريد» يريد أنه نقر بلسانه في فيه كما يزجر الشاة أو الحمار. وقوله: «رويعي [(11)] ضأن» ، يستجهله .

خروج رسول الله إلى حنين

فعدا صلى الله عليه وسلم يريدهم يوم السبت لست خلون من شوال، وقيل قدم مكة لثمانين

- [(1)] زيادة للبيان.
- [(2)] زيادة من نسبه من (ط) .
- [(3)] في (خ) «عربة» .
- [(4)] في (خ) «ذريته» .
- [(5)] الحزن: الغليظ من الأرض. الضرس: الغليظ الحشن. الدهس: اللين الوطاء من الأرض.
- [(6)] في (خ) «أشهد» .
- [(7)] جذع: صغير السن، وفي (خ) «جزع» .
- [(8)] الحب والوضع: ضربان من العدو والوضع أشد.
- [(9)] في (خ) «الرمع» ، والوظفاء: الغزيرة الشعر. والرمع جمع زمعة: وهي شعرة مدلاة خلف الرسغ.
- [(10)] الصدع: الوعل الحديث السن.
- [(11)] رويحي: تصغير «راع» .

(9/2)

عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ثمان، وأقام بها اثنتي عشرة ليلة، ثم أصبح غداة الفطر غاديا إلى حنين. وخرج معه أهل مكة- لم يتأخر منهم كبير أحد- ركبانا ومشاة، حتى خرج معه النساء يمشين: على غير دين نظارا ينظرون ويرجون الغنائم، ولا يكرهون الدولة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي- وله نحو عشرين سنة-، وجعل معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أديّ ابن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة [(1)] بن زيد بن جشم بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجي، يعلمهم السنن والفقه. وخرج معه اثنا عشر ألف رجل: عشرة آلاف من المدينة وألفان من أهل مكة، وهم الطلقاء.

إعجاب المسلمين بكثرتهم يوم حنين

فقال رجل من بني بكر: لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليوم أحد من قلة! فأنزل الله تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ [(2)] .

عارية السلاح

واستعار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفوان بن أمية مائة درع، وقيل أربعمائة درع، بأداتها، وخرج [صفوان] [(3)] وهو مشرك مع المسلمين.

خبر ذات الأنواط

فمَرُوا بِشَجْرَةٍ عَظِيمَةٍ خَضِرَاءَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ - كَانَتْ الْعَرَبُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ يَلْقَوْنَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ: فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى:

[(1)] فِي (خ) «مَارِدَةٌ» .

[(2)] [الْآيَةُ 25 / التَّوْبَةُ، وَفِي (خ) «..... كَثُرْتُمْ الْآي» .

[(3)] زِيَادَةٌ لِلْبَيَانِ.

(10/2)

اجْعَلْ لَنَا إِلهًا كَمَا هُمْ آلهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [(1)] ، إِنَّمَا السَّنَنُ، سَنَنٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ [وَفِي رِوَايَةٍ: لَتَرْكَبَنَّ سَنَنٌ مِنْ قَبْلِكُمْ] [(2)] .

خبر الرجل الذي أراد قتل رسول الله

ونزل رسول الله تحت شجرة دوين أوطاس، وعلق بها سيفه وقوسه، فجاء رجل وهو نائم فسلب السيف، وقام على رأسه ففزع به [(3)] وهو يقول: يا محمد! من يمنعك مني اليوم؟ فقال: الله! فأتى أبو بردة بن نيار يريد أن يقتل الرجل، فمنعه النبي عليه السلام من قتله وقال: يا أبا بردة، إن الله مانعي وحافظي حتى يظهر دينه على الدين كله. وانتهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال.

عيون هوازن ورعب المشركين

فبعث مالك بن عوف ثلاثة رجال متفرقين في العسكر [يأتونه بخبر أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

عليه وسلّم] [(4)] ، فرجعوا وقد تفرقت أوصالهم [من الرعب] [(4)] ، وقالوا:
رأينا رجالا بيضا على خيل بلق، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى! وقالوا:
ما نقاتل أهل الأرض إنما نقاتل إلا أهل السماء! وإن أطعنا رجعت بقومك. فسبّهم وحبسهم. ثم
بعث آخر فعاد إليه بمثل ما قال الثلاثة، فلم ينته. وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد
الله بن حدرد مرثد بن أبي مرثد الغنويّ تلك الليلة على فرسه وهو يحرس المسلمين.

خروج غير المسلمين إلى حنين

وكان قد خرج رجال من مكة على غير دين، ينظرون على من تكون الدائرة، فيصيبون من
الغنائم، منهم أبو سفيان بن حرب [(5)] ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان - خرج ومعه الأزام [(6)]
في كنانته، وكان يسير في أثر العسكر، كلّما مرّ بترس

[(1)] الآية 138 / الأعراف.

[(2)] سنن الطريق: نجهه ووجهه.

[(3)] فرع به: أنبهه.

[(4)] زيادة من (ابن سعد) ج 2 ص 150.

[(5)] كذا في (خ) و (الواقدي) ج 3 ص 895، وهو غريب، فمن الثابت أن أبا سفيان بن
حرب أسلم ليلة الفتح، ومعاوية أسلم يوم الفتح، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضا.
[(6)] الأزام: سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.

(11/2)

ساقط أو رمح أو متاع حملة، حتى أوقر جملة [(1)] -، وصفوان بن أمية، ومعه حكيم بن
حزام، وحويطب بن عبد العزى، وسهيل بن عمرو، والحارث ابن هشام [(2)] ، وعبد الله بن
أبي ربيعة، فلما كانت الحرب وقفوا خلف الناس.

تعبة المسلمين

وعبأ مالك بن عوف أصحابه في الليل بوادي حنين، وعبأ له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في
السحر، ووضع الألوية والرايات في أهلها. فحمل رايات المهاجرين: عليّ وسعد بن أبي وقاص،
وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وحمل رايات الأنصار الحباب بن المنذر، وقيل كان لواء

الخزرج الأكبر مع سعد بن عباد، ولواء الأوس مع أسيد بن حضير. وفي كل بطن لواء أو راية. وكانت رايات المهاجرين سودا وألويتهم بيضاء، ورايات الأنصار خضرا وحمرا، وكانت في قبائل العرب رايات، وبقيت سليم كما هي في مقدمة الخيل، وعليهم خالد بن الوليد.

المسير إلى القتال

وانحدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه في وادي حنين. وهو على تعبته وقد ركب بغلته البيضاء دلدل، وليس درعين والمغفر والبيضة، وحضَّ على القتال، وبشر بالفتح إن صدقوا وصبروا.

انهزام المسلمين

فاستقبلتهم هوازن في غبش الصبح [(3)] بكثرة لم يروا مثلها قط، وحملوا على المسلمين حملة واحدة، فانكشف أول الخيل خيل [بني] [(4)] سليم مؤلّبة، فولوا وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء.

[(1)] أوقر الجمل: أثقل حملة.

[(2)] كذا في (خ) و (الواقدي) ج 3 ص 895، وهو غريب، فمن الثابت أن أبا سفيان بن حرب أسلم ليلة الفتح، ومعاوية أسلم يوم الفتح، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضا.

[(3)] غبش الصبح: الظلمة يخالطها البياض في بقية الليل.

[(4)] زيادة للسياق.

(12/2)

انهزام المشركين بغير قتال

فالتفت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمينا وشمالا - والناس منهزمون حتى بلغوا مكة، فلم يرجع آخرهم إلا والأسارى بين يدي النبي عليه السلام - وهو يقول: يا أنصار الله وأنصار رسول الله؟ أنا عبد الله ورسوله!! ثم تقدّم بحريته أمام الناس، وانهزم المشركون، وما ضرب أحد من المسلمين بسيف ولا طعن برمح.

ورجع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العسكر، وأمر أن يقتل كل من قدر عليه من المشركين، وقد ولت هوازن، وثاب من انهزم من المسلمين.

الذين ثبتوا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْهَزِيمَةِ
ولم يثبت معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت الهزيمة إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد
أخذ [(1)] بثغر البلغة، والعباس وقد أخذ بحكمتها [(2)] ، وهو يركضها إلى وجه العدو،
وينوّه باسمه
فيقول:
أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

دعوة المنهزمين

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا عباس! اصرخ: يا معشر الأنصار! يا أصحاب السّمة [(3)] !
فنادى بذلك - وكان رجلاً صيِّتاً [(4)] - ، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنّت إلى أولادها يقولون يا
لبيك ... يا لبيك! فأشرف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالممتطاول في ركابه، فنظر إلى قتالهم وقال:
الآن حمي الوطيس! ثم أخذ بيده من الحصا فرماهم به وهو يقول: شأهت الوجوه، حم لا
ينصرون! ثم قال: انخزموا وربّ الكعبة! فما زال أمرهم مدبراً
وانخزموا: فانحاز صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات اليمين، وهو على بغلته قد جرّد سيفه.

-
- [(1)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، وأثبتناها من (الواقدي) ج 2 ص 898 ومعناها:
السير في مؤخر السرعة (ترتيب القاموس) .
[(2)] الحكمة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذران (ترتيب القاموس) .
[(3)] السّمة: قال في (النهاية) الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.
[(4)] صيِّتاً: عالي الصوت رفيعه.

(13/2)

عدد من ثبت معه

وثبت معه [(1)] سوى من ذكرنا: عليّ، والفضل بن عباس، وربيعة ابن الحارث [بن عبد
المطلب] [(2)] ، وأيمن بن عبيد الخزرجي، وأسامه بن زيد، وأبو بكر وعمر، رضي الله عنهم.
وقيل لما انكشف الناس عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخارثة بن النعمان الأنصاري:
كم ترى الناس الذين ثبتوا؟ فحرزهم مائة، وهذه المائة هي التي كرت بعد الفرار، فاستقبلوا

هوازن واجتلدوهم [(3)] وإياهم وكان دعاؤه يومئذ - حين انكشف الناس عنه، فلم يبق إلا في المائة الصابرة-:

اللَّهُمَّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان [(4)] !

ويقال إن المائة الصابرة يومئذ: ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وسبعة وستون من الأنصار، وكان عليّ، وأبو دجانة، وعثمان بن عفان، وأيمن بن عبيد رضي الله عنهم يقاتلون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

خبر على وقتاله يوم حنين

قال الحارث بن نوفل: فحدثني الفضل بن العباس قال: التفت العباس يومئذ وقد أقشع [(5)] الناس عن بكرة أبيهم - فلم ير عليا فيمن ثبت، فقال: شوهة وبوهة [(6)] ! أو في مثل هذه [(7)] الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه!! [يعني المواطن المشهورة له] فقلت: بعض قولك لابن أخيك! أما تراه في الرهج؟ قال: أشعره [(8)] لي يا بني. قلت ذو كذا، ذو كذا، ذو البردة. قال: فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يرفل [(9)] به بين

[(1)] في (خ) «وما معه» .

[(2)] زيادة للبيان من (ط) .

[(3)] اجتلدوا: ضربوا بالسيف.

[(4)] في (الواقدي) ج 2 ص 901 بعد قوله «المستعان» «قال له جبريل: لقد لقت

الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه» ومعنى لقن: فهم.

[(5)] أقشع الناس: تفرقوا.

[(6)] في (خ) «شوهة وبوهة» وهذا يقال في الدعاء والذم، كذا في (ط) ولم أجد المثل في مجمع

الأمثال ولا في جمهرة الأمثال.

[(7)] في (خ) ، (ط) «هذا» وما أثبتناه حق اللغة.

[(8)] الرهج: غبار الحرب وأشعره لي: أذكر لي شعاره الذي يعرف به بين رفقته

[(9)] يرفل: يتبختر.

الأقران [(1)] . فقال برّ ابن برّ؟ فداه عم وخال! قال: فضرب عليّ يومئذ أربعين مبارزا كلهم يقده حتى يقدّ أنفه وذكره. قال: وكانت ضرباته منكرة.

قتال أم عمارة وصواحباتها

وكانت أم عمارة في يدها سيف صارم، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها وهي يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة، وأم سليط، وأم الحارث - حين انهزم الناس - يقاتلن: وأم عمارة تصبح بالأنصار: آية عادة هذه! ما لكم وللفرار! وشدّت على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه.

موقف رسول الله صلى الله عليه وسلّم

ورسول الله صلى الله عليه وسلّم قائم مصلت السيف بيده، وقد طرح غمده ينادي:
يا أصحاب سورة البقرة! فكّر المسلمون، وجعلوا يقولون: يا بني عبد الرحمن! يا بني عبد الله! يا بني عبيد الله! يا خيل الله - وكان صلى الله عليه وسلّم قد سمّي خيله خيل الله - [وكان شعار]
(2) [المهاجرين بني عبد الرحمن، وشعار الأوس بني عبيد الله، وشعار الخزرج بني عبد الله] .
فكّرت الأنصار، ووقفت هوازن حملة ناقة [(3)] ، ثم كانت هزيمتهم أقبح هزيمة، والمسلمون يقتلون ويأسرون.

تحريض أم سليم

وأم سليم بنت ملحان تقول: يا رسول الله! ما رأيت هؤلاء الذين أسلموا وفرّوا عنك وخذلوك! لا تعف عنهم إذا أمكنتك الله منهم، تقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين! فقال: يا أم سليم! قد كفى الله، عافية الله أوسع.

النهي عن قتل الذرية

وحق المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى شرعوا [(4)] في قتل الذرية. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية!

[(1)] الأقران: النظائر والأكفاء.

[(2)] في (خ) «وجعل شعار» .

[(3)] في (خ) «حملت» ، والمعني: وقفوا مقدار ما تحمل الناقة رحلها.

[(4)] في (خ) «أشرعوا» .

ألا لا تقتل الذرية، فقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله! أليس إنما هم أولاد المشركين؟! فقال: أوليس خياركم أولاد المشركين؟ كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهودانها أو ينصرانها [(1)] .!

خبر النمل

وقال جبير بن مطعم: لما تراءينا نحن والقوم، رأينا سوادا لم نر مثله قط كثرة، وإنما ذلك السواد نعم فحملوا النساء عليه. فأقبل مثل الظلّة السوداء من السماء، حتى أظلت علينا وعليهم وسدّت الأرض. فنظرت فإذا وادي حنين يسيل بالنمل، نمل أسود مبعوث. لم أشكّ أنه نصر أيدنا الله به، فهزمهم الله. وحدث شيوخ من الأنصار قالوا: رأينا كالبجد [(2)] السود هوت من السماء ركاما فنظرنا فإذا نمل مبعوث، فإن كنا لننفضه عن ثيابنا، فكان نصرا أيدنا الله به.

نصر الملائكة

وكانت سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمرا [(3)] قد أرخوها بين أكتافهم، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يومئذ كوقع الحصاة في الطّست: له طنين، فيجدون في أجوافهم مثل ذلك. ولم رمي رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذلك الكفّ من الحصا، لم يبق أحد من المشركين إلا وهو يشكو القذى في عينه. ويجدون في صدورهم خفقانا كوقع الحصا في الطّساس [(4)] : ما يهدأ ذلك عنهم. ورأوا رجالا بيضا على خيل بلق، عليهم عمائم حمرا قد أرخوها بين أكتافهم، وهم بين السماء والأرض: كتائب، فما كانوا يستطيعون أن يتأملوهم من الرعب منهم.

القتلى في ثقيف

استحرّ القتل من ثقيف [في] [(5)] بني مالك، فقتل منهم قريب من مائة رجل تحت رايتهم، وقتل ذو الحمار، وهربت ثقيف.

[(1)] أي يحملانها على شريعة يهودية أو نصرانية.

[(2)] البجد: جمع بجاد: وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب.

[(3)] في (خ) «حمر» .

[(4)] الطساس: جمع طست.

[(5)] زيادة للسياق من (ابن هشام) ج 4 ص 69.

(16/2)

إسلام شيبية بن عثمان

وكان شيبية بن عثمان بن أبي طلحة، قد تعاهد هو وصفوان بن أمية يومئذ إن رأيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم دبرة أن يكون عليه، وهما خلفه. قال شيبية: فأدخل الله الإيمان قلوبنا. ولقد هممت بقتله، فأقبل شيء حتى يغشى فؤادي، فلم أطق ذلك، وعلمت أنه قد منع مني وفي رواية: غشيتني ظلمة حتى لا أبصر، فعرفت أنه ممتنع مني، وأيقنت بالإسلام. وفي رواية: أن شيبية قال: لما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غزا مكة فظفر بها وخرج إلى هوازن، قلت: أخرج لعلي أدرك ثأري! وذكرت قتل أبي يوم أحد [قتله حمزة] ، وعمي [قتله علي] ، فلما انهزم أصحابه جنته عن يمينه، فإذا العباس قائم علي درع بيضاء كالفضة، فقلت: عمه! لن يخذله! فلما جنته عن يساره، فإذا بأبي سفيان بن الحارث، فقلت: ابن عمه! ولن يخذله [(1)] ! فجنته من خلفه، فلم يبق [(2)] إلا أسوره بالسيف [(3)] ، إذ رفع لي - فيما بيني وبينه - شواظ [(4)] من النار كأنه برق، وخفت أن يحشني [(5)] ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري، فالتفت إليّ وقال: يا شيب! أدن مني! فوضع يده على صدري وقال: اللهم أذهب عنه الشيطان! فرفعت رأسي إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري وقلبي، ثم قال: يا شيب! قاتل الكفار! فتقدمت بين يديه أحبّ والله أقيه بنفسي وبكلّ شيء. فلما انهزمت هوازن، رجعت إلى منزله ودخلت عليه، فقال: الحمد لله الذي أراد بك خيرا مما أردت. ثم حدثني بما هممت به.

خبر المنافقين

ولما كانت هزيمة المسلمين، تكلم قوم بما في نفوسهم من الضغن والغش، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر؟ فقال [أبو مقيت ابن سليم] [(6)] : أما والله لولا أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عن قتلك لقتلتك!

[(1)] في (خ) «أن يخذله» .

[(2)] في (خ) «أبق» .

[(3)] تسوره: علاه، أي يعلوه فيأخذه بالسيف.

[(4)] في (خ) «شوظ» .

[(5)] يمشخي: يحرق الجلد حتى يبدو العظم.

[(6)] كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) ج 3 ص 910 «يقول رجل من أسلم يقال له أبو مقيت ... إلخ» .

(17/2)

وقال كلدة بن حنبل - أخو صفوان لأمه - ألا بطل سحر محمد اليوم! فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك! لأن يربّي ربّ من قريش أحبّ إليّ من أن يربّي ربّ من هوازن! وقال سهيل بن عمرو: [والله] [(1)] لا يجتبرها [(2)] محمد وأصحابه [أبدا] [(1)] ! فقال له عكرمة [بن أبي جهل] [(1)] : إنّ هذا ليس بقول! إنّما الأمر بيد الله، وليس إلى محمد الأمر شيء! إن أدبيل [(3)] عليه اليوم فإن له العاقبة [(4)] غدا. فقال له سهيل: والله إن عهدك بخلافه لحديث! قال: يا أبا يزيد، إنا كنا والله نوضع في غير شيء وعقولنا عقولنا [(5)] نعبد حجرا لا ينفع ولا يضرّ!!

النهي عن قتل النساء والمماليك

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بامرأة مقتولة: قتلها خالد بن الوليد، فبعث إليه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ينهاك أن تقتل امرأة أو عسيفا [(6)] .

خبر بني سليم

ولما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلّم هوازن، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم، نادى بنو سليم: ارفعوا عن بني أمكم القتل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم اللّهمّ عليك ببني بمكة! أمّا في قومي فوضعوا السّلاح وضعاً، وأمّا عن قومهم فرفعوا رفعاً، [وبكمة بنت مرّ أم سليم، وهي أخت تميم بن مرّ] .

خبر بجاد السعدي

وأمر عليه السلام بطلب القوم، وقال: إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنّ منكم! وكان [بجاد] [(7)] من بني سعد [بن بكر بن هوازن] [(7)] وقد قطعّ رجلا مسلما وحرّقه بالنار، فأخذته الخيل، وضمّوه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العزّي - أخت رسول الله صلى

الله عليه وسلّم من الرضاعة- وأتوا بهما فرحب بالشيء وأجلسها على

- [(1)] زيادة للبيان.
- [(2)] يجتبرها: يصلحها.
- [(3)] [أديل: من الدولة بمعنى النصر.
- [(4)] [في (خ) «العافية» .
- [(5)] [كذا في (الواقدي) ج 3 ص 911، وفي بعض كتب السيرة «وعقولا ذاهبة» .
- [(6)] [العسيف: «الأجير» .
- [(7)] [زيادة للبيان.

(18/2)

ردائه، وأعطاه- بعد ما أسلمت- ثلاثة أعبد وجارية، فاستوهبته بجادا فوهبه لها.

هزيمة هوازن وقتل دريد بن الصمة

ومرت هوازن في هزيمتها إلى الطائف، وإلى أوطاس، وإلى نخلة. فسارت الخيل تريد من أتى نخلة. أدرك الربيع بن ربيعة بن رفيع بن أهبان [(1)] بن ثعلبة بن ضبيعة بن يربوع بن سمّال بن عوف بن مريء القيس بن بھثة بن سليم السلمي- [وكان يقال له «ابن الدغنة» ، وهي أمه فغلبت على اسمه] [(2)] - دريد بن الصمة فقتله.

أبو عامر الأشعري

وتوجه أبو عامر الأشعري- أخو أبي موسى [الأشعري] [(2)] - إلى أوطاس، ومعه لواء في عدة من المسلمين، وقد عسكر المشركون، فقاتلهم وقتل منهم تسعة ثم أصيب، فاستخلف أخاه أبا موسى ففتح الله عليه. ولحق مالك بن عوف بالطائف.

الغنائم والسبي

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالغنائم فجمعت. ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغفل! وأصاب المسلمون سبايا، فكانوا يكرهون أن يقعوا عليهنّ ولهنّ أزواج، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن ذلك فأنزل الله والمُحصنات من النساء إلا ما ملكت

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [(3)] وقال صلى الله عليه وسلم يومئذ: لا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها، ولا غير ذات حمل حتى تحيض. وسألوه عن العزل [(4)] ، فقال: ليس من كل الماء

-
- [(1)] في (خ) «أهان» .
[(2)] زيادة للبيان من (ط) .
[(3)] الآية 24/ النساء، وفي (خ) « ... أيمانكم، الآية» .
[(4)] (سنن ابن ماجه) ج 1 ص 620 (باب العزل) حديث رقم 1926، 1927، 1928، و (سنن أبي داود) ج 2 ص 622 وما بعدها (باب ما جاء في العزل) ، حديث رقم 2170، 2171، 2172، 2173.

(19/2)

يكون الولد، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء.

دية عامر بن الأضبط

وقام عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي - وقد قتله محمّد بن جثامة بن قيس الليثي في سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم - بعد ما حيا بتحية الإسلام - فدافع عنه الأقرع بن حابس، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم بالدية فقبلوها.

شارب الخمر

أتي يومئذ بشارب، فأمر عليه السلام من عنده [(1)] فضربوه بما كان في أيديهم، وحثا عليه التراب.

الشهداء والسبي

وجميع من استشهد [(2)] بحنين أربعة [(3)] . وفي هذه الغزاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قتل قتيلاً فله سلبه.
وكان أبو طلحة قد قتل عشرين رجلاً فأعطاه سلبهم.
وذكر الزبير بن بكار:

[()] وقال الخطابي في (معالم السنن) ج 2 ص 624 عند التعليق على الحديث رقم 2172:
«وأخرجه البخاري في النكاح باب العزل رقم 97 (7/42) ومسلم في النكاح باب حكم العزل
حديث رقم 1438 والنسائي في النكاح باب العزل (6/107) ، والعزل: أن يعزل الرجل الماء
عن النساء حذر الحمل.

[(1)] في (خ) «بن عبدة» .

[(2)] في (خ) «ما استشهد» .

[(3)] وهؤلاء هم:

1- من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عبدة.

2- من بني أسد بن عبد العزى: يزيد بن زمعة.

3- ومن الأنصار: سراقبة بن الحارث بن عدي.

4- ومن الأشعرين: أبو عامر الأشعري.

(ابن هشام) ج 4 ص 76.

وفي (الواقدي) ج 3 ص 22: رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوزان بدلاً من يزيد بن زمعة.
وقال محقق (الواقدي) أنه أثبتته عن ابن حزم في (جوامع السيرة) ص 244 (تعليق رقم 1) ص
922 (من الواقدي) .

(20/2)

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي يوم حنين ستة آلاف - بين غلام وامرأة - فجعل عليهم
أبا سفيان بن حرب. ومات رجل من أشجع أيام حنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
صلّوا على صاحبكم فإنه قد غلّ.
فنظروا. فإذا في برديه خرز لا يساوي درهمين.

غزوة الطائف

ثم كانت غزوة الطائف.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح حنينا، بعث الطفيل ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سالم بن فهم الدوسي إلى ذي الكفين - صنم عمرو بن حمه - يهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف، وقال له:

أفش السلام، وأبذل الطعام - واستحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله [(1)] ،
إذا أسأت فأحسن، إنَّ الحَسَنَاتِ يُدْهِئُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ [(2)] .

فخرج إلى قومه فهدم ذا الكفين، وجعل يحشو النَّارَ في وجهه ويحرقه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبَّاكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا

أنا حششت [(3)] النار في فؤادكا

ووافي معه بأربعمائة، بعد ما قدم عليه السلام الطائف بأربعة أيام، ومعه دبابة، ومنجنيق. ويقال:

بل اتخذ المنجنيق سلمان الفارسي، وقدم بالدبابة خالد بن سعيد ابن العاص من جرش [(4)]

. وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسك من خشب [(5)] يطيف بعسكره.

[(1)]

كذا في (خ) ، (ط) وفي (الواقدي) ج 3 ص 922 «كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله»
وذو الهيئة: ذو الوقار.

[(2)] نص الآية 114/ هود كالاتي: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ
يُدْهِئُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ.

[(3)] في (الواقدي) ج 3 ص 923 «حشوت النار في فؤادكا» . وحش النار: جمع إليها ما
تفرق من الحط.

[(4)] في (خ) «بن جرش» وجرش اسم مدينة سبق شرحها اسمها راجع (معجم البلدان) ج 2
ص 127.

[(5)] الحسك: نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، ورقه كورق الرجلة وأدق، وعند ورقه شوك
ملزز صلب ذو ثلاث شعب، وله ثمر شربه يفتت حصى الكلتيين والمثانة. وكذا شرب عصير
ورقه جيد للباءة، وعسر البول ونهش الأفاعي، ورشه في المنزل يقتل البراغيث، ويعمل في مثال
شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب. فيلقى حول العسكر ويسمى باسمه. (ترتيب القاموس ج
1 ص 641).

بعثة خالد بن الوليد على المقدمة

وقدّم صلى الله عليه وسلّم خالد على مقدّمته، وبعث بالسبي والغنائم إلى الجعرانة مع بديل ابن ورقاء الخزاعيّ، وسار إلى الطائف وقد رمّوا حصنهم، ودخل فيه من انهمز من أوطاس، واستعدوا للحرب وأتي صلى الله عليه وسلّم- في طريقه بليّة [(1)] - برجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل، فضرب أولياؤه عنقه، وكان أول دم أقيد [(2)] به في الإسلام، وحرّق بليّة [(3)] قصر مالك بن عوف.

منزل المسلمين بالطائف

ثم نزل قريبا من حصن الطائف وعسكر به، فرموا بنبل كثير أصيب به جماعة من المسلمين بجراحة، فحوّل عليه السلام أصحابه، وعسكر حيث لا يصيبهم رمي أهل الطائف، وثار المسلمون إلى الحصن، فقتل يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيّ الأسدي، فظفر أخوه يعقوب بن زمعة بهذيل بن أبي الصلت، [أخي أمية بن الصلت]. وقال: هذا قاتل أخي! فضرب عنقه، وأقام صلى الله عليه وسلّم على حصار الطائف ثمانية عشر يوما، وقيل تسعة عشر يوما، وصحح ابن حزم إقامته عليه السلام بضعة عشرة ليلة وفي الصحاح عن أنس بن مالك قال: فحاصرناهم أربعين يوما. يعني ثقيفا.

مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم

فكان في إقامته يصلي ركعتين بين قبتين قد ضربتا لزوجتيه أم سلمة وزينب رضي الله عنهما. فلما أسلمت ثقيف، بني أمية بن عمرو بن وهب بن معتب ابن مالك [(4)] على مصلى النبي صلى الله عليه وسلّم مسجدا، وكان فيه سارية- [فيما

[(1)] ليّة: من نواحي الطائف مرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين انصرافه من حنين

يريد الطائف (معجم البلدان) ج 5 ص 30.

[(2)] من القود: وهو القصاص.

[(3)] في (خ) «وحرّق عليه» .

[(4)] كذا في (خ) ، (ط) ، واسمه محل خلاف عند أهل السير، ففي (الواقدي) ج 3 ص

927 «أمية ابن عمرو بن وهب» وفي (ابن هشام) ج 4 ص 94: «عمرو بن أمية بن وهب»

وفي (الطبري) ج 3 ص 84 «أبو أمية بن عمرو بن وهب» .

يزعمون] [(1)] - لا تطلع الشمس عليها [يوما] [(1)] من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرار، وكانوا يرون أن ذلك تسييح [(2)] .

محاصرة حصن الطائف

ونصب صلى الله عليه وسلم المنجنيق على حصن الطائف، وقد أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقد عمله بيده، وقيل: قدم به يزيد بن زمعة ومعه دبابتان [(3)] ، وقيل: قدم به الطفيل بن عمرو: وقيل: قدم به وبدابتين خالد بن سعيد من جرش [(4)] ونثر صلى الله عليه وسلم الحسك حول الحصن، ودخل المسلمون تحت الدابتين، ثم زحفوا [(5)] بها إلى جدار الحصن ليحفروه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك [(6)] الحديد محماة بالنار فحرقت الدابتين - وكانت من جلود البقر - فأصيب من المسلمين جماعة، وخرج من بقي من تحتها فقتلوا بالنبل. فأمر عليه السلام بقطع أعناقهم وتحريقها، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً. فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي: يا محمد! لم تقطع أموالنا؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإما أن تدعها [لله] [(7)] وللرحم كما زعمت! فقال عليه السلام: لله وللرحم! وكف عنها.

النازلون من حصن الطائف

ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر [(8)] ! فخرج بضعة عشر رجلاً: أبو بكر، والمنبعث، والأزرق [أبو عقبة الأزرق] ، ووردان، ويحّس النّبال، وإبراهيم بن جابر، ويسار، ونافع، وأبو السائب [(9)] ، ومرزوق، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، ودفع كلّ رجل منهم إلى رجل من

[(1)] زيادة من الطبري ج 3 ص 84 وابن هشام ج 4 ص 94.

[(2)] في (خ) «تسييحا» .

[(3)] في (خ) «دبابتين» .

[(4)] في (خ) «بن جرش» .

[(5)] في (خ) «زحفوا» .

[(6)] السكة: الحديد التي يحرث بها الأرض.

[(7)] زيادة للسياق.

[(8)] يقول ابن كثير في (البداية والنهاية) ج 4 ص 347: [هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج ابن أرطاة وهو ضعيف، ولكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا، فعنده أن كل

عبد جاء من دار الحرب إلى دار السلام عتق حكما شرعيا مطلقا عاما، وقال آخرون: إنما كان هذا شرطا لا حكما عاما، ولو صح هذا الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام: «من قتل قتيلًا فله سلبه» [.
[(9)] كذا في (ط) وفي (خ) «ونافع أبو السائب» وهي رواية (الواقدي) ج 3 ص 931 .

(23/2)

المسلمين يمونه ويحمّله، وأمرهم أن يقرؤهم القرآن ويعلموهم السنن، فشق ذلك على أهل الطائف.

خير هيت وماتع

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته فاخنة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، يقال له «ماتع» وآخر يقال «هيت». وكان «ماتع» [(1)] ، يدخل بيوته ويرى أنه لا يفتن لشيء من أمر النساء ولا إربة له، فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد، [ويقال لعبد الله بن أبي أمية [(2)] بن المغيرة]: إن افتتح رسول الله الطائف غدا فلا تفلتن منك بادية بنت غيلان! فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، وإذا جلست تثنت، وإذا تكلمت تغنت وإذا اضطجعت تمتت، وبين رجلها مثل الإناء المكفأ، مع ثغر كأنه الأبقحوان [(3)] ، فقال عليه السلام: ألا أرى هذا الخبيث يفتن لما أسمع!! لا يدخلن على أحد من نسائكم! وغرّبهما إلى الحمى، فتشكيا الحاجة [(4)] ، فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة يسألان ثم يرجعان إلى مكاتهما.

فلما توفّي عليه السلام ودخلا مع الناس، أخرجهما أبو بكر رضي الله عنه، فلما توفّي [دخلا مع الناس، أخرجهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلما توفّي] [(5)] دخلا مع الناس.

[(1)] يقول (ابن حجر) في (فتح الباري) ج 9 ص 334: «وحكى أبو موسى المدني في كون ماتع لقب هيت أو العكس أو أنهما اثنان خلافا، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال: كان هيت مولى عبد الله ابن أبي أمية، وكان ماتع مولى فاخنة» :

[(2)] في (خ) «عبد الله بن أمية» .

[(3)] «قال الخطابي: يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رثيت مواضع بارزة متكسر بعضها على بعض، وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبها ثمانية،

وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمنية من النساء، وجرت عادة الرجال غالباً في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة». (المرجع السابق) ص 335.

والعكنة: ما انطوى وثني من لحم البطن (ترتيب القاموس ج 3 ص 288).
والثغر: الفم والأسنان.

والأقحوان: نبت زهره أصفر أو أبيض، ورقه مؤلل كأسنان المنشار، وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه. (المعجم الوسيط) ج 1 ص 22.

[(4)] في (خ) «فشكبا» .

[(5)] ما بين القوسين زيادة للسياق من (الواقدي) ج 3 ص 934 بمعناه.

(24/2)

خبر خولة بنت حكيم

وقالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص السلمية امرأة عثمان بن مظعون:
يا رسول الله، أعطني - إن فتح الله عليك [الطائف] [(1)] - حلى الفارعة بنت الخزاعي [(2)]
أو بادية بنت غيلان. فقال لها: وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خولة! فذكرت ذلك
لعمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! ما حديث حدثني خولة بنت أنك قلت [(3)] ! قال:
ولم يؤذن لك فيهم؟ قال: لا! قال أفلا أؤذن في الناس [(4)] بالرحيل؟ قال: بلى.

أذان عمر بالرحيل عن الطائف

فأذن عمر بالرحيل، فشق على المسلمين رحيلهم بغير فتح. ورحلوا، فأمرهم عليه السلام أن
يقولوا: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده فلما استقلوا
المسير قال: قولوا آثبون إن شاء الله آثبون عابدون لربنا حامدون [(5)] . وقيل له لما ظعن:
يا رسول الله: أذع الله على ثقيف! فقال:
اللهم أهد ثقيفا وأت بهم! وكان من استشهد بالطائف أحد عشر رجلا [(6)] .

خبر أبي رهم

وسار صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة. فبينما هو يسير - وأبو رهم الغفاري إلى جنبه على ناقه
له، وفي رجله نعلان غليظتان - إذ زحمت ناقته ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقع حرف

نعله على ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوجعه فقال: أوجعتني! [آخر رجلك! وقرع
رجله بالسوط، وقال أبو رهم: فأخذني ما تقدم من أمري وما تأخر،

[(1)] زيادة للسياق من (ط) .

[(2)] كذا في (خ) ، و (ط) ، و (الواقدي) ج 3 ص 935 وفي ابن هشام ج 4 ص 95
«الفارعة بنت عقيل» .

[(3)] كذا في (ط) ، وفي (خ) «حديث خولة ما حدثني ... » وفي «الواقدي» ج 3 ص
935 «حدثت خولة ما حدثني أنك قلتها» . وفي (ابن هشام) ج 4 ص 95. «ما حديث
حدثتني خويلة زعمت أنك قلتها؟ قال: قد قلتها» .

[(4)] في (خ) «للناس» .

[(5)] [الأذكار للنووي ص 203، باب ما يقول إذا رجع من سفره.

[(6)] وفي (ابن سعد) ج 2 ص 158 «اثني عشر رجلا» .

(25/2)

وخشيت أن ينزل في قرآن لعظيم ما صنعت، فلما أصبحنا بالجعرانة، خرجت أرعي الظهر - وما
هو يومي - فرقا أن يأتي للنبي عليه السلام رسول يطلبني! فلما رَوَّحت الركاب سألت. فقالوا
طلبك النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: إحداهنّ والله [(1)] !
فجنته وأنا أترقب. فقال: إنك [أوجعتني] [(2)] برجلك فقرعتك بالسوط، فخذ هذه الغنم
عوضا من [(3)] ضربتي

[قال أبو رهم: فرضاه عني كان أحب إلي من الدنيا وما فيها] [(4)] .

وحادثة عبد الله بن أبي حدرد [(5)] الأسلمي في مسيره، فلصقت ناقته بناقة النبي صلى الله
عليه وسلم فأصاب رجله، فقال:

أخّ [(6)] !! أوجعتني! ودفع رجل عبد الله بمحجن في يده، فلما نزل دعاه وقال له: أوجعتك
بمحجني البارحة! خذ هذه القطعة من الغنم. فأخذها فوجدها ثمانين شاة ضائنة [(7)] . ولما
أراد أن يركب من قرن [(8)] راحلته، وطئ له على يدها أبو روعة الجهني، ثم ناوله الزمام بعد
ما ركب، فخلّف عليه السلام الناقة بالسوط، فأصاب أبا روعة فالتفت إليه وقال: أصابك
السوط؟ قال: نعم، بأبي وأمي:

فلما نزل الجعرة صاح: أين أبو روعة! قال: ها أنا ذا! قال خذ هذه الغنم بالذي أصابك من

الستوط أمس.

فوجدتها عشرين ومائة.

خبر سراقه بن مالك بن جعشم

ولقيه سراقه بن مالك بن جعشم وهو منحدر إلى الجعرانة، فجعل الكتاب الذي كتبه أبو بكر رضي الله عنه بين إصبعيه ونادى: أنا سراقه، وهذا كتابي! فقال عليه السلام: هذا يوم وفاء وبر، فأذنوه منه، فأسلم وساق إليه الصدقة.

[(1)] إحدى الدواهي التي كان يتوقعها.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] في (خ) (عن) وما أثبتناه من (المغازي) ج 3 ص 939.

[(4)] زيادة يتم بها الخبر من المرجع السابق.

[(5)] في (خ) (جدر)، والتصويب من المرجع السابق.

[(6)] كذا في (خ)، (ط)، وفي (المغازي) أ.خ.

[(7)] الضأن من الغنم: ذو الصوف والأنتى ضائنة.

[(8)] قرن: قال القاضي عياض: «قرن المنازل، وهو قرن الثعالب بسكون الراء: ميقات أهل

نجد تلقاء مكة على يوم وليلة». (معجم البلدان) ج 4 ص 332.

(26/2)

وسأله عن الضالة من الإبل تغشى حياضه، وقد ملأها لإبله، فهل له من أجر إن سقاها؟ فقال عليه السلام: نعم! في كل ذات كبد حرّى [(1)] أجرا.

هدية رجل من أسلم

واعترض له رجل من أسلم معه غنم فقال يا رسول الله! هذه هدية قد أهديتها لك! - وكان قد أسلم وساق صدقته إلى بريدة بن الحصيب لما خرج مصدقا- فقال صلى الله عليه وسلم: نحن على ظهر كما ترى، فالحقنا بالجعرانة، فخرج يعدو عراض ناقة [(2)] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول. يا رسول الله! تدركني الصلاة وأنا في عطن الإبل [(3)] ، أفأصلي فيه؟ قال: لا! قال: فتدركني وأن في مراح الغنم [(4)] ، أفأصلي فيه؟ قال: نعم! قال: يا رسول

الله! ربما تباعد بنا الماء ومع الرجل زوجته، فيدنو منها؟ قال: نعم! ويتيمم. قال: يا رسول الله! وتكون فينا الحائض؟ قال: تتيمم! فلحقه عليه السلام بالجعرانة فأعطاه مائة شاة.

سؤال الأعراب

وجعل الأعراب في طريقه يسألونه [أن يقسم عليهم فيئهم من الإبل والغنم] [(4)] ، وكثروا عليه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فنزعته [(5)] ، فوقف وهو يقول: أعطوني ردائي! لو كان عدد هذا العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا.

منزله بالجعرانة

وانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس خلون من ذي القعدة، والسبي والغنائم بها محبوسة، وقد اتخذ السبي حظائر يستظلون بها من الشمس، وكانوا ستة آلاف،

[(1)] أي في كل روح من الحيوان أجر.

[(2)] في (خ) (يعدو إعراض ناقته رسول الله) ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 942، ومعناه كما في النهاية: أي يسير حذاءه معارضا له.

[(3)] العطن: مبرك الإبل. المراح: الموضع الذي تروح الماشية إليه ليلا لتبيت فيه.

[(4)] زيادة للبيان.

[(5)] في (الواقدي) «فنزعته عن مثل شقة القمر» ج 3 ص 942.

(27/2)

والإبل أربعة وعشرين ألف بعير - فيها اثنا عشر ألف ناقه - والغنم أربعين ألفا، وقيل أكثر. فأمر بسر [(1)] بن سفيان الخزاعي يقدم مكة فيشتري للسبي ثيابا يكسوهم، وكساهم كلهم. واستأذنا صلى الله عليه وسلم بالسبي، وأقام يتربص أن يقدم وفدهم وكان قد فرق منه وهو بجنين، فأعطى عبد الرحمن بن عوف امرأة. وأعطى صفوان ابن أمية، وعليا، وعثمان، وعمر، وجبير بن مطعم، وطلحة بن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح، والزيبر بن العوام رضي الله عنهم.

عطاء المؤلفلة قلوبهم

فلما رجع إلى الجعزانة بدأ بالأموال فقسّمها، فأعطى المؤلفة قلوبهم أوّل الناس، وكان مما غنم أربعة آلاف أوقية فضة.

عطاء أبي سفيان

فجاء أبو سفيان بن حرب والفضّة بين يديه، فقال: يا رسول الله! أصبحت أكثر قريش مالا! فتبسّم عليه السلام، فقال أبو سفيان: أعطني من هذا يا رسول الله، قال: يا بلال، زن لأبي سفيان أربعين أوقية، وأعطوه مائة من الإبل. قال: ابني يزيد! قال: زنا ليزيد أربعين أوقية، وأعطوه مائة من الإبل. قال: ابني معاوية يا رسول الله! قال: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطه مائة من الإبل. قال أبو سفيان: إنك لكريم فداك أبي وأمي! والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت! ثم سالمتك فنعم المسالم أنت.

عطاء حكيم بن حزام

وسأل حكيم بن حزام يومئذ من الإبل فأعطاه، ثم سأل مائة فأعطاه، ثم قال [صلى الله عليه وسلم] [(2)] : يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوة. فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس [(3)] لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا [(4)] خير من اليد السفلى [(5)] ، وأبدأ بمن تعول [(6)] .
فأخذ

[(1)] في (خ) «بشر» وما أثبتناه من كتب السيرة.

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] إشراف النفس: تطلعها إلى المال بحرص وطمع.

[(4)] اليد العليا: يد المعطي.

[(5)] اليد السفلى: يد السائل.

[(6)] أي بمن تجب عليك نفقتهم.

حكيم المائة الأولى ثم ترك ما عداها.

عطاء النضير بن الحارث

وأعطى النضير بن الحارث بن [علقمة] [(1)] بن كلدة- أخا النضر ابن الحارث- مائة،
وأعطى أسيد بن جارية [(2)]- حليف بني زهرة- مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن جارية
خمسين بعيرا، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وسعيد بن يربوع خمسين بعيرا، وصفوان
بن أمية مائة بعير.

عطاء صفوان بن أمية

وفي صحيح مسلم عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى يومئذ صفوان بن أمية
ثلاثمائة من الإبل. ويقال إنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتصفح الغنائم إذ مرّ
بشعب مما أفاء الله عليه، فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال:
أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال: نعم! قال: هو لك وما هو فيه! فقال: أشهد ما طابت
بهذا نفس أحد قط إلا نبي، وأشهد أنك رسول الله.

عطاء جماعة من المؤلفلة قلوبهم

وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين بعيرا، وأعطى سهيل بن
عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو
خمسين بعيرا، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن الفزاري
مائة من الإبل،

وأعطى أبا عامر العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة [(3)] بن عبد بن عباس بن رفاعة
بن الحارث [ابن يحيى بن الحارث] [(4)] بن بھثة بن سليم [بن منصور السلمي] [(4)]
دون المائة، فعاتب النبي صلى الله عليه وسلم في شعر قاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقطعوا عني لسانه! فأعطوه مائة،
ويقال خمسين بعيرا، وأثبت القولين أن هذا العطاء كان من الخمس.

[(1)] زيادة من نسبه من (ط) .

[(2)] في (خ) «بن حارثة» .

[(3)] في (خ) «جارية» .

[(4)] زيادة من نسبه من (ط) .

منع جعيل بن سراقه من العطاء

وقال يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جعيل بن سراقه الضمري؟! فقال: أما والذي نفسي بيده، لجعيل بن سراقه خير من طلاع [(1)] الأرض كلها مثل عيينة والأقرع، ولكني أتألفهما ليسلما، ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه.

خبر ذي الخويصرة التميمي

وجلس صلى الله عليه وسلم يومئذ، وفي ثوب بلال رضي الله عنه فضة يقبضها للناس على ما أراه الله، فأتي ذو الخويصرة التميمي - (واسمه حرص) : فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: ويلك! فمن يعدل إذا لم أعدل، قال عمر رضي الله عنه: ائذن لي أن أضرب عنقه! قال: دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم [(2)] ، وصيامه مع صيامهم [(2)] ويقراءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [(3)] : [ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافة [(4)] فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه [(5)] - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه [(6)] فلا يوجد فيه شيء [(7)] قد سبق الفرث [(8)] والدم. آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر [(9)] ويخرجون على حين فرقة من الناس [(10)] .

[(1)] في (خ) «طلائع» ، وطلاع الأرض: ملؤها.

[(2)] في (خ) «صلاته مع صلاته» ، «وصيامه مع صيامه» .

[(3)] مرق السهم من الرمية: نفذ فيها وخرج طرفه من الجانب الآخر، والرمية هي الطريدة التي يرميها الصائد.

[(4)] الرصاف: قطعة تلوي فوق مدخل سنخ النصل في عود السهم.

[(5)] النضي: هو من عود السهم.

[(6)] قذذ السهم: جمع قذذ، وهي الريش يكون على السهم. وفي (خ) «في قذذ» .

[(7)] كذا في (ط) ، وفي (خ) «فلا يرى فيه شيئا» ورواية (الواقدي) ج 3 ص 948 «فلا

يرى شيئا» .

- [(8)] الفرت: ما يكون في كرش الحيوان من طعامه.
[(9)] تدردر: قال في (النهاية) : أي ترجرج، تجيء وتذهب.
[(10)] راجع (المغازي للواقدي) ج 3 ص 948.

(30/2)

مقالة رجل من المنافقين

وقال معتب بن قشير العمري يومئذ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي تلك العطايا: إنها لعطايا ما يراد بها وجه الله!! فأخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتغير لونه، ثم قال: يرحم الله أخي موسى! قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر [(1)] .

إحصاء الناس والغنائم وقسمتها

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه بإحصاء الناس والغنائم ثم فضّها [(2)] على الناس. وكانت سهمانهم: لكل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة. وإن كان فارسا أخذ اثنتي عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له.

وفد هوازن وإسلامهم

وقدم وفد هوازن: وهم أربعة عشر رجلا- رأسهم [(3)] أبو صرد زهير ابن صرد الجشمي السعدي- قد أسلموا وأخبروا بإسلام من وراءهم من قومه فقال أبو صرد: يا رسول الله، إننا أصل وعشيرة [(4)] وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفي عليك، إنما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحننا [(5)] للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر. ثم نزل منا أحدهما بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائده [(6)] ، وأنت خير المكفولين.

[وفي رواية [(7)] أنه قال: إنما في هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وبنات خالاتك، وأبعدهن قريب منك يا رسول الله! بأبي أنت وأمّي! حضنك في حجورهن، وأرضعتك بنديهن وتورككنك على أوراكنهن! وأنت خير المكفولين] .

- [(1)] راجع (صحيح البخاري) ج 3 ص 70 .
- [(2)] فضها: فرّقها .
- [(3)] في (خ) «وأسهم» .
- [(4)] كذا في (ط) ، وفي (خ) «أصلك وعشيرتك، وهي رواية (الواقدي) ج 3 ص 950 .
- [(5)] ولو أنا ملحنا: قال في (النهاية) : «أي لو كنا أرضعنا لهما» .
- [(6)] العائدة: الفضل .
- [(7)] هي رواية (الواقدي) ج 3 ص 90 .

(31/2)

امن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندّخر
امن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملأه من محضها الدّرر
امن على نسوة إعتاقها [(1)] قدر ... ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لما الدهر هتّافا على حزن ... على قلوبهم الغمّاء والغمر
اللات [(2)] إذ كنت طفلا كنت ترضعها ... وإذ يزينك [(3)] ما تأتي وما تذر
إلا تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين يختبر
فألبيس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمّل عفوًا منك تلبسه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصر [(4)]
فاعف عفا الله عمّا أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يهدي لك الظفر
تجعلنا كمن شالت نعمته ... واستبق منا فإننا معشر زهر
إنا لنشكر آلاء وإن قدمت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر

جواب رسول الله صلى الله عليه وسلّم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إن أحسن الحديث أصدقه، وعندي ما ترون من
المسلمين، فأبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: يا رسول الله! خيرتنا بين أحسابنا
وأموالنا [(5)] !! وما كنا نعدل بالأحساب شيئا، فردّ علينا أبناءنا ونسائنا. فقال: أمّا ما
[كان] [(6)] لي ولبي عبد المطلب فهو لكم، وأسأل لكم الناس. فإذا [أنا] [(7)]
صليت الظّهر بالناس [فقوموا] [(7)] فقولوا [(8)] : إنا نستشفع برسول الله إلى

المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله! فإني سأقول لكم. ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم،
وسأطلب لكم إلى الناس.

- [(1)] في (الواقدي) «قد عافها قدر» وذكرها (السهيلي) كذا في (الروض الأنف) .
- [(2)] في (خ) «اللّاتي» وفي الواقدي «اللّائي» وكلها بمعنى.
- [(3)] في (خ) ««يريك» وما أثبتناه من (السهيلي) .
- [(4)] في (خ) «تنتصروا» .
- [(5)] كذا في (ط) وفي (خ) و (الواقدي) «وبين أموالنا» .
- [(6)] زيادة للسياق من (ط) .
- [(7)] زيادة للسياق من (ط) .
- [(8)] في (خ) ««فقالوا: وما أثبتناه من (ط) و (الواقدي) .

(32/2)

رضي المهاجرين والأنصار ورد غيرهم

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالناس، قاموا فتكلموا بما أمرهم به، فأجابهم بما تقدّم فقال المهاجرون: فما كان لنا فهو لرسول الله! وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله؟ وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا! وقال عيينة ابن حصن: أما أنا وفزارة فلا! وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا: فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله! فقال عباس: وهنتموني [(1)] .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر هوازن
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً فقال: إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء [(2)] والأبناء والأموال، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء، فمن كان عنده منهن شيء فطابت [(3)] نفسه أن يرده فسيبيل [(4)] ذلك، ومن أبي منكم ويمسك بحقه فليرد عليهم، وليكن فرضا علينا ستّ فرائض من أول ما يفيء الله علينا به! فقالوا: يا رسول الله! رضينا وسلمنا! قال. فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك إلينا حتى نعلم فكان زيد بن ثابت على الأنصار يسألهم: هل سلموا ورضوا؟ فخبروهم أنهم سلموا ورضوا، ولم يتخلف منهم رجل واحد وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المهاجرين يسألهم. فلم

يتخلف منهم أحد، وكان أبو رهم الغفاري يطوف على قبائل العرب. ثم جمعوا العرفاء واجتمع
الأمناء الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتفقوا على قول واحد: أنهم سلموا
ورضوا. ودفعت عند ذلك السبي إليهم. وتمسكت بنو تميم مع الأقرع بن حابس بالسبي، فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء ست فرائض: ثلاث حقاق وثلاث جذاع [(5)] وقال
يومئذ: لو كان ثابتا [(6)] على أحد من العرب ولأه أورك لثبت

[(1)] وهنتموني: أضعفتموني.

[(2)] في (خ) «الشاء»، وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 952.

[(3)] في (خ) «فطبت» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 952.

[(4)] كذا في (ط)، وفي (خ) «فسبل». وفي (الواقدي) «فليسبل».

[(5)] الحقاق: جمع حقه وهي الناقة التي استكملت السنة الثالثة في شبابها. والجذاع جمع
جذعة، وهي التي استكملت الرابعة ودخلت في الخامسة.

[(6)] في (خ) «ثابت».

(33/2)

اليوم، ولكن إنما هو إيسار أو فدية: وجعل أبا حذيفة العدوي على مقاسم المغنم.

سؤاله عن مالك بن عوف

وقال للوفد [(1)] : ما فعل مالك بن عوف؟ قالوا: هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف

فقال: إنه إن يأت [(2)] مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل.

وكان قد حبس أهل مالك بمكة عند [عمتهم أم عبد الله بهمة [(3)] ابنة أبي أمية] [(4)] ،
ووقف ماله فلم تجر فيه السهام. فلما بلغ ذلك مالكا [(5)] مر من ثقيف ليلا، وقدم الجعرانة
وأسلم، وأخذ أهله وماله ومائة من الإبل. ويقال: بل قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة واستعمله على قومه، وعقد له لواء فقاتل أهل الشرك، وأغار على ثقيف وقتلهم وقتل
وغنم كثيرا. وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخمسة مما يغير عليه: فبعث مرة مائة بعير
ومرة ألف شاة.

مقالة الأنصار إذ منعوا العطاء

ولما أعطى رسول الله عطاياه وجد [(6)] الأنصار في أنفسهم - إذ لم يكن فيهم منها شيء - وكثرت القالة، فقال واحد: لقي رسول الله قومه! أما حين القتال فنحن أصحابه! وأما حين القسم فقومه وعشيرته! ووددنا أنا نعلم ممن كان هذا؟

إن كان هذا من الله صبرنا، وإن كان هذا من رأي رسول الله استعبناه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب غضبا شديدا. ودخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له: ما يقول قومك؟ قال: وما يقولون يا رسول الله؟! فذكر له ما بلغه وقال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ فقال يا رسول الله؟! فذكر له ما بلغه وقال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ فقال يا رسول الله، ما أن إلا كأحدهم وأنا لنحب أن نعلم من أين هذا؟ قال: فاجمع لي من كان ها هنا من الأنصار.

فلما اجتمعوا، حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

[(1)] في (خ) «للو قد» .

[(2)] في (خ) «بات»

[(3)] في (خ) «بهمت» .

[(4)] يقول محقق (ط) : «ولم أجد أم عبد الله هذه ولا خبرها» ، ونقول: «أم عبد الله هذه وخبرها بتمامه في (المغازي للواقدي) ج 3 ص 955» .

[(5)] في (خ) «مالك» .

[(6)] وجد الأنصار في أنفسهم: غضب الأنصار في أنفسهم.

(34/2)

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا معشر الأنصار! مقالة بلغتني عنكم؟ وجدة [(1)] وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى! الله ورسوله أمنّ وأفضل! قال: ألا تجيبوني؟ قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال: أما والله لو شئتم قلتكم فصدقتم: آتيتنا مكذبا فصدّقناك! ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأسبناك! [وخائفا فأمنّاك] [(2)] وجدتم في أنفسكم يا مشعر الأنصار في شيء من الدنيا تألّفت به قوما أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس [إلى رحالهم] [(2)] بالشاء والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفسي بيده،

لولا الهجرة لكنت امراً من الأنصار، ولو سلك [(3)] الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار. أكتب لكم بالبحرين كتابا من بعدي تكون لكم خاصة دون الناس؟ قالوا: وما حاجتنا بعدك يا رسول الله؟ قال: إنا لا فسترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإن موعدكم الحوض، وهو كما بين صنعاء وعمان، وآيته أكثر من عدد النجوم. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار [(4)] !! فبكوا حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله حفا وقسما. وانصرفوا [(5)] .

مقامة بالجعرانة

وأقام عليه السلام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة. وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة، وأحرم ولبي حتى استلم الركن. وقيل: لما نظر إلى البيت قطع التلبية، وأناخ راحلته على باب بني شيبية، وطاف فرمل [(6)] في الأشواط الثلاثة. ولما أكمل طوافه سعى بين الصفا والمروة على راحلته، ثم حلق رأسه عند المروة حلقه أبو هند عند بني بياضة، وقيل حلقه خراش بن أمية. ولم يسق هديا. ثم عاد إلى الجعرانة من ليلته، فكان كبائت بها.

[(1)] وجدة: من الموجدة وهي الغضب.

[(2)] زيادة من كتب السيرة.

[(3)] في (خ) «ولولا سلك» .

[(4)] كذا في (ط) ، في (خ) ، و (الواقدي) ج 3 ص 958: (وأبناء أبناء الأنصار) .

[(5)] راجع (صحيح البخاري) ج 3 ص 69، 70، 71.

[(6)] رمل: هرول.

(35/2)

مسيره إلى المدينة

وخرج يوم الخميس على سرف إلى مر الظهران، واستعمل على مكة عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وخلف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والتفقه في الدين.

وقال لعتاب: أتدري على من استعملتك؟ قال: الله ورسوله أعلم! قال: استعملتك على أهل

اللَّهِ، بَلَّغْ عَنِّي أَرْبَعًا: لَا يَصْلِحُ شَرْطَانُ فِي بَيْعٍ، وَلَا يَبِيعُ وَسَلْفٌ، وَلَا يَبِيعُ مَا لَمْ يَضْمَنْ، وَلَا تَأْكُلْ رَيْحَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ [(1)] .

خبر الفتح بالمدينة

وكان أول من قدم المدينة بفتح حنين رجلاً من بني عبد الأشهل، هما: الحارث بن أوس، ومعاذ بن أوس بن عبيد بن عامر [(2)] . وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة.

بعثة عمرو بن العاص إلى ابني الجلندي

وفي هذه السنة - وهي سنة ثمان - بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي بعمان مصدقاً، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم، وأخذ الجزية من الجوس، وهم كانوا أهل البلد. وقيل: كان ذلك في سنة سبع. وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية ثم فارقها.

مولد إبراهيم عليه السلام

فيها ولدت مارية إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة، وفيها أقام عتاب ابن أسيد بالناس الحجّ، وحج الناس على ما كانت عادة العرب تحجّ، وحج ناس

[(1)] (سنن ابن ماجة) ج 2 كتاب التجارات، باب رقم 20 في النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن، حديث رقم 2187، 2188، 2189، ص 737، 738، (المغازي) ج 3 ص 959، و (سنن النسائي) ج 7 ص 288 باب (بيع ما ليس عند البائع) .

[(2)] لم أجد (معاذ بن أوس) هذا في (الإصابة) ولا في (الاستيعاب) ، وهكذا هو في (خ) .

(36/2)

من المشركين على مدّتهم.

فريضة الصدقات وبعثه المصدقين

ثم كانت فريضة الصدقات وبعثه المصدقين للال المحرم سنة تسع، فبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلّم بريدة بن الحصيبي بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح ابن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأسلمي - إلى أسلم وغفار يصدقهم. [ويقال: بل بعث كعب بن مالك الأنصاري ... وبعث عبّاد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة. وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة. وبعث الضحّاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلابي إلى بني كلاب، وبعث بسر [(1)] بن سفيان الكعبي إلى بني كعب. وبعث ابن اللّبيبة الأزديّ إلى بني ذبيان. وبعث رجلا من بني سعد إلى هذيم على صدقاتهم.

خبر بسر على صدقات بني كعب

فخرج بسر [(1)] بن سفيان على صدقات بني كعب، [ويقال: إنما خرج ساعيا عليهم نعيم بن عبد الله التّخام العدويّ] ، فجاء وقد حلّ بنواحيهم من بني تميم: بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وهم يشربون علي غدیر لهم بذات الأشظاظ، [ويقال: على عسفان] ، ثم أمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقة، فحشرت عليه خزاعة الصدقة من كل ناحية، فاستكثرت ذلك بنو تميم، ومنعوا المصدّق وشهروا سيوفهم، ففرّ إلى المدينة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذلك.

خبر خزاعة

وأما خزاعة فإنّها أخرجت التميميين من محالها إلى بلادهم وندب النبيّ صلى الله عليه وسلّم الناس لخرّبهم، فانتدب [(2)] عيينة بن حصن الفزاري، فبعثه في خمسين فارسا ليس فهم مهاجر ولا أنصاريّ. فسار إلى العرج وخرج في آثارهم، حتى وجدهم قد عدلوا من السّقيا يؤمون أرض بني سليم، فلما رأوا الجمع ولوا، وأخذ منهم أحد عشر

[(1)] في (خ) «بشر» .

[(2)] انتدب: أسرع وبادر.

وفد بني تميم

وقدم وفد بني تميم، وهو عشرة من رؤسائهم: عطارد بن حاجب بن زرارة في سبعين، والزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف [(1)] بن بحدلة بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم البهدي التيمي السعدي أبو عياش [(2)] .

[وقيل أبو شذرة] ، وقيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منفر المنقري، وقيس ابن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهتم بن سنان بن خالد بن منفر، والأقرع بن حابس بن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، [والحتات ابن يزيد المجاشعي] [(3)] ، ورباح بن الحارث بن مجاشع، -[وكان رئيس الوفد:

الأعور بن شامة العنبري] [(4)] - ودخلوا المسجد قبل الظهر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها، وقد أذن بلال والناس ينتظرون الصلاة فنادوا: يا محمد! اخرج إلينا! وشهروا أصواتهم فخرج عليه السلام وقيل: إنما ناداه رجل واحد: يا محمد إنّ قدحي رين، وإن شتمي شين! وأقام بلال الصلاة، فتعلقوا به يكلمونه، فوقف معهم ملياً؟، ثم مضى فصلى بالناس الظهر: فلما انصرف إلى بيته ركع [(5)] ركعتين، ثم خرج فجلس.

خطبة عطارد بن حاجب

وقدموا عطارد بن حاجب خطيبهم فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكا، وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثرهم مالا وأكثرهم عددا. فمن مثلنا من الناس؟ ألسنا براءوس الناس وذوي [(6)] فضلهم؟ فمن يفاخر. فليعدد مثل ما عددنا. ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكننا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله. أقول قولي هذا لأن نؤتي بقول

[(1)] في (خ) «خالد» .

[(2)] في (خ) «أبو هياش» .

[(3)] في (خ) ما بين القوسين ما نصه «وحباب» وما أثبتناه من كتب السيرة.

[(4)] زيادة من (ط) .

[(5)] في (خ) «فركع» .

[(6)] في (خ) «وذوي» .

هو أفضل من قولنا.

جواب ثابت بن قيس

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس: قم فأجب خطيبهم.
فقام- وكان من أجهر الناس صوتا- وما درى من ذلك بشيء، ولا هياً قبل ذلك ما يقول،
فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهنّ [(1)] أمره ووسع كلّ شيء
علمه، فلم يكن شيء إلا من فضله، ثم كان ما قدر أن جعلنا ملوكا، اصطفى لنا من خلقه
رسولا، أكرمهم نسبا وأحسنهم زيا، وأصدقهم حديثا. أنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه، وكان
خيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان فأمن المهاجرون من قومه وذوي رحمته [(2)] : أصبح الناس
وجها، وأفضل الناس فعلا. ثم كنا أول الناس إجابة حين [(3)] دعا رسول الله، فنحن أنصار
الله ورسوله، نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه،
ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك، وكان قبله علينا يسيرا، أقول قولي هذا واستغفر الله [لي
ولكم و] [(4)] للمؤمنين والمؤمنات. ثم جلس.

شعر الزبير بن بدر

وقالوا: يا رسول الله ائذن لشاعرنا، فأذن له، فأقاموا الزبير بن بدر فقال:
نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا [(5)] ... فينا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا [(6)] من الأحياء كلّهم ... عند التّهاب وفضل الخير يتبع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا ... من السّديف إذا لم يؤنس الفزع
[ثم ترى التّاس تأتينا سراهم ... من كلّ أرض هوبا ثم تصطنع] [(7)]
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
[فلا ترانا إلى حيّ نفاخرهم ... إلا استقادوا، فكاد الرأس يقتطع

[(1)] في (خ) «فيهما» .

[(2)] في (خ) «وذوي رحمة» .

[(3)] في (خ) «حنين» .

[(4)] زيادة من (ابن كثير) وفي (خ) و (الواقدي) بدون هذه الزيادة.

[(5)] في (خ) ، (الواقدي) «نحن الملوك فلا حي يقاربنا» وما أثبتناه من (تاريخ الطبري) ج 3

[(6)] في (خ) «قرنا» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 977.

[(7)] زيادة من (تاريخ الطبري) ج 3 ص 117.

(39/2)

فمن يقادرننا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تستمع [(1)]
إنا أبينا ولا يأبي لنا أحد [(2)] ... إنا كذلك عند الفخر [(3)] نرتفع
تلك المكارم حزننا [(4)] مقارعة ... إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

شعر حسان

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حسان! أجيبهم.
فقال:

إنّ الدّوائب من فھر وإخوتھم ... قد بینوا [(5)] سنة للناس تتبّع
يرضى بما كلّ من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمّ الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجّية تلك منهم غير محدّثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرقع الناس ما أوھت أكفّهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضمنون عن جار بفضلهم ... ولا يناهم من مطمع طبع [(6)]
إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق الأذنى سبقهم تبع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع
أعفّه ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطمعون ولا يردبهم طمع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... أسد ببيشة في أرساغها فدع [(7)]
لا فخر إن هم أصابوا من عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع [(8)]
إذا نصبنا لحیّ [(9)] لم ندبّ لهم ... كما يدبّ إلى الوحشيّة الدّرع

[(1)] زيادة من (تاريخ الطبري) ج 3 ص 117.

[(2)] في (خ) «إذا أتتنا فلا ينأما أحد» .

[(3)] في (خ) «الفجر» .

[(4)] في (خ) «خرناها» .

[(5)] في (خ) «قد شرعوا» وما أثبتناه من (ديوان حسان) ص 238.
[(6)] في (خ) «طبعوا» وما أثبتناه من (الديوان) ص 238. وفي (ابن هشام وتاريخ
الطبري) :

لا ييخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع
[(7)] في (خ) «فرع» .

[(8)] في (خ) «لا فرح إن أصابوا في عدوهم» وما أثبتناه من (الديوان) ص 239 ورواية
(الواقدي) «لا يفخرون إذا نالوا عدوهم» ج 3 ص 978.
[(9)] في (خ) «وان أصبنا» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 978.

(40/2)

نسمو إلى الحرب نالتنا مخالبتها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا [(1)]
خذ منهم ما أتوا عفوا إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذي منعوا [(2)]
فإن في حربهم فاترك عداوتهم ... سماً غريضا عليه الصاب والسلاع
أهدى لهم مدحه قلب يؤازره ... فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل [(3)] الأحياء كلهم ... إن جدّ بالناس جدّ لقول أو شمعوا [(4)]
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بمقام ثابت وحسان، وخلا الوفد فقالوا:
إن هذا الرجل مؤيد مصنوع له- [وفي رواية: إن هذا الرجل لمؤتى له]- والله لخطيبه أخطب من
خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وهو أحلم منا! فأسلموا، وكان الأقرع [بن حابس] [(5)]
أسلم قبل ذلك.

ما نزل من القرآن في وفد بني تميم

وفيهم نزل قول الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ* إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [(6)] .

رد أسرى بني تميم

فرد عليهم صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي. ويقال: سألوه أن يحسن إليهم في سبيهم، فقال لسمره بن عمرو: هذا يحكم بيننا وبينكم! فقالوا: عمه فينا وهو أفضل منه!

-
- [(1)] في (خ) «من أطرافها خشع» وهي رواية الواقدي، وما أثبتناه من (الديوان) .
[(2)] في (خ) «الذي منه» والتصويب من (الديوان) .
[(3)] في (خ) «فإن أفضل» وما أثبتناه من (الديوان) .
[(4)] في (ط) «أو سمعوا» وصوابها «شمعوا» بالشين المعجمة وهي رواية (خ) ، (الواقدي) .
ومعنى شمعوا: أي هزلوا، وأصل الشمع الطرب واللهاو.
[(5)] زيادة للإيضاح من (ط) .
[(6)] الآيات 2- 5 من سورة الحجرات، وفي (خ) فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ... الآية.

(41/2)

فأبي النبي صلى الله عليه وسلم. فحكّم سمره أن يمين على الشطر ويفدوا الشطر، ففعل.

رئيس وفد بني تميم

كان رئيسهم الأعور بن بشامة العنبري، وكانت أخته صفية سبيت، فعرض النبيّ عليها نفسه فاختارت زوجها، فردّها. وقام عمرو بن الأهمّ يومئذ يهجو قيس ابن عاصم، وقد أجازهم النبيّ صلى الله عليه وسلم كما كان يجيز الوفود إذا قدموا عليه، وقال: هل بقي منكم من لم نجزه؟ فقالوا: غلام في الرّحل. فقال: أرسلوه نجزه! فقال قيس بن عاصم: إنه غلام لا شرف له! فقال: وإن كان، فإنه وافد وله حق!!
فقال عمرو [(1)] شعرا يريد به قيسا. وكانت جوائزهم على يد بلال رضي الله عنه: لكل واحد ثني عشر أوقية ونصف، ولغلام هو أصغرهم خمس أواق.

بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق

ثم

كانت بعثة الوليد بن عقبة [بن أبي معيط] [(2)] إلى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم، فخرجوا يلقونه بالجزر والغنم فرحا به، فوليّ راجعا إلى المدينة، وأخبر أنهم يلقونه بالسلاح ليحولوا بينه وبين الصدقة. فبلغهم ذلك عنه، فقدم وفدهم وقالوا: يا رسول! سل هل ناطقنا أو كلمنا؟ فنزلت

فيه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [(3)] ، فقرأها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وقال: من تحبون أن أبعث إليكم؟

قالوا: عبّاد بن بشر، فخرج معهم يقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام، وقد قال له: خذ صدقات أموالهم، توقّ كرائم أموالهم. فأقام عندهم عشرة ثم انصرف راضيا.

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم

وكانت سرية قطبة بن عامر إلى خثعم في صفر سن تسع، فخرج في عشرين رجلا معهم عشرة أبعرة يتعقبوها، [فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم، فجعل يصيح بالحاضر ويجذرهم. فضربوا عنقه، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشتوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا: وقتل قطبة

[(1)] في (خ) «عمر» .

[(2)] زيادة للبيان من (ط) .

[(3)] الآية 6/ الحجرات.

(42/2)

ابن عامر من قتل، وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة: وجاء سيل أتيّ [(1)] فحال بينهم وبينه، فما يجردون إليه سبيلا. وكانت سهامهم أربعة أبعرة أربعة أبعرة، والبعير يعدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخمس] [(2)] .

سرية الضحّاك بن سفيان إلى بني كلاب

وكانت سرية الضحّاك بن سفيان [(3)] بن عوف بن أبي بكر بن كلاب الكلابيّ إلى بني كلاب، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلهم بمن معه وهزمهم [(4)] وذلك في ربيع الأوّل.

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى بني حارثة بن عمرو
وكتب صلى الله عليه وسلّم إلى بني حارثة بن عمرو بن قريظ يدعوهم إلى الإسلام مع عبد الله
ابن عوسجة من غرينة [(5)] ، مستهلّ ربيع الأوّل، فأخذوا [(6)] الصحيفة فغسلوها

ورقعوا بما دلوهم، وأبوا أن يجيبوا، فقال صلى الله عليه وسلم- لما بلغه ما لهم ذلك-: ما لم؟
أذهب الله عقولهم! فصاروا أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط، وأهل سفه.
وقدم وفد بليّ في ربيع الأول هذا، فنزلوا على رويفع [بن ثابت] [(7)] البلويّ.

خبر رعية السحيمي

قال أبو بكر بن أبي شيبه: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن
الشّعي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى رعية السّحيمي بكتاب، فأخذ الكتاب
فرقع به دلوه. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأخذوا أهله وماله، وأفلت رعية-
على فرس له- عريانا ليس عليه شيء فأتى ابنته- وكانت

[(1)] السيل الأتي الذي لا يدرى من أين أتي!!

[(2)] ما بين القوسين زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) ج 2 ص 162.

[(3)] في (خ) «إلى سفيان» .

[(4)] في (خ) «وهرهم» .

[(5)] في (خ) «بن عرينة» .

[(6)] في (خ) «فأخذ» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 982.

[(7)] زياد للإيضاح من (ط) .

(43/2)

متزوجة في بني هلال، وكانوا أسلموا فأسلمت معهم، وكانوا دعوه إلى الإسلام [فأبى] [(1)] -
وكان مجلس القوم بفناء بيتها، فأتى البيت من وراء ظهره. فلما رآته ابنته عريانا ألقّت عليه ثوبا
وقالت: مالك؟ قال كلّ الشرّ! ما ترك لي أهل ولا مال! أين بعلك؟ قالت: في الإبل! فأتاه
فأخبره، فقال: خذ راحلتي برحليها، ونزودك من اللبن: قال: لا حاجة لي فيه، ولكن أعطني قعود
[(2)] الرّاعي وإدواة من ماء [(3)] ، فإني أبادر محمدا لا يقسم أهلي ومالي! فانطلق وعليه
ثوب: إذا غطى به رأسه خرجت استه، وإذا غطى استه خرج رأسه. فانطلق حتى دخل المدينة
ليلا، فكان بحذاء [(4)] رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، قال له: يا رسول الله! أبسط يدك لأبايعك!
فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ذهب رعية ليمسح عليها، قبضها رسول الله صلى

الله عليه وسلّم، ثم قال له رعية: يا رسول الله! أبسط يدك، قال: ومن أنت؟ قال رعية السحيمي! قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعضده فرفعه [(5)] ثم قال: أيها الناس! هذا رعية السحيمي الذي كتبت إليه فأخذ كتابي فرقع بما دلوه!! أسلم، ثم قال: يا رسول الله! أهلي ومالي! فقال: أما مالك فقد قسم بين المسلمين، وأما أهلك فانظر من قدرت عليه منهم! قال [رعية] [(6)] ، فخرجت فإذا ابن لي قد عرف الراحلة، وإذا هو قائم عندها، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقلت: هذا ابني! فأرسل معي بلالا فقال: انطلق معه فسله: أبوك هو؟ فإن قال نعم، فادفعه إليه، قال [رعية] [(7)] : فأتاه بلال فقال: أبوك هو؟ قال: نعم، فدفعه إليه. قال: فأتي بلال رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: والله ما رأيت واحدا منه مستعبرا إلى صاحبه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ذلك جفاء الأعراب!

وقال أبو عمر بن عبد البر رعية السحيمي، [ويقال: الرعي، ويقال العري وهو الصواب. يروي أنه من سحيمة عرينة] كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم قطعة آدم،

-
- [(1)] في (خ) بعد قوله «دعوه إلى الإسلام» ما نصه: «فأني ابنته»، وما أثبتناه من (ط) .
 [(2)] القعود في الإبل: ما يتخذه الراعي للركوب وحمل متاعه وزاده.
 [(3)] الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء.
 [(4)] في (خ) «بجدار» .
 [(5)] في (خ) «فرفعها» .
 [(6)] زيادة للسياق والإيضاح من (ط) .
 [(7)] زيادة للبيان والإيضاح من (ط) .

(44/2)

فرقع دلوه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقالت له [ابنته] [(1)] ما أراك إلا ستصيبك قارعة! عمدت إلى كتاب سيد العرب فرقعت به [(2)] دلوك؟ [وكانت ابنته قد تزوجت في بني هلال وأسلمت] [(3)] ،
 وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم خيلا.
 فأخذوا أهله وماله وولده [ونجا هو عريانا] [(3)] ، فأسلم. وقدم علي النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: أغير على أهلي ومالي وولدي! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أما المال فقد

اقتسم، ولو أدركته قبل أن يقسم كنت أحق به! وأما الولد، فاذهب معه يا بلال، فإن عرفه]
(4) [ولده فادفعه إليه، فذهب معه فأراه إياه، فقال لابنه، تعرفه؟ قال:
نعم! فدفعه إليه.

سرية علقمة بن مجزر إلى الشعبية

ثم كانت سرية علقمة بن مجزر المدلجي في ربيع الآخر- في ثلاثمائة رجل- إلى ساحل البحر بناحية مكة وقد تراءى أهل [(5)] الشعبية ناسا من الحبشة في مراكب.
فانتهى علقمة وأصحابه إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إليهم البحر [(6)] ، ففروا منه، فرجع. واستأذنه بعض جيشه في الانصراف فأذن لهم. وأمر عليهم عبد الله ابن حذافة السهمي- وكانت فيه دعاية- فأمر أصحابه أن يتواثبوا في نار [(7)] لهم، فلما أرادوا ذلك قال: إنما كنت أضحك معكم! فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه.

سرية علي بن أبي طالب إلى الفليس صنم طيبي
ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفليس- صنم طيبي- ليهدمه، في ربيع الآخر، في خمسين ومائة رجل من وجوه الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسا، حتى أغاروا على أحياء من العرب، وشنوا الغارة مع الفجر على

[(1)] زيادة من (الاستيعاب) ج 3 ص 303.

[(2)] في (خ) «رفعت به» .

[(3)] زيادة من (ط) نقلها عن (أسد الغابة) .

[(4)] في (خ) «فإن عرف والده» هو فاسد المعنى.

[(5)] في (خ) «يراما» وفي (ابن سعد ج 2 ص 163 «تراءاهم أهل جدّة» .

[(6)] زيادة من (ط) لتمام المعنى.

[(7)] في (خ) «على نار» وما أثبتناه حق السياق.

محلة آل حاتم، فسبوا حتى ملئوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وهدم علي رضي الله عنه
الفلس صنم طيبي وخرّب، ثم عاد. وكانت رايته سوداء، ولواؤه أبيض، ويحمل الراية سهل بن
حنيف، واللواء جبار بن صخر السلمي، ودليله حريث من بني أسد. وكان فيمن سبي سفانة
بنت حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة
بن نثل بن جروول بن عمرو بن الغوث بن طيبي، ومن [(1)] أسر أسلم، ووجد في بيت الفلس
ثلاثة أسياف:

رسوب والمخزم [(2)] واليماني وثلاثة أدرع. واستعمل على السبي أبا قتادة، وعلى الماشية
والرثة [(3)] عبد الله بن عتيك. وقسم السبي والغنائم إلا آل حاتم فإنه قدم بهم المدينة،
وبالخمسة مما غنموا، وبالأسياف الثلاثة صفياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

خبر سفانة بنت حاتم الطائي

فنزلت [سفانة بنت حاتم] [(4)] أخت عدي بدار رملة بنت الحارث. وكان عدي بن حاتم قد
فرّ - لما سمع بحركة علي رضي الله عنه - إلى الشام،
فكانت أخت عدي إذا مرّ النبي صلى الله عليه وسلم تقول: يا رسول الله! صلى الله عليك
وسلم! هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علينا منّ الله عليك! فيسألها: من وافدك؟ فتقول: عدي
ابن حاتم! فيقول: الفارّ من الله ورسوله؟! حتى يئست. فلما كان اليوم الرابع مرّ [(5)] ،
فأشار إليها علي رضي الله عنه: قومي فكلميه؟ فكلمته فخلى عنها ووصلها
أخاها عدي بن حاتم - وقد لحق بالشأم - فحسنت له أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقدم المدينة وأسلم، وله في إسلامه قصة.

موت النجاشي

وفي رجب سنة تسع نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي للمسلمين، وصلى عليه بمن
معه في اليوم الذي مات فيه، على بعد ما بين الحجاز وأرض الحبشة، فكان ذلك علماً [(6)]
من أعلام النبوة كبيراً [(6)] .

[(1)] في (خ) «وممن» .

[(2)] في (خ) «والمحرم» .

[(3)] الرثة: المتاع، وهي في (خ) «والورثة» .

[(4)] زيادة للإيضاح من (ط) .

[(5)] في (خ) «مر يتكلم» .

[(6)] في (خ) «علم» ، «كبير» .

(46/2)

غزوة تبوك

ثم كانت غزوة تبوك- وتسمى غزوة العسرة [(1)] - في غرة رجب، وسببها أن أخبار الشام كانت بالمدينة عند المسلمين، لكثرة من يقدم من الأنباط بالدرمك [(2)] والزيت، فذكروا أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة [(3)] بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأقبلت مع لحم وجذام [(4)] وغسان وعاملة، وزحفوا، وقدموا مقدّماتهم إلى اللقاء وعسكروا بها، وتخلف هرقل بجمص.

ولم يكن ذلك، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه.

الخبر عن الغزو والبعثة إلى القبائل

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغزو غزوة إلا ورى غيرها- لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا- حتى كانت غزوة تبوك فغزاها في حرّ شديد. واستقبل سفرا بعيدا، وعددا كثيرا، فجلى [(5)] للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبتة، وأخبرهم بالوجه الذي يريد. وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم. فبعث بريدة ابن الحصيب وأمره أن يبلغ الفرع، وبعث أبا رهم الغفاري إلى قومه، وأبا واقد الليثي إلى قومه، وأبا جعدة الضمري إلى قومه بالساحل، ورافع بن مكيث ابن جندب بن جنادة إلى جهينة، ونعيم بن مسعود إلى أشجع، وبديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبسر بن سفيان إلى بني كعب بن عمرو، والعباس بن مرداس إلى بني سليم. وحضّ على الجهاد ورغّب فيه.

صدقات المسلمين للغزو

وأمر بالصدقة فحملت صدقات كثيرة.

وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء بماله كله أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم. هل أبقيت شيئا؟ قال: الله ورسوله! وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، فقال

- [(1)] في (خ) «العشرة» .
 [(2)] الدرملك: الدقيق الأبيض الجيد الخالص.
 [(3)] في (خ) «كبيرة» .
 [(4)] في (خ) «خدام» .
 [(5)] في (خ) «وحكى» ، وجلي الأمر: أظهره وأبانه.

(47/2)

له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت شيئاً؟ قال: نعم، نصف مالي ما جئت به. وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر رضي الله عنه فقال: ما استبقنا إلى خير إلا سبقني إليه. وحمل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مالا يقال إنه تسعون ألفاً. وحمل طلحة ابن عبيد الله مالا. وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتي أوقية. وحمل سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة [(1)] مالا. وتصديق عاصم بن عديّ بتسعين وسقاً [(2)] تمراً، وجهاز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش، فكان من أكثرهم نفقة، حتى كفي ثلث ذلك الجيش مؤنتهم، حتى إن كان ليقال: ما بقيت له حاجة!! فجاء بألف دينار ففرغها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يقبلها ويقول صلى الله عليه وسلم: ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم! قالها مراراً. ورجب عليه السلام أهل الغني في الخير والمعروف، فتبادر المسلمون في ذلك، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين ويقول: هذا البعير بينكما تعتقباناه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيه بعض من يخرج.

صدقات النساء

وأنت النساء بكل ما قدرن عليه، فكن يلقين- في ثوب مبسوط بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم- المسك، والمعاضد والخلاخل، والأقرطة، والخواتيم، والخدمات [(3)] . وكان الناس في حر [(4)] شديد، وحين طابت الثمار، وأحبَّت الظلال، والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها. وأخذ صلى الله عليه وسلم الناس بالجد وعسكر بثنية الوداع، والناس كثير لا يجمعهم كتاب.

خبر المخلفين

وقال صلى الله عليه وسلم للجدِّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ ابن

غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري: أبا وهب! هل لك العام تخرج معنا لعلك تحتقب من بنات الأصفر [(5)] ! قال أو تأذن لي ولا تفتني؟ فو الله لقد عرف قومي ما أحد أشدّ عجباً بالنساء مئّي، وإني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا

[(1)] في (خ) «بن سلمة» .

[(2)] في (خ) «وستا» .

[(3)] سبق شرح معاني هذه الألفاظ.

[(4)] في (خ) «في عسر شديد» .

[(5)] بنات الأصفر: بنات الروم الكاثوليك.

(48/2)

أصبر عنهنّ. فقال: قد أذنت لك! فجعل يثبط قومه ويقول: لا تنفروا في الحرّ. فنزل فيه قوله تعالى: فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [(1)] . وقوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [(2)] .

البكاءون

وجاء البكاءون- وهم سبعة: أبو ليلي المازني، وسلمة بن صخر الزرقني، وثعلبة بن غنمة السلمي، وعلبة بن زيد الحارثي، والعرباض بن سارية السلمي، وهرمي بن عمر المزني وسالم بن عمير. [وقيل: وإن فيهم عبد الله بن المغفل ومعقل ابن يسار. وقيل: البكاءون بنو مقرن السيمة، وهم من مزينة]- يستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكانوا أهل حاجة فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فولوا بيكون [(3)]

فلقي اثنان منهم يامين بن عمير بن كعب [بن عمر بن عمرو بن جحاش النضري] [(4)] فقال: ما يبيكيكما؟ قالوا: جئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى [(5)] به على الخروج، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فأعطاهما ناضحا له [(6)] فارتحلاه، وزود كل واحد صاعين

من تمر. وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين، وحمل عثمان ابن عفان منهم ثلاثة.

النهي عن خروج أصحاب الضعف

وقال صلى الله عليه وسلم: لا يخرجنّ معنا إلا مقو [(7)] . فخرج رجل على بكر صعب [(8)]

[(1)] الآيتين 81-82 التوبة، وفي (خ) ... وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، الآية.

[(2)] الآية 49/ التوبة، وفي (خ) « ... وَلَا تَفْتَنِي، الآية » .

[(3)] خبر البكاءين في سورة التوبة، الآية 90 وما بعدها.

[(4)] في (خ) «مكان ما بين القوسين» بن عمرو بن جحاش النضري» ، وما أثبتناه من (ط)

[(5)] في (خ) «تقوى» .

[(6)] الناضح: البعير الذي يحمل عليه الماء.

[(7)] في (خ) «نقوى» ، يقال: رجل مقو: أي: ذو دابة قوية.

[(8)] الصعب: الذي لا ينقاد.

(49/2)

فصرعه بالسويداء، فقال الناس: الشهيد!! فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي: لا يدخل الجنة إلا مؤمن- [وإلا نفس مؤمنة]-، ولا يدخل الجنة عاص.

المنافقون

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير علة فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلا. وجاء المعذرون [(1)] من الأعراب فاعتذروا وهم نفر من بني غفار فيهم خفاف بن إيماء بن رخصة، اثنان وثمانون رجلا فلم يعذرهم الله، وجاء عبد الله بن أبي بن سلول بعسكره- معه حلفاؤه من اليهود والمنافقين- فضربه على ثنية الوداع. فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على العسكر أبا بكر رضي الله عنه، فلما أجمع المسير استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، [وقيل محمد ابن مسلمة] .

تخلف علي بن أبي طالب

وخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي أهله، فقال المنافقون: ما خلفه إلا استقلالاً له! فأخذ سلاحه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرف وأخبره ما قالوا، فقال: كذبوا! إنما خلفتك لما ورائي! فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، فرجع.

الأمر بحمل النعال

وسار عليه السلام وقال: استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما دام منعلاً.

تخلف المنافقين

فلما سار تخلف ابن أبي فيمن تخلف من المنافقين وقال: يغزو محمد بنى

[(1)] المعذرون: الذين يعتذرون، ولا عذر لهم على الحقيقة.

(50/2)

الأصفر - مع جهد الحال والحر والبلد البعيد - إلى مالا قبل له به؟! يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب؟! وناقق بمن معه ممن هو على مثل رأيه، ثم قال: والله لكأني انظر إلى أصحابه غدا مقرنين في الحبال.

الألوية

فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبّة الوداع عقد الألوية والرايات. فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر رضي الله عنه، ورايته العظمى إلى الزبير، وراية الأوس إلى أسيد بن الحضير، ولواء الخزرج إلى أبي دجانة، [ويقال: إلى الحباب بن المنذر ابن الجموح] ، وأمر كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية.

خبر العبد المملوك

فلقيه عبد لامرأة من بني ضمرة وهو متسلح، فقال: أقاتل معك يا رسول الله؟ فقال: وما أنت؟

قال، مملوك لامرأة من بني ضمرة سيئة الملكة [(1)] فقال:
ارجع إلى سيّدتك! لا تقتل معي فتدخل النار!!

عدة المسلمين

وسار معه ثلاثون ألفا، وعشرة آلاف فرس، واثنان عشر ألف بعير. وقال أبو زرعة: كانوا سبعين ألفا. وفي رواية: أربعين ألفا.

تخلف نفر من المسلمين

وتخلف نفر من المسلمين أبطأت بهم النية من غير شك ولا ارتياب، منهم:
كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين [(2)] بن كعب بن سواد بن غنم ابن كعب بن سلمة الأنصاري، وهلال بن أمية الواقفي، وأبو خيثمة عبد الله ابن خيثمة السالمي، ومرارة بن الربيع العمري، ثم إن أبا خيثمة أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك.

[(1)]

وفي الحديث: «لا يدخل الجنة سيئ الملكة»
أي الذي يسيء صحبة ممالكه وعبيده.
[(2)] في (خ) «القيس» .

(51/2)

وكان دليله عليه السلام علقمة بن الغفواء [(1)] الخزاعي. وجمع- من يوم نزل ذا خشب-
بين الظهر والعصر في منزله: يؤخر الظهر حتى يبرد ويعجل العصر، ثم يجمع بينهما. فكان ذلك
فعله حتى رجع من تبوك.

المتخلفون

ولما مضى من ثنية الوداع، جعل يتخلف عنه قوم، فيقولون: يا رسول الله! تخلف فلان! فيقول:
دعوه! فإن يك فيه خير فيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.
وخرج معه ناس من المنافقين كثير، لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة.

خبر أبي ذر

وأبطأ أبو ذر رضي الله عنه من أجل بعيده: كان نضوا أعجف [(2)] ، ثم عجز فتركه وحمل متاعه على ظهره: وسار ماشيا في حر شديد وحده، حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار وقد بلغ منه العطش، فقال له: مرحبا بأبي ذر! يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده! ما خلفك؟ فأخبره خبر بعيده، فقال: إن كنت لمن أعزّ أهلي عليّ تخلفا! لقد غفر الله لك بكلّ خطوة ذنبا إلى أن بلغتني.

خبر أبي رهم

وسايره أبو رهم - كلثوم بن الحصين الغفاريّ - ليلة فألقى عليه النّعاس، فزاحمت عليه راحلته راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورجله في الغرز - فما استيقظ إلا بقوله: حسنّ [(3)] ! فقال: يا رسول الله، استغفر لي، فقال: سر! وجعل يسأله عمّن تخلف من بني غفار ويخبره، فقال: ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل علي بعيده رجلا نشيطا في سبيل الله ممّن يخرج معنا، فيكون له مثل أجر الخارج! إن كان لمن أعزّ أهلي عليّ أن يتخلف عنيّ: المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم.

[(1)] في (خ) «الغفراء». لم أجده فيمن اسمه علقمة وأثبتناه من المغازي ص 999.

[(2)] النضو: الأعجف: الذي أهزلته الأسفار وأذهب الجوع سمته.

[(3)] كلمة تقال للتوجع.

(52/2)

جهد المسلمين

ومرّ على بغير قد تركه صاحبه من الضعف، فمرّ به مارّ فعلفه أياما ثم حملة وقد صلح، فخاصمه فيه صاحبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحميا خفا أو كراعا بمهلكة من الأرض فهو له. وشكوا إليه صلى الله عليه وسلم ما بظهورهم من الجهد، فتحن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضيقا سار الناس فيه وهو يقول: مرّوا باسم الله، فجعل ينفح [(1)] بظهورهم وهو يقول: اللهمّ احمل عليها في سبيلك، فإنك تحمل على القوى والضعيف، والرطب واليابس، والبر والبحر! فلما بلغوا المدينة جعلت تنازعهم أزقتها بدعوته صلى الله عليه وسلم. وصلى يوما بأصحابه وعليه جبة صوف وقد أخذ بعنان فرسه، فبال الفرس فأصاب الجبة فلم

يغسله. وقال: لا بأس بأبوالها ولعابها وعرقها. لكنّ يعارضه قوله: استنزها من البول، وهو أصحّ.

مقالة المنافقين

وكان رهط من المنافقين يسيرون، منهم: ودیعة بن ثابت أخو بني عمرو ابن عوف، والجلال بن سويد بن الصامت، ومخشي بن حمير من أشجع حليف بني سلمة وثعلبة بن حاطب، وقال ثعلبة: تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأني بكم غدا مقرنين في الجبال! وقال ودیعة بن ثابت: ما لي أرى قراءنا [(2)] هؤلاء أرغبنا [بطونا] [(3)] ، وأكذبنا السنة، وأجبنا عند اللقاء؟ قال الجلال بن سويد- زوج أم عمير [(4)] -: هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منا، والله لئن كان محمد صادقا لنحن شرّ من الحمير! ورسول الله صلى الله عليه وسلّم الصادق وأنت الكاذب! وقال مخشي بن حمير: والله لو وددت أتي أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا نفلت من أن ينزل فينا قرآن بمقالتكم!

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم لعمار بن ياسر رضي الله عنه: أدرك القوم فإثمهم قد

[(1)] في (خ) «ينفخ»، ينفخ: يدفع.

[(2)] في (خ) «قرانا» .

[(3)] هذه الكلمة غير بينة في (خ) وفي (الواقدي) ، «أو عينا بطونا» ج 3 ص 103.

[(4)] عمير بن سعد الأنصاري.

(53/2)

اخترقوا [(1)] .

فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى! قد قلتم كذا وكذا!! فذهب إليهم فقال لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يعتذرون إليه فقال ودیعة بن ثابت- ورسول الله صلى الله عليه وسلّم على نفاقته، وقد أخذ بحقها [(2)] -: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب! فأنزل الله فيه: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [(3)]

وقال مخشي بن حمير: يا رسول الله! قعد بي اسمي واسمي أبي! فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة فلم

يوجد له أثر.

وجاء الجلاس فحلف ما قال من ذلك شيئا. فأنزل الله فيه: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ
الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ
يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [(4)] .

وكان للجلاس دية في الجاهلية على بعض قومه- وكان محتاجا- فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذها له فاستغنى بها.

وادي القرى

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي القرى على حديقة امرأة فقال: احرصوها فجاء
حرصها عشرة أوسق [(5)] فقال لها: احفظي ما خرج منها حتى نرجع إليك.

[(1)] في (خ) «احترقوا: بالحاء المهملة» والأجود بالحاء، من الاختراق، وهو الاختلاق

الكذب، من ذلك قوله تعالى: وَخَرَّفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ بَعْضِ عِلْمٍ، راجع هامش (ط) ، وفي (زاد
المعاد) ج 3 ص 936 «احترقوا» وأيضا في (تاريخ الطبري) ج 3 ص 108.

[(2)] الحقب: حزام يشد به البعير.

[(3)] الآيتان 65، 66/ التوبة، وفي (خ) ... نُحُوضُ وَنَلْعَبُ، الآية.

[(4)] الآية 74/ التوبة، وفي (خ) وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ
أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ، الآية.

[(5)] الأوسق: جمع وسق، وهو حمل بعير.

(54/2)

نزول الحجر وهبوب الريح

فلما أمسى بالحجر قال: إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومنّ منكم أحد إلا مع صاحبه،
ومن كان له بعير فليوثق عقاله، فهاجت ريح شديدة ولم يبق أحد إلا مع صاحبه، إلا رجلين من
بني ساعدة: خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيره. فأما الذي خرج لحاجته، فإنه
خفق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح فطرحته بجبل طيبي فأخبر عليه
السلام خبرهما فقال: ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا معه صاحب له؟ ثم دعا للذي أصيب على

مذهبه فشفى، وأما الآخر فإن طيئنا قدمت به إلى المدينة.

هدية بني عريض

وأهدى له عليه السلام بنو عريض اليهودي هريسا فأكلها، وأطعمهم أربعين وسقا، فلم تنزل جارية عليهم [(1)] .

خبر بئر الحجر

واستقى الناس من بئر الحجر [(2)] وعجنوا، فنادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم: لا تشربوا من مائها ولا توضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل، فجعل الناس يهريقون ما في أسقيتهم، وتحولوا إلى بئر صالح عليه السلام فارتووا منها. وقال يومئذ: لا تسألوا نبيكم الآيات! هؤلاء قوم صالح سألوها نبيهم آية، فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفج، تسقيهم من لبنها يوم وردها ما شربت من مائهم. فعفروها، فأوعدوا ثلاثا، وكان وعد الله غير مكذوب، فأخذتهم الصيحة، وقال يومئذ: لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم ما أصابهم. وجاء رجل بخاتم وجدته في الحجر في بيوت المعذبين، فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظر إليه، وقال: ألقه! فألقاه. وقال لأصحابه حين حاذاهم: إن هذا وادي القرى! فجعلوا يوضعون فيه

[(1)] في (خ) «فلم يزل حارثة عليهم، وفي (الواقدي) ج 3 ص 1006 «فهي جارية عليهم» .

[(2)] الحجر: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام.

(55/2)

ركابهم حتى خرجوا منه. وأوضع صلى الله عليه وسلم راحلته.

قلة الماء ودعاء رسول الله بالمطر

وارتحل من وادي القرى فأصبح ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إليه، فاستقبل القبلة ودعا— ولا يرى

في السماء سحب- فما برح يدعو حتى تألف السحاب من كل ناحية، فما رام مقامه حتى سحب عليهم السماء بالرواء. ثم كشف الله السماء من ساعتها والأرض غدر [(1)] ، فسقى الناس وارتووا من آخرهم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أشهد أي رسول الله! فقال عبد الله بن أبي حدرد لأوس ابن قيظي-، [ويقال لزيد بن اللصيت القينقاعي]- وكان من المنافقين:

ويحك!! بعد هذا شيء؟ فقال: سحابة مارة.

خبر ناقة رسول الله التي ضلّت ومقالة المنافق وارتحل عليه السلام فأصبح في منزل، فضلّت ناقته القصواء، فخرج المسلمون في طلبها، وكان زيد بن اللصيت أحد بني قينقاع، وكان يهوديا فأسلم فنافق، وكان فيه خبث اليهود وغشهم، وكان مظاهرا لأهل النفاق، وقد نزل في رحل عمارة بن حزم، وعمارة عند رسول الله- فقال زيد: أليس محمد يزعم أنه نبيّ وهو يخبركم بأمر السماء، ولا يدري أين ناقته؟ وأيّ والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا- لشعب به [(2)] - حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوا بما [(3)] .

فذهبوا، فجاءوا وقد وجدها الحارث بن خزمة [(4)] الأشهلي، كما قال عليه السلام. فرجع عمارة بن حزم إلى رحلة فقال: العجب من شيء حدثناه رسول الله أنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا!! - للذي قال زيد- فقال أخوه عمرو بن حزم ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن زيدا هو قائل هذه المقالة قبل أن تطلع علينا! فأقبل عمارة بن حزم على زيد بن اللصيت يبأه [(5)] في عنقه ويقول: إن في رحلي لداهية [(6)] وما أدري!! أخرج يا عدو الله من رحلي! فقال زيد: لكأني لم أسلم إلا اليوم! قد كنت شاكّا

[(1)] في (خ) «غدرا»، وغدر: جمع غدير وهو مستنقع الماء يغادره السيل.

[(2)] في (خ) «لشغب إليه» .

[(3)] في (خ) «حتى بانوا» .

[(4)] في (خ) «حزمة» .

[(5)] وجأ: لكز ووكز.

[(6)] في (خ) «أراهية» .

في محمد، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة، أشهد أنه رسول الله! فقيل: إنه تاب، وقيل: لم ينزل فسلا [(1)] حتى مات.

نبوءة الفتوح

وقال ليلة وهم يسرون: إن الله أعطاني الكنزين: فارس والروم، وأمدني بالملوك ملوك حمير: يجاهدون في سبيل الله، ويأكلون فيء الله [(2)] .

تأخره صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح ولما كان بين الحجر وتبوك ذهب لحاجته- وكان إذا ذهب أبعد-، فتبعه المغيرة بن شعبه بماء في إداة بعد الفجر، فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس، فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم. فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من حاجته، صب عليه المغيرة من الإداة فغسل وجهه. ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة- وكان عليه جبة رومية- فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح خفيه.

صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وانتهى إلى عبد الرحمن رضي الله عنه وقد ركع بالناس ركعة، فسبح الناس حين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كادوا أن يفتنوا، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه عليه السلام: أن أثبت! فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن ركعة، فلما جلس عبد الرحمن تواتب الناس، وقام صلى الله عليه وسلم للركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها، وقال أحسنتم، إنه لم يتوف [(3)] نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته.

[(1)] الفصل: الرديء الذي لا مروءة له.

[(2)] في (خ) «في الله» بغير همز، ونقله محقق (ط) بغير همز أيضا مما أدى إلى فساد المعنى،

الأمر الذي جعله يقول: «ولم أجد الخير» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 1011.

[(3)] في (خ) «ولم يتوفى» .

خبر الأجير ورجل من العسكر

وأناه [(1)] يومئذ يعلى بن منية بأجير له قد نازع رجلا من العسكر فعضه الرجل، فانتزع الأجير يده من في [(2)] العاضّ فانتزع ثنيته، فلزمه المجروح وبلغ به النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: يعمد أحدكم فيعضّ أخاه كما يعضّ الفحل! فأبطل صلى الله عليه وسلّم ما أصاب من ثنيته.

نبيه صلى الله عليه وسلّم عن الشرب من عين تبوك حتى يقدم وقال: إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك: وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمسّ من مائها حتى آتي، فسبق رجلان من المنافقين إليها - والعين تبضّ بشيء [(3)] من ماء - فسألها عليه السلام: هل مسستما من مائها شيئا؟ قالوا: نعم! فسبّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول. ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها، فجاءت العين بماء كثير فاستسقى الناس. ثم قال [لمعاذ بن جبل] [(4)] : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد مليء جنانا! وقال يوما في مسيره: من شهيد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمة الله على النار.

خبر الحية التي سلمت عليه صلى الله عليه وسلّم

وعارض الناس في سيرهم حية ذكر من عظمها وخلقها شيء كثير، فأقبلت حتى وافقت رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو على راحلته طويلا، والناس ينظرون إليها، ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة، فأقبل الناس حتى لحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال لهم: هل تدرون من هذا [(5)] ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلى يستمعون القرآن، فرأى عليه من [(6)] الحق - حين أمّ رسول الله ببلده - أن يسلم عليه، وها هو ذا يقرئكم السلام

[(1)] في (خ) «وأياه» .

[(2)] من في: من فم.

[(3)] بض الماء: إذ خرج قليلا قليلا.

[(4)] زيادة للبيان من (ط) .

[(5)] في (خ) «ما هذا» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 1015.

[(6)] في (خ) «من من» مكررة.

فسلّموا عليه! فقال الناس جميعا: وعليه السلام ورحمة الله، فقال: أجيئوا عباد الله من كانوا.

رقاده صلى الله عليه وسلّم عن صلاة الفجر

ولما كان من تبوك على ليلة، رقد [(1)] صلى الله عليه وسلّم فلم يستقيظ حتى كانت الشمس قيد رمح [(2)] ، فقال: يا بلال، ألم أقل لك أكأنا الليلة [(3)] ؟ فقال: يا رسول الله ذهب بي النوم، ذهب بي الذي ذهب بك! فارتحل عليه السلام من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ركعتين قبل الفجر، ثم صلى الفجر، ثم سار يومه وليلته فأصبح بتبوك فجمع الناس ثم قال:

خطبته صلى الله عليه وسلّم بتبوك

أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنن محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدي، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدي ما أتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وأهمل. وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة. ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزرا، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا. ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب.

وخير الغني غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ألقى في القلب اليقين، والارتياب من الكفر. والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنم، والسكر كنّ من النار. والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبال إبليس، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المال أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضوع أربع أذرع والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الرّؤيا رؤيا الكذب، وكلّ ما هو آت قريب. وسباب المؤمن فسوق،

[(1)] كذا في (ط) وفي (خ) ، (والواقدي) ج 3 ص 1015 «استوفد» .

[(2)] أي قدر رمح في ارتفاعها.

[(3)] أكأنا: احفظنا.

وقتل المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه. ومن يتأل [(1)] على الله يكذبه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله. ومن يتتبع السمعة يسمع الله به [(2)]. ومن يصبر يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذبه. اللهم اغفر لي ولأمتي. اللهم اغفر لي ولأمتي، أستغفر الله لي ولكم.

عظته صلى الله عليه وسلّم وهو يطوف بالناس وطاف على ناقته بالناس وهو يقول: يا أيها الناس، يد الله فوق يد المعطي، ويد المعطي الوسطي ويد المعطي السفلي، أيها الناس، فتغنّوا ولو بجزم الحطب. اللهم هل بلغت! ثلاثا. فقال له رجل من بني عذرة- يقال له عدي-: يا رسول الله، إن امرأتين لي اقتتلتا، فرميت فأصبت إحداهما في رميتي؟ [يعني ماتت] ، فقال له: تعقلها [(3)] ولا ترثها.

قوله صلى الله عليه وسلّم في أهل اليمن وأهل المشرق ونظر بتبوك نحو اليمن، ورفع يديه يشير إلى أهلها وقال: الإيمان يمان! ونظر نحو المشرق، وأشار بيده وقال: إن الجفاء وغلظ القلوب في الفدادين [(4)] أهل الوبر من المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه.

خبر البركة في الطعام

وجلس بتبوك في نفر من أصحابه هو سابعهم، فجاء رجل من بني سعد بن هذيم فسلم فقال: اجلس، فقال: يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك

[(1)] أي يحكم عليه ويحلف كأن يقول: والله ليدخلن الله فلانا النار، ونحوه.

[(2)] سمع الله به، فضحه وشهر به في أسماع الناس.

[(3)] تعقلها: تدفعه ديتها.

[(4)] الفدادون: أصحاب الإبل الكثيرة.

رسول الله! فقال: أفلح وجهك، ثم قال: يا بلال، أطمعنا! فبسط نطعا [(1)] ، ثم أخرج من حميت [(2)] له خرجات من تمر معجون بسمن وإقط، ثم قال عليه السلام: كلوا: فأكلوا حتى شبعوا، فقال الرجل: يا رسول الله: إن كنت لأكل هذا وحدي! فقال: الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد.

ثم جاء من الغد متحينا الغداء ليزداد في الإسلام يقينا، فإذا عشرة حوله عليه السلام فقال: هات أطمعنا يا بلال! فجعل يخرج من جراب تمرا بكفه قبضة قبضة، فقال:

أخرج ولا تحف من ذي العرش إقتارا! فجاء بالجراب فنثره فحرزه الرجل مدين، فوضع صلى الله عليه وسلم يده على التمر. ثم قال: كلوا باسم الله! فأكل القوم وأكل الرجل - وكان صاحب تمر - حتى ما يجد [له] [(3)] مسلكا، وبقي على النطع مثل الذي جاء به بلال، كأنهم لم يأكلوا منه ثمرة واحدة. ثم عاد الرجل من الغد، وعاد نفر. فكانوا عشرة أو يزيدون رجلا أو رجلين، فقال عليه السلام: يا بلال أطمعنا! فجاء بذلك الجراب بعينه فنثره، ووضع صلى الله عليه وسلم يده عليه وقال: كلوا باسم الله! فأكلوا حتى نملوا [(4)] ، ثم رفع مثل الذي صب. ففعل ذلك ثلاثة أيام.

بعثة هرقل رجلا من غسان

وكان هرقل ملك الروم بعث رجلا من غسان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى صفته، وإلى علامته، فوعى أشياء من حاله، وعاد إليه فذكر ذلك. فدعا هرقل الروم إلى التصديق به، فأبوا حتى خافهم على ملكه، وهو في موضعه لم يتحرك ولم يوجف [(5)] . وكان الذي خبر النبي صلى الله عليه وسلم - عن تعبته أصحابه، وذنوه إلى أدنى الشام - باطلا [(6)] ، لم يرد ذلك هرقل ولا هم به.

[(1)] النطع: مفرش من الجلد.

[(2)] الحميت: زق من الجلد لا شعر عليه يكون فيه السمن ونحوه.

[(3)] زيادة للسياق من (الواقدي) ج 3 ص 1018.

[(4)] كذا في (خ) ، و (الواقدي) ، وفي (ط) «حتى شبعوا» ، يقول محقق (ط) [وغل لا يكون إلا للشراب يشربه الرجل حتى يروي، فهو كالشبع من الطعام] ونقول: التهل من الطعام ما أكل، راجع (ترتيب القاموس) ج 4 ص 453.

[(5)] في (خ) «يرجف» ، أوجف خيله: أسرع به السير .

[(6)] في (خ) «باطل» .

(61/2)

المشورة في السير إلى القتال

وشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم في التقدم، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

إن كنت أمرت بالمسير فسر! فقال: لو أمرت ما استشرتكم فيه.

قالوا: يا رسول الله، إن للروم جموعا كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم

حيث ترى، وقد أفرعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدث الله لك في ذلك

أمرا.

هبوب الريح لموت المنافق

وهاجت ريح شديدة بتبوك فقال عليه السلام: هذا لموت منافق عظيم النفاق، فلما قدموا

المدينة وجدوا منافقا قد مات عظيم النفاق.

وأتي بجبنة فقالوا: هذا طعام تصنعه فارس، وأنا نخشى أن يكون فيه مبيته، فقال: ضعوا فيه

السكين واذكروا اسم الله.

النهي عن إخصاء الخيل

وأهدى إليه صلى الله عليه وسلم رجل من قضاة فرسا، فأعطاه رجلا من الأنصار وأمر أن

يربطه حباله، استئناسا بصهيله. فلم يزل كذلك حتى قدم عليه السلام المدينة ففقد صهيله،

فسأل عنه صاحبه فقال: خصيته يا رسول الله! فقال: مه! [(1)] فإن الخيل في نواصيها الخير

إلى يوم القيامة: وقام بتبوك إلى فرسه الطرب فعلق عليه شعيرة ومسح ظهره [(2)] بردائه.

غزوة أكيدر بدومة الجندل

ثم كانت غزوة أكيدر بدومة الجندل، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

[(1)] مه: اسم فعل أمر بمعنى «أكفف» .

[(2)] في (خ) «مسح بظهره» .

من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً - إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل في رجب، وهي على ليال من المدينة، وكان أكيدر من كندة قد ملكهم، وكان نصرانياً. فقال خالد: يا رسول الله: كيف لي به وهو وسط بلاد كلب، وإنما أنا في أناس يسير؟ فقال ستجده يصيد البقر فتأخذه! وقال: فلا تقتله وأت [(1)] به إليّ، فإن أبي فاقتلوه!

فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له من الحرّ، ومعه امرأته - الرباب بنت أنيف بن عامر - وقينته تغنيه وقد شرب، فأقبلت البقر تحكّ بقرونها باب الحصن:

فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت: من يترك هذا؟! قال: لا أحد!! قال أكيدر: والله ما رأيت جاءتنا ليلاً بقر غير تلك الليلة! ولقد كنت أضمر لها الخيل - إذا أردت أخذها - شهراً أو أكثر، ثم أركب بالرجال وبالآلة.

فنزل فأمر بفروسه فسرج، وأمر بخيّل فأسرجت، وركب معه نفر من أهل بيته معه: أخوه حسان ومملوكان له. فخرجوا من حصنهم بمطاردهم [(2)]، وخيل خالد تنتظرهم: لا يصهل منها فرس ولا يتحرك، فساعة فصل [(3)] أخذته الخيل.

وقاتل حسان حتى قتل عند باب الحصن: وهرب المملوكان ومن كان معهما.

واستلب خالد بن الوليد حساناً قباء ديباج مخوّصاً بذهب، فبعث [به] [(4)] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم مع عمرو بن أمية الضمريّ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال عليه السلام: تعجبون من هذا! والذي نفسي بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا!! وأسلم حريث [بن عبد الملك، أخو] [(5)] أكيدر، على ما في يده فسلم له.

فتح الحصن

وقال خالد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي رسول الله على أن تفتح لي دومة؟ قال: نعم! فانطلق به في وثاق حتى أدناه من الحصن فنادى

[(1)] في (خ) «ولا نقيله وأنت» .

[(2)] المطارد: جمع مطرد: وهو الرمح القصير.

[(3)] فصل: خرج.

[(4)] زيادة للسياق من (الواقدي) ج 3 ص 1026.

[(5)] في (خ) «حريث أكيد» ، وهذه الزيادة للسياق من (ط) .

(63/2)

أهله: افتحوا باب الحصن! فأرادوا ذلك، فأبى عليهم مضاد [(1)] أخوه، فقال أكيدر لخالد: تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاقك، فحلّ عني، ولك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتني عل أهله. قال: فيأتي أ صالحك [(2)] فقال أكيدر إن شئت حكمتك وإن شئت حكمتني. قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت. فصالحه على ألفي بعير. وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح - على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيحكم فيهما حكمه.

فخلى سبيله ففتح الحصن، ودخله خالد أوثق مضادا أخوا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلام.

الرجوع بأكيدر إلى المدينة

ثم خرج قافلا إلى المدينة ومعه أكيدر ومضاد، وعلى أكيدر صليب من ذهب، وعليه الدباج ظاهر، ومع خالد الخمس مما غنموا، وصفيّ خالص لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكانت السهيمان خمس فرائض لكلّ رجل معه سلاح ورمح. فلما قدم بأكيدر، صالحه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجزية. وخلى سبيله وسبيل أخيه، وكتب لهم أمانا وختمه بظفره: لأنه لم يكن في يده خاتم.

وأهدى [أكيدر] [(3)] إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثوب حرير، فأعطاه عليا فقال. شقّقه خمرا [(4)] بين الفواطم [(5)] .

كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأكيدر
ونسخة الكتاب بعد البسملة: «هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر،

[(1)] في (ط) «مضاد» وفي (الواقدي) «مضاد» .

[(2)] بعد هذه العبارة وضع محقق (ط) عبارة [أهل الحصن قال أكيدر] وقال في الهامش:

«هذه الزيادة يوجبها للسياق، ولم أجد الخبر» ونقول: «الخبر بتمامه بدون أية زيادة، في (المغازي للواقدي) ج 3 ص 1027، 1028» .

[(3)] زيادة للبيان من (ط) .

[(4)] خمرة: جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة.

[(5)] الفواطم: أراد بهن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفاطمة بنت أسد،

وفاطمة بنت حمزة. (النهاية) ج 3 ص 458 والحديث في (سنن ابن ماجة) ج 2 ص

11899- باب لبس الحرير والذهب للنساء حديث رقم 3596.

(64/2)

حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام. مع خالد بن الوليد في دومة الجندل وأكنافها:
أن له [(1)] الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر
والحصن، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس، لا تعدل سارحتكم. ولا تعدّ
فاردتكم، ولا يحظر عليكم النبات [(2)] ، ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات [(3)] .
تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق
والوفاء، شهد الله ومن حضر من المسلمين» .

عودة أكيدر

وعاد أكيدر إلى حصنه. وقيل: إنه أسلم ثم ارتد، فقتله خالد بن الوليد في الردّة. وقيل: لما منع
في خلافة أبي بكر ما كان يؤديه إلى رسول الله، أخرج من جزيرة العرب في دومة، فلحق بالجزيرة
[(4)] ، وابتنى بها- [قرب عين التمر]- بناء سمّاه دومة.

قدوم يوحنا بن رؤبة وأهل أيلة

وخاف أهل أيلة [(5)] وتيماء، فقدم يوحنا بن رؤبة- ومعه أهل جرباء، وأذرح-، وعليه
صليب من ذهب، وقد عقد ناصيته. فلما رأى النبي عليه

[(1)] في (خ) ، وفي (الأموال) ، وفي (مكاتب الرسول) «ولنا» وما أثبتناه من (ط) والضمير
في قوله «له» أي لخالد بن الوليد، وبذلك يستقيم المعنى، وانظر أيضا (معجم البلدان) ج 2 ص

معاني المفردات: الضاحي: البارز. الضحل: الماء القليل. البور: الأرض التي لم تستخرج.
المعامي: الأرض المجهولة. الأغفال: التي لا آثار فيها. الحلقة: الدروع. الحافر: الخيل والبراذين
والبغال والحمير. الحصن: دومة الجندل. الضامنة: النخل الذي معهم في الحصن. المعين: الظاهر
من الماء الدائم. لا تعدل سارحتكم: أي لا يصدقها المصدق إلا في مراعيها. لا تعدل سارحتكم:
أي لا تضم الفاردة إلى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة. والسارحة: الماشية
التي تسرح في المراعي. والفاردة: الزائدة على فريضة الصدقات.

[(2)] وفي (خ) «الثياب» ، وما أثبتناه من كتب السيرة.

[(3)] في (خ) «الثياب» - والثبات: النخل القديم «هامش (ط)» .

[(4)] الجزيرة: هي جزيرة أقور، بين دجلة والفرات، كذا في هامش (ط) ، وفي (معجم

البلدان) ج 2 ص 488. «ولحق بالحيرة» وابنتي قرب عين التمر بناء وسماه دومة» .

[(5)] في (خ) «واثلة» .

(65/2)

السلام، كَفَّر [(1)] وأوماً برأسه. فأوماً إليه: [أن] [(2)] ارفع رأسك! وكساه برداً، وأنزله
عند بلال. فصالحهم عليه السلام، وقطع عليهم الجزية، فوضع على أهل أيلة ثلاثمائة دينار،
وكانوا ثلاثمائة رجل. وكتب لهم بعد البسملة:

كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل أيلة ويوحنا بن رؤبة

«هذه [(3)] أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة:

سفنهم وسيارتهم [(4)] في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي [(5)] ، ومن كان
معهم من أهل الشام وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن [(6)] أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول
ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس. وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً
يريدونه، من برّ أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت، وشرحيل بن حسنة، بإذن رسول الله» .
وقال الدولابي: أهدى أهل أيلة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القلقاس فأكله وأعجبه، وقال: ما
هذا؟ فقالوا: شحمة الأرض فقال: إن شحمة الأرض لطيبية!

كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل جرباء

وكتب لأهل جرباء:

«هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء [وأذرح] [(7)] : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل [عليهم] [(8)] .»

كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ أَذْرَحِ
وَنَسْخَةَ كِتَابِ أَذْرَحِ [(9)] بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ:

- [(1)] كَفَّرَ: طَأْطَأَ رَأْسَهُ فِي خِضْوَعٍ وَذَلَّةٍ.
- [(2)] زِيَادَةٌ لِلسِّيَاقِ.
- [(3)] فِي (خ) «هَذَا» .
- [(4)] فِي (خ) «وَسَارْتَهُمْ» .
- [(5)] فِي (خ) «رَسُولَ اللَّهِ» .
- [(6)] فِي (خ) «وَمِنْ» .
- [(7)] زِيَادَةٌ مِنْ كِتَابِ السِّيَرَةِ.
- [(8)] زِيَادَةٌ مِنْ (ابْنِ سَعْدٍ) .
- [(9)] فِي (خ) «أَذْرَحِ» .

(66/2)

«من محمد النبي [رسول الله] [(1)] لأهل أذرح: أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالتصحيح والإحسان للمسلمين، ومن لجأ [إليهم] [(2)] من المسلمين من المخافة، والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم [(3)] آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه» [(4)] .

كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ مَقْنَا
وَكِتَابِ لِأَهْلِ مَقْنَا: أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ رِبْعَ غَزْوِهِمْ وَرِبْعَ ثَمَارِهِمْ.
وَكَانَ عُبَيْدُ بْنُ يَاسِرٍ بْنُ نَمِيرٍ [(5)] . وَرَجُلٌ مِنْ جِذَامٍ قَدْ قَدِمَا بَتْبُوكَ وَأَسْلَمَا، فَأَعْطَاهُمَا رِبْعَ مَقْنَا مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ وَمِنَ الثَّمَرِ مِنْ نَخْلِهَا. وَرِبْعَ الْغَزْلِ [(6)] وَأَعْطَى عُبَيْدُ بْنُ يَاسِرٍ مِائَةَ ضَفِيرَةٍ [بِعْنِي حَلَّةٍ] [(7)] لِأَنَّهُ كَانَ فَارِسًا، وَالْجِذَامِيُّ رَاجِلًا، ثُمَّ قَدِمَا مَقْنَا وَبَهَا يَهُودٌ. فَكَانَتْ تَقُومُ عَلَى فَرَسِهِ، وَأَعْطَاهَا سَتِينَ ضَفِيرَةٍ مِنْ ضَفَائِرِ فَرَسِهِ وَأَهْدَى عُبَيْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فرسا عتيقا يقال له مراوح، وقال: إنه سابق! فأجرى عليه السلام الخيل بتبوك فسبق الفرس، ثم أعطاه المقداد بن عمرو.

تحريم النهبة

ومر عليه السلام بتبوك لحاجته، فرأى أناسا مجتمعين على بعير قد نحره رافع ابن مكيث الجهني، وأخذ منه حاجته، وخلّى بين الناس وبينه، فأمر أن يردّ رافع ما أخذ الناس ثم قال: هذه نهبه لا تحلّ! قيل: يا رسول الله! أن صاحبه أذن في أخذه! فقال وإن أذن في أخذه.

[(1)] كذا في (خ) وليس في كتب السيرة.

[(2)] زيادة من (ابن سعد) .

[(3)] في (خ) «فهم» .

[(4)]

قوله «وهم آمنون حتى يحدث محمد إليهم قبل خروجه، فكأنه جعل الخيار لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نقض العهد أو تغيير بعض شرائطه إلى أن يخرج من تبوك لعدم الأمن من مكر اليهود وغوائلهم. (مكاتب الرسول) ص 296.

[(5)] في الإصابة: (عبيد بن يسر) .

[(6)] في (خ) «المغزل»

[(7)] كذا في (خ) .

(67/2)

أفضل الصدقة

وقال له رجل: أيّ الصدقة أفضل؟ قال: ظلّ خباء في سبيل الله، أو خدمة خادم في سبيل الله، أو طروقة فحل [(1)] في سبيل الله.

وقال بتبوك: اقطعوا قلائد الإبل من الأوتار. قيل: يا رسول الله! فالخيل؟

قال: لا تقلدوها بالأوتار [(2)] .

الحرس بتبوك

وكان قد استعمل على حرسه بتبوك عبّاد بن بشر. وكان يطوف في أصحابه بالعسكر مدّة إقامته

عليه السلام. فسمع صوت تكبير من ورائهم في ليلة، فإذا هو سلمان بن سلامة خرج في عشرة على خيولهم يحرسون الحرس. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحم الله حرس الحرس في سبيل الله، فلکم قيراط من الأجر على من حرستم من الناس جميعا أو دابة.

وفد بني سعد هذيم

وقدم من بني سعد هذيم قوم فقالوا: يا رسول الله! إنا قدمنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها وهذا القيظ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نقتطع، لأن الإسلام لم يفش حولنا، فادع الله لنا في مائنا، فإننا إن رويناه به فلا قوم أعز منا، لا يقربنا أحد مخالف لديننا. فقال: ابغوي حصيات، فدفع إليه ثلاث حصيات فعركهن بيده، ثم قال: اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوا واحدة واحدة وسموا الله. فانصرفوا، ففعلوا ذلك فجاشت بئرهم بالرواء [(3)] ، ونفوا [(4)] من قاربهم من المشركين ووطنوهم. فما انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك حتى أوطئوا من حوهم غلبة. ودانوا بالإسلام.

[(1)] طروقة فحل: هي الناقة التي بلغت من السن أن يضربها الفحل للنتاج.

[(2)] كذا في (خ) ورواية (مسند أحمد) ج 344 «ولا تقلدوا الأوتار» بغير باء التعديّة.

[(3)] الرواء: الكثير.

[(4)] في (خ) «ولعوا» .

(68/2)

الصيد في تبوك

واستأذنه رافع بن خديج في الصيد فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن ذهبت فاذهب في عدة من أصحابك، وكونوا على خيل، فإنكم متفرقون من العسكر. فانطلق في عشرة من الأنصار فيهم أبو قتادة- وكان صاحب طرد بالرّمح، وكان رافع راميا- وأتوا بخمسة أحمره وظباء كثيرة. فأمر عليه السلام رافعا فجعل يعطى القبيلة بأسرها الحمار والظبي حتى فرّق ذلك، وصار لرسول الله ظبي واحد، فطبخه، ودعا أضيافه فأكلوا.

آية الطعام يوم تبوك

وكان عرباض بن سارية يلزم باب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحضر والسفر، فرجع ليلة من حاجته بتبوك - وقد تعشى عليه السلام ومن معه من أضيافه، وهو يريد أن يدخل قبته على أم سلمة - فلما رأى العرباض سأله عن غيبته فأخبره. ثم جاء جمال بن سراقه وعبد الله بن مغفل المزني - وهم ثلاثتهم جياح -، فطلب عليه السلام في بيته شيئاً يأكله فلم يجده، فنادى بلالاً: هل من عشاء لهؤلاء النفر؟ فقال: لا، والذي بعثك بالحق، لقد نفضنا جرابنا وحممتنا [(1)]! قال: انظر، عسى أن تجد شيئاً! فأخذ الجرب ينفضها جراباً جراباً، فتقع التمرة والتمران حتى اجتمع سبع تمرات، فوضعها عليه السلام في صحفة وسمي الله، ثم قال: كلوا باسم الله! فأكلوا، وأحصى عرباض أربعاً وخمسين ثمرة أكلها يعدها ونواها في يده الأخرى، وأكل كل واحد من الآخرين خمسين ثمرة، ورفعوا أيديهم، فإذا التمرات السبع [(2)] كما هي، فقال: يا بلال، أرفعها في جرابك، فإنه لا يأكل منها أحد حتى نهل شعباً! فبات الثلاثة حول قبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقام يتهجّد على عادته، فلما صَلَّى بالناس الصبح جلس بفناء قبته وحوله عشرة من الفقراء، فقال: هل لكم في الغداء؟ فقال عرباض في نفسه: أي غداء؟ فدعا بلال بالتمر فوضع يده عليه في الصحفة ثم قال: كلوا باسم الله! فأكلوا حتى شبعوا، وإذا التمرات كما هي، فقال عليه السلام لولا أني أستحي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد

[(1)] الجرب والحمت: أسماء أوعية من الجلد.

[(2)] في (خ) «فإذا السبع الثمرات» .

(69/2)

المدينة من آخرنا! وأخذ التمرات فدفعها إلى غليم، فوَّي الغلام يلوكهّن.

موت ذي الجادين

ومات بتبوك عبد الله [بن عبد نهم المزني] [(1)] ذو الجادين [(2)] ، فنزل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبره عشاء وهياً لشقّه، وقد دلّاه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. ثم قال: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتَ عَنْهُ رَاضِياً فَارْضَ عَنْهُ، فقال عبد الله بن مسعود: ياليتني كنت صاحب هذا اللحد.

مدة الإقامة بتبوك

وأقام عليه السلام بتبوك عشرين ليلة- وقيل بضع عشر ليلة- يصلّي ركعتين.

العسرة والجوع وآية النبوة

فلما أجمع المسير أرمل الناس [(3)] إرمالا شديدا، فشخص على ذلك، حتى استأذنه أن ينحروا ركابهم فأذن لهم. فلقبهم عمر رضي الله عنه وهم على نحرها، فأمرهم أن يمسكوا، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أذنت للناس في حملتهم يأكلونها [(4)] ؟ فقال: شكوا إليّ ما بلغ منهم من الجوع فأذنت لهم، تنحر الرفقة البعير والبعيرين، ويتعاقبون فيما فضل من ظهر، هم قافلون إلى أهليهم! فقال:

يا رسول الله! لا تفعل، فإن يك في الناس فضل من ظهرهم يكن [(5)] خيرا، ولكن ادع بفضل أزوادهم، ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة- كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا-، فإن الله مستجيب لك. فنادى مناديه: من كان عنده فضل زاد فليأت به. وأمر بالأنطاع فبسطت، فجعل الرجل يأتي بالمدّ الدقيق والسويق أو التمر، أو القبضة من الدقيق والسويق والتمر [(6)] ، والكسر، فيوضع كلّ صنف على حدة، وكلّ ذلك قليل. فكان جميع ما جاءوا به من الدقيق والسويق

[(1)] زيادة للإيضاح من (ط) .

[(2)] لقب عبد الله بن نهم.

[(3)] أرمل الناس: نفذ زادهم.

[(4)] الحمولة من الإبل. التي تحمل الأثقال.

[(5)] في (خ) «يكون» .

[(6)] في (خ) «والسمن» وما أثبتناه من (ط) .

(70/2)

والتمر. ثلاثة أفرق حزرا [(1)] ثم توصّأ وصلّي ركعتين ودعا الله، ونادى مناديه هلمّوا [(2)] إلى الطعام خذوا منه حاجتكم! فأقبل الناس فجعل كلّ من جاء بوعاء ملاء، فقال بعضهم: لقد طرحت يومئذ كسرة من خبز وقبضة من تمر، ولقد رأيت الأنطاع تفيض، وجئت بجرايين

فمألت أحدهما سويقا والآخر خبزا، وأخذت في ثوبي دقيقا ما كفانا إلى المدينة. فجعل الناس يتزودون حتى نملوا من آخرهم، حتى كان آخر ذلك أن أخذت الأنطاع ونثر ما عليها، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف: أشهد أن لا إله إلا الله وأني عبده ورسوله، وأشهد أنه لا يقولها أحد من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حرّ النار.

خبر النهي عن الماء وخلاف المنافقين

وأقبل قافلا حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادي الناقة [(3)] - هو وادي المشقق [(4)] ، وكان فيه وشل [(5)] يخرج منه في أسفله قدر ما يروي الركابين والثلاثة - فقال: من سبقنا إلى ذلك الرمل [(6)] فلا يستقين منه شيئا حتى نأتي. فسبق إليه أربعة من المنافقين: معتب بن قشير والحارث بن يزيد الطائي حليف بني عمرو بن عوف [(7)] ، ووديعه بن ثابت، وزيد بن اللصيت، فقال عليه السلام: ألم أهلكم؟! ولعنهم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده في الوشل، ثم مسح بإصبعه حتى اجتمع منه في كفه ماء قليل، ثم نضحه به، ثم مسح بيده، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق الماء [(8)] .

قال معاذ بن جبل: والذي نفسي بيده، لقد سمعت له من شدة انخراقه مثل الصواعق! فشرب الناس ما شاءوا، وسقوا ما شاءوا، ثم

-
- [(1)] في (خ) «أفراق» والفرق: ستة عشر رطلا.
- [(2)] كذا في (خ) ، والأولى: «هلم» ، راجع (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي ج 5 ص 431.
- [(3)] يقول محقق (ط) [لم أجد من سمي هذا الوادي «وادي الناقة» في غير هذا الكتاب] . ونقول:
- راجع الخبر بتمامه في (المغازي) [ج 3 ص 1039] .
- [(4)] في (خ) «القتق» .
- [(5)] الوشل: الجبل أو الصخرة يقطر منه الماء قليلا.
- [(6)] رواية (الواقدي) ص 1039 «إلى ذلك الوشل» .
- [(7)] يقول محقق (ط) : [لم أجد ذكر الحارث بن يزيد هذا] ونقول: [انظر المرجع السابق] .
- [(8)] انخرق الماء: اتسع واندفق.

قال عليه السلام: لئن بقيتم - أو من بقي منكم - لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب مما [(1)]
[بين يديه وما خلفه، فقال سلمة بن سلامة بن وقش لوديعة بن ثابت:
ويلك [(2)] ! أبعد ما ترى شيء [(3)] ؟ أما تعتبر! فقال: قد كان يفعل مثل هذا قبل
هذا.

خبر أبي قتادة

ثم سار عليه السلام.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن في الجيش نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً - وهو
قافل وأنا معه - إذ خفق خفقة [(4)] وهو على راحلته فمال على شقه، فدنوت منه فدعمته
[(5)] فانتبه، فقال: من هذا؟ قلت: أبو قتادة يا رسول الله، خفت أن تسقط فدعمتك،
فقال: حفظك الله كما حفظت رسوله، ثم سار غير كبير ثم فعل مثلها، فأدعمه فانتبه، فقال: يا
أبا قتادة، هل لك في التعريس [(6)] ؟ فقلت: ما شئت يا رسول الله.

التعريس، والنوم عن الصلاة

فقال: انظر من خلفك؟ فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة، فقال: ادعهم، فقلت، أجيئوا رسول الله!
فجاءوا فعرّسنا، ونحن خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم «ومعي إداوة فيها ماء: فنمنا فما
انتبهنا إلا بحرّ الشمس، فقلت: إنا لله! فاتنا الصبح! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
لنغيظن الشيطان كما غاظنا! فتوضأ من ماء الإداوة ففضل فضلة، فقال: يا أبا قتادة، احتفظ بما
في الإداوة والركوة [(7)] فإن لهما شأنًا، ثم صلى بنا الفجر بعد طلوع الشمس، فقرأ بالمائدة.

[(1)] في (خ) «مما» وهي رواية (الواقدي) .

[(2)] في (خ) «وتلك» .

[(3)] في (خ) «شيئاً» .

[(4)] خفق خفقة: نام نومة خفيفة فحرك رأسه من مسّ النوم.

[(5)] دعمه: أسنده.

[(6)] التعريس: الاستراحة في السفر مع النوم القليل.

[(7)] الركوة: إناء صغير من جلد.

ظماً الجيش بتبوك

فلما انصرف من الصلاة قال: أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا. وذلك أنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما [(1)] ، فنزلوا على غير ماء بفلاة [(2)] من الأرض.

فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحق الجيش عند زوال الشمس - ونحن معه-، وقد كادت تقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشا.

آيات النبوة في الماء بتبوك

فدعا بالركوة فأفرغ ما في الإداوة فيها، فوضع أصابعه عليها فنبع الماء من بين أصابعه، وأقبل الناس فاستقوا، وفاض الماء حتى ترؤوا وأرووا خيلهم وركابهم، وإن كان في العسكر اثنا عشر ألف بعير- ويقال خمسة عشر ألف بعير- والناس ثلاثون ألفا، والخيل عشرة آلاف فرس: وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لأي قتادة احتفظ بالركوة والإداوة. وكان في تبوك أربعة أشياء [(3)] : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير منحدرًا إلى المدينة- وهو في قيظ شديد-

عطش العسكر بعد المرتين الأوليين عطشا شديدا، حتى لا يوجد للشفة ماء قليل ولا كثير، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل أسيد بن حضير- في يوم صائف وهو مثلثم- فقال: عسى أن تجد لنا ماء!

فخرج أسيد- وهو فيما بين الحجر وتبوك- فجعل يضرب في كل وجه، فيجد راوية من ماء مع امرأة من بلي، فكلمها وخبرها خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: هذا الماء، فانطلق به، فدعا فيه صلى الله عليه وسلم بالبركة، ثم قال: هلموا [(4)] أسقيتكم! فلم يبق معهم سقاء إلا ملئوه، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقوها حتى نهلوا. ويقال إنه صلى الله عليه وسلم أمر بما [(5)] جاء به أسيد فصبته [(6)] في قعب عظيم من عساس [(7)] أهل البادية، فأدخل فيه يديه وغسل وجهه ويديه ورجليه، ثم صلى ركعتين، ثم رفع يديه مدا،

[(1)] في (خ) «عليل عليهما» .

[(2)] في (خ) «بقلادة» ، والفلاة: الأرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.

[(3)] في (خ) «أشياء» وما أثبتناه من (ط) .

[(4)] كذا في (خ) «والأولى» «هلم» ، فيها نزل القرآن.

[(5)] في (خ) «بماء» .

[(6)] في (خ) «وصبه» .

[(7)] العساس: جمع عسّ: وهو قدح ضخم.

(73/2)

ثم انصرف وإن القعب ليفور فقال للناس [(1)] زودوا، فاتسع الماء وانبسط للناس، حتى يصفّ عليه المائة والمائتان، فأرووا وإن القعب ليحيش بالرواء. ثم راح مبردا مترويا [(2)] من الماء.

كيد المنافقين بإلقاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من الثنية ولما كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ببعض الطريق مكر به أناس من المنافقين، واثمروا أن يطرحوه من عقبة، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خبرهم، فقال للناس [(1)] : اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي. وسلك صَلَّى الله عليه وسلّم العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه، فبينما رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يسير في العقبة، إذ سمع حسّ القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردّهم، فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده، فانخطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، وأتى حذيفة فسار به. فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال: يا حذيفة، هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله، عرفت راحلة فلان وفلان، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل.

التقاط ما سقط من المتاع

وكانوا قد أنفروا برسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فسقط بعض متاع رحله، فكان [(3)] حمزة ابن عمرو الأسلمي يقول: فنور لي في أصابعي الخمس [(4)] ، فأضاءت حتى كُنّا نجتمع ما سقط، السوط والحبل وأشباههما، حتى ما بقي من المتاع شيء إلا جمعناه. وكان [حمزة بن عمرو الأسلمي] [(5)] قد لحق برسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالعقبة.

أمر المنافقين

فلما أصبح [رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم] [(3)] قال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادي، فقد كان أسهل؟ فقال: يا أبا يحيى! أتدري

- [(1)] في (خ) «فقال الناس» .
 [(2)] من الإبراد والرّي .
 [(3)] في (خ) «وكان» .
 [(4)] في (خ) «الخمسة» .
 [(5)] زيادة للبيان من (ط) .

(74/2)

ما أراد البارحة المنافقون وما همّوا به؟ قالوا: نتبعه في العقبة، فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنساع [(1)] راحلي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي؟

مشورة أسيد بن الحضير في قتل المنافقين

فقال أسيد: يا رسول الله، فقد اجتمع الناس ونزلوا، فمر كلّ بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا، فيكون الرجل الذي يقتله من عشيرته، وإن أحببت فنبّئي بهم، فوالذي بعثك بالحق لا تبرح [(2)] حتى آتيك براء وسهم، وإن كانوا في التّبيت [(3)] كفيتهم، وأمرت سيد الخزرج فكفك من ناحيته، فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله! حتى متى نداهم، وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضرب الإسلام بجوانه؟! فما تستبقي من هؤلاء؟
 قال: يا أسيد إني أكره أن يقول الناس إن محمداً - لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين - وضع يده في قتل أصحابه! فقال: يا رسول الله، وهؤلاء ليسوا بأصحاب! قال: أو ليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولا شهادة لهم! قال: أوليس يظهرون أي رسول الله؟ قال بلى، ولا شهادة لهم! قال: فقد نھيت عن قتل أولئك.

عدة أهل العقبة أصحاب الكيد

وكان أهل العقبة الذين أرادوا ما أرادوا - ثلاثا عشر رجلا، قد سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وعمّار. وقيل: ربعة عشر، وقيل: خمسة عشر، وقيل: اثني عشر وهو الثّبت.

وقال ابن قتيبة [(4)] إن الذين همّوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي [ابن سلول] ، وسعد بن أبي سرح: [وهو أبو الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان «غفور

[(1)] الأنساع: قال في (النهاية) جمع نسعة، وهي سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره.
[(2)] في (خ) «وإن أجبت والذي بعثك بالحق فنبتني بهم فلا تبرح» وهي رواية (الواقدي)
وما أثبتناه من (ط) .

[(3)] النبيت: لقب عمرو بن مالك جد الأوس.

[(4)] راجع كتاب (المعارف) لابن قتيبة بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة. طبعة دار المعارف
بمصر ص 343 باب [أسماء المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من
الثنية في غزوة تبوك] ، وما بين الأقواس زيادات منه.

(75/2)

رحيم» ، و «عزيز حكيم» [، وأبو حاضر الأعرابيّ، والجلال بن سويد [ابن الصامت] ،
ومجمّع بن جارية [(1)] ، ومليح التيمي: [وهو] الذي سرق طيب الكعبة وارتد [عن
الإسلام] وانطلق فلا يدري أين ذهب، وحصين بن نمير:
[وهو الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه] ، وطعيمة بن أبيرق، ومرة بن ربيع، [وكان أبو عامر
رأسهم، وله بنوا مسجد الضرار، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة] [(2)] . واعترض عليه بأن
ابن أبي لم يشهد تبوك، وأن أبا عامر فرّ عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قبل هذا.

أصحاب مسجد الضرار

وأقبل صَلَّى الله عليه وسلّم حتى نزل بذى أوان: - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار-، وقد
كان جاءه أصحاب مسجد الضرار [(3)] ، وهم خمسة: معتب بن قشير، وثعلبة ابن حاطب،
وخذام [(4)] بن خالد، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعبد الله بن نبتل ابن الحارث،
فقالوا: يا رسول الله، إنّنا رسل من خلفنا من أصحابنا، إنّنا قد بنينا مسجداً لذي القلعة والحاجة
والليلة المطيرة، والليل الشاتية، ونحن نحب أن تأتينا فتصلّي فيه! وكان يتجهز إلى تبوك، فقال:
إني على جناح سفر وحال شغل- [أو كما قال صَلَّى الله عليه وسلّم] [(5)] ، لو قدمنا- إن
شاء الله- أتيناكم فصلينا بكم فيه.

الوحي بخبر المسجد وإرضاده لأبي عامر الفاسق

فلما نزل بذى أوان أتاه [(6)] [خبر المسجد] [(7)] وخبر أهله من السماء، وكانوا إنما بنوه

[يريدون بنائه السّوى، ضرارا لمسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكفرا بالله، وتفريقا بين المؤمنين، وإرصادا لأبي عامر الفاسق] [(8)] ، قالوا بينهم: يأتينا أبو عامر فيتحدث عندنا فيه، فإنّه يقول: لا أستطيع أن آتي مسجد بني عمرو بن عوف،

[(1)] في (خ) «محمد بن جارية» ، وفي (ابن قتيبة) «مجمّع بن حارثة» .

[(2)] في (خ) «مكان ما بين القوسين» وأبو عامر» .

[(3)] ويسمى أيضا مسجد الشقاق.

[(4)] في (خ) «خدام» .

[(5)] زيادة من كتب السيرة.

[(6)] في (خ) «أناه أناه» مكررة.

[(7)] في (خ) «أناه خبره» وما أثبتناه من (ط) أبين للسياق.

[(8)] زيادة للسياق من (تفسير الطبري) عند الآية 107/ التوبة.

(76/2)

إنما أصحاب محمد يلحظوننا بأبصارهم. يقول الله تعالى: وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَعْزِيبُ عَنْهُ اللَّهُ لِيُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ .

هدم المسجد وتحريقه

فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عاصم بن عديّ العجلانيّ، ومالك بن الدخشم السّالميّ، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم حرّقاها فخرجا سريعين - على أقدامهما - حتى أتيا مسجد بني سالم [بن عوف، وهم رهط مالك ابن الدخشم] [(1)] ، فقال مالك لعاصم: انظري [(2)] حتى أخرج [(3)] إليك بنار من أهلي فدخل إلى [(4)] أهله فأخذ سعفا من النخيل وأشعل فيه نارا، ثم خرجا يعدوان حتى انتهيا إليهم بين المغرب والعشاء وهم فيه، وإمامهم مجمّع بن جارية، فأحرقاه، - وثبت من بينهم زيد بن جارية بن عامر حتى احترقت ألبنته [(5)] -، وهدماه حتى وضعاه بالأرض.

هجران أرض المسجد وشؤم أخشابه

فلما قدم صلّى الله عليه وسلّم المدينة عرض على عاصم بن عديّ المسجد يتخذ دارا، فقال:

ما كنت لأتخذ مسجداً قد نزل فيه ما نزل داراً! فأعطاه ثابت بن أقرم [(6)] وأخذ أبو لبابة بن عبد المنذر خشباً من مسجد الضّرار - كان قد أعانهم به، وكان غير مغموص عليه في التّفاق - فبني به منزلاً له، فلم يولد له في ذلك البيت مولود، ولم يقف فيه حمام، ولم تحضن فيه دجاجة قط.

عدة من بني مسجد الضرار

وكان الذين بنوا مسجد الضرار اثني عشر [(7)] رجلاً: جارية بن عامر بن

[(1)] زيادة من ابن هشام.

[(2)] أنطربي: انتظري.

[(3)] في (خ) «حتى أخرج حتى أخرج» مكررة.

[(4)] في (خ) «فدخل على أهله» و «إلى أهله» حق المعنى.

[(5)] الألية: العجيزة.

[(6)] في (خ) «أقدم» .

[(7)] في (خ) «اثنا عشرة» .

(77/2)

مجمّع [(1)] بن العطف - وهو حمار الدار -، وابناه [(2)] مجمّع بن جارية، [ويزيد ابن جارية] [(3)] ، ووديعة بن ثابت، وعبد الله بن نبتل [(4)] ونجاد بن عثمان، وأبو حبيبة بن الأزعر، ومعتّب بن قشير، وعباد بن حنيف وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد، وخزام بن خالد من بني أحد بن مرو بن عوف، بني أمية بن زيد، وخزام [(5)] بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بن عمرو بن عوف، [ويخرج من بني ضبيهة] [(6)] .

من خير المنافقين أصحاب المسجد

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زمام خير من خزام، وسوط خير من نجاد: وكان عبد الله بن نبتل يستمع حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يأتي به المنافقين، فقال جبريل: يا محمد! إن رجلاً من المنافقين يأتيك فيستمع حديثك، ثم يذهب به إلى المنافقين، فقال: أيهم [(7)] هو؟ قال: الرجل الأسود ذو الشعر الكثير، الأحمر العينين، كأنهما قدران من صفر، كبده

كبد حمار وينظر بعين شيطان.

ما نزل فيهم من القرآن

وفيه نزل قوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا، لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ [(8)] .

وأرادوا بنائه: أنهم كان يجتمعون في المسجد فيتناجون فيما بينهم، ويلتفت

[(1)] في (خ) «جارية بن عمرو بن العطف» وما أثبتناه هو ما اتفقت عليه كتب التراجم والسير.

[(2)] في (خ) «وابنه»، والمثنى أولى.

[(3)] زيادة من (ابن هشام) ج 4.

[(4)] في (ابن هشام) ج 4 «ونبتل بن الحارث من ضبيعة» ولم يذكر «عبد الله بن نبتل» .

[(5)] في (خ) «خدام» .

[(6)] زيادة من (ابن هشام) ج 4، وبها تتم عدة من بني مسجد الضرار.

[(7)] في (خ) «إهم» .

[(8)] الآيتان 107، 108/ التوبة وفي (خ) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا، إلى قوله

تعالى:

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ.

(78/2)

بعضهم إلى بعض، فيلحظهم المسلمون بأبصارهم، فشق ذلك عليهم، وأرادوا مسجدا يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلا من يريدون ممن هو على قبل رأيهم. وكان أبو عامر يقول: لا أقدر أن أدخل مريدكم هذا [(1)] ! وذلك أن أصحاب محمد يلحظوني وينالون مني ما أكره. فقالوا: نحن نبي مسجدا تتحدث فيه عندنا.

المتخلفون عن تبوك

[وقد كان تخلف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رهط من المنافقين، وتخلف أولئك الرّهط الثلاثة المسلمين من غير شك ولا نفاق:

كعب بن مالك الأنصاريّ السلميّ، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفيّ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تكلمنّ أحدا من هؤلاء الثلاثة! فاعتزل المسلمون كلام أولئك الثفر الثلاثة] [(2)] . وأجمع كعب بن مالك أن يصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مقدمة إلى المدينة ودعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة في رمضان، فقال: الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة ومن بعدنا شركاؤنا فيه. فقالت عائشة رضي الله عنها. أصابكم العسر [(3)]
وشدة السفر، ومن بعدكم شركاؤكم فيه؟ فقال: إن بالمدينة لأقواما ما سرنا من مسير، ولا هبطنا واديا إلا كانوا معنا، حبسهم المرض، أو ليس الله يقول في كتابه وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً [(4)] ؟ فحن غزاهم وهم قعدتنا [(5)] ، والذي نفسي بيده، لدعاؤهم أنفذ في عدونا من سلاحنا!!!.

دخول المسجد والنهي عن كلام المتخلفين

ولما قدم بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فجاء المخلفون

[(1)] المرید: فناء وراء البيت، ربما حبست فيه الغنم فبناه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مسجدا، ولكن عدو الله الفاسق كان يسمى المسجد باسم ما كان عليه أولا.

[(2)] ما بين القوسين ساقط في (خ) وأثبتناه من (ابن هشام) ج 4 ص 129.

[(3)] في (خ) «أصابكم السفر» وهي رواية (الواقدي) عن عائشة. انظر (المغازي) ج 3 ص

1056، وما أثبتناه من (ط) .

[(4)] من الآية 122/ التوبة.

[(5)] القعدة: جمع قاعد، وهو الذي قعد عن الغزو.

فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له، - وكانوا بضعة وثمانين رجلا-، فقبل منهم علانيتهم وأيمانهم. وقيل: بل خرج [(1)] عامة المنافقين إليه بذى أوان، فقال: لا تكلموا أحدا ممن تخلف عنا، ولا تجالسوه حتى آذن لكم، فلم يكلموهم.

المعذرون وقبول أعدارهم

فلما قدم المدينة جاءه المعذرون يحلفون له، فأعرض عنهم وأعرض المؤمنون، حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وعمه، فجعلوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويعتذرون بالحمى والأسقام، فيرحمهم ويقبل علانيتهم وأيمانهم، وحلفوا فصدّقهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله.

خبر كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خَلَّفوا وجاء كعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد، فلما سلّم عليه تبسّم تبسم المغضب ثم قال: تعال! فجاء حتى جلس بين يديه، فقال: ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك [(2)]؟ فقال: بلى يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أيّ سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلا، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذبا لترضي عني، ليوشكنّ الله أن يسخط عليّ، ولئن حدثتك اليوم حديثا صادقا تجد عليّ [(3)] فيه، إنّي لأرجو عقي الله فيه. لا والله ما كان لي عذر! والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك! فقال عليه السلام: أما أنت فقد صدقت! فقم حتى يقضى الله فيك.

فقام ومعه رجال من بني سلمة، فقالوا له: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا! ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت بما اعتذر به المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك. حتى كاد أن يرجع فيكذب نفسه، فلقبه معاذ بن جبل وأبو قتادة [(4)]، فقالا لي: لا تطع أصحابك وأقم على الصدق، فإن الله سيجعل لك فرجا ومخرجا إن شاء الله تعالى، فأما هؤلاء المعذرون، فإن كانوا صادقين

[(1)] في (خ) «بلخرج» .

[(2)] الظهر: الركاب التي تحمل الأثقال.

[(3)] تجد علي: تغضب علي.

[(4)] في (خ) «وأبا قتادة» .

فسيرى الله ذلك ويعلم نبيه، وإن كانوا غير ذلك يذمهم أقبح الذم ويكذب حديثهم فقال لهم: هل أتى هذا (أحد) [(1)] غيري؟ قالوا: نعم! رجلان قالا مثل مقاتلك، وقيل لهما مثل ما قيل لك! قال: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي.

النهي عن كلام الثلاثة وتماخؤ أخبارهم

ونهي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كلام الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم، حتى تنكرت لهم أنفسهم، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة. وقد قعد مرارة وهلال في بيوتهما، وكان كعب يخرج فيشهد الصلوات مع المسلمين ويطوف بالأسواق فلا يكلمه أحد. ويأتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في مجلسه بعد الصلوات - فيسلم عليه ويصلى قريبا منه يسارقه النظر وهو معرض عنه.

وتسور يوما جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمه وأحب الناس إليه - فسلم عليه فلم يردّ عليه السلام، فقال: يا أبا قتادة! أنشدك الله! هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، وكرر ذلك فقال في الثالثة: الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناه وانصرف: فلما مضت أربعون ليلة بعث إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإلى هلال ابن أمية ومرارة بن ربيع - مع خزيمة بن ثابت يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فقال كعب لأمرأته: ألحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض!!

هلال بن أمية

وبكى هلال بن أمية وامتنع عن الطعام وواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاما، إلا أن يشرب الشربة من الماء أو الصّيح [(2)] من اللبن، ويصلي الليل ولم يخرج من بيته لأن أحدا لا يكلمه، حتى إن الولدان يهجرونه لطاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجاءت امرأته فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له، وأنا أرفق به من غيري، فإن رأيت أن تدعني أخدمه فعلت! قال:

[(1)] زيادة من (ابن هشام) ج 4.

[(2)] في (خ) «النصيح»، والضحك: اللبن يصب عليه الماء حتى يرق.

نعم، ولكن لا تدعيه يصل إليك، فقالت: يا رسول الله، ما به من حركة إلي! والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. وإن خيته لتقطر دموعا الليل والنهار ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوّفت أن يذهب بصره.

التوبة على الثلاثة وما نزل من القرآن

فلما كملت خمسون ليلة- وهم كما قال الله تعالى: حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ- أنزل الله توبتهم بقوله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُفٌ رَحِيمٌ* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [(1)] .

فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عند الصبح. فخرج أبو بكر رضي الله عنه فأوفي على سلع [(2)] فصاح: قد تاب الله على كعب بن مالك! يبشره. فأتاه حمزة بن عمرو فبشره، فنزع ثوبيه وكساهما إياه، ولا يملك غيرهما، واستعار ثوبين من أبي قتادة فلبسهما، ثم انطلق إلى رسول الله والناس يهنتونه، وخرج أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل إلى هلال يبشره فلما أخبره سجد ولقيه الناس يهنتونه، فما استطاع المشي- لما أصابه من الضعف والحزن والبكاء- حتى ركب حمارا. وبشّر مرارة بن ربيع بن سلكان بن سلامة بن وقش، فأقبل حتى توافدوا عند النبي صلى الله عليه وسلم.

انخلاع كعب من ماله

فقام طلحة بن عبيد الله يتلقى كعب بن مالك. فلما سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له- ووجهه يبرق من السرور-: أبشر بخير يوم مر عليك منذر ولدتك أمك! فقال: أمن عندك يا رسول الله أو من عند الله؟ قال: من عند الله، وتلا

[(1)] الآيات 117-119 / التوبة، وفي (خ) «الأنصار» الآيات.

[(2)] سلع: جبل بسوق المدينة.

عليه الآيات [(1)] فقال كعب: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة! فقال:
أمسك عليك [بعض] [(2)] مالك فهو خير لك. قال: فالثلاثان؟
قال: لا، قال: فالنصف [(3)]؟ قال: لا، قال: فالثالث [(4)]؟ قال: نعم.

ما نزل في المعذرين الكاذبين

ونزل في الذين كذبوا قوله تعالى: سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [(5)] .

توهم المسلمون انقطاع الجهاد

وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون. قد انقطع الجهاد! فجعل أهل القوى منهم يشتريها لفضل قوته، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهاهم عن ذلك وقال: لا تزال [(6)] عصابة من أمي ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال.

ما نزل من القرآن في تبوك

وأنزل الله في غزوة تبوك: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [(7)] :
الآيات من سورة «براءة» [(8)] . وكشفت «براءة» منهم ما كان مستورا، وأبدت أضعافهم ونفاق من نافق منهم.

[(1)] أي الآيات 117-119 / التوبة.

[(2)] زيادة لا بد منها من (ابن هشام) ج 4.

[(3)] في (خ) «بالنصف» .

[(4)] في (خ) «بالثالث» .

[(5)] الآيتان 95-96 / التوبة، وفي (خ) .

[(6)] في (خ) «لا تزال» .

[(7)] الآية 38 / التوبة، وفي (خ) إلى قوله تعالى: إِلَى الْأَرْضِ.

[(8)] براءة: اسم من أسماء سورة التوبة، وأكثرها نزل في تبوك.

وفد ثقيف وإسلام عروة بن معتب

وفي شهر رمضان هذا قدم وفد ثقيف.

وكان عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف التثقيفي - حين حاصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الطائف - بجرش، ثم رجع بعد منصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقتل في قلبه الإسلام. فقدم المدينة بعد رجوع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الحج، فيما ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقيل: بل لحق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين مكة والمدينة فأسلم، وهو قول ابن إسحاق.

دعاؤه ثقيف

ثم إنه [(1)] أراد أن يرجع إلى ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام، فقال له عليه السلام، إنهم إذا قاتلوك، قال: لأنا أحب إليهم من أبنائهم! ثم استأذنه الثانية، ثم الثالثة، فقال: إن شئت فاخرج [(2)] ، وعاد إلى الطائف عشاء، فدخل منزله ولم يأت الرية [(3)] ، فأنكر قومه ذلك، وأتوه منزله، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأذوه، وخرجوا يأتمرون ما يصنعون به. حتى إذا طلع الفجر أو في على غرفة فأذن بالصلاة، فرماه وهب بن جابر - ويقال: أوس بن عوف من بني مالك - فأصاب أكحله فلم يرفأ دمه، ومات، فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتله قال:

مثل عروة مثل صاحب ياسين [(4)] ، دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه!
ولحق ابنه أبو مليح وابن أخيه قارب بن الأسود برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلما، ونزلا على المغيرة بن شعبة.

مشورة ثقيف عمرو بن أمية

وكان عمرو بن أمية - أحد بني علاج - من أدهى العرب، وكان مهاجرا

[(1)] في (خ) «وإنه» .

[(2)] ما بين القوسين زيادة من كتب السيرة.

[(3)] الرية: صخرة تعبدها ثقيف بالطائف.

[(4)] هو الذي يقول الله فيه وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ،

الآيات من 20 - 30 سورة يس.

لعبد ياليل بن عمرو، فمشى إليه ظهرا حتى دخل داره. [ثم أرسل إليه: إن عمرو ابن أمية يقول لك: أخرج إليّ! فقال عبد ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ! قال: نعم، وها هو ذا واقفا في دارك! فقال: إن هذا شيء ما كنت أظنه، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك!] [(1)] فخرج إليه، فدعاه إلى الدخول في الإسلام، [وقال له: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة! إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، وقد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحرهم طاقة، فانظروا في أمركم!] [(1)] فقال [عبد ياليل] [(1)] : والله قد رأيت ما رأيت، فائتمرت ثقيف فيمن يرسلونه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفد ثقيف والأحلاف

حتى أجمعوا على أن يبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ورجلين [معه] [(2)] من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فبعثوا عبد ياليل [ومعه] الحكم بن عمرو ابن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة- وهما من الأحلاف رهط عروة بن مسعود-، وبعثوا من بني مالك: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد ابن دهمان أبا بني يسار، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة بن ربيعة، ستة نفر، ويقال إن الوفد قد كانوا بضعة عشر رجلا فيهم: سفيان بن عبد الله، والحكم ابن عمرو بن وهب.

مقدم الوفد إلى المدينة

فخرجوا- ورأسهم عبد ياليل- حتى قاربوا المدينة فإذا المغيرة بن شعبه يرعي في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكانت رعيته نوبا على أصحابه- فسلم عليهم وترك الركاب عندهم، وخرج يشتد يبشر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدمهم، فبشره ثم عاد إليهم. فأتوا إلى المسجد فقال الناس: يا رسول الله! يدخلون المسجد وهم مشركون! فقال: إن الأرض لا ينجسها شيء.

[(1)] زيادات من (ابن سعد) ، و (ابن هشام) .

[(2)] زيادة للسياق من (ط) .

ضيافة الوفد

ثم أنزل المغيرة في داره، وأمر لهم عليه السلام بخيمات ثلاث من حرير فضربن في المسجد. فكانوا يستمعون القراءة بالليل وتمجد الصحابة، وينظرون صفوفهم في الصلوات المكتوبات، ويرجعون إلى منزل المغيرة فيطعمون ويتوضئون. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري لهم الضيافة في دار المغيرة فكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد بن سعيد بن العاص، فإنه كان يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا.

بعض اعتراضهم

وكانوا يسمعون خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمعونه يذكر نفسه فقالوا: يأمرنا نشهد أنه رسول الله، ولا يشهد به في خطبته! فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوهم قال: أنا أول من شهد أي رسول الله، ثم قام فخطب، وشهد أنه رسول الله في خطبته.

إسلام عثمان بن أبي العاص

فمكثوا أياما يغدون على النبي صلى الله عليه وسلم، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحلهم - وكان أصغرهم - فكانوا إذا رجعوا وناموا بالهاجرة، خرج فعمد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين، فاستقرأه القرآن وأسلم سرا وفقه وقرأ من القرآن سورا.

جدال الوفد في الزنا والربا والخمر

هذا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الوفد إلى الإسلام، فقال له عبد ياليل: هل أنت مقاضينا [(1)] حتى نرجع إلى قومنا، فقال إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم. فقال عبد ياليل: رأيت الزنا! فإننا قوم عزاب [(2)] لا بد لنا منه، ولا يصبر أحدنا على العزبة [(3)] ! قال: هو مما حرم الله، قال:

[(1)] قاضي مقاضاة: جعل بينه وبينه قضاء محكما.

[(2)] في (خ) «عذاب» .

[(3)] في (خ) «العذبة» ، والعزبة والعزوبة بمعنى.

أرأيت الربا! قال: الربا حرام! قال فإن أموالنا كلها ربا! قال: لكم رءوس أموالكم، قال: أفأرأيت الخمر! فأثما عصير أعنابنا ولا بد لنا منها! قال: فإن الله حرّمها. فخلا بعضهم ببعض، وقال عبد ياليل: ويحكم! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال!! لا تصبر ثقيف عن الخمر ولا عن الزنا أبدا.

كتاب الصلح

ومشى خالد بن سعيد بن العاص بينهم وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كتبوا الكتاب - وكتبه خالد - وأسلموا، وتعلموا فرائض الإسلام وشرائعه، وصاموا بقية شهر رمضان. فأمر عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن أبي العاص، وهو أصغرهم، وقال له: اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا: وخرجوا إلى الطائف.

هدم ربة ثقيف

وسار في إثرهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الربة صنمهم، فدخل القوم الطائف، وكانت لهم مع قومهم أبناء حتى أسلموا. ودخل المغيرة في بضعة عشر رجلا فهدموا الربة، وانتزع كسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة. فأعطى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما وجد فيه أبا مليح بن عروة، وقارب بن الأسود، وناسا: وجعل في سبيل الله وفي السلاح منها. ثم كتب لثقيف بعد البسملة:

كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثقيف

«من محمد النبي رسول الله [(1)] ، [هذا كتاب من النبي رسول الله] [(2)] ، إلى المؤمنين: إن عضاه وج وصيده لا يعضد [(3)] ، ومن وجد يفعل [شيئا] [(4)] من ذلك يجلد وتنزع ثيابه، فإن تعدى [ذلك] [(4)] فإنه يؤخذ فيبلغ [به] [(4)] النبي محمد، وإن [(5)] هذا أمر النبي محمد رسول الله. وكتب خالد بن سعيد بأمر النبي

[(1)] في (خ) «ورسول الله» ، وما أثبتناه نص (ابن هشام) ج 4.

[(2)] هذا الكتاب، أعاد المؤلف صياغته من روايات مختلفة وكلها صحيحة إلا أنه نسي

التنبيه على اختلاف الرواية.

[(3)] في (خ) «عضاة» .

[(4)] زيادات من (ابن هشام) ج 4.

[(5)] في (خ) «فإن» وهذا نص (ابن هشام) ج 4.

(87/2)

محمد بن عبد الله، فلا يتعده أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله.

حمي وج

ونهي صلى الله عليه وسلم عن قطع عضاه [(1)] وج وعن صيده، فكان الرجل يؤخذ بفعل ذلك، فتنزع ثيابه. واستعمل على حمي وج سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

إسلام كعب بن زهير

وفي هذه السنة كان إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من، مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر: وذلك أنه خرج هو وأخوه بجير إلى أبرق العراق، فتركه بجير في غنمه وقدم المدينة فأسلم، فقال كعب شعرا غضب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه. فكتب إليه بجير بعد عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف، وقال له: التّجاء التّجاء!! وما أراك أن تفلت، ثم كتب إليه يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنشده:
«بانت سعاد فقلبي اليوم متبول» .
.. القصيد.

خبره وخبر البردة

فكساه بردة كانت عليه. وقيل: أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان يشبّب بأمّ هانئ بنت أبي طالب، وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة منصرفا عن الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب، فذكر الحديث. وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى زهيراً وله مائة سنة فقال: اللهم أعذني من شيطانه! فما لأك بيتا حتى مات.

وقال ابن قتيبة [(2)] : أعطي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعب بن زهير راحلة وبردًا،
فباع البرد من معاوية [(3)] بعشرين ألفًا، فهو عند الخلفاء إلى اليوم.

[(1)] في (خ) «عضاة» .

[(2)] في كتاب (الشعر والشعراء) ج 1 ص 162 طبعة الثالثة بتحقيق أحمد محمد شاكر سنة
1977.

[(3)] في (خ) «معونة» .

(88/2)

الوفود

ولما أسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه لمعرفة أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول
الله ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجًا.

وفد بني أسد:

فقدم وفد بني أسد وقالوا: أتيناك قبل أن ترسل إلينا!! فأنزل الله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا
تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [(1)] :
كتب ملوك حمير:

وقدمت كتب [ملوك] [(2)] حمير [ورسوله إليه بإسلامهم] [(3)] : الحارث بن عبد كلال
[ونعيم بن عبد كلال] [(2)] ، والنعمان قيل ذي رعين، [ومعافر] [(3)] وهمدان، أقرّوا
بالإسلام.

وفد بهراء:

وقدم وفد بهراء، فنزلوا على المقداد بن عمرو [البهراي] [(4)] .

وفود أخرى:

وقدم وفد بني البكاء، ووفد فزارة وفيهم خارجة بن حصين، ووفد ثعلبة، ووفد سعد بن بكر
ووافدهم ضمّام بن ثعلبة، ووفد الدارين من لحم وهم

[(1)] آية 17/ الحجرات، وفي (خ) ، أن أسلموا، الآية.

[(2)] زيادة من ابن هشام.

[(3)] زيادة من ابن هشام، وفي (خ) «وقدمت كتب حمير مع الحارث بن عبد كلال» وهذا خطأ، فإن كلا من الحارث والنعمان لم يفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الذي كتب إليهما،

وهذا هو نص كتابه صلى الله عليه وسلم إليهما «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين، وهمدان ومعاشر، أما بعد ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقلنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم وخبر ما قبلتم وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وإن الله قد هداكم بهدايته إن أصلحتهم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه.

(راجع مكاتيب الرسول) ص 187. (وتاريخ الطبري) ج 3 ص 120، 121.

[(4)] زيادة للإيضاح من (ط) .

(89/2)

عشرة [(1)] .

موت عبد الله بن أبي

ومرض عبد الله بن أبي في ليال من شوال، ومات في ذي القعدة وكان مرضه عشرين يوما، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فيها، فلما دخل عليه وهو يجود بنفسه قال له: نهيئتك عن حبّ يهود! فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة، فما نفعه؟:

ثم قال: يا رسول الله، ليس بحين عتاب، هو الموت! فإن مت فاحضر غسلني، وأعطني قميصك أكفن فيه فأعطاه قميصه الأعلى - وكان عليه قميصان-، فقال:

الذي يلي جلدك! فنزع قميصه الذي يلي جلده فأعطاه ثم قال صلّ عليّ واستغفر لي.

حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بعد موته إلى قبره، فأمر به فأخرج، فكشف عن وجهه، ونفت عليه من ريقه وأسنده إلى ركبتيه، وألبسه قميصه الذي يلي جلده:

قال الواقدي [(2)] : والأول أثبت أنه حضر غسله وكفّنه.

الصلاة عليه واعتراض عمر في ذلك

ثم

حمل إلى موضع الجنائز، فتقدم صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فلما قام وثب إليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، تصلي على ابن أبي؟ فإنه قال يوم كذا وكذا [(3)] ، ويوم كذا وكذا، فعدّ عليه قوله: فتبسم وقال: أحر عني يا عمر، فإني خيرت فاخترت، [وقد قيل لي: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم] [(4)] ولو [(5)] أعلم أن زدت [(6)] على السبعين غفر له زدت عليه!! فصلّى عليه وأطال الوقوف.

[(1)] في (خ) «ووفد الدواس من لحم وهم عشيرة» وما أثبتناه من (الطبري) ج 3 ص 122.

[(2)] (المغازي) ج 3 ص 1057.

[(3)] في (خ) «يوم كذا وكذا» وما أثبتناه من (الواقدي) .

[(4)] من الآية 80/ التوبة، وما بين القوسين زيادة للسياق من (ابن هشام) ج 4.

[(5)] في (ط) «فلو أعلم» وما أثبتناه من (خ) و (الواقدي) .

[(6)] في (ط) «إن زدت» وفي (خ) و (الواقدي) «إذا زدت» .

(90/2)

ما نزل من القرآن في المنافقين

ونزل قوله تعالى: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ* وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ* وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ* رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ [(1)] فعرف عليه السلام في هذه الآية المنافقين فكان من مات منهم لم يصل عليه.

دفن عبد الله واجتماع المنافقين

ثم حمل ابن أبي إلى قبره، وقد غلب عليه المنافقون كسعد بن حنيف، وزيد ابن الصليت وسلامة

[(2)] [بن الحمام] [(3)] ونعمان بن أبي عامر [(4)] ، ورافع ابن حرملة [(5)] ،
ومالك بن أبي نوفل [(6)] ، وداعس، وسويد، وهؤلاء أخابث المنافقين. وهم الذين كانوا
يمرضونه، وكان يقول: لا يليني غيرهم، ويقول لهم:
أنتم والله أحب إليّ من الماء على الظمأ! ويقولون: ليت إنا نفديك بالأنفس والأموال والأولاد!
فلما وقعوا على حفرتهم - ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف يلحظهم - ازدحموا على النزول
في حفرتهم، وارتفعت الأصوات، حتى أصيب أنف داعس وسال الدم، وكان يريد أن ينزل فنحى،
وجعل عبادة بن الصامت رضي الله عنه يذبهم ويقول:
اخفضوا أصواتكم عند رسول الله، ونزل حفرتهم رجال من قومه أهل فضل وإسلام، وهم: ابنه
[عبد الله] [(7)] وسعد بن عبادة، وعبادة بن الصامت، وأوس ابن خولي حتى بنوا عليه.
ودلاه عليهم [(8)] الصحابة وأكابر الأوس والخزرج، وهم قيام مع النبي صلى الله عليه وسلم
ودلاه عليه السلام بيديه إليهم، ثم قام على القبر حتى دفن،

[(1)] [الآيات 84 - 87 / التوبة، وفي (خ) «علي قبره الآيتان» .

[(2)] [يقول محقق (ط) «ولم أجد له خبراً ولا ذكراً» ، ونقول: «الخبر بتمامه في (المغازي

للواقدي) ج 3 ص 1058، 1059 ومنه صوبنا بعض الأسماء والأنساب» .

[(3)] [في (ط) «سلالة» .

[(4)] [في (ط) «ونعمان بن أوفى بن عمرو» .

[(5)] [في (ط) «حرملة» .

[(6)] [في (ط) «قول» .

[(7)] [زيادة من (ط) .

[(8)] [في (خ) «عليه» وما أثبتناه من (ط) .

(91/2)

وعزى ابنه وانصرف. وحثنا المنافقون عليه تراب قبره وهم يقولون: يا ليت أنا فديناك بالأنفس
وكنا قبلك، وحثوا على رءوسهم التراب.

ابنته وحزنها

ولم تتخلف امرأة من الأوس والخزرج حتى أتت ابنته جميلة بنت عبد الله ابن أبي، وهي تقول: وا

جبلاه! وا ركناه! وا أبتاه! وما ينهاها أحد ولا يعيب عليها.

حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه
ثم كانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة تسع [(1)] . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه سورة براءة- قد عاهد ناسا من المشركين عهدا، فلبث بعد مرجعه من تبوك أربعة أشهر وحضر الحج، فكره أن يخرج ذلك العام حتى ينبذ [(2)] إلى كل من عهد إليه من المشركين عهده.

حج المشركين

وكانوا يججون مع المسلمون، فإذا قال المسلمون «لبيك لا شريك لك» ، عارضهم المشركون بقولهم [لبيك] [(3)] «لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك» ، عالية أصواتهم ليغلطوهم بذلك، ويطوف رجال منهم عراة، ليس على أحد منهم ثوب، يعظمون بذلك الحرمة [(4)] ، ويقول أحدهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أُمي ليس عليّ شيء من الدنيا خالطة الظلم.

الخروج إلى الحج

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج ذلك العام، فاستعمل أبا بكر على الحج، [وكتب له بنفس الحج، لأنه اشتكى أنه لا علم له بالقضاء] [(5)] . فخرج في

[(1)] في (خ) «سنة سبع» وهو خطأ.

[(2)] نبذ العهد: نقضه.

[(3)] زيادة للسياق من (ط) .

[(4)] حرمة البيت الحرام.

[(5)] كذا في (خ) ، وليس لهذه العبارة أو لمعناها نظير في كتب السيرة.

(92/2)

ثلاثمائة رجل. وبعث معه بعشرين بدنة قلدها النعال وأشعرها بيده في الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جندب الأسلمي، وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات. وحج عامئذ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأهدى بدنا.

وأهلّ أبو بكر رضي عنه من ذي الحليفة، وسار حتى [إذا] [(1)] كان بالعرج في السّحر سمع رغاء القصواء، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها فقال: قد استعملك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الحج؟ قال: لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس: فانبذ إلى كل ذي عهد عهده.

وقيل أدركه عليّ رضي الله عنهما بضجنان.

صفة الحج

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عهد إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يخالف المشركين: فيقف يوم عرفة بعرفة ولا يقف بجمع، ولا يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس فخرج حتى أتى مكة وهو مفرد بالحجّ، فخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر، وطاف يوم التروية- حين زاغت الشمس- بالبيت سبعا، ثم ركب راحلته من باب بني شيببة! وصلّى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح بمنى، ولم يركب حتى طلعت الشمس على ثبير، فانتهى إلى ثمرة، فنزل في قبة من شعر فقال فيها وركب راحلته لما زاغت الشمس فخطب ببطن عرفة، ثم أناخ فصلّى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم ركب راحلته فوقف بالمضاب من عرفة، فلما أظفر الصائم دفع يسير العنق [(2)] حتى نزل بجمع- قريبا من النار التي على قزح [(3)] فلما طلع الفجر صلّى الفجر ثم وقف، فلما أسفر دفع. وجعل يقول في وقوفه: يا أيها الناس. أسفروا [(4)] ، ثم دفع قبل الشمس. وكان يسير العنق [(2)] حتى انتهى إلى محسّر فأوضع راحلته، فلما جاز وادي محسّر عاد إلى مسيره الأول حتى رمي الجمرة راكبا بسبع حصيات، ثم رجع إلى المنحر فنحر ثم حلق.

[(1)] زيادة للبيان من (ط) .

[(2)] العنق: ضرب من السير سريع.

[(3)] قزح: هو القرن الذي يقف الإمام عنده بالمزدلفة.

[(4)] أسفر بالفجر: أطل الصلاة حتى يتبين الفجر.

قراءة براءة

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه - يوم النحر عند الجمرة - براءة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

خطبة أبي بكر

وخطب أبو بكر رضي الله عنه يوم النحر بعد الظهر على راحلته، وقام برمي الجمار ماشيا: ذاهبا وجائيا: فلما رمي يوم الصدر [(1)] وجاوز العقبة، ركب. ويقال: رمي يومئذ راكبا، وصلى بالأبطح الظهر والعصر، وصلى بمكة المغرب والعشاء، ثم خرج من ليلته قافلا إلى المدينة.

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل براءة

[وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم] [(2)] - قبل نزول براءة-: أن يقاتل من قاتله، ومن كفّ يده كف عنه، فنسخت براءة ذلك.

وكان العرب إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم مع آخر لم ينقض ذلك إلا الذي يحالف أو أقرب الناس قرابة به. وكان علي رضي الله عنه هو الذي عاهد المشركين، فلذلك بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم براءة.

ولما رجع المشركون من حجهم لام بعضهم بعضا وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟! فأسلموا.

وفود غسان وغامد ونجران

ثم كانت سنة عشر. وفيها كان وفد غسان [(3)] ووفد غامد في شهر رمضان. وقدم وفد نجران: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل خالد بن الوليد إلى بني الحارث ابن كعب بن نجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا، فإن أجابوا أقام فيهم

[(1)] يوم الصدر: اليوم الرابع من أيام النحر.

[(2)] هذه العبارة مكررة في (خ) .

[(3)] في (خ) «غيشان» والتصويب من (الطبري) ج 3 ص 127.

وعلمهم شرائع الإسلام، وإن أبوا فأتلهم، فخرج إليهم في ربيع الأول سنة عشر، ودعاهم فأجابوا وأسلموا، وأقام فيهم، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه إسلامهم، ثم عاد ومعه وفداهم، فيهم: قيس بن الحصين بن زيد بن شداد ويقال له ابن ذي الغصّة [(1)] ، ويزيد بن عبد المدان، في آخرين، ثم عادوا في بقية شوال أو في ذي القعدة، وأمر عليهم قيس بن الحصين.

إسلامهم وكتاب النبي لهم

وخرج إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم. وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ليحملهم على ما فيه، وبين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات ويقال: كان ذلك في شهر ربيع الآخر، وقيل في جمادى الأولى. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم على نجران.

المباهلة

وأرسل نصارى نجران العاقب والسيد في نفر، فأرادوا مباهلة [(2)] رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج ومعه فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها!! ولم يباهلوا، وصالحوه على ألفي حلة: ثمن كل حلة أربعون درهما، وجعل لهم عليه السلام ذمة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم، ولا يعشروا [(3)] ولا يحشروا [(4)] ، ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا [به] [(5)] .

سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن

ثم كانت سرية علي رضي الله عنه في رمضان: بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن [حين] [(6)] تنام أصحابه، وعقد له لواء: أخذ عمامة فلفها مثنية مربعة وجعلها

[(1)] في (خ) القصة.

[(2)] انظر آية المباهلة، وهي الآية رقم 16/ آل عمران، وأسباب النزول للواحدي ص 74.

[(3)] في (خ) «يعاشروا»، ومعنى لا يعشروا: لا يؤخذ عشر أموالهم في التجارات.

[(4)] لا يحشروا: لا يندبون إلى المغازي.

[(5)] زيادة من (ط) عن (فتوح البلدان) ص 71.

[(6)] زيادة للسياق من (ط) .

في رأس الرّمح، ثم دفعها إليه وقال: هاك هذا اللواء! وعممه عمامة ثلاثة أكوار، وجعل ذراعها بين يديه وشبرا من ورائه، ثم قال: هكذا العمّة [(1)] !

وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له

وقال له: امض ولا تلتفت! فقال علي: يا رسول الله، كيف أصنع؟ قال:

إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك. فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلا، فإن قتلوا منك قتيلا فلا تقاتلهم، تلومهم [(2)] حتى تريهم أناة. ثم تقول لهم: هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل هل لكم إلى أن تصلوا؟ فإن قالوا: نعم، فقل لهم: هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله على يدك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غريت.

الغنائم

فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج ففرّق [(3)] أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، فجعل علي الغنائم بريدة بن الحصيب ثم لقي جمعا فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبيل والحجارة ساعة، فصفت أصحابه، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي، وحمل عليه بمن معه، قتل منهم عشرين رجلا، فانهزموا فلم يتبعهم، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا. وباليعة نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن علي من وراءنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

قسمة الغنائم إلا الخمس

وجمع علي الغنائم وجزأها خمسة أجزاء. وأقرع عليها، وكتب في سهم منها، فخرج أول السهام سهم الخمس، ولم ينفل منه أحدا من الناس شيئا. وكان من قبله من الأمراء يعطون أصحابهم - الحاضر دون غيرهم - من

[(1)] العمّة: هيئة الاعتماد، والعمامة: ما يعتمد به.

[(2)] تلومهم: انتظرهم.

[(3)] في (خ) «ففرق» .

الخمس، ثم يخبر بذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من علي فأبي وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى فيه رأيه، وهذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوافي الموسم، ونلقاه به فيصنع ما أراه الله فانصرف راجعا، وحمل الخمس، وساق معه ما كان ساق.

وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومة، ونعم مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم. ثم تعجل، وجعل أبا رافع على أصحابه وعلى الخمس، وكان علي ينهاهم عن ركوب إبل الصدقة. فسأل القوم أبا رافع أن يكسوهم ثيابا يحرمون فيها، فكساهم ثوبين.

خبر أبي رافع في الإعطاء من الخمس

فلما خرج علي يتلقاهم - وهم داخلون مكة ليقدّم بهم - رأى عليهم الثياب فعرفها، فقال لأبي رافع: ما هذا! فأخبره، فقال: قد رأيت إباي عليهم ذلك، ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفت فتعطيهم؟! وجرّد بعضهم من ثوبيه.

فلما قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شكوه، فدعاه [(1)] وقال. ما لأصحابك يشكونك؟ فقال: ما أشكيتهم: قسمت عليهم ما غنموا. وحبست الخمس حتى نقدم عليك وترى رأيك فيه، وقد كانت الأمراء يفعلون أمورا: ينفلون من أرادوا من الخمس، فأردت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك! فسكت عليه السلام.

قدوم علي في الحج

وكان علي رضي الله عنه قد كتب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ظهر علي عدوّه - مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني - بما كان من لقاء القوم وإسلامهم، فأمر أن يوافيه في الموسم - ، فعاد إليه عبد الله.

وقدم علي من اليمن فوجد فاطمة عليها السلام ممن حلّ وليست ثيابا صبيغا واكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت: أمرني بهذا أبي، فذهب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محرّثا عليها [(2)] ، مستفتيا في الذي ذكرت، وأخبره، فقال: صدقت! ماذا قلت

[(1)] في (خ) «فدعاهم» .

[(2)] التحريش: الإغراء والتهبيج بذكر ما يوجب العتاب.

حين فرضت الحج؟ قال: قلت اللهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك! قال: فإن معي فلا تحلّ، وكان الهدي الذي جاء به عليّ رضي الله عنه والذي ساقه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة مائة بدنة، فأشرك عليا في هديه [(1)] .

وفد الأزد

فيها قدم [(2)] وفد الأزد، ورأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر رجلا فأسلم، وأمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد المشركين فسار إلى مدينة جرش، فحصر خشعم نحو شهر، ثم رجع كأنه منهزم، فخرجوا إليه، فعطف عليهم فقتلهم أشد قتلا. وكان أهل جرش قد بعثوا رجلين إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينظران حاله، فأخبرهما بما كان من أمر صرد بن عبد الله، فرجعا، فوجدا أصحابهما قد أصيبوا في تلك الساعة من ذلك اليوم الذي ذكر صلّى الله عليه وسلّم فيها حالهم. فقدم، وفد جرش فأسلموا، وحمي لهم النبي صلّى الله عليه وسلّم حول القرية للفرس والراحلة والمثيرة. والمثيرة: بقرة الحرث [(3)] [لأنها تنير الأرض] [(4)] .

وفد مراد

وقدم وفد مراد مع فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريب الغطيفي ثم المرادي [(5)] مفارقا لملوك كندة، فاستعمله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على مراد وزبيدة ومدحج كلّها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة. وقيل: كان إسلام فروة سنة تسع.

وفد فروة الجذامي

وقدم وفد فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي، عامل الروم على فلسطين وما حولها وعلى من يليه من العرب، وكان موضعه بميعان من أرض فلسطين، وكتب بإسلامه وأهدى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغلة بيضاء، فطلبه الروم وحبسوه ثم قتلوه.

[(1)] في (خ) «هدية» .

[(2)] في (خ) «تقدم» .

- [(3)] في (خ) «والمشرة بقر الحارث» .
[(4)] زيادة للبيان من (ط) .
[(5)] راجع (عيون الأثر) ج 2 ص 239.

(98/2)

وفد زبيد

وقدم وفد زبيد مع عمرو [(1)] بن معديكرب بن عبد الله بن عمر عصم [(2)] ابن عمرو بن زبيد، ثم عاد. وقيل: كان إسلامه سنة تسع.

وفد عبد القيس

وقدم وفد عبد القيس، وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش [(3)] بن يعلي، وكان نصرانيا فأسلم، وأسلم من معه.

وفد بني حنيفة

وقدم وفد بني حنيفة، وفيهم مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كبير بن حبيب ابن الحارث بن عبد الحارث بن عدي، فنزل دار ابنة الحارث الأنصارية، وعاد إلى اليمامة فتنبأ وادعى أنه شريك رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في النبوة، فاتبعه بنو حنيفة.

وفد كندة

وقدم وفد كندة- وهم ستون راكبا- مع الأشعث بن قيس بن معديكرب ابن معاوية بن جبلة [(4)] بن عديّ بن ربيعة بن معاوية [الأكرمين] [(5)] بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرثع [واسمه عمرو] [(5)] ابن معاوية بن ثور بن عفير [وثور بن عفير هو كندة، لأنه كند أباه النعمة] [(6)]

ابن عدي بن مرّة بن أرد بن زيد الكندي، فقال. نحن بنو آكل المرار. وأنت يا محمد ابن آكل المرار! فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا [(7)] .

وفد محارب

وقدم وفد محارب، ووفد الزهاويين- وهم بطن من مذحج- ينسبون إلى

- [(1)] في (خ) «عمر» .
- [(2)] في (خ) «حطم» .
- [(3)] في (خ) «خنش» .
- [(4)] في (خ) «حبله» .
- [(5)] زيادة من (ط) عن (أسد الغابة) .
- [(6)] زياد من (ط) عن (أسد الغابة) .
- [(7)] في (خ) «لا يقفوا أمنا، ولا نتبه من أبنائنا» .

(99/2)

رهاء [بفتح الراء] بن منبّه بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد ابن يشجب بن
عريب بن زيد بن كهلان بن سيب بن يشجب بن يعرب بن قحطان:

وفد عبس والصدف وخولان وبني عامر بن صعصعة

ووفد عبس، ووفد الصدف، ووفد خولان، وكانوا عشرة، ووفد بني عامر ابن صعصعة، فيهم
عامر بن الطفيل، وأريد بن قيس، وجبار بن سلمى بن مالك ابن جعفر، فأراد عامر الغدر
برسول الله [(1)] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له قومه. إن الناس قد أسلموا فأسلم! فقال: لا
أتبع عقيب هذا الفتى! ثم قال لأريد: إذا قدمنا عليه فإني شاغله عنك فاعله بالسيف من خلفه،
فلما قدموا جعل عامر يكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يقول: يا محمد خالني! قال: لا
والله حتى تؤمن بالله وحده. قال:

يا محمد! خالني! وجعل يكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينتظر من أريد ما كان من أمره
به، فجعل أريد لا يحير شيئا، فلما رأى عامر ما يصنع أريد، قال: يا محمد! خالني! قال: لا، حتى
تؤمن بالله وحده لا شريك له. فلما أرى عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أما والله!]
(2) [لأملأها عليك خيلا ورجلا! فلما وئى قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم اكفني عامرا!
فلما خرجوا قال عامر لأريد. لم لا قتلته؟ قال: كلما هممت بقتله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى
غيرك، أفأضربك بالسيف؟ فأرسل الله في طريقهم على عامر الطاعون، فقتله وهو في بيت امرأة
سلولية حتى مات، وأرسل الله على أريد صاعقة فأحرقته.

وفد طيبي

وقدم وفد طيبي: فيهم زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي فأسلم، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وقال: ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيتته دون الصفة غيرك. وأقطع له أرضين في ناحيته، وأسلم قومه.

كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مسيلمة رسول الله إلى

[(1)] في (خ) «يا رسول الله» .

[(2)] زيادة للسياق من (ط) .

(100/2)

محمد رسول الله، أما بعد، فإنني قد أشركت معك في الأمر، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشا قوم يعتدون» .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه
فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البسملة: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فالسلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» .
وقدم بكتاب مسيلمة رجلان، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فصدّقا، فقال أما والله لولا أن الرّسل لا تقتل لقتلتكما.
وقيل: إن دعوى مسيلمة، والأسود العنسي، وطلحة النبوة، إنما كانت بعد حجة الوداع. وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم الوفود لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك.

البعثة على الصدقات

وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه إلى الصدقات، فبعث المهاجر بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي إلى صنعاء، وبعث زياد بن ليبيد ابن ثعلبة بن سنان

بن عامر بن أمية بن بياضة الأنصاريّ البياضيّ إلى حضرموت، وبعث عديّ بن حاتم بن عبد الله [(1)] بن سعد بن حشرج بن امرئ القيس ابن عدي (ابن أخزم بن أبي أخزم) [(2)] بن ربيعة بن جرول بن نعل بن عمرو ابن العوث بن طيّب بن أدد بن زيد بن كهلان الطائيّ على صدقة طيّب وأسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات حنظلة، وجعل الزبيرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بحدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، وقيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث (وهو مقاعس) ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم المنقريّ التميمي على صدقات سعد ابن زيد مناة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين.

[(1)] في (خ) «بن عبد الله بن الله» مكررة.

[(2)] زيادة من نسبه من (ط) عن (أسد الغابة) .

(101/2)

بعثة علي رضي الله عنه إلى نجران

وبعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى نجران على صدقاتهم، فقدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حجّه، وأحرم كإحرامه، وذكر بعضهم أن عليا رضي الله عنه سار في هذه السنة إلى اليمن - بعد توجّه خالد بن الوليد إليها - فقرأ على أهل اليمن كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأسلمت كلها في يوم واحد فكتب بذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: السلام على همدان، وكرر ذلك ثلاثا، ثم تتابع [(1)] أهل اليمن على الإسلام، فلما كتب ذلك عليّ سجد صلّى الله عليه وسلّم شكرا لله تعالى. وأنه بعثه صلّى الله عليه وسلّم إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم، فلقبه عليه السلام بمكة في حجة الوداع ولم يذكر الواقديّ في مغازيه بعثة عليّ رضي الله عنه سوى إلى اليمن كما تقدم - في رمضان.

حجة الوداع

ثم كانت حجة الوداع، ويقال حجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة التمام، وقد أجمع صلّى الله عليه وسلّم الخروج في ذي القعدة سنة عشر من مهاجره [(2)] ، وقد أسلمت جزيرة العرب ومن شاء الله من أهل اليمن - فصلّى الظهر بذي الحليفة، وأذن في الناس بالحجّ، فقدم المدينة

بشر كثير يريدون أن يأتموا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعملوا بعمله [(3)] .

المسير وصفه إحرامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وسار من المدينة- متدهنا [(4)] ومترجلا [(5)] [متجردا في ثوبين صحاريين: إزار ورداء،
وذلك] [(6)] يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة-، ومعه أزواجه، وأهل بيته، وعامة
المهاجرين والأنصار ومن شاء من قبائل العرب وأفناء [(7)] الناس.
وقال ابن حزم: الصحيح أنه خرج لست بقين (من ذي القعدة) ، فصلَّى

-
- [(1)] في (خ) «تبايع» .
 - [(2)] في (خ) «مهاجرة» .
 - [(3)] في (خ) «ويعملون بعمله» .
 - [(4)] متدهنا: بالطيب والزيت.
 - [(5)] مترجلا: مسرحا شعره وممشطه.
 - [(6)] ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج 2.
 - [(7)] الأفناء: الأخطا.

(102/2)

الظهر بذى الحليفة ركعتين، وأحرم عند صلاة الظهر من يومه ذلك. ويقال: انتهى إلى ذى
الحليفة عند الظهر فبات لأن تجتمع إليه أصحابه والهدي، حتى أحرم عند الظهر من الغد في
ثوبين صحاريين. إزار ورداء أبدلها بالتنعيم بثوبين من جنسهما.
وقيل صَلَّى الظهر يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة، ثم خرج فصلَّى العصر بذى الحليفة،
واجتمع إليه نساؤه وحجَّ بهنَّ جميعا في الهوادج.
فلما انتهى إليه اجتماع إليه اجتماع أصحابه والهدي، دخل مسجد ذى الحليفة بعد أن صَلَّى
الظهر فصلَّى ركعتين، ثم خرج فدعا بالهدي فأشعره [(1)] في الجانب الأيمن بيده، ووجهه إلى
القبلة، وقلده نعلين نعلين [(2)] ثم ركب ناقته، فلما استوى بالبيداء أحرم. وقيل: أشعر هديه
وقلده قبل أن يحرم. والقول- أنه لم يبيت- أثبت.

الهدى

وساق مائة بدنة، ويقال: إنه أمر أن يشعر ما فضل من البدن ناجية بن جندب واستعمله على

الهدى وكان مع ناجية بن جندب فتبان من أسلم، وكانوا يسوقونها سوقا، يتبعون بها الرعي،
وعليها الجلال [(3)] ،
فقال ناجية بن جندب: يا رسول الله، أرايت ما عطب [(4)] منها كيف أصنع به؟ قال تنحره،
وتلقي قلانده في دمه.
ثم تضرب به صفحته اليميني [(5)] ، ثم لا تأكل منه ولا أحد من أهل رفقته.
وأمر من كان معه هدي أن يهّل كما أهّل، وسار، وبين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله أمم لا
يحصون كثرة: كلهم قد قدموا ليأتوا [(6)] به صلّى الله عليه وسلّم.
ويقال: كان معه تسعون ألفا، ويقال: مائة وأربعة عشر ألفا، ويقال: أكثر من ذلك.
ومرّ صلّى الله عليه وسلّم برجل يسوق بدنة، فقال: أركبها، ويلك! قال: إنها بدنة؟ قال:
أركبها! وكان يأمر المشاة أن يركبوا على بدنه.

[(1)] أشعر البدنة: أعلمها بشق جلدها ليعرف أنها هدي.

[(2)] قلد البدنة: علق في عنقها قلادة من نعل ونحوه ليعلم أنها هدي.

[(3)] الجلال: جمع جل، وهو ما تلبسه البدن لتصان به.

[(4)] عطب البعير: اعترته آفة تمنعه من السير.

[(5)] الصفحة: الجانب.

[(6)] في (خ) «ليابوا» .

(103/2)

إحرام عائشة

وطيبتة عائشة رضي الله عنها لإحرامه بيدها، وأحرمت وتطيبت، فلما كانوا بالقاحة [(1)]
سال من الصفرة على وجهها [(2)] ،
فقال: ما أحسن لونك الآن يا شقيراء [(3)] .

الصلاة

وكان يصلّى بين مكة والمدينة ركعتين أمثالا لا يخالف إلا الله. فلما قدم مكة صلّى بهم ركعتين ثم
سلم وقال: أمّوا صلاتكم يا أهل مكة فإنّا سفر.

الإهلال بالعمرة والحج

وقد اختلف فيما أهلّ به: فعن أبي طلحة، أنه قرن مع حجّته عمرة.
وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، تأمر الناس أن يجلوا ولم تحلّ أنت من عمرتك؟ فقال: إني لبدت رأسي، وقلدت هدي، فلا أحلّ حتى أنحر هديي.
وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أهلّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعمرة وساق الهدي.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أفرد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجّ:
وقد صحّ أنه أتاه آت من ربّه في وادي العقيق،
يأمره عن ربّه أن يقول في حجّته: هذه حجّة في عمرة، ومعنى هذا أنّ الله أمره بأن يقرن الحج مع العمرة. فأصبح فأخبر الناس بذلك، وطاف على نسائه بغسل واحد، ثم اغتسل وصلّى عند المسجد ركعتين، وأهل بحجة وعمرة معا روي ذلك عنه ستة عشر صحابيا، وعنهم ستة عشر تابعيا.

منازل السير

وأصبح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعشّى بشرف السيّالة [(4)] وصلّى

[(1)] القاحة أو الفاجحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل (معجم البلدان) ج 4 ص 290.

[(2)] يريد صفر الطيب لما فيه من الزعفران.

[(3)] في (خ) «شقيّر» ونص (ابن سعد): «إن لونك الآن يا شقراء لحسن» .

[(4)] شرف السيّالة: موضع بين ملل والروحاء. (معجم البلدان) ج 3 ص 336.

(104/2)

المغرب والعشاء، ثم صَلَّى الصّبح بعرق الطيبة، بين الرّوحاء والسيّالة، وهو دون الروحاء ثم نزل الروحاء فإذا بحمار عقير فقال: دعوه حتى يأتي صاحبه. فأهداه له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر به أبا بكر رضي الله عنه فقسمه بين الصحابة. وقال: صيد البرّ لكم حلال إلا ما صدتم أو صيد لكم. ثم راح من الرّوحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به، وصلّى الصّبح بالأثاية، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج.

خبر غلام أبي بكر الذي أضل بعيره

وكان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة: إن عندي بعيرا نحمل عليه زادنا، فقال: فذاك إذا!

فكانت زاملة [(1)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر رضي الله عنه واحدة. وأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزاد، دقيق وسويق، فجعل على بعير أبي بكر رضي الله عنه. فكان غلامه يركب عليه عقبة [(2)] ، فلما كان بالأثابة عرس الغلام وأناخ بعيره، فغلبته عيناه فقام البعير يجر خطامه آخذا في الشعب، وقام الغلام فلزم الطريق - يظن أنه سلكها - وهو ينشده، فلا يسمع له بذكر. ونزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبيات بالعرج، فجاء الغلام، فقال أبو بكر رضي الله عنه أين بعيرك؟

قال: ضلّ مني! قال: ويحك! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر [(3)] ، ولكن رسول الله وأهله! فلم ينشب [(4)] أن طلع به صفوان بن المعطل وكان على ساقه [(5)] الناس - فأناخه، وقال لأبي بكر رضي الله عنه: انظر هل تفقد شيئا من متاعك؟ فنظر فقال ما نفقد شيئا إلا قعبا كنا نشرب به! فقال الغلام: هذا القعب معي! فقال أبو بكر رضي الله عنه أدى الله عنك الأمانة!.

رواية أخرى في خبر غلام أبي بكر

وروي أنه عليه السلام لما نزل بالعرج جلس وأبو بكر إلى جنبه، وعائشة إلى جنبه الآخر وأسماء بجنب أبي بكر رضوان الله عليهم، وأقبل الغلام فقال له

[(1)] الزاملة: البعير الذي حمل عليه الزاد والمتاع.

[(2)] العقبة: مقدار فرسخين.

[(3)] في (خ) «هان عن الأمر» .

[(4)] لم ينشب: ونشبه الأمر، لزمه (ترتيب القاموس) ج 4 ص 370.

[(5)] الساقه: المؤخرة.

أبو بكر: أين بعيرك؟ قال: أضلني! فقام إليه فضربه ويقول: بعير واحد يضل عنك؟! فجعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبسّم ويقول: ألا ترون هذا الحرم وما يصنع؟! ولم ينهه.

طعام آل نضلة لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
وخبر آل نضلة الأسلميون أن زاملة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ضلت، فحملوا حفنة من
حيس [(1)] ، فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يديه،
فقال: هلمّ يا أبا بكر! فقد جاءك الله بغداء طيب! وجعل أبو بكر رضي الله عنه يفتاظ على
الغلام، فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: هوّن عليك! فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك! فقد
كان الغلام حريصاً على ألا يضلّ بعيره. وهذا خلف مما كان معه.
فأكل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأهله وأبو بكر، وكلّ من كان يأكل مع رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلّم، حتى شبعوا.

مجيء البعير، وبعير سعد بن عبادة

ويجيء [(2)] سعد بن عبادة رضي الله عنه وابنه قيس بن سعد بزاملة حتى يجدان رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلّم واقفاً قد أتى الله بزاملته،
فقال سعد: يا رسول الله! بلغنا أن زاملتك أضلت الغلام، وهذه زاملة مكانها. فقال: قد جاء الله
بزاملتنا، فارجعاً بزاملتكما بارك الله عليكما! أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ
نزلنا المدينة؟ فقال سعد: يا رسول الله! المنة لله ولرسوله، والله يا رسول الله، للذي تأخذ من
أموالنا أحب إلينا من الذي تدع! قال صدقتم يا أبا ثابت! أبشر فقد أفلحت إن الأخلاف [(3)
] بيد الله، فمن شاء أن يمنحه خلفاً صالحاً منحه، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً، فقال
سعد: الحمد لله، هو فعل ذلك.

سيادة بيت سعد بن عبادة

قال ثابت بن قيس بن شماس: يا رسول الله: إن أهل بيت سعد في الجاهلية سادتنا، والمطعمون في
الحل منا [(4)] ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: الناس معادن:

[(1)] الحيس: الخلط، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه وربما جعل في

سويق. (ترتيب القاموس) ج 1 ص 749.

[(2)] في (خ) «وجاء»، والفعل المضارع أنسب لسياق العبارة.

[(3)] الأخلاف: جمع خلف، وهو العوض.

[(4)] الحل: الشدة.

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لهم ما أسلموا عليه [(1)] .

احتجام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومسيره
واحتجج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلحى جمل [(2)] - وهو محرم- في وسط رأسه ونزل السقيا يوم
الأربعاء وأصبح بالأبواء، فأهدى له الصَّعب بن جثامة بن قيس الليثي عجز حمار يقطر دما،
فرده وقال، أنا محرم. وأكل بالجحفة ثم راح منها، وكان يوم السبت بقديد.

خبر المرأة وصغيرها

ومرَّ يومئذ بامرأة في محفتها [(3)] ، ومعه ابن لها صغير، فأخذت بعضده فقالت: يا رسول
الله، ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر!!
وكان يوم الأحد بعسفان. ثم راح. فلما كان بالغميم اعترض المشاة، فصَفَّوا صفوفًا فشكوا إليه
المشي، فقال استعينوا بالتَّسْلان [(4)] ، ففعلوا، فوجدوا لذلك.

[(1)] في (خ) «له ما أسلم عليه»، يقول محقق (ط) وكما أحفظه أثبتته، ولم أوفق للوقوف
على مرجعه الآن»

ونقول: «ذكره (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) ص 441 حرف النون، حديث رقم 1238
وقال: «حديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. العسكري من حديث قيس بن الربيع عن
أبي حصين عثمان بن عاصم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة به مرفوعا،
ولأبي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه: الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، أخرجه الطيالسي وابن منيع والحرث وغيرهم كالبيهقي من حديث
ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح. وللدليمي عن ابن عباس
مرفوعا: الناس معادن والعرق دساس» .

وانظر أيضا: (كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) ج 1
ص 414 حديث رقم 2793.

[(2)] لحي جمل: هي عقب الجحفة على سبعة أميال من السقيا.

راجع (سنن ابن ماجة) ج 1 ص 165 حديث رقم 490 وفيه «... فقال جعفر بن عمرو بن
أمية أشهد على أبي أنه شهد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أكل طعاما مما غيرت النار،

ثم صلى ولم يتوضأ» .

«وقال علي بن عبد الله بن عباس: وأنا أشهد على أبي بمثل ذلك» .

[(3)] المحفة: كاهودج إلا أنها لا تقبب.

[(4)] النسلان: مشى سريع دون العدو.

(107/2)

راحة. وكان يوم الاثنين بمر الظهران، فلم يبرح حتى أمسى، وغربت الشمس بسرف، فلم يصل المغرب حتى دخل مكة.
وكان الناس لا يذكرون إلا الحج، فلما كانوا بسرف أمر عليه السلام الناس أن يخلّوا بعمرة إلا من ساق الهدى.

دخول مكة وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله

ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما- بين كداء وكدي- ثم أصبح فاغتسل، ودخلها نهار الاثنين الرابع من ذي الحجة.

وذكر الواقدي: أنه دخل مكة يوم الثلاثاء من كداء على راحلته القصواء إلى الأبطح، فدخل مكة من أعلاها حتى انتهى إلى باب بني شيبعة، فلما رأى البيت رفع يديه، فوقع زمام راحلته فأخذه بشماله، ثم قال حين رأى البيت اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا، ولما دخل المسجد بدأ بالطواف قبل الصلاة. قال طاوس: وطاف راكبا على راحلته. فما انتهى إلى الركن استلمه وهو مضطبع بردائه، وقال: بسم الله والله أكبر. ثم رمل ثلاثة ثلاثة [(1)] من الحجر إلى الحجر. وكان يأمر من استلم الركن أن يقول: باسم الله والله أكبر، إيماننا بالله، وتصديقا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقال فيما بين الركن اليماني والأسود: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. ولم يستلم من الأركان إلا اليماني والأسود. ومشى أربعة [(2)] ثم انتهى خلف المقام فصلى ركعتين، يقرأ فيهما: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثم عاد إلى الركن فاستلمه.

نهي عمر عن مزاحمة الطائف

وقال لعمر رضي الله عنه: إنك رجل قوي، إن وجدت الركن خاليا فاستلمه، وإلا فلا تزاحم عليه فتؤذي [الناس ممن يستلم الركن] [(3)] . وقال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كيف

صنعت بالركن يا أبا محمد [(4)] ؟ فقالت: استلمت وتركت، فقال: أصبت.

[(1)] رمل: أسرع في مشيته.

[(2)] رمل ثلاثة، ومشى أربعة، تلك أشواط الطواف السبعة.

[(3)] زيادة للبيان.

[(4)] في (خ) «يا محمد» .

(108/2)

صفة سعيه بين الصفا والمروة

ثم خرج إلى الصفا من باب بني مخزوم، وقال: أبدأ بما بدأ الله به. وسعى على راحلته، لأنه قدم وهو شاك وقيل: سعى على بغلته، والمعروف على راحلته. فصعد على الصفا فكبر سبع تكبيرات وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، صدق الله وعده، ونصره عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك. ونزل إلى المروة، فلما انصبت قدماه في الوادي رمل. وقال في المشي. أيها الناس! إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا، وسعى حتى انكشف إزاره عن فخذه. وقال في الوادي: رب اغفر وارحم، ثم أنت الأعز الأكرم، فلما انتهى إلى المروة فعل عليها مثل ما فعل على الصفا، فبدأ بالصفا وختم بالمروة.

فسخ حج من لم يسق الهدى إلى عمره

وأمر من لم يسق الهدى أن يفسخ حجه إلى عمره، ويتحلل حلا تاما، ثم يهل بالحج [(1)] وقت خروجه إلى منى، وقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمرة. وقدم عليّ من اليمن، فقال له: بم أهلت؟ قال: بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: إني سقت الهدى وقرنت [(2)] . هكذا روي أبو داود بسند صحيح [(3)] .

نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح

وكان قد اضطرب [(4)] بالأبطح، فقالت أم هانئ: يا رسول الله، ألا ننزل في بيوت مكة؟ فأبي، ولم ينزل بالأبطح حتى خرج يوم التروية [(5)] ، ثم رجع من

[(1)] الإهلال لغة: أن يرفع المعتمر بالبيت الحرام صوته بالتلبية، ثم قالوا: أهل الحرم بحجة أو بعمره: أحرم بها.

[(2)] القرآن بين الحج والعمرة: ان يجمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة، وإحرام واحد، وطواف واحد، وسعي واحد، فيقول: «لبيك بحجة وعمرة» وذلك الفعل هو القرآن: أي الجمع بين الحج والعمرة.

[(3)] [(سنن أبي داود) ج 2 ص 399 حديث رقم 1807، 1808] باب 25 الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة .

[(4)] اضطرب بناء أو خيمة: إذا أقامه على أوتاد مضروبة في الأرض.

[(5)] يوم التروية. اليوم الثامن من ذي الحجة.

(109/2)

منى فنزل بالأبطح حتى خرج إلى المدينة. ولم يدخل بيئنا ولم يظله.

دخوله الكعبة وصلاته بها

ودخل الكعبة بعد ما خلع نعليه، فلما انتهى إلى بابها خلع نعليه. ودخل معه عثمان بن أبي طلحة، وبلال وأسامة بن زيد رضي الله عنهم، فأغلقوا عليهم الباب طويلاً ثم فتحوه، وصلى فيه ركعتين بين الأسطوانتين المقدمتين، وكان البيت على ستة أعمدة. وقيل: بل كبر في نواحيه ولم يصل.

وروي أنه دخل على عائشة رضي الله عنها حزينا، فقالت: مالك يا رسول الله؟ قال: فعلت اليوم أمر ليتني لم أك فعلته! دخلت البيت، فعسى الرجل من أمتي لا يقدر أن يدخله، فتكون في نفسه حزازة [(1)] ، وإنما أمرنا بالطواف ولم نؤمر بالدخول.

وكسا البيت الحبرات [(2)] : وكانت الكعبة يومئذ ثمانية عشر ذراعا.

مدة إقامته بمكة

وأقام بمكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس، وكان يوم التروية يوم الجمعة، فخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر بمكة.

وقام يوم التروية بين الركن والمقام، فوعظ الناس وقال: من استطاع أن يصلّي الظهر بمنى فليفعل.

فصلّى في حجّته هذه صلاة أربعة أيام- وهو مقيم بمكة- حتى خرج إلى منى، وهو في كل ذلك يقصر [(3)] ولم تكن إقامته هذه إقامة، لأنها ليست له بدار إقامة، [وأنه لم ينو صلّى الله عليه وسلّم أن] [(4)] يتخذها دار إقامة ولا وطن، وإنما كان مقامه بمكة إلى يوم التروية كمقام المسافر في حاجة يقضيها في سفره منصرفاً إلى أهله، فهو مقام من لا نيّة له في الإقامة. فلم ينو صلّى الله عليه وسلّم جعلها مقامه. بل نوى الخروج منها إلى منى يوم التروية عاملاً في حجه حتى ينقضي وينصرف إلى المدينة.

-
- [(1)] الحزارة: جمع القلب من غيظ ونحوه. (ترتيب القاموس) ج 1 ص 632 وفي (الواقدي) ج 3 ص 1100 «حرارة» وما أثبتناه من (ابن سعد) .
- [(2)] الحبرات: جمع حبرة.
- [(3)] يقصر أي في صلاته، فيصلّي الصلاة الرباعية ركعتين ركعتين.
- [(4)] ما بين القوسين بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

(110/2)

مسيره إلى منى

وركب حين زاغت الشمس في يوم التروية بعد أن طاف بالبيت أسبوعاً فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنى، وكان بلال إلى جانب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مسيره إلى منى، ويده عود عليه (ثوباً وشيء) [(1)] . يظله من الشمس. وقالت له عائشة: يا رسول الله، ألا نبي لك كنيفا [(2)] ؟ فأبى، وقال: منى منزل من سبق! وقيل: بني بمنى ليلة الجمعة التاسع من ذي الحجة.

مسيره إلى عرفة

ثم أصبح فسار إلى عرفة. ولم يركب من منى حتى رأى الشمس قد طلعت فركب إلى عرفة، ونزل بنمرة، وقد ضرب له بها قبة من شعر. ويقال: إنما قال [(3)] إلى فيء صخرة، وميمونة رضي الله عنها تتبع ظلها حتى راح عنها، وأزواجه في قباب- أو في قبة- خزّ له فلما كان حين زاغت الشمس أمر بإحلاله القصواء فرحلت برحل رثّ وقطيفة لا تسوى أربعة دراهم، فلما توجه قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة! ثم أتى بطن الوادي- بطن عرفة [(4)] -، وكانت قريش لا تشكّ أنه لا يتجاوز المزدلفة يقف

بها،

فقال نوفل بن معاوية الديلي- وهو يسير إلى جنبه-: يا رسول الله! ظن قومك أنك تقف بجمع!
فقال: لقد كنت أقف بعرفة قبل النبوة خلافا لهم،
وكانت قريش كلها تقف بجمع [(5)] ، إلا أن شيبه بن ربيعة من بينهم فإنه كان يقف بعرفة.

صلاته بعرفة وخطبته صلى الله عليه وسلم
وخطب صلى الله عليه وسلم- حين زاغت الشمس- ببطن عرفة على ناقته، فلما كان آخر
خطبته أذن بلال، وسكت صلى الله عليه وسلم من كلامه.
فلما فرغ بلال من أذانه تكلم بكلمات، وأناخ راحلته، وأقام بلال، فصلّى-

[(1)] في (خ) «عليه شيء يظله» وما أثبتناه من (ابن سعد) ج 3 ص 177.

[(2)] الكنيف: كل ما ستر من بناء أو حظيرة من الخشب يستظل بها من حر الشمس.

[(3)] قال: من القيلولة وهي نوم الظهر. والفيء: ما كان شمسا فزال عنه ونسخه الظل.

[(4)] بطن عرفة: وادي بحذاء عرفات.

[(5)] جمع: هو مزدلفة.

(111/2)

عليه السلام- الظهر، ثم أقام فصلّى العصر: جمع بينهما بأذان وإقامتين ثم ركب وهو يشير بيده
إلى الناس: ارتفعوا إلى عرفة، وكان من خطبته بعرفة قبل الصلاتين.

خطبة عرفة

أيها الناس: إني والله ما أدري لعلي لا ألقاكم بمكاني هذا، بعد يومكم هذا، رحم الله امرأ سمع
مقالي فوعاها، فربّ حامل فقه لا فقه له، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه! واعلموا أن
أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. واعلموا أن
الصدور لا تغلّ على ثلاث [(1)] :

[(2)] إخلاص العمل لله، ومناصحة أهل الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم]

[(3)] . ألا إن كلّ شيء من أمر الجاهليّة تحت قدمي موضوع، وأول دماء الجاهلية أضع دم

إياس بن ربيعة بن الحارث [بن عبد المطلب] [(3)]- [كان مسترضعا في بني سعد [بن بكر]

[(3)] فقتلته [(4)] هذيل] -، وربما الجاهلية موضوع [(5)] كله وأول ربا أضعه ربا عبّاس بن عبد المطلب: اتقوا الله في النساء، إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإنّ لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكنّ أحدا تكرهونه، [وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبينة] [(6)] . فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح، [فإن انتهين] [(6)] ، فلهن [(7)] عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله وأنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت! ثم قال ياصبعه السبابة يشير إلى السماء يرفعها ويكبّها ثلاثا: اللّهم اشهد.

المبلغ عنه بعرفة

وكان الذي يبلغ عنه بعرفة [(8)] ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس، فإنه

[(1)] من الإغلال وهو الخيانة، أو من الغل وهو الحقد.

[(2)] أي تمنعهم وتحفظهم.

[(3)] زيادات للبيان من (ط) .

[(4)] في (خ) «نقتله» .

[(5)] في (خ) «موضع» .

[(6)] زيادات من كتب السيرة.

[(7)] في (خ) «ولهن» .

[(8)] في (خ) «عرفة» .

(112/2)

شهد الخطبة نحو من أربعين ألفا.

ذكر المناسك

ووقف بالهضاب من عرفة وقال: كل عرفة موقف إلا بن عرنة، وكل مزدلفة موقف إلا [(1)] بطن محسر، وكل منى منحر إلا خلف العقبة. وبعث إلى من هو بأقصى عرفة فقال: الزموا مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام.

دعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفة
ومدّ يديه- وهو واقف بعرفة- ثم أقبل براحتيه على وجهه وقال: إن أفضل دعائي ودعاء من
كان قبلي من الأنبياء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير.

الاختلاف في صيامه بعرفة

واختلفوا في صيامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ: فقالت أم الفضل [(2)] أنا أعلم لكم علم
ذلك، فأرسلت إليه بعس من لبن [(3)] ، فشرب وهو يخطب.

ما نزل من القرآن بعرفة

ووقف على راحلته حتى غربت الشمس يدعو! ونزل عليه وهو واقف بعرفة، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [(4)] .

النفر من عرفة

وكان أهل الجاهلية يدفعون [(5)] من عرفة إذا كانت الشمس على رءوس الجبال

[(1)] في (خ) «إلي» .

[(2)] أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[(3)] العس: قدح يسع ثمانية أرتال.

[(4)] من الآية 3/ المائدة، وفي (خ) دِينَكُمْ*، الآية.

[(5)] يدفعون: ينطلقون.

(113/2)

كهيفة العمائم على رءوس الرجال، وظنت قريش أنه عليه السلام يدفع كذلك، فأخر دفعه حتى
غربت الشمس. ثم سار عشية، وأردف أسامة بن زيد [(1)] من عرفة إلى مزدلفة.

الإفاضة

وذكر الزبير بن بكار، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفاض [(2)] . عن يمينه أبو سفيان ابن حرب، وعن يساره الحارث بن هشام! وبين يديه يزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان على فرسين، فكان يسير العنق [(3)] ، فإذا وجد فجوة نصّ [(4)] وقال: أيها الناس، على رسلكم [(5)] ، عليكم بالسكينة، ليكفّ قويكم عن ضعيفكم.

النزول إلى المزدلفة

ومال إلى الشَّعب - وهو شعب الأذخر، عن يسار الطريق بين المأزمين [(6)] - فبال، ولم يصلّ حتى نزل قريبا من الدار التي على قرح، وصلّى المغرب والعشاء بالمزدلفة [بأذان واحد لهما وبإقامتين، لكل صلاة منهما إقامة] [(7)] ، ولم يسبّح بينهما، ولا إثر واحدة منهما. فلما كان في السحر أذن - لمن استأذن من أهل الضعف من الذرية والنساء - في التقدم من جمع قبل حطمة الناس [(8)] ، وحبس نساءه حتى دفعن بدفعه [(9)] حين أصبح. فرمي [(10)] الذين تقدّموا الجمرة قبل الفجر أو مع الفجر.

الدفع من مزدلفة

ولما برق الفجر، صلى عليه السلام الصبح، ثم ركب راحلته ووقف على قرح.

[(1)] أردفه: أركبه خلفه.

[(2)] الإفاضة في الحج: اندفاع الناس بكثرة إلى منى منتشرين متفرقين بعد اجتماعهم في عرفة.

[(3)] العنق: السير الهادي.

[(4)] النص: السير السريع، والفجوة: الفسحة بين جماعة الناس.

[(5)] الرّسل: اليسر وعدم العجلة.

[(6)] المأزمان: بين المشعر الحرام وعرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الحجيج بين صلاتي الظهر والعصر.

[(7)] في (خ) «مكان ما بين القوسين» بإقامة إقامة» .

[(8)] الحطمة: زحمة الناس.

[(9)] في (خ) «بدفعة» .

[(10)] في (خ) «فرأى» .

وكان أهل الجاهلية لا يدفعون من جمع حتى تطلع الشمس على ثبير، يقولون: «أشرق ثبير، كيما نغير» فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن قريشا خالفت عهد إبراهيم. فدفع قبل طلوع الشمس.

موقفه بمنى

وأردف الفضل بن العباس من مزدلفة إلى منى. وقال: هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف.

جمع الجمرات من مزدلفة

وحمل حصى العقبة من المزدلفة، وأوضع في وادي محسر ولم يقطع التلبية حتى رمي الجمرة، ورمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقته [(1)] ، ولا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك [(2)] .

نحر الهدى وتفريقه والأكل منه

ولما انتهى إلى المنحر [(3)] قال: هذا المنحر، وكل منى منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر، ثم نحر بيده ثلاثا وستين بدنة بالحربة، ثم أعطى رجلا فنحر ما بقي، ثم أمر من كل بدنة نحرها ببضعة [(4)] فجعل في قدر فطبخه، فأكل من لحمها وحسا من مرقها. وأمر عليا رضي الله عنه أن يتصدق بجلال البدن وجلودها ولحومها، ولا يعطي منها في جزرها شيئا.

التحليق

ولما فرغ من نحر الهدى دعا الحلاق، وحضر المسلمون يطلبون شعره، فناول [(5)] الحلاق شق رأسه الأيمن، ثم أعطاه أبا طلحة الأنصاري [ثم ناوله الشق الأيسر فحلقه. فأعطاه أبا طلحة، فقال أقسم بين الناس] [(6)] .

[(1)] في (خ) «باقية» .

[(2)] إليك إليك: تنبيه يراد به الزجر، والمعنى أن الحج سمته الهدوء والرّفق.

[(3)] في (خ) «النحر» .

[(4)] البضعة: القطعة من اللحم.

[(5)] في (خ) «أعطى الحلاق» ، وما أثبتناه من (ط) . وهي رواية الواقدي.
[(6)] ما بين القوسين تنمة من (ط) عن السيرة الحلبية.

(115/2)

ناصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالد بن الوليد، وحديث أبي بكر في أمر خالد
وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق، فدفعها إليه، فكان يجعلها في مقدم قلنسوته [(1)]
[. فلا يلقي جمعا إلا فضّه.. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: كنت انظر إلى خالد
بن الوليد وما نلقى منه في أحد، وفي الخندق، وفي الحديبية، وفي كل موطن لا قانا، ثم نظرت إليه
يوم النحر يقدّم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدنة وهي تعتب في العقل [(2)] ، ثم
نظرت إليه ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحلق رأسه وهو يقول: يا رسول الله! ناصيتك! لا
تؤثر عليّ بما أحدا [(3)] ! فذاك أبي وأمي! فأنظر إليه أخذ ناصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلّم فكان يضعها على عينيه وفيه.

تفريق شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الناس
وفرق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعره في الناس. ولما حلق رأسه، أخذ من شاربه وعارضيه، وقلم
أظفاره، وأمر بشعره وأظفاره أن يدفنا.

المحلّقون والمقصرّون

وقصرّ قوم وحلق آخرون فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحم الله المحلقين! ثلاثا، كلّ ذلك يقال:
والمقصرّين يا رسول الله! فقال: والمقصرّين في الرابعة.
وأصاب الطيب بعد أن حلق، ولبس القميص. وجلس الناس، فما سئل يومئذ عن شيء قدّم أو
آخر [(4)] إلا قال: افعله ولا حرج.

النهي عن الصيام أيام منى

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي - وقيل كعب بن مالك - ينادي في الناس بمعنى:
إن رسول الله قال: إنّها أيام أكل وشرب وذكر الله.
فانتهى المسلمون عن صيامهم، إلا محصر [(5)] أو متمتع بالعمرة إلى الحج. فإن الرخصة من
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصوموا أيام منى.

[(1)] وفي (الواقدي) « كان يضعها على عينيه وفيه » .

[(2)] أي تمشي على ثلاث .

[(3)] في (خ) «أحد» .

[(4)] أي مناسك الحج على مراتبها .

[(5)] من الإحصار وهو الحبس .

(116/2)

الإفاضة يوم النحر إلى مكة

وأفاض صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم النحر وأردف معاوية بن أبي سفيان من منى إلى مكة واختلف أين صَلَّى الظهر يومئذ؟ ويقال أفاض من نسائه مساء يوم النحر، وأمر أصحابه فأفاضوا بالنهار.

الشرب من زمزم

وأتى زمزم فأمر بدلو فنزع، فشرب منه وصبَّ على رأسه وقال: لولا أن تغلبوا عليها يا ولد عبد المطلب لنزعت منها. ويقال: إنه نزع دلوا لنفسه.

رمي الجمرات

وكان يرمي الجمار حين تزيغ الشمس قبل الصلاة ماشيا - ذاهبا وراجعا - في اليومين، ورمي يوم الصدر حين زاغت الشمس قبل الصلاة، وكان إذا رمي الجمرتين علاهما، ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي وكان يقف عند الجمرة الأولى أكثر مما يقف عند الثانية، ولا يقف عند الثالثة، فإذا رماها انصرف. وكان إذا رمي الجمرتين وقف عندهما ورفع يديه، ولا يفعل ذلك في رمي العقبة، فإذا رماها انصرف.

النهي عن المبيت بسوى منى

ونهى أن يبيت أحد لبالي منى بسوى منى، ورخص للرعاء أن يبعدوا عن منى. ومن جاء منهم فرمي بالليل. رخص له في ذلك. وقال ارموا بمثل حصي الحذف. وكان أزواجه يرمين مع الليل.

عدة الخطب في حجة الوداع

وخطب في حجته ثلاث خطب: الأولى قبل التروية بيوم بعد الظهر بمكة، والثانية يوم عرفة بعرفة حين زاغت الشمس على راحلته قبل الصلاة، والثالثة يوم النحر بمنى بعد الظهر على راحلته القصواء، وقيل: بل خطب الثانية ثاني يوم النحر. وقال المحب الطبري: دلت الأحاديث على أنّ الخطب في الحج خمس، خطبة

(117/2)

يوم السابع من ذي الحجة وخطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر، وخطبة القرّ [(1)] وخطبة يوم النفر الأول [(2)] ، قال الواقدي: فقال- يعني في خطبة يوم النحر بمنى:-

خطبة يوم النحر بمنى

أيها الناس، اسمعوا من قولي واعقلوه، فإني لا أدري: لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا! أيها الناس! أيّ شهر هذا؟ فسكتوا، فقال: هذا شهر حرام، وأي باد هذا؟ فسكتوا، فقال: بلد حرام، وأي [(3)] يوم هذا؟ فسكتوا، قال: يوم حرام، ثم قال: إن الله قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا إلى أن تلقوا ربكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، ثم قال: إنكم سوف تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت؟ قال الناس: نعم، قال: اللهم اشهد، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، ألا وإنّ كلّ ربا في الجاهليّة موضوع، وإن كل دم في الجاهلية موضوع، [ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله] [(4)] وأوّل دماءكم أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث- [كان مسترضعا في بني سعد بن ليث فقتلته هذيل]-، ألا هل بلغت؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، ألا إن كل مسلم محرم على كل مسلم، ولا يحل مال امرئ مسلم إلا ما أعطي عن طيب نفس.

[(1)] يوم القر: الغد من يوم النحر.

[(2)] أيام الحج: اليوم السادس من ذي الحجة: يوم الزينة.

اليوم السابع من ذي الحجة: يوم التروية.

اليوم الثامن من ذي الحجة: يوم منى.

- اليوم التاسع من ذي الحجة: يوم عرفة.
- اليوم العاشر من ذي الحجة: يوم الأضحى يوم الحج الأكبر.
- أيام التشريق: اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يوم القر.
- اليوم الثاني عشر من ذي الحجة يوم النفر الأول.
- اليوم الثالث عشر من ذي الحجة يوم النفر الآخر.
- [(3)] في (خ) «أي» بغير واو قبلها، وهي رواية الواقدي.
- [(4)] ما بين القوسين تمام الخطبة من (ابن هشام) ج 4 ص 185.

(118/2)

فقال عمرو بن يثري: يا رسول الله، أ رأيت إن لقيت غنم ابن عمي، أجتزر [(1)] منها شاة؟ فقال: إن لقيتها [نعجة] [(2)] تحمل شفرة [وأزنادا] [(2)] بحبت الجميش [(3)] فلا تهجها! ثم قال أيها الناس: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ [(4)] ، [ويجرموا ما أحلَّ الله] [(5)] ،

ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، إن عدة الشهور عند الله اثنا [(6)] عشر شهرا في كتاب الله منها أربعة حرم: ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي يدعى شهر مضر: الذي جاء بين جمادى الآخرة وشعبان، والشهر تسعة وعشرون وثلاثون «ألا هل بلغت؟ فقال الناس: نعم، فقال: اللهم اشهد» .

ثم قال: أيها الناس، إن للنساء عليكم حقا وإن لكم عليهن حقا: فعليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا ولا يدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع [(7)] ، وأن تضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإنما النساء عندكم عوان [(8)] ، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟

قال الناس: نعم، قال: اللهم اشهد.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه [من أعمالكم] [(9)] . إن كل مسلم أخو المسلم، وإنما المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ مسلم دم أخيه ولا ماله إلا بطيب

- [(1)] في (خ) «أجزر» ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) ج 5 ص 113 .
- [(2)] زيادات من كتب السيرة.
- [(3)] علم الصحراء بين مكة والمدينة (معجم البلدان) ج 2 ص 343 .
- [(4)] من الآية 37/ التوبة، وفي (خ) إلى قوله تعالى لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ .
- [(5)] زيادة من (ابن هشام) ج 4 .
- [(6)] في (خ) «اثني عشر» .
- [(7)] في (خ) «بالمضاجع» .
- [(8)] العواني: جمع «عانية» وهي الأسيرة.
- [(9)] زيادة من (ابن هشام) ج 4، كان مكانها في (خ) «فقد رضي به» .

(119/2)

نفس منه، وإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله، ولا تظلموا أنفسكم، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. إني قد تركت فيكم ما لا تضلون به: كتاب الله. ألا هل بلغت؟ قال الناس: نعم، قال: اللهم اشهد.

يوم الصدر

ثم انصرف إلى منزله، وصلى الظهر والعصر يوم الصدر بالأبطح. قالت عائشة رضي الله عنها: إنما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخصب لأنه كان أسمح [(1)] لخروجه.

خبر صفية وعائشة

وذكر صفية بنت حبي رضي الله عنها، فقيل له: حاضت! فقال: أحابستنا هي؟ فقيل: يا رسول الله، إنما قد. فاضت، قال: فلا إذن، فلما جاءت عائشة رضي الله عنها من التنعيم وقضت عمرتها، أمر بالرحيل. ومرّ بالبيت فطاف به قبل الصبح.

الرجوع إلى المدينة ومدة إقامة المهاجر بمكة

ثم انصرف راجعاً إلى المدينة. وقال إنما هي ثلاث يقيم بها [(2)] المهاجر بعد الصدر.

وسأل سائل أن يقيم بمكة، فلم يرخص له أن يقيم إلا ثلاثة أيام، وقال:
إنها ليست بدار مكث ولا إقامة.

عيادة سعد بن أبي وقاص

وجاء سعد بن أبي وقاص بعد حجه يعوده من وجع أصابه. فقال: يا رسول الله، قد بلغ بي ما ترى من الوجع [(3)] ، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، فأتصدق بثلت [(4)] مالي؟ قال: لا! قال: فالشطر؟ قال: لا! [قال]:

[(1)] [أسمع لخروجه: أسهل لخروجه من مكة إلى المدينة.

[(2)] [أي بمكة.

[(3)] [بلغ به: أي بلغ به المرض كل مبلغ.

[(4)] [في (خ) «بثلت» .

(120/2)

فالثلت؟] [(1)] قال الثلث، والثالث كثير، إنك إن تترك [(2)] ورثتك أغنياء خير [(3)]
[من أن تتركهم عائلة يتكففون [الناس] [(4)] ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا
أجرت بها، حتى ما تجعل في امرأتك! فقال: يا رسول الله، أخلف بعد أصحابي؟ فقال: إنك إن
تخلف فتعمل صالحا تزدد خيرا ورفعته، ولعلك إن تخلف ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون. اللهم
أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم.

موت سعد بن خولة بمكة

لكن البائس سعد بن خولة! يرثي له أن مات بمكة، [وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يكره لمن هاجر أن يرجع إليها، أو يقيم بها أكثر من انقضاء نسكه] [(5)] .
وخلف علي سعد بن أبي وقاص رجلا، وقال: إن مات سعد بمكة فلا تدفنه بها يكره [صلى الله
عليه وسلم] [(6)] أن يموت الرجل في الأرض التي هاجر منها.

وداع البيت الحرام

ولما ودّع صلى الله عليه وسلم البيت وكان في الشوط السابع، خلف البيت رسول الله صلى الله

عليه وسلّم من باب الخزورة [(7)] .

وكان إذا قف من حجّ أو عمرة أو غزوة، فأوفى على ثنية أو فدفد كبير ثلاثا ثم قال. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. آتبون تائبون ساجدون عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصره عبده، وهزم الأحزاب وحده [(8)] ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في

[(1)] زيادة من (ابن سعد) .

[(2)] في (خ) «إنك أنت تترك» .

[(3)] في (خ) «خيرا» .

[(4)] زيادة من (ابن سعد) .

[(5)] زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) .

[(6)] زيادة للبيان.

[(7)] كذا في (ط) ، وفي (خ) «خلف البيت» بمعنى الباب وهو كلام مضطرب، وفي (عيون

الأثر) ج 2 ص 280 «ثم خرج من كدي أسفل مكة من الثنية السفلى» .

[(8)] في (خ) «بعده» .

(121/2)

الأهل والمال، اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ إلى خير، مغفرة منك ورضوانا.

النزول بالمعرس والنهي عن طروق النساء ليلا

ولما نزل بالمعرس [(1)] ، نهي أن يطرقوا النساء ليلا، فطرق رجالان أهليهما، فكلاهما وجد ما يكره.

وأناخ بالبطحاء، وكان إذا خرج إلى الحج سلك على الشجرة [(2)] ، وإذا رجع من مكة دخل المدينة من معرس الأبطح، فكان في معرسه في بطن الوادي، وكان فيه عامة الليل، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة.

إسلام جرير بن عبد الله البجلي

وفي هذه السنة- وهي العاشرة- قدم جرير بن عبد الله جابر- وهو الشليل [(3)]- بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف [(4)] بن خزيمة [(5)] ابن حرب بن علي [(6)] بن مالك بن سعد بن نذير [(7)] بن نسر [(8)]- وهو مالك- ابن عبقر بن أثمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجليّ [(9)]- مسلما في شهر رمضان.

إسلام فيروز وبادان بن منبه، ووفد النخع

وفيها أسلم فيروز من الأبناء [(10)] ، وبادان، ووهب بن منبه، باليمن. وللنصف من محرم سنة إحدى عشرة، قدم وفد النخع- وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رملة بنت الحارث بن عداء، وكان نصرانيا.

-
- [(1)] المعرس: هو مسجد ذي الحليفة.
[(2)] هي الشجرة التي ولدت عندها أسماء بنت محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .
[(3)] في (خ) «جابر بن السليل» .
[(4)] في الإصابة «عوف» .
[(5)] في (خ) «خزيمة» .
[(6)] في (خ) «عدي» .
[(7)] في (خ) «زيد»
[(8)] في (خ) «تس» .
[(9)] البجلي: نسبة إلى «بجيلة» وهي أم ولد أثمار بن إراش وإليها ينسبون.
[(10)] الأبناء: هم قوم من أبناء فارس باليمن.

(122/2)

بعث أسامة بن زيد إلى أبي «غزو الروم»
ثم كان بعث أسامة بن زيد إلى أهل أبي [(1)] بالشرارة [(2)] ناحية بالبلقاء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام- بعد حجته- بالمدينة بقبية ذي الحجة والمحرم، وما زال يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم، ووجد عليهم وجدا شديدا. فلما كان يوم الاثنين- لأربع بقين من صفر سنة إحدى عشر [من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(3)] ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الرّوم، وأمرهم بالجدّ.

أمر أسامة بالغزو وتأميره

ثم دعا من الغد- يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر- أسامة بن زيد فقال:

يا أسامة، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطنهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحا على أهل أبي [(1)] وحرّق عليهم! وأسرع السير تسبق الخبر، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث [(4)] فيهم وخذ معك الأدلاء، وقدّم العيون أمامك والطلائع.

ابتداء مرض رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ووصيته لأسامة فلما كان يوم الأربعاء- لليلتين بقيتا من صفر- ابتداء مرض رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فصّدع [(5)] وحمّ. وعقد يوم الخميس لأسامة لواء بيده. وقال: يا أسامة! أغز باسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله [(6)] . اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة، ولا تمنّوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم، ولكن قولوا: اللهم اكفناهم: واكفف بأسهم عنا، فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصّمت، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربّكم، وقولوا اللهم إنا عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت! واعلموا أن الجنة تحت البارقة [(7)] .

[(1)] في (خ) «أبناء» .

[(2)] في (خ) «بالشراة» .

[(3)] زيادة من (ابن سعد) ج 2.

[(4)] في (خ) «الليث» .

[(5)] صدع: (بالبناء للمجهول والتشديد) أصابه الصداع، وهو وجع الرأس.

[(6)] في (ابن سعد) «فقاتل من كفر بالله» .

[(7)] البارقة: السيف.

(123/2)

خروج أسامة وجيشه

فخرج أسامة فدفع لواءه إلى بريدة بن الحصيب، فخرج به إلى بيت أسامة، وعسكر بالجرف،

وخرج الناس ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين [والأنصار] [(1)] إلا انتدب [(2)] في تلك الغزوة، كعمر بن الخطاب [(3)] ، وأبي عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وأبي الأعور سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل رضي الله عنهم، في رجال آخرين، ومن الأنصار عدة مثل، قتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم ابن جريش.

طعن رجال من المهاجرين في تأمير أسامة

فقال رجال من المهاجرين - وكان أشدهم في ذلك قولاً عياش بن أبي ربيعة -: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟! فكثرت القالة، وسمع عمر رضي الله عنه بعض ذلك فردّه على من تكلم، وأخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به فغضب غضباً شديداً! وخرج وقد عصب على رأسه عصاة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر أسامة رضي الله عنه
أما بعد أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟! والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله! وأيم الله. إن كان للإمارة لخليقا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإهما لمخيلان [(4)] لكل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم.

توديع الغزاة

ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول. وجاء

[(1)] زيادة من (ابن سعد) .

[(2)] انتدب: أسرع في النهوض إليها.

[(3)] ذكر (ابن سعد) «أبا بكر الصديق» قبل «عمر بن الخطاب» .

[(4)] كذا في (ط) ، و (الواقدي) ، وفي (خ) «لمخيلان» .

الأمر بإنفاذ بعث أسامة

فقال: أنفذوا بعث أسامة.

ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه، فقال أنفذوا بعث أسامة.

دخول أسامة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاؤه له فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد، ونزل أسامة يوم الأحد - ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل مغمور [(1)] ، وهو اليوم الذي لدّوه فيه [(2)] ، - فدخل عليه وعيناه تهملان [(3)] - وعنده العباس، والنساء حوله - فطأطأ عليه أسامة فقبله، وهو [صلى الله عليه وسلم] [(4)] لا يتكلم، إلا أنه يرفع يده إلى السماء ثم يصبها على أسامة، كأنه يدعو له. فرجع أسامة إلى معسكره. وغدا منه يوم الاثنين، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا، وجاءه أسامة، فقال: أغد على بركة الله، فودعه أسامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مفيق.

خروج أبي بكر إلى السنح

ودخل أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أصبحت مفيقا بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة [(5)] فأذن [لي] [(6)] فأذن له، فذهب إلى السنح [(7)] .

خروج الجيش

وركب أسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه: اللحقوا بالعسكر، فانتهى إلى

[(1)] مغمور: مغمى عليه.

[(2)] لدّوه: أعطوه الدواء، واللدود: ما يصب بالسعط من الدواء في أحد شقي الفم (ترتيب القاموس) ج 4 ص 135.

[(3)] تسيل دمعهما.

[(4)] زيادة.

[(5)] في (خ) «ابنه خارجة» ، وهي زوج أبي بكر الصديق والدة أم كلثوم بنت أبي بكر.

[(6)] زيادة للسياق.

[(7)] السنح: إحدى محال المدينة من أطرافها وكان بها منزل أبي بكر.

(125/2)

معسكره فنزل، وأمر الناس بالرحيل وقد منع النهار.

إبلاغ خبر وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجيش أسامة
فبينما هو يريد أن يركب من الجرف، أتاه رسول أمه - أم أيمن - يخبره أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يموت فأقبل إلى المدينة معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، فانتهوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يموت: فتوفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول.

يوم وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وقال السهيلي: لا يصلح أن تكون وفاته يوم الاثنين إلا في ثاني الشهر، أو ثالث عشرة، أو رابع عشرة، (أو خامس عشره) [(1)]. وذكر الكلبي وأبو مخنف أنه توفي في الثاني من ربيع [(2)] [. وقد صححه ابن حزم وغيره. وقال الخوارزمي:
توفي أول ربيع.

رجوع الغزاة إلى المدينة

ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة ابن الحصيبي باللواء فغزوه معقودا عند باب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، وألا يحمله أبدا حتى يغزوهم أسامة.

أمر أبي بكر بتوجيه الغزو

وقال [أبو بكر] لأسامة: أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ الناس بالخروج فعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بريدة باللواء، ومشى أبو بكر رضي الله عنه إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر رضي الله عنه، ففعل وخرج فنأدى مناديه: عزمة مني ألا يتخلف عن أسامة من بعثه أحد ممن انتدب معه في حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

وسلّم، فإنّي لن أوتي بأحد بطاً عن الخروج إلا

[(1)] زيادة من (الروض الأنف) .

[(2)] في (خ) «في ثامن ربيع» وما أثبتناه من (الروض الأنف) .

(126/2)

ألحقته به ماشياً. فلم يتخلف عن البعث أحد.

تشيع أبي بكر أسامة

ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه يشيع أسامة فركب من الجرف لهُلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وسار أبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه ساعة وقال: أستودع الله دينك وخواتيم عملك، إني سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلّم] [(1)] يوصيك، فأنفذ لأمر رسول الله، فأني لست آمرك ولا أمّاك عنه، إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله [صلى الله عليه وسلّم] [(1)] .

غزو أسامة

فخرج سريعاً فوطئ بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام - جهينة وغيرها من قضاة - حتى نزل وادي القرى، فقدم عينا له من بني عذرة يدعى حربنا، فانتهى إلى أبي [(2)] ، ثم عاد فلقى أسامة على ليلتين من أبي فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم، وحثه على سرعة السير قبل اجتماعهم، فسار إلى أبي وعبأ أصحابه، ثم دفع عليهم الغارة فقتل وسبي، وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم، ورحل مساء حتى قدم المدينة، وقد غاب خمسة وثلاثين يوماً وقيل: قدم لشهرين وأيام.

خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ونعيه إلى نفسه

وكان من خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن الله تعالى أنذره بموته حين أنزل عليه: إذا جاء نصر الله والفتح [(3)] ، فقال نعيته إلى نفسي! فحج حجة الوداع.

عرض القرآن في رمضان

وكان جبريل ينزل عليه في كل سنة مرة، وفي شهر رمضان، فيعرض عليه القرآن مرة واحدة، وكان يعتكف العشر الأواخر [من رمضان] [(4)] .

فلما كان في سنة موته، عرض عليه جبريل القرآن مرتين، فقال [صلى الله عليه وسلم] [(5)] :
ما أظنّ أجلي

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] في (خ) «ابناه» .

[(3)] أول سورة النصر

[(4)] زيادة للبيان

[(5)] زيادة للبيان.

(127/2)

إلا قد حضر! فاعتكف العشر الأوسط [(1)] والعشر الأواخر، وكان هذا نذيرا [(2)] بموته.

الخروج إلى البقيع والاستغفار لأهله

ثم أمر بالخروج إلى البقيع ليستغفر لأهله والشهداء ويصلى عليهم، وليكون توديعا للأموات قبل الأحياء

فوئب من مضجعه في جوف الليل، فقالت عائشة رضي الله عنها: أين؟ بأبي وأمي! أي رسول الله! قال: أمرت أن استغفر لأهل البقيع.

فخرج ومعه مولاه أبو موهبة- ويقال: أبو موهبة، ويقال: أبو رافع- حتى جاء البقيع، فاستغفر لهم طويلا، ثم قال: ليهننكم [(3)] ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضها، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى!!

التخيير

ثم قال: يا أبا موهبة [(4)] ! إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة! فقال بأبي وأمي! فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة! فقال: يا أبا موهبة! لقد اخترت لقاء ربي والجنة.

خبر شكوى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثم انصرف، وذلك ليلة الأربعاء، فأصبح يوم الأربعاء محمومًا - لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى
عشر - وهو في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها واشتكى شكوى جديدة حتى قيل: هو
مجنوب، يعني ذات الجنب [(5)] .

[(1)] في (خ) «الأوسط» .

[(2)] في (خ) «نذير» .

[(3)] في (خ) «لينهك» .

[(4)] في (خ) «موهبة» .

[(5)] ذات الجنب عند الأطباء نوعان: حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي: ورم حار يعرض في
نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع. وغير الحقيقي: ألم يشبهه يعرض في نواحي الجنب
عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات، فتحدث وجعا قريبا من وجع ذات الجنب الحقيقي،
إلا أن الوجع في هذا القسم محدود، وفي الحقيقي ناخس (زاد المعاد) ج 4 ص 8.

(128/2)

مدة الشكوى

واجتمع إليه نساؤه كلهن، فاشتكى ثلاثة عشر ليلة، وقيل أربعة عشر يوما، وقيل: اثني عشر [(1)] ،
بدئ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت ميمونة رضي الله عنها.

صفة الشكوى

وأخذته بحّة شديدة مع حمى موصّمة [(2)] مع صداع، وكان ينفث في علاته شيئا يشبه نفث
آكل الزبيب. ودخلت عليه أمّ بشر بن البراء بن معرور فقالت:
يا رسول الله! ما وجدت مثل هذه الحمى التي عليك على أحد! فقال: إنا يضاعف لنا البلاء كما
يضاعف لنا الأجر، ما يقول الناس! قالت: يقولون يا رسول الله:
ذات الجنب! فقال: ما كان الله ليسلّطها على رسوله، إنها همزة الشيطان.

أكلة خبير من الشاة المسمومة

ولكنها من الأكلة التي أكلت أنا وابنك بخير من الشاة، وكان يصيبني منها عداد مرة بعد مرة فكان هذا أوان انقطع أبهري؟ فمات صَلَّى اللهُ عليه وسلّم شهيدا.

الخروج إلى الصلاة

وكان إذا خفّ عنه ما يجد خرج فصلّى بالناس، وإذا وجد ثقلة قال: مروا الناس فليصلوا.

خبر اللدود

واشدد شكوه حتى غمر من شدّة الوجع، فاجتمع عنده أزواجه، وعمّه العباس، وأمّ الفضل بنت الحارث، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهم، فتشاوروا في لده [(3)] حين غمر - وهو مغمور - فلدوه، فوجدوا في جوفه حفلا [(4)] ، فلما

[(1)] في (خ) «اثنا عشر» .

[(2)] في (خ) «معظمة» ، وما أثبتناه من (ط) ، ومعنى حمى موصمة: من قولك: وصمته

الحمى توصيما فتوصم، آلمته فتألم (ترتيب القاموس ج 4 ص 621)

[(3)] سبق شرح معناه.

[(4)] كذا في (خ) ، و (ط) ولم أجد ذكر هذه الكلمة ولا معناها فيما عندي من كتب

السيرة.

(129/2)

أفاق قال من فعل هذا؟ هذا عمل نساء جنن من ها هنا! وأشار بيده إلى أرض الحبشة، وكانت أمّ سلمى وأسماء [بنت عميس] [(1)] رضي الله عنهما لدهما، فقالوا: يا رسول الله، خشينا أن يكون بك ذات الجنب، قال: فبم [(2)] لددتموني؟ قالوا: بالعود الهندي، وشيء من ورس، وقطرات من زيت فقال: والله ما كان ليعذبني بذلك الداء [(3)] .

أمره ألا يبقى في البيت أحد إلا لده

ثم

قال: عزمت عليكم لا يبقى في البيت أحد إلا لده،

إلا عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(4)] - فجعل بعضهن يلدّ بعضاً، والتدت ميمونة وهي صائمة، لقسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إقامته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت ميمونة رضي الله عنها وأقام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت ميمونة سبعة أيام، يبعث إلى نسائه أسماء بنت عميس يقول لمن: إن رسول الله يشقّ عليه أن يدور عليكنّ، فحللنه. فكن يحللنه. ويروي أن فاطمة عليها السلام- بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي التي كانت تدور على نسائه وتقول ذلك.

طوافه علي نسائه في شكواه

ويروي أنه كان يحمل في ثوب يطاف به على نسائه، وذلك أن زينب بنت جحش كلمته في ذلك قال: فأنا أدور عليكنّ. فكن يحمل في ثوب يحمل بجوانبه الأربعة، يحمله أبو رافع مولاها، وأبو مويهبة، وشقران وثوبان حتى يقسم لمن كما كان يقسم. فجعل يقول: أين أنا غدا؟ فيقولون: عند فلانة، فيقول: أين أنا بعد غد؟ فيقولون، عند فلانة! فعرف أزواجه أنه يريد عائشة رضي الله عنها.

[(1)] زيادة للبيان من (ط) .

[(2)] في (خ) «فيما» وما أثبتناه من كتب السيرة.

[(3)] في (خ) «الدابر» وما أثبتناه من كتب السيرة.

[(4)] يعني «العباس» .

(130/2)

هبة أمهات المؤمنين أيامهن لعائشة

فقلن يا رسول الله، قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة وروي أنه لما ثقل واشتد وجعه، استأذن أزواجه أن يمرّض في بيت عائشة، فأذن له، فخرج بين الفضل ابن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. تخط رجلاه في الأرض [(1)] - وذلك يوم الأربعاء الآخر [(2)] - حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها، فأقام في بيتها حتى توفي.

اشتداد الحمى وإراقة الماء عليه

ولما اشتد وجعه بعد أن دخل بيتها. قال، أهريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن [(3)] ، لعلّي أعهد إلى الناس، فأجلسوه في مخضب [(4)] لحفصة رضي الله عنها من صفر، ثم صبّوا عليه تلك القرب، ثم خرج إلى الناس فصلّى بهم وخطبهم: وكانت تلك القرب من بئر أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

خطبته قبل وفاته

وخرج يوم السبت عاشر ربيع الأول- مشتملا قد طرح طرفي ثوبه على عاتقيه، عاصبا رسه بخرقة- فأحرق الناس به وهو على المنبر. فقال: والذي نفسي بيده، إني لقائم على الحوض الساعة- ثم تشهّد واستغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد- ثم قال:

ذكر التخيير

إن عبدا من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله العبد! فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقال: بأبي وأمي! نفديك بآبائنا وأمّهاتنا، وبأنفسنا وأموالنا، فقال: على رسلك [يا أبا بكر] [(5)] سدّوا هذه الأبواب الشّوارع [(6)] إلى

[(1)] في (خ) «ورجله تحط الأرض، وما أثبتناه من (ابن سعد) ج 2 ص 232.

[(2)] قوله: «يوم الأربعاء الآخر» أي التالي للأربعاء الأول الذي بدئ فيه.

[(3)] أريقوا، أهريقوا: صبوا: والأوكية جمع وكاء، وهو الخيط الذي يشد به فم السقاء أو الوعاء.

[(4)] في (خ) «مخضب» ، والمخضب إناء واسع تغسل فيه الثياب.

[(5)] زيادة للبيان من (ابن سعد) .

[(6)] الشوارع: النافذة والمؤدية إلى المسجد.

المسجد إلا باب أبي بكر، فإنّ أمنّ [(1)] الناس عليّ في صحبتته وماله أبو بكر، فلو كنت متخذنا في الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ولكن أخوة الإسلام ومودته.

فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله افتح كوة: إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال: لا. أيها الناس، [وكان باب أبي بكر رضي الله عنه في غربي المسجد] [(2)]. ثم ذكر أسامة بن زيد فقال، أنفذوا بعث أسامة- وكرر ذلك ثلاثا- فلعمري لئن قلت في إمارة أبيه من قبله. وإنه والله خليق للأمانة، وأبوه من قبله، وإن كان لمن أحب الناس الناس إليّ. ويروي أنه قال أيضا- بعد [ذكر] [(3)] يا معشر المهاجرين! إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد، هي على هيئتها التي هي عليها اليوم، وإن الأنصار عييتي التي أويت إليها، ونعلي التي أطأ بها، وكرشي التي آكل فيها، فاحفظوني فيهم، فأكرموا كريمهم، وأقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن من مسيئهم، فقال رجل: يا رسول الله! ما بال أبواب أمرت بها أن تفتح: وأبواب أمرت بها أن تغلق؟ قال: ما فتحتها ولا سددتها عن أمري!!

خبر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته واشتدّ به صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: انتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا! فتنازعوا فقال بعضهم: ما له؟ أهجر [(4)]؟! استعيدوه! وقالت زينب بنت جحش وصواحبها: انتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته. فقال عمر رضي الله عنه: قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، من لفلانة وفلانة؟ يعني مدائن الروم- فإن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بميت حتى يفتحها، ولو مات لا ننظره كما انتظرت بنو إسرائيل موسى!! فلما لغطوا عنده قال: دعوني! فما أنا فيه خير مما تسألوني، ثم أوصاهم بثلاث [(5)] : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتم تروني أجيزهم. وأنفذوا جيش أسامة،

[(1)] أمنّ: أجود بماله وذات يده.

[(2)] في (خ) سياق هذه العبارة مضطرب، وما أثبتناه من (ط).

[(3)] زيادة للسياق من (ط).

[(4)] هجر المريض أو النائم، إذا هذي ونكلم.

[(5)] في (خ) «ما أوسهم»، و «ثم» هي حق العبارة.

قوموا.

خبر الكنيسة التي بالحبشة

وتذكر [(1)] بعض نسائه كنيسة رأينها [(2)] في أرض الحبشة.
فذكرت أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش [(3)] كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وما فيها من التصاوير، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال. أولئك [قوم] [(4)] إذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور. أولئك شرار الخلق عند الله! وطفق يلقي خميصة [(5)] على وجهه. فإذا اغتمّ بها ألقاها عن وجهه، ويقول: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد! [يجذّروهم مثل ما صنعوا] لا يبقين دينان بأرض العرب.

مقالته في شكواه

ولم يشك شكوى إلا سأل الله العافية، حتى كان مرضه الذي مات فيه، فإنه لم يكن يدعو بالشفاء،

وطفق يقول: يا نفس مالك تلوذين كلّ ملاذ [(6)] ؟

التخيير بين الشفاء والغفران

وأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول: إذا شئت شفيتك، وكفيتك، وإن شئت توفيتك وغفرت لك!! فقال: ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء.

مقالته في كرب الموت

وكان لما نزل به، دعا بقدرح من ماء، فجعل يمسح على وجهه ويقول: اللهم أعني على كرب الموت، وأخذته بحّة شديدة فجعل يقول: مع الرفيق الأعلى!

[(1)] في (خ) «وتذكر» .

[(2)] في (خ) «رأسها» .

[(3)] المعروف أن «أم سلمة» رضي الله عنها هي التي هاجرت إلى الحبشة، ولم يذهب أحد من رواة السيرة إلى أن «زينب بنت جحش» رضي الله عنها، هاجرت إلى الحبشة.

[(4)] زيادة من (ابن سعد) .

[(5)] الحميصة: كساء من الصوف أسود مربع له علمان.

[(6)] الملاذ: الملجأ.

(133/2)

وقد شخص بصره [(1)] .

وفاته في حجر عائشة وخبر الذهب

وتوفي في حجر عائشة رضي الله عنها وقد قال لها لما حضر [(2)] - وهو مستند إلى صدرها - : ما فعلت بالذهب؟ فأتته بما وهي تسعة دنانير، فقال: أنفقيها!! ما ظنّ محمد بربه لو لقي الله وهي عنده؟!

مسارة فاطمة

ودعا صلى الله عليه وسلّم ابنته فاطمة عليه السلام، فسارّها فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت، فسئلت عن ذلك بعد فقالت: دعاني أول مرّة فقال: إن القرآن كان يعرض علي في كل عام مرة، وعرض عليّ العام مرتين ولا أراي إلا ميتا في مرضي هذا! فبكيت. ثم دعاني فقال: أنت أسرع أهلي لحوقا بي! فضحكت. فماتت بعد وفاته بستة أشهر. وقيل: أقل من ذلك.

إمامة أبي بكر رسول الله صلى الله عليه وسلّم قبل موته

وقال [صلى الله عليه وسلّم] [(3)] : ما هلك نبيّ حتى يؤمّه رجل من أمته. فلما كان يوم الاثنين، صلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس الصبح، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يتوكأ على الفضل بن العباس وثوبان، ولم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح في المسجد! لوجعه عليه السلام، فخرج حتى جلس إلى جنب أبي بكر، فصلّى بصلاة أبي بكر، فلما قضى صلاته جلس - وعليه خميصة له - فقال: إنكم والله لا تمسكون عليّ بشيء، إني لا أحلّ إلا ما أحلّ الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه! يا فاطمة بنت محمد! ويا صفية بنت عبد المطلب!! اعملا لما عند الله، لا أملك لكما من الله شيئا! وصلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس - إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلّم - سبع عشرة صلاة.

-
- [(1)] شخص بصره: إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف.
- [(2)] حضر بالبناء للمجهول: إذا دنا منه الموت أو نزل به.
- [(3)] زيادة للبيان.

(134/2)

وفاته

وتوفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحى يوم الإثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من هجره- وقيل مستهله، وقيل ثانيه-، فبعث العباس رضي الله عنه في طلب أبي عبيدة بن الجراح، وكان يشقّ: [يضرح] [(1)] وبعث في طلب أبي طلحة، وكان يلحد [(2)] ، وقال اللهم اختر لنبيك! فوجد أبو طلحة.

حيث دفن

وقال أبو بكر رضي الله عنه- وقد اختلفوا أين يدفن:- سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما مات نبي قط إلا دفن حيث يقبض.

فخط له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول الفراش، ثم حوّل بالفراش في ناحية البيت، وحفر أبو طلحة القبر، فأنتهى به إلى أصل الجدار إلى القبلة، وجعل رأسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يلي بابه الذي كان يخرج منه إلى الصلاة. ثم غسلوه من بئر عرس، وكان يشرب منها.

جهاز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولما أخذوا في جهازه أمر العباس رضي الله عنه فأغلق الباب، فنادت الأنصار نحن أخواله، ومكاننا من الإسلام مكاننا، وهو ابن أختنا!! ونادت قريش: نحن عصبته [(3)] ، فأدخل من الأنصار أوس بن خولي، وأحضروا الماء من بئر عرس، واحضروا سدرًا وكافورًا، فأرسل الله عليهم النوم فما منهم رجل إلا واضعاً لحيته على صدره وقائل يقول ما ندري من هو!: اغسلوا نبيكم وعليه قميصه! فغسل في القميص. وغسل الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور.

الغسل

وغسّله عليّ والفضل بن عباس - وكان الفضل رجلاً أيّداً [(4)] -، وكان يقلّبه

- [(1)] ضريح الضريح للميت: حفر له فشق في وسط القبر (وكان ذلك عمل أهل مكة لموتاهم) .
- [(2)] لحد اللحد للميت: حفر وشق في جانب القبر (وكان ذلك عمل أهل المدينة لموتاهم) .
- [(3)] عصب الرجل: أقاربه من جهة الأب.
- [(4)] الأيد: الشديد القوي.

(135/2)

شقران، ووقف العباس بالباب وقال: لم يمنعني أحضر غسله إلا أي كنت أراه يستحي أي أراه حاسراً [(1)] .
وذهب علي رضي الله عنه يلتمس من بطن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ما يلتمس من بطن الميت، فلم يجد شيئاً، فقال: بأبي وأمي!! ما أطيبك حيا وميتاً!!
وقيل غسله علي، والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء.

الكفن

واشترى له عليه السلام حلة حبرة بتسعة دنانير ونصف ليكفن بها. ثم بدا لهم فتركوها. فابتاعها عبد الله بن أبي بكر. وكفن صَلَّى الله عليه وسلّم في ثلاثة أثواب سحولية بيض [(2)] ، أحدها برد حبرة. وقيل: أحدها حلة حبرة وليس فيها قميص ولا عمامة وأدرج في أكفانه.
وقيل: كفن في حلة حبرة وقميص. وفي رواية: في حلة حمراء نجرانية وقميص. وقيل: إن الحلة اشترت له فلم يكفن فيها. وقيل كفن في سبعة أثواب، وهو شاذ. وقيل: كفن في ثلاثة أثواب: قميصه الذي مات فيه، وحلة نجرانية، وهو ضعيف، وحنط بكافور، وقيل: بمسك [(3)] .

الصلاة على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
ثم وضع على سريره، وكان ألواحاً ثم أحدثت له بعد ذلك قوائم، ووضع السرير على شفير القبر، ثم كان الناس يدخلون زمراً زمراً. يصلون عليه.

أول من صَلَّى على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم

وأوّل من صلّى عليه العباس وبنو هاشم. ثم خرجوا ودخل المهاجرون، ثم الأنصار: زمرة زمرة، ثم دخل الصبيان، ثم النساء.
وقيل صلّي عليه اثنتان وسبعون صلاة [(4)] .

[(1)] حاسرا: كاشفا ثيابه.

[(2)] سحولية: نسبة إلى سحول، وهي قرية باليمن.

[(3)] الحنوط طين يحنّط للميت.

[(4)] في (خ) «اثنان وسبعون» .

(136/2)

خبر أمهات المؤمنين

وقد قامت أمهات المؤمنين يلتدمن على صدورهن [(1)] : وقد وضعن الجلايب عن رءوسهن، ونساء الأنصار يضرين الوجوه، وقد بحت حلوقهنّ من الصياح [(2)] .

الصلاة عليه

ولم يزل صلّي الله عليه وسلّم موضوعا على سريره، من حين زاغت الشمس في يوم الاثنين إلى حين زاغت الشمس يوم الثلاثاء، فصلي عليه وسريه على شفير قبره.

يوم دفنه

ودفنوه ليلة الأربعاء سحرا. وقيل: دفن يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الثلاثاء.
وقيل: يوم الاثنين عند الزوال. قاله الحاكم وصحّحه. وقال ابن عبد البر: أكثر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء، وهو قول، أكثر أهل الأخبار.
فلما أرادوا أن يقبروه [(3)] نَحَوْا السرير قبل رجله [(4)] ، فأدخل من هناك.

لحده ومن دخل فيه

ودخل حفرته العباس، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وعلي، وشقران رضي الله عنهم، ويروي أنه نزل أيضا أسامة بن زيد وأوس بن خولي: وبني عليه في لحده بتسع لبنات، وضح في لحده سمل قطيفة نجرانية كان يلبسها [(5)] .

ثم خرجوا وهالوا التراب، وجعلوا ارتفاع القبر شبرا وسطحوه، وجعلوا عليه

[(1)] لدمت المرأة صدرها أو التدمت صدرها: ضربته.

[(2)] لم يثبت عن أمهات المؤمنين أنهن قد قمن بشيء من لطم الحدود وغير ذلك من الأعمال المنهي عنها شرعا عل لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل ما ورد في ذلك ما رواه (ابن سعد) ج 2 ص 289: «حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء فكان منهن صوت وجزع لبعض ما يكون منهن فسمعن هذه في البيت ففرقن فسكتن.

وروي (ابن الأثير) في (الكامل) ج 2 ص 320: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى...» إلى أن قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة». وانظر أيضا: (البداية والنهاية) ج 5 ص 278.

[(3)] في (خ) «بقره» .

[(4)] نحى الشيء: أبعده ناحية.

[(5)] السمل: الخلق البالي من الثياب.

(137/2)

حصباء ورش بلال رضي الله عنه على القبر الماء بقربة: فبدأ من قبل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجله، ثم ضرب الماء إلى الجدار، ولم يقدر أن يدور من الجدار.

عمره عند وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وكان عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم توفاه الله ثلاثا وستين سنة على الصحيح. وقيل كان ستين. وقيل خمسا وستين. وهذه الأقوال الثلاثة في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه [(1)] .

فصل في ذكر أسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعلم أن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدة أسماء: منها ما سماه الله - عز وجل - به في القرآن الكريم، ومنها ما سمي به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه، وقد سمي بعدة أسماء كثيرة.

فذكر الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة بن عساكر - رحمه الله - عشرين اسما.
وذكر الحافظ أبو الفرح عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي - رحمه الله - ثلاثة وعشرين اسما
[(2)] وقال الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية - رحمه الله - ثلاثمائة اسم في كتابه
(المستوفي في أسماء المصطفى) [وقال] [(3)] : أنه إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة
والقرآن العظيم والحديث النبوي بلغت ثلاثمائة اسم.
وذكر أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرايبي تسعة وتسعين اسما.
وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري في شرح جامع الترمذي عن بعض
الصوفية: أن لله تعالى ألف اسم، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم، عرف منها أربعة وستون
اسما فذكرها.

-
- [(1)] آخر النسخة (ط) وهو ما يقابل السطر الثالث والعشرين من ص 179 من النسخة
(خ) .
[(2)] [صفة الصفوة لابن الجوزي] ج 1 ص 54، 55 باب ذكر أسماء رسول الله صلى الله
عليه وسلم.
[(3)] زيادة للسياق.

(138/2)

وأشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم (محمد) و (أحمد) ، وهما اسمان من أسماء الأعلام التي يراد بها
التمييز بين الأشخاص، وكل منهما ومن بقية أسمائه يشتمل على معنى من معاني الفضل.
ومن تأمل علم أنه ليس من أسماء الناس اسم يجمع من [معاني صفات الحمد] [(1)] ما يجمعه
هذان الاسمان، فأحمد اسم منقول من صفة لأفعل، وتلك الصفة - أفعل - التي يراد بها التفضيل،
فمعنى أحمد: أي أحمد الحامدين لربه.
والأنبياء عليهم السلام كلهم حامدون لله تعالى، إلا أن نبينا صلى الله عليه وسلم أكثرهم حمدا،
فيكون هو الأحق بالحمد، ومحمد هو البليغ في الحمد، فمن سمي بهذين الاسمين فقد سمي بأجمع
الأسماء لمعاني الفضل.
يقال رجل محمد ومحمود، إذا كثرت خصاله الحمودة، ومعنى الاسمين واحد، فإن وصف الشخص
بأنه أحق بالحمد مبالغة في حمده، والمبالغة في حمده تقدير له في الحمد على من لا يبالغ في حمده،
فأحمد على هذا هو محمد، ومحمد أحمد.

وقد ذكر الله جل جلاله هذين في كتابه فقال تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ [(2)] ، وقال: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [(3)] ، وقال: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [(4)] .

وخرّج الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري- رحمه الله- في صحيحه من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ - يشتمون مذمما، ويلعنون مذمما، وأنا محمد [(5)] .

وخرّج النسائي أيضا، وذكر أبو الربيع بن سالم أنه روي عن عبد المطلب إنما سماه صَلَّى الله عليه وسلّم محمدا لرؤيا رآها، زعموا أنه رأى في منامه سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف المشرق وطرف في

[(1)] ما بين القوسين غير واضح في التصوير من النسخة (خ) ولعل ما أثبتناه هو المناسب.

[(2)] من الآية 29/ الفتح.

[(3)] من الآية 144/ آل عمران.

[(4)] من الآية 6/ الصف.

[(5)] (صحيح البخاري) ج 2 ص 270 باب ما جاء في أسماء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم.

(139/2)

المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها في نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها. فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويجمده أهل السماء والأرض، فلذلك سماه محمدا، مع ما حدثته آمنة به [(1)] .

وقال أبو القاسم السهيلي [(2)] : لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صَلَّى الله عليه وسلّم إلا ثلاثة طمع آباؤهم حيث سمعوا بذكر محمد وبقرّب زمانه وأنه يبعث بالحجاز، أن يكون ولدا لهم، ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول، وهم: محمد ابن سفيان بن مجاشع جد [

(3)] الفرزدق الشاعر، والآخر: محمد بن أحيحة بن الجلاح ابن الحريش بن جمحي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس، والآخر: محمد بن حمران بن ربيعة.

وكان آباؤهم الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلّف امرأته حاملا، فنذر كل واحد منهم: إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا، ففعلوا ذلك.

وذكر القاضي عياض: من تسمي بمحمد في الجاهلية فبلغوا ستة، ثم قال في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته شيء آخر، هو أن الله جلّ اسمه حمى أن يسمّى بهما أحد قبل زمانه، أما أحمد الذي أتى في الكتاب وبشرت به الأنبياء. فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمّى به أحد غيره، ولا يدعى به مدعو قبله، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب، أو شك [(4)]

وكذلك محمد أيضا لم يسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وميلاده، أن نبيا يبعث اسمه محمد، فسَمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك، رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهم: محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد

-
- [(1)] (الروض الأنف) ج 1 ص 182 «مع ما حدثته به أمه حين قيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعته فسميه محمد» .
- [(2)] (المرجع السابق) ج 1 ص 182.
- [(3)] في (خ) «جد الفرزدق» وما أثبتناه من (السهيلي) ج 1 ص 182.
- [(4)] (الشفاء للقاضي عياض) ج 1 ص 145.

(140/2)

ابن خزاعي السلمي، لا سابع لهم. ويقال: أول من سمى محمدا، محمد بن سفيان، واليمن تقول: بل محمد ابن اليعمد من الأزدي، ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعى النبوة، أو يدعيها أحد له، أو يظهر عليه سبب يشك أحدا في أمره حتى تحققت السماتان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم ينزع فيهما. قال كاتبه. وذكر محمد بن مسلمة الأنصاري فيهم، فيه نظر من حيث أنه ولد بعد ولادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنحو عشر سنين، ولكنه صحيح من حيث أنه لم تكن النبوة ظهرت - والله أعلم.

وذكر ابن سعد فيهم: محمد الجشمي في بني سراة، ومحمد الأسدي، ومحمد الفقيمي.
وقال أبو العباس المبرد: فتش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اسمه أحمد
قبل أبي الخليل بن أحمد.

وللبخاريّ من حديث الزهري، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلم يقول [(1)] : إن لي أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي أحد، وقد سماه
الله رءوفا رحيمًا، ذكره البخاري في التفسير، وانتهى حديثه عند قوله: وأنا العاقب.

وذكره مسلم أيضا من حديث عقيل، قال: قلت: لابن شهاب وما العاقب؟

قال: الذي ليس بعده نبي [(2)] .

ومن حديث معمر وعقيل: وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر [(3)] ،

وللبخاريّ من حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي

[(1)]

في رواية (البخاري) ج 2 ص 220 «سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لي أسماء» .

[(2)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 106 .

[(3)] في (خ) «الكفرة» .

(141/2)

يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب.
وذكره البخاري في المناقب في باب ما جاء في أسماء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الحافظ
أبو القاسم بن عساكر: تفرد برفعه عن مالك جويرية بن أسماء، ورواه عبد الله ابن وهب، وبشر
بن عمرو الزهراني، ويحيى بن عبد الله بن بكير المصري عن مالك مرسلا لم يذكر فيه جبيرًا، ورفعه
صحيح عن الزهري، فقد وصله عنه يونس ابن زيد، وشعيب بن أبي حمزة الحمصي، وسفيان بن
عيينة (انتهى) .

وقد رفعه عن مالك غير جويرية بن أسماء قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر:

وقد ذكر حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبي هكذا روي هذا

الحديث [رواه] [(1)] يحيى مرسلا لم يقل عن أبيه، وتابعه على ذلك أكثر رواة الموطأ، ومن

تابعه على ذلك القيعي وابن بكير، وابن وهب وابن القاسم، وعبد الله بن يوسف، وابن أبي أويس، وعبد الله بن مسلم الدمشقي، وأسنده عن مالك معن بن عيسى، ومحمد بن المبارك الصوري، ومحمد بن عبد الرحيم، وابن شروس الصنعاني، وإبراهيم بن طهمان، وحبيب ومحمد بن وهب، وأبو حذافة، وعبد الله بن نافع، وأبو المعتب الزهري، كل هؤلاء رواه عن مالك مسندا عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

وخرجه مسلم من حديث سفيان عن الزهري، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أنا أحمد، وأنا محمد، وأن الماحي الذي يحيي بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي [(2)] .

وخرجه عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إن لي أسماء: أنا أحمد وأنا محمد، وأنا الماحي الذي يحمو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، قال: قلت للزهري: وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي.

وخرجه مسلم أيضا عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق، وأخرجه أيضا من

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] [(مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 104 .

(142/2)

حديث يونس بن يزيد عن الزهري، وقال في الحديث: وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وقد سمّاه الله رءوفا رحيفا [(1)] ،

ويحتمل أن تكون تفسير العاقب من قول محمد بن شهاب الزهري، كما بينه معمر، وقوله: وقد سمّاه الله رءوفا رحيفا، من قول الزهري، والله أعلم.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: سألت سفيان - يعني ابن عيينة - عن العاقب فقال لي: آخر الأنبياء.

قال أبو عبيد: وكذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب، وقد عقب يعقب عقبا، ولهذا قيل: ولد الرجل بعده عقبه، وكذلك آخر كل شيء عقبه.

وقوله يحشر الناس على قدمي: أي قدامي وأمامي.

أي أنهم مجتمعون إليه، وينضمون حوله، ويكونون أمامه يوم القيامة ووراءه.

وقال الخليل بن أحمد حشرتهم السنة: إذا ضمتهم من البوادي، وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ما كان مُحَمَّدٌ أباً أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [(2)] .

وقد روي: يحشر الناس على قدمي

بالإفراد مخفف الياء، وروي بتشديد الياء على التثنية [(3)] .

وقيل معناه أنه أول من يبعث من القبر، وكل من عداه إنما يبعثون بعده، وهو أول من يذهب به من المحشر ثم الناس في إثره.

وقيل معنى

قوله وأنا الماحي،

يعني تمحي به سيئات من اتبعه.

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث جابر [عن] نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: أنا محمد وأنا أحمد والهاشر وني التوبة وني الملحمة.

ومسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله

عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمي لنا نفسه أسماء فقال:

[(1)] المرجع السابق ص 105.

[(2)] من الآية 40/ الأحزاب.

[(3)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 105.

(143/2)

أنا محمد وأحمد [(1)] والمقفي والهاشر وني التوبة وني الملحمة [(2)] .

وقد روي من عدة طرق عن الليث بن سعد رحمه الله قال: حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن

أبي هلال عن عتبة عن مسلم عن نافع بن جبير بن مطعم أنه دخل على عبد الملك بن مروان

فقال له عبد الملك: أتخصي أسماء رسول الله التي كان جبير بن مطعم يعدها؟ قال نعم، قال هي

سنة: محمد وأحمد وخاتم وهاشر وعاقب وماحي، فأما حاشر: فبعث مع الساعة نذير لكم بين

يدي عذاب شديد، وأما عاقب، فإنه عقب الأنبياء، وأما ماحي، فإن الله عز وجل محاه به سيئات

من اتبعه.

وذكره الحاكم في المستدرک وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد قيل إنه إنما سمي نبي

التوبة لأنه أخبر أن الله يقبل التوبة من عباده إذا تابوا، وسمي نبي الملحمة لأن الله فرض عليه قتل

الكفار، وجعله شرعا باقيا إلى قيام الساعة، فما فتح مصرًا من الأمصار إلا بالسيف أو خوفا من السيف، إلا المدينة النبوية فإنها فتحت بالقرآن.

وقيل معنى المقفي: المتبع للأنبياء عليهم السلام، يقال قفوته أقفوه، وقفيته أقيه إذا اتبعته، وقافية كل شيء آخره، وقيل لأنه قفي إبراهيم عليه السلام.

وقيل المقفي لموسى وعيسى عليهما السلام، لنقل قومهما من اليهودية والنصرانية إلى الحنفية. وقيل إنما اقتصر صلى الله عليه وسلم على هذه الأسماء مع أن له أسماء غيرها، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة، وعند الأمم السالفة.

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا رحمة مهداة، ورواه وكيع عن الأعمش عن أبي صالح منقطعاً. وروي الكلبي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله سبحانه: طه ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [(3)] ، يا رجل ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

[(1)] في (خ) «أنا محمد ومحمد وأحمد» .

[(2)] ونحوه (في سنن الترمذي) ج 4 ص 214 حديث رقم 2996 وفي (الشمائل المحمدية للترمذي) ص 196، 197.

[(3)] أول سورة طه.

(144/2)

القرآن لتشقى، وكان يقوم الليل على رجله، فهي لعلك [(1)] ، إن قلت لعكّي يا رجل، لم يلتفت، فإذا قلت له طه، التفت إليك [(2)] .

وقال الخليل بن أحمد: خمسة من الأنبياء ذوو اسمين: محمد وأحمد نبينا صلى الله عليه وسلم، وعيسى والمسيح، وإسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، وإلياس وذو الكفل، عليهم السلام [(3)] .

وقال أبو زكريا بن محمد العنبري: ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة أسماء في القرآن: محمد، وأحمد، وعبد الله، وطه ويس، قال الله تعالى في ذكر محمد صلى الله عليه وسلم: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [(4)] وقال: وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ [(5)] : يعني النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن كأدوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا [(5)] . وإنما كانوا يقعون بعضهم على بعض كما أن اللبد تتخذ من الصوف

فيوضع بعضه على بعض فيصير ليدا.

قال تعالى: طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، والقرآن إنما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره.

وقال تعالى: يس يعني يا إنسان، والإنسان ها هنا: هو محمد صلى الله عليه وسلم، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، وقد سماه الله تعالى في القرآن الكريم رسولا ونبيا أميا، وسماه شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وسماه رءوفا رحيفا، وسماه نذيرا مبينا، وسماه مذكرا، وجعله رحمة [للعالمين صلى الله عليه وسلم] [(6)] .

وعن كعب الأخبار قال: قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: عبدني المختار.
وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت علي بن زيد يقول: اجتمعوا فتذكروا أي بيت أحسن فيما قالت العرب؟ قالوا: الذي قال أبو طالب، للنبي صلى الله عليه وسلم:

-
- [(1)] لعلك: قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن (معجم البلدان) ج 4 ص 142.
 - [(2)] وفي (تفسير الطبري) في معنى قوله تعالى: طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى: «والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في لعلك فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل» (تفسير الطبري) ج 16 ص 136.
 - [(3)] ذكره (القرطبي) في (الجامع لأحكام القرآن) ج 1 ص 281.
 - [(4)] من الآية 6/ الصف.
 - [(5)] آية 19/ الجن.
 - [(6)] ما بين القوسين مطموس في (خ) بقدر كلمتين أو ثلاثة ولعل ما أثبتناه هو المناسب.

(145/2)

وشق له من اسمه يجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن أسمائه: الضحوك القتال، والأمين، والقثم، وأحيد، لأنه يجيد أمته عن نار جهنم، فهو محمد
وأحمد والأمين، والأمي والحاشر والخاتم، والرسول، ورسول الله والشاهد والضحوك، والعاقب
والفاتح، والقتال والقثم، والمأحي والمصطفى، والمتوكل والمقفي، والنبي والنذير، ونبي الرحمة، ونبي
الملاحم.

فصل في ذكر كنية رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الكنية إنما وضعت لاحترام المكنى بها وإكرامه وتعظيمه، كي لا يصرح في الخطاب باسمه، ومنه قول [الشاعر] [(1)] :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسؤاة اللقبا

ويقال كنىت الرجل بأبي فلان، وأبا فلان على تعديفة الفعل، بعد إسقاط الحرف كلية بكسر الكاف وضمها.

وكذلك يقال: كنيته، وكنية فلان أبو فلان، وكذلك كنيته بالكسر، أي الذي يكنى به.

وقال اللحياني: يقال كنية، وكنية، وكنية، وكنوة، وكنوة، وكنوة.

وقال المبرد: الكنية من الكناية، والكناية ضرب من التعظيم والتفخيم، فيعظم الرجل أن يدعى باسمه فيكنى. ووقعت الكنية في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد فيدعى به، وفي الكبير بأن يصاب اسمه باسم ابنه، وقال غيره: يقال كنوته وكنيته.

وقال المطرزي: يقال أيضا: أكنيته من الكنية، ويقال-: إن الأصل في سبب الكنى في العرب أن ملكا من ملوكهم الأول ولد له ولد، توسم فيه النجابة، فشغف به حتى إذا نشأ وترعرع لأن يؤدب أدب الملوك، أحب أن يفرد له موضعا بعيدا من العمارة، يكون فيه مقيما يتخلق بأخلاق الملوك من مؤدبيه، ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه، فبنى له في البرية منزلا ونقله إليه، ورتب إليه من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية، فأقام له ما يحتاج إليه من أمر دنياه، ثم أضاف

[(1)] ما بين القوسين بياض في (خ) .

(146/2)

إليه من أقرانه وأضرابه من أولاد بني عمه، وأمرائه ليؤنسوه ويتأدبوا بآدابه، ويحببوا إليه الأدب بموافقته لهم عليه. وكان الملك في رأس كل سنة [يذهب] [(1)] إلى ولده، ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد، ليبصروا أولادهم، وكانوا إذا وصلوا إليهم سأل ابن الملك عن أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم، فيقال له: هذا أبو فلان: وهذا أبو فلان، يعنون آباء الصبيان الذين هم عنده، فكان يعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم، فمن هنالك ظهرت الكنى في العرب.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى بأبي القاسم، وبأبي إبراهيم،

خرَج البخاري ومسلم من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال: نادى رجل رجلا بالقبيل:

يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال [الرجل] [(2)] يا رسول الله
إني لم أعنك!! إنما دعوت فلانا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تسموا باسمي ولا تكونوا
بكنيتي
واللفظ لمسلم [(3)] .

وقال البخاري: دعا رجل رجلا. وقال: سموا باسمي، ولا تكونوا بكنيتي، ذكره في البيوع في باب ما
ذكر في الأسواق. وفي لفظ له: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السوق، فقال رجل: يا أبا
القاسم، فالتفت إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال [الرجل] [(4)] : إنما دعوت هذا،
فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي [(5)] . وذكره أيضا في
المناقب.

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة عن سليمان ومنصور وقتادة، سمعوا

[(1)] مكان هذه الكلمة في (خ) ما رسمه «بمعنى» ، ولم أتبين معناه، ولعل ما أثبتناه يعمم
المعنى.

[(2)] زيادة للإيضاح.

[(3)] [صحيح البخاري] ج 2 ص 270، (سنن ابن ماجة) ج 2 ص 1230، 1231 باب
(33) الجمع بين اسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكنيته، الأحاديث أرقام 3735، 3736،
3737.

[(4)] زيادة للإيضاح.

[(5)]

سنن الترمذي ج 4 ص 214، 215 باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وكنيته، الأحاديث أرقام 2997، 2998، 2999، 3000 وقال فيه: حدثنا محمد بن
بشار، أخبرنا يحيى ابن سعيد القطان، أخبرنا قطر بن خليفة حدثني منذر، وهو الثوري عن محمد،
وهو ابن الحنفية عن علي بن أبي طالب أنه قال: «يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك أسميه
محمدًا وأكنيه بكنيتك؟»

قال: نعم، قال: فكانت رخصة لي» ، هذا حديث حسن صحيح، انظر أيضا: سنن أبي داود ج
5 باب قم 74، ورقم 75، ورقم 76 الأحاديث أرقام 4965، 4966، 4967، 4968.

(147/2)

سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: ولد لرجل من الأنصار غلام، فأراد أن يسميه محمدا، قال شعبة في حديث منصور أن الأنصاري قال: حملته على عنقي، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم،

وفي حديث سليمان: ولد له غلام فأراد أن يسميه محمدا، قال: سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي فأبى جعلت قاسما أقسم بينكم، ذكره البخاري في كتاب الخمس وفي كتاب الأدب.

وذكر له مسلم عدة طرق، في بعضها: تسموا باسمي ولا تكونوا بكنتي وإنما أنا قاسم أقسم بينكم.

وفي بعضها: وإنما بعثت قاسما أقسم بينكم، وفي بعضها: فأبى أنا أبو القاسم أقسم بينكم.

وللترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجمعوا بين اسمي وكنتي، أنا أبو القاسم، الله يرزق وأنا أقسم.

وخرج الدارمي من حديث عقيل بن ابن شهاب عن أنس أنه لما ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله

عليه وسلم من مارية جاريتها، كان يقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه حتى أتاه جبريل

عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم [(1)] .

قال جامعه: وللناس في التكني بأبي القاسم ثلاثة مذاهب: المنع مطلقا، وإليه ذهب الشافعي،

والجواز مطلقا، وأن النهي خاص بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم [(2)] .

والثالث: لا يجوز لمن اسمه محمد، ويجوز لغيره.

قال الرافعي: ويشبه أن يكون هذا هو الأصح: لأن الناس ما زالوا يفعلونه في جميع الأعصار من

غير إنكار.

وقال النووي: هذا مخالف لظاهر الحديث، وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثاني.

وحكي الطبري مذهبا رابعا له هو المنع من التسمية بمحمد مطلقا ومن التكنية بأبي القاسم مطلقا

[(3)] .

[(1)] (فتح الباري) ج 6 ص 650 باب كنية النبي.

[(2)] انظر التعليق السابق.

[(3)]

ذكر (البيهقي) في (السنن الكبرى) ج 9 ص 308، 309 في باب ما يكره أن يتكنى به: «قال

فصل في ذكر صفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعلم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ربه، بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون مشرباً حمرة، يبلغ شعره شحمة أذنيه، وكان شعره فوق الجمة، ودون الوفرة، ودخل مكة وله أربع غدائر، وكان سبط الشعر، في لحيته كثافة ومات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة، وكان ظاهر الوضأة، يتلألاً وجهه كالقمر ليلة البدر، وكان كما وصفته عائشة رضي الله عنها بما قاله شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه [(1)] :

متى بيد في الداجي البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو قد يكون كأحمد ... نظام لحق أو نكال ملحد
وكما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول إذا رآه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
أمسى مصطفى بالخير يدعو ... كعضو البدر زايله الظلام
وكما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينشد إذا رآه:
لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المعني لليلة البدر
وكان أبيض اللون، ليس بالأبيض الأمهق [(2)] ولا بالآدم [(3)] ، أفنى العرنين [(4)] ،

[()] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سمو باسمي ولا تكنوا بكنتي، فإنما أنا قاسم بعثت أقسم بينكم» ،

وفي باب من رأى الكراهة في الجمع بينهما: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تسمي باسمي فلا يكنى بكنتي، ومن تكنى بكنتي فلا يتسمي باسمي» ،
وفي باب ما جاء في الرخصة في الجمع بينهما ما رواه محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه، ثم قال: والحديث مختلف في وصله، وتعقبه صاحب (الجواهر النقي) ص 309 بأن (الترمذي) قد أخرج هذا الحديث، وصححه، وذهب إلى جواز التكني بأبي القاسم لمن اسمه محمد، مذهب مالك وجمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء، وقد اشتهر جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعلي ذلك، وعدم الإنكار، كذا في شرح مسلم للنووي.

[(1)] ديوان حسان بن ثابت ص 380.

[(2)] مهق مهقا: كان لونه أبيض ناصع البياض بغير حمرة، وهو معيب في لون الإنسان، فهو أمهق (المعجم الوسيط) ج 2 ص 890.

[(3)] آدم أدم وأدمة: اشتدت سمرة: فهو آدم. المرجع السابق ج 1 ص 10.

[(4)] قوله: أفنى العرنين: القنا أن يكون في عظم الأنف احدياب في وسطه، والعرنين:

الأنف (صفة الصفوة) ج 1 ص 162.

سهل الخدين، أزج الحاجبين [(1)] أقرن [(2)] ، أدعج العينين [(3)] ، في بياض عينيه عروق حمرة دقاق، حسن الخلق معتدلة، أطول من المربع وأقصر من المشذب، دقيق السرة، كأن عنقه إبريق فضة، من لبتة إلى سرتة شعر يجري كالقضب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، ضليع [(4)] الفم أشنب، مفلح الأسنان [(5)] ، بادنا متماسكا [(6)] سواء البطن والصدر، ضخم الكراديس [(7)] ، أنور المتجرد، أشعر الذراعين والمنكبين، عريض الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، شائل الأطراف [(8)] خمسان [(9)] ، بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمام يشبه حسده، إذا مشى كأنما يتحدّر من صيب [(10)] وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر [(11)] ، وإذا التفت التفت جميعا، كأن عرقه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من ريح المسك [(12)] .

-
- [(1)] أزج الحاجبين: أي مقوس الحاجبين.
[(2)] القرن (بالتحريك) : اقتران الحابين بحيث يلتقي طرفاهما.
[(3)] الأدعج: الشديد سواد العينين.
[(4)] الضليع: الواسع، والعرب تمدح ذلك، لأن سمته دليل الفصاحة.
[(5)] الفلج: انفراج ما بين الأسنان.
[(6)] البادن: السمين المعتدل السمن.
[(7)] الكراديس: رءوس العظام.
[(8)] السائل والشائل: الطويل.
[(9)] أخص القدم هو الموضع الذي لا يمس الأرض عند الوطاء من وسط القدم.
[(10) ، 11] أي إذا مشى رفع رجله بقوة. وفي رواية: (تكفؤا) وهي تأكيد لما قبلها.
[(12)] وقد أورد ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ج 1 ص 162، 163، 164، 165 فصلا جامعا في تفسير غريب أحاديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ذكره هنا بصف إجمالية.
الفخم المفخم: هو العظيم المعظم في الصدور والعيون.
المشذب: الطويل الذي ليس بكثير اللحم.
الرجل الشعر: الذي في شعره تكسر، فإذا كان الشعر منبسطا قبل شعر سبط.
والعقيقة: الشعر المجتمع في الرأس.
الأزهر اللون: النير.

أزج الحواجب: أي طويل امتدادهما لوفور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين.
الأشم: الذي عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف.
وضليع الفم: كبيره، والعرب تمدح بذلك وتمجوا بصغره.
والدمية: الصورة وجمعها دمي.
بادن متماسك: أي تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره.

(150/2)

وقال عند أم سليم [(1)] فعرق، فجاءت بقارورة فجعلت تسكب العرق فيها، فاستيقظ
صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيننا
وهو أطيب من الطيب.
وكان في صوته صوته سهل وفي عنقه سطم، إن سكت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه
البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأجمله من قريب، حلو المنطق خافض الطرف، نظره
إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام، أجود الناس كفاً،
وأرحب الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى [(2)] الناس بعهدده، وألينهم عريكة،
وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه [معرفة أحبه] .
يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صلّى الله عليه وسلّم.

فأما صفة رأسه المقدس

فقد خرج أبو عيسى الترمذي من حديث جميع بن عمر العجليّ قال: حدثني رجل

[()] سواء البطن والصدر: معناه أن بطنه ضامر وصدره عريض، فلهذا ساوى بطنه صدره.
أنور المتجرد: أي نير الجسد إذا تجرد من الثياب.
والنير: الأبيض المشرق.
مسيح القدمين: أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما.
ذريع المشية: واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال.
المهين: الحقير.
يسوق أصحابه: يقدمهم بين يديه ومن ورائه.
لكل حال عنده عتاد: أي عدة، يعني أنه قد أعد للأمر أشكالها.

وقوله: يرد بالخاصة على العامة: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وآدابه إلى العامة، ومعنى ذلك أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه، فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة.

والثاني: أن المعنى يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة. فتتوب الباء عن (من) ، و (على) عن (إلى) .
والثالث: فيرد ذلك بدلا من الخاصة على العامة، فتفيد الباء معنى البدل.

[(1)] قال: من القيلولة وهي نوم الظهيرة.

[(2)] في (خ) «وأوتا» .

(151/2)

عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عظيم الهامة [(1)] .

وقال شريك عن عبد الملك بن عمير بن نافع بن جبير قال: وصف لنا علي رضي الله عنه النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: كان عظيم الهامة [(1)] .

وأما وجهه الكريم

فخرج البخاري من حديث عن إسحاق بن منصور قال: أخبرنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل الذاهب، وليس بالقصير [(2)] .

وقال البخاري: ليس بالطويل البائن، ذكره في باب صفة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم [(3)] .
وخرجه ابن أبي خيثمة، من حديث إبراهيم بن يوسف كما رواه مسلم والبخاري والترمذي من حديث أبي نعيم، حدثنا زهير عن أبي إسحاق قال: سئل البراء أكان وجه النبي صَلَّى الله عليه وسلّم مثل السيف؟ قال لا، مثل القمر [(4)] . قال: هذا حديث حسن [(5)] .

ولمسلم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك، أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل: أكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وجهه كالسيف؟ قال جابر: لا، مثل الشمس والقمر مستديرا.

وقال البخاري عن أشعث عن أبي إسحاق عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في ليلة أضحيان وعليه حلّة حمراء، فجعلت انظر إليه وإلى القمر، فلهو أحسن كان في

عيني من القمر، وفي لفظ قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة

- [(1)] (الشمائل الحمديّة للترمذي) ص 9 .
- [(2)] الحديث رقم 3549 (صحيح البخاري) بشرح (ابن حجر في الفتح) .
- [(3)] (المرجع السابق) الحديث رقم 3548 .
- [(4)] (المرجع السابق) الحديث رقم 3552 .
- [(5)] (الجامع الصحيح للترمذي) ج 5 ص 259 حديث رقم 3715 .

(152/2)

أضحيان [(1)] ، وعليه حلة حمراء، فجعلت أمائل بينه وبين القمر [(2)] .
وخرج البخاري من حديث يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب من بنيه حين عمى - قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لما سلمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبرق وجهه، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه [(3)] .

وخرج أيضا من حديث يحيى عن عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما مسرورا وأسارير وجهه تبرق فقال: ألم تسمعي ما قال مجزر المدلجي، ورأى زيدا وأسامة قد غطيا رءوسهما، وبدت أقدامها، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض [(4)] .
وخرجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق، وقال أبو إسحاق الهمداني عن امرأة من همدان سمّاها قالت حججت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرات فرأيتته على بعير له يطوف بالكعبة، بيده محجن، عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه، إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن، ثم يرفعه إلى فمه فيقبله، قال أبو إسحاق: فقلت لها شبيهه، قالت: [كان] كالقمر ليلة البدر، ولم أر قبله ولا بعده مثله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(5)] .

وخرّج عبد الله بن محمد بن إسحاق الفاكهي من حديث أسامة بن زيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلنا للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: لو رأيته لقلت: الشمس طالعة [(5)] .

وفي حديث هند بن أبي هالة: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخما مفخما [(6)] يتلأأ

[(1)] أضحيان: أي مضيئة.

[(2)] أخرجه الترمذي في (الشمائل المحمدية) ص 12.

[(3)] [(فتح الباري) ج 6 ص 565 حديث رقم 3556، وفي (خ) «ذاك منه» وما أثبتناه
رواية البخاري.

[(4)] المرجع السابق، حديث رقم 3555 ولفظه: «ألم تسعى ما قال المدلجي لزيد وأسامة
ورأى أقدامهما» .

[(5)] [(البداية والنهاية) ج 6 ص 15.

[(6)] في (خ) «فخما فخما» وما أثبتناه من (الشمائل) .

(153/2)

وجهه تألؤ القمر ليلة البدر، أخرجه الترمذي [(1)] .

وفي حديث علي رضي الله عنه: كان في وجه رسول الله تدوير.

ولأحمد من حديث عبد الرازق قال: أخبرنا إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر ابن سمرة يقول: كان
وجه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مستديرا.

وفي حديث أم معبد قالت [(2)] : رأيت رجلا ظاهر الوضوء متبلج الوجه (تعني مشرق
الوجه مضيئة) ، ومنه: تبلج الصبح إذا أسفر.

وفي حديث هند بن أبي هالة: كان سهل الخدين، وقال قتادة: ما بعث الله نبيا إلا بعثه حسن
الوجه وحسن الصوت، حتى بعث نبيكم صَلَّى الله عليه وسلّم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت،
ولم يكن يرجع، ولكن كان يمد بعض المد.

وأما صفة لونه

فخرج البخاري في باب صفة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم من حديث يحيى بن بكير قال:

حدثني الليث عن خالد عن سعيد ابن أبي هلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال:

سمعت أنس بن مالك يصف النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال: كان ربعة من القوم ليس بالطويل
ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا بأدم، ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل، أنزل
عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه:

وبالمدينة عشر سنين، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة.

فرايت شعرا من شعره فإذا هو أحمر، فسألت. فقيل: أحمر من الطيب [(3)] .
ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر وسليمان بن بلال. كلاهما عن ربيعة عن أنس أنه سمعه
يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بالأبيض
الأمهق ولا بالأدم، ولا بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان أزهر، بعثه الله على رأس أربعين سنة،
فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على دابر ستين سنة، وليس في رأسه
ولحيته عشرون شعرة بيضاء [(4)] .

[(1)] (الشمائل المحمدية للترمذي) ص 76.

[(2)] الحديث بتمامه في آخر كتاب (الشمائل المحمدية للترمذي) .

[(3)] (فتح الباري) ج 6 ص 564 حديث رقم 3547.

[(4)] (صحيح مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 100.

(154/2)

لم يقل في حديث إسماعيل على رأس ستين سنة. قال الحافظ أبو نعيم: هذا حديث صحيح ثابت
متفق عليه، رواه عن ربيعة يحيى بن سعيد الأنصاري، وعمرو بن يحيى المازني، وعبادة بن غزية،
وسعيد بن هلال وأسامة بن زيد، ونافع بن أبي نعيم، ومحمد بن إسحاق، وعبد الله بن عمر،
وفليح. وأبو أويس، وعبد العزيز الماجشون، والدرأوردّي: والثوري، ومالك والأوزاعي، وسعد،
وأبو بكر ابن عياش، وقرّة بن جبريل، وأبو زكين، وأنس بن عياض، ومنصور بن أبي الأسود،
وإبراهيم بن طهمان في آخرين.

وخرّج الترمذي من حديث عبد الوهاب الثقفي عن حميد عن أنس، قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم ربعة، ليس بالطويل، ولا بالقصير، حسن الجسم، أسمر اللون،
كان شعره ليس بجعد ولا سبط، إذا مشى يتوكأ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح
غريب [(1)] .

ومسلم من حديث الجرير عن أبي الطفيل قال: قلت له: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
قال: نعم، كان أبيض مليح الوجه [(2)] .

وله أيضا من حديث الجرير عن أبي الطفيل قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على
وجه الأرض رجل رآه غيري، قال: قلت: فكيف رأيتته: قال: كان أبيض مليح الوجه مقصدا [(2)] .

وخرجه ابن أبي خيثمة والبخاري ومسلم من حديث محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شاب، وكان الحسن بن علي يشبهه [(3)] .

ولأبي داود الطيالسي من حديث عثمان بن عبد الله بن عزيز عن نافع بن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرباً وجهه حمرة. قال البيهقي، ويقال إن المشرب بالحمرة ما أضحى للشمس والرياح، وما تحت

[(1)] (الشمائل المحمدية للترمذي) ص 29 حديث رقم 2 وإسناده جيد قوى.

[(2)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 93.

[(3)] [كذا في (خ) «ورواية البخاري: «رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان الحسن يشبهه» (فتح الباري) ج 6 ص 563 حديث رقم 3543.

(155/2)

الثياب فهو الأبيض الأزهر.

وقال ابن إسحاق عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، عن أبيه أن سراقه بن جعشم قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وكان راكباً] على ناقته، انظر إلى ساقه كأنها جمارة [(1)] .

وخرج الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن محرش الكعبي قال: اعتمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجعرانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وخرج من حديث ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يصف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كان شديد البياض.

وللترمذي في الشمائل من حديث صالح بن أبي الأخضر عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبيض كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر [(2)]

[قلت: صالح بن أبي الأخضر ضعيف في الزهري، قال ابن معين:

ليس بشيء في الزهري، وفي رواية صالح بن أبي الأخضر بغير ضعيف [(3)] .

وقال ابن المبارك: أخبرني رشدي بن سعد قال: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة قال: ما رأيت شيئاً أحسن من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن الشمس

تجري في وجهه، وما رأيت أحدا أسرع في مشيته منه، كأن الأرض تطوى له، إنا لنجتهد وإنه] (4) [غير مكترث.

وخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث قتيبة قال: أخبرنا ابن لهيعة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: ما رأيت [شيئا أحسن من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [(5)] .
وخرجه تقي بن مخلد من حديث حرملة قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني

[(1)] الجمار: قلب النخل: واحده: جمارة (المعجم الوسيط) ج 1 ص 124.

[(2)] (الشمائل المحمدية للترمذي) ص 12.

[(3)] «وقال البخاري وأبو حاتم: لين، وقال البخاري والنسائي: ضعيف، وقال الترمذي: يضعف في الحديث - ضعفه يحيى القطان وغيره، وقال ابن عدي: وفي بعض حديثه ما ينكر وهو من الضعفاء الذين يكتب حديثهم، (تهذيب التهذيب) ج 4 ص 381.

[(4)] في (خ) «وأنا» .

[(5)] (الشمائل المحمدية) ص 60 حديث رقم 115 ولفظه «أسرع في مشيته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .

(156/2)

عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنما الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مشيته كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

قال الترمذي: هذا حديث غريب: قال مؤلفه: إسناده تقي هذا الحديث أجود من إسناده الترمذي، وإسناده تقي على شرط مسلم.

وقد روي مسلم عن حرملة بن يحيى هذا غير ما حدثت، ولم يخرج هو ولا البخاري من حديث ابن لهيعة شيئا.

وخرج مسلم من حديث محمد بن جعفر قال: أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضليع الفم، أشكل العينين، منهوس العينين] (1) [.

قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قلت، ما أشكل العينين؟ قال: طويل شق

العينين، قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب.
قال قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل: وتفسير سماك على ما ذكره إلا في الشكلة، فإن ابن الهيثم أخبرنا عن داود بن محمد عن ثابت بن عبد العزيز قال:
الشكلة في العين حمرة تخالط البياض، وقال أبو عبيد: الشكلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين، والشهلة عين الشكلة، وهي حمرة في سواد العين.
وخرجه الترمذي من حديث أبي قطن قال: أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشكل العينين منهوس العقب، قال:
هذا حديث حسن صحيح.
وخرج من حديث محمد بن جعفر عن شعبة مثل حديث مسلم، وقال في تفسيره: قال شعبة:
قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: واسع الفم.. الحديث.

[(1)] في (الشمائل المحمدية) «منهوس العقب» ص 11 رقم 8 وما أثبتناه من (خ) وهي رواية صحيح مسلم، (مسلم بشرح النوري) ج 3 ص 93.

(157/2)

وخرجه أبو داود من حديث شعبة بسنده ولفظه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشهل العينين منهوس العقب ضليع الفم.
وللترمذي من حديث عباد بن العوام، أخبرنا الحجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال:
كان في ساقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حموشة، وكان لا يضحك إلا تبسما، وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل وليس بأكحل. قال أبو عيسى.
هذا حديث حسن غريب صحيح [(1)].
وله من حديث عمر بن عبد الله مولى غفرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدهب الأشفار [(2)] ، والدعج: سواد العينين، والأهدب: الطويل الأشفار، وهو الشعر المتعلق به الأجناف.
وقال حجاج: حدثنا حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظيم العينين أهدب الأشفار متشرب العين بحمرة.
وخرج سعيد بن منصور من حديث خالد بن عبد الله عن عبيد الله بن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طلب عن أبيه عن جده قال: قيل لعلي رضي الله عنه:

انعت لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كان أبيض مشربا بياضه حمرة، وقال: كان أسود الحدقة أهدب الأشفار.

وله من حديث عيسى بن يونس قال، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي رضي الله عنه إذا نعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان في الوجه تدوير أبيض مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار. ومن حديث ابن أبي ذؤيب: حدثنا صالح مولى التّزّمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان ينعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال. كان أهدب أشفار العين.

[(1)] [(الشمائل المحمدية) ص 186 حديث رقم 227، والحموشة: الدقة، والكحل (بفتحيتين) : سواد في أجفان العين.

[(2)] [(سنن الترمذي) ج 5 ص 260 حديث رقم 3717.

(158/2)

أما صفة جبينه وأنفه وحاجبيه وفمه وأسنانه ونكهته

فخرّج يعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كان خاضّ الجبين أهدب الأشفار. وفي حديث أبي هالة: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهم عرق يدره الغضب، ألقى العينين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمّ، سهل الخدين ضليع الفم أشنب، مفلج الأسنان.

وقال موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفلج الثنيتين، كان إذا تكلم رأي كالنور بين ثناياه، وقال أبو عبيدة معمر ابن المثنى: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت قاعدة أغزل والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخصف نعله، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نورا، فبهت، فنظر إليّ فقال: مالك؟ قلت: جعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نورا، فلو رأيك أبو كثير الهزلي لعلم أنك أحق بشعره، قال: وما يقول أبو كثير؟ قلت:

يقول:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المنتهل

فقام فقبل بين عيني، وقال: جزاك الله يا عائشة عني خيرا، ما سررت مني كسروري منك. أخرجه

ابن عساكر في تاريخه.

ولابن حبان من حديث أبي جعفر الداربي، عن أبي رهم عن يونس بن عبيد (مولى لأنس) عن أنس قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وشممت العطر كله، فلم أشم نكهة أطيب من نكهته [(1)] .

وأما بلوغ صوته حيث لا يبلغ صوت غيره

فخرج أبو نعيم من حديث حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن البراء قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في خدورهن، ينادي بأعلى صوته: يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم،

[(1)] ونحوه في البخاري، انظر (فتح الباري) ج 6 ص 66، حديث رقم 3561 بلفظ آخر.

(159/2)

فإنه من يتبع عورة أخيه أتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته فضحه في جوف بيته [(1)] .
وخرجه من حديث عمران بن وهب عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي بردة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة العليا بصوت يسمع العواتق في خدورهن فقال: يا معشر من آمن بلسانه ...
فذكره.

ومن حديث أبي ثميلة قال: حدثنا جريج بن هلال الطائي، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فلما انفلت من صلاته أقبل علينا غضبان فنادى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور فقال: يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تسبوا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره، وأبدى عورته ولو كان في جوف بيته، أو في ستر بيته [(2)] .

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس: اجلسوا، فسمع عبد الله بن رواحة فجلسوا في بني غنم، فقيل يا رسول الله، ذاك ابن رواحة جالس في بني غنم، سمعك وأنت تقول للناس اجلسوا فجلسوا في مكانه [(3)] .

وله من حديث مسدد قال: أخبرنا عبد الوارث عن حميد الأعرج عن محمد ابن إبراهيم التيمي

بن عبد الرحمن بن معاذ- وكان من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنى، ففتحنا أسماعنا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم ثم قال: عليكم بحصى الخذف [(4)] .
وقال سفيان عن سعد عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن أم هانئ قالت: كنت أسمع قراءة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا على عريش أهلي.
وقال هلال بن حباب: نزلت أنا ومجاهد على يحيى بن جعدة بن أم هانئ فحدثنا عن أم هانئ قالت: كنا نسمع قراءة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جوف الليل عند

[(1)] [دلائل النبوة لأبي نعيم] ج 2 ص 157.

[(2)] [المرجع السابق] .

[(3)] [المرجع السابق ج 2 ص 158.

[(4)] [المرجع السابق ج 2 ص 158.

(160/2)

الكعبة وأنا على عريشي.

وأما صفة لحيته

ففي حديث علي رضي الله عنه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضخم الرأس واللحية، وفي رواية: كان ضخم الهامة عظيم اللحية [(1)] .
وللترمذي من حديث أبي هالة: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كث اللحية.
ورواه حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال:
كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كث اللحية، وليعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كان أسود اللحية حسن الشعر.
وقال محمد بن المثنى: حدثنا يحيى بن كثير عن أبي ضمضم قال: نزلت بالرجيع فقيل لي: ها هنا رجل رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتته فقالت: رأيت رسول الله؟
قال نعم، رأيت رجلا مربوعا حسن السبلة، قال: وكانت اللحية تدعى في أول الإسلام سبلة.
وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأخذ من لحيته

من طولها وعرضها بالسوية.

وروي ابن عبد البر من طريق جنادة بن مروان الأزدي عن جرير بن عثمان عن عبد الله بن بسر قال: كان شارب رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبال شفته.

وقال محمد بن عائد: قال ابن شهاب الزهري: أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنازة سعد بن معاذ ويده في لحيته.

وقال ابن شهاب: أخبرني سعيد بن المسيب عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد [(2)] فإنما يده في لحيته يفتلها أو يحركها.

قال محمد بن عمرو عن علقمة الليثي عن عائشة قالت. بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد- يعني ابن معاذ- حتى إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء

[(1)] ونحوه في (البداية والنهاية) ج 6 ص 18.

[(2)] من الوجد، وهو الحزن والأسى

(161/2)

عمر رضي الله عنهما، قالت: وكانوا كما قال الله عز وجل: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [(1)] .

فقال: يا أمتاه! فما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: ما كانت عيناه تكاد تدمعان على أحد، ولكنه كان إذا وجد [(2)] فإنما يده في لحيته.

وقال حماد بن سلمة: أخبرنا عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن ابن جريج أنه قال لابن

عمر: رأيتك تحفي شاربك، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحفي شاربه.

وقال الفضل بن دكين: أخبرنا مندل عن عبد الرحمن بن زياد عن أشياخ لهم قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الشارب من أطرافه.

وأما صفة شعره

فخرج مسلم من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر ليس بالسبط ولا بالجعد القطط.

وأخرج من حديث مالك وغيره عن ربيعة، وللبخاري من حديث مسلم ابن إبراهيم: أخبرنا جرير

عن قتادة عن أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين لم أر بعده مثله، وكان شعر

النبي صلى الله عليه وسلم رجل لا جعدا ولا سبطا.

ومن حديث وهب بن جرير قال: حدثني أبي عن قتادة قال: سألت أنس ابن مالك عن شعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كان شعر رسول الله رجلا ليس بالسبط ولا الجعد، بين أذنيه وعاتقه، ذكرهما في اللباس، وخرَجَ مسلم من هذه الطريق نحو هذا [(3)] .
ولأبي داود من حديث عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال:
كان شعر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شحمة أذنيه [(4)] .
وقال حميد عن أنس كان شعر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أنصاف أذنيه.

[(1)] من الآية 29/الفتح.

[(2)] من الوجد وهو الحزن والأسى.

[(3)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 92.

[(4)] (سنن أبي داود) ج 4 ص 405 باب ما جاء في الشعر، الأحاديث 4183، 4184، 4185، 4186، 4187، انظر أيضا: (البخاري) في (اللباس) باب الجعد، و (مسلم) في الفضائل باب صفة النبي، و (النسائي) في الزينة حديث 5234 باب اتخاذ الجملة.

(162/2)

وللبخاري من حديث أبي إسحاق سمعت البراء بن عازب قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مربوعا بعيد ما بين المنكبين، يبلغ شعره شحمة أذنيه. الحديث.
وأخرجه مسلم ولفظه: ما رأيت أحدا من خلق في حلة حمراء يعني أحسن من رسول الله، إن [(1)] لمتنه تضرب قريبا من منكبیه.

وفي حديث علي رضي الله عنه كان كثير شعر الرأس رجليه.

ولأبي داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

كان شعر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق الوفرة ودون الجملة.

وقال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم هانئ: قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وله أربع غدائر يعني صفائر.

وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون دونهم، فسدل رسول الله ناصيته ثم فرق بعد [(2)] .

وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت.

أنا فرقت لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم رأسه [صدعت] [(3)] فرقه عن يافوخه، وأرسلت ناصيته بين عينيه.

قال ابن إسحاق والله أعلم: ذلك

لقول رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: لا تكف ثوبا ولا شعرا، وهي سيما كان يتوسم بها.

قال: وقد قال محمد بن جعفر وكان فقيها: ما هي إلا سيما من سيم الأنبياء تمسكت بها

النصارى من بين الناس.

[(1)] اللمة بكسر اللام وتشديد الميم: الشعر يسترخي عن شحمة الأذن ولا يصل إلى

المنكبين.

[(2)] [(سنن أبي داود) ج 4 ص 407 باب ما جاء في الفرق حديث رقم 4188، وأخرجه

(البخاري) في (اللباس) باب الفرق، (ومسلم) في الفضائل باب في سدل النبي صَلَّى الله عليه

وسلّم شعره وفرقه، (وابن ماجة) في (اللباس) حديث 2336 باب اتخاذ الجمّة والذوائب،

(النسائي) في الزينة حديث 5340 باب فرق الشعر، و (الترمذي) في (الشمائل) حديث 29.

[(3)] صدع الشيء فتصدع: فرّقه متفرق. (لسان العرب): 8 / 194.

(163/2)

وخرّج البخاري من حديث أنس: توفي رسول الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء]

[(1)] .

ولمسلم عنه أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم لم يختضب، إنما كان شط عند العنقفة يسيرا وفي

الصدغين يسيرا وفي الرأس يسيرا.

وروي أبو إبراهيم محمد بن القاسم الأسدي، حدثنا شعبة بن الحجاج عن عبد العزيز بن صهيب

عن أنس بن مالك قال: كان لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم جمّة جعدة.

قال ابن شاهين: تفرد بهذا الحديث محمد بن القاسم الأسدي عن شعبة، لا أعلم حدّث به غيره،

وهو حديث غريب.

وأما صفة عنقه وبعد ما بين منكبيه

ففي حديث أم معبد [(2)] أنها قالت: في عنقه سطع، يعني الطول، وفي حديث هند بن أبي

هالة: كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة [(3)] .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان عنقه إبريق فضة، وفي حديث البراء:
كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مربوعا بعيد ما بين المنكبين، وفي حديث الزهري عن ابن
المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: كان بعيد ما بين المنكبين.
وقال النضر بن شميل، حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:
كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر [سواء] [(4)] البطن
[والصدر] [(4)] ، عظيم مشاش المنكبين [(5)] ، يطأ بقدميه جميعا، إذا أقبل أقبل جميعا،
وإذا أدبر أدبر جميعا.

وخرّج الترمذي من حديث غفرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد عن علي كان

-
- [(1)] هذه التكملة من (سنن أبي داود) حديث رقم 4189 ج 4 ص 408.
[(2)] هي عاتكة بنت خالد الخزاعية (أم معبد) (الإصابة) ج 13 ص 33 ترجمة 691 وص
279 من المرجع ذاته ترجمة رقم 1501، وفي (خ) «في» .
[(3)] (الشمائل المحمدية) ص 222.
[(4)] ما بين الأقباس تكملة من (صفة الصفوة) ج 1 ص 156.
[(5)] يريد رعوس المناكب، والمشاش (بضم الميم) : مفردها مشاشة، وهي رأس العظم.

(164/2)

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم جليل الكتد، الكتد: مجمع الكتفين، وهو الكاهل. والمنكب:
مجمع رأس العضد في الكتف.

وأما صفة صدره وبطنه

ففي حديث هند بن أبي هالة: كان عريض الصدر سواء البطن والصدر، وفي حديث أم معبد: لم
يعبه ثجلة، والثجلة عظم البطن واسترخاء أسفله.
وفي حديث أم هانئ: ما رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلا ذكرت القراطيس المثني بعضها
على بعض.

وفي حديث علي رضي الله عنه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أجرد ذو مسرية.
وفي حديث هند بن أبي هالة: كان أنور المتجرد [(1)] ، دقيق المسرية [(2)] ، موصول ما
بين اللبة [(3)] والسرة بشعر يجري كالخيط. عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر

الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر.

أما صفة كفيه وقدميه وإبطيه وذراعيه وساقيه وصدره

فخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخم اليدين، لم أر بعده مثله.. الحديث.

وفي رواية: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضخم الرأس والقدمين، وكان سبط [(4)] الكفين، وخرّج من حديث همام: أخبرنا قتادة عن أنس أو عن رجل عن أبي هريرة قال:

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شثن [(5)] الكفين والقدمين.

وفي رواية عن قتادة عن أنس أو جابر بن عبد الله كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضخم الكفين والقدمين، لم أر بعده شثها له.

وللفسوي من حديث ابن أبي ذؤيب حدثنا صالح مولى التزمة قال: كان

[(1)] أنور المتجرد: أي نير الجسد إذا تجرد من الثياب، والنير: الأبيض المشرق.

[(2)] المسربة: الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة.

[(3)] اللبة (يفتح اللام وتشديد الباء) : أعلى الصدر ممّا يلي العنق.

[(4)] السبط: المسترسل.

[(5)] الشثن: الغليظ الأصابع من الكعبين والقدمين.

(165/2)

أبو هريرة ينعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان شبح [(1)] الذراعين بعيد ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين.

وفي حديث علي رضي الله عنه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس.

وفي حديث ابن أبي هالة: كان رجب الراحة، وفي حديث أنس: ما مست قط خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله [(2)] .

وفي حديث هند بن أبي هالة: كان طويل الزندين ضخم الكراديس، وفي حديث شعبة عن سماك عن جابر: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين، يعني قليل لحم العقب.

وفي حديث أبي هريرة كان يطأ بقدميه جميعا، ليس له أخمص، وفي حديث هند بن أبي هالة: كان خصان الأخصمين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء [(3)] .

وخرج البيهقي من حديث زيد بن هارون، أخبرنا عبد الله بن يزيد بن مقسم قال: حدثني عمي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قال رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبي، ويبد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درة كدرة الكتاب، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه نقيلة [(4)] رسول الله، قالت: فما نسبت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه.

وفي الصحيحين من حديث مالك بن مغول قال: سمعت عون بن أبي جحيفة ذكر عن أبيه قال: دفعت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأبطح في قبة بالهجرة، فخرج بلال فنادى بالصلاة، ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدفع الناس يأخذون

[(1)] الشيح: الطويل (ترتيب القاموس) ج 2 ص 678، (لسان العرب) : 2 / 494.

[(2)] (سنن الدارمي) ج 1 ص 31.

[(3)] خصان الأخصمين: معناه أن أخص رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخص: ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل، وهو الموضع الذي لا يلمص بالأرض من القدم عند الوطء، والخصمان (بضم الخاء) : المبالغ منه.

وقوله مسيح القدمين: أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما، فلذلك ينبو الماء عنها.

[(4)] نقيلة العضد: كربلة الفخذ (ترتيب القاموس) ج 4 ص 432، وفي (خ) «ناقولة» ولعل

ما أثبتناه هو الصواب.

(166/2)

منه، قال: ثم دخل فأخرج العنزة، ثم خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأني انظر إلى وميض ساقيه فركز العنزة [(1)] ثم صَلَّى بنا الظهر ركعتين [(2)] ، يمر بين يديه المرأة والحمار [(3)] .

وفيها من حديث أنس: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطه، يعني في الاستسقاء.

وفي حديث حجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يضحك إلا تبسما، وكان في ساقيه حموشة ... الحديث.

وخرّج البيهقي وأحمد من حديث يحيى بن يمان، حدثنا إسرائيل عن سماك ابن حرب عن جابر بن سمرة قال: كانت إصبع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خنصره من رجله متظاهرة.
وقال محمد بن معد: أخبرنا سعيد بن محمد الثقفي، حدثنا سالم أبو النضر عن نافع عن ابن عمر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أشفق من الحاجة (يعني ينساها) ربط في خنصره أو في خاتمه الخيط.

[(1)] (مسلم بشرح النووي) ج 4 ص 219.

والعنزة (بفتح العين والنون) : عصا أقصر من الرمح، وقيل: هي الخربة الصغيرة: (معالم السنن للخطابي) ج 1 ص 443. وفي (مسلم بشرح النووي) ج 4 ص 219 «هي عصا في أسفلها حديدة» ورواية مسلم «ثم ركزت له عنزة» وفيها دليل على جواز استعانة الإمام بمن يركز له عنزة ونحو ذلك، وفيه: «بياض ساقه» .

[(2)] فيه دليل على أن الأفضل قصر الصلاة في السفر وإن كان بقرب بلد ما لم ينو الإقامة أربعة أيام فصاعدا وفيه أيضا أن الساق ليست بعورة، وهذا مجمع عليه (المرجع السابق) .

[(3)] في رواية (مسلم) «يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود» ، يقول النووي في شرح (مسلم) ج 4 ص 226، 227: «اختلف العلماء في هذا، فقال بعضهم يقطع هؤلاء الصلاة، وقال أحمد ابن حنبل رضي الله عنه: يقطعهما الكلب الأسود وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء، ووجه قوله أن الكلب لم يجيء في الترخيص فيه شيء يعارض هذا الحديث، أما المرأة ففيها حديث عائشة رضي الله عنها المذكور بعد هذا- وفيه «لقد شَهِتَمُونَا بِالْحَمِيرِ وَالْكِلَابِ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْقَبِيلَةَ» ، - وفي الحمار حديث ابن عباس السابق- وفيه «يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع» - وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهم وجمهور العلماء من السلف والخلف: لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ومن غيرهم، وتأويل هؤلاء هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة بشغل القلب بهذه الأشياء» ، راجع: (مسلم بشرح النووي) ج 4 «باب سترة المصلي والندب إلى الصلاة إلى سترة والنهي عن المرور بين يدي المصلي والصلاة إلى الراحة والأمر بالدنو من السترة وبيان قدر السترة وما يتعلق بذلك» .

وأما قامته

ففي حديث أنس: أن كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، وفي حديث البراء: ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير.

وفي حديث علي: ليس بالقصير ولا بالطويل، وفيه: إذا مشى تكفأ تكفيا [(1)] كأنما ينحط من صيب،

وفي رواية: كان لا قصير ولا طويل، وكان يتكفأ في مشيته كأنما يمشى في صيب [(2)] .

وفي رواية كان لا قصير ولا طويل، وهو إلى الطول أقرب. قال: إذا مشى تكفأ كأنما يمشى في صغد [(3)] .

وفي رواية كان ليس بالذاهب طولا، فوق الربعة، إذا جامع القوم غمرهم، وفي حديث أبي هريرة: كان رجلا ربعة وهو إلى الطويل أقرب، وكان يقبل جميعا ويدبر جميعا.

وفي رواية الترمذي: لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم. قال

الترمذي: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي يقول: الممغط: الذاهب طولا، والمتردد: الداخِل بفضه في بعض قصرا.

وفي حديث هند بن أبي هالة: كان أطول من المربع وأقصر من المشذب، وقال عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، عن جعفر بن محمد عن أبيه، وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يك يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله، وربما مشى [بين] [(4)] الرجلين الطويلين يتطولهما، فإذا فارقه نسا إلى الطول، ونسب هو إلى الربعة.

وأما اعتدال خلقه ورقة بشرته

ففي حديث هند: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق بادننا متماسكا [(5)] ، يعني كان تام خلق الأعضاء، ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره.

[(1)] أي إذا مشى رفع رجله بقوة.

[(2)] الصَّيب: الأرض المنحدرة.

[(3)] الصغد: القيد والوثاق.

[(4)] زيادة للسياق والمعنى.

[(5)] في (خ) «بادن متماسك» .

وخرّج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني من حديث محمد بن بكر الحضرمي، حدثنا يزيد بن عبد الله القرشي عن عثمان بن عبد الملك قال حدثني خالي- وكان من أصحاب عليّ قدم صفيين- عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم رقيق البشرة. وقال عبد الأعلى بن حماد: حدثنا معمر عن حميد عن أنس قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ألين الناس كفا [وما] [(1)] مست خزا ولا حريرا ألين من كفه.

وأما حسنه وطيب رائحته وبرودة يده ولينها في يد من مسها وصفة قوته

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم [وسأله رجل: أكان وجهه] مثل السيف؟ قال: لا، مثل القمر، انفرد بإخراجه البخاري [(2)] .

وخرّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبي يونس أنه سمع أبا هريرة يقول ما رأيت أحسن من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كأن الشمس تخرج في وجهه. وقال جابر بن سمرة رأيت النبي صَلَّى الله عليه وسلّم في ليلة أضحيان [(3)] ، وعليه حلة حمراء، فجعلت انظر إليه وإلى القمر، فلهو أحسن في عيني من القمر [(4)] . وقال البراء ما رأيت أحدا في حلة حمراء مترجلا أحسن من رسول الله.. الحديث.

وفي حديث أبي الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا [(5)] ، وفي حديث أم معبد كان أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. وعن أبي هريرة: كأنما صيغ من فضة.

[(1)] زيادة يتم بها المعنى.

[(2)] [فتح الباري] ج 6 ص 565 حديث رقم 3552، (الشمائل المحمدية) ص 12

حديث رقم 10، و (سنن الترمذي) ج 5 ص 359 حديث رقم 3715.

[(3)] أضحيان: مضيئة.

[(4)] [سنن الدارمي] ج 1 ص 30.

[(5)] [مقصدا (بفتح الصاد المشددة): وهو الذي ليس بجسيم ولا نحيف، ولا طويل ولا

قصير.

وخرّج الحافظ أبو نعيم من حديث عبد العزيز العمي عن جعفر بن محمد وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أحسن الناس وجهًا، وأنورهم لونا.

ومن حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: كان وجه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كدارة القمر.

وخرّج الدارمي من حديث عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن أبي عبيدة محمد بن عمارة قال: قلت للربيع بنت معوذ صفى لي رسول الله، فقالت: يا بني، لو رأيته رأيت الشمس طالعة [(1)] .

وقال أحمد بن عبد الله الغدافي أخبرنا عمرو بن أبي عمرو عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن لرسول الله ظل، ولم يقيم مع شمس قط إلا غلب ضوء الشمس، ولم يقيم مع سراج قط إلا غلب ضوءه على ضوء السراج.

وخرّج ابن عساکر من حديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: كنت أصافح النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أو يمس جلدي جلده، فأعرف في يدي بعد ثلاثة أطيب من ريح المسك.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ما مسست بيدي ديباجا ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله، ولا شممت رائحة قط أطب من ريح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم.

ويرواية، قال أنس: ما شممت شيئا قط- مسكا ولا عنبرا- أطيب من ريح رسول الله، ولا مسست شيئا قط- حريرا ولا ديباجا- ألين مسنا من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم.

وفي رواية: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله، ولا شممت مسكا ولا عنبرا أطيب رائحة من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم [(2)] .

[(1)] (سنن الدارمي) ج 1 ص 31.

[(2)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 86، وفيه «مسكة ولا عنبرة» .

وقال جابر بن سمرة وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجهما من جونة [(1)] عطار.

وقال شعبة عن يعلي بن عطاء: سمعت جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمنى فقلت له: رسول الله، ناولني يدك! فناولنيها، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك.

وخرّج أبو نعيم من طريق الحميدي قال: أخبرنا سفيان [(2)] بن عيينة عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدلو من ماء فشرب ثم توضأ، فمضمض ثم حجة في الدلو مسكا أو أطيب من المسك، واستنثر خارجا من الدلو.

وخرّجه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ومن حديث مسعر عن عبد الجبار ابن وائل قال: حدثني أخي [(3)] عن أبي قال: أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم مج في الدلو ثم صب في البئر، أو قال: شرب من الدلو ثم مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك.

وخرّج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: دخل علينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال [(4)] عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق، فاستيقظ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين، قالت: هذا عرق نجعله لطينا، وهو أطيب من الطيب [(5)] .

ومن حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأتيها فيقبل عندها فتبسط له نطعا فيقبل عليه- وكان كثير العرق- فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا أم سليم! ما هذا قالت: عرقك أدوف به طيب [(5)] .

وخرّج أبو نعيم من حديث أبي يعلي الموصلي قال: أخبرنا بشر بن سنحان، أخبرنا عمرو بن سعيد الأشج، أخبرنا سعيد عن قتادة عن أنس قال: كنا نعرف

[(1)] الجونة والجؤنة: بمعنى: وهي السقط الذي فيه متاع العطار، هكذا فسره الجمهور، وقال صاحب (العين): وهي سليلة مستديرة مغطاة (المرجع السابق) .

[(2)] في (خ) «ياسفين» .

[(3)] في (خ) «أحلي» .

[(4)] قال: من القيلولة وهي نوم الظهر.

[(5)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 86، 87.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُقْبِلَ بِطَيْبٍ رِيحِهِ.
وخرَجَ من حديث مغيرة بن عطية عن أبي الزبير عن جابر قال كان في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصال: لم يكن في طريق فسلكه أحد إلا عرف مسلكه من طيب عرفه أو ريح عرفه [(1)] .

وأما صفة خاتم النبوة

فخرج البخاري من حديث حاتم بن إسماعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال: سمعت السائب بن يزيد يقول: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أخي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل ذر الحجلة. ذكره في كتاب المناقب، وفي كتاب الدعاء في باب الدعاء للصبيان، وفي كتاب المرضى في باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له، وقال فيه: فنظرت إلى خاتمه، وذكره في الطهارة في باب استعمال فضل وضوء الناس، وفيه: أن ابن أخي وقع، وفيه: فنظرت إلى خاتم النبوة [(2)] . وخرجه مسلم من طرق، ومسلم من حديث عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شمت مقدّم رأسه ولحيته، وكان إذا أذهن لم تتبين، وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا: بل مثل الشمس والقمر، وكان مستدير الرأس، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده [(3)] .

وله من حديث شعبة عن سماك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: رأيت خاتما في ظهر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه بيضة حمام. وله من حديث حامد بن محمد البكراوي قال: أخبرنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - أخبرنا عاصم عن عبد الله ابن سرجس قال رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكلت

[(1)] (سنن الدارمي) ج 1 ص 32، والعرف: الرائحة مطلقا، وأكثر ما يستعمل في

الرائحة الطيبة، وانظر أيضا (دلائل النبوة لأبي نعيم) ص 158.

[(2)] (صحيح البخاري بحاشية السندي) ج 4 ص 7.

[(3)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 97.

معه خبزاً ولحماً، أو قال: ثريداً، قال: قلت له أستغفر لك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية: **وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ [(1)]** ، قال: ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض [(2)] كتفه اليسري، جمعا عليه خيلان كأمثال التآليل [(3)] .

وخرجه التّسائي ولفظه: عن عبد الله بن سرجس قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في ناس من أصحابه فدرت من خلفه فعرف الذي أريد، فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم على موضع كتفيه مثل الجمع كأنها التآليل، فجئت حتى استقبلته، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: ولك - قال بعض القوم استغفر لك رسول الله؟ قال [(4)] : نعم ولكم، ثم تلا، **وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ [(1)]** ، ذكره في التفسير.

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث قره بن خالد قال: أخبرني معاوية بن قره عن أبيه قال: أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، أربي الخاتم، قال: أدخل يدك، قال: فأدخلت يدي في جربانه، فجعلت ألمس انظر إلى الخاتم،

فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة، فما منعه ذلك أن جعل يدعو لي، وإن يدي لفي جربانه. وخرج الفسوي من حديث عبيد الله بن إياد قال: حدثني أبي عن أبي دمنة قال: انطلقت مع أبي نحو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنظر إلى مثل السلعة بين كتفيه، فقال: يا رسول الله، إني كأطبب الرجال، أفأعالجها لك؟ فقال: لا، طبيبها الذي خلقها. وقال الثوري عن إياد بن لقيط في هذا الحديث: فإذا خلف كتفه مثل النفاحة،

[(1)] من الآية 19 سورة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[(2)] الناغض: أعلى الكتف، وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل ما يظهر عند التحرك.

[(3)] وقوله «جمعا» فبضم الجيم وإسكان الميم، ومعناه: أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها، وأما «الخيلان» فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء: جمع خال وهو الشامة في الجسد.

(مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 98، 99 والتآليل: جمع ثؤلول، وهو بثر صغير صلب مستدير يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها (المعجم الوسيط) ج 1 ص 93.

[(4)] (الشمائل المحمدية للترمذي) ص 18، 19 حديث رقم 22.

وقال عاصم بن بهدلة عن أبي دهمثة: فإذا في نغصّي كنفه مثل بكرة البعير أو بيضة الحمامة. وخرّج البيهقي من حديث عبد الله بن ميسرة، حدثنا عتاب قال: سمعت أبا سعيد يقول: الخاتم الذي بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم حمة ناتئة. وخرّج البيهقي من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلي عن سلمان الفارسي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى إليّ رداءه وقال: يا سليمان إلى ما أمرت به، قال: فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة.

فصل جامع في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

روي أبو نعيم من حديث المسعودي عن عثمان بن عبد الله بن هرمز عن نافع ابن جبير بن معطم عن علي رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله بالطويل ولا بالقصير، وكان [(1)] شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس واللحية مشرباً وجهه حمرة، ضخم الكراديس، طويل المسربة، إذا مشى يمشى قلعا كأنما ينحدر من صيب. وفي رواية: إذا مشى تكففاً تكفياً كأنما ينحط من صيب، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

وروي الفسوي من حديث عيسى بن يونس، حدثنا محمد بن عبد الله مولى عفرة، قال: حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد، وكان ربة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا المكثم، وكان في الوجه تدوير أبيض، مشرب أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتف، أو قال الكتند، أجرد ذا مسربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صيب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة [(2)] ، أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى

[(1)] في (خ) «وكاشن» .

[(2)] في (خ) «بعد قوله: «خاتم النبوة» عبارة «خاتم النبيين» والسياق يقتضي حذفها.

الناس بذمة، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد، لم يكن بالمطهم ولا المكثم، أبيض مشرب،
أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتند، شثن الكفين والقدمين، دقيق المسربة، إذا
مشى تفلع كأنما يمشي في صيب، وإذا التفت التفت معا، ليس بالسبط ولا بالجعد القلط.
وفي رواية: كان أزهر، ليس بالأبيض الأمهق، وفي رواية: كان في عينيه شكلة، وفي رواية: كان
شبح الذراعين.
فالممغط:

الذي ليس بالبائن الطويل، ولا القصير، وقيل: الممغط: الذاهب طولاً، والمتردد: الذي تردد
خلقه بعضه على بعض، فهو مجتمع.

يقول: ليس هو كذلك، ولكن ربعة بين الرجلين، كما جاء في حديث آخر:
كان ضرب اللحم بين الرجلين.

والمطهم:

المنتفخ الوجه، وقيل الفاحش السمن، وقيل النحيف الجسم، وقيل: الطهمة في اللون أن تتجاوز
سمرة إلى السواد، والمكثم: المدور الوجه، وقيل: هو القصير الحنك الداني الجبهة مع الاستدارة.
يقول: فليس كذلك، ولكنه مسنون، وقوله: مشرب أي شرب حمرة،
والأدعج العين:

الشديد سوادها، والجليل المشاش: العظيم رءوس العظام، مثل الركبتين والمرفقين، والكتند:
الكاهل وما يليه من الجسد، وقيل: الكتند: مجمع الكتفين، وهو الكاهل.
وقوله: شثن الكفين والقدمين:

يعني أنهما إلى الغلظ. وقيل الشثن الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين، وقوله إذا مشى تفلع
كأنما يمشي في صيب: القلع:

أن يمشي بقوة، والصبب الانحدار، والقلط: الشديد الجعودة من أشعار الحبش، والسبط: الذي
ليس فيه تكسر، يقول: فهو جعد رجل، والأزهر الأبيض النير البياض، لا يخالط بياضه حمرة،
والأمهق الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة وليس بنير، ولكن كلون الجص
أو نحوه، يقول: فليس هو كذلك.

(175/2)

والشكلة: كهينة الحمرة تكون في بياض العين، والشهلة: حمرة في سواد العين، والمرهة: بياض لا
يخالطه غيره، وأهدب الأشفار: يعني طويلها، وقوله:

شبح الذراعين: يعني عبل الذراعين عريضهما، والمسرية الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة. وقال يعلي بن عبيد عن مجمع بن يحيى الأنصاري عن عبد الله بن فران عن رجل من الأنصار أنه سأل عليا رضي الله عنه عن نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مشربا حمرة، أدعج العينين، سبط الشعر ذو وفرة، دقيق المسرية، كأن عنقه إبريق فضة، من لبتة إلى سرتة شعر يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، إذا مشى كأنما ينحدر من صيب، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر، وإذا التفت التفت جميعا، كأن عرقه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك [(1)] ، ليس بالطويل ولا بالقصير؟ لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

وقال إبراهيم بن طهمان عن حميد الطويل عن أنس قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالأدم ولا الأبيض الشديد البياض، فوق الربعة ودون البائن [(2)] الطويل، كان من أحسن ما رأيت من خلق الله، وأطيبهم ريحا وألينهم كفا، ليس بالجعد الشديد الجعودة، وكان يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه، وكان يتوكأ إذا مشى.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري قال: سئل أبو هريرة عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أحسن الناس صفة وأجملها، كان ربعة إلى الطول، ما هو بعيد ما بين المنكبين، أسيل الجبين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين أهدب، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، وليس أخمص، إذا وضع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكة فضة، وإذا ضحك يتألأ. لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية، رأيت رجلا ظاهر الوضأة متبلج الوجه [(3)] ، حسن الخلق، لم تعب ثجلة، ولا تزريه صقله، وسيما قسيما، في عينيه دعج، وفي أشفاره عطف، وفي صوته صحل [(4)] ، وفي عنقه

[(1)] مكان هذا البياض في (خ) كلمة ممجوجة لم أتبين معناها.

[(2)] في (خ) «البياض» .

[(3)] أي يشرق بالنور.

[(4)] صحل: بحة.

سطع، وفي لحيته كثافة، أنج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبجاه من بعيد، وأحسنه، وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نذر ولا هدر، وكأن منطق خرزات نظم يتحدرن، لا تشنؤه [(1)] من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصنا بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفتد صلى الله عليه وسلم، [وسياتي] حديث أم معبد بطوله مشروحا عند ذكر المعجزات إن شاء الله تعالى.

وخرج الحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي [(2)] من حديث جميع بن عمر العجلي، قال حدثني رجل بمكة عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي قال سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي - وكان وصافا - عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشتهى أن يصف لي منها شيئا أتعلق به، فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتألأ وجهه تألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشدب، عظيم الهامة، رجل الشعر. إن انفرت عقبيته فرق، وإلا فلا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وقره، أزهر اللون، واسع الجبين، أنج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، شثن الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سبط العقب، شثن الكفين والقدمين، شائل الأطراف، خمضان الأخصمين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، فإذا زال زال قلعا، يخطو تكفيا، ويمشى هونا، ذريع المشية كأنما ينحط من صيب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام، قلت: صف لي منطقته، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان. دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة: يفتتح الكلام ويختتمه

[(1)] في (خ) «لا يأس» وما أثبتناه من (الشمائل المحمدية) ص 223.

[(2)] (نسبة إلى فسا) من بلاد فارس (لسان الميزان) ج 6 ص 376 ترجمة رقم 265/

بأشداقه، ويتكلم بجوامع الملك، فصلا لا فضول ولا تقصير، دمنا، ليس بالمجافي ولا المهين، يعظم
النعمة وإن دقت، ولا يذم منها شيئا، غير أنه لم يكن يذم ذواقا [(1)] ، ولا يمدحه، ولا
تعضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يكن يغضبه شيء حتى ينتصر له،
لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها: وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل
بها، فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح
غضّ طرفه، جلّ ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حبّ الغمام.

قال الحسن: فكنتمها الحسين زمانا ثم حدثني فوجدته قد سبقني إليه. فسأله عما سألته. فوجدته
قد سأل (يعني عليا) رضي الله عنه عن مدخله ومخرجه، وشكله فلم يدع منه شيئا.
قال الحسين عليه السلام سألت أبا هريرة عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كان
دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءا لله عزّ
وجلّ، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه، ثم جزءا جزأة بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا.

وكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه وقسمه [(2)] على قدر فضلهم في
الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاكل بهم ويشغلهم فيما
أصلحهم والأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم. ويقول: ليلبغ الشاهد الغائب،
وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها
إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون عليه
روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة (يعني فقهاء) [(3)] .

قال: وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن
لسانه [(4)] إلا فيما [(5)] يعينهم ويؤلفهم ولا ينفهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه

[(1)] الذواق (بفتح الذال وتخفيف الواو) المأكول والمشروب.

[(2)] في (خ) «وقسمته» وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج 1 ص 158.

[(3)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق «يعني على الخير» .

[(4)] في (خ) «يحزن» ، وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(5)] في (خ) «هما» ، وما أثبتناه من المرجع السابق.

عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس [(1)] ، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، ولا يغفل مغافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه [(2)] الذين يلونه من الناس، خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر. ولا يوطن الأماكن وينهي عن إيطانها [(3)] ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه في حاجة صابره، حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس من بسطه وخلقه، فصار لهم أبا. وصاروا عنده في الحق متقاربين، متفاضلين بالتقوى متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

قال: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب [(4)] ولا فحاش ولا عياب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي. ولا يؤيس [(5)] منه، ولا يحيب فيه مؤمليه [(6)] ، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلسائه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعا عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرض، حديثهم

[(1)] كذا في (خ) وفي المرجع السابق «ما في أيدي الناس» .

[(2)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق «بجأوزه» .

[(3)] إيطان المكان: التعود على الجلوس في مكان بعينه.

[(4)] الصخّاب والسخّاب: بمعنى، وهو الصياح.

[(5)] في (خ) «يواس» وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج 1 ص 160.

[(6)] في (خ) «ولا يجب فيه» وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج 1 ص 160.

عنده حديث أوليهم [(1)] ، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته [(2)] ، حتى كان أصحابه ليستجلبوهم [(3)] [في المنطق] [(4)] ، ويقول. إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ [(5)] ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام [(6)] .

قال: سألته كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير، فأما تقديره ففي تسويته النظر، والاستماع بين الناس، وأما تذكره- أو قال: تفكره- فقيم يبقى ويعنى [(7)] .

وجمع له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستنزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقنطد به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاد الرأي فيما أصلح أمته، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحديث جميع بن عمرو قال: حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن أبي هالة لم يسم، عن الحسن بن علي قال:

سألت خالي هند بن أبي هالة- وكان وصافا- عن حلية رسول الله فقال: كان رسول الله فخما مفخما. (الحديث. هكذا رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني في معجمه الكبير، ورواه العقيلي في الضعفاء من طريق مجمع بن عمر، حدثنا يزيد ابن عمر التميمي عن أبيه عن الحسن، فبين ذلك المبهمين في الإسناد الأول.

والفخم المفتخ:

العظيم المعظم في العيون والصدور، أي كان جميلا مهيبا عند الناس.

والمشذب: الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه، أي ليس بنحيف طويل، بل طوله وعرضه متناسبان على أتم صفة.

[(1)] كذا في (خ) «وفي المرجع السابق «أولهم» .

[(2)] أي إنه يصبر على ما يبدو من الغريب من غلظة في كلامه وسؤاله.

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (صفة الصفوة) «ليستجلبوهم» .

[(4)] ما بين القوسين ليس في (صفة الصفوة) .

[(5)] في (خ) «مكلف» وما أثبتناه من المرجع السابق ومن (النهاية لابن الأثير) .

[(6)] رواه (الترمذي)

[(7)] هذه الفقرة من (الطبراني) زيادة عن رواية (الترمذي) .

والشعر الرّجل الذي ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطه، بل بينهما، والعقيصة: الشعر المجموع كهيئة المصفور، والعقيقة: الشعر الذي يخرج على رأس الصبي حين يولد وسمي الشعر عقيقة لأنه منها ونباته من أصولها، وقيل العقيقة هنا تصحيف، وإنما هي العقيصة. والأزهر: الأبيض المستنير، وهو أحسن الألوان، وليس بالشديد البياض. الزّجج: وهو دقة الحاجبين وسوغهما إلى محاذة آخر العين مع تقوس، والقرن: أن يلتقي طرفاهما مما يلي أعلى الأنف، وهو محمود عند العرب، ويستحبون البلج وهو بياض ما بين رأسيهما وخلوة في صفته عليه السلام، دون أن حاجبيه قد سبغا وامتدا حتى كادا يلتقيان فيه ولم يلتقيا، ونفي القرن هو الصحيح في صفته عليه السلام، دون ما وصفته به أم معبد، ويمكن أن يقال: لم يكن بالأقرن، ولا بالأبلج حقيقة، بل كان بين حاجبيه فرجة كبيرة، لا تتبين إلا لمن حقق النظر إليها، كما ذكر في صفة أنفه فقال: يحسبه من لم يتأمله أشمّ ولم يكن أشمّ. والسوابغ: جمع سابغ، وهو التام الطويل، ويدرّه الغضب، أي يحركه ويظهره، كان إذا غضب امتلأ ذلك العرق دما كما يمتلى الضرع لبنا إذا درّ، فيظهر ويرتفع. والعرين: الأنف، والقنا: طول الأنف ودقة أرنبته مع ارتفاع في وسط قصبته، والشمم: ارتفاع رأس الأنف وإشراف الأرنبة قليلا، واستواء أعلى القصبه، أي كان يحسب لحسن قناة قبل التأمل أشمّ، فليس قنأوه بفاحش مفرط، بل يميل إلى الشمم. والشعر الكث: الكثيف المتراكب من غير طول ولا رقة، وسهل الخدين: أي ليس في خديه نتوء وارتفاع، وقيل: أراد أن خديه أسيلان قليلا اللحم رقيقا الجلدة. والضليع الفم: العظيم الواسع، وكانوا يذمون صغر الفم، وقال أبو عبيد: أحسبه جله في الشفتين، وغلظة فيهما. والشنب: رقة الأسنان ودقتهما، وتحدد أطرافهما، وقيل: هو بردهما وعدوبتهما.

(181/2)

والفلج: تباعد ما بين الثنايا والرابعيات، والمسرية: ما دق من شعر الصدر مائلا إلى السرة. والجيد: العنق، والدمية الصورة المصورة في جدار أو غيره. واعتدال الخلق: تناسب الأعضاء والأطراف، وأن لا تكون متباينة في الدقة والغلظ، والصّغر والكبر، والطول والقصر. والبادن: الضخم التام اللحم، والمتماسك: الذي لحمه ليس بمسترخ ولا بعضه بعضا، لأن الغالب

على السّمن الاسترخاء.

قوله: سواء البطن والصدر: أي متساويهما، يعني أن بطنه غير خارج، فهو مساو لصدره، وصدره عريض فهو مساو لبطنه.

والمنكبان: أعلا الكتفين، وبعد ما بينهما يدل على سعة الصدر والظهر، والكراديس: جمع كردوس، وهو رأس كل عظم كبير، وملتقى كل عظمتين ضخمتين كالمنكبين والمرفقين، والوركين والركبتين، ويريد به ضخامة الأعضاء وأغلظها. والمتجرد ما كشف عنه الثوب من اليدين، يعني أنه كان مشرق الجسد، نير اللون، فوضع الأنور موضع النير.

والأشعر: الذي عليه الشعر من البدن، واللبة (بفتح اللام) الوهدة في أعلى الصدر وفي أسفل الحلق بين الترقوتين.

وقوله: عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أي أن ثدييه وبطنه ليس عليهما شعر سوى المسربة المقدم ذكرها، الذي جعله جاريا كالخط.

والزندان: العظام اللذان يليان الكف من الذراع، رأس أحدهما يلي الإبهام، ورأس الآخر يلي الخنصر.

والراحة: الكف، ورحبها: سعتها، وهو دليل الجود، والشثن: الغليظ الأطراف والأصابع وكونها سائلة أي ليست بمتعددة ولا متجعدة، فهي مع غلظتها سهلة سبطة.

(182/2)

والقصب: جمع القصبية، وهي كل عظم أجوف فيه مخ، والسبط: الممتد في استواء ليس فيه تعقد ولا تنوء.

والأخص من القدم: الموضع الذي لا يصل إلى الأرض منها عند الوطاء، والخصمان: المبالغ منه، أي أن ذلك الموضع منه شديد التجافي عن الأرض. وسئل ابن الأعرابي عنه فقال: إذا كان خص الأخص بقدر لم يرتفع جدا ولم يسو أسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون، وإذا استوى أو ارتفع جدا فهو ذم.

فيكون المعنى حينئذ: معتدل الخصم بخلاف الأولى، وكلا القولين متجه بحتمه اللفظ، ومسيح القدمين: أي أن ظاهرهما ممسوح غير متعقد، فإذا صب عليهما الماء مرّ سريعا ملامستهما فينبو عنهما الماء ولا يقف، يقال: نبا الشيء ينبو [(1)] إذا تباعد.

وقال الهروي: أراد أنهما ملساوان: ليس فيهما وسخ ولا شقاق ولا تكسر، فإذا أصابهما الماء نبا

عنهما.

وقوله: إذا زال زال قلعا كأنما ينحط من صبيب، والانحدار من صبيب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض. أراد أنه كان يستعمل التثبيت، ولا يبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة.

وفي حديث آخر: إذا مشى تقلّع، أراد به قوة المشي وأنه كان يرفع رجله من الأرض رفعا قويا، لا كمن يمشى اختيالا، ويقارب خطوه، فإن ذلك من مشى النساء.

والتكفؤ: تمايل الماشي إلى قدام كالغصن إذا هبت به الريح، والهون: المشي في رفق ولين غير محتال ولا معجب-، والذريع: السريع، أي أنه كان واسع الخطو فيسرع مشيه، وربما يظن أن هذا ضد الأول. ولا تضاد فيه، لأن معناه أنه كان مع تثبته في المشي يتابع الخطوات ويوسعها فيسبق غيره.

والصّبب: الموضع المنحدر من الأرض، وذلك دليل سرعة مشيه، لأن المنحدر لا يكاد يثبت في مشيه.

[(1)] في (خ) «ينبوا» .

(183/2)

وفي رواية كأنما يهوي من صبوب بضم الصاد: جمع صبيب، وهو المنحدر من الأرض، وبفتح الصاد: اسم لما يصب على الإنسان من ماء غيره، وهو يهوي: إذا نزل من موضع عال.

وقوله: وإذا التفت التفت جميعا: أي لم يكن يلوي عنقه، ورأسه إذا أراد أن يلتفت إلى ورائه، فعل الطائش العجل، إنما يدير بدنه كله وينظر، وقيل: أراد أن لا يسارق النظر، وخفض الطرف ضد رفعه، وجلّ الشيء معظمه والملاحظة:

أن ينظر بلحظ عينيه وهو شقها الذي يلي الصدغ والأذن. ولا يحدق [(1)] إلى الشيء تحديقا.

والطرف العين. وكانت الملاحظة معظم نظره وأكثره، وهو دليل الحياء والكرم. ويسوق أصحابه: أي يقدمهم أمامه، ويمشي وراءهم، والسكت:

السكوت، وجوامع الكلم: القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني، جمع جامعة وهي اللفظة الجامعة للمعاني، والقول الفصل: هو البين الظاهر المحكم الذي لا يعاب قائله، وحقيقته الفاصل بين الحق

والباطل، والخطأ والصواب.
والفضول من الكلام: ما زاد عن الحاجة وفضل، ولذلك عطف عليه (ولا تقصير) ، والدمث:
السهل اللين الخلق، والجافي: المعرض المتباعد عن الناس، وقيل: الغليظ الخلقة والطبع، والمهين
(بضم الميم) من الإهانة وهي الإذلال والإطراح، أي لا يهين أحدا من الناس، و (بفتح الميم) من
المهانة وهي الحقارة والصغر.
ويعظم النعمة: أي لا يستصغر شيئا أوتيته وإن كان صغيرا، والدّواق: اسم لما يذاق باللسان، أي
لا يصف الطعام بطيب ولا بشاعة، وقالوا: وقوله: تعوطي الحق لم يعرفه أحد، أي إذا نبيل من
الحق أو أهمل أو تعرض للقدح فيه، تنكر عليهم وخالف عادته معهم، حتى لا يكاد يعرفه أحد
منهم، ولا يثبت لغضبه شيء حتى ينتصر للحق.
وقوله: إذا تحدث اتصل بما، أي أنه كان يشير بكفه إلى حديثه، وتفسير، «قوله فيضرب بباطن
راحتة اليميني باطن إبهامه اليسرى، وأشاح»: إذا بالغ في

[(1)] نحوه في (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 69.

(184/2)

الإعراب وجدّ فيه. المشيخ المبالغ في كل أمر، أي إذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ.
بل يقنع بالإعراض عمن أغضبه» .
وغض الطرف عند الفرح دليل على نفي البطر والأشر، والتبسم: أقل من الضحك، ويفتر: أي
يكشف عند التبسم عن أسنانه من غير قهقهة. وحب الغمام: البرد، وقوله: فيرد ذلك على
العامة بالخاصة: أرد أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت، وكانت الخاصة تخبر العامة بما
سمعت منه فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة، وقيل أن الباء في الخاصة تخبر العامة: بمعنى
من، أي فجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة وبدلا منهم.
والرّواد: جمع رائد، وهو الذي يتقدم القوم. يكشف لهم حال الماء والمرعى قبل وصولهم،
ويخرجون أدلة: أي يدلون الناس بما قد علموه منه وعرفوه. يريد أنهم يخرجون من عنده فقهاء.
ومن قال أدلة (بذال معجمة) فيكون جمع ذليل، أي يخرجون من عنده متواضعين، وقوله: لا
يفترقون إلا عن ذواق: ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده من الخير، أي لا يفترقون إلا عن علم
يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب، لأنه يحفظ الأرواح كما يحفظ الأجسام.
وقوله: لا تؤبن فيه الحرم: أي لا تقذف وترمي بعيب، والحرم: جمع حرمة، وهي المرأة. ولا تنشئ

فلتاته: أي لا يتحدث عن مجلسه بهفوة أو زلة إن حدثت فيه من بعض القوم، يقال: نتوت الحديث إذا أذعته. والفلتات جمع فلتة، وهي الزلة والسقطة.
وقيل معناه: أنه لم يكن فيه فلتات فتنثى. والبشر: طلاقة الوجه وبشاشته.
والفظ: السيء الخلق. والسخاب فعال من السخب، وهو الضجة واختلاط الأصوات.
والخصام والفتحاش والعياب: فعال من الفحش في القول وعيب الناس والوقيعه بينهم.
وقوله: لا يقبل الثناء إلا من مكافئ: يريد أنه كان إذا ابتداء بثناء ومدح كره ذلك، وإذا اصطنع معروفا فأنثى عليه، هس وشكر له قبل ثنائه.

(185/2)

وأكر ابن الأعرابي هذا التأويل وقال: المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه ممن لا يعرف حقيقة إسلامه ويكون من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.
وقال الأزهري: معناه لا يقبل الثناء إلا من مقارب غير مجاوز حد مثله، ولا مقصر عما رفعه الله إليه. والمكافأة: المجازاة على الشيء.

فصل في ذكر شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه
قال الله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [(1)] قال ابن سيده: والخلق والخلق الخليفة، أعني الطبيعة، وفي التنزيل: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، والجمع أخلاق، وتخلق بخلق كذا: استعمله من غير أن يكون موضوعا في فطرته، وفي قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ثلاثة أقوال: أحدهما: دين الإسلام، قاله عبد الله ابن عباس ومجاهد، والثاني: أدب القرآن، قاله الحسن وعطية العوفي، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن، تعني كان على ما أمره الله به في القرآن، واختار هذا القول الزجاج.. والثالث: أنه الطبع الكريم، وهذا القول هو الظاهر، وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، وسمي خلقا لأنه يصير كالحلقة في الإنسان.

وأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخير، فيكون الخلق هو الطبع المتكلف، والخير هو الطبع الغريزي، وقد اجتمع في رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق، وشهد له به تعالى بالحكمة البالغة، والأخلاق السمية الرفيعة، والمنازل العلية الرصينة.
قال أبو القاسم: سمي خلقه عظيما، لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى.
وقال لأنه امتثل أمر ربه في قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [(2)] .

وخرّج البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ، قال: أمرني ربي أن آخذ [(3)] العفو من أخلاق الناس.

[(1)] الآية 4/ القلم.

[(2)] الآية 199/ الأعراف.

[(3)] (سنن أبي داود) ج 5 ص 143 حديث رقم 4787.

(186/2)

وقيل: عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بعد مشاهدة مكوّنها سبحانه، وكان صلّى الله عليه وسلّم كما قالت عائشة رضي الله عنها حيث سئلت عن خلقه: القرآن، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرّات الله.

وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد، فيكون غضبه لربه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه، [وقد] [(1)] عرض عليه أن ينتصر بالمشرّكين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبي [(2)] وقال: إنا لا نستعين بمشرك. وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم، ما سئل شيئاً فقال لا، ولا يبيت في بيته درهم ولا دينار، فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفجته الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله عاماً فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام.

ولم يشغله الله تعالى من المال بما يقضي محبة في فضوله ولا أحوجه إلى أحد، بل أقامه على حد الغنى [(3)] بالقوت، ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقرب من ربه تعالى.

وكان أحلم الناس، وأشدّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان خافض الطرف. نظره الملاحظة، لا يثبت بصره في وجه أحد تواضعاً، يجيب من دعاه من غني أو فقير، وحر أو عبد، وكان أرحم الناس، يصغي الإناء للهرة، وما يرفعه حتى تروى رحمة لها.

وكان أعفّ الناس، لم تمس يده يد امرأة إلا بملك رقّها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه، وكان أعدل الناس، وجد أصحابه قتيلاً من خيارهم وفضلائهم، فلم يحف [(4)] لهم من أجله على أعدائه من اليهود، وقد وجد مقتولاً بينهم! بل وداه [(5)] مائة ناقة من صدقات المسلمين وإن بأصحابه حاجة إلى بعير

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] في (خ) «فأيا» .

[(3)] في (خ) «الغنا» .

[(4)] من الحيف وهو الميل من العدل.

[(5)] وداه: دفع ديته.

(187/2)

واحد يتقوون به، ووودي بني خزيمة وهم غير موثوق بإيمانهم، إذ وجب بأمر الله ذلك. وكان أكثر الناس إكراما لأصحابه، لا يمد رجله بينهم، ويوسع لهم إذا ضاق بهم المكان، ولم تكن ركبته تتقدم ركبة جلسه، وكان له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا له، وإن أمر تبادروا لأمره، وكان يتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم، فمن مرض عاده [(1)] ، ومن غاب تفقده وسأل عنه، ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له، ومن تخوف أن يكون وجد في نفسه شيئا انطلق إليه حتى يأتيه في منزله.

ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم، ويتألف أهل الشرف، ويكرم أهل الفضل، ولا يطوي بشره عن أحد، ولا يجفو عليه، ويقبل [(2)] معذرة المعتذر إليه، والضعيف والقوي في الحق عنده سواء،

ولا يدع أحدا يمشي خلفه، ويقول:

خلوا ظهري للملائكة،

ولا يدع أحدا يمشي معه وهو راكب حتى يحمله، فإن أي قال: تقدمني إلى المكان الفلاني. ويخدم من خدمه، وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم [في شيء] [(3)] من مأكلا ولا ملبس، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمته نحو من عشرين سنة، فو الله ما صحبتته في حضر ولا سفر إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له. وما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلت كذا؟ ولا قال لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا [(4)] !!؟

وكان صلى الله عليه وسلم في سفر، فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله، علي ذبحها وقال آخر علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلي جمع الحطب! فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وقام فجمع الحطب.

[(1)] في (خ) «عاداه» .

[(2)] في (خ) «ويقبل» .

[(3)] ما بين القوسين مطموس في (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(4)] في (خ) «ولا يحدق شيئا إلى الشيء» وما أثبتناه أولى للسياق والمعنى.

(188/2)

وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثم كر راجعا، فقيل: يا رسول الله، أين تريد؟ قال: أعقل ناقتي فقالوا: نحن نعقلها. قال: لا يستعين أحدكم بالناس في قضة من سواك.

وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر. وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه. لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه منه، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقرم صلى الله عليه وسلم حتى يقوم الذي جلس إليه، إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه، ولا يقابل أحدا بما يكره، ولا يجزي السيئة بمثلهما.

بل يعفو ويصفح. وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم. ويشهد جنازتهم. ولا يحقر فقيرا لفقره، ولا يهاب ملكا ملكه، ويعظم النعمة وإن قلت.

ولا يذم منها شيئا: وما عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه.

وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، وكان أكثر الناس تبسما، وأحسنهم بشرا، ولا يمضي له وقت في غير عمل الله، أو فيما لا بد منه، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون إثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه.

وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، ويركب الفرس والبغل والحمار، ويردف خلفه عبده أو غيره من الناس، ويمسح وجه فرسه بطرف ردائه.

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة،

وإذا جاءه ما يجب قال: الحمد لله رب العالمين، وإذا جاء ما يكره قال: الحمد لله على كل حال، وإذا رفع الطعام من بين يديه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين.

وكان أكثر جلوسه وهو مستقبل القبلة، ويكثر ذكر الله تعالى، ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة، ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة، وكان يسمع لصدره وهو في الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وكان يقوم الليل في الصلاة حتى ورمت قدماه.

وكان يصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وعاشوراء. وقلما كان يفطر يوم الجمعة،

وكان أكثر صيامه في شعبان، وكان يصوم حتى يقال:
لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم.

(189/2)

وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي، وإذا نام نفخ ولا يغط
وإذا رأى في منامه ما يكره قال: هو الله لا شريك له، وإذا أخذ مضجعه قال: رب قني عذابك
يوم تبعث عبادك، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.
وكان لا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية ويكافئ عليها، ولا يتأنق في مآكل، ويعصب على بطنه
الحجر من الجوع! هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها، بل زهد في الدنيا، واختار
عليها الله والدار الآخرة.

وأكل الخبز بالخلّ وقال نعم الإدام الخلّ،

وأكل لحم الدجاج ولحم الحباري، وكان يأكل ما وجد، ولا يرد ما حضر، ولا يتكلف ما لم يحضر،
ولا يتورع عن مطعم حلال، إن وجد تمرا دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز برّ
أو شعير أكله، وإن وجد حلوى أو عسلا أكله، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد، وكان له
من أصحابه من يبرد الماء وقال للهيثم بن التيهان [(1)] كأنك علمت حبنا اللحم، وكان لا
يأكل متكننا، ولم يأكل على خوان، ولم يشبع من خبز برّ ثلاثا تباعا حتى لقي الله عز وجل، وكان
يفعل ذلك إيثارا على نفسه، لا فقرا ولا بخلا.

وكان يحضر الوليمة إذا دعي إليها، ويجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو
فخذ أرنب، وكان يحب من المأكل الدباء وذراع الشاة، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن،
وكان منديل به باطن قدميه، ويأكل خبز الشعير بالتمر، وأكل البطيخ بالرطب، والقثاء بالرطب،
والتمر بالزبد، وكان يحب الحلوى والعسل، ويشرب قاعدا، وربما شرب قائما، وكان يتنفس في
الإناء ثلاثا، مبينا للإناء عن فمه، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه، وشرب لبنا
وقال: من أطعمه الله

[(1)] هو مالك بن التيهان، واسم التيهان أيضا: مالك بن عيتك بن عمرو بن الأعم بن
عامر بن زعون، ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأنصاري حليف بني عبد
الأشهل، كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرًا، واختلف في وقت وفاته، فأصح ما قيل فيه:
إنه شهد مع عليّ صفين، وقتل فيها رحمه الله، يقول السهيلي: «وأحسب ابن إسحاق وابن

هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار، وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا خلاف فيه» وقد ضاف الهيثم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقا وأتاهم بقنو من رطب (الروض الأنف للسهيلي) ج 2 ص 195.

(190/2)

طعاما فليقل: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبْنَا فَلْيُقِلِّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ.

وقال: ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن وشرب التبيذ الحلو (وهو الماء الذي قد نقع فيه تمرات يسيرة حتى يخلو)، وكان يلبس الصوف وينتعل بالمخسوف، ولا يتأثق في ملبس، ويجب من اللباس الحبرة (وهي برود من اليمن فيها حمرة وبياض). وأحب الثياب إليه القميص، وكان يقول إذا لبس ثوبا استجده اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا أَلْبَسْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صَنَعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صَنَعَ لَهُ.

وتعجبه الثياب الخضراء، وربما لبس الإزار الواحد. أو عليه غيره، يعقد طرفه بين كتفيه، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ويلبس خاتما من فضة نقشه (محمد رسول الله) في خنصره الأيمن، وربما لبسه في الأيسر.

ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة،

ويقول: إن الله جعل لذتي في النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة،

وكان يتطيب بالغالالية والمسك ويتطيب بالمسك وحده، ويتبخر بالبخور والكافور، ويكتحل بالإثمد، وربما اكتحل وهو صائم، ويكثر دهن رأسه ولحيته، ويدهن غبا [(1)] ويكتحل وترا، ويجب التيمن في ترحله وفي تنعله وفي طهوره وفي شأنه كله. وينظر في المرأة، ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره، والمرأة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط، ويستاك في ليله ثلاث مرات: قبل نومه وبعده، وعند القيام لورده، وعند القيام لصلاة الصبح، وكان يجتمع.

وكان يمزح ولا يقول إلا حقا، قد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال، وأتاه علم الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز وهو أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ، ولا معلم له من البشر، بل نشأ في بلاد الجهل والصحاري، وآتاه الله ما لم [(2)] يؤت أحدا من العالمين، واختاره على الأولين والآخرين، وعصمه من الناس. ورفع له ذكره، وضمن له إظهار دينه على الدين كله. وجعل شانه الأبر، وأعزه بالنصر على كل عدو، وأوجب طاعته على جميع الإنس والجان، وأكرمه

[(1)] الغبّ (بكسر الغين وتشديد الباء) اليوم بعد اليوم.

[(2)] في (خ) «مل لم» .

(191/2)

من كل بشر، وأكب عدوه لوجهه، وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر صَلَّى اللهُ عليه وسلّم. وسيأتي هذا في مظانه مبسوطا إن شاء الله تعالى.

أما حسن خلقه

فخرج من حديث أبي بكر بن شيبه قال: حدثنا محمد بن بشر العبديّ، حدثنا سعيد بن أبي عروة، حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين، أنبيني عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، قالت [(1)] : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: بلى، قالت: فَإِنْ خَلَقَ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ.

وخرج الإمام أحمد من حديث مبارك عن الحسن بن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله: قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن وَإِنَّكَ [(2)] لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ الْحَدِيثَ.

وقال قتبية بن سعيد: حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران عن يزيد ابن بابنوس [(3)] : قلنا لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم؟ قالت كان خلق رسول الله القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين، اقرأ فَدَأْفَلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْعَشْرِ، [فقرأ] [(4)] حتى بلغ العشر [آيات] [(4)] ، فقالت: هكذا كان خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم.

وقال زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولانيّ، عن أبي الدرداء قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فقالت: كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه.

وخرّج البخاري من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم لنفسه إلا أن تنتهك

حرمة الله عز وجل فينتقم الله بها .
لم يذكر فيه مسلم (فينتقم الله بها) ، وفي لفظ: ما خير رسول الله بين أمرين

[(1)] في (خ) «قال» .

[(2)] في (خ) «إنك» .

[(3)] بابنوس بموحدين بينهما ألف ثم نون مضمومة ساكنة ومهملة (تهذيب التهذيب) ج 11
ص 316.

[(4)] زيادة البيان.

(192/2)

إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يؤتي إليه قط حتى تنتهك حرمة الله، فينتقم الله، ولم يذكر مسلم في حديث مالك (فينتقم الله) .

وقال البخاري في رواية: والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتي إليه قط حتى تنتهك حرمة الله فينتقم الله.

وفي لفظ له عن عائشة قالت: ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يؤتي إليه حتى ينتهك من حرمة الله، فينتقم الله.

ولمسلم من حديث أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، [فإن كان إثماً] [(1)] كان أبعد الناس منه.

وفي لفظ: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله عن رجل، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم [(2)] .

وخرج الإمام أحمد من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل من شيء فانتقمه إلا من صاحبه إلا أن ينتهك محارم الله فينتقم الله عز وجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثماً، فإنه كان أبعد الناس منه.

ولابن سعد من حديث وكيع عن داود بن أبي عبد الله عن ابن جدعان عن جدته عن أم سلمة:
أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أرسل وصيفة له فأبطأت، فقال: لولا القصاص لأوجعتك بهذا
السواك.

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى به، وروى منصور بن المعتمر عن ابن شهاب عن عروة
عن عائشة قالت:- ما رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم منتصرا من

-
- [(1)] زيادة البيان ساقطة في (خ) وأتمناها من (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 83.
[(2)] ونحوه في (سنن أبي داود) كتاب الأدب- باب في التجاوز في الأمر، وأخرجه مسلم في
الفضائل باب مباحثته صَلَّى الله عليه وسلّم للآثام، وابن ماجه في النكاح باب ضرب النساء.
ونسبه المنذري إلى النسائي.

(193/2)

ظلامه ظلمها قط، إلا أن ينتهك من محارم الله، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في
ذلك، وما خير رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما.
وفي لفظ: ما رأيت رسول الله منتصرا من ظلمة قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء فإذا انتهك
من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن
إثما.

وروي محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ما خير رسول الله صَلَّى الله
عليه وسلّم بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراما، فإن كان حراما كان أبعد الناس
منه، وما انتقم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لنفسه من شيء يصاب منه إلا أن تعاب حرمة
الله فينتقم لله.

وخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث محمد بن سلام: أخبرنا يحيى بن محمد أبو محمود
البصري قال: سمعت عمر مولى المطلب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلّم: لست من دد، ولا الدد مني،
يعني ليس الباطل مني بشيء.

وخرج البخاري في كتاب الديات في باب من استعان عبدا أو صبيا، من حديث إسماعيل بن
إبراهيم، حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله،

إن أنسا غلام كَيْس فليخدمك، قال: فخدمته في الحضر والسفر، فو الله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا؟

وخرجه مسلم بنحوه. وخرّج في كتاب الوصايا [(1)] في باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحاً له، من حديث ابن عليّة، أخبرنا عبد العزيز عن أنس قال: قدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي (الحديث بمثله) ، غير أنه لم يقل (فو الله) .

وخرّج في كتاب الأدب في باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل،

[(1)] [صحيح البخاري بحاشية السندي] ج 2 ص 131.

(194/2)

من حديث سلام بن مسكين: سمعت ثابتاً يقول: أخبرنا أنس قال: خدمت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين، وما قال لي: أف، ولا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟. وخرجه مسلم في المناقب من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: خدمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين والله ما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء: لم فعلت كذا أو هلا فعلت كذا؟! ومن حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: خدمت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام، ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون عليه، ما قال لي فيه: أف قط، ولا قال لي: لم فعلت هذا؟ وألا فعلت هذا؟ وله من حديث زكريا قال: حدثني سعيد وهو ابن أبي بردة عن أنس قال: خدمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع سنين فما أعلمه قال لي قط: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قط.

ولمسلم وأبي داود من حديث عمر بن يونس قال: أخبرنا عكرمة- وهو ابن عمار- قال: قال إسحاق: قال أنس: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً حاجة فقلت: لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به، رسول الله، فخرجت حتى أمر علي الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟ قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله.

وقال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو

لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا [(1)] ؟

وخرّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي معاوية عن جعفر بن برقان عن عمران القصير عن أنس قال: خدمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين، فما أرسلني في حاجة قط لم تهيأ إلا قال: لو قضي لكان، أو لو قدر لكان. ولمسلم من حديث عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقا.

[(1)] [(سنن أبي داود) ج 3 ص 5 ص 133 كتاب الأدب، باب الحلم وأخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث رقم 4773.

(195/2)

وخرّج البخاري من حديث عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير: أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير: ما فعل التّغير؟

- نغز كان يلعب به- فرما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه، فيصلي بنا. ترجم عليه (باب الكنية للصبي). وخرّجه مسلم ولفظه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير قال: وأحسبه قال: كان فطيما، فكان إذا جاء رسول الله فرآه قال: أبا عمير، ما فعل التّغير؟ قال: فكان يلعب به.

وخرّجه أبو داود من حديث حماد قال: حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل علينا ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغز يلعب به فمات، فدخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم فرآه حزينا، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره! فقال: «يا أبا عمير، ما فعل التّغير؟»

ترجم عليه. (باب الرجل يتكنى وليس له ولد) [(1)] .

وفي هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستون وجها، جمعها أبو العباس أحمد بن القاصّ الفقيه الشافعيّ في جزء [(2)] .

[(1)] أبو عمير هذا- بضم العين وفتح الميم وسكون الياء- هو أخو أنس بن مالك لأمه،

أمهما: أم سليم، لا يعرف له اسم، وتوفي في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي توفي وجرى لأم سليم مع زوجها أبي طلحة فيه ما جرى، [يراجع ذلك في أبواب الجنائز من كتب السنن] ، والتغر (بضم النون وفتح الغين) : طائر صغير يجمع على التَّغران.

أخرجه أبو داود في (السنن) كتاب الأدب باب ما جاء في الرجل يتكفي وليس له ولد، و (البخاري) في الأدب باب الانبساط إلى الناس، و (مسلم) في الأدب باب استحباب تخنيك المولود، و (الترمذي) في الصلاة باب ما جاء في الصلاة على البسط وقال: وحديث أنس صحيح-، وفي البر باب ما جاء في المزاج، و (ابن ماجة) في الأدب باب المزاج-، من حديث أبي التياح- يزيد ابن حميد الضبي- عن أنس بن مالك، ونسبه (المنذري للنسائي أيضا) . [(2)] هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص، الطبري، الفقيه الشافعي، وعرف والده بالقاص لأنه كان يقص الأخبار. كان ابن القاص إمام وقته في طبرستان، وأخذ الفقه عن ابن شريح، وصنّف كتباً كثيرة، منها: «التلخيص»، و «أدب القاضي»، و «المفتاح»، وغير ذلك. وجميع تصانيفه صغيرة الحجم، كثيرة الفائدة، وكان يعظ الناس، فانتهى إلى طرسوس، وقيل: إنه تولى القضاء بها، فعقد له مجلس

(196/2)

[()] وعظ، وأدركته رقة وخشية وروعة من ذكر الله تعالى، فخرّ مغشياً عليه، ومات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. (النجوم الزاهرة) و (شذرات الذهب) و (طبقات الشافعية للسبكي) و (وفيات الأعيان) و (سير أعلام النبلاء) و (الأنساب) . قال أبو العباس بن القاص رحمه الله تعالى: وفيما روينا من قصة أبي عمير ستون وجها من الفقه والسنة، وفنون الفائدة والحكمة، فمن ذلك:

[1] أن سنة الماشي أن لا يتبختر في مشيته ولا يتبطأ فيها، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا مشي توكأ كأنما ينحدر من صيب. [2] ومنها أن الزيارة سنة. [3] ومنها الرخصة للرجال في زيارة النساء غير ذوات المحارم (إذا لم تكن شابة وأمنت الفتنة. [4] ومنها زيارة الحاكم للرعية. [5] ومنها أنه إذا اختص الحاكم بالزيارة والمخالطة بعض الرعية دون بعض فليس ذلك بميل، وقد كان بعض أهل العلم يكره للحكام ذلك. [6] وإذا ثبت ما وصفنا كان فيه وجه من تواضع الحاكم للرعية. [7] وفيه دليل على كراهية الحجاب للحكام. [8] وفيه دليل أن الحاكم يجوز له

أن يسير وحده. [9] وأن أصحاب المقارع بين يدي الحكام والأمراء محدثة مكروهة، لما روي في الخبر: رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْنِي عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، لَا ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ. [10] وفي قوله: يَغْشَانَا مَا يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ زِيَارَتِهِ لَهُمْ. [11] وأن كثرة الزيارة لا تخلق الحب والموودة ولا تنقصها إذا لم يكن معها طمع. [12] وأن

قوله عليه السلام لأبي هريرة: «زُرْ غَبًا تَزِدُّ حَبًّا،

كما قاله بعض أهل العلم لما رأى في زيارته من الطمع لما كان بأبي هريرة من الفقر والحاجة حتى دعا له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مزودة، وكان لا يدخل فيها يده إلا أخذ حاجته، فحصلت له الزيارة دون الطمع. [16] وفي قوله: «يَخَالِطُنَا»، ما يدل على الألفة، بخلاف النفور، وذلك من صفة المؤمن، كما

روي في بعض الأخبار: المؤمن أَلُوفٌ وَالْمُنَافِقُ نَفُورٌ.

[14] ومنها ما

روي في الخبر: «فَرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارًا مِنَ الْأَسَدِ»،

إذا كانت في لقيهم مضرة لا على العموم، فأما إذا كانت فيه للمسلمين ألفة ومودة فالمخالطة أولى. [15] وفيه دلالة على الفرق بين شباب النساء وعجائزهن في المعاشرة، إذ اعتذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ رَأَاهُ وَاقِفًا مَعَ صَفِيَّةَ، وَلَمْ يَعْتَذِرْ مِنْ زِيَارَتِهِ أُمَّ سَلِيمَ، بَلْ كَانَ يَغْشَاهُمُ الْكَثِيرَ. [16] وفي قوله: «مَا مَسَسَتْ شَيْئًا قَطُّ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: ما يدل على مصافحته، وإذا ثبتت المصافحة، دلَّ على تسليم الزائر إذا دخل. [17] ودلَّ على مصافحته، [18] ودلَّ على أن يصافح الرجل دون المرأة، لأنه لم يقل: «فما مسسنا» وإنما قال: «ما مسست»، وكذلك كانت سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التسليم على النساء ومبايعته، إنما كان يصافح الرجال دونهن. [19] وفي لين كفه ما يدل على أنه لا ينبغي أن يعتمد المصلي على شدة الاعتماد على اليدين في السجود، كما اختار ذلك بعضهم، لما وجد في صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ شَنَّ الْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَمِدَ إِلَى شِدَّةِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْيَدَيْنِ فِي السُّجُودِ، لِيُؤْثِرَ عَلَى يَدَيْهِ دُونَ جِبْهَتِهِ. [20] وفيه ما يدل على الاختيار للزائر إذا دخل على المزور. [21] وفيه ما يدل على ما قاله بعضهم أن الاختيار في السنَّة الصلاة على البساط والجريد والحصير، وقد قيل في بعض الأخبار أنه كان حصيرا باليا، وذلك أن بعض الناس كان يكره الصلاة على الحصير، وينزع بقول الله تعالى: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا. [22] وفي نضحهم ذلك له وصلاته عليه مع علمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ صَبِيًّا صَغِيرًا، دليل على أن السنة ترك التعزير. [23] ودليل على أن الأشياء على الطهارة حتى يعلم يقين النجاسة. [24] وفي

[()] نضحهم البساط لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على أن الاختيار للمصلى أن يقوم في صلاته على أروح الحال وأمكنها، لا على أجهدا وأشدّها، لئلا يشغله الجهد عما عليه من أدب الصلاة وخشوعها، كما أمر الجائع أن يبدأ بالطعام قبل الصلاة، خلاف ما زعم بعض المجتهدين، إذ زعم أن الاختيار له أن يقوم على أجهد الحال، كما سمع في بعض الأخبار أنهم لبسوا المسح إذا قاموا من الليل وقيدوا أقدامهم. [25] وفي صلاته في بيتهم ليأخذوا علمها دليل على جواز حمل العالم علمه إلى أهله: إذا لم يكن فيه على العلم مذلة، وأما روى في أن: «العلم يؤتى ولا يأتي»: إذا كانت فيه للعلم مذلة، أو كان من المتعلم على العالم تطاول. [26] وفيه دلالة اختصاص لآل أبي طلحة، إذ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتهم. [27] وأخذهم قبلة بيتهم بالنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الدلائل والعلامات. [28] وفي قوله: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء مازحه»، ما يدل على أنه كان يمازحه كثيرا، وإذا كان كذلك كان في ذلك شيئا: [29] أحدهما: أن مازحة الصبيان مباح. [30] والثاني: أنها إباحة سنة لا إباحة رخصة، لأنها لو كانت إباحة رخصة لأشبهه أن لا يكثرها، كما قال في مسح الحصى للمصلى: «فإن كنت لا بد فاعلا فمرة»، لأنها كانت رخصة لا سنة. [31] وفيه- إذ مازحه صلى الله عليه وسلم- ما يدل على ترك التكبر والترفع. [32] وما يدل على حسن الخلق. [33] وفيه دليل على أنه يجوز أن يختلف حال المؤمن في المنزل من حاله إذا برز، فيكون في المنزل أكثر مزاحا، وإذا خرج أكثر سكينه ووقارا- إلا من طريق الرياء- كما روي في بعض الأخبار: كان زيد بن ثابت من أفكّه الناس إذا خلا بأهله، وأزمتهم عند الناس. [34] وإذا كان ذلك كما وصفنا ففيه دليل على أن ما روي في صفة المنافق أنه يخالف سرّه علانيته ليس على العموم، وإنما هو على معنى الرياء والنفاق، كما قال جل ثناؤه: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ. [35] وفي قوله: «فراه حزينا»: ما يدل على إثبات النفوس في الوجوه. وقد احتج بهذا المعنى بعض أهل الفراسة بما يطول ذكره. [36] وفيه دليل على الاستدلال بالعبارة لأهلها، إذ استدل صلى الله عليه وسلم بالحزن الظاهر في وجهه على الحزن الكامن في قلبه، حتى حداه على سؤال حاله. [37] وفي قوله: «ما بال أبي عمير؟» دليل على أن من السنة إذا رأيت أخاك أن تسأل عن حاله.

[38] وفيه دليل- كما قال بعض أهل العلم- على حسن الأدب بالسنة في تفريق اللفظ بين

سؤالين:

فإذا سألت أخاك عن حاله قلت: مالك؟ كما

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي قتادة: «مالك يا أبا قتادة؟»

وإذا سألت غيره عن حاله قلت: ما بال أبي فلان؟ كما

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: «ما بال أبي عمير؟» .

[39] وفي سؤاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سأل- عن حال أبي عمير- دليل على إثبات خبر الواحد.

[40] وفيه دليل على أنه يجوز أن يكنى من لم يولد له، وقد كان عمر بن الخطاب يكره ذلك حتى أخبر به عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [41] وفي قوله: «مات نغيره الذي كان يلعب به» : تركه النكير بعد ما سمع ذلك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل على الرخصة في اللعب للصبيان. [42] وفيه دليل على الرخصة للوالدين في تخلية الصبي وما يروم من اللعب إذا لم يكن من دواعي الفجور، وقد كان بعض الصالحين يكره لوالديه أن يخلياه. [43] وفي دليل على أن إنفاق المال في ملاعب الصبيان ليس من أكل المال بالباطل، إذا لم يكن من الملاهي المنهية. [44] وفيه دليل على إمساك الطير في القفص. [45] وقصّ جناح الطير لمنعه من الطيران، وذلك أن لا يخلو من أن يكون النغيرة التي كان يلعب بها في قفص أو نحوه، من شدّ رجل أو غيره، أو أن تكون مقصوصة الجناح، فأيهما كان المنصوص، فالباقي قياس عليه، يكره.

(198/2)

[()] قصّ جناح الطائر وحبسه في القفص. [46] وفيه دليل على أن رجلا لو اصطاد صيدا خارج الحرم ثم أدخل الحرم، لم يكن عليه إرساله، وذلك لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرّم الاصطياد بين لابتي المدينة، وأجاز لأبي عمير إمساكه فيها. وكان ابن الزبير يفتي بإمساك ذلك، ومن حجته فيه: أن من اصطاد صيدا ثم أحرم وهو في يده، فعليه إرساله، فكذلك إذا اصطاد في الحل ثم أدخله الحرم. وفرّق الشافعي بين المسألتين كما وصفنا، فقال: من اصطاد ثم أحرم والصيد في ملكه فعليه إرساله، ومن اصطاده ثم أدخله الحرم فلا إرسال عليه. [47] وفي قوله: «ما فعل النغير؟» ،

دليل على جواز تصغير الأسماء كما صغّر النغيرة، وكذلك المعنى في قوله: كان ابن لأبي طلحة

يكنى أبا عمير.

[48] وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مازحه بذلك يبكي، ففي ذلك دليل على أن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر: «إذا بكى اليتيم اهتز العرش»، ليس على العموم في جميع بكائه، وذلك أن بكاء الصبي على ضربين: أحدهما: بكاء الدلال عند المزاح والملاطفة، والآخر: بكاء الحزن أو الخوف عند الظلم أو المنع عما به إليه الحاجة، فإذا مازحت يتيما أو لاطفته فبكي، فليس في ذلك - إن شاء الله تعالى - اهتزاز عرش الرحمن. [49] وقد زعم بعض الناس أن الحكيم لا يواجه بالخطاب غير العاقل. وقال بعض أصحابنا، ليس كذلك، بل صفة الحكيم في خطابه أن لا يضع الخطاب في غير موضعه، وكان في هذا الحديث كذلك دليل، ألا ترى

أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجه الصغير بالخطاب عند المزاح فقال: «يا أبا عمير ما فعل التغير؟»، ولم يواجه بالسؤال عند العلم والإثبات، بل خاطب غيره، فقال: «ما بال أبي عمير؟».

[50] وفيه دليل على أن للعاقل أن يعاشر الناس على قدر عقولهم ولا يحمل الناس كلهم على عقله. [51] وفي نومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندهم دليل على أن عماد القسم بالليل، وأن لا حرج على الرجل في أن يقبل بالنهار عند امرأة في غير يومها. [52] وفيه دليل على سنة القبلولة. [53] وفي دليل على خلاف ما زعم بعضهم في أدب الحكام أن نوم الحكام والأمراء في منزل الرعية - ونحو ذلك من الأفعال - دناءة تسقط مروءة الحكام. [54] وفي نومه على فراشها دليل على خلاف قول من كره أن يجلس الرجل في مجلس امرأة ليست له بمحرم أو بليس ثوبها وإن كان على تقطيع الرجال. [55] وفيه أنه يجوز أن يدخل المرء على امرأة في منزلها وزوجها غائب وإن لم تكن ذات محرم له. [56] وفي نضح البساط له ونومه على فراشها دليل على إكرام الزائر. [57] وفيه أن التتعم الخفيف غير مخالف للسنة. وأن قوله: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه»، ليس على العموم إلا فيما عدا التتعم القليل. [58] وفيه دليل على أنه ليس بفرض على المزور أن يشيع الزائر إلى باب الدار - كما أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتشييع الضيف إلى باب الدار - إذ لم يذكر في هذا الحديث تشييعهم له إلى الباب. [59] وقد اختلف أهل العلم في تفسير ما ذكر من صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث هند بن أبي هالة: كانوا إذا دخلوا عليه لا يفترقون إلا عن ذواق: قال بعضهم: أراد به الطعام. وقال بعضهم:

أراد به ذواق العلم. ففي تفسير هذا الحديث، الدليل على تأويل من تأوله على ذواق العلم، إذ قد أذاقهم العلم ولم يذكر فيه ذواق الطعام. [60] وكان من صفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يواسي بين جلسائه، حتى يأخذ منه كل بحظ، وكذلك فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

دخوله على أم سليم: صافح أنسا، ومازح أبا عمير الصغير، ونام على فراش أم سليم، حتى نال الجميع من بركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزاد على الستين فقال:

[61] وإذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم، فأقل ما في تحفظ طرقه أن يكون نافلة، وفيه أن قوما أنكروا خبر الواحد واختلفوا فيه: فقال بعضهم بجواز خبر الاثنين قياسا على الشاهدين، وقال

(199/2)

وخرّج البخاري في كتاب الأدب في باب حسن الخلق وما يكره من البخل، من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس (الحديث).

وخرّج في باب ما ينهي من السباب واللعن من حديث فليح بن سليمان أخبرنا هلال بن علي عن أنس بن مالك قال: لم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحشا ولا لعانا ولا سبابا، كان يقول عند المعتبة: ما له تربت جبينه.

وخرّج البخاري من حديث شعبة عن سليمان، سمعت أبا وائل، سمعت مسروقا قال: قال عبد الله بن عمرو من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن عمر حين قدم مع معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لم يكن فاحشا ولا متفحشا، وقال: قال رسول الله:

إن من أخيركم أحسنكم خلقا (ذكره في كتاب الأدب وفي صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وخرّجه مسلم، ولفظه عن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لم يكن فاحشا ولا متفحشا،

[()] بعضهم بجواز خبر الثلاثة، ونزع بقول الله جل ذكره: فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وقال بعضهم بجواز خبر الأربعة، قياسا على أعلى الشهادات وأكبرها، وقال بعضهم بالشائع والمستفيض، فكان في تحفظ طرق الأخبار ما يخرج به الخبر عن حدّ الواحد إلى حدّ الاثنين وخبر الثلاثة والأربعة، ولعله يدخل في خبر الشائع المستفيض. [62] وفيه أن الخبر إذا كانت له طرق، وطعن الطاعن على بعضها احتج الراوي بطريق آخر ولم يلزمه انقطاع، ما وجد إلى طريق آخر سبيلا.

[63] وفيه أن أهل الحديث لا يستغنون عن معرفة النقلة والرواة ومقدارهم في كثرة العلم

والرواية، ففي تحفظ طرق الأخبار، ومعرفة من رواها، ومعرفة كم روي كل راو منهم ما يعلم به مقادير الرواة ومراتبهم في كثرة الرواية. [64] وفيه أنهم إذا استقصوا في معرفة طرق الخبر عرفوا به غلط الغالط، وميزوا به كذب الكاذب، وتدلّس المدلّس. [65] وإذا لم يستقص المرء في طريقه واقتصر على طريق واحد كان أقل ما يلزمه إن دلّس عليه في الرواية أن يقول: لعله قد روي ولم أستقص فيه، فرجع باللائمة والتقصير على نفسه والانقطاع وقد حلّ خصمه. [66] إن مثل هذا الحديث فيه تثبيت الامتحان، والتمييز بيننا وبين أمثالهم، إذ لم يهتدوا إلى شيء من تخريج فقهاء، ويستخرج أحدنا منه- بعون الله وتوفيقه- كلّ هذه الوجوه، وفي ذلك وجهان: أحدهما: اجتهاد المستخرج في استنباطه، والثاني: تبيين فضيلته في الفقه والتخريج على أغياره. والعين المستنبط منها عين واحدة، ولكن من عجائب قدرة اللطيف في تدبير صنعه: أن تسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل.

(جزء فيه فوائد حديث أبي عمير) : ص 19 - 35.

(200/2)

وقال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا.

ولأبي داود الطيالسي من حديث شعبة عن ابن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول سمعت عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: لم يكن فاحشا ولا متفحشا، لا سخّابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أو قالت يعفو ويغفر (شك أبو داود).

وخرّج البخاري في كتاب البيوع في باب كراهية السخب في الأسواق من حديث فليح: أخبرنا هلال عن عطاء بن يسار: لقيت عبد الله بن عمرو بن القاضي، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا [(1)] .

وخرّج في تفسير سورة الفتح من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال ابن أبي هلال، عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو، أن هذه الآية التي في القرآن: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، قال في التوراة:

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا [ومبشرا] [(2)] وحرزا للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما، وقلوبا غلفا.

وخرّج يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث آدم وعاصم بن علي قالوا: أخبرنا ابن أبي ذؤيب، حدثنا صالح مولى التزمة قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه ينعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان يقبل جميعا، ويدبر جميعا، بأبي وأمي ولم يكن فاحشا ولا

[(1)] في (خ) «أعين عمي وآذن صم وقلوب غلف» وما أثبتناه من (الطبقات الكبرى) لابن سعد ج 1 ص 361، (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض ج 1 ص 15.

[(2)] زيادة من المرجعين السابقين.

(201/2)

متفحشا ولا سخابا في الأسواق (زاد آدم: ولم أر مثله قبله، ولم أر بعده) .
وذكر الواقدي أن أعرابيا أقبل من تامة، فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعال سلّم على رسول الله، قال: وفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فأيكم رسول الله؟ قالوا هذا، قال: أنت رسول الله؟ قال: نعم، قال: فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقا؟
قال سلمة بن سلامة بن وقش: نكحتها، فهي حبلي منك، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته وأعرض عنه، ذكر ذلك في توجه رسول الله إلى بدر، ثم ذكره في عود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر [(1)] .

قال: ولقيه الناس يهنئونه بالروحاء بفتح الله، فلقيه وحوله الخرج،
فقال سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذي تهنئوننا به؟ فو الله ما قتلنا إلا عجائز صلعا، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا ابن أخي، أولئك المألأ لو رأيتهم لهبتهم، ولو أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا على ذلك لئبيهم، فقال سلمة بن سلامة: أعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضا منذ كنا بالروحاء في بدأتنا، فقال رسول الله:

أما ما قلت للأعرابي وقعت على ناقتك فهي حبلي منك، ففحشت وقلت ما لا علم لك به، وأما ما قلت في القوم، فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تعالى ترهدها، فقبل منه رسول الله

صلى الله عليه وسلم معذرتة، وكان من عليه أصحابه.
وذكر الخطيب من حديث أبي داود: أخبرنا طلحة عن عبد الله عن عبيد الله عن أم سلمة قالت:
ما طعن رسول الله في حسب ولا نسب قط.
وخرج البخاري في المناقب من حديث شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في
خدرها، وزاد في رواية: وإذا كره شيئاً عرف في وجهه، وذكره في كتاب الأدب ولفظه: فإذا رأى
شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه وخرجه مسلم بنحوه [(2)] .

[(1)] راجع هذا الخبر عند الكلام على غزوة بدر من هذا الجزء تحت عنوان: خبر الأعرابي
بعرق الطيبة» ، وانظر أيضا (سيرة ابن هشام) ج 2 ص 187 تحت عنوان «الطريق إلى بدر» .
[(2)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 78 باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

(202/2)

ولأبي داود والبخاري في الأدب المفرد من حديث حماد بن زيد قال: حدثنا سلم [(1)]
العلوي عن أنس أن رجلا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أثر صفرة، كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّ ما يواجه رجلا في وجهه بشيء يكرهه، فلما خرج قال:
لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه [(2)] !
وله من حديث الأعمش عن سليم [(3)] عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟
ولكن يقول: ما بال من يقولون كذا وكذا؟.
وفي لفظ: إذا بلغه الشيء عن الرجل لم قلت كذا وكذا أثر ذكره.
وخرج البخاري ومسلم من حديث مالك عن إسحاق عن أنس قال: كنت أمشي مع النبي صلى
الله عليه وسلم، وعليه برد غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبدا شديدا حتى نظرت
إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم
قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، قال: فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضحك، ثم أمر له بعطاء [(4)] .
وخرج الحاكم من حديث عبد الله بن يوسف التنيسي حدثنا عبد الله بن سالم، حدثنا محمد بن
حمزة بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سالم [(5)] عن أبيه عن جده، أن زيد بن سعة- كان

[(6)] من أحبار اليهود- أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتقاضاه فحبذ ثوبه عن منكبه الأيمن. ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وإني بكم لعارف، قال: فانتهره عمر، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يا عمر] [(7)] : أنا وهو كُنَّا إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر وفقه حقه، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث، فزده [(8)]

[(1)] قال أبو داود: سليم ليس هو علويا. كان يبصر في النجوم، وشهد عند عدي بن أرطاة على رؤية الهلال فلم يجز شهادته.

[(2)] [(سنن أبي داود) ج 5 ص 143 حديث رقم 4789.

[(3)] في (خ) «مسلم» .

[(4)] [ونحوه في سنن أبي داود ج 5 ص 133 كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي حديث رقم 4775.

[(5)] في (خ) «سلام» .

[(6)] في (خ) «وكان» .

[(7)] [زيادة من (المستدرک) .

[(8)] في (خ) «وزده» .

(203/2)

ثلاثين صاعا لتزويرك [(1)] عليه.

قال الحاكم: صحيح الإسناد [(2)] .

وخرجه الفسوي من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال:

كان رجل من الأنصار يدخل علي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدنا منه وإنه عقد له عقدا وألقاه

في بئر، ففرّج ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأثاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلانا عقد له

عقدا وهي في بئر فلان، وقد اصفرّ الماء من شدة عقده، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فاستخرج العقد فوجد الماء قد اصفرّ، فحل العقد ونام النبي عليه السلام، ولقد رأيت الرجل

بعد ذلك يدخل علي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما رأيت في وجه النبي عليه السلام حتى مات.

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث عباد بن العوام، عن النعمان بن ثابت عن إبراهيم بن محمد بن

المنتشر عن أنس قال: ما أخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركبتيه بين يدي جليس قط، ولا

ناول يده أحدا قط فتركها حتى يكون هو يدعها، وما جلس إلى رسول الله أحد قط فقام حتى يقوم، وما وجدت شيئا قط أطيب ريحا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وخرّج الفسوي من حديث عمران بن زيد الملائي قال: حدثني زيد العمي عن أنس قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صافح أو صافحه الرجل. لا ينزع، وإن استقبله بوجهه لا يعرضه عنه حتى يكون الرجل ينصرف، ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له.

وخرّج أبو داود من حديث مبارك بن فضالة [(3)] عن ثابت عن أنس قال: ما رأيت رجلا التقم أذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رسول الله أخذ بيده رجل [(4)] فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده [(5)] .

وفي الأدب المفرد للبخاري من حديث عبد الوارث، حدثنا عتبة بن عبد الملك،

[(1)] في (خ) «لتدورك» .

[(2)] وقال الذهبي في (التلخيص) : «قلت: مرسل» راجع المستدرک للحاكم ج 2 ص 32 كتاب البيوع.

[(3)] هو ابن فضالة، أبو فضالة القرشي العدوي، مولاهم البصري، قال عفان بن مسلم: ثقة. وضعفه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنسائي وغيرهم.

[(4)] في (أبي داود) : «وما رأيت رجلا أخذ بيده فترك يده» .

[(5)] (سنن أبي داود) ج 5 ص 146 حديث رقم 4794، كتاب الأدب.

(204/2)

حدثني زرارة بن كريمة بن الحارث بن عمرو السهمي، أن الحارث بن عمرو السهمي حدثه قال: أتيت النبي وهو بمنى أو بعرفات، وقد أطاف به الناس، ويحيى الأعراب فإذا رأوا وجهه قالوا: هذا وجه مبارك، قلت يا رسول الله استغفر لي، فقال: اللهم اغفر لنا، فدرت فقلت: استغفر لي فقال: اللهم اغفر لنا، فدرت فقلت استغفر لي فقال: اللهم أغفر لنا، فذهب بيده بزاقه ومسح به نعله، كره أن يصيب أحدا من حوله.

وخرّج الحاكم من حديث محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عمر ابن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: كان رسول الله إذا جلس يتحدث كثيرا يرفع طرفه إلى

السماء.

وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ما عاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه [(1)] .
وخرّج البخاري في كتاب الأدب من حديث ابن وهب، أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي صَلَّى الله عليه وسلّم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كن يتبسم [(2)] .
وخرج مسلم بنحوه.

وخرّج مسلم من حديث يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم؟ قال نعم، كثيرا ما كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلّي فيه الصبح حتى تطلع الشمس. فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون ويأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم صَلَّى الله عليه وسلّم [(3)] .

[(1)] أخرجه البخاري في المناقب باب صفة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، ومسلم في الأشربة باب لا يعيب الطعام، والترمذي في البر باب ترك العيب للنعمة وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الأطعمة باب النهي أن يعاب الطعام، وأبو داود كتاب الأطعمة باب كراهية ذمّ الطعام ولفظه: «ما عاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» .
[(2)] [صحيح البخاري حاشية السندي] ج 4 ص 64 من كتاب الأدب.
[(3)] [مسلم بشرح النووي] ج 15 ص 79، ولفظه: «فيأخذون في أمر الجاهلية» وفيه: استحباب الذكر بعد الصبح وملازمة مجلسها ما لم يكن عذر وفيه جواز الحديث بأخبار الجاهلية وغيرها من الأمم، وجواز الضحك، والأفضل الاقتصار على التبسم كما فعله رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في عامة أوقاته.

(205/2)

وخرّجه الترمذي من حديث شريك عن سماك، عن جابر بن سمرة قال:
جالست النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أكثر من مائة مرّة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم [(1)] قال هذا حديث حسن صحيح.
وقال الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجه أخبره عن خارجه بن زيد أن

نفروا دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا: حدثنا عن بعض أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كنت جاره فكان إذا نزل الوحي بعث إليّ فاتيه فأكتب الوحي، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا يحدثكم عنه. وخرّج البخاري في المناقب من حديث سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه [(2)] . ومن حديث يونس عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت:

ألا يعجبك [(3)] أبا فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي [(4)] يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعي ذلك، وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد [(5)] الحديث [كسردكم] [(6)] .

وخرّج مسلم من حديث ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدّث أن عائشة قالت: ألا تعجل أبا هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعي ذلك، وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسردكم.

وخرّج أيضا من حديث سفيان بن عيينة عن هشام عن أبيه قال: كان أبو هريرة يحدث ويقول: اسمعي يا ربة الحجر، وعائشة رضي الله عنها تصلي، فلما قضت صلاتها قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا أو مقالته آنفا؟ إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه.

[(1)] (الشمائل المحمدية) ص 26 حديث 246 ولفظه، وربما تبسم معهم.

[(2)] (فتح الباري) ج 6 ص 567 حديث رقم 3567.

[(3)] في (خ) «نعجل» .

[(4)] في (خ) «حجرتي» .

[(5)] في (خ) «ليرد» .

[(6)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) والتكملة من المرجع السابق حديث رقم 3568.

وخرّج الترمذي من حديث عبد الله بن المثنى عن أبيه عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب [(1)] .

ولابن حبان من حديث حسين بن علوان الكوفي، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال ليبيك، فلذلك أنزل الله: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.

وخرج أبو بكر الشافعي من حديث عثمان بن مطر، عن ثابت عن أنس قال: مرّ علينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن صبيان فقال: السلام عليكم يا صبيان. وقال عبد الملك بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحماء قال: بايعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيع قبل أن يبعث، فبقيت له بقية، فوعده أن آتية بما في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال: يا بني! لقد شققت عليّ، إني ها هنا منذ ثلاث.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عبد الجلان، عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق.

وقال محمد بن حماد بن سلمه عن عاصم بن بهدلة عن زر [(2)] عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر تتعاقب ثلاثة على بعير، وكان عليّ وأبو لبابة زميلي رسول الله، فكان إذا كانت عقب رسول الله، يقولان له: اركب حتى نمشي، فيقول: إني لست بأغنى عن الأجر منكما، ولا أنتما بأقوى على المشي مني. وخرجه الحاكم [(3)]. وقال [(4)] صحيح الإسناد. وخرجه ابن حبان أيضا في صحيحه.

وخرّج

[(1)] (الشمائل المحمدية) ص 113 حديث رقم 234، وأخرجه الترمذي في المناقب والاستئذان، والبخاري في العلم والاستئذان.

[(2)] في (خ) «ذر» والتصويب من (المستدرک).

[(3)]

(المستدرک على الصحيحين) ج 3 ص 20 ولفظه: «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، قال: وكان عليّ وأبو لبابة زميلي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وكان إذا كانت عقبته قلنا: اركب حتى نمشي، فيقول:

ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكم»

في (خ) «بأغنا» .

[(4)] وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولمن يخرجاه.

أبو يعلى من حديث يونس بن بكير: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل، حدثنا عثمان ابن كعب، حدثني ربيع- رجل من بني النضر وكان في حجر صفية- عن صفية بنت حيي قالت: ما رأيت قط أحسن خلقا من رسول الله، لقد رأيتني راكب [(1)] من خير على عجز ناقته ليلا فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل، فيمسكني بيده ويقول: يا هذه مهلا، يا صفية بنت حيي!! حتى إذا جاء الصهباء [(2)] قال: أما إني اعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك!! إنهم قالوا لي كذا وكذا.

وعن وهب بن منبه قال: قرأت أحدا وسبعين كتابا، فوجدت في جميعها أن محمدا صَلَّى الله عليه وسلّم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا.

وأما شجاعته

فخرّج البخاري في كتاب الأدب من حديث حماد بن زيد عن ثابت قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أحسن الناس، وكان أجود الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري (ما عليه سرج) ، في عنقه سيف قال: وجدناه بجرا أو إنه لبحر [(3)] .

وخرّجه مسلم [(4)] وقال: فانطلق ناس [(5)] . وقال: فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم إلى الصوت [(6)] . وذكره البخاري في مواضع من كتاب الجهاد.

[(1)] مكان ما بين القوسين في (خ) كلمة لم أتبين معناها.

[(2)] صهباء: اسم موضع بينه وبين خيبر روحة» (معجم البلدان) ج 3 ص 435.

[(3)] [صحيح البخاري بشرح الكرمانى] ج 21 ص 183 حديث رقم 5662 ولفظه:

«فقال: لقد وجدته بجرا أو إنه البحر» .

[(4)] [مسلم بشرح النووي] ج 15 ص 67 باب شجاعته صَلَّى الله عليه وسلّم.

[(5)] [في المرجع السابق «فانطلق ناس قبل الصوت» .

[(6)] [ومعنى قوله: لن تراعوا، أي روعا مستقرا، أو روعا يضركم، وفيه فوائد، منها، بيان

شجاعته صَلَّى الله عليه وسلّم من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا

بعد أن كان يبطأ، وهو معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجدناه بجرا، أي واسع الجري، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك، وفيه جواز العارية، وجواز الغزو على الفرس للمستعار، وفيه استحباب تبشير الناس بعدم الخوف (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 67 و 68 باب شجاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(208/2)

وخرجه النسائي من حديث أبي خيثمة عن ابن إسحاق عن حارثة بن مغرب عن علي رضي الله عنه قال: كنا إذا حمي البأس، والتقي القوم اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: كنا والله إذا حمّر البأس نتقي به، يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الشجاع منا الذي يحاذي به. وله من حديث إسحاق بن راهويه، حدثنا عمرة بن محمد، حدثنا عمر الزيات عن سعيد بن عثمان العبدي عن عمران بن الحصين قال: ما لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتيبة إلا كان أول من يضرب.

وخرج الدارمي من حديث يزيد بن هارون، أخبرنا سعد عن عبد الملك بن عمير قال: قال ابن عمر: ما رأيت أحدا أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أوضأ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(1)] .

وأما سعة جوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج البخاري في فضائل القرآن، وخرج مسلم في المناقب من حديث شهاب عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان لأنّ جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ الشهر، فيعرض عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة (اللفظ لمسلم) [(2)] .

ولفظ البخاري: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأنّ جبريل كان يلقاه [في] [(3)] كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود من الريح المرسلة، (هذا

[(1)] (سنن الدارمي ج 1 ص 30 وفيه «ولا أضوأ ولا أوضأ» .

[(2)] (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 68، 69 باب سعة جوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد كالريح في إسراعها وهمومها، وفي هذا الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنها استحباب إكثار الجود والخبر عند ملاقاتة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم، ومنها استحباب مدارس القرآن.

[(3)] زيادة من (البخاري) ج 3 ص 227.

(209/2)

اللفظ في كتاب فضائل القرآن).
ولفظه في كتاب الصيام بنحو إلا أنه قال: وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان (الحديث).
وذكره في أول كتابه، ولفظه: كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة.
وذكره أيضا في المناقب، وفي كتاب بدء الخلق وقال فيه: لرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.
ولابن سعد من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس وعائشة قالا:
كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل [(1)] .
وخرّج من حديث سفيان عن ابن المنكدر، سمعت جابرا يقول: ما سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء قط فقال لا! [(2)] .
ولفظ مسلم: ما سئل رسول الله شيئا فقال لا [(3)] ! ذكره البخاري في كتاب الأدب، ولمسلم من حديث حميد عن موسى بن أنس عن أبيه قال: ما سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة [(3)] .
ومن حديث حماد بن سلمة عن أنس أن رجلا سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنما بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال يا قوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (انفرد به مسلم) [(3)] .

وله من حديث ابن شهاب قال: غزا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة الفتح (فتح مكة) ، ثم خرج بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين. فنصر الله دينه والمسلمين، فأعطى رسول الله يومئذ صفوان بن أمية مائة من التَّعَم، ثم مائة، قال ابن شهاب:

[(1)] (الطبقات الكبرى لابن سعد) ج 1 ص 377 باب ذكر حسن خلقه وعشرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[(2)] (سنن الدارمي) ج 1 ص 34، وفيه يقول أبو محمد: قال ابن عيينة: «إذا لم يكن عنده وعد» .

[(3)] (مسلم بشرح النووي ج 15 ص 71، 72 باب في سخائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(210/2)

حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ [(1)] .
ولأحمد بن حنبل رحمه الله، من حديث الزهري عن عمر بن محمد بن جبير ابن مطعم قال:
حدثني محمد بن جبير قال: أخبرني جبير بن مطعم قال: سار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقه الأعراب فساء لونه حتى اضطرروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف وقال: ردوا على ردائي، أتخشون عليّ البخل: فلو كان عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا [(2)] . (أخرجه البخاري وانفرد بإخراجه) .
وخرَّج الإمام أحمد من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال عمر: يا رسول الله: لقد سمعت فلانا وفلانا يحسنان الشاء، يذكران أنك أعطيتهما دينارا، ثم قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والله لكن فلانا ما هو كذلك، لقد أعطيتهم من عشرة إلى مائة، فما يقول ذلك، أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندي يتأبطها (يعني حتى تكون تحت إبطه يعني نارا) ، قال: قال عمر:

يا رسول الله! تعطيتها إياهم؟ قال: فما أصنع يا عمر إلا ذاك؟ ويأبى الله لي البخل!!

وقال عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: ما هذا يا بلال؟ قال: أدَّخره يا رسول الله، قال: أما تخشى أن يكون له بخار في النار؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا [(3)] .
وخرَّج الترمذي من حديث هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله أن يعطيه،

[(1)] المرجع السابق ص 73.

[(2)]

في (الكامل لابن الأثير) ج 2 ص 269 «ولما فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله اقسم علينا فيئا، حتى ألقوه إلى الشجرة، فاختطف رداؤه، فقال:

ردّوا عليّ ردائي أيها الناس، فو الله لو كان لي عدة شجر تامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا» .

[(3)] (البداية والنهاية) ج 6 ص 54 ولفظه: «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل

على بلال فوجد عنده صبيرا ... » .

(211/2)

فقال: ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ، فإذا جاءني شيء قضيتّه، فقال عمر: يا رسول الله لقد أعطيتّه وما كلفك الله مالا بعد، فكره النبي عليه السلام قول عمر، فقال رجل من الأنصار: رسول الله! أنفق ولا تحش من ذي العرش إقلالا، فتبسم رسول الله، وعرف البشر في وجهه لقول الأنصاري ثم قال: بهذا أمرت.

وقال قتبية: حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا ثابت عن أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يدخر شيئا لغد.

ولأبي داود الطيالسي عن زمعة عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيبا لا يسأل شيئا إلا أعطى [(1)] .

وقال ابن سعد أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقى المكيّ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، حدثني زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر [(2)] قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: ما [(3)] سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا قط فقال: لا.

أخبرنا الفضل بن ذكين، حدثنا أبو العلاء الخفاف [(4)] خالد بن طهمان عن المنهال بن عمرو، عن محمد بن الحنفية قال:- كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكاد يقول لشيء لا، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال: نعم، وإن لم يرد أن يفعل سكت، فكان قد عرف ذلك منه. وقال أبو يعلى: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، أخبرنا أبي، حدثنا هشام ابن سعد عن زيد بن

أسلم عن أبيه عن عمه، أن رجلا كان يلقب حمارا وكان يهدي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العكة من السمن والعكة من العسل. فإذا صاحبه يتقاضاه جاء به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: رسول الله! أعط هذا ثمن متاعه، فما يزيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(5)] على أن يتبسم، ويأمر به فيعطى.

ولابن حبان من حديث الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس قال: قدم

[(1)] في (خ) «أعط». .

[(2)] في (خ) «المنكدر المنكدر» وهو تكرار من الناس (3) (سنن الترمذي) ص 10 حديث رقم 2417.

[(3)] في (خ) «يا». .

[(4)] في (خ) «الحفان» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) ج 12 ص 192 ترجمة رقم 887.

[(5)] في (خ) «بعد قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فيقول يا رسول الله» مكررة.

(212/2)

على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعون ألف درهم - هو أكثر مال أتى به - فوضع على حصير ثم قام فقسمه، فما رد سائلا حتى فرغ منه.

وقال الواقدي في حجة الوداع [(1)] : ثم راح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الروحاء [(2)] ، فصلّى العصر بالمنصرف [(3)] ثم صلّى المغرب والعشاء وتعشى به [(4)] ، وصلّى الصبح بالأثاية [(5)] ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج [(6)] ، فحدثني أبو حمزة عبد الواحد ابن مصون [(7)] عن عروة بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة: إن عندي بعيرا محمل عليه زادنا، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذاك إذا قالت: فكانت زاملة رسول الله وأبي بكر واحدة، فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزاد، دقيق وسويق، فجعل على بعير أبي بكر، فكان غلامه يركب عليه عقبة، فلما كان بالأثاية [(8)] عرس الغلام وأناخ بعيره، فغلبته عيناه، فقام البعير يجر خطامه آخذا في الشعب، وقام الغلام فلزم الطريق يظن أنه سلكها وهو ينشده فلا يسمع له بذكر، ونزل رسول الله في أبيات بالعرج، فجاء الغلام مظهرا، فقال أبو بكر: أين بعيرك؟ قال: ضل مني، قال: ويحك! لو لم يكن إلا أنا

لهان الأمر، ولكن رسول الله وأهله، فلم يلبث [(9)] أن طلع به صفوان بن المعطل - وكان صفوان على ساقية الناس - وأناخه على باب منزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لأبي بكر: انظر هل تفقد شيئا من متاعك؟ فنظر، فقال: ما نفقد شيئا إلا قعبا كنا نشرب به، فقال الغلام: هذا القعب معي، فقال أبو بكر رضي الله عنه أدي الله عنك الأمانة. حدثني يعقوب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عيسى بن معمر،

[(1)] [المغازي للواقدي] ج 3 ص 1093.

[(2)] [الرّوحاء: من الفرع على نحو أربعين يوما، (معجم البلدان) ج 3 ص 76.

[(3)] [المنصرف: موضع بين مكة وبدر بينهما أربعة برد (معجم البلدان) ج 5 ص 76.

[(4)] [في (خ) «ثم صَلَّى المغرب والعشاء بالمتعشى وتمشى به» وما أثبتناه رواية (الواقدي).

[(5)] [الأثابة: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخا (معجم

البلدان) ج 1 ص 90.

[(6)] [العرج: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف (معجم البلدان) ج 4 ص 92.

[(7)] [في (خ) «بن ميمون» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 3 ص 1093.

[(8)] [في (خ) «الأثابة» في المواضع كلها، والتصويب من (معجم البلدان) و (المغازي).

[(9)] [في (خ) «فلم ينشب» . وما أثبتناه من (المغازي).

(213/2)

عن عباد بن عبد الله، عن أسماء بنت أبي بكر، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزل بالعرج، جلس معنا منزله ثم جاء أبو بكر فجلس إلى جنبه، فجاءت عائشة فجلست إلى جنبه الآخر، وجاءت أسماء فجلست إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه، فأقبل غلام أبي بكر متسرّبلا، فقال له أبو بكر - أين بعيرك؟ قال: أضلني، فقام إليه يضربه ويقول: بعير واحد يضل منك، فجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبسّم ويقول: ألا ترون إلى هذا المحرم وما يصنع، وما ينهاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وحدثني أبو حمزة عن عبد الله بن سعد الأسلمي عن آل نضلة الأسلمي [(1)] أنهم خبروا [(2)] أن زاملة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضلّت فحملوا جفنة من حيس، فأقبلوا [(3)] بها، حتى وضعوها بين يدي رسول الله، فجعل يقول: هلم يا أبا بكر، فقد جاءك [(4)] الله بغداء طيب، وجعل أبو بكر يفتناظ على الغلام، فقال النبي عليه السلام: هون عليك، فإن الأمر

ليس إليك ولا إلينا معك، قد كان الغلام حريصاً أن لا يضل بغيره، وهذا أخلف [(5)] مما كان معه، فأكل رسول الله وأهله وأبو بكر، وكل من كان [(6)] مع رسول الله حتى شبعوا- قال: وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد رضي الله عنه بزاملة تحمل زادا يؤمان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى يجد رسول الله واقفاً عند باب منزله، قد أتى الله بزاملته، فقال سعد: يا رسول الله! قد بلغنا أن زاملتك أضلت مع الغلام [(7)] ، وهذه زاملة مكانها، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: قد جاء الله بزاملتنا فارجعاً بازاملتكما [(8)] ، بارك الله عليكما، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا بالمدينة؟

قال: يا رسول الله! المنة لله ولرسوله، والله يا رسول الله، للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع، قال صدقتم يا أبا ثابت، أبشر فقد أفلحت، إن الأخلاق بيد الله، فمن أراد أن يمنحه منها خلقاً صالحاً منحه، ولقد منحك الله خلقاً صالحاً،

[(1)] في (خ) «الأسلميين» وما أثبتناه من (المغازي) ج 3 ص 1094.

[(2)] في (خ) «أخبروا» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(3)] في (خ) «وأقبلوا» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(4)] في (خ) «جاء» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(5)] كذا في (خ) وفي (المغازي) «خلف» .

[(6)] في (خ) «وكل ما كان يأكل» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(7)] في (خ) «أضلت الغلام» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(8)] في (خ) «بزاملتكما» وما أثبتناه من المرجع السابق.

(214/2)

فقال سعد: الحمد لله [الذي] [(1)] هو فعل ذلك، قال ثابت بن قيس: يا رسول الله، إن أهل بيت سعد في الجاهلية سادتنا، والمطعمون في الحبل منا، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لهم [(2)] ما أسلموا عليه، قال ابن أبي الزناد: يقول له جميل ذكره.

وأما تواضعه وقربه

فخرج سعيد بن منصور وأبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي الأحوص عن مسلم الأعور عن

أنس بن مالك قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعود المريض ويشهد الجنائز ويجيب دعوة الملوك ويركب الحمار، وكان يوم خيبر على حمار، ويوم قريظة على حمار مخطوم [(3)] من ليف تحته إكاف [(4)] ليف.

وخرجه الترمذي من حديث علي بن مسهر [(5)] عن مسلم الأعور عن أنس بنحو هذا، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس، ومسلم الأعور يضعف، وهو مسلم بن كيسان الملائني، ذكره الترمذي في الجنائز [(6)] .

وخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن المبارك، أخبرنا سلمى أبو قتيبة، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: رمدت عيني فعادني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: يا زيد، لو أن عينك لما بها، كيف كنت تصنع؟ قال: كنت أصبر وأحتسب، قال: لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة.

وخرج أيضا من حديث حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة آتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم ولد، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[(1)] زيادة من المرجع السابق.

[(2)] في (خ) «له» .

[(3)] مخطوم وهو الزمام الحبل من الليف.

[(4)] الإكاف: هو كالسرج للفرس.

[(5)] في (خ) «ميه» .

[(6)] [الشماميل الحمدي للترمذي] ص 173 حديث رقم 325، (سنن الترمذي) ج 2 ص 241 حديث رقم 1022، (سنن ابن ماجه) ج 2 ص 1398 حديث رقم 188، بنحو ذلك، ومسلم بن كيسان هذا قال عنه أبو داود: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره فكان لا يدري ما يحدث به.. انظر (تهذيب التهذيب) ج 1 ص 135 ترجمة رقم 247.

(215/2)

في عبادة يهنو بعيرا له فقال: أمعك تمرات؟ قلت: نعم، فناولته تمرات فلاكهن ثم فغر فا الصبي، فأوجدن إياه، فتلمظ الصبي فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حب الأنصار، وسماه عبد الله. وخرج البخاري في الصحيح من حديث إبراهيم عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها [

(1) [ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - (تعني خدمة أهله) - فإذا حضرت الصلاة. خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكره في كتاب الصلاة، وترجم عليه باب من كان في حاجة أهله، وأقيمت الصلاة فخرج، وذكره في كتاب النفقات ولفظه: سألت عائشة: ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع في البيت؟ قالت: في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج. وترجم عليه باب خدمة الرجل في أهله وذكره، وذكره في كتاب الأدب ولفظه: ما كان النبي يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله؟ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة، ترجم عليه كيف يكون الرجل في أهله [(2)] .؟

وخرج عبد الرزاق من [(3)] حديث الزهري، وهشام بن عروة عن أبيه، قال سألت رجل عائشة: أكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعمل في بيته؟ قالت: نعم كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه؟ ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته.

وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت: قيل لعائشة ما كان يعمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته؟ قالت: كان بشرا من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته [(4)] ويخدم نفسه.

وخرج البخاري في كتاب الأدب من حديث هيثم، أخبرنا حميد الطويل، أخبرنا أنس قال: إن كانت الأمة من إماء لأهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنتطق به حيث شاءت [(5)] .

[(1)] في (خ) «عنه» .

[(2)] [صحيح البخاري بشرح الكرماني] ج 21 ص 186 حديث رقم 5668.

[(3)] في (خ) «بن حديث» .

[(4)] في (خ) بعد قوله: «يحلب شاته» عبارة «ويفلي ثوبه» وهو تكرار من الناسخ.

[(5)] [والمقصود من الأخذ بيده الأمة وهو الرفق والانقياد، يعني كان خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه المرتبة وهو أنه لو كان لأمة حاجة إلى بعض مواضع المدينة وتلتمس منه مساعدته في تلك الحاجة واحتاج.

(216/2)

وخرج مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، قال: أخبرنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صَلَّى الغداة جاء خدم المدينة بآبئتهم

فيها الماء، فما يؤتي بإناء إلا غمس يده فيها، فرما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها [(1)] .

وخرج من حديث يزيد بن هارون عن عماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال:

يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي إليك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها [(2)] .

وقال علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال: سمعت يحيى بن عقيل يقول: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجتهم [(3)] .

وخرج الإمام أحمد عن أيوب بن عمرو بن سعيد عن أنس قال: ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الحديث.

[()] أن يمشي معها لقضائها لما تخلف عن ذلك حتى قضى حاجتها. وفيه أنواع من المبالغة من جهة أنه ذكر المرأة لا الرجل، والأمة لا الحرة، وعمم بلفظ الإماء: أي أي أمة كانت، وبقوله: «حيث شاءت» من المكانات، وعبر عنه بلفظ الأخذ باليد الذي هو غاية التصرف. (صحيح البخاري بشرح الكرماني) ج 21 ص 206 كتاب الأدب حديث رقم 5700.

[(1)] في (خ) «فيه» وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

[(2)] [(مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 82 «وفي هذه الأحاديث بيان بروزه صلى الله عليه وسلم للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدي بها، وهكذا ينبغي لولاة الأمور، وفيها صبره صلى الله عليه وسلم على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأل حاجته أو تبريكا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا، وفيه التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم، وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية... وبيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة، وقوله: «خلا معها في بعض الطرق» أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ولم يكن ذلك الخلوة بالأجنبية فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألته مما لا يظهره والله أعلم، (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 83، 83.

[(3)] [(سنن الدارمي) ج 1 ص 35 ونصه: «... ولا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما» .

وأخرجه عن إسماعيل بن علبة عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس، ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن أنس (لم يذكر عمرو بن سعيد).

وخرّج البخاري من حديث علي بن الجعد قال: حدثنا شعبة عن شيبان بن أبي الحكم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم [(1)] ، وأخرجه مسلم أيضا وقال ابن لهيعة: حدثني عمارة بن غزوة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفكاه الناس مع صبي. وخرّج البخاري في الأدب المفرد عن طريق وكيع عن معاوية بن أبي برد عن أبيه عن أبي هريرة قال: أخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيد الحسن أو الحسين ثم وضع قدميه فوق قدميه ثم قال شهق.

ومن طريق عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن راشد عن يعلي بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعينا إلى طعام، فإذا بحسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام القوم ثم بسط يديه، فجعل يمر مرة ها هنا، ومرة ها هنا يضاحكه، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعتنقه فقبله، ثم [قال]: حسين مني وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ الحسن والحسين، سبطان من الأسباط.

ومن طريق ابن أبي فديك قال: حدثني هشام بن سعد عن نعيم الجمر عن أبي هريرة قال: ما رأيت حسنا إلا فاضت عيناى دموعا، وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج يوما فوجدني في المسجد فأخذ بيدي، فانطلقت معه، فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع، فطاف به ونظر ثم انصرف وأنا معه حتى جئنا المسجد، فاحتبى ثم قال: أين لكاع؟ أدع لكاعا، فجاء حسن يشتمد فوقع في حجره، ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتح فاه في فيه ثم قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحْبِبْهُ، وَأَحْبَبَ مِنْ يَجِبُهُ.

[(1)] (صحيح البخاري) ج 4 ص 89 باب التسليم على الصبيان، وأخرجه (مسلم) في باب السلام على الصبيان، والترمذي في الاستئذان باب ما جاء في التسليم على الصبيان وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي، أخرج ابن ماجة نحوه— عن حميد بن أنيس— في الأدب باب السلام على الصبيان، وأبو داود في كتاب الأدب في باب السلام على الصبيان ج 5 ص 382 حديث 5202، 5203 بنحو.

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: يا محمد- يا سيدنا وابن سيدنا- وخيرنا وابن خيرنا! فقال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا أيها الناس قولوا بقولكم، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن تعرفوني فوق منزلي التي أنزلي الله. وخرجه النسائي بنحوه.

وروي التّصريف بن شمّيل عن شعبة عن قتادة قال: سمعت مطرف بن عبد الله ابن الشخير عن أبيه قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أنت سيد قريش، فقال السيد الله، فقال: أنت أعظمها فيها طولا، وأعلاها فيها قولا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان- وخرجه أبو داود والنسائي بنحوه أو قريبا منه. وخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث مسدد، أخبرنا بشر بن المفضل، أخبرنا أبو مسلمة عن أبي نضرة عن مطرف، قال: إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقالوا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله، قالوا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، ولا يستجربنكم الشيطان [(1)] .

وللبخاريّ من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بطنه [(2)] .

[(1)]

قوله: «السيد الله»،

يريد السؤدد حقيقة لله عزّ وجلّ، وأن الخلق كلهم عبيده، وإنما منعهم أن يدعوه سيّدا، مع

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن سيد ولد آدم»

وقوله لبني الخزرج- قبيلة سعد-: قوموا إلى سيدكم»

- يريد سعد بن معاذ- من أجل أنهم قوم حديثو عهد بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة

بالتبوة كهي أسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظموهم وينقادون لأمرهم، ويسموهم: «السادات»

فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك

فقال: «قولوا بقولكم»

يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبيا ورسولا، كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال:

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يا أَيُّهَا الرَّسُولُ ولا تسموني سيّدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني

مثلهم فإنّي لست كأحدكم، إذ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالتبوة والرسالة،

فسموني نبيا رسولا،

وقوله: «بعض قولكم»

فيه حذف واختصار، ومعناه. دعوا بعض قولكم واتركوه، يريد بذلك الاختصار في المقال

وقوله: «لا يستجربنكم الشيطان»

معناه لا يتخذنكم جريا، والجرى: الوكيل، ويقال: الأجير أيضا: (معالم السنن للخطابي) ج 5 ص

154 - 155.

[(2)] [صحيح البخاري بحاشية السندي) ج 3 ص 23 ولفظه: «لما كان يوم الأحزاب

وخندق رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم رأيتنه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة

بطنه، وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ... » .

(219/2)

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن سلمة عن حميد عن أنس قال: ما كان شخص أحب إليهم من

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وكانوا [إذا] رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك [(1)

].

وخرجه الترمذي ولفظه: لم يكن شخص ... ، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وخرجه

البخاري في الأدب المفرد.

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلا سمع

عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال أبو بكر رضي الله

عنه: قوموا نستغيث إلى رسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لا يقام

إليّ، إنما يقام لله تبارك وتعالى.

وخرج من حديث معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن أنه ذكر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم

فقال: لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب ولا يغدى عليه بالجفان [

(2)] ، ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزا، من أراد أن يلقي نبي الله لقيه، كان يجلس بالأرض،

ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ، ويركب ويردف معه، ويلعق والله يده [(3)] .

وقال جعفر بن عون: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي مسعود، أن النبي صَلَّى الله

عليه وسلّم كلم رجلا فأرعد فقال: هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش

كانت تأكل القديد. قال ابن الجوزي: وكذا رواه هاشم ابن عمرو الحمصي عن يونس عن

إسماعيل عن قيس بن جرير، كلاها وهم! والصواب: عن إسماعيل، عن قيس مرسلا عن النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وذكر حديث حميد ابن الربيع قال: حدثنا هشيم، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم

[(1)]

وفي (الترغيب والترهيب) ج 3 ص 431: «وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أحب أن يتمثل «له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» رواه أبو داود بإسناد صحيح والترمذي»

وقال حديث حسن.

وقوله: «يتمثل» أي يقابل بتعظيم الوقوف، قوله: «فليتبوأ» أي فليأخذ مكانه في جهنم استكباراً وجزاء غطرسته، فالكبرياء والتعظيم لله وحده سبحانه.

[(2)] الجفان: مفردها جفنة، وهي القصمة الكبيرة يؤكل فيها.

[(3)] [صفة الصفوة] ج 1 ص 169 وفيه: «ويركب الحمار ويردف عبده، ويعلف دابته بيده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .

(220/2)

أن رجلاً أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما قام بين يديه استقبلته رعدة! فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ مَلَكًا، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ [(1)] .

قال: وكذلك رواه يحيى بن سعيد القطان، وزهير بن أبي معاوية عن أبي خالد.

وخرج الحاكم من حديث عباد بن العوام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال: أوتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برجل ترعد فرائصه، قال: فقال له: هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ.

ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وخرج ابن حبان من حديث أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبيد بن سعيد ابن العاص الأموي عن علي بن زيد قال: قال أنس بن مالك. أن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. وله من حديث شعبة عن علي بن زيد عن أنس: أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله، فيدور بها في حوائجها حتى

تفرغ، ثم يرجع.

وله من حديث المحاربي عن عبيد الله بن الوليد الصافي عن عبد الله بن عبيد ابن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: كل - جعلني الله فداك - متكئا، فإنه أهون عليك، قال: لا، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد [(2)] .
وله من حديث أبي معشر عن سعيد المقبري، عن عائشة قالت: قال رسول

[(1)]

(سنن ابن ماجه) ج 2 ص 1101 كتاب الأطعمة باب القديد حديث رقم 3312 ولفظه:

«هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد» .

قال أبو عبد الله: إسماعيل وحده وصله، وفي الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.

(ترعد) أرعد الرجل أخذته الرعدة، والرعدة: الاضطراب. وأرعدت أيضا فرائضه عند الفرع.

(الفرائض) واحدها فريضة، لحمه بين الجنب والكتف ترعد عند الفرع.

(القديد) هو اللحم المالح الجفف في الشمس: فعيل بمعنى مفعول.

[(2)] ونحوه (صحيح البخاري) ج 3 ص 294 باب الأكل متكئا، (سنن ابن ماجه) ج 2

ص 1086 حديث رقم 3262.

(221/2)

الله صلى الله عليه وسلم: جاءني ملك فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت نبيا عبدا، وإن شئت نبيا ملكا، فنظرت إلى جبريل عليه السلام، فأشار إليّ أن ضع نفسك، فقلت نبيا عبدا [(1)] .

وخرّج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من حديث أيوب بن نهيك قال: سمعت أبا حازم قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: لقد هبط عليّ ملك من السماء ما هبط علي بني قبلي، ولا يهبط على أحد بعدي - وهو إسرافيل - فقال: السلام عليك يا محمد، وقال: أنا رسول ربك إليك، أمرني أن أخيرك إن شئت نبيا عبدا، وإن شئت نبيا ملكا، فنظر إليّ جبريل فأومأ إليّ أن تواضع، فقال النبي عند ذلك:

نبيا عبدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو أني قلت نبيا ملكا ثم أمرت لصارت معي الجبال ذهبا.

قال أبو نعيم: حديث غريب من حديث أبي حازم وابن عمر، تفرد به أيوب بن نهيك، وأبو حازم

مختلف فيه، فقبيل سلمة بن دينار، وقبيل محمد بن قيس المزني والله أعلم [(1)] .
وله من حديث أيمن بن نايل قال: سمعت قدامة بن عبد الملك قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة على ناقه صهباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك [(2)] .
وخرج البخاري في الأدب المفرد من طريق الأعمش عن سلام بن شرحبيل

[(1)]

وفي (البداية والنهاية) ج 6 ص 48 عن يعقوب بن سفيان: حدثني أبو العباس حيوة بن شريح، أخبرنا بقية عن الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكا من الملائكة معه جبريل، فقال الملك لرسوله: «إن الله يخبرك بين أن تكون عبدا نبيا وبين أن تكون ملكا نبيا» فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله أن تواضع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أكون عبدا نبيا، قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتى لقي الله عز وجل.
وهكذا رواه البخاري في التاريخ عن حيوة بن شريح، وأخرجه النسائي عن عمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد به، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ.
وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة - ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة - قال: جلس جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك: أفملكنا نبيا يجعلك أو عبدا رسولاً؟.

[(2)] هو كما يقال: الطريق الطريق، ويفعل بين يدي الأمراء، ومعناه نحّ وأبعد وتكريره للتأكيد. (النهاية) ج 1 ص 64.

(222/2)

عن حبه بن خالد وسواء بن خالد [(1)] أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج حائطا أو يناله، فأعانه.
وخرج الحاكم من حديث عبد الله بن أبي بكر المقدمي، حدثنا ابن سليم عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة ودنا منه على رحله متخشنا. قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
وله من حديث الحسن بن واقد، حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رجلا أتى النبي صلى الله

عليه وسلّم بجمار وهو يمشي، فقال: اركب يا رسول الله، فقالوا: إن صاحب الدابة أحق بصدرها [(2)] [إلا أن تجعله لي، قال: قد فعلت] [(3)] .

وأما رفته ورحمته ولطفه

فخرج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة قال: حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، ثم دفعته إلى أم سيف - امرأة قين [(4)] يقال له أبو سيف - فانطلق يأتيه واتبته، فانتبهنا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانا، فأسرعت بين يدي رسول فقلت: يا أبا سيف! أمسك جاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأمسك، فدعا النبي صلى الله عليه وسلّم فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس لقد رأيته وهو يكيده بنفسه [(5)] بين يدي رسول الله، فدمعت عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون [(6)] .

[(1)] حبه بن خالد أخو سواء الأسدي وقيل العامري وقيل الخزاعي، عدادهما في أهل الكوفة، لهما عندنا حديث واحد عن النبي صلى الله عليه وسلّم في عدم اليأس من الرزق رواه الأعمش عن سلام أبي شراحيل عنهما.
قلت: لم يروه عنهما غيره فيما قاله الأزدي (تهذيب التهذيب) ج 2 ص 177 ترجمة رقم 320 ج 4 ص 265 ترجمة رقم 455.

[(2)] [المستدرک] ج 2 ص 64 وفيه «أحق بصدر دابته» .
[(3)] [زيادة من (المستدرک) و (سنن الدارمي)] ج 2 ص 285 باب صاحب الدابة أحق بصدرها.

[(4)] [القين بفتح القاف]: الحداد، وفيه جواز تسمية المولود يوم ولادته، وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.
[(5)] [أي يجود بها، ومعناه وهو في النزاع].

[(6)] [فيه جواز البكاء على المريض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل، ولهذا

قال صلى الله عليه وسلّم ولا نقول إلا ما يرضي ربنا. (مسلم بشرح النووي) ج 14 ص 74-

وخرّج من حديث إسماعيل بن عليّة عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس ابن مالك قال: ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: كان إبراهيم مسترضعا في عوالي المدينة [(1)] ، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليدخّن، وكان ظنّره قينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع،

قال عمرو: فلما مات إبراهيم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي، وإن له لظنّرين تكملان رضاعه في الجنة.

وخرج البخاري [(2)] ومسلم [(3)] من حديث ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم! فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟.

وفي لفظ مسلم عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله فقال: تقبلون صبيانكم؟ فقالوا نعم؟ قالوا: لكننا ما نقبل، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: وأملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة [(4)] ؟.

وقد خرجا [(5)] من حديث أنس: رويدك يا نجشة، سوقك بالقوارير، يعني

[(1)] أما العوالي: فالقرى التي عند المدينة، وقوله: أرحم بالعيال، هذا هو المشهور الموجود في النسخ والروايات، قال القاضي: وفي بعض الروايات الصاد، ففيه بيان كريم خلقه صلّى الله عليه وسلّم ورحمته للعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع، وقوله: وإنه مات في الثدي وإن ظنّرين تكملان له رضاعه في الجنة، معناه مات في الثدي أو في حال تغذيته بلبن الثدي، وأما الظنّرين فبكسر الظاء مهموزة وهي المرضعة ولد غيرها، وزوجها ظنّ لذلك الرضيع، فلفظة الظنّرتع على الأنثى والذكر، ومعنى تكملان رضاعه أي تتمانه سنتين، فإنه توفي وله ستة عشر شهرا أو سبعة عشر فترضعانه بقية السنتين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن « قال القاضي: واسم أبي سيف هذا: البراء، واسم أم سيف زوجته: خولة بنت المنذر الأنصارية كنيته: أم سيف وأم برده (المرجع السابق) ص 76.

[(2)] (صحيح البخاري بشر الكرمانى) ج 21 ص 64 حديث رقم 5627.

[(3)] (مسلم بشر النووي) ج 15 ص 76.

[(4)] المرجع السابق.

[(5)] (مسلم بشر النووي) ج 15 ص 80 باب رحمته صلّى الله عليه وسلّم للنساء والرفق

بهن قال العلماء: سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيها بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها، واختلف العلماء في المراد بتسميتهن قوارير على قولين ذكرهما القاضي وغيره أصحابهما عند القاضي وآخرين، وهو الذي جزم به الهروي وصاحب «التحرير» وآخرون أن معناه: أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن وينشد شيئا من القريض والرجز وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك، ومن أمثالهم المشهورة «الغنا رقية الزنا»، قال القاضي: هذا أشبه بمقصوده

(224/2)

النساء، وفي لفظ: ويحك يا نجشة، رويدك بالقوارير، وفي آخر: يا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير، وفي آخر: أيا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير.

وخرج البخاري في الأدب المفرد [(1)] عن طريق مبارك [(2)] عن ثابت عن أنس قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى بالشيء يقول: اذهبوا به إلى فلانة، فَإِنَّمَا كَانَتْ صَدِيقَةً خَدِيجَةَ، اذهبوا به إلى بيت فلانة فَإِنَّمَا كَانَتْ تَحِبُّ خَدِيجَةَ.

وقال الواقدي في مغازيه وقد ذكر فتح مكة: حدثني عبد الرحمن بن محمد عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: لما سار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العرج، رأى كلبه تهر على أولادها وهن حولها من ضعفها، فأمر رجلا من أصحابه يقال له جعيل بن سراقه أن يقوم حذاها، لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها [(3)] .

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن يحيى بن سعيد بن العاص عن عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعذر أبا بكر من عائشة، ولم يظن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينال منها بالذي نال منها، فرفع أبو بكر يده فلطمها وركب في صدرها، فوجد من ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: يا أبا بكر، ما أنا بمستعذر منك منها بعد هذا أبدا.

[()] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقتضى اللفظ ... « والقول الثاني: أن المراد به الرفق في السير لأن الإبل إذا سمعت الحذاء أسرع في المشي واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته فنهاه عن ذلك لأن النساء يصعقن عند شدة الحركة، ويخاف ضررهن وسقوطهن، وأما «ويحك» فبكذا وقع في مسلم ووقع في غيره، «ويلك»، قال القاضي: قال سيبويه: «ويل»: كلمة تقال لمن وقع في هلكه، و«ويح» زجر لمن أشرف على الوقوع في هلكه، وقال الفراء: ويل ووي وويس بمعنى ...

وفي هذه الأحاديث جواز الحداء- وهو بضم الحاء ممدود- وجواز السفر بالنساء واستعمال
الحجاز، وفيه مباحة النساء من الرجال ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه.
[(1)] (الأدب المفرد) ج 1 ص 320 حديث رقم 332، وأخرجه الحاكم والبراء وابن حبان.
[(2)] «مبارك» هو ابن فضالة البصري، جالس الحسن البصري ثلاث عشر سنة أو أربع
عشر سنة، مات سنة 165، قال أحمد: ما روي عن الحسن يفتح به (فضل الله الصمد) هامش
ص 320.
[(3)] [كذا في (خ) ، ورواية الواقدي: «لما سار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَرَجِ،
فَكَانَ فِيهَا بَيْنَ الْعَرَجِ وَالطَّلُوبِ، نَظَرَ إِلَى كَلْبَةٍ تَمُرُّ عَلَى أَوْلَادِهَا وَهُمْ حَوْلَهَا يَرْضَعُونَهَا، فَأَمَرَ رَجُلًا
مِنَ أَصْحَابِهِ يَقَالَ لَهُ جَعِبَلُ بْنُ سَرَّاقَةَ أَنْ يَقُومَ حِذَاهُمَا، لَا يَعْضُ لَهَا أَحَدٌ مِنَ الْجَيْشِ وَلَا
لأَوْلَادِهَا، وَالطَّلُوبُ: مَاءٌ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ. (المغازي للواقدي) ج 2 ص 804.

(225/2)

وأما حسن عهده عليه السلام

فخرج البخاري في المناقب من حديث الليث قال: كتب إلي هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غرت على خديجة-
هلكت قبل أن يتزوجني- لما كنت أسمعته يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان
ليذبح الشاة فيهدي في خلاتها منها ما يسعهن [(1)] .

وخرجه مسلم من حديث أبي أمامة قال: أخبرنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على
امرأة ما غرت على خديجة- ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين- لما كنت أسمعته يذكرها،
ولقد أمره ربه تبارك وتعالى أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وأنه كان يذبح الشاة ثم يهديها
إلى خلاتها [(2)] .

وخرجه البخاري من حديث أسامة بنحوه، إلا أنه قال: ثم يهدي في خلتها منها. ذكره في كتاب
الأدب [(3)] .

وخرج أيضا من حديث حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على أحد من
نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما
ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فرما قلت:
كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد [(4)] .
وفي لفظ: ما غرت على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا علي خديجة، وإن لم أدرها،

قالت: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟! فقال: إني رزقت بحبها [(4)] .
وخرّج في حديث علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله

[(1)] [صحيح البخاري] ج 2 ص 315 باب تزويج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

[(2)] [مسلم بشرح النووي] ج 15 ص 300 باب فضائل خديجة رضي الله عنها.

[(3)] [صحيح البخاري بشرح الكرماني] ج 21 ص 167 كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان حديث رقم 5633 وفيه: «حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة» ، وفي (خ) «من حديث أسامة» ولعله خطأ من الناسخ.

[(4)] [مسلم بشرح النووي] ج 15 ص 301 باب فضائل خديجة رضي الله عنها.

(226/2)

عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد- أخت خديجة- على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: اللَّهُمَّ هالة. قالت: فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز قريش، حمراء الشّدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها [(1)] .

وخرّج مسلم بمثله وقال: فارتاح لذلك فقال: اللَّهُمَّ هالة بنت خويلد [(2)] .

وخرّج الحاكم من حديث أسد بن موسى، حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى بشيء يقول: اذهبوا به إلى فلانة فإنّها كانت صديقة خديجة،

قال: هذا حديث صحيح الإسناد [(3)] .

ومن حديث عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يذبح الشاة فيتبع بها صدائق خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم [(3)] .

ومن حديث عفان: حدثنا حماد بن سلمة عن ابن عمير، عن موسى بن طلحة عن عائشة أن

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر ذكر خديجة، فقلت: لقد أخلفك الله زوجا، وقال

حماد: أعقبك الله عن عجوز من عجائز قريش حمراء الشّدقين، هلكت في الدهر الأول، قالت:

فتغير وجهه تغيرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي وإذا رأى مخيلة الرعد والبرق، حتى يعلم أرحمة هي أم عذاب. قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وأما كراهته للمدح والإطراء

فخرج البخاري في كتاب الأنبياء من حديث سفيان قال: سمعت الزفري يقول: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم [يقول]: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله. [(4)] .

[(1)] [صحيح البخاري] ج 2 ص 316 باب فضائل خديجة رضي الله عنها.

[(2)] [مسلم بشرح النووي] ج 15 ص 202 وفيه « فأبدلك الله خيرا منها » .

[(3)] [المستدرک] ج 4 ص 175 كتاب البر والصلة.

[(4)] [الشمائيل المحمدية] 173 حديث رقم 323، والإراء هو حسن الثناء أي لا تبالغوا في مدحي كما بالغت النصارى في مدح سيدنا عيسى فجعلوه إله أو ابن إله.

(227/2)

وخرّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه، أن رجلا قال: يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، ويا خيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يستجربنك الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلي الله.

وخرّجه النسائي بنحوه وخرّجه أيضا ولفظه عن أنس، أن ناسا قالوا، لرسول الله (الحديث) ، وقال فيه، ولا يستهوينكم الشيطان، وقال: التي أنزليها الله.

ذكرهما في كتاب اليوم وليلة.

وخرّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فسلمنا عليه، فقلت: أنت ولدنا وأنت سيدنا. وأنت أفضلنا علينا فضلا، وأنت أطولنا علينا طولًا، وأنت الجفنة الغراء، فقال: قولوا بقولكم ولا يستجربنك الشيطان.

وخرجه النسائي بهذا الإسناد وقال: لا يستهوينكم الشيطان، ولم يذكر قوله، وأنت الجفنة الغراء.

وخرجه أبو داود من حديث سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف قال، إني انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا، أنت سيدنا، قال: السيد هو الله، قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمتنا طولاً، قال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرتنكم الشيطان [(1)] .

وأما حلمه وصفحه صلى الله عليه وسلم فخرّج الإمام أحمد من حديث جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ساءل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهاباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعون فقيل: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تعطيهم الذي ساءلوا، فإن كفروا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم قال: بل استأني بهم.

[(1)] سبق تخريجه وشرح بعض ألفاظه ومعناه عند الكلام على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وقربه.

(228/2)

وخرّج البخاري من حديث شعيب، حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها فقيل: هلكت دوس، فقال: اللهم اهد دوسا وأت بهم. ذكره في كتاب الجهاد، وترجم عليه باب الدعاء للمشركين لتألفهم. وذكره في كتاب الدعاء في باب الدعاء للمشركين ولفظه: قدم الطفيل ابن عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: اللهم اهد دوسا وأت بهم. وذكره في آخر المغازي.

وخرّجه مسلم من حديث المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا قد كفرت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، فقال: اللهم اهد دوسا وأت بهم.

وخرّجه الإمام من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله

عليهم، فاستقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القبلة ورفع يديه، فقال الناس. هلكوا، فقال: اللَّهُمَّ اهد دوسا وأت بهم، اللَّهُمَّ اهد دوسا وأت بهم، اللَّهُمَّ اهد دوسا وأت بهم. وخرَج البخاري في كتاب الاستئذان، ومسلم في الجهاد من حديث معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير، أخبرني أسامة بن زيد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادَةَ في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة 7 فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء لا أحسن

(229/2)

من هذا، إن كان ما تقول حقا فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال [(1)] عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإننا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه فقال: أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا، قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فو الله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصططح أهل هذه البحرة (وقال مسلم «البحيرة») على أن يتوجوه فيعصبونه [(2)] بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك، «شرق بذلك، فذلك [(3)] فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وأخرجاه من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب، وزاد مسلم: (وذلك قبل أن يسلم عبد الله)، لم يذكر غير هذا.

وقال البخاري في حديث عقيل عن ابن شهاب عن عروة أن أسامة أخبره أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركب على حمار على إكاف على قطيفة فدكية 7 وأردف أسامة وراءه، يعود سعد بن عبادَةَ قبل وقعة بدر، فسار حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول - وذلك قبل أن يسلم عبد الله - وفي المجلس أخلاط ... (الحديث نحو ما تقدم)، وفيه: يا أيها المرء لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، قال ابن رواحة: بلي يا رسول الله! فاعشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك ... (الحدى) وفيه: حتى كادوا يتشاورون، وقال: أهل هذه البحرة، ولم يقل في آخره: فعفا عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم. ذكره في كتاب المرضى في باب عبادة المريض راكبا وماشيا وردفا على الحمار. وأخرجاه أيضا من حديث شعيب بن أبي حمزة وابن أبي عتيق عن الزهري، فذكره البخاري في كتاب التفسير وفي كتاب الأدب في باب كنية المشرك، ولفظه:
أن رسول الله ركب على حمار على قطيفة فدكيتة، وأردف أسامة وراءه يعود سعد

[(1)] في (خ) «فقال» وما أثبتناه من رواية البخاري.

[(2)] في (خ) «فعصوه» وما أثبتناه من رواية البخاري.

[(3)] في (خ) «فلذلك» وما أثبتناه من رواية البخاري.

(230/2)

ابن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا حتى مرّا بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول - وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي - وإذا في المجلس أخلاط الحديث ... (إلى آخره) ، وقال: حتى كادوا يتشاورون. وقال: أهل هذه البحرة. وقال في آخره بعد قوله فعفا عنه رسول الله: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله عز وجل: وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا [(1)] ، وقال: وَدَكَّيْنٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَزُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [(2)] فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به حتى أذن له فيهم، فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا، وقتل الله بها من قتل من صنائيد الكفار وسادة قريش، فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منصورين غانمين، معهم أسارى من صنائيد الكفار وسادة قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توحد، فبايعوا لرسول الله، فبايعوه. وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أمامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابن عبد الله بن عبد الله ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله فقال:

يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ - ولفظ البخاري: وقد نهاك ربك أن تصلي عليه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة، وسأزيد علي السبعين، قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ [(3)] .

وذكره البخاري في كتاب التفسير، وخرجه مسلم من حديث يحيى القطان عن عبيد الله بهذا الإسناد ونحوه، وزاد قال: فترك الصلاة عليهم.
وخرجه البخاري في كتاب اللباس في باب لبس القميص، من حديث يحيى ابن سعيد عن عبيد الله، أخبرني نافع بن عبد الله قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء

[(1)] من الآية/ 186 آل عمران.

[(2)] من الآية 109/ البقرة.

[(3)] من الآية 84/ التوبة.

(231/2)

ابنه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: إذا فرغت فأذنا، فلما فرغ آذنه، فجاء ليصلي عليه فجدبه عمر وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال:
اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [(1)] فنزلت: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا [(2)] ، فترك الصلاة عليهم.
وذكره في كتاب الجنائز وقال فيه: فقال آذني أصلي عليه فأذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر.

وذكره في كتاب التفسير من حديث أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاه قميصه فأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثوبه وقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟

قال: إنما خيرني الله أو أخبرني الله فقال: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فقال: سأزيده على سبعين، قال: فصلّى عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلوا معه، ثم أنزل عليه: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ.

وخرج أيضا من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب: أخبرني عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما مات عبد الله ابن أبي ابن سلوك، دعي له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت: يا رسول الله! أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا، كذا وكذا؟ قال: أعدد عليه قوله. فتبسم رسول الله

وقال: أَخْرَعَنِي يَا عَمْرُ، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ قَالَ: إِنِّي خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَيُّ إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يَغْفِرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا،
قال: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ
الآيَاتَانِ مِنْ بَرَاءَةِ [(3)] : وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا إِلَى قَوْلِهِ: وَهُمْ فَاسِقُونَ، قَالَ:
فَعَجِبْتُ بَعْدَ مِنْ جِرَائِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[(1)] من الآية 80/ التوبة.

[(2)] من الآية 84/ التوبة.

[(3)] براءة: من أسماء سورة التوبة.

(232/2)

يومئذ، والله ورسوله أعلم. ذكره في الجنائز وفي التفسير، وخرجه النسائي في الجنائز، وخرجه
الإمام أحمد أيضا.
وخرّج أحمد من حديث يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله
عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة، هبطوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّعْبِيبِ
مستحلين يريدون غرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل
الله عز وجل: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ
[(1)] وفي الصحيح: أن ملك الجبال بلغه عن الله تعالى تخييره بين أن يطبق على من كذبه
الأخشبين، فقال عليه السلام: بل أرجو أن يخرج من أصلاحهم من يعبد الله، كما ستره في ذكر
من حدث عنه عليه السلام، وتقدم ذكر خبر الأعراي بالبرد، حتى أثر في عاتقه عليه السلام،
فضحك وأمر له بعطاء.
وخرّج البخاري من حديث جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما كان يوم حنين،
آثر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أناسا في القسمة، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل،
وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشرف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة،
فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، أو ما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبته فأخبرته، فقال: من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله
موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصير.
وخرّج مسلم من حديث مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل

يا رسول الله، أدع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة. ذكره في كتاب البرّ والصلة.

وقال القاسم بن سلام بن مسكين الأزديّ: حدثني أبي قال: حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة طاف بالبيت وصَلَّى ركعتين ثم أتى بالكعبة، وأخذ بعضاد في الباب فقال: ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: أخ كريم وابن عمّ حليم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أقول كما قال يوسف، لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

[(1)] الآية 24 / الفتح.

(233/2)

[(1)] ، فخرجوا كأنما نشروا من القيود، قد دخلوا في الإسلام.

ولابن حبان من حديث ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن بعض آل عمر ابن الخطاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم الفتح أرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صفوان بن أمية وأبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام، قال عمر: فقلت: قد أمكنني الله منهم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته، لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، فانفضحت حياء من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وله من حديث عبد الله بن المغيرة: قال مالك بن أنس، حدثني يحيى بن سعيد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل يقبض الناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال، فقال له رجل يا نبي الله! اعدل، فقال:

ويحك، فن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن كنت لا أعدل، فقال عمر رضي الله: ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أي أقتل أصحابي.

وله من حديث معاذ بن هشام الدستوائي قال: حدثنا أبي عن قتادة عن عقبة ابن وشاح الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال: أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقليل من ذهب وفضة، فجعل يقسمه بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد! والله لقد أمرك الله أن تعدل، فما أراك تعدل، فقال: ويحك، من يعدل عليك بعدي؟ فلما ولى قال ردوه عليّ رويدا.

وله من حديث أبي بكر بن أبي شيبه قال: حدثنا إسماعيل بن عليه عن بخر ابن حكيم عن أبيه عن جده، أن أخاه أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: جيراني على ما أخذوا، فأعرض عنه النبي

صلى الله عليه وسلم فقال: إن الناس يزعمون أنك نهييت عن البغي فلم تتحلى به؟ فقال: إن كنت أفعل ذلك إنه لعلي وما هو عليكم، خلّوا عن جيرانه.
وله من حديث محمد بن إسحاق عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم جزورا من أعرابي بوسق من تمر الذخيرة، فجاء به إلى منزله، فالتمس التمر فلم يجده في البيت، قالت: فخرج إلى الأعرابي فقال: يا عبد

[(1)] الآية 92 / يوسف.

(234/2)

الله، إنا ابتعنا منك جزورك هذا بوسق من تمر الذخيرة ونحن نرى أنه عندنا فلم نجد، فقال الأعرابي: وا غدراه وا غدراه، فوكزه الناس وقالوا: لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا؟ فقال: دعوه.
وله من حديث إبراهيم بن الحكم بن أبان قال: حدثني أبي عن عكرمة عن أبي هريرة أن أعرابيا جاء النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء فأعطاه شيئا ثم قال: أحسنت إليك؟ قال: لا، ولا أجملت! فغضب المسلمون فقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفّوا ثم قام فدخل منزله، ثم أرسل الأعرابي فدعاه إلى البيت، يعني فأعطاه فرضي، فقال: إنك جننا فسألنا فأعطيناك، وقلت ما قلت وفي أنفس المسلمين شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال: نعم، فلما كان الغد أو العشي جاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم هذا كان جائعا فسألنا فأعطينا، فقال ما قال، وإنّا دعوناه إلى البيت فأعطينا، فزعم أنه قد رضي، أكذاك؟ قال نعم، فجزاك الله من أهل عشيرة خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي، كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحب الناقة:
خلّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام [(1)]
[الأرض فجاءت فاستناخت فشدد عليها رحلها واستوى عليها، ولو أني تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار.

وله من حديث الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما، فأتى جبريل عليه السلام فقال: إن رجلا من اليهود سحر، فعقد ذلك عقدا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي

الله عنه فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حلّ عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال-، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط. وله من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن أنس قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما سبني سبة قط، ولا ضربني ضربة ولا

[(1)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (الشفاء) ج 1 ص 73.

(235/2)

انتهرني ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر شيء كان.

وقد تقدم حديث أنس هذا، ولكن أوردته لما في حديث ابن حبان هذا من الزيادة المفيدة. وله أيضا من حديث الوليد بن مسلم قال: حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف قال: حدثني أبي عن جدي قال: قال عبد الله بن سلام: إن الله عز وجل أراد هدي زيد بن سعة [(1)] ، قال: زيد: ما من علامات النبوة شيء إلا قد عرفته في وجه محمد سوى اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فكنت أنطلق إليه لأخالطه وأعرف حلمه، فخرج يوما ومعه علي ابن أبي طالب، فجاءه رجل كالبدوي فقال: يا رسول الله، إن قرية بني فلان أسلموا، وحدثتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغدا، وقد أصابتهم سنة وشدة، وإني مشفق عليهم أن يخرجوا من الإسلام، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء يعينهم، قال زيد بن سعة، فقلت، أنا أبتاع منك بكذا وكذا وسقا، فأعطيته ثمانين دينارا فدفعها إلى الرجل وقال: اعجل عليهم بما فأعنعهم، فلما كان قبل المحل بيوم أو يومين أو ثلاث، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة في نفر من أصحابه، فحبذت رداءه جبذة شديدة حتى سقط عاتقه، ثم أقبلت بوجه جهم غليظ فقلت:

ألا تقضيني يا محمد، فو الله ما علمتكم يا بني عبد المطلب لمطل، فارتعدت فرائص عمر بن الخطاب كالفلك المستدير، ثم أومى ببصره إلي وقال، أي عدوّ الله! أتقول هذا لرسول الله وتصنع به ما أرى وتقول ما أسمع؟ فو الذي بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في تؤدة وسكون، ثم تبسم وقال: لأنا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا من تمر،

فقلت: ما هذا؟ قال أمرني رسول الله أن أزيدك وكان ما دعتك: فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعدة، قال: الخبر؟ قلت الخبر، قال: فما دعاك إلى أن تفعل برسول الله ما فعلت وتقول له ما قلت؟ قلت: يا عمر، إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلما، فقد

[(1)] في (خ) «ثعنة» والتصويب من المرجع السابق ج 1 ص 63.

(236/2)

اختبرتهما منه، فأشهدك يا عمر أي قد رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وأشهدك أن شطر مالي لله، فإنني أكثرها مالا صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم، قلت: أو على بعضهم، قال: فرجع عمر وزيد بن سعدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فأمن به وصدقته وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة.

وخرجه الحاكم من حديث الوليد بن مسلم به نحوه، وقال: هذا حديث صحيح. وقال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهوديا قال: ما كان بقي شيء من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إلا ورأيتُه إلا الحلم، وإني أسلفته ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم، فتركته حتى إذا بقي من الأجل المعلوم يوم أتيتُه، فقلت: يا محمد أوفني حقي، فإنكم معاشر بني عبد المطلب مطل، فقال عمر رضي الله عنه: يا يهودي أجننت؟ أما والله لولا مكانه لضربت الذي فيه عينك،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غفر الله لك يا أبا حفص، نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج: إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما عليّ، وهو إلى أن تكون أعنته في قضاء حقه أحوج، قال: فلم يزد جهلي عليه إلا حلما، قال: يا يهودي، إنما يحل حقلك غدا، ثم قال يا أبا حفص، اذهب به إلى الحائط الذي كان سألك أول يوم، فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا، وزده لما قلت له كذا وكذا صاعا، وإن لم يرض فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا، فأتي به الحائط فرضي، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمره من الزيادة، فلما قبض اليهودي تمره قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وإنه والله ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر إلا

إني كنت رأيت في رسول الله صفاته في التوراة كلّها إلا الحلم، فاخترت حلمه اليوم على ما وصف في التوراة، وإني أشهد أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين، فقال عمر: فقلت: أو بعضهم، فقال: أو بعضهم وأسلم أهل بيت اليهود كلهم إلا شيخا كان له مائة سنة، فبقي على الكفر.

وقال إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم عن زيد بن زائدة عن عبد الله

(237/2)

ابن مسعود رضي الله عنه قال. قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وإني سليم الصدر. فقال: فاتاه مال فقسمه، فانتهيت إلى رجلين يتحدثان وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أراد محمد بقسمته التي قسم وجه الله والدار الآخرة، قال: فثبتت حتى سمعتها، ثم أتيت النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فذكرت له ذلك، فقلت: إنك قلت: لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا، وإني سمعت فلانا وفلانا يقولان كذا وكذا، قال: فاحمرّ وجهه وقال: دعنا منك فقد أودي موسى بأكثر من هذا فصبر.

وخرج مسلم من حديث زيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع الله على المشركين، قال: إنما لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة. انفراد بإخراجه مسلم.

وقال سفيان بن الحسن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إنما أنا رحمة مهداة.

وقال الواقدي في مغازيه وقد ذكر فتح مكة: وأمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بقتل جماعة فذكرهم إلى أن قال: وأما هبار بن الأسود فإن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كان كلما بعث سرية أمرها بهبار إن أخذ أن يحرق بالنار، ثم قال: إنما يعذب بالنار رب النار، اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه ثم اقتلوه، فلم يقدر عليه يوم الفتح، وكان جرمه أنه عس [(1)] بابنة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم زينب، وضرب ظهرها بالرمح - وكانت حبلي - حتى أسقطت فأهدر النبي صَلَّى الله عليه وسلّم دمه، فبينما رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم جالس بالمدينة في أصحابه، إذا طلع هبار بن الأسود - وكان لسنا - فقال: يا محمد: أسب من سبك، إني قد جئت مقرا بالإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فقبل منه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فخرجت سلمى مولاه النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقالت: لا أنعم الله

بك عينا، أنت الذي فعلت وفعلت، فقال: إن الإسلام محاذ ذلك، ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن سبه والتعريض له [(2)] .

[ثم قال] [(3)] : حدثني هشام بن عمار عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم

[(1)] في (خ) «نخس» وما أثبتناه من رواية الواقدي في (المغازي) ج 2 ص 857.

[(2)] في (خ) «والتعرض» وما أثبتناه من (الواقدي) ج 2 ص 858.

[(3)] زيادة للسياق.

(238/2)

عن أبيه عن جده قال: كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه في مسجده منصرفه من الجعرانة، فطلع هبار بن الأسود، قال [(1)] : قد رأيتك فأراد بعض القوم القيام إليه، فأشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن اجلس، ووقف عليه هبار فقال: السلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد، وأردت اللحوق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عن من جهل إليك [(2)] ، وكنا يا رسول الله أهل شرك بالله فهدانا بالله بك، وأنقذنا بك من الهلكة، فاصفح عن جهلي وعمّا كان يبلغك عني، فإني مقر بسيناتي [(3)] معترف بذنبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد عفوت عنك، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام، والإسلام يجب ما قبله.

[ثم قال] : حدثني واقد بن أبي ياسر عن يزيد بن رومان قال: قال الزبير ابن العوام رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هبارا قط إلا تغيط عليه، ولا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قط إلا قال: إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه ثم اضربوا عنقه، والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه، والله يعلم لو ظفرت به قبل يأتي إلى رسول الله لقتلته ثم طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده جالس، فجعل يعتذر إلى رسول الله يقول، سبّ يا محمد من سبّك وأوذني [(4)] من آذاك، فقد كنت موضعا في سبّك وأذاك وكنت مخذولا وقد بصّرتني [(5)] الله وهداني للإسلام. قال الزبير: فجعلت انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليظأطي رأسه استحياء منه مما يعتذر هبار، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قد عفوت عنك، والإسلام يجب ما كان قبله، وكان لسنا، وكان يسبّ حتى يبلغ منه فلا ينتصف من أحد، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله وما يحمل عليه من الأذى، فقال هبار [(6)] : سبّ من سبّك.

[(1)]

كذا في (خ) ونص الواقدي: «فطلع هبار بن الأسود من باب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما نظر إليه القوم قالوا: يا رسول الله، هبار بن الأسود، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد رأيته ...» .

[(2)] كذا في (خ) ، وفي (الواقدي) «جهل عليك» .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (الواقدي) «بسوء فعلي» .

[(4)] في (خ) «وآذي» وما أثبتناه من (الواقدي) .

[(5)] في (الواقدي) «نصرني» .

[(6)] في (خ) «يا هبار» .

(239/2)

وأما شفقتة ومداراته

فقال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [(1)]
، قال السمرقندي فيما نقل القاضي عياض، ذكّهم الله تعالى منته أنه جعل رسوله رحيمًا بالمؤمنين، رءوفاً لئِن الجانب، ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرقوا من حوله، لكن جعله الله سمحاً سهلاً، طلقاً براً لطيفاً. هكذا قال الضحاك.

وخرج البخاري من حديث سليمان بن بلال قال: حدثني شريك بن عبد الله، سمعت أنس بن مالك يقول: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه.

وخرجه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك عن أنس أنه قال، ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لم يزد على هذا) .
وخرّجا من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه من بكائه. ترجم عليه باب من أخف صلاته عند بكاء الصبي، وذكر في هذا الباب في رواية أبي محمد الحموي وأبي الهيثم الكشميني حديث سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز لما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه.

وخرّج البخاري من حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إني لأقوم في الصلاة، وإني أريد أن أطول فيها. (الحديث). مثله ذكره في باب خروج النساء إلى المساجد.

ومسلم من حديث يحيى بن يحيى قال: أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة.

[(1)] من الآية 159 / آل عمران.

(240/2)

وله من حديث عبد الله بن وهب قال: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من جوف الليل فصلّى في المسجد، فصلّى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثرت أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطلق منهم رجال يقولون: الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الصلاة أقبل على الناس ثم تشهد وقال، أما بعد، فإنه لم يخف عني شأنكم الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها.

وخرّجه البخاري بنحوه، وزاد في آخره، فتوفي رسول الله والأمر على ذلك، ذكره في باب فضل من قام رمضان، وفي كتاب الجمعة في باب من قال في الخطبة بعد الثناء، أما بعد، غير أنه لم يذكر الزيادة، وقال في بعض الموضعين: أما بعد، فإنه لم يخف عليّ مكانكم.

وخرّج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى في ذات ليلة في المسجد فصلّى بصلاته ناس، ثم صَلَّى من القابلة فكثرت الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أصبح قال، قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا إني خشيت أن تفرض عليكم، قال: وذلك في رمضان. ذكره البخاري في باب تحريض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ولم يقل فيه أبو

داود: والرابعة. ذكره في باب قيام شهر رمضان [(1)] ، وذكر بعده متصلا به حديث محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت: كان الناس يصلون في المسجد في رمضان أوزاعا [(2)] ، فأمرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضربت له حصيرا فصلّي فيه رسول الله بهذه

[(1)] (سنن أبي داود) ج 2 ص 104 حديث رقم 1373، 1374 وأخرجه (البخاري) في الصوم باب فضل من قام رمضان (ومسلم) في الصلاة باب في قيام رمضان وهو التراويح، (والنسائي) في قيام الليل باب قيام شهر رمضان.

[(2)] أوزاعا: متفرقين ومن هذا قولهم: ورّعت الشيء إذا فرقته، وفيه إثبات الجماعة في قيام رمضان،

(241/2)

القصة،

قالت [(1)] فيه: قال: - يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيها الناس، أما والله ما بت ليلتي هذه بحمد الله غافلا، ولا خفي علي مكانكم.

وللبخاري من حديث يحي بن سعيد الأنصاري عن عمرة عن عائشة قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلّي من الليل في حجرته- ودار الحجره قصير- فرأى الناس شخص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقام ناس يصلون بصلاته، فأصبحوا فتحدثوا بذلك، فقام الليلة الثانية، فقام معه أناس يصلون بصلاته، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثا حتى إذا كان بعد ذلك، جلس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال: إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل، ذكره في باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سترة.

وخرّج الإمام أحمد من حديث معمر عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يترك العمل وهو يحب أن يعمله كراهية أن يستن الناس به فيفرض عليهم، وكان يحب ما خفف من الفرائض.

وخرّج مسلم من حديث حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين أبي؟ قال: في النار! فلما رأى ما في وجهه قال: إن أبي وأباك في النار.

انفرد بإخراجه مسلم [(2)] .

وخرّج الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون قال: حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة قال: إن

فتى شابا أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟

[()] وفيه إبطال من زعم أنها محدثة (معالم السنن) ج 2 ص 104 (هامش) .

[(1)] في (خ) «وقال» وما أثبتناه من (سنن أبي داود) .

[(2)] الحديث أخرجه مسلم في الإيمان بلفظ «فلما قفا الرجل دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»، قفا:

ولي قفاه منصرفا (صفة الصفوة) ج 1 ص 172 باب ذكر حلمه وصفحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(242/2)

قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [(1)] . وخرجه مسلم من حديث ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر ابن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلى قول الله عز وجل: إِنْهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وقال عيسى عليه السلام: إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فرفع يديه ثم قال: اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره بما قال الله تعالى: فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤك.

وخرجه البخاري من حديث همام، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة عن أنس، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى أعرابيا يبول في المسجد! فقال: دعوه، حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه. ترجم عليه، باب ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله.

وخرجه مسلم من حديث عكرمة بن عمار قال: حدثنا إسحاق بن أبي طلحة قال: حدثني أنس بن مالك- وهو عم إسحاق- قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا

جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مه مه! فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تترموه لا تترموه [(2)] ، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن- أو كما قال رسول الله- قال: فأمر رجلا من القوم فحاج بدلو من ماء فصبّه عليه. وأخرجاه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن أعرابيا قام إلى ناحية في المسجد فبال فيها، فصاح بن الناس، فقال رسول الله

[(1)] (مسند أحمد) ج 5 ص 256، 257.

[(2)] [أزرمه: قطع عليه بوله (ترتيب القاموس) ج 2 ص 448.

(243/2)

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعوه فلما فرغ أمر رسول الله بذنوب فصب عليه. اللفظ لمسلم. ولفظ البخاري قال: جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فجزه الناس، فنهاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قضى بوله أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذنوب من ماء فأهريق عليه. ذكره في باب صب الماء على البول في المسجد. وخرّج البخاري ومسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس، أن أعرابيا بال في المسجد فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دعوه، ولا تترموه، فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبّه عليه. لفظهما فيه سواء. وقال النسائي بعد قوله: لا تترموه، لا تقطعوا بوله، وفي لفظ للبخاري، أن أعرابيا بال في المسجد فقاموا إليه: فقال رسول الله: لا تترموه، ودعا بدلو من ماء فصب عليه. ذكره في كتاب الأدب، في باب الرفق في الأمر كله. وخرّج البخاري والنسائي من حديث الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: قام أعرابي في المسجد فبال: فتناوله الناس، فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوه وأهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. ذكره البخاري في باب صب الماء على البول في المسجد وخرّجه في كتاب الأدب ولفظه: أن أبا هريرة أخبره أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله، دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا

معسرين. ذكره في باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَرُوا وَلَا تَعْسَرُوا، وكان يجب التخفيف واليسر على الناس.

وخرّج أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة، أن أعرابيا دخل المسجد ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس، فصلّى ركعتين ثم قال: اللَّهُمَّ ارحمني ومحمدا، ولا ترحم منا أحدا! فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد تحجّرت واسعا، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فنهاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، صبوا عليه سجلا من ماء، أو قال: ذنوبا من ماء [(1)] وقال الترمذي: أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلوا من ماء، وقال

[(1)]

(مسند الحميدي) ج 2 ص 419 حديث رقم 938 ولفظه.

«... أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: دخل أعرابي المسجد والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس، قال:

(244/2)

فيه: فلما فرغ قال.

وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

قال مؤلفه: ذكر البخاري قول الأعرابي: اللَّهُمَّ ارحمني ومحمدا، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، ولم يذكر فيه أنه بال في المسجد.

وخرّج مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا [(1)] استأذن على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ائذنوا له فبئس أخو العشيّة، فلما دخل عليه ألان له القول، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله! قلت الذي قلت ثم ألتنت له القول؟ قال يا عائشة إن شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء فحشه.

وخرّج مسلم من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمّاه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فعرفت أنهم يصمتونني، لكنني سكّت، فلما صَلَّى رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فبأي وأمي - ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما نهرني [(2)] ولا ضربني ولا شتمني، ثم قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن - أو كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهَّان، قال: فلا تأثم، قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا

[()] فقام، فصلَّى، فلما فرغ من صلاته قال: اللَّهُمَّ ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فالتفت إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لقد تحجرت واسعا، فما لبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلوا من ماء، ثم قال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين.

[(1)] هو عيينة بن حصن الفزاري - الذي يقال له الأحمق المطاع - وكان إذ ذاك من أهل النفاق ولذا قال فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال لبتقي شره، وهذا ليس بغيبة بل نصيحة للأمة، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وحضر بعض الفتوحات وقد اعتبر العلماء قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه وهو غائب وإلأنته له وهو حاضر من باب المداراة والتألف. [(2)] في رواية أبي داود ج 1 ص 570 باب تشميت العاطس في الصلاة حديث رقم 930 «ما كهربي» ومعناه ما انتهرني ولا غلظ لي، وقيل الكهر: استقبال الإنسان العبوس، وقرأ بعض الصحابة «فأما اليتيم فلا تكهر» (معالم السنن للخطابي) .

(245/2)

يصدنكم، قال: ومنا رجال يخطون، قال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك، قال: وكانت لي جارية ترعى غنما قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكّة، فأتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعظم ذلك عليّ، فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: اتني بها، فأتيته بها: فقال لها أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال أعتقها فإنها مؤمنة. وخرجه أبو داود قريبا منه، ذكره في باب تشميت العاطس [في الصلاة] وفيه، قلت: يا رسول الله، إنا حديث عهد بجاهلية وقد جاءنا الله بالإسلام، ومنا رجال يأتون الكهَّان، قال: فلا تأتوهم. وقال: فلا يصدنهم، وقال فيه، قلت: جارية لي كانت ترعى غنيمات قبل أحد والجوانية، إذا طلعت عليها إطلاعة ... الحديث [(1)] .

[(1)] وفي هذا الحديث من الفقه أن الكلام ناسيا في الصلاة لا يفسد الصلاة وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ أَحْكَامَ الصَّلَاةِ وَتَحْرِيمَ الْكَلَامِ فِيهَا ثُمَّ لَمْ يَأْمُرْهُ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّاهَا مَعَهُ وَقَدْ كَانَ تَكَلَّمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ تَكَلَّمَ جَاهِلًا بِتَحْرِيمِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَبَيْنَ مَنْ تَكَلَّمَ نَاسِيًا لِصَلَاتِهِ فِي أَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ تَكَلَّمَ، وَالْكَلامُ مَبَاحٌ لَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ. وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَنْ قَالَ يَبِينِي عَلَى صَلَاتِهِ إِذَا تَكَلَّمَ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا الشَّعْبِي وَالْأَوْزَاعِي وَمَالِكُ وَالشَّافِعِيُّ وَقَالَ النُّخَعِيُّ وَحَمَادُ بْنُ أَبِي سَلِيمَانَ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: إِذَا تَكَلَّمَ نَاسِيًا اسْتَقْبَلَ الصَّلَاةَ، وَفَرَّقَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ بَيْنَ أَنْ يَتَكَلَّمَ نَاسِيًا وَبَيْنَ أَنْ يَسْلَمَ نَاسِيًا، فَلَمْ يَوْجِبُوا عَلَيْهِ الْإِعَادَةَ فِي السَّلَامِ كَمَا أَوْجِبُوهَا عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ. وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَنْ تَكَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ عَامِدًا بِشَيْءٍ يَرِيدُ بِهِ إِصْلَاحَ صَلَاتِهِ لَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ، وَقَالَ فِي رَجُلٍ صَلَّى الْعَصْرَ فَجَهَرَ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ وَرَائِهِ إِنَّهَا الْعَصْرُ، لَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُصَلِّيَ إِذَا عَطَسَ فَشَمْتَهُ رَجُلٌ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ بِهِ. وَاسْتَنْقَلُوا إِذَا عَطَسَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ هَلْ يَحْمَدُ اللَّهَ؟ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَحْمَدُ اللَّهَ. رَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ الْعَاطِسُ فِي الصَّلَاةِ يَجْهَرُ بِالْحَمْدِ، وَكَذَلِكَ قَالَ النُّخَعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ:

وهو مذهب الشافعي إلا أنه يستحب أن يكون ذلك في نفسه. وقوله «يصمتوني» ومثله يسكتوني: معناه يطلبون مني أن أسكت، وقد حذف نون الرفع وقرئ كما في قوله تعالى: قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ بنون واحدة مخففة. وقوله في الطيرة «ذلك شيء يجدونه في صدورهم» يريد أن ذلك شيء يوجد في النفوس البشرية وما يعترى الإنسان من قبل الظنون والأوهام من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع أو يكون فيه ضرر كما كان زعمه أهل الجاهلية. وقوله: «ومنا رجال يخطون» فإن الخط عند العرب فيما فسره ابن الأعرابي أن يأتي الرجل العرف

(246/2)

وخرجه التّسائي أيضا وفي حديث لأبي داود من طريق فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال: لما قدمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمني أمورا من أمور الإسلام، فكان فيما علمت: أن قيل لي: إذا عطست فاحمد الله، وإذا عطس العاطس فحمد الله فقل: يرحمك الله، قال: فبينما أنا قائم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

الصلاة، إذا عطس رجل فحمد الله، فقلت: يرحمك الله - رافعا بما صوّقي - فرماني الناس بأبصارهم حتى احتملني ذلك، فقلت: ما لكم تنظرون إلى بأعين شزر؟ قال: فسبحوا، فلما قضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ:

من المتكلم؟ قيل: هذا الأعرابي، فدعاني رسول الله، فقال: إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله عز وجل، فإذا كنت في الصلاة فليكن ذلك شأنك، فما رأيت معلما قط أرفق من رسول الله. وخرّج البخاري ومسلم والنسائي من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عليه قال: حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث قال: أتينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن شعبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحيفا رفيقا، فظننا قد اشتقنا إلى أهلنا فسألنا عن من تركنا من أهلنا فأخبرنا، فقال: ارجعوا إلى أهلكم فأقيموا فيهم، وعلموهم وبروهم، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم ثم ليؤمكم أكبركم، اللفظ لمسلم.

ولفظ البخاري: عن أبي قلابة عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: أتينا

[()] وبين يديه غلام فيأمره بأن يخط في الرمل خطوطا كثيرة وهو يقول: ابني عيان أسرعا البيان، ثم يأمره أن يمحو منها اثنين اثنين، ثم ينظر إلى آخر ما بقي من تلك الخطوط، فإن كان الباقي منها زوجا فهو دليل الفلح والظفر. وإن كان فردا فهو دليل الخيبة واليأس. وقوله: «فمن وافق خطه» فذلك يشبه أن يكون أراد به الزجر عنه وترك التعاطي له إذا كانوا لا يصادفون معنى خط ذلك النبي لأنه خطه كان علما لنبوته» وقد انقطعت نبوته فذهبت معالمها. قوله: «آسف كما يأسفون» معناه: أغضب كما يغضبون، ومن هذا قوله تعالى: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.

وأما

قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعتقها فإنها مؤمنة، ولم يكن ظهر له من إيمانها أكثر من قوله حين سألها:

أين الله، فقالت: في السماء وسألها: من أنا فقالت: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فإن هذا السؤال عن أمانة الإيمان، وسمة أهله، وليس بسؤال عن أصل الإيمان وصفته وحقيقته، ولو أن كافرا يريد الانتقال من الكفر إلى دين الإسلام فوصف من الإيمان هذا القدر الذي تكلمت به الجارية لم يصر به مسلما حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتبرأ من دينه الذي كان يعتقده. (معالم السنن).

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ونحن شعبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلينا، فأخبرناه- وكان رفيقا رحيفا- فقال: ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم وبروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم. ذكره في كتاب الأدب في باب رحمة الناس.

وأخرجه أيضا من حديث عبد الوهاب الثقفي وحماد بن زيد عن أيوب قال: قال لي أبو قلابة: يا مالك بن الحويرث أبو سليمان، قال: أتيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وناس ونحن شعبة متقاربون، وأقمنا جميعا.. الحديث بنحو حديث ابن عليّة.

وذكره البخاري أيضا في باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، من حديث عبد الوهاب، وذكره في كتاب الصلاة في باب إذا استوتوا في القراءة فليؤمهم أكبرهم من حديث حماد بن زيد عن أيوب، وذكره في باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد من حديث وهيب عن أيوب.

وأخرجه من حديث خالد الحذاء عن أبي قلابة، وذكره البخاري في باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، وذكره في باب اثنان فما فوقهما جماعة مختصرا.

وخرّج ابن حبان والبخاري في الأدب المفرد من طريق أبي نعيم، حدثنا ابن الغسيل عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال: لما أن أصيب أكحلي بعد يوم الخندق وثقل، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة- وكانت تداوي الجرحى- فكان النبي صَلَّى الله عليه وسلّم إذا مرّ به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح يقول: كيف أصبحت؟ فيخبره.

وخرّج الحاكم من حديث شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عليّ قال: قدم على النبي صَلَّى الله عليه وسلّم سبي فأمرني ببيع أخوين فبعتهما وفرّقت بينهما ثم أتيت النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فأخبرته فقال: أدركهما فارتجعهما وبعهما جميعا ولا تفرق بينهما.

قال الحاكم: هذا حديث غريب صحيح على شرط الشيخين.

وخرج ابن حبان من حديث يحيى بن أبي بكير العبديّ قال: حدثنا عباد ابن كثير عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبا عاله، وإن كان شاهده زاره، وإن كان مريضا

(248/2)

عاده.

وبلغ من مداراة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أنه وجد قتيلًا من أصحابه بين اليهود فلم يحف

عليهم، بل حملهم على مَرِّ الحق، وجاد بأن وداه بمائة من الإبل وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد.

وخرَج مسلم من حديث مالك قال: حدثني أبو ليلى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل عن سهل عن أبي خنثمة أنه أخبر عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحبيصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم، فأتي محبيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل وطرح في فقير أو عين، فأتي يهود فقال: أنتم والله قتلتموه، قالوا: والله ما قتلناه، فأقبل حتى قدم على قوم وذكر لهم ذلك، ثم أقبل هو وأخوه حويصة - وهو أكبر منه - وعبد الرحمن بن سهل، فذهب محبيصة ليتكلم - وهو الذي بخير - فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمحبيصة: كَبَّرَ كَبَّرَ (يريد السنن) فتكلم حويصة ثم تكلم محبيصة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما أن تدوا [(1)] صاحبكم وإما أن تؤذونا بحرب، فكتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، فكتبوا: إنا والله ما قتلناه، فقال رسول الله لحوبيصة ومحبيصة وعبد الرحمن: أتخلفون وتستحقون دم صاحبكم، قالوا: لا، قال: فتحلف لكم يهود؟ قالوا: ليسوا بمسلمين. فوداه [(2)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عنده فبعث إليهم مائة ناقة حتى أدخلت الدار، فقال سهل: فقد ركضتني منها ناقة حمراء. وخرجه في كتاب الأحكام، ولم يقل حمراء. وخرجه أبو داود في باب القتل بالقسامة [(3)]. وخرجه النسائي في كتاب الأحكام وفي القسامة [(3)].

وكان من حسن مداراته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يذم طعاما ولا يبه خادما كما تقدم بطرقه. وخرَج الحاكم من حديث يزيد بن هارون: أخبرنا جرير بن حازم قال: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أبي يعقوب يحدث عن عبد الله بن شداد بن المهدي عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى صلاتي النهار - الظهر أو العصر -

[(1)] أي تدفعوا دينه لأوليائه.

[(2)] وداه: دفع دينه.

[(3)] القسامة: - بفتح قاف وتخفيف سين مهملة - مأخوذة من القسم، وهي اليمين، وهي في عرف الشرع حلف يكون عند التهمة بالقتل، أو هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين (سنن النسائي بحاشية السندي وشرح السيوطي)، ج 8 ص 2. كتاب القسامة.

وهو حامل الحسن، فتقدم فوضعه عند قدمه اليميني، فسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم سجدة أطالها، فرفعت رأسي فإذا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ساجد، وإذا الغلام راكب ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال ناس: يا رسول الله! لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ فقال: كل ذلك لم يكن، ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته [(1)] .

وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه لمن سب من أمته أجرا

فخرّج البخاري من كتاب الدعاء من حديث يونس عن ابن شهاب: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صَلَّى الله عليه وسلّم يقول: اللهم فأَيّما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قرية إليك يوم القيامة [(2)] .

وخرّج مسلم بنحوه وقال فأَيّما عبد. وله من حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول: اللهم إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه، فأَيّما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة [(3)] .

وله من حديث جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم رجلا ن فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله! من [(4)] أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان؟ قال وما ذاك؟ قلت: لعنتهما وسببتهما! قال: أو ما علمت ما شارطت [(5)] عليه ربي قلت: اللهم إنما أنا بشر [فأَيّما أجد من] [(6)] المسلمين لعنته أو سببته، فاجعله له زكاة وأجرا.

[(1)] (المستدرک للحاکم) ج 3 ص 166 باختلاف يسير وقال: هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[(2)] (صحيح البخاري) ج 4 ص 107.

[(3)] (مسلم بشرح النووي) ج 16 ص 153.

[(4)] في (خ) «لمن» وما أثبتناه من رواية (مسلم).

[(5)] في (خ) «شرطت» وما أثبتناه من رواية (مسلم).

[(6)] كذا في (خ) ورواية مسلم: «فأَيّ المسلمين» .

وخرّجه من حديث علي بن حجر السعدي وإسحاق بن إبراهيم وعلي ابن خشرم عن عيسى بن يونس عن الأعمش بهذا الإسناد نحو حديث جرير وقال فيه: فخلوا به فسبّهما ولعنهما وأخرجهما [(1)] .

وله من حديث عبد الله بن نمير قال: حدثنا أبي، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّتَهُ أَوْ لَعَنْتَهُ أَوْ جَلَدْتَهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً [(1)] .

وخرّجه البخاري من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مثله، إلا أن فيه: زكاة وأجرا. وله من حديث المغيرة عن عبد الرحمن الحزامي عن أبي الزناد [(2)] عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَخَذْتُ عَهْدًا لَنْ تَخْلَفْنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتَهُ، شَتَمْتَهُ، لَعَنْتَهُ، جَلَدْتَهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تَقْرِبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [(3)] .

وله من حديث الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصرين قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي أَخَذْتُ عَهْدًا لَنْ تَخْلَفْنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنًا آذَيْتَهُ أَوْ سَبَّتَهُ أَوْ جَلَدْتَهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تَقْرِبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [(4)] .

وله من حديث جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه [يقول] [(5)] : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ أَيِّ عَبْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّتَهُ أَوْ شَتَمْتَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا.

وخرّج مسلم أيضا من حديث عكرمة بن عمار قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عند

[(1)] المرجع السابق 151.

[(2)] في (خ) «أبي الدرداء» وما أثبتناه من رواية مسلم.

[(3)] المرجع السابق ص 153.

[(4)] (مسلم بشرح النووي) ج 16 ص 153.

[(5)] زيادة من المرجع السابق.

أم سليم يتيمة- وهي أم أنس- فرأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: أَنْتَ هِيَ [(1)] ، لقد كبرت لا كبر سنك، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا منيمة؟ قالت الجارية: دعا [(2)] عليّ نبي الله ألا يكبر سني! فالآن لا يكبر سني أبدا، أو قالت: قرني، فجرت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لها: ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي الله؟ أدعوت علي يتيمتي؟ قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت عليها أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها، قال [(3)] : فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: يا أم سليم، أما تعلمين أن شرطي على ربي أي اشتربت على ربي فقلت: إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر: فأما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها [(4)] له طهورا وزكاة وقربة يقربها [(5)] بها يوم القيامة.

انفرد بإخراجه مسلم [(6)] .

وخرّج الإمام أحمد [(7)] من حديث ابن أبي ذؤيب قال: حدثني محمد بن عمر ابن عطاء عن ذكوان مولى عائشة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسير فلهوت عنه فذهب: فجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما فعل الأسير؟ قالت: لهوت عنه مع النسوة فخرج، فقال: ما لك؟ قطع الله يدك! فخرج فأذن به الناس فطلبوه، فجاء به فدخل عليّ وأنا أقلب يدي فقال: أجننت! قلت: دعوت عليّ فأنا أقلب يدي انظر أيهما يقطعان، فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه مدا وقال: اللهم إني بشر، أغضب كما يغضب البشر، فأما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فأجعله له زكاة وطهورا.

وله من حديث محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة أن عائشة قالت: إن أمداد

[(1)] بفتح الباء وإسكان الهاء وهي هاء السكت.

[(2)] في (خ) «وهي» .

[(3)] في (خ) «قالت» .

[(4)] في (خ) «تجعلها» .

[(5)] في (خ) «نقربه» .

[(6)] [(مسلم بشرح النووي) ج 16 ص 154، 155، انظر أيضا: (سنن أبي داود) ج 5 ص 45، 46 حديث رقم 4659 وفيه: «أما رجل من أمتي سببته أو لعنته لعنة في غضبي وإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين فأجعلها عليهم صلاة يوم القيامة»

[(7)] (مسند أحمد ابن حنبل) ج 2 ص 390، 488، 496، ج 3 ص 333، 384،
391، 400، ج 5 ص 437، 439، ج 6 ص 45.

(252/2)

العرب كثروا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وقام إليه المهاجرون يعرجون عنه حتى قام على عتبة عائشة فرهقوه فأسلم رداءه في أيديهم ووثب عن العتبة فدخل فقال: اللَّهُمَّ العنهم، فقالت عائشة: يا رسول الله! هلك القوم، فقال: كلا والله: يا بنت أبي بكر، لقد شرطت على ربي شرطا لا خلف له فقلت: إنما أنا بشر: أضيق بما يضيق به البشر: فأبي المؤمنين بدرت إليه مني بادرة فاجعلها له كفارة.

وأما مزاحه وملاعبته

فخرّج الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقا [(1)] .
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وخرّج أبو داود [(2)] والترمذي [(3)] والبخاري [(4)] في الأدب المفرد من حديث خالد بن حميد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله احملني، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنا حاملوك على ولد ناقة، قال: وما أصنع بولد ناقة؟ فقال: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وهل تلد الإبل إلا التوق؟.

وخرّج أبو داود من حديث يونس عن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمع صوت عائشة - رضي الله عنه - عاليا، فلما دخل تناوها ليلطمها وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله، فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟ قال: فمكث أبو بكر رضي الله عنه أياما، ثم استأذن على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدهما قد اصطلحا: فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتما في حربكما، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد فعلنا قد فعلنا [(5)] .

[(1)]

(الشمائل المحمدية) ص 120 ولفظه «قال: نعم. غير أنني لا أقول إلا حقاً». (سنن الترمذي) ج 3 ص 241 باب ما جاء في المزاح حديث رقم 2058،

ومعني

قوله: «إنك تداعبنا»

إنما يعنون أنك تمازحنا.

[(2)] (سنن أبي داود) ج 5 ص 270 حديث رقم 4998.

[(3)] (سنن الترمذي) ج 3 ص 241 حديث رقم 2060 (الشمائل المحمدية) ص 120.

[(4)] (الأدب المفرد) ج 1 ص 359 حديث رقم 268.

[(5)] (سنن أبي داود) ج 5 ص 271 حديث رقم 4999.

(253/2)

وله من حديث بشر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فسلمت فرد وقال: أدخل، فقلت: أكلّي يا رسول؟ قال: كلك، فدخلت،

قال عثمان ابن أبي العاتكة، إنما قال أدخل كلى من صغر القبة [(1)] .

وخرّج أبو داود والترمذي من حديث شريك عن عاصم عن أنس قال: ربما قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا ذا الأذنين، يمازحه.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب [(2)] .

وله من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، أَدع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز، قال: فولّت تبكي، فقال: أخبروها أنّها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله يقول: إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُزْبًا تُرَابًا [(3)] .

وخرّج عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً أو حزام بن حجال: وكان يهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن زاهراً باديها [(4)] ونحن حاضره [(5)] ، قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه وكان رجلاً دميماً [(6)] : فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال:

أرسلني، من هذا! فالتفت فعرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعل لا يَأَلُو [(7)] ما أَلْصَقَ ظهره بصدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عرفه: وجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله! إِذْنُ وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِداً، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لكن عند الله لست بكاسد، أو قال:

[(1)] [(سنن أبي داود) ج 5 ص 272 حديث رقم 5000، 5001.

[(2)] [(سنن أبي داود) ج 5 ص 272 حديث رقم 5002.

[(3)] [(الشمائل المحمدية) ص 121، 122، والآيات 35، 36، 37 من سورة الواقعة،

وقيل إن هذه العجوز هي صفية بنت عبد المطلب.

[(4)] أي: نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته، والبادي: هو المقيم بالبادية.

[(5)] أي حاضرو المدينة له، وهذا من حسن المعاملة تعليماً لأُمَّته في متابعة هذه المجاملة.

[(6)] أي قبيح الصورة مع كونه مليح السيرة.

[(7)] أي لا يقصر.

(254/2)

لكن عند الله أنت غال.

وخرّج أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج الأندلسي في كتابه في تسمية من روي عن مالك بن أنس من حديث عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: مازح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً فقال:

ضرب الله عنقك، فقال: في سبيله يا رسول الله! قال في سبيله.

وخرّج الإمام أحمد من حديث سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: سابقني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبقته، فلبثنا حتى إذا أُرْهِقَني اللحم سابقني فسبقتي فقال: هذه بتيك [(1)] .

وخرّج الإمام أحمد من حديث أبي حفص الميعطي قال: حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أأبدن، فقال للناس: تقدموا فتقدموا ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس تقدموا فتقدموا، فقال تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقتني، فجعل يضحك، وهو يقول هذه بتلك [

(1) .

وخرَج أبو بكر الشافعيّ من حديث يحيى بن سعيد القطان عن الصلت ابن الحجاج عن عاصم الأحوال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال لعائشة رضي الله عنها ذات يوم: ما أكثر بياض عينيك!
وله من حديث ابن المبارك قال: حدثنا حميد الطويل عن ابن أبي الورد عن أبيه أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم رآه، قال: فرأى رجلا أحمر فقال: أنت أبو الورد؟
ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم يدلّع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبيّ حمرة لسانه فيهش إليه.
ولابن حبان من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة قال: سمعت عبد

[(1)] (مسند أحمد) ج 6 ص 39، 129، 182، 261، وأخرجه ابن ماجة في النكاح باب حسن معاشرّة النساء، ونسبه النسائي للمنزري، وأبو داود في سننه ج 3 ص 65 باب في السبق على الرّجل حديث رقم 2578.

(255/2)

الله بن يزيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي داود عن طفيل بن سنان عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم إني لأمزح ولا أقول إلا حقا.
وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلّم للصبي: يا أبا عمير! ما فعل النغير؟
وقال شعبة: حدثني علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت في النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم دعابة.
وقال ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم من أفكّه الناس.
وقال خالد الحذاء عن أبي قلابة عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان مزّاحا: وكان يقول: إن الله لا يؤاخذ المزّاح الصادق في مزاحه.
وقال وهب بن جرير عن أبيه قال: سمعت زيد بن أسلم يحدث أنّ خوات ابن جبير قال [(1)] :
نزلت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم مرّ [(2)] الظهران فخرجت من خبائي، فإذا نسوة يتحدثن فأعجبني، فرجعت فأخرجت حلّة لي من عيبي فلبستها ثم جلست إليهن فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم من قبته فقال [(3)] : أبا عبد الله! ما يجلسك إليهن؟ قال:

فقلت يا رسول الله: جمل لي شرود أبتغي له قيذا: فمضى رسول الله وتبعته: فألقى رداءه [(4)]
[ودخل الأراك ففضى حاجته وتوضأ، ثم جاء فقال:
يا أبا عبد الله! ما فعل شراد جملك؟ ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقني في المنزل إلا قال: السلام
عليكم أبا عبد الله: ما فعل شراد جملك؟ قال: فتعجلنا إلى المدينة فاجتبت [(5)] المسجد
ومجالسة رسول الله، فلما طال ذلك عليّ تحينت ساعة خلوة [(6)] ، فجعلت أصليّ، فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلّم في بعض حجره، فجاء فصلّي ركعتين خفيفتين ثم جلس، وطوّلت
رجاء أن يذهب ويدعني، فقال طوّل يا أبا عبد الله ما شئت فلست بقائم حتى تنصرف، فقلت
والله لأعتذرني إلى رسول

[(1)] (النهاية لابن الأثير) ج 2 ص 457، 458.

[(2)] كذا في (خ) ، وفي (النهاية) «بمر الظهران» .

[(3)] في (النهاية) «فمرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم فهبته، فقلت: يا رسول الله جمل لي
شرود وأنا أبتغي له قيذا» .

[(4)] في (النهاية) «ما ألقى إليّ رداءه» .

[(5)] في (النهاية) «فتعجلت إلى المدينة واحتفتيت المسجد» .

[(6)] في (النهاية) «خلوة المسجد ثم أتيت المسجد فجعلت أصلي» .

(256/2)

الله [(1)] ، فانصرفت، فقال: السلام عليكم يا أبا عبد الله، ما فعل شراد الجمل؟
فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت، فقال: رحمك الله مرتين أو ثلاثا: ثم
أمسك عني فلم يعد.

فصل في ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسمته وهديه
اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كانت له آداب، منها: أنه ان يمينه لظهوره، ويسراه
لدفع الأذى، ويخفض صوته، ويخمر وجهه إذا عطس، وكان يقعد القرفصاء، ويحتبي إذا جلس
بيديه، ويتكئ على يساره: ويستلقي واضعا إحدى رجله على الأخرى، ويكثر الصمت، ويعيد
الكلمة ثلاثا، وإذا سلّم سلّم ثلاثا، ويسمع الشعر ويتمثل به ويكثر التبسم: ويجب الفأل ولا
يتطير، ويغير الاسم القبيح، ويقبل الهدية ويثبت عليها، ويكثر مشاورة أصحابه، ويجسر عن رأسه

حتى يصيبه المطر، ويحتاط في نفي التهمة عنه، ويعرف من وجهه رضاه وغضبه، ويخالط الناس ويحذرهم ويحترس منهم، ويتفقد أصحابه، ويقول في حلفه إذا حلف: لا ومقلب القلوب، ويقول: لا والذي نفسي بيده، ويقول: لا، وأستغفر الله، وإذا أراد أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك، اشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فأما جعله يميناً لظهوره ويسراه لدفع الأذى

فخرّج ابن حبان من حديث عيسى بن يونس عن سعيد بن أبي عرونة: عن أبي معشر عن إبراهيم: عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم، كانت يده اليميني لظهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما به من أذى.

وأما محبته التيمن في أفعاله

فخرّج مسلم من حديث أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحب التيمن في ظهوره إذا تطهر، وفي ترجله إذا ترجل، وفي انتعاله إذا انتعل.

[(1)] في (النهاية) «إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبرئ من صدره» .

(257/2)

وخرّج البخاري ومسلم من حديث الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله: في ظهوره، وترجله، وتنعله. لم يقل مسلم: ما استطاع، وقال في نعله وترجله وظهره. ذكره البخاري في كتاب الصلاة: في باب التيمن في دخول المسجد وغيره، وذكره في كتاب الطهارة في باب التيمن في الوضوء والغسل، وفي كتاب الأطعمة في باب التيمن في الأكل وغيره، وفي كتاب اللباس. وذكر عمر بن شبة من حديث أشعث بسنده هذا: ولفظه عن عائشة قالت:

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أخذ شيئاً أخذه بيمينه، وإذا أعطى شيئاً أعطى بيمينه: ويبدأ بميامنه في كل شيء.

وأما فعله عند العطاس

فخرَجَ أبو بكر بن أبي شيبة من حديث يحيى بن سعيد وأبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان، عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ عطس أمسك على وجهه وغضَّ صوته. وقال يحيى: خَمَّرَ وجهه. وخرَّجه الترمذي من حديث يحيى بسنده وقال: كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وغض به صوته، وقال - أي الترمذي - : هذا حديث حسن صحيح.

وخرَّجه أبو داود بهذا الإسناد وقال: وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غض بما صوته (شك يحيى).

وخرَّجه قاسم من حديث إدريس بن يحيى الخولاني قال: أخبرني عبد الله ابن عباس عن ابن هرمز عن أبي هريرة، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إذا عطس أحدكم فليضع كَفَّهُ على وجهه ويخفض صوته.

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: سمعت عبد الله بن جعفر ذي الجناحين يقول: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا عطس حمد الله فيقال له: يرحمك الله، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وأما جلسته واحتباؤه واتكاؤه واستلقاؤه

فخرَّج أبو داود من حديث حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزباد

(258/2)

عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب: سمعت خارجة بن زيد يقول: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوقر الناس في مجلسه: لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه.

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن حسان عن جدته عن قبيلة بنت مخزومة أنها رأت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق. وسيرد في فصل كتب رسول الله بطوله. وله من حديث ديبح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جدته أبي سعيد الخدري قال: كان

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ احْتَبَى بِيَدَيْهِ.
 وله من حديث إسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متكئا على وسادة على يساره.
 ومالك عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستلقيا في المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى، قال أبو عمر بن عبد البر: قدح فيه عبد العزيز بن أبي سلمة: فرواه عن ابن شهاب عن محمود بن لبيد عن عباد بن تميم عن عمه قال: ولا وجه لذكر محمود بن لبيد في هذا الإسناد، وهو من الوهم البين عند أهل العلم. قال فاطن - أن السبب الواجب لإدخال مالك هذا الحديث في موطنه ما بأيدي العلماء من النهي عن هذا المعنى، وذلك أن الليث بن سعد وابن جريج وحماد بن سلمة: رووا عن أبي الزبير عن جابر: قال: نهي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلق على ظهره.
 وروي محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو بن دينار عن جابر، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهي أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى ويستلقي، قاله لنرى والله أعلم أن مالكا بلغه هذا الحديث، وكان عنده عن ابن شهاب حديث عباد بن تميم هذا فحدث به على وجه الدفع لذلك، ثم أردف هذا الحديث في موطنه بما رواه عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يفعلان ذلك، فكأنه ذهب إلى أن نهي عن ذلك منسوخ بفعله، واستدل على نسخه بفعل الخليفين بعده، وذكر من حديث ابن شهاب عن عباد بن تميم أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يفعلان ذلك. ومن حديث ابن شهاب قال: حدثني عمر

(259/2)

ابن عبد العزيز أن محمد بن نوفل أخبره أنه رأى أسامة بن زيد بن حارثة في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك، قال: أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع أنه رأى ابن عمر رضي الله عنه يفعل ذلك.

وأما صمته وإعادته الكلام والسلام ثلاثا وهدية في الكلام وفصاحته

فخرج أبو بكر محمد بن عبد الله من حديث قيس بن الربيع عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال نعم، كان كثير الصمت. وخرجه الإمام أحمد من حديث فريك عن سماك، فذكر به نحوه إلا أنه قال: وكان طويل الصمت.

وخرّج البخاري من حديث عبد الله بن المثني، حدثنا ثمامة بن عبد الله عن أنس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا سلم سلم ثلاثا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا ذكره في باب التسليم والاستئذان ثلاثا وفي كتاب العلم ولفظه فيه: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى يفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا. ذكره في باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها، وقال ابن عمرة: هل بلغت ثلاثا.

وخرّج أبو داود من حديث محمد بن إسحاق عن يعقوب عن عتبة عن عمر ابن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء.

وخرّج من حديث مسعد قال: سمعت شيئا في المسجد يقول: سمعت جابر ابن عبد الله رضي الله عنه يقول: كان في كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترتيب وترسيل. وخرّج من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلا يفهمه كل من سمعه، وفي رواية: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسرد سردكم هذا، كان يتكلم بكلام ينشئه فصلا يحفظه من يسمعه. وفي رواية كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه.

(260/2)

وفي حديث هند بن أبي هالة: كان لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير. وفي حديث أم معبد: وكان إذا صمت فعليه الوقار، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدثون، حلو المنطق لا نذر ولا هذر.

وخرّج أبو محمد الدارمي من حديث موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تكلم يرى كالتور بين ثناياه [(1)]. وقال السهيلي: فقد روي أنه كان يسطع على الجدار نور من ثغره إذا تبسم، أو قال: تكلم. وفي حديث هند أيضا: كان إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدّث أفضل بها، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى.

وقال علي بن الحسين بن واقد: حدثنا أبي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: كانت لغة

إسماعيل قد درست، فجاء بها جبريل فحفظتها.

وقال عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن جده قال: بينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم جالسا مع أصحابه، إذ نشأت سحابة، فقالوا: يا رسول الله! هذه سحابة. فقال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ تمكّنها!! فقال: كيف ترون رحاها؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ استدارتها! قال: وكيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ استقامتها!! فقال: كيف ترون برقها؟ أو ميضا؟ أم خفيا؟ أم يشق شقا؟ قالوا: بل يشق شقا، قال: فكيف ترون جوتها؟ قالوا: ما أحسنه وأشدّ سواده!! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحيا. فقالوا: يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك، قال: وما يمنعني، وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربيّ مبين، قواعدها: أسافلها، واحدها قاعدة، ورحاها: وسطها، وعظمها وبواسقها: ما علا وارتفع منها، واحدها باسقة، والوميض: اللمع الخفي، والخفي: البرق الضعيف، وجوتها: أسودها، والحيا (مقصورا) ، الغيث والخصب، وجمعه أحياء.

[(1)] (سنن الدارمي) ج 1 ص 30 باب في حسن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(261/2)

وقال شبابة بن سوار: حدثنا الحسام بن مصك عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفصح الناس: كان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم. وعن علي رضي الله عنه: ما سمعت كلمة غريبة [(1)] من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمعته يقول: «مات حتف أنفه» [(2)] ، وما سمعتها من عربي قبله.

وقال ابن الجوزي: وكل كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم وفصاحة، ومن ظرائفه:

إياكم وخضراء الدّمن [(3)] ،

وقوله: إن مما ينبت الربيع لم يقتل [(4)] حبطا أو يلّم،

ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين [(5)] ،

والناس كأسنان المشط [(6)] ،

والمرء كثير بأخيه [(7)] ،

وقوله للأنصار: إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع،

وقوله: خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة [(8)] ،
وقوله [خير المال عين ساهرة لعين نائمة] [(9)] ،
ومن بطاً به عمله لم يسرع به نسبه [(10)] ،
وحبك للشيء يعمي

[(1)] كذا في (خ) ، وفي (صفة الصفوة) ج 1 ص 202 «عربية» .

[(2)] هذا بعض حديث صحيح

رواه عبد الله بن عتيق قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذي يخرج مجاهداً في سبيل الله إن لسعته دابة أو أصابه شيء فهو شهيد، ومن مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله، ومن قتل فقد استوجب المآب.

[(3)] حديث

«إياكم وخضراء الدمن» أخرجه (الدارقطني) في (الأفراد) ، و (ابن عدي) في (الكامل) وقال (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) : هذا الحديث لا يصح من وجه.

[(4)] في (خ) «يقب» وما أثبتناه من (صفوة) ج 1 ص 203.

والمعنى: أن الماشية يروقها كبت الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك، والحبط: أن ترم بطونها وتتنفخ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا تقول حبطت الدابة حبطاً: إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ وتموت، وقوله: «يلم» أي يقرب من القتل.

[(5)] حديث

«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد في المسند، كلهم عن أبي هريرة.

[(6)] حديث

«الناس كأسنان المشط» أخرجه ابن لال (في مكارم الأخلاق) عن سهل بن سعد.

[(7)] حديث

«المراء كثير بأخيه» أخرجه ابن أبي الدنيا في (الإخوان) عن سهل بن سعد.

[(8)] السكة: الطريق المصطفة من النخل، والمأبورة: الملقحة، أراد: خير المال نتاج أو زرع.

[(9)] هذا الحديث لم أجد له تحريماً في كتب السنن.

[(10)]

قوله: من بطاً به عمله لم يسرع به نسبه» جزء من حديث طويل أوله: «من نفس عن مؤمن كربة ...» ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

ويصم [(1)] ،
كل الصيد في جوف الفرا،
القناعة مال لا ينفذ [(2)] ،
ومثل هذا كثير [(3)] .

وأما تكلمه بالفارسية

فخرّج ابن حبان من حديث أبي عاصم النبيل عن حنظلة بن أبي سفيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: قوموا فقد صنع لكم جابر سورا، قال ثعلب: إنما يراد من هذا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم بالفارسية، قوله: صنع سورا: أي طعاما دعا إليه الناس [(4)] .

وخرّج أيضا من حديث الصلت بن الحجاج عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال: مرّ بي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أشتكي بطني فقال: يا أبا هريرة، عليك بالصلاة فإنه شفاء من كل سقم،

قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يثبت عند علماء النقل، وقد روينا من أربعة طرق عن أبي هريرة، ومدارها على داود ابن عليّة، قال يحيى:

لا يكتب حديثه، وقال مرة: ليس بشيء، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا أصل له، وهذه الطريق التي يرويها ابن حبان عن الصلت لا تصح. قال أبو أحمد بن عدي الحافظ: حديث الصلت منكر، قال ابن الجوزي: ولعله أخذه من داود بن عليّة، ثم مدار الكل على ليث وقد ضعفوه، قال ابن حبان: اختلط في آخر عمره، وكان ثعلب الأسانيد، ويأتي عن الثقات بما ليس في حديثهم.

وقال علماء النقل: أبو هريرة لم يكن فارسيا، إنما مجاهد فارسي، والذي قال هذا أبو هريرة خاطب به مجاهدا، ومن رفعه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد وهم. وقد روي هذا الحديث إبراهيم بن البراء من طريق أبي الدرداء، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له ذلك، وإبراهيم يحدث بالأباطيل، قال ابن حبان: يحدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات.

[(1)] حديث «حبك للشيء يعمى ويصم» أخرجه البخاري في التاريخ وأحمد أبو داود عن أبي الدرداء.

[(2)] في (خ) «النداء» وما أثبتناه من (صفة الصفوة) ج 1 ص 206، والحديث أخرجه الرامهرمزي في (الأمثال) عن نصر بن عاصم الليثي بسند جيد ولكنه مرسل، وأخرجه أيضا العسكري.

[(3)] حديث «القناعة مال لا ينفد» أخرجه القضاعي عن أنس.

[(4)] راجع: (صفة الصفوة لابن الجوري) ج 1 ص 203 إلى ص 218.

(263/2)

وأما سماعه الشعر واستنشاؤه وتمثله به

فقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحاصر أهل الطائف لكعب بن مالك وهو إلى جنبه: هيه، لينشده فأنشده قصيدة. وخرّج مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد من حديث سفيان ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم، قال: هيه، فأنشده بيتا فقال: هيه، ثم أنشدته بيتا فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت [(1)] .

وخرّجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي، والمعتمر بن سليمان، كلاهما عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: - استنشدني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل حديث إبراهيم بن ميسرة، وزاد قال: إن كان كاد ليسلم. وفي حديث ابن مهدي قال: فلقد كاد يسلم في شعره. ذكره في كتاب الأدب. وقال البغوي: أخبرنا داود بن رشيد، حدثنا يعلي بن الأشدق قال: سمعت النابغة يقول: أنشدت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [حتى] بلغنا:

السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنترجو بعد ذلك مظهرا

فقال ابن المطهر: يا أبا ليلى! قلت الجنة؟ قال أجل إن شاء الله: ثم قلت:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادٍ تحمي صفوه إن تكذّرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرًا

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجدت: لا يفضض الله فاك (مرتين) .

وقال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة: حدثنا أحمد بن يحيى عن محمد

[(1)]

وذكره الترمذي في (الشمائل المحمدية) ص 126 حديث رقم 248 ولفظه: «كنت: ردف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْشَدْتَهُ مِائَةَ قَافِيَةٍ مِنْ قَوْلِ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ: كَمَا أَنْشَدْتَهُ بَيْتًا قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَه، حَتَّى أَنْشَدْتَهُ مِائَةَ يَمِينًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ كَادَ لَيْسَلَمُ» ، وَنَحْوَهُ فِي (سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ) ج 2 ص 1236 حَدِيثٌ رَقْمٌ 3758.

(264/2)

ابن سلام، أخبرنا محمد بن سليمان عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد ابن المسيب قال: قدم كعب بن زهير متنكرا حين بلغه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوعده، فأتى أبا بكر رضي الله عنه، فلما صَلَّى الصبح أتاه به وهو مثلثم بعمامته، فقال: يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رجل يبائعك على الإسلام، فبسط يده فحسر عن وجهه فقال:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك من النار، أنا كعب بن زهير، فتجهمت الأنصار وغلظت له لما كان من ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلانت له قريش وأحبوا إسلامه، فأتمته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنشده مدحته التي يقول فيها:

بانة سعاد فقلبي اليوم متبول

فكساه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بردة اشتراها معاوية بن أبي سفيان من الكعب بن زهير بعده بمال كثير، فهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين [(1)] .

وقال عمرو بن شيبان: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثني مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، حدثني سهل بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل رسول الله وأنا [أنشد] [(2)] هذين البيتين:

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعف ... يوما فتدركه عواقب ما جني [(3)]

يجزيك أو يثني عليك، وإنّ من ... أثني عليك بما فعلت كمن جزى [(4)]

[(1)] وأثنى فيها على المهاجرين، ولم يذكر الأنصار، فكلمته الأنصار، فصنع فيهم حينئذ

شعرا، ولا أعلم له في صحبته وروايته غير هذا الخبر، وفي هذه القصيدة يقول:

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهتد من سيوف الله مسلول

أنبت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

ومما يستجد لكعب بن زهير قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأجيني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها ... فالنفس واحدة والهّم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر
راجع (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر ج 9 ص 227، ترجمة 2191، و
(الشعر والشعراء لابن قتيبة) ج 1 ص 158 وما بعدها.
[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] لا يجر: لا نرجع إلى النفس، وأصل الحور الرجوع إلى النفس.
[(4)] هذان البيتان غير واضحين في (خ) ، وما أثبتناهما من (الشعر والشعراء لابن قتيبة) ج
1 ص 388 عند ترجمة زهير ابن جناب.

(265/2)

فقال: ردي علي قول اليهودي قاتله الله، لقد أتاني جبريل برسالة من ربي:
أيما رجل صنع إلى أخيه صنعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء والدعاء فقد كافأه [(1)] :
قيل هما لغريص اليهودي، وهو السموأل بن عادية، وقيل لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل لورقة بن
نوفل، وقيل لزهير بن جناب: وقيل عامر الحرمي، والصحيح أنهما لغريص أو لابنه.
قال ابن الجوزي: وقد أنشده جماعة منهم العباس، وعبد الله بن رواحة، وحسان وضرار، وأنس
بن زعيم، وعائشة في خلق كثير، قد ذكروهم في كتاب أحكام الانتشاء.
وخرّج الترمذي من حديث شريك، عن المقدم بن شريح عن أبيه عائشة رضي الله عنها، قال:
قيل لها: هل كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت:
كان يتمثل بشعر ابن رواحة [(2)] ، ويتمثل ويقول:
ويأتيك بالأخبار من لم تزود [(3)]
قال هذا حديث حسن صحيح [(4)] .
وخرّجه أبو بكر بن أبي شيبة من حديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمثل من الأشعار:
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وخرّجه النسائي من حديث هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة قالت:
كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استرأ الخبر تمثل بقافية طرفة:

[(1)]

وفي مسند الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: سمعت أبا عبد العزيز موسى بن عبيدة الرّبيدي يحدث عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء. (مسند الحميدي) ج 2 ص 490 حديث رقم 1160.

[(2)] هو عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء شهد العقبة وبدرا، وأحد والخندق والمشاهد بعدها، إلا الفتح وما بعده فإنه قتل يوم مؤتة شهيدا أميراً.

[(3)] بضم التاء وكسر الواو المشددة، وهو من التزويد، وهو إعطاء الزاد، وأول البيت.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

[(4)] (الشمائل المحمدية) ص 122 حديث رقم 241.

(266/2)

ويأتيك بالأخبار من لم تزود [(1)]

وخرّجه الإمام أحمد بهذا السند ولفظه: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استراث الخير تمثل فيه ببيت طرفه، فذكره.

وخرّجه البخاري في الأدب المفرد من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك:

عن عكرمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها: هل سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمثل شعرا قط؟ فقالت: كان أحيانا إذا دخل بيته يقول:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وخرّج عبد الرزاق عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم في سفر، فنزل رجل من المهاجرين فجر بهم فقال:

لم يغذها مدّ ولا يضيف ... ولا تمرات ولا تعجيف

لكن غذاها اللبن الخريف ... الخصي القارص والصريف

فقالت الأنصار: انزل يا كعب: فإنما يعرض بنا، فنزل كعب بن مالك فقال:

لم يغذها مدّ ولا نصيف ... ولا تمرات ولا تعجيف

لكن غذاها الحنظل النقيف ... ومذقة كططرة الخيف

تنبت بين الزرب والكنيف

قال: فخاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون بينهما شيء، فأمرهما فركبا.

وخرّجه عن معمر قال: حدثني أبو حمزة الثمالي بنحو حديث هشام وزاد فيه:

أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم عطف ناقته وأمرهما فركبا.
وخرّجه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال: أصدق بيت قاله الشاعر، قول لبيد:
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل [(2)]

[(1)] وهذا البيت من شعر طرفه أيضا في قصيدته المعلقة.
[(2)] هذا البيت هو أول ما ذكره (ابن قتيبة) في (الشعر والشعراء) ج 1 ص 285 فيما
يستجد من شعر لبيد:

(267/2)

ذكره البخاري في كتاب الرقاق.
وخرّجا من حديث سفيان عن عبد الملك بن عمير قال: حدثنا أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن أبي
هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم. وقال البخاري: الشاعر. ذكره في كتاب الأدب، وفي أيام
الجاهلية، وفي لفظ لمسلم والترمذي قال: أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد، فذكره. وفي
لفظ لمسلم: إن أصدق بيت قاله الشاعر، فذكره. وكان أمية بن أبي الصلت أن يسلم. وفي آخر:
إن أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد.

وخرّج البخاري ومسلم من حديث قتيبة: حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد
قال: كنا مع النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم في الخندق وهم يرتجزون ونحن ننقل التراب على أكبادنا،
فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم:

اللّهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة
وخرّجه مسلم مثله سواء. ذكره البخاري في غزوة الخندق، وفي كتاب المناقب، وذكره في كتاب
الرفاق ولفظه فيه:

اللّهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة
وذكره في غزوة الخندق في كتاب الجهاد، وفي عدة مواضع. وذكره مسلم من عدة طرق.

[()]

ألا كل شيء ما خلال الله، باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل
إذا المرء أسرى ليلة ظنّ أنه ... قضى عملا، والمرء ما عاش آمل
حبائله مبثوثة بسهولة ... ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل
إلى أن قال:

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه ... إذا كشفت عند الإله المحاصل
وهذا البيت الأخير يدلّ على أنه قيل في الإسلام، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى وَحُصِّلَ مَا فِي
الصُّدُورِ الْآيَةِ 10 من سورة العاديات، أو كان ليبد قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب. مثل
غيره من شعراء الجاهلية.

(268/2)

وخرّجا من حديث شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء قال: كان رسول الله صلّى الله عليه
وسلم يوم الأحزاب ينقل معنا التراب، ولقد رأيته وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:
والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا ... إن الأولى قد بغوا علينا
قال: وربما قال:

إن الملا أبوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا
ويرفع بها صوته

وقال البخاري: ولولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، إن الأولى، وربما: إن الملا قد بغوا
علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا. يرفع بها صوته وكرهه في عدة مواضع [(1)] .

وخرّجا من حديث شعبة عن أبي إسحاق قيل للبراء: أوليتم مع النبي يوم حنين؟ فقال: أمّا النبي
صلّى الله عليه وسلم فلا، كانوا رماة، فقال:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب [(2)]
وكرراه.

وخرّجا أيضا من حديث شعبة عن الأسود بن قيس عن جندب بن أبي سفيان البجلي قال:
أصاب حجر إصبع رسول الله صلّى الله عليه وسلم فدميت فقال:
هل أنت إلا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لا قيت؟
وخرّجه الترمذي أيضا.

وأما تبسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مستجمعا قط ضاحكا
حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم.

[(1)] (صحيح البخاري) ج 4 ص 250.

[(2)] (مسلم بشرح النووي) حديث رقم 78 باب 27 كتاب 32.

(269/2)

وخرَج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة قال: سمعت عبد الله بن الحارث
بن جزء يقول: ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وخرَج ابن حبان من حديث عبد الحميد بن زياد بن صهيب عن أبيه عن صهيب قال: ضحك
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه.
وخرَج من حديث بقية عن حبيب بن عمر الأنصاري عن شيخ يكنى أبا عبد الله الصمد قال:
سمعت أم الدرداء تقول: كان أبو الدرداء إذا حدّث حديثا تبسم، فقلت: لا يقال أنك أي أحمق،
فقال: ما رأيت أو سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث حديثا إلا تبسم.
وفي رواية كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم، فقلت له: إني أخشى أن يحملك الناس،
فقال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحدث بحديث لا تبسم.
ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: ضحك رسول الله صَلَّى اللهُ
عليه وَسَلَّمَ حتى بدت أنيابه. وكذا
من حديث وهب بن جرير، أخبرنا أبي قالت سمعت ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه
قال: أقبل أعرابي على ناقته له حتى أناخ بباب المسجد، فدخل على نبي الله - وحمزة بن عبد
المطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم النعيمان - فقالوا للنعيمان: ويحك! إن ناقته
نادية - أي سمينة - فلو نحرمتها فانا قد قدمنا إلى اللحم، ولو فعلت عزمها رسول الله وأكلنا
لحمها، فقال: إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه وجد عليّ قالوا: إلا تفعل، فقام فضرب في لبتة ثم
انطلق، فمرّ المقداد قد حفر حفرة استخرج منها طينا فقال:
يا مقداد، غيبني في هذه الحفرة وأطبق عليّ شيئا ولا تدل عليّ أحدا، فإني قد أحدثت حدثا،
ففعل، فلما خرج الأعرابي ورأى ناقته صرخ! فخرج نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: من فعل
هذا؟ قالوا: نعيمان، قال: فأين توجه؟ قالوا: ها هنا، فتبعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه

حمزة وأصحابه حتى أتى على المقداد فقال له: هل رأيت نعيمان؟ فصمت، فقال: لتخبرني أين هو؟ فقال: ما لي به علم، وأشار بيده إلى مكانه، فكشف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحفرة، فلما رآه قال: أي عدوّ نفسه، ما حملك على ما صنعت؟ قال: والذي بعثك بالحق لأمرني حمزة وأصحابه، فأرضى

(270/2)

عليه السلام الأعرابيّ وقال: شأنكم بها، فأكلوها، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذكر صنعه ضحك حتى تبدو نواجذه.

وقال زائدة عن أبان عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال: ما حججني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أسلمت، ولا رأيتني إلا ضحك [(1)] .

وفي الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكى عن رجل أخرج من النار فقيل له: تمنّ، فتمنى، فيقال له: ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول أتسخر بي وأنت الملك؟ فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه [(2)] .

ولابن حبان من حديث الليث عن جرير بن حازم عن الحسن بن عمارة عن سلمة بن كهيل عن عبد الرحمن قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما بعثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، أتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلام ابن امرأة وقعوا عليها جميعا في طهر واحد!! كلهم يدعى أنه ابنه، فأقرعت بينهم، فألحقته بالذي أصابته القرعة، ولصاحبيه مثلي دية الحد، فلما قدمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرت له ذلك فضحك حتى ضرب برجليه الأرض ثم قال: حكمت فيهم بحكم

[(1)] رواه (البخاري) ج 4 ص 64 ولفظه: «ما حججني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أسلمت ولا رأيتني إلا تبسم في وجهي ...» .

[(2)]

(مسند أحمد) ج 1 ص 379، ولفظه: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا، فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب يدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل، قال: فيرجع فيقول: قد أخذ الناس المنازل، قال: فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ قال: فيقول: نعم، فيقال له: تمنه، فيتمنى، فيقال: إن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: فلقد رأيت

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك حتى بدت نواجذه» .
ورواه (مسلم) بلفظ آخر وزاد فيه «قال: فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة» (مسلم بشرح النووي) ج 2 ص 40،

وأما معنى «أتسخر بي» هنا ففيه أقوال أشهرها ما قاله القاضي عياض:
أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله، فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا، فقال وهو لا يعتقد حقيقة معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوقين، وهذا كما
قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجل الآخر: أنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال: أنت عبدي وأنا ربك،
والله أعلم.

والمراد بالنواجذ هنا الأنياب، وقيل المراد بها الضواحك، وقيل المراد بها الأضراس، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة، ولكن الصواب عند الجمهور ما قدمناه، وفي هذا جواز الضحك وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن ولا بمسقط للمروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال، والله أعلم.

(271/2)

الله، أو قال: لقد رضي الله حكمك فيهم [1] .
قال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يثبت، فيه جماعة مجروحون ولا يصح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يزيد عن التبسم.
وخرَج الإمام أحمد وأبو يعلى والبراء والطبراني في الكبير من حديث هشام عن أبي الزبير عن عبد الله بن سلمة عن علي أو عن الزبير قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبّحهم الأمر غدوة، وكان إذا كان حديث عهد بجربيل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع.

وأما محبته الفأل وتركه الطيرة وتغييره الاسم القبيح

فخرج مسلم من حديث يحيى بن عتيق قال: أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح.
ومن حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا عدوي ولا هامة، ولا طيرة وأحب الفأل الصالح.
وخرّجا من حديث معمر وشعيب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة
قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لا طيرة وخيرها الفأل، قيل يا رسول الله وما
الفاأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعونها أحدكم.
وخرّج البخاري وأبو داود من حديث هشام: أخبرنا قتادة عن أنس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلّم قال: لا عدوي ولا طيرة، ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة.
وخرّج أبو داود من حديث هشام عن قتادة عن عبيد الله بن مريدة عن أبيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلّم كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه، فإذا

[(1)]

(مسند الحميدي) ج 2 ص 345 من حديث زيد بن أرقم حديث رقم 785 وقال فيه: «فلما
قدمنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرنا ذلك فقال له: ما أعلم فيها إلا ما قال علي»
(مسند أحمد) ج 4 ص 374 من حديث زيد بن أرقم بنحوه، (سنن النسائي) ج 6 ص 182
باب القرعة في الولد إذا تنازعا فيه،
وقال: «فذكر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضحك حتى بدت نواجذه»، ولم يذكر أحد من
أهل العلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يزيّد عن التيسم.

(272/2)

أعجبه اسمه فرح به رئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهة ذلك في وجهه، وإذا دخل
قربة سأل عن اسمها، فإذا أعجبه اسمها رئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك
في وجهه.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد: أن رسول الله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للقة تحلب:
من يحلب هذه؟ فقام رجل، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اسمك؟

فقال الرجل: مرّة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجلس، ثم قال: من يحلب هذه؟
فقام رجل فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اسمك؟ فقال: حرب، فقال له: اجلس، ثم
قال: من يحلب هذه؟ فقام رجل، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اسمك؟ فقال:
يعيش، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احلب. هكذا رواه مالك موقوفا على يحيى]

[(1)] .

وخرّج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتطير ولكن يتفأل، فركب بريدة في سبعين راكبا من أهل بيته من بني سهم، فلقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له رسول الله: من أنت؟ قال: بريدة، فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: برد أمرنا وصلاح، ثم قال ممن؟ قال: من أسلم، فقال لأبي بكر سلمنا، ثم قال: ممن؟ قال: من سهم، قال: خرج سهمك. فقال بريدة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فمن أنت؟ قال: محمد ابن عبد الله رسول الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعا، فقال بريدة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تدخل المدينة إلا معك لواء، فحلّ عمامته ثم شدّها في رمح ثم مشي بين يديه حتى دخل المدينة. قال بريدة: الحمد لله الذي أسلمت [له] [(2)] بنو سهم طائعين.

وخرّج الترمذي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس: أن نبي الله

[(1)] [موطأ مالك] ص 690 باب ما يكره من الأسماء، حديث رقم 1776.

قال ابن عبد البر: ليس هذا من باب الطيرة لأنه محال أن ينهي عن شيء ويفعله، وإنما هو من باب طلب الفأل الحسن، وقد كان أخبرهم عن شرّ الأسماء أنه حرب ومرة، فأكد ذلك حتى لا يتسمى بهما أحد. (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك) ج 2 ص 245. وفي (خ) «القحة تجلب من تحلب» وما أثبتناه من (الموطأ).

[(2)] [زيادة للسياق.

(273/2)

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا راشد... يا نجيح. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

وخرّج البزار من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا أبردتم إليّ بريدا فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم، ذكره أنه لا يعلم رواه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه إلا قتادة. وقال هشام الدستواني عن يحيى بن كثير قال: كتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمراء الأجناد ألا توفدوا إلينا إلا برجل حسن الوجه حسن الاسم.

وخرّج ابن حبان من حديث مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي

الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع كلمة فأعجبته فقال: أخذنا فألك من فيك.
 وخرَجَ الترمذي من حديث عمر بن علي المقدمي عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي
 الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يغير الاسم القبيح، وربما قال عمر ابن علي في هذا
 الحديث هشام بن عروة عن أبيه، ولم يذكر فيه عائشة.
 وخرَجَ مسلم والترمذي من حديث يحيى عن سعيد عن عبيد الله قال: أخبرني نافع عن ابن عمر
 أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير اسم عاصية وقال: أنت جميلة [(1)].
 ولمسلم من حديث سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن كريب عن ابن عباس
 رضي الله عنه قال: كانت جويرة اسمها برّة، فحول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمها جويرة،
 وكان يكره أن يقال: خرج من عند برّة [(1)].
 وللبخاري ومسلم من حديث شعبة عن عطاء بن ميمونة عن أبي رافع عن أبي هريرة أن زينب ان
 اسمها برّة، فقبل تزكي [(2)] نفسها، فسامها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب.

[(1)] (مسلم بشرح النووي) ج 14 ص 119، 120. باب استحباب تغيير الاسم القبيح
 إلى حسن وتغيير اسم برّة إلى زينب وجويرة ونحوهما.
 [(2)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وما أثبتناه من المرجع السابق.

(274/2)

ولمسلم من حديث الوليد بن كثير قال: حدثني محمد بن عمر عن عطاء قال:
 حدثني زينب ابنة أم سلمة قالت: كان اسمي برّة، فسماني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب،
 قالت: ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برّة فسامها زينب.
 ومن حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمر بن عطاء قال:
 سميت ابنتي برّة، فقالت لي زينب ابنة أبي سلمة: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهي عن هذا
 الاسم، وسميت برّة فقال رسول الله: لا تركوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البرّ منكم، فقالوا: بم
 نسميها؟ قال: سموها زينب [(1)].

وخرَجَ الإمام أحمد من حديث عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن
 علي عن علي رضي الله عنه قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه بعمة جعفر،
 قال: فدعاني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني أمرت أن أغير اسم هذين، قلت: الله
 ورسوله أعلم، فسامها حسنا وحسينا.

وخرَجَ قاسم بن أصبغ وأحمد بن حنبل من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ عن علي رضي الله عنه قال: لما ولد الحسن جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: سميته حربا، قال بل هو حسين، فلما ولد الثالث جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أروني ابن، ما سميتموه؟ قلت: حربا، قال هو محسن [(2)] .

وخرج الإمام أحمد حديث سفيان عن أبي إسحاق عن رجل من جهينة قال: سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلا يقول يا حرام، فقال: يا حلال.

ومن حديث يحيى بن أبي بكير، حدثنا عبيد الله بن إيراد [(3)] بن لقيطة [السدوسي] [(4)] [عن أبيه عن ليلي امرأة بشير بن الحضامية عن بشير قال - وكان

[(1)] المرجع السابق.

[(2)] ثم زاد أسد،

ثم قال: إني سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر. (الاستيعاب لابن عبد البر) ج 3 ص 100.

[(3)] في (خ) «أبان» .

[(4)] ما بين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (الجرح والتعديل) ج 2 ص قسم 2 ص 307 ترجمة رقم 1462 وهو ثقة كما قال عنه يحيى بن معين.

(275/2)

قد أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسمه زحم - فسماه النبي بشيرا [(1)] .

ومن حديث إسماعيل بن عياش عن بكر بن زرعة الخولاني عن مسلم بن عبد الله الأزدي قال:

جاء عبد الله بن قرظ الأزدي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: ما اسمك؟

قال: شيطان بن قرظ، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنت عبد الله بن قرظ.

ومن حديث شعبة عن عبد الله بن أبي السفر [(2)] عن عامر الشعبي عن عبد بن مطيع ابن

الأسود، حدثني عدي بن كعب عن أبيه مطيع - وكان اسمه العاصي - فسماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطيعا.

قال سمعت رسول الله حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول: لا تغزى مكة

بعد هذا اليوم أبدا.

ولأبي داود [(3)] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: ما اسمك؟ قال: حزن، قال: بل أنت سهل، قال: لا، السهل يوطأ

ويمتنهن،

قال سعيد: فظننت أن ستصيبنا بعده حزنونة. قال أبو داود:

وغير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه العاص وعزيز وعتلة [(4)] وشيطان والحكم وخراب وحباب وشهاب فسماه هشاما، وسمي حربا سلما [(5)] ، وسمي المضطجع المنبعث، وأرض

[(1)] ونحوه في (سنن أبي داود) ج 3 ص 554 حديث رقم 3230 باب المشي في النعل بين القبور.

[(2)] في (خ) «اليفر» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) ج 4 ص 340 عند ترجمة شعبة بن الحجاج رقم 580.

[(3)] وأخرجه (البخاري) في الأدب باب اسم الحزن وفيه [قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزنونة بعد] .

[(4)] العتلة: عمود حديد تخدم به الحيطان، وقيل: حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر.

[(5)] أما (العاص) : فإنما غيره كراهة لمعنى العصيان، وإنما سمة المؤمن: الطاعة والاستسلام.

و (عزیز) : إنما غيره لأن العزة لله سبحانه، وشعار العبد: الذلة والاستكانة، وقد قال سبحانه عند ما يقرع بعض أعدائه: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان: 49] .

و (عتلة) : معناها الشدة والغلظة، ومنه قولهم: رجل عتلّ: أي شديد غليظ. ومن صفة المؤمن: اللين والسهولة.

و (شيطان) : اشتقاق من الشطن: وهو البعد عن الخير، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس.

و (الحكم) : هو الحاكم الذي إذا حكم لم يردّ حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه، ومن أسمائه الحكم.

و (خراب) : مأخوذ من الغرب، وهو البعد. ثم هو حيوان خبيث الفعل، خبيث الطعم، وقد أباح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتله في الحل والحرم.

و (حباب) : نوع من الحيات، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان.

(276/2)

تسمى عفرة [(1)] سماها خضرة، وشعب الضلالة سماها شعب الهدى، وبني الزنية سماهم بني

الرّشدة، وسمي بني مغوية بني رشدة [(2)] . قال أبو داود: وتركنا أسانيدهما للاختصار.

وخرّج بقي [بن] مخلد من حديث عبدة بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم مرّ بأرض تسمى مجدبة فسمّاها خضرة.

وخرّج البخاري من حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: ما اسمك؟ قال: حزن، قال: أنت سهل، قال لا أغير اسما سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعده. ترجم عليه باب اسم الحزن، وذكره أيضا في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه.

[و] [(3)] من حديث ابن جريج، أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبه قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده قدم على النبي فقال: ما اسمك؟ (الحديث بنحو منه) .

وللبخاريّ ومسلم من حديث أبي غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أتى بالمنذر بن أبي أسيد إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم حين ولد فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس، فلهي النبي صَلَّى الله عليه وسلّم بشيء بين يديه، فأتي أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فأقبلوه [(4)] ، ...

[()] فقيل: إنه أراد به المارد الخبيث من شياطين الجن، وقيل: - أراد نوعا من الحيات يقال لها: الشياطين. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ [الصفات: 65] .
و (الشهاب): الشعلة من النار، والنار عقوبة الله سبحانه، وهي محرقة مهلكة.

[(1)] وأما (عفرة): فهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئا، أخذت من العفرة، وهي: لون الأرض القحلة فسمّاها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتمرع.
وقوله: (عفرة): المحفوظ عقرة بالقاف. كأنه كره اسم العقرة، لأن العاقر هي المرأة التي لا تحمل، وشجرة عاقر: لا تحمل.

[(2)] يقال: هذا ولد رشدة: إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضده: ولد زنية، بالكسر فيهما، وقيل بالفتح. (معالم السنن للخطابي) على هامش (سنن أبي داود) ج 5 ص 241 وما بعدها، تعليقا على الحديث رقم 4956.

[(3)] زيادة للسياق.

[(4)] فأقبلوه: أي ردوه وصرّفوه في جميع نسخ (صحيح مسلم) فأقبلوه بالألف وأنكره جمهور أهل اللغة والغريب وشراح الحديث وقالوا: صوابه قبلوه بحذف الألف. قالوا: قال: قلبت الصبي والشيء صرفته ورددته.

فاستفاد النبي [(1)] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أين الصبي؟ فقال أبو أسيد: ألقبناه يا رسول الله، قال ما اسمه؟ قال: فلان، قال: لا، ولكن اسمه المنذر، فسماه يومئذ المنذر.

وذكره البخاري [(2)] في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ولم يقل: فأقبلوه، وقال: ولكن اسمه المنذر، لم يذكر لا.

وخرّج أبو داود [(3)] من حديث بشير بن ميمون عن عمه عن أسامة ابن أهدري أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما اسمك؟ قال [أنا] [(4)] أصرم، قال: بل أنت زرعة.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا يزيد بن المقدم بن شريح عن المقدم بن شريح عن أبيه عن جده هاني بن شريح أنه ذكر أنه أول ما وفد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قومه سمعهم وهو يكون هاني أبا الحكم، فدعاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنه الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكن أبا الحكم؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء فحكمت بينهم رضى كلا الفريقين، قال: ما أحسن هذا، قال: فما لك من الولد؟ قال:

شريح بن هاني وعبد الله ومسلم قال أين أكبرهم؟ قال: شريح، قال: أنت أبو شريح، فدعاه له ولولده، وسمع القوم وهم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال:

ما اسمك؟ فقال: عبد الحجر، فقال: بل أنت عبد الله— وأنه لما حضر خروج القوم إلا بلادهم أعطى كل رجل منهم [(5)] في بلاده حيث أحب، إلا أن هاني قال له: يا رسول الله، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة، قال: عليك بحسن الكلام وبذل الطعام. وذكره أبو داود في باب تغيير الاسم القبيح إلى قوله—: فأنت أبو شريح، وبعده قال أبو داود: هذا هو الذي كسر السلسلة وهو ممن دخل تستر.

وخرّجه النسائي [(6)] أيضا والبخاري في الأدب المفرد [(7)] .

[(1)] أي انتبه من شغله وفكره الذي كان فيه والله أعلم (مسلم بشرح النووي) ج 14 ص 128.

[(2)] (صحيح البخاري) ج 4 ص 80.

[(3)] (سنن أبي داود) ج 5 ص 239 حديث رقم 4954.

[(4)] [زيادة من نص (أبي داود)] .

وإنما غير اسم (أصرم) لما فيه معنى الصّرم وهو القطيعة، يقال: صرمت الحبل: إذا قطعتة، وصرمت النخلة، إذا جذدت ثمرها. (معالم السنن للخطابي) ج 5 ص 240.

[(5)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) «ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(6)] (سنن النسائي) ج 8 ص 326 باب إذا حَكَمُوا رجلا ففضى بينهم.

[(7)] (فضل الله الصمد) ج 2 ص 283 حديث رقم 811.

(278/2)

وأما قبوله الهدية ومثوبته عليها

فخرج أبو بكر الشافعي من حديث علي بن خشرم قال: حدثنا عيسى ابن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل الهدية ويثيب عليها، وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة: ابن أخي! لتنظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قلت: يا خالة! ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألبانها فيسقينها. وفي رواية: كانت لم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألبانهم فيسقينها. وخرج البخاري من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدى إلي ذراع لقبلت.

وأما مشاورته أصحابه

فقال تعالى: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [(1)] .

وقد اختلف السلف في المعنى الذي من أجله أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشاورهم فيه، فقال بعضهم: أمره بمشاورة أصحابه في مكائد الحروب وعند لقاء العدو، وتطيينا منه بذلك لأنفسهم، وتألفا لهم على دينهم، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه بتدبيره له أموره، وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم، وإلى هذا ذهب قتادة والربيع وابن إسحاق والشافعي.

قال قتادة: أمر الله تعالى نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحي السماء، لأنه أطيّب لأنفس القوم، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا بذلك وجه الله، عزم الله لهم على رشده. وقال الربيع: أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه الوحي من السماء، لأنه أطيّب لأنفسهم.

(279/2)

وقال ابن إسحاق: وشاورهم في الأمر: أي لقولهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم، وإن كنت عنهم غنيا، تألفهم بذلك على دينهم.

وقال الشافعي، وكقوله عليه السلام: والبكر تستأمر، تطيبها لقلبها لأنه واجب.

وقال آخرون: بل أمره الله بمشورتهم في ذلك ليتبين له الرأي وأصوب الأمور في الأمور، لما علم

الله تعالى في المشورة من الفضل. وإلى هذا ذهب الضحاك ابن مزاحم والحسن.

قال الضحاك: ما أمر الله نبيه بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل، وعن الحسن: ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم.

وقال آخرون: إنما أمره [(1)] الله بمشاورة أصحابه مع استغنائه عنهم، ليتبعه المؤمنون وبعده

فيما جد لهم من أمر دينهم، لأنهم إذا تشاوروا في أمر دينهم متبعين الحق في المشورة، لم يخلصهم الله

من لطفه وتوفيقه إياهم للصواب من الرأي، ونظيره قوله تعالى فيما مدح به المؤمنين: وَأَمْرُهُمْ

شُورَى بَيْنَهُمْ [(2)] .

قال سفيان بن عيينة في قوله: وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ: قال: هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتم

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أثر.

واختار أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: أن الله تعالى أمر نبيه بمشاورة أصحابه فيما حربه [(3)]

[من أمر عدوه ومكائده حربه تألفا منه بذلك لمن لم يأمن عليه الفتنة، وتعريفا لأمته ليقتدوا به في

ذلك عند النوازل، وأما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ يَعْرِفُ مَطَالِبَ مَا جَدَّ بِهِ مِنْ

الأمور بوحيه أو إلهامه إياه بالصواب، وأما أمته إذا تشاوروا مستنئين بفعله فإنه تعالى يسددهم]

[(4)] .

وقد خرج ابن حبان من حديث طلحة بن زيد عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة

رضي الله عنها قالت: ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من

[(1)] في (خ) «أمر الله» .

[(2)] الآية 38 / الشورى.

- [(3)] في (خ) «جذبه» وما أثبتناه من (الطبري) .
[(4)] [جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري] ج 3 ص 153 .

(280/2)

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وقد ذكرت فيما يأتي فصلا في ذكر من شاوره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجعه إلى رأيه، فتأمله
ففيه ما لم أره مجموعا كما أوردته فيه والله أعلم .

وأما ما يفعله عند نزول المطر
فخرج مسلم من حديث يحيى بن يحيى، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس قال:
أصابنا ونحن مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطر، قال: فحسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثوبه حتى أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله! لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربّه [(1)]

وخرج ابن حبان من حديث أيوب بن مدرك عن مكحول عن معاوية بن قرّة [(2)] قال:
سمعت أبا هريرة يقول: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يكشفون رؤوسهم في أول
مطر يكون من السماء في العام ويقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه أحدث برّنا وأعظمه
بركه .

وخرج الحاكم من حديث أبي عامر العقدي حدثنا سليمان بن سفيان المدني، حدثني بلال [(3)]
[بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رأى الهلال
قال: اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْيَمَنِ [(4)] وَالْإِيمَانَ وَالسَّلَامَةَ وَالْإِسْلَامَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ [(5)] .
ومن حديث عفان: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا أبو مطر عن سالم عن ابن عمر قال: كان
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا
تَهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ .
قال: هذا حديث صحيح الإسناد [(6)] .

- [(1)] [(مسلم بشرح النووي) ج 6 ص 197 .
[(2)] [في (خ) «قشر» وصوبناها من (تهذيب التهذيب) ج 10 ص 216 ترجمة معاوية بن
قرّة رقم 399 .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (المستدرک) «بلال بن يحيى بن طلحة» .

[(4)] كذا في (خ) ، وفي (المستدرک) «بالأمن» .

[(5)] (المستدرک للحاكم) ج 4 ص 285.

[(6)] (المرجع السابق) ج 4 ص 286.

(281/2)

وأما احتياطه في نفي التهمة عنه

فخرّج البخاري ومسلم من حديث أبي سليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: عن [عليّ] [(1)] بن الحسين أن صفيّة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم أخبرته أنها جاءت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي صلّى الله عليه وسلّم معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مرّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال لهما النبي صلّى الله عليه وسلّم: إنها صفيّة [(2)] ، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكبر عليهما، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا. ذكره البخاري في الاعتكاف، وترجم عليه باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟ وذكره مسلم في كتاب الأدب، وذكره البخاري في كتاب الخمس في باب: ما جاء في بيوت أزواج النبي [(3)] صلّى الله عليه وسلّم من حديث عبد الرحمن بن خالد عن شهاب بنحوه، وفيه: فسلمّا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم نفذّا فقال: على رسلكما، قالّا: سبحان الله! الحديث. وذكره في كتاب الأدب في باب التكبير والتسبيح عند التعجب، من حديث أبي اليمان عن شعيب، ومن حديث محمد بن أبي عتيق كلاهما عن ابن شهاب، وذكره في الاعتكاف باختلاف ألفاظ.

وأما ما يفعله إذا ورد عليه ما يسره

فخرّج أبو داود [(4)] في سننه وفي كتاب الجهاد عن مخلد بن خالد، وخرّج أبو عيسى الترمذي [(5)] في السّير من جامعه عن محمد بن المنثري، وخرّج ابن ماجه [(6)] عن عبدة بن عبد الله وأحمد بن يوسف، أربعتهم عن أبي عاصم الضحاك

[(1)] [زيادة من رواية البخاري ج 1 ص 346.

- [(2)] في (البخاري) «صفية بنت حيي» .
- [(3)] [صحيح البخاري] ج 2 ص 188.
- وخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها ج 6 ص 337، و (مسلم) ج 14 ص 155، 156.
- [(4)] [سنن أبي داود] ج 3 ص 216 حديث رقم 2774.
- [(5)] [الجامع الصحيح للترمذي] ج 3 ص 69 حديث رقم 1626.
- [(6)] [سنن ابن ماجه] ج 1 ص 446 حديث رقم 1394 وفيه قال: «حدثنا أبو عاصم عن بكار».

(282/2)

ابن مخلد الشيباني النبيل [(1)] عن أبي بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن بكرة رضي الله عنه ان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به خرّ ساجدا. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث بكار بن عبد العزيز، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر. انتهى.

وذكره أبو بكر البزار في مسنده قال: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم بهذا الإسناد أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم سرّ بأمر بشر به فخرّ ساجدا.

وذكر يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن ابن إسحاق قال: لما جاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم البشير يوم بدر بقتل أبي جهل، استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا فحلف له، فخرّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ساجدا، أو قد جاء أنه صَلَّى الله عليه وسلم صلى لما بشر بقتله [ركع] [(2)] ركعتين. وجاء من طريق ابن لهيعة:

حدثني موسى ابن وردان العامري عن أبي هريرة قال: رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم مقعدا فخرّ ساجدا.

وأما ظهور الرضى والغضب في وجهه

فخرج ابن حبان من حديث ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب عن عمه عن عبد الله بن كعب عن كعب بن مالك قال:

كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إذا سرّه الأمر استنار وجهه كأنه دائرة القمر.

وله من حديث الليث عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله صَلَّى

الله عليه وسلّم مسرورا تبرق أسارير وجهه.

وله من حديث جامع بن أبي راشد عن منذر الثوري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا سرّه الأمر استنار وجهه.

وخرّج الحاكم من حديث أبي همام محمد بن حبيب، حدثنا سفيان الثوري، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم

[(-)] ابن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه ... » .

[(1)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (تهديب التهذيب) ج 12 ص 143.

[(2)] زيادة للسياق.

(283/2)

إذا ذكر الساعة احمرّت وجنتاه واشتد غضبه وعلا صوته، كأنه منذر جيش صبحتكم مساتكم، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين.

وخرّج ابن حبان وله من حديث قتادة عن أبي السوار عن عمران بن حصين قال: كان النبي صلى الله عليه وسلّم إذا كره شيئا عرف في وجهه.

وله من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا اشتد وجده أكثر من مسّ لحيته.

وخرّج الحاكم من حديث يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله، أتأذن لي فأكتب ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضى والغضب؟ قال: نعم، فإنه لا ينبغي أن أقول عند الرضى والغضب إلا حقا.

قال الحاكم: صحيح الإسناد [(1)] .

وأما مخالطته الناس وحذره واحتراسه منهم وتفقد أصحابه

ففي حديث هند بن أبي هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يحرز لسانه إلا مما يعينهم ويؤلفهم ولا ينفهم، ويكرم كرم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس. وفي حديث علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم أجود الناس وأصدقهم

لهجة، وألبنهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه [(2)] .
وخرّج الإمام أحمد من حديث همام: حدثنا رجل من الأنصار أن أبا بكر بن عبد الله بن قيس
حدثه أن أباه حدثه أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كان يكثر زيارة الأنصار خاصة وعامة،
وكان إذا زار خاصة أتى الرجل في منزله، وإذا زار عامة أتى المسجد.

[(1)] (المستدرک علی الصحیحین) ج 1 ص 105.

[(2)] في (خ) بعد قوله «أحبه» عبارة «يمينه إذا حلف» وحذفناها لبعدها عن السياق ولعلها
سهو من الناسخ.

(284/2)

وأما يمينه إذا حلف

فخرّج البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كانت يمين
النبي صَلَّى الله عليه وسلّم لا ومقلب القلوب.

وخرّج من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صَلَّى الله عليه
وسلّم أنه قال: يا أمة محمد! لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتكم قليلا.
وهو مما اتفقا عليه [(1)] .

وخرّجا من حديث إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: بعث النبي صَلَّى
الله عليه وسلّم بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي صَلَّى الله
عليه وسلّم: إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان خليقا
للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده.
اللفظ للبخاري وقد كرره في مواضع.

وقد أورد البخاري رحمه الله في باب كيف كانت يمين النبي صَلَّى الله عليه وسلّم جملة من
الأحاديث، منها يمينه: والذي نفسي بيده، وبو الذي نفس محمد بيده: ولبقي ابن مخلد من
حديث حماد بن خالد عن محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانت يمين
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لا وأستغفر الله

وأما قوله إذا أراد القيام من مجلسه

فخرّج أبو داود من حديث الحجاج بن دينار عن أبي هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة قال: كان

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس:
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. فقال رجل: يا رسول
الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى، قال: كفارة لما يكون في المجلس. وخرجه
النسائي بنحو أو قريب منه.
والنسائي من حديث الليث عن ابن الهاد عن يحيى بن سعيد عن زرارة عن عائشة رضي الله عنها
قالت: ما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من مجلس إلا قال: لا إله

[(1)] يعني البخاري ومسلم.

(285/2)

إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقلت: يا رسول الله! ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا
قمت! قال: لا يقولهن أحد حين يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان في ذلك المجلس. وفي لفظ له:
قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من مجلس يكثُر أن يقول: سبحانك اللهم
وبحمدك، وساق الحديث بنحوه.

فصل في ذكر زهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا وإعراضه عنها وصبره على القوت
الشديد فيها واقتناعه باليسير منها وأنه كان لا يدخر إلا قوت أهله، وصفة عيشه، وأنه اختار
الله والدار الآخرة
قال الله جل جلاله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ
وَرِزْقٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ [(1)] .

وأما زهده في الدنيا وإعراضه [(2)] عنها
فقد [(3)] روى أنه عليه السلام خير بين أن يكون عبدا نبيا وبين أن يكون ملكا نبيا،
فاستشار فيه جبريل عليه السلام فأشار عليه بأن يتواضع، فاختر أن يكون عبدا نبيا.
وخرج يعقوب بن سفيان الفسوي، من حديث بقية بن الوليد، عن الزبيدي عن الزهري، عن
محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس رضي الله عنه يتحدث أن الله عز وجل أرسل
إلى نبيه ملكا من الملائكة معه جبريل عليه السلام، فقال الملك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إن الله يخبرك بين أن تكون عبدا نبيا، وبين أن تكون ملكا نبيا، فالتفت نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تواضع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أكون عبدا نبيا، قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكنا حتى لقي ربه عز وجل [(4)] .

[(1)] الآية 131 / طه.

[(2)] في (خ) «وإعراضها» .

[(3)] في (خ) «وقد» .

[(4)] سبق تخريج هذا الحديث.

(286/2)

وقال عمر بن الخطاب: رضي الله عنه في حديث اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه: فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزانتها، فإذا هو مضطجع على حصير، فأدني عليه إزاره وجلس، وإذا الحصير أثرت بجانبه، وقلبت عيني في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين - أو قال قبضة - من شعر، وقبضة من قرظ نحو الصاعين، وإذا أفيق أو أفيقان معلقان، فابتدرت عينا، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت: يا رسول الله! وما لي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وهذه خزانتك، وهذه الأعاجم كسرى وقيصر، في الثمار والأثمار، وأنت هكذا؟ قال: يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فاحمد الله. وذكر الحديث.

وفي لفظ قال: فجلست فرفعت رأسي في البيت، فو الله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهب ثلاثة، فقلت: أدع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسا فقال: أفي شك يا ابن الخطاب؟ أولئك عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: أستغفر الله يا رسول الله.

وفي رواية أنس: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مرمول بالشريط، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، ودخل عليه عمر وناس من أصحابه، فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم انحرافة، فرأى عمر - رضي الله عنه - أثر الشريط في جنبه فبكى، فقال له: ما يبكيك يا عمر؟ فقال عمر: وما لي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت على الحال التي أرى؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

يا عمر! أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ قال: بلى، قال: هو كذلك.
ولأبي داود من حديث عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: اضطجع النبي
صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه عنه وأقول:
بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط لك شينا يقيك منه تنام عليه؟
فقال: ما لي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.
وخرجه الترمذي بهذا السند ولفظه: نام رسول الله على حصير فقام وقد أثر

(287/2)

في جنبه، فقلنا يا رسول الله! لو اتخذنا لك؟ فقال: ما لي والدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب
استظل تحت شجرة ثم راح وتركها. قال: هذا حديث حسن صحيح [(1)] .
وخرجه الحاكم من حديث ثابت بن زيد: حدثنا هلال بن خباب [(2)] عن عكرمة عن ابن
عباس، ومن حديث عمرو بن مرة كما تقدم وصحاه.
وخرج ابن حبان من طريق أبي حسين الجعفي عن فضيل بن عياض عن مطر عن ابن يزيد عن عبيد
الله بن زحر عن القثم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليّ ربي
بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا شبعت حمدتك
وشكرتك، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك [(3)] .
وله من حديث محمد بن حمير عن الزارع بن نافع عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت:
اتخذت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فراشين حشوها ليف وإذخر فقال:
يا عائشة! ما لي والدنيا؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة في أصلها، حتى إذا فاء الفيء
ارتحل فلم يرجع إليها أبداً.

وخرج الإمام أحمد من حديث مالك بن مغول عن مقاتل بن بشير عن شريح ابن هانئ قال:
سألت عائشة عن صلاة رسول الله قال: لم تكن صلاة أخرى أن يؤخرها إذا كان على حدث
من صلاة العشاء الآخرة، وما صلاها قط فدخل عليّ إلا صلى بعدها أربعاً أو ستاً، وما رأيته
متقى الأرض بشيء قط [ولقد مطرنا مرة بالليل فطرحنا له نطعا، فكأنني انظر إلى ثقب فيه ينبع
الماء منه] [(4)] .

وله من حديث ابن لهيعة عن الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت:
ما أعجب رسول الله شيناً من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى. وفي رواية:
ولا أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى.

وله من حديث مروان بن معاوية قال: أخبرني هلال بن يزيد أبو يعلى قال: سمعت أنس بن مالك يقول:

- [(1)] [الجامع الصحيح للترمذي] ج 4 ص 17 حديث رقم 2483.
[(2)] في (خ) «حباب»، والتصويب من (الجرح والتعديل) ج 9 ص 75 ترجمة رقم 294.
[(3)] ونحوه في المرجع السابق باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه حديث رقم 2451.
[(4)] ما بين القوسين تكملة من (سنن أبي داود) ج 2 ص 71 حديث رقم 1303.

(288/2)

أهديت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة طوائر، فأطعمه خادمه طائرا، فلما كان من الغد أتيته به فقال لها: ألم أهلك أن ترفعي شيئا لغد؟ فإن الله يأتي برزق كل غد [(1)] .
وروي بكر بن مضر عن أبي هاني عن علي بن رباح أنه سمع عمرو بن العاص وهو على المنبر يقول: ما أبعد هديكم من هدي نبيكم، أما هو فكان أزهدهم الناس في الدنيا، وأما أنتم فأرغب الناس فيها.

ولأبي نعيم من حديث الفضيل بن عياض، أخبرنا سفيان الثوري عن عون ابن أبي جحيفة عن أبيه أن معاوية ضرب على الناس بعثا فخرجوا، فرجع أبو الدحداح فقال له معاوية: ألم تكن خرجت مع الناس؟ قال: بلى، ولكني سمعت من رسول الله حديثا فأحببت أن أضعه عندك مخافة أن لا تلقاني، سمعت [من] [(2)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: يا أيها الناس من ولى منكم عملا فحجب بابه عن ذي الحاجة المسلم [(3)] حجبته الله أن يلج باب الجنة، ومن كانت الدنيا نهمته حرم الله عليه جوارى، فإني بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارها [(4)] .

وأما صبره على القوت الشديد وقنعه من الدنيا بالشيء اليسير

فخرج البخاري من حديث عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم ارزق آل محمد قوتا. ذكره في باب كيف كان عيش النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(5)] .

وخرجه عنه مسلم بمثله في كتاب الأدب. وفي رواية: اللهم ارزق آل محمد قوتا، وفي رواية: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا، وفي رواية: اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا.

وقال محمد بن دينار الأزدي عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رفع رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَّ عِشَاءَ الْغَدَاءِ وَلَا غَدَاءَ الْعِشَاءِ، وَلَا اتَّخَذَ مِنْ شَيْءٍ زَوْجِينَ، لَا قَمِيصِينَ وَلَا رِدَائِينَ وَلَا إِزَارِينَ وَلَا مِنْ النِّعَالِ، وَلَا

[(1)] [مسند أحمد] ج 3 ص 198 .

[(2)] [زيادة من الحلية] .

[(3)] [في الحلية «للمسلمين»] .

[(4)] [حلية الأولياء لأبي نعيم] ج 8 ص 130 .

[(5)] [صحيح البخاري] ج 4 ص 123 .

(289/2)

رئي قط فارغا في بيته، إما يخصف نعلا لرجل مسكين، أو يخيط ثوبا لأرملة.
وخرّج البخاري من حديث عبد الرزّاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لو كان عندي أحد ذهباً لأحببت أن لا تأتي ثلاث وعندي منه دينار، ليس شيء أرصده في دين عليّ أجد من يقبله. ذكره في كتاب التمني في باب تمني الخير [(1)]

وخرّج في كتاب الرقاق من حديث يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله، قال أبو هريرة: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرّيتي ألا تمرّ عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين. وذكره في كتاب الاستقراض في باب أداء الدين، قال بعقبه: رواه صالح وعقيل عن الزهري.

وذكر في الرقاق حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما يسرّني أن عندي يمثل أحد ذهباً تمضي عليّ ثلاثة وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لديني.

وخرّجه مسلم من طرق، وخرّجه الإمام أحمد أيضاً، ولأحمد من حديث الأعمش عن شقيق [(2)] ، عن مسروق عن عائشة قالت: ما ترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ديناراً ولا درهماً، ولا شاة ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء.

ولابن سعيد من حديث الأعمش عن عمرو بن عمر، عن أبي نصر، سمعت عائشة تقول: إني لجالسة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيت، فأهدى لنا أبو بكر رجل شاة، فإني لأقطعها مع رسول الله في ظلمة البيت، فقال لها قائل: يا محمد! ألكم سراج؟ فقالت: لو كان لنا ما يسرح به أكلناه.

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد أخفت في الله ولا أخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي [(3)] أحد، ولقد أتت علي ما بين ثلاثين من يوم وليلة، ما لي طعام آكله إلا شيء يواريه إبط بلال. خرجه ابن حبان في صحيحه.

[(1)] [المرجع السابق] ص 249.

[(2)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (المسند) .

[(3)] في (خ) «يؤذا» .

(290/2)

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه، حدثنا وكيع عن حماد عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أخفت في الله وما نخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثة ما بين يوم وليلة ما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما والاه إبط بلال.

وأما أنه لا يدخر إلا قوت أهله

فخرج ابن حبان من حديث قيس بن حفص، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يدخر شيئا.

وخرج البخاري من حديث عمر بن سعيد قال: أخبرني ابن أبي مليكة عن عقبة قال: صليت وراء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة العصر، فسلم فقام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففرغ الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال: ذكرت شيئا من تبر عندنا فكرهت أن يحسني فأمرت بقسمته.

وفي حديث روح فقال: ذكرت وأنا في الصلاة تبرأ عندنا، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا،

فأمرت بقسمته [(1)] . ذكره في كتاب الصلاة في باب يفكر الرجل [(2)] [في] [(3)]

الشيء في الصلاة، وذكره في كتاب الزكاة في باب من أحب تعجيل الصدقة من يومها ولفظه:

فقال: فقال: كنت خلفت في البيت تبرأ من الصدقة،

[(1)]

الحديث رقم (1221): «حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا روح، حدثنا عمر - هو ابن سعيد -

قال: أخبرني ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العصر، فلما سَلَّمَ قام سريعا دخل على بعض نساءه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، فقال:

ذكرت- وأنا في الصلاة- تبرأ عندنا، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته» (فتح الباري) ج 3 ص 115.

[(2)] والتقييد بالرجل لا مفهوم له، لأن بقية المكلفين في حكم ذلك سواء، قال المهلب: التفكير أمر غالب لا يمكن الاحتراز منه في الصلاة ولا في غيرها، لما جعل الله للشيطان من السبيل على الإنسان، ولكن يفترق الحال في ذلك، فإن كان في أمر الآخرة والدين، كان أخف مما يكون في أمر الدنيا. (المرجع السابق) ص 121.

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (البخاري) بدونها- وروح: هو روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري. (تهذيب التهذيب) ج 3 ص 253.

(291/2)

فكرهت أن أبيتَه فقسّمته [(1)] ، وذكره في كتاب الاستئذان في باب من أسرع في مشيه لحاجة [أو قصد] [(2)] .

وخرّج تقي بن مخلد من حديث محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجعه الذي مات فيه: ما فعلت تلك الذّهب؟ قالت: هي عندنا، قال: آتيني بها- وهي بين السبعة والخمسة- فجعلها في كفه ثم قال: ما ظن محمد بالله لو لقي ربه وهذه عنده؟ أنفقيها [(3)] .

وخرّجه الإمام أحمد من حديث محمد بن عمرو، قال: حدثني أبو سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه الذي مات فيه: ما

[(1)]

الحديث رقم (1430): «حدثنا أبو عاصم، عن عمر بن سعيد، عن ابن أبي مليكة، أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه حدّثه قال: «صَلَّى بنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العصر فأَسْرَع، ثم دخل البيت، فلم يلبث أن خرج، فقلت: أو قيل- له فقال: كنت خلّفت في البيت تبرأ من الصدقة، فكرهت أن أبيتَه فقسّمته». (فتح الباري) ج 3 ص 381.

قوله: «أن أبيتَه»

أي أتركه حتى يدخل عليه الليل، يقال: بات الرجل: دخل في الليل، وبَيْتَه: تركه حتى دخل في الليل.

قال ابن بطال: فيه أن الخير ينبغي أن يبادر به، فإن الآفات تعرض، والموانع تمنع، والموت لا يؤمن، والتسوية غير محمود.

زاد غيره: وهو أخلص للذمة، وأنفى للحاجة، وأبعد من المطل المذموم، وأرضى للرب، وأحى للذنب. (المرجع السابق) ص 382.

[(2)] زيادة من البخاري، والحديث رقم (6275): «حدثنا أبو عاصم عن عمر بن سعيد، عن ابن أبي مليكة أن عقبة بن الحارث حدثه قال: صَلَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العصر، فأسرع ثم دخل البيت» (فتح الباري) ج 11 ص 79.

[(3)] ذكره ابن حبان في كتاب الرقاق، باب الفقر والزهد والقناعة، وعنون له: ذكر ما يستحب للمرء أن يكون خروجه من هذه الدنيا الفانية الزائلة وهو صفر اليدين مما يجاسب عليه مما في عنقه، حديث رقم (715):

أخبرنا إسماعيل بن داود بن وردان بالفسطاط، حدثنا عيسى بن حماد، أخبرنا الليث، عن ابن عجلان، عن أبي حازم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة أنها قالت: اشتد وجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنده سبعة دنانير أو تسعة، فقال: «يا عائشة، ما فعلت تلك الذهب؟» فقلت: هي عندي، قال: «تصدّقي بها» قالت: فشغلت به ثم قال: «يا عائشة، ما فعلت تلك الذهب؟»

فقلت: هي عندي، فقال: «ائتني بها»، قالت: «فجئت بها، فوضعها في كفه، ثم قال: «ما ظن محمد أن لو لقي الله وهذه عنده؟ ما ظن محمد أن لو لقي الله وهذه عنده؟» هذا الحديث إسناده حسن، وابن عجلان صدوق، روى له مسلم متابعه، وباقي رجاله على شرط الصحيح. (الإحسان) ج 2 ص 491-492.

(292/2)

فعلت بالذهب؟ فجاءت ما بين الخمسة إلى السبعة أو الثمانية أو التسعة، فجعل يقلبها بيده ويقول: ما ظن محمد بالله لو لقيه وهذه عنده؟ أنفقيها [(1)] .

ولأبي ذر عبد بن أحمد الهروي من حديث مفضل بن صالح قال: حدثني سليمان الأعمش عن طلحة بن مصرف الهمداني عن مسروق عن عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أطمعنا يا بلال، قال: يا رسول الله! ما عندي إلا صبر من تمر خبأته لك، قال: أما تخشى أن

يخسف الله به في نار جهنم، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا [(2)] .

[(1)] (مسند أحمد) ج 7 ص 74، حديث رقم (23702) ، وص (261)، حديث رقم (24964) .

[(2)]

الطبراني في الكبير، والبخاري في مسنده، من حديث عاصم بن علي، والطبراني فقط، وكذا القضاعي في مسنده، من حديث مالك بن إسماعيل كلاهما عن قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق، عن ابن مسعود، قال: دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: يا رسول الله ذخرته لله، ولضيفانك، قال: «أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم، أنفق يا بلال» ، وذكره، قال البخاري: هكذا رواه جماعة عن قيس، وخالفهم يحيى بن كثير عنه، فقال: عن عائشة بدل ابن مسعود.

وتابعه طلحة بن مصرف، عن مسروق، عن عائشة؟

أخرجه العسكري في (الأمثال) ، من طريق مفضل بن صالح، عن الأعمش، عن طلحة به، ولفظهما قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطعمنا يا بلال» فقال: يا رسول الله ما عندي إلا صبر تمر خبأته لك فقال: «أما تخشى أن يقذف به في نار جهنم، أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالا» .

وقيل عن مسروق، عن بلال، أخرجه البخاري من طريق محمد بن الحسن الأسدي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن بلال، ولفظه: دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده صبر من المال. فقال: «أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا» .

ومن هذا الوجه، أخرجه الطبراني، بلفظ: «أنفق يا بلال» .

وقال البخاري: لم يقل عن بلال إلا محمد بن الحسن، وقيل: عن مسروق مرسلًا بدون صحابي. وفي الباب عن أبي هريرة، أخرجه البخاري، من حديث موسى بن داود، عن مبارك بن فضالة، عن يونس بن عبيد، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: «ما هذا؟» قال: أدخره، فقال: «أما تخشى أن يرى له بخار في نار جهنم، أنفق يا بلال، ولا تخشى من ذي العرش إقلالا» وقال: تفرد به مبارك، وكذا أخرجه الطبراني في الكبير، من حديث موسى بن داود، وإسناده حسن. ولكن خولف مبارك، فرواه بشر بن المفضل، ويزيد بن زريع، كلاهما عن يونس مرسلًا بدون أبي هريرة، وكذلك اختلف على عوف بن أبي جميلة في وصله وإرساله.

وقال الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله [(1)] .

وقال وكيع عن ابن عيينة قال: قال لي معمر: قال لي الثوري: هل سمعت في الرجل يجمع لأهله قوت سنتهم أو بعض سنتهم؟ قال معمر: فلم يحضرنى، ثم ذكرت حدثناه حدثناه الزهري عن مالك بن أوس عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نحل بني النضير، ويجبس لأهله قوت سنتهم. هذا الحديث والذي قبله واحد، وهو متفق عليه، وبهذا تبين أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي نفقاتهم ولا يدخر لنفسه.

وأما صفة عيشه وعيش أهله [(2)] فقال الأسود عن عائشة رضي الله عنها: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى إلى سبيله.

[()] فأخرجه البيهقي في (الشعب) من حديث عثمان بن الهيثم، حدثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: تمر ذخرته، فقال: «أما تخشى يا بلال أن يكون له بخار في نار جهنم، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا» ، قال: وخالفه روح بن عبادة، فرواه عن عوف، عن ابن سيرين، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال فوجد عنده تمر أدخره، فذكره مرسلا، ثم ساقه كذلك.

وكذا اختلف فيه على ابن عون، فقال معاذ بن معاذ، ومحمد بن أبي عدي عنه عن ابن سيرين مرسلا، وأخرجه الطبراني، والبيهقي في (الدلائل) ، من حديث بكار بن محمد السيريني، حدثنا ابن عون به متصلا،

فلفظ البيهقي: «أنفق بلال» ،

ولفظ الآخر: «أنفق يا بلال» .

ولم يختلف على هشام بن حسان، في وصله، فأخرجه أبو يعلى، والطبراني، من حديث حرب بن ميمون، حدثنا هشام فقط،

فلفظ أبي يعلى: «أنفق يا بلال، ولا تخاف من ذي العرش إقلالا» ، ولفظ الطبراني: «ولا تخش»

وما يحكى على لسان كثيرين في لفظ هذا الحديث، وأنه بلالا، ويتكلفون في توجيه لكونه نھيا عن المنع وبغير ذلك، فشئىء لم أقف له على أصل.

[(1)] (المغازي) ج 1 ص 378.

[(2)] (صحيح سنن ابن ماجة) باب رقم (48) باب خبز البر، وباب رقم (49) باب خبز الشعير، وفيهما الأحاديث:

(3343) : عن أبي هريرة أنه قال: والذي نفسي بيده، ما شبع نبي الله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى توفاه الله عز وجل.

(294/2)

وفي رواية: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليل تباعا من خبز بر حتى توفي. وفي لفظ: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله. وفي لفظ: ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض صلى الله عليه وسلم.

وقال عبد الرحمن بن عائش عن أبيه عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله، وفي لفظ: ما شبع آل محمد من خبز بر فوق ثلاث.

وقال هلال عن عروة عن عائشة قالت: ما أكل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر. وفي لفظ: ما شبع آل محمد يومين من خبز بر إلا إحداهما تمر [(1)] .

وقال ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين.

وقال منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن عائشة: توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين شبعنا من الأسودين التمر والماء. وفي لفظ: وما شبعنا من الأسودين. وقال عكرمة عن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر.

وقال أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده، ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض. وفي لفظ: ما أشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ثلاثة أيام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا.

وخرج ابن عساكر من حديث حماد عن إبراهيم عن عائشة أنها قالت: ما شبع

[()] (3344) : عن عائشة، قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدموا المدينة

ثلاث ليال تباعا من خبز برّ حتى توفي صلى الله عليه وسلم.

(3345) : عن عائشة قالت: لقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي. فأكلت منه حتى طال عليّ، فكلته ففني.

(3346) : عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير حتى قبض.

(3347) : عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا، وأهله لا يجدون العشاء، وكان عامة خبزهم خبز الشعير. ونحوه (مسند أحمد) ج 6 ص 255، حديث رقم (25644).

[(1)] (المستدرک 9 ج 4 ص 106، ولفظه: «ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم في يوم أكلتين إلا إحداهما تمر» وقال:

هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(295/2)

آل محمد ثلاثة أيام متتابعات من خبز البرّ حتى ذاق محمد صلى الله عليه وسلم الموت، وما زالت الدنيا علينا عسرة حتى مات صلى الله عليه وسلم، فلما مات انصبت الدنيا علينا صبا [(1)]

[(1)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا، إنما هو التمر والماء، إلا أن يؤتى باللحم»، وفي رواية قالت: «ما شبع آل محمد من خبز البرّ ثلاثا حتى مضى لسبيله»، وفي أخرى قالت: «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض»، وفي أخرى: «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وفي أخرى قالت: «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا وإحداهما تمر» وفي أخرى كانت تقول لعروة: «والله يا ابن أخي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين - وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قال: قلت: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه».

وفي أخرى قالت: «توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين شبع الناس من الأسودين: التمر والماء»، وفي رواية:

«ما شبعنا من الأسودين» .

هذه روايات البخاري ومسلم. ولمسلم أيضا قالت: «لقد مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين» .

وأخرج الترمذي الرواية الأولى، إلى قوله: «الماء» والرابعة وله في أخرى عن مسروق، قال: «دخلت على عائشة، فدعت لي بطعام فقالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت، قلت: لم؟ قالت: أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم» .

المنائح: جمع منيحة، وهي الناقة يعيرها صاحبها إنسانا ليشرب لبنها ويعيدها.

الأسودين: السواد: من صفات التمر، لأن الغالب على أنواع تمر المدينة السواد، فأما الماء فليس بأسود، وإنما جعل أسود حيث قرن بالتمر، فغلب أحدهما على الآخر فسمي به، وهذا من عادة العرب يفعلونه بالشيئين - يصطحبان، فيغلبون اسم الأشهر، كقوهم: «القمران» للشمس والقمر.

رواه (البخاري) في الأطعمة باب ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يأكلون، وفي الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا. و (لمسلم) في الزهد والرفائق، رقم (2970)، (2971)، (2972)، (2973).

(مسلم بشرح النووي) ج 18 ص 315-318 و (الترمذي) في معيشة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهله رقم (2357)، (2358) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورقم (2471) في صفة القيامة باب رقم 34 (صحيح سنن الترمذي) ج 4 ص 500، 556.

(296/2)

وقال سعيد المقبري عن أبي هريرة: أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصليّة، فدعوه فأبى أن يأكل وقال: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير [(1)] . وهذه الأحاديث: منها ما خرّجاه، ومنها ما خرّجه أحدهما، وللترمذي من حديث ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس، رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيت الليالي المتتابعة طاويا، وأهله لا يجدون شيئا، وكان أكثر خبزهم الشعير. قال: هذا حديث حسن صحيح [(2)] .

ولتقي بن مخلد من حديث عقبة بن مكرم، أخبرنا عبد الله بن خراش عن العوام عن المسيب بن رافع عن أبي هريرة قال: ما ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينارا ولا درهما، ولا عبدا ولا أمة، ولا شاة ولا بعيرا، ولقد كان يربط على بطنه حجرا من الجوع [(3)] .

ولمسلم من حديث أبي الأحوص عن سماك قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتَ نَبِيَكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمَلَأُ بِهِ بَطْنَهُ.

وخرجه الترمذي [(4)] بهذا الإسناد مثله وقال: هذا حديث [حسن] [(5)] صحيح.

ولمسلم من حديث شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان يخطب قال:

ذَكَرَ عَمْرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا صَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، [فقال] [(5)] لَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يظلم] [(6)] الْيَوْمَ يَتَلَوَّى مَا يَجِدُ دَقْلًا يَمَلَأُ بِهِ بَطْنَهُ [(7)] .

وخرج البخاري من حديث هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه

-
- [(1)] ونحوه في (سنن الترمذي) ج 4 ص 9 حديث رقم (2462) ، (2463) باب ما جاء في معيشة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و (مسلم) في الزهد حديث رقم (2976) .
- [(2)] المرجع السابق حديث رقم (2465) .
- [(3)] ونحوه في (سنن الترمذي) ج 4 ص 15 حديث رقم (2476) وقال فيه: «ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ورفع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حجرين» وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
- [(4)] المرجع السابق ص 15 حديث رقم 2477.
- [(5)] زيادة من المرجع السابق والدقل: ضعف الجسم، والدقل أردأ التمر. زيادة من (صحيح مسلم) .
- [(6)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (صحيح مسلم) .
- [(7)] (مسلم بشرح النووي) ج 18 ص 109.

(297/2)

أنه مشى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجبز شعير وإهالة سنخة، ولقد رهن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لأهله. ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل محمد صاع برّ ولا صاع حبّ، وإن عنده لتسع نسوة. ذكره في كتاب البيوع في باب شراء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنسيئة [(1)] . وذكره الترمذي في جامعه بهذا السند وقال: هذا

حديث حسن صحيح، ذكره في البيوع [(2)] .
 وخرّج البخاري من حديث همام بن حبي، أخبرنا قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك و [خبّازه] [(3)] قائم فقال [(4)] : كلوا فما أعلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطا بعينه قط. ذكره في الرقاق وفي كتاب الأطعمة [(5)] .
 وله من حديث قتادة عن أنس [(6)] قال: ما علمت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل على [(7)] سكرجة قط ولا خبز له مرقق قط، ولا أكل على خوان [(8)] ، قيل لقتادة: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على السّفَر [(9)] .
 ولأحمد من حديث سليمان بن رومان عن عروة عن عائشة أنها قالت: والذي بعث محمدا بالحق، ما رأى منخلا ولا أكل خبزا منخولا منذ بعثه الله إلى أن قبضه، فقلت: كيف كنتم تأكلون الشعير؟ قالت: كنا نقول: أفّ أفّ .
 ولأبي ذر الهروي من حديث حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ من بين يوم وليلة وما لي طعام نأكله إلا شيء يواريه إبط بلال.
 وخرّج البخاري [(10)] من حديث أبي حازم: سألت سهل بن سعد فقلت: هل

-
- [(1)] (صحيح البخاري بحاشية السندي) ج 2 ص 6 .
 [(2)] (سنن الترمذي) ج 2 ص 344 حديث رقم (1233) .
 [(3)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (البخاري) .
 [(4)] كذا في (خ) ، ورواية البخاري (قال) .
 [(5)] (صحيح البخاري بحاشية السندي) ج 3 ص 297
 [(6)] (المرجع السابق) ص 296 .
 [(7)] كذا في (خ) وفي (البخاري) «في سكرجة» والسكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء، وكل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها على المائدة حول الأطعمة للتشهي والهضم.
 [(8)] الخوان: ما يؤكل عليه.
 [(9)] السفرة: ما يحمل فيه الطعام.
 [(10)] (صحيح البخاري بحاشية السندي) ج 3 ص 296 .

أكل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقِي؟ قال [سهل] [(1)] ما رأى رسول الله التَّقِي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، قال: قلت: فهل كانت لكم في عهد رسول الله مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله مناخلا من حين بعثه الله حتى قبضه الله، قال: فكيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطعنه وننفخه فيطير [ما طار وما بقي ثريناه فأكلناه] [(1)] .

وأما تبسمه [(2)] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم [(3)] .
وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة، عن عبد الله بن المغيرة قال: سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء يقول: ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(4)] .
وخرج ابن حبان من حديث عبد الحميد بن زياد بن صهيب، عن أبيه عن صهيب قال: ضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه [(5)] .

[(1)] زيادة من المرجع السابق.

[(2)] بسم، يبسم بسما وابتسم وتبسم: وهو أقل الضحك وأحسنه. وفي التنزيل: فَتَبَسَّمْ ضاحكاً مِنْ قَوْلِهَا (19/ النمل) . قال الزجاج: التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال الليث: يبسم بسما إذا فتح شفتيه كالمكاشر، وامرأة بسامة ورجل بسام. وفي صفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه كان جلّ ضحكه التبسم. (لسان العرب) ج 12 ص 50.
[(3)] [المستدرک] ج 2 ص 456، حديث رقم (837/3700) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا النضر حدثه، عن سليمان بن يسار، عن عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها قالت: «ما رأيت رسول الله قط مستجمعا ضاحكا حتى أرى منها لهواته، إنما كان يبتسم» . قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. واللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمية المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم. (ترتيب القاموس) ج 2 ص 179.

[(4)] [مسند أحمد] ج 5 ص 212، حديث رقم (17261) .

[(5)] [الإحسان] ج 16 ص 318، حديث رقم (7325) ، (7326) فأما الحديث الأول:

«أخبرنا أحمد بن علي بن المثني، قال: حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن الله يمسك السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق كلها على

إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، ثم قرأ هذه الآية: وَمَا قَدَرُوا
اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

(299/2)

وخرج من حديث بقرية، عن حبيب بن عمر الأنصاري، عن شيخ يكنى أبا عبد الله الصمد، قال:
سمعت أم الدرداء [(1)] تقول:

[()] قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67/ الزمر)
، أخرجه البخاري في التوحيد (7415) ، ومسلم في صفة القيامة (2786) .

إسناده صحيح على شرط الشيخين، أبو خيثمة: هو زهير بن حرب، وجرير: هو ابن عبد
الحميد، وإبراهيم: هو ابن يزيد النخعي، وعلقمة: هو ابن قيس النخعي.

وأما الحديث الثاني: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال:
أخبرنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: جاء حبر من اليهود إلى
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات
على إصبع، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، فلقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك
حتى بدت نواجذه تعجبا لما قال اليهودي تصديقا له، ثم قرأ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أخرجه البخاري في التوحيد (7513) ، ومسلم في صفة القيامة
(2786) إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومنصور هو ابن المعتمر، وعبيدة: هو ابن عمرو
السلماي.

وأخرجه أحمد (1/ 457) ، والبخاري (4811) في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

والنواجذ: من الأسنان الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى
الأسنان، والمراد الأول، إنه ما كان يبلغ به الضحك حتى تبدو أواخر أضراسه، كيف وقد جاء في
صفة ضحكه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَلَّ ضَحْكُهُ التَّبَسُّمُ؟ وإن أريد بها الأواخر، فالوجه فيه أن
يريد مبالغة مثله في ضحكه، من غير أن يراد ظهور نواجذه في الضحك، وهو أقيس القولين
لاشتهار النواجذ. بأواخر الأسنان، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: ولن يلي الناس كقرشي
عضّ على ناجذه أي صبر وتصلّب في الأمور، ومنه حديث العرياض: عضوا عليها بالنواجذ، أي
تمسكوا بها كما يتمسك العاضّ بجميع أضراسه. (لسان العرب) ج 3 ص 513-514.

[(1)] هي خيرة بنت أبي حدرد، أم الدرداء الكبرى، سماها أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين فيما رواه ابن أبي خيثمة عنهما، وقالوا: اسم أبي حدرد «عبد» وقال: أم الدرداء الصغرى اسمها هجيمة، وقال غيرهما: هجيمة.

وقال أبو عمر: كانت أم الدرداء الكبرى من فضلى النساء وعقلائهن، وذوات الرأي فيهن، مع العبادة والنسك، توفيت قبل أبي الدرداء بسنتين، وذلك بالشام في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وكانت حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن زوجها. روى عنها جماعة من التابعين، منهم: ميمون بن مهران، وصفوان بن عبد الله، وزيد بن أسلم. قال علي بن المديني: كان لأبي الدرداء امرأتان كلتاها يقال لها أم الدرداء: إحداهما رأت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي خيرة بنت أبي حرد، والثانية تزوجها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي هجيمة الوصابية.

(300/2)

كان أبو الدرداء [(1)] إذا حدث حديثا تبسم، فقلت: لا يقول الناس إنك أي أحمق، فقال: ما رأيت أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا إلا تبسم.

[()] وأورد ابن مندة لأم الدرداء حديثا مرفوعا، من طريق شريك، عن خلف بن حوشب، عن ميمون بن مهران، قال: قلت لأم الدرداء: سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا؟ قالت: نعم، دخلت عليه وهو جالس في المسجد، فسمعتة يقول: «ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن» .

وأخرج الطبراني من طريق زبّان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أنه سمع أم الدرداء تقول: خرجت من الحمام فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أين أقبلت يا أم الدرداء؟ قلت: من الحمام، قال: ما منكن امرأة تضع ثيابها في غير بيت إحدى أمهاتها أو زوج، إلا كانت هاتكة كل ستر بينها وبين الله. وسنده ضعيف جدا.

(الإصابة) : ج 7 ص 629-631، ترجمة رقم (11137)، (الاستيعاب) : ج 4 ص 1934 ترجمة رقم (4150) .

[(1)] هو عمير بن عامر، ويقال: عويمر بن قيس بن زيد، وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر بن

زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو الدرداء الأنصاري، هو مشهور بكنيته.

وقد قيل في نسبه: عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

وقيل: إن اسمه عامر، وصغر، فقيل عويمر. وقال ابن إسحاق: أبو الدرداء عويمر بن ثعلبة بن بني الحارث بن الخزرج.

وقال إبراهيم بن المنذر: أبو الدرداء اسمه عويمر بن ثعلبة بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج. وأمه: محبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب.

وقيل: أمه واقدة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة.

شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وقد قيل: إنه لم يشهد أحدا لأنه تأخر إسلامه، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد.

كان أبو الدرداء أحد الحكماء، العلماء، الفضلاء.

روى ابن عبد البر: لما حضرت معاذ الوفاة قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا، قال: أجلسوني، إن العلم والإيمان مكاثهما من ابتغاهما وجدتهما، يقولها ثلاث مرات - التمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، الذي كان يهوديا فأسلم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه عاشر عشرة في الجنة.

(301/2)

وفي رواية: كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم، فقالت له: إني أخشى أن يحمقك الناس، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدث بحديث إلا تبسم [(1)] .

ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه. وكذا من حديث وهب بن جرير، أخبرنا أبي قال: سمعت ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أقبل أعرابي على ناقه له حتى أناخ بباب المسجد، فدخل على نبي الله وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم النعيمان، فقالوا للنعيمان: ويحك! إن ناقته نادية أي سمينة، فلو نحرمتها فإنا قد قدمنا إلى اللحم، ولو فعلت عزمها رسول الله وأكلنا لحمها، فقال: إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه وجد علي، قالوا:

إلا تفعل!! فقام،

[()] عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنا أفرطكم على الحوض، فلا أَلْفَيْنَ ما نوزعت في أحدكم فأقول: هذا مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك، فقلت: يا رسول الله، أَدَع اللهُ أَلَا يجعلني منهم، قال: لست منهم». .
فمات قبل عثمان رضي الله عنه بسنتين.
ولهذا الحديث قريب منه

في (مسند أحمد): من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنا أفرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما، ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ونظيره في (مسلم).
قال أبو عمر: وروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «حكيم أمي أبو الدرداء عويمر». .
قال أبو عمر: له حكم مأثورة مشهورة: منها قوله: «وجدت الناس أخبر تقل، أي من جرّهم رماهم بالملت حُبث سرائرهم وقلة إنصافهم». .
ومنها: «من يأت أبواب السلطان يقام ويقعد» .

ووصف الدنيا فأحسن، فمن قوله فيها: «الدنيا دار الكدر، ولن ينجو منها إلا أهل الحذر، ولله فيها علامات يسمعا الجاهلون، ويعتبر بها العالمون، ومن علاماته فيها أن حَقَّها بالشبهات، فارتطم فيها أهل الشهوات، ثم أعقبها بالآفات، فانتفع بذلك أهل العظائم، ومنج حلالها بالمئونات، وحرامها بالتبعات، فالمشري فيها تعب، والمقل ففيتها نصب» .

(الاستيعاب): ج 3 ص 1227-1230 ترجمة رقم (2006)، (الإصابة): ج 4 ص 747-748 ترجمة رقم (6121)، (مسند أحمد): ج 1 ص 635 حديث رقم (3632)، (مسلم بشرح النووي): ج 15 ص 64 حديث رقم (2297).

[(1)] [كنز العمال]: ج 7 ص 140 حديث رقم (18401)، (سند أحمد): ج 5 ص 199 حديث رقم (21288): «حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا يونس، حدثنا بقبية عن حبيب بن عمر الأنصاري، عن أبي عبد الصمد، عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه، فقلت له: إني أخشى أن يحمقك الناس، فقال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحدث بحديث إلا تبسم» .

فضرب لبتها ثم انطلق، فمر بالمقداد قد حفر حفرة استخرج منها طينا، فقال: يا مقدادا! غيبي في هذه الحفرة وأطبق عليّ شيئا، ولا تدل عليّ أحدا، فإنّي قد أحدثت حدثا، ففعل.

فما خرج الأعرابي ورأى ناقته صرخ، فخرج نبي الله صلّى الله عليه وسلّم وقال: من فعل هذا؟ قالوا: نعيمان! قال: فأين توجه؟ قالوا: ها هنا، فتبعه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه حمزة وأصحابه، حتى أتى على المقداد فقال له: هل رأيت نعيمان؟ فكشف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الحفرة، فلما رآه قال: أي عدوّ نفسه! ما حملك على ما صنعت؟ قال: والذي بعثك بالحق لأمرني حمزة وأصحابه، فأرضى عليه السلام الأعرابي وقال: شأنكم بما فأكلوها، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا ذكر صنعه ضحك حتى تبدو نواجذه.

وقال زائدة عن أبان، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: ما حجني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ أسلمت ولا رأيي إلا ضحك [(1)]

[(1)] (الشمائل المحمدية) ص 189 حديث رقم (232): حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير قال: «ما حجني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا رأيي منذ أسلمت إلا تبسّم»، (صحيح سنن الترمذي): ج 3 ص 232 حديث رقم (4091): عن جرير بن عبد الله قال: «ما حجني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ أسلمت، ولا رأيي إلا ضحك»، وحديث رقم (4092): عن جرير قال: «ما حجني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ أسلمت، ولا رأيي إلا تبسّم». قال الألباني: (صحيح، وهو بهذا اللفظ أرجح). وهو في (البخاري): في باب من لا يثبت على الخيل، حديث رقم (3035) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا محمد بن إدريس عن إسماعيل، عن قيس، عن جرير رضي الله عنه قال: «ما حجني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ أسلمت، ولا رأيي إلا تبسّم في وجهي» (فتح الباري): ج 6 ص 198، (مسند أحمد): ج 4 ص 358، حديث رقم (18692)، ص 359، حديث رقم (18655)، ص 365، حديث رقم (18765).

(مسند الحميدي): ج 2 ص 350، حديث رقم (800): حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيسا يقول: سمعت جرير بن عبد الله البجلي: «ما رأيي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قط إلا تبسّم في وجهي» قال: وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك، فطلع جرير بن عبد الله».

قال الحافظ في (الفتح): التبسّم: مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان

من السرور، فإن كان بصوت، وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان

(303/2)

وفي الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكى عن رجل أخرج من النار، فقيل له، تمنّ فتمنّى، فيقال: لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول أتسخر بي وأنت الملك؟ فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه [(1)] .
ولابن حبان من حديث الليث، عن جرير بن حازم عن الحسن بن عمارة، عن سلمة بن كهيل، عن عبد الرحمن قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما بعثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، أتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلام ابن امرأة وقعوا عليها جميعا في طهر واحد، كلهم يدعى أنه ابنه، فأقرعت بينهم فألحقته بالذي أصابته القرعة، ولصاحبيه ثلثي دية الحد، فلما قدمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرت له ذلك، فضحك حتى ضرب برجليه الأرض ثم قال: حكمت فيهم بحكم الله، أو قال لقد رضي الله حكمك فيهم [(2)] .

[()] بلا صوت فهو التيسم، وتسمى الأسنان في مقدم الفم: الضواحك، وهي الثنايا والأنياب، وما يليها يسمى النواجذ.

[(1)] [المرجع السابق] ص 189-190، حديث رقم (233) :

حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة السلماني، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأعرف آخر أهل النار خروجا، رجلا يخرج منها زحفا، فيقال له انطلق فادخل الجنة» . قال: «فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول:

يا رب قد أخذ الناس المنازل - فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم» ، قال: «فيقال تمنّ» ، قال: «فيتمنّى، فيقال له: فإن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا» ، قال: «فيقول:

أتسخر مني وأنت الملك» ؟ قال: «فلقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك حتى بدت نواجذه» .

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (6571) باختلاف يسير، وحديث رقم (7513) .

(فتح الباري) ج 11 ص 510، ج 13 ص 580.

[(2)]

(كنز العمال) ج 5 ص 841-842، حديث رقم (14532) : «عن زيد بن أرقم قال: بينما نحن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أتاه رجل من أهل اليمن، وعليّ بها، فجعل يحدث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويخبره قال: يا رسول الله، أتى عليا ثلاثة نفر فاختموا في ولد كلهم زعم أنه ابنه، وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال عليّ: إنكم شركاء متشاكسون، وإني مقرع بينكم، فمن قرع فله الولد، وعليه ثلثا الدية لصاحبه، فأقرع بينهم، فقرع أحدهم، فدفع إليه الولد، وجعل عليه ثلثي الدية، فضحك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه أو أضراسه» .

ثم رمز إليه: (عب) ، (ش) أي مصنف عبد الرزاق، وابن أبي شيبة. قرع: المقارعة: المساهمة، يقال: قارعة فقرعه: إذا أصابته القرعة دونه، وقرعهم: غلبهم بالقرعة.

(ترتيب القاموس) ج 3 ص 597.

(304/2)

قال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يثبت، فيه جماعة مجروحون، ولا يصح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يزيده على التبسم.

وخرّج الإمام أحمد [(1)] وأبو يعلى، والبخاري والطبراني في الكبير، من حديث هشام عن أبي الزبير، عن عبد الله بن سلمة، عن علي أو عن الزبير قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله، حتى نعرف ذلك في وجهه، وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع (عنه) [(2)] .

وأما محبته الفأل [(3)] وتركه الطيرة [(4)] وتغيير الاسم القبيح فخرج مسلم من حديث يحيى بن عتيق قال: أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي

[(1)] [مسند أحمد] ج 1 ص 272، حديث رقم (1440) ، وقال فيه: «عن عبد الله بن سلمة. أو مسلمة»

[(2)] [زيادة من المرجع السابق.

[(3)] [الفأل: ضدّ الطيرة، والجمع فؤول. وتفألت به، وتفأل به. قال ابن الأثير: يقال: تفاءلت

بكذا، وتفألت، على التخفيف والقلب، قال: وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً.
والفأل: أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر
يقول: يا واجد، فيقول: تفألت بكذا، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه، أو يجد
ضالته.

وفي الحديث: أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان يحب الفأل ويكره الطيرة، ضد الفأل، وهي فيما
يكره، كالفأل فيما يستحب، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، والفأل يكون فيما يحسن وفيما
يسوء.

قال أبو منصور: من العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضاً. قال أبو زيد تفألت تفاعلاً، وذلك
أن تسمع الإنسان وأنت تريد الحاجة يدعو: يا سعيد، يا أفلاح، أو يدعو باسم قبيح. والاسم:
الفأل، مهموز.

وفي نواذر الأعراب: يقال: لا فأل عليك بمعنى لا ضير عليك، ولا طير عليك، ولا شرّ عليك.
وفي الحديث، عن أنس، عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل
الصالح والفأل الصالح الكلمة الحسنة».

قال: وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحاً، ومنه ما يكون غير صالح، وإنما أحب النبي
صَلَّى اللهُ عليه وسلّم الفأل، لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله ورجوا عائده عند كل سبب ضعيف
أو قوي، فهم على خير.

ولو غلطوا في جهة الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله
كان ذلك من الشر؟ وإنما خبر النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم عن الفطرة كيف هي، وإلى أي شيء
تنقلب. (لسان العرب) ج 11 ص 513-514

[(4)] الطيرة: مضاد للفأل، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي صَلَّى
الله عليه وسلّم الفأل واستحسنه، وأبطل الطيرة ونهى عنها. والطيرة من أطيرت وتطيرت، ومثل
الطيرة الخيرة.

(305/2)

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل
الصالح [(1)] .

ومن حديث هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم لا عدوى ولا هامة ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح [(2)] .

وخرّجا من حديث معمر وشعيب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن أبا هريرة [(3)] قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لا طيرة، وخيرها الفأل، قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسميها أحدكم [(4)] .

وخرج البخاري وأبو داود من حديث هشام، أخبرنا قتادة عن أنس، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، الكلمة الحسنة [(5)] .
وخرج أبو داود [(6)] من حديث هشام عن قتادة، عن عبيد الله بن بريدة، عن

[()] والطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك.

وفي التنزيل: قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ 18/ يَاسِينَ، قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ 131/ الأعراف، أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ 131/ الأعراف.

(المرجع السابق) ج 4 ص 512-513.

[(1)] (مسلم بشرح النووي) ج 14 ص 470 كتاب السلام (39) باب (34) حديث رقم (113-2223) .

[(2)] (المرجع السابق) حديث رقم (114) .

[(3)] [اللؤلؤ والمرجان] ج 3 ص 71 باب (34) (الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم) حديث رقم (1438) .

[(4)] [وضيئها: أي ضير الطيرة، والفأل: ضد الطيرة ويستعمل في الخير والشر، وفي حديث عروة بن عامر عند أبي داود قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ضيرها الفأل، ولا تردّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله» .
(المرجع السابق) .

[(5)] [فتح الباري] : ج 10 ص 263، كتاب الطب، باب (44) ، حديث رقم (5756) ، (مسلم بشرح النووي) ج 14 ص 470، كتاب السلام باب (34) ، حديث رقم (111-2224) :

وزاد فيه «الكلمة الطيبة» بعد قوله: «الكلمة الحسنة» .

[(6)] [صحيح سنن أبي داود] : ج 2 ص 742 حديث رقم (3920) ، قال الألباني: صحيح، و (مسند أحمد) : 5/ 347 حديث رقم (22437) باختلاف يسير .

أبيه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورئي أثر [(1)] ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهة [(2)] ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإذا [(3)] أعجبه اسمها [فرح بها] ، ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رئي كراهية [(4)] ذلك في وجهه.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للقححة تحلب: من يحلب هذه؟ فقام رجل، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اسمك؟ فقال له الرجل: مرة، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجلس، ثم قال: من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اسمك؟ فقال: حرب، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجلس، ثم قال: من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اسمك؟ فقال يعيش، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احلب. هكذا رواه مالك مرفوعاً عن يحيى [(5)] .

وخرج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة [(6)] عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتطير ولكن يتفأل، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فلقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بماء، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أنت؟ قال: بريدة، فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: برد أمرنا وصلح، ثم قال: ممن؟ قال: من أسلم، قال: لأبي بكر: سلّمنا، ثم قال: ممن؟ قال: من سهم، قال: خرج سهمك [(7)] ، قال بريدة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن أنت؟ قال:

[(1)] في (خ) : «بشر ذلك» .

[(2)] في (ج) : «كراهية» .

[(3)] في (خ) : «فإن»

[(4)] في (خ) : «كراهة» وما أثبتناه من (المرجع السابق) ، (شعب الإيمان) ج 2 ص 62

حديث رقم (1170) بسياقة أخرى.

[(5)] [الموطأ] كتاب الجامع، باب ما يكره من الأسماء، حديث رقم (1776) قال أبو عمر:

ليس هذا من باب الطيرة، لأنه محال أن ينهي عن شيء يفعل، وإنما هو من باب طلب الفأل

الحسن، وقد كان أخبرهم عن سبب الأسماء أنه حرب، ومرة، وأكد ذلك حتى لا يتسمى بهما

أحد. (شرح الزرقاني على الموطأ) ج 4 ص 490.

[(6)] هو بريدة بن الحصيب الأسلمي (ستأتي ترجمته تفصيلاً) .

[(7)] إلى هنا ورد الخبر في (الاستيعاب) : ج 1 ص 185-186، ترجمة بريدة بن الحصيب الأسلمي رقم (217) .

(307/2)

محمد بن عبد الله، رسول الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت عبده ورسوله. فأسلم بريدة، وأسلم الذين معه جميعاً،

فقال [(1)] بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل المدينة إلا معك لواء، فحل عامته، ثم شدها في رمح، ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة، قال بريدة: الحمد لله الذي أسلمت [له] بنو سهم طائعين.

وخرج الترمذي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج لحاجته، يعجبه أن يسمع: يا راشد.. يا نجيح. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح [(2)] .

وخرج البزار من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أبردتكم إليّ بريدة فأبردوه حسن الوجه، حسن الاسم [(3)] .

وقال: لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا قتادة.

وقال هشام الدستواني، عن يحيى بن كثير قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمراء الأجناد: ألا توفدوا إلينا إلا برجل حسن الوجه، حسن الاسم.

وخرج ابن حبان من حديث مبارك بن فضالة [(4)] ، عن عبيد الله بن عمر، عن

[(1)] قال ابن أبي حاتم في (تاريخ الصحابة) : ص 44 ترجمة بريدة بن الحصيب الأسلمي رقم

(108) : لحق النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه المدينة فقال: «يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا معك لواء» ثم حلّ عامته، وشدها في رمح، ومشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم قدم المدينة.

[(2)] (تحفه الأهودي) : ج 5 ص 200، حديث رقم (1665) ، قوله: «هذا حديث

حسن صحيح» ، وأخرج الشيخان معناه من حديث أبي هريرة، قوله: «كان يعجبه» أي يستحسنه ويتفاءل به، «أن يسمع يا راشد» ، أي واجد الطريق المستقيم، «يا نجيح» ، أي من قضيت حاجته، (صحيح سنن الترمذي) : ج 4 ص 138، حديث رقم (1616) .

[(3)]

(المقاصد الحسنة) : ص 149، عند الكلام على الحديث رقم (161) ، «التمسوا الخير عند حسان الوجوه» ،

قال: وله أيضا من حديث عمر بن أبي خثعم، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعا: «إذا بعثتم إليّ رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» .
وقال أيضا. لا نعلمه روي عن أبي هريرة إلا بهذا الاسناد. قال (السخاوي) : وأحدهما يقوي الآخر.

وفي (المطالب العالية) : ج 2 ص 422، حديث رقم (2638) : الحضرمي بن لاحق، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا أبردتُم بريدة فأبروده حسن الوجه حسن الاسم» (لابن أبي عمر) . وقال في هامشه:
سكت عليه البوصيري.

[(4)] أحاديث مبارك بن فضالة في (صحيح ابن حبان) (19) حديثا ليس من بينهم هذا الحديث. (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ج 18 ص 219 (الفهارس) .

(308/2)

نافع عن ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع كلمة فأعجبته، فقال: أخذنا فألك من فيك [(1)] .

وخرج الترمذي من حديث عمر بن عليّ المقدمي، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يغير الاسم القبيح. وربما قال عمر ابن علي عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسل، ولم يذكر فيه [عن] عائشة [(2)] .

وخرّج مسلم والترمذي من حديث يحيى عن سعيد عن عبيد الله قال: أخبرني نافع عن ابن عمر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير اسم عاصية، وقال: أنت جميلة [(3)] .

ولمسلم من حديث حماد بن سلمة عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر، أن ابنة لعمر رضي الله عنه يقال لها عاصية، فسمّاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميلة [(4)] ، وله من حديث سفیان بن عبد الرحمن - مولى أبي طلحة - عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت جويرة اسمها برة، فحول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمها جويرة، وكان

[(1)]

(صحيح سنن أبي داود) : ج 2 ص 472، رقم (3317-3917) ، (المجموعة الصحيحة) :
حديث رقم 726، (كشف الخفا) : ج 1 ص 66، حديث رقم (154) ، (المقاصد الحسنة) :
ص 70، حديث رقم (40) من حديث محمد بن يونس، حدثنا عون بن عمارة، حدثنا السري
بن يحيى، عن الحسن، عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الفأل
الحسن، فسمع عليا يوما وهو يقول: هذه خضرة، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا لبيك قد
أخذنا فألك من فيك فاخرجوا بنا إلى خضرة» ،
قال: فخرجوا إلى خير، فما سل سيف إلا سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. زاد
(العسكري) :

حتى فتح الله عزّ وجلّ. والعسكري هو: أبو هلال العسكري، مؤلف كتاب الصناعتين، وديوان
المعاني، وجمهرة الأمثال، وغيرهم، حيث تزيد مؤلفاته على العشرين مصنفا، مات في القرن
الخامس.

[(2)] (سنن الترمذي) : ج 5 ص 123-124، حديث رقم (2839) ، (صحيح سنن
الترمذي) ج 2 ص 372، باب ما جاء في تغيير الأسماء، حديث رقم (2275-3007) ،
(المجموعة الصحيحة) حديث رقم (207) ، (208) .

[(3)]

(المرجع السابق) حديث رقم (2838) : «حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، وأبو بكر محمد
بن بشار، وغير واحد قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن
ابن عمر: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير اسم عاصية، وقال: «أنت جميلة» ، (صحيح سنن
الترمذي) : ج 2 ص 372، حديث رقم (2274-3006) ، قال الألباني: «صحيح»
(صحيح سنن ابن ماجه) : ج 2 ص 306 حديث رقم (3008-3733) ، (المجموعة
الصحيحة) حديث رقم (213) .

[(4)] (مسلم بشرح النووي) : ج 14 ص 666-367، حديث رقم (2139)

(309/2)

يكره أن يقال: خرج من عند برة [(1)] .

وللبخاريّ ومسلم من حديث شعبة عن عطاء بن ميمونة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن زينب
كان اسمها برة، فقيل: تزكي نفسها، فسمّاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب [(2)] .

ولمسلم من حديث الوليد بن كثير قال: حدثني محمد بن عمرو، عن عطاء قال: حدثني زينب ابنة أم سلمة، قالت: كان اسمي برة، فسماني رسول الله زينب. قالت: دخلت عليه بنت جحش واسمها برة، فسمها زينب [(3)] .

ومن حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن هذا الاسم، وسميت برة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم، فقالوا: بم نسميها؟ قال: سموها زينب [(4)] .

وخرج الإمام أحمد من حديث عبيد الله بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن علي، عن علي رضي الله عنه قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه بعمة جعفر فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أمرت أن أغير اسم هذين، قلت: الله ورسوله أعلم، فسمها، حسنا وحسينا [(5)] .

وخرج قاسم بن أصبغ وأحمد بن حنبل من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ عن علي رضي الله عنه قال: لما ولد الحسن جاء النبي فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: سميتته حربا، قال: بل هو حسن، فلما ولد الحسين

[(1)] (المرجع السابق) : حديث رقم (2140) .

[(2)] (اللؤلؤ والمرجان) : ج 3 ص 47 حديث رقم (1384) .

[(3)] (مسلم بشرح النووي) : ج 14 ص 367 حديث رقم (2142) .

[(4)] (المرجع السابق) ، حديث رقم (19) .

قال الإمام النووي في (المرجع السابق) : معنى هذه الأحاديث تغيير الاسم القبيح أو المكروه إلى حسن، وقد ثبتت أحاديث بتغييره صلى الله عليه وسلم أسماء جماعة كثيرين من الصحابة، وقد بين العلة في النوعين وما في معناهما، وهي التزكية أو خوف التطير.

[(5)] (مسند أحمد) : ج 1 ص 159، حديث رقم (1374) .

(310/2)

قال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: سميتته حربا، قال بل هو حسين، فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: حربا، قال هو محسن [(1)] .
وخرج الإمام أحمد من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن رجل من جهينة قال سمع النبي صلى

الله عليه وسلّم رجلا يقول: يا حرام، فقال: يا حلال.

ومن حديث يحيى بن أبي بكير، حدثنا عبيد الله بن إيد [(2)] بن لقيطة [السدوسي] [(3)]
[عن أبيه عن ليلي امرأة بشير بن الخضامية عن بشير قال: وكان قد أي النبي صلى الله عليه
وسلّم واسمه زحم - فسماه النبي بشيرا [(4)] .

ومن حديث إسماعيل بن عياش عن بكر بن زرعة الخولانيّ عن مسلم بن عبد الله الأزدي قال:
جاء عبد الله بن قرظ الأزدي إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال له: ما اسمك؟
قال: شيطان بن قرظ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلّم: أنت عبد الله بن قرظ.

ومن حديث شعبة عن عبد الله بن أبي السفر [(5)] عن عامر الشعبي عن عبد بن مطيع بن
الأسود، حدثني عدي بن كعب عن أبيه مطيع - وكان اسمه العاصي - فسماه رسول الله صلى الله
عليه وسلّم مطيعا. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة
يقول: لا تغزى مكة بعد هذا اليوم أبدا.

ولأبي داود [(6)] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن

[(1)] ثم زاد أسد، ثم

قال: إني سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر وشبر ومشبر. (الاستيعاب لابن عبد البر) ج 3 ص
100.

[(2)] في (خ) «أبان» .

[(3)] ما بين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (الجرح والتعديل) ج 2 قسم 2
ص 307 ترجمة رقم (1462) وهو ثقة كما قال عنه يحيى بن معين.

[(4)] ونحوه في (سنن أبي داود) ج 3 ص 554 حديث رقم 3230 باب المشي في النعل بين
القبور.

[(5)] في (خ) «اليفر» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) ج 4 ص 340 عند ترجمة شعبة بن
الحجاج رقم (580) .

[(6)] وأخرجه. البخاري في الأدب باب اسم الحزن وفيه [قال ابن المسيب: فما زالت فينا
الحزونة بعد] .

(311/2)

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: ما اسمك؟ قال: حزن، قال: بل أنت سهل، قال: لا، السهل يوطأ ويمتهن،

قال سعيد: فظننت أن ستصيبنا بعده حزنونة. قال أبو داود: وغير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه العاص وعزيز وعتلة [(1)] ووشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما، وسمى حربا سلما [(2)] ، وسمى المضطجع المنبعث، وأرض تسمى عفرة [(3)] سماها خضرة، وشعب الضلالة سماها شعب الهدى، وبنى الزنية سماهم بني الرشدة، وسمى بني مغوية بني رشدة [(4)] . قال أبو داود: وتركنا أسانيدهما للاختصار.

[(1)] العتلة: عمود حديد تقدم به الحيطن، وقيل: حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر. [(2)] أما (العاص) : فإنما غيره كراهة لمعنى العصيان، وإنما سمة المؤمن: الطاعة والاستسلام. و (عزير) : إنما غيره لأن العزة لله سبحانه، وشعار العبد: الذلة والاستكانة، وقد قال سبحانه عند ما يقرع بعض أعدائه: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان: 49] . و (عتلة) : معناها الشدة والغلظة، ومنه قولهم: رجل عتلّ: أي شديد غليظ. ومن صفة المؤمن: اللين والسهولة.

و (شيطان) : اشتقاق من الشطن: وهو البعد عن الخير، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس. و (الحكم) : هو الحاكم الذي إذا حكم لم يردّ حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه، ومن أسمائه الحكم.

و (غراب) : مأخوذ من الغرب، وهو البعد. ثم هو حيوان خبيث الفعل، خبيث الطعم، وقد أباح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتله في الحل والحرم. و (حباب) : نوع من الحيات، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان.

فقيل: إنه أراد الخبيث من شياطين الجن، وقيل-: أراد نوعا من الحيات يقال لها: الشياطين. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: طَلَّعَهَا كَأَنَّه رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ [الصافات: 65] . [(3)] وأما (عفرة) : فهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئا، أخذت من العفرة، وهي: لون الأرض القحلة فسمها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتمرع.

وقوله: (عقرة) : المحفوظ عقرة بالقاف. كأنه كره اسم العقرة، لأن العاقر هي المرأة التي لا تحمل، وشجرة عاقر: لا تحمل.

[(4)] يقال: هذا ولد رشدة: إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضده: ولد زنية، بالكسر فيهما

وخرّج بقي [بن] مخلد من حديث عبدة بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بأرض تسمى مجدبة فسمها خضرة.

وخرّج البخاري من حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي فقال: ما اسمك؟ قال: حزن، قال: أنت سهل، قال لا أغير اسما سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعده. ترجم عليه باب اسم الحزن، وذكره أيضا في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه.

[و] [(1)] من حديث ابن جريج، أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبه قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده قدم على النبي فقال: ما اسمك؟ الحديث بنحو منه.

وللبخاري ومسلم من حديث أبي غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أتني بالمنذر بن أبي أسيد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ولد فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس، فلهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء بين يديه، فأتي أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي فأقبلوه [(2)] ، فاستفاد النبي [(3)] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أين الصبي؟ فقال أبو أسيد: أقبلناه يا رسول الله، قال ما اسمه؟ قال: فلان، قال: لا، ولكن اسمه المنذر، فسماه يومئذ المنذر. وذكره البخاري [(4)] في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ولم يقل: فأقبلوه، وقال: ولكن اسمه المنذر، لم يذكر لا.

وخرّج أبو داود [(5)] من حديث بشير ابن ميمون عن عمه عن أسامة بن أخدري أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر

[()] وقيل بالفتح. (معالم السنن للخطابي) على هامش (سنن أبي داود) ج 5 ص 241 وما بعدها، تعليقا على الحديث رقم (4956) .

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] فأقبلوه: أي رده وصرّفه في جميع نسخ (صحيح مسلم) فأقبلوه بالألف وأنكره جمهور أهل اللغة والغريب وشراح الحديث وقالوا: صوابه قلبوه بحذف الألف. قالوا: قال: قلبت الصبي والشبي صرّفته ورددته.

[(3)] أي انتبه من شغله وفكره الذي كان فيه والله أعلم (مسلم بشرح النووي) ج 14 ص

- [(4)] (صحيح البخاري) ج 4 ص 80 .
[(5)] (سنن أبي داود) ج 5 ص 239 حديث رقم (4954) .

(313/2)

الذين أتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما اسمك؟
قال [أنا] [(1)] أصرم، قال: بل أنت زرعة.
وقال أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا يزيد بن المقدم بن شريح عن المقدم بن شريح عن أبيه عن
جده هاني بن شريح أنه ذكر أنه أول ما وفد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قومه سمعهم وهو
يكنون هاني أبا الحكم، فدعاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنه الله هو الحكم وإليه الحكم،
فلم تكن أبا الحكم؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء فحكمت بينهم رضي كلا الفريقين،
قال: ما أحسن هذا، قال: فما لك من الولد؟ قال:
شريح بن هاني وعبد الله ومسلم قال أين أكبرهم؟ قال: شريح، قال: أنت أبو شريح، فدعاه له
ولولده، وسمع القوم وهم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال: ما اسمك؟ فقال: عبد الحجر،
فقال: بل أنت عبد الله- وأنه لما حضر خروج القوم إلى بلادهم أعطى كل رجل منهم [(2)]
[في بلاده حيث أحب، إلا أن هاني قال له: يا رسول الله، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة، قال:
عليك بحسن الكلام وبذل الطعام. وذكره أبو داود في باب تغيير الاسم القبيح إلى قوله: فأنت
أبو شريح، وبعده قال أبو داود: هذا هو الذي كسر السلسلة وهو ممن دخل تستر. وخرجه
النسائي [(3)] أيضا والبخاري في (الأدب المفرد) [(4)] .

[(1)] [زيادة من نص (أبي داود) .

وإنما غير اسم (أصرم) لما فيه معنى الصَّرم وهو القطيعة، يقال: صرمت الحبل: إذا قطعته،
وصرمت النخلة، إذا جذدت ثمرها. (معالم السنن للخطابي) ج 5 ص 340.

[(2)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(3)] (سنن النسائي) ج 8 ص 326 باب إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم.

[(4)] (فضل الله الصمد) ج 2 ص 283 حديث رقم (811) .

(314/2)

فصل في ذكر اجتهاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طاعة ربه ومداومته على عبادته
خَرَجَ البخاري من حديث حيوة عن أبي الأسود، سمع عروة عن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقوم الليل حتى تتفطر [(1)] قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا
يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدا
شكورا؟ فلما كثر لحمه صَلَّى جالسا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع [(2)] .

[(1)] تتفطر: تتشقق

[(2)] [فتح الباري] ج 8 ص 751، كتاب التفسير، سورة (48) : باب (2) لِيُغْفَرَ لَكَ اللهُ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا حديث رقم (4837) .
وحياة: هو ابن شريح المصري. وأبو الأسود: هو محمد بن عبد الرحمن النوفلي المعروف ببيتيم
عروة، ونصف هذا الإسناد مصريون ونصفه مديون. قوله: «فلما كثر لحمه» ، أنكره الداودي
وقال:

المحفوظ «فلما بدن» أي كبر، فكأن الراوي تأوله على كثرة اللحم.

وتعقبه أيضا ابن الجوزي فقال: لم يصفه أحد بالسمن أصلا، ولقد مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما
شبع من خبز الشعير في يوم مرتين، وأحسب بعض الرواة لما رأى «بدن» ظنه كثر لحمه، وليس
كذلك، وإنما هو بدن تبدينا أي أسنّ، قاله أبو عبيدة.

قال الحافظ ابن حجر: وفي استدلاله بأنه لم يشبع من خبز الشعير نظر، فإنه يكون من جملة
المعجزات، كما في كثرة الجماع، وطوافه في الليلة الواحدة على تسع وإحدى عشرة، مع عدم
الشبع وضيق العيش، وأي فرق بين تكثير المني مع الجوع، وبين وجود كثرة اللحم في البدن مع
قلة الأكل؟

وقد أخرج مسلم من طريق عبد الله بن عروة، عن عائشة قالت: «لما بدن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عليه وَسَلَّمَ وثقل كان أكثر صلاته جالسا» ، لكن يمكن تأويل قوله: «ثقل» ، أي ثقل عليه حمل
لحمه، وإن كان قليلا لدخوله في السن.

قوله: «صَلَّى جالسا، فإن أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع» في رواية هشام بن عروة عن أبيه، «قام
فقرأ نحو من ثلاثين أو أربعين آية ثم ركع» ، أخرجاه.

وأخرجا من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة بلفظ، «فإذا بقي من قراءته نحو من
ثلاثين أو أربعين آية، قام فقرأها وهو قائم ثم ركع» .

ولمسلم من طريق عمرة عن عائشة: «فإذا أراد أن يركع قام فقرأ قدر ما يقرأ إنسان أربعين آية» .
وقد روى مسلم من طريق عبد الله بن شقيق عن عائشة في صفة تطوعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وفيه: «وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ قاعدا ركع وسجد وهو قاعد» .

وهذا محمول على حالته الأولى قبل أن يدخل في السنّ جمعا بين الحديتين. (المرجع السابق) :
752.

(315/2)

وخرّجه مسلم من حديث أبي صخر عن ابن قسيط عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صَلَّى قام حتى تفتط رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله! أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:

أفلا أكون عبدا شكورا؟ [(1)] .

ولهما من حديث أبي عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ [(2)] .

وللبخاريّ من حديث مسعر [(3)] عن زياد قال: سمعت المغيرة يقول: إن كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقوم أو يصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا؟ [(4)] .

[(1)] (مسلم بشرح النووي) : ج 17 ص 168 كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (81-2820) .

والنفط: التشقق، قالوا: ومنه فطر الصائم، وأفطره لأنه خرق صومه وشقه، قال القاضي: الشكر، معرفة إحسان المحسن والتحدث به، وسميت المجازاة على فعل الجميل شكرا، لأنها تتضمن الثناء عليه، وشكر العبد لله تعالى اعترافه بنعمه وثناءه عليه، وتمام مواظبته على طاعته، وأما شكر الله تعالى أفعال عباده، فمجازاته إياهم عليها، وتضعيف ثوابها، وثناءه بما أنعم به عليهم، فهو المعطي والمثنى سبحانه، والشكور: من أسماؤه سبحانه وتعالى بهذا المعنى، والله أعلم. (المرجع السابق) :

ص 168-169.

[(2)] (مسلم بشرح النووي) ج 17 ص 168 كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (79-2819) .

[(3)] في (خ) : «مسعود» وما أثبتناه من (البخاري) .

[(4)] (فتح الباري) : ج 3 ص 18 حديث رقم (1130) . قال الحافظ ابن حجر: الفاء

في قوله: «أفلا أكون» للسببية، وهي عن محذوف تقديره: أترك تهجدي فلا أكون عبدا شكورا، والمعنى: أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف أتركه؟
قال ابن بطال: في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة، وإن أضر ذلك ببدنه، لأنه صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك، فضلا عمن لم يأمن أنه استحق النار.
ومحل ذلك ما إذا لم يفيض إلى الملل، لأن حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت أكمل الأحوال، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه، بل صح
أنه قال: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»، كما أخرجه النسائي من حديث أنس،
فأما غيره صلى الله عليه وسلم فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه، وعليه يحمل
قوله صلى الله عليه وسلم «خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا» .

(316/2)

وله من حديث أبي عيينة، أخبرنا زياد أنه سمع المغيرة يقول: قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه، فقبل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال:
أفلا أكون عبدا شكورا؟ [(1)] .

وخرّج قاسم بن أصبغ من حديث سفيان عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جعلت قرّة عيني الصلاة [(2)] ، وكان يصلي حتى ترم قدماه، قال: فقبل له يا رسول الله! أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟

وله من حديث شعبه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه، فقبل له: تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟

وخرّج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب أن عليا قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح ببدر من الغد أحيا تلك الليلة كلها وهو مسافر [(3)] .

[()] وفيه: مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل، كما يكون باللسان، كما قال تعالى:

اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: ظَنُّ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَحْمِلِهِ الْمَشَقَّةَ فِي الْعِبَادَةِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ خَوْفًا مِنَ الذَّنُوبِ وَطَلْبًا لِلْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَمَنْ تَحَقَّقَ أَنَّهُ غَفَرَ لَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ، فَأَفَادَهُمْ أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقًا آخَرَ لِلْعِبَادَةِ وَهُوَ الشُّكْرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، وَإِيصَالُ التَّعْمَةِ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ فِيهَا شَيْئًا، فَيَتَعَيَّنُ كَثْرَةُ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ.

والشكر: الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سُمِّيَ شكورا، ومن ثم قال سبحانه وتعالى: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وفيه: ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الاجتهاد في العبادة، والحشية من ربه، قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم، وأنه ابتدأهم بما قبل استحقاقها، فبدلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره، مع أن حقوقه أعظم من أن يقوم بها العباد. وطرفه في الحديث رقم (6471) .

[(1)]

(المرجع السابق): ج 8 ص 751 حديث رقم (4836): «حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، حدثنا زياد أنه سمع المغيرة يقول: «قام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدا شكورا» .

[(2)] [البداية والنهاية]: ج 6 ص 30، (كنز العمال): ج 7 ص 286 حديث رقم (18912)، الطبراني عن أنس.

[(3)] [الإحسان]: ج 11 ص 73، حديث رقم (4759)، إسناده حسن، رجاله رجال الشيخين،

(317/2)

ومن حديث شعبة عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح [(1)]

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن أبي يوسف مولى عائشة عن عائشة أن [رجلا سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فقال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب، وأنا أريد الصيام فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب وأنا أريد الصيام فأغتسل وأصوم، فقال الرجل: إنا لسنا مثلك، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب رسول الله وقال:

والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عز وجل وأعلمكم بما أتقى [(2)]

وخرّج ابن عساكر من حديث آدم، أخبرنا أبو شيبّة عن عطاء الخراساني عن أبي عمران الجوني عن عائشة قالت: كان أحب الأعمال إلى رسول الله أربعة، فعملان يجهدان ماله وعملان يجهدان جسده، فأما اللذان يجهدان ماله فالجهاد والصدقة، وأما اللذان يجهدان جسده فالصوم والصلاة [(3)] .

وخرّج من حديث عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريح قال: قال عبد الله بن أبي مليكة: سمعت أهل عائشة يذكرون عنها أنها كانت تقول: كان رسول الله شديد الإنصاب لجسده في العبادة، غير أنه حين دخل في السن وثقل من اللحم كان أكثر ما يصلي وهو قاعد [(3)] .

[()] غير حارثة بن مضرب، فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة، والأزرق بن علي، ذكره المؤلف في الثقات وقال: يغرب، وروى عنه أبو يعلي، وابن عاصم، وعبد الله بن أحمد، وأبو زرعة، وغيرهم، وأخرج له الحاكم في (المستدرک) ، وقد اعتمد الشيخان رواية يوسف بن أبي إسحاق، وهو يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق، عن جده.

[(1)] [المرجع السابق] : ج 6 ص 32 حديث رقم (2257) ، وإسناده صحيح. رجاله ثقات رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة روى له أصحاب السنن.

[(2)] [مسند أحمد] : ج 7 ص 100، حديث رقم (23864) ، ص 349، حديث رقم (25552) باختلاف يسير، من حديث عائشة أيضا.

[(3)] [لم أظفر بهما فيما بين يدي من مراجع.

(318/2)

وخرّج البخاري [(1)] ومسلم [(2)] وأبو داود [(3)] من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قلت: يا أم المؤمنين، كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم تستطيعون ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع. ذكره البخاري في كتاب الرقاق، وفي كتاب الصيام [(4)]

وخرّج البخاري من حديث عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والوصال، قال: قلت: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: إني لست في ذاكم مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فاكلفوا من العمل ما لكم به طاقة [(5)] . وخرّجه مسلم من

[(1)] [فتح الباري) : ج 4 ص 295 ، حديث رقم (1987) ولفظه: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة «قلت لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص من الأيام شيئا؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق» ؟ و (المرجع السابق) : ج 11 ص 355، حديث رقم (6466) ، «سألت أم المؤمنين عائشة قلت: يا أم المؤمنين، كيف كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم، هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستطيع» ؟
قوله: «كان عمله ديمة» ، بكسر الدال المهملة وسكون التحتانية أي دائما، والديمة في الأصل المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق، ثم استعمل في غيره، وأصلها الواو، فانقلبت بالكسرة قبلها ياء.

قوله: «وأيكم يستطيع» أي في العبادة، كمية كانت أو كيفية من خشوع وخضوع وإخبات وإخلاص. والله أعلم. (المرجع السابق) .

[(2)] [مسلم بشرح النووي) : ج 6 ص 319 حديث رقم (217- 783) ، «حدثنا زهير بن حرب، وإسحاق بن إبراهيم، قال زهير: حدثنا جرير عن منصور، عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة، قال: قلت: يا أم المؤمنين، كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان يخص شيئا من الأيام؟

قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع» ؟.

[(3)] [عون المعبود) : ج 4 ص 170 ، حديث رقم (1367) .

[(4)] [وأخرجه أيضا:

الإمام أحمد في (المسند) : ج 7 ص 66 ، حديث رقم (23642) ، ص 83 ، حديث رقم

(23761) ، ص 271 ، حديث رقم (25034) ، وفي (الزهد) : ص 8 .

ابن حبان في صحيحه، (الإحسان) : ج 2 ص 26 ، حديث رقم (322) ، ج 8 ص 408 ،

حديث رقم (3647) .

[(5)] [فتح الباري) : ج 4 ص 258 ، حديث رقم (1966) ، قوله: «بما تطيقون» ، في

رواية أحمد:

«بما لكم به طاقة» ، وكذا لمسلم من طريق أبي الزناد عن الأعرج. قوله: «يطعمني ويسقيني» ،

أي

أوجه [(1)] .

وخرّجا معناه من حديث ابن عمر وأنس وعائشة والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة من [حديث] سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن خالد بن عبد الله بن الحسين قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما رأيت أحدا أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة [(2)] .

[()] يشغلني بالتفكر في عظمته، والتملي بمشاهدته، والتغذي بمعارفه، وقره العين بمحبته، والاستغراق في مناجاته، والإقبال عليه عن الطعام والشراب. وإلى هذا جنح ابن القيم وقال: قد يكون هذا الغذاء أعظم من غذاء الأجساد، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح، عن كثير من الغذاء الجسماني.

ولا سيما الفرح المسرور بمطلوبه، الذي قرت عينه بمحبوبه. (المرجع السابق)

[(1)] [مسلم بشرح النووي]: ج 7 ص 220، حديث رقم (58- ...) ، قوله: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» معناه: يجعل الله تعالى في قوة الطاعم والشارب، وقيل: هو على ظاهره، وأنه يطعم من طعام الجنة كرامة له، والصحيح الأول، لأنه لو أكل حقيقة، لم يكن مواصلا.، قوله:

«فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون» ، هو بفتح اللام، ومعناه: خذوا وتحملوا. (المرجع السابق) . وخرجه أيضا: الإمام أحمد في (المسند): ج 2 ص 461، حديث رقم (7122) ، وص 484، حديث رقم (7286) .

البيهقي في (السنن الكبرى) ج 4 ص 282، باب النهي عن الوصال في الصوم. مالك في (الموطأ): ج 2 ص 240، حديث رقم (676) ، باب النهي عن الوصال في الصيام، وص 243، حديث رقم (677) ، قوله: (إني لست كهيتكم) ، أي ليس حالي كحالكم، والمراد لست كأحدكم. (شرح الزرقاني على الموطأ) .

الدارمي في (السنن): ج 2 ص 8 باب النهي عن الوصال في الصوم.

[(2)] [مسند أحمد]: ج 3 ص 202، حديث رقم (9515) ، (حلية الأولياء): ج 2 ص 88، ترجمة رقم (173) ، أبو بكر بن عبد الرحمن وقال فيه «أكثر من سبعين مرة» ثم قال: رواه عقيل وغيره عن الزهري، ولم يروه عن موسى بن عقبة إلا سليمان، (فتح الباري): ج 11 ص 121، حديث رقم (6307) باب استغفار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليوم والليلة، قوله: إني لأستغفر الله وأتوب إليه»

ظاهره أنه يطلب المغفرة، ويعزم على التوبة، ويحتمل أن يكون المراد يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني ما

أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر، أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة»

وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ «إننا كنا لنعد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس:

رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة» ، (كنز العمال) : ج 1 ص 483 حديث رقم (2113-2114) ، (صحيح سنن ابن ماجه) ج 2 ص 321، حديث رقم (3076-3815) ، وقال فيه: «مائة مرة» ، قال الألباني: حسن صحيح، (المرجع السابق) :

(320/2)

وله من حديث مغيرة بن أبي الخواء الكندي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال: جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن جلوس فقال: ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة [(1)] .

وله من حديث عفان عن حماد بن سلمة قال: أخبرنا ثابت عن أبي بردة عن [الأغر المزني] [(2)] قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في كل يوم مائة مرة [(3)] .

[()] حديث رقم (3077-3816) ، وقال فيه «سبعين مرة» ، قال الألباني: صحيح. [(1)] [المطالب العالية] : ج 3 ص 197، حديث رقم (2342) ، رواه الطبراني بغير هذا اللفظ، وبزيادة. «وأتوب إليه» قال الهيثمي: رجال أحد إسناده رجال الصحيح (10/209) ، وصحح إسناده البوصيري (3/96) .

[(2)] ما بين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

[(3)] [مسلم بشرح النووي] : ج 17 ص 26-27، حديث رقم (41-2702) باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وقال فيه: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» .

قال أهل اللغة: الغين والغيم بمعنى، والمراد هنا ما يتغشى القلب. قال القاضي:

قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل، عدّ ذلك ذنبا واستغفر منه.

وقيل: هو همه بسبب أمته، وما أطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم.

وقيل: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم، ومحاربة العدو ومداراته، وتأليف المؤلفات، ونحو ذلك، فيشتغل بذلك من عظيم مقامه، فيراه ذنبا بالنسبة إلى عظيم منزلته، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال، فهي نزول عن عالي درجته، ورفيع مقامه، من حضوره مع الله تعالى، ومشاهدته، ومراقبته، وفراغه مما سواه، فيستغفر لذلك.

وقيل: يحتمل أن يكون هذا الغين هو السكينة التي تغطي قلبه، لقوله تعالى: فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ (آية 18/الفتح) ، ويكون استغفاره إظهارا للعبودية والافتقار، وملازمة الخشوع، وشكرا لما أولاه.

وقيل: يحتمل أن يكون هذا الغين حال خشية وإعظام يغطي القلب، ويكون استغفاره شكرا كما سبق.

وقيل: هو شيء يعتري القلوب الصافية، مما تتحدث به النفس، فهو شأنها، والله أعلم. (المرجع السابق).

(عون المعبود) : ج 4 ص 265، حديث رقم (1512) وقال فيه: «في كل يوم مائة مرة» ، قال في النهاية: وغيت السماء تغان إذا أطبق عليها الغيم، وقيل: الغين شجر ملتف. أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى، فإن عرض له وقتا ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة أو الملة ومصالحهما، عدّ ذلك ذنبا وتقصيرا، فيفرغ إلى الاستغفار.

(321/2)

ومن حديث جعفر بن سليمان عن ثابت عن أبي بردة عن رجل من أصحابه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة.

ومن حديث سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: حدثني أبو بردة قال:

جلست إلى رجل من المهاجرين يعجبني تواضعه، فسمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول: يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنّي أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم [مائة]

مرة، أو قال: أكثر من مائة مرة [(1)] .

[()] وقال السيوطي: هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه. وقد وقف الأصمعي إمام اللغة على تفسيره وقال: لو كان قلب غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتكلمت عليه. وقال السندي: وحقيقته بالنظر إلى قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تدري، وإن قدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلَ وَأَعْظَمَ مما يخطر في كثير من الأوهام، فالتفويض في مثله أحسن، نعم القدر المقصود بالإفهام مفهوم، وهو أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحصل له حالة داعية إلى الاستغفار، فيستغفر كل يوم مائة مرة، فكيف غيره. والله أعلم. (المرجع السابق).

(مسند أحمد): ج 5 ص 242، حديث رقم (17392)، وقال فيه: فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، ،
وحديث رقم (17393)، وقال فيه: «حتى أستغفر الله». كلاهما من حديث الأغر المزني رضي الله تعالى عنه.

(السنن الكبرى للبيهقي): ج 7 ص 52 باب: كان يغان على قلبه، فيستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة.

(إتحاف السادة المتقين): ج 5 ص 284، كتاب الأذكار والدعوات، الباب الثاني: قوله: «إنه ليغان على قلبي»، الغين: شيء رقيق من الصدا يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء، فاليجب الشمس، لكنه يمنع ضوءها. والمزني، له صحبه، روى عنه معاوية ابن قرة، وأبو بردة. (المرجع السابق).

(جامع الأصول): ج 4 ص 386، حديث رقم (2443)، قوله: «ليغان على قلبي»، أي ليطفي ويغشى، والمراد به: السهو، لأنه كان لا يزال في مزيد من الذكر والقربة، ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات، أو نسي، عدّه ذنبا على نفسه، ففزع إلى الاستغفار. (المرجع السابق).

(كنز العمال): ج 1 ص 476، حديث رقم (2075).

[(1)] [مسلم بشرح النووي] ج 17 ص 27، حديث رقم (42) - (...)، ،

وقوله: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»،
هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً، (آية 31/النور)، (آية 8/التحریم) على الترتيب. وقد سبق في الباب قبله بيان سبب استغفاره وتوبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج.

قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: للتوبة ثلاثة شروط: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها،

ورواه النضر بن شميل من حديث محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة [(1)] . وخرج الإمام أحمد من حديث داود عن الشعبي عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثّر في آخر أمره من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت: يا رسول الله! ما لي أراك تكثّر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ قال: إني ربي عز وجل كان أخبرني أبي

[()] وأن يعزم عزمًا جازمًا أن لا يعود إلى مثلها، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع، وهو رد الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه. والتوبة من أهم قواعد الإسلام، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة. (المرجع السابق) .
(مسند أحمد) : ج 5 ص 242، حديث رقم (17394) من حديث الأغرّ المزني، ص 222، حديث رقم (17828) من حديث الأغرّ المزني أيضا، ص 322، حديث رقم (1729) عن رجل رضي الله عنه، حديث رقم (17830) ، من حديث رجل من المهاجرين رضي الله عنه، لعل الرجل المجهول في هذين الحديثين هو الأغرّ المزني، ج 6 ص 570، حديث رقم (22977) ، من حديث شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل، حدثنا يونس عن حميد بن هلال، عن أبي بردة قال: جلست إلى شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الكوفة، فحدثني فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة، فقلت: اللهم إني أستغفرك اثنتان، قال: هو ما أقول لك.

(علل الحديث) : ج 2 ص 137 حديث رقم (1904) : سألت أبي عن حديث رواه يحيى القطان، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي برزة، عن رجل من المهاجرين يعجبني تواضعه ... فذكر الحديث. قال أبي: يقال إن هذا الرجل هو الأغرّ المزني، وله صحبه. (المرجع السابق) .

(المجموعة الصحيحة) : ج 3 ص 435، حديث رقم (1452) ، قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وجهالة الصحابي لا تضر، ويبدو أنه الأغرّ المزني.
[(1)] (سنن ابن ماجة) : ج 2 ص 1254، كتاب الأدب، حديث رقم (3815) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وقال فيه: «مائة مرة» وحديث رقم (3816) : حدثنا علي بن محمد، حدثنا وكيع، عن مغيرة بن

أبي الحرّ، عن سعيد ابن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، عن جده، وقال فيه: «سبعين مرة». (صحيح سنن ابن ماجه): ج 2 ص 321، باب الاستغفار، حديث رقم (3076-3815) ، قال الألباني: حسن صحيح، وحديث رقم (3077-3816) ، قال الألباني، صحيح.

(323/2)

سأرى علامة في أمّتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها، إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ورأيتُ الناسَ يدخلونَ في دينِ الله أفواجاً فسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً [(1)] .

وخرّج البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السليماني عن عبد الله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اقرأ عليّ القرآن، فقلت: يا رسول الله! اقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري، قال:

[فقرأت عليه] حتى إذا بلغت فكيف إذا جئنا من كلّ أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً [(2)] ، فرفعت بصري أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل. وقال البخاري: إني أحب أن أسمع من غيري- وهنا انتهى حديثه- لم يذكر ما بعده. ترجم عليه باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، وذكره في باب البكاء عند قراءة القرآن [(3)] .

[(1)] سورة النصر

(مسند أحمد): ج 7 ص 54، حديث رقم (23545) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(ابن كثير في التفسير) ج 4 ص 602 قال: ورواه مسلم من طريق داود بن هند به، وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا حفص، حدثنا عاصم عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «سبحان الله وبحمده، فقلت: يا رسول الله! رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد، إلا قلت: «سبحان الله وبحمده»؟ قال: إني أمرت بها، فقال: إذا جاء نصرُ الله والفتحُ إلى آخر السورة. غريب.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن عمرو بن مرة، عن شعبة، عن إسحاق به.

والمراد بالفتح هنا، فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم

تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام.
ولله الحمد والمنة. (المرجع السابق) .

[(2)] آية 41/ النساء

[(3)] [اللؤلؤ والمرجان] ج 1 ص 155 باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من

حافظه للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر، حديث رقم (463) .

(فتح الباري) : ج 9 ص 115، باب (32) من أحب أن يستمع القرآن من غيره، وباب (33)

قول المقرئ للقارئ: حسبك، حديث رقم (5049) ، (5050) . قال ابن بطال:

يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره، ليكون عرض القرآن سنة. ويحتمل أن يكون لكي

يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أحلى وأنشط لذلك من القارئ

لاشغاله بالقراءة

(324/2)

وفي رواية لمسلم: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر اقرأ عليّ، فذكره [(1)] .

وذكر البخاري في كتاب التفسير من حديث سفيان عن سليمان عن إبراهيم عن عبيده عن عبد

الله قال يحيى بعض الحديث «عن عمرو بن مرة قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ

عليّ، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل، قال: إني أحب أن أسمع من غيري، فقرأت عليه سورة

النساء حتى بلغت: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً قَالَ:

أمسك، فإذا عيناه تذرّفان» [(2)] .

وذكره في فضائل القرآن وكرره [(3)] . وذكر له مسلم عدة طرق.

وخرج الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف بن

عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي،

[()] وأحكامها، وهذا بخلاف قراءته هو صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب، فإنه أراد أن

يعلمه كيفية أداء القراءة، ومخارج الحروف، ونحو ذلك. باختصار من (المرجع السابق) .

(المرجع السابق) : ص 121، باب 35 البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم (5055) ،

(5056) . قال الغزالي: يستحب البكاء مع القراءة وعندها، وطريق تحصيله أن يحضر قلبه

الحزن والخوف، بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم ينظر تقصيره في

ذلك، فإن لم يحضره حزن فليبك على ذلك، فإنه من أعظم المصائب.

قال ابن بطال: إنما يبكي عند تلاوة هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة حال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء.

والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً، فقد يفضي إلى تعذيبهم. والله أعلم. (المرجع السابق).

[(1)] [(مسلم بشرح النووي) : ج 6 ص 334-335، باب (40) ، فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتتبع حديث رقم (247-800) ، وحديث رقم (248-...) ، وفي هذا الحديث من الفوائد:

استحباب استماع القراءة والإصغاء لها، والبكاء عندها، وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمتع له، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل، ولو مع أتباعهم. (المرجع السابق).

[(2)] [(فتح الباري) : ج 8 ص 317، كتاب التفسير، حديث رقم (4582)

[(3)] [(المرجع السابق) : ج 9 ص 115، كتاب فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، حديث رقم (5049) ، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك، حديث رقم (5050) .

(325/2)

ولجوفه أزين [(1)] كأزين المرجل (من البكاء) [(2)] .

وخرجه ابن حبان من حديث هذبة عن حماد بمثله سواء [(3)] .

ورواه يزيد بن هارون عن حماد عن ثابت عن مطرف عن أبيه أنه قال: رأيت

[(1)] أزين: أي خنين من الخوف بالخاء المعجمة، وهو صوت البكاء، وقيل: هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. (النهاية) : ج 1 ص 45، ومنه الحديث: «فإن المسجد يتأرز» أي يموج فيه الناس وفي حديث الأستر: «كان الذي أرّ أم المؤمنين على الخروج ابن الزبير»، أي هو الذي حركها وأزعجها وحملها على الخروج، وفي رواية أخرى: «أن طلحة والزبير أرّا عائشة حتى خرجت». وقال الحرابي:

الأرز أن تحمل إنسانا على أمر بحيلة ورفق حتى يفعلها. (المرجع السابق) ، وفي التنزيل: أَلَمْ تَرَ أَنَا

أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّعُهمُ أَرْأَى آيَةَ 83 / مريم.، (الشمائل المحمدية) : ص 263 باب ما جاء في بكاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (323) .

[(2)] ما بين القوسين زيادة من المرجع السابق.

[(3)] [(الإحسان) : ج 2 ص 439، كتاب الرقاق، باب الخوف، والتقوى، ذكر البيان بأن المرء إذا تَهَجَّد بالليل وخلا بالطاعات، يجب أن تكون حالة الخوف عليه غالبية لئلا يعجب بها وإن كان فاضلا في نفسه، تقيا في دينه، حديث رقم (665) : أخبرنا أبو يعلي، حدثنا حوثرة بن أشرس العدوي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير، عن أبيه قال: «دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد وهو قائم يصلي، وبصدره أزيز كأزيز المرجل» . إسناده صحيح، حوثرة بن أشرس: روي عنه أبو حاتم وأبو زرعة فيما ذكره ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) : ج 3 ص 283، ترجمة رقم (1262) . وقال ابن حجر في (تعجيل المنفعة) : ص 109، ترجمة رقم (243) : روى عن حماد ابن سلمة، وأبي الأشهب وجماعة، وروى عنه عبد الله بن أحمد، ومسلم بن الحجاج خارج الصحيح، وأبو يعلي وغيرهم، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، ذكره ابن حبان في (الثقات) ج 8 ص 215 وقال: «حوثرة بن أشرس العدوي، أبو عامر، من أهل البصرة، يروي عن حماد بن سلمة والبصريين، حدثنا عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلي» . وباقي رجاله ثقات على شرط الصحيح.

و (الإحسان) ج 3 ص 30-31، حديث رقم (753) من طريق يزيد بن هارون، عن حماد بهذا الإسناد، وقال في آخره: «من البكاء» .

قال أبو حاتم رضي الله عنه: في هذا الخبر بيان واضح أن التحزن الذي أذن الله، جلّ وعلا، فيه بالقرآن، واستمع إليه وهو التحزن بالصوت مع بدايته ونهايته، لأن بدايته هو العزم الصحيح على الانقلاع عن المزجورات، ونهايته وفور التشمير في أنواع العبادات، فإذا اشتمل التحزن على البداية التي وصفتها، والنهاية التي ذكرتها، صار المتحزن بالقرآن كأنه قذف بنفسه في مقلاع القربة إلى مولاة، ولم يتعلق بشيء دونه.

و (مسند أحمد) : ج 4 ص 604، حديث رقم (15882) ، عن عبد الرحمن بن مهدي،

حديث رقم (15891) ، عن عفان، كلاهما من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه رضي الله تعالى عنهما.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي وفي صدره أزيز أزيز الرحي من البكاء [(1)] .
وخرج الترمذي من حديث أبي كريب، أخبرنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي إسحاق عن
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! أراك شبت!
قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه [(2)] .

[(1)] [(عون المعبود) : ج 3 ص 121، باب البكاء في الصلاة، حديث رقم (899) ،

«المرجل» :

القدر من حديد، أو حجر، أو خزف، لأنه إذا نصب كأنه أقيم على الرجل.
وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا، وقد قيل: إن
البكاء من خشية الله لم يبطل، وهذا الحديث يدل عليه. ويدل عليه أيضا ما
رواه ابن حبان بسنده إلى علي بن أبي طالب قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن
الأسود، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرة يصلي ويبكي
حتى أصبح» ،

وبوّب عليه: ذكر الإباحة للمرء أن يبكي من خشية الله.

واستدل على جواز البكاء في الصلاة بقوله تعالى: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا
وَبُكْيًا آية 58/ مريم.

(صحيح سنن أبي داود) : ج 1 ص 170 باب البكاء في الصلاة، حديث رقم 7991-

904) قال الألباني: صحيح.

وأخرجه الحاكم في (المستدرک) : ج 1 ص 396، حديث رقم (971-298) ، وقال: هذا
حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. والبيهقي في (السنن الكبرى) ج 2 ص 251،
باب من بكى في صلاته فلم يظهر من صوته ما يكون كلاما له هجاء، إلا أنه قال: «ولجوفه أزيز
كأزيز المرجل» ، من طريق يزيد بن هارون.

و (النسائي) : ج 3 ص 18، كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة، حديث رقم (1213) .

(صحيح سنن النسائي) : ج 1 ص 260 حديث رقم (1156) . قال الألباني: صحيح.

[(2)] [(الشمائل المحمدية) ص 56-57، حديث رقم (41) ، وفيه: «يا رسول الله قد

شبت» . وهو صحيح بشواهده، أخرجه الترمذي في (الجامع الصحيح) : ج 5 حديث رقم

(3297) ، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا

الوجه، وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة نحو هذا. وروى عن

أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلا.

وروى أبو بكر بن عيَّاش عن أبي إسحاق عن عكرمة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو حديث شيبان عن أبي إسحاق، ولم يذكر فيه عن ابن عباس، حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهروي، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش.

(صحيح سنن الترمذي) : ج 3 ص 113 حديث رقم (2627-3528) ، قال الألباني صحيح.

(الصحيحة) : ج 2 ص 676، حديث رقم (955) .

(327/2)

وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا [(1)] ، وقد روى عن أبي الحق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلًا، ورواه معاوية ابن هشام أيضا عن شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! أسرع عليك الشيب! فقال: شيبني هود، وأخواتها: الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت [(2)] .

وقال سيف بن عمر عن محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس قال: أَلْظَّ [(3)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالواقعة والحاقة، وعم يتساءلون، والنازعات، وإذا

[()] وأخرجه الحاكم في (المستدرک) : ج 2 ص 518، حديث رقم (914/3777) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وابن سعد في (الطبقات) : ج 1 ص 435: أخبرنا يعلي بن عبيد، أخبرنا حجاج بن دينار بن محمد بن واسع قال: قيل: «يا رسول الله أسرع عليك الشيب! قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شيبني الر كتابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ وَأَخْوَاتُهَا» ،

وعن الزهري عن أبي سلمة قال: قيل: «يا رسول الله نرى في رأسك شيبا! قال: ما لي لا أشيب وأنا أقرأ هودا وإذا الشمس كورت؟» .

[(1)] أخرجه أيضا أبو نعيم في (الحلية) ج 4 ص 350، وقال: اختلف على أبي إسحاق، فرواه أبو إسحاق عن أبي جحيفة، وروى عنه عمرو بن شرحبيل، عن أبي بكر، وروى عنه عن مسروق عن أبي بكر، وروى عنه مصعب بن سعد عن أبيه، وروى عنه عن عامر بن سعد عن أبي بكر، وروى عنه عن أبي الأحوص، عن عبد الله، رضي الله تعالى عنهم. (المرجع السابق) . والبيهقي في (الدلائل) ج 1 ص 357-358، وللحديث شواهد من حديث عقبة بن عامر،

وأنس، وعمران بن حصين، وأبي سعيد، وسهل بن سعد وغيرهم.
وأخرجه الخطيب في (تاريخ بغداد) ج 3 ص 145 من حديث ابن سيرين عنه بلفظ «شيبتي هود وأخواتها» عند ترجمة محمد بن غالب أبو جعفر التمام رقم (1176) .
[(2)] الحديث صحيح بشواهد كما سبق.
[(3)] أَلْظَّ بِالْمَكَانِ، وَأَلْظَّ عَلَيْهِ: أَقَامَ بِهِ وَأَلَحَّ. وَأَلْظَّ بِالْكَلِمَةِ: لَزَمَهَا. وَالْإِلْظَاطُ: لَزُومُ الشَّيْءِ وَالْمُتَابَرَةُ عَلَيْهِ.
يقال: أَلْظَطْتُ بِهِ أَلْظَ إِلْظَاطًا. وَأَلْظَّ فَلَانٌ إِذَا لَزَمَهُ. وَلَظَّ بِالشَّيْءِ: لَزَمَهُ مِثْلَ أَلْظَّ بِهِ. (النهاية) :
252 / 4، (لسان العرب) : 7 / 159، (الفاثق) : 3 / 317. ومنه حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي (المسند) : 5 / 189، حديث رقم (17143) ، وابن كثير في (التفسير) :
301 / 4 في تفسير سورة الرحمن: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» وهذا الحديث أخرجه ابن حجر في (الكافي الشافي) : ص 62، حديث رقم (77) ، الترمذي من رواية يزيد الرقاشي. عن أنس، ويزيد ضعيف، ومن رواية مؤمل عن حماد بن حميد عن أنس مرفوعا، وقال غيره: مخفوضا، وإنما هو عن حماد عن حميد عن الحسن مرسلا وهو أصح، وأخرجه من رواية مؤمل إسحاق وابن أبي شيبه وبالثنائي أبو يعلى والبخاري. قال ابن أبي حاتم في (العلل) : 2 / 170، 2 / 192، عن أبيه: أخطأ فيه مؤمل،

(328/2)

الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، فاستطار [(1)] فيه القتير [(2)] فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أسرع فيك القتير [(2)] ! بأي أنت وأمي، فقال: شيبتي هود وصواحباتها [(3)] هذه، وفيها، والمرسلات.

وخرَجَ البخاري من حديث أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يَنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا، وَقَارَبُوا، وَأَغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ، وَالْقَصْدُ الْقَصْدُ (تبلغوا) [(4)] ذكره في الرقاق [(5)]

[()] والصحيح ما رواه أبو سلمة عن حماد عن ثابت. وحميد عن الحسن مرسلا، ورواه ابن مردويه من رواية روح بن عبادة، عن حماد، عن حميد عن أنس موصولا أيضا، وهذه متابعة قوية

لمؤمل.

وفي الباب عن ربيعة بن عامر بن نجاد، أخرجه الحاكم في (المستدرک) : 1/ 676، حديث رقم (1836/ 36) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفيه رشد بن سعد، وهو ضعيف، وعن ابن عمر أخرجه ابن مردويه، وإسناده ضعيف.

[(1)] استطار: انتشر وتفرق كأنه طار في نواحيها، ومنه استطار الصدع في الحائط إذا انتشر فيه، واستطار البرق إذا انتشر في السماء. (لسان العرب) : 4/ 513.

[(2)] القتير: الشيب (سنن أبي داود) : ج 2 ص 581، كتاب النكاح، باب في تزويج من لم يولد، وقال في (لسان العرب) : القتير: هو الشيب، أول ما يظهر منه، وفي الحديث: «ويقرن أيّ النساء هي اليوم؟ قال: قد رأيت القتير» ، قال الخطابي: يريد بسنّ أيّ النساء هي، والقرن: بنو سنّ واحد، يقال: هؤلاء قرن زمان، وفي النهاية: بقرن أي النساء هي؟ أي بسنّ أيتها؟، قد رأيت القتير: كناية عن تجاوزها سنّ التزويج. (عون المعبود) : 3/ 93، (لسان العرب) : 5/ 72.

[(3)] لم أقف على حديث شيبتي هود بلفظ (صواحباتها) .

[(4)] تتمه من البخاري.

[(5)]

(فتح الباري) : 11/ 355، حديث رقم (6463) ، وبعده حديث رقم (6464) : «عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» قوله: «ينجي» ، أي يخلص، والنجاة من الشيء: التخلص منه، قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى: وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ما محمله: أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب الأعمال، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها، ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث، والتقدير:

ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك أصل الدخول.

وقال القاضي عياض: طريق الجمع أن الحديث فسّر ما أجمل في الآية، فذكر نحو من كلام ابن

بطال

[()] الأخير، وأن من رحمة الله توفيقه للعمل، وهدايته للطاعة، وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله، وإنما هو بفضل الله ورحمته.

وقال ابن الجوزي: يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة: الأول أن التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان، ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة. الثاني، أن منافع العبد لسيدته، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله. الثالث، جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال. الرابع، أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير، والثواب لا ينفد، والإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفذ بالفضل لا بمقابلة الأعمال.

وقال ابن القيم في كتاب (مفتاح دار السعادة) : الباء المقتضية للدخول، غير الباء الماضية، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له، كاقْتِضَاءِ سَائِرِ الْأَسْبَابِ لمسبباتها، والثانية بالمعاوضة، نحو اشترت منه بكذا، فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد، وأنه لولا رحمة الله لعبدته لما أدخله الجنة، لأن العمل بمجرد ولو تناهى لا يوجب بمجرد دخول الجنة، ولا أن يكون عوضاً لها، لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها، وهو لم يوفها حق شكرها، فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة، كانت رحمته خيراً من عمله، كما في حديث أبي بن كعب، الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه في ذكر القدر، ففيه: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم» .

قال: وهذا فصل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سبباً في دخول الجنة من كل وجه. والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه، وأن دخولها بمحض الأعمال. والحديث يبطل دعوى الطائفتين.

قوله: «قالوا ولا أنت يا رسول الله» ؟ قال الكرمانى: إذا كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله، فوجه تخصيص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر أنه إذا كان مقطوعاً له بأنه يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى.

قوله: «برحمة» ،

في رواية أبي عبيد: «بفضل ورحمة» ،

وفي رواية الكشميني من طريقه: «بفضل رحمته» ،

وفي رواية الأعمش: «برحمة وفضل» ،

وفي رواية بشر بن سعيد: «منه برحمة» ،

وفي رواية ابن عون: «بمغفرة ورحمة»
قال أبو عبيد: المراد بالتغمّد، الستر، وما أظنه إلا مأخوذاً من غمد السيف، لأنك إذا أغمدت
السيف فقد ألبسته الغمد وسترته به.

قال الرافعي: في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل
الدرجات، لأنه إنما عمل بتوفيق الله، وإنما ترك المعصية بعصمة الله، فكل ذلك بفضلته ورحمته.
قوله: «سدّدوا»، في رواية بشر بن سعيد، عن أبي هريرة عند مسلم: «ولكن سدّدوا»، ومعناه:
اقصدوا السداد، أي الصواب، ومعنى هذا الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة
العمل، فكأنه قيل: بل له فائدة، وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تدخل العامل
الجنة، فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب، أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم،
فينزل عليكم

(330/2)

وخرّجه مسلم من حديث ليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلّم أنه قال: لن ينجي أحداً منكم عمله، قال رجل: ولا إياك يا رسول الله؟ قال: ولا
إياي إلا أن يتغمّدني الله منه برحمة، ولكن سدّدوا [(1)]. وفي رواية له: قاربوا وسدّدوا،
واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: يا رسول الله، ولا أنت؟ قال: وقال: ولا أنا إلا أن
يتغمّدني الله برحمة منه وفضل [(2)].

[()] الرحمة. قوله «قاربوا»، أي لا تفرطوا، فتجهّدوا أنفسكم في العبادة، لئلا يفضي بكم
ذلك إلى الملل، فتتركوا العمل تفرطوا.
قوله: «واغدوا وروحوا وشيئا من الدلجة» المراد بالغدو السير من أول النهار، وبالروح السير من
أول النصف الثاني من النهار، والدلجة (بضم المهملة وسكون اللام ويجوز فتحها وبعد اللام
جيم) سير الليل، يقال: سار دجلة من الليل، أي ساعة، فلذلك قال: شيئا من الدلجة لعسر
سير جميع الليل.

فكأنه فيه إشارة إلى صيام جميع النهار، وقيام بعض الليل، وإلى أعمّ من ذلك من سائر أوجه
العبادة، وفيه إشارة إلى الحث على الترفق في العبادة، وهو الموافق للترجمة، وعبر بما يدل على
السير، لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته وهو الجنة. و «شيئا» منصوب بفعل محذوف، أي
افعلوا.

قوله: «والقصد القصد» ، بالنصب على الإغراء، أي الزموا الطريق الوسط المعتدل. (المرجع السابق).

[(1)] (مسلم بشرح النووي): 17 / 164 باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى: حديث رقم (71- 2816) ، قال الإمام النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب، ولا عقاب، ولا إيجاب، ولا تحريم، ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع. ومذهب أهل السنة أيضا أن الله تعالى لا يجب عليه شيء - تعالى الله - بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار، كان عدلا منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة، فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة، كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق، أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين، ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويدخلهم في النار عدلا منه.

وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالفعل، ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصل، ويمنعون خلاف هذا، في ضبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة، المنابذة لنصوص الشرع. وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق، أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصبح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال، أي بسببها، وهي من الرحمة، والله أعلم. (المرجع السابق).

[(2)] (المرجع السابق): ص 166، حديث رقم (76- ...) .

(331/2)

وله من حديث معقل عن أبي الزبير عن جابر قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ما من أحد يدخله عمله الجنة، فقليل له: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته.

[(1)]

وذكره من طرق عديدة.

وللبخاري [(2)] ومسلم [(3)] من حديث موسى بن عقبة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يحدث عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليه وسلّم: سدّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله منه برحمته، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل. ولابن حبان من حديث جعفر بن عوف قال: حدثنا أبو جناب الكلبي، حدثنا عطاء قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها، فقال ابن عمر: حديثي بأعجب ما رأيت من رسول الله، فسكتت ثم قالت: كل أمره كان عجبا، أتاني في ليلتي حتى إذا دخل معني في لحافي، وألصق جلده بجلدي، قال: يا عائشة، انذني لي في ليلتي لربي، فقلت، إني أحب قربك وهواك، فقام إلى قرية في البيت، فما أكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره، ثم اتكأ على جنبه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض، قالت: فجاءه بلال فأذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! أتبكي وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ وقال: أفلا أبكي وقد أنزل علي الليلة: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [(4)] ،

[(1)] (المرجع السابق) : ص 167، حديث رقم (77- 2817) .

[(2)] (فتح الباري) : 11 / 355، حديث رقم (6467) ، وقال: «بمغفرة ورحمة» .

[(3)] (مسلم بشرح النووي) : 17 / 167 حديث رقم (78- 2818) .

[(4)] سورة آل عمران الآيات 190- 191

(332/2)

وويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها [(1)] .

وله من حديث شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت حارثة بن مضرب يحدث عن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح، يعني ليلة القدر [(2)] .

وخرّج البخاري من حديث معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها [(3)] .

وخرّجاه من طرق متعددة.

[(1)]

(الإحسان) : 2 / 386، كتاب الرقائق، باب التوبة، ذكر البيان بأن المرء إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنا عنها مجتهدا في إثبات ضدها، حديث رقم (620) : أخبرنا عمران ابن موسى بن مجاشع، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن زكريا، عن إبراهيم بن سويد التَّخَعِيّ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمّه كما قال الأول: زر غبّا تزدد حبّا. قال: فقالت:

دعونا من طانتكم هذه. قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال:

فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي». قلت: والله إني لأحبّ قربك، وأحبّ ما سرّك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها إنّ في خلقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَةً كُلِّهَا. إسناده قوي على شرط مسلم، وأخرجه أبو الشيخ في (أخلاق النبي) :

ص 186 عن الفريابي، عن عثمان بن أبي شيبة، بهذا الإسناد.

وله طريق أخرى عن عطاء عند أبي الشيخ ص 190-991 وفيه أبو جناب الكلبي يحيى بن أبي حية، ضعفه لكثرة تدليس، لكن صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليس.

[(2)] سبق الإشارة إليه.

[(3)]

(جامع الأصول) : 4 / 657، حديث رقم (2748) ، البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة،

البخاري في الزكاة وفي الجهاد، ومسلم في تحريم الزكاة على النبي وآله.

قوله: «إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي ثم أرفعها لأكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقها» ،

وفيه تحريم الصدقة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع،

لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها»

فهي تعم النوعين، ولم يقل الزكاة، وفيه استعمال الورع، لأن هذه التمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال،

لكن الورع تركها. وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها، بل يباح أكلها

والنصرف فيها في الحال، لأنه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطعة، وهذا الحكم متفق عليه، وعلله أصحابنا وغيرهم بأن صاحبها في العادة لا يطلبها، ولا يبقى له فيها

(333/2)

وخرّج الحاكم من حديث عبد الله بن المبارك، أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم تصور ذات ليلة فقيل له: ما أسهرك؟ قال: إني وجدت تمرة ساقطة فأكلتها ثم ذكرت تمرًا كان عندنا من تمر الصدقة، فما أدري أمن ذلك كانت التمرة أو من تمر أهلي؟ فذلك أسهرني.
قال:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [(1)] .

وله من حديث المعافي بن عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة ابن حبيب عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت إلى النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بقدر لبن عند فطره، وذلك في طول النهار وشدة الحر، فرد إليها الرسول: أنى لك هذا اللبن؟ قالت: من شاة لي، قال: أنى لك هذه الشاة؟ قالت: اشتريتها من مالي، فشرب فلما أن كان من الغد أتت أم عبد الله رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فقالت: يا رسول الله! بعثت إليك بذلك اللبن مرثية لك من شدة الحر وطول النهار، فرددتها إلي مع الرسول! فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: «بذلك أمرت الرسل، أن لا تأكل إلا طيبًا، ولا تعمل إلا صالحًا»

قال: هذا حديث صحيح الإسناد [(2)] .

وخرّج أبو داود في كتاب الجهاد عن مخلد بن خالد [(3)] ، وخرّج الترمذي في السير عن محمد بن المثني [(4)] ، وخرّج ابن ماجه عن عبدة بن عبد الله، وخرّج محمد

[()] مطمع. والله أعلم. (مسلم بشرح النووي): 7 / 183، حديث رقم (162-1070)، (السنن الكبرى للبيهقي): 5 / 325، كتاب البيوع، باب كراهية مبايعه من أكثر ماله من الربا أو ثمن الحرم. (كنز العمال) 6 / 455، حديث رقم (16509)، (الحلية): 8 / 187، وقال فيه:

«على فراشي فلا أدري أمن تمر الصدقة هي أم من تمر أهلي فلا آكلها» وقال في أخرى: صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن المبارك عن معمر.

- [(1)] (المستدرک) : 17 / 2 ، حدیث رقم (44 / 2173) . قال فی التلخیص: صحیح .
- [(2)] [المرجع السابق) : 140 / 4 ، حدیث رقم (88 / 7159) . قال فی التلخیص: ابن أبی مریم واه .
- [(3)] [صحیح سنن أبی داود) : 534 / 2 ، حدیث رقم (2774 – 2412) ، قال الألبانی: «صحیح» ، ولفظه: «كان إذا جاءه أمر سرور، أو بشر به، خرّ ساجدا شاكرا» .
- [(4)] [صحیح سنن الترمذی) : 112 / 2 ، حدیث رقم (1642 – 1282) . قال الألبانی: «حسن» ، ولفظه: «أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم أتاه أمر فسرّ به، فخرّ ساجدا» ، قال أبو عیسی: والعمل علی هذا عند أكثر أهل العلم: رأوا سجدة الشکر .
- (صحیح سنن ابن ماجه) : 233 / 1 ، حدیث رقم (1394 – 1143) ، قال الألبانی: «حسن» .

(334/2)

ابن یوسف أربعتهم عن أبی عاصم الضحاک بن مخلد النبیل عن أبی بكرة بکار بن عبد العزیز بن أبی بكرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان إذا أتاه أمر يسره ويسرّ به خرّ ساجدا [(1)] .

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي، أخبرنا كثير بن زيد عن زياد بن أبی زياد مولى عیاش بن أبی ربیعة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال: كانتا خصلتان لا يكلهما، إلى أحد: الوضوء من اللیل حين يقوم والسائل يقوم حتى يعطيه [(2)] .

وله من طریق اللیث بن سعد أن معاوية بن صالح حدثه أن أبا حمزة حدثه أن عائشة قالت: ما خیر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بین أمرین إلا اختار أيسرهما، [قالت]: [(3)] وما انتقم رسول الله لنفسه من أحد قط إلا أن يؤذى في الله فينتقم، ولا رأيت رسول الله وكل صدقته إلى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل، ولا رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم وكل [في وضوئه] [(4)] إلى غير نفسه حتى يكون هو

[(1)] [وقد ذهب إلى شرعية سجود الشکر، الشافعي وأحمد، خلافا لمالك ورواية أبی حنيفة

بأنه لا كراهة فيها ولا ندب، والحديث دليل للأولين .

قال الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله: وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبی بكرة: «أنه شهد النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم - ورأسه في حجر

عائشة- فقام فخرّ ساجدا» .

وفي المسند أيضا عن عبد الرحمن بن عوف قال: خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتوجه نحو صدقته، فدخل فاستقبل القبلة فخرّ ساجدا، فأطال السجود ثم رفع رأسه وقال: إن جبريل أتاني فبشرني فقال: إن الله عزّ وجلّ يقول لك: من صَلَّى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرا»
واعلم أنه قد اختلف هل يشترط لها الطهارة أم لا؟ فقيل: يشترط قياسا على الصلاة، وقيل: لا يشترط، وهو الأقرب.

وليس في أحاديث سجود الشكر ما يدل على التكبير. وفي (زاد المعاد): وفي سجود كعب حين سمع صوت المبشر، دليل ظاهر على أن تلك كانت عادة الصحابة، وهو سجود الشكر عند النعم المتجددة، والنقم المندفعة. وقد سجد أبو بكر الصديق لما جاءه قتل مسيلمة الكذاب، وسجد عليّ لما وجد ذا الندية مقتولا في الخوارج، وسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بشره جبريل أنه من صَلَّى عليه مرة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وسجد حين شفع لأمته فشفّعه فيهم ثلاث مرات، وأتاه بشير فبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها، فقام فخرّ ساجدا. وقد جاء حديث سجدة الشكر من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما بإسناد صحيح، ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، وغير ذلك.

[(2)] [طبقات ابن سعد] : 369 / 1 .

[(3)] [زيادة في (خ)] .

[(4)] في (ابن سعد) : «وكل وضوءة»

(335/2)

الذي يهين وضوءه لنفسه حتى يقوم من الليل [(1)] .

وقال محمد بن حمير حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اشترى أسامة بن زيد بمائة دينار إلى شهر، فسمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا تعجبوا من أسامة المشتري إلى شهر، إن أسامة لطويل الإبل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفرأى لا يلتقيان حتى أقبض، ولا لقمتم لقمة إلا ظننت أن لا أسيغها حتى أغصّ بها من الموت» ، ثم قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما تواعدون لآت، وما أنتم بمعجزين» [(2)] .

وقال ابن لهيعة عن أبي هريرة عن حيشر عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم كان يهريق الماء فيمسح التراب، فأقول: يا رسول الله! الماء منك قريب، فيقول: «وما يدريني لعلي لا أبلغه» .

وخرج الإمام أحمد من حديث مسلم بن محمد بن زائدة، قال عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة أنها قالت: ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء إلا قال: «يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك» [(3)] .

وقال ابن المبارك: حدثنا الحسن بن صالح، عن منصور عن إبراهيم قال: حدثنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير خارجاً من الغائط قط إلا توضأ [(4)] .
وذكر ابن عساکر من حديث محمد بن الحجاج عن محمد بن عبد الرحمن بن

[(1)] (المرجع السابق) : 1/ 369-370.

[(2)] مسند أبي سعيد الخدري في (مسند أحمد) : 3/ 367، يبدأ من الحديث رقم (10602) إلى الحديث رقم (11529) ، لم أجد من بينهم هذا الحديث.

[(3)] (مسند أحمد) : 3/ 146، حديث رقم (9139) .

[(4)] [اختلف العلماء في موجب الوضوء: فقليل: يجب بالحدث وجوبا موسعا. وقيل: به وبالقيام إلى الصلاة معا، ورجحه جماعة من الشافعية. وقيل بالقيام إلى الصلاة حسب، ويدل له ما رواه أصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا: إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة. (المواهب اللدنية) : 4/ 22-23.

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال: حدثنا شعبة عن أبي معاذ- واسمه عطاء بن أبي ميمونة- قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج لحاجته أجيء وأنا غلام، معنا إداوة من ماء، يعني يستنجي به. (فتح الباري) : 1/ 333، حديث رقم (150) ، وأطرافه في (151) ، (152) ، (217) ، (500) .

(336/2)

سفينة عن أبيه عن سفينة قال: تعبد النبي صلى الله عليه وسلم واعتزل النساء حتى صار كالشن [(1)] البالي قبل موته بشهرين [(2)] .

[(1)] الشن: القرية (النهاية) : 1/ 506.

[(2)]

هذا الحديث يتعارض مع ما أخرجه (البخاري) في النكاح باب (1) حديث رقم (5063) ، و (مسلم) في النكاح باب (1) حديث رقم (1401) ، و (النسائي) في النكاح باب (5) ، و (أبو داود) في النكاح باب (3) ، و (أحمد) 3 / 241 ، حديث رقم (13122) ، كلهم عن أنس: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عبادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم:

أما فأنا أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»

واللفظ للبخاري. وفي رواية ثابت عند (مسلم) «أن نفرا من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ولا منافاة بينهما، فالرهط من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، كل منهما اسم جمع لا واحد له من لفظه.

ووقع في مرسل سعيد بن المسيب عن عبد الرزاق، أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون. وعند ابن مردويه من من طريق الحسن العدني:

«كان عليّ في أناس ممن أرادوا أن يجرموا الشهوات، فنزلت الآية في المائدة». ووقع في (أسباب النزول للواحدي) بغير إسناد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ذُكِرَ الناس وخوفهم، فاجتمع عشرة من الصحابة وهم: أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبو ذرّ وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعقل بن مقرن- في بيت عثمان بن مظعون، فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم، ولا يقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم» فإن كان هذا محفوظا، احتمال أن يكون الرهط الثلاثة هم الذين باشروا السؤال، فنسب ذلك إليهم بخصوصهم تارة، ونسب تارة للجميع لاشتراكهم في طلبه، ويؤيد أنهم كانوا أكثر من ثلاثة في الجملة، ما روى مسلم من طريق سعيد بن هشام أنه «قدم المدينة، فأراد أن يبيع عقاره فيجعله في سبيل الله، ويجاهد الروم حتى الموت، فلقي ناسا بالمدينة فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك في حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنهاهم، فلما حدثوه ذلك راجع امرأته وكان قد طلقها» يعني بسبب ذلك، لكن في عدّ عبد الله بن عمرو معهم نظر، لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب.

قوله: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له» فيه إشارة إلى ردّ ما بنوا عليه أمرهم، من أن المغفور له لا

يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره، فأعلمهم أنه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أحشى الله وأتقى من الذين يشددون، وإنما كان كذلك لأن المشدّد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد، فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه، وقد أرشد إلى ذلك قوله في الحديث الآخر «المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» .

قوله: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»

المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره. والمراد: من ترك طريقي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريقة الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عاجم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي صلّى الله عليه وسلّم الحنيفة السمحة، فيفطر ليقوى على الصوم، وينام ليقوى على القيام، ويتزوج لكسر

(337/2)

[تنبيه] : حديث وجود التمر في بعض طرقه: لقي تمرة على فراشه، وفي بعضها لقي تمرة في منزله، وفي أخرى لقي تمرة في الطريق، فكان في ذلك ثلاث رتب في الورع، متفاوتة في التأكيد، أيسرها تمرة الفراش، فإنه صلّى الله عليه وسلّم لم يكن يقبل الصدقة، ولا تدخل منزله غالبا، فكيف بأخص منزله وهو الفراش، فيندر كونها من تمر الصدقة، وفوق ذلك في التأكيد تمرة المنزل، وأكدها تمرة الطريق لكثرة مرور الصدقات فيها، هذا كله مع أن تمر الصدقة قليل بالنسبة إلى جنس التمر، فأكد هذه الصور الثلاث لا يجاوز الورع في المباح، ولا تنتهي التمرة به إلى حد النهي، لكن مقام النبوة كريم، والورع به جدير.

[()] الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

وقوله: «فليس مني»

إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى

«فليس مني»

أي على طريقي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضا وتنطعا يفضي إلى اعتقاد أرجحية

عمله، فمعنى

«فليس مني»

ليس على ملتي، لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر، وفي الحديث دلالة على فضل النكاح

والترغيب فيه.

وفيه تتبع أحوال الأكابر للناسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء، وأن من عزم على عمل بر واحتجاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعاً. وفيه تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم وبيان الأحكام للمكلفين، وإزالة الشبهة عن المجتهدين، وأن المباحات قد تنقلب بالقصد إلى الكراهة والاستحباب. وقال الطبري: فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة من الملابس وآثر غليظ الثياب وخشن الأكل. قال عياض: هذا مما اختلف فيه السلف، فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى: **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**، قال: والحق أن هذه الآية في الكفار، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالأميرين، كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً، وترك التنفل يفضي إلى إثارة البطالة، وعدم النشاط إلى العبادة، وخير الأمور الوسط. (فتح الباري): 9 / 129-

132.

وقد أخرج الإمام أحمد في (المسند): 4 / 25، 26، 414، حديث رقم (15880) «من صام الدهر ضيقت عليه جهنم»، لأنه رغب رخصة الله تعالى ويسره، والراغب عن الرخصة كالراغب عن العزم، وكلاهما مستحق للعقوبة. (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة) ص 135
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صائم الدهر: «ولا صام ولا أفطر». أخرجه مسلم في كتاب الصيام (13)، (14)، وأبو داود في كتاب الصوم (14)، (53)، والنسائي: (22) كتاب الصوم. قال يحيى: وهو حديث حسن.

(338/2)

فصل في حفظ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في تثبيته عن أقدار الجاهلية ومعايها تكربة له وصيانة

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: فتثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب يكلؤه الله عز وجل ويحفظه من أقدار الجاهلية ومعايها لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين [(1)] ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

[(1)] قال أبو نعيم في (دلائل النبوة) باب ذكر خروج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها، وقصة نسطورا الراهب: ومما يدخل في هذا الباب مما خصَّ الله به نبيه في الجاهلية الجهلاء، أن وفقه لوضع الحجر الأسود موضعه بيده لما اختلفت قريش في وضعه، دلالة بصحة نبوته، حديث رقم (113) : حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن القاسم بن مشاور قال: حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي قال: حدثنا عباد بن العوام، عن هلال بن خباب عن مجاهد قال: حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال: «كنت فيمن بني البيت وأخذت حجرا فسويته ووضعتني إلى جنب البيت، وإن قريشا قد اختلفوا في الحجر حيث أرادوا وضعه، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانوا يسمونه في الجاهلية [الأمين] ، فقالوا: قد دخل الأمين، فقالوا: يا محمد، قد رضينا بك، فدعا بثوب فبسطه، ثم وضع الحجر فيه، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن، لجميع البطون من قريش: ليأخذ كل رجل من كل بطن منكم بناحية من الثوب، فرفعه، فأخذه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعه» .

هذا الحديث أخرجه الحاكم في (المستدرک) 1/ 458، حديث رقم (75 / 1683) باختلاف سير، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخزجاه، وله شاهد صحيح على شرطه. قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) : 11 / 68 ترجمة رقم (123) : هلال بن خباب العبدي أبو العلاء البصري، مولى زيد بن صوحان. سكن المدائن ومات بها. روى عن أبي جحيفة، ويحيى بن جعدة بن هبيرة، وعكرمة مولى ابن عباس وميسرة أبي صالح وسعيد بن جبیر، وعبد الرحمن بن الأسود بن يزيد، ومجاهد بن جبیر، والحسن بن محمد بن الحنفية وغيرهم، وعنه الثوري ومعر، ويونس بن أبي إسحاق، وثابت بن زيد أبو يزيد الأحول، وعبد الواحد بن زياد، وهشيم وأبو عوانه، وآخرون.

وقال أبو بكر بن أبي الأسود، عن يحيى بن سعيد القطان: أتيت هلال بن خباب وكان قد تغير قبل موته، وقال إبراهيم بن الجنيد: سألت ابن معين عن هلال بن خباب وقلت: إن يحيى القطان يزعم أنه تغير قبل أن يموت واختلط، فقال يحيى: لا، ما اختلط ولا تغير، قلت ليحيى: ثقة هو؟ قال: ثقة مأمون،

ذكر لي يحدث عما كان يحفظه الله به في صغره،

فحدثني والدي إسحاق بن يسار عن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال فيما يذكر من حفظ الله إياه: إن لمعي غلمان هم أسناني [(1)] ، قد جعلنا أزرنا [(2)] على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمي لاكم لكمة شديدة ثم قال: اشدد عليك إزارك [(3)] .

[()] وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ ويخالف، وقال ابن عمار الموصلي، والمفضل بن غسان الغلابي ثقة. (تهذيب التهذيب) : 11 / 68 - 69، ترجمة رقم (123) ، (الثقات) : 7 / 574.

وقال ابن سعد: فلما انتهوا إلى حيث يوضع الركن من البيت، قالت كل قبيلة: نحن أحق بوضعه، واختلفوا حتى خافوا القتال، ثم جعلوا بينهم أول من يدخل من باب بني شيبه، فيكون هو الذي يضعه، وقالوا: رضينا وسلمنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من دخل من باب بني شيبه،

فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا بما قضى بيننا، ثم أخبروه الخبر، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه، وبسطه في الأرض، ثم وضع الركن فيه، ثم قال: ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل، فكان في ربع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني أبو زمعة، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة، وكان في الربع الرابع قيس بن عدي. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليأخذ كل رجل منكم بزواية من زوايا الثوب، ثم ارفعه جميعا، فرفعه، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده موضعه ذلك، فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن، فقال العباس بن عبد المطلب: لا، ونحاه، وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا فشده به الركن، فغضب النجدي حيث نحى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بيبي معنا في البيت إلا منا،

فقال النجدي: يا عجباً لقوم أهل شرف، وعقول، وسنن، وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنًا، وأقلهم مالا، فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم، كأنهم خدم له، أما والله ليفوتهم سبقا، وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا! ويقال: إنه إبليس، فقال أبو طالب:

إن لنا أوله وآخره ... في الحكم والعدل الذي لا ننكره
وقد جهدنا جهدنا لنعمه ... وقد عمرنا خيره وأكثره
فإن يكن حقا ففينا أوفره.

(طبقات ابن سعد) : 1 / 146.

[(1)] يقال: فلان سنّ فلان، إذا كان مثله في السنّ (لسان العرب) 13 / 222.

[(2)] جمع إزار.

[(3)] إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخزومة، والد محمد بن إسحاق صاحب (المغازي)، روي

عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، روى عنه ابنه محمد بن إسحاق، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، زاد أبي: وروى عنه ابن طحلاء. وزاد أبو زرعة: يعدّ في المدنين. قال:

وسئل أبو زرعة عنه، فقال: ثقة، هو أوثق من ابنه.

حدثنا عبد الرحمن، أخبرنا يعقوب بن إسحاق الهروي، فيما كتب إليّ، حدثنا عثمان بن سعيد قال:

سألت يحيى بن معين قلت: والد محمد بن إسحاق، كيف حاله؟ قال: ثقة. (الجرح والتعديل) :

(340/2)

وخرج البخاري ومسلم من حديث روح بن عبادة قال: أخبرنا زكريا بن إسحاق، أخبرنا عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال:

فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيا عليه، قال: فما رئي بعد ذلك اليوم عريانا.

لفظهما فيه سواء [(1)] .

وخرجا أيضا من حديث ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول:

لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان حجارة- وقال البخاري:

الحجارة- فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على عاتقك- وقال

[(2)] / 238، ترجمة رقم (838) .

والحديث أخرجه البيهقي في (الدلائل) 2 / 30-31، باب ما جاء في حفظ الله عزّ وجلّ رسوله

صلى الله عليه وسلم في شببته عن أقذار الجاهلية ومعايها، لما يريد به من كرامته برسالته حتى

بعثه رسولا، وزاد بقية الخير في الهامش وعزاها إلى ابن هشام في (السيرة) 1 / 197: «قال:

فأخذته وشدته عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي، وإزاري عليّ من بين أصحابي» .

[(1)] حديث روح بن عبادة أخرجه البخاري ومسلم، وقد أورده الحافظ أبو نعيم في

(الدلائل) :

188-189 / الفصل الثالث عشر، باب: ومما عظم به صلى الله عليه وسلم وحرس منه أن لا يتعري كفعل قومه وأهله، وإذا حفظ من التعري فما فوقه أولى أن يعصم منه، وينهى عنه، حديث رقم (132) :

قوله: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم» أي مع قريش لما بنوا الكعبة، وكان ذلك قبل البعثة، فرواية جابر لذلك من مراسيل الصحابة، فيما أن يكون سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أو من بعض من حضر ذلك من الصحابة. والذي يظهر أنه العباس، وقد حدث به عن العباس أيضا ابنه عبد الله، وسياقه أتم. (فتح الباري) : 1/ 625، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها، حديث رقم (364) .

قوله: «عن جابر رضي الله عنه» هذا الحديث مرسل صحابي، وقد قدمنا أن العلماء من الطوائف متفقون على الاحتجاج بمرسل الصحابي، إلا ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني منه أنه لا يحتج به. وسميت الكعبة كعبة لعلوها وارتفاعها، وقيل لاستدارتها وعلوها. قوله: «اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة» معناه ليقبك من الحجارة، أو من أجل الحجارة. والعاتق ما بين المنكب والعنق، وجمعه عواتق وعتق، وهو مذكر وقد يؤنث.

قوله: «فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء» ، معنى خرّ سقط، وطمحت بفتح الطاء والميم، أي ارتفعت. وفي هذا الحديث بيان بعض ما أكرم الله سبحانه وتعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم كان مصونا في صغره عن القبائح وأخلاق الجاهلية. وجاء في رواية غير الصحيحين أن الملك نزل فشدّ عليه صلى الله عليه وسلم إزاره. والله أعلم. (مسلم بشرح النووي) : 4 / 273-274، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، حديث رقم (76-340) .

(341/2)

البخاري: على رقبتك- يقك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: إزاري إزاري فشدّ عليه إزاره [(1)] . ورواه ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر نحوه. ورواه عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه قال: كنا نقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت، وأفردت قريش رجلين رجلين ينقلون الحجارة، والنساء تنقل الشيد، وكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة، فإذا غشيننا اتزرنا، فبينما أمشي ومحمد عليه السلام قدامي ليس عليه شيء، فخر محمد فانبطح على وجهه، قال: فجئت

أسعى وألقيت حجري، قال وهو ينظر إليّ السماء فقلته: ما شأنك؟ قال: فأخذ إزاره ثم قال:

نُهِيتُ أن أمشي عريانا، قلت: اكنمها الناس مخافة أن يقولوا: مجنون [(2)] .

ورواه شعيب عن عكرمة عن ابن عباس مثله [(3)] .

وروى إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن جده عن عكرمة عن ابن عباس

[(1)] قوله: «يقك من الحجارة فخرّ إلى الأرض» ، فيه حذف تقديره: ففعل ذلك فخر. وفي

حديث أبي الطفيل: «فبينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل الحجارة معهم إذا انكشفت

عورته، فنودي: يا محمد غط عورتك. فذلك أول ما نودي، فما رُئيت له عورة قبل ولا بعد» .

(فتح الباري) :

7 / 184 - 185، كتاب مناقب الأنصار، باب بنیان الكعبة، حديث رقم (3829) .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : 4 / 248 حديث رقم (13922) ، 4 / 286 حديث رقم

(14168) ، 6 / 635 حديث رقم (23282) .

وأبو نعيم في (الدلائل) : 1 / 189. حديث رقم (133) .

[(2)] [دلائل النبوة للبيهقي] : 2 / 33، والشَّيْد: كل ما طلي به البناء من جصّ أو نحوه.

وأخرجه أيضا أبو نعيم في (الدلائل) 1 / 198 - 199، حديث رقم (134) ، وقال فيه:

«نُهِيتُ أن أمشي عريانا قال: فكتمته حتى أظهر الله عزّ وجلّ نبوته» .

[(3)] [رواية شعيب بن خالد، كلهم عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، حدثني

أبي العباس بن عبد المطلب قال: «لما بنت قريش الكعبة، انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة،

فكنت أنا وابن أخي، جعلنا نأخذ أزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة، فإذا دنونا من

الناس لبسنا أزرنا، فبينما هو أمامي إذ صرع، فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء،

قال: فقلت لابن أخي: ما شأنك؟

قال: نُهِيتُ أن أمشي عريانا، قال: فكتمته حتى أظهر الله نبوته» . تابعه الحكم بن أبان عن

عكرمة، وروى ذلك أيضا من طريق النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس ليس فيه العباس،

وقال في آخره: «فكان أول شيء رأى من النبوة» ،

والنضر ضعيف، وقد خبط في إسناده وفي متنه، فإنه جعل القصة في معالجة زمزم بأمر أبي طالب

وهو غلام. (فتح الباري) : 3 / 563، كتاب الحج.

قال: لما قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَسَّله عليّ والفضل، وكان العباس يناول الماء من وراء الستر، وقال العباس، ما منعي أن أغسله إلا أنا كنا صبيانا نحمل الحجارة إلى المسجد يعني لبناء الكعبة، فنزعت أزرنا ونضعها على أكتافنا ونضع الحجر عليها فيبينما نحن كذلك ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ وقع وسقط الحجر وأنا قائم فقلت: يا ابن أخي! قم، وإني لا أرى بك بأسا ولا أرى الحجر ضرك [فقام] ثم نظر إلي فقال: اشدد عليك إزارك، فإني قد نحييت أن أتعرى بعد هذا اليوم.

قال العباس: هذا أول ما رأيت منه.

وروى محمد بن إسماعيل [الأحمسي] [(1)] عن المجازي، حدثنا النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أبو طالب يعالج زمزم، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل الحجارة وهو غلام، فأخذ إزاره واتقى به الحجارة، [فغشي عليه] [(2)] فقيل لأبي طالب عن غشيتته: الحق ابنك قد غشي عليه، فلما أفاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غشيتته سأله أبو طالب عن غشيتته فقال: أتاني آت عليه ثياب بياض فقال لي: استتر، قال ابن عباس:

فكان أول شيء رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النبوة أن قيل له: استتر، فما رثيت عورته من يومئذ.

ورواه الأحمسي عن الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال: أول شيء أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النبوة وهو غلام أن قيل له استتر، فما رثيت عورته من يومئذ. ورواه الحسن بن حماد الوراق عن الحماني عن النضر مثله. وخرجه الحاكم من حديث الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن، حدثنا النضر به ونحوه. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد [(3)] .

[(1)] في (خ) «الأحمس» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) : 58 / 9 ترجمة رقم 58.

[(2)] زيادة للسياق من (المستدرک) .

[(3)] (المستدرک) : 198 / 4، حديث رقم (3 / 7356) ولفظه: «حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا أبو يحيى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن، حدثنا النضر أبو عمر الخزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو طالب يعالج زمزم، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن ينقل الحجارة، وهو يومئذ غلام، فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إزاره فتعري واتقى به الحجر، فغشي عليه، فقيل لأبي طالب: أدرك ابنك فقد غشي عليه،

فلما أفاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غشيتته، سأله أبو طالب عن غشيتته فقال: «أتاني آت

عليه ثياب بيض فقال لي: استتر»
فقال ابن عباس: فكان ذلك

(343/2)

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا زهير بن سلام، حدثنا عمرو بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء أن أبا طالب كان يرسل بنيه ومحمد عليه السلام، معهم صبيان صغار ينقلون الحجارة إلى صفة زمزم، فأخذ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمرة [(1)] صغيرة كانت عليه على عنقه، ثم حمل عليها حجرين فطرح عنه الحجرين وأغمى عليه ساعة، ثم قام فشد ثمرته [(1)] عليه، فقال له بنو عمه: مالك يا محمد؟ قال: نهيت عن التعري [(2)] .

وقال عبد الأعلى بن حماد: حدثنا داود العطار، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الطفيل قال: قلت له: يا خال، حدثنا عن بنيان الكعبة قبل أن تبنيها قريش، قال: كانت رضمه [(3)] يابس ليس بمدر [(4)] ينزوة [(5)] العناق [(6)] ، وتوضع الكسوة على الجدر ثم تدلي، ثم إن سفينة الروم أقبلت حتى إذا كانت بالشعبية انكسرت، فسمعت بها قريش فركبوا إليها، فأخذوا خشبها، وروى كذا: يقال بالقوم نجاريان، فلما قدموا مكة قالوا: لو بنينا بيت ربنا، فاجتمعوا كذلك ونقلوا الحجارة من أجباد الضواحي، فبينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقلها إذ انكشفت ثمرته، فنودي: يا محمد عورتك، فذلك أول ما نودي والله أعلم، فما رثيت له عورة قبل ولا بعد.
ورواه الحسن بن الربيع وداود بن مهران عن داود العطار مثله.

[()] أول ما رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النبوة أن قيل له: «استتر، فما رثيت عورته من يومئذ» .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث أبي الطفيل، وهو الحديث رقم (4 / 7357) : «أخبرنا محمد بن عبد الحميد الصنعاني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، أنبأنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن أبي الطفيل قال: «لما بني البيت كان الناس ينقلون الحجارة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل معهم، فأخذ الثوب ووضعته على عاتقه فنودي: «لا تكشف عورتك» ، فألقي الحجر ولبس ثوبه. (المرجع السابق) ، وذكره البيهقي في (الدلائل) : ص 190 حديث رقم (135) ، وابن سعد في (الطبقات) 1 / 157 مختصرا.

- [(1)] نمره: شملة مخططة من مآزر الأعراب النهاية ج 5 ص 111 .
- [(2)] [فتح الباري] : 3 / 563 ، كتاب الحج ، باب (42) .
- [(3)] هذه الكلمة موجودة في (خ) وأثبتناها من (عرائس المجالس للثعالبي) ص 78 ، والرضام: صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية (ترتيب القاموس) ج 2 ص 349 .
- [(4)] المدر: قطع الطين اليابس (المرجع السابق) ج 4 ص 216 .
- [(5)] نزت الحمر: وثبت من المراح (المرجع السابق) ج 4 ص 359 .
- [(6)] العناق (يفتح العين) : الدواب ونحوها (المرجع السابق) ج 3 ص 329 .

(344/2)

وقال عبد الرازق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن حشيم عن أبي الطفيل قال: كانت الكعبة مبنية بالرضم ليس فيها مدر، وكان قدر ما تقتحمها العناق وكانت غير مسقوفة، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سدلا عليها، وكان الركن الأسود موضوعا على سورها باديا، وكان ذات ركنين كهيئة الحلقة، فأقبلت سفينة من أرض الروم حتى إذا كانوا قريبا من جدة انكسرت، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فذكروا بناء البيت، وقال: فيينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحمل حجارة من أجياد وعليه نمره فضاقت عليه النمرة، فذهب يضع النمرة على عاتقه، فترى عورته من صغر النمرة، فنودي: يا محمد خمر عورتك، فلم ير عريانا بعد ذلك، وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين [(1)] .

قال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني: وحديث أبي الطفيل جائز أن يكون وقوعه في حالة الثالثة، وهي انكشاف الثوب لا سقوطه، والحالتان المتقدمتان، بسقوط الثوب مرة بفعله وأخرى بغير فعله تنبيهها له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحوال الثلاث، قال: وإذا حفظ من التعري فما فوقه أولى أن يعصم منه وينهى عنه [(2)] .

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن أبي طالب رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهتمون به إلا ليلتين من الدهر، كلتاهما يعصمني الله فيها، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان [(3)] ، قال: فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرايبيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان، فجلست انظر، وضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مسّ الشمس،

فرجعت إلى صاحبي فقال:

ما فعلت؟ قلت ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى:
أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك
الليلة، فسألت، فقيل: فلان نكح فلانة، فجلست انظر فضرب الله

[(1)] [فتح الباري] : 3 / 563، كتاب الحج، باب (42) .

[(2)] [دلائل النبوة لأبي نعيم] : 188.

[(3)] [في (خ) : بعد قوله: «الفتيان» عبارة: «فقال بلى» والسياق يقتضي حذفها.

(345/2)

على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال:
ما فعلت؟ فقلت: لا شيء ثم أخبرته الخبر، فو الله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك
حتى أكرمني الله بنبوته [(1)] .

وخرجه الحاكم [(2)] بنحوه وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث مسعر بن كدام [(3)] عن العباس بن ذريح [(4)]
الكلبي عن زياد بن عبد الله النخعي قال: حدثني عمار بن ياسر رضي الله عنه أنهم قالوا: يا
رسول الله، هل أتيت في الجاهلية من النساء شيئاً؟ قال: لا، وقد كنت منه على ميعادين، أما
أحدهما فغلبتني عيناى، وأما الآخر فحال بيني وبينهم سامر قوم [(5)] .

[(1)] [عيون الأثر] : 1 / 44-45، (دلائل النبوة للبيهقي) : 2 / 33-34، (دلائل
النبوة لأبي نعيم) : 1 / 186، حديث رقم (128)، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن
إسحاق، والبخاري، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن عساکر، كلهم عن علي بن أبي طالب. وقال ابن
حجر: إسناده حسن متصل، ورجاله ثقات، والحاكم في (المستدرک) : 4 / 272، حديث رقم
(19 / 7619) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم. وقال في التلخيص: على شرط مسلم.

[(2)] [في (خ) «الحاكم بن نحوه» .

[(3)] [في (خ) «مسعد بن لرام» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) ج 10 ص 102 ترجمة
رقم 210.

[(4)] [(خ) «مويح» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) ج 5 ص 116 ترجمة رقم 202، قال

ابن معين:

ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني: ثقة.

[(5)] لم أجده، ويؤيد

بحديث: «ما هممت بقبیح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين في الدهر» .

وفي (الدلائل) للبيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين، كلتاها عصمني الله تعالى ...» وذكر باقي الحديث بنحوه. إحداهما المذكورة بقوله: «ما هممت بقبیح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين الدهر، كلتاها يعصمني الله عز وجل منهما» (دلائل أبي نعيم): 186، حديث رقم (128) .

والسياقة الأخرى بقوله «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين، كلتاها عصمني الله تعالى فيهما» (دلائل البيهقي): 2/ 33.

وقال في (الإحسان): إسناده حسن، ومحمد بن إسحاق روى له البخاري تعليقا، ومسلم متابعة، وهو صدوق، وقد صرح بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة، فقد روى عنه جمع، وذكره المؤلف في الثقات 7/ 380، وله ترجمة عند ابن أبي حاتم 7/ 303، والبخاري في التاريخ الكبير 9/ 130، ولم يذكر في جرح ولا تعديلا، وذكر صاحب (الكمال): أن الشيخين

(346/2)

وخرج من حديث أبي سنان عن الضحاک بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل عبدت وثنا قط؟ قال: لا، قال: شربت خمرا قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان، وبذلك نزل القرآن: ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ [(1)] .

[()] أخرجا حديثه، وقال المزني فيما نقله عن الإمام الذهبي والحافظ ابن حجر: لم أفق علي رواية أحدهما.

قال محقق (الإحسان) : ولم يرد له ذكر في كتاب رجال مسلم لابن منجويه، ولا في الجمع بين رجال الصحيحين لابن طاهر، ولا في رجال البخاري للكلابادي.

وأخرجه الحاكم في (المستدرک) : 4 / 273، حديث رقم (19 / 7619) ، من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق، وعلقه البخاري في (تاريخه) 1 / 130 باختصار، فقال: قال لي شهاب: حدثنا بكر بن سليمان، عن ابن إسحاق به، (البداية والنهاية) : 2 / 351.

[(1)] [(الشورى: 52)] ، قال الزمخشري: فإن قلت: قد علم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه، فما معنى قوله تعالى: وَلَا الْإِيمَانُ، والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال، أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر، ومن الصغائر التي يكون فيها تنفير قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من الكفر؟.

قلت: الإيمان اسم يتناول أشياء، بعضها الطريق إليه العقل، وبعضها الطريق إليه السمع، فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل، وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي، ألا ترى أنه فسّر الإيمان في قوله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ، لأنها بعض ما يتناوله الإيمان. (الكشاف) : 3 / 409 - 410.

قال الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير الاسكندري المالكي: لما كان معتقد الزمخشري أن الإيمان اسم التصديق مضافا إليه كثير من الطاعات فعلا وتركيا، حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان، ولا يناله وعد المؤمنين، وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية، عدّها فرصة لينتهزها، وغنيمة ليحرزها، وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال، ليجيب عنه بصورة معتقده، فكأنه يقول: لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق، كما تقول أهل السنة، للزم أن ينفي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقا، ولما كان التصديق ثابتا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعث باتفاق الفريقين، لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في هذه الآية عبارة عما اتفق على ثبوته، وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياخ من جملتها التصديق، ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي، وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث، وهذا الذي طمع فيه، لا يبلغ منه ما أراد، وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة، حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقا، يخصون التصديق بالله وبرسوله، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه، كما أن أمته مخاطبون بتصديقه، ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله، وما علم ذلك إلا بالوحي، وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله. ولم يكن هذا المجموع ثابتا قبل الوحي، بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الإيمان قبل

الوحي على هذه الطريقة الواضحة، والله أعلم. (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) :
410 / 3.

(347/2)

وخرج من حديث عمر بن صبح عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن أوس قال: بينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدثنا على باب الحجرات فقال: لما ولدتني أمي فنشأت بغضت إلي أوثان قريش وبغض إلي الشعر [(1)] .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أسامة بن زيد، عن زيد بن حارثة قال: كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تمسه، قال زيد: فطفنا، فقلت في نفسي: لأمسنه حتى انظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألم تنه؟ قال زيد: فو الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما استلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه [(2)] .

وسأني في قصة بحيرا الراهب حين قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو غلام: أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك، فقال عليه السلام: لا تسألني باللات والعزى، فو الله ما أبغضت شيئا بغضهما [(3)] .

وخرج أبو نعيم من حديث حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال: حدثتني أم أيمن قالت: كانت بيوانة [(4)] صنما تحضره قريش، وتعظمه، وتنسك له النسائك، ويحلقون رءوسهم عنده، ويعكفون عنده يوما إلى الليل وذلك يوم في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، فيأبى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(5)] حتى رأيت

[()] وقالوا: معنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، وقيل: كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفي المهدي.

وقال الحسين بن الفضل: إنه على حذف مضاف: أي ولا أهل الإيمان، وقيل: المراد بالإيمان دين الإسلام، وقيل: الإيمان هنا عبارة عن الإقرار بكل ما كلف الله به العباد. (فتح القدير) : 4 / 764.

[(1)] لم أجده.

[(2)]

(دلائل البيهقي) : 34 / 2 ، (البداية والنهاية) : 351 / 2 ، وذكر أبو نعيم في (الدلائل) :
187-188 : حدثنا أبو عمر بن حمدان، قال: حدثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن
عباس: «أن محمدا صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان يقوم مع بني عمه عند الصنم الذي عند زمزم،
واسمه «إساف» فرفع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بصره إلى الكعبة ساعة ثم انصرف، فقال له
بنو عمه: ما لك يا محمد؟ قال: نهيّت أن أقوم عند هذا الصنم» .

[(3)] (البداية والنهاية) : 346 / 2 ، (دلائل البيهقي) : 35 / 2 .

[(4)] بوانة: هضبة وراء بلدة ينبع (معجم البلدان) : 599 / 2 موضع رقم (2213) .

[(5)] زيادة للسياق من كتب السيرة.

(348/2)

أبا طالب غضب عليه أسوأ غضب، فيقول: إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آهتنا، وجعل
يقول: ما ترى يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا، قالت: فلم يزالوا به حتى ذهب
فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوبا، فقلن عماته: ما دهاك؟ [قال إني أخشى أن يكون
بي لم، فقلن ما كان الله ليبتليك وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت؟] [(1)]
قال إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي: وراءك يا محمدا! لا تمسه،
قالت أم أيمن:

فما عاد إلى عيد لهم صَلَّى اللهُ عليه وسلّم [حتى تنبأ] [(1)] .

وخرج من حديث المنذر بن عبد الله بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها
قالت: قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: مرّ عليّ جبريل وميكائيل عليهما السلام وأنا بين النائم
واليقظان بين الركن وزمزم، فقال أحدهما للآخر: هو هو؟ قال نعم ونعم المرء هو لولا أنه يمسح
الأوثان. قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فما مسحتهن حتى أكرمني الله بالنبوة خمس حجج.
وخرج من حديث دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينا النبي صَلَّى
الله عليه وسلّم بأجباد رأى ملكا واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح: يا
محمدا! أنا جبريل، فذعر من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء ورجع سريعا إلى خديجة
رضي الله عنها فأخبرها خبره فقال: يا خديجة، ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئا قط ولا
آهنتكن.

وخرج من حديث عمرو بن محمد حدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس أن محمدا صَلَّى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مَعَ بَنِي عَمِّهِ عِنْدَ الصَّنَمِ الَّذِي عِنْدَ زَمْرَمٍ وَاسْمُهُ إِسَافٌ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ سَاعَةً ثُمَّ انصَرَفَ، فَقَالَ لَهُ بَنُو عَمِّهِ: مَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: نَهَيْتُ أَنْ أَقُومَ عِنْدَ هَذَا الصَّنَمِ [(2)] .

وخرج الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن سفيان الثوري عن عبد الله بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

[(1)] ما بين القوسين سقط من (خ) وما أثبتناه من كتب السيرة، والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) :

186-187، حديث رقم (129)، وابن سعد في (الطبقات) : 1/158.

[(2)] سبق الإشارة إليه.

(349/2)

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْهَدُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ، قَالَ: فَسَمِعَ مَلِكِينَ خَلْفَهُ وَأَحَدَهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ حَتَّى نَقُومَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَيْفَ نَقُومُ خَلْفَهُ وَإِنَّمَا عَهْدُهُ بَاسْتِلاَمِ الْأَصْنَامِ قَبِيلٌ؟ قَالَ: فَلَمْ يَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَشْهَدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ. قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ جَابِرٍ: وَإِنَّمَا عَهْدُهُ بَاسْتِلاَمِ الْأَصْنَامِ يَعْنِي أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ مَنْ اسْتَلَمَ الْأَصْنَامَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ [(1)] .

[(1)] (المطالب العالية) : 4/179، حديث رقم (4261) قال في هامشه: «هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبي شيبة فبالغوا، والمنكر منه قوله عن الملك أنه قال: عهده باستلام الأصنام، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام، وليس ذلك مراداً، بل المراد أن الملك أنكر شهوده لمباشرة المشركين قبل البعثة منكرًا عليهم.

وقال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند فيه عبد الله بن محمد بن عقيل. وقال الهيثمي: فيه عبد الله بن محمد، ولا يحتمل هذا من مثله، إلا أن يكون يشهد تلك المشاهد للإنكار، وهذا يتجه. وبقيّة رجاله رجال الصحيح 80/266.

وفي الباب بعده: باب البيان بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مسّ الصنم إنما مسّه موطئاً لعابديه، حديث رقم (4262) : ابن بريدة عن أبيه قال: دخل جبريل المسجد الحرام فطفق ينقلب، فبصر بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائماً في ظل الكعبة، فأيقظته، فقام، وهو ينفض رأسه

ولحيته من التراب، فانطلق به نحو باب بني شيبه، فتلقاهما ميكائيل، فقال جبريل لميكائيل: ما منعك أن تصافح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أجد من يده ريح النحاس، وكأن جبريل أنكرك ذلك، فقال: أفعلت ذلك؟ فكأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسي، ثم ذكر فقال: «صدق أخي، مررت أول من أمس على إساف ونائلة، فوضعت يدي على أحدهما فقلت: إن قوما رضوا بكما إلها مع الله قوم سوء». هذا الحديث ضعف البوصيري سنده لضعف صالح بن حبان، وقد استدل به الحافظ على كون الحديث الأول (4261) مصروفا عن الظاهر. وأيضا

في (المطالب العالية) 4/ 95-96، حديث رقم (4057): زيد بن حارثة قال: خرجت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما حارا من أيام مكة، وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب، وقد ذبحنا له شاة فأنضجناها قال: فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا زيد! ما لي أرى قومك قد شنفوا لك؟» - [شف له:

إذا أبغضه] - قال: والله يا محمد إن ذلك لغير نائلة لي منهم، ولكني خرجت أبتغي هذا الدين حتى أقدم على أحبار فذك، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا الدين الذي أبتغي، فقال شيخ منهم: إنك لتسأل عن دين ما نعلم أن أحدا يعبد الله به إلا شيخا بالحيرة، فخرجت، حتى أقدم فلما رأيته قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل بيت الله ومن أهل الشوك والقرظ - [ورق السلم يدبغ به] - فقال: إن الذي تطلب قد ظهر ببلاذك، قد بعث نبي قد طلع نجمه، وجميع من رأيته في ضلال، فلم أحسن بشيء بعد يا محمد، قال: فقرب إليه السفارة فقال: ما هذا؟ قال: «شاة ذبحناها لنصب من الأنصاب» فقال: ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، قال زيد بن حارثة: فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيت فطاف به وأنا معه، وبالصفا والمروة، وكان عند الصفا والمروة صنمان من نحاس، أحدهما يقال له: يساف، والآخر يقال له: نائلة، وكان المشركون إذا طافوا مسحوا بهما، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وسلم:

«لا تمسحهما فإثمهما رجس» فقلت في نفسي: لأمسهما حتى انظر ما يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمسحتهما، فقال: «ألم تنه؟» .

(350/2)

وقد أنكرك الإمام أحمد هذا الحديث جدا وقال: هذا موضوع أو شبيهه بالموضوع. وقال الدارقطني: أن عثمان وهم في إسناده. قال القاضي عياض:

والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه، والمعروف عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلافه عند أهل العلم من قوله: بغضت إلى الأصنام [(1)] .
وخرج أبو نعيم من حديث موسى بن عقبة، أخبرني سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح وذلك قبل أن ينزل على رسول الله الوحي فقدم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفرة [(2)] فيها لحم فأبى أن يأكل، قال: لا آكل ما يذبحون على أنصابتهم، إني لا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه [(3)] ،
وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض المرعى، ثم يذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

[(1)] قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، والبخاري، ورجاهما رجال أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن علقمة، وهو حسن الحديث (9/ 418) . وقال البوصيري: رواه النسائي في الكبرى في كتاب الحج بسند رجاله ثقات. (المرجع السابق) ، وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) :
2/ 352، وفي (السيرة الشامية) : المراد بالمشاهد مشاهد الحلف ونحوها، لا مشاهد استلام الأصنام.

(هامش المرجع السابق) ، ونحوه في (دلائل البيهقي) : 2/ 34-36.

[(2)] السفارة: السفارة بالضم طعام المسافر (ترتيب القاموس) ج 2 ص 571.

[(3)] كذا

في (خ) وباختلاف يسير في اللفظ في السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 251 وصحيح البخاري ج 3 ص 310 ومسنند أحمد ج 2 ص 69، ص 89 وفيهم (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابتكم) بدلا من (لا آكل ما يذبحون على أنصابتهم) .

(351/2)

وخرج من حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عمرو بن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب أكل ما ذبح لغير الله، فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى أكرمني الله بما أكرمني به من رسالته.

وقال عمرو بن شيببة: حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا ابن وهب، حدثنا عبد الله بن عمر أنه بلغه أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال: إن أول ما أوقع الله في نفس هذا الأمر أن عمي أبا طالب ذبح للأنصاب فبعثني بلحم على حمار إليها، فمررت بزید بن عمرو بن نفيل [(1)] فقلت: يا عم، ألا تأكل من هذا اللحم؟ قال: يا ابن أخي، إني

[(1)] هو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان ممن فرّ إلى الله من عبادة الأصنام، وساح في أرض الشام يتطلّب الدين القيم، فرأى اليهود والنصارى، فكره دينهم، وقال: اللّهم إني على دين إبراهيم، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي، ولا رأى من يوقفه عليها، وهو من أهل النجاة، فقد شهد له النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، ولم يعيش حتى بعث. وروى هشام بن عروة فيما نقله عن ابن أبي الزناد، أنه بلغه أن زيد بن عمرو كان بالشام، فلما بلغه خبر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أقبل يريد، فقتله أهل ميفة بالشام. وروى الواقدي أنه مات فدفن بأصل حراء، وقال ابن إسحاق: قتل ببلاد لحم. والظاهر أن زيدا رحمه الله توفي قبل المبعث، فقد نقل ابن إسحاق أن ورقة بن نوفل رثاه بأبيات منها: رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما ... تجنّبت تنورا من النار حاميا بدينك ربا ليس ربّ كمثلته ... وتركك أوثان الطواغي كما هيا (تهديب سير أعلام النبلاء): 17 / 1، ترجمة رقم (7) .

وقال الحافظ ابن حجر: إنّ زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل، خرجا يلتمسان الدين، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو: من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ فقال: من بنيّه إبراهيم، قال:

وما تلتمس؟ قال: ألتمس الدين، قال: ارجع، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك، فأما ورقة فتنصّر، وأما أنا فعرضت عليّ النصرانية، فلم يوافقني، فرجع وهو يقول: لبيك حقًا حقًا ... تعبدا ورقًا البرّ أبغي لا الخال ... وهل يرى مهجرا كمن قال آمنت بما أمر به إبراهيم ثم يقول: أنفي لربّ البيت عان راغم ... مهما تجشّمني فإني جاشم

لا آكل من ذبائحكم هذه [(1)] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزلفة، وكانوا يسمون الحمس [(2)] ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن

[()]

عذت بما عاذ به إبراهيم ... مستقبل القبلة وهو قائم

ثم يخر فيسجد [ذو خال: أي كبر، المهجر: المسافر في الهاجرة، قال: من القبولة]
قال: وجاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له، قال: «نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده» . (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) 4 / 94 - 95 باب (زيد بن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد، أحد العشرة، وورقة) ، حديث رقم (4055) ، انظر أيضا: (البداية والنهاية) : 2 / 296 - 302 .
قال البخاري في صحيحه: حدثنا معلي بن أسد، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن المختار - أخبرنا موسى ابن عقبة قال: أخبرني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، «فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه» ،
وفي الرواية التي في آخر المناقب: «فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة»
وللكشميهني: «فقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة» وجمع ابن المنير بين هذا الاختلاف بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفرة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقدمها لزيد، فقال زيد مخاطبا لأولئك القوم ما قال. (فتح الباري) : 9 / 785 - 786 كتاب الذبائح والصيد، باب ما ذبح على النصب والأصنام، حديث رقم (5499) ، ونحوه 7 / 179 - 180 كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، حديث رقم (3826) ، وزاد فيه بعد قوله: «ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه» ، «وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكارا لذلك وإعظاما له» .

[(1)] (المطالب العالية) : 4 / 95 ، وفيه: وأتي زيد بن عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة، وهما يأكلان من سفرة لهما، فدعواهما لطعامهما، فقال زيد بن عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم: «انا لا نأكل مما ذبح على النصب» قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

[(2)] التحمّس: التشدّد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهّد والتألّه، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشّعر ولا الوبر، وكانوا لا يسلّتون السمن، وسلاً السمن: أن يطبخ الزبد حتى يصير سمناً، ومن القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس: كنانة، وخزاعة. (الروض الأنف): 1/ 299-230.

قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش - لا أدري أقبل الفيل أم بعده - ابتدعت رأي الحمس رأياً رأوه فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرم، وولادة البيت، وقطّان مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئاً من الحلّ كما تعظّمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفّت العرب بحرمتمكم، وقالوا: قد عظموا من الحلّ مثل

(353/2)

يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها، فذلك قوله عزّ وجل: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**] (1) . ذكره البخاري في كتاب التفسير [(2)] ، وخرجه أبو داود

[()] ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنّها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم، ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنّهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظم غيرها، كما نعظمها نحن الحمس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحلّ والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم. قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة النحوي: أن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحمس أن يأتقنوا الأقط، ولا يستلوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتنا من شعر، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرما، ثم رفعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم إذا جاءوا حجّاجا أو عمّارا، ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس. فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة.

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحلّ ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره، وكانت العرب تسمي تلك الثياب: اللّقى، فحملوا على ذلك العرب فدانت به، ووقفوا على عرفات

وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عراة، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مفرجا عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب، وهي كذلك تطوف بالبيت: اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

ويذكر أن هذه المرأة هي: ضباعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بني سلمة بن قشير. وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها، فذكرت له عنها كبرة، فتركها، فقيل إنها ماتت كمدا وحزنا على ذلك. قال ابن حبيب: إن كان صح هذا، فما آخرها عن تكون أما للمؤمنين، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها «اليوم يبدو بعضه أو كله» تكريمة من الله لنبيه، وعلمنا منه بغيرته، والله أغير منه ومن اللقي: حديث فاختة أم حكيم بن حزام، وكانت دخلت الكعبة، وهي حامل متم بحكيم بن حزام، فأجاءها المخاض، فلم تستطع الخروج من الكعبة، فوضعتها فيها، فلقت في الأنطاع هي وجنينها، وطرح مثيرها [المثير: مسقط الولد] وثيابها التي كانت عليها، فجعلت لقي لا تقرب.

ومما ذكر من تعريهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك، فانضم الرجل إلى المرأة تلذذا واستمتعا، فلصق عضده بعضدها، ففزعا عند ذلك، وخرجا من المسجد، وهما ملتصقان، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها، حتى قال لهما قاتل: توبا مما كان في ضميركما، وأخلصا لله التوبة، ففعلا، فأنخل أحدهما من الآخر.

(سيرة ابن هشام) : 21 / 2 - 26.

[(1)] [البقرة: 199] .

[(2)] [فتح الباري] : 8 / 236، كتاب التفسير، باب **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**

حديث رقم (4520) .

(354/2)

بمثله [(1)] .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي [أحمد بن جحش] عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير عن أبيه قال: لقد لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه وهو يقف على بعرفات من بين قومه حتى يدفع بعدهم توفيقا من الله له [(2)] .

وقد خرج البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بعيرا لي فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفا مع الناس بعرفة فقلت: والله إن هذا لمن الحمس، فما شأنه ها هنا؟ وكانت قريش تعد من الحمس [(3)] .

[(1)] [(عون المعبود) : 5 / 271-272، كتاب المناسك، باب الوقوف بعرفة، حديث رقم (1907)، (تحفة الأحمدي) : 3 / 532، أبواب الحج، باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء فيها، حديث رقم (885)، وقال فيه: «يقفون بالمزدلفة يقولون: نحن قطين الله» قال في القاموس:

قطن قطونا: أقام، وفلانا خدمه فهو قاطن، والجمع قطان، وقاطنة، وقطين، وقطين الله، على حذف المضاف، أي سكان بيت الله.

قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح. ومعنى الحديث: أن أهل مكة كانوا لا يخرجون من الحرم، وعرفات خارج من الحرم، فأهل مكة كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن قطين الله، يعني سكان الله، ومن سوى أهل مكة كانوا يقفون بعرفات، فأنزل الله تعالى: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** (المرجع السابق) : 533.

[(2)] [(البداية والنهاية) : 2 / 352، و (دلائل البيهقي) : 2 / 37، وقال البيهقي: قوله: «على دين قومه» معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل، في حجهم، ومناكحهم، وبيوعهم، دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط. وما بين القوسين زيادة من المرجعين السابقين.

[(3)] [(فتح الباري) : 3 / 657، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، حديث رقم (1664)، قال الكرمانلي: وقفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفة كانت سنة عشر، وكان جبير حينئذ مسلما لأنه أسلم يوم الفتح فإن كان سؤاله عنه إنكارا وتعجبا، فلعله لم يبلغه نزول قوله تعالى: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**، وإن كان للاستفهام عن حكمة المخالفة عما كانت عليه الحمس فلا إشكال، ويحتمل أن يكون لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقفة بعرفة قبل الهجرة. (المرجع السابق). وفي (البداية والنهاية) : 2 / 352:

ويفهم من قوله هذا أيضا أنه كان يقف بعرفات قبل الوحي إليه، وهذا توفيق من الله له. وخرجه الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم قال: «حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن عمه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: «رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن ينزل عليه، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس حتى يدفع معهم منها، توفيقا من الله له». (مسند أحمد) : 5 / 38، حديث رقم (16316).

وأخرجه أبو بكر البرقاني وزاد بعد قوله: هذا من الحمس: فما باله خرج من الحرم، وكان سائر الناس تقف بعرفة، وذلك قول الله عز وجل: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**، قال سفيان: **الأمس: الشديد في دينه.**

فصل في ذكر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدين به قبل أن يوحي إليه قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن عروة بن رويم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول ما نهاني ربي عن عبادة الأصنام وعن شرب الخمر وعن ملاجأة الرجال . [(1)] .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله: من قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل مما ذبح على النصب؟. وقد خرج البيهقي من حديث يونس بن شبيب عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عثمان بن أبي سليمان عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله عز وجل له. قال البيهقي: قوله على دين قومه معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط. وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك [(2)] .

وقال أبو نعيم: وما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الذبح على التصب خلاف ما كانت قريش تذبجه، لأن قريشا تذبجه عند الآلهة تقريبا وتدينا وهو شرك وكفر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله من هذا، ويجوز أن يكون هذا الفعل في موضع ذبائحهم، فيكون القربان لله، كما لو صلى إنسان من المسلمين في كنيسة صلاة الإسلام جاز، وهو في الظاهر مستقبح، ويحتمل أن يكون يحضر مذابحهم مداريا لأعمامه وعماته كما رواه ابن عباس رضي الله عنه في قصة عيد بوانة على ما تقدم ذكرنا مع طمأنينة قلبه للإيمان وبغضه لأنصائهم وأعيادهم كما روينا، مع أن بعض الناس من أهل العلم كان يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم على دين قومه في أكل ذبائحهم

[(1)] تلجأ من القوم: انفرد عنهم وخرج عن زمرتهم وعدل إلى غيرهم. وفي حديث كعب: «من دخل ديوان المسلمين ثم تلجأ منهم فقد خرج من قبة الإسلام» (المعجم الوسيط) ج 2 ص 815.

[(2)] [دلائل البيهقي] : 37 / 2.

(357/2)

وغيره، محتجا بقوله تعالى: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى [(1)] ، والأحرى والأشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف ذلك على ما قدمنا لأن قوله: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى تأولوه على غير وجه، فقبيل: مغمورا في بحور ضلال، كقوله: ضل الماء في اللبن فلا يتميز منه، فكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مختلطا بقومه غير متميز منهم، فحمل الضلال على هذا الوجه. وقيل: وجدك ضالا عن الكتاب والشرائع كما قال تعالى: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ [(2)] وكيف تحمل على غير ما اخترناه وتأولناه، وقد نهي عن التعري حين نقل الحجارة إلى بناء الكعبة مع قومه؟ أفلا تراه ينهى عن الشرك والتدين بدين قومه لو أراد عليه السلام. وقال أبو الوفاء بن عقيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متدينا قبل بعثته، فهل كان متعبدا بشريعة من قبله؟ فيه روايتان، إحداهما أنه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي إليه لا من جهتهم ولا بنقلهم ولا من كتبهم المبدلة، واختارها أبو الحسن التميمي، وهو قول أصحاب أبي حنيفة رحمه الله.

والرواية الثانية أنه لم يكن متعبدا بشيء من الشرائع إلا ما أوحى إليه في شريعته، وهو قول المعتزلة والأشعرية. ولأصحاب الشافعي رحمه الله وجهان كالروايتين، قال: واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله بأية شريعة كان يتعبد؟ فقال بعضهم بشريعة إبراهيم عليه السلام خاصة، وإليه ذهب أصحاب الشافعي. وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبدا بشريعة موسى عليه السلام إلا ما نسخ في شرعنا. قال:

وظاهر كلام أحمد رحمه الله: أنه كان متعبدا بكل ما صح أنه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه، يدل عليه قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ [(3)] . وقال النووي: والمختار أنه لا يجزم في ذلك بشيء، إذ ليس فيه دلالة عقل، ولا يثبت فيه نص ولا إجماع.

وقال محمد بن قتيبة: لم تنزل العرب على بقايا من دين إسماعيل، من ذلك: حج البيت، والختان، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثا، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والثنتين، ودية النفس مائة من الإبل،

[(1)] الضحى: 7.

[(2)] الشورى: 52.

[(3)] الأنعام: 90.

(358/2)

بالقراءة والصهر، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج. قال: وقوله تعالى: مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ يعني به شرائع الإيمان، ولم يرد به الإيمان الذي هو الإقرار [بوحداية] [(1)] الله تعالى، لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون له مع شركهم. وذكر الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي: في المسألة بحثان: الأول:

أنه قبل النبوة هل كان متعبدا بشرائع من قبله؟ أثبتته قوم ونفاه آخرون، وتوقف فيه ثالث، احتج المنكرون بأمرين، الأول: لو كان مقيدا بشرع أحد لوجب عليه الرجوع إلى علماء تلك الشريعة والاستفتاء منهم، والأخذ بقولهم، ولو كان كذلك لاشتهروا ولنقل بالتواتر قياسا على سائر أحواله، فحيث لم ينقل علمنا أنه ما كان متعبدا بشريعهم. الثاني: لو كان على ملة قوم لافتخر به هؤلاء القوم ونسبوه إلى أنفسهم ولاشتهر ذلك. فإن قيل: ولو لم يكن متعبدا بشرع أحد، فبقاؤه لا على شرع أحد البتة لا يكون شيئا مخالفا للعادة فلا تتوفر الدواعي على نقله، أما كونه شرع، إما كان على خلاف عادة قومه وجب أن ينقل، احتجوا بأمرين: الأول: أن دعوة من تقدمه كانت عامة فوجب دخوله فيها، الثاني أنه كان يركب البهيمة ويأكل اللحم ويطوف بالبيت. والجواب عن الأول: أنا لا نسلم عموم دعوة من تقدمه سلمناه، لكن لا نسلم وصول تلك الدعوة إليه بطريق، فوجب العلم أو الظن الغالب، وهذا من زمن الفترة، وعن الثاني أن نقول: أما ركوب البهائم فحسن في العقل إذا كان طريقا إلى حفظها ونفعها بالعلف وغيره، وأما أكل اللحم الذكي فحسن أيضا لأنه ليس فيه مضيرة على حيوان، وأما طوافه بالبيت فبتقدير ثبوته لا يجب، أو فعله من غير شرع أن يكون حراما.

البحث الثاني: في حالة بعد النبوة، قال جمهور المعتزلة وكثير من الفقهاء: لم يكن متعبدا بشرع أحد. وقال قوم من الفقهاء: بل كان متعبدا بذلك إلا باستثناء الدليل الراجح ثم اختلفوا، قال قوم: كان متعبدا بشرع إبراهيم عليه السلام، وقيل بشرع موسى عليه السلام، وقيل بشرع عيسى

(359/2)

واعلم أن من قال: كان متعبدا بشرع من قبله، إما أن يريد أن الله تعالى كان يوحى إليه بمثل الأحكام التي أمر بها من قبله، أو يريد به أن الله تعالى أمره باقتباس الأحكام من كتبهم، فإن قالوا بالأول، فإما أن يقولوا به في كل شرعه أو في بعضه، والأول معلوم البطلان بالضرورة، لأن شرعنا يخالف شرع من قبلنا في كثير من الأمور. والثاني مسلم [به] [(1)] ولكن ذلك لا يقتضي إطلاق القول بأنه متعبد بشرع غيره لأن ذلك يوهم التبعية، وأنه صلى الله عليه وسلم، ما كان تبعا لغيره بل كان أصلا في شرعه.

وأما الاحتمال الثاني وهو حقيقة المسألة فيدل على بطلانه وجوه:
الأول: لو كان متعبدا بشرع أحد لوجب أن يرجع إلى أحكام الحوادث إلى شرعه، وأن لا يتوقف إلى نزول الوحي، لكن لم يفعل ذلك لوجهين: الأول: أنه لو فعل لاشتهر، والثاني أن عمر رضي الله عنه طالع ورقة في التوراة فغضب صلى الله عليه وسلم وقال: لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي،

ولما لم يكن كذلك علمنا أنه لم يكن متعبدا بشرع أحد، فإن قيل: الملازمة ممنوعة لاحتمال أن يقال: أنه صلى الله عليه وسلم علم في تلك الصورة أنه غير متعبد فيها بشرع من قبله، ولا جرم توقف فيها على نزول الوحي عليه، أو لأنه صلى الله عليه وسلم علم خلو شرعهم على حكم تلك الواقعة فانتظر الوحي، أو لأن أحكام تلك الشرائع إن كانت منقولة بالتواتر فلا يحتاج في معرفتها إلى الرجوع إليهم في كتبهم، وإن كانت منقولة بالآحاد لم يجز قبولها، لأن أولئك الرواة كانوا كفارا، ورواية الكفار غير مقبولة سلمنا الملازمة، لكن قد ثبت رجوعه إلى التوراة في الرجم لما احتكم إليه اليهود، والجواب قوله: إنما لم يرجع إليها في شيء من الوقائع إليهم، وجب أنت يكون ذلك لأنه علم أنه غير متعبد في شيء منها بشرع من قبله، قوله: إنما لم يرجع إليها لعلمه بخلو كتبهم عن تلك الوقائع، قلنا: العلم بخلو كتبهم عنها لا يحصل إلا بالمطلب الشديد والبحث الكثير، فكان يجب أن يقع منه ذلك الطلب والبحث. قوله: «ذلك الحكم إما أن يكون متواترا أو آحادا» قلنا:

يجوز أن يكون متن الدليل متواترا إلا أنه لا بد من العلم بدلالته على المطلوب من نظر كثير أو

بحث دقيق، وكان يجب اشتغال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنظر في كتبهم، والبحث عن كيفية دلالتها على الأحكام. قوله: «رجع في الرجم إلى التوراة» قلنا: لم يكن

[(1)] زيادة للسياق.

(360/2)

رجوعه إليها رجوع مثبت الشرع بها، والدليل عليه أمور، أحدها: أنه لم يرجع إليها في غير الرجم، وثانيها: أن التوراة محرفة عنده، فكيف يعتمد عليها؟ وثالثها: أن من أخبره بوجود الرجم في التوراة لم يكن ممن يقع العلم بخبره، فثبت أن رجوعه إليها كان ليقرر عليهم أن ذلك الحكم أنه ثابت في شرعه فهو أيضا ثابت في شرعهم، وأنهم أنكروه كذبا وعنادا.

الحجة الثانية أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كان متعبدا بشرع من قبله لوجب على علماء الأمصار أن يرجعوا في الوقائع إلى شرع من قبله ضرورة أن التأسى به واجب، وحيث [أنهم] [(1)] لم يفعلوا ذلك علمنا بطلان ذلك.

الحجة الثالثة: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوّب معاذًا على حكمه باجتهاده إذا عدم حكم الحادثة من الكتاب والسنة، ولو كان متعبدا بحكم التوراة كما تعبد بحكم الكتاب لم يكن له العمل باجتهاد نفسه حتى ينظر في التوراة والإنجيل، فإن قلت: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصوب معاذًا في العمل باجتهاده إلا إذا عدمه من الكتاب - والتوراة كتاب - ولأنه إنما لم يذكر التوراة لأن في القرآن آيات تدل على الرجوع إليها، كما أنه لم يذكر الإجماع لهذا السبب، قلنا: الجواب عن الأول من وجهين: أحدهما: أنه لا يفهم من إطلاق الكتاب إلا القرآن، فلا يحمل على غيره إلا بدليل. الثاني: أنه لم يعهد من معاذ قط تعليم التوراة والإنجيل بتمييز المحرف منهما عن غيره كما عهد منه تعلم القرآن، وبه ظهر الجواب عن الثاني.

الحجة الرابعة: لو كانت تلك الكتب حجة علينا لكان حفظها من فروض الكفايات كما في القرآن والأخبار، ولرجعوا إليها في مواقع اختلافهم حين أشكل عليهم: كمسألة العول وميراث الجد والمفوضة، وبيع أم الولد وحد الشرب، والربا في غير النسيئة، ودية الجنين، والردّ بالعيب بعد الوطاء، والتقاء الحنّانين وغير ذلك من الأحكام. ولما لم ينقل عن واحد منهم مع طول أعمارهم وكثرة وقائعهم، واختلافهم مراجعة التوراة، سيما وقد أسلم من أحبارهم من تقوم الحجة بقولهم، كعبد الله بن سلام وكعب [الأخبار] ووهب، وغيرهم. ولا يجوز القياس إلا بعد اليأس من الكتاب، وكيف يحصل اليأس قبل العلم؟ احتجوا بأمور أحدها: قوله

(361/2)

تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَخْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ [(1)] وثانيها: قوله تعالى: فَهَدَاهُمْ
اقتداه [(2)] أمره أن يقتدي بهداهم، وثالثها: قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ
وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ [(3)] ، ورابعها: قوله تعالى:
أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً [(4)] ، وخامسها: قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ
نُوحاً [(5)] .

والجواب عن الأول يَخْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ: لا يمكن إجراؤه على ظاهره، لأن جميع النبيين لم يحكموا
بجميع ما في التوراة، ذلك معلوم بالضرورة، فوجب إما تخصيص الحكم وهو أن كل النبيين حكموا
ببعضه وذلك لا يضرنا، فإن نبينا صلى الله عليه وسلم حكم بما فيه من معرفة الله تعالى
وملائكته وكتبه ورسله، أو تخصيص النبيين وهو أن بعض النبيين حكموا بكل ما فيه وذلك لا
يضرنا.

وعن الثاني أنه تعالى أمر بأن [(6)] يهتدي بهدي مضاف إلى كلهم، وهداهم الذي اتفقوا عليه
هو الأصول دون ما وقع عليه النسخ.

وعن الثالث: أنه يقتضي تشبيه الوحي بالوحي، لا تشبيه الوحي بالموحي به.
وعن الرابع: أن المسألة محمولة على الأصول دون الفروع، ويدل عليه أمور، أحدها: أنه يقال:
ملة الشافعيّ وأبي حنيفة واحدة وإن كان مذهبهما في كثير الشرعيات مختلفا، وثانيهما: قوله تعالى
بعد هذه الآية: وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [(7)] . وثالثها: أن شريعة إبراهيم عليه السلام قد
اندرست.

وعن الخامس: أن الآية تقتضي أنه وصى محمدا صلى الله عليه وسلم بالذي وصى به نوحا من أن
يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وأمرهما بإقامة الدين لا يدل على اتفاق دينهما، كما أن أمر الاثنين
بأن يقوموا بحقوق الله تعالى يدل على أن الحق على أحدهما مثل الحق على الآخر، وعلى أن الآية
تدل على أنه تعبد محمدا صلى الله عليه وسلم بما وصى به نوحا عليه السلام، والله أعلم.
وقال الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: وأما شريعة

[(2)] الأنعام: 90 .

[(3)] النساء: 163 .

[(4)] النحل: 123 .

[(5)] الشورى: 13 .

[(6)] في (خ) «بأن أن» .

[(7)] البقرة: 135 .

(362/2)

إبراهيم عليه السلام فشريعتنا، ولسنا نقول: أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بالشريعة التي بعث الله تعالى بها إبراهيم إلى قومه خاصة دون سائر أهل عصره، وإنما لزمنا لأن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها إلينا لا لأن إبراهيم بعث بها، قال تعالى: ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [(1)] وقال تعالى: بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قال: تبلجت المسألة والحمد لله .

قال: ونسخ الله تعالى عنا بعض شريعة إبراهيم عليه السلام كما نسخ عنا ما كان يلزمنا من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ذبح الأولاد نسخ بقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ [(2)] ، وبقوله تعالى: وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ [(3)] ، وبقوله تعالى: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ [(4)] . ونسخ الاستغفار للمشركين بقوله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ [(5)] .

قال: وقد قال قوم: ماذا كانت شريعة النبي قبل أن ينبأ؟ والجواب: أن يقال: في نفس سؤالكم جوابكم، وهو قولكم: قبل أن ينبأ، وإذا لم يكن نبيا فلم يكن مكلفا شيئا من الشرائع التي لم يؤمر بها، ومن قبل أن يكون مأمورا بما لم يؤمر به، فصح يقينا أنه لم يكن ألزم شيئا من الشريعة حاشا التوحيد اللازم لقومه من عهد إبراهيم لولده ونسله حتى غيره عمرو بن يحيى، وحاشا ما صانه الله من الزنا وكشف العورة والكذب والظلم وسائر الفواحش التي سبق في علم الله تعالى [أنه] [(6)] سيحرمها عليه وعلى الناس .

ذكر ما ورد في أنه عَقَّ عن نفسه صلى الله عليه وسلم
قال الجلال: أخبرني أبو المثنى العنبري أن أبا دواد حدثهم قال: سمعت أحمد يحدث بحديث الهيثم بن جميل عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن نفسه .

-
- (1) [النحل: 123 .
(2) [الأنعام: 151 ، الإسراء: 31 .
(3) [التكوير: 9 . وفي (خ) «وإذا المودة» .
(4) [الأنعام: 140 .
(5) [التوبة: 113 . وفي (خ) «ما كان للتبيين» .
(6) [في (خ) «والتي» ولعل ما أثبتناه أجود للسياق .

(363/2)

قال أحمد [بن] عبد الله بن قتادة عن أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ، مَنْكَرٌ، وَضَعَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْرَزٍ قَالَ الْجَلَالُ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفِ الْحَمَّصِيِّ، أَخْبَرَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ أَنْسَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ النَّبُوءَةُ [(1)] .
وفي مصنف عبد الرزاق: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْرَزٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ النَّبُوءَةِ. قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: إِنَّمَا تَرَكَوا ابْنَ مُحْرَزٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ [(2)] .

(1) [ذكره ابن القيم في (زاد المعاد) 2 / 332 وأخبر أن عبد الله بن المثنى كثير الغلط فالسند ضعيف .
(2) [ذكره الحافظ في الفتح ج 9 ص 595 ونسبه للبخاري وقال البزار: تفرد به عبد الله بن محرز وهو ضعيف ووصفه الحافظ في (التقريب بقوله: متروك وأخرجه أبو الشيخ من وجهين آخرين: أحدهما من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتادة وإسماعيل ضعيف أيضا، وقد قال عبد الرزاق: إنهم تركوا حديث عبد الله بن محرز من أجل هذا الحديث، فلعل إسماعيل تركه منه. ثانيهما من رواية أبي بكر المستملي عن الهيثم بن جميل وداود بن الحبر قالوا حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس، وداود ضعيف لكن الهيثم ثقة وعبد الله من رجال البخاري فالحديث قوي الإسناد وقد أخرجه محمد بن عبد الملك بن أمين عن إبراهيم بن إسحاق السراج عن عمرو الناقد وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أحمد بن مسعود كلاهما عن الهيثم بن جميل وحده به، فلو لا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحا، لكن قد قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بقوي، وقال أبو داود: لا أخرج حديثه، وقال الساجي: فيه

ضعف لم يكن من أهل الحديث وروى مناكير وقد قال العقيلي: لا يتابع على أكثر حديثه، قال ابن حبان في «الثقات»: ربما أخطأ، ووثقه العجلي والترمذي وغيرهما، فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجه أ. هـ.

(364/2)

فصل في ذكر بدء الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تراءى الملك له وإلقاؤه الوحي إليه وتقديره له أنه يأتيه من عند الله عز وجل وأنه قد صار يوحى إليه نبيا ورسولا إلى الناس جميعا قال ابن سيده في كتاب المحكم: وجاء وحيا: كتب، والوحي المكتوب أيضا وعلى ذلك جمعوا فقالوا: أوحى، وأوحى إليه: ألهمه [(1)] ، وفي التنزيل: وَأَوْحَى

[(1)] الوحي: ما يقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة، فإن العبارة يجوز منها إلى المعنى المقصود بها، ولذا سميت عبارة، بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذات المشار إليه، والوحي هو المفهوم الأول، والإفهام الأول، ولا تعجب من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه، فإن لم تحصل لك هذه النكتة فليست بصاحب وحي، ألا ترى أن الوحي هو السرعة، ولا سرعة أسرع مما ذكرنا، فهذا الضرب من الكلام يسمى وحيا، ولما كان بهذه المثابة وأنه تجلّ ذاتي، لهذا ورد في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه، والقسطلاني في (إرشاد الساري) 1/ 167 من عدة طرق، وبألفاظ تزيد وتنقص، وكلها متقاربة المعنى: «أنّ الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم فرّح عن قلوبهم [كشف عنهم الخوف] فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحقّ، فينادون الحق وهو العلي الكبير»، وما سألت الملائكة عن هذه الحقيقة وإنما عن السبب من حيث هويته.

فالوحي: ما يسرع أثره من كلام الحق في نفس السامع، ولا يعرف هذا إلا العارفون بالشئون الآلهية، فإنها عين الوحي الإلهي في العالم وهم لا يشعرون. وقد يكون الوحي إسراع الروح الإلهي بالإيمان بما يقع به الإخبار والمفطور عليه كلّ شيء مما لا كسب فيه من الوحي أيضا، كالمولود يلتقم ثدي أمه، ذلك من أثر الوحي الإلهي كما قال: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ [الواقعة: 85] ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ [البقرة: 154] ، وقال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، [النحل]:

[68] ، فلولا أنها فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر، ولهذا لا تتصور معه المخالفة إذا كان الكلام وحيًا، فإن سلطانه أقوى من أن يقاوم، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَّقِيهِ فِي الْيَمِّ [القصص: 7] ، ولذا فعلت ولم تخالف، والحالة تؤذن بالهلاك ولم تخالف ولا ترددت، ولا حكمت عليها البشرية بأن هذا من أخطر الأشياء، فدلّ على أن الوحي أقوى سلطانًا في نفس الموحى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه، قال تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق: 16] ، وحبل الوريد من ذاته.

فإذا زعمت يا وليّ بأن الله أوحى إليك فانظر نفسك في التردد والمخالفة، فإن وجدت لذلك أثر تدبير أو تفضيل أو تفكير فلست بصاحب وحي، فإن حكم عليك وأعماك وأصمك وحال بينك وبين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك، فذلك هو الوحي، وأنت عند ذلك صاحب وحي، وعلمت عند ذلك أن.

(365/2)

[()] رفعتك وعلو مرتبتك أن تلحق بمن يقول إنه دونك من حيوان أو نبات أو جماد، فإن كل شيء مفطور على العلم بالله، إلا أن مجموع الإنس والجان فإنه من حيث تفصيله منطوق على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات، من ملك، وحيوان، ونبات، وجماد، فما من شيء فيه شعر، وجلد، ولحم، وعصب، ودم، وروح، ونفس، وظفر، وناب، إلا هو عالم بالله، حتى ينظر ويفكر، ويرجع إلى نفسه، فيعلم أن له صانعًا صنعه، وخالقًا خلقه، فلو أسمع الله نطق جلده، أو يده، أو لسانه، أو عينه، لسمعه ناطقًا بمعرفته بربه، مسبّحًا لجلاله، مقدّسًا لجماله يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ [النور: 24] ، أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ [يس: 65] ، وَقَالُوا جُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدْتُمْ عَلَيْنَا [فصلت: 21] . فالإنسان من حيث تفصيله عالم بالله، ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يعلم، أي يعلم بما في تفصيله، فهو العالم الجاهل، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [السجدة: 17] .

قال أبو القاسم الأصفهاني: الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز أو التعريض فالرمز: الصوت الخفي، أو الإشارة بالشفة، والتعريض:

خلاف التصريح، وهو تورية في القول، ولحن الكلام- وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على كل ذلك قوله تعالى: فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا

بُكْرَةً وَعَشِيًّا [مریم: 11] ، فقد قيل: رمز، وقيل: أشار، وقيل كتب، وحمل على هذه الوجوه أيضا قوله تعالى: يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا [الأنعام: 112] ، وقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ [الأنعام: 121] ، فلذلك بالوسواس المشار إليه بقوله: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ [الناس: 4]

ويقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً» .

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي، وذلك أضرب حسب ما دلّ عليه قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ [الشورى: 51] ، وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته، ويسمع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة، كسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى.

وإما بإلقاء في الرّوع [القلب أو النفس] ، كما

ذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي» [رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة] ،

وإما بإلهام نحو قوله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ [القصص: 7] ، وإما بتسخير نحو قوله تعالى: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ [النحل: 68] وإما بمنام كما

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمَبَشَرَاتُ» [الحديث أخرجه الإمام أحمد،

ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، عن ابن عباس، وأول الحديث:

«أَيُّهَا النَّاسُ، لَمْ يَبْقَ مِنَ مَبَشَرَاتِ النَّبُوَّةِ ...» .

فالإلهام، والتسخير، والمنام، دلّ عليه قوله تعالى: إِلَّا وَحْيًا [الشورى: 51] ، وسماع الكلام من غير معاينة، دلّ عليه قوله تعالى: مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ [الشورى: 51] ، وسماع الكلام من غير معاينة، دلّ عليه قوله تعالى: مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ [الشورى: 51] ، وتبليغ جبريل عليه السلام في صورة معينة، دلّ عليه قوله تعالى: أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ [الشورى: 51] .

(366/2)

رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [(1)] ، وفيه: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا [(2)] أي إليها، فمعنى هذا:

أمرها، ووحى في هذا المعنى وأوحى إليه ووحى إليه: أوماً. وفي التنزيل:

فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [(3)] .

وقال الحافظ أبو نعيم [(4)] : ومعنى الوحي مأخوذ من الوحا، وهو العجلة، فلما

[()] وقوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ [الأنعام: 93] ، فذلك ذم لمن يدعي شيئاً من أنواع ما ذكرنا من الوحي، أي نوع ادّعاه من غير أن يكون حصل له.

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ [الأنبياء: 25] ، فهذا الوحي هو عام في جميع أنواعه، وذلك أن معرفة وحدانية الله تعالى، ومعرفة وجوب عبادته، ليست مقصورة على الوحي المختص بأولي العزم من الرسل، بل ذلك يعرف بالعقل وإلهام، كما يعرف بالسمع، فإذا القصد من الآية تنبيه أنه من المحال أن يكون رسول لا يعرف وحدانية الله تعالى ووجوب عبادته.

وقوله تعالى: وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي [المائدة: 111] ، فذلك وحي بسوطة عيسى عليه السلام.

وقوله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ [الأنبياء: 73] فذلك وحي إلى الأمم بواسطة الأنبياء عليهم السلام.

ومن الوحي المختص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [الأنعام: 106] ، وقوله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ [يونس: 87] ، فوحيه إلى موسى بواسطة جبريل، وهارون بواسطة موسى عليهما السلام.

وقوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ [الأنفال: 12] ، فذلك وحي إليهم بواسطة اللوح والقلم فيما قبل.

وقوله تعالى: وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا [فصلت: 12] ، فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط، فالموحي إليه محذوف ذكره، كأنه قال: أوحى إلى الملائكة، لأن أهل السماء هم الملائكة، ويكون كقوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ [الأنفال: 12] ، وإن كان الموحي إليه هي السماوات، فذلك تسخير عند من يجعل السماء غير حي، ونطق عند من يجعله حيا.

وقوله تعالى: بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا [الزلزلة: 5] ، قريب من الأول.

وقوله تعالى: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه: 114] ، فحث على التثبت في السماع، وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتلقينه. (بصائر ذوي التمييز) :

182 - 177 / 5

[(1)] النحل: 68.

[(2)] الزلزلة: 5.

[(3)] مريم: 11.

[(4)] هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، نسبة إلى أصفهان، وهي بلدة في وسط إيران. وينقل ابن خلكان في (وفيات الأعيان) عن أبي نعيم نفسه أنه قد ذكر أن جده «مهران» قد أسلم، وكأنه يشير بذلك إلى أنه أول من أسلم من أجداده، وقد كان «مهران» هذا مولى لعبد الله بن جعفر، هذا.

(367/2)

[()] نسبه من جهة أبيه.

أما نسبه من جهة أمه، فقد ذكر في (تذكرة الحفاظ) أن أبا نعيم هو سبط- [ولد الولد ويغلب إطلاقه على ابن البنت]- محمد بن يوسف البناء، ومحمد بن يوسف البناء هذا كان عابداً، زاهداً، له شهرته في تلك البلاد، وله ذكر في غيرها من بلاد الإسلام والمسلمين، تخرج عليه جماعة من العباد الزهاد، قال عنه أبو نعيم في مقدمته لولية الأولياء: «فقد كان جدي محمد بن يوسف البناء رحمه الله، أحد من نشر الله عزّ وجلّ به ذكر بعض المنقطعين إليه، وعمّر به أحوال كثير من المقبلين عليه»، ترجم له ابن الجوزي في (صفة الصفوة) وعدّه من المصطفين من أهل أصفهان.

وفي يوم مشرق من أيام رجب عام ست وثلاثين وثلاثمائة، كانت الولادة السعيدة لأبي نعيم، ولد ولادة عادية. دون أن يدري أحد من مستقبل هذا الطفل شيئاً، وما أن فتح عينيه إلى النور، حتى رأى الناس جميعاً وميض الذكاء فيهما، فتنبؤوا له بمستقبل زاهر، إن تمّ له ما يتطلبه هذا الذكاء الفدّ من رعاية وتوجيه.

بدت معالم الذكاء على أبي نعيم منذ نعومة أظفاره، ولذلك وجّهه والده الوجهة العلمية، لأن ذلك أحسن ميدان للذكاء، تفتّح فيه العبقرية، ويعظم الأثر، وفعلاً فقد بدأ الغلام بمجالسة العلماء، والسماع منهم في سنّ مبكرة جداً، ولم تمض سنوات حتى ذاع صيته بين العلماء، وامتدت شهرته في الآفاق، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، وقد كان له من العمر ست سنين.

فأجاز له من واسط: المعمر عبد الله بن عمر بن شوذب، ومن نيسابور: شيخها أبو العباس الأصمّ، ومن الشام: شيخها خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ومن بغداد: جعفر الخلدي، وأبو سهل بن زياد، وغيرهم خلق كثير، كلهم من عليّة القوم وروءوس العلماء، وقد كان بعض هؤلاء

الذين أجازوه ممسكا عن الإجازة، ومع ذلك فقد أجازوا لأبي نعيم. قال الذهبي: وأجازه طائفة تفرّد في الدنيا بإجازتهم» .

ولم يكن أبو نعيم من الذين يفترون بذكائهم وقوة حافظتهم فيعرضون عن الدّأب، بل كان يرى أن ما وهبه الله من قوة الحافظة نعمة يجب أن يستغلها حق الاستغلال، مؤديا حق الله تعالى فيها، ولذلك كان دأبا على العلم، عاكفا على المطالعة، فلم تكن تراه إلا مدرّسا، أو دارسا، أو مصنّفا، حتى قال عنه أحمد بن محمد بن مردويه: «لم يكن له غداء سوى التسميع والتصنيف» ، فاجتمعت لأبي نعيم الأسباب الرئيسية التي تحمل الإنسان إلى المراتب، وهي الذكاء، والدأب، واللذة بما يعمل، فقد وصل أبو نعيم فعلا إلى أعلى المراتب العلمية في عصره، وأطلق عليه ابن كثير في (البداية والنهاية) لقب «الحافظ الكبير» ، فقال: أبو نعيم هو الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة. وقال عنه ابن خلكان في (وفيات الأعيان) : كان أبو نعيم من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات. أما الحافظ الذهبي، فقد أطلق عليه «محدّث العصر» فقال: أبو نعيم الحافظ الكبير محدّث العصر ... رحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظ أسانيده. ويقول أحمد بن محمد بن مردويه: كان أبو نعيم في وقته مرحولا إليه، لم يكن في أفق من الآفاق أحد أحفظ منه ولا أسند منه، فإن حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، وكل يوم نوبة أحد منهم، يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر، فإذا قام أبو نعيم إلى داره، ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزءا، وكان لا يضجر. أما الخطيب البغدادي فإنه يقول: لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم العبدري.

(368/2)

[()] ويذكر حمزة بن العباس العلوي أنّ أصحاب الحديث قد قالوا: بقي أبو نعيم فترة طويلة من الزمن وهو لا نظير له أبدا، فقال: كان أصحاب الحديث يقولون: بقي الحافظ أبو نعيم أربع عشر سنة بلا نظير لا يوجد شرقا ولا غربا أعلى إسنادا منه، ولا أحفظ منه. وهكذا نجد أن المحدثين جميعا قد اتفقوا على أن أبا نعيم كان محدث عصره، وأنه لم يكن له نظير في كثرة ما يحفظ، ولا في علو الإسناد، والإسناد العالي: هو الذي قلّ عدد رجاله مع سلامتهم من الضعيف، وهو على خمسة أقسام: [1] قرينه من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [2] قرينه من إمام من أئمة الحديث، [3] العلو بالنسبة إلى رواية الصحيحين، أو أحدهما، أو غيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة، [4] العلو المستفاد من تقدم وفاة الراوي، [5] العلو المستفاد من

تقدم السماع.

وحيازة محدث الأسانيد العالية، ميزة ترجحه على غيره من المحدثين، فالحدثون يتحرون الأسانيد العالية، ويرحلون في طلبها، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «طلب الإسناد العالي سنة عن سلف»، وذلك لأن العلو يبعد الإسناد عن الخلل، لأن كل رجل من رجال السند يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً، ففي قلتهم قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، ولهذا رجح الحافظ أبو نعيم على غيره من محدثي عصره، فهو يحدث بأسانيد عالية لم تجتمع لأحد غيره من محدثي عصره.

وقد أخذ أبو نعيم العلم من مسند أصبهان المعمر أبي محمد بن فارس، وأبي أحمد العسال، وأحمد بن محمد القصار، وأبي بحر بن كوثر، وأبي القاسم الطبراني، وإبراهيم بن عبد الله بن أبي العزائم الكوفي، وغيرهم كثير فأكثر وأجاد. قال الحافظ الذهبي: «وهيأ له من لقيا الكبار ما لم يقع لحافظ» .

وقد أخذ العلم من أبي نعيم خلق كثير، منهم: الخطيب البغدادي، وأبو صالح المؤذن، وأبو بكر محمد ابن إبراهيم العطار، وغيرهم كثير، حتى قال علي بن المفضل الحافظ: قد جمع شيخنا السلفي أخبار أبي نعيم، فسمي نحو من ثمانين نفسا حدثوا عنه.

ومما أخذه العلماء على أبي نعيم، أنه كان يخلط المسموع له بالمجاز، ولا يوضح أحدهما من الآخر، وأجاب الحافظ الذهبي عن هذه الدعوى وقال: ربما فعله نادرا. ومن هذه المآخذ: روايته الأحاديث الموضوعية دون التنبيه إليها في كثير من الأحيان، حتى قال في ميزان الاعتدال: هو عندي مقبول، لا أعلم له ذنبا أكبر من روايته الموضوعات ساكتا عنها، وهذه كبيرة من أبي نعيم لأن من كان مثله لا ينبغي له أن يروي شيئا من هذه الموضوعات دون التنبيه عليها، ولكن ذلك لا يقدر في عدالته وإمامته، ولعل أبا نعيم كان يكتفي بذكر السند عن التنبيه عليها.

وقد أحسن أبو نعيم التصنيف، ولهذا فقد عدّه ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المتوفى سنة [643 هـ] في مقدمته واحدا من سبعة من الذين أحسنوا التأليف، وعظمت الاستفادة من مصنفاتهم، فقال: «سبعة من الحفاظ في ساقبتهم أحسنوا التصنيف، وعظم الانتفاع بتصانيفهم في عصرنا، منهم أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ» . ومن أشهر مؤلفات أبي نعيم: [1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، وقد طبع كتاب الحلية في عشر مجلدات، وقد حاز إعجاب العلماء في حسن تصنيفه، وغزارة مادته، فقال عنه ابن خلكان: «كتاب الحلية من أحسن الكتب»، وقال عنه ابن كثير: «من كتب أبي نعيم الحلية، دلّ على رواية أبي نعيم،

كان الرسول متعجلاً لما يفهم قيل لذلك التفهيم: وحي، وله مراتب ووجوه في القرآن:
- وحي إلى الرسول، وهو أن يخاطبه الملك شفاهاً ويلقي ذلك في روعه، وذلك قوله تعالى: وَمَا
كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ]
(1) [يريد بذلك خطاباً يلقي فهمه في قلبه حتى يعيه ويحفظه.

- وما عداه من غير خطاب، فإنما هو ابتداء إعلام وإهام وتوقيف من غير كلام ولا خطاب
كقوله تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [(2)] ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ [(3)] وما في معناهما.

[()] وكثرة مشايخه، وقوة اطلاعه في مخارج الحديث ... » ، ويذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ،
أن أبا نعيم لما صنف كتاب الحلية، حمل الكتاب إلى نيسابور، فاشتره بأربعمائة دينار .
[2] كتاب دلائل النبوة، فقد ساق أبو نعيم في هذا الكتاب الأحاديث بإسناده، دون أن ينبه
إلى صحتها أو عدم صحتها، ودون أن يتكلم على أحد من رجال هذه الأسانيد، ودون أن يشير
إلى وجودها في شيء من كتب المحدثين الذين تقدموه، وقد حوى هذا الكتاب خمسة وثلاثين
فصلاً، تحدثت عن أسماء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واشتهار أمره قبل مبعثه، وذكر الكتب
السمائية له، وتحدثت عن صفاته، وما خصه الله به، وغير ذلك، وقد طبع الكتاب في الهند بعد
مرة، في جزء واحد، بدون تحقيق، ثم طبع في دار النفائس [بيروت - لبنان] بتحقيق كل من:
الدكتور/ محمد رؤاس والأستاذ عبد البر عباس.

وبعد أن امتدت حياة أبي نعيم أربعة وتسعين عاماً، قضاهما كلها، إلا الأعوام الأربعة الأولى منها،
ما بين درس، ومدرسة، وتدریس، وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من محرم سنة ثلاثين وأربعمائة
كما يذكر ابن خلكان، حمل النعي إلى العالم الإسلامي نبأ الفجيعة، نبأ وفاة أبي نعيم في أصفهان،
فبكى الناس العالم المحقق، والزاهد العابد، والحافظ المحدث، والمؤرخ المتبحر، رحمه الله رحمة واسعة
وجزاه عن الإسلام خيراً.

(دلائل النبوة) : 1 / 5 - 15 ، (الحلية) : 1 / المقدمة، (البداية والنهاية) : 12 / 56 ، (وفيات

الأعيان) : 1 / 91 - 92 ، ترجمة رقم (33) ، (سير أعلام النبلاء) :

17 / 453 - 464 ، ترجمة رقم (305) ، (الكامل في التاريخ) : 10 / 119 ، 11 / 254 ،

349 ، (طبقات الحفاظ) : 423 ، ترجمة رقم (958) ، (ميزان الاعتدال) : 1 / 111 ، ترجمة

رقم (438) ، (الوافي بالوفيات) : 7 / 81 - 84 ، ترجمة رقم (3024) ، (مرآة الجنان) : 3 /

52 ، (لسان الميزان) : 1 / 216 ، ترجمة رقم (638) ، (شذرات الذهب) :

3 / 245 ، (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد) : 19 / 49 - 52 ، ترجمة رقم (35) .

[(1)] الشورى: 51.

[(2)] النحل: 68.

[(3)] القصص: 7.

(370/2)

وقال ابن سيده [(1)] في كتاب المخصص: النبي هو من نبأت، أي أخبأت، لأنه إنباء عن الله، وأنبيء، ومن زعم أن أصله غير الهمز فقد أخطأ، لأن سيويه قال: وليس أحد من العرب إلا وهو يقول: تنبأ مسيلمة، فلو كان من النبوة - كما ذهب إليه غير سيويه لقالوا: تنبأ مسيلمة، وبعضهم يقول تنبأ مسيلمة، كما أن سنة لما كانت من الهاء عند قوم ومن الواو عند آخرين، قالوا: سنهات وسنوات، وكذلك عضة، قالوا مرة عضة ومرة عضوات، فكذلك النبي: لو كان من النبوة ومن النبأ لهمز مرة وترك همزة أخرى. قال: وزعم سيويه [(2)] أن بعض أهل الحجاز يهزون النبي، وهي لغة رديئة،

[(1)] هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده المرسِّي، كان إماماً في اللغة والعربية، حافظاً لهما، وقد جمع في ذلك جموعاً، من ذلك كتاب [الحكم] في اللغة، وهو كتاب كبير جامع، مشتمل على أنواع اللغة، وله كتاب [المخصص] في اللغة أيضاً وهو كبير، وكتاب [الأنيق] في شرح الحماسة في ست مجلدات، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وكان ضريراً، وأبوه ضريراً، وكان أبوه أيضاً قيماً بعلم اللغة، وعليه اشتغل ولده في أول أمره، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي، وقرأ أيضاً على أبي عمر الطلمنكي، قال الطلمنكي: ذهبت إلى مرسية، فتشبت بي أهلها يسمعون عليّ [غريب المصنف لأبي عبيد]، فقلت لهم: انظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه عليّ من أوله إلى آخره، فتعجبت من حفظه، وكان له في الشعر حفظه وتصرف.

توفي بحضرة [دانية] عشية يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وعمره ستون سنة أو نحوها. رأيت على ظهر مجلد من الحكم بحفظ بعض فضلاء الأندلس أن ابن سيده المذكور كان يوم الجمعة قبل يوم الأحد المذكور صحيحاً سويماً إلى وقت صلاة المغرب، فدخل المتوضئاً فأخرج منه وقد سقط لسانه، وانقطع كلامه، فبقي على تلك الحال إلى العصر من يوم الأحد ثم توفي، رحمه الله. وقيل: سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، والأول أصح واشتهر. و [سيده]: بكسر السين المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح الدال المهملة، وبعدها ياء ساكنة. و [المرسي]:

بضم الميم وسكون الراء، هذه النسبة إلى مرسية، وهي مدينة في شرق الأندلس، و [الطلمنكي] : بفتح الطاء المهملة واللام والميم وسكون النون وبعدها كاف، هذه النسبة إلى طلمنكة، وهي مدينة في غرب الأندلس، إلى الغرب من وادي الحجارة، وقال الحميري: بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلا.

(وفيات الأعيان) : 3/ 330-331، ترجمة رقم (449)، (مرآة الجنان) : 1/ 83، (سير أعلام النبلاء) : 18/ 144-146، ترجمة رقم (78)، (معجم مصنفى الكتب العربية) : 336، (كشف الظنون) : 1/ 691، 2/ 1616-1617، (لسان الميزان) :

4/ 205-206، (البداية والنهاية) : 12/ 116-117.

[(2)] إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألّف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه. استملى على حمّاد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأخفش الكبير.

(371/2)

ولم يستردئ ذهابا منه إلى أن أصله غير الهمز، وإنما استردأها من حيث كثرة استعمال الجمهور من العرب لها من غير لها من غير همز.

قال أبو عبيد [(1)] : قال يونس: أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب، يهمزون

[()] وقد جمع يحيى البرمكي ببغداد بينه وبين الكسائي للمناظرة. بحضور سعيد الأخفش، والفرّاء، وجرّت مسألة الزنبور، وهي كذب: أظنّ الزنبور أشدّ لسعا من النحلة فإذا هو إياها، فقال سيبويه: ليس المثل كذا، بل: فإذا هو هي: وتشاجرا طويلا، وتعصبوا للكسائي دونه، ثم وصله يحيى بعشرة آلاف، فسار إلى بلاد فارس، وكان قد قصد الأمير طلحة بن طاهر الخزاعي. ومعنى [سيب] : تفاح، و [ويه] : رائحة، [رائحة التفاح] .

وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته، وانطلاق في قلمه. قال إبراهيم الحريّ: سمي سيبويه، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن. قال أبو زيد الأنصاري: كان سيبويه يأتي مجلس، وله ذؤابتان، فإذا قال: حدثني من أتق به فإنما يعنيني. وقال العيشي: كنا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شابا جميلا نظيفا، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل

أدب، مع حداثة سنة.

عاش سيبويه اثنتين وثلاثين سنة، ومات بشيراز سنة ثمانين ومائة.

(تاريخ بغداد) : 12 / 195 - 199، ترجمة رقم (6658) ، (وفيات الأعيان) :

3 / 463 - 465، ترجمة رقم (504) ، (مرآة الجنان) : 1 / 445، (البداية والنهاية) :

10 / 189 - 190، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : 1 / 128 - 130، (شذرات

الذهب) : 1 / 252.

[(1)] هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله، ولد سنة سبع وخمسين ومائة، وسمع إسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وهشيم، وخلقا كثيرا، إلى أن ينزل إلى رفيقه هشام بن عمار، ونحوه، وقرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي، وطائفة. وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وجماعة. وصنف التصانيف المؤنقة، التي سارت بها الركبان، وهو من أئمة الاجتهاد، له كتاب [الأموال] في مجلد كبير، وكتاب [الغريب] ، وكتاب [فضائل القرآن] ، وكتاب [الطهور] ، وكتاب [الناسخ والمنسوخ] ، وكتاب [المواعظ] ، وكتاب [الغريب المصنف في علم اللسان] ، وغير ذلك، وله بضعة وعشرون كتابا.

حدث عنه نصر بن داود، وعباس الدوري، وآخرون. كما قال عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي: وكان ذا فضل ودين وستر، ومذهب حسن، ثقة دينا، ورعا، كبير الشأن. وقال أحمد بن كامل القاضي: كان أبو عبيد فاضلا في دينه وفي علمه، ربانيا، مفتنا في أصناف علوم الإسلام من القرآن، والفقه، والعربية والأخبار، حسن الرواية، صحيح النقل، لا أعلم أحدا طعن في شيء من أمر دينه.

عن ابن معين قال: أبو عبيد ثقة، وقال أبو داود: أبو عبيد ثقة مأمون، وقال الدارقطني: إمام جبل. قال البخاري وغيره: مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة، قال الخطيب: وبلغني أنه بلغ سبعا وستين سنة.

(طبقات ابن سعد) : 7 / 355، (التاريخ الكبير) : 7 / 172، ترجمة رقم (778) ، (التاريخ

الصغير) : 2 / 350، (المعارف) : 549، (الجرح والتعديل) : 7 / 111، ترجمة رقم

(372/2)

النبي والبرية [(1)] ، وذلك قليل في الكلام.

وقال [يعني ابن سيده] في كتاب الحكم في مادة ن ب أ: والنبي المخبر عن الله عز وجل مكية، قال سيبويه: الهمز فيه لغة رديئة، يعني لقلة استعمالها، لا لأن القياس يمنع من ذلك، ألا ترى إلى

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له: يا نبي الله فقال: «لست بنبي الله ولكني نبي الله» ،

وذلك أنه عليه السلام أنكر الهمز في اسمه، فرده على قائله لأنه لم يرد بما سماه، فأشفق أن يمسك على ذلك وفيه شيء يتعلق بالشرع، فيكون بالإمساك عنه مبيح محذور أو حاذر مباح، والجمع أنبياء ونبأء، وتنبأ الرجل: ادعى النبوة.

وقال في مادة ن ب و: والنبي العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، قال بعضهم: ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله، وذلك لأنه يهتدى به.

وقال أبو نعيم: فالنبوة هي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الأبواب من خليقته، ولهذا يوصف أبدا بالرسالة والبعثة.

وقيل: إن النبوة إزاحة علل ذوي الأبواب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدارين، ولهذا

يوصف دائما بالحجة والهداية ليزيح عنهم على سبيل الهداية و [السقيف] [(2)] .

ومعنى النبي وذو النبأ والخبر أن يكون مخبرا عن الله بما خصه به من الوحي-

[()] (637) ، (تاريخ بغداد) : 2 / 403-416 ، ترجمة رقم (6868) ، (صفوة الصفوة)

:

4 / 117 ، ترجمة رقم (693) ، (الكامل في التاريخ) : 6 / 509 ، (تهذيب الأسماء واللغات) :

2 / 257 ، (وفيات الأعيان) : 4 / 60-63 ، ترجمة رقم (534) ، (تهذيب التهذيب) :

8 / 283-285 ، ترجمة رقم (574) ، (ميزان الاعتدال) : 3 / 371 ، ترجمة رقم (6807) ،

(مرآة الجنان) : 2 / 83-86 ، (البداية والنهاية) : 10 / 319-320 ، (المزهر في علوم اللغة

وأنواعها) : 2 / 411-412 ، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : 2 / 306 ، (خلاصة

تذهيب الكمال) : 2 / 343 ، ترجمة رقم (5778) ، (طبقات الحفاظ) :

2 / 182-183 ، ترجمة رقم (403) ، (الأموال) : 5-9 (المقدمة) ، (الرسالة المستطرفة) :

35 ، (غريب الحديث) : (المقدمة) ، (سير أعلام النبلاء) : 10 / 490-509 ، ترجمة رقم

(164) .

[(1)] [النبيء، البرينة، وهي قراءة ورش، (رواية ورش عن الإمام نافع المدني) : للشيخ محمود

الحصري.

[(2)] [كذا في (خ) ولم أجد لها معنى فيما بين يدي من المعاجم اللغوية.

وقيل إنها مشتقة من النبوة التي هي المكان المرتفع عن الأرض، وهو أن يخص بضرب من الرفة، فجعل سفيرا بين الله وبين خلقه، يعني بذلك وصفه بالشرف والرفة. ومن جعل النبوة من الأنباء التي هي الأخبار، لم يفرق بين النبوة والرسالة، ومعنى الرسول: فهو المرسل، معول على لفظ مفعول، وإرساله أمره إياه بإبلاغ الرسالة والوحي. قال كاتبه: والنبي أصله بالعبرانية نبي - بضم النون وكسر الباء الموحدة ثم ياء آخر الحروف لا همز عليها - فلما عزبت قيل: نبي بفتح النون، وهذا يؤيد أن ترك الهمز أشهر وأعرف، وفوق كل ذي علم عليم.

تنبيه وإرشاد إلى معنى النبوة - والله أعلم - وكيفية تلقي الأنبياء الوحي: اعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا فضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده، يعرفونهم مصالحهم ويحرضون على هدايتهم، ويأخذون بحجزاتهم عن النار، ويدلونهم على طرق النجاة، وكان مما يلقيه الله تعالى إليهم من المعارف، ويظهره على ألسنتهم من الخوارق، وقوع الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم،

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإني لا أعلم إلا ما علمني الله» .

واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصته وضرورته الصدق، كما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة، وعلامة هذا الصنف من البشر أن يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين، مع غطيظ كأنها غشي أو إغماء وليست منها في شيء، إنما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحي بإدراكهم المناسب لهم، الخارج عن مدارك البشر كلية. ثم يتنزل إلى المدارك البشرية إما سماع دوي من الكلام فينتفهمه، أو يتمثل له في صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله، ثم ينجلي عنه تلك الحال، وقد وعى ما ألقى عليه.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سئل [(1)] عن الوحي:

[(1)] السائل هو: الحارث بن هشام المخزومي، أخو أبي جهل شقيقه، أسلم يوم الفتح، وكان من فضلاء الصحابة، واستشهد في فتوح الشام.

(374/2)

«أحيانا [(1)] يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت

[(1)] [أحيانا] : جمع حين، يطلق على كثير الوقت وقليله، والمراد به هنا مجرد الوقت، فكأنه قال: أوقاتا يأتيني، وانتصب على الظرفية، وعامله «يأتيني» مؤخر عنه. ولا بن حجر من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال: كل ذلك يأتي الملك، أي كل ذلك حالتان فذكرهما، وروى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون، أنه بلغه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه عليّ كما يلقي الرجل على الرجل، فذاك ينفلت مني. ويأتيني في بيتي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي، فذاك الذي لا ينفلت مني» وهذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صحَّ فهو محمول على ما كان قبل نزول تعالى تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ [القيامة: 16] ، فإن الملك قد تمثل رجلا في صور كثيرة، ولم ينفلت منه ما أتاه به، كما في قصة مجيئه في صورة دحية، وفي صورة أعراي، وغير ذلك، وكلها في الصحيح.

وأورد على ما اقتضاه الحديث- وهو أن الوحي منحصر في الحالتين- حالات أخرى: إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل، والنفث في الروح، والإلهام، والرؤيا الصالحة، والتكلم ليلة الإسراء بلا واسطة. وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سدّ الأفق. والجواب: منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب، أو حمل ما يغيرهما على أنه وقع بعد السؤال، أو لم يتعرض لصفتي الملك المذكورتين لندورهما، فقد ثبت عن عائشة أنه لم يره كذلك إلا مرتين، أو لم يأتها في تلك الحالة بوحي، أو أتاه به، فكان على مثل صلصلة الجرس، فإنه بين بها صفة الوحي، لا صفة حامله.

وأما فنون الوحي، فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن سماع الدوي بالنسبة إلى الحاضرين- كما في حديث عمر- يسمع عنده كدوي النحل، والصلصلة بالنسبة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبهه هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه.

وأما النفث في الروح: فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين، فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس، نفث حينئذ في روعه. وأما الإلهام فلم يقع السؤال عنه، لأن السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي بحامل، وكذا التكليم ليلة الإسراء.

وأما الرؤيا الصالحة: فقال ابن بطال: لا ترد، لأن السؤال وقع عما ينفرد به عن الناس، لأن الرؤيا قد يشركه فيها غيره. والرؤيا الصادقة وإن كانت جزءا من النبوة، فهي باعتبار صدقها لا غير، وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبيا وليس كذلك، ويحتمل أن يكون السؤال قد وقع عما في اليقظة، أو يكون حال المنام لا يخفي على السائل، فاقصر على ما يخفى عليه، أو كان ظهور ذلك له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام أيضا على الوجهين المذكورين لا غير. وقد ذكر الحلبي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعا- فذكرها- وغالبها من صفات حامل الوحي،

ومجموعها يدخل فيما ذكر. وحديث «إن روح القدس نفث في روعي» ، أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود.
قوله: [مثل صلصلة الجرس] ، في رواية مسلم: «في مثل صلصلة الجرس، والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة: في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، والجرس: الجللج الذي يعلق في رءوس الدواب، واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحسن.

(375/2)

[()] وقال الكرماني: الجرس: ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوسا على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسية فأصابت السطل فحصلت الصلصلة. فإن قيل: الحمود لا يشبه بالمدموم، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، والمشبه الوحي وهو محمود، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم لصحة النهي عنه، والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما أخرجه مسلم، وأبو داود، وغيرهما، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟.

والجواب: أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخص وصف له. بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالملقود هنا بيان الجنس، فذكر ما ألف السامعون سماعه، تقريبا لأفهامهم. والحاصل أن الصوت له جهتان: جهة قوة وطين، فمن حيث القوة وقع التشبيه به، ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه، وعلل بكونه مزمار الشيطان. قيل: والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي.

قال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: بل هو صوت خفيف أجنحة الملك. والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره.

ولما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا؟ متدارك؟ وقع التشبيه دون غيره من الآلات.
قوله: [وهو أشد عليّ] ، يفهم منه أن لوعي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشدها، وهو واضح، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أن كل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل وسماع، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع

الثاني، والأول أشدّ بلا شك.

قوله: [فيفصم] بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة، أي يقلع ويتجلى ما يغشائي، ويروي بضم أوله، وفي رواية بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمجهول، وأصل الفصم القطع، ومنه قوله تعالى:

لَا أَنْفِصَامَ لَهَا [البقرة: 256] ، وقيل: الفصم بالفاء القطع بلا إبانة، وبالقاف القطع بإبانة، فذكر بالفصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود، والجامع بينهما بقاء العلة.

قوله: [وقد وعيت عنه ما قال] ، أي القول الذي جاء به، وفيه إسناد الوحي إلى قول الملك، ولا معارضة بينه وبين قوله تعالى - حكاية عمن قال من الكفار-: إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ [المدثر: 25] لأنهم كانوا ينكرون الوحي، وينكرون مجيء الملك به.

قوله: [يتمثل لي الملك] ، التمثيل مشتق من المثل، أي يتصور، واللام في الملك للعهد وهو جبريل، وقد وقع التصريح به في رواية ابن سعد، وفيه دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر. قال المتكلمون:

الملائكة أجسام علوية لطيفة تتشكل أي شكل أرادوا، وزعم بعض الفلاسفة أنها جواهر روحانية. و [رجلا] ، منصوب بالمصدرية، أي يتمثل مثل رجل، أو بالتمييز، أو بالحال، والتقدير هيئة الرجل. قال إمام الحرمين: تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه، أو أزاله عنه، ثم يعيده إليه بعد. وحزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء، وقرر ذلك بأنه لا يلزم أن يكون انتقالها موجبا لموته، بل يجوز أن يبقى الجسد حيا، لأن موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلا، بل بعادة أجزاها الله تعالى في بعض خلقه. ونظيره انتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طيور خضر تسرح في الجنة. قال الحافظ

(376/2)

ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول»
ويدركه أثناء ذلك

[()] في (الفتح) : وقال شيخنا شيخ الإسلام: ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه، بل يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته، ومثال ذلك القطن، إذا جمع بعد أن كان منتفشا، فإنه بالتفشي يحصل له صورة كبيرة، وذاته لم تتغير، وهذا على سبيل التقريب، والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن

ذاته انقلبت رجلا، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه. والظاهر أيضا أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى، بل يخفى على الرائي فقط. والله أعلم.

قوله: [فيكلمني] ، كذا للأكثر، ووقع في رواية البيهقي من طريق القعني عن مالك «فيعلمني» بالعين بدل الكاف، والظاهر أنه تصحيف، فقد وقع في الموطأ رواية القعني بالكاف، وكذا للدارقطني في حديث مالك من طريق القعني وغيره.

قوله: [فأعي ما يقول] ، زاد أبو عوانه في صحيحه: «وهو أهونه عليّ» . وقد وقع التغير في الحالتين، حيث قال في الأول: «وقد وعيت» بلفظ الماضي، وهنا: «فأعي» بلفظ الاستقبال، لأن الوعي حصل في الأول قبل الفصم، وفي الثاني حصل المكاملة، أو أنه كان في الأول قد تلبس بالصفات الملكية فإذا عاد إلى حالته الجبلية كان حافظا لما قيل له، فعبر عنه بالماضي، فإنه على حالته المعهودة.

قوله: [قالت عائشة] ، وحيث يريد التعليق يأتي بحرف العطف. وقد أخرجه الدار الدارقطني في حديث مالك من طريق عتيق بن يعقوب، عن مالك مفصولا عن الحديث الأول، وكذا فصلهما مسلم من طريق أبي أسامة عن هشام، ونكتة هذا الاقتطاع هنا، اختلاف التحمل، لأنها في الأول أخبرت عن مسألة الحارث، وفي الثاني أخبرت عما شاهدت تأييدا للخبر الأول.

قوله: [ليتفصد] بالفاء وتشديد المهملة، مأخوذ من الفصد، وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبهه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق. وفي قولها: «اليوم الشديد البرد» دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي، لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية.

قوله: [عرقا] ، بالنصب على التمييز، زاد ابن أبي الزناد عن هشام بهذا الإسناد عند البيهقي في الدلائل: «وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه» . حكى العسكري في (التصحيف) عن بعض شيوخه أنه قرأ: «ليتقدد» بالقاف، ثم قال العسكري: إن ثبت فهو من قولهم: تقصد الشيء إذا تكسر وانقطع، ولا يخفى بعده.

وفي حديث الباب من الفوائد: أن السؤال عن الكيفية لطلب الطمأنينة لا يقدح في اليقين، وجواز السؤال عن أحوال الأنبياء من الوحي وغيره، وأن المسئول عنه إذا كان ذا أقسام يذكر الجيب في أول جوابه ما يقتضي التفصيل. والله أعلم (فتح الباري) : 1/ 23-28، كتاب بدء الوحي باب (3) حديث رقم (2) ، (ابن سعد في طبقاته) : 1/ 198، (تحفة الأحمدي) : 10/ 78-79، أبواب المناقب، باب (34) كيف كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (3877) ، (دلائل النبوة لأبي نعيم) : 223 باب وأما كيفية إلقاء الوحي إلي النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (171) .

من الشدة [(1)] والغط ما لا يعبر عنه، ففي الحديث: كان مما يعالج من التنزيل شدة [(1)] ، وقالت عائشة رضي الله عنها: «فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد [البرد] [(2)] فيفصم عنه وإن جبينه ليفصد عرقاً» وقال تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [(3)] ولأجل هذه الحالة في تنزيل الوحي كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون ويقولون: له رأي أو تابع من الجن، وإنما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [(4)]

ومن علاماتهم أيضا أنهم يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والزرقة ومجانبة المذمومات والرجس أجمع، وهذا هو معنى العصمة، وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها، وكأنها منافية لجبلته [(5)] ، واعتبر بسقوط إزار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [حين] انكشف كيف خَرَّ مغشيا عليه [(6)] ، وبقصده وليمة العرس كيف غشبه النوم ليله كله ولم يحضر شيئا من شأنهم [(7)] ، بل نَزَّهَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بجبلته [(1)] حتى أنه عليه السلام ليتنزه عن المطعومات المستكرهة، فلم يقرب البصل ولا الثوم، فلما قيل له في ذلك قال: إني أناجي من لا تناجي [(8)] ،

وانظر

لما أخبر.....

[(1)] قال بعضهم: وإنما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع، وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد، وهذا فيه نظر، والظاهر أنه لا يختص بالقرآن، وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفي والدرجات. (فتح الباري): 1/ 27.

[(2)] تكملة من (البخاري) .

[(3)] المزمّل: 5.

[(4)] الرعد: 33، الزمر: 23، الزمر: 36، غافر: 33.

[(5)] جبل الله الخلق يجبلهم ويجبلهم: خلقهم. وجبله على الشيء: طبعه. وجبل الإنسان على هذا الأمر أي طبع عليه، وجبله الشيء: طبيعته وأصله وما بني عليه. قال تعالى: وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا، خلقا كثيرا، وقوله تعالى: وَالْجِبَلُ الْأُولَى، الحلقة الأولى. آية 62/ يس، آية 184/ الشعراء، على الترتيب. (لسان العرب): 11/ 98-99.

[(6)] سبق ذكره وتخريجه، حيث أورده أبو نعيم في (دلائل النبوة) ، باب: «ومما عظم به صَلَّى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرس منه أن لا يتعري كفعل قومه وأهله، وإذا حفظ من التعري، فما فوجه أولى أن يعصم منه وينهى عنه» .

[(7)] سبق ذكره وتخريجه، حيث أورده أبو نعيم في (دلائل النبوة) ، باب: «ذكر ما خصه الله عزَّ وجلَّ به من العصمة، وحماه من التدين بدين الجاهلية، وحراسته إياه عن مكائد الجن والإنس، واحتياهم عليه صلَّى الله عليه وسلَّم» .

[(8)]

أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) ، باب: ما جاء في الثوم النَّيِّء والبصل، والكراث، حديث رقم (855) ، قوله: «كل فإني أناجي من لا تناجي» ، أي الملائكة: (فتح الباري) :

(378/2)

[رسول] [(1)] [(1)] الله صلَّى الله عليه وسلَّم خديجة رضي الله عنها بحال الوحي أول ما فجهته وأرادت اختباره فقالت له: اجعلني بينك وبين ثوبك، فلما فعل ذلك ذهب عنه!! فقالت: إنه ملك وليس بشيطان [(2)] ، ومعناه أنه لا يقرب النساء، وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه أن يأتيه فيها، فقال: البياض والخضرة، فقالت إنه الملك، بمعنى أن الخضرة والبياض من ألوان الخير والملائكة، والسواد من ألوان الشرِّ والشياطين وأمثال ذلك.

ومن علاماتهم أيضا دعواهم الخلق إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف، وقد استدلَّت خديجة رضي الله [عنها] [(1)] [(1)] على صدقه صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه، فلم يحتاجا- رضي الله عنهما- في أمره عليه السلام إلى دليل خارج عن حاله وخلقته، وكذا هرقل لما جاءه كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يدعو إلى الإسلام سأل عن حاله، وكان فيما قال: فبم يأمركم؟ فقال أبو سفيان: بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، فأجابه عن ذلك، فقال: إن يكن ما يقول حقا إنه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين [(3)] ، والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو العصمة، فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليلا على صحة النبوة، ولم يحتاج إلى معجزة، فدل على أن ذلك من علامات النبوة. ومن علاماتهم أيضا أن يكونوا ذوى حسب في قومهم، كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما بعث الله نبيا في منعه [(4)] من قومه» ، وفي رواية للحاكم:

في ثروة من قومه.

[()] 2 / 435، وابن حبان في صحيحه، كتاب (الصلاة) ، باب: المساجد، فصل ذكر الزجر عن إتيان المساجد لأكل الثوم والبصل والكراث إلى أن تذهب رائحتها، حديث رقم (1644) ، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أكل من هذه البقلة: الثوم والبصل والكراث، فلا يغشنا في مساجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس» ، والطحاوي في (شرح معاني الآثار) : 4 / 250.

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في فصل «ذكر مجيء الملك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالات ربه تعالى» .

[(3)] سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى عند شرح مكاتيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك.

[(4)] منع: منعه يمنعه- بفتح نونهما- ضد أعطاه، كمنعه فهو مانع ومناع ومنوع: جمع الأول منعه محرّكة، وهو في عزّ ومنعة- محرّكة ويسكن- أي معه من يمنعه من عشيرته. (ترتيب القاموس)

:

287 / 4

(379/2)

وكذا قال هرقل في مساءلته أبا سفيان: كيف هو فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب، قال هرقل: والرسل تبعث في أحساب قومها، ومعناه أن تكون له عصبية وشوكة تمنعه من أذى الكفار حتى يبلغ رسالات ربه، ويتم مراد الله من إكمال دينه وملته. ومن علاماته أيضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم، وهي أفعال تعجز البشر عن مثلها، فسميت لذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد، وإنما تقع في غير محل قدرتهم، وللناس في كيفية وقوعها ودلالاتها على تصديق الأنبياء خلاف ليس هذا موضع إيرادها.

وأما حقيقة النبوة: فاعلم أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غاياته، وأبدأ من ذلك بالعالم الخسوس الجسماني، وأولا: عالم العناصر المشاهد كيف تدرج صاعدا من الأرض إلى الماء، ثم إلى الهواء، ثم إلى النار متصلا

بعضها ببعض، وكل واحد منها مستعد أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً أو هابطاً، ويستحيل بعض الأوقات، والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهي ألطف من الكل، وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط، وما يهتدي بها بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها، وما بعد ذلك من وجود الذات التي لها هذه الآثار فيها. ثم انظر إلى عالم التكوين، كيف ابتداءً من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج [إلى] [(1)] آخر أفق المعادن، متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم، متصل بأول أفق الحيوان كالحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق من الذي بعده، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر، والرؤية ترتفع إليه

[(1)] زيادة للسياق.

(380/2)

من عالم [القدرة] [(1)] الذي استجمع فيه الكيس والإدراك، ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل، وكان ذلك في أول أفق من الإنسان بعده، وهذا غاية شهودنا. ثم أنا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة، ففي عالم الحس آثار من حركة الأفلاك والعناصر، وفي عالم التكوين آثار من حركات النمو والإدراك تشهد كلها بأن لها مؤثراً مبيناً للأجسام، فهو روحاني متصل بالمكونات، لوجود اتصال هذه العوالم في وجودها، وذلك هو النفس المدركة والمحركة، ولا بد فوقها من موجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة، ويتصل بها أيضاً وتكون [ذواته] [(2)] إدراكاً صرفاً، وتعقلاً محضاً، وهو عالم الملائكة، فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملائكية، لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتنا من الأوقات، وفي لحة من اللمحات، وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل - كما نذكره بعد [ذلك] [(3)] [إن شاء الله - ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها، شأن الموجودات المترتبة كما قدمناه، فلها في الاتصال جهة العلو والسفل، فهي متصلة بالبدن من أسفل منها، ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل، ومتصلة من جهة الأعلى منها بأفق الملائكية، ومكتسبة منه المدارك العلية والغيبية، فإن علم الحوادث موجود في ذواتهم من غير زمان، وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذواته

وقواه بعضها ببعض.

ثم إن هذه النفس الإنسانية غائبة من العيان، وآثارها ظاهرة في البدن، وكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها، أما الفاعلة: فالبطش باليد، والمشي بالرجل، والكلام باللسان، والحركة الكلية بالبدن متدافعا، وأما المدركة وإن كانت قوى الإدراك مترتبة ومرتبعة إلى القوة العليا منها وهي المعركة التي يعبرون عنها بالناطقة، فقوى الحس الظاهر بآلاته من البصر والسمع وسائرهما ترتقي إلى الباطن، وأوله الحس المشترك، وهو قوة تدرك المحسوسات، مبصرة، ومسمعة، وملموسة، وغيرها في حالة واحدة، وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر، لأن

[(1)] في (خ) : «القردة» .

[(2)] في (خ) : «ذواية» .

[(3)] زيادة للسياق.

(381/2)

المحسوسات لا يزدحم عليها في الوقت الواحد، ثم يؤديه الحس المشترك إلى الخيال، وهو قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط، وآلة هاتين القوتين في تصرفهما: البطن الأول من الدماغ مقدمه للأولى ومؤخره للثانية، ثم يرتقي الخيال إلى الوهمية والحافظة، فالوهمية لإدراك المعاني المتعلقة بالشخصيات، كعداوة زيد، وصدقة عمرو، ورحمة الأب، وافتراس الذئب، والحافظة لإيداع المدركات كلها متخلية، وهي لها كالحزانة تحفظها إلى وقت الحاجة إليها، وآلة هاتين القوتين في تصرفهما: البطن المؤخر من الدماغ أوله للأولى ومؤخره للأخرى ثم ترتقي جميعها إلى قوة الفكر وآلته البطن الأوسط من الدماغ، وهو القوة التي تقع بها حركة الرؤية والتوجه نحو التعقل، فتحرك النفس بها دائما بما ركب فيها من النزوع إلى ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية، وتخرج إلى الفعل في خلقها متشبهة بالملأ الأعلى الروحاني، وتعتبر في أول مراتب الروحانيات في إدارتها بغير الآلات الجسمانية، فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك، وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانيتها إلى الملائكية من الأفق الأعلى من غير اكتساب بما جعل الله تعالى فيها من الجبلة والفترة الأولى في ذلك. واعلم أن النفوس البشرية في ذلك على ثلاثة أصناف: صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني، فيقنع بالحركة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية، وتركيب المعاني من الحافظة والوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص، يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي

للفكر في البدن، وكلّها خيالي منحصر نطاقه، إذ هو من جهة مبدئية ينتهي إلى الأوليات ولا يتجاوزها، وإن فسدت فسد ما بعدها، وهذا هو [أغلب] [(1)] نطاق الإدراك البشري الجسماني، وإليه ينتهي مدارك العلماء،؟ وفيه؟ ترسخ أقدامهم.

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحانيّ والإدراك الذي لا يفتقر إلى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول البشري، ويسرح في فضاء المشاهدات

[(1)] في (خ) : «الأغلب» .

(382/2)

الباطنة، وهي وجدان كلها، لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها، وهذه مدارك الأولياء، أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية، وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة.

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة: جسمانيها وروحانيها إلى الملائكية من الأفق الأعلى ليصير في لحة من اللمحات ملكا بالفعل، ويحصل له شهود الملائك الأعلى في أفقهم، وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللمحة، وهو لأهم الأنبياء صلوات الله عليهم، جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللمحة وهي حالة الوحي، فطرة فطرهم الله عليها، وجبلة صورهم فيها، ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملابسها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة التي يحادون بها تلك الوجهة، وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف بتلك الوجهة، وتشيع نحوها، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا بتلك الفطرة التي فطروها عليها، لا باكتساب ولا صناعة، فإذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم، وتلقوا في ذلك الملائك الأعلى ما يتلقونه على جوابه على المدارك البشرية، متنزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد، فتارة بسماع دويّ كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي ألقى إليه، فلا ينقضي الدويّ إلا وقد وعاه وفهمه.

وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي إليه رجلا يكلمه ويلقى ما يقوله، والتلقي من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما ألقى عليه كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر، لأنه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا، فتظهر كأنها سريعة، ولذلك سميت وحيا، لأن الوحي في اللغة الإسراع.

واعلم أن الأولى وهي حالة الدوي رتبة الأنبياء غير المرسلين على ما حققوه، والثانية وهي حالة

يتمثل الملك رجلاً يخاطب [و] [(1)] هي رتبة الأنبياء المرسلين، ولذلك كانت أكمل من الأولى، وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحي لما سأله الحارث بن هشام وقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أحياناً

[(1)] زيادة للسياق.

(383/2)

يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قاله، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقوله [(1)] ،
وإنما كانت الأولى أشد لأنها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة إلى الفعل، فيعسر بعض العسر، ولذلك لما عاج [(2)] فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه، وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال، فعند ما يعرج على المدارك البشرية يأتي على جميعها، وخصوصاً الأوضح منها، وهو إدراك البصر، وفي العبارة عن الوعي في الأولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة، وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي، فتمثلت الحالة الأولى بالدويّ الذي هو المتعارف [(3)] غير كلام وإخبار، أن الفهم والوعي يتبعه عقب [(4)] انقضائه، فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع، ويمثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم، والكلام يساوقه الوعي فناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد.
واعلم أن في حالتي الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة، قد أشار إليها القرآن الكريم، قال تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [(5)] وقالت عائشة رضي الله عنها: كان مما يعاني من التنزيل شدة، وقالت: كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً، ولذلك ما كان يحدث فيه تلك الحالة من الغيبة والغطط ما هو معروف.
وشبيه ذلك أن الوحي كما قررناه مفارقة البشرية إلى المدارك الملائكية، وتلقي كلام النفس، فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها، وانسلاخها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر، وهذا معنى الغط الذي عبر به في مبدأ الوحي في قوله: فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ [(6)] .

[(1)] سبق شرحه.

[(2)] طريق عاج: ممتلى (ترتيب القاموس) ج 3 ص 158.

[(3)] في (خ) «المتعاف» .

[(4)] في (خ) «عب» .

[(5)] آية: 5/ المزمّل.

[(6)] آية: 1/ العلق.

(384/2)

وقد يقضي الاعتبار فيه بالتدرّج شيئاً فشيئاً إلى بعض السهولة بالقياس إلى ما قبله، وكذلك كانت تنزل نجوم القرآن [(1)] ، وسوره وآياته حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة، وانظر إلى ما قيل في نزول سورة براءة [(2)] في غزوة تبوك، وأنها أنزلت أو أكثرها على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من القصار المفصل [(3)] في وقت، وينزل عليه الباقي في حين آخر، وكذلك كان من آخر ما نزل عليه بالمدينة آية الدين [(4)] ، وهي ما هي بالطول، بعد أن كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن، والذاريات، والمدثر، والضحي، والعلق، وأمثالها، واعتبر من ذلك علامة تمييزها بين المكّي والمدني من السور والآيات، والله المرشد إلى الصواب. هذا ما تحصل من أمر النبوة.

[(1)] واعلم أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، في مكان يقال له: بيت العزة، على هذا الترتيب الذي نقرؤه، فإنه توقيفي، ثم نزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاث وعشرين سنة، على حسب الوقائع لقوله تعالى: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا [آية 33/ الفرقان] ، لكن لا على هذا الترتيب، فإنه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة، أي قبل الهجرة، ثم بالمدينة أحد وثلاثين على التحقيق.

فأول ما نزل بمكة اقرأ، وآخر ما نزل بها، قيل: العنكبوت، وقيل: المؤمنون، وقيل: وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ. وأول سورة نزلت بالمدينة: البقرة، وآخر سورة نزلت بها: المائدة. وهناك بعض سور اختلف بها، منها الفاتحة، ويمكن تكرار نزولها.

وأما أول آية نزلت على الإطلاق: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، وآخر آية على الإطلاق وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الآية 281 البقرة] .

(حاشية العلامة الصاوي على الجلالين) : 4/ 1.

[(2)] براءة: من أسماء سورة التوبة، وهي السورة رقم [9] في المصحف، وعدد آياتها

[129] آية:

نزلت بعد سورة المائدة، وهي من القرآن المدني، إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان.

[(3)] سور المفصل: من أول سورة الحجرات حتى آخر القرآن الكريم.

[(4)] هي الآية رقم 282/ البقرة وهي أطول آية في القرآن الكريم، أولها: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِرِئْسِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوا.

(385/2)

أنواع الوحي وأقسامه

وتبيان لأنواع الوحي وأقسامه: اعلم أن الوحي للأنبياء والمرسلين يكون تارة في النوم وتارة في اليقظة، فالذي يكون في اليقظة إما بواسطة الملك أو بغير واسطة، ومن الرسل من فضله الله تعالى بأن كلمه الله في اليقظة من وراء حجاب دون وحي ولا بتوسط ملك، لكن بكلام مسموع بالأذان، معلوم بالقلب، زائد على الوحي الذي هو معلوم بالقلب فقط، أو مسموع من الملك عن الله تعالى، وهذا هو الذي خصّ به موسى عليه السلام [(1)] من الشجرة، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء [(2)] من المستوى الذي سمع فيه صريف [(3)] الأقلام، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الوحي حالات متعددة، فكان الوحي الذي يلقاه [(4)] رسول الله صلى الله عليه وسلم منحصرة أقسامه في ثلاثة عشرة وهي: نزول الملك في صورة دحية [(5)] ، ونزوله على الصورة التي خلق عليها وله ستمائة جناح، ونفث [(6)] روح القدس في روعه، ورؤيته في المنام، وسماعه مثل صلصلة الجرس، ونزول إسرافيل عليه، وتكليمه الله تعالى بلا واسطة من وراء حجاب في اليقظة، وتكليمه تعالى كذلك في المنام، والعلم الذي يلقيه سبحانه في صدره وعلى لسانه عند الاجتهاد في الوقائع لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء من سبيل، فخواطر الأنبياء كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية، لا حظ للشيطان في قلوبهم، لأنهم مشرعون، فلذلك عصمت بواطنهم، والوحي المشبه بدويّ النحل، ومجيء جبريل في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، ومجيء ملك الجبال، والخطاب مشافهة على قول من يثبت الرؤية، وسنقف على شرح ذلك وتبينه من الأحاديث المسندة بطرقها إن شاء الله تعالى.

[(1)] لعلها شجرة الأنبياء عليهم السلام.

[(2)] سيأتي الحديث عنها عند الكلام على الإسراء والمعراج إن شاء الله تعالى، وفي (خ) :

«الإسرى» .

[(3)] صريف الأقلام: أي صوت جريانها بما تكتبه من أفضية الله ووحيه، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ، وفي حديث موسى، على نبينا وعلى نبينا وعليه السلام: أنه كان يسمع صريف القلم حين كتب الله تعالى له التوراة. (لسان العرب) : 9 / 193.

[(4)] في (خ) : «يقاه» .

[(5)] هو دحية الكلبي.

[(6)] في (خ) : «نفس» .

(386/2)

[فصل في أمارات نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي رآها قبل البعثة]

وأما أمارات النبوة التي رآها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته بالرسالة: قال الواقدي: عن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية بنت شيبة عن برة بنت أبي بخران أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حين أراد الله عز وجل كرامته وابتدأه بالنبوة إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتنا، ويفضي إلى الشعاب و [بطون] الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر [ة] إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، [فكان] يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا [(1)] .

[(1)]

(سنن الدارمي) : 1 / 12، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني

لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن» ،

قوله: «كان يسلم عليّ» ،

أي يقول:

السلام عليك يا رسول الله

(تحفة الأحوذى) : 10 / 69 أبواب المناقب، حديث رقم (3867) ، «إن بمكة حجرا كان

يسلم عليّ ليالي بعثت، إني لأعرفه الآن»

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وفي (طبقات ابن سعد) : 1 / 157، وما بين

القوسين زيادات منه.

قوله: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» ،

فيه معجزة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرَجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [الآية: 74/ البقرة] ، (مسلم بشرح النووي) : 15/41، كتاب الفضائل، باب:

فضل نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم (2277) ، (تاريخ الإسلام) :

2/ 125، باب ذكر مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (مسند أحمد) : 6/ 92، من حديث جابر بن سمرة، حديث رقم (20317) ، (دلائل البيهقي) : 2/ 146، باب مبتدئ البعث والتنزيل، وما ظهر عند ذلك من تسليم الحجر والشجر وتصديق ورقة ابن نوفل إياه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية عن بعض أهل العلم: «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أراد الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسّر عن البيوت، ويفضي إلى شعاب مكة ويطون أوديتها، فلا يمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال فيلتفت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوله، وعن يمينه، وشماله، وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة، فمكث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك

(387/2)

وفي رواية لغير الواقدي: فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد عليهم: وعليك السلام، وكان علمه جبريل التحية [(1)] .

وخرج أبو نعيم من حديث الحرث بن أبي أسامة، حدثنا، داود ابن [المخبر] [(2)] ، حدثنا حماد بن أبي عمران الجوني عن يزيد بن [(3)] بابنوس عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة بحراء، فوافق ذلك من شهر رمضان، فخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمع: السلام عليك، فظنها فجأة الجن، فجاء مسرعا حتى دخل على خديجة فسجته [(4)] ثوبا وقالت: ما شأنك يا ابن عبد الله؟ فقلت: قيل: السلام عليك فظننتها فجأة الجن، فقالت: أبشر

[()] يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء في شهر رمضان» (ابن هشام) : 2/ 66-67.

وقال السهيلي: وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا، كما خلق الحنين في الجذع، ولكن ليس من شروط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت عرض في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النظام، فإنه زعم أنه جسم، وجعله الأشعري أصكاكاً في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيب: ليس الصوت نفس الأصكاك، ولكنه معنى زائد عليه، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله تعالى أعلم أي ذلك كان، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمناً؟ أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة؟، وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة. وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً، وحقيقة الحنين تقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، ويغمرونها، فيكون مجازاً من قوله تعالى: وَسَلِّ الْقُرْيَةَ [الآية 82/ يوسف] أي أهل القرية، والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها علم على نبوته صلى الله عليه وسلم، غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فيعجزون عن معارضته. (الروض الأنف): 266/2 - 267.

[(1)] كل الروايات المعتمدة بدون هذه الزيادة.

[(2)] تصويب من (تهذيب التهذيب): 3/199، ترجمة رقم 381، وقال فيه: كذبه أحمد بن حنبل، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، ويروي عن المجاهيل المقلوبات.

[(3)] قال عنه البخاري: كان ممن قاتل علياً كرم الله وجهه، وقال ابن عدي: أحاديثه مشاهير، وقال الدارقطني: لا بأس به، وذكره ابن حبان في (الثقات)، قال الحافظ ابن حجر: وقال أبو حاتم مجهول، وقال أبو داود: كان شيعياً. (المرجع السابق) 11/2316، ترجمة رقم 607.

[(4)] كذا في (خ)، وفي (دلائل أبي نعيم): 1/215، 216، «فظنتها»، «فجنت»، «فسجنتي»، حديث رقم (163).

(388/2)

يا ابن عبد الله فالسلام خير،

وذكر الحديث.

وخرج من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من ينادي: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هارباً فأتى

خديجة رضي الله عنها فذكر ذلك لها فقال: يا خديجة، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء! إنني إذا برزت أسمع شيئا يناديني فلا أرى شيئا فأنتطلق هاربا، فقالت: ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك ما علمت تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وما كان الله ليفعل ذلك بك، فأسرت ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه وكان صديقا له في الجاهلية، فأخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال له ورقة: ترى شيئا؟ قال: لا، ولكنني إذا برزت سمعت النداء ولا أرى شيئا! فأنتطلق هاربا فإذا هو عندي يناديني، قال: فلا تفعل ذلك، إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، فلما برز سمع: يا محمد، قال:

ليبيك، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم قال: قل: الحمد لله رب العالمين من فاتحة الكتاب - ثم أتى ورقة فذكر ذلك له فقال له: أبشر ثم أبشر ثم أبشر، أشهد أنك الرسول الذي بشر به عيسى [إذ قال: وَمُبَشِّرًا] [(1)] [بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْكَ أَحْمَدُ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْكَ مُحَمَّدُ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْكَ رَسُولَ اللَّهِ] وَأَنْكَ سَتُؤْمَرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا، وَلَنْ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ لِأَجَاهِدَنَّ مَعَكَ، فَلَمَّا تَوَفَّى وَرَقَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَسَ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْحَرِيرِ لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي] [(2)] . قال أبو نعيم [(3)] : ورواه شريك عن إسحاق عن عمرو بن شرحبيل.

وروى الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصن عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجباد إذ رأى ملكا واضع إحدى رجله على الأخرى في أفق السماء يصيح: يا محمد، أنا جبريل، فدعر ورجع

[(1)] زيادة يقتضيهما السياق.

[(2)] ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (الروض الأنف) : 1 / 274-275.

[(3)] هذا لفظ البيهقي وهو مرسل، وفيه غرابة، وهي كون الفاتحة أول ما نزل.

(389/2)

سريعا إلى خديجة رضي الله عنها فقال: إنني لأخشى أن أكون كاهنا! قالت: كلا يا ابن العم، لا تقل ذلك، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وإن خلقك لكريم [(1)] . وخرج الإمام أحمد من حديث حماد قال [(2)] : حدثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمسة عشر سنة، سبعا يرى الضوء [والنور] [(3)]

ويسمع الصوت، وثماني سنين يوحى إليه.

وخرج مسلم من حديث إبراهيم بن طهمان قال: حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن [(4)] .

ورواه سليمان بن معاذ عن سماك عن جابر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن بمكة لحجرا كان يسلم عليّ ليالي بعثت، إني لأعرفه إذا مررت عليه.
وخرج البيهقي من حديث السّدي عن عبّاد بن عبد الله عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا حجر ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله [(5)] .
وفي رواية: لقد رأيتني أدخل معه بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوادي، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمع. [(6)] .

[(1)] لم أجده بهذه السياقة، وفي الباب من الأحاديث نحو ما منه، وفيه:

«إذا الملك الذي جاءني بجراة جالس على كرسي بين السماء والأرض» ،

وفيه حديث آخر: «فرفعت رأسي إلى السماء انظر إلى السماء، فإذا جبريل عليه السلام في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء» ، (دلائل أبي نعيم) :

1 / 215، [فصل في ذكر بدء الوحي وكيفية ترائي الملك وإلقائه الوحي إليه وتقديره عنده أنه يأتيه من عند الله، وما كان من شق صدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ، (دلائل البيهقي) : 2 / 148 (على الترتيب) .

وانظر أيضا الحديث رقم (4) من باب (3) ، كتاب بدء الوحي، (صحيح البخاري) .

[(2)] (مسند أحمد) : 1 / 460، حديث رقم (2519) ، وفيه: «سبع سنين» وقال في

آخره: «وأقام بالمدينة عشر سنين» .

[(3)] ما بين الحاصرتين ليس في المسند

[(4)] سبق شرحه وتخرجه.

[(5)] (دلائل البيهقي) : 2 / 153، 154.

[(6)] ما بين الحاصرتين في (خ) كلمة «لطيفة» ولا فائدة من إثباتها.

[المجلد الثالث]

[بقية فصل في أمارات نبوته]

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر محيء الملك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالات ربه تعالى
خرج البخاري ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير أن
عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته كذا، أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي [(1)] الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت
مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - قال: والتحنث: هو
التعبد - الليالي ذوات العدد، وقال مسلم: أولات العدد - قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك
ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئته الحق في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
فقال:

اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فقال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال:
اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ بِاسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ

[(1)] (من الوحي): يحتمل أن تكون «من» تعبضية، أي من أقسام الوحي، ويحتمل أن
تكون بيانية، ورجحه محمد بن جعفر القيرواني أبو عبد الله التميمي القزاز، صاحب [الجامع في
اللغة].

والرؤيا الصالحة، وقع في رواية معمر ويونس عند المصنف في التفسير: «الصادقة»، وهي التي
فيها ضغث، وبدئ بذلك ليكون تمهيدا، وتوطئة لليقظة، ثم مهّد له في اليقظة أيضا رؤية الضوء،
وسماع الصوت، وسلام الحجر.

قوله: «في النوم»، لزيادة الإيضاح، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة لجواز إطلاقها مجازا.
قوله: «مثل فلق الصبح»، ينصب «مثل» على الحال، أي مشبهة ضياء الصبح، أو على أنه
صفة لمحدوف، أي جاءت مجينا مثل فلق الصبح، والمراد بفلق الصبح: ضياؤه. وخص بالتشبيه
لظهوره الواضح، الذي لا شك فيه.

قوله: «حَبِّب»، لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك، وإن كان كل من عند الله، أو لئيبه
على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام، و «الخلاء» بالمد، الخلوة،
والسرّ فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه إليه، وحراء: جبل معروف بمكة، والغار نقب في

الجيل، وجمعه غيران.

قوله: «فيتحنث» ، هي بمعنى يتحنف، أي يتبع دين الحنفية، وهي دين إبراهيم،

(3/3)

[()] و «الفاء» تبدل «تاء» في كثير من كلامهم، وقد وقع في رواية ابن هشام في (السيرة) : «يتحنف» بالفاء. أو التَّحْنُثُ إلقاء الحنث وهو الإثم، كما قيل: يتأثم، ويتحرج، ونحوهما. قوله: «هو التبعيد» ، هذا مدرج في الخبر، وهو من تفسير الزهري، كما جزم به الطيبي ولم يذكر دليله، نعم في رواية المؤلف من طريق يونس عنه في التفسير ما يدل على الإدراك. قوله: «الليالي ذوات العدد» ، يتعلق بقوله: يتحنث، وإبهام العدد لاختلافه، كذا قيل، وهو بالنسبة إلى المدد التي يتخللها مجيئه إلى أهله، وإلا فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر، وذلك الشهر كان في رمضان، رواه ابن إسحاق. والليالي منصوبة على الظرف، وذوات منصوبة أيضا، وعلامة النصب فيه كسر التاء.

قوله: «مثلها» أي الليالي، والتزود استصحاب الزاد.

قوله: «حتى جاءه الحق» ، وفي التفسير: حتى فجئه الحق - بكسر الجيم وهي الرواية التي أثبتها المقرئ - أي بغته، وإن ثبت من مرسل عبيد بن عمير أنه أوحى إليه بذلك في المنام أولا قبل اليقظة، أمكن أن يكون مجيء الملك في اليقظة عقب ما تقدم في المنام، وسمي حقا لأنه وحي من الله تعالى، وقد وقع في رواية أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول شأنه يرى في المنام، وكان أول ما رأى جبريل بأجساد، صرخ جبريل: «يا محمد» ، فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا، فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال: «يا محمد، جبريل جبريل» ، فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئا، ثم خرج عنهم، فناداه فهرب، ثم استعلن له جبريل من قبل حراء، فذكر قصة إقرائه اقرأ باسم ربك، ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر، وهذا من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود، وابن لهيعة ضعيف.

وقد ثبت في صحيح مسلم من وجه آخر عن عائشة مرفوعا: «لم أره - يعني جبريل - على صورته التي خلق عليها إلا مرتين» ،

ويبين أحمد في حديث ابن مسعود، أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خلق عليها، والثانية عند المعراج.

وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة: «لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدره

المنتهى، ومرة في أجياد» ، وهذا يقوى رواية ابن لهيعة، وتكون هذه المرة غير المرتين المذكورتين، وإنما لم يضمها إليها لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته، والعلم عند الله تعالى. ووقع في السيرة التي جمعها سليمان التيمي، فرواها محمد بن عبد الأعلى عن ولده معتمر بن سليمان عن أبيه أن جبريل أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حراء وأقرأه: أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ ثُمَّ انصرف، فبقي متردداً، فأتاه من أمامه في صورته، فرأى أمراً عظيماً. قوله: «فجاءه» ، هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية، لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى تعقب به، بل هو نفسه، ولا يلزم من هذا التقرير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه، بل التفسير عين المفسر به من جهة الإجمال، وغيره من جهة التفصيل. قوله: «ما أنا بقارئ» ثلاثاً، «ما» نافية، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء، وإن حكي عن الأخفش جوازه فهو شاذ، والباء زائدة لتأكيد النفي، أي ما أحسن القراءة، فلما قال ذلك ثلاثاً قيل له: أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ أَي لا تقرأه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك

(4/3)

الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [(1)] ، فرجع بها [(2)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع- وقال مسلم: حتى ذهب عنه ما يجد من الروع- ثم قال لخديجة: أي خديجة! ما لي قد خشيت على نفسي؟ وأخبرها الخبر فقالت له خديجة: ...

[()] وإعانتها، فهو يعلمك، كما خلقتك، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية. ذكره السهيلي. وقال غيره: إن هذا التركيب- وهو قوله: ما أنا بقارئ- يفيد الاختصاص. وردّه الطيبي بأنه إنما يفيد التقوية والتأكيد، والتقدير: لست بقارئ البتة. فإن قيل: لم كرر ذلك ثلاثاً؟ أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً:

«ما أنا بقارئ»

على الامتناع، وثانياً: على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً: على الاستفهام. ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال: كيف أقرأ؟ وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق: ماذا أقرأ؟ وفي مرسل الزهري في (دلائل البيهقي): كيف أقرأ؟ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية. والله

أعلم.

قوله: «فغطني» ،

بغين معجمة وطاء مهملة. وفي رواية الطبري: «فغطني» بناء مثناة من فوق، كأنه أراد ضمني وعصري، والغط: حبس النفس، ومنه: غطه في الماء، أو أراد غمني، ومنه الخنق، ولأبي داود الطيالسي في مسندة بسند حسن: فأخذ بجلقي.

قوله: «حتى بلغ مني الجهد» ،

روى بالفتح والنصب، أي بلغ مني غاية وسعي. وروى بالضم والرفع، أي بلغ مني الجهد مبلغه، وقوله: «أرسلني»

أي أطلقني، ولم يذكر الجهد هنا في المرة الثالثة، وهو ثابت عند البخاري في (التفسير) .

[(1)] الآيات من أول سورة العلق.

[(2)] قوله: «فرجع بها» ، أي بالآيات أو بالقصة.

قوله: «فزملوه» ، أي لفوه، والرّوع بالفتح: الفزع.

قوله: «لقد خشيت على نفسي» ، دلّ هذه مع قوله: «يرجف فؤاده» على انفعال حصل له من مجيء الملك، ومن ثم قال: «زملوني» . والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً:

[1] الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة، جاء مصرحاً به في عدة طرق، وأبطله أبو بكر ابن العربي، وحق له أن يبطل، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصوله العلم الضّروريّ له، أن الذي جاءه ملك، وأنه من عند الله تعالى.

[2] الهاجس، وهو باطل أيضاً، لأنه لا يستقر، وحصلت بينهما المراجعة.

[3] الموت من شدة الرعب.

[4] المرض، وقد جزم به ابن أبي جمرة.

[5] دوام المرض.

[6] العجز عن حمل أعباء النبوة.

[7] العجز عن النظر إلى الملك من الرعب.

(5/3)

كلا [(1)] ، فأبشر، فو الله لا يخزيك الله ...

[8] عدم الصبر على أذى قومه.

[9] أن يقتلوه.

[10] مفارقة الوطن.

[11] تكذيبهم إياه.

[12] تعبيرهم إياه.

وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأسلمها من الارتياب، الثالث واللذان بعده، وما عداها فهو معترض. والله الموفق: (فتح الباري): 1/ 28-32، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (3).

[(1)] «كلا» ، معناها في العربية على ثلاثة أوجه: حرف ردع وزجر، وبمعنى حقا، وبمعنى إي: فالأول كما في قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا، إشارة إلى قول القائل: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ [الآية 100/ المؤمنون] ، أي انته عن هذه المقالة، فلا سبيل إلى الرجوع.

والثاني: نحو كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ [الآية 6/ العلق] ، أي حقا، لم يتقدم على ذلك ما يزجر عنه، كذا قال قوم، وقد اعترض على ذلك بأن حقا تفتح «أن» بعدها، وكذلك أما تأتي بمعناها، فكذا ينبغي في «كلا» ، والأولى أن تفسر «كلا» في الآية بمعنى ألا التي يستفتح بها الكلام، وتلك تكسر ما بعدها «إن» ، نحو: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، [الآية 63/ يونس] ، والثالث: قبل القسم، نحو كَلَّا وَالْقَمَرِ [الآية 32/ المدثر] ، معناها إي والقمر، كذا قال النضر بن شميل، وتبعه جماعة منهم ابن مالك، ولها معنى رابع، تكون بمعنى ألا. (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب): 15.

وقال العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: وهي «أي كلا» عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر نحاة البصرة، حرف معناه الردع والزجر، لا معنى له سواه، حتى إنهم يجيزون الوقف عليها أبدا والابتداء بما بعدها، حتى قال بعضهم: إذا سمعت «كلا» في سورة، فاحكم بأنها مكية، لأن فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة، لأن أكثر العتو كان بها. وفيه نظر، لأن لزوم المكية إنما يكون عن اختصاص العتو بها لا عن غلبته.

ثم إنه لا يظهر معنى الزجر في «كلا» المسبوقة بنحو في أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الآية 8/ الانفطار] ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [الآية 6/ المطففين] ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [الآية 30/ القيامة] .

وقول من قال: فيه ردع عن ترك الإيمان بالتصوير، في أيِّ صورة شاء الله، وبالبعث، وعن العجلة بالقرآن، فيه تعسف ظاهر. ثم إن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق، ثم نزل: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ [الآية 6/ العلق] ، فجاءت في افتتاح الكلام، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعا، كلها في النصف الأخير.

ورأى الكسائي وجماعة أن معنى الردع ليس مستمرا فيها، فزادوا معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها، ويبتدأ بها، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال: فقيل: بمعنى حقا، وقيل بمعنى ألا الاستفتاحية، وقيل: حرف جواب بمنزلة إي ونعم، وحملوا عليه: كَلَّا

(6/3)

أبدا [(1)] ، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة- أخى أبيها- وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم-

[()] وَالْقَمَرِ [الآية 32/ المدثر] ، فقالوا: معناه إي والقمر، وهذا المعنى لا يتأتى في آيتي المؤمنين والشعراء: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا [الآية 100/ المؤمنون] ، كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي [الآية 62/ الشعراء] .

وقول من قال: بمعنى حقا، لا يتأتى في نحو: إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ، كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِنَدٍ لَمَحْجُوبُونَ [الآيتان 7، 15 المطففين] ، لأنَّ «إِنَّ» تكسر بعد ألا الاستفتاحية، ولا تكسر بعد حقا، ولا بعد ما كان بمعناها، ولأن تفسيرا حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم. وإذا صلح الموضع للردع ولغيره، جاز الوقف عليها، والابتداء بها، على اختلاف التقديرين. والأرجح حملها على الردع، لأنه الغالب عليها، وذلك نحو: أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ [الآيتان 78، 79 مريم] ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادِهِمْ [الآيتان 81، 82/ مريم] .

وقد يتعين للردع أو الاستفهام نحو: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا [الآية 100/ المؤمنون] ، لأنها لو كانت بمعنى حقا لما كسرت همزة إنَّ، ولو كانت بمعنى نعم لكانت للوعد بالرجوع، لأنها بعد الطلب، كما يقال: أكرم فلانا، فتقول: نعم. ونحو: قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الآيتان 61، 62/ الشعراء] ، وذلك لكسر إنَّ، ولأن نعم بعد الخبر للتصديق.

وقد يمتنع كونها للزجر والردع، نحو: وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرِ [الآيتان 31، 32/ المدثر] ، إذ ليس قبلها ما يصح رده.

وقرى: كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ [الآية 82/ مريم] بالتنوين، إما على أنه مصدر كلّ إذا أعيا، أي كلّوا في دعواهم وانقطعوا، أو من الكلّ وهو الثقل، أي حملوا كلا. وجوّز الزمخشريّ كونه حرف الردع نون كما في سلاسل [الآية 4/ الإنسان]، وردّ عليه بأن سلاسل اسم أصله التنوين فردّ إلى أصله، ويصحح تأويل الزمخشريّ قراءة من قرأ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ [الآية 4/ الفجر] إذا الفعل ليس أصله التنوين.

وقال ثعلب: كَلَّا مركب من كاف التشبيه ولا النافية، وإنما شددت لأمرها لتقوية المعنى، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين، وعند غيره بسببته كما ذكرنا، والله تعالى أعلم. (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز): 4/ 381-383.

[(1)] قوله: «فو الله لا يخزيك الله أبدا» لغير أبي ذر بضم أوله، والخاء المعجمة، والزاي المكسورة، ثم الياء الساكنة، من الخزي، ثم استدلّت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبدا بأمر استقرائي،

(7/3)

[()] وصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره أو بمن لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفه به و «الكلّ» بفتح الكاف هو من لا يستقل بأمره، كما قال تعالى: وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ [الآية 76/ النحل].

و «تكسب المعدوم»: في رواية الكشمهيني وتكسب بضم أوله، وعليها قال الخطابي: الصواب: المعدم بلا واو، أي الفقير، لأن المعدوم لا يكسب. قال الحافظ ابن حجر: ولا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تصرف له، والكسب هو الاستفادة، فكأنها قالت:

إذا رغب غيرك أن يستفيد مالا موجودا رغب أنت أن تستفيد رجلا عاجزا فتعونه. وقال قاسم ابن ثابت في (الدلائل): قوله يكسب معناه ما يعدمه غيره ويعجز عنه يصيبه ويكسبه. قال أعرابي يمدح إنسانا: كان أكسبهم لمعدوم، وأعطاهم لمحرور.

ولغير الكشمهيني «وتكسب» بفتح أوله، قال عياض: وهذه الرواية أصح - قال الحافظ ابن حجر: قد وجّهنا الأولى، وهذه الراجحة، ومعناها تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، فحذف أحد المفعولين، ويقال: كسبت مالا وأكسبته بمعنى. وقيل: معناه تكسب المال المعدوم وتصيب ما

لا يصيب غيرك. وكانت العرب تتمادح بكسب المال، لا سيما قريش، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة محظوظا في التجارة، وإنما يصح هذا المعنى إذا ضم إليه ما يليق به من أنه كان مع إفادته للمال يجود به في الوجوه التي ذكرت في المكرمات.

وقولها: «وتعين على نوائب الحق»، كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم. وفي رواية (البخاري في التفسير)، من طريق يونس عن الزهري من الزيادة: «وتصدق الحديث»، وهي من أشرف الخصال. وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة: «وتؤدي الأمانة». وفي هذه القصة من الفوائد:

* استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تسييره عليه وتهوينه لديه.

* وأن من نزل به أمر استحبه له أن يطلع عليه من يتق بنصيحته وصحة رأيه.

قوله: «فانطلقت به»، أي مضت معه، فالباء للمصاحبة، وورقة بفتح الراء، وقوله: «ابن عم خديجة»، هو بنصب «ابن»، ويكتب بالألف، وهو بدل من ورقة، أو صفة، أو بيان، ولا يجوز جره، فإنه يصير صفة لعبد العزى، وليس كذلك، ولا يجوز كتبه بغير ألف لأنه لم يقع بين علمين. قوله: «تنصّر»، أي صار نصرانيا، وكان قد خرج هو وزيد بن نفييل لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين، فأما ورقة فأعجبه دين النصرانية فتنصّر، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل، ولهذا أخبر بشأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبشارة به، إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل.

قوله: «فكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية»، وفي رواية يونس ومعمّر: ويكتب من الإنجيل بالعربية، ولمسلم: فكان يكتب الكتاب العربي، والجميع صحيح، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية، فكان يكتب الكتاب العبراني، كما كان يكتب الكتاب العربي، لتمكنه من الكتابين واللسانين. ووقع لبعض الشراح هنا ضبط فلا يعرج عليه.

(8/3)

[()] وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه، لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا كتييسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الأمة، فلهذا جاء في صفتها: «أناجيلها صدورها». قولها: «يا ابن عم»، هذا النداء على حقيقته، ووقع في مسلم «يا عم» وهو وهم، لأنه وإن كان صحيحا لجواز إرادة التوقير، لكن القصة لم تتعد، ومخرجها متحد، فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين، فتعين الحمل على الحقيقة.

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : وإنما جوزنا ذلك فيما مضى في العبراني والعربي، لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة، واختلف المخارج فأمكن التعداد، وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه، وقالت في حق النبي صلى الله عليه وسلم: اسمع من ابن أخيك، لأن والده عبد الله بن عبد المطلب وورقة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء، فكان من هذه الحيشية في درجة إخوته.

أو قالته على سبيل التوقير لسنة.

وفيه إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسئول، وذلك مستفاد من قول خديجة لورقة: «اسمع من ابن أخيك» أرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أبلغ في التعظيم.

قوله: «ماذا ترى» ؟ فيه حذف يدل عليه سياق الكلام، وقد صرح به في (دلائل النبوة) لأبي نعيم بسند حسن إلى عبد الله بن شداد في هذه القصة قال: فأنت به ورقة ابن عمها فأخبرته بالذي رأى.

قوله: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى». وللكشميهني: «أنزل الله»، وفي كتاب التفسير «أنزل» على البناء للمفعول، وأشار بقوله: «هذا» إلى الملك الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في خبره، ونزله منزلة القريب لقرب ذكره. والناموس: صاحب السر كما جزم به المؤلف في أحاديث الأنبياء.

وزعم ابن ظفر أن الناموس صاحب سر الخير، والجالسوس صاحب سر الشر، والأول الصحيح الذي عليه الجمهور، وقد سوى بينهما رؤية بن العجاج أحد فصحاء العرب. والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام. وقوله: «على موسى» ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانيا، لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام، بخلاف عيسى. وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم. أو لأن موسى عليه السلام بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى. كذلك وقعت النقمة على يد النبي صلى الله عليه وسلم بفرعون هذه الأمة، وهو أبو جهل بن هشام ومن معه بدر. أو قاله تحقيقا للرسالة، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسى فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته.

وأما ما تحمل له السهيلي، من أن ورقة كان على اعتقاد النصراني في عدم نبوة عيسى، ودعواهم أنه أحد الأقانيم [الثلاثة] فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل، ولم يأخذ عمن بدّل. على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار من طريق عبد الله بن معاذ عن الزهري في هذه القصة أن ورقة قال: ناموس عيسى، والأصح ما تقدم، وعبد الله بن معاذ ضعيف.

نعم في (دلائل النبوة لأبي نعيم) بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة، أن

خديجة أولاً أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال: لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم، فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى، وتارة ناموس

(9/3)

[()] موسى عليهما السلام، فعند إخبار خديجة له بالقصة، قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم له قال له: ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها، وكل صحيح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: «يا ليتني فيها جذع»، كذا في رواية الأصيلي، وعند الباقرين: «يا ليتني فيها جذعا»، بالنصب على أنه خبر كان المقدر. قاله الخطابي، وهو مذهب الكوفيين في قوله تعالى: انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ [الآية 171/ النساء]، وقال ابن بري: التقدير يا ليتني جعلت فيها جذعا، وقيل: النصب على الحال إذا جعلت «فيها» خبر ليت، والعامل في الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار، قاله السهيلي. وضمير «فيها» يعود على أيام الدعوة، والجذع - بفتح الجيم، والذال المعجمة - هو الصغير من البهائم، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابا، ليكون أمكن لنصره، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيرا أعمى.

قوله: «إذ يخرجك»، قال ابن مالك: فيه استعمال «إذ» في المستقبل كإذا، وهو صحيح وغفل عنه كثير من النحاة، وهو كقوله تعالى: وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [الآية 39/ مريم]، هكذا رواه ابن مالك، وأقره عليه غير واحد، وتعقبه شيخنا شيخ الإسلام بأن النحاة لم يغفلوه بل منعوا وروده، وأولوا ما ظاهره ذلك وقالوا في مثل هذا: استعمل الصيغة الدالة على الماضي لتحقق وقوعه فأنزلوه منزلته، ويقوي ذلك هنا أن في رواية البخاري في (التعبير): «حين يخرجك قومك». وفيه دليل على جواز تمني المستحيل إذا كان في فعل خير، لأن ورقة تمنى أن يعود شابا، وهو مستحيل عادة، ويظهر لي - والكلام للحافظ ابن حجر - أن التمني ليس مقصودا على بابه، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبر به، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به.

قوله: «أو مخرجي هم»؟ - بفتح الواو وتشديد الياء وفتحها -، فهم: مبتدأ مؤخر، ومخرجي: خبر مقدم، قاله ابن مالك، واستبعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوه، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج، لما اشتمل عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها.

قوله: «إلا عودي» ، وفي رواية يونس في (التفسير) : «إلا أودي» ، فذكر ورقة أن العلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومعاندتهم، فتنشأ العداوة من ثمّ، وفيه دليل أن الجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضاه المقام.

قوله: «إن يدركني قومك» ، إن: شرطية والذي بعدها مجزوم، زاد في رواية يونس في (التفسير) : «حيًا» ، ولابن إسحاق: «إن أدركت ذلك اليوم» يعني الإخراج.
قوله: «مؤزرا» - بهمزة- أي قويا، مأخوذ من الأزر، وهو القوة، أنكر القزاز أن يكون في اللغة مؤزرا من الأزر، وقال أبو شامة: يحتمل أن يكون من الإزار، أشار بذلك إلى تشميره في نصرته.
قال الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

قوله: «ثم لم ينشب» - بفتح الشين المعجمة- أي لم يلبث، وأصل النشوب التعلق،

(10/3)

وقال مسلم: أي عم- اسمع من ابن أخيك، فقال [له] ورقة يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر ما رأى، فقال له ورقة ابن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى [بن عمران] ، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك- وقال البخاري: يا ليتني أكون حيا [إذ] ... - فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي

- وقال مسلم: إلا أودي- وإن يدركني يومك أنصرك نصرنا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتن الوحي [فترة حتى حزن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] .

قال محمد بن شهاب [(1)] : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن

[()] أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات. وهذا بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة، وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام.

قال الحافظ ابن حجر: فإن تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح أصح، وإن لحظنا الجمع أمكن أن يقال: الواو في قوله: «وفتن الوحي» ليست للترتيب، فلعلّ الراوي لم يحفظ لورقة ذكرا بعد ذلك

في أمر من الأمور، فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى عمله، لا إلى ما هو الواقع، وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان صَلَّى الله عليه وسلّم وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود، فقد روى البخاري في كتاب (التعبير) من طريق معمر ما يدل على ذلك.

[فائدة]: وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي، أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وبه جزم ابن إسحاق، وحكي البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان، وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين، وهي ما بين نزول اقرأً ويا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط، (فتح الباري): 1/ 33-36، كتاب بدء الوحي حديث رقم (3).

[(1)] قوله: «قال ابن شهاب: «وأخبرني أبو سلمة»، إنما أتى بحرف العطف ليعلم أنه معطوف على ما سبق، كأنه قال: أخبرني عروة بكذا، وأخبرني أبو سلمة بكذا. وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن ابن عوف، وأخطأ من زعم أن هذا معلق، وإن كانت صورته التعليق، ولو لم يكن في ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة، فإنها دالة على تقدم شيء عطفته، وقد تقدم قوله: عن ابن شهاب عن عروة فساق الحديث إلى آخره ثم قال: ابن شهاب - أي بالسند المذكور - وأخبرني أبو سلمة بخبر آخر وهو كذا.

ودلّ قوله: «عن فترة الوحي» وقوله: «الملك الذي جاءني بحراء» على تأخر نزول سورة المدثر عن اقرأً، ولما دخلت رواية يحيى بن أبي كثير الآتية في (التفسير) عن أبي سلمة عن جابر عن هاتين الجملتين أشكل الأمر، فجزم من جزم بأن يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ أول ما نزل، ورواية الزهري هذه صحيحة ترفع الإشكال، وسياق بسط القول في ذلك في كتاب التفسير من (صحيح البخاري) في تفسير سورة اقرأً، فليراجع هناك. (المرجع السابق).

(11/3)

عبد الله الأنصاري [رضي الله عنه] ، قال فسلم: وكان من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم - وهو - يحدث عن فترة الوحي: قال في حديثه: بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، [فرعبت]] (1) [منه فرجعت، - وقال مسلم: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: فخشيت منه فرقا فرجعت - فقلت: زملوني [زملوني] ، فدثروه - وقال مسلم: فدثروني - فأنزل الله: يا أَيُّهَا

الْمُدَّتْرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَيْكَ فَكَبِّرْ* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ [(2)] - وهي الأوثان - قال:
ثم تتابع الوحي [(3)] - وقال البخاري: قال أبو سلمة: وهي الأوثان التي كانت الجاهلية
يعبدون، قال: ثم تتابع الوحي، ولم يذكر مسلم: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتن الوحي فترة حتى
حزن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذكره البخاري في كتاب التفسير وفي كتاب الإيمان [(4)]
[وذكره مسلم من حديث معمر عن الزهري [(5)] ولفظه: أول ما بدئ به

[(1)]

قوله: «فرعبت منه

- بضم الراء وكسر العين، وللأصيلي بفتح الراء وضم العين - أي فرعت، دل على بقية بقيت
معه من الفرع الأول، ثم زالت بالتدرج.

قوله: «فقلت: «زملوني زملوني» - وفي رواية الأصيلي وكريمة «زملوني» مرة واحدة، وفي رواية
يونس في (التفسير): «فقلت: «ذروني» فنزلت: يَا أَيُّهَا الْمُدَّتِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ، أي حذر من العذاب
من لم يؤمن بك. وَرَيْكَ فَكَبِّرْ أي عظم، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ أي من النجاسة، وقيل: الثياب النفس،
وتطهيرها اجتناب النقائص، والرجز هنا الأوثان، والرجز في اللغة العذاب، وسمي الأوثان رجزا
لأنها سببه.

[(2)] أول سورة المدثر.

[(3)] قوله: «تتابع»، تأكيد معنوي، وتتابع تكاثر. وقد وقع في رواية الكشمهيني وأبي

الوقت: «تواتر»، والتواتر مجيء الشيء يتلو بعضه بعضا من غير تخلل. (المرجع السابق):
حديث رقم (4).

[(4)] هذا الحديث ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (7) حديث رقم (3238)،
وفي كتاب التفسير، باب (1، 2) حديث رقم (4922)، (4923)، باب (3)، حديث رقم
(4924) باب (4) حديث رقم (4925)، باب (5)، حديث رقم (4926)، (4954)،
وفي كتاب الأدب، باب (118)، حديث رقم (6214). بسياقات مختلفة وتقديم وتأخير.
[(5)] حديث معمر عن الزهري: رقم (253) من كتاب الإيمان، باب (73) بدء الوحي إلى
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من (صحيح مسلم بشرح النووي) 2/ 559.

(12/3)

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي.. وساق الحديث بمثل حديث يونس، غير أنه قال: فو الله لا يخزيك الله أبدا، وقال: قالت خديجة أيا ابن العم! اسمع من ابن أخيك، وذكره أيضا من حديث عقيل عن ابن شهاب، سمعت عروة بن الزبير يقول: قالت عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده، فاقتصص الحديث بمثل حديث يونس ومعمر، ولم يذكر أول حديثهما من قوله: أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصادقة، وتابع يونس على قوله: فو الله لا يخزيك الله أبدا، وذكر قول خديجة: أي ابن عم! اسمع من ابن أخيك.

وذكر من حديث عقيل عن ابن شهاب [(1)] قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: أي جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ثم فتر الوحي عني فترة، فبينما أنا أمشي.. ثم ذكر بمثل حديث يونس، غير أنه قال: فخشيت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض. قال: وقال أبو سلمة: الرجز الأوثان، قال: حمي الوحي بعد ذلك وتتابع. وذكره من حديث معمر عن الزهري بهذا الإسناد نحو حديث يونس، قال: فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ إِلَى [(2)] وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ - قبل أن تفرض الصلاة - وهي الأوثان، قال فخشيت منه كما قال عقيل [(3)] .

وذكر البخاري في كتاب التعبير حديث عقيل ولفظه [(4)] : أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم بنحو حديث يونس وقال فيه: حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وقال: فقالت له خديجة: أي ابن عم.. الحديث إلى قوله نصرا مؤزرا، وقال بعده: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتن الوحي فترة حتى حزن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواحق الجبال، فكلما أو في بدروة جبل لكي يلقي [منه] بنفسه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول

[(1)] حديث عقيل عن ابن شهاب: رقم (254) ، (المرجع السابق) .

[(2)] أول سورة المدثر.

[(3)] حديث رقم (255) ، (المرجع السابق).

[(4)] حديث عقيل عن ابن شهاب، ذكره البخاري في أول كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم (6982) من (فتح الباري) : 12 / 436.

الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أو في بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك [(1)] .

ترجم عليه أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة.

وذكر في أول حديث عقيل ولفظه: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا

الصالحة في النوم وقال فيه: يرحف فؤاده، وقال: وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من

الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وقال: فقالت له خديجة:

يا ابن عم، وقال: هو الناموس الذي نزل على موسى، وقال: ليتني أكون حيا إذا يخرجك قومك،

وقال: رجل قط بما جئت به إلا عودي، قال في التعبير وقال بعد قوله نصرا مؤزرا: ثم لم ينشب

ورقة أن توفي وفتى الوحي [(2)] .

قال ابن شهاب: وأخبرني سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث

عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينا أمشي إلا سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا

الملك الذي جاءني بجاء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت:

زملوني زملوني، فأنزل الله عز وجل:

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ [(3)] ،

[(1)] زاد بعد قوله: «مثل ذلك»: [قال ابن عباس: فالتق الإصباح: ضوء الشمس بالنهار،

وضوء القمر بالليل.

قوله: «فإذا طالت عليه فترة الوحي»، قد يتمسك به من يصحح مرسل الشعبي في أن مدة

الفترة كانت سنتين ونصفا، كما نقله الحافظ ابن حجر في أول بدء الوحي، ولكن يعارضه ما

أخرجه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحو هذا البلاغ الذي ذكره الزهري.

وقوله: مكث أياما بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل، فحزن حزنا شديدا حتى كان يغدو إلى ثبير

مرة، وإلى حراء أخرى يريد أن يلقي بنفسه، فبينما هو كذلك عامدا لبعض تلك الجبال، إذ سمع

صوتا فوقف فرعا، ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض، متربعا يقول: يا

محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل، فانصرف وقد أقر الله عينه، وانبسط جأشه، ثم تتابع

الوحي»، فيستفاد من هذه الرواية تسمية بعض الجبال التي أجهمت في رواية الزهري، وتقليل مدة

الفترة. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق): 446 / 12.

[(2)] حديث عقيل عن ابن شهاب، ذكره البخاري في أول كتاب التعبير، باب أول ما بدئ

به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم (6982) من (فتح

الباري): 436 / 12.

[(3)] أول سورة المدثر.

فحمي الوحي وتتابع. تابعه عبد الله بن يونس وأبو صالح، وتابعه هلال بن رداد عن الزهري. وقال يونس ومعمر: بوادره.

وذكر في التفسير من حديث معمر عن الزهري: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي [(1)] فقال في حديثه: فيينا أنا أمشي إذا سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي إليه، فإذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فجثت منه رعبا، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ، إِلَى وَالرُّجْزِ فَاهْجُرْ قبل أن تفرض الصلاة، وهي الأوثان، وذكر فيه أيضا حديث عقيل عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي، [قال] : فيينا أنا أمشي سمعت تصويتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجثت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ إِلَى قَوْلِهِ: وَالرُّجْزِ فَاهْجُرْ، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان، ثم حمي الوحي وتتابع. وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة [(2)] ، حدثنا

[(1)]

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه: فيينا أمشي» ، هذا يشعر بأنه كان في أصل الرواية أشياء غير المذكور، وهذا أيضا من مرسل الصحابي، لأن جابرا لم يدركه زمان القصة فيحتمل أن يكون سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم أو من صحابي آخر حضرها، والله تعالى أعلم.

قوله: «سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري»

يؤخذ منه جواز رفع البصر إلى السماء عند وجود حادث من قبلها، وقد ترجم له البخاري في (الأدب) . ويستثنى من ذلك رفع البصر إلى السماء في الصلاة، لثبوت النهي عنه كما تقدم في (الصلاة) من حديث أنس، وروي ابن السني بإسناد ضعيف عن ابن مسعود قال: أمرنا أن لا نتبع أبصارنا الكواكب إذا انقضت.

ووقع في رواية يحيى بن أبي كثير: «فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي» .

وفي رواية مسلم بعد قوله: «شيئا»، «ثم نوديت»، فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي». (فتح الباري): 8 / 935، حديث رقم (4953).
[(2)] حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة، في (دلائل النبوة لأبي نعيم) رقم (174) بغير هذه السياقة.

(15/3)

منجاب بن الحارث، حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن عبد الله بن شداد قال: نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فغمه ثم قال له: اقرأ، قال ما أقرأ؟ فغمه ثم قال له: اقرأ، قال: ما أقرأ، فغمه ثم قال له: اقرأ، قال: ما أقرأ، قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى ما لم يعلم، فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بالذي رأى، فأتت ورقة ابن نوفل ابن عمها فأخبرته بالذي رأى فقال:

هل رأى زوجك صاحبه في خضر؟ فقالت: نعم، فقال: إن زوجك نبي وسيصيبه في أمته بلاء. وخرج من حديث منجاب قال: حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة: لقد خشيت أن أكون كاهنا أو مجنونا، قالت: لا والله لا يفعل الله ذلك بك، إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم، وتؤدي الأمانة، والله لا يفعل ذلك بك، فأتت ابن عمها ورقة ابن نوفل وكانت تضيفه إليه، فأخبرته بالذي رأى، فقال: لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه الناموس الأكبر، ناموس عيسى الذي لا تعلمه بنو إسرائيل أبناءهم، ولئن نطق وأنا حي لأبلىن الله فيه بلاء حسنا، قال أبو نعيم: هكذا رواه علي بن مسهر وأصحاب هشام مرسلا، ورواه يعقوب بن محمد الزهري عن عبد الله بن محمد ابن يحيى بن عروة عن هشام متصلا،

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ورقة لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل: سبوح سبوح، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله بينه وبين رسله، اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى، فإذا أتاه فتحسرى فإن يكن من عند الله لا يراه، ففعلت، قالت: فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره، فرجعت فأخبرت ورقة فقال: إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم إلا بالثمن، ثم أقام ورقة ينتظر إظهار الدعوة، فقال في ذلك:

لججت وكنيت في الذكرى لجوجا [(1)] ... لهم طالما بعث النشيحا [(2)]

- [(1)] اللجلجة والتلجلج: التردد في الكلام. (ترتيب القاموس) : 4 / 124.
- [(2)] نشج الباكي ينشج نشيجا: غصّ في حلقه من غير انتحاب (المرجع السابق) 370.

(16/3)

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
بيطن المكتين [(1)] على رجائي [(2)] ... حديثك أن [(3)] أرى منه خروجا
بما خبرتنا [(4)] عن قول قسّ ... من الرهبان أكره [(5)] أن يعوجا
بأن محمدا سيسود فينا [(6)] ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور [(7)] ... يقيم به البرية أن تعوجا

[(1)] ثنى «مكة» ، وهي واحدة، لأن لها بطاحا وظواهر، وقد ذكرنا من أهل البطاح، ومن أهل الظواهر، على أن للعرب مذهبا في أشعارها في تشبية البقعة الواحدة، وجمعها، وإنما يقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وأحسن ما تكون هذه التشبية إذا كانت في ذكر جنة أو بستان، فتسميها جنتين في فصيح الكلام، إشعارا بأن لها وجهين، وأنك إذا دخلتها ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قوة، وصدرك مسرة، وفي التنزيل: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٍ [الآية 15 / سبأ] ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ [الآية 16 / سبأ] ، وفيه: جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَخَفَّفْنَاهُا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا [الآيتان 32، 33 / الكهف] ، ثم قال سبحانه: دَخَلَ جَنَّتَهُ، ثم قال: وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ، ثم قال: فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ [من الآيتين 35، 39، 41 / الكهف] ، فأفرد بعد ما ثني وهي هي، وقد حمل العلماء على هذا المعنى قوله تعالى: وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ [الآية 46 / الرحمن] ، والقول في هذه الآية يتسع. (الروض الأنف) : 1 / 218 - 220.

[(2)] في (خ) : «على رجاء» ، وما أثبتناه من (ابن هشام) : 2 / 10، (البداية والنهاية) : 3 / 15، قوله: «حديثك أن أرى منه خروجا» ، فالهاء في «منه» راجعة على الحديث، وحرف الجر متعلق بالخروج، وإن كره النحويون ذلك، لأن ما كان من صلة المصدر عندهم، فلا يتقدم

عليه، لأن المصدر مقدر بأن والفعل، فما يعمل فيه هو من صلة «أن» فلا يتقدم، فمن أطلق القول في هذا الأصل، ولم يخصص مصدرا من مصدر، فقد أخطأ المفصل وتاه في تضلل، ففي التنزيل: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ [الآية: 2/ يونس] ، ومعناه: أكان عجبا للناس أن أوحينا، ولا بد للآم هاهنا أن تتعلق بعجب، لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها. (المرجع السابق) .

[(3)] في (خ) : «لو أرى» ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

[(4)] في (خ) : «بما خبرتني» ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

[(5)] في (خ) : «يكره» ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

[(6)] في (خ) ، (البداية والنهاية) : «سيسود قوما، وما أثبتناه من (ابن هشام) .

[(7)] هذا البيت يوضح لنا معنى النور ومعنى الضياء، وأن الضياء هو المنتشر عن النور، وأن

النور

(17/3)

فيلقى من يحاربه خسارا ... ويلقى من يسأله فلوجا [(1)]

فيا ليتني [(2)] إذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم ولوجا

ولوجا [(3)] في الذي كرهت قريش ... ولو عجت بمكتها عجيجا [(4)]

أرجى بالذي كرهوا جميعا ... إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا

وإن يبقوا وأبق [(5)] تكن أمور ... يضح الكافرون بما ضجيجا [(6)]

وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة خلوجا [(7)]

هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ [الآية 17/ البقرة] ، وفيه: جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا [الآية 5/ يونس] ، لأن نور

القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس، ولا سيما طرفي الشهر،

وفي الصحيح: «الصلاة نور، والصبر ضياء» ،

وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر،

فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو

القرآن والذكر، وفي أسماء الباري سبحانه الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الآية 35/ النور] ، ولا

يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه. (الروض الأنف) .

[(1)] فلج: ظفر، ويقال: فلج بجأته، وبجته: أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه. (المعجم الوسيط):
699 / 2.

[(2)] ليتي: بحذف نون الوقاية، وحذفها مع ليت رديء، وهو في لعلّ أحسن منه، لقرب مخرج اللام من النون، حتى لقد قالوا: لعل ولعن ولأن بمعنى واحد، وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفف بلعلّ، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إنّ، وأنّ، ولكن، وكأَنَّ، لاجتماع النونات، وحسنه في لعلّ أيضا كثرة حروف الكلمة، وفي التنزيل: لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ [الآية 46/ يوسف] بغير نون، ومجيء هذه الياء وليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة، يدلّك على أن الاسم المضمّر في ضربني هو الياء، دون النون كما هو في ضربك، وضربه حرف واحد، وهو الكاف، ولو كان الاسم هو النون مع الياء، كما قالوا في المخفوض: مني وعني بنونين. نون:

من، ونون أخرى مع الياء، فإذا الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض، وفي حال النصب، (ابن هشام): 12 / 2 هامش.

[(3)] ولج الشيء في غيره ولوجا: دخل فيه (المعجم الوسيط): 2 / 1055، وفي التنزيل: يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ [الآية 6/ الحج] .

[(4)] عَجَّ عَجًّا وَعَجَّةً وَعَجِجًا: رفع صوته وصاح. (المرجع السابق): 2 / 1055، وفي الصحيح:

«الحج عَجَّ وَتَجَّ» .

[(5)] في (خ): «ونبق»، وما أثبتناه من (ابن هشام)، (الروض الأنف)، (البداية والنهاية)

[(6)] ضج ضجيجا: الصياح عند المكروه، والمشقة، والجرع، (لسان العرب): 2 / 312.

[(7)] في (خ): «خلوجا»، وهو الاضطراب. (المعجم الوسيط): 1 / 248. وفي (ابن

هشام):

«حروجا»، وهي الجسيمة (المرجع السابق): 1 / 164.

(18/3)

وخرج أيضا من حديث الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا داود بن المحبر، حدثنا حماد عن أبي عمران الجوى عن يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة رضي الله عنها بجراء، فوافق ذلك شهر رمضان، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع: السلام عليك! قال:

فطننتها فجأة الجن، فجئت مسرعا حتى جئت إلى خديجة فسجنتني ثوبا فقالت:

ما شأنك يا ابن عبد الله؟ فأخبرها فقالت له: أبشر يا ابن عبد الله، فإن السلام خير، قال: ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس، جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، قال [(1)] : فهلت منه فجئت مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب، فكلمني حتى أنست به، ثم وعدني موعدا فجئت له فأبطأ عليّ فرأيت أن أرجع، فإذا أنا به وميكائيل بين السماء والأرض قد سدّ الأفق، فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض، فأخذني جبريل فاستلقاني لحلاوة القفا [(2)] ، ثم شق عن قلبي فاستخرج ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله، في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفأني كما يكفأ الأديم، ثم ضم في ظهري حتى وجدت مسّ الخاتم في قلبي، ثم قال لي: اقرأ، ولم أكن [(3)] قرأت كتابا قط، فلم أدر ما أقرأ، ثم قال: اقرأ، فقلت ما أقرأ؟ قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق [(4)] ، حتى انتهى إلى خمس آيات منها فما نسيت شيئا بعد، ثم وزني برجل فوزنته، ثم وزني بآخر فوزنته حتى وزنت بمائة فقال ميكائيل: تبعته أمته ورب الكعبة، فجعلت لا يلقاني حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله حتى دخلت على خديجة فقالت: السلام عليك يا رسول الله [(5)] .

وفي رواية يونس بن حبيب عن داود: فقال ميكائيل: تبعته أمته، وقال:

[(1)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل النبوة لأبي نعيم) : 1 / 69: «فهللت» كما في أصل

الدلائل، وفي الخصائص «فهللت» ، وفي مسند أبي داود والطيباليسي: «فهمت منه» .

[(2)] في (خ) : «فسبقني بحلاوة القفا» ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «أك» ، «فلم أجد ما أقرأ» .

[(4)] أول سورة العلق.

[(5)] (دلائل أبي نعيم) 1 / 215، 216، حديث رقم (163) .

(19/3)

كما يكفأ الإناء، وقال: أخذ بقلبي حتى أجهشت بالكباء ثم قال لي: اقرأ.. والباقي مثله سواء. وخرج من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن [الحارث] [(1)] بن هشام عن أم سلمة عن خديجة [(2)] رضي الله عنها أنها قالت: قلت

لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا ابن عم، أتستطيع إذا جاءك هذا الذي يأتيك أن تخبرني به؟
قال: نعم، قالت خديجة: فجاءه جبريل عليه السلام ذات يوم وأنا عنده فقال: يا خديجة، هذا
صاحبي الذي يأتيني قد جاء، فقلت له:

قم فاجلس على فخذي [(3)] ، فجلس عليهما [(4)] فقلت: هل تراه؟ قال: نعم،
فقلت: تحول فاجلس على فخذي اليسرى فجلس فقلت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت خديجة
[فتحسرت] [(5)] فطرحت خماري فقلت: هل تراه؟ قال: لا، فقلت: هذا والله ملك كريم،
والله ما هذا شيطان،

قالت خديجة فقلت لورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي: ذلك مما أخبرني محمد صَلَّى
الله عليه وسلم، فقال ورقة:

إن [(6)] يك حقا يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيانا فأحمد مرسل
[وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي بشرح الصدر منزل] [(7)]
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به العاني الغوي المضلل [(8)]
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأخرى بأجواز الجحيم تغلل [(9)]

-
- [(1)] في (خ) : «الحرث» وما أثبتناه من (المرجع السابق) .
[(2)] كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : «خديجة بنت خويلد» .
[(3)] كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : «على فخذي» بالإنفراد .
[(4)] كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : «عليهما» بالثنائية، والسياق يقتضي الإفراد .
[(5)] زيادة من المرجع السابق .
[(6)] في (دلائل البيهقي) : 2 / 150 ، و (البداية والنهاية) : 3 / 16 «فإن يك» .
[(7)] هذا البيت ليس في (دلائل أبي نعيم) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) و (البداية والنهاية)
[(8)] في (المرجع السابق) : «ويشقى به العاني الغرير المضلل» .
[(9)] أجواز الجحيم: وسط جهنم، ومفردة «جوز» .

(20/3)

إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت ... مقامع في هاماتهم ثم تشعل [(1)]
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ... ومن هو في الأيام ما شاء يفعل

ومن عرشه فوق السموات كلها ... وأحكامه [(2)] في خلقه لا تبدل
وقال ورقة أيضا:
يا للرجال وصرف الدهر والقدر ... وما [(3)] لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... وما لنا [(4)] بخفي الغيب من خبر
فكان ما سألت عنه لأخبرها ... أمرا أراه سيأتي الناس عن آخر [(5)]
فخبرتني بأمر قد سمعت به ... فيما مضى من قديم الدهر [(6)] والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره ... جبريل إنك مبعوث إلى البشر
فقلت على الذي ترجين ينجزه ... لك الإله فرجى الخير وانتظري
وأرسله إلينا كي نسائله ... عن أمر ما يري في النوم والسهير
فقال خير أأنا منطلقا عجا ... يقفّ منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني ... في صورة أكملت في أهيب الصّور
ثم استمر فكاد الخوف يذعربي ... مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري سيصدقني ... أن سوف يبعث يتلو منزل السّور [(7)]

-
- [(1)] في (دلائل أبي نعيم) : «مقامع في هاماتهم ثم مزعل» .
[(2)] في (البداية والنهاية) ، و (دلائل البيهقي) : «وأقضاؤه» .
[(3)] في (دلائل أبي نعيم) ، و (دلائل البيهقي) : «وما لشيء» ، وفي (خ) : «ويا لشيء» .
[(4)] في (خ) ، (دلائل أبي نعيم) : «وما لنا» ، وفي (دلائل البيهقي) ، «وما لها» ، وفي
(البداية والنهاية) :
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... أمرا أراه سيأتي الناس من آخر
وهذه الأبيات متساوية من حديث عددها (12) بيتا في (دلائل أبي نعيم) و (دلائل البيهقي) ، و
(خ) ، لكنها في (البداية والنهاية) : (11) بيتا فقط.
[(5)] في (دلائل أبي نعيم) : «أمرا رآه» .
[(6)] في (دلائل أبي نعيم) : «من قديم الناس» .
[(7)] في (دلائل البيهقي) : «أن سوف تبعث» .

وسوف أوليك [(1)] إن أعلنت دعوتهم ... مني [(2)] الجهاد بلا من ولا كدر [(3)]
 وخرج من حديث فليح بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن عبد العزيز الإمامي عن يزيد بن رومان،
 [والزهري] [(4)] عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان جالسا مع خديجة [رضي الله عنها] [(5)] يوما من الأيام إذ رأى شخصا بين السماء
 والأرض فقالت خديجة [(6)] : لا يزول، أدن مني، فدنا منها، فقالت له: أترأه؟ [قال: نعم]
 [(7)] قالت: أدخل [يدك] [(8)] تحت [الدرع] [(9)] ، ففعل ذلك، فقالت [(10)]
 [(7)] : أترأه؟ قال: لا، قد أعرض عني، قالت: أبشر فإنه ملك كريم، لو كان شيطانا ما استحي.
 فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

-
- [(1)] في (البداية والنهاية) : «وسوف يلبيك» ، وفي (دلائل البيهقي) : «وسوف أنبيك» .
 وما أثبتناه من (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) .
- [(2)] في (البداية والنهاية) ، و (دلائل البيهقي) : «من الجهاد» ، وما أثبتناه من (خ) ، و
 (دلائل أبي نعيم) .
- [(3)] قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : 3 / 17 : «هكذا أورد ذلك الحافظ
 البيهقي في (الدلائل) ، وعندني في صحتها عن ورقة نظر، والله أعلم» .
- [(4)] كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وصوابه: «يزيد بن رومان الأسدي أبو روح المدني»
 (تهذيب التهذيب) : 11 / 284 ، ترجمة رقم (526) روى عن ابن الزبير وأنس بن عبيد الله
 وسالم ابني عبد الله بن عمر وصالح بن خوات بن جبير، وعروة بن الزبير والزهري، وهو من
 أقرانه، وأرسل عن أبي هريرة.
- وعنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر رضي الله عنه، وأبو حازم
 سلمة بن دينار ومعاوية بن ثابت ومالك ويزيد بن عبد الملك النوفلي وجريير بن حازم وجماعة.
 قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات.
- قال ابن سعد عن الواقدي وغيره: مات سنة ثلاثين ومائة، وكان عالما كثير الحديث ثقة. قال
 الحافظ ابن حجر: وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، وقال غيره: قرأ القرآن على عبد
 الله بن عباس بن أبي ربيعة، وقرأ عليه نافع بن أبي نعيم. (المرجع السابق) .
- [(5)] زيادة من (خ) .
- [(6)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : 1 / 218 ، 219 ، حديث رقم (165) : «بين
 السماء والأرض لا يزول فقالت خديجة» .
- [(7)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) :
 «فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم» .

- [(8)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «رأسك» .
 [(9)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «درعي» .
 [(10)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «فقال خديجة له» .

(22/3)

يوما من الأيام إذا رأى شخصا بين السماء والأرض بأجساد [(1)] إذ بدا له جبريل فسلم عليه، وبسط بساطا كريما مكللا بالياقوت والزبرجد، ثم بحث في الأرض فنبع الماء، فعلم جبريل رسول الله كيف يتوضأ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى ركعتين نحو [الكعبة] [(2)] مستقبل الركن الأسود، وبشره بنبوته، ونزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق [(3)] ثم انصرف منقلبا فلم يمر على شجر ولا حجر [(4)] إلا وهو يسلم عليه يقول: سلام [(5)] عليك يا رسول الله، فجاء إلى خديجة فقال: يا خديجة! أشعرت [أن] [(6)] الذي كنت أراه قد بدا لي [وبسط لي] [(7)] بساطا كريما وبحث من [(8)] الأرض فنبع الماء فعلمني الوضوء، فتوضأت وصليت ركعتين، [فقال] [(9)] : أرني كيف أراك؟ فأراها النبي صلى الله عليه وسلم [وتوضأت] [(10)] ثم صلت معه وقالت: أشهد أنك رسول الله. ولأبي نعيم من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة: إني أسمع صوتا وأرى ضوءا، وإني أخشى أن يكون خبل، فقالت: لم يكن الله ليفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، ثم أتت ورقة ابن نوفل فذكرت ذلك له فقال: إن يك صادقا إن هذا ناموس مثل ناموس موسى، وإن يبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأعينه [(11)] .

- [(1)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «بجباد الأصغر» .
 [(2)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «نحو القبلة» .
 [(3)] أول سورة العلق.
 [(4)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «حجر ولا شجر» .
 [(5)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «السلام عليك» .
 [(6)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «بأن» .
 [(7)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «قد بدا لي بساطا كريما» .
 [(8)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «بحث لي» .

[(9)] كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : «فقال خديجة» .

[(10)] هذه الزيادة ليست في (المرجع السابق) .

[(11)] هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد فقال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا أبو كامل وحسن ابن موسى، قالوا: حدثنا حماد قال: أخبرنا عمار بن أبي عمار قال حسن عن عمار: قال حماد:

وأظنه عن ابن عباس ولم يشك فيه حسن، قال: قال ابن عباس، قال أبي: وحدثنا عفان،

(23/3)

وله من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حديث أخبرنا عبيد كيف كان بدء ما ابتداء الله به رسوله من النبوة حين جاءه جبريل؟ فقال عبيد: وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير وهو من عنده من الناس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور [(1)] في حراء من كل سنة شهرا، وكان ذلك مما تحنثت به قريش - والتحنث: التبر [(2)] - فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر في كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من ذلك الشهر كان أول ما ابتداء به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التي بعث فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله، حتى كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل من الله تعالى [(3)] .

وقال إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني

[()] حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار، مرسل ليس فيه ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال لخديجة، فذكر عثمان الحديث،

وقال أبو كامل وحسن في حديثهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة: «إني أرى ضوءا، وأسمع صوتا، وإني أخشى أن يكون بي جن، قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله، ثم أتت ورقة ابن نوفل، فذكرت ذلك له فقال: إن يك صادقا، فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي فسأعززه، وأنصره وأومن به» . (مسند أحمد) : 1 / 512، 513، حديث رقم (2841) .

[(1)] الجوار بالكسر في معنى المجاورة، وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، كذلك قال ابن عبد البر، ولذلك لم يسمّ جواره بجاء اعتكافاً، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم، وهو الجبل الذي نادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال له تبير وهو على ظهره: اهبط عني، فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعدّب، فناده حراء: إني يا رسول الله. (الروض الأنف للسهيلي). [(2)] التبرر: تفعل من البر، وتفعل: يقتضي الدخول في الفعل، وهو الأكثر فيها مثل: تفقه، وتعبّد، وتنسك. قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحنيفة فيبدلون الفاء من الثاء، قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول: «فمّ» في موضع «ثمّ». (المرجع السابق).

[(3)] سيرة ابن هشام: 2 / 69، 70.

(24/3)

وأنا نائم [(1)] بنمط من ديباج فيه كتاب [(2)] ، فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ [(3)] قال:

فغطني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ [(3)] ، فغطني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ [(3)] ، قال: فغطني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا [لأفتدي] [(4)] منه أن يعود لي بمثل ما صنع فيّ، قال: اقرأ باسمِ [(5)] رَبِّكَ

[(1)] ليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة اقرأً كان في اليقظة، لأنها قالت في أول الحديث: «أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح: ثم حَبَّبَ اللهُ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ - إلى قولها - حتى جاءه الحق وهو بغار حراء، فجاءه جبريل». فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقیل، والبشر ضعيف.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل به

إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل، فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة، سيأتي شرحها مفصلاً. (المرجع السابق) :

هامش ص 70.

[(2)] فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم، ويسلبونهم الديباج والحريير الذي كان زينهم وزينتهم، وبه أيضا ينال ملك الآخرة، ولباس الجنة، وهو الحريير والديباج. (المرجع السابق) هامش ص 71.

[(3)]

قوله: «ما أنا بقارئ»

- على إحدى الروايات- أي أمي فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثا، ف قيل له: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ، أي: إنك لا تقرءوه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك، مستعينا به، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم، ومغمز الشيطان بعد ما خلق فيك، كما خلقه في كل إنسان.

أما على رواية

«ما أقرأ» ،

يحتمل أن تكون «ما» استفهاما، يريد أي شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفيا، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي، أي ما أحسن أن أقرأ، كما تقدم من قوله: «ما أنا بقارئ». (المرجع السابق) .

[(4)] في رواية ابن إسحاق: «ما أقول ذلك إلا افتداء منه» .

[(5)] في قوله: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ من الفقه: وجوب استفتاح القراءة بيسم الله الرحمن الرحيم، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح، حتى جاء البيان بعد في قوله: بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا [الآية 41/ هود] ، ثم قوله تعالى: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الآية 30/ النمل] ، ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بيسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، على بعض الآراء. (المرجع السابق) .

(25/3)

الَّذِي خَلَقَ إِلَى قَوْلِهِ: مَا لَمْ يَعْلَمْ، قال: فقراءتها، ثم انتهي فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا، [قال: ولم يكن من خلق الله تعالى أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون، كنت

لا أطيق أن انظر إليهما، قال: قلت:

إن الأبعد يعني لشاعر أو مجنون لا يتحدث بهذا قريش عني أبدا إلا عمدت إلى خالق من الجبل،
ولأطرح نفسي منه فلاقتلنها ولأستريحن [(1)] ، قال: فخرجت [أريد ذلك] [(1)]
حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من [السماء] [(2)] يقول: يا محمد! أنت
رسول الله وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء انظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف
قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فوقفت انظر إليه
[فشغلني ذلك عما أردت] [(3)] ما أتقدم ولا أتأخر، وجعلت أصرف وجهي [(4)] في
آفاق السماء ولا انظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي ولا أرجع
ورائي حتى بعثت خديجة [في] [(5)] رسلها في طلبي، فبلغوا [(6)] مكة ورجعوا إليها وأنا
واقف في مكان ذلك ثم انصرف عني، [فانصرفت] [(7)] راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة
فجلست إلى فخذها مضييفا [إليها] [(8)] فقالت: يا أبا القاسم! أين كنت: فو الله لقد بعثت
رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا [إلي] [(9)] ، قال: [قلت لها]:
إن الأبعد لشاعر مجنون، قال: فقالت: أعينك بالله يا أبا القاسم، ما كان الله تعالى ليصنع ذلك
بك مع صدق حديثك وحسن خلقك وعظم أمانتك وصلتك رحمك، وما ذاك يا ابن عم؟ لقد
رأيت شيئا؟ قال: قلت [(10)] نعم، ثم

[(1)] ما بين الحاصرتين من (خ) ، وهو زيادة عن رواية ابن إسحاق.

[(2)] زيادة للسياق من ابن إسحاق، (الروض الأنف) : 1 / 269، (سيرة ابن هشام) : 2 /

72.

[(3)] ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .

[(4)] في ابن إسحاق: «وجهي عنه في آفاق السماء» .

[(5)] زيادة من (خ) والأولى حذفها.

[(6)] في (ابن إسحاق) : «فبلغوا أعلى مكة» .

[(7)] في (ابن إسحاق) : «وانصرفت» .

[(8)] زيادة للسياق من: (ابن إسحاق) .

[(9)] في (ابن إسحاق) : «فرجعوا لي» .

[(10)] ما بين الحاصرتين من (خ) ، وليس في (ابن إسحاق) .

حدثتها الذي رأيت فقالت: أبشر يا ابن العم واثبت، فو الذي نفس خديجة بيده أن تكون نبي هذه الأمة، قال: ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة ابن نوفل بن أسد [(1)] وهو ابن عمها

- وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة [وأهل] الإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع فقال ورقة [(2)] : قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي [به] [(3)] موسى، وإنه لنبي هذه الأمة فقول لي [فليثبت] [(4)] ، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وأخبرته] [(5)] بقول ورقة [(6)] [وسهل عليه ذلك بعض ما كان فيه من الهم بما جاءه] [(7)] ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع فيه كما يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي! أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبت له ولتؤذيت له ولتخرجته ولتقاتلته [(8)] ولئن أنا أدركت [(9)] ذلك لأنصرن الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه [منه] [(10)] فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله. [وقد زاده ذلك من قول

[(1)] زيادة في نسبه من (ابن إسحاق) : «ابن عبد العزي بن قصي» .

[(2)] (ابن نوفل) .

[(3)] زيادة من (خ) .

[(4)] زيادة من (ابن إسحاق) .

[(5)] في (ابن إسحاق) : «فأخبرته» .

[(6)] في (ابن إسحاق) : «ورقة ابن نوفل» .

[(7)] ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .

[(8)] الهاءات الأربعة لا ينطق بها إلا ساكنة، فإثما هاءات سكت وليست بضمائر. وفي (خ) بغير هذه الهاءات.

[(9)] قوله: «ولئن أنا أدركت» ، وفي رواية «إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصرًا مؤزرًا، وقال في أخرى:

«إن يدركني يومك» ، وهو القياس، لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده، كما جاء

في الحديث: «أشقى الناس من تدركه الساعة وهو حي» ،

وابن إسحاق أيضًا له وجه، لأن المعنى أنرى ذلك اليوم، فسمى رؤيته إدراكًا، وفي التنزيل: لا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ [الآية 103/ الأنعام] ، أي: لا تراه على أحد القولين. وقوله: «مؤزرا» من الأزر، وهو القوة والعون.
[(10)] زيادة من رواية (ابن إسحاق) .

(27/3)

ورقة ثباتا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم [(1)] .
قال أبو نعيم: وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد نحوه مختصرا،
وله من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة، أراه الله رؤيا في المنام فشق ذلك عليه، ورأى
أنه بينما هو بمكة أتى إلى سقف بيته فنزع شبحه شبحه [(2)] حتى إذا نزل أدخل فيه سلم
من فضة فيما يخيل إليه، ثم نزل إليه رجلان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأردت أن
أستغيث فحبساني مكاني ومنعت الكلام، ففعد أحدهما إليّ والآخر إلى جنبي وأنا فرق، فأدخل
أحدهما يده في جنبي فنزع ضلعين منه كما ينزل علق الصندوق الشديد، فأدخل يده في جوفي
وأنا أجد بردها، فأخرج قلبي فوضعه على كفه وقال لصاحبه، نعم القلب، وقال: قلب رجل
صالح، ثم أدخل القلب مكانه وردا الضلعين كما يرد علق الصندوق الشديد، ثم ارتفعا ورفعوا
سلمهما فاستيقظت فإذا السقف كما هو فقلت يحلم، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم لحديجة
بنت خويلد فعصمها الله من التكذيب وقالت: أبشر! فو الله لا يفعل الله بك إلا خيرا، وأخبرها
أنه رأى بطنه طهر وغسل ثم أعيد كما كان، فقالت: هذا والله خير فأبشر، ثم استعلن له جبريل
وهو بأفلاء مكة من قبل حراء فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه وقال له: لا تخف! أنا
جبريل، وأجلسه معه على مجلس كريم كهيئة الدر، نوره فيه الباقوت واللؤلؤ، فبشره برسالات الله
حتى اطمأن إلى جبريل ثم قال: اقرأ، قال: كيف أقرأ؟ قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله:
ما لم يعلم، فأبدى له جبريل نفسه، له جناحان من ياقوت يخطفان البصر، ففتح جبريل عينا من
ماء فتوضأ، ومحمد ينظر إليه فوضأ وجهه ويديه

[(1)] ما بين الحاصرتين من (خ) وليس في رواية (ابن إسحاق) .

[(2)] المشبَّح: المقشور، والكساء القوي (ترتيب القاموس) : 2/ 665 وفي (خ) : «شبخة
سبخة» ، ولم أدر ما المراد بها، ولعلها «سجة» من السياج، وهو الحائط، وما أحيط به على شيء
مثل النخل والكرم، وقد سيح حائطه تسييجا. (المرجع السابق) : 2/ 655.

إلى المرفقين، ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ونضح فرجه [وسجد] [(1)] سجدتين مواجه البيت، ففعل محمد صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل يفعل، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه، وسألها الله بحقها، واتبع الذي نزل به جبريل من عند رب العرش العظيم، فلما قضى جبريل الذي أمره به، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر على حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فرجع إلى بيته وهو مؤمن قد رأى أمراً عظيماً، فلما دخل على خديجة أخبرها، قال: أرايتك الذي كنت أخبرتك أني رأيت في المنام؟ فإنه جبريل قد استعلن لي، أرسله إليّ ربي عز وجلّ، أخبرها بالذي جاءه من الله وسمع فقالت: أبشر، فو الله لا يفعل الله بك إلا خيراً، فاقبل الذي أتاك من الله فإنك رسول الله حقاً،

ثم انطلقت حتى أتت غلاماً لعنبة بن ربيعة بن عبد شمس - نصرانياً من أهل نينوى يقال له: عداس - فقالت: يا عداس أذكرك بالله، هل عندك من جبريل علم؟ فلما سمعها: عداس تذكر جبريل قال: قدوس قدوس، ما شأنه يذكر بهذه الأرض التي أهلا أهل الأوثان؟ قالت: أحب أن تحدثني فيه بعلمك، قال: فإنه أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب عيسى وموسى عليهما السلام.

رجعت خديجة من عنده فأتت ورقة ابن نوفل، وكان ورقة قد كره عبادة الأوثان هو وزيد بن عامر بن نفيل، وكان زيد قد حرم كل شيء حرمه من الدم والذبيحة، على النصب، وكل شيء من أبواب الظلم في الجاهلية، فلما وصفت خديجة لورقة حين جاءته شأن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرت له جبريل وما جاء به من عند الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: يا ابنة أخي! والله ما أدري لعل صاحبك الذي ينتظره أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً في الإنجيل، وأقسم بالله إن كان إياه ثم دعا إلى الله وأنا حيّ لأبلىن الله في طاعة رسوله وحسن المؤازرة والنصرة له، فمات ورقة [(2)] .

[(1)] زيادة للسائق.

[(2)] ونحوه بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير في (البداية والنهاية) : 3/ 20 - 23، وهي

رواية موسى ابن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير.

ورواه من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير من طريق محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه بآتم من روايتي عروة وموسى بن عقبة وأحسن، فقد اختلفت الروايات في نزول [أول سورة من القرآن على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] [(1)] .

ذكر الاختلاف في أول سورة من القرآن أنزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج البخاري في كتاب التفسير من حديث وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قلت: يقولون: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء باردا، فدثروني وصبوا عليّ ماء باردا، فنزلت: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ [(2)] ، وكرره غير مرة. وخرجه مسلم من حديث الأوزاعي قال: سمعت يحيى يقول: سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فقلت: اقرأ؟ فقال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن

[(1)] زيادة للسياق والبيان.

[(2)] أول سورة المدثر، وقوله: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ: أي أنها أول ما نزل حين تتابع الوحي وحمي، والذين كانوا يقولون: هو اقرأ، ذكروا ذلك بناء على أنها الأول مطلقا، ويحتمل أن بعض الناس ظن اقرأ أول سورة حين تتابع الوحي، بناء على ظن نزولها مرتين مثلا، فهذا ردّ عليهم، والله تعالى أعلم. (حاشية السندي على صحيح البخاري): 3/ 209، كتاب التفسير.

(30/3)

شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت، فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في [الهواء] [(1)] - يعني جبريل عليه السلام- فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت:

دثروني، فدثروني وصبوا عليّ ماء [(2)] ، فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ [(3)] فُمْ
فَأَنْذِرْ* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ* وَتَبَايَكَ فَطَهِّرْ.

[(1)] في (خ) : «في الهوى» .

أما قوله: «إن أول ما أنزل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، فهو ضعيف بل باطل، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ، كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها، وأما يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فكان نزولها بعد فترة الوحي، كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر، والدلالة صريحة فيه في مواضع، منها قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: فأنزل الله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، ومنها قوله: ثم تتابع الوحي - يعني بعد فترته - فالصواب: أن أول ما نزل: اقرأ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر. والله أعلم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فاستبطنت الوادي»، أي صرت في باطنه،

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جبريل عليه السلام: «فإذا هو على العرش في الهواء»، المراد بالعرش الكرسي، كما تقدم

في الرواية الأخرى «على كرسي بين السماء والأرض»، قال أهل اللغة: العرش هو السرير، وقيل: سرير الملك.

قال الله تعالى: وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ [الآية 23/ النمل] ، والهواء هنا ممدود يكتب بالألف، وهو الجو بين السماء والأرض كما في الرواية الأخرى، والهواء: الخالي، قال تعالى: وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً [الآية 43/ إبراهيم] .

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأخذتني رجفة شديدة»،

هكذا هو في الروايات المشهورة «رجفة: بالراء»، قال القاضي: ورواه السمرقندي «وجفة: بالواو» وهما صحيحان متقاربان، ومعناهما: الاضطراب.

قال الله تعالى: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ [الآية 8/ النازعات] ، وقال تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ [الآية 6/ النازعات] ، وقال تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ [الآية 14/ المزمل] .

[(2)]

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فصبوا على ماء»،

فيه أنه ينبغي أن يصب على الفرع الماء ليسكن فرعه. والله تعالى أعلم.

[(3)] وأما تفسير قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، فقال العلماء: المدثر، والمتلفف، والمشمتم،

بمعنى واحد، ثم الجمهور على أن معناه المدثر بثيابه. وحكى الماوردي قولاً عن عكرمة أن معناه

المدثر بالنبوة وأعبائها.

وقوله تعالى: قُمْ فَأَنْذِرْ، معناه حذّر العذاب من لم يؤمن، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ أي عظمه ونزّهه عما لا يليق به، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ قيل معناه طهرها من النجاسة، وقيل قصرها، وقيل:

المراد بالثياب النفس، أي طهرها من الذنب وسائر النقائص. وَالرُّجُزَ بكسر الراء في قراءة الأكثرين، وقرأ حفص بضمها، وفسره في الكتاب الأوثان، وكذا قاله جماعات من المفسرين. والرّجز في اللغة العذاب، وسمي الشرك وعبادة الأوثان رجزا لأنه سبب العذاب، وقيل: المراد بالرجز في الآية الشرك، وقيل: الذنب وقيل: الظلم. والله أعلم. (مسلم بشرح النووي) : 2 / 565-567، كتاب الإيمان باب (73) حديث رقم (257) .

(31/3)

وفي لفظ له: فإذا جبريل جالس بين السماء والأرض [(1)] ، وفي لفظ البخاري [(2)] :
فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض.

وخرج الحاكم من حديث الحميدي، حدثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول سورة أنزلت: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ إِلَى مَا لَمْ يَعْلَمْ [(3)] .

ذكر الاختلاف في شق [(4)] صدر [(5)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، متى كان وأين وقع؟

اعلم أن شق صدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغسل قلبه وحشوه بالإيمان والحكمة،

[(1)]

في الحديث رقم (255) : «جالسا على كرسي بين السماء والأرض. وفي الحديث رقم (258) :
«فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض» . (المرجع السابق) .

[(2)] في الحديث رقم (4) - كتاب بدء الوحي: «جالس على كرسي بين السماء والأرض»
(فتح الباري) : 1 / 37.

[(3)] [(المستدرک) : 2 / 576، كتاب التفسير، باب (96) تفسير سورة اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، حديث رقم (1091 / 3953) ، وقال في آخره: (فإذا ابن عيينة لم يسمعه من الزهري) .

وحديث رقم (1092 / 3954) ، وقال في آخره: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) .

[(4)] الشَّق: الحرم الواسع في شيء، يقال: شَقَّه نصفين. قوله تعالى: **وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ [1]** / القمر] ، كان انشقاقه في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة، وقيل معناه: وضح الأمر. والشَّقَّة: القطعة المنشقة كالنصف. والشَّق- بالكسر- المشقَّة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن، وذلك كاستعارة الانكسار لها، قال تعالى: **لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ [الآية 6 / النحل]** .

والشَّقَّة: الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول إليها قال تعالى: **وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ [الآية 42 / التوبة]** ، والشَّقاق: المخالفة، قال تعالى: **وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا [الآية 35 / النساء]** ، وكونك في شقِّ غير شقِّ صاحبك، أو من شقِّ العصا بينك وبينه.

وقوله تعالى: **مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [الآية 13 / الأنفال]** ، أي صار في شقِّ غير شقِّ أوليائه، وفلان شقِّ نفسي، وشقيق نفسي، أي كأنه شقِّ مني لمشابهة بعضنا بعضا، (البصائر) :
330-331.

[(5)] الصدر: الجارحة، والجمع: صدور، ثم استعير لمقدم الشيء، مثل صدر القناة، وصدر

(32/3)

قال الله تعالى: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [(1)]** ، قال إبراهيم بن طهمان: سألت سعيدا عن قوله تعالى: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** قال: فحدثني عن قتادة عن أنس بن مالك أنه قد شق بطنه- يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من عند بطنه إلى صدره، فاستخرج قلبه فغسل في طست من ذهب ثم ملئ ماء إيمانا وحكمة ثم أعيد مكانه، قد روى من وجوه باختلاف الأماكن والأيام، فروى أن ذلك وقع وهو مسترضع في بني سعد كما تقدم ذكره عند ذكر حليلة في فصل أمهاته من الرضاعة، وقيل وقع ذلك في موضع آخر في زمان آخر، فروى أنه أعيد له شرح الصدر بعد أن تم له عشر سنين.

وقد أخرج في الصحيحين أنه شق صدره ليلة المعراج،

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب قال حدثني أبي عن أبيه عن جده أبي بن كعب أن أبا هريرة سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان حريا [(2)] أن يسأله عن الذي لا يسأله غيره- فقال: يا رسول الله! ما أول ما ابتدئت به من أمر

النبوة؟ فقال [(3)] : إذا سألتني إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج، إذا

[()] السهم. وسهم مصدر: غليظ الصدر، وأخذ الأمر بصدرة: بأوله. والأمر بصدورها، وهؤلاء صدرة القوم: مقدموهم. وصدّر فلان فتصدّر: قدّم فتقدّم، وصدرة: أصاب صدره، ومنه رجل مصدور: يشتكي صدره، فإذا عدّي «صدر» بعن اقتضى الانصراف، نحو صدرت الإبل عن الماء صدرا.

والمصدر يقال في مصدر صدر عن الماء، ولموضع الصدر، ولزمانه، وقد يقال في عرف النحاة للفظ الذي روعي فيه صدور الفعل الماضي والمستقبل عنه. وقال بعض العلماء: حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم، نحو قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ [36/ق] ، وحيثما ذكر الصدر، فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى: من الشهوة، والهوى والغضب، ونحوها.

وقوله تعالى: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [25/ طه] ، سؤال لإصلاح قواه، وكذا قوله: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ [14/ التوبة] ، إشارة إلى اشتفائهم، وقوله: فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [46/ الحج] ، أي العقول التي هي مندسة فيما بين سائر القوى. (المرجع السابق): 392، 393.

[(1)] أول سورة الشرح.

[(2)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «حريصا» .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «إذ» .

(33/3)

أنا برجلين فوق رأسي، يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، [قال] [(1)] : فأخذاني فلصقاني بحلاوة القفا، ثم شقا بطني، [وكان] [(2)] جبريل يختلف بالماء في طست من ذهب، وكان ميكائيل يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فإذا صدري [فيما أرى] [(3)] مفلوقا لا أجد له وجعا ثم قال: اشقق قلبه، فشق قلبي، فقال أخرج الحسد والغل [(4)] منه، فأخرج شبه العلقة فنبذ به [(5)] ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة قلبه [(6)] ، فأدخل شيئا كههيئة الفضة، ثم أخرج ذرورا كان معه فذرّ عليه ثم نفر إبهامي ثم قال: أغد، فرجعت بما لم أغد به من رحمتي على الصغير ورقتي على الكبير. قال: أبو نعيم: وهذا الحديث مما تفرد به معاذ ابن محمد [عن آبائه] [(7)] ، وتفرد بذكر

السن الذي شق فيه عن قلبه والذي رواه عبد الله بن جعفر عن حليلة السعدية وعبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عتبة ابن عبد، اتفقا على أنه كان مسترضعا في بني سعد، فأما رواية أبي ذر، فرواه الزهري عن أنس عنه، قال كاتبه: معاذ مما يروى عن أبيه وعن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، وأبي الزبير المكّي وجماعة، ويروى عنه معاوية بن صالح الحضرمي وعبد الله بن لهيعة، ومحمد بن عمر الواقدي وآخرون، ذكره ابن حبان في الثقات.

وفي أفراد مسلم من حديث شيبان بن فروخ قال: حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة ثم قال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى

[(1)] زيادة من (خ) .

[(2)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «فكان» .

[(3)] زيادة من المرجع السابق.

[(4)] في (المرجع السابق) : «الغل والحسد» .

[(5)] في (المرجع السابق) : «فنبذه» .

[(6)] في (المرجع السابق) : «في قلبه» .

[(7)] زيادة من (خ) .

(34/3)

مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه- يعني ظئره [(1)]- فقالوا: إن محمدا قد قتل! فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت [أرى] [(2)] أثر المخيط في صدره صَلَّى الله عليه وسلّم [(3)] .

قال البيهقي: وهو موافق لما هو معروف عند أهل المغازي- يعني وقوع ذلك- وهو مسترضع في بني سعد، وسيأتي في الإسراء

حديث مسلم [(4)] من طريق سليمان بن المغيرة قال: حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت،

وحديث البخاري من طريق سليمان بن شريك بن عبد الله عن أنس، وحديث البخاري

[(1)] الظنر: المرضع أو الأم من الرضاعة.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] الحديث الأول في (دلائل أبي نعيم) ، 1 / 219 - 220 ، رقم (166) رواه عبد الله بن

أحمد في زوائد (المسند) ، ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان .

والحديث الثاني في (المرجع السابق) 1 / 221 ، رقم (168) ، أخرجه مسلم في صحيحه بسنده

ومتنه في كتاب الإيمان باب الإساءة ، حديث رقم (261) ، والبيهقي في (الدلائل) 2 / 5 ، باب

ما جاء في شق صدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستخراج حظ الشيطان من قلبه سوى ما مضى

في باب ذكر رضاعه ، (مسند أحمد) : 3 / 617 ، حديث رقم (12097) .

[(4)]

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت» ،

معنى شرح شق ،

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم أنزلت» ،

هو بإسكان اللام وضم التاء ، هكذا ضبطناه ، وكذا هو في جميع الأصول والنسخ ، وكذا نقله

القاضي عياض رحمه الله عن جميع الروايات ، وفي معناه خفاء واختلاف ، قال القاضي:

قال الوقشي: هذا وهم من الرواة ، وصوابه: تركت ، فتصحف ، قال القاضي: فسألت عنه ابن

سراج فقال: أنزلت في اللغة بمعنى تركت صحيح ، وليس فيه تصحيف . قال القاضي: وظهر لي

أنه صحيح بالمعنى المعروف في أنزلت ، فهو ضد رفعت ، لأنه قال: انطلقوا بي إلى زمزم ثم أنزلت ،

أي ثم صرفت إلى موضعي الذي حملت منه ، قال: ولم أزل أبحث عنه حتى وقعت على الجلاء فيه

من رواية الحافظ أبي بكر البرقاني ، وأنه طرف حديث ، وتماه: «ثم أنزلت على طست من ذهب

مملوءة بحكمة وإيمان» هكذا بفتح اللام وإسكان التاء ، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين

للحميدي ، وحكى الحميدي هذه الزيادة المذكورة عن رواية البرقاني وزاد عليها ، وقال: أخرج

البرقاني بإسناد (مسلم) ، وأشار الحميدي إلى أن رواية (مسلم) ناقصة وأن تمامها ما زاده البرقاني ،

والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : 2 / 573 ، حديث رقم (260) ، كتاب الإيمان باب

(74) .

ومسلم عن طريق همام عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة [(1)] ، وفيها شق صدره ليلة الإسراء.

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث يونس عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج سقفي بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري حتى غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه. ولأبي داود الطيالسي من حديث عمار بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة ابن الزبير عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! كيف علمت أنك نبي؟ وبما علمت حتى استيقنت؟ قال: يا أبا ذر، أتاني آتيان وأنا ببطحاء مكة، فوقع أحدهما بالأرض [(2)] والآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما للآخر [(3)] : أهو هو [(4)] ؟ فقال: فزناه برجل، [فوزني برجل] [(5)] فرجحته، ثم قال [(6)] : زنه بعشرة، فوزني بعشرة فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزني بمائة فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزني بألف [(7)] فرجحتهم، ثم جعلوا يتساقطون [(8)] على [(9)] كفة الميزان، ثم قال أحدهما لصاحبه:

[(1)] حديث مالك بن صعصعة: ذكره (البخاري) في كتاب مناقب الأنصار، باب (42) ، حديث رقم (3887) . وذكره (مسلم في كتاب الإيمان، باب (74) ، حديث رقم (264) . ومالك ابن صعصعة هو مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري، من بني النجار، ليس له في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث، ولا يعرف من روى عنه إلا أنس بن مالك. (فتح الباري) : 258 / 7.

[(2)] في (دلائل أبي نعيم) : «وكان الآخر بين السماء والأرض» .

[(3)] في (دلائل أبي نعيم) : «فقال أحدهما لصاحبه» .

[(4)] في (دلائل أبي نعيم) : «أهو هو؟، قال: هو هو نعم» .

[(5)] ما بين الحاصرتين زيادة للبيان من المرجع السابق.

[(6)] في المرجع السابق: «قال فزناه بعشرة» .

[(7)] ما بين الحاصرتين زيادة للبيان من المرجع السابق.

[(8)] في المرجع السابق: «ثم جعلوا يتساقطون عليّ» .

[(9)] في المرجع السابق: «في كفة الميزان» .

شقّ بطنه، فشقّ بطني فأخرج قلبي، فأخرج منه مغمز الشيطان، وعلق الدم فطرحهما، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه [(1)] غسل الملاء، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولّيتا عني وكأني أعابن [الأمر] [(2)] معاينة [(3)] .

وفي رواية: لو وزنته بأمته لرجحهم، وقال: واغسل قلبه غسل الماء، ثم أتيت بسكينة وهرهرة [(4)] بيضاء فأدخلت قلبي.

ولأبي نعيم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتيت في أهلي فأتى بي إلى زمزم، فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم نزلت طست من ذهب قد ملئت إيماناً وحكمة، فحشى بها صدري، قال أنس:

فكأني انظر والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى الأثر في صدره [(5)] .

[(1)] في (خ) : «واغسل بطنه» .

[(2)] في (دلائل أبي نعيم) : «أعابن معاينة» ، وما بين الحاصرتين من (خ) .

[(3)] الحديث في (دلائل أبي نعيم) : 1/ 221، حديث رقم (167) .

[(4)] تقول: «سمعت له هرهرة أي صوتا عند الحلب» (لسان العرب) : 5/ 262 ولم أدر معناها في سياق هذه العبارة من الحديث.

[(5)] الحديث رقم (168) في (دلائل أبي نعيم) : 1/ 221، 222: حدثني عمر بن حمدان قال:

حدثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا هدية وشيبان قالوا: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق بطنه، فاستخرجه، ثم استخرج من قلبه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسل القلب في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه. قال أنس: فلقد رأيت أثر المخيط في صدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحادث شق الصدر ورد في كتب السيرة باتفاق، فهو في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) :

1/ 236، كتاب الإسراء، ذكر وصف الإسراء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيت المقدس، حديث رقم (48) ، قال محقق (الإحسان) نقلا عن الحافظ ابن حجر في (الفتح) : «وجميع ما ورد من شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصالحته القدرة، فلا يستحيل شيء من

ذلك. قال القرطبي في (المفهم) :

لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير، ثم ذكر نحو ما تقدم، ، وفي (المستدرک) : 2 / 673، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (4430/240) ، قال في التلخيص: على شرط مسلم، وفي (مسند أحمد) : 3 / 571، حديث رقم (11812) ، وفي (طبقات ابن سعد) : 1 / 112، وفي (البداية والنهاية) : 2 / 335 - 337،

(37/3)

وقد ذكر بعضهم أن الله تعالى خلق في قلوب البشر علقة قابلة لما يلقيه الشيطان فيها، فأزيلت هذه العلقة من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي فيه الشيطان شيئاً.

[()] وفي (سيرة ابن هشام) : 1 / 301.

وقد تكرر هذا الحادث مرتين بعد طفولته المبكرة، فكانت المرة الثانية لما كان النبي صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين، والمرة الثالثة لما جاوز صلى الله عليه وسلم الخمسين من عمره. وقصة شق الصدر هذه تشير إلى تعهد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن مزلق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، وهو حصانة للرسول الكريم التي أضفها الله عليه، فإن الله تعالى قد شاءت إرادته أولاً، أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين، أراد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل، للإنسان الكامل، الذي يسير نحو الكمال بطهارة القلب، وصفاء النفس. ولما شب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت مكة تعجّ بمختلف أنواع اللهو والفساد، والملاذ الشهوانية الدنسة، كانت حانات الخمر منتشرة، وبيوت الريبة عليها علامات تعرف بها، مع كثرة الماجنات والراقصات، وغير ذلك من أمور الجاهلية التي كانت تعج بها مكة في ذلك المجتمع الجاهلي، وتتوجه عبادة الأصنام والأوثان، والله تبارك وتعالى برأ رسوله صلى الله عليه وسلم، واختاره من أكرم معادن الإنسانية، ثم اختاره لحمل أكمل رسالات السماء إلى أمم الأرض، وتشهد الآثار على ما حباه ربه من العصمة، فمن ذلك ما سبق أن أوردناه بتمامه مع شرحه من قوله صلى الله عليه وسلم: «ما همت بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين، كلتاها عصمني الله تعالى فيها» ،

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ما حدثته به أم أيمن رضي الله عنها: «كانت بوانة صنما تحضره قريش لتعظمه.

.. إلخ» .

ولا يطمئن بعض الجاهلين، ومعهم المستشرقين، إلى حادثة شق الصدر، واستخراجه، ومعالجته، سواء التي حدثت للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو عند حليلة السعدية، أو ما ورد من شق الصدر، واستخراج القلب في معجزة الإسراء والمعراج. وابن حبان - منذ أكثر من ألف سنة - يناقش الموضوع، ويعتبره من معجزات النبوة، ويقول: «كان ذلك له فضيلة فضل بما على غيره، وإنه من معجزات النبوة، إذ البشر إذا شقّ عن موضع القلب منهم، ثم استخرج قلوبهم ماتوا»، فهذا فعلا كان في عصر ابن حبان، المتوفى سنة (354) هجرية، لا بل هو إلى عهد قريب جدا.

وتقدّم العلم، والطب، والجراحة، والتخدير، والعمليات الجراحية صارت تجرى في غرف معقمة، وبوسائل مختلفة، وتقنية ماهرة، فأمكن للجراحين اليوم من إجراء مختلف أنواع العمليات الجراحية، في كل موضع من مواضع الجسم، الهدف منها استئصال الداء وطرحه، حيث لم تعد تنفع الوسائل الطبية، حتى أمكن الآن استخراج القلب، وليس فقط معالجته، لا بل استبدال قلب سليم من إنسان مات حديثا، بالقلب التالف، أو حتى قلب صناعي، ثم تحاط طبقات الجسم وتعاد، فلا يموت المريض! وهذا أصبح في استطاعة الإنسان. أفما استطاعة الإنسان، لا يستطيعه الله الذي يقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ؟.

(38/3)

ذكر مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الصورة التي خلقه الله تعالى عليها

خرج الحافظ أبو نعيم من حديث أيوب بن فرقد عن الأعمش عن عبد الله ابن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن أنس رضي الله عنه قال: قال ورقة ابن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد! كيف يأتيك الوحي؟ يعني جبريل عليه السلام؟ فقال: يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر [(1)] .

وفي حديث سليمان: سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى قال زر: قال عبد الله: لقد رأى جبريل له ستمائة جناح.

وفي رواية زر عن عبد الله ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى [(2)] ، قال رأى جبريل له ستمائة جناح. وفي رواية: سأل زر بن حبيش عن قول الله عز وجل: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى [(3)] قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت جبريل عليه السلام له ستمائة جناح [

. [(4)]

[(1)] (المرجع السابق) : 1 / 222 حديث رقم (169) وقال في سنده «حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته، ومحمد بن نصير قالا: حدثنا سليمان بن داود، قال: حدثنا أيوب بن فرقد ... » .

[(2)] الآية: 11 / النجم.

[(3)] الآية: 9 / النجم.

[(4)] وردت أحاديث هذا الباب بسياقات مختلفة، في بعضها تقديم وتأخير، وفي بعضها زيادة ونقصان، وكلها صحيحة إن شاء الله تعالى، فمنها ما أخرجه (البخاري) في، باب فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى حَيْثُ الْوَتْرُ مِنَ الْقَوْسِ، حديث رقم (4856) : حدثنا أبو النعمان، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الشيباني قال: سمعت زراً «عن عبد الله فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحَ» .

هكذا أورده، والمراد بقوله: «عن عبد الله، وهو ابن مسعود أنه قال في تفسير هاتين الآيتين ما سأذكره، ثم استأنف قال: «حدثنا ابن مسعود» وليس المراد أن ابن مسعود حدث عبد الله كما هو ظاهر السياق، بل عبد الله هو ابن مسعود، وأخرجه في [الحديث الذي يليه] من وجه آخر عن الشيباني فقال: سألت زراً عن قوله فذكره. ولا إشكال في سياقه، وقد أخرجه أبو نعيم في (المستخرج) ، من طريق سليمان بن داود الهاشمي، عن عبد الواحد بن زياد، عن الشيباني

(39/3)

ولأبي يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد بن سلمة، حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت جبريل عند السدرة وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه تماويل الدر والياقوت، قال أبو نعيم: رواه عن عاصم مثله مرفوعاً زائدة وحسين بن واقد. ورواه شريك وغيره موقوفاً على عبد الله.

وقال أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل في خضر معلقاً به الدرّ، وزاد عاصم: وله ستمائة جناح [(1)] .

وخرج أبو نعيم من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني وآدم عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى [(2)] قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته عند السدرة له ستمائة جناح، جناح منها سد الأفق تتناثر من

أجنته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله [(3)] .

[()] قال: «سألت زر بن حبيش عن قول الله: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فقال: قال عبد الله، قال رسول الله» فذكره. (فتح الباري): 8 / 784، 785، كتاب التفسير، سورة (53).
[(1)] هذا الحديث أخرجه (البخاري) في كتاب التفسير، باب فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، الحديث رقم (4857): حدثنا طلق بن غنام، حدثنا زائدة عن الشيباني قال: «سألت زراً عن قوله تعالى:

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى قال: أخبرنا عبد الله أنه محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم رأى جبريل له ستمائة جناح.

قوله: «أنه محمد»، الضمير للعبد المذكور في قوله تعالى: إِلَى عَبْدِهِ ووقع عند أبي ذر «أن محمدا رأى جبريل» وهذا أوضح في المراد، والحاصل أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم هو جبريل، كما ذهبت إلى ذلك عائشة، والتقدير على رأيه فأوحى، أي جبريل، إلى عبده، أي عبد الله محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، لأنه يرى أنه الذي دنا فتدلى هو جبريل، وأنه هو الذي أوحى إلى محمد. وكلام أكثر المفسرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله، أوحى إلى عبده محمد، ومنهم من قال: إلى جبريل.

قوله: «له ستمائة جناح»: زاد عاصم عن زرّ في هذا الحديث «يتناثر من ريشه التهاويل من الدرّ والياقوت». أخرجه النسائي وابن مروديه، ولفظ النسائي: «يتناثر منها تهاويل الدر والياقوت». (المرجع السابق). ونحوه في كتاب بدء الخلق، باب (7) حديث رقم (3232). (المرجع

السابق): 6 / 385.

[(2)] الآية: 14 / النجم.

[(3)] أخرج البخاري نحوه في كتاب التفسير، باب لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، حديث رقم (4858): حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة، «عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى قال: رأى رفرفا أخضر قد

(40/3)

[()] سدّ الأفق» .

قوله: «رأى رفرفا أخضر قد سدّ الأفق»، هذا ظاهره يغيّر التفسير السابق أنه رأى جبريل،

ولكن يوضح المراد، أخرجه النسائي والحاكم، عن طريق عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: أبصر نبي الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على رفراف قد ملاً ما بين السماء والأرض» فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل، والصفة التي كان عليها. وقد وقع في رواية محمد بن فضيل عند الإسماعيلي، وفي رواية ابن عيينة عن النسائي، كلاهما عن الشيباني عن زر عن عبد الله، أنه رأى جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق، والمراد أن الذي سدّ الأفق الرفراف الذي فيه جبريل، فنسب جبريل إلى سد الأفق مجازاً. وفي رواية أحمد والترمذي، وصححها من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رأى جبريل في حلة من رفراف قد ملاً ما بين السماء والأرض، وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفراف وأنه حلة، ويؤيده قوله تعالى: مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقْرِيٍّ حِسَانٍ [الآية 76 / الرحمن] ، وأصل الرفراف ما كان من الديباج، رقيقاً حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله في الستر، وكل ما فضل من شيء فعطف وثني فهو رفراف. ويقال: رفراف الطائر بجناحه إذا بسطهما، وقال بعض الشراح: يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته فصارت تشبه الرفراف، كذا قال، والرواية التي أوردتها توضح المراد. (فتح الباري) : 8 / 786، 787.

ومن أحاديث الباب ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب (77) معنى قول الله عز وجل: وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى، وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء، حديث رقم 287 (177) : «حدثني زهير بن حرب، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبي، عن مسروق قال: كنت متكناً عند عائشة فقالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكناً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ، وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيتُه منهبطاً من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟ أو لم تسمع أن الله يقول: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيَاءً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ؟ قالت: ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ؟ قالت:

ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ. (مسلم بشرح النووي) : 3 / 10 - 12.

وأخرج ابن حبان في صحيحه، باب: ذكر رؤية المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل بأجنحته، حديث رقم (6427) أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن الشيباني، قال:

«سألت زُرَّ بن حبيش عن هذه الآية: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [18/ النجم] قال: قال عبد الله: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح». وقال في هامشه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والشيباني: هو أبو إسحاق سليمان بن أبي سليمان. (الإحسان): 14/ 336.

(41/3)

ومن طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى قال: رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في حلتي رفرف قد سد ما بين السماء والأرض [(1)] .

ومن حديث قيس بن وهب عن مرة عن عبد الله: وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً قال: رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل معلقا رجله بالسدر، عليهما الدر كأنه قطر المطر على البقل.

ومن حديث سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن علقمة عن عبد الله وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ، قال: جبريل في رفرف خضر قد سد الأفق [(2)] .

[(1)] ونحوه في (صحيح ابن حبان) في باب ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة العلم أنه مضاد للخبر الذي ذكرناه، حديث رقم (59) : أخبرنا محمد بن صالح بن ذريح بعكبرا، حدثنا مسروق ابن المرزبان، حدثنا ابن أبي زائدة، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد:

«عن ابن مسعود في قوله تعالى: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى قال: رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في حلة من ياقوت- وفي رواية غير المؤلف-: في حلة من رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض.

قال أبو حاتم: قد أمر الله تعالى جبريل ليلة الإسراء أن يعلم محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجب أن يعلمه كما قال:

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى يريد به جبريل ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى يريد به جبريل فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى يريد به جبريل فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ ما أَوْحَى

جبريل ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رأى يريد به ربه بقلبه في ذلك الموضع الشريف، ورأى جبريل في حلة من ياقوت قد ملأ ما بين السماء والأرض على ما في خبر ابن مسعود الذي ذكرناه. (الإحسان) :

1/ 255-257.

وأخرجه الإمام أحمد بنحوه فقال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، في قوله: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رأى قال: رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم جبريل في حلة من رفر، قد ملأ ما بين السماء والأرض. (مسند أحمد): 1/ 651، حديث رقم (3732).

[(2)] الحاكم في (المستدرک): 2/ 509، كتاب التفسير، تفسير سورة النجم، حديث رقم (3746/ 883): «أخبرنا أبو زكريا العنبري، حدثنا محمد بن عبد السلام، حدثنا إسحاق، أنبأنا يحيى ابن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله رضي الله عنه في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رأى، قال: رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم جبريل في حلة رفر قد ملأ ما بين السماء والأرض» وقال في آخره: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

و (الفردوس بمأثور الخطاب): 2/ 256، 257، حديث رقم (3192) عن ابن مسعود «رأيت جبريل واقفا على السدرة له ستمائة جناح تسد أجنحته ما بين المشرق والمغرب.

(42/3)

ومن حديث عثمان، حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: رأيت جبريل منهبطا قد ملأ ما بين السماء إلى الأرض عليه ثياب سندس معلق به الدر والياقوت [(1)] .

ومن حديث مسلمة بن أبي الأشعث عن أبي صالح عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لجبريل: وددت أن أراك في صورتك، قال: أتحب ذلك؟ قلت: نعم، قال: موعذك كذا وكذا من الليل في بقيع الغرقد،

فلقيه النبي صَلَّى الله عليه وسلّم لموعده، فنشر جناحا من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم من السماء شيئا، وأحب النبي صَلَّى الله عليه وسلّم عند ذلك [(2)] .

ولالإمام أحمد من حديث أبي بكر بن عياش عن إدريس بن وهب بن منبه عن أبيه وهب عن ابن

عباس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، فدعا ربه فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع فينتشر، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم صعق، فنعشه فمسح البزاق عن فمه [(3)] .

[(1)] (المسند) : 1 / 652، حديث رقم (3740) : حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا حجاج، حدثنا شريك عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم» ،
و1 / 680، حديث رقم (3905) : حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بحدلة، عن زر، عن ابن مسعود: «أنه قال في هذه الآية: وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت جبريل عند سدره المنتهى، عليه ستمائة جناح، ينشر من ريشه التهاويل، الدر والياقوت» .

[(2)] (الحياتك في الملائك للسيوطي) : 16 .

[(3)] (المسند) : 1 / 530، حديث رقم (2959) : حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن منبه، عن أبيه وهب بن منبه، عن ابن عباس قال:

«سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته؟ فقال: ادع ربك، قال: فدعا ربه، قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرق، قال: فجعل يرتفع وينتشر، قال: فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعق، فأتاه، فنعشه، ومسح البزاق عن شذقيه» .

(43/3)

ولابن حبان من حديث صفوان بن عمرو عن شريح بن عبد الله قال: لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، خرّ جبريل ساجدا حتى قضى الله إلى عبده ما قضى، ثم رفع رأسه فرأيته في خلقه الذي خلق عليه، منظوم بالزبرجد، واللؤلؤ والياقوت، فخيّل إليّ أنّ ماء عينيه قد سدّ الأفق، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صورة مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي، وكنت أحيانا لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغراب [(1)] .

قال أبو نعيم: والروايات تتسع في ترائي جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في صور

مختلفة، ووجه ذلك: أن يكون لجبريل ضروب من الصور، فكل مرة يتراءى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم يثبت الله قلب رسوله لرؤيته فيها بقوة يجدها الله له، وكل حالة إبقاء الله تعالى رسوله على جبلته، ولا يحدث له فيها قوة، يضعف صلى الله عليه وسلم عن رؤيته، فيصعق صلى الله عليه وسلم حتى ثبته الله تعالى.

[(1)] صفوان بن عمر بن هرم السكسكي له في صحيح ابن حبان أحد عشر حديثا لم أجد من بينها هذا الحديث. (الإحسان): 18 / 156 (فهرس الرواة).

(44/3)

ذكر كيفية إلقاء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن
الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف كان يأتيك
الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده
عليّ فينصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.
قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه
ليتفصد عرقا.

وخرجه النسائي أيضا، وخرجه البخاري ومسلم من حديث علي بن مسهر عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عائشة أن الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك
الوحي؟ قال: كل ذلك، يأتيني أحيانا مثل صلصلة الجرس فينصم عني وقد وعيت ما قال وهو
أشده عليّ، ويتمثل لي الملك أحيانا رجلا فيكلمني فأعي ما يقول. ذكره البخاري في كتاب بدء
الخلق، وخرجه النسائي عن سفيان عن هشام وقال فيه: وأحيانا يأتيني في مثل صورة الفتى فينبذه
إليّ [(1)] .

وخرجه مسلم من حديث أبي أسامة ومحمد بن بشر عن هشام ولفظه: أن الحرث بن هشام سأل
النبي صلى الله عليه وسلم: كيف كان يأتيك [(2)] الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة
الجرس وهو أشد عليّ، ثم يفصم عني وقد وعيته، وأحيانا ملك في مثل صورة الرجال، فأعي ما
يقول.

[(1)] في (خ) «فينبذه مسلم إليّ» وما أثبتناه من (سنن النسائي) ج 2 ص 147.

[(2)] قوله: «كيف يأتيك الوحي» ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحي نفسه لا عن كيفية الملك الحامل له، ويدل عليه أول الجواب، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل، فيقال:

يلزم من كون الملك في صورة الإنسان كون الوحي في صورة مفهوم متبين أول الوهلة، فالنظر إلى هذا اللازم صار بيانا لكيفية الوحي، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس، ويحتمل أن المراد السؤال عن كيفية الحامل، أي كيف يأتيك حامل الوحي. وقوله: «في مثل صلصلة الجرس» يأتي في صوت متدارك لا يدرك في أول الوهلة كصوت الجرس، أي يجيء في صورة وهينة لها مثل هذا الصوت،

(45/3)

ومسلم من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان لينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقا. وله من حديث قتادة عن الحسن بن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه كرب لذلك وتريد وجهه، وفي لفظ: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أتلى [(1)] عنه رفع رأسه.

وفي رواية لغير مسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض عينيه وتريد وجهه، فنزل عليه فأمسكنا عنه، فلما سرى عنه قال: خذوهن اقتلوهن [(2)] .

ولعبد الرزاق من حديث يونس بن يزيد الأشهلي عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد الله القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي نسمع عنه دويا كدوي النحل.

[()] فنبه بالصوت غير المعهود على أنه يجيء في هيئة غير معهودة، فلذا قابله بقوله: «في مثل صورة الفتى»، وعلى الوجهين فصلصلة الجرس مثال لصوت الوحي، والصلصلة - بصادين مهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة - صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، والجرس - بفتحتين - الجللج الذي يعلق في رؤوس الدواب، وجه الشبه هو أنه صوت متدارك لا يدرك في أول الوهلة. وقوله:

«فيفصم» يضرب أي فيقطع عني حامل الوحي الوحي، قوله: «وقد وعيت عنه» أي حفظت

عنه، أي أجده في قلبي مكشوفاً متبيناً بلا التباس ولا إشكال، فوله: «فينبذه» - كيضرب - أي يلقيه إليّ في صوت إنسان. والله تعالى أعلم (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي) ج 2 ص 146، 147.

[(1)] قوله: «أتلى عنه» هكذا هو في معظم نسخ بلادنا، أتلى بهمزة ومثناة فوق ساكنة ولام وياء، ومعناه:

ارتفع الوحي، هكذا فسره صاحب (التحرير) وغيره، ووقع في بعض النسخ: «أجلى» بالجيم، وفي رواية ابن ماهان «انجلي»، ومعناها: أزيل عنه وزال عنه، وفي رواية (البخاري): «انجلي»، والله أعلم. (مسلم بشرح النووي) ج 15 ص 89.

[(2)] في حدّ الزنا.

(46/3)

وخرجه الترمذي من حديث عبد الرزاق بهذا السند ولفظه: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يَسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيَّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ [(1)] ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَّثْنَا سَاعَةً فَسَرَى عَنْهُ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقِصْنَا، وَأَكْرَمْنَا وَلَا تَهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثَرْنَا وَلَا تَوَثِّرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا، ثُمَّ قَالَ: أَنْزَلَ عَلَيَّ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَقَامِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَرَأَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [(2)] حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ مَنْصُورٍ يَقُولُ: رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الرَّزَاقِ عَنْ يُونُسَ بْنِ سَلِيمَانَ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ نَحْوَهُ، وَمَنْ سَمِعَ مِنْ عَبْدِ الرَّزَاقِ فَرِمَا قَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا تَذَكُرُونَ فِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَذْكُرُ فِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، وَمَنْ ذَكَرَ فِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ فَهُوَ أَصْحَحُ، وَكَذَا عَبْدُ الرَّزَاقِ رُبَّمَا ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ، وَرُبَّمَا لَمْ يَذْكُرْهُ وَهُوَ عِنْدَنَا أَصْحَحُ.

وخرجه أيضا عنه ابن حميد، وخرجه الحاكم وقال: الإسناد صحيح.

وفي حديث قصة الإفك قالت عائشة: فو الله ما رام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبِرْحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلَ الْجِمَانِ مِنَ الْعَرَقِ وَهُوَ فِي يَوْمِ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سَرَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَى عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ [(3)] .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص، حدثني عائشة رضي الله عنها قالت: شخص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصره إلى السقف،

وكان إذا نزل عليه وجد ثقلاً، قال الله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [(4)] .

[(1)] في (خ) : «سمع عليه وجهه كدوي النحل» ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) ج 1 ص

34.

[(2)] من أول سورة المؤمنون.

[(3)] [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي] عند تفسيره لسورة النور.

[(4)] سورة المزمل الآية/ 5.

(47/3)

وللإمام أحمد من حديث صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد قال: سمعت زيد بن ثابت يقول: كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك وتحدر جبينه عرفاً كأنه الجمان، وإن كان في البرد.

وله من حديث معمر عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اكتب لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ...

وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [(1)] ، فجاء ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد،

ولكن بي من الزمانة [(2)] ما ترى، قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم قال: اكتب لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي

الضَّرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [(3)] .

ولأبي نعيم من حديث ابن لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو ابن الوليد عن عبد

الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تحس بالوحي؟ قال:

نعم أسمع صلاصلا ثم أسبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض منه.

ولأبي نعيم من حديث عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم بن كليب قال:

حدثني أبي عن خالد الفلتان بن عاصم قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه،

وكان إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل.

وله من حديث أبي عون عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي صدع فغلف رأسه بالحناء.

وله لأحمد بن حنبل من حديث سفيان بن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت:

كنت آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت المائة، فكاد

[(1)] سورة النساء الآية/ 95 .

[(2)] الزّمانة: العاهة (ترتيب القاموس) ج 2 ص 477 .

[(3)] أخرجه أيضا: أبو نعيم في (دلائل النبوة) ج 1 ص 73 .

(48/3)

أن ينكسر عضدها من ثقل المائدة [(1)] .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة، حدثنا حبي عن عبد الله أن أبا عبد الرحمن الجبليّ حدثه قال: سمعت عبد الله بن عمرو [(2)] يقول: أنزلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها [(3)] .

وللبخاريّ ومسلم من حديث همام قال: حدثنا عطاء بن أبي رباح قال:

حدثني صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه أن رجلا أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو بالجرعانة [(4)] وعليه جبة وعليه أثر الخلق [(5)] - أو قال: أثر صفرة- فقال: كيف تأمرني أن أصنع

في عمري؟ قال: فأنزل الله على النبي الوحي [صلوات الله وسلامه عليهما] [(6)] فستر

بثوب، [وكان يعلى يقول] [(7)] : وددت أن أرى النبي صلّى الله عليه وسلّم وقد أنزل [

(8)] الله عليه الوحي، فقال عمر رضي الله عنه: أيسرك أن ترى النبي صلّى الله عليه وسلّم

[(1)] قال الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقيّ في

تقدمته لسورة المائدة:

«قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيبان، عن ليث، عن شهر بن حوشب،

عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لآخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إذ

نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة» .

«وروى ابن مردويه، من حديث صباح بن سهل، عن عاصم الأحول قال: حدثتني أم عمرو عن

عمها، أنه كان في مسير مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فنزلت عليه سورة

المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها» .

«وقال أحمد أيضا: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حبيّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن

الجبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: أنزلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سورة

المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها. تفرد به أحمد» . (تفسير

القرآن العظيم لابن كثير) : 2 / 3.

- [(2)] في (خ) : «عمر» ، والتصويب من المرجع السابق والمرجع التالي.
- [(3)] [مسند أحمد] : 2 / 368 ، مسند عبد الله بن عمرو ، حديث رقم (6605) .
- [(4)] الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، والعراقيون يشددون راءها ويكسرون عينها، أما الحجازيون، فإنهم يسكنون عينها ويخففون راءها. (معجم ما استعجم) 2 / 384.
- [(5)] الخلق: بفتح الخاء المعجمة، نوع من الطيب مركب فيه زعفران.
- [(6)] زيادة في (خ) .
- [(7)] [كذا في (دلائل أبي نعيم) : 1 / 225 ، حديث رقم (176) .
- [(8)] [في (المرجع السابق) : «وقد نزل» .

(49/3)

وقد أنزل [(1)] عليه الله الوحي؟ قلت: نعم، فرفع عمر طرف الثوب، فنظرت إليه له [(2)] غطيط، قال: وأحسب [(3)] قال: كغطيط البكر، قال: فلما سرى عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ اخلع الجبة واغسل [(4)] أثر الخلق وأنق [(5)] الصفرة، واصنع في عمرتك كما [(6)] تصنع في حجك [(7)] وقال مسلم: اغسل عنك أثر الصفرة أو قال: أثر الخلق، واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك [(8)] . وخرجاه من طرق مطولا ومختصرا [(9)] .

[(1)] في (المرجع السابق) : «وقد نزل» .

[(2)] في (المرجع السابق) : «وله» .

[(3)] في (المرجع السابق) : «قال همام: أحسبه» .

[(4)] في (المرجع السابق) : «واغسل عنك» .

[(5)] في (المرجع السابق) : «أو الصفرة» .

[(6)] في (المرجع السابق) : «ما صنعت» .

[(7)]

الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب العمرة، باب (10) ما يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج، حديث رقم (1789) ، ورواه بسياقة أخرى في كتاب الحج، باب (17) غسل الخلق ثلاث

مرات من الثياب، حديث رقم (1536) : قال أبو عاصم: أخبرنا ابن جريح، أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى أخبره «أن يعلى قال لعمر رضي الله عنه: أرني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يوحى إليه. قال فبينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجعراثة- ومعه نفر من أصحابه- جاءه رجل فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب؟ فسكت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى، فجاء يعلى- وعلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثوب قد أظلم به- فأدخل رأسه، فإذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمّر الوجه وهو يغط، ثم سرى عنه فقال: أين الذي سألت عن العمرة؟ فأتي برجل فقال: اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجّتك». . قلت لعطاء: أراد الإنقاء حسن أمره أن يغسل ثلاث مرات؟ قال: نعم» .

قوله: «يغطّ» - بفتح أوله وكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة- أي ينفخ، والغطيط: صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي، وكان سبب إدخال يعلى رأسه عليه في تلك الحال، أنه كان يجب لو رآه في حالة نزول الوحي. (فتح الباري) : 3 / 503. [(8)] (صحيح مسلم) : كتاب الحج، باب (1) ، ما يباح للمحرم بحج أو عمرة، وما لا يباح، وبيان تحريم الطيب عليه، حديث رقم (6) - (1180) .

[(9)] [فمما أخرجه (البخاري) : كتاب جزاء الصيد، باب (19) ، إذا أحرم جاهلا وعليه قميص، حديث رقم (1847) ، وفي كتاب فضائل القرآن، باب (2) ، نزل القرآن بلسان قريش والعرب، قُرْآنًا عَرَبِيًّا بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، حديث رقم (4985) ، وفي كتاب المغازي، باب (57) ، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان- قال موسى بن عقبة- حديث رقم (4329) . ومما أخرجه (مسلم) : كتاب الحج، باب (1) ، ما يباح للمحرم بحج أو عمرة، وما لا يباح، وبيان تحريم الطيب عليه، حديث رقم (6) - (1180) ، (7) ، (8) ، (9) ، (10) ، وقال فيه: «حَمَرَهُ عَمْرٌ بِالْثَوْبِ» ، أي غطّاه، وأما إدخال يعلى رأسه، ورؤيته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك الحال، وإذن عمر له في ذلك، فكله محمول على أنهم علموا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يكره الاطلاع عليه في ذلك الوقت وتلك الحال، لأن فيه تقوية الإيمان بمشاهدة حالة الوحي الكريم، والله تعالى أعلم.

(50/3)

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال: قال زيد ابن ثابت: إني قاعد إلى جنب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أوحى إليه، قال: وغشيتة السكينة [و] [(1)]

وقع فخذة على فخذتي حين غشيتة السكينة، [قال زيد] [(1)] :
فلا والله ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم سرى عنه فقال:
أكتب يا زيد [(2)] .

وروى الحسين بن إسماعيل المحاملي من حديث أبي الزباد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت
قال: كان إذا أنزل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السورة الشديدة أخذه من الشدة
والكرب على قدر شدة السورة، وإذا أنزل عليه السورة اللينة أخذ [(3)] به من ذلك على
قدر لينها.

ولابن سعد من حديث صالح بن محمد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أروى الدوسي قال:
رأيت الوحي ينزل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنه على راحلته فترغو وتقبل يديها حتى
أظن أن ذراعها تنفصم فرما بركت وربما قامت مؤتدة يديها حتى يسرى عنه مثل الوحي، وإنه
ليتحدر مثل الجمان [(4)] .

وخرج الحاكم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوحى إليه لم يستطع أحد
منا يرفع طرف إليه حتى ينقضي الوحي. قال هذا حديث صحيح

[(1)] زيادة من (مسند أحمد) .

[(2)]

(مسند أحمد) : 245 / 6 ، حديث رقم (21156) ، وتام لفظه: «فأخذت كتفا، فقال:
أكتب لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَالْمُجَاهِدُونَ الْآيَةَ كُلِّهَا إِلَى قَوْلِهِ: أَجْرًا عَظِيمًا،
فكتبت ذلك في كتف، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم - وكان رجلاً أعمى - فقام حين سمع فضيلة
المجاهدين، قال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى وأشبه ذلك؟ قال
زيد:

فو الله ما مضى كلامه، أو ما هو إلا أن قضى كلامه، غشيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
السكينة فوقع فخذة على فخذتي، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم سرى عنه.
فقال: اقرأ، فقرأت عليه:

لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَالْمُجَاهِدُونَ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَيْرُ أُولِي
الصَّرْرِ.

قال زيد: فألحقتها، فوالله لكأني انظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف» .

[(3)] في (خ) : «أخذاً» .

[(4)] (طبقات ابن سعد) : 1 / 197 ، باب ذكر شدة نزول الوحي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(51/3)

على شرط مسلم [(1)] . [ولم يخرجاه] [(2)] .
وله من حديث معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائها فلم تستطع أن تتحرك، وتلت قول الله عز وجل: إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَقْبَلْنَا قَوْلًا ثَقِيلًا قَالَ: هذا حديث صحيح الإسناد [(3)] ، [ولم يخرجاه] [(2)] والله الموفق بمنه وكرمه وحسن توفيقه.

[(1)] (المستدرک) : 2 / 242 ، حديث رقم (2880 / 9) .

[(2)] [زيادة من المرجع السابق .

[(3)] (المستدرک) : 2 / 548 ، حديث رقم (3865 / 1002) .

(52/3)

ذكر تعليم جبريل عليه السلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوضوء والصلاة قال أبو عمر بن عبد الله: ومعلوم أن الجنابة لم يفترض الغسل منها قبل الوضوء، كما أنه معلوم عند جميع أهل السير أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افترضت عليه الصلاة بمكة والغسل من الجنابة، وأنه لم يصل قط بمكة إلا بوضوء مثل وضوئه بالمدينة ومثل وضوئنا اليوم، وهذا لا يجمله عالم ولا يدفعه إلا معاند.

وخرج الإمام أحمد من حديث [ابن] لهيعة عن عقيل عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جبريل أتاه أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة ماء فنضح بها فرجة [(1)] .

وروى الواقدي من حديث معمر عن الزهري وقتادة والكلبي قالوا: علم جبريل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوضوء والصلاة، واقراه أقرأ باسم ربك الذي خلق [(2)] ، فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله عز وجل به، وعلمها الوضوء فصلت معه، وكانت أول خلق صلى معه [(3)] .

ومن حديث أبي معشر عن محمد بن قيس قال: فحص جبريل بعقبه الأرض فنبع ماء، فعلم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء، فمضمض ثم استنشق وغسل وجهه وذراعيه، ومسح رأسه وغسل رجله، ثم نضح تحت إزاره ثم صلى ركعتين، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا فجاء إلى خديجة رضي الله عنها فحدثها وأراها ما أراه جبريل، ثم صلت معه ركعتين [(3)] .

وقال الواقدي: وكان علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهما يلزمان

[(1)] (مسند أحمد) : 5 / 165-166 ، حديث رقم (17026) .

[(2)] أول سورة العلق .

[(3)] سبق الإشارة إليهم في سياق الغزوات .

(53/3)

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى - وكانت تلك صلاة لا تنكرها قريش - وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد عليّ أو زيد يرصدانه [(1)] .

وروى عن سلمة بن [(2)] عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك عن بنت أبي بجرة قالت: كانت قريش لا تنكر صلاة الضحى إنما تنكر غيرها، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فيصلون فرادى ومثنى، قال الواقدي: كانوا يصلون الضحى والعصر، ثم نزلت الصلوات الخمس قبل الهجرة، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم نزل تمامها بالمدينة للمقيم، وبقيت صلاة المسافر ركعتين.

وقال مقاتل بن سليمان: فرض الله تعالى على المسلم في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغدوة وركعتين بالضحى، ثم فرض الخمس في ليلة المعراج، وقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عند زوال الشمس في أول النبوة، ولما نزلت سورة المزمل بمكة كان قيام الليل فرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين، فشق ذلك عليه وعليهم، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ [(3)] . وقال عطاء بن السائب ومقاتل بن سليمان: نزل قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ [(3)] بالمدينة، والأول أصح، وقيل: نسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ [(4)] ، ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس، وقيل: نسخ

عن الأمة وبقي فرضه عليه، وقيل:
إنما كان مفروضا عليه دونهم، وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان بين نزول أول المزمّل وآخرها
سنة.

[(1)] سبق الإشارة إليهم في سياق الغزوات.

[(2)] ما بين القوسين في (خ) كلمة غير واضحة، لم أجد لها توجيهها فيمن اسمه «سلمة»،
فيما بين يدي من كتب الرجال.

[(3)] سورة المزمّل، آية/ 20.

[(4)] سورة الإسراء، آية/ 79.

(54/3)

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السّير أن الصلاة إنما
فرضت على النبي صلّى الله عليه وسلّم بمكة في حين الإسراء حين عرج به إلى السماء، ولكنهم
اختلفوا في هيتها حين فرضت، فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها فرضت ركعتين ركعتين، ثم
زيدت في صلاة الحضر، فأكملت أربعاً، وأقرت صلاة السفر على ركعتين، وبذلك قال الشعبي
وميمون بن مهران ومحمد بن إسحاق.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها فرضت أربعاً وفي السفر ركعتين، وقال نافع بن جبير: أنها
فرضت في أول ما فرضت أربعاً إلا المغرب، فإنّها فرضت ثلاثاً، والصحيح ركعتين، وكذلك قال
الحسن البصري وهو قول ابن جريج.

وقد روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم من حديث القشيري وغيره ما يوافق ذلك، ولم يختلفوا
في أن جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الزوال عند الإسراء، فعلم النبي صلّى الله عليه وسلّم
الصلاة ومواقيتها وهيتها.

وقال إسحاق الحربي: أول ما فرضت الصلاة بمكة، ركعتان في أول النهار وركعتان في آخره،
وذكر حديث عائشة قالت: فرض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصلاة ركعتين ركعتين ثم
زاد فيها في الحضر، هكذا حدث ابن الحربي عن أحمد بن الحجاج عن ابن المبارك عن ابن
عجلان عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت:

فرض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصلاة ركعتين ركعتين. الحديث، وليس في حديث
عائشة هذا دليل على صحة ما ذهب إليه من قال: أن الصلاة فرضت ركعتين في أول النهار

وركعتين في آخره، وليس يوجد هذا في أثر صحيح، بل في حديث عائشة دليل على أن الصلاة التي فرضت ركعتين ركعتين في الصلوات الخمس ثم زيد في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر، لأن الإشارة بالألف واللام إلى الصلاة في حديث عائشة هذا هي إشارة إلى الصلاة المعهودة، وهذا هو الظاهر المعروف في الكلام، وقد أجمع العلماء أن الصلوات الخمس إنما فرضت في الإسراء، والظاهر من حديث عائشة أنها أرادت تلك الصلاة، والله أعلم.

(55/3)

وأورد من طريق النسائي حديث الوليد بن مسلم قال: أخبرني أبو عمر يعني الأوزاعي أنه سأل الزهري عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة إلى المدينة فقال: أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما فرضها ركعتين ركعتين ثم أتمت في الحضر أربعاً، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى [(1)] ، فهذا ومثله يدل على أنها الصلاة المعهودة، وهي الخمس المفترضة في الإسراء به لا صلاتان، ومن ادعى غير ذلك كان عليه الدليل من كتاب أو سنة، ولا سبيل له إليه.

وقال جماعة من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عليه صلاة مفروضة قبل الإسراء إلا ما كان أمر به من صلاة الليل على نحو قيام الليل من رمضان من غير توقيت ولا تحديد، لا بركعات معلومات ولا بوقت محصورة، وكان صلى الله عليه وسلم يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، وقامه المسلمون معه نحواً من حول حتى شق عليهم ذلك فأنزل الله التوبة عنهم والتخفيف في ذلك، ونسخه بقوله تعالى: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ [(2)] ، فنسخ آخر السورة أولها، فضلاً منه ورحمة، فلم تبق في الصلاة فريضة إلا الخمس، ألا ترى إلى

حديث طلحة بن عبيد الله في الأعرابي النجدي إذا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما عليه من الصلاة فقال: الصلوات الخمس، فقال: هل على غيرها؟ فقال: لا.
ذكر وكيع عن مسعر عن سماك الحنفي قال: سمعت ابن عباس يقول: لما نزلت يا أَيُّهَا الْمُرْتَلِّ كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل [(3)] آخرها، وكان بين أولها وآخرها حول.

وعن عائشة مثله بمعناه وقالت: فجعل قيام الليل تطوعاً بعد فريضة. وعن الحسن مثله قال: فنزلت الرخصة بعد حول.

قال كاتبه: حديث عائشة خرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث مالك عن

صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت:

[(1)] (صحيح سنن النسائي): 1 / 99، حديث رقم (44) .

[(2)] سورة المزمل، آية / 20.

[(3)] في (خ) : «نزلت» .

(56/3)

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر .
وقال البخاري: فرض الله الصلاة حين فرضها ... الحديث مثله، ذكره في كتاب الصلاة، وخرجه
البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: الصلاة
أول ما فرضت ركعتان، فأقرت في صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر ... الحديث، ذكره البخاري
في أبواب تقصير الصلاة [(1)] .

وخرجه مسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير أن
عائشة رضي الله عنها قالت: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر فأقرت
صلاة السفر على الفريضة الأولى [(2)] .

[(1)] (فتح الباري): 2 / 724، حديث رقم (1090) .

[(2)] (صحيح مسلم بشرح النووي): 5 / 201، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث
رقم (2) من أحاديث الباب.

اختلف العلماء في القصر في السفر، فقال الشافعي ومالك بن أنس، وأكثر العلماء: يجوز القصر
والإتمام، والقصر أفضل، ولنا قول: أن الإتمام أفضل، ووجه أنهما سواء، والصحيح المشهور أن
القصر أفضل.

وقال أبو حنيفة وكثيرون: القصر واجب ولا يجوز الإتمام، ويحتجون بهذا الحديث، وبأن أكثر فعل
النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كان القصر .

واحتج الشافعي وموافقه بالأحاديث المشهورة في صحيح مسلم وغيره، أن الصحابة رضي الله
عنهم كانوا يسافرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم القاصر، ومنهم المتمم، ومنهم
الصائم، ومنهم المفطر، لا يعيب بعضهم على بعض، وبأن عثمان كان يتم، وكذلك عائشة
وغيرها، وهو ظاهر قول الله عز وجل: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ، وهذا يقتضي

رفع الجناح والإباحة.

وأما حديث: فرضت الصلاة ركعتين، فمعناه فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما، فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحميم، وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار، وثبتت دلائل جواز الإتمام، فوجب المصير إليها، والجمع بين دلائل الشرع. (المرجع السابق) : 201-202.

ورواية البخاري: عائشة رضي الله عنها: «فرض الله الصلاة- حين فرضها- ركعتين، ثم أتمها في الحضر، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى»، وفي رواية، قالت: «فرض الله الصلاة- حين فرضها- ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر». وفي أخرى، قالت: «فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى. قال الزهري: قلت لعروة: ما بال عائشة تتم؟

(57/3)

وخرجه البخاري من حديث يزيد بن ذريع، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الأولى، تابعه عبد الرزاق عن معمر، ذكره البخاري في كتاب الهجرة [(1)] ، وأما حديث ابن عباس فخرجه النسائي [(2)] من حديث أبي عوانة عن بكير الأحنس عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

فرضت الصلاة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة، قال ابن عبد البر: انفرد به بكير بن الأحنس وليس بحجة فيما انفرد به. وخرج ابن أبي شيبة من حديث عبيدة بن حميد عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا المغرب.

قال ابن عبد البر: قول الشعبي هذا أصله حديث عائشة رضي الله عنها، وقد يمكن أن يأخذه عن الأسود عن مسروق عن عائشة، فأكثر ما عنده عن عائشة هو عنهما.

[()] قال: تأولت كما تأول عثمان» .

أخرجه البخاري ومسلم. وأخرج الرواية الثانية الموطأ وأبو داود، وأخرج الثانية والثالثة النسائي رواه البخاري في الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، وفي تقصير الصلاة، باب يقصر

إذا خرج من موضعه، وفي فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه، ومسلم في صلاة المسافرين باب صلاة المسافرين وقصرها، والموطأ في قصر الصلاة في السفر، وأبو داود في الصلاة، باب صلاة المسافر، والنسائي في الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة- ر: (جامع الأصول في أحاديث الرسول) : 5/ 184-185، حديث رقم (3249).

[(1)] [فتح الباري] : 7/ 341، كتاب مناقب الأنصار، باب التاريخ، من أين أرخوا التاريخ، حديث رقم (3935) ، وقال فيه: «فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي» ، أي بمكة، وقوله: «تركت» أي على ما كانت عليه من عدم وجوب الزائد، بخلاف صلاة الحضر، فإنها زبدت في ثلاث منها ركعتان، فالمعنى: أقرت صلاة السفر على جواز الإتمام، وإن كان الأحب القصر.

[(2)] [صحيح سنن النسائي] : 1/ 99، حديث رقم (442) ، وقال عنه: «صحيح» ، و [صحيح سنن ابن ماجه] : 1/ 176، حديث رقم (1068) ، [صحيح أبي داود] : 1/ 227، حديث رقم (1089) : عن أنس بن مالك، قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، فقلنا: هل أقمتم بها شيئاً؟ قال: أقمنا عشراً. ذكر في باب متى يتم المسافر.

(58/3)

وروى يونس بن بكير عن سالم بن أبي المهاجر قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: كان أول الصلاة مثنى ثم صَلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعاً فصارت سنة، وأقرت الركعتان للمسافر وهي تمام. قال ابن عبد البر: وهذا إسناد لا يحتج بمثله، وقوله: فصارت سنة قول نكر، وكذلك استثنى الشعبي المغرب وحدها، ولم يذكر الصبح قول لا معنى له، ومن قال بهذا من أهل السير قال: إن الصلاة أتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهر وأربعة أيام.

(59/3)

وأما إقامة جبريل عليه السلام أوقات الصلاة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه أمه فيها فخرج البخاري ومسلم من حديث مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أقر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبه أقر الصلاة يوماً وهو في [الكوفة] [(1)] فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة؟! أليس قد علمت أن جبريل

[()] ويؤيده سياق رواية الليث المتقدمة. وأما ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أسامة بن زيد الليثي، عن ابن شهاب في هذا الحديث، قال: «دعا المؤذن لصلاة العصر فأمسي عمر بن عبد العزيز قبل أن يصلها»، فمحمول على أنه قارب المساء لا أنه دخل فيه، وقد رجح عمر بن عبد العزيز عن ذلك، فروى الأوزاعي عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز - يعني في خلافته - كان يصلي الظهر في الساعة الثامنة والعصر في الساعة العاشرة حين تدخل.

قوله: «أن المغيرة بن شعبة أحر الصلاة يوما»، بين عبد الرزاق في روايته عن ابن جريج عن ابن شهاب أن الصلاة المذكورة العصر أيضا، ولفظه: «أمسى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر». قوله: «وهو بالعراق»، في الموطأ، رواية القعني وغيره عن مالك «وهو بالكوفة»، وكذا أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة عن القعني، والكوفة من جملة العراق، فالتعبير بما أخص من التعبير بالعراق، وكان المغيرة إذا ذاك أميرا عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان. قوله: «ما هذا؟ الأكثر في الاستعمال في مخاطبة الحاضر: «ألست»، وفي مخاطبة الغائب: «أليس».

قوله: «قد علمت»، قال عياض: يدل ظاهره على علم المغيرة بذلك، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل الظن من أبي مسعود لعلمه بصحبة المغيرة. قلت: ويؤيد الأول رواية شعيب عن ابن شهاب عند المصنف في غزوة بدر بلفظ «فقال لقد علمت» بغير أداة استفهام، ونحوه لعبد الرزاق عن معمر وابن جريج جميعا.

قوله: «إن جبريل نزل»، بين ابن إسحاق في المغازي، أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة، وهي ليلة الإسراء، قال ابن إسحاق: «حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير»، وقال عبد الرزاق: «عن ابن جريج قال: قال نافع بن جبير وغيره: لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس، ولذلك سميت «الأولى» أي صلاة الظهر، فأمر فصيح بأصحابه: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلّى به جبريل، وصلّى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس»، فذكر الحديث، وفيه ردّ على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة، والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل، وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: «نزل فصلّى، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، قال عياض: ظاهره أن صلاته كانت بعد فراغ صلاة جبريل، لكن المنصوص في غيره أن جبريل أمّ النبي صلى الله عليه وسلم، فيحمل قوله: «فصلّى» على أن جبريل كان كلما فعل جزءا من الصلاة تابعه النبي صلى الله عليه وسلم بفعله. وبهذا جزم النووي.

وقال غيره: الفاء بمعنى الواو، واعترض بأنه يلزم أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتقدم في بعض الأركان على جبريل، على ما يقتضيه مطلق الجمع، وأجيب بمراجعة الحثيثة وهي التبين، فكان لأجل ذلك يتراخى عنه، وقيل: الفاء للسببية كقوله تعالى: فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ. وفي رواية الليث عند المصنف وغيره: «نزل جبريل فأمني فصليت معه»، وفي رواية عبد الرزاق عن معمر: «نزل فصلّى، فصلّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلّى الناس معه»، وهذا يؤيد رواية نافع بن جبير المتقدمة، وإنما دعاهم إلى الصلاة بقوله: «الصلاة جامعة»، لأن الأذان لم يكن شرع حينئذ.

واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتى بغيره، ويجاب عنه بما يجاب به عن قصة

(61/3)

[()] أبي بكر في صلاته خلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلاة الناس خلفه، فإنه محمول على أنه كان مبلغاً فقط، كما سيأتي تقريره في أبواب الإمامة. واستدلوا به أيضا على جواز صلاة المفترض خلف المتنقل من جهة أن الملائكة ليسوا مكلفين بمثل ما كلف به الإنس، قاله ابن العربي وغيره. وأجاب عياض باحتمال أن لا تكون تلك الصلاة كانت واجبة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ، وتعقبه بما تقدم من أنها كانت صبيحة ليلة فرض الصلاة، وأجاب باحتمال أن الوجوب عليه كان معلقا بالبيان، فلن يتحقق الوجوب إلا بعد تلك الصلاة. قال: وأيضا لا نسلم أن جبريل كان متنقلا بل كانت تلك الصلاة - واجبة علي لأنه مكلف بتليغها، فهي صلاة مفترض بفرض خلف مفترض بفرض آخر. قوله: «بهذا أمرت»، بفتح المثناة على المشهور، والمعنى هذا الذي أمرت به أن تصليه كل يوم وليلة، وروي بالضم، أي هذا الذي أمرت بتليغه لك. قوله: «كذلك كان بشير»، هو بفتح الموحدة، بعدها معجمة بوزن فعيل، وهو تابعي جليل، ذكر في الصحابة لكونه ولد في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورآه. قال ابن عبد البر: هذا السياق منقطع عند جماعة من العلماء، لأن ابن شهاب لم يقل: حضرت مراجعة عروة لعمر، وعروة لم يقل: حدثني بشير، لكن الاعتبار عند الجمهور بثبوت اللقاء والمجالسة، لا بالصيغ. وقال الكرماني: اعلم أن الحديث بهذا الطريق ليس متصل الإسناد، إذ لم يقل أبو مسعود: «شاهدت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ولا قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قلت: هذا لا يسمى منقطعا اصطلاحا، وإنما هو مرسل صحابي لأنه لم يدرك القصة، فاحتمل أن يكون سمع ذلك من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بلغه عنه بتليغ من شاهده أو سمعه كصحابي آخر. على أن رواية الليث عند المصنف تزيل الإشكال كله، ولفظه: «فقال عروة: سمعت بشير بن أبي مسعود يقول: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول»، فذكر الحديث.

وكذا سياق ابن شهاب، وليس فيه التصريح بسماعه له من عروة، وابن شهاب قد جَرَّبَ عليه التدليس، لكن وقع في رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن شهاب قال: «كنا مع عمر بن عبد العزيز»، فذكره. وفي رواية شعيب عن الزهري: «سمعت عروة يحدث عمر بن عبد العزيز»، الحديث.

قال القرطبي: قول عروة إن جبريل نزل ليس فيه حجة واضحة على عمر بن عبد العزيز إذ لم يعين له الأوقات. قال: وغاية ما يتوهم عليه أن نبَّهه وذكره بما كان يعرفه من تفاصيل الأوقات. قال: وفيه بعد، لإنكار عمر على عروة حيث قال له: «اعلم ما تحدث يا عروة». قال: وظاهر هذا الإنكار أنه لم يكن عنده علم من إمامة جبريل. قال الحافظ ابن حجر: لا يلزم من كونه لم يكن عنده علم منها أن لا يكون عنده علم بتفاصيل الأوقات المذكورة من جهة العمل المستمر، لكن لم يكن يعرف أن أصله لم يكن بتبيين جبريل بالفعل، فلهذا استثبت فيه، وكأنه كان يرى أن لا مفاضلة بين أجزاء الوقت الواحد، وكذا يحمل عمل المغيرة وغيره من الصحابة، ولم أقف في شيء من الروايات على جواب المغيرة لأبي مسعود، والظاهر أنه رجع إليه والله أعلم ...

(62/3)

[()] وأما ما زاده عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري في هذه القصة قال: فلم يزل عمر يعلم الصلاة بعلامة حتى فارق الدنيا، رواه أبو الشيخ في كتاب (المواقيت) له من طريق الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال: «ما زال عمر بن عبد العزيز يتعلم مواقيت الصلاة حتى مات». ومن طريق إسماعيل ابن حكيم «أن عمر بن عبد العزيز جعل ساعات ينقضين مع غروب الشمس» زاد من طريق ابن إسحاق عن الزهري «فما آخرها حتى مات». فكله يدل على أن عمر لم يكن يحتاط في الأوقات كثير احتياط إلا بعد أن حدثه عروة بالحديث المذكور. وقد نبَّه الحافظ ابن حجر على أنه قد ورد في هذه القصة من وجه آخر عن الزهري بيان أبي مسعود للأوقات، وفي ذلك ما يرفع الإشكال، ويوضح توجيه احتجاج عروة به، فروى أبو داود

وغيره، وصححه ابن خزيمة وغيره من طريق ابن وهب، والطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب، كلاهما عن أسامة بن زيد، عن الزهري هذا الحديث بإسناده، وزاد في آخره: «قال أبو مسعود: فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي الظهر حين تزول الشمس» فذكر الحديث. وذكر أبو داود أن أسامة بن زيد تفرد بتفسير الأوقات فيه، وأن أصحاب الزهري لم يذكروا ذلك.

قال: وكذا رواه هشام بن عروة وحبيب بن أبي مرزوق عن عروة، لم يذكروا تفسيراً. ورواية هشام أخرجها سعيد بن منصور في سننه، ورواية حبيب أخرجها الحارث بن أبي أسامة في مسنده. وقد وجدت ما يعضد رواية أسامة ويزيد عليها، أن البيان من فعل جبريل، وذلك فيما رواه الباغندي في (مسند عمر بن عبد العزيز)، والبيهقي في (السنن الكبرى) من طريق يحيى ابن سعيد الأنصاري، عن أبي بكر بن حزم أنه بلغه عن أبي مسعود، فذكره منقطعاً. لكن رواه الطبراني من وجه آخر عن أبي بكر عن عروة، فرجع الحديث إلى عروة، ووضح أن له أصلاً، وأن في رواية مالك ومن تابعه اختصاراً، وبذلك جزم ابن عبد البر، وليس في رواية مالك ومن تابعه ما ينفي الزيادة المذكورة، فلا توصف والحالة هذه بالشذوذ. وفي هذا الحديث من الفوائد:

- [1] دخول العلماء على الأمراء.
- [2] إنكارهم عليهم ما يخالف السنة.
- [3] استنبات العالم فيما يستقر به السماع.
- [4] الرجوع عند التنازع إلى السنة.
- [5] فيه فضيلة عمر بن عبد العزيز.
- [6] فيه فضيلة المبادرة بالصلاة في الوقت الفاضل.
- [7] قبول خبر الواحد الثبت.
- [8] استدلال به ابن بطال وغيره على أن الحجة بالمتصل دون المنقطع، لأن عروة أجاب عن استفهام عمر له لما أن أرسل الحديث بذكر من حدّثه به فرجع إليه، فكأنما عمر قال له: تأمل ما تقول، فلعله بلغك عن غير ثبت. فكان عروة قال له: بل قد سمعته ممن قد سمع صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصاحب قد سمعه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- [9] واستدل به عياض على جواز الاحتجاج بمرسلة الثقة، كصنيع عروة حين احتج على عمر قال: وإنما راجعه عمر لتثبته فيه، لا لكونه لم يرض به مرسلاً. كذلك قال، وظاهر السياق يشهد لما قال ابن بطال. وقال ابن بطال أيضاً: ...

[()] [10] في هذا الحديث دليل على ضعف الحديث الوارد في أن جبريل أمّ بالنبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم في يومين لوقتین مختلفین لكل صلاة، قال: لأنه لو كان صحيحاً لم ينكر عروة على عمر صلّاته في آخر الوقت محتجاً بصلاة جبريل، مع أن جبريل قد صلّى في اليوم الثاني في آخر الوقت وقال: «الوقت ما بين هذين» .

وأجيب باحتمال أن تكون صلاة عمر كانت خرجت عن وقت الاختيار وهو مصير ظل الشيء مثليه، لا عن وقت الجواز وهو مغيب الشمس، فيتجه إنكار عروة، ولا يلزم منه ضعف الحديث. أو يكون عروة أنكر مخالفة ما واظب عليه النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، وهو الصلاة في أول الوقت، ورأى أن الصلاة بعد ذلك إنما هي لبیان الجواز، فلا يلزم منه ضعف الحديث أيضاً. وقد روى سعيد بن منصور من طريق طلق بن حبيب مرسلًا قال: «إن الرجل ليصلي الصلاة وما فاتته، ولما فاته من وقتها خير له من أهله وماله» . ورواه أيضا عن ابن عمر من قوله، ويؤيد ذلك احتجاج عروة بحديث عائشة في كونه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، وهي الصلاة التي وقع الإنكار بسببها، وبذلك تظهر مناسبة ذكره لحديث عائشة بعد حديث أبي مسعود، لأن حديث عائشة يشعر بمواظبته على صلاة العصر في أول الوقت، وحديث أبي مسعود يشعر بأن أصل بيان الأوقات كان بتعليم جبريل. (فتح الباري) : 2 / 3-8، كتاب مواقيت الصلاة، باب مواقيت الصلاة وفضلها، حديث رقم (521) ، وذكر البخاري نحوه منه في كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3221) : «أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، فقال عمر: اعلم ما تقول يا عروة، قال: سمعت بشير بن أبي مسعود يقول: سمعت أبا مسعود يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم يقول: نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات.

وذكره البخاري في كتاب المغازي (حديث رقم 4007) : «سمعت عروة بن الزبير يحدث عمر ابن عبد العزيز في إمارته: أخرج المغيرة بن شعبة العصر وهو أمير الكوفة، فدخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاريّ جد زيد بن حسن شهد بدرا فقال: لقد علمت نزل جبريل فصلى، فصلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم خمس صلوات ثم قال: هكذا أمرت، ذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه» .

ورواه مسلم في المساجد باب استحباب التبكير بالعصر، والموطأ 1 / 8-9 في وقت الصلاة،

وأبو داود في الصلاة، باب في وقت صلاة العصر، والنسائي في المواقيت، باب تعجيل العصر .
وأما قول عروة: «ولقد حدثني عائشة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي العصر
والشمس في حجرتها قبل أن تظهر» ، فهو الحديث الذي ذكره البخاري برقم (522) في كتاب
مواقيت الصلاة بعد الحديث السابق شرحه وتخريجه، وقد ذكر البخاري نحوه في باب وقت
العصر من كتاب مواقيت الصلاة، الأحاديث أرقام: (544) ، (545) ، (546) ، بسياقات
متقاربة مفادها أن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي صلاة
العصر والشمس طالعة في حجرتي، لم يظهر الفياء بعد» . قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن
أنس بن عياض - وهو أبو ضمرة الليثي - وأبا أسامة روى الحديث عن هشام - وهو ابن عروة بن
الزبير - عن أبيه عن عائشة، وزاد أبو أسامة التقييد بقعر الحجر، وهو أوضح في تعجيل العصر
من الرواية المطلقة، وقد وصل الإسماعيلي طريق أبي أسامة في مستخرجه، لكن بلفظ «والشمس
واقعة في حجرتي، وعرف بذلك أن الضمير في قوله:

(64/3)

وقال البخاري والنسائي [(1)] : آخر العصر شيئا، ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق في ذكر
الملائكة [(2)] ، وخرجه في كتاب المغازي من حديث شعيب عن الزهري: سمعت عروة بن
الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز في إمارته: أخر المغيرة ابن شعبة العصر وهو أمير الكوفة، فدخل
أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري جد زيد بن حسن - شهد بدرًا - فقال: لقد علمت نزل
جبريل فصلي، فصلي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس صلوات ثم قال هكذا أمرت، كذلك
كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه. ذكره في الباب الذي بعد باب شهود الملائكة بدرًا]
[(3)] .

وخرجه قاسم بن أصبغ من حديث سفيان قال: حدثنا الزهري قال: أخر عمر ابن عبد العزيز
يوما الصلاة فقال له عروة: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: نزل جبريل فأمني فصليت
معه، ثم نزل فأمني فصليت معه، ثم نزل فأمني فصليت معه، حتى عد الصلوات الخمس فقال له
عمر بن عبد العزيز: اتق الله يا عروة وانظر ما تقول:

فقال عروة: أخبرني بشير بن أبي مسعود عن أبيه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(4)] .
قال الحافظ أبو عمر بن عبد [البر] [(5)] : وظاهر مساقه في رواية مالك تدل على الانقطاع
لقوله: أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوما ودخل عليه عروة، ولم يذكر فيه سماعا لابن هشام
من شهاب من عروة، ولا سماعا لعروة من بشير بن أبي

- [()] «حجرتها» لعائشة، وفيه نوع التفات، وإسناد أبي ضمرة كلهم مدنيون، والمراد بالحجرة- وهي بضم المهملة وسكون الجيم- البيت، والمراد بالشمس ضوءها، وقوله في رواية الزهري: «والشمس في حجرتها»، أي باقية، وقوله: «لم يظهر الفيء»، أي في الموضوع الذي كانت الشمس فيه، ومن طريق مالك عن الزهري بلفظ: «والشمس في حجرتها قبل أن تظهر»، أي ترتفع، فهذا الظهور غير ذلك الظهور، ومحصله أن المراد بظهور الشمس خروجها من الحجرة، وبظهور الفيء انبساطه في الحجرة، وليس بين الروایتين اختلاف، لأن انبساط الفيء لا يكون إلا بعد خروج الشمس. (فتح الباري): 2 / 31-32، كتاب مواقيت الصلاة.
- [(1)] [صحيح سنن النسائي] : 1 / 108، كتاب المواقيت، باب إمامة جبريل عليه السلام، للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 480.
- [(2)] [فتح الباري] : 6 / 375-376، كتاب بدء الخلق، ذكر الملائكة، حديث رقم (3221).
- [(3)] [فتح الباري] : 7 / 402-403، كتاب المغازي، باب رقم (12)، حديث رقم (4007).
- [(4)] [سبق شرحه وتخرجه.]
- [(5)] [في (خ) : «عبد العزيز» .]

(65/3)

مسعود، وهذه اللفظة- أعني أن عند جماعة من [أهل] [(1)] العلم بالحديث- محمولة على الانقطاع حتى يتبين السماع واللقاء، ومنهم من لا يلتفت إليها، ويحمل الأمر على المعروف من مجالسة بعضهم بعضا، ومشاهدة بعضهم لبعض، وأخذهم بعضهم من بعض، فإن كان ذلك معروفا لم يسأل عن هذا اللفظة، وكان الحديث عنده على الاتصال، وهذا يشبه أن يكون مذهب مالك- رحمه الله- لأنه في موطنه لا يفرق بين شيء من ذلك، وهذا الحديث متصل عند أهل العلم مسند صحيح لوجوه: منها أن مجالسة بعض المذكورين فيه لبعض مشهورة، ومنها أن هذه القصة قد صح شهود ابن شهاب لما جرى فيها بين عمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير بالمدينة، وذلك في أيام إمارة عمر عليها لعبد الملك وابنه الوليد، وهذا محفوظ من رواية الثقات لهذا الحديث عن ابن شهاب.

قال: ومن ذكر مشاهدة ابن شهاب للقصة عند عمر بن عبد العزيز مع عروة ابن الزبير في هذا

الحديث من أصحاب ابن شهاب: معمر والليث بن سعد وشعيب ابن أبي حمزة وابن جريج، فذكروا رواية الليث التي تقدم ذكرها من طريق النسائي إلا أن سياقه عن ابن شهاب أنه كان قاعدا على منابر عمر بن عبد العزيز في إمارته على المدينة ومعه عروة بن الزبير، فأخّر عمر العصر، فقال له عروة: أما أن جبريل قد نزل فصلّى أمام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له عمر: اعلم يا عروة ما تقول، فقال:

سمعت بشير بن أبي مسعود يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صلّيت معه، ثم صلّيت معه، ثم صلّيت معه، ثم صلّيت معه، يحسب بأصابعه خمس مرات.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: كنا مع عمر بن عبد العزيز فأخّر العصر مرة، فقال له عروة: حدثني بشير بن أبي مسعود الأنصاري أن المغيرة ابن شعبة أخر الصلاة مرة - يعني العصر - فقال له أبو مسعود: أما والله يا مغيرة لقد علمت أن جبريل نزل فصلّى، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى الناس معه، ثم نزل فصلّى، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى الناس معه، حتى عدّ خمس صلوات، فقال له عمر: انظر ما تقول يا عروة، أو أن جبريل هو سنّ وقت الصلاة؟

[(1)] زيادة للسياق.

(66/3)

فقال له عروة: كذلك حدثني بشير بن أبي مسعود. قال: فما زال عمر يعتلم وقت الصلاة بعلامة حتى فارق الدنيا [(1)] .

قال عبد الرزاق: أنبأنا ابن جريج قال: حدثني ابن شهاب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يسأل عروة بن الزبير، فقال عروة بن الزبير: مشى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر وهو على الكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال له: ما هذا يا مغيرة؟ أما والله لقد علمت أن جبريل نزل فصلّى، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى بالناس معه خمس مرات، ثم قال: هكذا أمرت،

فقال عمر لعروة: اعلم ما تقول، أو أن جبريل هو أقام وقت الصلاة؟ فقال عروة: كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه فقد بان بما ذكرنا من رواية الثقات عن ابن شهاب لهذا الحديث اتصاله وسماع ابن شهاب له من عروة، وسماع عروة من بشير، وبان بذلك أيضا أن

الصلاة التي أخرجها عمر هي صلاة العصر، وأن الصلاة التي أخرجها المغيرة تلك أيضا، وبأن بما ذكرنا أيضا أن جبريل صَلَّى برَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخمس صلوات في أوقاتها، وليس في شيء من معنى حديث ابن شهاب هذا ما يدل على أن جبريل صَلَّى برَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين كل صلاة في وقتين.

وظاهر من حديث ابن شهاب هذا [ما] [(2)] يدل على أن ذلك إنما كان مرة واحدة لا مرتين، وقد روى من غير وجه في إمامة جبريل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه صَلَّى مرتين في كل صلاة من الصلوات الخمس في وقتين.

وظاهر من حديث ابن شهاب هذا [ما] [(2)] يدل على أن ذلك إنما كان مرة واحدة لا مرتين، وقد روى من غير وجه في إمامة جبريل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه صَلَّى مرتين من في كل صلاة من الصلوات الخمس في وقتين.

قال: ورواية ابن عيينة لهذا الحديث عن ابن شهاب بمثل حديث الليث ومن ذكرنا معه في ذلك، وفي حديث معمر وابن جريج أن الناس صلوا خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ، وقد روى ذلك من غير حديثهما، ثم ذكر حديث سفيان من طريق قاسم بن أصبغ كما تقدم ذكره، وقال: فهذا وضح ما ذكرنا من أنه إنما صَلَّى به الصلوات الخمس مرة واحدة، وهو ظاهر الحديث، إلا أن في رواية ابن أبي ذؤيب وأسامة بن زيد الليثي عن ابن شهاب في هذا الحديث ما يدل على أنه صَلَّى به مرتين في يومين على نحو ما ذكره عن ابن شهاب في حديث إمامة جبريل،

[(1)] سبق شرحه وتخريجه.

[(2)] زيادة للسياق.

(67/3)

فأما رواية ابن أبي ذؤيب له، فإن ابن أبي ذؤيب ذكره في موطنه عن ابن شهاب أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبي مسعود الأنصاري أن المغيرة بن شعبة أخرج الصلاة، فدخل عليه أبو مسعود فقال: ألم تعلم أن جبريل نزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصَلَّى وصَلَّى وصَلَّى وصَلَّى وصَلَّى، ثم صَلَّى ثم صَلَّى ثم صَلَّى ثم صَلَّى ثم صَلَّى [ثم صَلَّى] [(1)] ، ثم قال: هكذا أمرت.

وأما حديث أسامة بن زيد الليثي أن ابن شهاب أخبره أن عمر بن عبد العزيز كان قاعدا على المنبر، فأخرج العصر شيئا، فقال له عروة: أما أن جبريل قد أخبر محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بوقت الصلاة، فقال له عمر: اعلم ما تقول،

فقال عروة: سمعت بشير بن أبي معسود يقول: سمعت أبا مسعود الأنصاري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] [(2)] : نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه، ثم صليت [معه] [(3)] ، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات،

فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر حين زالت الشمس وربما أخرها حين يشبه الحر، وروايته: يصلي العصر والشمس مرتفعة بيضاء قبل أن تدخلها الصفرة، فينصرف الرجل من الصلاة فيأتي ذا الحليفة قبل غروب الشمس، ويصلي المغرب حين تسقط الشمس، ويصلي العشاء حين يسود الأفق، وربما أخرها حين يجتمع الناس، ويصلي الصبح مرة بغسل، ثم صلى مرة آخرا فأسفر بها، ثم كانت صلاته بعد ذلك إلى الغلس حتى مات لم يعد يغد إلى أن يسفر. قال أبو داود: روي هذا الحديث عن الزهري: معمر ومالك وابن عيينة وشعيب بن أبي حمزة والليث بن سعد وغيرهم، لم يذكروا الوقت الذي صلى فيه [و] [(4)] لم يفسروه، وكذلك رواه أيضا: هشام بن عروة وحبيب بن أبي مرزوق عن عروة نحو رواية معمر وأصحابه، إلا أن حبيبا لم يذكر.

قال ابن عبد البر: هذا كلام أبي داود، ولم يسبق في كتابه رواية معمر ولا من ذكر معه عن ابن شهاب لهذا الحديث، وإنما ذكروا رواية أسامة بن زيد هذه

[(1)] كذا في (خ) ، ولعل ما بين القوسين تكرار من الناسخ.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] زيادة للسياق.

[(4)] زيادة للسياق.

(68/3)

عن ابن شهاب وحدها من رواية ابن وهب، ثم أردفها بما ذكرنا من كلامه، وصدق فيما حكى، إلا أن حديث أسامة ليس فيه من البيان ما في حديث ابن أبي ذؤيب من تكرير الصلوات الخمس مرتين مرتين، وكذلك رواية معمر ومالك والليث ومن تابعهم ظاهرها مرة واحدة، وليس فيها ما يقطع به على أن ذلك كذلك، وقد ذكرنا رواية معمر ومالك والليث وغيرهم، وقد روى الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب هذا الحديث مثل رواية ابن

وهب عن أسامة سواء.

قال محمد بن يحيى الذهلي في رواية أبي بكر بن حزم عن عروة بن الزبير ما يقوى رواية أسامة، لأن رواية أبي بكر بن حزم شبيهة برواية أسامة، فيه أنه صلى الوقتين، وإن كان لم يسنده عنه إلا أيوب بن عتبة فقد روى عنه معناه مرسلًا يحيى بن سعيد وغيره من الثقات.

قال ابن عبد البر: وقد روى هذا الحديث جماعة عن عروة بن الزبير منهم:

هشام بن عروة، وحبيب بن أبي مرزوق، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم، فأما رواية هشام بن عروة عن أبيه، فذكرها من طريق أحمد بن زهير قال: حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا فليح عن هشام بن عروة عن أبيه قال: آخر عمر بن عبد العزيز الصلاة يوماً فدخلت عليه فقلت: إن المغيرة بن شعبة آخر الصلاة يوماً فدخل عليه أبو مسعود... فذكر الحديث، وقال فيه: كذلك سمعت بشير ابن أبي مسعود يحدث عن ابنه، قال: ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم تظهر، وقال أحمد بن زهير: وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن المغيرة بن شعبة كان يوجز الصلاة، فقال له رجل من الأنصار: أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال جبريل عليه السلام: صل صلاة كذا في وقت كذا حتى عدّ الصلوات الخمس؟ قال: بلى، قال: فاشهد أنا كنا نصلى العصر مع النبي صلى الله عليه وسلم، والشمس نقية بيضاء، ثم تأتي بني عمرو وإنها لمرتفعة- وهي على رأس ثلثي فرسخ من المدينة.

(69/3)

وأما رواية حبيب بن أبي مرزوق، فذكرها من طريق الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر قال: حدثني حبيب بن أبي مرزوق عن عروة بن الزبير قال: حدثني أبو مسعود أن جبريل نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أتمها خمساً، فقال له عمر بن عبد العزيز: انظر يا عروة ما تقول أن جبريل هو الذي وقت مواقيت الصلاة؟ قال: كذلك حدثني ابن مسعود، فبحث عمر عن ذلك حتى وجد ثبته، فما زال عمر عنده علامات الساعات ينظر فيه حتى قبض.

قال ابن عبد البر: قد أحسن حبيب بن أبي مرزوق في سياقه هذا الحديث على ما ساقه أصحاب

ابن شهاب في الخمس صلوات لوقت واحد مرة واحدة، إلا أنه قال فيه عن عروة: حدثني أبو مسعود، والحفاظ يقولون: عن عروة عن بشير عن أبيه، وبشير هذا ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوه أبو مسعود الأنصاري، اسمه عقبه بن عمر، ويعرف بالبدرى لأنه كان يسكن بدرا، واختلف في شهوده بدرا.

وأما رواية أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بمثل رواية ابن أبي ذؤيب وأسامة ابن زيد عن ابن شهاب في أنه صلى الصلوات الخمس لوقتتين مرتين، وحديثه أبين في ذلك وأوضح، وفيه ما يضارع قول حبيب بن أبي مرزوق عن عروة عن أبي مسعود، فذكره من طريق علي بن عبد العزيز قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أيوب بن عتبة، حدثنا أبو بكر بن حزم أن عروة بن الزبير كان يحدث عمر بن عبد العزيز - وهو يومئذ أمير المدينة في زمن الحجاج والوليد بن عبد الملك، وكان ذلك زمانا يؤخرون فيه الصلاة - فحدث عمر عروة وقال: حدثني أبو مسعود الأنصاري، وبشير بن أبي مسعود - قال كلاهما قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم - أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين دلت الشمس - قال أيوب: فقلت: وما دلوكها؟ قال: حين زالت - قال: فقال: يا محمد، صل الظهر، قال: فصلي، ثم جاءه حين

(70/3)

كان ظل كل شيء مثله فقال: يا محمد، صل العصر، فقال: فصلي، ثم أتاه جبريل حين غربت الشمس فقال: يا محمد، صل المغرب، فصلي، قال: ثم جاءه حين غاب الشفق فقال: يا محمد، صل العشاء، فصلي، ثم أتاه حين انشق الفجر فقال: يا محمد، صل الصبح، قال: فصلي ثم جاءه الغد حين كان ظل كل شيء مثله فقال: يا محمد، صل [(1)] الظهر، قال: فصلي، ثم أتاه حين كان ظل كل شيء مثليه فقال: يا محمد، صل [(1)] العصر، قال: فصلي، ثم أتاه حين غربت الشمس فقال: يا محمد، صل [(1)] المغرب، قال: فصلي، ثم أتاه حين ذهبت ساعة من الليل فقال: يا محمد، صل [(1)] العشاء، قال فصلي، ثم أتاه حين أضاء الفجر وأسفر فقال: يا محمد، صل [(1)] الصبح، قال فصلي، قال ثم قال: ما بين هذين وقت، يعني أمس واليوم. قال عمر لعروة: أجبريل أتاه؟ قال: نعم. ففي هذا الحديث وهذه الرواية بيان واضح أن صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم في حين تعليمه له الصلاة في أول وقت فرضها كانت في يومين لوقتتين وقتين كل صلاة، وكذلك رواية معمر عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أن جبريل نزل صلى فذكر مثله سواء إلا أنه مرسل.

وكذلك رواه الثوري عن عبد الله بن أبي بكر ويحيى بن سعيد، جميعا عن أبي بكر بن حزم مثله سواء، أن جبريل صلى الصلوات الخمس بالنبي صلى الله عليه وسلم مرتين في يومين لوقتتين، ومراسيل هؤلاء عند مالك حجة، وهو خلاف ظاهر حديث الموطأ، وحديث هؤلاء جميعا بالصواب أولى، لأنهم زادوا وأوضحوا، وفسروا ما أجمله غيرهم وأهمله، ويشهد بصحة ما جاءوا به: رواية ابن أبي ذؤيب ومن تابعه عن ابن شهاب، وعمامة الأحاديث في إمامة جبريل على ذلك جاءت مفسرة لوقتتين، ومعلوم أن حديث أبي مسعود من رواية ابن شهاب وغيره في إمامة جبريل ورد برواية من زاد وأتم وفسر أولى من رواية من أجمل وقصر، وقد رويت إمامة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس، وحديث جابر، وأبي سعيد الخدري على نحو ما ذكرنا.

[(1)] في (خ) : «صلى»، وما أثبتناه حق اللغة.

(71/3)

فأما حديث ابن عباس رضي الله عنه فذكره من طريق قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الحرث، ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن، ومن طريق قاسم: حدثنا أحمد بن زهير، وحدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحرث.

قال كاتبه: وخرجه الترمذي من حديث هناد: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحرث بن عيَّاش بن أبي ربيعة عن حكيم بن حكيم - وهو ابن عباد بن حنيف - أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: أخبرني ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين، فصلّى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك، ثم صلّى العصر حين [كان] [(1)] [ظل] [(2)] كل شيء [مثله] [(3)] ، ثم صلّى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم، ثم صلّى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلّى الفجر حين برق [(4)] وحرّم الطعام على الصائم، وصلّى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس، ثم صلّى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، ثم صلّى المغرب لوقته الأول، ثم صلّى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل، ثم صلّى الصبح حين أسفرت الأرض، ثم التفت إلى جبريل فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت [فيما] [(5)] بين هذين الوقتين [(6)] .

[(1)] تكملة من رواية الترمذي.

[(2)] زيادة ليست في رواية الترمذي.

[(3)] تصويب من رواية الترمذي.

[(4)] في رواية الترمذي: «حين برق الفجر» .

[(5)] في (خ) : «ما» ، والتصويب من الترمذي.

[(6)] قال أبو عيسى: «وفي الباب عن أبي هريرة، وبريدة، وأبي موسى، وأبي مسعود

الأنصاري، وأبي سعيد، وجابر وعمرو بن حزم، والبراء، وأنس،.

هذا الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في مواقيت الصلاة، حديث رقم (149) ، قوله: «عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة» ، قال في التقريب: عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، أبو الحارث المدني، صدوق له أوهام.

قوله: «عن حكيم بن حكيم وهو ابن بعاد بن حنيف» ، الأنصاري الأوسي، صدوق. قاله الحافظ، وذكره ابن حبان في الثقات، قاله الخزرجي ...

(72/3)

[()] قوله: «قال: أخبرني نافع بن جبير بن مطعم» ، النوفلي أبو محمد أو أبو عبد الله المدني،

ثقة فاضل من الثانية، مات سنة (99) تسع وتسعين، وهو من رجال الكتب الستة.

قوله: «أمني جبريل عند البيت» ، أي عند بيت الله، وفي رواية في (الأم) للشافعي رضي الله تعالى عنه: «عند باب الكعبة» .

قوله: «مرتين» ، أي في يومين ليعرفني كيفية الصلاة وأوقاتها.

قوله: «فصلّى الظهر في الأولى منهما» ، أي المرة الأولى من المرتين، قال الحافظ في الفتح: بين ابن إسحاق في المغازي أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة، وهي ليلة الإسراء، قال ابن إسحاق: وحدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير، وقال عبد الرزاق: عن ابن جريج قال:

قال نافع بن جبير وغيره: لما أصبح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الليلة التي أسري به، لم يرهه إلا جبريل، نزل حين زالت الشمس، ولذلك سميت الأولى - أي صلاة الظهر - فأمر فصيح

بأصحابه: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلّى به جبريل، وصلّى النبي صلّى الله عليه وسلّم بالناس.. فذكر الحديث.

قوله: «حين كان الفيء» ، هو ظل الشمس بعد الزوال.

قوله: «مثل الشراك» ، أي قدره، قال ابن الأثير: الشراك أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. وفي رواية أبي داود: «حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك» . قال ابن الأثير: قدره هاهنا ليس على معنى التحديث، ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يرى من الظل، وكان حينئذ بمكة هذا القدر، والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وإنما يتبين ذلك في مثل مكة من البلاد التي يقل فيها الظل، فإذا كان طول النهار واستوت الشمس فوق الكعبة، لم ير بشيء من جوانبها ظل، فكل بلد يكون أقرب إلى خط الاستواء ومعدل النهار يكون الظل فيه أقصر، وكل ما بعد عنهما إلى جهة الشمال يكون الظل أطول.

قوله: «ثم صلّى العصر حين كان كل شيء مثله ظل» ، أي سوي ظله الذي كان عند الزوال، يدل على ما رواه النسائي من حديث جابر بلفظ: «خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى الظهر حين زالت الشمس، وكان الفيء قدر الشراك وظل الرجل» .

قوله: «ثم صلّى المغرب حين وجبت الشمس، وأفطر الصائم» ، أي غربت الشمس ودخل وقت إفطار الصائم، بأن غابت الشمس، فهو عطف تفسير.

قوله: «ثم صلّى العشاء حين غاب الشفق» ، أي الأحمر - على الأشهر - قاله القاري، وقال النووي في شرح مسلم: المراد بالشفق الأحمر، هذا مذهب الشافعي، وجمهور الفقهاء، وأهل اللغة، وقال أبو حنيفة والمزني رضي الله عنهما وطائفة من الفقهاء وأهل اللغة: المراد الأبيض، والأول هو الراجح المختار. (انتهى كلام النووي) .

قال المباركفوري: وإليه ذهب صاحب أبي حنيفة، أبو يوسف ومحمد، وقالوا: الشفق هو الحمرة، وهو رواية عن أبي حنيفة، بل قال في (النهر) : وإليه رجع الإمام، وقال في (الدر) : الشفق هو الحمرة عندهما، وبه قالت الثلاثة، وإليه رجع الإمام كما هو في شروح (المجمع) وغيره، فكان هو المذهب، قال صدر الشريعة: وبه يفتى، كذا في حاشية النسخة الأحمدية، ولا شك في أن

(73/3)

[()] المذهب الراجح المختار، هو أن الشفق الحمرة، يدل عليه

حديث ابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «الشفق الحمرة» ، رواه الدار الدارقطني،

وصححه ابن خزيمة، وغيره، ووقفه على ابن عمر، كذا في (بلوغ المرام) .
قال محمد بن إسماعيل الأمير في (سبل السلام) : البحث لغوي، والمرجع فيه إلى أهل اللغة، وابن عمر من أهل اللغة، ومخّ العرب، فكلامه حجّج، وإن كان موقوفاً عليه.
ويدل عليه قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: وقت المغرب ما لم يسقط ثور الشفق،

قال الجزري في (النهاية) : أي انتشاره وثوران حمّته، من ثار الشيء يثور إذا انتشر وارتفع ...
وفي (البحر الرائق) من كتب الحنفية، قال الشمسي: هو ثوران حمّته ... ووقع في رواية أبي داود:
وقت المغرب ما لم يسقط فور الشفق، قال الخطابي: هو بقية حمرة الشفق في الأفق، وسمي فوراً بفورانها وسطوعه، وروى أيضاً ثور الشفق، وهو ثوران حمّته ... وقال الجزري في (النهاية) : هو بقية حمرة الشمس في الأفق الغربي، سمي فوراً لسطوعه وحمّته، ويروى بالناء، وقد تقدم.
قوله: «ثم صَلَّى الفجر حين برق الفجر» ، أي طلع، «وصَلَّى المرة الثانية» أي في اليوم الثاني، «حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس» ، أي فرغ من الظهر حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الأول، حينئذ قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: وبه يندفع اشتراكهما في وقت واحد، على ما زعمه جماعة، ويدل له خبر مسلم: وقت الظهر ما لم يحضر العصر.

قوله: «ثم صَلَّى المغرب لوقته الأول» ، استدل به من قال: إن لصلاة المغرب وقتاً واحداً، وهو عقب غروب الشمس، بقدر ما يتطهر، ويستتر عورته، ويؤذن، ويقيم، فإن أحرّ الدخول في الصلاة عن هذا الوقت أتم وصارت قضاءً، وهو قول الشافعية.

قال الإمام النووي: وذهب المحققون من أصحابنا، إلى ترجيح القول بجواز تأخيرها، ما لم يغيب الشفق، وأنه يجوز ابتداءها في كل وقت من ذلك، ولا يَأْتُم بتأخيرها عن أول الوقت، وهذا هو الصحيح الصواب، الذي لا يجوز غيره. والجواب عن حديث جبريل عليه السلام، حين صَلَّى المغرب في اليومين حين غربت الشمس، من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه اقتصر على بيان وقت الاختيار، ولم يستوعب وقت الجواز، وهذا جارٍ في الصلوات سوى الظهر.

والثاني: أنه متقدم في أول الأمر بمكة، وأحاديث امتداد وقت المغرب إلى غروب الشفق متأخرة في أواخر الأمر بالمدينة، فوجب اعتمادها.

والثالث: أن هذه الأحاديث أصح إسناداً من حديث بيان جبريل عليه السلام فوجب تقديمها.
قوله: «فقال: يا محمد هذا» ، أي ما ذكر من الأوقات الخمسة، «وقت الأنبياء من قبلك» ،

قال ابن العربي في (عارضه الأحوذني) : ظاهره يوهّم أن هذه الصلوات في هذه الأوقات كانت مشروعة لمن قبلهم من الأنبياء، ليس كذلك، وإنما معناه: أن هذا وقتك المشروع لك، يعني

الوقت الموسع، المحدد بطرفين، الأول والآخر، وقوله: وقت الأنبياء من قبلك، يعني ومثله وقت

الأنبياء قبلك، أي صلاتهم كانت واسعة الوقت، وذات طرفين، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات

(74/3)

قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن، وقال ابن عبد البر: لا يوجد هذا اللفظ (وقت الأنبياء قبلك) إلا في هذا الإسناد، وتكلم بعض الناس في إسناد حديث ابن عباس هذا بكلام لا وجه له، ورواته كلهم معروفو [(1)] النسب، مشهورون [(2)] في العلم.

وقد خرج أبو داود [(3)] وغيره، وذكره عبد الرزاق عن الثوري، وابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن الحرث بإسناده مثل رواية وكيع وأبي نعيم، وذكره عبد الرزاق عن العمري عن عمر بن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن عباس نحوه.

وأما حديث جابر رضي الله عنه [(4)] فذكره من طريق أحمد بن زهير: حدثنا أحمد ابن الحجاج، ومن طريق النسائي [(5)] : حدثنا سويد بن نصر قال: حدثنا ابن المبارك قال: أخبرني حسين بن علي بن حسين قال: أخبرني وهب بن كيسان، حدثنا جابر بن عبد الله قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين مالت الشمس فقال: قم يا محمد فصل الظهر، فصلّى الظهر حيث مالت الشمس، ثم مكث حتى إذا

[()] إلا لهذه الأمة خاصة، وإن غيرهم قد شاركهم في بعضها. وقد روى أبو داود في حديث العشاء:

أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بما على سائر الأمم، وكذا قال ابن سيد الناس، وقال: يريد في التوسعة عليهم في أن الوقت أولاً وآخراً، لا أن الأوقات هي أوقاتهم بعينها. كذا في (قوت المغتذي) .

قوله: «والوقت فيما بين هذين الوقتين» ، قال ابن سيد الناس: يريد هذين وما بينهما، أما إرادته أن الوقتين اللذين أوقع فيهما الصلاة وقت لها، فتبين بفعله، وأما الإعلام ما بينهما أيضاً وقت، فبينه قوله صلى الله عليه وسلم.

[(1)] في (خ) : «معروف» .

[(2)] في (خ) : «مشهور» .

[(3)] خرّجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب (1) في المواقيت حديث رقم (389) ، (عون

المعبود) :

40 / 2.

[(4)] وقال محمد: أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وحديث جابر في المواقيت قد رواه عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير عن جابر بن عبد الله، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نحو حديث وهب بن كيسان، عن جابر، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (تحفة الأحوذى) : 1 / 398، عقب الحديث رقم (150) .

[(5)] [صحيح سنن النسائي] : 1 / 115 - 116، باب (17) أول وقت العشاء، حديث رقم (512) ، باختلاف يسير.

(75/3)

كان الفيء في الرجل مثله، جاء العصر فقال: يا محمد، قم صل العصر، فصلاها، ثم مكث حتى إذا غابت الشمس جاء فقال: قم فصل المغرب، فقام فصلاها حين غابت الشمس، ثم غاب حتى إذا غاب الشفق جاءه فقال: قم فصل العشاء فصلاها، ثم جاء سطع الفجر بالصبح فقال: قم يا محمد فصل الصبح، فصلاها، ثم جاءه حين كان فيء الرجل مثليه، فقال: يا محمد، قم فصل العصر، ثم جاء للمغرب حين غابت الشمس وقتنا واحدا لم يغب عنه فقال: قم فصل المغرب، ثم جاءه حين ذهب ثلث الليل فقال: قم فصل العشاء، ثم جاءه للصبح حين ابيض جدا فقال: قم فصل، ثم قال له: الصلاة ما بين الوقتين.

وقال سويد بن نصر في حديثه: ما بين هذين وقت كله، قلت: وخرجه الترمذي من حديث أحمد بن محمد بن موسى، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا حسين بن علي، أخبرني وهب بن كيسان عن جابر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

أمني جبريل.. فذكر الحديث بنحو حديث ابن عباس بمعناه ولم يذكر فيه لوقت العصر بالأمس] (1) .

قال أبو عيسى: وقال محمد: أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وحديث جابر في المواقيت قد رواه عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار، وابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو حديث وهب بن كيسان عن جابر . [(2)] .

وذكر ابن عبد البر من طريق النسائي: حدثنا يوسف [(3)] ، حدثنا قدامة ابن شهاب عن برد عن عطاء بن أبي رباح عن جابر: أن جبريل أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه مواقيت

الصلاة، فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلّى الظهر حين زالت [(4)] الشمس، وأتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع، فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

[(1)] سبق شرحه وتخرجه.

[(2)] سبق الإشارة إليه.

[(3)] في (خ) : «حدثنا يوسف واصح» .

[(4)] في (خ) : «زالت الشمس» ، وهو تكرار من الناسخ.

(76/3)

فصلّى العصر، ثم أتاه حين وجبت الشمس، فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى المغرب، ثم أتاه حين غاب الشفق، فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى العشاء، ثم أتاه حين انشق الفجر، فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى الغداة، ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه، فصنع مثل ما صنع بالأمس فصلّى الظهر، ثم أتاه جبريل حين كان ظل الرجل مثل شخصه، فصنع كما صنع بالأمس فصلّى العصر، ثم أتاه حين وجبت الشمس، فصنع كما صنع بالأمس فصلّى المغرب فيها، ثم أتاه فصنع كما صنع بالأمس فصلّى العشاء، فأتاه جبريل حين امتد الفجر واضح والنجوم بادية مشتبكة، فصنع كما صنع بالأمس فصلّى الغداة ثم قال: ما بين هذين وقت [(1)] .

ورواه أبو الدرداء [(2)] عن برد عن عطاء عن جابر مثله سواء، إلا أنه قال في اليوم الثاني في المغرب: ثم جاءه حين وجبت الشمس لوقت واحد فذكره، قال:

ثم جاء نحو ثلث الليل للعشاء فذكره، ثم جاء حين أضاء الصبح ولم يقل: والنجوم بادية مشتبكة. وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [(3)] ، فذكره ابن عبد البر من طريق محمد بن سنجر قال: حدثنا سعيد بن الحكم حدثنا ابن لهيعة قال: حدثني بكر [(4)] بن [عبد الله] [(5)] الأشج عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الساعدي أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول [(6)] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمني جبريل في الصلاة فصلّى الظهر حين زالت

الشمس، وصلّى العصر حين كان الفيء قائمة [(7)] ، وصلّى المغرب حين غابت الشمس [في وقت واحد، وصل العشاء ثلث الليل، وصلّى الصبح

-
- [(1)] [صحيح سنن النسائي] : 1 / 112 ، (10) آخر وقت العصر، حديث رقم (500) .
[(2)] في (خ) : «أبو الورد» ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
[(3)] حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 3 / 414 ، حديث رقم (10856) .
[(4)] في (خ) : «بكير» ، وما أثبتناه من (المسند) .
[(5)] تكملة من (المسند) .
[(6)] في (المسند) : «عن أبي سعيد الخدري قال» .
[(7)] في (خ) : «كانت الشمس قائمة» ، وما أثبتناه من (المسند) .

(77/3)

حين كادت الشمس أن تطلع، ثم قال: الصلاة فيما بين هذين الوقتين [(1)] .
قال ابن عبد البر: هذا ما في إمامة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم من صحيح الآثار، قال: واحتج من زعم أن جبريل صلى بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي يلي ليلة الإسراء مرة واحدة الصلوات كلها لا مرتين على ظاهر حديث مالك في ذلك، فذكر من طريق أحمد بن زهير قال: حدثنا هدية بن خالد عن هشام عن قتادة، قال فحدثنا الحسن أنه ذكر له أنه لما كان عند صلاة الظهر نودي أن الصلاة جامعة، ففرغ الناس فاجتمعوا إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم فصلّى بهم الظهر أربع ركعات يؤم جبريل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم، ويؤم محمد الناس، يقتدي محمد بجبريل، ويقتدي الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس، فلما [زالت] الشمس نودي أن الصلاة جامعة، ففرغ الناس واجتمعوا إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم، فصلّى بهم العصر أربع ركعات وهي أخف، يؤم جبريل محمدا، ويؤم محمد الناس، يقتدي محمد بجبريل ويقتدي الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم سلم جبريل على محمد، وسلم محمد على الناس، فلما غربت الشمس نودي الصلاة جامعة، ففرغ الناس واجتمعوا إلى نبيهم فصلّى بهم ثلاث ركعات أسمعهم القراءة في ركعتين وسبح في الصلاة الثالثة- يعني به قام لم يظهر القراءة- يؤم جبريل محمدا ويؤم محمد صلى الله عليه وسلم الناس، ويقتدي محمد بجبريل، ويقتدي الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم سلم جبريل على

محمد وسلم محمد على الناس، فلما بدت النجوم نودي أن الصلاة جامعة، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم، فصلّى بهم أربع ركعات أسمعهم القراءة في ركعتين وسبح في الآخرين، يؤم جبريل محمداً، ويؤم محمد الناس، يقتدي محمد بجبريل، ويقتدي الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس، ثم رقدوا ولا يدرون أيزادون أم لا؟ حتى إذا طلع الفجر نودي أن الصلاة جامعة، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم، فصلّى بهم ركعتين أسمعهم فيها القراءة، يؤم جبريل محمداً، ويؤم

[(1)] السياق مضطرب فيما بين الحاصرتين، ورواية (المسند) بعد قوله: «حين غابت الشمس»، «وصلّى العشاء حين غاب الشفق، وصلّى الفجر حين طلع الفجر، ثم جاء الغد، فصلّى الظهر وفيه كل شيء مثله، وصلّى العصر والظل قامتان، وصلّى المغرب حين غربت الشمس، وصل العشاء إلى ثلث الليل الأول، وصلّى الصبح حين كادت الشمس تطلع، ثم قال: الصلاة فيما بين هذين الوقتين» .

(78/3)

محمد الناس، يقتدي محمد بجبريل ويقتدي الناس بمحمد، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس، وصلّى الله على جبريل ومحمد وسلم تسليماً كثيراً. ففي هذا الخبر أن جبريل لم يصل الصلوات الخمس بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا مرة واحدة، وهو وإن كان مرسلًا فإنه حديث حسن مهذب. واحتجوا أيضا فذكر من طريق أحمد بن زهير وعبيد بن عبد الواحد قالوا: حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن عتبة ابن مسلم مولى بني تميم عن نافع بن جبير قال: وكان نافع بن جبير كثير الرواية عن ابن عباس، قال: فلما فرضت الصلاة وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم.... وذكره عبد الرزاق عن ابن جريح قال: قال نافع ابن جبير وغيره: لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم من ليلة أسري به لم يرعه إلا جبريل، نزل حين زاغت الشمس، ولذلك سميت الأولى، فأمر فصيح بأصحابه: الصلاة جامعة فاجتمعوا، فصلّى جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وصلّى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس، طوّل الركعتين الأوليين ثم قصر الباقي، ثم سلم جبريل على النبي وسلم النبي صلى الله عليه وسلم على الناس، ثم نزل في العصر على مثل ذلك ففعلوا كما فعلوا في الظهر، ثم نزل في الليل في أوله فصيح الصلاة جامعة، فصلّى جبريل بالنبي صلى الله

عليه وسلّم، وصلّى النبي صلّى الله عليه وسلّم بالناس، طول في الأولين وقصر في الثالثة، ثم سلم جبريل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، وسلم النبي على الناس، ثم لما ذهب ثلث الليل نزل، فصيح الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلّى جبريل بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، وصلّى النبي بالناس، فقرأ في الأولين فطول وجهر، وقصر في الباقيتين، ثم سلم جبريل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، وسلم النبي صلّى الله عليه وسلّم على الناس، فلما طلع الفجر فصيح الصلاة جامعة، فصلّى جبريل بالنبي، وصلّى النبي بالناس، فقرأ فيهما فجهر وطول ورفع صوته، وسلم جبريل بالنبي، وصلّى النبي بالناس، فقرأ فيهما فجهر وطول ورفع صوته، وسلم جبريل على النبي، وسلم النبي صلّى الله عليه وسلّم على الناس.

قال ابن عبد البر: فقال: من ذكرنا حديث نافع بن جبير هذا مثل حديث الحسن في أن جبريل لم يصل في وقت فرض الصلاة بالنبي صلّى الله عليه وسلّم الصلوات الخمس إلا مرة واحدة، وهو ظاهر حديث مالك، والجواب عن ذلك ما تقدم ذكرنا له من الآثار الصحاح المتصلة في إمامة جبريل لوقتتين، وقوله: ما بين هذين وقت،

(79/3)

وفيهما زيادة يجب قبولها والعمل بما لنقل العدول لها، وليس تقصير من قصر عن حفظ ذلك وإتقانه والإتيان به بحجة، وإنما الحجة في شهادة من شهد لا في قول من قصر وأجمل واختصر، على أن هذه الآثار منقطعة، وإنما ذكرناها لما وصفنا، ولأن فيها أن الصلاة فرضت في الحضر أربعاً لا ركعتين على خلاف ما زعمت عائشة، وقال بذلك جماعة، وردّوا حديث عائشة رضي الله عنها، وإن كان إسناده صحيحاً لضروب من الأعمال، والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه وكرمه.

(80/3)

ذكر الجهة [(1)] التي كان صلّى الله عليه وسلّم يستقبلها في صلاته
ذكر ابن جريج في تفسيره، وذكر سنينة عن حجاج عن ابن جريج قال: صلّى النبي صلّى الله عليه وسلّم أول ما صلّى إلى الكعبة [(2)] ، ثم صرف إلى بيت المقدس [(3)] ، فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه صلّى الله عليه وسلّم بثلاث حجج [(4)] ، وصلّى النبي صلّى الله عليه وسلّم

[(1)] الجهة: والجهة، والجهة، بالكسر، والضم، والفتح، والوجه: الجانب والناحية، والجمع جهات، ووجوه، على الترتيب. (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز): 5 / 167.

[(2)] الكعبة: البيت المربع، وجمعه كعاب، والكعبة، البيت الحرام، منه، لتكعيها أي تربيعها، وقالوا:

كعبة البيت فأضيف، لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربيع أعلاه، وسمي كعبة لارتفاعه وتربيعه، وكل بيت مربع، فهو عند العرب كعبة. (لسان العرب): 1 / 718، مادة «كعب»، (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز): 4 / 357.

[(3)] التقديس: التطهير والتبريك، وتقدس أي تطهر، وفي التنزيل: وَتَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ [30/ البقرة]. الزجاج: معنى نقديس لك، أي نطهر أنفسنا لك وكذلك نفعل بمن أطاعك، نقديسه أي نطهره. ومن هذا قيل للسطل: القدس، لأنه يتقدس منه أي تتطهر، ومن هذا بيت المقدس، أي البيت المطهر، أي المكان الذي يتطهر به من الذنوب.

ابن الكلبي: القدوس الطاهر، وقوله تعالى: الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الطَّاهِرُ فِي صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [23/ الحشر]، وجاء في التفسير أنه المبارك، والقدوس: هو الله عز وجل. والقدس: البركة، والأرض المقدسة: الشام منه، وبيت المقدس من ذلك أيضا، ابن الأعرابي: المقدس المبارك، والأرض المقدسة، المطهرة.

وقال الفراء: الأرض المقدسة الطاهرة، وهي: دمشق، وفلسطين، وبعض الأردن. ويقال: أرض مقدسة أي مباركة، وهو قول قتادة، وإليه ذهب ابن الأعرابي. وروح القدس: جبريل عليه السلام، وفي الحديث: «إن روح القدس نفث في روعي»، يعني جبريل عليه السلام، لأنه خلق من طهارة.

وقال الله عز وجل في صفة عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -: وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وهو جبريل عليه السلام، معناه روح الطهارة، أي خلق من طهارة. وفي الحديث: «لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قوتها»، أي لا طهرت. (لسان العرب): 6 / 168-169، مادة «قدس».

[(4)] يعني ثلاث سنين، ومنه قوله تعالى: عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَابٍ [27/ القصص].

(81/3)

بعد قدومه ستة عشر شهرا، ثم وجهه الله إلى الكعبة [(1)].

قال ابن عبد البر: وهذا أمر قد اختلف فيه، وأحسن شيء روى في ذلك فذكر من حديث أبي

عوانة عن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس وهو بمكة، والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا، ثم صرفه الله إلى الكعبة [(1)] .

وخرج مسلم من حديث عفان [(2)] قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [(3)] ، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة [(4)] . قال أبو عمر بن عبد البر: وروى أن المخبر لهم بما في هذا الحديث هو عباد بن بشر [(5)] .

[(1)] ونحوهما في (مسند أحمد) بسياقات متقاربة:

1/ 413، حديث رقم (2252) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا حسين بن علي عن زائدة، عن سماك بن حرب، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، ثم صرفت القبلة» .

1/ 576، حديث رقم (3260) بنحوه سواء.

1/ 589، حديث رقم (3353) : من حديث ابن عباس أيضا: «صلى النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس - قال عبد الصمد: ومن معه - ستة عشر شهرا ثم حولت القبلة بعد، قال عبد الصمد:

ثم جعلت القبلة - نحو بيت المقدس» . وقال معاوية - يعني ابن عمرو - : ثم حولت القبلة بعد.

[(2)] في (خ) : «عنان» ، وما أثبتناه من صحيح مسلم.

[(3)] آية 44 / البقرة.

[(4)] (مسلم بشرح النووي) : 5 / 14، حديث رقم (527) .

[(5)] هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل، الإمام أبو الربيع الأنصاري الأشهلي، أحد البدرين، كان من سادة الأوس، عاش خمسا وأربعين سنة، وهو الذي أضاءت له عصاته ليلة انقلب إلى منزله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم على يد مصعب بن عمير، وكان أحد من قتل كعب ابن الأشرف اليهودي، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات مزينة وبني سليم، وجعله على حرسه في غزوة تبوك، وكان كبير القدر، رضي الله عنه، أبلى يوم اليمامة بلاء حسنا، وكان أحد الشجعان الموصوفين.

ابن إسحاق: عن يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه قال: قالت عائشة: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا، كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وعباد بن بشر،

(82/3)

روى إبراهيم بن حمزة الزبيري قال: حدثني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد ابن سلمة عن أبيه عن جدته تويلة بنت أسلم [(1)] ، وكانت من المبايعات، قالت: كنا في صلاة الظهر فأقبل عباد بن بشر بن قبيط فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل الكعبة- أو قال: البيت الحرام- فتحول الرجال مكان النساء، وتحول النساء مكان الرجال.

وخرج البخاري ومسلم من حديث يحيى بن سعيد عن سفيان قال: حدثني أبو إسحاق قال: سمعت البراء يقول: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفنا نحو الكعبة. وقال البخاري: ثم صرفه نحو القبلة [(2)] . ذكره في التفسير في باب قوله: لِكُلِّ وِجْهَةٍ [هُوَ مُوَلِّئُهَا] [(3)] .

[()] وأسيد بن الحضير، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

وروي بإسناد ضعيف، عن أبي سعيد الخدري: سمع عباد بن بشر يقول: رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي، ثم أطبقت عليّ، فهي إن شاء الله الشهادة. فنظر يوم اليمامة وهو يصيح. احطموا جفون السيوف. وقاتل حتى قتل بضربات في وجهه. رضي الله عنه.

ابن إسحاق: عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة قالت: تمجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، فسمع صوت عباد بن بشر، فقال: «يا عائشة! هذا صوت عباد ابن بشر؟» قلت: نعم، قال: «اللهم اغفر له» .

لعباد بن بشر حديث واحد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر الأنصاري! أنتم الشعار والناس الدثار، فلا أوتين من قبلكم» ، قال علي بن المديني: لا أحفظ لعباد سواه، وهذا الحديث رجاله ثقات، أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب، وأخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف حديث رقم (4330) ، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفات قلوبهم، وأحمد 4 / 42 ، وعندهم جميعا: «الأنصار شعار والناس دثار» .

* (طبقات ابن سعد) : 3 / 2 / 16 ، (التاريخ الصغير) : 36 ، (الجرح والتعديل) : 6 / 77 ،
(الاستيعاب) : 2 / 801 - 804 ، (الإصابة) : 3 / 611 - 612 ، (سير أعلام النبلاء) :
1 / 337 - 340 .

[(1)] «ثوبلة» ، بالتصغير ، بنت أسلم ، روي حديثها الطبراني ، من طريق إبراهيم بن حمزة
الزيري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة ، عن أبيه ، عن جدته أم أبيه ، ثوبلة
بنت أسلم ، وهي من المبايعات ، قالت : بينا أنا في بني حارثة ، فقال عباد بن بشر بن قبيط : إن
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استقبل البيت الحرام ، فتحول الرجال مكان النساء ، والنساء
مكان الرجال ، فصلوا السجدين الباقيتين نحو الكعبة . وذكر أبو عمر فيه أن الصلاة كانت
الظهر ، وقيل فيها : تولة بغير تصغير ، وقيل : أولها نون . (الإصابة) : 7 / 546 ، ترجمة رقم
(10959) .

[(2)] [فتح الباري] : 8 / 220 - 221 ، كتاب التفسير ، باب : لِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُؤَيَّبٌ
فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، حديث رقم
(4492) .

[(3)] [زيادة للسياق .

(83/3)

ولمسلم من حديث أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال :
صليت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التي في
البقرة وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [(1)] ، فنزلت بعد ما صَلَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فانطلق رجل [من القوم] [(2)] فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم
[بالحديث] [(3)] ، فولوا وجوههم [نحو القبلة ، وهو البيت] [(4)] وخرج البخاري من
حديث زهير ، حدثنا أبو إسحاق عن البراء أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أول ما قدم المدينة
نزل على أجداده - أو قال : على أخواله - من الأنصار ، وأنه صَلَّى قبل بيت المقدس ستة عشر
شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صَلَّى أول صلاة صلاها
صلاة العصر ، وصَلَّى معه قوم ، فخرج رجل ممن صَلَّى معه فمر على مسجد فيه قوم راكعون
فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل
البيت ، وكانت

- [(1)] آية 144 / البقرة.
- [(2)] زيادة من رواية مسلم.
- [(3)] في مسلم: «فحدثهم فولوا» .
- [(4)] ما بين الحاصرتين ليست في مسلم، ورواية مسلم: «فولوا وجوههم قبل البيت» .
- وفي هذا الحديث - حديث البراء - دليل على جواز النسخ ووقوعه. وفيه قبول خبر الواحد. وفيه جواز الصلاة الواحدة إلى جهتين، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا من صَلَّى إلى جهة بالاجتهاد ثم تغير اجتهاده في أثنائها فيستدير إلى الجهة الأخرى حتى لو تغير اجتهاده أربع مرات في الصلاة الواحدة، فصلَّى كل ركعة منها إلى جهة صحت صلاته على الأصح، لأن أهل هذا المسجد المذكور في الحديث استداروا في صلاتهم واستقبلوا الكعبة ولم يستأنفوها.
- وفيه دليل على أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه، فإن قيل: هذا نسخ للمقطوع به بخبر الواحد، وذلك ممتنع عند أهل الأصول، فالجواب: أنه احتفت به قرائن ومقدمات، أفادت العلم، وخرج عن كونه خبر واحد مجردا، واختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء - رحمهم الله تعالى - في أن استقبال بيت المقدس هل كان ثابتا بالقرآن؟ أم كان باجتهاد النبي صَلَّى الله عليه وسلم؟ فحكى الماوردي في (الحاوي) وجهين في ذلك لأصحابنا.
- قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : الذي ذهب إليه أكثر العلماء: أنه كان بسنة لا بقرآن، فعلى هذا يكون فيه دليل لقول من قال: إن القرآن ينسخ السنة، وهو قول أكثر الأصوليين المتأخرين، وهو أحد قولي الشافعي، رحمه الله تعالى - .
- والقول الثاني له، وبه قال طائفة: لا يجوز لأن السنة مبينة للكتاب فكيف ينسخها؟ وهؤلاء يقولون: لم يكن استقبال بيت المقدس بسنة، بل كان بوحى.

(84/3)

اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك.

قال زهير: حدثنا أبو إسحاق في حديثه عن البراء أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فهيم، فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ [(1)] ، ذكره في كتاب الإيمان [(2)] ،

[(1)] آية 144 / البقرة، ورواية البخاري حتى إيمانكم.

[(2)] (فتح الباري) : 1 / 128 ، كتاب الإيمان ، باب (30) ، الصلاة من الإيمان ، وقول الله تعالى :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ يَعْنِي صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ ، حَدِيثٌ رَقْمٌ (40) .
قوله: «يعني صلاتكم عند البيت» ، وقع التنصيص على هذا التفسير من الوجه الذي أخرج منه البخاري حديث الباب ، فروى الطيالسي والنسائي ، من طريق شريك وغيره عن أبي إسحاق عن البراء في الحديث المذكور: «فأنزل الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» .
وعلى هذا فقول البخاري: «عند البيت» مشكل ، مع أنه ثابت عنه في جميع الروايات ، ولا اختصاص لذلك بكونه عند البيت ، وقد قيل إن فيه تصحيفا ، والصواب يعني صلاتكم لغير البيت .

قال الحافظ ابن حجر: وعندني أنه لا تصحيف فيه ، بل هو صواب ومقاصد البخاري في هذه الأمور دقيقة ، وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوجه إليها للصلاة وهو بمكة ، فقال ابن عباس وغيره: كان يصلى إلى بيت المقدس ، ولكنه لا يستدبر الكعبة ، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس .

وأطلق آخرون: أنه كان يصلي إلى بيت المقدس ، وقال آخرون: كان يصلي إلى الكعبة ، فلما تحول إلى المدينة استقبل بيت المقدس ، وهذا ضعيف ، ويلزم منه دعوى النسخ مرتين ، والأول أصح ، لأنه يجمع بين القولين ، وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس .
وكأن البخاري أراد الإشارة إلى الجزم بالأصح ، من أن الصلاة لما كانت عند البيت ، كانت إلى بيت المقدس ، واقتصر على ذلك اكتفاء بالأولية ، لأن صلاتهم إلى غير جهة البيت وهم عند البيت إذا كانت لا تضيق ، فأحرى أن لا تضيق إذا بعدوا عنه ، فتقدير الكلام: يعني صلاتكم التي صليتموها عند البيت إلى بيت المقدس .

قوله: «قبل بيت المقدس» ، بكسر القاف وفتح الموحدة ، أي إلى جهة بيت المقدس .
قوله: «ستة عشر شهرا أو سبعة عشر» ، كذا وقع الشك في رواية زهير هذه هنا ، وفي الصلاة أيضا عن أبي نعيم عنه ، وكذا في رواية الثوري عنده ، وفي رواية إسرائيل عند البخاري ، وعند الترمذي أيضا . ورواه أبو عوانة في صحيحه ، عن عمار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم فقال: «ستة عشر» من غير شك ، وكذا لمسلم من رواية أبي الأحوص ، وللنسائي من رواية زكريا بن أبي إسحاق زائدة وشريك ، ولأبي عوانة أيضا من رواية عمار بن رزيق - بتقديم الراء مصغرا - كلهم عن أبي إسحاق ، وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس . وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف «سبعة عشر» ، وكذا للطبراني عن ابن عباس ...

[()] والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بسنة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدّهما معا، ومن شك تردّد في ذلك. وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور.

ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس. وقال ابن حبان: «سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام»، وهو مبني على أن القدوم كان في ثاني عشر شهر ربيع الأول.

وشدّت أقوال أخرى: ففي ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق في هذا الحديث: «ثمانية عشر شهرا»، وأبو بكر سيء الحفظ، وقد اضطرب فيه، فعند ابن جرير من طريقه في رواية: «سبعة عشر»، وفي رواية: «ست عشر»، وخرجه بعضهم على قول محمد ابن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان، وهو الذي ذكره النووي في (الروضة) وأقره، مع كونه رجح في شرحه لمسلم رواية «ستة عشر شهرا»، لكونها مجزوما بها عند مسلم، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا إن ألغى شهري القدوم والتحويل.

وقد جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان في جمادى الآخرة، ومن الشذوذ أيضا رواية: «ثلاثة عشر شهرا»، ورواية: «تسعة أشهر»، و «عشرة أشهر»، ورواية: «شهرين»، ورواية: «سنتين»، وهذه الأخيرة يمكن حملها على الصواب. وأسانيد الجمع ضعيفة، والاعتماد على القول الأول، فجملة ما حكاه تسع روايات.

قوله: «وأنه صلّى أول»، بالنصب لأنه مفعول صلّى، والعصر كذلك على البداية، وأعربه ابن مالك بالرفع، وفي الكلام مقدر لم يذكر لوضوحه، أي أو صلاة صلاها متوجها إلى الكعبة صلاة العصر. وعند ابن سعد: حولت القبلة في صلاة الظهر أو العصر - على التردد - وساق ذلك من حديث عمارة بن أوس قال: «صلينا إحدى صلاتي العشي». والتحقيق: أن أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر، وأما الصبح فهو من حديث ابن عمر بأهل قباء، وهل كان ذلك في جمادى الآخرة أو رجب أو شعبان؟ أقوال.

قوله: «قبل مكة»، أي قبل البيت الذي في مكة، ولهذا قال: «فداروا كما هم قبل البيت»، و «ما» موصولة، والكاف للمبادرة، وقال الكرمانى: للمقارنة، و «ما» مبتدأ وخبره محذوف.

قوله: «قد أعجبهم» أي النبي صلّى الله عليه وسلّم، (وأهل الكتاب): هو بالرفع عطفًا على اليهود، من عطف العام على الخاص. وقيل: المراد النصارى، لأنهم من أهل الكتاب، وفيه نظر،

لأن النصارى لا يصلون لبيت المقدس! فكيف يعجبهم؟ وقال الكرمانى: كان إعجابهم بطريق التبعية لليهود.

قال الحافظ ابن حجر: وفيه بعد لأنهم أشد الناس عداوة لليهود، ويحتمل أن يكون بالنصب، والواو بمعنى (مع) ، أي يصلي مع أهل الكتاب إلى بيت المقدس، واختلف في صلته إلى بيت المقدس وهو بمكة.

فروى ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش المذكورة: «صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا» ، وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة بشهرين» ، وظاهره

(86/3)

[()] أنه كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس محضا، وحكى الزهري خلافا في أنه هل كان يجعل الكعبة خلف ظهره، أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس؟

قال الحافظ ابن حجر: وعلى الأول فكان يجعل الميزاب خلفه، وعلى الثاني كان يصلي بين الركنين اليمانيين. وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نسخ، وحمل ابن عبد البر هذا على القول الثاني، ويؤيد حمله على ظاهره إمامة جبريل، ففي بعض طرقه أن ذلك عند باب البيت.

قوله: «أنكروا ذلك» ، يعني اليهود، فنزلت: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ وقد صرح البخاري بذلك في روايته عن طريق إسرائيل.

قوله: «قال زهير» ، يعني ابن معاوية بالإسناد المذكور بحذف أداة العطف كعادته، ووهم قال إنه معلق، وقد ساقه البخاري في (التفسير) ، مع جملة الحديث، عن أبي نعيم، عن زهير سيقا واحدا.

قوله: «أنه مات على القبلة» ، أي قبلة بيت المقدس قبل أن تحوّل «لأجاب، وقتلوا» ، ذكر القتل لم أره إلا في رواية زهير، وباقي الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط، وكذلك روى أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، صحيحا عن ابن عباس، وكذلك والذين ماتوا بعد فرض الصلاة، وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشر أنفس: فبمكة من قريش: [1] عبد الله بن شهاب. [2] المطلب ابن أزهر الزهريان. [3] السكران بن عمرو العامري.

وبأرض الحبشة منهم: [1] حطاب - بالمهملة - ابن الحارث الجمحي. [2] عمرو بن أمية

الأسدي. [3] عبد الله بن الحارث السهمي. [4] عروة بن عبد العزى. [5] عدي بن نضلة العدويان.

ومن الأنصار بالمدينة: [1] البراء بن معرور (بمهمات) . [2] أسعد بن زرارة، فهؤلاء العشرة متفق عليهم. ومات في المدة أيضا: إياس بن معاذ الأشهلي، لكنه مختلف في إسلامه. قال الحافظ ابن حجر: ولم أجد في شيء من الأخبار أن أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة، لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع، فإن كانت هذه اللفظة محفوظة، فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير الجهاد، ولم يضبط اسمه لقلة الاعتناء بالتاريخ إذ ذاك.

ثم وجدت في المغازي ذكر رجل اختلف في إسلامه، وهو سويد بن الصامت، فقد ذكر ابن إسحاق: أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم، قبل أن تلقاه الأنصار في العقبة، فعرض عليهم الإسلام فقال:

إن هذا القول حسن. وانصرف إلى المدينة فقتل بها في وقعة بعاث - بضم الموحدة وإهمال العين وآخره مثلثة - وكانت قبل الهجرة، قال: فكان قومه يقولون. لقد قتل وهو مسلم، فيحتمل أن يكون هو المراد. وذكر لي بعض الفضلاء: أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوي عمار، قلت: يحتاج إلى ثبوت أن قتلها بعد الإسراء. من فوائد هذا الحديث:

[1] الرد على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيمانا. [2] تغيير بعض الأحكام جائز إذا ظهرت المصلحة في ذلك. [3] بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال. [4] بيان ما كان في الصحابة من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم، وقد وقع لهم نظير هذه المسألة لما نزل تحريم الخمر، كما صح من حديث البراء أيضا فنزل: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [93/ المائدة] ، وقوله تعالى: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا [30/ الكهف] ، ولملاحظة هذا المعنى، عقّب البخاري على هذا الباب بقوله: «باب حسن إسلام المرء» فذكر الدليل على أن المسلم إذا فعل الحسنة أثيب عليها، وهو الحديث رقم (41) من الباب (31) في كتاب (الإيمان) . (فتح الباري) 1/ 128-133 حديث رقم (40) .

وذكره في التفسير مختصرا [(1)] ، وذكره في كتاب الصلاة [(2)] ، وفي باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق [(3)] .

[(1)] [فتح الباري] : 8 / 216 ، كتاب التفسير ، باب (12) ، سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [142/ البقرة] ، حديث رقم (4486) وقال فيه: «السفهاء»: جمع سفيه، وهو خفيف العقل، وأصله من قولهم: ثوب سفيه، أي خفيف النسيج، واختلف في المراد بالسفهاء، فقال البراء، وابن عباس، ومجاهد: هم اليهود، وأخرج ذلك عنهم الطبري بأسانيد صحيحة، وروي من طريق السدي قال:

هم المنافقون، والمراد بالسفهاء الكفار، وأهل النفاق، واليهود.

أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا، فإنه علم أنا على الحق.

وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولا على الحق، فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس. وما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء، ولو كان نبيا لما خالف، فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات من قوله تعالى: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَلْعَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [106/ البقرة] ، إلى قوله تعالى: وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [150/ البقرة] ، من أحاديث الباب أيضا، الأحاديث أرقام: (4490) ، (4491) ، (4492) ، (4493) ، (4494) ، بسياقات مختلفة.

[(2)] [فتح الباري] : 1 / 661 ، كتاب الصلاة ، باب (31) التوجه نحو القبلة حيث كان، أي حيث وجد الشخص في سفر أو حضر، والمراد بذلك صلاة الفريضة، كما يتبين ذلك في الحديث الثاني من الباب، وهو حديث جابر، وأما حديث تحويل القبلة المذكور في هذا الباب فهو الحديث رقم (399) .

[(3)] [فتح الباري] : 13 / 287 ، كتاب أخبار الآحاد ، باب (1) : ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان، والصلاة، والصوم، والفرائض، والأحكام، وقول الله تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ [122/ التوبة] ، ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا [9/ الحجرات] ،

وخرج البخاري ومسلم [(1)] من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة [(2)] وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا [(3)] إلى الكعبة، وقال البخاري: فاستداروا إلى القبلة، ذكره في التفسير [(4)] وفي كتاب الصلاة [(4)] ، وفي باب إجازة خبر الواحد الصدوق [(4)] .

وقال ابن عبد البر: وأجمع العلماء أن شأن القبلة أول ما نسخ من القرآن، وأجمعوا أن ذلك كان بالمدينة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صرف عن الصلاة إلى بيت المقدس، وأمر إلى الصلاة إلى الكعبة بالمدينة، واختلفوا في صلاته حين فرضت عليه الصلاة بمكة، هل كانت إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة؟ فقالت طائفة: كانت صلاته إلى بيت المقدس من حين فرضت عليه الصلاة بمكة إلى أن قدم المدينة، ثم بالمدينة سبعة عشر شهرا أو نحوها حتى صرفه الله إلى الكعبة. ذكر سفيان عن حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل صخرة بيت المقدس، فأول [ما] [(5)] نسخت من القرآن القبلة، ثم الصيام الأول، قال ابن عبد البر: من حجة الذين قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صلى إلى بيت المقدس بالمدينة، وأنه إنما كان يصلي بمكة إلى الكعبة، فذكر حديث البراء ثم قال: فظاهر هذا الخبر يدل على أنه لما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس لا قبل ذلك، ويدل [(6)] على ذلك أيضا، فذكر من حديث عبد الله بن صالح، حدثنا

- [()] فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية، وقوله تعالى: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** [6/ الحجرات] ، وكيف بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمراءه واحدا بعد واحد، فإن سها أحد منهم رد إلى السنة، حديث رقم (7251) ، حديث رقم (7252) .
- [(1)] [مسلم بشرح النووي] : 5 / 13 ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (2) باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، حديث رقم (526) ، ونحوه حديث رقم (527) .
- [(2)] في (خ) : «الليل» ، والتصويب من المرجع السابق.
- [(3)] في (خ) : «فاستداروها» ، والتصويب من المرجع السابق.
- [(4)] سبق الإشارة إليهم.
- [(5)] زيادة للسياق، وفي (خ) «فأول أنه» ، وهو خطأ من الناسخ.
- [(6)] في (خ) «ويدل» ولعل الصواب ما أثبتناه.

معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أول ما نسخ الله من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [(1)] - يعني نحوه - فارتاب اليهود من ذلك وقالوا: ما ولَّاهم عن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا [(2)] ؟ فأنزل الله: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ [(2)] ، فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [(1)] ، وقال: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ [(3)] يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ [(4)] ، قال ابن عباس: ليميز أهل اليقين من أهل الشك، قال ابن عبد البر: ففي قول ابن عباس هذا من الفقه: أن الصلاة لم ينسخ منها شيء قبل القبلة، وفيه أنه كان يصلي بمكة إلى الكعبة، وهو ظاهره أنه لم يصل إلى بيت المقدس إلا بالمدينة وهو محتمل غيره [(5)] .

[(1)] سورة البقرة، آية/ 144.

[(2)] سورة البقرة، آية/ 142.

[(3)] في (خ) «من» .

[(4)] سورة البقرة، آية/ 143.

[(5)] قال ابن أبي حاتم بعد رواية الأثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبلة، عن عطاء عنه: وروي عن أبي العالية، والحسن، وعطاء الخراساني، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم نحو ذلك.

وقال ابن جرير، وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة، وإنما أنزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية إلا كان جلا ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية، لأن له تعالى المشارق والمغارب، وإنه لا يخلو منه مكان، كما قال تعالى: وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا [7/ المجادلة] .

قالوا: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم، التوجه إلى المسجد الحرام، هكذا قال، وفي قوله: وأنه تعالى لا يخلو منه مكان: إن أراد علمه تعالى فصحيح، فإن علمه تعالى محيط بجميع

المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. قال ابن جرير: وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنا من الله أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب، في مسيره في سفره، وفي حال المسافهة، وشدة الخوف، حدثنا أبو كريب، أخبرنا ابن إدريس، حدثنا عبد الملك - هو ابن أبي سليمان - عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ.

(90/3)

[()] ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق، عن عبد الله بن أبي سليمان به، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر، وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية. وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر، أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها، ثم قال: «فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم، وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها». قال نافع: ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد روى من طريق آخر عن جابر، فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية: أخبرنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب، حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن، قال: وجدت في كتاب أبي: أخبرنا عبد الملك العزرمي، عن عطاء، عن جابر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة، فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة هي ها هنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطا، فلما أصبحوا وطلعت الشمس، أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وسلم، فسكت، وأنزل الله تعالى: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ.

ثم

رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزرمي عن عطاء، عن جابر به، وقال الدار الدارقطني: قرئ على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع: حدثكم داود بن عمر، وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي، عن محمد بن سالم، عن عطاء، عن جابر، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأصابنا غيم، فتحيرنا، فاختلنا في القبلة، فصلى كل رجل منا على حدة، وجعل أحدنا يخط بين يديه، لنعلم أمكنتنا، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يأمرنا بالإعادة وقال: «قد أجازت صلاتكم»،

ثم قال الدار الدارقطني: كذا قال عن محمد بن سالم. وقال غيره: عن محمد بن عبد الله العزمي، عن عطاء، وهما ضعيفان.

ورواه ابن مردويه أيضا، من حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأخذتهم ضباة، فلم يهتدوا إلى القبلة، فصلوا لغير القبلة، ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس، أنهم صلوا لغير القبلة، فلما جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: **وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ**. وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضا. وأما إعادة الصلاة لمن تبين خطؤه ففيها قولان للعلماء، وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي، كما حدثنا محمد بن بشار، أخبرنا معاذ بن هشام، حدثني أبي عن قتادة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أبا لكم قد مات فصلوا عليه». قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال: فنزلت: **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ**، قال قتادة: فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة، فأنزل الله: **وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ**، وهذا غريب والله تعالى أعلم. وقيل إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة، كما حكاه القرطبي عن قتادة، وذكر القرطبي: أنه لما مات صلى الله عليه وسلم فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب، قال: وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه: [أحدها]: أنه صلى الله عليه وسلم شاهده حين سوى عليه طويت له الأرض.

(91/3)

وقال أبو إسحاق الحربي: ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ربيع الأول فصلى إلى بيت المقدس تمام سنة إحدى عشرة أشهر، وصلى من سنة ثنتين ستة أشهر ثم حولت القبلة في رجب.

[()] [الثاني]: أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه، صلى عليه، واختاره ابن العربي، قال القرطبي:

ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه، وقد أجاب ابن العربي عن هذا،

لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت، وهذا جواب جيد.

[الثالث]: أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك. والله تعالى أعلم.

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية، من حديث أبي معشر، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق»، وله مناسبة ها هنا. وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر - واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدي المدني - به: «ما بين المشرق والمغرب قبلة».

وقال الترمذي: وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة، وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر قبل حفظه،

ثم قال الترمذي: حدثني الحسن بن بكر المروزي، أخبرنا المعلى بن منصور، أخبرنا عبد الله ابن جعفر المخزومي عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأحنس، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحكى عن البخاري، أنه قال: هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح،

قال الترمذي: وقد روى عن غير واحد من الصحابة: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»، منهم: عمر ابن الخطاب، وعلي، وابن عباس، رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ابن عمر: إذا جعلت المغرب عن يمينك، والمشرق عن يسارك، فما بينهما قبلة، إذا استقبلت القبلة،

ثم قال ابن مردويه: حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن، أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم، أخبرنا شعيب بن أيوب، أخبرنا ابن نمير عن عبد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة». وقد رواه الدار الدارقطني والبيهقي،

وقال: المشهور عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: قال ابن جرير:

ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي، فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم، كما حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين، حدثني حجاج قال: قال ابن جرير: قال مجاهد: لما نزلت ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، قالوا: إلى أين؟ فنزلت: فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهَ اللَّهِ، قال ابن جرير: ومعنى قوله: إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال، وأما قوله: عَلِيمٌ فإنه يعني عليهم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء، ولا يعزب عن علمه، بل هو بجميعها عليهم. (تفسير ابن كثير)

وقال موسى بن عقبة وإبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن ابن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن القبلة صرفت في جمادى.

وقال الواقدي: إنما صرفت صلاة العصر يوم الثلاثاء في النصف من شعبان.

وذكر أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي في كتاب أحكام القرآن [(1)] : أن من الناس من يقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرًا في أن يصلي إلى حيث شاء، وإنما كان توجهه إلى بيت المقدس على وجه الاختيار لا على وجه الإيجاب حتى أمر بالتوجه إلى الكعبة، وكان قوله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ [(2)] في وقت التخيير قبل الأمر بالتوجه إلى الكعبة، والله الموفق.

[(1)] «أن نفرا قصدوا الرسول عليه الصلاة والسلام من المدينة إلى مكة للبيعة قبل الهجرة، وكان فيهم البراء ابن معرور، فتوجه بصلاته إلى الكعبة في طريقه، وأبي الآخرون وقالوا: إنه عليه السلام يتوجه إلى بيت المقدس، فلما قدموا مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: قد كنت على قبلة- يعني بيت المقدس- لو ثبت عليها أجزأك، ولم يأمره باستئناف الصلاة، فدلّ على أنهم قد كانوا مخيرين» (التفسير الكبير للرازي) ج 4 ص 111.

[(2)] [115 / البقرة.

ذكر من قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة
خرج الإمام أحمد من حديث ابن عدي عن داود عن عامر الشعبي: نزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، وكان يعلمه الكلمة والشيء. لم ينزل [من] [(1)] القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه [عشرين، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة] [(1)] .
ولحديث ابن سعد من حديث وهيب بن خالد عن داود بن أبي هند عن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، وكان معه إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين قرن بنبوته ثم عزل عنه إسرافيل عليه السلام، وقرن به أيضا جبريل عليه السلام بمكة

عشر سنين مهاجرة بالمدينة، قال ابن سعد: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن علماءهم وأهل السير منهم يقولون: لم يقرن به صلى الله عليه وسلم غير جبريل صلوات الله وسلامه عليه من حيث أنزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم، وصحح الحاكم ذلك، والله سبحانه الموفق بمنه.

[(1)] زيادة من (دلائل النبوة للبيهقي) ج 1 ص 391.

(94/3)

فصل في ذكر الفضائل التي خصّ الله تعالى بها نبيّه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وشرفه بها على جميع الأنبياء

اعلم أن الله تعالى فضّل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بفضائل عديدة ميّزه بها وشرفه على من عداه من الأنبياء عليهم السلام، فجعله رحمة للعالمين، ولم يخاطبه باسمه وإنما خاطبه بالنبوة والرسالة التي لا أجلّ منها ولا أعظم، ونهى تعالى الأمة أن يخاطبوه باسمه، ودفع عنه ما قدفه به المشركون، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يذكر له ذنبا ولا زلة، وأخذ الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به إن أدركوه، وأمر الناس أن يتأسوا به فعلا وقولا، وفرض طاعته على الكافة، وقرن اسمه تعالى باسمه، وقدم نبوته قبل خلق آدم عليه السلام، ونوه باسمه من عهد آدم، وشرف أصله، وكرم حسبه ونسبه، وطيب مولده، وسماه بخير الأسماء، وأقسم بحياته، وأفرده بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء، فأدم ومن دونه تحت لوائه، وخصّه بالشفاعة العظمى يوم الفرع الأكبر وبالخوض المورود، وجعله أعظم الأنبياء تبعا، وأعطاه خمسا لم يعطهن أحدا قبله، وبعث بجوامع الكلم، وأولى مفاتيح خزائن الأرض، وأمده الله بالملائكة حتى قاتلت معه، وختم به الأنبياء، وجعل أمته خير الأمم، وذكره في كتب الأنبياء وصحفهم، وأنطق العلماء بالبشارة به حتى كانت بعثته صلى الله عليه وسلم تنتظرها الأمم، وسمع الأخبار بنبوته صلى الله عليه وسلم من هواتف الجن ومن أجواف الأصنام ومن رجز الكهان، صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الأنبياء وعظّم وكرم.

(95/3)

فأما أنه صلى الله عليه وسلّم رحمة للعالمين
فقد قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [(1)] ، وذلك أن أعداءه أمنوا من العذاب
مدة حياته، قال تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ [(2)] ، فلم يعذبهم الله تعالى حتى
ذهب عنهم إلى ربه، فأنزل بهم ما أوعدهم من قبل وأشد، وذلك قوله تعالى: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا
مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ [(3)] .

خرج الحارث بن أبي أسامة من حديث علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلّم: بعثني الله رحمة وهدى للعالمين،
وهو هدى الدعاء والبيان.

ورواه محمد بن إسحاق من حديث الفرخ بن فضالة عن علي بن يزيد به ولفظه: إن الله بعثني
رحمة للعالمين وهدى للمتقين،
وهو هدى التعريف والاستهداء.

وقال يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ألا تدعو
على المشركين؟ قال: إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً،
فإن قيل: كيف يكون رحمة للعالمين وقد أنزل بمن عاداه الذل والصغار، فحطّم بعد الرفعة،
وأهانهم بعد المنعة، وصيرهم بعد الملك إلى الهلك، بأن حوى أموالهم، وسبى حريمهم، وملك
معاقلهم، وقتل حماقتهم، ثم إن أصحابه من بعده دوخوا ممالك الأرض بدعوته، فاجتاحوا العرب
من بني حنيفة وغيرهم عند ارتدادهم عن ملته، ومزقوا ملك كسرى وملك فارس، وأذلوا الفرس،
وشردوا قيصر ملك الروم عن الشام والجزيرة، وقتلوا الروم والفرس أبرح قتل، وغلبوا قبط مصر
وجبروهم أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون بعد ما ملكوا ديارهم وأموالهم

[(1)] [الأنبياء: 107 .

[(2)] [الأنفال: 33 .

[(3)] [الزخرف: 41 .

(96/3)

بمصر، وأزاحوا البربر عن بلاد المغرب وانتزعوها منهم ومن القوط الجلالقة، فلم يتركوا نوعاً من
أنواع العذاب حتى أحلّوه بمن ذكرنا من الأمم، وهم سكان البسيطة ومعظم الخليقة من البشر؟.

قلنا: هذا اعتراض من لم ترض نفسه بالحكمة، حتى غفل عن ترتيب حكمة الباري تعالى في مصنوعاته، ولم يعلم ما تعطيه حقائق الأشياء، وذلك أن الخال إنما تقبل على قدر الاستعداد المهياً فيها، وبيان ذلك أن الله تعالى وصف كتابه العزيز بأنه هدى للناس، قال تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ [(1)] ، وهذا عام مطرد باعتبار القوة والصلاحية، أي في قوته وصلاحيته أن يهدي جميع الناس، وهو عام مخصوص بمن لم يهتد باعتبار الفعل، إذ كثير من الناس لم يهتد به، ثم وصف تعالى كتابه بوصفين متضادين في وروده على الناس بحسب قبول قلوبهم له على قدر استعدادها، قال تعالى: وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ [(2)] ، وقال تعالى: وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [(3)] ، وقال تعالى: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ [(4)] ، فانظر - أعزك الله - كيف كانت عين القرآن واحدة، وأثره في قلوب الناس مختلف، فيزيد المؤمن به إيمانا على إيمانه، ويزداد به الكافر كفرا على كفره حتى يموت كافرا، وانظر كيف تكون شفاء ورحمة لقوم وخسارا لآخرين، وكيف يهتدي به قوم ويكون عمي على قوم؟، وذلك بحسب ما أعطاه الله من الاستعداد والمهيا للقبول، وقد كشف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قناع هذا المعنى ببلغ بيانه:

فخرج البخاري [(5)] ..

[(1)] البقرة: 185.

[(2)] التوبة: 124، 125.

[(3)] الإسراء: 82.

[(4)] فصلت: 44.

[(5)] (فتح الباري) : 1/ 232، كتاب العلم، باب (20) فضل من علم وعلم، حديث رقم (79) .

(97/3)

ومسلم [(1)] ...

[(1)]

قال المقرئزي- رحمه الله- بعد أن ساق هذا الحديث: «اللفظ لمسلم»، ولفظ مسلم: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو عامر الأشعري، ومحمد بن العلاء [واللفظ لأبي عامر] ، قالوا: حدثنا أبو أسامة، عن بريد عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن مثل ما بعثني به الله عز وجل من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها، وسقوا، ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم، وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» .

(مسلم بشرح النووي) : 16 / 51- 53، كتاب الفضائل، باب (5) ، بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، حديث رقم (2282) .
أما الغيث فهو المطر، وأما العشب والكلا والحشيش، فكلها أسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس والرطب. وقال الخطابي وابن فارس: الكلا يقع على اليابس، وهذا شاذ ضعيف. وأما الأجادب- فبالجيم والذال المهملة- وهي الأرض التي تنبت كلاً. وقال الخطابي هي الأرض التي تمسك الماء، فلا يسرع فيه النضوب.

قال ابن بطال، وصاحب المطالع، وآخرون: هو جمع جذب، على غير قياس، كما قالوا في حسن:

جمعه محاسن، والقياس: أن محاسن جمع محسن، وكذا قالوا: مشابه جمع شبه، وقياسه: أن يكون جمع مشبه، قال الخطابي: وقال بعضهم: أحادب- بالخاء المهملة والذال- قال: وليس بشيء. قال:

وقال بعضهم: أجارد- بالجيم والراء والذال- . قال: وهو صحيح المعنى.
قال الأصمعي: الأجارد من الأرض ما لا ينبت الكلاً، معناه: أنها جرداء هزرة، لا يسترها النبات، قال: وقال بعضهم: إنما هي أخاذات- بالخاء والذال المعجمتين وبالالف- وهو جمع أخاذة، وهي الغدير الذي يمسك الماء. وذكر صاحب (المطالع) هذه الأوجه التي ذكرها الخطابي، فجعلها روايات منقولة.

وقال القاضي في (الشرح) : لم يرد هذا الحرف في مسلم ولا في غيره، إلا بالذال المهملة من الجذب، الذي هو ضد الخصب. قال: وعليه شرح الشارحون. وأما القيعان فبكسر القاف- جمع القاع، وهو الأرض المستوية، وقيل: الملساء، وقيل: التي لا نبات فيها، وهذا هو المراد في هذا الحديث، كما شرح به صلى الله عليه وسلم، ويجمع أيضاً على أقوع، وأقواع، والقيعة- بكسر القاف- بمعنى القاع. قال الأصمعي: قاعة الدار: ساحتها.

وأما الفقه في اللغة فهو الفهم. يقال منه: فقه - بكسر القاف - يفقه فقها، بفتحها كفتح يفرح فرحا، وقيل: المصدر فقها - بإسكان القاف - وأما الفقه الشرعي، فقال صاحب (العين) ، والهروي، وغيرهما: يقال منه فقه - بضم القاف - وقال ابن دريد: بكسرها كالأول. والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «فقه في دين الله» ، هذا الثاني، فيكون مضموم القاف على المشهور، وعلى

(98/3)

[()] قول ابن دريد بكسرها، وقد روى بالوجهين، والمشهور الضم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء» ، فهكذا هو في جميع نسخ مسلم «طائفة طيبة» . ووقع في البخاري: «فكانت منه نقية قبلت الماء» - بنون مفتوحة ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مشددة - وهو بمعنى طيبة، هذا هو المشهور في روايات البخاري. ورواه الخطابي وغيره: «ثغبة» - بالثاء المثناة والغيث المعجمة والباء المحوذة - قال الخطابي: وهو مستنقع الماء في الجبال والصحور، وهو الثغب أيضا، وجمعه ثغبان. قال القاضي وصاحب (المطالع) : هذه الرواية غلط من الناقلين وتصحيف، وإحالة للمعنى، لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلا لما ينبت، والثغبة لا تنبت.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «وسقوا» فقال أهل اللغة: سقى وأسقى: بمعنى لغتان، وقيل: سقاه: ناوله ليشرب، وأسقاه: جعل له سقيا. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ورعوا» فهو بالراء من الرعي، هكذا هو في جميع نسخ مسلم، ووقع في البخاري «وزرعوا» ، وكلاهما صحيح، والله تعالى أعلم.

أما معاني الحديث ومقصوده: فهو تمثيل الهدى الذي جاء به صلى الله عليه وسلم بالغيث، ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس: فالنوع الأول، من الأرض ينتفع بالمطر، فيحیی بعد أن كان ميتا وينبت الكلاً، فتنفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم، فيحفظه، فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلمه غيره، فينفع وينفع. والنوع الثاني، من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة، وهي إمساك الماء

لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس، لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثابتة، ولا رسوخ لهم في العقل، يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج، متعطش لما عندهم من العلم، أهل للنفع والانتفاع، فيأخذونه منهم، فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم.

والنوع الثالث، من الأرض السباخ، التي لا تنبت، ونحوها، فهي لا تنتفع بالماء، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا النوع الثالث من الناس، ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم، والله تعالى أعلم. وفي هذا الحديث أنواع من العلم، منها:

[1] ضرب الأمثال.

[2] فضل العلم والتعليم.

[3] شدة الحث عليهما.

[4] ذم الإعراض من العلم.

والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

(99/3)

والنسائي [(1)] من حديث سويد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبت الكأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب فمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه معاني دين الله ونفعه بما بعثني به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

اللفظ لمسلم، ذكره في كتاب المناقب، وذكره البخاري في كتاب العلم وقال فيه: كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيية قبلت الماء، وقال فيه: فشربوا وسقوا وزرعوا، وقال فيه: ونفعه بما بعثني الله، وقال بعده: قال إسحاق: وكان منها طائفة قبلت الماء قاع يعلوه الماء.

[(1)] لم أجده في (النسائي) بهذه السياقة، لكن

أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري، ضمن حديث طويل أوله: عبد الله حدثني أبي، حدثني عبد الله بن محمد - وسمعتة أنا من عبد الله بن محمد - حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن

أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: «ولد لي غلام، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم، فسماه إبراهيم وحنكه بتمر، وقال: احترق بيت بالمدينة على أهله، فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم فقال: إنما هذه النار عدو لكم، فإذا نتم فأطفئوها عنكم، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم ... » وساق الحديث بنحو سياقه البخاري ومسلم.

(مسند أحمد): 5/ 544، حديث رقم (19076).

قال القرطبي وغيره: ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين، مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها.

ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أذاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع به الناس.

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها.

وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المجودتين، لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها. (الأمثال في الحديث النبوي): 378-379، حديث رقم (326) والتعليق عليه.

(100/3)

فانظر ما أبلغ هذا المثل النبوي وأبينه لما نحن بصدد، فهذه عين الماء الذي نزل من السماء واحدة، وأثره في الأرض مختلف على قدر ما أعطاها الحكيم الخبير سبحانه من الاستعداد، وهياً فيها من القبول حتى قبلت [كل] [1] قطعة منها الماء بحسب استعدادها، فأنبتت الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات التي يفضل بعضها على بعض في الأكل، وقبلت قطعة أخرى من الأرض ذلك الماء بعينه، فأنبتت بحسب استعدادها كالأعشاب وترعاه الأنعام، وفقدت قطعة أخرى هذا الاستعداد المهيئ لقبول الإنبات، فأمسكت الماء ولم تغيره عن أصله

لطيبتها حتى استقى منه الناس فشرّبوا وحملوا وسقوا أنعامهم، وكانت قطعة أخرى من الأرض لم يجعل الله تعالى فيها من الاستعداد لقبول النباتات شيئا، وسلبها مع ذلك الطيب والاعتدال، حتى انحرفت عنه فلم تخرج نباتا ولا أمسكت ماء، بل أحواله لحبثها أجاجا وملحا لا ينتفع به، فكما اختلفت الأرض في الاستعداد واختلفت في القبول، وهكذا نفوس الناس لما اختلفت في الاستعداد لقبول الخير والهدى، اختلفت في قبوله، وعين الهدى واحدة، ولكن أثره في نفوس الناس مختلف، فواحد قبل هدى الله الذي جاء به نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم حال ما جاء به من غير أن يدعى إليه ولا طلب منه دليلا عليه كخديجة بنت خويلد، وأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وزيد الحبّ، رضي الله عنهم، وذلك بحسب قوة استعدادهم لقبول الهدى، وقد عبّر عن هذا الاستعداد في اصطلاح القرآن بالهداية، ويقال له التوفيق أيضا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: حَبَّبَ إِلَيْنَكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْنَكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ [(2)] ، وقال تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [(3)] ، أي والذين اهتدوا يعني قبلوا الهداية العامة الإيمانية بقبوليتهم الأصلية، وأقبلوا بكلية مواطنهم إليها، زادهم الله هدى بما أدركهم من عناية مدد الحضرة الرحمانية بالهداية الخاصة من مقام الإحسان، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ يعني أعطاهم تقوى نفوسهم بأن جعلوا حكم توحيدهم الباطن في قلوبهم وقاية تصون أنفسهم عن التلبس من أحشاء الانحرافات المبعدة لهم عن جناب

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] الحجرات: 7.

[(3)] محمد: 17.

(101/3)

موجودهم تقدّس وتعالى.

وآخرون آتاهم الله تعالى من هذا الاستعداد دون ما أتى من ذكرنا، فاحتاجوا إلى أن يدعوا إلى الله ويدلّوا على الطريق إليه، وهم الذين دخلوا في دين الإسلام من المهاجرين والأنصار، وقصر هذا الاستعداد في قلوب آخرين حتى احتاجوا في دخولهم في الإيمان إلى أن أظهر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم من آياته ومعجزاته ما قادهم إلى الإيمان به طوعا، وانحط فريق عن هذه الرتب لضعف الاستعداد عندهم لقبول الهدى، فلم يدخلوا فيه إلا كرها من تحت السيف، كمسلمة الفتح الذين قيل لهم:

«الطلاق» [(1)] .

وعدمت طوائف من الناس هذا الاستعداد جملة فشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى وعاندوا الحق بعد ما وضح، وصدّوا عن سبيل الله من آمن به، وبذلوا جهدهم في إطفاء نور الله- رسول الله صلى الله عليه وسلّم- حتى ماتوا وهم كافرون من أجل أنه لم يكن فيهم من الاستعداد المهيب لقبول الهدى شيء، قلّ ولا جلّ، بل كانوا في ورود الهدى عليهم بمنزلة الأرض الخبيثة التي أحاطت ماء الغيث العذب الطهور إلى السباخ الرديء، وبمنزلة من به آفة في معدته من خلط رديء، [فأحالت] [(2)] أطيب المأكّل وأنفعها سما مهلكا وداء عياء. وانظر- رحمك الله- إلى الآية الواحدة من كتاب الله تعالى فإنّها ترد على الأسماع، فواحد يفهم أمرا واحدا، وآخر لا يفهم منها ذلك الأمر بل يفهم أمرا آخر، وآخر يفهم منها أمورا كثيرة، ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها، فالآية واحدة العين، والسامعون لها مختلفون في القبول، وذلك لاختلاف استعداد أفهامهم فيها. وواع سمعك أمثالا أفصلها مما قد ألفته من المحسوسات: منها أن الشمس تبسط أنوارها على الموجودات كلها فتقبل المحال ذلك النور على قدر الاستعداد، فالجسم

[(1)] إشارة إلى

قوله صلى الله عليه وسلّم يوم الفتح: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

[(2)] زيادة للسياق.

(102/3)

المبرود يسخن بها فيتلذذ بذلك، والجسم الخرور يزيد في كمية حرارته فيتألم بها، فالنور واحد لهما، وكل واحد منهما يتألم بما به ينعم الآخر بعينه، فلو كان النور لإعطائه حقيقة واحدة، وإنما ذلك لاستعداد القابل.

وهكذا تجد الشمس تسوّد وجه القصار [(1)] وتبييض الثوب الذي يقصره، فإن استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبييض، ووجه القصار تعطي الشمس فيه التسويد، وكذلك ترى الشمس تذيب الشمع والشحم، وتجفف الطين والثوب المبلول، فإن استعداد كل واحد من هذه المذكورات تعطيها الشمس بحسب قبوله، ومن ذلك الهواء، إذا هبّ فإنه في هبويه يطفى السراج ويشعل النار في الحطب ونحوه مما من شأنه أن يقبل الاشتعال، وهكذا نفخك يطفى السراج ويشعل النار في الحطب، وربما كان ذلك بنفخة واحدة، وذلك أن اختلافهما في الاستعداد

يوجب اختلافهما في القبول، والهواء واحد في عينه، ومن هذا القبيل العطايا الإلهية، قال تعالى: وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا [(2)] أي ممنوعاً، فهو سبحانه معط على الدوام، والمحالّ تقبل على قدر ما أعطاه الله تعالى من الاستعدادات، فإذا فهمت هذا علمت أن عطاء الله تعالى ليس بممنوع، إلا أنك تحب أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك، وتنسب المنع إليه - سبحانه - فيما طلب منه، ولا تجعل ما لك من الاستعداد وتقول: إن الله تعالى على كل شيء قدير، وتصدق في ذلك، ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلهية وما تعطيه حقائق الأشياء والكل من عند الله، فممنعه عطاء، وعطاؤه منع، ولكن بقي أن تعلم بكذا أو من كذا.

وإذا تدبرت هذه الأمثلة انجلت لك شبهة ما أورده أهل الزبغ والإلحاد على عموم أن رسالة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي: إن الأنبياء والرسول

[(1)] القَصَّارَةُ الحَوْرُ للثياب لأنه يدقها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب وحرفته القصار، والمقصرة:

خشبة القَصَّار. (لسان العرب): 5 / 104.

[(2)] [الإسرائ: 20.

(103/3)

صفوة الخلق، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنه [نور] [(1)] ورحمة، قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [(2)] ، فالرسل خلقوا للرحمة، ومحمد صلى الله عليه وسلم خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أماناً للخلق لما بعثه سبحانه وتعالى آمن الخلق العذاب إلى نفخة الصور، وسائر الأنبياء عليهم السلام لم يخلوا هذا الخلق، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: أنا رحمة مهداة، فأخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله تعالى، وقوله: مهداة، أي هدية من الله سبحانه وتعالى للخلق، والله الموفق.

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] [الأنبياء: 107.

وأما مخاطبة الله له بالنبوة والرسالة ومخاطبة من عداه من الأنبياء باسمه فإن ذلك أبان الله تعالى به عن إجلال قدر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتمجيده وتعظيمه، فإنه لا أجل من النبوة، ولا أعظم خطراً منها، قال تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ [(1)] ، وقال: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ [(2)] ، وقال: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ [(3)] ، وقال: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ [(4)] ، وخاطب سبحانه الأنبياء بأسمائهم، وأخبر عنهم بأسمائهم، فقال تعالى: يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ [(5)] ، وقال في الإخبار عنه:

وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى [(6)] ، وقال، يا نُوحُ اهْبِطْ [(7)] ، وقال في الإخبار عنه: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ [(8)] ، وقال: يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا [(9)] ، وقال في الإخبار عنه: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ [(10)] ، وقال:

يا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي [(11)] ، وقال في الإخبار عنه: فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ [(12)] ، وقال: يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ [(13)] ، وقال في الإخبار عنه: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ [(14)] ، وقال: يا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ [(15)] ، وقال: يا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (بعذاب الله) [(16)] ، وقال: يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ [(17)] ، وقال: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ [(18)] ،

[(1)] الأحزاب: 45.

[(2)] الأنفال: 64.

[(3)] آل عمران: 176.

[(4)] المائدة: 67.

[(5)] الأعراف: 19.

[(6)] طه: 121.

[(7)] هود: 48.

[(8)] هود: 42.

[(9)] هود: 76.

[(10)] البقرة: 127.

[(11)] الأعراف: 144.

[(12)] القصص: 15.

[(13)] المائدة: 110.

[(14)] الصف: 6.

[(15)] هود: 53.

[(16)] الأعراف: 77.

[(17)] ص: 26.

[(18)] ص: 34.

(105/3)

وقال: يا زكريَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ [(1)] ، وقال: يا يحيى خُذِ الْكِتَابَ [(2)] ، فلم يخاطب أحدا منهم ولا أخبر عنه إلا باسمه، وكل موضع ذكر فيه محمدا صلى الله عليه وسلم أضاف إليه ذكر الرسالة، فقال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [(3)] ، وقال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ [(4)] ، وقال: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ [(5)] ، وقال: وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ [(6)] ، فسماه ليعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد، فلو لم يسمه لم يعلم اسمه من الكتاب، وكان تسمية الله له بمحمد زيادة في جلالته قدره وتنبيها على مزيد شرفه، لأن اسمه عليه السلام مشتق من اسم الله تعالى، كما مدحه به عمه أبو طالب بقوله:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ولما جمع الله تعالى بين ذكر محمد وإبراهيم عليهما السلام، سمي خليله باسمه وكني حبيبه محمدا بالنبوة فقال تعالى: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا [(7)] ، فأبان سبحانه بذلك عن شرف مقدار محمد صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عنده، ثم قدمه الله عز وجل في الذكر على من تقدمه في البعث، قال تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... [(8)] ، إلى قوله: وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا [(9)] ، وقال تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ [(10)] الآية،

وقد روى من طرق عن سعيد بن بشير، حدثنا قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ [(11)] ، قال: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث،

فانظر كيف خاطب الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلّم بالتبوة والرسالة، ولم يخاطب غيره من الأنبياء إلا باسمه، إلا أن يكون محمدا صلى الله عليه وسلّم في جملتهم فيشركهم معه

[(1)] مريم: 7.

[(2)] مريم: 20.

[(3)] آل عمران: 144.

[(4)] الفتح: 29.

[(5)] الأحزاب: 40.

[(6)] محمد: 2.

[(7)] آل عمران: 68.

[(8)] النساء: 163.

[(9)] النساء: 163.

[(10)] الأحزاب: 7.

[(11)] الأحزاب: 7.

(106/3)

في الخطاب والخبر، ليبين تعالى لعباده ارتفاع رتبة رسول الله صلى الله عليه وسلّم على جميع الأنبياء، وعلو مكانته على مكاناتهم كلهم، إذ الكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب، لأن من بلغ به الغاية في التعظيم كني عن اسمه بأخص أوصافه وأجلّها، والله الموفق.

(107/3)

وأما دفع الله عن الرسول صلى الله عليه وسلّم ما قرفه به المكذبون، ونهى الله تعالى العباد عن مخاطبته باسمه

اعلم أن الأمم السالفة كانت تخاطب أنبياءهم بأسمائهم، كقولهم: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما هم آلهة [(1)] ، وقولهم: يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة [(2)] ، وقولهم: يا هود ما جئتنا ببينة [(3)] ، وقولهم:

يا صالح ائتنا [(4)] ، فشرف الله الرسول صلى الله عليه وسلّم بتبجيل قدره، ونهى الكافة أن

يخاطبوه باسمه، فقال تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً [(5)] ،
فندبهم الله تعالى إلى تكيته بالتبوة والرسالة، رفعة لمنزله وتشريفاً لقدره على جميع الرسل
والأنبياء، وأوجب تعالى تعزيره صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وألزم سبحانه إكرامه وتعظيمه، قال
ابن عباس: تعزروه: تبجلوه، وقال المبرد:
تعزروه: تبالغوا في تعظيمه، وقال الأخفش: تنصرونه، وقال الطبري: تعينونه، وقرأ تعزرونه بزاءين
من العز.

[و] [(6)] خرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة من حديث أبي رزق عن الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً [(7)]
قال: كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، قال:
فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم، قال: فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.
ولأبي نعيم من حديث محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس:
لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً يعني كدعاء أحدكم إذا

[(1)] [الأعراف: 138.

[(2)] [المائة: 112.

[(3)] [هود: 53.

[(4)] [الأعراف: 77.

[(5)] [النور: 63.

[(6)] [زيادة للسياق.

[(7)] [النور: 63.

(108/3)

دعي أخاه باسمه، ولكن وقروه وعزروه وعظموه، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله.
وعن عاصم عن الحسن: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قال: لا تقولوا: يا
محمد، قولوا يا رسول الله.
وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قال: لا
تقولوا: يا محمد، قولوا يا رسول الله.
وعن قتادة: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قال: أمر الله سبحانه وتعالى أن

يهاب نبيه صلوات الله عليه وأن يعظم ويفخّم ويسوّد، وفي رواية قال: أمرهم الله تعالى أن يفخموه ويشرفوه، ونهى المؤمنين أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: راعنا سمعك، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا [(1)] ، قال الضحّاك عن ابن عباس: لا تقولوا: راعنا، وذلك أنّها سبّة بلغة اليهود، فقال: قولوا انظُرنا، يريد أسمعنا، فقال المؤمنون بعدها: من سمعتموه يقولها فاضربوا عنقه، فانتهت اليهود بعد ذلك.

وعن أبي صالح عن ابن عباس: لا تقولوا راعنا قال: راعنا بلسان اليهود السب القبيح، فكان اليهود يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ذلك سرا، فلما سمعوا أصحابه يقولونه أعلنوا بها، فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فسمعها منهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم لأضربن عنقه.

وعن مجاهد: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا خِلافاً وَقُولُوا: انظُرنا، أفهمنا، بين لنا.

وعن قتادة: لا تقولوا راعنا قال: كانت اليهود تقول: راعنا استهزاء، فنهى الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

[(1)] البقرة: 104.

(109/3)

وعن عطية: لا تقولوا راعنا قال: كان أناس من اليهود يقولون: راعنا سمعك، حتى قالها أناس من المؤمنين، فكره لهم ما قالت اليهود، فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَقُولُوا انظُرْنَا وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

(110/3)

وأما دفع الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلّم ما قرفه المكذبون له كان من تقدم من أنبياء الله صلوات الله عليهم كانوا يردون عن أنفسهم ويدفعون ما قرفهم مكذبوهم، فتولى الله ذلك عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلّم، قال تعالى [حكاية] [(1)] [عن قوم نوح: إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] [(2)] ، فقال دافعا عن نفسه: يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي

صَلَاةً [(3)] ، وقال قوم هود: إِنَّا لَتَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ [(4)] ، فقال دافعا عن نفسه: قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ [(5)] ، وقال فرعون لموسى: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا [(6)] ، فقال موسى مجيبا له:

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا [(7)] ، فتولى الله سبحانه وتعالى المجادلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال المشركون عنه: إنه شاعر، فقال: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ [(8)] ، ولما قالوا: كاهن قال تعالى: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [(9)] ، ولما قالوا: ضال، قال سبحانه وتعالى: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى [(10)] ، ولما قالوا عنه صلى الله عليه وسلم: إنه مجنون، قال الله سبحانه وتعالى: فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ [(11)] .

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] الأعراف: 60.

[(3)] الأعراف: 66.

[(4)] الأعراف: 61.

[(5)] الأعراف: 67.

[(6)] الإسراء: 101.

[(7)] الإسراء: 102.

[(8)] يس: 69.

[(9)] الحاقة: 41.

[(10)] النجم: 2.

[(11)] الطور: 29.

(111/3)

وأما مغفرة ذنبه من غير ذكره تعالى له خطأ ولا زلة

فقد خرج الحاكم من حديث الحكم بن أبان قال: سمعت عكرمة يقول: قال ابن عباس: إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء وعلى جميع أهل السماء، وفضله على أهل الأرض، قالوا: يا ابن عباس!! بم فضله على أهل السماء؟ قال:

قال الله تعالى: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْرِي الطَّالِمِينَ [(1)]

، وقال لحمد: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [(2)]
الآية، قالوا: فبم فضله على أهل الأرض؟ قال: قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ
قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [(3)] ، الآية، وقال لحمد: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا [(4)]
، فأرسله إلى الجن والإنس، قال الحاكم: هذا حديث صحيح.
واعلم أن من تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم، من الأنبياء ذكر الله تعالى أحوالهم [و] [(5)]
[ما كان منهم يقصه تعالى على ما غفره لهم، قال تعالى في قصه موسى: رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ
نَفْسًا] [(6)] ، وقال: إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ [(7)] ، فقصّ تعالى ما غفر له
وسأل فيه المغفرة، وقال تعالى عن داود: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَى إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا
عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا
تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَايُّ نَعْجَةٍ وَاحِدَةٌ فَقَالَ
أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ
لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ [(8)] ، فقصّ تعالى على

[(1)] [الأنبياء: 29.

[(2)] [الفتح: 1، 2.

[(3)] [إبراهيم: 4.

[(4)] [سبأ: 28.

[(5)] [زيادة للسياق.

[(6)] [القصص: 33.

[(7)] [القصص: 16.

[(8)] [ص: 21-24.

(112/3)

ما كان فيهم، ولم يقصّ على خطأ كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إكراماً له وتشريفاً،
فقال عز من قائل: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْسَ
نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا [(1)] ، وهذا غاية الفضل
والشرف، لأنه تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه تعالى

استوعب في هذه الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدينيوية التي أنعم الله بها على عباده، فلم تبق نعمة يمكن أن تكون من الله تعالى على عباده إلا وقد جمعها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن جميع النعم الأخروية شيئان: سلبية وهي غفران الذنوب، وثبوتية وهي لا تنتهي، أشار إليها بقوله: **وَيُنِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ [(1)]** ، وجميع النعم الدينيوية شيئان: دينية أشار إليها بقوله: **وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا [(1)]** ، ودينيوية، وإن كانت هنا المقصود بها الدين، وهي قوله: **وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا [(1)]** ، وقدم الأخروية على الدينيوية، وقدم في الدينيوية الدينية على غيرها تقديمًا للأهم فالأهم، فانتظم بذلك تعظيم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإتمام نعم الله تعالى عليه، المتفرقة في غيره، ولهذا قال: جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة، وجعله خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: لك.

وقد أشار ابن عطية إلى هذا فقال: وإنما المعنى: التشريف بهذا الحكم، ولو لم يكن له ذنب البتة. انتهى.

وقد ذكر الناس أقوالاً آخر، منها: ما يجب تأويله، ومنها ما يجب رده، فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه: **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ أَيُّ مَا يَكُونُ**، وهذا يمكن تأويله على ما قدمناه، أي مما يكون لو كان، والمعنى أنك يا سيد المرسلين بحالة لو كان لك ذنوب ماضية ومستقبلة لغفرنا جميعها لك لشرفك عندنا. ومنها قول مقاتل: **لِيَغْفِرَ لَكَ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ**، وهذا مردود، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له جاهلية، ومن قال: **ليغفر لك ما كان قبل النبوة فهو مردود**

[(1)] أول سورة الفتح.

(113/3)

أيضا، لأنه صلى الله عليه وسلم معصوم قبل النبوة وبعدها. ومنها قول سفيان الثوري: **ليغفر لك ما كان في الجاهلية ما علمت وما لم تعلم**، وهو مردود بمثل الذي قبله، ومنها قول عطاء الخراساني: **ليغفر لك ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك**، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك على حذف مضاف. ومنها ما حكى عن مجاهد: **ليغفر لك ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد**، وهذا قول باطل، فإنه لم يكن في قصه مارية وامرأة زيد ذنب أصلا، وقد أوردنا ما جاء في قصتيهما

عند ذكر أزواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم، وليس فيهما ما يعدّ زلة ولا ذنبا، ومن اعتقد ذلك فقد أخطأ.

ومنها قول الزمخشري: جميع ما فرط منك، وهذا مردود بشيئين: أحدهما: عصمة الأنبياء، وقد أجمعت الأمة على عصمتهم فيما يتعلق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرذيلة التي تحط مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر، فهذه الأربعة مجمع عليها، واختلفوا في الصغائر التي لا تحط مرتبتهم، فذهبت المعتزلة، وكثير من غيرهم إلى جوازها، والمختار المنع لأننا مأمورون بالافتداء في كل ما يصدر منهم في قول وفعل، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي، ونؤمر بالافتداء بهم فيه؟

وتجاسر قوم على الأنبياء فنسبوا إليهم تجويزها عليهم مطلقا، وهم محجوجون بما تقدم من الإجماع، ثم إن الذين جوزوا الصغائر لم يجوزوها بنص ولا دليل، وإنما أخذوا ذلك من هذه الآية وأمثالها، وقد ظهر بجواب هذه، وفي كل موضع من الباقيات يذكر جوابه إن شاء الله تعالى. والذين جوزوا الصغائر التي ليست برذائل، قال ابن عطية: اختلفوا هل وقع ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم أو لم يقع؟ قال كاتبه: والحق الذي لا مرية فيه أنه لم يقع، وكيف يستحيل خلاف ذلك وأحواله صلى الله عليه وسلم منقسمة إلى قول وفعل؟ أما القول، فقال تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [(1)] ، وأما الفعل،

[(1)] النجم: 3-4.

(114/3)

فإجماع الصحابة المعلوم منهم قطعا على اتباعه والتأسي بما يفعله في كل ما يفعله من قليل أو كثير، أو صغير أو كبير، لما عندهم في ذلك توقف ولا بحث، حتى أعماله عليه السلام في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها، علم بهم صلى الله عليه وسلم أو لم يعلم. والثاني: أنا لو سلمنا بعدم العصمة - وحاش لله - فإنه لا يناسب ما تشير إليه الآية من التعظيم والامتنان، وجعل ذلك غاية الفتح المبين، المقرون بالتعظيم، فحمله على ذلك محل بالبلاغة، والمعنى الذي حملنا عليه الآية يناسب البلاغة، فوجب المصير إليه، وقوله: وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا [(1)] أعيد لفظه لما بعد عما عطف عليه، وليكون المبتدأ والمنتهي بالاسم الظاهر، والضميران في الوسط، وأتت هذه النعم الأربع بلفظ الغيبة، وجاء الفتح قبلها بضمير المتكلم تعظيما لأمر الفتح، لأن المغفرة وإن كانت عظيمة فهي عامة، قال تعالى: وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لَمَنْ يَشَاءُ [(2)] وكذلك إتمام النعمة، قال تعالى: وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي [(3)] ، وهكذا الهداية، قال تعالى: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [(4)] ، ومثله النصر، قال تعالى: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُنصُورُونَ [(5)] ، وأما الفتح: فإنه لم يتفق لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل في الاسم مع النصر: إنه تعظيم له، ولهذا قلّ ما ذكر الله تعالى النصر من غير إضافة إليه أو اقتران باسمه ليطمئن القلب بذكر الله تعالى، فيحصل الصبر، وبه يحصل النصر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقال سفيان عن عيينة قال: عن ميسرة قال ابن عبد الله: أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب، قال تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ [(6)] ، وقال عبد الله بن يزيد المصري: ليس هذا لني قبله ولا بعده، يعني قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ [(6)] ، فبدأ سبحانه بالعفو قبل العقاب.

[(1)] الفتح: 3.

[(2)] النساء: 48.

[(3)] المائدة: 3.

[(4)] البقرة: 142.

[(5)] الصافات: 172.

[(6)] التوبة: 43.

(115/3)

وأما أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وينصروه إن أدركوه

فقد قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [(1)] .
قوله: لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ مَا، بمعنى الذي، قال النحاس: التقدير على قول الخليل: الذي آتيتكموه ثم حذف الهاء لطول الاسم، والإصر: العهد.

وعن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لم يبعث الله نبيا [من لدن] [(2)] آدم فمن بعده إلا أخذ الله العهد عليه في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره

فيأخذ العهد على قومه، فقال: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ... وعن سعيد عن قتادة: قوله: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ... الآية، هذا ميثاق قد أخذه الله على النبيين أن يصدقوا بعضهم بعضا، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلّم ويصدقوه وينصروه. وقال أسباط عن السدي: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ الآية، قال: لم يبعث الله نبيا قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن

[(1)] المائدة: 83.

[(2)] زيادة للسياق.

(116/3)

بمحمد صلى الله عليه وسلّم ولينصرنه إن خرج وهو حيّ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرونه هم إن خرج وهم أحياء. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: ثم ذكر ما أخذ عليهم - يعني على أهل الكتاب - وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه - يعني بتصديق محمد صلى الله عليه وسلّم - إذا جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم فقال: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ... إلى آخر الآية.

وقال أسباط عن السدي في قوله: لَمَا آتَيْتُكُمْ: يقول لليهود: أخذت ميثاق النبيين لمحمد صلى الله عليه وسلّم وهو الذي ذكر في الكتاب عنكم، فهذا كما ترى، وقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء عليهم السلام إن جاءهم رسول مصدق لما معهم وهو محمد صلى الله عليه وسلّم آمنوا به ونصروه، فلم يكن أحد منهم ليدرك الرسول صلى الله عليه وسلّم إلا وجب عليه الإيمان به ونصره على أعدائه لأخذه الميثاق منهم، فجعلهم تعالى كلهم أتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلّم يلزمهم الانقياد له والطاعة لأمره لو أدركوه.

وقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم على معنى ما قلنا، فروى هشيم عن مجالد عن الشعبي عن جابر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلّم ومعى كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب فقال: والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيا اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني» [(1)] .

[(1)]

رواه البخاري عن يحيى بن بكير، وعن موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، وقال البيهقي في (الشَّعب) : وقد روينا عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن عمر أتاه فقال: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: أمتهؤكون أنتم كما تهؤكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بما بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا أتباعي.

قال أبو عبيد: قال ابن عون فقلت للحسن: منهوكون؟ قال: متحIRON.

وأخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا أبو علي حامد بن محمد الرِّقَاء، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا حماد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا». زاد القاضي في روايته: «والله لو كان موسى عليه السلام حيا ما حلّ له إلا أن يتبعني».

وروى عن جبير بن نفير، عن عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وسلم في نحو ما كتب من قول اليهود

(117/3)

وقال بعض العارفين بالله تعالى. وبهذا يتبين لك سيادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على

جميع الأنبياء والمرسلين من] [(1)]

قوله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم [(2)] ولا فخر،

وفي رواية مسلم [(3)] : أنا سيد الناس يوم القيامة،

فثبتت له السيادة والشرف على

[()] (بريقه والنهي عن ذلك.

(شعب الإيمان للبيهقي) : 1/ 199-200، باب في الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة، ذكر

حديث جمع القرآن، حديث رقم (176)، (178)، (179)، وحديث رقم (5205) :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله الصنعاني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا عبد

الرزاق عن معمر عن الزهري، أن حفصة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه

قصص يوسف في كتف، فجعلت تقرأ عليه، والني صلى الله عليه وسلم يتلون وجهه فقال: «والذي نفسي بيده، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم». (المرجع السابق) : 4 / 308-309، باب حفظ اللسان، فصل في ترك قراءة كتب الأعاجم. ونحوه في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) 3 / 114-115، باب الزجر عن النظر في كتب أهل الكتاب، حديث رقم (3024).

وخرَج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن ثابت رضي الله تعالى عنه، قال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي من جوامع التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عبد الله: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، قال: فسرتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: والذي نفسي بيده، لو أصبح فيكم موسى، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين». (مسند أحمد) : 4 / 513-514، حديث رقم (15437).

[(1)] زيادة للسياق، ومكانها مطموس في (خ).

[(2)]

(المستدرک) : 3 / 133، 134، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (4625 / 223) : حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا محمد بن معاذ، حدثنا أبو حفص عمر بن الحسن الراسي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم، وعليّ سيد العرب». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وفي إسناده عمر بن الحسن، وأرجو أنه صدوق، ولولا ذلك لحكمت بصحته على شرط الشيخين، وله شاهد من حديث عروة عن عائشة رقم (4626 / 224) : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر القاري ببغداد، حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، حدثنا الحسين بن علوان، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا لي سيد العرب» فقلت: يا رسول الله! أأنت سيد العرب؟ قال: «أنا سيد ولد آدم، وعليّ سيد العرب». وله شاهد آخر من

حديث جابر رقم (4627 / 225) : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا لي سيد العرب، فقالت عائشة رضي الله عنها: أأنت سيد العرب يا رسول الله؟ فقال: أنا سيد ولد آدم وعليّ سيد العرب».

[(3)]

(مسلم بشرح النووي) : 3 / 66 - 69 ، كتاب الإيمان ، باب (84) ، حديث رقم (327) ،

(118/3)

أبناء جنسه من البشر ،

وقال صلى الله عليه وسلم: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين [(1)] ،

فأخبره الله تعالى بمرتبته ، وأنه عليه السلام إذ ذاك صاحب شرع ، فإنه

قال: كنت نبيا

ولم

[()] وحديث رقم (328) ، قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد الناس يوم القيامة» ،

ضمن حديث طويل معروف باسم (حديث الشفاعة) ، وسيأتي ذكره مشروحا إن شاء الله تعالى

في فصل [اختصاصه بالشفاعة العظمى يوم الفرع الأكبر] .

[(1)]

المعروف أن هذا الحديث بلفظ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» ، أخرجه أبو

نعيم في (الدلائل) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن لال ، ومن طريقه الديلمي ، كلهم من حديث

سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة به مرفوعا .

وله شاهد من

حديث ميسرة الفجر ، بلفظ:

«كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» ، أخرجه أحمد ، والبخاري في (التاريخ) ، والبغوي ، وابن

السكن ، وغيرهما في (الصحابة) ، وأبو نعيم في (الحلية) ، وصححه الحاكم ، وكذا هو بهذا اللفظ

عند الترمذي وغيره عن أبي هريرة: متى كنت أو كتبت نبيا؟ قال: «وآدم» ، وذكره . وقال

الترمذي:

إنه حسن صحيح ، وصححه الحاكم أيضا* وفي لفظ: «وآدم منجدل في طينته» ،

وفي صحيح ابن حبان والحاكم ، من حديث العرياض بن سارية مرفوعا: «إني عند الله لمكتوب

خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته» .

وكذا أخرجه أحمد ، والدارمي في مسنديهما ، وأبو نعيم والطبراني ، من حديث ابن عباس ، قال:

قيل: يا رسول الله ، متى كتبت نبيا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» .

وأما الذي على الألسنة بلفظ

«كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» ،

فلم نقف عليه بهذا اللفظ، فضلا عن زيادة:

«وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين» .

وقد قال شيخنا- الحافظ ابن حجر- في بعض الأجوبة عن الزيادة: إنها ضعيفة، والذي قبلها قوي. (المقاصد الحسنة) : 520- 521، حديث رقم (837) .

وقال الزركشي: لا أصل له بهذا اللفظ، قال السيوطي في (الدر) : وزاد العوام: «ولا آدم ولا ماء ولا طين» ، لا أصل له أيضا، وقال القاري: يعني بحسب مبناه، وإلا فهو صحيح باعتبار معناه. وروى الترمذي أيضا عن أبي هريرة، أنهم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» ، وفي لفظ: متى كتبت نبيا؟ قال: «كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد» . وعن الشعبي، قال رجل: يا رسول الله متى استنبتت؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ مني الميثاق» .

وقال النقي السبكي: فإن قلت: النبوة وصف، لا بدّ أن يكون الموصوف به موجودا، وإنما يكون بعد أربعين سنة، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله؟ قلت: جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون بقوله: «كنت نبيا» ، إلى روحه الشريفة، أو حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعرفها خالقها، ومن أمده بنور آهي.

ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعا أنه قال: «كنت نورا بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. (كشف الخفا ومزيل الالباس) : 2 / 129، حديث رقم (2007) .

(119/3)

يقول: كنت إنسانا، ولا كنت موجودا، أو ليست النبوة إلا بالشرع المقدر عليه من عند الله تعالى؟ فأخبر سبحانه وتعالى أنه عليه السلام صاحب النبوة قبل وجوده في الأنبياء في الدنيا وهو روح قبل اتخاذه تعالى الأجسام الإنسانية، فكانت الأنبياء عليهم السلام في هذا العالم نواب محمد صلى الله عليه وسلم من آدم إلى عيسى عليهما السلام، وإلى هذا الإشارة بقوله عليه السلام: لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني، وكذلك لو كان محمد صلى الله عليه وسلم موجودا بجسمه من لدن آدم عليه السلام إلى زمان وجوده، لكان جميع بني آدم تحت شريعته، ولهذا لم يبعث بشريعة عامة إلا هو صلى الله عليه وسلم، فإنه الملك والسيد، وكل رسول إنما بعث إلى

قوم مخصوصين، ولم تعم، فمن زمن آدم إلى زمن بعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى يوم القيامة ملكه، وله يوم القيامة التقدم أيضا على جميع الرسل مع السيادة، فكانت روحانيته صلى الله عليه وسلم روحانية كل رسول موجودة، والإمداد يأتي إليهم من روحه الطاهرة بما يظهر منهم من الشرائع والعلوم في زمن وجودهم رسلا، وكان تشريعهم الشرائع كما كان علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم يقضون في زمان وجود جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما يكون عيسى عليه السلام حين ينزل آخر الزمان بشرع محمد صلى الله عليه وسلم، لكن لما لم يوجد صلى الله عليه وسلم في الحسن نسب كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان مفقود العين، كما يكون صلى الله عليه وسلم مفقود العين في زمان نزول عيسى وحكمه بالشرع المحمدي، وكون محمد صلى الله عليه وسلم نسخ الله بشرعه جميع الشرائع، لا يخرجها النسخ عن أن تكون من شرعه، فإن الله تعالى قد أشهدنا في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفقنا على أنه شرعه، فنسخ بالمتأخر، فكان هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة المحمدية تنبيها لنا على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعا له، وكان نزول عيسى آخر الزمان حاكما بغير شرعه الذي كان عليه في زمان رسالته، وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم أدل دليل على أنه لا حكم لأحد من الأنبياء مع وجود محمد صلى الله عليه وسلم أو وجود ما قرره من الحكم، فخرج من هذا كله أن محمدا صلى الله عليه وسلم ملك وسيد على جميع بني آدم، وأن جميع من تقدمه كان ملكا له، والحاكمون فيه كانوا نوابا عنه، فإن قلت: قال الله تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ

(120/3)

أَقْتَدِهِ [(1)] ، قلت: هذا صحيح، فقد قال تعالى: فَبِهِدَاهُمْ، وهداهم من الله وهو شرعه صلى الله عليه وسلم، أي الزم شرعك الذي أظهرته نوابك من إقامة الدين وعدم التفرق فيه، ولم يقل سبحانه: فبهم أقتد، وكذا قال سبحانه: ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً [(2)] وهو الدين، فهو صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع الدين، فإن أصل الدين إنما هو من الله تعالى لا من غيره، وأين هذا من قوله صلى الله عليه وسلم: لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني؟ فأضاف الاتباع إليه، وأمر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين لا باتباع الأنبياء، فإن السلطان الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم إلا له، فإذا غاب حكم النائب بمراسمه، فهو الحاكم في الحقيقة غيبا وشهادة، مما قيل في شرفه:

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا ظهرت لم يبد منها كوكب [(3)]
فانظر ما أبدع هذا الفضل الذي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لم ينتبه إليه إلا من شاء
الله، وقليل ما هم، والله يختص برحمته من يشاء.

[(1)] [الأنعام: 90 .

[(2)] [النحل: 123 .

[(3)] [البيت للناطقة الذبياني .

(121/3)

وأما عموم رسالته إلى الناس جميعاً وفرض الإيمان به على الكافة، وأنه لا ينجو أحد من النار حتى
يؤمن به صلى الله عليه وسلم

فاعلم أن الإيمان به صلى الله عليه وسلم هو التصديق بنبوته وإرسال الله تعالى له وتصديقه في
جميع ما جاء به من الله وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله،
فإذا اجتمع التصديق بالقلب والنطق بالشهادة باللسان، تم الإيمان به والتصديق له، قال الله
تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [(1)] ، وقال: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ [(2)] ، وقال:

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُجِدُونَهُ [(3)] الآية، فالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
واجب لا يتم الإيمان إلا به، ولا يصح الإسلام إلا معه، وقد تقرر بما تقدم ثبوت نبوته وصحة

رسالته، فوجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به وتعين ذلك، قال تعالى: وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا [(4)] ، وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ [(5)] ،

وقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا [(6)] ، وقال: وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى
بِاللَّهِ شَهِيدًا [(7)] ، أي على رسالتك يشهد لك بإظهار المعجزات على صدقك، إذ المعجزة

في قوة قول الله تعالى: صدق عبدي في أنه رسول، والثانية مقررة للأولى، لأنه إنما تثبت عموم
دعوته بإخباره، وما ورد على لسانه، وخبره إنما يقبل إذا ثبت صدقه، وصدقه إنما ثبت

بالمعجزات، فأذن نظم الدليل هكذا: محمد صلى الله عليه وسلم أتى بالمعجزات فهو صادق،
وكل صادق يجب قبول خبره بعموم دعوته، وهو المطلوب.

وخرج مسلم من حديث يزيد بن زريع قال: حدثنا روح عن العلاء بن

-
- [(1)] [التغابن: 8].
[(2)] [الفتح: 8].
[(3)] [الفتح: 13].
[(4)] [الفتح: 13].
[(5)] [سبأ: 28].
[(6)] [الأعراف: 158].
[(7)] [النساء: 79].

(122/3)

عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله [(1)] .
وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم

[(1)] [مسلم بشرح النووي]: 314-315، كتاب الإيمان، باب (8) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، حديث رقم (32)، (33)، (34)، (35)، (36) .
قوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله» ،
قال الخطابي رحمه الله: معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، ثم يقاتلون، ولا يرفع عنهم السيف.
قال: ومعنى حسابه على الله: أي فيما يستسرون به ويخفونه، دون ما يخلون به في الظاهر من

الأحكام الواجبة. قال: ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر قبل إسلامه في الظاهر، وهذا قول أكثر العلماء. وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل. ويحكي ذلك أيضا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما. هذا كلام الخطابي.

وذكر القاضي عياض معنى هذا، وزاد عليه، وأوضحه، فقال: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: لا إله إلا الله، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بها مشركو العرب، وأهل الأوثان، ومن لا يوحد، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام، وقوتل عليه، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد، فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله، إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده، فلذلك جاء في

الحديث الآخر: «وأني رسول الله، وقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة» .

هذا كلام القاضي عياض.

قال الحافظ ابن حجر: ولا بدّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء

في الرواية الأخرى لأبي هريرة، هي المذكورة في الكتاب: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به» .

والله أعلم.

واختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق - وهو الذي ينكر الشرع جملة - فذكروا فيه خمسة أوجه، لأصحابنا أصحابها، والأصوب منها قبولها مطلقا للأحاديث الصحيحة المطلقة.

(123/3)

على الله [(1)] .

وقال البخاري: فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله. ذكره في كتاب الإيمان.

[(1)]

قوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا فعلوا ذلك» ،

فيه التعبير بالفعل عما بعضه قول، إما على سبيل التغليب، وإما على إرادة المعنى الأعم، إذ القول فعل اللسان.

قوله صلى الله عليه وسلم: «عصموا»

أي منعوا، وأصل العصمة من العصام وهو الخيط الذي يشد به فم القرية ليمنع سيلان الماء. قوله صلى الله عليه وسلم: «حسابهم على الله»، أي في أمر سرائرهم، ولفظة «على» مشعرة بالإيجاب، وظاهرها غير مراد، فإما أن تكون بمعنى اللام، أو على سبيل التشبيه، أي هو كالواجب على الله في تحقيق الوقوع، وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر، والاكْتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم، خلافا لمن أوجب تعلم الأدلة، وقد تقدم فيه، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد، الملتزمين للشرائع، وقبول توبة الكافر من كفره، من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن. فإن قيل: مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد، فكيف ترك مؤدي الجزية والمعاهد؟ الجواب من أوجه:

أحدها: دعوى النسخ، بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخرا عن هذه الأحاديث، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ. ثانيها: أن يكون من العام الذي خص منه البعض، لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب. فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدر في العموم. ثالثها: أن يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله صلى الله عليه وسلم «أقاتل الناس»، أي المشركين من غير أهل الكتاب، ويبدل عليه رواية النسائي بلفظ: «أمرت أن أقاتل المشركين». فإن قيل: إذا تم هذا في أهل الجزية، لم يتم في المعادين ولا فيمن منع الجزية، أوجب بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية، بدليل الآية.

رابعها: أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها، التعبير عن إعلاء كلمة الله، وإذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتل، وفي بعض بالجزية، وفي بعض بالمعاهدة. خامسها: أن يكون المراد بالقتال هو، أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها. سادسها: أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرابهم إلى الإسلام وسبب السبب سبب، فكأنه قال: حتى يسلموا أو يلتزموا بما يؤديهم إلى الإسلام، وهذا أحسن، ويأتي فيه ما في الثالث وهو آخر الأجوبة. والله تعالى أعلم (فتح الباري): 1/ 102-105، كتاب الإيمان باب (17) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ، حديث رقم (25).

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن بريد عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن [الحميري] [(1)] حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن ما يقول [هؤلاء] [(2)] في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر فاكتفته أنا وصاحبي، كان أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون ألا قدر، وأن الأمر أنف، [قال:

فإذا] [(3)] لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يخلف به

[(1)] في (خ) : «الحميدي» والتصويب من رواية مسلم.

[(2)] زيادة من رواية مسلم.

[(3)] في (خ) : «فقال إذا» والتصويب من رواية مسلم.

قوله: «فاكتفته أنا وصاحبي»، يعني صرنا في ناحيته، ثم فسره فقال: أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، وكنا الطائر جناحاه، وفي هذا تنبيه على أدب الجماعة في مشيهم مع فاضلهم، وهو أنهم يكتنفونه ويحفون به.

قوله: «فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ» معناه يسكت ويفوضه إليّ لإقدامي وجرأتي وبسطة لساني، فقد جاء عنه في رواية «لأني كنت أبسط لسانا» .

قوله: «ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم»، هو بتقديم القاف على الفاء، ومعناه يطلبونه ويتبعونه، هذا هو المشهور، وقيل معناه يجمعونه، رواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن ماهان «يتقفرون» - بتقديم الفاء - وهو صحيح أيضا، معناه يبحثون عن غامضه، ويستخرجون خفيّه. وروى في غير مسلم: «يتقفون» بتقديم القاف، وحذف الراء، وهو صحيح أيضا، ومعناه يتبعون.

قال القاضي عياض: ورأيت بعضهم قال فيه: «يتقرون» بالعين، وفسره بأنهم يطلبون قعره، أي غامضه وخفيّه. ومنه تقعر في كلامه إذا جاء بالغيرب منه، وفي رواية أبي يعلى الموصلي: «يتفقهون» بزيادة الهاء، وهو ظاهر.

قوله: «وذكر من شأنهم». هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحيى بن يعمر، والظاهر أنه من ابن بريدة الراوي، عن يحيى بن يعمر، وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء، وصفهم بالفضيلة في العلم، والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به.

قوله: «يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف»، هو بضم الهمزة والنون، أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه كما قدمنا حكايته عن مذهبهم الباطل، وهذا

القول قول غلاتهم، وليس قول جميع القدرية، وكذب قائله وضلّ وافترى. عافانا الله وسائر المسلمين.

(125/3)

عبد الله بن عمر لو أن لأحد مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له، يسأله ويصدقها! قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: [فأخبرني] [(1)] عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: [فأخبرني] [(1)] عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، [قال:] [(2)] [أمارتها] [(3)] أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة [العالة] [(4)] رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله

[()] قوله: «قال- يعني ابن عمر رضي الله عنهما-: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يخلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»، هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما، ظاهر في تكفير القدرية.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدرية الأول، الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات، قال: والقائل بهذا كافر بلا خلاف، وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة. قال غيره: ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة، فيكون من قبيل كفران النعم، إلا أن قوله: ما قبله الله منه، ظاهر في التكفير، فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر، إلا أنه يجوز أن يقال في المسلم: لا يقبل عمله لمعصيته وإن كان صحيحاً، كما أن الصلاة في الدار

المغصوبة صحيحة، غير محوجة إلى القضاء عند جمهور العلماء، بل بإجماع السلف، وهي غير مقبولة، فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا. والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووي) : 1/259، كتاب الإيمان، حديث رقم (1) .

[(1)] في (خ) : «أخبرني» والتصويب من رواية مسلم.

[(2)] زيادة للسياق من رواية مسلم.

[(3)] زيادة من (خ) .

[(4)] زيادة من رواية مسلم.

(126/3)

ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. هذا الحديث انفرد به مسلم [(1)] ، ولم يخرج البخاري، وأخرجه أبو داود من طريق ابن بريدة بثله أو

[(1)] أخرجه مسلم في أول كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، حديث رقم (1) .

قوله: «لا يرى عليه أثر السفر» ضبطناه بالياء المثناة من تحت، المضمومة، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين وغيره، وضبطه الحافظ أبو حازم العدوي هنا: «نرى» بالنون المفتوحة، وكذا هو في مسند أبي يعلى الموصلي، وكلاهما صحيح.

قوله: «ووضع كفيه على فخذه» ، معناه أن الرجل الداخِل وضع كفيه على فخذي نفسه، وجلس على هيئة المتعلم. والله تعالى أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى، لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع، وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه، على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها، إلا أتى به، فقال صلى الله عليه وسلم: أعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان، إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذه الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد،

فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى، في إتمام الخشوع والخضوع، وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم، واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سرّه وعلانيته.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه.

قال: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة، ألفنا كتابنا الذي سميناه: [المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان]، إذ لا يشدّ شيء من الواجبات، والسنن، والرغائب، والمحظورات، والمكروهات، عن أقسامه الثلاثة. والله تعالى أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»،

فيه أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما، إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وأن ذلك لا ينقصه، بل يستدل به على ورعه، وتقواه، ووفور علمه.

قوله: «أن تلد الأمة ربتها»، وفي الرواية الأخرى «ربها» على التذكير، وفي الأخرى «بعلمها» وقال: يعني السراري، ومعنى ربها وربتها، سيدها ومالكها، وسيدتها ومالكتها، قال الأكترون من العلماء: هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهم، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال

(127/3)

[()] الإنسان صائر إلى ولده، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين، إما بتصريح أبيه له بالإذن، وإما يعلمه بقريضة الحال، أو عرف الاستعمال.

وقيل: معناه أن الإمام يلدن الملوك، فتكون أمه من جملة رعيته، وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته، وهذا قول إبراهيم الحربي، وقيل: معناه أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان، فيكثر ترددها في أيدي المشتريين، حتى يشتريها ابنها ولا يدري، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد، فإنه متصور في غيرهن، فإن الأمة تلد ولدا حرا من غير سيدها بشبهة، أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعا صحيحا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد. وأما بعلمها، فالصحيح في معناه أن البعل هو المالك أو السيد، فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه.

قال أهل اللغة: بعل الشيء ربه ومالكه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون في قوله سبحانه وتعالى:

أَتَدْعُونَ بَعْلًا: أي ربًا، وقيل: المراد بالبعل في الحديث، الزوج، ومعناه نحو ما تقدم، أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري، وهذا أيضا معنى صحيح، إلا أن الأول أظهر، لأنه إذا أمكن حمل الروایتين في القضية الواحدة على معنى كان أولى، والله أعلم.

واعلم أن هذا الحديث ليس فيه دليل على إباحة بيع أمهات الأولاد، ولا منع بيعهن، وقد استدل إمامان من كبار العلماء به على ذلك، فاستدل أحدهما على الإباحة، والأخر على المنع، وذلك عجب منهما، وقد أنكر عليهما، فإنه ليس كل ما أخبر صلى الله عليه وسلم بكونه من علامات الساعة يكون محرما أو مذموما، فإن تناول الرعاء في البنيان، وفشو المال، وكون خمسين امرأة لمن قيم واحد ليس بحرام بلا شك، وإنما هذه علامات، والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك، بل تكون بالخير والشر، والمباح والحرم، والواجب وغيره، والله أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» ، أما العالة فهم الفقراء، والعائل الفقير، والعيلة الفقير، وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر، والرعاء بكسر الراء وبالمد، ويقال فيهم الرعاء بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد، ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والقافة، تبسط لهم الدنيا، حتى يتباهون في البنيان. والله أعلم. قوله: «فلبث مليا» هكذا ضبطناه، لبث آخره ثاء مثلثة من غير تاء، وفي كثير من الأصول المحققة «لبثت» بزيادة تاء المتكلم، وكلاهما صحيح، وأما «مليا» بتشديد الياء، فمعناه وقتنا طويلا، وفي رواية أبي داود والترمذي، أنه قال ذلك بعد ثلاث، وفي شرح السنة للبغي بعد ثلاثة، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال، وفي ظاهر هذا مخالفة لقوله

في حديث أبي هريرة بعد هذا بم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ردوا علي الرجل، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل» فيحتمل الجمع بينهما أن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الحال، بل كان قد قام من المجلس، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال، وأخبر عمر رضي الله عنه بعد ثلاث، إذا لم يكن حاضرا وقت إخبار الباقيين، والله أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» ،

فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها

نحوه، وقال فيه: فلبثت مليا [(1)]

وخرجه الترمذي بنحو حديث مسلم وقال في آخره: فلقيني النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بثلاث فقال: يا عمر، أتدري من السائل؟

ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم [(2)] .

قال القاضي عياض: فقد قرر أن الإيمان محتاج [(3)] إلى العقد بالجنان، والإسلام

[()] دينا. واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم والمعارف، والآداب واللطائف، بل

هو أصل الإسلام. ومن فوائد هذا الحديث:

[1] أنه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها، أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع.

[2] أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدينه منه، ليتمكن من سؤاله، غير هائب منه ولا

منقبض.

[3] أنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله. (المرجع السابق): 1/ 269 - 275.

[(1)] (صحيح سنن الترمذي): 3/ 887، باب (17) في القدر، حديث رقم (3928)-

(4695)، (تحفة الأحمدي): 12/ 300، كتاب السنة، باب (16)، حديث رقم (4681).

[(2)]

وأخرجه أيضا ابن ماجه، (صحيح ابن ماجه): 1/ 16-17، حديث رقم (53-63)،

(54-64)، وقال في آخره: «ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربتها فذلك من

أشراطها وإذا تناول رعاء الغنم في البنيان فذلك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله، فتلا

رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [لقمان: 34].

وأخرجه أيضا النسائي، وقال في أوله: «عن أبي هريرة وأبي ذر قالوا: كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يجلس بين ظهراي أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبينما له دكانا من طين

كان يجلس عليه، وأنا جلوس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه، إذ أقبل رجل أحسن

الناس وجها، وأطيب الناس ريحا، كأن ثيابه لم يمسه دنس، حتى سلّم في طرف البساط فقال:

السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام. قال: أدنو يا محمد،.. فما زال يقول: أدنو مرارا حتى

وضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا محمد، أخبرني ما الإسلام...

وساق الحديث باختلاف يسير. (صحيح سنن النسائي): 3/ 1025-1026، كتاب (47)

الإيمان وشرايعه، باب (6) صفة الإيمان والإسلام، حديث رقم (4618).

وأخرجه الإمام أحمد في المسند، وقال في آخره بعد قوله صلى الله عليه وسلم: ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم، قال: وسأله رجل من جهينة، أو مزينة فقال: يا رسول الله، فيما نعمل؟ أفي شيء قد خلا أو مضى؟

أو في شيء يستأنف الآن؟ قال: في شيء قد خلا أو مضى، فقال رجل أو بعض القوم: يا رسول الله فيما نعمل؟ قال: أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار. (مسند أحمد) : 1/ 46، مسند عمر بن الخطاب، حديث رقم (185).

[(3)] في (خ) «يحتاج» ، وما أثبتناه من (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض) .

(129/3)

به مضطر إلى النطق باللسان، وهذه الحالة المحمودة النامة، وأما الحال المذمومة: فالشهادة باللسان دون تصديق القلب، وهذا هو النفاق، قال: وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل عليه السلام، الشهادة من الإسلام، والتصديق من الإيمان، وبقيت حالتان [أخريان بين هذين] [(1)] .

إحداهما: أن يصدق بقلبه ثم يخترم [(2)] قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه، فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به، وراة بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان [(3)] ، فلم يذكر سوى ما في القلب، وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره، وهذا هو الصحيح في هذا الوجه.

الثانية: أن يصدق بقلبه ويطول مهلة وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة، ولا استشهد في عمره ولا مرة، فهذا اختلف فيه أيضا فقبل: هو مؤمن لأنه مصدق، والشهادة من جملة الأعمال، فهو عاص بتركها غير مخلد [في النار] [(4)] ، وقيل: ليس بمؤمن حتى يقارن عقده بشهادة، إذ الشهادة إنشاء عقد والزام إيمان، وهي مرتبطة مع العقد، ولا يتم التصديق مع المهملة إلا بها، وهذا هو الصحيح.

وخرج الحاكم من حديث عبد الرازق عن معمر عن أيوب عن سعيد بن هيثم، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار، فجعلت أقول:

أين [(5)] تصديقها في كتاب الله، [وقال] ما سمعت حديثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا

وجدت

[(1)] تكملة من المرجع السابق.

[(2)] في (خ) و (الشفاء) «يحترم» بالحاء، وما أثبتناه أجود للسياق، حيث اخترم فلان عَنَّا: مات وذهب، واخترمته المنية من بين أصحابه: أخذته من بينهم، واخترمهم الدهر وتخرمهم أي اقتطعهم واستأصلهم، ويقال: خرمته الخوارم إذا مات. (لسان العرب): 172 / 12 مادة خرم.

[(3)] في (خ): «الإيمان»، وما أثبتناه من (الشفاء).

[(4)] زيادة للسياق من هامش المرجع السابق.

[(5)] في (خ): «أن»، ما أثبتناه من (المستدرک): 372 / 2، كتاب التفسير، تفسير سورة هود عليه السلام، حديث رقم (446 / 3309).

(130/3)

تصديقه في كتاب الله تعالى [(1)] ، حتى وجدت هذه الآية: وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ [(2)] ، قال: الأحزاب الملل كلها، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

[(1)] ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وليست في (المستدرک) .

[(2)] هود: 17.

(131/3)

وأما فرض طاعته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه بما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [(1)] ، وقال: أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [(2)] ، فجمع تعالى بينهما بواو العطف المشتركة، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه صلى الله عليه وسلم، قال: وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا [(3)] ، وقال: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [(4)] ، وقال:

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [(5)] ، وقال: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [(6)] الآية، وقال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ [(7)] ، فجعل طاعة رسوله طاعته تعالى، وقرن طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ووعد على ذلك بجزييل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيته، فبيّن أنه سبحانه وتعالى فرض على الكافة بأسرها طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء، كما فرض تعالى طاعته ولم يقل من طاعتي، أو من كتابي أو بأمري، وحين فرض أمره ونهيته صلى الله عليه وسلم على الخلق طراً كفرض من التنزيل، لا يزداد في ذلك، ولا يطلب فيه تنبيه، كما أخبر تعالى عن قوم موسى عليه السلام أنهم قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً [(8)] ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بأمرته وبأموالهم وأنفسهم وأهليهم وذرائعهم منهم بأنفسهم، قال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ [(9)] ، وقع ذلك منهم بوفاقهم وكراهيتهم، فإنه تعالى حكم على من وجد في نفسه شيئاً من

[(1)] النساء: 59، وفي (خ) : «ورسوله» .

[(2)] آل عمران: 32.

[(3)] النور: 54.

[(4)] النساء: 80.

[(5)] الحشر: 7.

[(6)] النساء: 69.

[(7)] النساء: 64.

[(8)] البقرة: 55.

[(9)] الأحزاب: 6.

(132/3)

حكمه صلى الله عليه وسلم وقضائه بالخروج من الإيمان، قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [(1)] ، فأقسم سبحانه وتعالى بأن أحدا لا يؤمن حتى يحكم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ثم مع تحكيمه إياه لا يجد في نفسه كرها لما قضى به عليه مما هو مخالف لهواه، بل يرضى بما حكم به، ويسلم لأمره تسليماً لا شائبة فيه من اعتراض ولا تعقيب.

وانظر - أعزك الله وهداك - كيف أقسم تعالى بإضافة الرب إلى كاف الخطاب، يتبين لك تعظيمه تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم، حتى هنا: غاية، أي ينتفي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية، فإذا وجد ما بعد الغاية كانوا مؤمنين، وفيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ، في كل أمر دنيوي وأخروي وقع بينهم فيه تنازع وتجادب، ومعنى يُجَكِّمُوكَ: يجعلوك حكما، وفي الكلام حذف تقديره: فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا، أي ضيقا من حكمك.

وقال مجاهد: شكّا، لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له الشأن، وقال الضحاك: إثما، أي سبب إثم، والمعنى: لا يخطر ببالهم ما يأثمون به من عدم الرضى، وقيل: هما وحرنا، ويسلموا: أي ينقادوا ويدعنوا لقضائك لا يعارضون فيه بشيء، قاله ابن عباس رضى الله عنهما والجمهور. وقيل: معناه ويسلموا: أي سارعوا فيه لحكمك، ذكره الماوردي، وأكد تعلق الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة.

قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام محبته والتسليم لما جاء به، وقالوا: وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه، وقالوا: من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه.

وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ [(2)] ، وقال السمرقندي: يقال: أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه، وقيل: أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم، ويقال: أطيعوا الله

[(1)] النساء: 65.

[(2)] الحشر: 7.

(133/3)

بالشهادة له بالربوبية، والنبي بالشهادة له بالنبوة.

وخرج البخاري في كتاب الأحكام من حديث الزهري: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع [من] [(1)] أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصى أميري فقد عصاني [(2)] . وخرجه مسلم [(3)] مثله

[(1)] زيادة في السياق.

[(2)]

قوله صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله» ،
هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، أي أي لا أمر إلا بما أمر الله
به، فمن فعل ما أمره به فإنما أطاع من أمري أن أمره، ويحتمل أن يكون المعنى لأن الله أمر
بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك. والطاعة هي الإتيان
بالمأمور به، والانتهاز عن المنهي عنه، والعصيان بخلافه.
قوله صلى الله عليه وسلم: «ومن أطاع أميرى فقد أطاعني» ، في رواية (همام) ، و (الأعرج)
وغيرهما عند مسلم: «ومن أطاع الأمير» ،
ويمكن رد اللفظين لمعنى واحد، فإن كل من يأمر بحق وكان عادلا فهو أمير الشارع، لأنه تولى
بأمره وبشريعته، ويؤيده توحيد الجواب في الأمرين، وهو
قوله: صلى الله عليه وسلم: «فقد أطاعني» ،
أي عمل بما شرعته، وكأن الحكمة في تخصيص أميره بالذكر، أنه المراد وقت الخطاب، ولأنه سبب
ورود الحديث.

وأما الحكم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ووقع
في رواية همام أيضا: «ومن يطع الأمير فقد أطاعني» بصيغة المضارعة، وكذا «ومن يعص الأمير
فقد عصاني»

وهو أدخل في إرادة تعميم من خوطب ومن جاء بعد ذلك.
قال ابن التين: قيل: كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة، فكانوا يمتنعون على
الأمراء، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم، والانتقاد لهم، إذا بعثهم في
السرايا، وإذا ولاهم البلاد، فلا يخرجوا عليهم، لئلا تفترق الكلمة.
قال الحافظ في الفتح: هي عبارة الشافعي في (الأم) ، ذكره في سبب نزولها، وعجبت لبعض
شيوخنا الشراح من الشافعية، فكيف قنع بنسبة هذا الكلام إلى ابن التين، معبرا عنه بصيغة
«قيل» ، وابن التين إنما أخذه من كلام الخطابي؟

ووقع عند أحمد، وأبي يعلى، والطبراني، من حديث ابن عمر، قال: «كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال: أستم تعلمون أن من أطاعني فقد أطاع الله، وأن من طاعة
الله طاعتي؟ قالوا: بلى نشهد، قال: فإن من طاعني أن تطيعوا أمراءكم» . وفي لفظ: «أتمتكم» .
وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمور، وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية، والحكمة في الأمر
بطاعتهم، المحافظة على اتفاق الكلمة، لما في الافتراق من الفساد، والله أعلم. (فتح الباري) :
13 / 139 - 141، كتاب الأحكام، باب (1) أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ،
حديث رقم (7137) .

[(3)] (مسلم بشرح النووي) : 12 / 464، كتاب الإمارة، باب (8) وجوب طاعة الأمراء
من غير

(134/3)

سواء، فطاعة الرسول من طاعة الله، إذ الله أمر بطاعته، وطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له.
وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات [(1)] جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون:
يا لَيْتِنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ [(2)] فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني.
وخرج البخاري ومسلم من حديث ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن
المسيب قالا: كان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما نهيتكم عنه
فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم
واختلافهم على أنبيائهم [(3)] .
وخرجه البخاري من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان

[()] معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (32) ، (33) :

قال الإمام النووي: أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية، قال
العلماء:

المراد بأولي الأمر، من أوجب الله طاعته من الولاية والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من
المفسرين والفقهاء وغيرهم. وقيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء والعلماء، وأما من قال:
الصحابة خاصة فقد أخطأ. (المرجع السابق) .

[(1)] دركات النار: منازل أهلها، والنار دركات، والجنة درجات، والدرك إلى أسفل، والدراج
إلى فوق.

(لسان العرب) : 10 / 422 مادة درك.

[(2)] الأحزاب: 66.

[(3)] (مسلم بشرح النووي) : 15 / 118، كتاب الفضائل، باب (37) توقيره صلى الله
عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو
ذلك، حديث رقم (130) .

قال الإمام النووي: مقصود أحاديث الباب أنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن إكثار السؤال

والابتداء بالسؤال عما لا يقع، ذكره ذلك لمعان:

* منها أنه ربما كان سببا لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة.

* ومنها أنه ربما كان في الجواب ما يكرهه السائل ويسوؤه، ولهذا أنزل الله تعالى في ذلك قوله

تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ* ومنها أنهم أحفوه صلى الله عليه

وسلم بالمسألة، والحفوة المشقة والأذى، فيكون ذلك سببا لهلاكهم.

(المرجع السابق).

(135/3)

قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. ذكره في كتاب الاعتصام [(1)] .

[(1)] (فتح الباري) : 13 / 312، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (2) ، الاقتداء

بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله تعالى: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، حديث رقم

(7288) .

قال الإمام النووي: هذا من جوامع الكلم، وقواعد الإسلام، ويدخل فيه كثير من الأحكام،

كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور، وكذا الوضوء، وستر العورة، وحفظ

بعض الفاتحة، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل، والإمساك في رمضان لمن أفطر

بالعذر ثم قدر في أثناء النهار، إلى غير ذلك من المسائل التي يطول شرحها.

وقال غيره: فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور، وعبر عنه بعض الفقهاء بأن

الميسور لا يسقط بالمعسور، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بالعجز عن غيره،

وتصح توبة الأعمى عن النظر المحرم، والمحبوب عن الزنا، لأن الأعمى والمحبوب قادران على الندم

فلا يسقط عنهما بعجزهما عن العزم على عدم العود، إذ لا يتصور منهما العود عادة، فلا معنى

للعزم على عدمه.

* واستدل به على أن من أمر بشيء فعجز عن بعضه ففعل المقدور أنه يسقط عنه ما عجز عنه،

وبذلك استدل المزي على أن [ما وجب أدائه لا يجب قضاؤه] ، ومن ثم كان الصحيح أن

القضاء بأمر جديد.

واستدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق

الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة، وهذا منقول عن الإمام أحمد.

فإن قيل: أن الاستطاعة معتبرة في النهي أيضا، إذ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، فجوابه أن الاستطاعة تطلق باعتبارين، كذا قيل، والذي يظهر أن التقييد في الأمر بالاستطاعة، لا يدل على المدعي مع الاعتناء به، بل هو من جهة الكف، إذ كل أحد قادر على الكف لولا داعية الشهوة مثلا، فلا يتصور عدم الاستطاعة عن الكف، بل كل مكلف قادر على الترك، بخلاف الفعل، فإن العجز عن تعاطيه محسوس، فمن ثم قيد في الأمر بحسب الاستطاعة دون النهي. وعبر الطوفي في هذا الموضوع بأن ترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه، أو الاستمرار على عدمه، وفعل المأمور به عبارة عن إخرجه من العدم إلى الوجود، وقد نوزع بأن القدرة على استصحاب عدم النهي عنه قد تتخلف، واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة، وأجيب بأن النهي في هذا عارضه الإذن بالتناول في تلك الحالة. وقال ابن فرج في (شرح الأربعين): قوله صلى الله عليه وسلم: «فاجتنوه»، هو على إطلاقه، حتى يوجد ما يبيحه، كأكل الميتة عند الضرورة، وشرب الخمر عند الإكراه، والأصل في ذلك جواز التلفظ بكلمة الكفر إذا كان القلب مطمئنا بالإيمان، كما نطق به القرآن. والتحقق أن المكلف في ذلك كله ليس منهيًا في تلك الحال، وأجاب الماوردي بأن الكف عن المعاصي ترك وهو سهل، وعمل الطاعة فعل وهو يشق، فلذلك لم يباح ارتكاب المعصية ولو مع العذر لأنه ترك، والترك لا يعجز المعذور عنه، وأباح ترك العمل بالعذر لأن العمل قد يعجز المعذور عنه.

(136/3)

[()] وادعى بعضهم أن قوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقد قيد بالاستطاعة واستويا، فحينئذ يكون الحكمة في تقييد الحديث بالاستطاعة في جانب الأمر دون النهي، أن العجز يكثر تصوره في الأمر بخلاف النهي، فإن تصور العجز فيه محصور في الاضطرار.

وزعم بعضهم أن قوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، نسخ قوله تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. والصحيح أن لا نسخ، بل المراد بحق تقاته، امتثال أمره واجتناب نهيته مع القدرة لا مع العجز. واستدل به على أن المكروه يجب اجتنابه لعموم الأمر باجتناب المنهي عنه، فشمّل الواجب

والمندوب.

وأجيب بأن قوله تعالى: فَاجْتَنِبُوهُ، يعمل به في الإيجاب والندب بالاعتبارين، ويجيء مثل هذا السؤال وجوابه في الجانب الآخر وهو الأمر.

وقال الفاكهاني: النهي يكون تارة مع المانع من النقيض وهو الحرم، وتارة لا معه وهو المكروه، وظاهر الحديث يتناولهما.

واستدل به على أن المباح ليس مأمورا به، لأن التأكيد في الفعل إنما يناسب الواجب والمندوب، وكذا عكسه. وأجيب بأن من قال: المباح مأمور به، لم يرد الأمر بمعنى الطلب، وإنما أراد بالمعنى الأعم وهو الإذن.

واستدل به على أن الأمر لا يقتضي التكرار ولا عدمه، وقيل: يقتضيه، وقيل: يتوقف فيما زاد على مرة، وحديث الباب قد يتمسك به لذلك، لما في سببه أن السائل قال في الحج: أكل عام؟ فلو كان مطلقة يقتضي التكرار أو عدمه لم يحسن السؤال ولا العناية بالجواب. وقد يقال: إنما سأل استظهارا أو احتياطا.

وقال المازري: يحتتمل أن يقال: إن التكرار إنما احتتمل من جهة أن الحج في اللغة قصد تكرر، فاحتتمل عند السائل التكرار من جهة اللغة، لا من صيغة الأمر. وقد تمسك به من قال بإيجاب العمرة، لأن الأمر بالحج إذا كان معناه تكرر قصد البيت بحكم اللغة والاشتقاق، وقد ثبت في الإجماع أن الحج لا يجب إلا مرة، فيكون العود إليه مرة أخرى دالا على وجوب العمرة.

* واستدل به على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في الأحكام

لقوله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت» ،

وأجاب من منع باحتمال أن يكون أوحى إليه ذلك في الحال.

* واستدل به على أن جميع الأشياء على الإباحة، حتى يثبت المنع من قبل الشارع.

* واستدل به على النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك.

قال البغوي في (شرح السنة) : المسائل على وجهين:

أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز، بل مأمور به لقوله

تعالى:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، وعلى ذلك تنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة

وغيرهما.

ثانيهما: ما كان على وجه التنعت والتكلف، وهو المراد في هذا الحديث، والله تعالى أعلم،

وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أمامة عن بريدة عن أبي بريدة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء [النجاء] [(1)] ، فأطاعه طائفة من قومه فأدجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني [فاتبع] [(2)] ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق.

لفظهما فيه متقارب، ولم يقل فيه مسلم: فنجوا. ذكره البخاري في كتاب الاعتصام [(3)] .

..

[()] ويؤيده ورود الزجر في الحديث عن ذلك وذم السلف،

فعند أحمد من حديث معاوية: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الأغلوطات» ،

قال الأوزاعي: هي شداد المسائل، وقال الأوزاعي أيضا: «إن الله إذا أراد أن يجرم عبده بركة

العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علما» .

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: «المراء في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل» ، وقال

ابن العريبي: «كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم، فأما بعد

فقد أمن ذلك، لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع» ، قال:

«وإنه لمكروه إن لم يكن حراما، إلا للعلماء، فإنهم فرعوا ومهدوا، فنفع الله من بعدهم بذلك، ولا

سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم.

وينبغي أن يكون محل الكراهية للعالم، إذا شغله ذلك عما هو أعم منه، وكان ينبغي تلخيص ما

يكثر وقوعه مجردا عما يندر، ولا سيما في المختصرات ليسهل تناوله، والله المستعان.

* واستدل به على أن الاشتغال بالأهم المتاح إليه عاجلا عما لا يحتاج إليه في الحال، فكأنه قال:

عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي، فاجعلوا اشتغالكم بما عوضا عن الاشتغال بالسؤال عما

لم يقع.

فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله، ثم يجتهد في تفهم ذلك، والوقوف على

المراد به، ثم يتشغل بالعمل به، فإن كان من العلميات، يتشغل بتصديقه واعتقاد حقيقته، وإن

كان من العمليات، بذل وسعه في القيام به فعلا وتركها، فإن وجد وقتا زائدا على ذلك فلا بأس

بأن يصرفه في الاشتغال بتعرف حكم ما سيقع على قصد العمل به أن لو وقع، فأما إن كانت

الهمة مصروفة عن سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع، مع الإعراض عن القيام

بمقتضى ما سمع، فإن هذا مما يدخل في النهي، فالتفقه في الدين إنما يحمّد إذا كان للعمل، لا

للمراء والجدال. (المرجع السابق) :

- [(1)] في (خ) : «النجاء» مرتين خلافا لرواية البخاري.
- [(2)] في (خ) : «واتبع» ، وما أثبتناه من رواية البخاري.
- [(3)] [فتح الباري] : 311 / 13 ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (2) الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الله تعالى: **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ، حديث رقم (7283) .

(138/3)

وفي كتاب الرقاق [(1)] .

- [(1)] [المرجع السابق] : 383 / 11 ، كتاب الرقاق ، باب (26) الانتهاء عن المعاصي ، حديث رقم (6482) .
- قوله صلى الله عليه وسلم: «ما بعثني الله» ،
العائد محذوف ، والتقدير بعثني الله به إليكم .
قوله صلى الله عليه وسلم: «أتى قوما»
التنكير فيه للشيوخ .
قوله صلى الله عليه وسلم: «بعيني» ،
بالإفراد ، وللكشميهني بالثنائية بفتح النون والتشديد ، قيل: ذكر العينين إرشادا إلى أنه تحقق عنده ما أخبر عنه ، تحقق من رأى شيئا بعينه ، لا يعتريه وهم ، ولا يخالطه شك .
قوله صلى الله عليه وسلم: «وإني أنا النذير العريان» ،
قال ابن بطال: النذير العريان ، رجل من خثعم ، حمل عليه رجل يوم ذي الخلفة ، فقطع يده ويد امرأته ، فانصرف إلى قومه فحذروهم ، فضرب به المثل في تحقيق الخبر .
قال الحافظ في الفتح: وسبق إلى ذلك يعقوب بن السكيت وغيره ، وسمى الذي حمل عليه (عوف ابن عامر اليشكري) ، وأن المرأة كانت من بني كنانة ، وتعقب باستبعاد تنزيل هذه القصة على لفظ الحديث ، لأنه ليس فيها أنه كان عريانا .
وزعم ابن الكلبي أن النذير العريان امرأة من بني عامر بن كعب ، لما قتل المنذر بن ماء السماء أولاد أبي داود- وكان جار المنذر- خشيت على قومها ، فركبت جملا ولحقت بهم وقالت: أنا النذير العريان .
ويقال: أول من قاله أبرهة الحبشي لما أصابته الرمية بتهامه وقد سقط لحمه . وذكر أبو بشر

الأمدي:

أن زنبرا- بزاي ونون ساكنة ثم موحدة- ابن عمرو الخثعمي، كان ناكحا في آل زبيد، فأرادوا أن يغزوا قومه، وخشوا أن ينذر بهم، فحرسه أربعة، فصادف منهم غرة، فقذف ثيابه وعدا، وكان من أشد الناس عدوا فأنذر قومه.

وقال غيره: الأصل فيه أن رجلا لقي جيشا فسلبوه وأسروه، فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فأروه عريانا فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقة هذه القرائن، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ولما جاء به مثلا بذلك، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقة، تقريبا لأفهام المخاطبين بما يألونه ويعرفونه.

ويؤيد

ما أخرجه الراهمزمي في الأمثال، وعند أحمد أيضا بسند جيد، من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فنادى ثلاث مرات: أيها الناس، مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا أن يأتيهم، فبعثوا رجلا يترايا لهم، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو، فأقبل لينذر قومه فخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم ثلاث مرات». وأحسن ما فسّر به الحديث من الحديث.

وأخرجه أبو الشيخ بنحوه في كتاب (الأمثال في الحديث النبوي)، وقال: رجاله رجال الصحيح. ص 297، حديث رقم (253).

وهذا كله يدل على أن العريان من التعري، وهو المعروف في الرواية.

قوله صلى الله عليه وسلم: «فالنجا النجا»،

بالماء فيهما، ومد الأولى وقصر الثانية، وبالقصر فيهما تخفيفا، وهو منصوب على الإغراء، أي اطلبوا النجا بأن تسرعوا الهرب، إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك

(139/3)

وخرج البخاري من حديث سعيد بن ميناء قال: حدثنا- أو سمعت- جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا:

[بأن] [(1)] لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل [من] [(2)] المأدبة، ومن لم

يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل [من] [(2)] [المأدبة، فقالوا:
أولوها له بفقهاها، [قال] [(3)] بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب
يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلّم [(2)] ، فمن أطاع محمدا
صلى الله عليه وسلّم [(2)] فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلّم [(2)]
فقد عصى الله، ومحمد فرق بين

[()] الجيش. قال الطيبي: في كلامه أنواع من التأكيدات:
* أحدها: «بعيني». * ثانيهما: «وإني أنا». * ثالثها: «الريان»، لأنه الغاية في قرب العدو،
ولأنه الذي يختص في إنذاره بالصدق.
قوله: «فأطاعه طائفه»، كذا فيه بالتذكير، لأن المراد بعض القوم.
قوله: «فأدلجوا»، بهمزة قطع ثم سكون، أي ساروا أول الليل، أو ساروا الليل كله، على
الاختلاف في مدلول هذه اللفظة.
قوله: «على مهلهم»، بفتحين، والمراد به الهينة والسكون، وفتح أوله وسكون ثانيه الإمهال،
وليس مرادا هنا، وفي رواية مسلم «على مهلتهم» بزيادة تاء تأنيث، وضبطه النووي بضم الميم
وسكون الهاء وفتح اللام.
قوله: «وكذبته طائفة»، قال الطيبي: عبر في الفرقة الأولى بالطاعة، وفي الثانية بالتكذيب، ليؤذن
بأن الطاعة مسبوقه بالتصديق، ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان.
قوله: «فصّبّحهم الجيش»، أي أتاهم صباحا، هذا أصله، ثم كثر استعماله، حتى استعمل فيمن
طرق بغتة في أي وقت كان.
قوله: «فاجتاحهم»، بجيم ثم حاء مهملة، أي استأصلهم، من جحت الشيء أجوحه إذا
استأصلته، والاسم: الجائحة، وهي الهلاك، وأطلقت على الآفة لأنها مهلكة.
قال الطيبي: شبه صلى الله عليه وسلّم نفسه بالرجل، وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل
قومه بالجيش المصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه، بمن كذب الرجل في إنذاره ومن
صدق.

[(1)] كذا في (خ) ورواية البخاري: «إن» .

[(2)] زيادات من رواية البخاري.

[(3)] كذا في (خ) ، ورواية البخاري «فقال» .

[(1)] [فتح الباري] : 310 / 13 ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب
[(2)] [الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الله تعالى : وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ،
حديث رقم (7281) .
قوله : «حدثنا أو سمعت» ، القائل ذلك سعيد بن ميناء ، والشاك هو سليم بن حيان ، شك في أي
الصيغتين قالها شيخه سعيد .

قوله : «جاءت ملائكة» ، لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم ، ولكن
في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عن الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل
وميكائيل ، ولفظة : «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : إني رأيت في المنام
كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي ..» ،
فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره . واقتصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداء
وجوابا ، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي ، وحسنه وصححه ابن خزيمة : أن النبي صلى
الله عليه وسلم توسد فخذة فرقد ، وكان إذا نام نفخ ، قال : فبينما أنا قاعد ، إذ أنا برجال عليهم
ثياب بيض ، الله أعلم بما بهم من الجمال ، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وطائفة منهم عند رجليه .
قوله : «إن لصاحبكم هذا مثلا قال : فاضربوا له مثلا» ، كذا للأكثر ، وسقط لفظ «قال» من
رواية أبي ذر .

قوله : «فقال بعضهم : إنه نائم ... إلى قوله : يقظان» ، قال الراهمزمري : هذا تمثيل يراد به حياة
القلب وصحة خواتمه ، يقال : رجل يقظ ، إذا كان ذكي القلب ، وفي حديث ابن مسعود ، فقالوا
بينهم : ما رأينا عبدا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي ، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له
مثلا .

وفي رواية سعيد بن أبي هلال : فقال أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا ، فقال : «اسمع سمع أذنك ،
واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك» . ونحوه في حديث ربيعة الجرشي ، عند الطبراني ، زاد أحمد في
حديث ابن مسعود ، فقالوا : اضربوا له مثلا ، ونؤول أو نضرب وأولوا ، وفيه : ليعقل قلبك .
قوله : «مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة» ، في حديث ابن مسعود : «مثل سيد بني
قصر» ، وفي رواية أحمد : «بنيانا حصينا ثم جعل فيها مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن
أجاب أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه - أو قال - عذبه» . وفي رواية أحمد
«عذب عذابا شديدا .

والمأدبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة ، وحكى بالفتح ، وقال ابن التين : عن أبي عبد

الملك الضم والفتح لغتان فصيحتان،
وقال الراهزمزي نحوه في حديث «القرآن مآدبة الله»
قال:

وقال لي أبو موسى الحامض: من قاله بالضم أراد الوليمة، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي
أدب به عباده. قال الحافظ ابن حجر: فعلى هذا يتعين الضم.
قوله: «فبعث داعياً»، في رواية سعيد: «ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من
أجاب الرسول ومنهم من تركه».

قوله: «فقال بعضهم: أولوها بفتحها»، قيل: يؤخذ منه حجة لأهل التعبير، أن التعبير إذا وقع
في المنام اعتمد عليه. قال ابن بطلال: قوله: «أولوها له» يدل على أن الرؤيا ما عبرت في النوم،
أ. هـ.

وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة، لكون الرائي النبي صلى الله عليه وسلم، والمرئي
الملائكة، فلا يطرد ذلك في حق غيرهم.

(141/3)

[()] قوله: «فقالوا: الدار الجنة»، أي الممثل بها، زاد في رواية سعيد بن أبي هلال: «فالله هو
الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول الله». وفي حديث ابن مسعود عند
أحمد: «أما السيد فهو الله رب العالمين، وأما النبيان فهو الإسلام، والطعام الجنة، ومحمد
الداعي»، فمن اتبعه كان في الجنة.

قوله: «فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله»، أي لأنه رسول صاحب المآدبة، فمن أجابه ودخل في
دعوته أكل من المآدبة، وهو كناية عن دخول الجنة، ووقع بيان ذلك في رواية سعيد، ولفظه:
«وأنت يا محمد رسول الله، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن
دخل الجنة أكل ما فيها».

قوله: «ومحمد فرق بين الناس»، كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلا ماضيا، ولغيره بسكون الراء
والتنوين، وكلاهما متجه. قال الكرماني: ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد، بل
تشبيه المركب بالمركب، مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين. أ. هـ.
وقد وقع في غير هذه الطريق ما يدل على المطابقة المذكورة، زاد في حديث ابن مسعود: «فلما
استيقظ قال: سمعت ما قال هؤلاء، هل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم

الملائكة، والمثل الذي ضربوا: الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده»
الحديث.

تنبيه:

قال الحافظ في الفتح: تقدم في كتاب المناقب من وجه آخر عن سليم بن حيان بهذا الإسناد،
«قال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع
لبنة»

الحديث. وهو حديث آخر، وتمثيل آخر، فالحديث الذي في المناقب - وهو الحديث رقم
(3534) - يتعلق بالتبوة وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. وهذا يتعلق بالدعاء إلى
الإسلام، وبأحوال من أجاب أو امتنع، وقد وهم من خلطهما كأبي نعيم في (المستخرج)، فإنه
لما ضاق عليه مخرج حديث الباب، ولم يجده مرويا عنده، أورد حديث اللبنة، ظنا منه أنهما
حديث واحد، وليس كذلك لما بينته.

وسلم الإسماعيلي من ذلك، فإنه لما لم يجده في مروياته،
أورده من روايته عن الفربري، بالإجازة عن البخاري بسنده، وقد روى يزيد بن هارون بهذا السند
حديث اللبنة، أخرجه أبو الشيخ في (كتاب الأمثال)، من طريق أحمد بن سنان الواسطي عنه،
وساق بهذا السند حديث «مثلي ومثلكم كمثلي رجل أوقد ناراً» أ
حديث، لكنه عن أبي هريرة لا عن جابر، وقد ذكر الراهمزمي حديث الباب في (كتاب
الأمثال) معلقا فقال: وروى يزيد بن هارون، فساق السند ولم يوصل سنده بيزيد، وأورد معناه من
مرسل الضحاك بن مزاحم.

[(2)] زاد في رواية البخاري بعد قوله: «ومحمد فرّق بين الناس»، تابعه قتيبة عن ليث عن
خالد عن سعيد بن أبي هلال «عن جابر، خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم ...». .
قوله: «تابعه قتيبة عن ليث»، يعني ابن سعد، «عن خالد»، يعني ابن يزيد، وهو أبو عبد
الرحيم المصري أحد الثقات.

قوله: «عن سعيد بن أبي هلال عن جابر قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم، هكذا
اقتصر على هذا القدر من الحديث، وظاهر أن بقية الحديث مثله، وقد بينت ما بينهما من
الاختلاف، وقد وصله الترمذي عن قتيبة بهذا السند، ووصله أيضا الإسماعيلي عن الحسن بن
سفيان، وأبو نعيم من طريق أبي العباس

[()] السراج، كلاهما عن قتيبة، ونسب السراج في روايته الليث وشيخه كما ذكرته. قال

الترمذي بعد تحريجه: هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله.

قال الحافظ ابن حجر: وفائدة إيراد البخاري له، رفع التوهم عن يظن أن طريق سعيد بن ميناء موقوفة، لأنه لم يصرح برفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى بهذه الطريق لتصريحها، ثم

قال الترمذي: وجاء من غير وجه عن النبي بإسناد أصح من هذا. قال: وفي الباب عن ابن

مسعود، ثم ساقه بسنده وصححه، وقد بينت ما فيه أيضا بحمد الله تعالى. ووصف الترمذي له

بأنه مرسل، يريد أنه منقطع بين سعيد وجابر، وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشي عند

الطبراني، فإنه بنحو سياقه وسنده جيد، وسعيد بن أبي هلال غير سعيد بن ميناء الذي في السند

الأول، وكل منهما مدني، لكن ابن ميناء تابعي، بخلاف ابن أبي هلال.

والجمع بينهما إما بتعدد المرئي، وهو واضح، أو بأنه منام واحد، حفظ فيه بعض الرواة ما لم

يحفظ غيره، وتقدم طريق الجمع بين اقتضاره على جبريل وميكائيل في حديث، وذكره الملائكة

بصيغة الجمع في الجانين الدال على الكثرة في آخر، وظاهر رواية سعيد بن أبي هلال أن الرؤيا

كانت في بيت النبي صلى الله عليه وسلم لقوله: «خرج علينا فقال: إني رأيت في المنام» .

وفي حديث ابن مسعود أن ذلك كان بعد أن خرج إلى الجن فقرأ عليهم، ثم أغفى عند الصبح

فجاءوا إليه حينئذ. ويجمع بأن الرؤيا كانت على ما وصف ابن مسعود، فلما رجع إلى منزله خرج

على أصحابه فقصها، وما عدا ذلك فليس بينهما منافاة، إذ وصف الملائكة برجال حسان،

يشير إلى أنهم تشكلوا بصورة الرجال.

وقد أخرج أحمد والبخاري، من طريق علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس،

نحو أول حديث سعيد بن أبي هلال، لكن لم يسم الملكين، وساق المثل على غير سياق من تقدم،

قال:

«إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر، انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما

يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك، إذ أتاهم رجل فقال: رأيتم إن وردت

بكم رياضا معشبة، وحياضا رواء، أتبعوني؟ قالوا: نعم، فانطلق بهم فأوردتهم، فأكلوا، وشربوا،

وسمنوا، فقال لهم: إن بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه، وحياضا أروى من هذه فاتبعوني،

فقال طائفة: صدق، والله لتتبعه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه» .

وهذا إن كان محفوظا قوى الحمل على التعدد، إما للمنام وإما لضرب المثل، ولكن علي بن زيد

ضعيف من قبل حفظه. قال ابن العربي في حديث ابن مسعود: إن المقصود «المأدبة»، وهو ما

يؤكل ويشرب، ففيه رد على الصوفية الذين يقولون: لا مطلوب في الجنة إلا الوصال، والحق أن

لا وصال لنا إلا بانقضاء الشهوات الجسمية والنفسانية والمحسوسة والمعقولة، وجماع ذلك كله

في الجنة.

(أ. ه).

وليس ما ادّعاه من المرد بواضح، قال: وفيه أن من أجاب الدعوة أكرم، ومن لم يجبها أهين، وهو بخلاف قولهم: من دعوانه فلم يجبنا فله الفضل علينا، فإن أجابنا فلنا الفضل عليه، فإنه مقبول في النظر، وأما حكم العبد مع المولى، فهو كما تضمنه هذا الحديث. (المرجع السابق): 317-320.

(143/3)

وله من حديث فليح: حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: [يا رسول الله] (1) [ومن يأتي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي (2)].» ذكره والذي قبله في كتاب الاعتصام.

[(1)] ما بين الحاصرتين تكملة من رواية البخاري.

[(2)] [فتح الباري]: 310 / 13، كتاب الاعتصام بالسنة، باب (2) الافتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله تعالى: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، حديث رقم (7280). قوله: «فليح»، بالفاء والمهملة، مصغر، هو ابن سليمان المدني، وشيخه هلال بن علي، هو الذي يقال له ابن ميمونة.

قوله صلى الله عليه وسلم: «كل أمي يدخل الجنة إلا من أبي»، بفتح الموحدة، أي امتنع، وظاهره أن العموم مستمر، لأن كلاً منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا: «ومن يأتي» فبين لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول، مجاز عن الامتناع عن سننه، وهو عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم. وأخرج أحمد والحاكم من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج، عن أبي هريرة رفعه «لندخلن الجنة إلا من أبي وشرد على الله شراد البعير»، وسنده على شرط الشيخين، وله شاهد عن أبي أمامة عن الطبراني، وسنده جيد، والموصوف بالإباء وهو الامتناع، إن كان كافراً فهو لا يدخل الجنة أصلاً، وإن كان مؤمناً، فالمراد منعه من دخولها مع أول داخل، إلا من شاء الله تعالى.

وأما وجوب اتباعه وامتناله وسنته والافتدائه بهداه صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [(1)] فوعد تعالى محبته ومغفرته [للذين] [(2)] اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم، قال الحسن: إن أقواما قالوا: يا رسول الله، إنا نحب الله، فأنزل الله سبحانه وتعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ الْآيَةَ، وقيل إن كعب بن الأشرف وغيره قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبا لله، فأنزل الله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ الْآيَةَ، وقال الزجاج: معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم، إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمر، ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته، وقال تعالى: قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [(3)] ، فأمر تعالى الكافة بمتابعته صلى الله عليه وسلم، ووعدهم الاهتداء باتباعه لأنه تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وقال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمُ الْآيَةَ، أي ينقادون لحكمك، يقال: سلم واستسلم وامتنل إذا انقاد، فجعل تعالى صحة إيمان خليقته بانقيادهم له صلى الله عليه وسلم ورضائهم بحكمه وترك الاعتراض عليه. وقال سهل في قوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [(4)] قال: بمتابعة السنة.

وخرج أبو داود من حديث ثور بن يزيد قال: حدثني خالد بن معدان قال: حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالوا: أتينا العرياض بن

[(1)] آل عمران: 31.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] الأعراف: 158.

[(4)] الفاتحة: 7.

سارية [(1)] وهو ممن نزل فيه: وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ [(2)] ، فتكلمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتسبين، فقال العرياض: صلى بنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة تامة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله [كأن] [(3)] هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا، فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة...

[(1)] هو العرياض بن سارية السلمى، من أعيان أهل الصّفّة، سكن حمص، وروى أحاديث، روي عنه جبير بن نفير، وأبو رهم السّمعي، وعبد الرحمن بن عمرو السّلمى، وحبيب بن عبيد، وحجر بن حجر، ويحيى بن أبي المطاع، وعمر بن الأسود وعدّة. ابن وهب: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة بن رويم، عن العرياض بن سارية - وكان يحب أن يقبض - فكان يدعو: اللّهمّ كبرت سني، ووهن عظمي، فاقبضني إليك. قال: فبينما أنا يوما في مسجد دمشق أصلي، وأدعو أن أقبض، إذا أنا بفتى من أجمل الرجال، وعليه دوّاج [ثوب] أخضر، فقال: ما هذا الذي تدعو به؟

قلت: كيف أدعو يا ابن أخي؟ قال: قل اللّهمّ حسن العمل وبلّغ الأجل. فقلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا «رتبابل» الذي يسأل الحزن من صدور المؤمنين، ثم التفت فلم أر شيئا. قال أحمد بن حنبل: كنية العرياض، أبو نجيح.

روى إسماعيل بن عيّاش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، قال: قال عتبة بن عبد: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم سبعة من بني سليم، أكبرنا العرياض بن سارية فبايعناه. [رجاله ثقات]

إسماعيل بن عيّاش: حدثنا أبو بكر بن عبد الله، عن حبيب بن عبيد، عن العرياض: قال: لولا أن يقال: فعل أبو نجيح، لألحقت مالي سبلة، ثم لحقت واديا من أودية لبنان عبدت الله حتى أموت. شعبة: عن أبي الفيض؟ سمع أبا حفص الحمصي يقول: أعطى معاوية المقداد حمارا من المغنم، فقال له العرياض بن سارية: ما كان لك أن تأخذه، ولا له أن يعطيك، كأني بك في النار تحمله، فردّه.

قال أبو مسهر وغيره: توفي العرياض سنة خمس وسبعين.

* (طبقات ابن سعد): 4 / 276، 7 / 412، (التاريخ الكبير): 7 / 85، (الجرح والتعديل): 7 / 39، (تهذيب الأسماء واللغات): 1 / 330، (مرآة الجنان): 1 / 156، (الإصابة): 4 / 482، ترجمة رقم (5505)، (تهذيب التهذيب): 7 / 147، (خلاصة تذهيب الكمال): 2 / 436، (شذرات الذهب): 1 / 82، (سير أعلام النبلاء): 3 / 419 - 422، ترجمة رقم (71).

[(2)] التوبة: 92، وتامها: تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ.
[(3)] تكملة من (صحيح سنن أبي داود) : 3 / 871، حديث رقم (3851-4607) ،
قال الألباني: صحيح.

(146/3)

ضلالة [(1)] . وأخرجه الترمذي [(2)]

وقال: حديث حسن صحيح.

وخرج بقي بن مخلد من حديث زيد بن الجناح عن معاوية بن صالح قال:
حدثني الحسن بن جابر أنه سمع المقدم بن معد يكرب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: يوشك برجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي يقول: بيننا وبينكم كتاب الله،

[(1)] قوله: «فسلمنا» ، أي على العرياض، «زائرين» من الزيارة، «وعائدين» من العيادة،
«ومقتبسين» ، أي محصلين منك العلم، «ذرفت» ، أي دمعت، «ووجلت» ، أي خافت، «كأن
هذه موعظة مودع» ، فإن المودع- بكسر الدال- عند الوداع، لا يترك شيئاً مما يهم المودع-
بفتح الدال- أي كأنك تودعنا بها، لما رأى من مبالغته صلى الله عليه وسلم في الموعظة، «فماذا
تعهد» ، أي توصي، «وإن عبدا حبشياً» أي وإن كان المطاع عبدا حبشياً.
قال الخطابي: يريد به طاعة من ولاة الإمام عليكم وإن كان عبدا حبشياً، ولم يرد بذلك أن يكون
الإمام عبدا حبشياً.

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأئمة من قريش» ،

وقد يضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يصح في الوجود،

كقوله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجدا ولو مثل مفتح قطة، بنى الله له بيتا في
الجنة» ،

وقدر مفتح القطة لا يكون مسجدا لشخص آدمي، ونظائر هذا الكلام كثير.

قوله صلى الله عليه وسلم: «وعصوا عليها بالنواجد» ،

جمع ناجذة بالذال المعجمة، قيل: هو الضرس الأخير، وقيل: هو مرادف السن، وهو كناية عن

شدة ملازمة السنة والتمسك بها. وقال الخطابي: وقد يكون معناه أيضا الأمر بالصبر على ما

يصيبه من المضض في ذات الله، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه.

قوله صلى الله عليه وسلم: «واياكم ومحدثات الأمور» ،

قال الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) : فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثّة المبتدعة، وأكد ذلك بقوله: «وكل بدعة ضلالة» .

والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة. فقوله صلى الله عليه وسلم: «وكل بدعة ضلالة» ،

من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين. وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه في التراويح: «نعمت البدعة هذه» ، وروى عنه أنه قال: «إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة» ، ومن ذلك أذان الجمعة الأول، زاده عثمان لحاجة الناس إليه، وأقره عليّ، واستمر عمل المسلمين عليه. وروى عن ابن عمر أنه قال: هو بدعة، ولعله أراد ما أراد أبوه في التراويح. (عون المعبود) : 234 / 12، كتاب السنه، باب التمسك بالسنة، حديث رقم (4594) .

[(2)] قال المنذري: وأخرجه الترمذي وابن ماجه، وليس في حديثهما ذكر حجر بن حجر، غير أن الترمذي أشار إليه تعليقا، وقال الترمذي: حسن صحيح. والخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي: والمحدث على قسمين: محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بالإرادة فهذا باطل، وما كان على قواعد الأصول أو مردود إليها فليس ببدعة ولا ضلالة. (المرجع السابق) : 235.

(147/3)

وما وجدنا فيه من حلال أحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله [(1)] .

وخرج البخاري في كتاب الأدب [(2)] وفي كتاب الاعتصام [(3)] من حديث الأعمشي، حدثنا مسلم عن مسروق [قال] [(4)] : قالت عائشة رضي الله عنها: صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا [فرخص] [(5)] فيه فتنزه عنه قوم، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب فحمد

[(1)]

أخرج أبو داود نحوه في كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (3848-4604) : عن المقدم بن معديكرب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يجل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطعة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها. ومن نزل يقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه» .

وحديث رقم (3849-4605) :، عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه. (صحيح سنن أبي داود للألباني) : 3 / 870-871 .
قوله صلى الله عليه وسلم: «على أريكته»

أي على سريره المزين بالحلل والأثواب، وأراد بهذه الصفة أصحاب الترفة والدعة، الذين لزمو البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه. قال الخطابي: في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء كان حجة بنفسه، فأما ما رواه بعضهم أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على الكتاب فإن وافقه فخذوه، فإنه حديث باطل لا أصل له. وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة.

قال المنذري: وأخرجه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، وحديث أبي داود أتم من حديثهما. (عون المعبود) 12 / 231، حديث رقم (4591) .

[(2)] [فتح الباري] : 10 / 628، باب (72) من لم يواجه الناس بالعتاب، حديث رقم (6101) .

[أي حياء منهم] .

[(3)] [المرجع السابق] : 13 / 342، باب (5) ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، لقوله تعالى: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، حديث رقم (7301) .

قوله: «صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فترخص فيه» ، في رواية مسلم من طريق أبي معاوية عن الأعمش:

«رخص النبي في أمر» .

قوله: «فتنزه عنه قوم» ، في رواية مسلم من طريق جرير عن الأعمش «فبلغ ذلك ناسا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا» .

قوله: «فخطب»، في رواية أبي معاوية «فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب حتى بان الغضب في وجهه.

[(4)] زيادة للسياق.

[(5)] في (خ) : «ترخص فيه» .

(148/3)

الله ثم قال: [ما بال] [(1)] أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم [له] [(1)] خشية. وخرجه مسلم بنحوه أو قريب منه [(2)] .
وخرج الترمذي من حديث سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن

[(1)] تكملة من البخاري.

[(2)] [مسلم بشرح النووي] : 115 / 15 ، كتاب الفضائل ، باب (35) علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته، حديث رقم (127) ، (128) .

قوله: «ما بال أقوام»، في رواية جرير «ما بال رجال»

قال ابن بطال: هذا لا ينافي الترجمة، لأن المراد بها المواجهة مع التعيين، كأن يقول: ما بالك يا فلان تفعل كذا، وما بال فلان يفعل كذا، فأما مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها موجودة، وهي مخاطبة من فعل ذلك، لكنه لما كان من جملة المخاطبين ولم يميز عنهم، صار كأنه لم يخاطب.

قوله: «يتنزهون عن الشيء أصنعه»، في رواية جرير «بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه»، وفي رواية أبي معاوية: «يرغبون عما رخص لي فيه» .

قوله: «فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» ،

جمع بين القوة العملية، والقوة العلمية، أي أنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب لهم عند الله، وليس كذلك، إذ هو أعلمهم بالقربة، وأولادهم بالعمل بها.

قال ابن بطال: كان النبي صلى الله عليه وسلم رفيقا بأمته، فلذلك خفف عنهم العتاب، لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة، ولو كان ذلك حراما لأمرهم بالرجوع إلى فعله.

قال الحافظ ابن حجر: أما المعاتبة فقد حصلت منه لم بلا ريب، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك سترًا عليه، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية، لا بترك العتاب أصلا، وأما استدلاله بكون ما فعلوه غير حرام، فواضح من جهة أنه لم يلزمهم بفعل ما فعله هو.

وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذم التعمق والتنزه عن المباح، وحسن العشرة عند الموعظة، والإنكار والتلطف في ذلك.

قال الإمام النووي في شرح مسلم: فيه الحث على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، والنهي عن التعمق في العبادة، وذم التنزه عن المباح شكًا في إباحته.

* وفيه الغضب عند انتهاك حرمت الشرع. وإن كان المنتهك متأولًا وأويلا باطلا.

* وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزيز والإنكار في الجمع، ولا يعين فاعله، فيقال: ما بال أقوام ونحوه.

* وفيه أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشهدهم له خشية»، فمعناه أنهم يتوهمون أن سننهم عما فعلت أقرب لهم عند الله، وإن فعل خلاف ذلك، وليس كما توهموا، بل أنا أعلمهم بالله وأشهدهم له خشية، وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى، والخشية له على حسب ما أمر، لا بمخيلات النفوس، وتكلف أعمال لم يأمر بها. والله أعلم.

(149/3)

عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو [بن العاص] [(1)] رضي الله [عنهما] [(2)] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية [ليكونن] [(3)] في أمي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، [وستفترق] [(4)] أمي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: [من كان على] [(5)] ما أنا عليه وأصحابي.

قال أبو عيسى: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه [(6)]. قال الترمذي: الإفريقي ضعيف عند أهل الحديث،

[(1)] تكملة من (جامع الأصول) : 33 / 10.

[(2)] في (خ) : «عنه» .

[(3)] في (خ) : «لكان» .

[(4)] في (خ) : «وتفترق» ، والتصويب من المرجع السابق.

[(5)] تكملة من المرجع السابق، حديث رقم 7491.

[(6)]

قوله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على أمتي»،
من الإتيان وهي المجيء بسهولة، وعدى بعلي لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك، ومنه قوله تعالى: ما
تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ [الذاريات: 42].
قوله صلى الله عليه وسلم: «حذو النعل بالنعل»
استعارة في التساوي، وقيل: الحذو القطع والتقدير أيضا، يقال: حذوت النعل بالنعل إذا قدرت
كل واحدة من طاقاتها على صاحبها لتكونا على السواء، ونصبه على المصدر، أي يحذوهم
حذوا مثل حذو النعل بالنعل، أي تلك المماثلة المذكورة في غاية المطابقة والموافقة، كمطابقة
النعل بالنعل.

قوله صلى الله عليه وسلم: «حتى إذا كان منهم من أتى أمه»،
حتى: ابتدائية، والواقع بعده جملة شرطية، وإتيان الأم كناية عن الزنا.
قوله صلى الله عليه وسلم: «وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة»،
سمى صلى الله عليه وسلم طريقة كل واحد منهم «ملة» اتساعا، وهي في الأصل ما شرع الله
لعباده على ألسنة أنبيائه ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى، ويستعمل في جملة الشرائع
دون آحادها، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد أمة النبي، بل يقال: ملة محمد
صلى الله عليه وسلم أو ملتهم كذا، ثم إنَّها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة، لأنهم لما عظم
تفرقهم، وتدنيت كل فرقة منهم بخلاف ما تدبّر به غيرها، كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية
في التدين، فسميت باسمها مجازا.

وقيل: الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة، وهو قد يكون حقا، وقد يكون باطلا، والمعنى
أنهم يفترون فرقا، تندين كل واحدة منها بخلاف ما تندين به الأخرى.
قوله صلى الله عليه وسلم: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة»،
قيل: فيه إشارة لتلك المطابقة، مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة. وقوله صلى الله عليه
وسلم: «إلا ملة»، بالنصب، أي إلا أهل ملة، «قالوا: من هي؟» أي تلك الملة أي أهلها
الناجية.

قوله: «هذا حديث حسن غريب»، في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف،
فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب، وحديث عبد الله بن عمرو هذا أخرجه أيضا
الحاكم

ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره، وقال أحمد: لا أكتب حديث الإفريقي.
 وخرج الترمذي من حديث محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن
 [المسيب] [(1)] قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال [لي] [(2)] رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم
 قال لي: يا بني، وذلك من سنتي ومن [أحيا] [(3)] سنتي فقد [أحياني] [(4)] ومن
 [أحياني] [(5)] كان معي في الجنة
 - وفي الحديث قصة طويلة- قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ومحمد بن عبد
 الله الأنصاري ثقة، وأبوه ثقة، وعلي بن زيد صدوق إلا أنه [ربما] [(6)] يرفع الشيء الذي
 يوقفه

[()]

وفيه: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» .

واعلم أن أصول البدع كما نقل في (المواقف) ثمانية:

[1] المعتزلة القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم، وبنفي الرؤية، وبوجوب الثواب والعقاب، وهم
 عشرون فرقة.

[2] الشيعة المفرطون في محبة علي كرم الله وجهه وهم اثنان وعشرون فرقة.

[3] الخوارج المفرطة المكفّرة له رضي الله عنه، ومن أذنب كبيرة وهم عشرون فرقة.

[4] المرجئة القائلة بأن لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهي خمس
 فرق.

[5] والنجارية الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال، فرقة أيضا.

[6] المعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام، وهم ثلاث فرق.

[7] والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة.

[8] والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول. فرقة أيضا، فتلك ثلاث وسبعون

فرقه، والفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء الحمديّة، والطريقة النقية الأحمدية. (تحفة الأحوذى

بشرح جامع الترمذي): 7 / 333-334، أبواب الإيمان باب (18) افتراق هذه الأمة،

حديث رقم (27779) .

وأخرجه أيضا الحاكم في (المستدرک): 1 / 129، حديث رقم (155 / 444) ذكره في كتاب

العلم. قال في التخليص: رواه ثابت بن محمد العابد، عن الثوري، عن ابن أنعم الإفريقي، عن

عبد الله بن يزيد عنه. وقال إسماعيل بن أبي أويس: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن

يزيد، عن أبيه، عن جده مرفوعا: «لتسلكن سنن من قبلكم، إن بني إسرائيل افتقرت ...»

الحديث.

- [(1)] ما بين الحاصرتين سقط من (خ) ، وما أثبتناه من صحيح الترمذي.
- [(2)] ما بين الحاصرتين سقط من (خ) ، وما أثبتناه من صحيح الترمذي.
- [(3)] في (خ) : «أحب» .
- [(4)] في (خ) : «أحبي» .
- [(5)] في (خ) : «أحبي» وما أثبتناه من صحيح الترمذي.
- [(6)] زيادة من صحيح الترمذي.

(151/3)

غيره. [قال] [(1)] : وسمعت محمد بن بشار يقول: قال أبو الوليد: قال شعبة:
[أخبرنا] [(1)] [علي بن زيد وكان رفاعا، ولا يعرف لسعيد بن المسيب [عن أنس] [(2)]
رواية إلا في هذا الحديث بطوله. وقد روى عباد [بن ميسرة] [(3)] [المقبري هذا الحديث عن
علي بن زيد عن أنس ولم يذكر فيه عن سعيد بن المسيب، قال أبو عيسى: وذاكرت محمد بن
إسماعيل [ولم] [(4)] يعرفه، ولم يعرف لسعيد بن المسيب، عن أنس هذا الحديث ولا غيره،
ومات أنس [بن مالك] [(5)] سنة ثلاث وتسعين، ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين،
ومات سنة خمس وتسعين والله أعلم [(6)] .

- [(1)] [زيادة من (خ) ، وفي (خ) : «حدثنا» وما أثبتناه من صحيح الترمذي.
- [(2)] [زيادة من صحيح الترمذي.
- [(3)] [في (خ) : «عباد بن ميسرة المقبري» .
- [(4)] [في (خ) : «فلم» .
- [(5)] [تكملة من صحيح الترمذي.
- [(6)] [والحديث أخرجه الترمذي في (الجامع الصحيح) في أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة
واجتناب البدعة.
قوله: «قال لي» ، أي وحدي أو مخاطبا لي من بين أصحابي، «يا بني» بضم التاء تصغير ابن،
وهو تصغير لطف ومرحمة، ويدل على جواز هذا لمن ليس ابنه، ومعناه اللطف، وأنتك عندي
بمنزلة ولدي في الشفقة.
قوله: «إن قدرت» ، أي استطعت، والمراد: اجتهد قد ما تقدر «أن تصبح وتمسي» ، أي تدخل

في وقت الصباح والمساء، والمراد جميع الليل والنهار «ليس في قلبك» الجملة حال من الفاعل، تنازع فيه الفعلان، أي وليس كائنا في قلبك «غش» بالكسر ضد النصح، الذي هو إرادة الخير للمنصوح له.

قوله: «لأحد» وهو عام للمؤمن والكافر، فإن نصيحة الكافر أن يجتهد في إيمانه، ويسعى في خلاصه من ورطة الهلاك باليد واللسان، وللتألف بما يقدر عليه من المال. كذا ذكره الطيبي. قوله: «فافعل»، جزء كناية عما سبق في الشرط، أي افعل نصيحتك «وذلك»، أي خلو القلب من الغش، قال الطيبي: وذلك إشارة إلى أنه رفيع المرتبة أي بعيد تناول «من سنتي» أي طريقي، «ومن أحيا سنتي» أي أظهرها وأشاعها بالقول أو العمل، «فقد أحياني ومن أحياني» كذا في النسخ الحاضرة من الإحياء في المواضع الثلاثة. وأورد صاحب المشكاة هذا الحديث نقلا عن الترمذي بلفظ «من أحب سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»، ومن الإحياء في المواضع الثلاثة، فالظاهر أنه قد وقع في بعض نسخ الترمذي هكذا، والله تعالى أعلم.

قال محققه: ولعل المقريزي - رحمه الله - قد نقل من إحدى هذه النسخ ذلك اللفظ الذي حققناه وصوبناه من الرواية الأخرى حسب الهوامش السابقة على متن هذا الحديث. قوله: «كان معي في الجنة»، أي معية مقاربة لا معية متحدة في الدرجة، قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

(152/3)

ومخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبديل سنته ضلال وبدعة، يوعد الله تعالى على ذلك بالخذلان والعذاب، قال تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [(1)] ، وقال: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [(2)] . والآثار المسندة والموقوفة أيضا كثيرة جدا وفي استيعابها خروج عما نحن بصدده، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله تعالى، والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه.

[()] أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: 169] .

قوله: «وعلي بن زيد صدوق» ، وضعفه غير واحد من أئمة الحديث ، «وكان رفّاعاً» بفتح الراء وتشديد الفاء، أي كان يرفع الأحاديث الموقوفة كثيرا «وقد روى عباد» بن ميسرة «المنقري» بكسر الميم وسكون النون، البصري المعلم، لين الحديث، عابد من السابعة «ولا غيره» بالنصب عطف على هذا الحديث.

قوله: «ومات أنس بن مالك سنة ثلاث وتسعين ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين» مقصود الترمذي بهذا أن المعاصرة بين أنس وبين سعيد بن المسيب ثابتة، فيمكن سماعه منه. (تحفة الأحوذبي): 7 / 370-371، أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، حديث رقم (2818).

[(1)] [النور: 63.

[(2)] [النساء: 115.

(153/3)

وأما أمر الكافة بالتأسي به قولاً وفعلاً فقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ [(1)] ، فأمر تعالى بالتأسي به صلى الله عليه وسلّم أمراً مطلقاً، لم يستثن من التأسي به شيئاً بخلاف أمره تعالى بالتأسي بإبراهيم عليه [السلام] [(2)] ، فإنه استثنى بالتأسي به، قال تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ [(3)] ، فحثّ تعالى المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم عليه السلام والذين معه من أنبياء الله فيما ذكر تعالى، ثم استثنى من التأسي به استغفاره عليه السلام لأبيه، فهى المؤمنين عن التأسي به في ذلك. قال ابن أبي نجیح عن مجاهد: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، قال: هُوَ أَنْ يَتَّسُوا بِهِ فِي اسْتِغْفَارِهِ لِأَبِيهِ، فَيَسْتَغْفِرُوا لِلْمَشْرِكِينَ. وقال مطرف عن مجاهد: أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْلِهِ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ يَقُولُ تَعَالَى: ائْتَسُوا بِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا خَلَا قَوْلَهُ لِأَبِيهِ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ فَلَا تَأْتَسُوا بِذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّمَا كَانَتْ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدِّهَا إِيَّاهُ.

وقال معمر عن قتادة: يقول: لا تأتسوا بذلك منه فإنه كان عليه موعداً، وتأسوا بأمره كله. وقال ابن وهب: قال ابن زيد: قول الله تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْلِهِ: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ قَالَ: يقول: ليس لكم في هذه أسوة. وقال محمد بن علي الترمذي: الأسوة في الرسول صلى الله عليه وسلّم الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل.

وقال الإمام محمد بن عمر الرازي: اختلفوا في أن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بمفرده،

[(1)] الأحزاب: 21.

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] الممتحنة: 4.

(154/3)

هل يدل على حكم في حقنا أم لا؟ على أربعة أقوال:

أحدها: أنه للوجوب وهو قول ابن شريح وأبي سعيد الاصطخري، وأبي علي ابن خيران.

وثانيها: أنه للندب ونسب ذلك إلى الشافعي رحمه الله.

وثالثها: أنه للإباحة وهو قول مالك رحمه الله.

ورابعها: أنه يتوقف على الكل، وهو قول الصيرفي وأكثر المعتزلة، وهو المختار لنا، إنا إذا جوزنا

في ذلك الفعل أن يكون ذنباً له ولنا، وحينئذ لا يجوز لنا فعله، وإن لم نجوز الذنب عليهم جوزنا

كونه مباحاً ومندوباً وواجباً، ويتقدير أن يكون واجباً جوزنا أن يكون ذلك من خواصه، وأن لا

يكون، ومع احتمال هذه الأقسام امتنع الجزم بواحد منها، واحتج القائلون بالوجوب بالقرآن

والإجماع والمعقول، أما القرآن: فسبع آيات.

[أولها]: قوله تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ، والأمر حقيقة الفعل، والتحذير عن مخالفة

فعله يقتضي وجوب موافقة فعله.

وثانيها: قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ،

وهذا يجري مجرى الوعيد فيمن ترك التأسى به، ولا معنى للتأسى إلا أن يفعل الإنسان مثل فعله.

وثالثها: قوله تعالى: فَاتَّبِعُوهُ، وظاهر الأمر للوجوب، والمتابعة هي الإتيان بمثل فعله.

ورابعها: قوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي، دلت الآية على أن محبته تعالى مستلزمة

للمتابعة، لكن المحبة واجبة بالإجماع، ولازم الواجب واجب، فمتابعه واجبة.

وخامسها: قوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، فإذا فعل فعلاً فقد أتانا بالفعل، فوجب علينا

أن نأخذه.

وسادسها: قوله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ ... ،

(155/3)

دلت الآية بإطلاقها على وجوب طاعة الرسول، والآتي بمثل ما فعله الغير لأجل أن ذلك الغير فعله طائع لذلك الغير، فوجب أن يكون ذلك واجبا.

وسابعا: قوله تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [(1)] ، بين أنه تعالى إنما زوجه لها ليكون حكم أمته مساويا لحكمه في ذلك وهو المطلوب.

وأما الإجماع فلأن الصحابة بأجمعهم اختلفوا في الغسل بالتقاء الختانين، فقالت عائشة رضي الله عنها: فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلنا، فرجعوا إلى ذلك، وإجماعهم على الرجوع حجة، وهو المطلوب.

وإنما كان ذلك لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أجمعوا ها هنا على أن مجرد الفعل للوجوب، ولأنهم واصلوا الصيام لما واصل، وخلعوا نعالهم لما خلع، وأمرهم عام الحديبية بالتحلل فتوقفوا، فشكا ذلك إلى أم سلمة رضي الله عنها فقالت: اخرج إليهم فاحلق واذبح، ففعل، فحلقوا وذبحوا مسارعين، وأنه خلع خاتمه فخلعوا، وأن عمر رضي الله عنه كان يقبل الحجر الأسود ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك، وأما خلع الخاتم فهو مباح، فلما خلع أحبوا موافقته لا لاعتقادهم وجوب ذلك عليهم. والجواب عن الوجه الأول من المعقول أن الاحتياط إنما يصر إليه إذا خلا عن الضرر قطعا، وها هنا ليس كذلك لاحتمال أن يكون ذلك الفعل حراما، وإذا احتمل الأمران لم يكن المصير إلى الوجوب احتياطا.

وعن الثاني إن ترك الإتيان بمثل ما يأتي به الملك العظيم قد يكون تعظيما، ولذلك يقبح من العبد أن يفعل كل ما يفعله سيده، واحتج القائلون بالندب بالقرآن والإجماع والمعقول. أما القرآن: فقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فلو كان التأسي به واجبا لقال عليه، ولما لم يقل ذلك وقال لكم دل على عدم الوجوب، ولما أثبت الأسوة دل على رجحان جانب الفعل على الترك، فلم يكن

[(1)] الأحزاب: 37.

(156/3)

مباحا.

وأما الإجماع: فهو أنا رأينا أهل الأمصار متطابقين على الاقتداء في الأفعال بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك يدل على انعقاد الإجماع على أنه يفيد الندب.

وأما المعقول: فهو أنه يفيد أن فعله إما أن يكون راجح العدم أو مساوي العدم أو مرجوح العدم، والأول باطل لما ثبت أنه لا يوجد منه الذنب، والثاني باطل ظاهر، لأن الاشتغال به عبث، والعبث مزجور عنه لقوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا [(1)] ، فتعين الثالث، وهو أن يكون مرجوح العدم.

ثم لما تأملنا أفعاله صلى الله عليه وسلم وجدنا بعضها مندوبا وبعضها واجبا، والقدر المشترك هو رجحان جانب الوجوب وعدم الوجوب ثابت بمقتضى الأصل، فأثبتنا الرجحان مع عدم الوجوب.

والجواب عن الأول ما تقدم: أن التأسى في إيقاع الفعل على الوجوب الذي أوقعه، فلو فعله واجبا أو مباحا وفعلناه مندوبا لما حصل التأسى.

وعن الثاني أنا لا نسلم أنهم استدلوا بمجرد الفعل، فلعلهم وجدوا مع الفعل قرائن آخر.

وعن الثالث: لا نسلم أن فعل المباح عبث، لأن العبث هو الخالي عن العرض، وإذا حصل في المباح منفعة ناجزة لم يكن عبثا، بل من حيث النفع به خرج عن العبث، فلم قلتم بأنه خلى عن العرض، ثم حصول العرض في التأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم متابعته في أفعاله بين، فلا يعد من أقسام العبث.

واحتج القائلون بالإباحة بأنه لما ثبت أنه لا يجوز صدور الذنب منه صلى الله عليه وسلم ثبت أن فعله لا بد وأن يكون مباحا أو مندوبا أو واجبا، وهذه الأقسام الثلاثة مشتركة في رفع الحرج عن الفعل، فأما رجحان جانب الفعل يثبت على وجوده دليلا لأن الكلام فيه، وثبت على عدمه دليل، لأن هذا الرجحان كان معدوما، والأصل

[(1)] المؤمنون: 115.

(157/3)

في كل شيء بقاؤه، فقد ثبت بهذا أنه لا حرج في فعله قطعا، ولا رجحان في فعله ظاهرا، فهذا الدليل يقتضي في كل أفعاله صلى الله عليه وسلم أن يكون مباحا ترك العمل به في الأفعال التي كونها واجبة أو مندوبة، فبقي معمولا به في الباقي، وإذا ثبت كونه مباحا ظاهرا وجب أن يكون في حقنا كذلك، للآية الدالة على وجوب التأسى ترك العمل به فيما إذا كان من خواصه، فبقي معمولا به في الباقي.

والجواب هنا: أنه في حقه صلى الله عليه وسلم كذلك، فلم يجب أن يكون في حق غيره كذلك؟

والله أعلم.

قال جمهور الفقهاء والمعتزلة: التأسّي واجب، ومعنى ذلك أنا إذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلّم فعل فعلا على وجه الوجوب فقد تعبدنا أن نفعله على وجه الوجوب، وإن علمنا أنه مستقل به كنا متعبدين بالتنفل به، وإن علمنا أنه فعله على وجه الإباحة كنا متعبدين باعتقاد إباحته، وجاز لنا أن لا نفعله.

وقال أبو علي بن خلاد- تلميذ أبي هاشم من المعتزلة-: نحن متعبدون بالتأسّي به في العبادات دون غيرها كالمناكحات والمعاملات، ومن الناس من أنكر ذلك في الكل، احتج أبو الحسن بالقرآن والإجماع.

أما القرآن فقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ والتأسّي بالغير في أفعاله هو أن يفعل على الوجه الذي فعل ذلك الغير، ولم يفرق الله تعالى بين أفعال النبي صلى الله عليه وسلّم إذا كانت مباحة أو لم تكن مباحة.

وأما الإجماع: فهو أن السلف رجعوا إلى أزواجه صلى الله عليه وسلّم في قبلة الصائم، وفي من أصبح جنبا لم يفسد صومه، وفي تزويج النبي ميمونة رضي الله عنها وهو حرام، وذلك يدل على أن أفعاله لا بد من أن يمتثل بها في طريقه.

ولقائل أن يقول: على الدليل الأول، الأمر يفيد التأسّي به مرة واحدة، كما أن قول القائل لغيره: لك في الدار ثوب حسن، يفيد ثوبا واحدا، فإن قلت: هذا إن ثبت تم عرضا من التعبد بالتأسّي به صلى الله عليه وسلّم في الجملة، ولأنه يفيد إطلاق كون الشيء أسوة لنا، ولا يطلق وصف الإنسان بأنه أسوة لزيد إلا إذا لم يجز لزيد وصف أن يتبعه إلا في واحد، وإنما يطلق ذلك أن لو كان ذلك الإنسان لزيد قدوة يهتدي به في

(158/3)

أموره كلها ما خصه الدليل.

قلت: الجواب عن الأول: أن أحدا لا ينازع في التأسّي به صلى الله عليه وسلّم في الجملة، لأنه لما قال: صلوا كما رأيتموني أصلي، وخذوا عني مناسككم، فقد أجمعوا على وقوع التأسّي به، والآية ما دلت إلا على المرة الواحدة، فكان التأسّي به صلى الله عليه وسلّم في هذه الصورة كافيا في العمل بالآية، لا سيما والآية إنما وردت على صيغة الإخبار عما مضى، وذلك يكفي فيه وقوع التأسّي به فيما مضى.

والجواب عن الثاني: أنك إن أردت أنه لا يصح إطلاق اسم الأسوة إلا إذا كان أسوة في كل

شيء فهو ممنوع، ثم يدل على فساده وجهان:

الأول: أنه من يعلم من إنسان نوعا واحدا من العلم يقال له: إن لك في فلان أسوة حسنة في كل شيء، ويقال لك في فلان أسوة حسنة في هذا الشيء دون ذلك ولو اقتضى اللفظ العموم لكان الأول تكرار، والثاني نقصا، وإن أردت أنه يصح إطلاق اسم الأسوة إذا كان أسوة في بعض الأشياء فهذا مسلّم، ولكنه صلى الله عليه وسلّم أسوة لنا في أقواله وأفعاله التي أمرنا بالافتداء بها كقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي، وخذوا عني مناسككم» .

والجواب عن الحجة الثانية: أن قوله تعالى: فَاتَّبِعُوهُ يَاطَّاعُوا فِي كُلِّ مَشْرُوعٍ، والاتباع، والأمر لا يقتضي التكرار، فلا يفيد العموم في كل الأزمنة، فإن قلت: ترتب الحكم على الاسم يشعر بأن المسمى علة لذلك الحكم، فماهية المتابعة علة الأمر بها، قلت: فعلى هذا لو قال السيد لعبده:

اسقني، يلزمه أن يكون أمرا له يجمع أنواع السقي في كل الأزمنة، وفي هذه الأمثلة كثيرة، وما ذكرناه في فساد ما قالوا، وأما الإجماع فقد سبق الكلام عليه، قال: لما عرفت أن التأسي مطابقة المتأسي به في الوجه وجب معرفة الوجه الذي عليه وقع فعل الرسول صلى الله عليه وسلّم وهو ثلاثة: الندب والإباحة والوجوب.

أما الإباحة فتعرف بطرق أربعة:

أحدها: أن ينص رسول الله صلى الله عليه وسلّم على أنه مباح.
وثانيها: أن تقع امتثالا لأنها دالة على الإباحة.

(159/3)

وثالثها: أن تقع بيانا لأنها دالة على الإباحة.

ورابعها: أنه لما ثبت أنه لا ندب ثبت أنه لا حرج عليه في ذلك الفعل، ويعرف نفي كيفية الوجوب والندب بالبقاء على الأصل، فحينئذ نعرف كونه مباحا. أما الندب فيعرف بتلك الثلاثة الأدلة مع أربعة أخرى.

أحدها: أن يعلم من قصده صلى الله عليه وسلّم أنه قصد القرية بذلك الفعل، فيعلم أنه راجح الوجود، ولم يعرف انتفاء الوجوب بحكم الاستصحاب فيثبت الندب.

وثانيها: أن ينص على أنه كان مخيرا بين ما فعل وبين فعل ما ثبت أنه ندب، لأن التخيير لا يقع بين الندب وبين ما ليس بندب.

وثالثها: أن يقع قضاء لعبادة كانت مندوبة.

ورابعها: أن يداوم على الفعل ثم يخل به من غير نسخ، فيكون إدامته صلى الله عليه وسلم دليلاً على كونه طاعة، وإخلاله به من غير نسخ دليل على عدم الوجوب. وأما الوجوب، فيعرف بتلك الثلاثة الأولى مع خمسة أخرى: أحدها: الدلالة على أنه كان مخيراً بينه وبين فعل آخر قد ثبت وجوبه، لأن التخيير لا يقع بين الواجب وما ليس بواجب. وثانيها: أن يكون قضاء لعبادة ثبت وجوبها. وثالثها: أن يكون على وقوعه أمانة قد تقرر في الشريعة أنها أمانة الوجوب كالصلاة بأذان وإقامة. ورابعها: أن يكون جزاء الشرط موجب كفعل ما وجب نذره. وخامسها: أن يكون لو لم يكن واجباً لم يجز كالجَمع بين الركوعين في الكسوف. قال: الفعل إذا عارضه معارض، فمعارض فعله صلى الله عليه وسلم إما أن [يكون] [(1)] قولاً

[(1)] زيادة للسياق.

(160/3)

أو فعلاً، أما القول: فإما أن يعلم أن المقدم هو القول أو الفعل، ولا يعلم واحد منهما. أما القسم الأول: وهو أن يكون المتقدم هو القول والفعل المعارض إما أن يحصل عقبيه أو متراخياً عنه، فإن كان متعاقباً له فإما أن يكون القول متناولاً له خاصة، أو لأتمته خاصة، أو له ولهم معاً، لا يجوز أن يتناوله خاصة إلا على قول من يجوز نسخ الشيء قبل حضور وقته، فإن تناول أتمته خاصة وجب المصير إلى القول دون الفعل، وإلا لكان القول لغواً ولا يلغو الفعل لأن حكمه ثابت في الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كان الخطاب يعمه وإياهم، ذلك فعله على أنه مخصوص من القول، وأتمته داخلية فيه لا محالة وإن كان الفعل متراخياً عن القول، فإن كان القول عاماً لنا وله صار مقتضاه منسوخاً عنا وعنه، وإن تناول ما دونه كان ناسخاً عنا ودونه، لأن القول لم يتناوله، وإن تناوله دوننا كان منسوخاً عنه دوننا، ثم يلزمنا مثل فعله لوجوب التأسّي به. القسم الثاني: أن يكون هو الفعل، فالقول المعارض له إما أن يحصل عقبيه أو متراخياً عنه، فإن كان متعاقباً: فإما أن يكون الفعل متناولاً له خاصة، أو لأتمته خاصة، أو عاماً فيه وفيهم، فإن كان متناولاً له خاصة وقد كان الفعل المتقدم على لزوم مثله لكل مكلف في المستقبل فيصير

ذلك القول المخصص به مخصصا له عن ذلك العموم، وإن كان متناولا لأتمته خاصة، دل على أن حكم الفعل مختص به دون أتمته، وإن كان عاما فيه وفيهم دلّ سقوط حكم الفعل عنه [و] [(1)] عنهم، وأما إن كان القول متراخيا عن الفعل، فإن كان القول متناولا له ولأتمته فيكون القول ناسخا لحكم الفعل عنه وعن أتمته، أو يتناول أتمته دونه فيكون منسوخا عنهم دونه أو يتناوله دون أتمته، فيكون منسوخا عنه دون أتمته.

القسم الثالث: إذا لم يعلم تقدم أحدهما على الآخر فهأنا يقدم القول على الفعل ويدل عليه وجهان.

[(1)] زيادة للسياق.

(161/3)

أحدهما: أن القول أقوى من الفعل، والأقوى راجح، إنما قلنا أنه موافق لأن دلالة القول تستغني على الفعل، ودلالة الفعل لا تستغني عن القول، والمستغني أقوى من المحتاج.

والثاني: أنا نقطع بأن القول قد يتناولها، وأما الفعل فبتقدير أن [يتراخي] [(1)] كان متناولا لنا معلوم، وبتقدير أن يتناولنا [أو] [(2)] لا يتناولنا، وكون [الفعل] [(2)] متناولا لنا معلوم، وكون الفعل متناولا لنا مشكول، والمعلوم مقدم لنا [على] [(2)] المشكول.

فرع: نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استقبال القبلة واستدبارها في قضاء الحاجة، ثم جلس في البيت لقضاء الحاجة مستقبل بيت المقدس، فعند الشافعيّ - رحمه الله - أن نهي مخصوص بفعله حتى يجوز استقبال القبلة واستدبارها في البيوت لكل أحد، وعند الكرخي: يجب إجراء النهي على إطلاقه في الصحراء والبنيان، وكان ذلك من خواص النبي صلى الله عليه وسلم، وتوقف القاضي عبد الجبار في المسألة.

وحجة الشافعيّ: أن النهي عام ومجموع الدليل الذي يوجب علينا أن نفعل مثل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه مستقبل القبلة في البنيان عند قضاء الحاجة أخص من ذلك النهي، والخاص مقدم على العام، فوجب القول بالتنخيص، أما إذا كان الفعل للفعل فعلا آخر، فذاك على وجهين.

الأول: أن يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم فعلا فيعلم بالدليل أن غيره مكلف به ثم نراه بعد ذلك قد أقر الناس على فعل ضده، فنعلم أنه خارج منه.

الثاني: إذا علمنا أن ذلك الفعل مما يلزم أمثاله للرسول صلى الله عليه وسلم في مثل تلك

الأوقات ما لم يرد ناسخ، ثم يفعل صلى الله عليه وسلّم ضده في مثل ذل الوقت، فنعلم أنه قد نسخ عنه.

تنبیه: التخصيص والنسخ في الحقيقة إنما لحقا ما دلّ على أن ذلك الفعل لازم لغيره، فإنه لازم له في مستقبل الأوقات، وإنما يقال: أن ذلك الفعل قد لحقه

[(1)] في (خ) «يتراخا» .

[(2)] زيادة للسياق.

(162/3)

النسخ، يعني أنه قد زال التعبد بمثله، فإن التخصيص قد لحقه على معنى أن المكلفين لا يلزمهم مثله والله أعلم. وأنه قال في جواب [من سأل] [(1)] أم سلمة رضي الله عنها عن قبلة الصائم: ألا أخبرتيه أي أقبل وأنا صائم، وأما المعقول فمن وجهين:
الأول: أن الاحتياط يقتضي حمل الشيء على أعظم مراتبه، وأعظم مراتب فعل الرسول صلى الله عليه وسلّم أن يكون واجبا عليه وعلى أمته، فوجب حمله عليه ببيان الأول أن الاحتياط يتضمن دفع ضرر الخوف عن النفس بالكلية، ودفع الضرر واجب ببيان الثاني، أن أعظم مراتب الفعل أن يكون واجبا على الكل.

الثاني: أنه لا نزاع في وجوب تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلّم في الجملة، وإيجاب الإتيان بمثل فعله تعظيم له بدليل العرف، والتعظيمان مشتركان في هذا القدر من المناسبة، فيجمع بينهما بالقدر المشترك فيكون ورود الشرع بإيجاب ذلك التعظيم يقتضي وروده بأن يجب على الأمة الإتيان بمثل فعله، والجواب عن الأول: أنا لا نسلم أن الأمر حقيقة في الفعل، فليس حمله على ذلك بأولى من حمله على هذا سلمناه، لكن هاهنا ما يمنع حمله على الفعل من وجهين: الأول أن تقدم ذكر الدعاء وذكر المخالفة، وذكر الدعاء يمنع منه، فإن الإنسان إذا قال لعبده: لا تجعل دعائي كدعاء غيري واحذر مخالفة أمري، فهم منه أنه أراد بالأمر القول الثاني، وهو أنه قد أريد به القول بالإجماع، ولا يجوز حمله على الفعل، إلا أن اللفظ المشترك لا يجوز حمله على معنييه سلمنا ذلك، ولكنها راجعة إلى الله تعالى لأنه أقرب المذكورين، فإن قلت: القصد هو الحث على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلّم لأنه تعالى قال: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا [(2)] ، فحث بذلك على الرجوع إلى أقواله وأفعاله، ثم عقب ذلك بقوله: فَلْيُحَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ [(2)] ، فعلمنا أنه حث بذلك على التزام ما كان دعاء الله من

الرجوع إلى أمر النبي صلى الله عليه وسلّم، وأيضا فلم لا يجوز الحكم بصرف الكناية إلى الله والرسول؟ قلت: الجواب عن الأول صرف الضمير إلى الله تعالى مؤكدا لهذا الغرض أيضا، ولأنه لما حثّ على الرجوع إلى أقوال الرسول وأفعاله

[(1)] ما بين القوسين مثبت في هامش (خ) .

[(2)] [النور: 63]

(163/3)

ثم حذر عن مخالفة أمر الله تعالى كان ذلك تأكيدا لما هو المقصود من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلّم.

وعن الثاني: أن الهاء كناية عن واحد، فلا يجوز عوده إلى الله تعالى وإلى الرسول معا، سلمنا عود الضمير إلى الرسول فلم قلت أن الإتيان بمثل فعله مخالفة لأمره. فإن قلت يدل عليه أمران: الأول: أن المخالفة ضد الموافقة، لكن موافقة الغير هو أن يفعل مثل فعله، فمخالفته هو أن لا يفعل مثل فعله.

الثاني: وهو أن المعقول من المختلفين هما اللذان لا يقوم أحدهما مقام الآخر، والعدم والوجود لا يقوم أحدهما مقام الآخر بوجه أصلا، فكأننا في غاية المخالفة، فثبت أن عدم الإتيان بمثل فعله مخالف للإتيان بمثل فعله من كل الوجوه.

قلت: هب أنها في أصل الوضع كذلك، لكنها في عرف الشرع ليست كذلك، ولهذا لا يسمى إخلال الحائض بالصلاة مخالفة للمسلمين، بل هي عبارة عن عدم الإتيان بمثل فعله إذا كان الإتيان به واجبا، وعلى هذا لا يسمى ترك مثل فعل النبي صلى الله عليه وسلّم مخالفة إلا إذا فعله على الوجوب، وإذا بينا ذلك بهذا لزم الدور وهو محال.

والجواب عن الثاني: لم قلت أن الإتيان بمثل فعل الغير مطلقا يكون تأسيا به، بل عندنا كما يشترط في التأسى المساواة في الصورة يشترط فيه المساواة في الكيفية، حتى لو صام واجبا فتطوعنا بالصوم لم نكن متأسيين به، وعلى هذا لا يكون مطلق فعل الرسول صلى الله عليه وسلّم سببا للوجوب في حقنا لأن فعله قد لا يكون واجبا فيكون فعلنا إياه على سبيل الوجوب قادحا في التأسى به.

والجواب عن الثالث: أن قوله تعالى: فَاتَّبِعُوهُ، إما أن لا يفيد العموم أو يفيد، فإن كان الأول سقط التمسك به، وإن كان الثاني فبتقدير أن لا يكون ذلك الفعل واجبا عليه وعلينا، وجب أن

نعتقد فيه أيضا هذا الاعتقاد، فالحكم بالوجوب يناقضه، فوجب أن لا يتحقق، وهذا هو الجواب عن التمسك بقوله تعالى:

(164/3)

فَاتَّبِعُونِي [(1)] .

والجواب عن الخامس: لا نسلم أن قوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ [(2)] يتناول الفعل، ويدل عليه وجهان.

الأول: أن قوله تعالى: وَمَا تَحَاكُمُ عَنْهُ فَاَتَتْهُوا [(2)] على أنه عني بقوله: ما آتاكم ما أمركم.

الثاني: أن الإتيان إنما يتأتى بالقول لأننا نحفظه، وامتناله يصير كأننا أخذناه، فكأنه صلى الله عليه وسلم أعطانا.

والجواب عن السادس: أن الطاعة هي الإتيان بالمأمور به أو بالمراد على اختلاف المذهبين، فلم قلت: أن مجرد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على أننا أمرنا بمثله أو أريد منا مثله؟ والجواب عن الإجماع من وجوه.

الأول: أن هذه آحاد ولا تفيد العلم، ولهم أن يقولوا: هب أنها تفيد الظن، لكن ما حصل ظن كونه دليلا ترتب عليه ظن ثبوت الحكم، فيكون العمل به دافعا للضرر المظنون فيكون واجبا، إلا أن أكثر هذه الأخبار واردة في الصلاة والحج، فلعله صلى الله عليه وسلم كان قد بين لهم أن شرعه وشرعهم سواء في هذه الأمور،

قال صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» ،

وعليه خرج مسألة التقاء الختانين [(3)] ،

وقال: «خذوا عني مناسككم» ،

وعليه يقبل عمر رضي الله عنه الحجر،

وقال: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي» .

وأما عن الوصال [(4)] : فَإِنَّهُمْ ظَنُوا لِمَا أَمَرَهُمْ بِالصَّوْمِ وَاشْتَغَلَ مَعَهُمْ بِهِ أَنَّهُ قَصِدَ بِفَعْلِهِ بَيَانَ الْوَاجِبِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُمْ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمُ الْمَوَافَقَةَ.

وأما خلع النعل: فلا نعلم أنهم فعلوا ذلك واجبا، وأيضا لا يمتنع أن يكونوا

[(1)] آل عمران: 31.

[(2)] الحشر: 7.

[(3)] بوجوب الغسل من الإكسال، والإكسال: هو الجماع بدون إنزال.

[(4)] الوصال لغة: يكون في عفاف الحب ودعارته (ترتيب القاموس) ج 4 ص 620،

وشرعا: تتابع الصوم من غير إفطار بالليل. قال (الخطابي) في (معالم السنن) : الوصال من خصائص ما أبيض لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو محظور على أمته. راجع (عون المعبود شرح سنن أبي داود) ج 6 ص 487.

(165/3)

لما رأوه قد خلع نعله مع قوله تعالى: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ [(1)] ظنوا أن خلعها

مأمور به غيرهم، لأنه لو كان مباحا ما ترك له المستنون في الصلاة على

أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم: لم خلعتم نعالكم؟ فقالوا: لأنك خلعت نعلك، فقال: إن

جبريل أخبرني أن فيهما أذى،

فبين بهذا أنه ينبغي أن يعرفوا الذي وقع عليه فعله صلى الله عليه وسلم ثم يتبعوه، والله سبحانه

وتعالى أعلم بالصواب.

[(1)] الأعراف: 31.

(166/3)

وأما اقتران اسم النبي صلى الله عليه وسلم باسم الله تعالى

فإنه سبحانه قرن اسمه تعالى باسمه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز عند ذكر طاعته ومعصيته،

وفرائضه وأحكامه، ووعدته ووعدته، قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [(1)] ، وقال:

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا [(2)] ، وقال:

يُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ [(3)] ، وقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

[(4)] ، وقال: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ [(5)] ، وقال:

وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(6)] ، وقال: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(7)] ، وقال: بَرَاءَةٌ

مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [(8)] ، وقال: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [(9)] ، وقال: وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ [(10)] ، وقال: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(11)] ، وقال: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(12)] ، وقال: وَلَا يُجْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ [(13)] ،
[وقال] :

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

[(6)] ، وقال: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(7)] ، وقال: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [(8)]
، وقال: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [(9)] ، وقال: وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ [(10)]
، وقال: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(11)] ، وقال: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ [(12)] ، وقال: وَلَا يُجْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ [(13)] ، [وقال] : وَمَنْ يُشَاقِقِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(14)] ، وقال: قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ [(15)] ، وقال: فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ [(16)] ، وقال: وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ [(17)] ، وقال:

فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ [(18)] ، وقال: وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ

[(1)] النساء: 59.

[(2)] المائدة: 92. وفي (خ) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

[(3)] التوبة: 71، وفي (خ) وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ.

[(4)] التوبة: 62.

[(5)] الأنفال: 24.

[(6)] الأحزاب: 36.

[(7)] الأحزاب: 57.

[(8)] التوبة: 1.

[(9)] التوبة: 3.

[(10)] التوبة: 63.

[(11)] التوبة: 16. وفي (خ) يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

[(12)] المائدة: 33.

[(13)] التوبة: 29.

[(14)] الأنفال: 13.

[(15)] الأنفال: 1.

[(16)] النساء: 59.

[(17)] التوبة: 59.

[(18)] الأنفال: 41.

(167/3)

وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ [(1)] ، وقال: وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ [(2)] ، وقال: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ [(3)] ، فقرن تعالى اسمه الكريم باسم رسوله محمد في جميع الأحكام والأصول، تعظيما لقدره وتشريفا له على غيره صلى الله عليه وسلّم.

[(1)] التوبة: 74.

[(2)] التوبة: 90.

[(3)] الأحزاب: 37.

(168/3)

وأما تقدم نبوته صلى الله عليه وسلّم قبل تمام خلق آدم عليه السلام فخرج الترمذي من حديث الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد [(1)] ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، هذا آخر كلام الترمذي. وقد رواه عباد بن جويرة عن الأوزاعي مرسلا، واختلف على الوليد بن مسلم فيه، فرواه بعضهم عنه مرسلا، ورواه بعضهم عنه فأسنده كما تقدم ذكره. ولأبي نعيم من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل عن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال: متى كنت يا رسول الله نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد [(1)] . وله من حديث حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن رجل أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلّم: متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. كذا رواه حماد ولم يسم ميسرة، وتابعه عليه عن خالد الحذاء وهب بن خالد [(1)] .

ولأبي نعيم من حديث عمرو بن واقد، عن عروة بن رويم [(2)] ، عن الصنابحي قال عمر رضي الله عنه: متى جعلت نبيا؟ قال: وآدم منجدل في الطين.
وله من حديث نصر بن مزاحم، حدثنا قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي،

[(1)] سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها.

[(2)] عروة بن رويم اللخمي أبو القاسم الأردني، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: عامة أحاديث مرسلة.

(169/3)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

تفرد به نصر بن مزاحم.

وله من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد، عن العرياض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته.

وفي رواية: أنا عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وفي رواية: إني عبد الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وفي رواية: إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته [(1)] .

وخرجه الحاكم من حديث عثمان بن سعيد الدارمي قال: قلت لأبي اليمان:

حدثك أبو بكر بن أبي مريم الغساني عن سعيد بن سويد عن العرياض بن سارية السلمي قال:

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إني عبد الله في أول الكتاب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأتيكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي بي التي رأته أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد [(2)] .

وخرج أبو نعيم من حديث سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث [(3)] .

وفي الصحيحين [(4)] من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال

- [(1)] [دلائل النبوة لأبي نعيم] ج- 1 ص 8-9، وفي (خ) «بخاتم»
[(2)] [المستدرک للحاکم ج 2 ص 600 وله شاهد على صحته ص 609 .
[(3)] [سبق تخريجه وشرحه .

[(4)] [ذكره البخاري في كتاب الجمعة، باب (2) هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ وقال ابن عمر: إنما الغسل على من تجب عليه الجمعة، حديث رقم (896) :

حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا وهيب قال: حدثنا ابن طاوس عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون والسابقون يوم القيامة، أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله، فغدا لليهود، وبعد غد للنصارى» فسكت. (897) : ثم قال: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده» .

(170/3)

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة» الحديث. وله طرق [(1)] ، قال أبو نعيم: وكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في البعث، وبه ختمت النبوة، وهو

[()] وأخرجه مسلم من كتاب الجمعة باب (6) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (19) :

وحدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم الجمعة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا، هدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا، والنصارى بعد غد.

وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة وابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة»
بمثله.

وحديث رقم (20) : حدثنا قتيبة بن سعيد، وزهير بن حرب قالوا: حدثنا جرير عن الأعمش،

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا، فهدانا الله له، قال يوم الجمعة، فالיום لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى»
قوله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة» ،
قال العلماء: معناه الآخرون في الزمان والوجود، السابقون بالفضل ودخول الجنة، فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» ،
هو بفتح الباء الموحدة وإسكان المثناة تحت، قال أبو عبيد: لفظه «بيد» تكون بمعنى غير، وبمعنى على، وبمعنى من أجل، وكله صحيح هنا، ويقال: «ميد» بمعنى «بيد» .
قوله صلى الله عليه وسلم: «هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله له» ،
فيه دليل لوجوب الجمعة، وفيه فضيلة هذه الأمة.
قوله صلى الله عليه وسلم: «اليهود غدا» ،
أي عيد اليهود غدا، لأن ظروف الزمان لا تكون أخبارا عن الجثث فيقدر فيه معنى يمكن تقديره خيرا.

قوله صلى الله عليه وسلم: «فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله» ،
قال القاضي: الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين، ووكّل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف اجتهادهم في تعيينه، ولم يهدهم الله له، وفرضه على هذه الأمة مبينا، ولم يكله إلى اجتهادهم، ففازوا بتفضيله. قال: وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة، وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل، فقليل له: دعهم.
قال القاضي: ولو كان منصوبا لم يصح اختلافهم فيه، بل كان يقول: خالفوا فيه. قال الإمام النووي: ويمكن أن يكون أمروا به صريحا، ونصّ على عينه، فاختلفوا فيه، هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله، وأبدلوه وغلطوا في إبداله. (مسلم بشرح النووي): 6 / 391، كتاب الجمعة، باب (6) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (19) ، (20) ، (21) .

[(1)] باقي طرق الحديث في المرجع السابق، حديث رقم (22) ، (23) ، كلها بسياقات قريبة من بعضها مع التقديم والتأخير والزيادة والنقصان لكن بمعنى واحد، وذكره أبو نعيم في (الدلائل): 1 / 49، باب ما روي في تقديم نبوته صلى الله عليه وسلم قبل خلق آدم عليه السلام، حديث رقم (11) ، والنسائي في الجمعة، باب إيجاب يوم الجمعة، حديث رقم (1366) .

[()] قال الحافظ السيوطي: قوله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون»،

أي الآخرون زمانا، الأولون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشروا، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

وقيل: المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل، وهو يوم الجمعة، وقيل المراد به سبق إلى القبول والطاعة التي حرمها أهل الكتاب فقالوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، والأول أقوى. «بيد» بموحدة ثم تحتية ساكنه مثل «غير» وزنا، ومعنى، وإعرابا، وبه جزم الخليل والكسائي، ورجحه ابن سيده. وروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي رحمه الله، عن الربيع، عنه، أن معنى «بيد» من أجل، وكذا ذكره ابن حبان والبعثي، عن المزني عن الشافعي، وقد استبعده القاضي عياض، ولا بعد فيه.

والمعنى إنا سبقنا بالفضل إذ هدينا للجمعة، مع تأخرنا في الزمان، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم. ويشهد لهم ما في (فوائد المقرئ) بلفظ: نحن الآخرون في الدنيا، ونحن أول من يدخل الجنة، لأنهم أورثوا الكتاب من قبلنا. وقال الراوي: هي بمعنى «على» أو «مع».

قال القرطبي: إن كانت بمعنى «غير» فنصب على الاستثناء، وإن كانت بمعنى «مع»، فنصب على الظرف، وقال الطيبي: هي للاستثناء، وهي من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم. «أنهم أتوا الكتاب قبلنا» اللام للجنس، والمراد التوراة والإنجيل: «وأوتيناها» المراد الكتاب، مرادا به القرآن، «وهذا اليوم الذي كتب الله عليهم»، أي فرض عليهم تعظيمه، «فاختلفوا فيه»، قال ابن

بطل: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل والله تعالى أعلم على أنه فرض عليهم يوم الجمعة ووكل على اختيارهم ليقبموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أي الأيام هو، ولم يهتدوا ليوم الجمعة.

وقال النووي: يمكن أن يكونوا أمروا به صريحا فاختلفوا، هل يلزم تعيينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر، فاجتهدوا في ذلك فأخطئوا. وقد روى ابن أبي حاتم عن السدي، في قوله تعالى: إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ، قال: إن الله فرض على اليهود يوم الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعله لنا، فجعله عليهم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «اليهود غدا والنصارى بعد غد»، قال القرطبي «غدا» منصوب على الظروف، وهو متعلق بمحذوف تقديره: اليهود يعظمون غدا وكذا بعد غد ولا بد من هذا التقدير لأن ظرف الزمان لا يكون خيرا عن الجنة، وقدر ابن مالك تقييد اليهود غدا. (حاشية الحافظ السيوطي على سنن النسائي): 3/ 95-96، كتاب الجمعة، باب إيجاب

الجمعة، حديث رقم (1366) .

وقال الإمام السندي:

قوله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون السابقون» ،

أي الآخرون زمانا في الدنيا، الأولون منزلة وكرامة يوم القيامة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة إياهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يجاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

وقيل: المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل، وهو يوم الجمعة، وقيل: المراد بالسبق إلى القبول والطاعة التي حرّمها أهل الكتاب فقالوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

قوله صلى الله عليه وسلم: «أوتوا الكتاب» ،

اللام للجنس، فيحمل بالنسبة إليهم على كتابهم، وبالنسبة إلينا

(172/3)

السابق يوم القيامة لأنه أول مكتوب في النبوة، ففي هذا الخبر الفضيلة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لما أوجب الله تعالى له النبوة قبل تمام خلق آدم الذي هو أبو البشر، ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان، فمن حاز هذه الفضيلة حق له الصبر على مواصلة الدعوة واحتمال الأذية ممن ردها، وإعظام من قبلها، واستفراغ الوسع في احتمال كل عارض وشدة وبلوى تعرض دون إقامتها، إذ الفضيلة سابقة على فضائل من تقدمه من الأنبياء في العهد والخلق الأول. وقال بعض العارفين بالله: لما خلق الله الأرواح المدبرة للأجسام عند حركة الفلك أول ما خلق الزمان بحركته، كان أول ما خلق روح محمد صلى الله عليه وسلم، ثم صدرت الأرواح الفلكية عن الحركات الفلكية، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأعلمه الله بنبوته، و آدم لم يكن إلا كما قال بين الماء والطين، فاقضى

قوله: «كنت نبيا و آدم بين الماء والطين»

أن يكون وجوده حقيقة، فإنه لا يكون العدم بين أمرين موجودين لانهضاره، والمعدوم لا يوصف بالخصر في شيء، ثم انتهى الزمان في حقه عليه السلام إلى وجود جسمه وارتباط الروح به، فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا، فكان له الحكم أولا باطنا في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسول عليهم السلام، ثم صار له الحكم ظاهرا فنسخ كل شرع وإن كان المشرع واحدا، وهو صاحب الشرع، فإنه قال: «كنت نبيا» ..

[()] على كتابنا، وهذا بيان زيادة شرف لنا، أي فصار كتابنا ناسخا لكتابهم، وشريعتنا ناسخة لشريعتهم، وللناسخ فضل على المنسوخ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم. أو المراد بيان أن هذا يرجع إلى مجرد تقدمهم علينا في الوجود، وتأخرنا عنه فيه، ولا شرف لهم فيه، أو هو شرف لنا أيضا من حيث قلة انتظارنا أمواتا في البرزخ، ومن حيث حيازة المتأخر علوم المتقدم دون العكس، فقولهم الفضل للتقدم ليس بكلي. قوله صلى الله عليه وسلم: «وهذا اليوم»، الظاهر أنه أوجب عليهم يوما بعينه والعبادة فيه، فاختاروا لأنفسهم أن يبدل الله لهم يوم السبت، فأجيبوا إلى ذلك، وليس بمستبعد من قوم قالوا لنبيهم: اجعل لنا إلهاً. قوله صلى الله عليه وسلم: «فهدانا الله»، بالثبات عليه حين شرع لنا العبادة فيه، «اليهود غدا»

أي يعبدون الله في يوم الجمعة. فأخذ المصنف قوله: «كتب الله»، الوجوب، والظاهر أن الحكم بالنظر إلى واحد، فحيث إن ذلك الحكم هو الوجوب بالنسبة إلى قوم تعين أنه الوجوب بالنظر إلى الآخرين، والله تعالى أعلم (المرجع السابق).

(173/3)

ما قال: كنت إنسانا، ولا كنت موجودا، وليست النبوة إلا بالشرع المقرر من عند الله، فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء في الدنيا كما تقرر فيما تقدم، فكانت استدارته إليها دورته بالاسم الباطن، وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض» [(1)] ،

[(1)]

ذكره البخاري في مواضع متفرقة من صحيحه يتم بعضها بعضا، لكن أخرجه مسلم بتمامه في كتاب القسامة باب (9) تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (29): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ويحيى بن حبيب الحارثي «وتقاربا في اللفظ» قالوا: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها

أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر، الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا:

الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة، قلنا: بلى، قال: فأبي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال:

أليس البلدة؟ قلنا: بلى، قال: فأبي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال فإن دماءكم وأموالكم قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدي كفارا - أو ضلالا - يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هل بلغت؟ قال ابن حبيب في روايته: «ورجب مضر» وفي رواية أبي بكر: «فلا ترجعوا بعدي»

قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر، الذي بين جمادى وشعبان» ،

أما ذو القعدة، فبفتح القاف، وذو الحجة بكسر الحاء، هذه اللغة المشهورة، ويجوز في لغة قليلة كسر القاف وفتح الحاء، وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدّها، فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهل الأدب، يقال: الحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، ليكون الأربعة من سنة واحدة، وقال علماء المدينة والبصرة، وجمهير العلماء، هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، منها هذا الحديث الذي نحن فيه، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناس من الطوائف كلها.

وأما

قوله صلى الله عليه وسلم: «ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان» ، وإنما قيده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه، وإزالة للبس عنه، قالوا: وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجباً هذا الشهر المعروف الآن، وهو الذي بين جمادى وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مضر. وقيل: لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم، وقيل: إن العرب كانت تسمي رجباً وشعبان

[()] الرجيين، وقيل كانت تسمى جمادى ورجبا جمادين، وتسمى شعبان رجبا.

وأما

قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض»، فقال العلماء:

معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده، وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة، حتى اختلط عليهم الأمر، وصادفت حجة النبي صلى الله عليه وسلم تحريمهم، وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرّموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستدارة قد صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض.

وقال أبو عبيد: كانوا ينسئون أي يؤخرون، وهو الذي قال الله تعالى فيه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، فرمما احتاجوا إلى الحرب في المحرم، فيؤخرون تحريمه إلى صفر، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه.

قوله: «ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: فأبي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.. إلى آخره»، هذا السؤال، والسكوت، والتفسير، أراد به التفخيم، والتقريب، والتنبيه على عظم مرتبه هذا الشهر، والبلد، واليوم، وقولهم: «الله ورسوله أعلم»، هذا من حسن أدبهم، وأنهم علموا أنه صلى الله عليه وسلم لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب، فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون.

قوله صلى الله عليه وسلم: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا».

المراد بهذا كله بيان توكيد غليظ تحريم الأموال والدماء، والأعراض، والتحذير من ذلك.

قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، قيل في معناه سبعة أقوال:

[1] أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق.

[2] المراد كفر النعمة، وحق الإسلام.

[3] أنه يقرب من الكفر، ويؤدي إليه.

[4] أنه فعل كفعل الكفار.

[5] المراد حقيقة الكفر، ومعناه: لا تكفروا، ودوموا مسلمين.

[6] حكاة الخطابي وغيره، أن المراد بالكفار: المتكفرون بالسلاح، يقال: تكفّر الرجل بسلاحه إذا لبسه. قال الأزهري في كتاب (تهذيب اللغة): يقال للابس السلاح كافر.

[7] قال القاضي عياض رحمه الله: ثم إن الرواية «يضرب» برفع الباء، هكذا هو الصواب، وكذا رواه المتقدمون والمتأخرون، وبه يصح المقصود هنا.

ونقل القاضي عياض رحمه الله، أن بعض العلماء ضبطه بإسكان الباء. قال القاضي: وهو إحالة للمعنى، والصواب الضم، قال الإمام النووي: وكذا قال أبو البقاء العكبري: إنه يجوز جزم الباء على تقدير شرط مضمّر، أي إن ترجعوا يضرب، والله تعالى أعلم.

(175/3)

يعني في نسبة الحكم لنا ظاهرا كما كان في الدورة الأولى منسوباً إلينا باطنا، وإن كان في الظاهر منسوباً لمن نسب إليه من الأنبياء، ولما كانت العرب تنسئ [(1)] في الشهور فترى المحرم منها حالاً والحلال منها محرماً، جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم برد الزمان إلى أصله الذي حكم إليه به عند خالقه، فبين الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله

[()] وأما

قوله صلى الله عليه وسلّم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً» ،

فقال القاضي: قال الصبري: معناه بعد فراق من موقفي هذا، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع، أو يكون بعدي أي خلافي، أي لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به، أو يكون تحقق صلى الله عليه وسلّم أن هذا لا يكون في حياته، فنهاهم عنه بعد مماته.

قوله صلى الله عليه وسلّم: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب» ،

فيه وجوب تبليغ العلم، وهو فرض كفاية، فيجب تبليغه بحيث ينتشر.

قوله صلى الله عليه وسلّم: «فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه» ،

احتج به العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم عندهم ولا فقه، إذا ضبط ما يحدث به. (مسلم بشرح النووي): 2 / 415-416، كتاب الإيمان، باب (29) بيان

معنى

قول النبي صلى الله عليه وسلّم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ،

حديث رقم (118) ، (المرجع السابق) : 11 / 180 ، كتاب القسامة، باب (9) . تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (29) .

[(1)] النسيء: يقال نساء وأنساء، إذا أخره، حكاه الكسائي. قال تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَهُ عَامًا وَيُجْرِمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

قال الجوهري وأبو حاتم: النسيء فعيل بمعنى مفعول، من نسات الشيء فهو منسوء إذا أخرته، ثم حوّل إلى نسيء، كما حوّل مقتول إلى قتييل. ورجل ناسئ، وقوم نساء، مثل فاسق وفسقة. وقيل: النسيء مصدر من أنساء، كالنذير من أنذر، والنكير من أنكر، وهو ظاهر قول الزمخشري لأنه قال: النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر.

وقال الطبري: النسيء بالهمز معناه الزيادة. قال أبو حيان: فإذا قلت: أنساء الله أجله بمعنى أخر، لزم من ذلك الزيادة في الأجل، فليس النسيء مرادفا للزيادة، بل قد يكون منفردا عنها في بعض المواضع. وإذا كان النسيء مصدرا كان الإخبار عنه بمصدر واضح، وإذا كان بمعنى مفعول فلا بد من إضمار إما في النسيء أي: إن نساء النسيء، أو في زيادة، أي: ذو زيادة. وبتقدير هذا الإضمار يرد على ما يرد على قوله. ولا يجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعول، لأنه يكون المعنى: إنما المؤخر زيادة، والمؤخر الشهر، ولا يكون الشهر زيادة في الكفر.

وأخبر أن النسيء زيادة في الكفر، أي جاءت مع كفرهم بالله، لأن الكافر إذا أحدث معصية ازداد كفرا. قال تعالى: فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ [التوبة: 125] ، كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا. قال تعالى: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ [التوبة: 124] ، وأعاد الضمير في به على النسيء، لا على لفظ زيادة.

(176/3)

عليه، فلهذا

قال: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض» ،

كذلك استدار الزمان فأظهر محمدا صلى الله عليه وسلم جسما وروحا، فنسخ [(1)] من شرعه المتقدم ما أراد أن ينسخ منه. وأبقى ما أراد الله أن يبقى عليه، وذلك التسخن في الأحكام لا في الأصول، ولما كان ظهوره صلى الله عليه وسلم [بالميزان] [(2)] وهو العدل في الكون وهو معتدل حار رطب كان زمان ملته متصلا بالآخرة، وكان العلم في أمته أكثر مما كان. في الأوائل، وأعطى صلى الله عليه وسلم علم الأولين وعلم الآخرين، فكان الكشف في هذه

[()] قرأ ابن مسعود والأخوان وحفص: يُضِلُّ مبنياً للمفعول، وهو مناسب لقوله: زَيْنَ، وباقي السبعة مبنياً للفاعل. وابن مسعود في رواية، والحسن ومجاهد، وقتادة، وعمرو بن ميمون، ويعقوب: يُضِلُّ أي الله، أي يضل به الذين كفروا أتباعهم. ورويت هذه القراءة عن الحسن، والأعمش، وأبي عمرو، وأبي رجاء. وقرأ أبو رجاء: يُضِلُّ بفتحيتين، من ضللت بكسر اللام، أضلّ بفتح الضاد منقولاً، فتحها من فتحة اللام، إذ الأصل أضلل. وقرأ النخعي ومحبوب عن الحسن: نضل بالنون المضمومة وكسر الضاد، أي فضل نحن.

ومعنى تحريمهم عاما وتحليله عاما: لا يراد أن ذلك كان مداولة في الشهر بعينه، عام حلال وعام حرام، وقد تأول بعض الناس القصة على أنهم كانوا إذا شقّ عليهم توالي الأشهر الحرم، أحل لهم الحرم، وحرم صفرا بدلا من المحرم، ثم مشت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة، فإذا كان من قابل، حرم المحرم على حقيقته، وأحلّ صفر، ومشت الشهور مستقيمة، وإن هذه كانت حال القوم.

وقال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: الذين شرعوا النسيء هم بنو مالك من كنانة، وكانوا ثلاثة. وعن ابن عباس: إن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي، وهو أول من سيب السوائب وغير دين إبراهيم عليه السلام. وقال الكلبي: أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة.

والموطأ: الموافقة، أي ليوافقوا العدة التي حرم الله، وهي الأربعة ولا يخالفونها، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أصل الواجبين. والواجبان هما العدد الذي هو أربعة، في أشخاص أشهر معلومة، وهي رجب وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم. يقال: تواطئوا على كذا، إذا اجتمعوا عليه، كأن كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه. ومن الإيطاء في الشعر، وهو أن يأتي في الشعر بقافيتين على لفظ واحد ومعنى واحد.

قال ابن عطية: ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد، فأزالوا الفضيلة التي خصّ بها الأشهر الحرم وحدها، بمثابة أن يفطر رمضان، ويصوم شهرا من السنة بغير مرض أو سفر. باختصار من (البحر المحيط): 5/ 416 - 418.

[(1)] [النسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه، وفي التنزيل: ما نُنسخُ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسخها نأتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلها، والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة، والشيء ينسخ الشيء أي يزيله ويكون مكانه. (لسان العرب): 3/ 61.

[(2)] [في (خ) «بالميراث» ، وما أثبتناه أجود للسياق.

أكثر مما كان في غيرها، لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا، وإن كانوا أذكاء وعلماء فأحاد مهم معينون بخلاف الأمة المحمدية، ألا ترى كيف ترجمت هذه الأمة جميع علوم الأمم، ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح أن يكون مترجماً، ولا كان ينطبق على ذلك اسم الترجمة، فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم، واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين، ولهذا

أشار صلى الله عليه وسلم بقوله: «فعلمت علم الأولين»، وهم الذين تقدموه، ثم قال: «وعلم الآخرين»،

وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين، وهو ما تعلمته أمته من بعده إلى يوم القيامة، فقد أخبر عليه السلام أن عندنا علوماً لم تكن قبل، فقد ثبت له صلى الله عليه وسلم السيادة في الدنيا في العلم، وثبت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»،

وتبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام، وحكمه فينا بالقرآن، فصحت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى.

ثم أثبت له السيادة على سائر الناس يوم القيامة بفتح باب الشفاعة، ولا يكون ذلك [لنبي في (1)] يوم القيامة إلا له صلى الله عليه وسلم، فقد شفع صلى الله عليه وسلم في الرسل والأنبياء أن تشفع، نعم، وفي الملائكة، فأذن الله تعالى عند شفاعة عليه السلام في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع، فهو صلى الله عليه وسلم أول شافع بإذن الله تعالى، وأرحم الراحمين، أخرج من النار من لم يعمل خيراً قط كما ورد في الحديث الصحيح، فأى شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين، وآخر الدائرة متصل بأولها، ولا شرف أعظم من شرف محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان ابتداء الأشياء، وبه كملت، وما أعظم شرف المؤمن حيث ثلث شفاعة بشفاعة أرحم الراحمين، فلا دائرة أوسع من دائرة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن له الإحاطة- [ولأتمته بحكم التبعية فلها الإحاطة] [(2)] - بسائر الأمم، ولذلك كانوا شهداء على الناس [(3)] .

[(1)] في (خ) «ولا يكون ذلك لنبي إلا في يوم القيامة»، وهو خطأ من الناسخ.

[(2)] ما بين القوسين من هامش (خ) .

[(3)] إشارة إلى قوله تعالى: وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ [الحج: 78] .

(178/3)

[وأعطى] [(1)] الله محمدا صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره، فمن ذلك القرآن لم يبدل [ولم يحرف] [(2)] ، ولا نسخت شريعته بل ثبتت محفوظة، واستقرت بكل عين ملحوظة، يستشهد بها على كل طائفة، وخصّ صلى الله عليه وسلم بعلم الأولين والآخرين، وبالتؤدة والرّفق والرحمة وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [(3)] ، وما غلظ على من غلظ إلا بالأمر الإلهي حين قيل له جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ [(4)] ، فصحت له السيادة على العالم بما تقرر، فإنه لم يحصل لغيره.

قال تعالى: يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ [(5)] ، وقال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [(6)] ، فلذلك ثبت القرآن ولم يحرف، وكذا علمه الإحاطي لم يكن لغيره ممن تقدمه. ومما خص به: السيف الذي بعث به، وقتال الملائكة معه، فإن ذلك لم يكن لغيره، وهو من رتبة الكمال، وبعث من قوم ليس لهم هم إلا في قرى الضيفان ونحر الجزور، والقتال الدائم الذي لم يكن في غيرهم من الناس، وبهذا ولهذا كانوا يتمدحون كما هو معروف في أشعارهم، ولا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والشجاعة، وإن كان في العجم كرماء وشجعان كما في العرب بخلاء وجبناء لكن آحاد، والكلام يقع في الغالب لا في النادر، فهذا أمر لا ينكره أحد. ومما اختص به صلى الله عليه وسلم أنه حببت إليه النساء [(7)] ، فإن حبهن بكون الله تعالى حبيهن إليه، فكان يحبهن. ومن سنته النكاح لا التبتل، وجعل النكاح عبادة، وحب إليه أيضا الطيب [(7)] .

[(1)] في (خ) «وأعطا» .

[(2)] في (خ) «ولا حرف» .

[(3)] الأحزاب: 43.

[(4)] التوبة: 73، التحريم: 9.

[(5)] البقرة: 75.

[(6)] الحجر: 9.

[(7)]

أخرجه النَّسَائِيّ في كتاب عشرة النساء، باب (1) ، حب النساء، حديث رقم (3949) : حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن النَّسَائِيّ قال: أخبرنا الحسين بن عيسى القومسيّ قال: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا سَلَامُ أَبُو المنذر عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «حَبَّ إِلَيَّ من الدنيا النساء والطَّيب، وجعل قرّة عيني في الصلاة» .
وحديث رقم (3950) : أخبرنا عليّ بن مسلم الطوسيّ قال: حدثنا سيّار قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «حَبَّ إِلَيَّ النَّسَاء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة» .
قال الحافظ السيوطي: قال بعضهم: في هذا قولان: أحدهما: أنه زيادة في الابتلاء والتكليف،

(179/3)

[()] حتى يلهو بما حُبب إليه من النساء، عما كلف من أداء الرسالة، فيكون ذلك أكثر لمشاغبه وأعظم لأجره.

والثاني: لتكون خلواته مع ما يشاهدها من نساءه، فيزول عنه ما يرميه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر، فيكون تحببهن إليه على وجه اللطف به، وعلى القول الأول على وجه الابتلاء، وعلى القولين فهو له فضيلة.

وقال التستري في (شرح الأربعين) : «من» في هذا الحديث بمعنى «في» ، لأن هذه من الدين لا من الدنيا، وإن كانت فيها. والإضافة في رواية «دنياكم» للإيدان بأن لا علاقة له بها.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى وفاته صلى الله عليه وسلّم بأصلي الدين، وهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وهما كمال لقوّته، النظرية والعملية، فإن كمال الأولى بمعرفة الله، والتعظيم دليل عليها، لأنه لا يتحقق بدونها، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال صلى الله عليه وسلّم: «المصلي يناجي ربه» ، نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها.

وكمال الثانية في الشفقة وحسن المعاملة مع الخلق، وأولى الخلق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس، نفسه وبدنه، كما

قال صلى الله عليه وسلّم: «أبدأ بنفسك ثم بمن تعول» ،

والطيب أخص الذات بالنفس، ومباشرة النساء ألدّ الأشياء بالنسبة إلى البدن، مع ما يتضمن من حفظ الصحة، وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود، ثم إن معاملة النساء، أصعب من معاملة الرجال، لأنهن أرق ديناً، وأضعف عقلاً، وأضيق خلقاً، كما

قال صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم منكن»

فهو عليه الصلاة والسلام أحسن معاملتهن بحيث عوتب بقوله تعالى: تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ، وكان صدور ذلك طبعاً لا تكلفاً، كما يفعل الرجل ما يحبه من الأفعال، فإذا كانت معاملته معهن هذا، فما ظنك بمعاملته مع الرجال، الذين هم أكمل عقلاً، وأمثلة ديناً، وأحسن خلقاً؟.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» ، إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر، وأما تأخيره فللتردد التعليمي من الأدنى إلى الأعلى، وقدم الطيب على النساء، لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف. وقال الحكيم الترمذي في (نوادير الأصول) : الأنبياء زيدوا في النكاح لفضل نبوتهم، وذلك أن النور إذا امتلأ منه الصدر، ففاض في العروق، التذت النفس والعروق، فأثار الشهوة وقوّها. وروى عن سعيد بن المسيب أن النبيين عليهم الصلاة والسلام، يفضّلون بالجماع على الناس، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أعطيت قوة أربعين رجلاً في البطش والنكاح، وأعطى المؤمن قوة عشرة» ، فهو بالنبوة، والمؤمن بإيمانه، والكافر له شهوة الطبيعة فقط. قال: وأما الطيب فإنه يزكي الفؤاد ...

وروى أحمد والترمذي من حديث أبي أيوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من سنن المرسلين: التعطر، والحياء، والنكاح، والسواك» . وقال الشيخ تقي الدين السبكي: السّرّ في إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها، وما يستحيا من ذكره، وما لا يستحيا منه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس حياءً، فجعل الله تعالى له نسوة، ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله، ويسمعنه من أقواله، التي قد يستحي من الإفصاح بها بحضرة الرجال، ليكتمل نقل الشريعة، وكثر عدد النساء ليكثر الناقلون لهذا

(180/3)

واختص أيضاً بإعجاز القرآن، وأعطى جوامع الكلم، ولم يعط ذلك نبي قبله، واعطي كما قال: ستا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبله: بعث إلى الناس كافة فعمت رسالته، ونصر بالرب، وأحلت له ولأمته الغنائم، وجعلت له ولأمته الأرض مسجداً وتربتها طهوراً، ومما خصّ به أن أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض، وخصّه بصورة الكمال فكمّلت به الشرائع وكان خاتم الأنبياء، ولم يكن

[()] النوع، ومنهن عرف مسائل الغسل، والحيض، والعدة، ونحوها.

قال: ولم يكن ذلك لشهوة منه في النكاح، ولا كان يجب الوطء للذة البشرية، معاذ الله، وإنما حبب إليه النساء لنقلهن عنه ما يستحي هو من الإمعان في التلفظ به، فأحبهن لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة في هذه الأبواب.

وأيضاً فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه في منامه، وحال خلوته، من الآيات البيّنات على نبوته، ومن جدّه، واجتهاده في العبادة، ومن أمور يشهد كل ذي لب أنّها لا تكون إلا لنبي، وما كان يشاهدها غيرهن، فحصل بذلك خير عظيم.

وقال الموفق عبد اللطيف البغدادي: لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة، خصّها بزيادة صفة، وقدم الطيب لإصلاحه النفس، وثني بالنساء لإماتة أذى النفس بهن، وثلث بالصلاة لأنها تحصل حينئذ صافية عن الشوائب، خالصة من الشواغل. (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي): 7 / 72 - 73.

وقال الإمام السندي: قوله صلى الله عليه وسلّم: «حبب إليّ من الدنيا النساء»، قيل: إنما حبب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله، ويستحيا من ذكره. وقيل: حبب إليه زيادة في الابتلاء في حقه، حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة، فيكون أكثر لمشاقه، وأعظم لأجره، وقيل غير ذلك. وأما الطيب، فكأنه يحبه لكونه يناجي الملائكة، وهم يحبون الطيب، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج، وكمال الخلقة، وهو صلى الله عليه وسلّم أشدّ اعتدالاً من حيث المزاج، وأكمل خلقة.

وقوله صلى الله عليه وسلّم: «قرة عيني في الصلاة»، إشارة إلى أن تلك المحبة، غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى، حتى أنه بمناجاته تقر عيناه، وليس له قريرة العين فيما سواه. فمحبتة الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى، كما قال: صلى الله عليه وسلّم: «لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر، وإن صاحبكم خليل الرحمن»

- أو كما قال - وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن محلاً لأداء حقوق العبوديّة، بل للانقطاع إليه تعالى، يكون من الكمال، وإلا يكون من النقصان، فليتأمل.

وعلى ما ذكر، فالمراد بالصلاة، هي ذات ركوع وسجود، ويحتمل أن المراد في صلاة الله تعالى عليّ، أو في أمر الله تعالى الخلق بالصلاة عليّ. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق): 73 - 74.

لغيره [(1)] .

[(1)]

هذا الحديث أخرج البخاري في كتاب التيمم، باب (1) ، حديث رقم (335) : أخبرنا سيار قال:

حدثنا يزيد الفقير قال: أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغامم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» .
قوله: «حدثنا يزيد الفقير» ، هو ابن صهيب يكنى أبا عثمان، التابعي مشهور، قيل له الفقير لأنه كان يشكو فقار ظهره، ولم يكن فقيرا من المال، قال صاحب المحكم: رجل فقير مكسور فقار الظهر، ويقال له: فقير بالتشديد أيضا.

فائدة: مدار حديث جابر هذا على هشيم بهذا الإسناد، وله شواهد من حديث ابن عباس وأبي موسى وأبي ذر، من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، رواها كلها أحمد بأسانيد حسان. قوله صلى الله عليه وسلم: «لم يعطهن أحد قبلي» ،

زاد في كتاب الصلاة عن محمد بن سنان: «من الأنبياء» ، وفي حديث ابن عباس: «لا أقولهن فخرا» ، ومفهومه أنه لم يختص بغير الخمس المذكورة، لكن

روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا: «فضلت على الأنبياء بست» ، فذكر أربعا من هذه الخمس، وزاد تنتين كما سيأتي بعد.

وطريق الجمع أن يقال: لعله اطلع أولا على بعض ما اختص به، ثم اطلع على الباقي، ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله. وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله، وهو كذلك.

ولا يعترض بأن نوحا عليه السلام، كان مبعوثا إلى أهل الأرض بعد الطوفان، لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه، وقد كان مرسلًا إليهم، لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك.

وأما قول أهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة: «أنت أول رسول إلى أهل الأرض» ،

فليس المراد به به عموم بعثته، بل إثبات أولية إرساله، وعلى تقدير أن يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيبه سبحانه وتعالى في عدة آيات، على أن إرسال نوح كان إلى قومه، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم.

واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الأرض، فأهلكوا بالغرق إلا أهل السفينة، ولو لم يكن مبعوثا إليهم لما أهلكوا، لقوله تعالى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا، وقد ثبت أنه أول الرسل.

وأجيب بجواز أن يكون غيره أرسل إليهم في أثناء مدة نوح، وعلم نوح بأنهم لم يؤمنوا، فدعا على من لم يؤمن من قومه ومن غيرهم فأجيب، وهذا جواب حسن، لكن لم ينقل أنه نبي في زمن نوح غيره.

ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته إلى يوم القيامة، ونوح وغيره بصدد أن يبعث نبي في زمانه، أو بعده، فينسخ بعض شريعته، ويحتمل أن يكون دعاؤه قومه إلى التوحيد، بلغ بقية الناس، فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب، وإلى هذا نحا ابن عطية في تفسيره

(182/3)

[()] سورة هود قال:

وغير ممكن أن تكون نبوته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته، ووجهه ابن دقيق العيد بأن توحيد الله تعالى يجوز أن يكون عاما في حق بعض الأنبياء، وإن كان التزام فروع شريعته ليس عاما، لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك، ولو لم يكن التوحيد لازما لهم لم يقاتلهم.

ويحتمل أنه لم يكن في الأرض عند إرسال نوح إلا قوم نوح، [وهذا الاحتمال الأخير أظهر مما قبله، لقول الله تعالى: وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، وقوله تعالى: وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا] فبعثته خاصة لكونها إلى قومه فقط، وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم، لكن لو اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثا إليهم.

وغفل الداودي الشارح غفلة عظيمة فقال:

قوله: «لم يعطهن أحد»

يعني لم تجمع قبله، لأن نوحا بعث إلى كافة الناس، وأما الأربع فلم يعط أحد واحدة منهن. وكأنه نظر في أول الحديث وغفل عن آخره، لأنه

نص صلى الله عليه وسلم على خصوصيته بهذه أيضا لقوله: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة» ، وفي رواية مسلم: «وكان كل نبي» .

قوله صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب» ، زاد أبو أمامة: «يقذف في قلوب أعدائي» ، أخرجه الإمام أحمد.

قوله صلى الله عليه وسلم: «مسيرة شهر» ، مفهومه أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها، أما ما دونها فلا، لكن لفظ

رواية عمرو بن شعيب: «ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر» ، فالظاهر اختصاصه به مطلقا، وإنما جعل الغاية شهرا، لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق، حتى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال.

قوله صلى الله عليه وسلم: «وجعلت لي الأرض مسجدا» ،

أي موضع سجود، لا يختص السجود منها بموضع دون غيره، ويمكن أن يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة، وهو من مجاز التشبيه، لأنه لما جازت الصلاة في جميعها، كانت كالمسجد في ذلك. قال ابن التين: قيل: المراد جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وجعلت لغيري مسجدا، ولم تجعل له طهورا، لأن عيسى عليه السلام، كان يسبح في الأرض، ويصلي حيث أدركته الصلاة، كذا قال، وسبقه إلى ذلك الداودي.

وقيل: إنما أبيحت لهم في موضع يتيقنون طهارته، بخلاف هذه الأمة، فأبيح لها في جميع الأرض، إلا فيما يتيقنون نجاسته، والأظهر ما قاله الخطابي، وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة، كالبيع والصوامع، ويؤيده

رواية عمرو بن شعيب بلفظ: «وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم» ،

وهذا نص في موضع النزاع، فثبتت الخصوصية، ويؤيده ما

أخرجه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث الباب فيه: «ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه» .

قوله صلى الله عليه وسلم: «وطهورا» ،

استدل به على أن الطهور هو المطهر لغيره، لأن الطهور لو كان المراد به الطاهر لم تثبت الخصوصية، والحديث إنما سيق لإثباتها.

وقد روى ابن المنذر، وابن الجارود، بإسناد صحيح، عن أنس مرفوعا: «جعلت لي كل أرض طيبة مسجدا وطهورا» ،

ومعنى طيبة طاهرة،

[()] فلو كان معنى طهورا طاهرا للزم تحصيل الحاصل.

واستدل به على أن التيمم يرفع الحدث كالماء لاشتراكهما في هذا الوصف، قال الحافظ في (الفتح) : «وفيه نظر» . قال محققه: «ليس للنظر المذكور وجه، والصواب أن التيمم رافع للحدث كالماء، عملا بظاهر الحديث المذكور، وما جاء في معناه، وهو قول جم غفير من أهل العلم. والله تعالى أعلم. (أ. ه) .

وعلى أن التيمم جائز بجميع أجزاء الأرض، وقد أكد في رواية أبي أمامة بقوله: «وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجدا وطهورا» .

قوله صلى الله عليه وسلم: «فأما رجل» ، «أي» مبتدأ فيه معنى الشرط، و «ما» زائدة للتأكيد، وهذه صيغة عموم يدخل تحتها من لم يجد ماء ولا ترابا، ووجد شيئا من أجزاء الأرض، فإنه يتيمم به، ولا يقال:

هو خاص بالصلاة، لأنا نقول: لفظ حديث جابر مختصر، وفي رواية أبي أمامة عند البيهقي: «فأما رجل من أمتي أتى الصلاة فلم يجد ماء، وجد الأرض طهورا ومسجدا. وعند الإمام أحمد: «فعنده طهوره ومسجده» . وفي رواية عمرو بن شعيب: «فأينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت» .

واحتج من خصّ التيمم بالتراب، بحديث حذيفة عند الإمام مسلم بلفظ: «وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء» ، وهذا خاص، فينبغي أن يحمل العام عليه، فتختص الطهورية بالتراب، ودلّ الافتراق في اللفظ، حيث حصل التأكيد من جعلها مسجدا دون الآخر على افتراق الحكم، وإلا لعطف أحدهما على الآخر نسقا، كما في حديث الباب.

ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ «التربة» على خصوصية التيمم بالتراب بأن قال: تربة كل مكان ما فيه من تراب أو غيره. وأجيب بأنه ورد في الحديث المذكور بلفظ «التراب» ، أخرجه ابن خزيمة وغيره. وفي حديث علي: «وجعل التراب لي طهورا» ، أخرجه الإمام أحمد والبيهقي بإسناد حسن، ويقوى القول بأنه خاص بالتراب، أن الحديث سبق لإظهار التشريف والتخصيص، فلو كان جائزا بغير التراب لما اقتصر عليه. قوله صلى الله عليه وسلم: «فليصل» ، عرف مما تقدم أن المراد فليصل بعد أن تيمم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «وأحلت لي الغنائم» ،

وللكشميهني «المغافم» وهي رواية الإمام مسلم، قال الخطابي:
كان من تقدم على ضربين، منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغافم، ومنهم من أذن له
فيه، لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه، وجاءت نار فأحرقته.. وقيل: المراد أنه
خصّ بالتصرف في الغنيمة يصرفها كيف يشاء، والأول أصوب، وهو أن من مضى لم تحل لهم
المغافم أصلاً.

قوله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت الشفاعة»،
قال ابن دقيق العيد: الأقرب أن اللام منها للعهد، والمراد الشفاعة العظمى في إراحة الناس من
هول الموقف، ولا خلاف في وقوعها. وكذا جزم النووي وغيره.
وقيل: الشفاعة التي اختص بها أنه لا يرد فيما يسأل. وقيل: الشفاعة لخروج من في قلبه متقال
ذرة من إيمان، لأن شفاعة غيره تقع فيمن في قلبه أكثر من ذلك، قاله عياض. والذي يظهر لي
أن هذه مع الأولى، لأنه يتبعها بها.

وقال البيهقي: يحتمل أن الشفاعة التي يختص بها أن يشفع لأهل الصغائر والكبائر، وغيره إنما
يشفع لأهل الصغائر دون الكبائر. ونقل عياض أن الشفاعة المختصة به شفاعة لا ترد.
وقد وقع في حديث ابن عباس: «وأعطيت الشفاعة، فأخرتها لأمتي، فهي لمن لا يشرك بالله
شيئاً» .

وفي حديث عمرو بن

(184/3)

[()] شعيب: «فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله»،
والظاهر أن المراد بالشفاعة المختصة في هذا الحديث إخراج من ليس له عمل صالح إلا التوحيد،
وهو مختص أيضاً بالشفاعة الأولى، لكن جاء التنويه بذكر هذه لأنها غاية المطلوب من تلك
لاقتضائها الراحة المستمرة.

وقد ثبتت هذه الشفاعة في رواية الحسن عن أنس في كتاب التوحيد: «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة
فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي لأخرجن منها من قال:
لا إله إلا الله». ولا يعكر على ذلك ما وقع عند مسلم قبل قوله: «وعزتي» فيقول: «ليس
ذلك، وعزتي.. إلخ»،

لأن المراد أنه لا يباشر الإخراج كما في المرات الماضية، بل كانت الشفاعة سبباً في ذلك.

وأما

قوله صلى الله عليه وسلم: «وبعثت إلى الناس عامة» ، فوقع في رواية مسلم: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود» ،

فقال: المراد بالأحمر العجم، وبالأسود العرب، وقيل: الأحمر الإنس، والأسود الجن، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، لأنه مرسل إلى الجميع، وأصرح الروايات في ذلك وأشملها،

رواية أبي هريرة عند مسلم: «وأرسلت إلى الخلق كافة» .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : أول حديث أبي هريرة هذا: «فضّلت على الأنبياء بست» ، فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة، وزاد خصلتين وهم: «وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبون» ،

فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال.

ولمسلم أيضا من حديث حذيفة: «فضلنا على الناس بثلاث خصال: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة»

وذكر خصلة الأرض كما تقدم، قال: وذكر خصلة أخرى، وهي الخصلة المهمة بينها

ابن خزيمة والنسائي، وهي: «وأعطيت هذه الآيات من سورة البقرة من كنز تحت العرش» ، يشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر، وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعا.

ولأحمد من حديث علي: «أعطيت أربعاً لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم»

وذكر خصلة التراب فصارت الخصال اثني عشرة خصلة.

وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: «فضّلت على الأنبياء بست: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه» ، وذكر ثنتين مما تقدم.

وله من حديث ابن عباس رفعه: «فضّلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافرا فأعاني الله عليه فأسلم»

قال: ونسيت الأخرى، قال الحافظ ابن حجر: فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة. ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع. وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات، وأنه لا تعارض فيها.

وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفى) ، أن عدد الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء ستون خصلة. وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم:

[1] مشروعية تعديد نعم الله.

[2] إلقاء العلم قبل السؤال.

[3] أن الأصل في الأرض الطهارة.

[4] أن صحة الصلاة لا تختص بالمسجد المبني لذلك.

وأما

حديث: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» فضعيف، أخرجه الدارقطني من حديث

(185/3)

فهذا وأمثاله انفراد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها، والشرف المحيط الأعم صلى الله عليه وسلم. وكان من رتبة الكمال الذي اختص به عليه السلام في جميع أموره: الكمال في [العبودية] (1) فكان عبدا صرفا لم تقم بذاته ربانية على أحد، وهي التي أوجبت له السيادة، وهي الدليل على شهوده على الدوام، وقد قالت عائشة رضي الله عنها:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه»، وهو أمر يختص بباطن الإنسان وقوله، وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام، فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[()] جابر.

واستدل به صاحب (المبسوط) من الحنفية على إظهار كرامة الآدمي وقال: لأن الآدمي خلق من ماء وتراب، وقد ثبت أن كل منهما طهور، ففي ذلك بيان كرامته. قال محققه:

وحديث جابر، يغني عنه ما

رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم بإسناد حسن عن ابن عباس مرفوعا: «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»،

وما

رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: «أن رجلا أعمى سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي في بيته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب»،

وهذا في الفرائض كما هو معلوم، أما النافلة فلا تختص بالمسجد بل هي في البيت أفضل، إلا ما

للشعر دليل على استثنائه. والله تعالى أعلم. (فتح الباري) :
1 / 574 كتاب التيمم باب (1) حديث (335) .
[(1)] في (خ) : «العبودة» .

(186/3)

ذكر التنويه [(1)] بذكر رسول صلى الله عليه وسلم من زمن آدم عليه السلام
فخرج الحاكم من حديث عمر بن أوس الأنصاري، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن
سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى عيسى:
يا عيسى، آمن ب محمد ومن أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلق آدم، ولولا محمد ما
خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله فسكن [(2)] » قال الحاكم:
حديث صحيح الإسناد.
وذكر إبراهيم بن طهمان [(3)] عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن

[(1)] [(1)] ناه الشيء ينوه: ارتفع وعلا، عن ابن جني، فهو نائه. ونهت بالشيء نوها، ونهت به،
ونوهته تنويها: رفعت. ونوهت باسمه: رفعت ذكره. (لسان العرب) : 13 / 550.
[(2)] [(المستدرک) : 2 / 671، كتاب تواريخ المتقدمين، حديث رقم (237 / 4227) :
حدثنا علي بن حمشاد العدل إملاء، حدثنا هارون بن العباس الهاشمي، حدثنا جندل بن والقي،
حدثنا عمرو بن أوس الأنصاري، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب،
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن
ب محمد، وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت
الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول
الله فسكن» . قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. قال في (التخليص) : أظنه
موضوعا على سعيد.

[(3)] [(3)] هو إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد، ولد في بھراة وسكن نيسابور،
وقدم بغداد، ثم سكن مكة إلى أن مات. روي عن أبي إسحاق السبيعي، وأبي إسحاق الشيباني،
وعبد العزيز بن صهيب، وأبي جمره نصر بن عمران الضبيعي، ومحمد بن زياد الجمحي، وأبي
الزبير، والأعمش، وشعبة، وسفيان والحجاج بن الحجاج الباهلي، وجماعة.
وروى عنه حفص بن عبد الله السلمي، وخالد بن نزار، وابن المبارك، وأبو عامر العقدي، ومحمد

بن سنان العوفي، ومحمد بن سابق البغدادي وغيرهم. وروى عنه صفوان بن سليم، وهو من شيوخه.

قال ابن المبارك: صحيح الحديث. وقال أحمد وأبو حاتم وأبو داود: ثقة. زاد أبو حاتم: صدوق حسن الحديث. وقال ابن معين والعجلي: لا بأس به. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: كان ثقة في الحديث، لم يزل الأئمة يشتهون حديثه، ويرغبون فيه، ويوثقونه. وقال صالح بن محمد: ثقة، حسن الحديث، يميل شيئا إلى الإرجاء في الإيمان، حبب الله حديثه

(187/3)

ميسرة قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبيا؟ قال: لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، وخلق العرش، كتب على ساق العرش: محمد رسول الله، خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء، وكتب على أبوابها اسمي، والأوراق والقباب والختم وأدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله تعالى أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه.

وخرج الطبراني من حديث عبد الله بن مسلم، حدثنا إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال: يا رب، بحق محمد صلى الله عليه وسلم إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه: وما محمد، ومن محمد؟ فقال: يا رب، إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك إذ قرنت اسمه مع اسمك، فقال: نعم، قد غفرت لك، وهو آخر الأنبياء من ذريتك، ولولاه ما خلقتك.

قال البيهقي:

[()] إلى الناس، جيد الرواية. وقال إسحاق بن راهويه: كان صحيح الحديث، حسن الرواية،

كثير السماع، ما كان بخراسان أكثر حديثا منه، وهو ثقة.

وقال يحيى بن أكثم القاضي: كان من أنبل الناس ممن حدث بخراسان والعراق والحجاز، وأوثقهم وأوسعهم علما.

وقال أحمد: كان يرى الإرجاء، وكان شديدا على الجهمية. وقال أبو زرعة: ذكر عند أحمد، وكان متكئا فاستوى جالسا وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فتنكئ.

وقال الدار الدارقطني: ثقة، إنما تكلموا في الإرجاء. وقال البخاري في (التاريخ): حدثني رجل، حدثني علي بن الحسن بن شقيق، سمعت ابن المبارك يقول: أبو حمزة السكري، وإبراهيم بن طهمان العلم والحديث.

قال البخاري: وسمعت محمد بن أحمد يقول: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن إبراهيم فقال: صدوق اللهجة. وقال ابن حبان في (الثقات): قد روى أحاديث مستقيمته تشبه أحاديث الأثبات، وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلات.

قال الحافظ ابن حجر: الحق فيه أنه ثقة صحيح الحديث إذا روى عنه ثقة، ولم يثبت غلوه في الإرجاء ولا كان داعية إليه، بل ذكر الحاكم أنه رجوع عنه. (تهذيب التهذيب):
1/ 112-114، ترجمة رقم (231) باختصار.

(188/3)

تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف [(1)].
قال كاتبه: هو أبو زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي، وقال ابن عدي: له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله وصدقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه. وخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر بن نحو أو قريب منه، ثم قال: حديث صحيح الإسناد.
وروى أبو بكر بن أبي الدنيا من حديث سعيد بن جبير أنه قال: اختصم ولد آدم أي الخلق أكرم علي الله تعالى؟ فقال بعضهم: آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته، وقال آخرون: بل الملائكة الذين لم يعصوا الله، فذكروا ذلك لآدم، فقال: لما نفع في الروح لم يبلغ قدمي حتى استويت جالسا، فبرق لي العرش، فنظرت فيه: محمد رسول الله، فذاك أكرم الخلق علي الله.
وروى الحسين بن [علي] بن أبي طالب مرفوعا: أهل الجنة ليست لهم كني إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد توقيرا وتعظيما.

وقال محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة: حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: أوحى الله تعالى إلي آدم عليه السلام: أنا الله، وبكة [(2)] أهلها خيرتي، وزوارها وفدي كني، أعمر [بيتي] [(3)] بأهل السماء وأهل الأرض، يأتونه أفواجا شعثا غربا، يعجون بالتكبير عجيحا، ويرجون بالتلبية رجيجا، ويثجون بالبكاء ثجا، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني، ووفد إلي، ونزل بي، وحق لي أتفه بكرامتي، أجعل ذاك البيت وذكره وشرفه ومجده وسناه لني من ولدك يقال له إبراهيم، أرفع له قواعده، وأقضي علي يديه عمارته، وأبسط له

- [(1)] (المستدرك للحاكم) وقال: حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في هذا الكتاب، وقال (الحافظ الذهبي) في (التلخيص): «قلت: بل موضوع وعبد الرحمن واه» ج 2 ص 615.
- [(2)] من أسماء مكة المكرمة: بكة، وأم القرى.
- [(3)] في (خ) «أعمره»، وما بين القوسين زيادة للسياق.

(189/3)

وأعلمه مشاعره، ثم تعمده الأمم والقرون حتى ينتهي إلي بني من ولدك يقال له محمد، وهو خاتم النبيين، فأجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته، ومن سألك عني يومئذ فأنا الشعث الغبر الموفين بنذورهم، المقبلين إلي ربحهم.

وقال سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه عن كعب الأحماس قال: لما أراد الله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل فأتاه بالقبضة التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التنسيم، وثم غمست في أنهار الجنة وطيف بها في السموات والأرض، فعرفت الملائكة محمدا وفضلته قبل أن تعرف آدم، ثم كان نور [محمد] [(1)] يرى في غرة جبهة آدم، وقيل له يا آدم، هذا سيد ولدك من المرسلين، فلما حملت [حواء] [(2)] بشيث انتقل النور من آدم إلي [حواء] [(2)] ، وكانت تلد في كل بطن ولدين إلا شيئا فإنه ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم لم [يزل] [(3)] ينتقل من طاهر إلي طاهر إلي أن ولد صلى الله عليه وسلم.

وقال ورقاء بن عمر عن ابن أبي الحجاج عن عطاء بن السائب ومجاهد عن مرة الهمزاني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه، وأهبطت إلي الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب نوح، وقذفت في النار في صلب إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط علي سفاح، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلي الأرحام النقية مهذبا، لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، فأخذ الله لي بالتبوة ميثاقي، وفي التوراة بشر بي، وفي الإنجيل شهر اسمي، تشرق الأرض لوجهي، والسماء لرؤيتي [(4)] .

[(1)] في (خ): «محمدا» وما أثبتناه حق اللغة.

[(2)] في (خ) : «حوى» .

[(3)] زيادة للسياق.

[(4)] يشهد لهذا الأثر ما أخرجه كل من:

البخاري: في كتاب المناقب، باب (23) ، حديث رقم (3557) : حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه» .

قوله صلى الله عليه وسلم: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا» ، القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد» ، ومنهم من حدّه بمائة سنة، وقيل: بسبعين، وقيل بغير ذلك. فحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين، ثم تعقب الجميع وقال: الذي أراه أن القرن كل أمة هلكت

(190/3)

[()] حتى لم يبق منها أحد. وقوله صلى الله عليه وسلم: «قرنا» ، بالنصب حال للتفصيل. قوله صلى الله عليه وسلم: «حتى كنت من القرن الذي كنت منه» ، في رواية الإسماعيلي: «حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه» .

.. والقرن أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم علي ملة، أو مذهب، أو عمل. ويطلق القرن علي مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها، ذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين، وقد وقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم، ما يدل علي أن القرن مائة وهو المشهور. وقال صاحب المطالع: القرن أمة هلكت، فلم يبق منهم أحد، وثبتت المائة في حديث عبد الله بن بسر، وهو ما عند أكثر أهل العراق. ولم يذكر صاحب (المحكم) الخمسين، وذكر من عشر إلى سبعين، ثم قال: هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن، وهذا أعدل الأقوال، وبه صرح ابن الأعرابي وقال: إنه مأخوذ من الأقران، ويمكن أن يحمل عليه المختلف من الأقوال المتقدمة ممن قال إن القرن أربعون فصاعدا، أما من قال إنه دون ذلك فلا يلتئم علي هذا القول والله أعلم.

والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة.

قوله صلى الله عليه وسلم: «وبعثت في خير قرون بني آدم»، وفي رواية بريدة عند الإمام أحمد: «خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم»،

وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة، أو دونها، أو فوقها بقليل، علي الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعا وتسعين.

وأما قرن التابعين، فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم، فإن اعتبر منها، كان نحو من خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان والله تعالي أعلم.

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلي حدود العشرين ومائتين، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتنحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا، ولم يزل الأمر في نقص إلي الآن، وظهر قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم يفشو الكذب» ظهورا بينا، حتى يشمل الأقوال، والأفعال، والمعتقدات، والله المستعان. (فتح الباري): 6/712، 7/6-7.

ومسلم: في كتاب الفضائل، باب (1)، فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم (2276): حدثنا محمد بن مهران الرازي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم، جميعا عن الوليد، قال ابن مهران: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن أبي عمار شداد، أنه سمع وائلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وباب (2) تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم علي جميع الخلائق، حديث رقم (2278)، حدثني الحكم بن موسى أبو صالح، حدثنا هقل - يعني ابن زياد - عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني عبد الله بن فروخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشقق»

(191/3)

[()] قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة»،

قال الإمام النووي: استدلل به أصحابنا علي أن غير قريش من العرب ليس بكفاء لهم، ولا غير

بني هاشم كفو لهم، إلا بني المطلب فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد، كما صرح به في الحديث الصحيح.

قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشقق» ،

قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير، وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارهم، ويدفعها عنهم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «يوم القيامة» ، مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى مناع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار، وزعماء المشركين.

وهذا التقييد قريب من معني قوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك، أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة.

قال العلماء:

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم» ،

لم يقله فخراً، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم،

في الحديث المشهور: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ،

وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته، ليعرفوه ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه،

ويوقروه صلى الله عليه وسلم بما يقتضي مرتبته، كما أمرهم الله تعالى.

الآدميين أفضل من الملائكة، وهو صلى الله عليه وسلم علي الخلائق كلهم، لأن مذهب أهل

السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين وغيرهم. وأما

الحديث الآخر: «لا تفضلوا بين الأنبياء» ،

فجوابه من خمسة أوجه:

أحدهما: أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبا وتواضعاً.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

والرابع: إنما نهي عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص

وفضائل أخرى، ولا بد من اعتقاد التفضيل، فقد قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ.

قوله صلى الله عليه وسلم: «أول شافع وأول مشفع» ،

إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان، فيشفع الثاني منهما قبل الأول. والله تعالى أعلم.

والترمذي: في أبواب المناقب، باب (20) ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم (3850) :

حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن المطلب بن أبي وداعة قال: «جاء العباس إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه سمع شيئاً،

(192/3)

قال جامعه قد أشار إلي هذا الحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في شعره المشهور عنه،

خرج أبو بكر الشافعي قال: حدثني أبو الشيخ محمد بن الحسين الأصفهاني، وعبد الله بن محمد بن ياسين قالوا: حدثنا زكريا بن يحيى بن عمر بن حصن بن حمير عن منهب بن حارث بن خريم بن أوس بن حارثة قال:

قال: خريم بن أوس: هاجرت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت فسمعت العباس رضي الله عنه يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقل لا يفضض الله فاك،

فأنشأ العباس يقول:

[()] فقام النبي صلى الله عليه وسلم علي المنبر فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا» ،

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وروي عن سفيان الثوري، عن يزيد بن أبي زياد، نحو حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب.

قوله: «جاء العباس» ، أي غضبان «وكانه سمع شيئاً» ، أي من الطعن في نسبه أو حسبه،
«فقال: من أنا؟»

استفهام تقرير علي جهة التبكيت، «فقالوا: أنت رسول الله، فلما كان قصده صلى الله عليه
وسلم بيان نسبة وهم عدلوا عن ذلك المعني، ولم يكن الكلام في ذلك المبني،
«أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب» ،
يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب.

قال الطيبي: قوله: «فكانه سمع» ، مسبب عن محذوف، أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع
طعنا من الكفار في رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحو قوله تعالى: لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى
رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، كأنهم حقروا شأنه، وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو
عظيم من إحدى القرئتين، كالوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي مثلاً، فأقرهم صلى الله
عليه وسلم، علي سبيل التبكيت، علي ما يلزم تعظيمه وتفخيمه، فإنه الأولى بهذا الأمر من غيره،
لأن نسبه أعرف. ومن ثم لما قالوا:

أنت رسول الله، ردّهم بقوله: أنا محمد بن عبد الله. (تحفة الأحوذى) : 54 / 10.

وابن الأثير في (جامع الأصول) : 8 / 536، حديث رقم (6338) ، رقم (6339) .

والإمام أحمد في (المسند) : 1 / 345، حديث رقم (1791) ، حديث رقم (1793) .

وأبو حيان الأندلسي في (البحر المحيطة) : 8 / 198، عند تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف:
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ، قال ابن عباس: في
أصلاب آدم، ونوح، وإبراهيم، حتى خرجت.

وابن كثير في (التفسير) : 3 / 365، وروى البزار وابن أبي حاتم، من طريقين عن ابن عباس أنه
قال في هذه الآية وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ: يعني تقلبه من صلب نبي إلي صلب نبي، حتى أخرجه
نبيا.

(193/3)

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد ولا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... أجم نسرا وأهله الغرق
وردت نار الخليل فكنتما ... تجول فيها فليس تحترق
نقلت من صالب إلي رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من ... من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق
قوله: (في الظلال) ، يريد ظلال الجنة حيث كان كونه صلى الله عليه وسلم في صلب آدم عليه
السلام.

ويشير بقوله: (مستودع) ، إلى موضع آدم وحواء من الجنة، وقيل المستودع: النطفة في الرحم.

ويشير بقوله: (يخصف الورق) إلى قوله تعالي حكاية عن آدم وحواء:

فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ [(1)] .

وفي رواية: (وأهلها الغرق) ،

كأنه عني أهل الأرض أو البلاد لتقدم ذكرها، ويكون الضمير في قوله: (نسرا وأهله) ، عائد علي
قوم نوح المغرقين، يريد:

كنت يا محمد في صلب آدم وهو في الجنة، ثم لما هبط إلى الأرض هبطت في صلبه، وتنقلت من
بعده في الأصلاب حتى ركبت مع نوح عليه السلام السفينة وأنت في صلبه، لما غرق قوم نوح
بالطوفان من أجل كفرهم بالله عز وجل، وعباده الأصنام التي هي ودًا وسواعا ويغوث ويعوق
ونسرا، وعبر عن السفينة بالسفين، وهو جمع سفينة، يقال: سفينة وسفين، وتجمع علي سفن
والسفائن أيضا.

وقوله: (وردت نار الخليل) ، يريد أنك كنت في صلب إبراهيم عليه السلام

[(1)] الأعراف: 22.

(194/3)

لما ألقى في النار فلم تحرقه.

وقوله: (تنقل) ،

وفي رواية: نقلت من صالب إلى رحم، يريد من صلب ذكر إلى رحم امرأة،

وفي الصلب ثلاث لغات: بضم الصاد وإسكان اللام، وصلب بضم الصاد واللام جميعا، وصلب
بفتح الصاد واللام معا، حكي هذه الأخيرة في (مختصر العين) .

وقد روى (تنقل من صلب) ،

ورواية (صالب) أشهر، والصالب بمعنى الصلب لغة قليلة.

وقوله: (إذا مضي عالم بدا طبق) ، يريد بالطبق القرن لأنهم طبق الأرض، فينقرضون ويأتي طبق آخر.

وقوله: (حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف) ، قيل: حتى احتوى بيتك المهيمن أي يا مهيمن من خندف علياء فأقام البيت مقامه صلى الله عليه وسلم لأن بيته إذا حل بهذا المكان فقد حل هو به، وهو كما يقال: بيته أعزّ بيت، وإنما يراد صاحبه، واعترض علي هذا بأنه إذا عبر بالبيت عنه صلى الله عليه وسلم فإنه كما قال زياد الأعجم.

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت علي ابن الحشرج

فإن هذا وإن كان ممكناً، لا ضرورة تدعو إليه، إذ بقاؤه علي ظاهره ممكن، وهو مدح أهل بيته صلى الله عليه وسلم وهو داخل فيهم، فإن مدح بيت الرجل قد يكون أبلغ في مدحه. فإن قيل: هذا مثل من العباس، أي جعلك الله عالياً وجعل خندف كالنطاق لك، قيل: هذا لا يقتضيه اللفظ إلا بإكراه وتقديم وتأخير، بأن يكون تقديره:

حتى احتويت واحتوى بيتك علياء تحتها النطق من خندف، وإنما الوجه أن يكون المعنى: احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء كل النطق تحتها، أو يعلق من خندف بعلياء أي علياء من خندف كل نطاق دونها أو تحتها.

والنطق: هي أوساط الجبال العالية.

والمهيمن: الشاهد، كأنه حتى احتوى شرف بيتك الشاهد منه الفرع الذي

(195/3)

هو أنت علي طيب الأصل، ويمكن أن يكون قد عبر بالنطق عن ذوات النطاق، والنطق: جمع نطاق، والنطاق: إزار له تكة تنتطق به المرأة، وكأنه لما قال: أنه احتوى علياء خندف، والقبيلة إنما سميت بالمرأة، حسن أن يقال: أن هذه العلياء التي احتواها دونها علياء كل ذات نطاق، هي أم الشخص أو القبيلة، ويمكن أن يكون مأخوذاً من نطاق البيت وهو ما يراد عليه من خشب يجمع أركانه، فكأنه لما وصف شرفه اللبالي وكفي عنه البيت، رشحه إلي ذكر النطاق المستعمل للبيت، أي تحت علياء بيته نطاق كل بيت.

وقيل معناه: حتى احتويت يا مهيمن من خندف علياء، يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأقام البيت مقامه، لأن البيت إذا حل بهذا المكان فقد حلّ به صاحبه، وأراد بيته شرفه، والمهيمن من نعته، كأنه قال: حتى احتوى شرفك الشاهد علي فضلك علياء الشرف من نسب ذوي خندف إلي تحتها النطق - وهي أوساط الجبال العالية - وخندف: هي امرأة إلياس بن مضر بن نزار،

فنسب إليها ولد الناس [(1)] .

وقيل: أراد بقوله: النطق، العفاف من لبس المرأة النطاق ليحصنها، فيكون النطق بمعنى نطاق، أي تحتها نطاق العفاف، وقيل: النطق، جمع ناطق، وقيل: النطق: جمع نطاق، وهو الذي يشده الإنسان علي وسطه، ومنه المنطق، وهذا من العباس رضي الله تعالى عنه مثل، أي جعلك الله عالياً، وجعل خندف كالنطاق لك. والله أعلم. وقد روى أن جبير بن مطعم قال: لما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فظهر أمره بمكة خرجت إلي الشام، فلما كنت ببصرى أتاني جماعة من النصارى فقالوا لي: من أهل الحرم أنت؟ قلت: نعم، قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت:

[(1)] هي ليلى بنت حلوان بن عمران، وكان إلياس خرج في نجعة فنفرت إبله أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر فتصيدا وطبخها، وانقمع عمير في الخباء، وخرجت أمهم تسرع، فقال لها إلياس: أين تخندين؟ فقالت: ما زلت أخندف في إثركم، فلقبوا: مدركة، وطابخة، وقمعة، وخندف (ترتيب القاموس): ج 2 ص 115، (الأعلام للزركلي): ج 6 ص 116، (معجم قبائل العرب): ج 1 ص 40.

(196/3)

نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديرا فيه تماثيل وصور فقالوا: انظر، هل ترى صورة هذا الذي بعث؟ فنظرت، فلم أر صورته فقلت: لا أرى صورته، فأدخلوني ديرا أكبر من ذلك الدير، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير، فقالوا لي: انظر هل ترى صورته؟ فإذا أنا بصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته، وإذا أنا بصفة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لي: هل ترى صورته؟ فقلت: نعم، وقلت: لا أخبرهم حتى أعرف ما يقولون، قالوا: هو هذا؟ قلت: نعم، وأشاروا إلى جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: اللهم نعم، أشهد أنه هو، قالوا: هل تعرف هذا؟ قلت: نعم، قالوا لي: نشهد أن هذا صاحبكم وهذا الخليفة بعده [(1)] .

وقال موسى بن عقبة: إن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله ورجل آخر بعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه، قالوا: فدخلنا على جبلة بن الأهثم وهو بالغوطة، فإذا عليه ثياب سود، وإذا كل شيء حوله أسود، قالوا:

يا هشام، كلمه، فكلمه ودعاه إلى الله تعالى، فقال: ما هذه الثياب السود؟ قال:

لبستها نذرا ولا أنزعها حتى أخرجكم من الشام كلها!! قال: قلنا اتد- أو كلمة تشبهها- حتى تمنع مجلسك، فو الله لناخذنه منك وملك الملك الأعظم إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا، قال: فأنتم إذن السمرء، قلنا: السمرء؟ قال: لستم هم، قلنا: ومن هم؟ قال: هم الذين يصومون النهار ويقومون الليل، قلنا: نحن هم والله، قال: فكيف صومكم؟ فوصفنا له صومنا، فقال: فكيف صلاتكم؟

فوصفنا له صلاتنا، فقال: فالله يعلم لقد غشيه سواد حتى صار وجهه كأنه قطعة طابق وقال: قوموا، فأمر بنا إلى الملك، فانطلقنا، فلقينا الرسول بباب المدينة فقال: إن شئتم آتيتكم ببغال، وإن شئتم آتيتكم ببراذين، فقلنا: لا والله لا ندخل

[(1)] ونحوه باختلاف يسير في (دلائل النبوة للبيهقي) ج 1 ص 385، 386 وسنده: «أخبرني الشيخ أبو الفتح رحمه الله من أصله قال: أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح الهروي قال: حدثنا يحيى بن محمد ابن صاعد قال: حدثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد الربيعي قال: حدثنا محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال: سمعت أبي جبير بن مطعم يقول ... » وأورد الحديث.

(197/3)

عليه إلا كما نحن، فأرسل إليهم أن يأتون، فأرسل: أن خلّ سبيلهم، فدخلنا معتمّين متقلدين السيوف على الرواحل، فلما كنا بباب الملك، إذا هو في غرفة له عالية، فنظر إلينا، قال: فرفعنا رءوسنا فقلنا: لا إله [إلا] الله، فالله يعلم لنقضت الغرفة كلها حتى كأنها غدق نفضته الريح، فأرسل: إن هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم عليّ، وأرسل إلينا: أن ادخلوا، فدخلنا، فإذا هو على فراش إلى السقف، وإذا عليه ثياب حمر، وإذا كل شيء عنده أحمر، وإذا عنده بطارقة الروم، وإذا هو يريد أن يكلمنا برسول، فقلنا: لا والله ما نكلمه برسول، وإنما بعثنا إلى الملك، فإذا كنت تحب أن نكلمك فأذن لنا نكلمك، فلما دخلنا عليه ضحك، فإذا هو رجل فصيح بالعربية، فقلنا: لا إله إلا الله، فالله يعلم لقد نقض السقف حتى رفع رأسه هو وأصحابه فقال: ما أعظم كلامكم عندهم، فقلنا: هذه الكلمة؟

قال: التي قلتها قبل؟ قلنا: نعم، قال: فإذا قلتموها في بلاد عدوكم نقضت سقوفهم؟ قلنا: لا، قال: فإذا قلتموها في بلادكم نقضت سقوفكم؟ قلنا لا، وما رأيناها فعلت هذا، وما هو إلا شيء عبرت به، فقال: ما أحسن الصدق! فما تقولون إذا فتحتم المدائن؟ قلنا: نقول: لا إله إلا الله

والله أكبر، قال:

تقولون: لا إله إلا الله ليس معه شيء، والله أكبر من كل شيء؟ قلنا: نعم، قال:
فما منعكم أن تحيوني بتحيةة نبيكم؟ قلنا: إن تحية نبينا لا تحل لكم، وتحيتك لا تحل لنا فنحييك
بها، قال: وما تحيتكم؟ قلنا: تحية أهل الجنة، قال: وبها كنتم تحيون نبيكم؟ قلنا: نعم، قال: وبها
كان يحييكم؟ قلنا نعم، قال: فمن كان يورث منكم؟ قلنا: من كان أقرب قرابة، قال: وكذلك
ملوكم؟ قلنا: نعم، فأمر لنا بنزل كثير ومنزل حسن، فمكثنا ثلاثا ثم أرسل إلينا ليلا، فدخلنا
عليه وليس عنده أحد، فاستعاد كلامنا فأعدنا عليه، فإذا عنده مثل الربعة العظيمة مذهبة، وإذا
فيها أبواب صغار، ففتح منها بابا، واستخرج منه خرقة حرير سوداء، فيها صورة بيضاء، فإذا
رجل طوال أكثر الناس شعرا فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال:
هذا آدم، ثم أعاد وفتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فإذا رجل ضخم
الرأس عظيم، له شعر كشعر القبط، أعظم الناس ألبتين، أحمر العينين فقال:
أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح، ثم أعاده وفتح بابا آخر فاستخرج

(198/3)

حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذا رجل أبيض الرأس واللحية، كأنه يبتسم، قال: أتعرفون
هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم، ثم أعاده وفتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة
بيضاء، وإذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، محمد رسول الله، وبكيننا، والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال: والله
إنه هو؟ قلنا: نعم، إنه هو كأننا ننظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال: أما إنه كان آخر
الأبواب ولكني عجلته لأنظر ما عندكم، ثم أعاده وفتح بابا آخر، واستخرج خرقة حرير سوداء
فيها صورة بيضاء، فإذا رجل مقلص الشفتين غائر العينين، متراكم الأسنان كث اللحية عابس،
فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا موسى، وإذا جنبه رجل يشبهه غير أن في عينيه قيلا وفي
رأسه استدارة، فقال: هذا هارون، ثم رفعهما، وفتح بابا آخر واستخرج منه خرقة سوداء فيها
صورة حمراء أو بيضاء، فإذا رجل أحمر أحمر الساقين أخفش العينين، ضخم البطن مقلد سيفا،
فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا داود، ثم أعاده وفتح بابا آخر واستخرج منه حريرة
سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا رجل راكب على فرس، طويل الرجلين قصير الظهر، كل
شيء منه جناح تحفه الريح، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان، ثم أعاده ففتح بابا
آخر فاستخرج منه حريرة أو خرقة سوداء، فيها صورة بيضاء، فإذا صورة شاب تعلوه صفرة،

صلت الجبين حسن اللحية، يشبهه كل شيء منه، قال:

أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا عيسى ابن مريم، ثم أعاده وأمر بالربعة فرفعت، فقلنا: هذه صورة نبينا قد عرفناها، فإننا قد رأيناها، فهذه الصورة التي لم نرها كيف نعرفها أتي هي؟ قال: إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه صورة نبي نبي، فأخرج إليه صورهم في خرق الحرير من الجنة، فأصابها ذو القرنين في خزانة آدم في مغرب الشمس، فلما كان دانيال، صورها هذه الصور، فهي بأعيانها، فو الله لو تطيب نفسي في الخروج عن ملكي ما باليت أن أكون عبدا لأشدكم ملكة، ولكن عسى أن تطيب نفسي، قال: فأحسن جائزتنا وأخرجنا [(1)] .

[(1)] وفي المرجع السابق: «فأحسن جائزتنا وسرحنا، فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا، قال: فبكى أبو بكر وقال: مسكين، لو أراد الله به خيرا لفعل ثم قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم» ص 390.

(199/3)

وقد رواه شرحبيل بن مسلم الخولاني عن أبي أمامة الباهلي، عن هشام بن العاص، قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ورجلا آخر من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة، فنزلنا على جبلية بن الأهمم الغساني، فذكروهم ... وزاد بعد قوله في صورة نبينا عليه السلام وذكر موسى وهارون: ففتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان حسن الوجه، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا لوط، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة أجناً، خفيف العارضين حسن الوجه، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسحاق، ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة تشبه صورة إسحاق، إلا أن بشفته السفلى خالا، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يعقوب، ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه ألقى الأنف حسن القامة، يعلو وجهه النور، يعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسماعيل جد نبيكم، ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم، كأن وجهه الشمس، قال: هل تعرفون هذا؟ [قلنا: لا، قال:] [(1)] هذا يوسف. ثم ذكر قصة داود وسليمان وعيسى مثل حديث موسى ابن عقبة،

وزاد: قال: فلما قدمنا على أبي بكر رضي الله تعالى عنه حدثناه بما رأيناه وما قال لنا وما أَرانا،
فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال: مسكيناً، لو أراد الله به خيراً لفعل، ثم قال: أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم، وقال
تعالى: يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ [(2)] .

[(1)] زيادة للسياق من المرجع السابق ص 291.

[(2)] وأخرج الإمام أحمد في (المسند) ، من حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل عن الجريري، عن أبي صخر العقيلي،
حدثني رجل من الأعراب

(200/3)

[()] قال: «جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغت من
بيعتي قلت: لألقين هذا الرجل فلاسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعهم في
أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهودي ناشرا التوراة يقرؤها، يعزى بها نفسه على ابن له في
الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنشدك بالذي أنزل
التوراة، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه: هكذا، أي لا، فقال ابنه: إني والذي
أنزل التوراة، لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال:
أقيموا اليهود عن أخيكم، ثم ولى كفته، وحنطه، وصلى عليه». (المرجع السابق): 6 / 571،
حديث رقم (22981) .

وذكر ابن كثير في (التفسير) ، عند قوله تعالى في سورة الأعراف: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، باختلاف يسير، وقال في آخره:
هذا حديث جيد، قوي له شاهد في الصحيح عن أنس (تفسير ابن كثير): 2 / 262.
وأما حديث صور الأنبياء، فقد أخرجه ابن كثير في (التفسير) ، عن الحاكم صاحب (المستدرک) :
أخبرنا محمد بن عبد الله بن إسحاق البغوي، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا عبد العزيز
بن مسلم ابن إدريس، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي أمامة الباهلي،
عن هشام ابن العاص الأموي قال: بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى
الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة - يعني غوطة دمشق - فنزلنا على جبلة بن الأهم الغساني،

فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسوله نكلمه، فقلنا: والله لا نكلم رسولا وإنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه، وإلا لم نكلم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك، قال: فأذن لنا فقال:

تكلّموا، فكلمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود، فقال له هشام: وما هذه الثياب التي عليك؟ فقال: لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، قلنا: ومجلسك هذا لناخذنه منك، ولناخذن ملك الملك الأعظم إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم، قال:

لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل، فكيف صومكم؟ فأخبرناه، فملئ وجهه سوادا فقال: قوموا، وبعث معنا رسولا إلى الملك، فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال، قلنا: والله لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك، فأمرهم أن ندخل على رواحنا، فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا، حتى انتهينا إلى غرفة له، فأئخنا في أصلها وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، فالله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح. قال: فأرسل إلينا ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا أن ادخلوا، فدخلنا عليه وهو على فراش له، وعنده بطارقة من الروم، وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة، فدنونا منه، فضحك فقال: ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم؟، وإذا عنده رجل فصيح بالعربية، كثير الكلام، فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها، قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا: السلام عليكم، قال: فكيف تحيون ملككم؟ قلنا: بها، قال: فكيف يرد عليكم؟ قلنا: بها، قال: فما أعظم كلامكم؟ قلنا: لا إله

(201/3)

[()] إلا الله والله أكبر، فلما تكلمنا بها - والله يعلم - لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها، قال:

فهذه الكلمة التي قلموها حيث انتفضت الغرفة، أكل ما قلموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم؟

قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك، قال لوددت أنكم كلما قلمت انتفض كل شيء عليكم، وإني قد خرجت من نصف ملكي، قلنا: لم؟.

قال: لأنه كان أيسر لشأها وأجدد أن لا تكون من أمر النبوة، وأنها تكون من حيل الناس، ثم سألنا عما أراد، فأخبرناه، ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا، فأمر لنا بمنزل حسن، ونزل كثير، فأقمنا ثلاثا، فأرسل إلينا ليلا، فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا فأعدناه، ثم دعا بشيء كهينة الربعة العظيمة، مذهبة، فيها بيوت صغار، عليها أبواب، ففتح بيتا وقفلا، فاستخرج حريرة سوداء، فنشرناها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الألتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيران أحسن ما خلق الله. فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا آدم عليه السلام، وإذا هو أكثر الناس شعرا.

ثم فتح باب آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر كشعر القطط، أحمر العينين، ضخمة الهامة، حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صلت الجبين، طويل الخد، أبيض اللحية، كأنه بيتسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فإذا فيه صورة بيضاء، وإذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا نعم، هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وبكينا، قال: والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس، وقال والله إن لهُو؟ قلنا: نعم إنه لهُو، كأنك تنظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت، ولكني عجلته لكم، لأنظر ما عندكم.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة أدماء سمحا، وإذا رجل جعد قطط، غائر العينين، حديد النظر، عابس، متراكب الأسنان، متقلص الشفة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا موسى عليه السلام، وإلى جنبه صورة تشبهه، إلا أنه مدهان الرأس، عريض الجبين، في عينيه قبل، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا هارون بن عمران عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم، سبط، ربعة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا لوط عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة، أقنى خفيف العارضين حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسحاق عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفته خال، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يعقوب عليه السلام.

[()] ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة رجل أبيض، حسن الوجه، ألقى الأنف، حسن القامة، يعلو وجهه نور، يعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسماعيل جد نبيكم صلى الله عليه وسلم. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة كصورة آدم، كأن وجهه الشمس، فقال: تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يوسف عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل ضخيم الألتين، طويل الرجلين، راكب فرسا، فقال، هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان بن داود عليهما السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة بيضاء، وإذا شاب شديد سواد اللحية، كثير الشعر، حسن العينين، حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا عيسى ابن مريم عليه السلام.

قلنا: من أين لك هذه الصور، لأننا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام، لأننا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله؟ فقال: إن آدم عليه السلام، سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس، فدفعها إلى دانيال.

ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي، وإني كنت عبدا لا [يترك] ملكه حتى أموت، ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا.

فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا، وبما أجازنا، قال: فبكى أبو بكر وقال: مسكين! لو أراد الله به خيرا لفعل، ثم قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم. (تفسير ابن كثير):

2/ 262-263، تفسير الآية (157) من سورة الأعراف.

وهكذا أورده أيضا الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في (دلائل النبوة): 1/ 385-390، باب ما وجد من صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقرونة بصورة الأنبياء قبله بالشام، عن الحاكم إجازة، فذكره، وإسناده لا بأس به.

وذكر أبو نعيم في (الدلائل): 1/ 50-56، بنحوه وقال في آخره: قال الشيخ رضي الله عنه: ففي هذه القصة علم أهل الكتابين بصفة نبينا صلى الله عليه وسلم، وباسمه، وبعثته.

وانتفاض الغرفة حين أهلوا بلا إله إلا الله، وما يوجد من المعجزات بعد موت الأنبياء، كما يوجد أمثالها قبل بعثتهم، إعلاما وإيدانا بقرب مبعثهم ومجيئهم. (المرجع السابق).

(203/3)

وأما شرف أصله، وتكريم حسبه ونسبه، وطيب مولده

فخرج مسلم والترمذي من حديث الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. وقال الترمذي: واصطفى هاشما من قريش، وقال: هذا حديث حسن غريب [(1)] .

وخرج الترمذي من حديث محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح [(1)] .

وقد خرج الفسوي من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد ابن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اختار العرب، ثم اختار منهم كنانة أو النضر بن كنانة، ثم اختار منهم قريشا، ثم اختار منهم بني هاشم. وهو حديث مرسل.

وله أيضا من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحرث بن نوفل، عن العباس رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله إن قريشا إذا التقوا، لقي بعضهم بعضا بالبشاشة، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا

[(1)] سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها بالشرح.

(204/3)

لا نعرفها!! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضبا شديدا ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لا يدخل الجنة قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله، وقلت: يا رسول الله، إن قريشا جلسوا فتذكروا أحسابهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كناس الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة، ثم جعلني حين جعل البيوت في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا [(1)] .

وخرج الترمذي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله! إن قريشا جلسوا فتذكروا أحسابهم، فجعلوا مثلك كمثلكم نخلة في كناسة الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم خير القبائل، فجعلني في خير القبيلة، ثم في خير البيوت، فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا. انفرد به الترمذي وقال: هذا حديث

[(1)] ونحوه في أبواب المناقب من (سنن الترمذي): 10 / 54 حديث رقم (3849) ، وقال فيه «فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض» ، أي كصفة نخلة نبتت في كناسة من الأرض، والمعنى أنهم طعنوا في حسبك.

قال الجزري في (النهاية): 4 / 145: كبا، فيه: «ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت عنده له كبوة، غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم» .

الكبوة: الوقفة كوقف العائر، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الإنسان. ومنه «كبا الزند» إذا لم يخرج نارا.

ومن حديث أم سلمة قالت لعثمان: «لا تقدح بزند كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكباها» ، أي عطّلها من القدح فلم يور بها.

وفي حديث العباس «قال: يا رسول الله، إن قريشا جعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض» قال شمر: لم نسمع الكبوة، ولكننا سمعنا الكبا، والكبة، وهي الكناسة والتراب الذي يكس من البيت.

وقال الرّمخشيّ في (الفائق): 3 / 242: وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قيل له: أين ندفن ابنك؟ قال: عند فرطنا عثمان بن مظعون، وكان قبر عثمان عند كبا بني عمرو بن عوف.

وقال أصحاب الفراء: الكبة المزبلة، وجمعها كبون، وأصلها كبوة، من كبوت البيت إذا كنته، وعلى الأصل جاء الحديث، إلا أن المحدث لم يضبط الكلمة فجعلها كبوة بالفتح، وإن صحت الرواية فوجهها أن تطلق الكبوة، وهي الكسحة، على الكساحة.

حسن. وعبد الله بن الحرث هو ابن نوفل [(1)] .

ورواه أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد، فزاد في إسناده: المطلب ابن أبي وداعة.
قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث بن
نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة قال: قال: قال العباس: بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما
يقول الناس، قال: فصعد المنبر فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة،
فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا.

وقد خرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث قال:
حدثني المطلب بن ربيعة أن العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا وأنا عنده
فقال: ما أغضبك؟ فذكر نحوه وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قال: ورواه جرير عن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن
ربيعة وهو الصواب. قال كاتبه: وهكذا رواه يزيد بن عطاء عن يزيد بن أبي زياد
كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

[وخرج] [(2)] أبو بكر بن أبي شيبة من حديث ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله
بن الحرث، عن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قوما
نالوا منه وقالوا له: إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في كناس، فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم [و] [(2)] قال: إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين، فجعلني في خير الفرقتين، ثم
جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبلا، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: إني خيركم قبلا وخيركم بيتا. قال البيهقي:
كذا قال عن ربيعة بن الحرث، وقال غيره: عن المطلب بن ربيعة بن الحرث، وابن ربيعة إنما هو
عبد المطلب بن ربيعة له صحبة، وقد قيل: عن المطلب بن أبي وداعة.
ثم ذكر حديث أبي نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا سفيان عن يزيد ابن أبي زياد عن عبد الله
بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال:

[(1)] سبق الإشارة إليه وشرحه.

[(2)] زيادة للسياق.

قال العباس: بلغه بعض ما يقول الناس،

وفي رواية: عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبلغه بعض ما يقول الناس - فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا [(1)] .

وخرجه الإمام أحمد من حديث حسين بن محمد، حدثنا يزيد بن عطاء عن يزيد بن عبد الله عن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث قال: أتى ناس من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم: إنما محمد مثل نخلة تنبت في كنا، قال: حسين: الكنا، الكناسة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس! من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: فما سمعناه ينتمي قبلها إلا أن الله خلق خلقه فجعلني في خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا [(1)] .

وخرجه الترمذي من حديث سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث، عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال: جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه سمع شيئا فقام النبي فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فريقين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا. انفرد به الترمذي وقال: هذا حديث حسن [صحيح غريب] [(2)] .

[(1)] سبق تخريج وشرح نظائر هذه الأحاديث على خلاف في السياقات لكن بنفس المعنى.

[(2)] زيادة من رواية الترمذي، (تحفة الأحوذى) : 10 / 54 - 55، حديث رقم (3850) ،

وسبق شرحه.

وللفسوي من حديث قيس عن الأعمش عن عباية بن ربيعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما، وذلك قوله: لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ [(1)] ، أَصْحَابِ الشِّمَالِ [(2)] ، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين [أثلاثا] [(3)] فجعلني في خيرهم ثلثا، فذلك قوله عز وجل:

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ [(4)] ، وَالسَّابِقُونَ [(5)] ، فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قول الله عز وجل: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [(6)] ، فأنا [(7)] أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرهم [(8)] ، بيتا، فذلك قوله عز وجل: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [(9)] ، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب [(10)] .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: إنا لنعوذ بفناء النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرت [(11)] امرأة، فقال بعض

[(1)] الواقعة: 38.

[(2)] الواقعة: 41، وفي (خ): «وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال»، وما أثبتناه موافق للتنزيل.

[(3)] في (خ): «ثلاثا» والتصويب من (دلائل البيهقي).

[(4)] الواقعة: 8

[(5)] الواقعة: 10، وفي (خ) بين الآيتين قوله تعالى: وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، والسياق يقتضي عدم إثباتها.

[(6)] الحجرات: 13

[(7)] في (دلائل البيهقي): «وأنا» .

[(8)] في المرجع السابق: «في خيرها»

[(9)] الأحزاب: 33.

[(10)] (دلائل النبوة للبيهقي): 1 / 170-171، وقال: «فيه غرابة ونكارة» .

ورواية عباية بن ربيعي- من غلاة الشيعة- له عن علي: «أنا قسيم النار» ،

وحديث الصراط، قال الحريبي: «كنا عند الأعمش فجاءنا يوما وهو مغضب، فقال: «ألا تعجبون من

موسى بن طريف يحدث عن عباية عن علي: «أنا قسيم النار» .

وذكره العقيلي في (الضعفاء الكبير) : 3 / 415، وقال: روى عنه موسى بن طريف، كلاهما
غاليلان ملحدان.

[(11)] زيادة من (دلائل البيهقي) : 1 / 172.

(208/3)

القوم: هذه [ابنة] [(1)] رسول الله، فقال أبو سفيان: مثل محمد في نبي هاشم مثل الريحانة في
وسط النتن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء يعرف في وجهه الغضب
فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام؟! إن الله عز وجل خلق السموات سبعا، فاختار العلياء
منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم
العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني
من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب
فببغضي أبغضهم [(2)] .

وخرج البخاري من حديث عبد الواحد، أنبأنا كريم بن وائل، حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه
وسلم - زينب بنت أبي سلمة - قالت: قلت لها: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أكان من
مضر؟ قالت: فممن كان إلا من مضر؟ من بني النضر بن كنانة [(3)] .

[(1)] في (خ) : «امرأة» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(2)] سرده العقيلي في الضعفاء وقال: «لا يتابع عليه»، ومن رواه يزيد بن عوانة، عن
محمد بن ذكوان، فيزيد بن عوانة، ضعفه العقيلي، وسرد له الحديث المنكر هذا، وقال: «لا يتابع
عليه». (الميزان) :

4 / 436، أما محمد بن ذكوان الأزدي الطائي اتفقوا على ضعفه، قال البخاري: منكر الحديث.
وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال ابن حبان: سقط الاحتجاج به.

[(3)] أخرجه البخاري في أول كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات: 13] ،
وقوله:

وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: 1] وما ينهى عن نسب
الجاهلية، حديث رقم: (3491) ، حدثنا قيس بن حفص، حدثنا عبد الواحد، حدثنا كليب ابن
وائل قال: حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم زينب ابنة أبي سلمة قال: «قلت لها: رأيت

النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مضر؟ قالت: فمن كان إلا من مضر؟ من بني النضر بن كنانة» .

وحدث رقم (3492) ، حدثنا موسى، حدثنا عبد الواحد، حدثنا كليب، حدثني ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم - زينب - قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء، والختم، والمقير، والمزقت .
وقلت لها:

أخبريني، النبي صلى الله عليه وسلم ممن كان، من مضر كان؟ قالت: فممن كان إلا من مضر؟ كان من ولد النضر بن كنانة» .

قوله: «مضر» ، هو ابن نزار بن معد بن عدنان. والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مختلف فيه كما سيأتي، وأما من النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان فمتفق عليه. وقال ابن سعد في (الطبقات) :

حدثنا هشام بن الكلبي قال: «علمني أبي وأنا غلام نسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: محمد بن عبد الله

(209/3)

ولأبي داود الطيالسي من حديث حماد بن سلمة عن عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن هيصم عن الأشعث بن قيس قال: قلت: يا رسول الله، إنا نزعم أنا منكم أو أنكم منا؟ فقال: نحن من بني النضر بن كنانة، لا ننتفي من أئبنا ولا نقفوا أئبنا، قال: فقال الأشعث: لا أوتي برجل نفي رجلا من قريش من النضر بن كنانة، إلا جلدته ...

[()] ابن عبد المطلب - وهو شيبه الحمد - بن هاشم - واسمه عمرو - بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإليه جماع قريش» .

«وما كان فوق فهر فليس بقريشي بل هو كناني، ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمه بن مدركة، واسمه عمرو بن إلياس بن مضر.

وروى الطبراني بإسناد جيد، عن عائشة قالت: «استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان» . ومضر بضم الميم وفتح المعجمة، يقال: سمي بذلك لأنه كان مولعا بشرب اللبن الماضر، وهو الحامض، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة، نعم يمكن أن

يكون هذا اشتقاقه، ولا يلزم أن يكون متصفاً به حال التسمية، وهو أول من حدا الإبل.
وروى ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال: «مات عدنان، وأبوه، وابنه معد، وربيعه، ومضر،
وقيس، وتميم، وأسد وضبة، على الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام.
وروى الزبير بن بكار من وجه آخر، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة،
فإنهما كانا مسلمين»، ولابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد، رفعه: «لا تسبوا مضر فإنه كان
قد أسلم» .

قوله: «من بني النضر بن كنانة» ،

أي المذكور، وروى أحمد وابن سعد، من حديث الأشعث ابن قيس الكندي قال: «قلت: يا
رسول الله، أنا نزعكم منا - يعني من اليمن - فقال: نحن بنو النضر بن كنانة» . وروى ابن
سعد من حديث عمرو بن العاص، بإسناد فيه ضعف مرفوعاً «أنا محمد بن عبد الله، وانتسب
حتى بلغ النضر بن كنانة، قال: فمن قال غير ذلك فقد كذب» .
وإلى النضر تنتهي أنساب قريش، وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يليه [من أبواب البخاري] ،
وإلى كنانة تنتهي أنساب أهل الحجاز.

وقد روى مسلم من حديث واثلة مرفوعاً: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من
كنانة، قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» .
ولابن سعد من مرسل أبي جعفر الباقر: ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبد المطلب
من بني هاشم.

قوله: «وأظنها زينب» كأن قائله موسى، لأن قيس بن حفص في الرواية التي قبلها قد جزم بأنها
زينب، وشيخهما واحد. لكن أخرجه الإسماعيلي من رواية حبان بن هلال، عن عبد الواحد
وقال:

لا أعلمها إلا زينب، فكأن الشك فيه من شيخهم عبد الواحد، كان يجزم بما تارة، ويشك تارة
أخرى.

(210/3)

الحد [(1)] .

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي: حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس
بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
أن رجلاً من كندة يزعمون [أنه] [(2)] منهم، فقال: «إنما كان يقول [ذاك] [(3)] العباس

وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمننا بذلك، وإنا لن ننتفي من آبائنا، نحن [بنو] [(4)]
 النضر بن كنانة، قال: وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا محمد بن عبد الله، بن
 عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، ابن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن
 غالب، بن فهر، ابن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمية، بن مدركة، بن إلياس، ابن مضر،
 ابن نزار، وما افترق الناس فريقين إلا جعلني [الله] [(5)] في خيرهما، فأخرجت [من] [(5)]
 بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من
 لدن آدم حتى [انتهيت] [(6)] ، إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا.
 قال البيهقي: تفرد به أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة

[(1)]

أخرجه ابن ماجة في (السنن) ، كتاب الحدود، باب (37) من نفي رجلا من قبيلته، حديث رقم
 (2612) ولفظه: عن مسلم بن الهيثم، عن الأشعث بن قيس، قال: أتيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في وفد كندة، ولا يروني إلا أفضلهم. قلت: يا رسول الله! ألتستم منا؟ فقال: «نحن
 بنو النضر ابن كنانة، لا نقفوا أمتنا ولا ننتفي من أبنائنا» ،
 قال: فكان الأشعث بن قيس يقول: لا أوتي برجل نفي رجلا من قريش ومن كنانة إلا
 جلدته الحد.

قال في (الزوائد) : هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين
 والنسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد على شرط الإمام مسلم.
 وقال في (النهاية) : «لا نقفوا أمتنا» ، أي لا نتهمها ولا نقذفها، يقال: قفا فلان فلانا: إذا اتهمه
 بما ليس فيه. وقيل معناه: لا نترك النسب إلى الآباء، ومنتسب إلى الأمهات. (سنن ابن ماجة) :
 2 / 871. وفي (خ) : «ولا نقفوا من أمتنا» ، وهو خطأ من الناسخ وما أثبتناه من المرجع السابق
 ومن المرجع التالي.

وأخرجه أيضا الإمام أحمد في (المسند) : 6 / 276، حديث رقم (21332) بنحوه سواء.

[(2)] في (خ) : «أنهم» .

[(3)] في (خ) : «ذلك» .

[(4)] في (خ) : «بني» .

[(5)] زيادة من (دلائل البيهقي) .

[(6)] في (خ) : «أتيت» والتصويب من المرجع السابق.

القداامي، وله عن مالك وغيره أفراد لم تتابع عليها.

قال كاتبه: قال ابن عدي: عن عبد الله بن محمد بن ربيعة بن قدامة بن مظعون أبو محمد المصيصي [(1)] ، عامة أحاديثه غير محفوظة، وهو ضعيف على ما تبين لي من رواياته واضطرابه، ولم أر للمتقدمين فيه كلاما.

وخرج البخاري من حديث قتيبة بن سعيد، أنبأنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه. ذكره في باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم [(2)] .

وخرج البيهقي من حيث عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [قال] لي جبريل عليه السلام: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم [(3)] .

وخرج البخاري من حديث شعبة، حدثني عبد الملك عن طاووس عن ابن عباس [في قوله تعالى]:
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، قال: فقال سعيد بن جبير:

[(1)] هو عبد الله بن محمد بن ربيعة القداامي من أهل المصيصة، كان يقلب الأخبار، قلب على مالك أكثر من مائة حديث وخمسين حديثا، ذكره ابن حبان في (المجروحين) : 2 / 39. (دلائل النبوة البيهقي) : 174 - 175.

[(2)] [فتح الباري] : 6 / 701، كتاب المناقب، باب (23) صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (3557) . ورواية البيهقي: «كنت فيه» .

قوله: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا» ،

القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد، ومنهم من حدّه بمائة سنة، وقيل بسبعين، وقيل بغير ذلك. فحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين، ثم تعقب الجميع وقال: الذي أراه أن القرن كل أمة هلكت حتى لم يبق منها أحد. وقوله: «قرنا» بالنصب على الحال للتفصيل. وفي رواية الإسماعيلي: «حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه» . (المرجع السابق) ، (دلائل البيهقي) : 1 / 175.

[(3)] [دلائل النبوة للبيهقي] : 1 / 176، وتعقبه بقوله: «قال أحمد: هذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا تصح به، فبعضها يؤكد بعضها، ومعني جميعها يرجع لما روينا عن وائلة بن

الأسقع وأبي هريرة.
والله تعالى أعلم.

(212/3)

قري محمد، فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن [(1)] من قريش إلا وله فيه قرابة، فنزلت [عليه] [(2)] فيه إلا أن تصلوا قرابة بيني وبينكم. ذكره في باب قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى [(3)] .
وخرجه في التفسير من حديث شعبة عن عبد الملك بن ميسرة، سمعت طاووسا يقول: عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى فقال سعيد

[(1)] في (خ) : «في بطن» .

[(2)] زيادة من (البخاري) .

[(3)]

(فتح الباري) : 6 / 652، حديث رقم: (3497) ، ونحوه حديث رقم: (4818) ، حدثني محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاووسا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، فقال سعيد بن جبير: قري آل محمد صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» .

قوله: إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، ذكر فيه حديث طاووس «عن ابن عباس، سئل عن تفسيرها، فقال سعيد بن جبير: قري آل محمد، فقال ابن عباس: «عجلت» أي أسرع في التفسير، وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير، قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعا، فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ .. الحديث، وإسناده ضعيف، وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح.

والمعنى: إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني، والخطاب لقريش خاصة، والقري قرابة العصبية والرحم، فكأنه قال: احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة.
وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين، واستندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس من الطبري

وابن أبي حاتم، وإسناده واه فيه ضعيف ورافضي.

وذكر الزمخشري هنا أحاديث ظاهر وضعها، وردّه الزجاج بما صح عن ابن عباس من رواية طاووس.

وقد روى سعيد بن منصور من طريق الشعبي قال: أكثرنا علينا في هذه الآية فكتبت إلى ابن عباس أسأله عنها، فكتب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب في قريش، لم يكن حي من أحياء قريش إلا ولده، فقال الله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى تودوني بقرايتي منكم، وتحفظوني في ذلك.

وقوله: القربى، هو مصدر، كالزلفى والبشرى، بمعنى القرابة، والمراد في أهل القربى، وعبر بلفظ في دون اللام كأنه جعلهم مكانا للمودة ومقرا لها، كما يقال: في آل فلان هوى، أي هم مكان هوى، ويحتمل أن تكون في سببية، وهذا على أن الاستثناء متصل، فإن كان منقطعا فالمعنى لا أسألكم عليه أجرا قط، ولكن أسألكم أن تودوني بسبب قرايتي فيكم. (فتح الباري): 8/ 724-726 باختصار من شرح الحديث رقم (4818) من كتاب التفسير.

(213/3)

ابن جبير: قري آل محمد، فقال ابن عباس: [عجلت] [(1)] إن رسول الله [(2)] صلى الله عليه وسلم لم يكن [بطن] [(3)] من قريش إلا كان له [فيهم] [(4)] قرابة: إلا أن تصلوا [(5)] ما بيني وبينكم من القرابة.

وخرج أبو نعيم من حديث ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينتقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذبا، ولا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما [(6)] .

وخرج البيهقي في سننه من حديث هشيم، حدثنا الملاي أو المليلي، أو كما قال عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية، ما ولدني إلا نكاح كنعان أهل الإسلام [(7)] .

قال أبو نعيم: ووجه الدلالة في هذه الفضيلة أن النبوة ملك وسياسة عامة، وذلك قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا [(8)] ، والملك في ذوي الأحساب والأخطار من الناس، وكلما كانت خصال فضله أوفر كانت الرعاية بالانقياد له أسمع، وإلى طاعة مطيعة أسرع.

[(1)] في (خ) : «علمت» .

[(2)] في (خ) : «إن النبي صلى الله عليه وسلم» .

[(3)] في (خ) : «بطنا» .

[(4)] في (خ) : «فيهم» .

[(5)] في (خ) : «تصلوا قرابة ما بيني وبينكم من القرابة» والتصويبات السابقة من رواية المرجع السابق.

[(6)]

أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 57 / 1، الفصل الثاني، ذكر فضيلته صلى الله عليه وسلم بطيب مولده وحسبه ونسبه، حديث رقم (15) ، ولفظه: حدثنا محمد بن سليمان الهاشمي قال: أحمد بن محمد بن سعيد المروزي قال: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثني أنس بن محمد قال: حدثنا موسى بن عيسى قال:

حدثنا يزيد بن أبي حكيم، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة صافيا مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» . قال السيوطي في (الخصائص) : 93 / 1، أخرجه أبو نعيم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[(7)] أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى) : 190 / 7، باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم.

[(8)] النساء: 54.

(214/3)

وإذا كان في الملك وتوابعه نقيصة، نقص عدد أتباع رعيته، ففي اختيار الله له صلى الله عليه وسلم أن أمده بكل ما بالملوك إليه حاجة، ليدعو الناس إلى اتباعه، ولذلك قال قوم شعيب: ما نَفَقَهُ كَثِيراً مَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ [(1)] الآية. وقال فرعون لموسى: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [(2)] ، فأزرى فرعون به ليشط بذلك القوم عن اتباعه، حتى شكوا موسى إلى الله تعالى وسأله أن يحل العقدة عن لسانه ليفقهوا قوله، وقال: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي [(3)] ، فدل ذلك على أن الملك لا يجعل إلا في أهل الكمال والمهابة، وهاتان الخصلتان لا توجدان في غير ذوي الأحساب.

فجل الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الحظوظ أوفرها، ومن السهام أوفاهما وأكثرها،
ولذلك

قال عليه السلام فأنا من خيار إلى خيار،

وجعله أيضا من أفضل البقاع مولدا ومسكنا ومخرجا، وهي البقعة التي افترض الله على جميع
الموحدين من المستطيعين حجها، فكان بهذا أيضا أفضلهم نفسا وحسبا ودارا صلى الله عليه
وسلم، ولذلك سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن حسبه فقال: كيف حسبه فيكم؟ فقال: هو
من أوسطنا حسبا، فقال له هرقل: كذلك الأنبياء.

[(1)] هود: 91.

[(2)] الزخرف: 52.

[(3)] القصص: 34.

(215/3)

وأما أن أسماءه خير الأسماء

فقد تقدم أنه محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والفتاح والخاتم والمقفي ونبي التوبة، ونبي
الملحمة، ونبي الرحمة [(1)] .

قال أبو نعيم: وفيما تضمنه اسمه الماحي والحاشر ونبي الرحمة والملحمة من معان لطيفة، وفوائد
جليلة، فإن الماحي إذا جرى على اللفظ المفسر في الخبر أن الله يمحو به الكفر، كان ذلك دلالة
وبشارة بكثرة الفتوح وانتشار ضياء الإسلام في الأرضيين وصفحتها شرقا وغربا، وأن سلطان
الإسلام يكون غالبا، وسلطان الكفر دارسا عافنا، وذلك يرجع إلى معنى قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ [(2)] ، وليس معنى الخو أن يحسم الكفر أصلا حتى لا يوجد في الأرض كافرا، بل
معناه أن يكونوا مقهورين باعتلاء المسلمين عليهم، حتى تكون الأقضية والأحكام والحل والعقد
للمسلمين دونهم، وأن الكفار مغمورون خاملون، خاملو الذكر ساقطو الصيت والكلام، أما
الذمة عقدت عليهم بصغار الجزية، وإما لخوفهم من سيوف الإسلام فيهم غزوا وجهادا، وهذا
سائغ بين أهل اللسان والبيان، أن معنى الخو مرجعه إلى الخمول والكتمان، ويريدون بالخو سقوطه
وخموله لظهور العالمين والقاهرين عليهم، ومعنى الخو إن أضيف إليه صلى الله عليه وسلم فالإجراء
الله ذلك على يديه، فأضيف إليه كما أن الهداية مضافة إليه صلى الله عليه وسلم والهادي هو

الله، فكذلك الماحي في

[(1)]

أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب (17) ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله عز وجل:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ [الفتح: 29] ، وقوله: مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف: 6] ، حديث رقم (3532) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» . (فتح الباري) : 6 / 688، (المرجع السابق) : 8 / 826، حديث رقم (4896) بنحوه.

[(2)] [الفتح: 28، الصف: 9.]

(216/3)

الحقيقة هو الله تعالى القاهر، فأضاف ذلك إلى الرسول عليه السلام، إذ جرى ذلك على يده بتمكين الله تعالى له، وتسليطه على من كذبه وجحدته، وهذه بشارة قد تحقق صدقها فيه لظهور المسلمين وعلوهم على من خالفهم، فتحققت الدلالة والله الحمد.

ومعنى الحاشر على ما روى الخبر: أنه الذي يحشر الناس على قدمه، أي لا نبوة بعده، وأن شريعته قائمة ثابتة إلى قيام الساعة، اهتدى بها من اهتدى، أو ضل عنها من ضل. ومعنى نبي الرحمة مثل قوله: إنما أنا رحمة مهداة، فبعثته من الله رحمة، هدى بها من شاء رحمته وهداه، وسمى كالمطر المسمى رحمة، لأن الله يرحم عباده بالمطر فيسوق إليهم بالمطر الخيرات، ويوسع عليهم بها النبات والأقوات، ولا يوجب هذا الاسم أن الله رحم به كل المدعويين من عباده، وذلك إنما يجري الله على لسانه من الدعاء والبيان، وإن كان رحمة فسورته كعظية من قبلها فاز بنفعها، ومن تركها وردّها حرم نفعها ووجب عليه العقاب.

قال كاتبه ويؤيد هذا ما رواه البيهقي من حديث السعدي عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [(1)] ، قال: من آمن بالله ورسوله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الحسف والمسخ والقذف، فتلك الرحمة في الدنيا.

قال أبو نعيم: ومعنى نبي الرحمة: فهو إعلام منه يكون بعده وفي زمانه من الحروب والجهاد،

والقتل والسي. ومعنى الرحمة في إرساله: أن الله تعالى لم يعجل معجزته ودلائله كدلائل الماضين قبله من الأنبياء، وذلك أن الماضين من الأمم كانوا يقترحون على أنبيائهم ويتحكمون عليهم بالآيات على حسب شهوتهم واقتراحهم، فكان دأب الله فيهم الاصطلام إذ لم يؤمنوا بما كقوله لما اقترحوا على عيسى المائدة:

[(1)] الأنبياء: 106.

(217/3)

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [(1)] ، واقندي بهم المشركون فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم الآيات اقتراحا وتحكما، كقولهم: اجعل الصفا لنا ذهباً، وأحيي لنا قصياً، وسير جبالنا لتتسع مزارعنا، واثنا بالملائكة إن كنت من الصادقين، وأنزل علينا كتاباً نقرؤه، فأنزل الله تعالى ردا عليهم: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً [(2)] ، وقال: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ [(3)] فجعل الله تعالى لرحمته بهم الآية الباقية مدة الدنيا له صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز، وتحدى به أرباب اللغة واللسان أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بآية مثله، فباءوا بالعجز عن معارضته مع تمكينهم من أصناف الكلام نظماً ونثراً ورجزاً وسجعاً، وكان القرآن معجزة له صلى الله عليه وسلم كإبراء الأكمه وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام مع تقدم قومه بصناعة الطب، وكقلب العصا حية لموسى وخلق البحر مع تمكن قوم فرعون وحذقهم بالسحر.

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل أظهر دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الذي يعلم صدقه بالاستدلال الذي تعرض فيه الشبهة والشكوك، لكنه لا يستأصل القوم المنكرون له كما استأصل قوم صالح لما كفروا بالناقة، وقوم موسى بانفلاق البحر، وتلقف العصا حبالهم وعصيهم.

وإلى هذا المعنى يرجع قوله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً [(4)] ، المعنى: أن إرادتنا لاستبقاء المقترحين للإيمان منعا من إرسال الآيات التي اقترحوها بها، لعلنا بأننا نخرج من أصلاهم من يؤمن، وإن من سبق له منا الرحمة بالإيمان فقال تعالى: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى [(5)] ، فدعاهم إلى التفكير والتذكر في القرآن الذي هو من

[(1)] المائدة: 115.

[(2)] الرعد: 31.

[(3)] الحجر: 8.

[(4)] الإسراء: 59.

[(5)] العنكبوت: 51.

(218/3)

جنس ما يعرفونه ويتعاطونه من الفصاحة والبيان.

أبان بعد هذا وجه الرحمة في تسمية الله رسوله نبي الرحمة، ونبي الملحمة، والحاشر، وإن الكتاب المعجز باق عندهم بقاء الدهر، كما قال: وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [(1)] ، فمن بلغ وقبل فاز ونجا، ومن رده وكذب به قوتل، ونصبت بينه القتال والملحمة حتى ينقاد لشريعته، أو يقتل لسوء اختياره، فتتم الرحمة بهذه المعاملة، ويعرف فضل هذه الأمة على غيرها بإزالة الاستئصال والاصطلام الواقعة بغيرها من الماضين من الأمم.

وذكر من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي، عن عبيد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته: أم عطاء - مولاة الزبير بن العوام - قالت: سمعت الزبير بن العوام يقول: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [(2)] ، صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي قبيس: يا بني عبد مناف، إني نذير لكم، فجاءت قريش فحذروهم وأنذروهم، فقالوا: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخر له الجبال والرياح، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحي الموتى، فادع الله أن يسير عنا الجبال ويفجر لنا الأرض أثمارا، فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله بأن يحي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهابا، فنبحت عنها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهنتهم، قال: فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: والذي نفسي بيده، لقد أعطاني ما سألتهم، ولو شئت لكان، ولكن خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فنزلت:

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا مُّؤَدَّ النَّاقَةِ [(3)] ، فقرأ ثلاث آيات فنزلت: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى [(4)] .

[(1)] [الأنعام: 19 .

[(2)] [الشعراء: 214 .

[(3)] [الإسراء: 59 .

[(4)] [الرعد: 31 .

(219/3)

وخرج الحاكم من حديث معمر عن قتادة أنه تلا هذه الآية: **فِيمَا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ** [(1)] ، فقال: قال أنس: ذهب رسول الله وبقبت النعمة، ولم يرى الله نبيه في أمته شيئا يكرهه حتى مضى صلى الله عليه وسلّم، ولم يكن نبي من الأنبياء عليهم السلام إلا قد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم صلى الله عليه وسلّم. قال الحاكم: صحيح الإسناد.

[(1)] [الزخرف: 41 .

(220/3)

وأما قسم الله تعالى بحياته صلى الله عليه وسلّم فقد قال تعالى: **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** [(1)] ، وإنما يقع القسم بالمعظم وبالخبوب، قوله: **لَعَمْرُكَ** [(2)] ، أصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال، ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل: وحياتك. قال القاضي أبو بكر محمد بن العربي [(3)] : قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله تعالى

[(1)] [الحجر: 72 .

[(2)] [الحجر: 72 .

[(3)] [فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله هنا بحياة محمد صلى الله عليه وسلّم تشريفا له، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون، قالوا: روى عن ابن عباس رضي الله

عنهما أنه قال: ما خلق الله وما ذراً ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، وهذا كلام صحيح.

ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، وما الذي يمنع أن يقسم بحياة لوط، ويبلغ به من التشريف ما شاء؟ فكل ما يعطى الله للوط من فضل، ويؤتاه من شرف، فلمحمد صلى الله عليه وسلم ضعفاه، لأنه أكرم على الله منه، أولاً تراه قد أعطى لإبراهيم الخليل، ولموسى التكليم، وأعطى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم، فإذا أقسم الله بحياة لوط، فحياة محمد أرفع، ولا يخرج من كلام إلى كلام آخر غيره لم يجز له ذكر لغير ضرورة.

المسألة الثانية: قوله: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ، أراد به الحياة والعيش، يقال: عمر، وعمر بضم العين وفتحها لغتان، وقالوا: إن أصلها الضم، ولكنها فتحت في القسم خاصة لكثرة الاستعمال، والاستعمال إنما هو غير القسم، فأما القسم فهو بعض الاستعمال، فلذلك صاروا لغتين، فتدبروا هذا.

المسألة الثالثة: قال أحمد بن حنبل: من أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم لزمته الكفارة، لأنه أقسم بما لا يتم الإيمان إلا به، فلزمته الكفارة، كما لو أقسم بالله تعالى.

وقدّمنا أن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، فإن أقسم بغيره فإنه آثم، أو قد أتى مكروها على قدر درجات القسم وحاله.

وقد قال مالك: إن المستضعفين من الرجال والمؤمنين منهم، يقسمون بحياتك وبعيشتك، وليس من كلام أهل الذكر، وإن كان الله أقسم به في هذه القصة، فذلك بيان لشرف المنزلة، وشرف المكانة، فلا يحمل عليه سواه، ولا يستعمل في غيره.

وقال قتادة: هو من كلام العرب، وبه أقول، لكن الشرع قد قطعه في الاستعمال، وردّ القسم إليه. (أحكام القرآن لابن العربي): 3 / 1130 - 1131.

(221/3)

بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفاً له، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون، وفي حيرتهم يترددون. وقال القاضي عياض [(1)] : اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعناه: وبقائك يا محمد، وقيل: وبعيشتك، وقيل: وحياتك، وهذه نهاية التعظيم، وغاية البر والتشريف.

وخرج الحرث بن أبي أسامة من حديث عمرو بن مالك البكري، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس

رضي الله تعالى عنه قال: ما خلق الله وما ذرأ نفساً أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت أن الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ [(2)] ، وفي رواية: ما حلف الله بحياة أحد قط إلا بمحمد فقال: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ [(2)] ، وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد لأنه أكرم البرية عنده، وقال ابن عقيل الحنبلي: وأعظم من قوله لموسى: وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي [(3)] ، وقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ [(4)] ، وقوله تعالى: لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ [(5)] ، المعنى: أقسم لا بالبلد، فإن أقسمت بالبلد فلائك فيه. قال ابن الجوزي: أقسم تعالى بتراب قدم محمد صلى الله عليه وسلم فقال:

لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ [(5)] ، قال ابن عقيل: وقال تعالى: يا موسى فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ [(6)] ، أي ولا تجيء إلا ماشياً، ومحمد ركب البراق ولا يجيء إلا راكباً.

وقال القاضي أبو بكر بن العري: أقسم الله بحياته ثم زاده شرفاً فأقسم بغير رجله فقال تعالى: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا [(7)] ، الآية [(8)] ، وقال أبو نعيم:

-
- [(1)] (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى): 25 / 1، الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم.
 [(2)] الحجر: 72.
 [(3)] طه: 41.
 [(4)] الفتح: 10.
 [(5)] البلد: 1.
 [(6)] طه: 12.
 [(7)] العاديات: 1.

[(8)] (أحكام القرآن لابن العري): 4 / 1973، سورة العاديات، قال: أقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال:

يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، وأقسم بحياته فقال: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، وأقسم بخيله، وصهيلها، وغبورها، وقدهح حوافرها النار من الحجر، فقال: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا* فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا* فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا* فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا العاديات: 1- 5.

والمعنى في هذا، أن المتعارف بين العقلاء: أن الإقسام لا يقع إلا على المعظمين والمبجلين، فتبين بهذا جلالة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم أمره وما شرع الله تعالى على لسانه من الشرائع، وتبنيها عباده على وحدانيته، ودعائه إلى الإيمان به، وعرفت جلالة نبوته ورسالته بالقسم الواقع على حياته، إذ هو أعز البرية وأكرم الخليقة صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ [(1)] قال: هو قسم وهو من أسماء الله. وعن كعب يس* [(1)] قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين، ثم قال: وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ [(2)] ، قال القاضي عياض: ومؤكّد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه، وإن كان بمعنى النداء، فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بمبدأيته، أقسم الله تعالى باسمه، وكفي به أنه من المرسلين بوجهه إلى عباده، وعلى صراط مستقيم من إيمانه، أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق.

وقال النقاش: لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له صلى الله عليه وسلم [(3)] .

[(1)] يس: 1- 2.

[(2)] يس: 2، 3.

[(3)] (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى): 1/ 26.

(223/3)

وأما تفردّه بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل وأن آدم ومن دونه تحت لوائه قال تعالى: يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ [(1)] ، روي عن جعفر بن محمد أنه قال: أراد الله (يا سيد) مخاطبة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فخرج مسلم من حديث الأوزاعي قال: حدثني أبو عمار قال: حدثني عبد الله بن فروخ قال: حدثني أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع.

وخرج الترمذي من حديث سفيان عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا

فخر، وما من نبي يومئذ [من] ، آدم فمن تحته إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

.. الحديث. قال: أبو عيسى: هذا حديث حسن، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نصره عن ابن عباس..

الحديث بطوله [(2)] .

وله من حديث عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا بأسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وخرج بقي بن مخلد من حديث سفيان عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضلت بخصال ست لا أقولهن فخراً، لم يعطهن أحد قبلي: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأخرجت لي

[(1)] يس: 1، 2.

[(2)] سبق تخريج وشرح هذه الأحاديث ونحوها وشواهدا.

(224/3)

خير الأمم، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الكوثر، ونصرت بالرعب. والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه [(1)] .

وخرج أبو نعيم من حديث معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأول شافع ومشفع، لواء الحمد بيدي يوم القيامة، تحتي آدم فمن دونه [(1)] .

وله من حديث أبي معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي قال: أنبأنا عبد الله ابن جعفر عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد بيدي ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار

تعالى فأخّر له ساجدا فيقول:

يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: رب أمّتي [(2)] .

[(1)] سبق تخريج وشرح هذه الأحاديث ونحوها وشواهدا.

[(2)]

أخرجه البيهقي في (الدلائل) : 479-480 / 5، باب ما جاء في تحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلّم بنعمة ربه عزّ وجلّ لقوله تعالى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ، وما جاء في خصائصه صلى الله عليه وسلّم على طريق الاختصار: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن أنس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: «إني أول الناس تنشق الأرض عن جبهتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، وأنا آتي باب الجنة فأخذ بحلقها فيقولون: من هذا؟ فأقول: أنا محمد، فيفتحون لي، فأجد الجبار فأسجد له، فيقول: ارفع رأسك يا محمد، وتكلم يسمع منك، وقل يقبل منك، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي، أمّتي يا رب، فيقول: اذهب إلى أمّتك، فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة» .

وذكر الحديث فيمن كان في قلبه نصف حبه من شعير، ثم حبة من خردل، ثم في إخراج كل من كان يعبد الله لا يشرك به شيئا.

وزاد الإمام أحمد في (المسند) : 610 / 4: «وفرغ الله من حساب الناس وأدخل من بقي من أمّتي النار مع أهل النار، فيقول أهل النار: ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله عزّ وجلّ لا تشركون به شيئا» ، فيقول الجبار عزّ وجلّ: فبعزتي لأعتقنهم من النار، فيرسل إليهم فيخرجون وقد

(225/3)

وله من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه عليه وسلّم، قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، يدعوني ربي فأقول: لبيك وسعديك [تباركت لبيك] [(1)] وحنانيك، [والمهدي] [(2)] من هديت وعبدك بين يديك، [لا ملجأ ولا منجأ] [(3)] منك إلا إليك، تباركت رب البيت [(4)] . [قال: وإن قذف المحصنة ليهدم عمل مائة

سنة [(5)] .

ومن حديث خديج عن أبي إسحاق عن صلة، عن حذيفة قال: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إبراهيم خليل الله، وموسى كلمه الله تكليماً، وعيسى كلمة الله وروحه، فما أعطيت يا رسول الله؟ قال: ولد آدم كلهم تحت رايتي، فأنا أول من يفتح له باب الجنة. ومن حديث سلام بن سليم عن عبد الله بن غالب عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد الناس يوم القيامة [(6)] . وفي رواية روح بن مسافر عن أبي إسحاق

[()] امتحشوا، فيدخلون في نحر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في غناء السيل، ويكتب بين أعينهم: هؤلاء عتقاء الله عز وجل، فيذهب بهم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء الجهنميون، فيقول الجبار:

بل هؤلاء عتقاء الجبار عز وجل» حديث رقم (12060) .

[(1)] تكملة من (المستدرک) .

[(2)] في (خ) : «والهادي» والتصويب من المرجع السابق.

[(3)] في (خ) : «لا منجا ولا ملجأ» والتصويب من المرجع السابق.

[(4)] أخرجه الحاكم في (المستدرک) : 4 / 618، حديث رقم (8712 / 37) ، وقال في آخره: «وقد أخرجه له مسلم شاهداً» ، وقال الذهبي في (التلخيص) : «قد استشهد مسلم بليث بن أبي سليم.

[(5)] ما بين الحاصرتين تكملة من (المستدرک) .

[(6)]

أخرجه الحاكم في (المستدرک) : 1 / 83، حديث رقم (82 / 82) من كتاب الإيمان، وهذا الحديث يشهد لكثير من أحاديث الباب التي لم نقف لها على تخريج ولفظه: «أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني إسحاق بن يحيى، عن عبادة بن الصامت قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناس معي، حتى آتي باب الجنة فأستفتح، فيقال من هذا؟ فأقول محمد، فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً انظر إليه» .

قال الحاكم: هذا حديث كبير في الصفات والرؤية، على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي

في (التلخيص) على شرطهما ولم يخرجاه.
ونحوه في (دلائل البيهقي) : 5/ 479 - 480، ونحوه أيضا في (المسند) : 3/ 609، حديث
رقم (12060) .

(226/3)

أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر .
وفي رواية زكريا بن عدي قال : حدثنا سلام عن أبي إسحاق عن عبد الله عن حذيفة قال : محمد
سيد الناس يوم القيامة .
وله من حديث عبد الأعلى قال : حدثنا سعد عن قتادة عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلّم
قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، [وأنا] [(1)] أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ،
ولواء الحمد معي ، تحته آدم ومن دونه ومن بعده من المؤمنين [(2)] .
وفي رواية يعلى بن الفضل قال : حدثنا زياد بن ميمون عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلّم : أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ، فأخرج من قبري وحوالي المهاجرون
والأنصار ، ينفضون التراب عن رءوسهم ، وأنا أول شافع وأول مشفع ، ولا تزال لي دعوة عند ربي
مستجابة ، وأنا لكم عند النفخة الثانية [(3)] .
وفي رواية منصور بن أبي مزاحم قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب عن زياد النميري عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض
ولا فخر ، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي ولا فخر [(4)] .
وفي رواية عبد العزيز بن أبي حازم قال : حدثنا سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر ، وأنا سيد
الناس يوم القيامة ولا فخر ، ومعني لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تفتح له أبواب
الجنة ولا فخر ، فأني فأخذ بحلقة باب الجنة

[(1)] تكملة من رواية أبي نعيم .

[(2)] [دلائل أبي نعيم) : 1/ 64 ، حديث رقم (23) ، وأخرجه أيضا الترمذي من حديث
أبي سعيد الخدري ، حديث رقم (3148) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في
(الزهد) ، باب ذكر الشفاعة مختصرا ، والإمام أحمد في (المسند) : 1/ 463 ، حديث رقم
(2542) ، (2687) ، وقال أحمد محمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال في (مجمع الزوائد) :

فيه على بن زيد وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.
وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : 5 / 481، ضمن حديث طويل أوله: «ما من نبي إلا وله دعوة تنجزها في الدنيا، وإني أدخرت دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة..» وذكر الحديث بنحوه وزيادة.
[(3)] لم أجده بهذه السياقة، وسيأتي الكلام على النفتين بعد قليل.
[(4)] سبق الإشارة إليه.

(227/3)

فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتح، فيستقبلني الجبار تعالى، فأخر له ساجدا فيقول: يا محمد، قل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه [(1)] .
وفي رواية منصور بن أبي الأسود عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا، وقائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الكرامة ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منشور [(2)] .

وفي رواية حبان بن علي عن ليث عن عبيد الله بن زحر، عن الربيع بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه القبور يوم القيامة ولا فخر، لواء الحمد بيدي ولا فخر، مفاتيح الجنة يومئذ بيدي ولا فخر، آدم ومن دونه من النبيين تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون [(2)] .

وفي رواية جرير والثوري وزائدة، عن [المختار] [(3)] بن فلعل عن أنس قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً [(4)] .

وفي رواية الحميدي وسفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من يأخذ بملقة باب الجنة فأقعقعها فيفتحها الله [(5)] .
وفي رواية خلف بن هشام قال: أخبرنا عيسى بن ميمون عن عسل

في (دلائل البيهقي): 5 / 479، باختلاف يسير، وفيه: «عن جبهتي يوم القيامة ولا فخر» .
[(2)]

(المرجع السابق): 84 بنحوه، (دلائل أبي نعيم): 1 / 64، حديث رقم (24) وفيه: «الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأهني بيض مكنون أو لؤلؤ منثور» .
والبيض المكنون: المستور عن الأعين. ولفظهما فيه متقارب.

[(3)] في (خ): «المختال»، والتصويب من صحيح مسلم.

[(4)]

(مسلم بشرح النووي): 3 / 72، حديث رقم (330) من كتاب الإيمان، باب (85) في قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» .
[(5)] (مسند الحميدي): 2 / 506 - 507، حديث رقم (1204) . وأخرجه أيضاً الترمذي في آخر حديث الشفاعة، حديث رقم (3148) وقال في آخره: قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة:

«فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى

(228/3)

ابن سفيان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا [(1)] ، لواء [الكرامة] [(1)] يومئذ بيدي، يطوف علي ألف خادم كأهني لؤلؤ مكنون.
وله من طريق أبي داود الطيالسي وسليمان بن حرب قالوا: حدثنا حماد ابن سلمة، حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة قال: خطبنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على منبر البصرة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ولا فخر .
ورواه هشيم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع ولا فخر، وإن لواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر [(2)] .
ورواه سفيان بن عيينة عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال:
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، بيدي لواء

الحمد ولا فخر [(2)] .

وله من حديث زمعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله لي، وأنا سيد الأولين والآخرين من النبيين ولا فخر.

وله عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظرون، فخرج حتى دنا منهم، فسمعهم يتذكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلامه موسى تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم

[()] بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله.

والقعقة: حكاية حركة لشيء يسمع له صوت (لسان العرب): 286 / 8.

[(1)] سبأتي شرحة بعد قليل، وفي (خ): «بلسوا»، «الكرم» .

[(2)] سبق الإشارة إليه.

(229/3)

فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وهو كذلك، وموسى نجياً لله، وهو كذلك، وعيسى كلمته وروحه، وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله، وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة وتحت آدم ومن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق [باب] [(1)] الجنة فيفتح الله لي، فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، [و] [(1)] أنا أكرم الأولين والآخرين على الله عز وجل ولا فخر.

ورواه عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلت إلى الجن والإنس، [وإلى] [(2)] كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم دون الأنبياء، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً، ونصرت بالرعب أمامي شهراً، وأعطيت خواتيم سورة البقرة [(3)] وكانت من كنوز العرش، وخصصت بها دون الأنبياء، وأعطيت المثاني [(4)] مكان التوراة، [والمئين] [(5)] مكان الإنجيل، والحواميم [(6)] مكان الزبور، وفضلت بالمفصل، فأنا سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر، ويبيد لواء الحمد يوم القيامة، آدم وجميع الأنبياء من ولد آدم تحت ولا فخر، وإني مفاتيح الجنة يوم

القيامة ولا فخر، وبى تفتح الشفاعة يوم القيامة ولا فخر، وأنا سابق [(7)] الخلق

[(1)] زيادة للسياق، وأخرج الحاكم نحوه مختصراً في (المستدرک) : 2 / 629 حديث رقم (107 / 4098) .

[(2)] زيادة من (دلائل أبي نعيم) .

[(3)] وهي من قوله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ حَتَّى آخِرِ السُّورَةِ [من الآية 285 حتى الآية 286] .

[(4)] المثنائي: سورة الفاتحة، وسميت بالمثنائي لأنها تثنى وتقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة. قال تعالى:

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ [87: الحجر] .

[(5)] كذا في (خ) ، وفي رواية البيهقي في (الدلائل) ، لكن في رواية أبي نعيم في (الدلائل) : «والمائدة مكان الإنجيل» ، أي سورة المائدة. والمئين: أي السور التي أولها ما يلي سورة الكهف لزيادة كل منها على مائة آية.

[(6)] [الحواميم: السور التي أولها حم وهي سبع سور: [1] سورة غافر، [2] سورة فصلت، [3] سورة الشورى، [4] سورة الزخرف، [5] سورة الدخان، [6] سورة الجاثية، [7] سورة الأحقاف.

[(7)] في (خ) : «سابق» ، وهي رواية السيوطي في (الخصائص) .

(230/3)

إلى الجنة يوم القيامة ولا فخر، وأنا أمامهم وأمتي بالأثر [(1)] .

وفي رواية مردان بن معاوية عن يحيى اللخمي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لواء الحمد بيدي يوم القيامة، وأقرب الناس من لوائي العرب.

وله من حديث ابن هبة عن جعفر بن ربيعة عن صالح بن عطاء، عن عطاء عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا قائد المسلمين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا شافع ومشفع ولا فخر.

وله من حديث شريح بن النعمان قال: حدثنا عبد الله بن نافع عن عاصم ابن عمر، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: أنا أول من تنشق الأرض عنه ثم أبو بكر ثم عمر، ثم يأتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين [(2)] .

[(1)]

(دلائل أبي نعيم) : 1 / 65، حديث رقم (25) من الفصل الرابع: ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله بحياته، وتفرد بالسيادة لولد آدم في القيامة، وما فضل هو وأمته على سائر الأنبياء وجميع الأمم صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: «وأنا سائق الخلق..» . و (دلائل البيهقي) : 5 / 475، في باب ما جاء في تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمة ربه عز وجل لقوله تعالى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ، وما جاء في خصائصه على طريق الاختصار: أخبرنا أبو بكر بن فورك، أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المثني، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل» .

والسبع الطوال: من البقرة إلى براءة (التوبة) . والمفصل: من أول سورة الحجرات حتى آخر القرآن الكريم.

والحديث أخرجه الطبراني في الكبير، وأشار إليه السيوطي بالحسن.

[(2)] (المستدرک) : 2 / 505، حديث رقم (869 / 3732) : بدون قوله: «فأحشر بين الحرمين» ، وزاد في رواية (المستدرک) : «وتلا عبد الله بن عمر: يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ [ق: 44] قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ذكره في باب (50) تفسير سورة ق من كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين. و (دلائل أبي نعيم) : 1 / 66 حديث رقم (26) بمثله سواء.

(231/3)

وله من حديث حماد بن شعيب وزائدة وإسرائيل، كلهم عن عاصم عن زر ابن حبيش عن عبد الله قال: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن صاحبكم خليل الله، وإن محمدا سيد ولد آدم يوم القيامة،

ثم قرأ: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً [(1)] .

ورواه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن

صاحبكم خليل الله، وإن نبي الله أكرم الخلائق على الله يوم القيامة، ثم قرأ: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً [(2)] .

وله من حديث كثير بن زيد عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه [(3)] .

وفي رواية سعيد بن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد الخلائق يوم القيامة في اثني عشر نبيا، منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

[(1)] ونحوه باختلاف يسير بدون ذكر الآية في (المستدرک) : 2 / 550، حديث رقم (4018 / 27) ، ذكره في باب ذكر إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم خليل الله عز وجل، وبينه وبين نوح هود وصالح صلوات الله عليهما، من كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ونحوه في (المستدرک) : 1 / 652، 653، الأحاديث أرقام (3741) ، (3742) ، (3743) ، (3744) بسياقات متقاربة.

[(2)] أخرجه البيهقي في (الدلائل) : 5 / 485، وقال فيه: «وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أكرم الخلاق على الله..» ، والآية رقم 79: الإسراء.

[(3)] ونحوه بدون قوله: «فمن بعده المؤمنين» ، وقال فيه: «ومن دونه» ، في (دلائل أبي نعيم) :

1 / 64، حديث رقم (23) ، بدون الآية. ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري في (الجامع الصحيح) ، حديث رقم (3148) ، وقال: حديث حسن صحيح، (سنن الترمذي) : 5 / 288، كتاب (48) باب (18) . ورواه الإمام أحمد في (المسند) من حديث ابن عباس في الشفاعة، ورواه ابن ماجه في (السنن) : 2 / 1440، كتاب الزهد، باب (37) ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) . والترمذي أيضا في المناقب، حديث (3615) ، قال أبو عيسى: وفي الحديث قصة، وهذا حديث حسن صحيح، وقد روي بهذا الإسناد عن أبي نضرة، عن ابن عباس.

وفي رواية بديل بن المحبر قال: حدثنا عبد السلام بن عجلان قال: سمعت أبا يزيد المدني يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا بيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول شخص يدخل عليّ الجنة: فاطمة بنت محمد، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل [(1)] .

ورواه يعقوب الحضرمي عن عبد السلام عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عن هامته ولا فخر، وأنا أول مشفع ولا فخر، لواء الحمد بيدي يوم القيامة، حرم الله الجنة على كل آدمي يدخلها قبلي [(2)] .

وله من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أول من يرفع [رأسه] [(3)] بعد النفخة الأخيرة، فإذا موسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذاك كان أو بعد النفخة [(4)] ؟ .
ومن حديث شعيب عن الزهري قال: حدثني أبو سلمة وسعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق .

[(1)] [(دلائل أبي نعيم) : 66 / 1 ، حديث رقم (27) . وأخرجه الترمذي بسند آخر وقال: حديث غريب . وتوقف غيره في الاحتجاج به ثم قال: عن بديل بن المحبر، عن عبد السلام بن عجلان، عن أبي يزيد المدني، عن أبي هريرة ... ، فذكره، ثم قال: أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة عليها السلام .

[(2)]

وفي (صحيح مسلم بشرح النووي) : 3 / 73 - 74 ، كتاب الإيمان، باب (85) في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» ، حديث رقم (333) ،

حدثني عمرو الناقد، وزهير بن حرب قالوا: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن:

من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك .

وأخرجه البيهقي في (الدلائل) من حديث أنس بمثله سواء . (دلائل النبوة للبيهقي) : 5 / 480 .

[(3)] [زيادة للسياق .

[(4)]

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (43) النفخ في الصور، قال مجاهد: الصور كهيئة البوق، زجرة: صيحة، وقال ابن عباس: النافور الصور، الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية، حديث رقم (6517) : حدثني عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني إبراهيم بن سعد عن

(233/3)

[()] ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن الأعرج أنهما حدثاه أن أبا هريرة قال: «استبّ رجالان، رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. قال: فغضب المسلم عند ذلك، فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل» .

وحديث رقم (6518) : حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يصعق الناس حين يصعقون، فأكون أول من قام، فإذا موسى أخذ بالعرش، فما أدري أكان فيمن صعق» . رواه أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: «باب نفخ الصور» تكرر ذكره في القرآن الكريم، في الأنعام، والمؤمنين، والنمل، والزمر، وق، وغيرها، وهو بضم المهملة وسكون الواو، وثبت كذلك في القراءات المشهورة والأحاديث، وذكر عن الحسن البصري أنه قرأها بفتح الواو، جمع صورة، وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح.

وقال أبو عبيدة في (المجاز) : يقال: الصور- يعني بسكون الواو- جمع صورة، كما يقال: سور المدينة جمع سورة، قال الشاعر:

[فلما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة] فيستوي معنى القراءتين.

وحكى مثله الطبري عن قوم وزاد: كالصوف جمع صوفة، قالوا: والمراد النفخ في الصور وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح، كما قال تعالى: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، وتعقب قوله: «جمع»، بأن هذه أسماء أجناس لا جموع، وبالغ النحاس وغيره في الرد على التأويل، وقال الأزهري: إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة.

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : وقد أخرج أبو الشيخ في (كتاب العظمة) ، من طريق وهب بن منبه من قوله قال: خلق الله الصور من لؤلؤ بيضاء في صفاء الزجاج، ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به، ثم قال: كن، وكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور، فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة، ونفس منفوسة، فذكر الحديث وفيه: «ثم تجمع الأرواح كلها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه، فتدخل كل روح في جسدها» ، فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولاً، ليصل النفخ بالروح إلى الصور، وهي الأجساد، فإضافة النفخ إلى الصور الذي هو القرن، حقيقة، وإلى الصور التي هي الأجساد، مجاز.

قوله: «قال مجاهد: الصور كهيئة البوق» ، وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد، قال في قوله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ، قال كهيئة البوق، وقال صاحب الصحاح: البوق الذي يزم به، وهو معروف، ويقال للباطل، يعني يطلق ذلك عليه مجازاً، لكونه من جنس الباطل. قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : لا يلزم من كون الشيء مذموماً أن لا يشبهه به

(234/3)

وفي رواية محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا سفيان عن عمر بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الناس يصعقون [يوم القيامة] [(1)] فأكون أول من يفيق [(2)] .

[()] الممدوح، فقد وقع تشبيه صوت الوحي بصلصلة الجرس، مع النهي عن استصحاب الجرس، كما تقدم تقريره في بدء الوحي.

قوله: «قال ابن عباس: الناقور الصور» ، وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ قال: الصور، ومعنى نقر نفخ، قاله في الأساس.

وأخرج البيهقي من طريق أخرى عن ابن عباس في قوله تعالى: فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن» ؟ وللحاکم بسند حسن، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة رفعه «إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» . قوله: «الراجفة النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية» ، هو من تفسير ابن عباس، وصله الطبري وابن أبي حاتم بالسند المذكور، وقد تقدم بيانه في تفسير سورة النازعات، فليراجع هناك.

وإذا تقرر أن النفخة للخروج من القبور فكيف تسمعها الموتى؟ والجواب: يجوز أن تكون نفخة البعث تطول إلى أن يتكامل إحياءهم شيئاً بعد شيء، وتقدم الإلمام في قصة موسى مما ورد في تعيين من استثنى الله تعالى في قوله تعالى: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال ذكرهم الحافظ ابن حجر في (الفتح): 451 / 11 باب (43) من كتاب الرقاق فليراجع هناك.

[(1)] ما بين الحاصرتين تكملة من (دلائل أبي نعيم) .

[(2)] [(دلائل أبي نعيم) : 67 / 1 ، حديث رقم (28)] .

وخرّج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلّم قد لطم وجهه، فقال: يا محمد! إن رجلاً من الأنصار من أصحابك لطم وجهي، فقال: ادعوه، فدعوه، فقال: لم لطمت وجهه؟ قال: يا رسول الله، إني مررت باليهودي، فسمعتة يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت:

وعلى محمد؟ فأخذتني غضبة، فلطمته، فقال: لا تحيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري: أفاق قبلي، أو جوزي بصعقة الطور» .
وفي رواية: «فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ...»
وذكر نحوه.

رواه البخاري في (الخصومات) ، باب ما يذكر من الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، وفي (الأنبياء) ، باب قول الله تعالى: وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ، وفي تفسير سورة الأعراف، باب وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، وفي (الديات) ، باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب، وفي (التوحيد) ، باب وكان عرشه على الماء وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. ورواه مسلم في (الفضائل) ، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلّم.

(235/3)

وله من حديث يحيى الحماقى وحبان بن موسى قالاً: حدثنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا حبان [عن] يحيى بن سعيد التيمي قال: حدثني أبو زرعة عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نغسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم

القيامة. رواه مسلم [(1)] .

وفي رواية عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من ثريد فتناول الذراع - وكانت أحب الشاة إليه - فنهس نهمته ثم قال: أنا سيد الناس [(2)] يوم القيامة [(3)] .
ولأبي نعيم من حديث يحيى الحماني، حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان يوم القيامة، كنت إمام الناس يوم القيامة وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر [(4)] .
وله من حديث عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد بيدي، وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم [(5)] .

[(1)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (84) ، حديث رقم (327) وهو حديث

الشفاعة كاملاً، والبيهقي في (الدلائل) : 5 / 476.

قوله: «فنهس منها نهمته» ، هو بالسین المهملة. قال القاضي عياض: أكثر الرواة رووه بالمهملة، ووقع لابن ماهان بالمعجمة وكلاهما صحيح، بمعنى أخذ بأطراف أسنانه. قال الهروي: قال ابن عباس:

النهس بالمهملة بأطراف الأسنان، وبالمعجمة الأضراس.

قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد الناس يوم القيامة» ،

إنما قال هذا صلى الله عليه وسلم تحدثنا بنعمة الله تعالى، وقد أمره الله تعالى بهذا، ونصيحة لنا بتعريفنا حقه صلى الله عليه وسلم، قال القاضي عياض: السيد الذي يفوق قومه، والذي يفزع إليه في الشدائد، والنبي صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة، وإنما خصّ يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيه، وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه صلى الله عليه وسلم (مسلم بشرح النووي) : 3 / 66 - 67.

[(2)] ما بين الحاصرتين في (خ) : «سيد ولد آدم» وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

[(3)] (صحيح مسلم بشرح النووي) : 3 / 69، كتاب الإيمان باب (84) ، حديث رقم

(328) .

[(4)] أخرجه البيهقي في (الدلائل) : 5 / 481، والترمذي في (المنقب) باب (1) في فضل

النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (3613) ، وقال: هذا حديث حسن.

[(5)] سبق الإشارة إليه.

وله من حديث أبي عوانة عن أبي بشير، عن سعيد عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أنا سيد ولد آدم.

وله من حديث أحمد بن أبي ظبية عن أبيه عن عبد الله بن جابر عن عطاء عن أم كرز أنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا، وسابقهم [(1)] إذا وردوا، ومبشرهم إذا أبلسوا [(2)] ، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلسا من الرب تعالى إذا اجتمعوا، [أقوم] [(3)] ، فأتكلم فيصدقني، وأشفع فيشققني، وأسأل فيعطيني [(4)] .

وله من حديث الحرث بن أسامة قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، حدثنا إسرائيل عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: تصير الأمم يوم القيامة تجيء كل أمة نبيها فيرقاهم على كوم فيقول: يا فلان اشفع، فيردها بعضهم إلى بعض حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى عنه: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً [(5)] .

[(1)] كذا في (خ) : وفي (الخصائص) : 222 / 3 ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «وسائقهم» .

[(2)] أبلسوا: أسكتوا من الحزن، ومنه إبليس لعنه الله، وفي التنزيل: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ، لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ [12: الروم] ، [44: الأنعام] ، [77: المؤمنون] ، [75: الزخرف] ، [49: الروم] على الترتيب.

[(3)] في (خ) : «أقول» ، وما أثبتناه من رواية أبي نعيم.

[(4)] أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 67 / 1 ، الفصل الرابع، ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله تعالى بحياته، وتفرد به بالسيادة لولد آدم في القيامة، وما فضل به هو وأمه على سائر الأنبياء وجميع الأمم صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (29) . وقال السيوطي في (الخصائص) : 222 / 3 «أخرجه أبو نعيم عن أم كرز» .

[(5)] [79: الإسراء] ، وعسى، مدلولها في المحبوبات الترجي، فقيل: هي على بابها في الترجي تقديره لتكن على رجا من أن يبعثك. وقيل هي بمعنى كي، وينبغي أن يكون هذا تفسير معنى. والأجود أن هذه الترجية والإطماع بمعنى الوجود من الله تعالى، وهو متعلق من حيث المعنى بقوله: فَتَهْجَدُ. وعسى هنا تامة، وفاعلها أَنْ يَبْعَثَكَ، وربك فاعل يبعثك، ومقاما الظاهر أنه معمول

ليبعثك، هو مصدر من غير لفظ الفعل، لأن يبعثك بمعنى يقيمك، تقول: أقيم من قبره، وبعث من قبره. وقال ابن عطية: منصوب على الظرف أي في مقام

(237/3)

[()] محمود. وقيل: منصوب على الحال، أي ذا مقام محمود. وقيل: هو مصدر لفعل محذوف، التقدير فتقوم مقاما، ولا يجوز أن تكون عسى هنا ناقصة، وتقدم الخبر على الاسم فيكون ريك مرفوعا اسم عسى وأن يَبْعَثَكَ الخبر في موضع نصب بها، إلا في هذا الإعراب الأخير. وفي تفسير المقام المحمود أقوال:

أحدها: أنه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه صلى الله عليه وسلم، والحديث في الصحيح، وهي عدة من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الشفاعة يحمد أهل الجمع كلهم، في دعائه المشهور:

«وابعثه المقام المحمود الذي وعدته» واتفقوا على أن المراد منه الشفاعة.

الثاني: أنه في أمر شفاعته لأمته في إخراجهم لمذنبهم من النار، وهذه الشفاعة لا تكون إلا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار، وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء. وقد روي حديث الشفاعة وفي آخره: «حتى لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن»، أي وجب عليه الخلود.

قال: ثم تلا هذه الآية عسى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً.

وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال: «المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي» فظاهر هذا الكلام تخصيص شفاعته لأمته، وقد تأوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى، التي يحمد بها الخلق كلهم، على أن المراد لأمته وغيرهم، أو يقال: إن كل مقام منها محمود. الثالث: عن حذيفة: يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس، فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول:

لبيك وسعديك والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، لا منجأ ولا ملجأ إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت. قال: فهذا قوله تعالى: عسى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً.

الرابع: قال الزمخشري: معنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه، وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات (أ. هـ)، وهو قول حسن ولذلك نكر مقاماً

محموداً، فلم يتناول مقاما مخصوصا، بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ.

الخامس: ما قالت فرقة- منها مجاهد- وقد روي أيضا عن ابن عباس أن المقام المحمود هو أن يجلسه الله تعالى معه على العرش. وذكر الطبري في ذلك حديثنا، وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا. قال ابن عطية:

يعني من أنكر جوازه على تأويله. وقال أبو عمر ومجاهد: إن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم هذا أحدهما، والثاني تأويل إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ [22: القيامة] ، قال تنتظر الثواب ليس من النظر، وقد يؤول قوله معه على رفع محله وتشريفه على خلقه كقوله: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ [206: الأعراف] ، وقوله: ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا [11: التحريم] ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [69: العنكبوت] ، كل ذلك كناية عن المكانة لا عن المكان.

وقال الواحدي: هذا القول مروى عن ابن عباس وهو قول رذل، موحش، فظيع، لا يصح مثله عن ابن عباس، ونصّ الكتاب ينادي بفساده من وجوه: ...

(238/3)

ورواه البخاري من حديث أبي الأحوص عن آدم، وله من حديث أبي نعيم قال: حدثنا داود بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا قال: الشفاعة [(1)] .

ورواه إدریس الأودي عن أبيه مثله، قال الحافظ أبو نعيم: أحمد. وفيه عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وكعب بن مالك وجابر وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص في المقام المحمود [(1)] .

ورواه الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن رجل من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود [(1)] .

واعلم أن كل من خبرك عن نفسه بأمر يحتاج إلى علمه لو إخباره ما عرفته، فليس يقبح ذكره وإن اتصل بمدحه، وهذه العلة مدحت الأنبياء عليهم السلام أنفسهم مع تواضعها.

وخرج الحاكم من حديث إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا يزيد بن أبي حكيم، حدثنا الحكم بن أبان قال: سمعت عكرمة يقول: قال ابن عباس [رضي الله عنهما] [(2)] :

إن الله فضل محمدا على أهل السماء وفضله على أهل الأرض قالوا: [يا ابن عباس] [(2)] :

[()] الأول: أن البعث ضد الإجلال، بعث التارك، وبعث الله الميت أقامه من قبره، فتفسير البعث بالإجلال تفسير الضد بالضد.

الثاني: لو كان جالسا - تعالى - على العرش لكان محدودا متناهيا، فكان يكون محدثا.

الثالث: أنه قال: مقاما ولم يقل مقعدا محمودا، والمقام موضع القيام لا موضع القعود.

الرابع: أن الحمقى والجهال يقولون: إن أهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية، فلا مزية له بإجلاله معه! الخامس: إذا قيل: بعث السلطان فلانا، لا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه. (البحر المحيط) :

7 / 100 - 102، تفسير سورة الإسراء.

[(1)] أخرجه البيهقي في (الدلائل) : 5 / 484، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، تفسير

سورة الإسراء، حديث رقم (3137) 5 / 283 وقال: هذا حديث حسن.

[(2)] زيادة للسياق من (المستدرک) .

(239/3)

فيم [(1)] فضله على أهل السماء؟ قال: قال الله تعالى: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [(2)] ، وقال محمد: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [(3)] الآية، قالوا:

فيم [(1)] فضله الله على أهل الأرض؟ قال: إن الله تعالى قال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ [(4)] الآية، وقال محمد: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا [(5)] ، فأرسله إلى الجن والإنس. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، فإن الحكم بن أبان قد احتج به جماعة من أئمة الإسلام [أيضا] [(6)] [ولم يخرج الشيخان] [(7)] .

[(1)] كذا في (خ) : وفي المرجع السابق: «فبما» .

[(2)] الأنبياء: 29.

[(3)] الفتح: 1.

[(4)] إبراهيم: 4.

[(5)] سبأ: 28.

[(6)] زيادة في (خ) .

[(7)] تكملة من المستدرک. والحديث أخرجه الحاكم في (المستدرک) : 2 / 381، حديث رقم (472 / 3335) ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح. وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : 5 / 486-487 بالإسناد السابق..

والحكم بن أبان العدني أبو عيسى، روي عن عكرمة، وطاووس، وشهر بن حوشب، وإدريس ابن سنان بن بنت وهب، وغيرهم، وعنه ابنه إبراهيم، وابن عيينة، ومعمّر، ومات قبله، وابن جريج- وهو من أقرانه- ومعمّر بن سليمان، وابن عليّة، ويزيد بن أبي حكيم، وموسى بن عبد العزيز القنباري، وغيرهم.

قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال أبو زرعة: صالح، وقال العجلي: ثقة صاحب سنة، كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبته يذكر الله تعالى حتى يصبح. وقال سفيان بن عيينة: أتيت عدن فلم أر مثل الحكم بن أبان. وقال ابن عيينة: قدم علينا يوسف بن يعقوب قاصّ كان لأهل اليمن، وكان يذكر منه صلاح، فسألته عن الحكم بن أبان، قال: ذاك سيد أهل اليمن. قال أحمد: مات سنة (154) وهو ابن (84) سنة. ترجمته في: (تهذيب التهذيب) : 2 / 364، ترجمة رقم (736) ، (الثقات) : 6 / 185، (التاريخ الكبير) : 2 / 336، ترجمة رقم (662) .

(240/3)

فصل في ذكر المفاضلة بين المصطفى وبين إبراهيم الخليل صلوات الله عليهما وسلامه [(1)] اعلم أنه لما ثبتت سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأنه إمام الأنبياء والمرسلين وأفضلهم، قيل: فكيف طلب له من أمته من صلاة الله تعالى عليه ما لإبراهيم عليه السلام حين قالوا في صلواتهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ فافتضى هذا أن يكون إبراهيم أفضل من محمد صلى الله عليه وسلّم.

[(1)] قال الله عزّ وجلّ: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ [253: البقرة] ، فأخبره بأنه فاوت بينهم في الفضل، فأما الأخبار التي وردت في النهي عن التخيير بين الأنبياء فإنما هي في مجادلة أهل الكتاب في تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلّم على أنبيائهم عليهم السلام، لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين مختلفين لم يؤمن أن يخرج كل واحد منهما في تفضيل من يريد تفضيله إلى الإزراء بالآخر، فيكفر بذلك.

فأما إذا كانت المخايرة من مسلم يريد الوقوف على الأفضل، فيقابل بينهما ليظهر له رجحان

الأرجح، فليس هذا بمنهي عنه، لأن الرسل إذا كانوا متفاضلين، وكان فضل الأفضل يوجب له فضل حق، وكان الحق إذا وجب لا يهتدى إلى أدائه إلا بعد معرفته، ومعرفة مستحقه كانت إلى معرفة الأفضل حاجة، ووجب أن يكون لله عزّ وجلّ عليه دلالة، وطلب العلم المحتاج إليه من قبل إعلامه المنصوبة عليه ليس مما ينكر والله تعالى أعلم. وهذا قول أبو عبد الله الحلبي رحمه الله.

قال البيهقي: ومن تكلم في التفضيل ذكر في مراتب نبينا صلى الله عليه وسلّم وخصائصه وجوها لا يحتمل ذكرها بجمعها هذا الكتاب، ونحن نشير إلى وجه منها على طريق الاختصار. فمنها: أنه صلى الله عليه وسلّم كان رسول الثققلين الإنس والجن، وأنه خاتم الأنبياء. ومنها: أن شرف الرسول بالرسالة، ورسالته أشرف الرسالات بأنها نسخت ما تقدمها من الرسالات، ولا تأتي بعدها رسالة تنسخها.

ومنها: أن الله تبارك وتعالى أقسم بحياته صلى الله عليه وسلّم. ومنها: أنه جمع له بين إنزال الملك عليه أو إصعاده إلى مساكن الملائكة، وبين إسماعه كلام الملك، وإراءته إياه في صورته التي خلقه عليها، وجمع له بين إخباره عن الجنة والنار وإطلاعه عليهما، وصار العلم له، واقعا بالعالمين، دار التكليف ودار الجزاء عيانا. ومنها: قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلّم. ومنها: ما أخبر عن خصائصه التي يخصّه الله تعالى بها يوم القيامة، وهو المقام الحمود الذي وعده بقوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً [79: الإسراء].

(241/3)

قيل: قد اختلف طرق العلماء في الجواب عن ذلك، فقالت طائفة: هذه الصلاة علمها النبي صلى الله عليه وسلّم قبل أن يعرف أنه سيد ولد آدم، وردّ هذا بأن هذه هي الصلاة التي علمها أمته لما سأله عن تفسير قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [1] ، وجعلها مشروعة في الصلاة إلى يوم القيامة، وهو لم يزل أفضل ولد آدم قبل أن يعلم بذلك وبعده، فلما علم بأنه سيد ولد آدم لم يغيّر نظم الصلاة عليه التي علمها أمته، ولا أبدلها بغيرها، ولا روي عن أحد خلافها، [فصلح] [2] هذا الجواب. وقالت طائفة: هذا السؤال والطلب شرع ليتخذ الله خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، وقد أجابه الله تعالى إلى ذلك كما

ثبت في الصحيح: «ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن» [3] ،

يعني نفسه صلى الله عليه وسلم، وهذا القول من جنس ما قبله، فإن مضمونه أنه بعد أن اتخذ خليلاً لا تشرع الصلاة عليه على هذا الوجه، وهذا من أبطل الباطل.
وقالت طائفة أخرى: إنما هذا التشبيه راجع إلى المصلي فيما يصير له من ثواب الصلاة عليه، فطلب من ربه ثواباً وهو أن يصلي عليه كما صلى على إبراهيم، لا بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن المطلوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأعظم مما هو حاصل لغيره من العالمين، وردّ هذا: بأن التشبيه ليس فيما يحصل للمصلي، بل فيما يحصل للمصلي عليه، وهو النبي صلى الله عليه وسلم وآله، فمن قال: أن المعنى اللهم أعطني ثواب صلاتي عليه كما صليت على إبراهيم و [على] [(4)] آل إبراهيم فقد حرف الكلام

[()] ومنها: أن الله جلّ ثناؤه لم يخاطبه في القرآن إلا بالنبيّ أو الرسول، ودعا سائر الأنبياء بأسمائهم، وحين دعا الأعراب نبينا صلى الله عليه وسلم باسمه أو كنيته نهاهم عن ذلك، وقال: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً [63: النور] ، وأمرهم بتعظيمه وبتفخيمه، ونهاهم عن التقديم بين يديه، وعن رفع أصواتهم فوق صوته، وعاب من ناداه من وراء الحجرات، إلى غير ذلك مما يطول بشرحه الكتاب، وهو المذكور في كتب أهل الوعظ والتذكير.
ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء إعلاماً، وقد ذكر بعض المصنفين أن أعلام نبينا صلى الله عليه وسلم تبلغ ألفاً.
(دلائل البيهقي): 491 / 5، باب ما جاء في التخيير بين الأنبياء.

[(1)] [الأحزاب: 56].

[(2)] [في (خ) : «فطاح» ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(3)] [سبق الإشارة إليه.

[(4)] [زيادة للسياق.

(242/3)

وأبطل في كلامه.

وقالت طائفة: التشبيه عائد إلى الآل فقط، وتم الكلام عند قوله: اللهم صل على محمد، ثم قال: وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، فالصلاة المطلوبة لآل محمد هي المشبهة بالصلاة الحاصلة لإبراهيم، وهذا الجواب نقله العمري عن الشافعي، واستبعدت صحته عنه رحمه الله، فإنه

ورد في كثير من الأحاديث: «اللَّهُمَّ صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم» ،
وأيضاً فإنه لا يصح هذا الجواب من جهة العربية، فإن العامل إذا ذكر معموله وعطف عليه غيره،
ثم قيد بظرف أو جار أو مجرور أو مصدر أو صفة مصدر، كان ذلك راجعاً إلى المعمول وما
عطف عليه، هذا الذي لا تحتل العربية غيره.

فإذا قلت: جاءني زيد وعمرو يوم الجمعة، كان الظرف مقيداً بمجيئهما لا بمجيء أحدهما دون
الآخر، وكذلك إذا قلت: ضربت زيدا وعمرا ضرباً مؤلماً، وأمام الأمير، أو قلت: سلّم علي زيد
وعمرو يوم الجمعة.. ونحوه.

فإن قيل: هذا متجه إذا لم تعد العامل، فأما إذا أعيد العامل حسن ذلك، تقول: سلّم علي زيد
وعلي عمرو إذا لقيته لم يمنع أن تختص ذلك بعمرو دون زيد، وهنا قد أعيد العامل في قوله:
وعلي آل محمد، قيل: ليس هذا المثال بمطابق لمسألة الصلاة، وإنما المطابق أن تقول: سلّم علي
زيد وعلي عمرو كما تسلم على المؤمنين، ونحو ذلك، وحينئذ فادّعاء أن التشبيه بسلامه على
عمرو وحده دون زيد دعوى باطلة.

وقالت طائفة: لا يلزم أن يكون المشبه به أعلى من المشبه، بل يجوز أن يكونا متماثلين، وأن
يكون المشبه أعلى من المشبه به، قال هؤلاء: والنبى صلى الله عليه وسلّم أفضل من إبراهيم من
جهات غير الصلاة عليه وإن كانا متساويين في الصلاة، والدليل على أن المشبه قد يكون أفضل
من المشبه به قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وعورض هذا القول بوجوه من الرد:

أحدهما: أن هذا خلاف المعلوم من قاعدة تشبيه الشيء بالشيء، فإن العرب

(243/3)

لا تشبه الشيء إلا بما فوقه [(1)] .

الثاني: أن الصلاة من الله تعالى من أفضل المراتب وأجل وأتم من كل صلاة، تحصل لكل مخلوق
فلا يكون غيره مساوياً له فيها.

الثالث: أن الله تعالى أمر بما بعد أن أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، فأمر بالصلاة والسلام
عليه، وأكده بالتسليم، وهذا الخبر والأمر لم يشبههما لغيره في القرآن من المخلوقين.

الرابع:

أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير، وهذا لا

بتعلمهم الخير، فلما هداهم إلى خير الدنيا والآخرة وتسببوا بذلك إلى سعادتهم وفلاحهم، وذلك سبب دخولهم في جملة المؤمنين المهديين الذين يصلى عليهم الله وملائكته.

ومن المعلوم أنه لا أحد من معلمي الخير أفضل ولا أكثر تعليماً له من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أنصح لأمته ولا أصبر على تعليم الخير منه، ولهذا أنال أمته من تعليمه لهم ما لم تنله أمة من الأمم سواهم، وحصل للأمة من تعليمه من العلوم النافعة والأعمال الصالحة ما صارت به خير أمة أخرجت للعالمين، فكيف تكون الصلاة على هذا الرسول المعلم للخير مساوية في الصلاة على من لم يمثله في التعليم؟ وما يقول الشاعر على جواز كون المشبه به أفضل من المشبه، فلا يدل ذلك لأن قوله:

بنونا بنو أبائنا

إما أن يكون المبتدأ فيه مؤخراً والخبر مقدماً، ويكون قد شبه بنو أبائهم ببنيهم، وكان تقديم الخبر لظهور المعنى وعدم وقوع اللبس، وعلى هذا جاز على أصل التشبيه، وإما أن يكون من باب عكس التشبيه كما يشبه القمر بالوجه الكامل في حسنه، ويشبه الأسد الكامل في شجاعته، وعلى هذا فيكون الشاعر قد نزل

[(1)] ومع ذلك فقد ضرب الله تعالى مثلاً لنوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار [35: النور].

(244/3)

بني أبائهم منزلة بنيه وأنه لم يفرقهم عنده، ثم شبه بنيه بهم، وهذا قول طائفة من أهل المعاني. وظاهر البيت أن الشاعر لم يرد ذلك وإنما أراد التفريق بين بني بنيه وبين بني بناته، فأخبر أن بني بناته تتبع لأبائهم ليسوا بأبناء لنا، وإنما أبناؤنا بني أبائنا لا بنو بناتنا ولم يرد تشبيه بني بنيه ببنيهم ولا عكسه، وإنما أراد ما ذكرنا من المعنى، وهذا ظاهر.

وقالت طائفة: النبي صلى الله عليه وسلم له من الصلاة الخاصة التي لا تساويها صلاة من لم يشركه فيها أحد، والمستول له إنما هو صلاة زائدة على ما أعطيته مضافاً إليه، [وتكون تلك] [(1)] الزائدة [مشبهة] [(2)] بالصلاة على إبراهيم، وليس بمستنكر أن يسأل للفاضل فضيلة أعطيتها المفضول منضمًا إلى ما اختص به من هو من الفضل الذي لم يحصل لغيره. قالوا: ومثال ذلك أن يعطي السلطان رجلاً مالا عظيماً، ويعطي غيره دون ذلك فيسأل السلطان

أن يعطي صاحب المال الكثير مثل ما أعطي صاحب من هو دونه لينضم إلى ما أعطيه فيحصل له مثل مجموع العطاءين أكثر ما يحصل له من الكثير وحدة، وهذا جواب ضعيف، لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه، ولا ريب أن المطلوب من الله سبحانه وتعالى هو الصلاة المخبر بها لا ما هو دونها، وهو أكمل الصلاة عليه وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة، وعلى قول هؤلاء إنما يكون الطلب لصلاة مرجوحة لا راجحة، وإنما تصير راجحة بانضمامها إلى صلاة لم تطلب، ولا ريب في فساد ذلك، فإن الصلاة التي تطلبها الأمة له صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى هي أجلّ صلاة وأفضلها.

وقالت طائفة: التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة لا في قدرها ولا كقيمتها، إنما هو راجع إلى الهبة لا إلى قدرها، وهذا كما تقول للرجل: أحسن إلى أبيك كما أحسنت إلى فلان، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان وإنما تريد به أصل الإحسان.

[(1)] في (خ) : «ويكون ذنك» .

[(2)] في (خ) : «مشبهها» .

(245/3)

وقد يحتج لذلك بقوله تعالى: وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ [(1)] ، ولا ريب أنه لا يقدر أحد أن يحسن بقدر ما أحسن الله إليه، وإنما أريد به أصل الإحسان لا قدره.

ومنه قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ [(2)] ، وهذا التشبيه إنما هو في أصل الوحي لا في قدره وفضيلة الموحى به، وقوله تعالى: فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ [(3)] ، إنما مرادهم جنس الآية لا نظيرها.

وقوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ [(4)] ، ومعلوم أن كيفية الاستخلاف مختلفة، وإنما لهذه الأمة أكمل ما لغيرها.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [(5)] ، والتشبيه إنما هو في أصل الصوم لا في عينه وقدره وكيفيته.

وقال تعالى: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [(6)] ، ومعلوم تفاوت ما بين النشأة الأولى وهي المبتدأ، وبين الثانية وهي المعاد.

وقال تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا [(7)] ،

ومعلوم أن الشبيه في أصل الإرسال لا يقتضي تماثل الرسولية.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقنكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا» ،
فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره، ولا في كيفيته، ونظائر ذلك [كثير] .

[(1)] القصص: 77.

[(2)] النساء: 163.

[(3)] الأنبياء: 5.

[(4)] النور: 55.

[(5)] البقرة: 183.

[(6)] الأعراف: 29.

[(7)] المزمل: 16.

(246/3)

واعترض على هذا بوجوه:

أحدها: ما ذكروه يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى، فلو قلت: أحسن إلى ابنك وأهلك كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه، جاز ذلك.

ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة لحسن أن تقول: اللهم صل على محمد كما صليت على آل أبي أوفى، أو كما صليت على آحاد المؤمنين ونحوه، أو كما صليت على آدم ونوح، وهود ولوط، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا في صفتها، ولا فرق في ذلك بين كل من صلى عليه، وأيّ مزية في ذلك لإبراهيم وآله، وما الفائدة حينئذ. في ذكره وذكر آله، وكان الكافي في ذلك أن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط.

الثاني: أن الأمثلة المذكور ليست بنظير الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها نوعان: خبر وطلب، فما كان منها خبرا فالمقصود بالتشبيه الاستدلال والتقريب إلى الفهم، وتقريب ذلك الخبر وأنه لا ينبغي لعاقل إنكاره كنظيره المشبه به، فكيف تنكرون الإعادة وقد وقع الاعتراف بالبداءة وهي نظيرها، وحكم النظر حكم نظيره.

ولهذا يحتج سبحانه بالمبدأ على المعاد كثيرا، قال تعالى: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [(1)] ، وقال

تعالى: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ [(2)] ، وقال تعالى:
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ
بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [(3)] ، وهذا كثير في القرآن.
وكذلك قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا [(4)]
، أي كيف يقع الإنكار منكم وقد تقدم قبلكم رسل مني مبشرين ومنذرين، وقد علمتم حال من
عصى رسلي كيف أخذتم أخذًا وبيلًا.

[(1)] الأعراف: 29.

[(2)] الأنبياء: 104.

[(3)] يس: 78.

[(4)] المزمل: 16.

(247/3)

وكذلك قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ [(1)] الآية، أي لست أول رسول
طرق العالم، قد تقدمت قبلك رسل أوحيت إليهم كما أوحيت إليك كما قال تعالى: قُلْ مَا كُنْتُ
بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ [(2)] ، فهذا ردّ وإنكار على من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلّم مع
مجيئه صلى الله عليه وسلّم ولست من الأمور التي لم تطرق العالم، بل لم تخل الأرض من الرسل
وأثارهم، فرسولكم جاء على منهاج من تقدمه من الرسل في الرسالة لم يكن بدعا.
وكذلك قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [(3)] ، إخبارا عن عاداته سبحانه وتعالى في خلقه، وحكمته التي لا
تبدل لها، من آمن وعمل صالحا مكن له في الأرض واستخلفه فيها ولم يهلكه ويقطع دابره كما
أهلك من كذب رسله وخالفهم، وأخبرهم سبحانه وتعالى عن معاملته من آمن برسله وصدقهم،
وأنه لم يفعل بهم كما فعل بمن قبلهم من أتباع الرسل.
وهكذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما
يرزق الطير، تغدو خماسا وتروح بطانا» ،
إخبار بأنه سبحانه وتعالى يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون، وأنه لا يخلبهم من رزق قط
كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدو من أوكارها خماسا فيرزقها سبحانه وتعالى حتى ترجع بطانا
من رزقه، فأنتم أكرم على الله سبحانه وتعالى من الطير ومن سائر الحيوانات، فلو توكلتم عليه

سبحانه وتعالى لرزقكم من حيث لا تحتسبون، ولم يمنع أحدا منكم رزقه، هذا ما كان من قبيل الإخبار.

وأما في قسم الطلب والأمر، فالمقصود منه التشبيه على العلة وأن الجزاء من جنس العمل، فإذا قلت: علم كما علمك الله، وأحسن كما أحسن الله إليك، واعف كما عفا الله عنك.. ونحوه، كان في ذلك تنبيها للمأمور على شكر النعمة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه، وأنه حقيق أن يقابلها بمثلها ويقيدها بشكرها، وأن جزاء تلك النعمة من جنسها، ومعلوم أنه يمتنع خطاب الرب سبحانه وتعالى بشيء

[(1)] النساء: 163.

[(2)] الأحقاف: 9.

[(3)] النور: 55.

(248/3)

من ذلك، ولا يحسن في حقه، فيصير ذكر التشبيه لغوا لا فائدة فيه وهذا غير جائز.

الثالث: أن قوله: كما صليت على آل إبراهيم صفة لمصدر محذوف تقديره:

صلاة مثل صلاتك على آل إبراهيم، وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة مماثلة في الصلاة المشبهة بها، فلا تعدل عن حقيقة الكلام ووجهه.

وقالت طائفة: إن هذا التشبيه حاصل بالنسبة إلى كل صلاة من صلوات المصلين، فكل مصل صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة فقد طلب من الله تعالى أن يصلي على رسوله صلاة مثل الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، ولا ريب أنه إذا حصل من كل من طلب من الله مثل صلواته على آل إبراهيم حصل له من ذلك أضعافا مضاعفة من الصلاة لا تعد ولا تحصى، ولم يقاربه فيها صلى الله عليه وسلم أحد، فضلا عن أن يساويه أو يفضله صلى الله عليه وسلم. ونظير هذا: أن يعطى ملك لرجل ألف درهم فيسأله كل واحد منهم أن يعطيه ألفا، فيحصل له من الألواف بعدد كل واحد منهم، وأورد على هذا أن التشبيه حاصل بالنسبة إلى أصل هذه الصلاة المطلوبة وكل فرد من أفرادها، فالإشكال وارد كما هو، وتقديره أن العطية التي [يعطاها] الفاضل لا بد أن تكون أفضل من العطية التي يعطاها المفضول، فإذا سئل عطية دون ما يستحقه لم يكن لائقا بمنصبه.

وأجيب بأن هذا الإشكال إنما يرد إذا لم يكن الأمر للتكرار، فأما إذا كان الأمر للتكرار

فالمطلوب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه وتعالى له صلاة بعد صلاة، كل صلاة منها نظير ما حصل لإبراهيم، فيحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم من الصلوات ما لا يحصى مقداره بالنسبة إلى الصلاة الحاصلة لإبراهيم عليه السلام.

وردّ هذا الجواب بأن التشبيه إنما هو واقع في صلاة الله سبحانه وتعالى عليه، لا في صلاة المصلي عليه، ومعنى هذا الدعاء: اللّهُمَّ أعطه نظير ما أعطيت إبراهيم، فالمستول له صلى الله عليه وسلّم صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم عليه السلام، وكلما تكرر هذا السؤال كان هذا معناه، فيكون كل مصل قد سأل الله سبحانه وتعالى أن يصلي عليه صلاة دون التي يستحقها، وهذا السؤال والأمر به متكرر، فهل هذا إلا تقوية

(249/3)

لجانب الإشكال؟.

ثم إن التشبيه واقع في أصل الصلاة وأفرادها ولا يعني جوابكم عنه بقضية التكرار شيئاً، فإن التكرار لا يجعل جانب المشبه به أقوى من جانب المشبه كما هو مقتضى التشبيه، فلو كان التكرار يجعله كذلك لكان الاعتزاز به نافعا، بل التكرار يقتضي زيادة تفضيل المشبه وقوته، فكيف يشبه حينئذ بما هو دونه، فظهر ضعف هذا الجواب.

وقالت طائفة: آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليست في آل محمد مثلهم، فإذا طلب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل محمد من ذلك ما يليق بهم فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم عليه السلام ل محمد صلى الله عليه وسلّم فتحصل له بذلك من المزية صلى الله عليه وسلّم ما لم يحصل لغيره، وتقدير ذلك: أن تجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد صلى الله عليه وسلّم وآله.

ولا ريب أنه لا يحصل لآله صلى الله عليه وسلّم مثل ما حصل لآل إبراهيم عليه السلام وفيهم الأنبياء، بل يحصل لهم ما يليق بهم ويبقى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم مع الزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به صلى الله عليه وسلّم، فيصير الحاصل له صلى الله عليه وسلّم من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم عليه السلام، وهذا أحسن من كل ما تقدم.

وأحسن منه أن يقال: محمد صلى الله عليه وسلّم من آل إبراهيم بل هو خير آل إبراهيم، كما روي عن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [(1)] ، قال ابن عباس رضي الله عنه: محمد صلى الله عليه وسلم من آل إبراهيم عليه السلام، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فيكون قولنا: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم متناولا للصلاة عليه وعلى سائر الأنبياء الذين من ذرية إبراهيم، ثم قد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي عليه وعلى آله خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموما وهو فيهم،

[(1)] آل عمران: 34.

(250/3)

فيحصل لآله صلى الله عليه وسلم ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له صلى الله عليه وسلم. وتقدير ذلك: أنه يكون قد صلى عليه خصوصا، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم وهو داخل معهم، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له صلى الله عليه وسلم دونهم، فيطلب له صلى الله عليه وسلم هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً. وحينئذ تظهر فائدة التشبيه وجريه على أصله، وأن المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبه به، وله أوفر نصيب منه، صار له صلى الله عليه وسلم من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم عليه السلام وغيره، وتضاف إلى ذلك ما له من المشبه به من الخصة التي لم تحصل لغيره، فظهر بهذا من فضله صلى الله عليه وسلم وشرفه على إبراهيم عليه السلام وعلى كل من آله- وفيهم النبيون- ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له، وهي من موجباته ومقتضياته.

واعلم أن الأحاديث الواردة في الصلاة والواردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلها صريحة بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذكر آله، وأما في حق إبراهيم عليه السلام- وهو المشبه به- فإنما جاءت بذكر آل إبراهيم عليه السلام فقط دون ذكر إبراهيم، أو بذكره عليه السلام دون ذكر آله، ولم يجيء حديث صحيح فيه لفظ إبراهيم وآل إبراهيم كما تظاهرت على لفظ محمد وآل محمد، وبيانه أن أشهر الأحاديث الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت

على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»
، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد، وهذا لفظهم إلا
الترمذي فإنه قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم فقط، وكذا في
ذكر البركة ولم يذكر الآل، وهي رواية لأبي داود، وفي رواية: كما صليت على آل إبراهيم بذكر
الآل فقط، وكما باركت على إبراهيم
(بذكره فقط) .

(251/3)

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي: قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال:
«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على
محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». هذا هو اللفظ المشهور،
وقد روي فيه: «كما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم
بدون لفظ الآل في الموضوعين.

وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك،
فكيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل
إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» .
وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي
عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم
يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في
العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم» .

وقد روي هذا الحديث بلفظ آخر: بكما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم (لم يذكر
الآل فيهما) وفي رواية أخرى: كما صليت على إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم
بذكر إبراهيم عليه السلام وحده في الأولى، والآل فقط في الثانية، هذه هي الألفاظ المشهورة في
هذه الأحاديث المشهورة، أكثرها بلفظ آل إبراهيم في الموضوعين، وفي بعضها بلفظ آل إبراهيم
فيهما، وفي بعضها بلفظ إبراهيم في الأول والآل في الثاني، وفي بعضها عكسه.
وأما الجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم

فرواه البيهقي في سننه من حديث حبي بن السباق عن رجل من بني الحرث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه قال:] «إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد كما صليت

(252/3)

وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» .
وهذا إسناد ضعيف .

ورواه الدارقطني من حديث ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التميمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه فذكر الحديث وفيه: «اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» ،

ثم قال: هذا إسناد حسن متصل.

وفي النسائي من حديث موسى بن طلحة عن أبيه قال: قلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» ، ولكن رواه هكذا ورواه مقتصرًا فيه على ذكر إبراهيم في الموضعين.

وقد روي ابن ماجة حديثًا موقوفًا آخر عن ابن مسعود فيه إبراهيم وآل إبراهيم، قال في السنن: حدثنا الحسين بن بيان، حدثنا زياد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرّون لعل ذلك يعرض، قال: فقالوا له: فعلمنا، قال: قولوا: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعته مقاما محمودا يغبطه الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد،

وهذا حديث موقوف، وابن أبي فاختة اسمه نوير، قال يونس بن أبي إسحاق: كان رافضيا، وقال

ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال الدارقطني: متروك.
وعامة الأحاديث التي في الصحاح والسنن كما ذكرنا باقتصار على الآل وإبراهيم

(253/3)

في الموضوعين، أو الآل في إحداهما وإبراهيم في [الأخرى] [(1)] فحيث جاء ذكر إبراهيم وحده في الموضوعين فلأنه الأصل في الصلاة المخبر بها وآله تبعاً له عليه السلام فيها، فذلك ذكر المتبوع على التابع، واندرج فيه وأغنى عن ذكره، وحيث جاء ذكر آله فقط فلأنه داخل في آله كما تقرر في موضعه، فيكون ذكر آل إبراهيم عليه السلام مغنياً عن ذكره وذكر آله بلفظين، وحيث جاء في أحدهما ذكره عليه السلام فقط وفي الآخر ذكر آله فقط، كان ذلك جمعاً بين الأمرين فيكون ذكر المتبوع الذي هو الأصل، وذكر أتباعه بلفظ يدخل هو فيهم.
وأما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر آله فقد جاء بالافتقار دون الاقتصار على أحدهما في عامة الأحاديث، فلأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ذكرت في مقام الطلب والدعاء بخلاف الصلاة على إبراهيم عليه السلام، فإنها جاءت في مقام الخبر وذكر الواقع لأن قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» جملة طلبية، وقوله: «كما صليت على آل إبراهيم»

جملة خبرية، والجملة الطلبية إذا وقعت موقع الدعاء والسؤال كان بسطها وتطويلها أنسب من اختصارها وحذفها، ولهذا شرع تكرارها وإبداؤها وإعادة ما فاتها دعاء، والله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء، ولهذا تجد كثيراً من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها من بسط الألفاظ وذكر كل معنى بصريح لفظه دون الاكتفاء بدلالة اللفظ الآخر عليه، ما يشهد لذلك كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث علي الذي رواه مسلم في صحيحه: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» .

ومعلوم أنه لو قيل: اغفر لي كل ما صنعت كان أوجز، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدعاء والتضرع وإظهار العبودية والافتقار، واستحضار الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً أحسن أو بلغ من الإيجاز والاقتصار.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، سره وعلايته، أوله وآخره» .

وفي حديث آخر: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي

(254/3)

وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي» .

وهذا كثير في الأدعية المأثورة، فإن الدعاء عبودية لله سبحانه وتعالى وافتقار إليه، وتذلل بين يديه سبحانه وتعالى، فكلمة كثره العبد وطوله، وأعادته وأبدأه، ونوع جملته، كان ذلك أبلغ في عبوديته، وإظهار فقره، وتذللته وحاجته، فكان ذلك أقرب له من ربه سبحانه وتعالى وأعظم لثوابه.

وهذا بخلاف المخلوق، فإنك كلما كثرت سؤالك إياه وعددت له حوائجك أبرمتته وثقلت عليه وهنت في نفسه عنده، وكلما تركت سؤاله كنت أعظم عنده وأحب إليه، والله جل جلاله كلما سألته كنت أقرب إليه وأحب إليه، وكلما ألححت في الدعاء أحبك، ومن لم يسأل الله سبحانه وتعالى يغضب عليه، فالله سبحانه وتعالى يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب [(1)] ، فالمطلوب منه سبحانه وتعالى يزيد بزيادة الطلب وينقص بنقصانه.

وأما الخبر، فهو خبر عن أمر قد وقع وانقضى لا يحتمل الزيادة والنقصان، فلم تكن في زيادة اللفظ فيه كبير فائدة، ولا سيما والمقام ليس مقام إيضاح وتفهم المخاطب ليحسن معه البسط والإطناب، فكان الإيجاز والاختصار فيه أكمل وأحسن، فلهذا جاء فيه بلفظ إبراهيم تارة، ولفظ آله تارة أخرى، لأن كلا اللفظين يدل على ما يدل عليه الآخر من الوجه الذي تقدم ذكره، فكان المراد باللفظين واحدا مع الإيجاز والاختصار، بخلاف ما لو قيل: صل على محمد، لم يكن في هذا ما يدل على الصلاة على آله، إذ هو طلب ودعاء ينشأ بهذا اللفظ، ليس خبرا عن أمر قد وقع واستقر.

ولو قيل: صلى على آل محمد لكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما يصلي عليه ضمنا في العموم، فقيل: على محمد وعلى آل محمد ليحصل له صلى الله عليه وسلم بذلك الصلاة عليه بخصوصه،

[(1)] إشارة إلى قول الشاعر:

لا تسألنّ بنيّ آدم حاجة ... وسلّ الذي أبوابه لا تقضب
فالله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب
القضب: القطع. (لسان العرب) : 1 / 678.

والصلاة عليه صلى الله عليه وسلّم بدخوله في آله.

وهنا للناس طريقتان في مثل هذا، هل يقال: داخل في آله مع اقترانه بذكره فيكون قد ذكر مرتين: مرة بخصوصه ومرة في اللفظ العام، وعلى هذا فيكون قد صلى عليه مرتين خصوصا وعموما، وهذا على أصل من يقول: أن العام إذا ذكر بعد الخاص كان متناولا له أيضا، ويكون الخاص قد ذكر مرتين، وكذلك في ذكر الخاص بعض العام كقوله تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [(1)] ، وكذلك قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ [(2)] الآية، والطريق [الذي اختاره] [(3)] إلى ذكره بلفظ الخاص يدل على أنه غير داخل في اللفظ العام، فيكون ذكره بخصوصه مغنيا عن دخوله في العام، وعلى هذه الطريقة فيكون في ذلك فوائد:

الأولى [(4)] : أنه لما كان صلى الله عليه وسلّم من أشرف النوع العام أفرد صلى الله عليه وسلّم بلفظه يخصه صلى الله عليه وسلّم، فيكون في ذلك تنبيها على اختصاصه صلى الله عليه وسلّم ومزيتته على النوع الداخل في اللفظ العام.

الثانية: أنه يكون فيه تنبيه على أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلّم أصل، وأن الصلاة على آله تبع له، وأهم إنما نالوا ذلك بتبعيتهم له صلى الله عليه وسلّم.

الثالثة: أن إفراده صلى الله عليه وسلّم بالذكر يرفع عنه توهم التخصيص، وأنه لا يجوز أن يكون مخصوصا من اللفظ العام، بل هو مراد قطعا.

واعلم أن

قوله: «وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم» دعاء يتضمن إعطاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الخير ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لآل إبراهيم مع إدامة ذلك الخير وثبوتته له صلى الله عليه وسلّم ومضاعفته وزيادته، فإن هذا هو حقيقة البركة، وقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ [(5)] ، وقال تعالى فيه وفي

[(1)] البقرة: 98.

[(2)] الأحزاب: 7.

[(3)] زيادة للسياق.

[(4)] زيادة للسياق، وفي (خ) : «منها» .

[(5)] الصفات: 112 - 113.

(256/3)

أهل بيته: رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [(1)] ، وتأمل كيف جاء في القرآن: وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ [(2)] ، ولم يذكر إسماعيل، وجاء في التوراة ذكر البركة على إسماعيل ولم يذكر إسحاق، فقال بعد أن ذكر إسماعيل: وأنه سيلد اثني عشر عظيما ما حكايته سمعتك ها أنا باركته وأيمنته بما دامد أي بمحمد صلى الله عليه وسلّم، فجاء في التوراة ذكر البركة في إسماعيل إيذانا بما حصل لبنيه من الخير والبركة، ولا سيما خاتم بركتهم، وأعظمهم وأجلهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فنبههم سبحانه وتعالى بذلك على ما يكون في بني إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام من البركة العظيمة الموافية على لسان المبرك صلى الله عليه وسلّم.

وذكر لنا في القرآن الكريم بركته سبحانه وتعالى، منها ما حصل في أولاده من نبوة موسى وغيره، وما أوتوه من الكتاب والعلم، مستدعيا سبحانه وتعالى من عباده الإيمان بذلك والتصديق به، وأن لا يهملوا معرفة حقوق بيت إبراهيم عليه السلام، إذا هو البيت المبارك، وأهله أهل النبوة والعلم والكتاب.

ولا يقول القائل: هؤلاء أنبياء بني إسرائيل لا تعلق لنا بهم، فإنه يجب علينا معشر المسلمين احترامهم وتوقيرهم والإيمان بهم ومحبتهم، وموالاتهم والثناء عليهم، وصلوات الله عليهم وسلامه. ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خص الله سبحانه وتعالى أهله بخصائص منها: أن جعل فيهم النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبي إلا من أهل بيته.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى جعلهم أئمة يهدون بأمره تعالى إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة أولياء الله سبحانه وتعالى بعدهم فإنما دخل بدعوتهم من طريقهم.

ومنها: أنه اتخذ منهم سبحانه وتعالى الخليلين إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلّم، فبدأ هذا البيت بإبراهيم عليه السلام، وختمه بمحمد صلى الله عليه وسلّم، أنه من ولد إبراهيم

[(1)] هود: 73.

[(2)] الصفات: 113.

عليه السلام، قال تعالى: وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا [(1)] ،
وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» ،
ولم يكن لبيت من بيوت العالم مثل هذه الخصوصية.
ومنها: أنه سبحانه وتعالى جعل صاحب هذا البيت إماماً للعالمين، قال تعالى:
وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [(2)] .
ومنها: أنه سبحانه وتعالى أجرى على يديه بناء بيته الحرام الذي جعله قبلة للناس وحجاً لهم،
فكان ظهور هذا البيت الحرام من أهل هذا البيت الأكرمين، ومن تبحر في أحوال العالم علم أنه
كان في الدهر الغابر سبعة بيوت في الأرض يحج الناس إليها، لم يبلغ بيت منها عظمة هذا البيت
ولا بركته، ما منها إلا ما أباده الله وأبقى هذا البيت دونها، وزاده تشرifa وتكريماً وتعظيماً.
قال تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ [(3)] ، أي صير الله الكعبة قواماً
للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز ضعيفهم عن قويمهم، ومسيئهم عن محسنهم، وظالمهم
عن مظلومهم، فحجز سبحانه وتعالى بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض إذ لم يكن لهم قيام
غيره، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم، فجعل سبحانه وتعالى الكعبة والشهر الحرام قواماً
لمن كان يحترم ذلك من العرب، ويعظمه بمنزلة الرئيس الذي يقوم أمر أتباعه.
ومنها: أنه سبحانه وتعالى أخرج منهم الآيتين العظيمتين التي لم يخرج من أهل بيت غيرهم مثلهما،
وهما أمة موسى عليه السلام وأمة محمد صلى الله عليه وسلم، تمام سبعين أمة خيرها وأكرمها
على الله سبحانه وتعالى.

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى أبقى عليهم لسان صدق وثناء حسنا في العالم، فلا يذكرون إلا
بالثناء عليهم، والصلاة والسلام عليهم، قال تعالى: وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ*
كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ [(4)] .

[(1)] النساء: 125.

[(2)] البقرة: 124.

[(3)] المائدة: 97.

[(4)] الصافات الآيات: 108 – 110.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى جعل أهل هذا البيت فرقانا بين الناس، فالسعداء أتباعهم ومحبوهم ومن تولاهم، والأشقياء من أبغضهم وأعرض عنهم وعاداهم، فالجنة لهم ولأتباعهم، والنار لأعدائهم ومخالفيهم.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى جعل ذكرهم مقرونا بذكره تعالى، فيقال: إبراهيم خليل الله ورسوله ونبيه، وموسى كليم الله ورسوله، وعيسى روح الله وكلمته، ومحمد رسول الله، قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ [(1)]** ، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا ذكرت ذكرت معي، فيقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله في كلمة الإسلام وفي الأذان وفي الخطب وفي التشهد وغير ذلك.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى جعل خلاص خلقه من شقاء الدنيا والآخرة على أيدي أهل هذا البيت، فلهم على الناس من النعم ما لا يمكن إحصاؤها ولا جزاؤها، ولهم من المنن الجسام في رقاب الأولين والآخرين من أهل السعادة مع الأيادي العظام عندهم ما لا يمكن أن يجازيهم عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

ومنها: أن كل خير ونفع وعمل صالح وطاعة لله سبحانه وتعالى حصلت وكانت في العالم فلهم من الأجر مثل أجور عاملها فضيلة خصهم الله سبحانه وتعالى بها من بين أهل العالم.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى سد جميع الطرق بينه وبين البشر وأغلق دونهم الأبواب فلم يفتح لأحد إلا من طريقهم وبابهم، قال الجنيد رحمه الله: يقول الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: **وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك.**

ومنها: أنه سبحانه وتعالى خصهم من العلم بما لم يخص به أهل بيت سواهم، فلم يطرق العالم أهل بيت أعلم بالله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله، وثوابه وعقابه وشرعه، ومواقع رضاه وغضبه، وملائكته ومخلوقاته منهم،

[(1)] الشرح: 4.

(259/3)

فجمع سبحانه وتعالى لهم علم الأولين والآخرين.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى خصهم من توحيدته ومحبتة وقربه والاختصاص به بما لم يخص أهل بيت

سواهم.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى مكن لهم الأرض واستخلفهم فيها، وأطاع أهل الأرض لهم، ما لم يحصل لغيرهم.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى أيدهم ونصرهم وأظفرهم بأعدائهم وأعدائه ما لم يؤيد به غيرهم.
ومنها: أنه سبحانه وتعالى محابهم من آثار أهل الضلال والشرك، ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها، ما لم يحبه بسواهم.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سببا لبقاء العالم وحفظه، فلا يزال العالم باقيا ما دامت آثارهم باقية، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض فذاك أوان خراب العالم، قال سبحانه وتعالى: **جَعَلَ اللَّهُ الْكُفَّةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدْيَ وَالْقَلَانِدَ**، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: لو تركت الناس كلهم الحج لوقعت السماء على الأرض، وقال: لو ترك الناس الحج كلهم لما مطروا.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن في آخر الزمان يرفع الله بيته من الأرض وكلامه من المصاحف وصدور الرجال، فلا يبقى في الأرض بيت يحج ولا كلام يتلى، فحينئذ يقرب خراب العالم.

وهكذا الناس اليوم، إنما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعهم، وقيام أمورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم بحسب ظهورها بينهم وقيامها، وهلاكهم وحلول البلاء والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتحاد سواها.
ومن عرف حوادث الزمان فإنه يقف على أن البلاد التي سلط الله سبحانه وتعالى عليها من سلطه حتى أخرج البلاد وأهلك العباد، إنما كان سببه تعطيلهم لدينه بينهم

(260/3)

وشرائعهم، فكان ذلك انتقاما منهم بتسليط الله سبحانه وتعالى عليهم، وأن البلاد التي لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وشرائعهم فيها ظهور دفع الله سبحانه وتعالى عنهم بحسب ظهور ذلك بينهم.

وهذه الخصاص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى وبركاته على أهل هذا البيت الإبراهيمي، فلهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطلب له من الله سبحانه وتعالى أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على [آل] [(1)] هذا البيت المعظم.

ومن بركاته: أنه سبحانه وتعالى أظهر على أيديهم من بركات الدنيا والآخرة ما لم يظهره على أيدي

أهل بيت غيرهم.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى أعطاهم من خصائصهم ما لم يعط غيرهم، فمنهم من اتخذه خليلا [(2)] ، ومنهم الذبيح [(3)] ، ومنهم من كلمه تعالى تكليما [(4)] ، ومنهم من آتاه الله سبحانه وتعالى شطر الحسن وجعله من أكرم الناس عليه [(5)] ، ومنهم من آتاه الله سبحانه وتعالى ملكا لم يؤته أحدا غيره [(6)] .
ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أهل هذا البيت وذريتهم أخبر أن كلهم فضّله على العالمين [(7)]

ومن خصائصهم: بركاتهم على أهل الأرض [أنه] [(8)] يرفع العذاب عن سكان البسيطة بهم وبيعتهم، فإن عادة الله سبحانه وتعالى كانت في أمم الأنبياء الذين قبلهم أن يهلكهم إذا كذبوا أنبياءهم ورسله بعذاب يعمهم كلهم كما فعل بقوم نوح إذ أغرق الأرض كلها وأهلك من عليها بالطوفان إلا أصحاب السفينة [(9)] ، وكما

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] إبراهيم عليه السلام.

[(3)] إسحاق أو إسماعيل على خلاف بين أهل التفسير فليراجع هناك.

[(4)] موسى عليه السلام.

[(5)] يوسف عليه السلام.

[(6)] سليمان عليه السلام.

[(7)] إشارة إلى قوله تعالى: وَكَلَّا فَضَّلْنَا عَلَيَّ الْعَالَمِينَ [86: الأنعام] .

[(8)] زيادة للسياق.

[(9)] إشارة إلى قوله تعالى: فَأَجْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ [15: العنكبوت] .

(261/3)

فعل تعالى بقوم هود إذ أهلك عادا بريح دمّرتهم كلهم [(1)] ما تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ [(2)] ، وكما فعل سبحانه وتعالى بقوم صالح: فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ

[(3)] ، وكما فعل تعالى بقوم لوط جعل مدائنهم عاليها سافلها [(4)] ، فلما أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة والإنجيل والزيور والقرآن، رفع بنزولها العذاب العام عن أهل الأرض، وأمر

سبحانه وتعالى بجهد من كذبها وخالفها، فكان ذلك نصرة لأهل دينه بأيديهم، وشفاء لصدورهم واتخاذ الشهداء منهم، وإهلاك عدو الله بأيديهم لتحصل [نصرته] سبحانه وتعالى على أيديهم. وحق لأهل بيت هذا من بعض فضائلهم وخصائصهم أن لا تزال الألسنة رطبة بالصلاة عليهم والسلام، والثناء والتعظيم، ولا تزال القلوب ممتلئة من محبتهم وتوقيرهم وإجلالهم، وليعلم المصلي عليهم أنه لو صرف أنفاسه كلها في الصلاة عليهم لما وفى القليل من حقهم، فجزاهم الله سبحانه وتعالى [عنا] [(5)] أفضل الجزاء، وزادهم في الملاء الأعلى تعظيماً وتشريفاً، ومهابة وتكريماً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

-
- [(1)] إشارة إلى قوله تعالى: **وَإِذْ كُرِّأَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ [21: الأحقاف] .**
- [(2)] الذاريات: 42.
- [(3)] الأعراف: 78.
- [(4)] إشارة إلى قوله تعالى: **فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ [الحجر: 74] .**
- [(5)] زيادة للسياق.

(262/3)

وأما اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالشفاعة [(1)] العظمى يوم الفزع [(2)] الأكبر قال الله تعالى: **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ [(3)] ، قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم: قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم.** وعن أبي سعيد الخدري: هي شفاعة نبيهم محمد، وهو شفيع صدق عند ربهم.

[(1)] الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصر له ومسائلاً عنه. وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة في القيامة، قال تعالى: **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ [48]:**

المدثر] ، أي لا تشفع لهم.

وقوله: **مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا [85: النساء] ، أي من انضم إلى غيره**

وعاونه، وصار شفعا له أو شفيعا في فعل الخير أو الشر وقواه، شاركه في نفعه وضره.
وقيل الشفاعة ها هنا: أن يشرع الإنسان لآخر طريق خير أو طريق شرّ، فيقتدي به، فصار كأنه
شفع له، وذلك كما

قال النبي صلى الله عليه وسلّم: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» . [رواه
مسلم مطولا] .

وقوله تعالى: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ [3: يونس] ، أي يدبر الأمر وحده لا ثاني
له في فصل الأمر، إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه.
واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي إليه. وشفعه: أجاز شفاعته. ومنه الحديث: «القرآن
شافع مشفع» . [رواه ابن حبان] . وإن فلانا ليستشفع به. قال الشاعر:

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : 328-329.

[(2)] الفزع: الذعر والفرق. وربما جمع على الأفزاع، وإن كان مصدرا يقال: فزع- بالكسر-:
خفا.

قال تعالى: وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمِنْدٍ آمِنُونَ [89: النمل] . وفزع أيضا: استغاث. والإفزاع:
الإخافة والإغاثة.

والنفرع من الأضداد، يقال: فزعه إذا أخافه. وفزع عنه: كشف عنه الفزع. قال تعالى: حَتَّىٰ إِذَا
فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ [23: سبأ] ، أي كشف عنها الفزع. (المرجع السابق) : 4 / 191.
[(3)] يونس: 2.

(263/3)

خرج البخاري وأبو داود من حديث مسدد قال: حدثنا يحيى عن الحسن بن ذكوان قال: حدثنا
أيوب قال: حدثني عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: يخرج
قوم فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميون. ذكره البخاري في الرقاق في باب صفة الجنة والنار،
وذكره أبو داود في كتاب السنة في باب الشفاعة
ولفظهما فيه سواء [(1)] .

وخرج البخاري من حديث همام عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلّم قال: يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة، فيسميهم
أهل الجنة الجهنميون [(1)] . ذكره في الرقاق في كتاب التوحيد في باب قوله تعالى: إِنَّ رَحْمَتَ

اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [(2)] .

[و] من حديث هشام عن قتادة عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليصيبين أقواما سفح من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضل رحمته يقال لهم: الجهنميون [(3)] .

وللترمذي من طريق عن الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه [(4)] .

وله من حديث سعيد عن قتادة عن أبي المليح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف

[(1)] سبق الإشارة إليه وشرحه.

[(2)] الأعراف: 56.

[(3)] سبق الإشارة إليه.

[(4)] رواه الترمذي رقم (2437) في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، وأبو داود رقم (4739) في السنة، باب في الشفاعة، ورواه أيضا ابن ماجه رقم (4310) في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وهو حديث صحيح، وأخرجه الترمذي أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مثله، وزاد فيه: قال الراوي: فقال لي جابر: «يا محمد! من لم يكن من أهل الكبائر، فما له وللشفاعة؟» رقم (2438) في صفة القيامة، باب رقم (12) وهو حديث حسن.

(264/3)

أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا [(1)] .
وخرج أبو بشر بن محمد بن أحمد بن حماد الدولابي من حديث محمد بن عوف ابن سفيان الطائي قال: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: حدثنا أنس بن مالك عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أريت ما [يلقى] [(2)] [(2)] أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض، [فأحزني وشق ذلك عليّ] [(3)] ، وسبق ذلك من الله [تعالى] [(3)] كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته [أن يولي الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل] [(4)] .

وخرج مسلم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابرا رضي الله

عنه يقول: سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بأذنه يقول: إن الله تبارك وتعالى يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة [(5)] .

وخرج من حديث حماد بن زيد قال: قلت لعمر بن دينار: أسمع جابر ابن عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة؟

[(1)] حديث رقم (2443) في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، وإسناده حسن، وفي (خ) :

«وهي لمن مات» ، وفي الترمذي: «وهي نائلة من مات..» .

[(2)] في (خ) : «تلقى» .

[(3)] ما بين الحاصرتين زيادة عن رواية (المستدرک) .

[(4)]

كذا في (خ) ، وفي (المستدرک) : «فسألته أن يولياني الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل» .
والحديث رواه الحاكم في (المستدرک) : 1 / 138 - 139 ، حديث رقم (227 / 228) من كتاب الإيمان وقال في آخره: هذا حديث حسن صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والعلة عندهما فيه أن أبا اليمان حدّث به مرتين، فقال مرة: عن شعيب، عن الزهري، عن أنس، وقال مرة:

عن شعيب، عن ابن أبي حسين، عن أنس.. وقد قدمنا القول في مثل هذا أنه لا ينكر أن يكون الحديث عند إمام من الأئمة عن شيخين، فمرة يحدث به هذا، ومرة عن ذلك. وقد حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن عمر، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا إبراهيم بن هانئ النيسابوري قال:

قال لنا أبو اليمان: الحديث حديث الزهري والذي حدثكم عن ابن أبي حسين غلظت فيه بورقة قلبتها.

قال الحاكم: هذا كالأخذ باليد، فإن إبراهيم بن هانئ ثقة مأمون. وقال الذهبي في (التلخيص) بنحو كلام الحاكم.

[(5)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (84) ، حديث رقم (317) .

(265/3)

قال: نعم [(1)] .

وخرجه البخاري من حديث حماد عن عمرو عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار [قوم] [(2)] بالشفاعة كأهم الثعابر، قلنا: ما الثعابر؟ قال:

الضغابيس» [وفي رواية] [(2)] : «إن الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة» وفي أخرى: «إن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة» [(3)] .

وخرج من حديث حماد، عن عمرو، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار بالشفاعة كأهم الثعابر» . قلت: وما الثعابر؟

قال: الضغابيس. وكان قد سقط فمه، فقلت لعمرو [بن دينار] [(3)] : أبا محمد، سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج بالشفاعة من النار» ؟ قال: نعم [(4)] . ذكره في كتاب الرقاق.

ومسلم من حديث أبي أحمد الزبيري، حدثنا قيس بن سليم العنبري، قال: حدثني يزيد الفقير، حدثنا جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أم قوما يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة» [(5)] .

[(1)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (84) ، من حديث رقم (318) . وكلاهما في (مسلم بشرح النووي) : 51 / 3 .

[(2)] زيادة للسياق من (جامع الأصول) : 550 / 10 ، و (الثعابر) : صغار القثاء، وهي الضغابيس أيضا، واللفظة بالثاء المعجمة والعين المهملة. وذكرها الهروي في حرف الغين المعجمة، وبعدها الراء المهملة، وبعدها الزاي المعجمة «كما تنبت الثعابيز» والثناء معجمة بنقطتين من فوق قبل الغين، وقال:

هي فسيل النخل إذا حولت من موضع إلى موضع فغرزت فيه، الواحدة تغريز وتنبيت. وقال مثله في التقدير: التناوير، لنور الشجر، والتقاصيب لما قصب من الشعر. قال: وقد رويت «الثعابر» يعني الأول، والوجه الأول، وهو الرواية، وتعضده الرواية الأخرى التي قال فيها: «الضغابيس» .

[(3)] ما بين الحاصرتين تكملة من (جامع الأصول) ، والحديث أخرجه البخاري في الرقاق باب (51) ، حديث رقم (6558) ، ومسلم في الإيمان، باب (84) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (317) ، (318) .

[(4)] انظر التعليق السابق.

[(5)] أخرجه مسلم في الإيمان، باب (84) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (319) .

وله من حديث ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال: «نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا، انظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كالليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم، كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بقاء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حرقه، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها» [(1)] .

[قال كاتبه: هكذا وقع في رواية هذا الحديث «عن كذا وكذا، انظر» .

وقال الحفاظ: هو كلام فاسد غير مستقيم، وصوابه: «على كوم»، وهو جمع كومة، وهو المكان المشرف، أي نحن فوق الناس، فلم يذكر المؤلف اللفظة أو المكنى عنه، فكفى عنها بكذا وكذا، وفسرها بقوله: «أي ذلك فوق الناس»، وقوله: «انظر» أي تأمل هذا الموضوع واستثبت فيه، فظنه الناسخ من الحديث

[(1)] [المرجع السابق] ، حديث رقم (316) قوله: «حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حرقه ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها» ، وهكذا هو في جميع الأصول ببلادنا «نبات الشيء» ، وكذا نقله القاضي عياض عن رواية الأكثرين، وعن بعض رواة مسلم «نبات الدمن» ، يعني بكسر الدال وإسكان الميم، وهذه الرواية هي الموجودة في (الجمع بين الصحيحين) لعبد الحق، وكلاهما صحيح، لكن الأول هو المشهور الظاهر، وهو بمعنى الروايات السابقة «نبات الحبة في حميل السيل»، وأما «نبات الدمن» فمعناها أيضا كذلك، فإن الدمن البعر، والتقدير: نبات ذي الدمن في السيل، أي كما ينبت الشيء الحاصل في البعر، والغناء الموجود في أطراف النهر، والمراد التشبيه به في السرعة والنضارة، وقد أشار صاحب (المطالع) إلى تصحيح هذه الرواية، ولكن لم ينقح الكلام في تحقيقها، بل قال: عندي أنها رواية صحيحة، ومعناه سرعة نبات الدمن مع ضعف ما ينبت فيه، وحسن منظره. والله تعالى أعلم.

(مسلم بشرح النووي): 3/ 50-51.

فألحقه بمنته، ولا يخفى ما فيه من التخليط] [(1)] .
[وقال الشيخ محيي الدين النووي: «... هكذا في جميع الأصول من صحيح مسلم، واتفق
المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف»] [(1)] .
[وقال الحافظ عبد الحق في كتابه (الجمع بين الصحيحين): «هذا الذي وقع في كتاب مسلم
تخليط»] [(1)] .
[وقال القاضي عياض: «هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف»] [(1)] .
[وفي طريق ابن أبي خيثمة من حديث أنس بن مالك: «يحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتي
على تل»] [(1)] .
[وفي رواية: «يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل» ،
قال القاضي عياض: «... فجمع النقلة الكلّ ونسّقه على أنه من متن الحديث كما تراه....
وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين»] [(1)] .
وخرج من حديث محمد بن [بشر] [(2)] حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال:
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نُهسة
فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك [(3)] ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين
والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي [(4)] ، وينفذهم البصر [(4)] ، وتدنو
الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس
لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون، من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض:
انتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون:
يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة

[(1)] ما بين الحاصرتين غير واضح في التصوير الميكروفيلمي للمخطوطة (خ) ، وقد قمنا
بصياغة هذه العبارات بحيث تفيد المعنى الذي أراده المصنف من خلال الأجزاء الواضحة في
الميكروفيلم.

[(2)] في (خ) : «عبيد» .

[(3)] في (خ) : «بم يجمع» .

[(4)] في (خ) : «فيبصرهم الناظر» ، «ويسمعهم الداعي» .

فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟.
فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نُهاني
عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.
فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وسَمَّاكَ اللهُ عبدا شكورا، اشفع لنا
إلى ربك، لا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟
فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد
كانت لي دعوة دعوت بها، على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلّم.
فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما
نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم:
إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي
نفسى، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى صلى الله عليه وسلّم فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله فضَّلِكَ اللهُ برسالاته
وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم
موسى صلى الله عليه وسلّم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب
بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه
وسلّم.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهدي، وكلمة منه ألقاها إلى
مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم صلى
الله عليه وسلّم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم
يذكر له ذنبا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلّم.
فيأتون فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر لك

ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟
فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده، وحسن الثناء
عليه، شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال:

يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمي أمي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصرعين [(1)] من مصاريع الجنة، لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى [(2)] .

[(1)] المصرعان- بكسر الميم- جانبا الباب، وهجر- بفتح الهاء والجيم- مدينة عظيمة، هي قاعدة بلاد البحرين، وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث «إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر» ، تلك قرية من قرى المدينة، كانت القلال تصنع بها، وهي غير مصروفة. (مسلم بشرح النووي) : 69 / 3، (معجم البلدان) موضع رقم (12637) .

[(2)] [بصرى- بضم الباء- مدينة معروفة، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وهي مدينة حوران، وبينها وبين مكة شهر (المرجع السابق) ، (معجم البلدان) موضع رقم (1949) .
والحديث أخرجه مسلم في الإيمان، باب (84) ، حديث رقم (327) ، قوله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر» ،

أما الصعيد فهو الأرض الواسعة المستوية، وأما ينفذهم البصر، فهو بفتح الياء وبالذال المعجمة، وذكر الهروي وصاحب (المطالع) وغيرهما، أنه روي بضم الياء، وفتحها، قال صاحب (المطالع) : رواه الأكترون بالفتح، وبعضهم بالضم.

وأما معناه، فقال الهروي: قال أبو عبيد: معناه ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى، حتى يأتي عليهم كلهم. وقال غير أبي عبيد: أراد تحرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد، والله تبارك وتعالى قد أحاط الناس أولا وآخرا. هذا كلام الهروي.

وقال صاحب (المطالع) : معناه أنه يحيط بهم الناظر، لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض، أي ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين. قال: وهذا أولى من قول أبي عبيد: يأتي عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى، لأن رؤية الله تعالى تحيط بجميعهم في كل حال، في الصعيد المستوي وغيره، هذا قول صاحب (المطالع) .

قال الإمام أبو السعادات الجزري بعد أن ذكر الخلاف بين أبي عبيد وغيره، في أن المراد بصر الرحمن سبحانه وتعالى، أو بصر الناظر من الخلق: قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة، وإنما هو بالمهملة، أي يبلغ أولهم وآخرهم، حتى يراهم كلهم ويستوعبهم، من نفذ الشيء وأنفدته.

قال: وحمل الحديث على بصر الناظر أولى من حمله على بصر الرحمن تبارك وتعالى. مختصرا من (مسلم بشرح النووي) : 3 / 67-68 .

ولمسلم من حديث عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع، وكانت أحب الشاة إليه، فنهس نهمته فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم نهس أخرى فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال: ألا تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين، وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة. وزاد في قصة إبراهيم فقال: وذكر قوله في الكوكب: هذا ربي، وقوله لأهنتهم: بل فعل كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم. قال: والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة، قال: لا أدري أي ذلك قال [(1)] .

وله من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم، عن أبي هريرة، وأبو مالك عن ربي [بن خراش] [(2)] ، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون، يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم:

لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء [(3)] أعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم، الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم: لست بصاحب ذلك.

[(1)] (المرجع السابق): 3 / 69-70، حديث رقم (328) .

[(2)] [زيادة للنسب من (خ)] .

[(3)]

قوله: «إنما كنت خليلاً من وراء وراء» ،

قال صاحب (التحريف): هذه الكلمة تذكر على سبيل التواضع، أي لست لتلك الدرجة الرفيعة، قال: وقع لي معنى مליح فيه، وهو أن معناه أن المكارم التي أعطيتها كانت بوساطة سفارة جبريل عليه السلام، ولكن اتوا موسى فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة، قال: وإنما كرر «وراء وراء» ، لكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حصل له السماع بغير واسطة، وحصل له الرواية، فقال إبراهيم عليه السلام: أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم. هذا كلام صاحب التحريف، وأما ضبط «وراء وراء» ، فالمشهور فيه الفتح فيهما

بلا تنوين، ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم، على خلاف بين أهل اللغة، فليراجع في
مطانه.

(المرجع السابق) .

(271/3)

فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلّم، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم [(1)] ، فتقومان
جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كمرّ
البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشدّ
الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم [قائم] [(2)] على الصراط، يقول: ربّ سلّم سلّم، حتى
تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا.
قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس
في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون خريفا [(3)] .
وخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن أنس، عن عمرو بن يحيى بن عمارة، قال: حدثني
أبي، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة،
يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار،

[(1)] وأما إرسال الأمانة والرحم، فهو لعظم أمرهما، وكثير موقعهما، فتصوران مشخصتين
على الصفة التي يريدتها الله تعالى، قال صاحب (التحرير): في الكلام اختصار، والسامع فهم
أنهم تقومان لتطالبيا كل من يريد الجواز بحقهما. (المرجع السابق) .
[(2)] في (خ): «ونبيم على الصراط»، وما أثبتناه من (المرجع السابق) قوله: «فيمر أولهم
كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم»، أما شدّ الرجال فهو بالجيم
جمع رجل، هذا هو الصحيح المعروف المشهور.
ونقل القاضي أنه في رواية ابن ماهان بالحاء، قال القاضي: وهما متقاربان في المعنى، وشدّها:
عدوها البالغ وجريها.

وأما قوله صلى الله عليه وسلّم: «تجري بهم أعمالهم»،
فهو كالتفسير،

لقوله صلى الله عليه وسلّم، «فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح.. إلخ»
معناه أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم.

قوله: «والذي نفس أبي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعون خريفا» ، هكذا هو في بعض الأصول «لسبعون» بالواو، وهذا ظاهر، وفيه حذف تقديره أن مسافة قعر جهنم سير سبعين سنة، ووقع في بعض الأصول والروايات: لسبعين بالياء، وهو صحيح أيضا، أما على مذهب من يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه على جره، فيكون التقدير سير سبعين.
وأما على أن قعر جهنم مصدر، قال: قعرت الشيء إذا بلغت قعره، ويكون «سبعين» ظرف زمان، وفيه خبر «أن» ، التقدير أن بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفا، والخريف السنة. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق) .

[(3)] والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (84) ، حديث رقم (329) ، وفي (خ) بعد قوله: وراء وراء» «اعمدوا إلى ابني إبراهيم خليل الله» ، وهو تكرار من الناسخ.

(272/3)

ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حمما قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟ هذا لفظ مسلم، وعند البخاري: «فيخرجون منها قد اسودوا، وقال: «من خردل من خير» [(1)] .
وأخرجه من حديث وهيب، حدثنا حجاج بن الشاعر، حدثنا عمرو ابن عون، أخبرنا خالد، كلاهما عن عمرو بن يحيى بهذا الإسناد [وقالا] [(2)] : فيلقون في نهر يقال له: الحياة، ولم يشكّا، وفي حديث خالد: كما تبت الغنائة في جانب السيل، وفي حديث وهيب: كما تبت الحبة في حمئة أو حميلة السيل [(3)] ، [ذكره البخاري في باب صفة الجنة والنار، وذكره مسلم في باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحد من النار] .
وخرج مسلم من حدث بشر بن المفضل عن أبي مسلمة عن أبي نصره عن أبي سعيد [الخدري] [(4)] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال:
- بخطاياهم - فأماهم [الله] [(4)] إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة [(5)] فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أثمار الجنة، ثم قيل [(6)] : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل،
فقال رجل من القوم: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية [(7)] .

[(1)] رواه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار حديث رقم (6560) ، ومسلم في الإيمان باب (84) أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

[(2)] في (خ) : «وقال» .

[(3)] ذكره مسلم في كتاب الإيمان باب (82) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم (305) ، والبخاري كما في تعليق (7) .

[(4)] زيادة من (خ) .

[(5)] في (خ) : «في الشفاعة» .

[(6)] في (خ) : «فقييل» .

[(7)]

أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (82) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، حديث رقم (304) ، قوله صلى الله عليه وسلم: «فأماهم» ، أي أماهم إمامة، وحذف للعلم به، وفي بعض النسخ «فأماهم» بتاءين، أي أماتهم النار ...

(273/3)

وخرج البخاري ومسلم من حديث حماد بن زيد، أخبرنا معبد بن هلال الغزي قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وتشفعنا بثابت فانتبهنا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره فقال له [ثابت] [(1)] : يا أبا حمزة، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(1)] قال: إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم [صلى الله عليه وسلم] [(1)] فيقولون [(2)] : اشفع لذريتك فيقول: لست لها، ولكن عليكم إبراهيم [عليه السلام] [(3)] فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول: لست لها [بأهل] [(4)] ، ولكن عليكم موسى [عليه السلام] [(3)] فإنه كليم الله، فيؤتى موسى صلى الله عليه وسلم فيقول: لست لها، ولكن

[()] وأما معنى الحديث، فالظاهر أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها، كما قال الله تعالى: لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَىٰ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا [36: فاطر] ، وكما قال تعالى: ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ، [13]:

الأعلى] ، وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ولكن ناس أصابتهم النار ... إلخ» فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة، ويلقون على أنهار الجنة، فيصب عليهم ماء الحياة، فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم. فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه.

وحكى القاضي عياض رحمه الله فيه وجهين: أحدهما: أنها إماتة حقيقية. والثاني: ليس بموت حقيقي، ولكن يغيب عنهم إحساسهم بالآلام. قال: ويجوز أن تكون آلامهم أخف، فهذا كلام القاضي، والمختار ما قدمناه والله تعالى أعلم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم، «ضبائر»، فكذا هو في الروايات والأصول، «ضبائر ضبائر» مكررة مرتين، وهو منصوب على الحال، وهو بفتح الضاد المعجمة، وهو جمع ضبارة، بفتح الضاد وكسرهما لغتان، حكاهما القاضي عياض، وصاحب (المطالع)، وغيرهما، أشهرها الكسر، ولم يذكر الهروي وغيره إلا الكسر، ويقال فيها أيضا إضبارة بكسر الهمزة، قال أهل اللغة: الضبائر جماعات في تفرقة، وروي:

«ضبارات في ضبارات». والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووي): 3/ 40 - 41.

[(1)] زيادة من (خ) .

[(2)] في (خ) ، والبخاري: «فيقولون: اشفع» ، وفي رواية مسلم: «فيقولون له: اشفع» .

[(3)] زيادة من رواية مسلم.

[(4)] زيادة من (خ) .

(274/3)

عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى صلى الله عليه وسلم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فأوتي فأقول: أنا لها، فأنتلق فاستأذن على ربي عز وجل فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن [(1)] يلهمني الله عز وجل، ثم

أخر له [(2)] ساجدا فيقال [(3)] لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب [(4)] أمي أمي، فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها. قال البخاري:

فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنتقل فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك الحماد ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: رب [(5)] أمي أمي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه [(6)] مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها. وقال البخاري: فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان فأنتقل فأفعل، ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك الحماد ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه ... ، وقال البخاري: فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنتقل فأفعل.

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا: لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة، قال: فدخلنا عليه فسلمنا عليه، قلنا [(7)]

-
- [(1)] في مسلم: «الآن» ولعلها خطأ مطبعي، وفي (خ) ، والبخاري: «إلا أن» .
 - [(2)] في (خ) ، ومسلم: «ثم أخر له» ، وفي البخاري: «ثم أخر لربنا ساجدا» .
 - [(3)] في (خ) ، ومسلم: «فيقال لي» ، وفي البخاري: «فيقول» .
 - [(4)] في (خ) ، والبخاري: «يا رب أمي» ، وفي مسلم: «رب أمي» .
 - [(5)] في (خ) : «رب أمي» ، وفي البخاري ومسلم: «يا رب أمي» .
 - [(6)] في رواية مسلم أيضا، «فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار» ، وهو مطابق لرواية البخاري.
 - [(7)] كذا في (خ) والبخاري، وفي مسلم: «فقلنا» .

(275/3)

-
- يا أبا سعيد، جننا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثناه في الشفاعة، [قال]]
- [(1)] : هيه، قال: فحدثناه الحديث فقلنا هيه، قلنا: ما زادنا، قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع، ولقد ترك شيئا ما أدري أنسى الشيخ أم كره [(2)] أن يحدثكم

فتتكلوا، قلنا له، حدثنا، فضحك وقال:

خلق الإنسان من عجل، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه: ثم أرجع إلى ربي [عز وجل] [(3)] في الرابعة فأحمده بتلك الحامد، ثم أخرج له ساجدا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن [قال] [(4)] : لا إله إلا الله، قال: ليس [(5)] ذلك لك، أو قال: ليس ذلك [(6)] إليك، ولكن وعزتي وكبريائي، وعظمتي وكبريائي [(7)] لأخرجن من قال: لا إله إلا الله. قال: فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك، أراه قال: قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع. اللفظ لمسلم [(8)] .

وقال البخاري في أوله: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي [(9)] الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم.. الحديث وقال فيه: ويلهمني محمداً أحمد به لا تحضرنى الآن فأحمده بتلك الحامد، وقال فيه: خلق الإنسان عجولاً، وقال في آخره: فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله. هذا آخر الحديث عنده، ذكره في كتاب التوحيد

[(1)] في (خ) : «فقال» ، وما أثبتناه من رواية البخاري ومسلم.

[(2)] في رواية مسلم: «أو كره» .

[(3)] زيادة من (خ) .

[(4)] في (خ) : «يقول» .

[(5)] في البخاري: «فليس» .

[(6)] في مسلم: «ليس ذاك» .

[(7)] كذا في (خ) ، ومسلم، وفي البخاري: «وعظمتي لأخرجن» .

[(8)] حديث رقم (326) من كتاب الإيمان، باب (84) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، من

صحيح مسلم.

[(9)] في (خ) : «فصلى» والتصويب من رواية البخاري.

في باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم [(1)] .
 وخرج في هذا الباب حديث أبي بكر بن عيَّاش عن حميد قال: سمعت أنسا قال: سمعت النبي
 صلى الله عليه وسلّم يقول: إذا كان يوم القيامة [شفعت] [(2)] فقلت: يا رب أدخل الجنة
 من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء،
 فقال أنس: كأني انظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلّم [(3)] .
 وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلّم: يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك [وقال ابن عبيد: فيلهمون من
 ذلك] [(4)] فيقولون: لو استشفعنا [على] [(5)] ربنا عزّ وجلّ حتى يرينا من مكاننا
 هذا، قال: فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك
 من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يرينا من مكاننا هذا [(6)]
 فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها [ولكن اتوا نوحا أول رسول
 بعثه الله، فيأتون نوحا صلى الله عليه وسلّم فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب
 فيستحي ربه منها] [(7)] ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلا، فيأتون إبراهيم عليه
 السلام

-
- [(1)] أخرجه البخاري برقم (5710) . قوله: «وهو يومئذ جميع» في رواية مسلم، وفي رواية
 البخاري «وهو جميع» ، أي مجتمع العقل، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر،
 الذي هو مظنة تفرق الذهن، وحدوث اختلاط الحفظ.
- وأخرجه البخاري أيضا في التوحيد، باب (19) قول الله تعالى: لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، حديث رقم
 (7410) ، وفي باب (37) في قوله عزّ وجلّ: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، حديث رقم (7515) ،
 وفي تفسير سورة البقرة، باب (1) قول الله تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، حديث رقم (4476)
 ، وفي الرقاق، باب (51) صفة الجنة والنار حديث رقم (6565) .
- [(2)] في (خ) : «تشفعت» .
- [(3)] أخرجه البخاري في التوحيد، باب (36) كلام الرب عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء
 وغيرهم، حديث رقم (7509) .
- [(4)] ما بين الحاصرتين تكملة من صحيح مسلم.
- [(5)] في (خ) : «إلى» .
- [(6)] في (خ) بعد قوله: «مكاننا هذا» قال: فيأتون آدم عليه السلام وهو تكرر من الناسخ،
 والتصويب من صحيح مسلم.
- [(7)] ما بين الحاصرتين سقط في (خ) .

فيقول: لست هناكم [ويذكر] [(1)] خطيئته التي أصحاب فيستحي ربه منها، ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، قال: فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته عليه السلام فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا محمداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيأتوني فاستأذن علي ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع [فيحذ لي حدا] [(2)] فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال [لي] [(3)] : يا محمد، قل تسمع، وسل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع [فيحذ لي حدا] [(2)] فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال: [فلا] [(4)] أدري في الثالثة أو في الرابعة قال:

فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب الخلود، واللفظ لمسلم [(5)] ولم يذكر البخاري فيه قوله: فيهتمون لذلك، ولا فيلهمون لذلك، ولا قوله: التي أصاب فيستحي ربه منها في المواضع الثلاثة. وقال في آخره: حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، فكان قتادة يقول عند هذا: إلا من وجب عليه الخلود. ذكره في كتاب الرقاق [(6)] .

وخرج مسلم من حديث ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون بذلك أو يلهمون ذلك، بمثل حديث أبي عوانة، وقال في الحديث: ثم آتبه الرابعة فأقول: يا رب، ما بقي إلا من حبسه القرآن [(7)] .

لم يذكر مسلم من الحديث غير هذا، وذكر بعده

[(1)] في (خ) : «فيذكر» .

[(2)] في (خ) : «فنخر ساجداً» وهو خطأ بين.

[(3)] زيادة من (خ) .

[(4)] في (خ) : «ولا» .

[(5)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (84) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (322) .

[(6)] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (51) صفة الجنة والنار، حديث رقم (6565)

[(7)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (84) ، أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (323) .

(278/3)

حديث معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجمع الله المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك بمثل حديثهما، وذكر في الرابعة: فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود [(1)] . وأخرجه البخاري من هذه الطريق ولفظه: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجمع المؤمنون يوم القيامة لذلك فيقولون، لو استشفعنا إلى ربنا ... الحديث بنحو حديث أبي عوانة عن قتادة، وقال فيه في ذكر نوح وأنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وقال فيه: فأستأذن على ربي ويؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد، وهكذا في موضعين بعد هذا، ثم أرجع فإذا رأيت ربي كما قال في هذا، وقال في الرابع: ثم أرجع فأقول: رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود [(2)] . وخرج البخاري في تفسير سورة البقرة من طريق مسلم بن إبراهيم، أخبرنا هشام، [حدثنا] [(3)] [قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يربحنا مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر ذنبه فيستحي ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هناك، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحي ويقول: ائتوا خليل [(4)] [الرحمن، فيأتون فيقول: لست هناك، [ائتوا موسى، عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناك] [(5)] [فيستحي من ربه [فيقول] [(6)] : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيقول: لست هناك، ائتوا محمدا، عبدا غفر

[(1)] المرجع السابق، حديث رقم (324) .

[(2)] سبق الإشارة إليه.

[(3)] في (خ) : «أخبرنا» .

[(4)] في (خ) : «كليم» .

[(5)] ما بين الحاصرتين سقط من (خ) .

[(6)] زيادة للسياق من البخاري.

(279/3)

الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأنتلق حتى [(1)] استأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء ثم يقال: ارفع رأسك [وسل] [(2)] تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع [فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة] [(2)] ثم أعود الرابعة: فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود. قال أبو عبد الله [(3)] : إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى: خالدين فيها [(4)] .

وخرج في كتاب التوحيد من حديث همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهيموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا [(5)] فيرجنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس: خلقك الله بيده، وأسكنك جنته [(6)] ، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، لتشفع [(7)] لنا عند ربك حتى يرجنا من مكاننا هذا، قال: فيقول لست هناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب - أكله من الشجرة وقد نهي عنها - ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب - سؤاله ربه تعالى بغير علم - ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال: فيأتون إبراهيم فيقول: [إني] [(8)] لست هناكم ويذكر ثلاث [كذبات] [(9)] [كذبين، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقرّبه نجيا، قال: فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته، التي أصاب - قتله النفس - ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وروح الله وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،

[(1)] في (خ) : «فأستأذن» .

[(2)] زيادة للسياق من البخاري.

[(3)] هو الإمام البخاري.

[(4)] الحديث أخرجه البخاري في التفسير باب (1) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، حديث رقم

(4476) ، واختلف في المراد بالأسماء: فقبل أسماء ذريته، وقبل أسماء الملائكة، وقبل أسماء الأجناس دون أنواعها، وقبل أسماء كل ما في الأرض، وقبل أسماء كل شيء حتى القصة. (فتح الباري) : 202 / 8 - 203.

[(5)] في (خ) : «إلى الله» .

[(6)] في (خ) : «الجنة» .

[(7)] في (خ) : «اشفع» .

[(8)] زيادة للسياق من البخاري.

[(9)] في (خ) : «كلمات» .

(280/3)

فيأتوني [(1)] فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعي، فيقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: وأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه [(2)] ، فيحد لي حدا فأخرجهم الجنة. قال قتادة: وسمعت أيضا يقول: فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه [(3)] ، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدا، فأخرجهم الجنة، قال قتادة: وسمعت [(4)] يقول: فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم الجنة، قال قتادة: وقد سمعته يقول: فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما [(5)] يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود، ثم تلا هذه الآية:

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده [(6)] نبيكم صلى الله عليه وسلم [(7)] .

وخرج مسلم من حديث مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لكل نبي دعوة يدعوها [(8)] ،

- [(1)] في (خ) : «قال: فيأتوني» .
 [(2)] في (خ) : «يعلمنيه ثم أشفع» .
 [(3)] في (خ) : «تعط» .
 [(4)] في (خ) : «وقد سمعته» .
 [(5)] في (خ) : «حتى لا يبقى» .
 [(6)] في (خ) : «وعد» .
 [(7)] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب (24) قوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، حديث رقم (7440) .
 [(8)] في (خ) : «يدعو بها» .

(281/3)

فأريد [(1)] أن أختبئ [(2)] دعوتي شفاعة [(3)] لأمتي يوم القيامة [(4)] .
 ومن حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي دعوة، وأردت إن شاء الله أختبئ [(5)] دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة [(6)] . أخرجه البخاري من حديث شعيب عن الزهري ولفظه: لكل نبي دعوة، وأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. ذكره في كتاب التوحيد في المشيئة والإرادة [(7)] .
 وخرج مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي أخبره أن أبا هريرة قال لكعب الأحبار: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لكل نبي دعوة يدعوها، فأنا أريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فقال كعب لأبي هريرة: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أبو هريرة: نعم [(8)] .
 وخرج البخاري من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لكل نبي دعوة [مستجابة] [(9)] يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة [(10)] . ذكره في أول كتاب الدعاء.
 وخرج مسلم من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي دعوة مستجابة، [فتعجل كل نبي دعوته] [(11)] وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي [(12)] نائلة إن

-
- [(1)] في (خ) : «أنا أريد» .
[(2)] في (خ) : «أخي» .
[(3)] في (خ) : «شفاعتي» .
[(4)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (86) اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (334) .
[(5)] في (خ) : «أخي» .
[(6)] المرجع السابق، حديث رقم (335) .
[(7)] حديث رقم (7474) .
[(8)] مسلم في كتاب الإيمان، باب (86) اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (337) .
[(9)] زيادة للسياق من البخاري.
[(10)] ذكره البخاري في أول كتاب الدعاء، باب (1) لكل نبي دعوة مستجابة، حديث رقم (6304) .
[(11)] زيادة للسياق من صحيح مسلم.
[(12)] في (خ) : «وهي» .

(282/3)

-
- شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا [(1)] .
وأخرجه الترمذي من هذه الطريق، ولم يقل فيه: فتعجل كل نبي دعوته.
وقال: هذا حديث حسن صحيح [(2)] .
وخرج مسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها، وإن اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة [(3)] .
وله من حديث شعبة عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له، وإن أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة [(4)] .
[(5)] [(و)] وله من حديث ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله رضي

الله عنه يقول عن النبي لله: لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعاة لأمتي يوم القيامة [(6)] .

وله من حديث معاذ بن [(7)] هشام قال: أخبرنا [(8)] أبي عن قتادة، أخبرنا [(8)] أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لكل نبي دعوة دعاها [(9)] لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعاة لأمتي يوم القيامة [(10)] . وذكر له طرقاً أخر. وخرجه البخاري تعليقا

[(1)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (86) ، اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعاة لأمته، حديث رقم (338) .

[(2)] رواه الترمذي رقم (3597) في الدعوات، باب رق (141) ، ط (الموطأ) : 1 / 22 في القرآن، باب ما جاء في الدعاء.

[(3)] رواه مسلم في كتاب الإيمان باب (86) اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعاة لأمته، حديث رقم (339) .

[(4)] المرجع السابق، حديث رقم (340) ، في (خ) : «أدخر» .
[(5)] زيادة للسياق.

[(6)] المرجع السابق، حديث رقم (345) .

[(7)] في مسلم: «معاذ يعنون ابن هشام» .

[(8)] كذا في (خ) ، وفي مسلم: «حدثنا» .

[(9)] في (خ) : «دعا بها» .

[(10)] المرجع السابق، حديث رقم (341) .

(283/3)

في كتاب الدعاء [(1)] .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبعة من حديث أحمد بن عبد الله قال: أخبرنا زهير ابن معاوية، أخبرنا أبو خالد الأسدي، أخبرنا عون بن أبي جحيفة السواري عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال: انطلقت في وفد فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأئخنا الباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فما خرجنا حتى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه، فقال قائل منا: يا رسول الله! ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان بن داود؟ فضحك ثم قال: لعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان بن داود! إن الله لم يبعث نبيا

إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيتها، ومنهم من دعا بها على قومه إذا عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي

[(1)]

أخرجه البخاري في الدعوات، باب (1) ، لكل نبي دعوة مستجابة، حديث رقم (6304) ، (6305) .

قوله صلى الله عليه وسلم: «وأريد. أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة» ، وفي رواية أبي سلمة عن أبي هريرة «فأريد إن شاء الله أن أختبئ» ، وزيادة «إن شاء الله» في هذا للتبرك،

ولمسلم من رواية أبي صالح عن أبي هريرة «وإني اختبأت» ، وفي حديث أنس «فجعلت دعوتي» ، وزاد «يوم القيامة» ، وزاد أبو صالح «فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا.

وقوله صلى الله عليه وسلم «من مات» في محل نصب على المفعولية، و «لا يشرك» في محل نصب على الحال، والتقدير: شفاعتي نائلة من مات غير مشرك، وكأنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يؤخرها ثم عزم ففعل، ورجا وقوع ذلك، فأعلمه الله به، فجزم به. وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الدعوات المجابة، ولا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم، وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط، والجواب: أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة.

وقيل: معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة» ، أي أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى، وقيل:

لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته، إما بإهلاكهم وإما بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة، فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب، وقيل: لكل منهم دعوة تخصه لدينه أو لنفسه، كقول نوح:

لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَوْلُ زَكَرِيَّا: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتِي، وقول سليمان: وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، حكاها ابن التين.

والمراد بهذا الحديث أن كل نبي دعا على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع، أعطيت الشفاعة عوضا عن ذلك للصبر على أذاهم، والمراد بالأمة أمة الدعوة لا أمة الإجابة....

يوم القيامة [(1)] .

وخرج البخاري من حديث سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد [المقبري] [(2)] عن سعيد عن أبي هريرة أنه قال: قيل [(3)] يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(4)] لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه [(5)] . ذكره في كتاب العلم وترجم عليه باب الحرص

[()] وتعقبه الطيبي - وفي نسخة القرطبي - بأنه صلى الله عليه وسلم دعا على أحياء من العرب، ودعا على أناس من قريش بأسمائهم، ودعا على رعل، وذكوان، ودعا على مضر، قال: والأولى أن يقال: إن الله جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته، فناها كل منهم في الدنيا، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه لما دعا على بعض أمته، نزل عليه لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، فبقي تلك الدعوة المستجابة مدخرة للأخرة، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم، وإنما أراد ردعهم ليتوبوا.

وأما جزمه أولا بأن جميع ادعيتهم مستجابة، ففيه غفلة عن

الحديث الصحيح: «سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة» .

قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء، حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها أيضا دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم.

وقال ابن الجوزي: هذا من حسن تصرفه صلى الله عليه وسلم، لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي، ومن كثرة كرمه أنه آثر أمته على نفسه، ومن صحة نظره لأنه جعلها للمذنبين من أمته، لكوثرهم أحوج إليها من الطائعين.

وقال النووي: فيه كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ورأفته بهم، واعناؤه بالنظر في مصالحهم، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم.

وأما قوله: «فهي نائلة» ، ففيه دليل لأهل السنة أن من مات غير مشرك لا يخلد في النار، ولو مات مصرا على الكبائر. مختصرا من (فتح الباري) : 11 / 116 - 117.

[(1)] له شواهد من أحاديث الباب على صحته.

[(2)] زيادة في النسب من البخاري.

[(3)] في (خ) : «قال» .

[(4)] زيادة للسياق من البخاري.

[(5)] ذكره البخاري في كتاب العلم، باب (32) الحرص على الحديث، حديث رقم (99) .
قوله صلى الله عليه وسلم: «أولى منك» ، فيه فضل أبي هريرة رضي الله عنه، وفضل الحرص على
تحصيل العلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله» ،
احتراز من المشرك، والمراد مع قوله: محمد رسول الله، لكن قد يكتفي بالجزء الأول من كلمتي
الشهادة، لأنه صار شعارا لجموعهما كما تقدم في الإيمان ...

(285/3)

على الحديث. وخرجه في كتاب الرقاق من حديث إسماعيل بن جعفر عن عمرو ...
إلى آخره، وقال: خالصا من قبل نفسه [(1)] .
وخرجه النسائي بنحوه [(2)] .

وخرج مسلم من حديث ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم
تلى قول الله عز وجل في إبراهيم: رَبِّ إِنِّهْنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ... [(3)
الآية، وقال عيسى عليه السلام: إِنَّ تَعَدِّيَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ [(4)] ، فرفع يديه وقال: اللَّهُمَّ أمتي.. أمتي [(5)] ، وبكي، فقال الله عز وجل: يا
جبريل، اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما قال

[()] قوله صلى الله عليه وسلم: «خالصا» احتراز من المنافق، ومعنى أفعال في قوله: «أسعد»
الفعل، لا أنها أفعال التفضيل، أي سيد الناس، كقوله تعالى: وَأَحْسَنُ مَقِيلًا، ويحتمل أن يكون
أفعال التفضيل على بابها، وأن كل أحد يحصل له سعد بشفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر
سعادة بها، فإنه صلى الله عليه وسلم يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف، ويشفع في
الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار
بعد أن دخلوها، ويشفع في بعضهم بعدهم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها، ويشفع في بعضهم
بدخول الجنة بغير حساب، ويشفع في بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك في السعادة
بالشفاعة، وأن أسعدهم بها المؤمن المخلص.

قوله صلى الله عليه وسلم: «من قلبه، أو نفسه» شك من الراوي، وللمصنف في الرقاق:
«خالصا من قبل نفسه» ، وذكر ذلك على سبيل التأكيد كما في قوله تعالى: فَإِنَّهُ آخِمْ قَلْبُهُ.

- وفي الحديث دليل على اشتراط النطق بكلمتي الشهادة، لتعبيره بالقول في قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال»، والله تعالى أعلم. مختصرا من (فتح الباري) 1/ 257-258.
- [(1)] ذكره البخاري في كتاب الرقاق، باب (51) صفة الجنة والنار، حديث رقم (6570) ، وقال النووي: الشفاعة خمس:
- [1] في الإراحة من هول الموقف. [2] في إدخال قوم الجنة بغير حساب.
- [3] في إدخال قوم حوسوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.
- [4] في إخراج من أدخل النار من العصاة.
- [5] في رفع الدرجات.
- [(2)] لم أجده في (سنن النسائي) .
- [(3)] 36: إبراهيم، وتماها: وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.
- [(4)] 118: المائة.
- [(5)] في (خ) : «اللَّهُمَّ أمتي اللَّهُمَّ أمتي» .

(286/3)

وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤك [(1)] .

[(1)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (87) دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم، حديث رقم (346) : وسنده: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني عمرو ابن الحارث، أن أبا بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص ...

وهذا أتم من السند المذكور في (خ) .

وهذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد:

منها بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم.

ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء.

ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة، زادها الله شرفا بما وعدها الله تعالى بقوله: سنرضيك في أمتك

ولا نسؤك، وهذا من أرحى الأحاديث لهذه الأمة، أو أرجأها.
ومنها بيان عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به صلى الله عليه وسلم والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله صلى الله عليه وسلم إظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه بالمحل الأعلى، فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله تعالى أعلم.
وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**، وأما قوله تعالى: **ولا نسؤك**، فقال صاحب (التحرير): هو تأكيد للمعنى، أي لا نخزك، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: **نرضيك** ولا ندخل عليك حزنا، بل ننجي الجميع والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووي): 3 / 78 - 79.

(287/3)

ذكر المقام المحمود الذي وعد الله تعالى به الرسول صلى الله عليه وسلم
قال الله جل جلاله: **وَمَنْ اللَّيْلُ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** [(1)] .

خرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** [(1)] قال: الشفاعة. وخرج الحاكم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه] [(2)] .**
وله من حديث إسرائيل قال: أخبرنا أبو إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة ابن اليمان [سمعه يقول] [(3)] في قوله عز وجل: **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** [(4)] قال: يجمع الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا، سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه، قال: فينادي محمد صلى الله عليه وسلم

[(1)] 79: الإسرائ.

[(2)] أخرجه الحاكم في (المستدرک): 3 / 395، في كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل، حديث رقم (3383) وما بين الحاصرتين زيادة منه، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط البخاري ومسلم.

وأخرجه أيضا الإمام أحمد في (المسند) : 4 / 492 من حديث كعب بن مالك الأنصاري،
حديث رقم (15356) بنحوه سواء.

[(3)] تكملة من (المستدرک) .

[(4)] 79: الإسراء.

(288/3)

فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، المهدي من هديت، وعبدك بين يديك، ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحان رب البيت»،
فذلك المقام المحمود الذي قال الله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً [(1)] . قال الحاكم:
هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما خرج مسلم حديث أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة، ليخرجن من النار فقط [(2)] .
وخرج الإمام أحمد من حديث سعيد بن زيد قال: حدثنا علي بن الحكم عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة، فقال رجل من الأنصار: وما المقام المحمود؟ قال: ذاك إذا جيء بكم عراة حفاة غرلا، فأقوم مقاما لا يقومه أحد غيري يغبطني به الأولون والآخرون [(3)] .
وله من حديث وكيع قال: حدثنا داود بن عبد الله الأودي الزعافري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المقام المحمود الشفاعة [(4)] ، وخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن [(5)] ، وداود الزعافري هو داود الأودي، وهو عم عبد الله بن إدريس وفي الباب عن كعب بن مالك وأبي سعيد وابن عباس.
وخرجه البغوي من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر، حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودي عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً [(1)] قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي.

[(1)] 79: الإسراء.

[(2)] (المستدرک) : 3 / 395 في كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل، حديث رقم

(3384) ، وحديث مسلم المشار إليه قد سبق شرحه.

[(3)] هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث عبد

الله بن مسعود، حديث رقم (3777) ج 1 ص 658، وأخرجه أيضا الحاكم في (المستدرک) :

2/ 396 في كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل حديث رقم (3385) وقال في آخره: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[(4)] (مسند أحمد) : 3 / 253، حديث رقم (9844) .

[(5)] (صحيح سنن الترمذي) : 3 / 68-69، حديث رقم (3358) ، وقال الألباني: صحيح، و (المجموعة الصحيحة) برقم (2639) ، (2370) .

(289/3)

ورواه سفيان بن وكيع عن جرير بن عبد الحميد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم]: يقيمني رب العالمين مقاما لم يقمه أحدا قبلي ولن يقيمه أحدا بعدي.

وروى حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى:

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً قال: إن لحمد من ربه مقاما لا يقومه نبي مرسل ولا ملك مقرب، يبين الله للخلائق فضله على جميع الأولين والآخرين.

وقال أبو سفيان العمري عن معمر عن الزهري، عن علي بن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدّ الأديم حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدميه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن فأقول: يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ، فيقول تبارك وتعال: صدق، ثم أشفع فأقول: يا رب عبادك في أطراف الأرض، فهو المقام المحمود.

قال أبو عمر بن عبد البر: على هذا أصل في تأويل قول الله عز وجل: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً أنه الشفاعة.

وقد روي عن مجاهد: أن المقام المحمود أن يقعد معه يوم القيامة على العرش، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخلفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأئمة.

وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة.

ذكر ابن أبي شيبه عن شابة عن ورقاء عن أبي نجیح عن مجاهد في قوله:

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً، قال: شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وذكر بقي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، أخبرنا قيس عن عاصم عن عبد الله مثله، وذكر الغرياني عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مثله.

(290/3)

وذكر ابن أبي شيبه، حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال: المقام المحمود الشفاعة. وروى سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن صله عن حذيفة قال: يجتمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي - زاد سفيان في حديثه - حفاة عراة سكوتا، كما خلقوا قياما، لا تكلم نفس إلا بإذنه، ثم اجتمعوا، فينادي منادي: يا محمد، على رؤوس الأولين والآخريين، فيقول:

ليك وسعديك والخير في يديك، زاد سفيان: والشر ليس إليك، ثم اجتمعا والمهدي من هديت تباركت وتعاليت، ومنك وإليك، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك. قال حذيفة: فذلك المقام المحمود. وذكر له عن حذيفة عدة طرق، قال:

وروى يزيد عن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً، قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فأوماً إليه جبريل أن تواضع، واختار نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يكون عبدا نبيا، وأعطى بها اثنتين: أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع.

قال قتادة: وكان أهل العلم يرون أن المقام المحمود الذي قال الله عز وجل: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً شفاعته يوم القيامة، قال: ومن روى عنه أيضا: أن المقام المحمود الشفاعة: الحسن البصري وإبراهيم التيمي وعلي بن الحسين بن علي وابن شهاب وسعد بن أبي هلال وغيرهم.

(291/3)

تنبيه وإرشاد

قال الحافظ أبو نعيم: وهذه الأخبار وما يجانسها في الشفاعة وإجابة آدم عليه السلام فمن دونه في الشفاعة عليه كلها داخلة في علو مرتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف منزلته ورفعته عند ربه تعالى، لأن النبوة لا يخص الله بها إلا المنتخبين من خلفه في الأمم، وذوي الأخطار

العظيمة، والمناقب الرفيعة، فإذا كان سائر الأنبياء يدفعون عن أنفسهم التشفيع والمسألة،
ويجبتون بها على محمد صلى الله عليه وسلّم بأن فضله وعلو مرتبته على مراتبهم، وفي تعريف
هذه المنزلة وإن لم تكن في نفسها معجزة، وأن الله تعالى وضع نبيه صلى الله عليه وسلّم في أعلى
المراتب وأشرف المناقب، لتكون القلوب مقبلة على قبوله، والنفوس مسرعة إلى طاعته صلى الله
عليه وسلّم، هذا له مع ما خصه الله من الخصال التي لم تعط من تقدمه من النبيين والمرسلين من
المنافع البهية والمرافع السنية. انتهى.
واعلم أن الشفاعة خمسة أقسام:

الأولى: الشفاعة في إراحة المؤمنين من طول الوقوف وتعجيل الحساب كما تقدم ذكره.
والثانية: الشفاعة في إدخال قوم من المؤمنين الجنة بغير حساب كم تقدم من حديث أنس، وفيه:
يقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن.
والثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلّم ومن يشاء الله.
والرابعة: الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجهم الله بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلّم
وبشفاعة الملائكة وإخوانهم المؤمنين، ثم يخرج الله عز وجل من النار كل من قال لا إله إلا الله ولا
يبقى في النار إلا الكافرون.

والخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.
واتفقوا على شفاعة الحشر وعلى الشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة، وخالفت الخوارج والمعتزلة
في الأقسام الثلاثة الأخر. وقال ابن عبد البر: وقد قيل إن الشفاعة

(292/3)

منه صلى الله عليه وسلّم تكون من مرتين: مرة في الموقف يشفع في قوم فينجون من النار ولا
يدخلون الجنة، ومرة بعد دخول قوم من أمته النار فيخرجون منها بشفاعته.
وقد رويت آثار بنحو هذا الوجه بنفي الوجه الأول،
ثم ذكر من طريق ثور ابن يزيد عن هشام بن عروة عن أسماء بنت عميس أنها قالت: يا رسول
الله، أدع الله أن يجعلني ممن يشفع له يوم القيامة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إذن
تخمشك النار فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه [(1)] النار.
وذكر من طريق يحيى بن معين قال: حدثنا أبو اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن الزهري عن
أنس بن مالك عن أم حبيب رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلّم ذكر ما تلقى أمته
بعده من سفك دم بعضها بعضا، وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يولياني

شفاعة فيهم ففعل.

وذكر من طريق أبي عوانة عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: بعثت إلى الأحمر والأسود، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، ونصرت بالرعب شهرا فیرعب العدو مني مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وقيل سل تعط فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة إن شاء الله من لم يشرك بالله شيئا. وذكر شيبان بن فروخ قال: حدثنا حرب بن شريح، أخبرنا أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وقال إني ادخرت شفاعي لأهل الكبائر من أمتي.

[(1)] الخمش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل في سائر الجسد، والخموش الخدوش، قال الفضل بن عباس يخاطب امرأته:

هاشم جدنا، فإن كنت غضبي ... فاملني وجهك الجميل خدوشا

والخماشة من الجراحات: ما ليس له أرش [دية] معلوم، كالخدش ونحوه، والخماشة: الجناية. مختصرا من (لسان العرب) : 6 / 299.

(293/3)

وذكر من طريق أبي داود الطيالسي قال: أخبرنا محمد بن ثابت عن جعفر ابن محمد بن علي عن أبيه جابر بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، قال: فقال لي جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة. قال أبو عمرو: والآثار في هذا كثيرة متواترة، والجماعة وأهل السنة على التصديق بها، ولا ينكرها إلا أهل البدع.

وذكر من طريق قاسم بن أصبغ قال: أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، أخبرنا إسحاق بن عيسى، أخبرنا حماد بن زيد عن علي بن زيد عن يوسف بن عوان عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أيها الناس، إن الرجم حق ولا تخدعن عنه، وآية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم، وأبا بكر [قد رجم] [(1)] ، ورجمنا بعدهما، وأنه سيكون أناس يكذبون بالرجم، ويكذبون باللعان، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر،

ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا، قال أبو عمر: كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع والخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر الفرق المبتدعة، وأما أهل السنة، أئمة الفقه والأمر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه، وهم أهل الحق، والله المستعان.

[(1)] زيادة للسياق.

(294/3)

إيضاح وتبيان

قد استشكل ظاهر قوله: لكل نبي دعوة يدعو بها، إنما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة، ولا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم، فإنه ظاهره أن لكل نبي دعوة واحدة مجابة فقط، والجواب: أن المراد بالإجابة الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعوات فهو على رجاء الإجابة، وقيل: مضى قوله: لكل نبي دعوة أي أفضل دعواته، ولهم دعوات آخر، وقيل: لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم أو بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب: وقيل: لكل منهم دعوة تخصه لندياه أو لنفسه، كقول نوح عليه السلام: لا تَدْرُ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا [(1)] ، وقول زكريا عليه السلام: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا [(2)] ، وقول سليمان عليه السلام: وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي [(3)] ، حكاها ابن التين.

وقال بعض شراح (المصاييح) : اعلم أن جميع دعوات الأنبياء مستجابة، والمراد بهذا الحديث أن لكل نبي دعاء على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع، فأعطيت الشفاعة عوضاً عن ذلك للصبر على أذاهم، والمراد بالأمة: أمة الدعوة لا أمة الإجابة، وتعقبه الطيبي بأنه صلى الله عليه وسلم دعا على أحياء من العرب، ودعا على الناس من قريش بأسمائهم، فدعا على رعل وذكوان وغيرهم. قال: والأولى أن يقال: أن الله تعالى جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته، فإلها كل منهم في الدنيا إلا نبينا فإنه لما دعا على بعض أمته نزل عليه: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ [(4)] ، فبقي تلك الدعوة المستجابة مدخرة للآخرة، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم، وإنما أراد ردعهم ليتوبوا [(5)] .

- [(1)] 26: نوح.
[(2)] 5: مريم.
[(3)] 35: ص.
[(4)] 128: آل عمران.
[(5)] (فتح الباري) : 11 / 116 - 117.

(295/3)

وأما جزمه أولاً بأن جميع أدعيتهم مستجابة ففيه غفلة عن الحديث الصحيح:
سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. وقال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضيلة نبينا
صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولم
يجعلها أيضاً دعاءً عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم [(1)] .
وقال ابن الجوزي: هذا من حسن تصرفه صلى الله عليه وسلم، لأنه جعل الدعوة بشيء ينبغي،
ومن كثرة كرمه أنه آثر أمته على نفسه، ومن صحة نظره أنه جعلها للمدنيين من أمته لكونهم
أحوج إليها من الطائعين.
وقال النووي: فيه كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ورأفته بهم، واعتناؤه بالنظر في
مصالحهم، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم [(2)] .
قال أبو عمر بن عبد البر: وأما قوله: لكل نبي دعوة يدعو بها، فمعناه:
أن كل نبي أعطى أمنية وسؤلاً ودعوة يدعو بها ما شاء أجيب وأعطيه. ولا وجه لهذا الحديث غير
ذلك، لأن لكل نبي دعوات مستجابات، ولغير الأنبياء أيضاً، دعوات مستجابات، وما يكاد
أحد من أهل الإيمان يخلو من أن تجاب دعوته ولو مرة في عمره، فإن الله تعالى يقول: ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ [(3)] ، وقال:
بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ [(4)] ، وقال صلى الله عليه وسلم: ما من
داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث: إما يستجاب له فيما دعا به، وإما أن يدخر له مثله، أو
يكفر عنه [(5)] . وقال: دعوة المظلوم لا ترد ولو كانت من كافر، والدعاء عند حضرة
النداء، والصف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وفي ساعة يوم الجمعة لا يرد، فإذا كان هذا،
هكذا لجميع المسلمين، فكيف يتوهم متوهم أن ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لسائر
الأنبياء إلا دعوة واحدة يجابون فيها، هذا ما لا يتوهمه ذو لب ولا إيمان، ولا من له أدنى فهم،
وبالله التوفيق.

[(1)] (فتح الباري) : 116 - 117.

[(2)] انظر شرح النووي لأحاديث الشفاعة بصحيح مسلم كتاب الإيمان.

[(3)] 60: غافر.

[(4)] 41: الأنعام.

[(5)] رواه الترمذي رقم (3378) في الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة،

وهو حديث صحيح لكن باختلاف يسير، وأخرجه مالك موقوفا في القرآن 1 / 217.

(296/3)

وأما حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكوثر
قال الله جل جلاله: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ [(1)] ، واختلف في المراد به، فقيل إنه نهر في الجنة،
وقيل: الكوثر: الخير الكثير الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بلغ التواتر عن جماعة
من علماء الآثار، ورواه الجم الغفير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
وبان، وجابر، وأبو هريرة، وجابر بن سمرة، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو، وأبوه عمرو بن
العاص، وحاتمة بن وهب، والمستورد، وأبو برزة، وحذيفة، وأبو أمامة، وأبو بكر، وعمر، وابن
مسعود، وعبد الله بن زيد، وسهل بن سعيد، وسويد بن عبل، وبريدة وأبو سعيد، والبراء بن
عازب، وعتبة ابن عبد السلمى وجندب، والصنابحي، وأبو بكرة، وأبو ذر الغفاري، وأسماء بنت
أبي بكر، وخولة بنت قيس، ذكرهم اللالكائي وغيره.
قال القاضي عياض [(2)] : أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من
الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر
النقل، رواه خلائق من الصحابة. قاله ابن عباس.

وقيل: هو العلم والقرآن، قاله الحسن، وقيل: النبوة، قاله عكرمة، وقيل:
إنه حوض النبي صلى الله عليه وسلم يكثر عليه الناس. قاله عطاء، وقيل: إنه كثرة أتباعه وأمنته،
قاله أبو بكر بن عياش،

وقال جعفر بن محمد الصادق: يعني بالكوثر نورا في قلبك يدللك علي ويقطعك عن سواي.
وعنه أيضا أنه الشفاعة.

وقال هلال بن يسار:

هو قول لا إله إلا الله، وقيل: هو الصلوات الخمس.

وأصح هذه الأقوال: ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،
[فقد] [(3)] خرج البخاري في آخر كتاب الرقاق من حديث هذبة بن خالد، حدثنا همام،
حدثنا

[(1)] 1: الكوثر.

[(2)] (الشفاء) : 1 / 185.

[(3)] زيادة للسياق.

(297/3)

قتادة، حدثنا أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [بينما] [(1)] أنا أسير في
الجنة، [إذا] [(2)] أنا بنهر [حافته] [(3)] قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟
قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه أو طينه [مسك] [(4)] أذفر شكّ هذبة [(5)] .

وخرج في التفسير من حديث شيبان، حدثنا قتادة عن أنس: لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم
إلى السماء قال: أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ [مجوف] [(6)] فقلت:
ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر [(7)] .

ومن حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن
قوله [تعالى] [(8)] : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ قَالَتْ: هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم
شاطئه [عليه] [(9)] در مجوف، آيته كعدد النجوم [(10)] . [رواه زكريا وأبو الأحوص
ومطرف عن أبي إسحاق] [(8)] .

ومن حديث أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في الكوثر: هو
الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر
في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة هو الخير الذي أعطاه الله إياه [(11)] .

[(1)] في (خ) : «بينما» وما أثبتناه من البخاري.

[(2)] في (خ) : «وإذا» .

[(3)] في (خ) : «حافته» .

[(4)] زيادة للسياق من البخاري.

[(5)] حديث رقم (6581) ، كتاب الرقاق ، باب (53) في الحوض وقول الله تعالى: إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

[(6)] في (خ) : «مجوفة» ، وما أثبتناه من البخاري.

[(7)] حديث رقم (4964) من كتاب التفسير باب (108) ، سورة إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

[(8)] زيادة للسياق من البخاري.

[(9)] في (خ) : «عليهما» .

[(10)] حديث رقم (4965) ، من كتاب التفسير ، باب (108) ، سورة: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكَوْثَرَ.

[(11)] أخرجه البخاري في التفسير ، باب (108) ، سورة إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، حديث رقم
(4966) ، وفي الرقاق ، باب (53) ، في الحوض وقول الله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، حديث
رقم (6578) .

(298/3)

وخرج مسلم من حديث علي بن مسهر قال: أخبرنا المختار بن فلفل عن أنس ابن مالك رضي
الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ثم رجع ،
فرايته مبتسما!! فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت على آنفا سورة، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [(1)] إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [(2)] ،
ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟

فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عليه خير كثير، أو حوض ترد عليه
أمي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمي، فيقول: ما
تدري ما أحدثت بعدك [(3)] . [زاد

[(1)] أول سورة الفاتحة.

[(2)] أول سورة الكوثر 1-3 .

[(3)] أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب (14) ، حجة من قال البسملة آية من أول كل
سورة سوى (بارة) ، حديث رقم (400) .

وقوله: «يختلج» ، أي ينتزع وينقطع، وفي هذا الحديث فوائد، منها: أن البسملة في أوائل السور
من القرآن، وهو مقصود مسلم بإدخال هذا الحديث هنا.

وفيه جواز النوم في المسجد، وجواز نوم الإنسان بحضرة أصحابه، وأنه إذا رأى التابع من متبوعه تبسما أو غيره مما يقتضي حدوث أمر، يستحب له أن يسأل عن سببه. وفيه إثبات الحوض والإيمان به واجب.

قوله: «وهل تدري ما أحدثوا بعدك» ، وفي الرواية الأخرى: قد بدلوا بعدك فأقول: «سحقا سحقا» ، هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال: أحدها: أن المراد به المنافقون والمتردون، فيقال: ليس هؤلاء ممن وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد بعده، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء، لما كان يعرفه صلى الله عليه وسلم في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر، الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع هؤلاء الذين ينادون بالنار، بل يجوز أن يزداد عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء. قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر. قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخير. والله تعالى أعلم. مختصرا من (مسلم بشرح النووي): 3 / 138 - 139، كتاب الطهارة، باب (12) استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم (246) ، 4 / 355 - 356، كتاب الصلاة، باب (14) حجة من قال البسمة آية من أول كل سورة سوى (براءة) ، حديث رقم (400) .

(299/3)

ابن حجر في حديثه: «بين أظهرنا في المسجد» وقال: «ما أحدث بعدك» [(1)] . وفي رواية النسائي: «أحدثت بعدك» ، وهي رواية لمسلم أيضا، وقال النسائي في حديثه: «آنيته أكثر من عدد الكواكب» ، ذكره النسائي في كتاب الصلاة، وفي كتاب التفسير.

[...] [(2)]

وخرج الترمذي من حديث محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكوثر نهر في الجنة، حافظه من ذهب،

ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ذكره في التفسير [(3)] .
وخرج البخاري في الرقاق من حديث شعبة عن عبد الملك [بن عمير] [(4)] قال: سمعت جندبا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا فرطكم على الحوض [(5)] .
وخرجه مسلم من حديث زائدة عن عبد الملك [(6)] ، وذكر له طرقا، وله من

[(1)] ما بين الحاصرتين تكملة من المرجع السابق.

[(2)] في (خ) بعد قوله: «في كتاب التفسير» طمس في الأصل، لم يظهر في التصوير الميكروفيلم، قال المقرئ بعدة: «وخرجه أبو داود بهذا الإسناد وقال: فإنه نمر وعدنيه ربي في الجنة، عليه خير كثير، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، ذكره في كتاب شرح السنة، في باب الحوض» .

[(3)] رقم (3358) باب ومن سورة الكوثر، وأخرجه ابن ماجه في الزهد حديث رقم (43344) باب صفة الجنة، وأحمد في (المسند) 2/ 256، حديث رقم (5877) ، وإسناده صحيح، فإن الراوي عن عطاء عنده هو حماد بن زيد، وقد سمع منه قديما. وذكره السيوطي في (الدر المنثور) :

403 / 6، وزاد نسبه لابن أبي شيبه، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن جرير. [(4)] زيادة من (خ) .

[(5)] أخرجه البخاري في الرقاق، باب (53) ، في الحوض، وقول الله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُؤُثْرَ ، حديث رقم (6589) .

[(6)] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث رقم (25) ، وجندب: هو أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل رضي الله عنه، وسبقت له ترجمة.

(300/3)

حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألا إني فرط لكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيه النجوم [(1)] .
وله من حديث حاتم بن إسماعيل، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فكتب إليّ: أي سمعته يقول: أنا الفرط على الحوض [(2)] .
وخرج مسلم من حديث ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة أنه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم قال: حوضه ما بين صنعاء والمدينة،
فقال له المستورد: ألم تسمعه قال الأواني؟ فقال: لا، فقال المستورد: ترى فيه الآنية مثل
الكواكب [(3)] .

وخرجه البخاري من حديث حرمي بن عمارة، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد «عن حارثة سمع
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحوض فقال: كما بين المدينة وصنعاء» [(4)] [قال] (5)
[: وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع

[(1)] [المرجع السابق، حديث رقم (44) ، وصنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة ذاتها، كقولهم:
امرأة حسنة وعجزة وشلاء، والنسبة إليها صنعائيّ على غير قياس، كالنسبة إلى بهراء بهراني.
روى البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار، باب (29) من حديث خباب مرفوعاً،
وفيه: «وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله» قال
البخاري: زاد بيان: «والذئب على غنمه» .

وصنعاء موضعان، أحدهما باليمن، وهي العظمي، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق، وقد ذكرهما
ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بالتفصيل، وفرّق بين من نسب إلى هذه وهذه، ج 3 ص
483-489، فليراجع هناك، و (تقويم البلدان) : 94-95 .

وأيلة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام،
قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة، عامرة، بما زرع يسير، وهي مدينة اليهود الذين حرّم الله عليهم
صيد السمك يوم السبت فخالقوا فمسخوا قردة وخنازير. (معجم البلدان) : 1 / 347.
[(2)] [أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم
وشفاعته، حديث رقم (45) .

[(3)] [المرجع السابق، حديث رقم (33) .

[(4)] [أخرجه البخاري في الرقاق باب (53) في الحوض، وقول الله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكَوْثَرَ، حديث رقم (6591) .

[(5)] [زيادة من (خ) .

النبي صلى الله عليه وسلم قال: حوضه ما بين صنعاء والمدينة، فقال له المستورد: ألم تسمعه قال الأواني؟ قال: لا، قال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب [(1)] .

وخرج مسلم وأحمد من حديث عبد العزيز بن عبد الصمد العمى، عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، وماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، ذكره في المناقب [(2)] .

وله من حديث يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة [(3)] ،

[(1)] المرجع السابق، حديث رقم (6592) .

[(2)] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وشفاعته، حديث رقم (36) . وأخرجه أحمد في (المسند) : 6 / 184 - 185 عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث رقم (20820) ، وأخرجه أحمد بنحو منه في المرجع السابق 2 / 256، حديث رقم (5877) مسند عبد الله بن عمر .

[(3)] الجحفة: بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة، لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب، وبينها وبين ساحل الحجاز نحو ثلاث مراحل، وبينها وبين المدينة ست مراحل.

وقال السكري: الجحفة: على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، والجحفة أول الغور إلى مكة، وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عرق، وأول الثغر من طريق المدينة أيضا الجحفة. وقال الكلبي: إن العماليق أخرجوا بني عقيل، وهم إخوة عاد بن رب، فنزلوا الجحفة، وكان اسمها يومئذ مهيعة، فجاءهم سيل واجتحفهم، فسميت الجحفة.

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة استوبأها وحم أصحابه، فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حمّاها إلى الجحفة.

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى ليلة في بعض أسفاره، إذ استيقظ فأيقظ أصحابه وقال: مرت بي الحمى في صورة امرأة تائرة الرأس منطلقة إلى الجحفة، (معجم البلدان) : 2/129.

(302/3)

إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن [تنافسوا] [(1)] فيها فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم، قال عقبه: فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر [(2)] . وذكره البخاري بهذا السند ولفظه: قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمانين سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط، وأنا شهيد عليكم، إن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها. قال: فكانت آخر نظرة نظرها إلي رسول الله [(3)] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير عن عقبه بن عامر، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وأني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها [(3)] . لفظهما متقارب جدا، ذكره البخاري في باب الصلاة على الشهيد، وفي كتاب الرقاق، وفي آخر غزوة أحد. وذكره في باب علامات النبوة في الإسلام وقال: مفاتيح خزائن الأرض (من غير شك) . وذكره أبو داود بهذا الإسناد [(4)] ، وانتهى من الحديث إلى قوله: ثم انصرف. وذكره النسائي [(5)] وانتهى إلى قوله: وأنا شهيد عليكم.

[(1)] في (خ) : «تنافسوا» .

[(2)] أخرجه مسلم في الفضائل، باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث رقم (31) .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي البخاري: «نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» . والحديث رواه البخاري في الرقاق، باب في الحوض، وباب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي

الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي المغازي، باب غزوة أحد، وباب أحد يحبنا ونحبه.

ومسلم في الفضائل، باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته.

[(4)] (صحيح سنن أبي داود) : 2 / 620، باب (75) ، الميت يصلى على قبره بعد حين، حديث رقم (2760) ، قال الألباني: صحيح.

[(5)] (صحيح سنن النسائي) : 2 / 420، باب (61) ، الصلاة على الشهداء، حديث رقم (1846) ، قال الألباني: صحيح.

(303/3)

وخرج مسلم من حديث معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عن سالم ابن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى عن ثوبان، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إني لبعقر حوضي أذود الناس [عنه] [(1)] لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان، وسئل عن شرابه فقال:

أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من الذهب والآخر من ورق [(2)] .

وخرج أيضا من حديث الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لأذودن عن حوضي رجالا كما تذاذ الغريبة من الإبل [(3)] . وخرج البخاري في كتاب الشرب من حديث شعبة عن محمد بن زياد سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاذ الغريبة من الإبل عن الحوض [(4)] .

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن وهب قال: أخبرني عمرو - وهو ابن الحرث - أن بكيرا حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن م سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان [يوما] [(5)] من ذلك - والجارية تمشطني - فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [أيها] [(6)] الناس، فقلت للجارية: استأخري عنها، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إني من الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين

- [(1)] زيادة من (خ) .
- [(2)] أخرجه مسلم في الفضائل باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلّم وصفاته، حديث رقم (37) ، وعقر الحوض: مؤخره.
- [(3)] المرجع السابق، حديث رقم (38) ، وفي (خ) : «تزداد» .
- [(4)] [جامع الأصول] : 10 / 473 ، في ورود الناس على الحوض، حديث رقم (8004) ، وإسناده صحيح.
- [(5)] في (خ) : «يوم» .
- [(6)] في (خ) : «يا أيها» .

(304/3)

أحدكم فيذبّ عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: [سحقاً] [(1)] .

وخرج البخاري من حديث نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو، قال النبي صلى الله عليه وسلّم: حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً. ذكره في الرقاق في باب الحوض [(2)]

وله فيه من حديث نافع بن عمر، حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلّم: إني على الحوض حتى انظر من يرد عليّ منكم، [وسيوخذ] [(3)] ناس دوني، فأقول: يا رب [مني] [(4)] ومن أمّتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم. فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا.

على أعقابهم ينكصون: يرجعون على العقب، ذكره في كتاب الفتن [(5)] .

وخرج مسلم في المناقب من حديث نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: حوضي مسيرة شهر، زواياه سواء وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً. قال: وقالت أسماء بنت أبي بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إني على الحوض [حتى] [(6)] انظر من يرد عليّ منكم، وسيوخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمّتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم،

قال: وكان ابن أبي مليكة

- [(1)] في (خ) : «فسحقا» ، أخرجه مسلم في الفضائل باب (9) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث رقم (29) .
- [(2)] حديث رقم (6579) .
- [(3)] في (خ) : «وسوجد» .
- [(4)] في (خ) : «أمي» .
- [(5)] باب (1) ما جاء في قول الله تعالى: وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الفتن، حديث رقم (7048) وذكره أيضا في كتاب الرقاق، باب (53) في الحوض، وقول الله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، حديث رقم (6593) .
- [(6)] تكملة من رواية البخاري.

(305/3)

يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا [(1)] .

وله من حديث ابن خيثم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، سمع عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول بين ظهراي أصحابه:

إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فو الله ليقطعن دوني رجال فلا أقولن:

أي رب، مني ومن أمي، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم [(2)] .

وخرج البخاري في الرقاق من حديث أبي عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه قال]: أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي! يقول:

لا تدري ما أحدثوا بعدك [(3)] . وخرجه مسلم من طرق [(4)] .

وخرج البخاري من حديث عبد الله قال: حدثني نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي: إن أمامكم حوضا ما بين جرباء وأذرح [(5)] .

وخرجه مسلم من طرق في بعضها: حوضي، وفي بعضها: إن أمامكم حوضا ما بين ناحيتيه.

وخرجه كذلك أبو داود وفي بعضها: إن أمامكم حوضا كما بين جرباء وأذرح، فيه أباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا [(6)] .

- [(1)] وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (53) الحوض، حديث رقم (6593) ، وفي كتاب الفتن، باب (1) ، حديث رقم (7048) .
- [(2)] أخرجه مسلم في الفضائل، باب (9) حديث رقم (28) .
- [(3)] أخرجه البخاري في الرقاق، باب (53) الحوض بسند آخر وسياسة أخرى، حديث رقم (6576) .
- [(4)] أخرجه مسلم في الفضائل، باب (9) ، حديث رقم (40) .
- [(5)] كتاب الرقاق، باب (53) ، حديث رقم (6577) .
- [(6)] مسلم في الفضائل، باب (9) ، حديث رقم (34، 35) ، والجرباء: كأنه تأنيث الأجر، موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، وهي قرية من أذرح، وبينهما كان أمر الحكيمين بين عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعريّ. والجرباء أيضا:
- ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم بين البصرة واليمامة. (معجم البلدان) : 2 / 137.
- وأذرح: بالفتح، ثم السكون، وضم الراء، والحاء المهملة: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال

(306/3)

وخرج البخاري من حديث ابن وهب عن يونس، قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة [(1)] . وخرجه مسلم من طرق، في بعضها: ما بين لابتي حوضي. وله من حديث خالد بن الحرب عن سعيد عن قتادة، قال أنس: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ترى فيه: أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء [(2)] . وفي لفظ: أو أكثر من عدد نجوم السماء [(3)] .

وذكر البخاري ومسلم أحاديث فيها ذكر الحوض من حديث سهل بن سعد بمعنى ما تقدم، وجاءت أحاديث آخر في ذكر الحوض، وفيما أوردته من الصحيحين والسنن ما يشبع ويكفي إن شاء الله.

وقال أبو عمر بن عبد البر: وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، هؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميمس الحق، وقتل أهله

وإذلاهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيف والأهواء والبدع، كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر، ولا يخلد في النار إلا كل فاجر جاحد، ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقد قال أبو القاسم: قد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء، وكان يقال: تمام الإخلاص تجنب المعاصي. (انتهى).

[()] الشراة، ثم من نواحي البلقاء، وفي كتاب مسلم بن الحجاج: بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام، (المرجع السابق): 1/ 157.

[(1)] أخرجه البخاري في الرقاق، باب (53)، حديث رقم (6591)، وقال فيه: «كما بين المدينة وصنعاء»، ورواية مسلم في الفضائل: «بين صنعاء والمدينة».

[(2)] أخرجه مسلم في الفضائل باب (9)، حديث رقم (43).

[(3)] المرجع السابق في الباب.

(307/3)

والظاهر أن الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار، وقيل: يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار. والله الرحيم الرحمن [(1)].

[(1)] قال القاضي عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه. قال القاضي: وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة، فذكره مسلم من رواية ابن عمرو ابن العاص، وعائشة، وأم سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحاتمة بن وهب، والمستورد، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة.

ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبد الله بن زيد، وأبي برزة، وسويد بن جبلة، وعبد الله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وخولة بن قيس، وغيرهم.

قال الإمام النووي: ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة، ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب، وعائذ بن عمر، وآخرين.

وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه (البعث والنشور) بأسانيده، وطرقه، المتكاثرات. قال القاضي: وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا. قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا فرطكم على الحوض»، قال أهل اللغة: الفرط بفتح الفاء والراء، والفرط: هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض، والدلاء، ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى «فرطكم على الحوض»: سابقكم إليه كالمهيء له. (مسلم بشرح النووي): 59 / 15.

(308/3)

وأما كثرة أتباعه صلى الله عليه وسلم
فخرج مسلم من حديث جرير عن المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا [(1)] .
وفي رواية سفيان عن مختار: أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة [(2)] .
وفي رواية زائدة عن المختار: أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدق من أمته إلا رجل واحد [(3)] .
وخرج البخاري [(4)] ومسلم [(5)] والنسائي من حديث الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي [أوتيته] وحيا أوحى إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم [تابعا] يوم القيامة.
وخرج الترمذي من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أكثرهم واردا، وإني

[(1)]

أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (85) في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا»، حديث رقم (330) .

[(2)] المرجع السابق، حديث رقم (331) .

[(3)] المرجع السابق، حديث رقم (332) .

[(4)]

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب (1) كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، حديث رقم

(4981) ، وفي (خ) : «أوتيت» ، و «تبعنا» ، والتصويب من رواية البخاري، وأخرجه البخاري أيضا في كتاب الاعتصام بالسنة، باب (1) قول النبي صلى الله عليه وسلّم: بعثت بجوامع الكلم، حديث رقم (7274) .

[(5)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب (70) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، حديث رقم (329) .

(309/3)

لأرجو أن أكون أكثرهم واردة [(1)] . قال هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث ابن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلّم مرسلا، ولم يذكر عن سمرة، وهذا أصح.

[(1)] (صحيح سنن الترمذي) : 2 / 295 - 296 ، باب (12) صفة الحوض، حديث رقم (1988) ، قال الألباني: صحيح، و (الصحيحه) : حديث رقم (1589) .

(310/3)

وأما الخمس التي أعطيتها صلى الله عليه وسلّم وقد روى ست، وروى ثلاث وأربع، وهي تنتهي إلى أزيد من سبع، قال: فهن لم يؤقن أحد قبلي.

فخرج البخاري من حديث هشيم، أخبرنا سيار، حدثنا يزيد الفقير، قال: أخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. ذكره في باب التيمم [(1)] ، وخرجه في كتاب الصلاة [(2)] ولفظه: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي.. الحديث إلى آخره، وقال: وبعثت إلى كافة الناس. وخرجه مسلم [(3)] بهذا السند ولفظه: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي

الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأيا رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة. وخرجه النسائي [(4)] ، ولفظه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجدا طهورا، فأينما أدرك رجل من أمتي الصلاة صلى. لم يذكر

[(1)] أخرجه البخاري في كتاب التيمم. قول الله تعالى: فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ [المائدة: 6] باب (1) ، حديث رقم (335) .
[(2)]

باب (56) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» ، حديث رقم (438) .

وأخرجه البخاري أيضا في كتاب فرض الخمس، باب (8) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحلت لي الغنائم.

وقال الله عز وجل: وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا [الفتح: 20] ، وهي للامة حتى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (3122) ، ورقم (3124) .
[(3)] ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (521) .
[(4)] ذكره النسائي في كتاب المساجد، باب (42) الرخصة في الصلاة في أعطان الإبل، حديث رقم (735) .

(311/3)

منه غير هذا [(1)] .

وخرج مسلم من حديث محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربي عن حذيفة رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضلنا على الأنبياء بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء، وذكر خصلة أخرى [(2)] .

وخرجه أبو داود الطيالسي من حديث أبي عوانة عن أبي مالك بسنده ولفظه: فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجدا وتربتها طهورا، وأعطيت آخر سورة البقرة وهي كنز من العرش.

وروى أبو داود السجستاني من حديث جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد ابن عمير عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا [(3)] .

وخرج ابن الجارود من حديث يزيد بن هارون قال: أخبرنا محمد- يعني ابن عمرو- عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثله سواء. وخرج أبو بكر بن أبي شيبة بسنده ولفظه. وخرجه ابن الجارود أيضا من حديث حماد عن ثابت وحميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جعلت لي كل أرض طيبة مسجدا وطهورا.

[(1)]

قال محققه: لكن ذكره النسائي أيضا في كتاب الغسل، باب (26) التيمم بالصعيد، حديث رقم (430): أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن سليمان، حدثنا هشيم قال: أنبأنا سيار عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحدا قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأينما أدرك الرجل من أمتي الصلاة يصلي، وأعطيت الشفاعة، ولم يعط نبي قبلي، وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة» .
(سنن النسائي) 1/ 229-231.

[(2)] ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (4) .

[(3)] ذكره في كتاب الصلاة، باب (24) في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة، حديث رقم (489) .

(312/3)

وخرج أبو نعيم من حديث شعبة عن واصل عن مجاهد عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أوتيت خمسا لم يؤتني نبي قبلي: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب على مسيرة شهر، وبعثت إلى الأحمر والأسود، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لني كان قبلي، وأعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من مات منهم لا يشرك بالله شيئا. قال أبو نعيم: هكذا رواه شعبة عن واصل عن مجاهد عن أبي ذر، وتابعه عليه عمرو بن ذر [(1)] .
وخرجه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق قال: حدثني سليمان الأعمش عن مجاهد بن جبير

أبي الحجاج عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوتيت خمسا لم يؤتني نبي كان قبلي: نصرت بالرعب فيرعب مني العدو من مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وبعثت إلى الأحمر والأسود، وقيل لي: سل تعطه فاخترتها شفاعا لأمتي، وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئا،

وكان مجاهد يرى أن الأحمر الإنس والأسود الجن [(1)] .

ولأبي نعيم من حديث جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قال: طلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فوجدته قائما يصلي فأطال الصلاة ثم قال: أوتيت الليلة خمسا لم يؤتني نبي قبلي: أرسلت إلى الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وقيل لي: سل تعطه فاخترتها شفاعا لأمتي، وهي نائلة لمن لا يشرك بالله شيئا [(1)] .

قال أبو نعيم: تابع جرير استدلل ابن علي وأبو معاوية ومحمد بن إسحاق على عبيد بن عمير وقال مرة: متن هذا الحديث وخصائص النبي صلى الله عليه وسلم راتب مشهور ومتفق عليه من حديث يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله وغيره، وحديث عبيد بن عمير عن أبي ذر مختلف في سنده، فمنهم من يرويه عن الأعمش عن مجاهد عن أبي ذر من دون عبيد، وتفرد جرير بإدخال عبيد بن مجاهد وأبي ذر عن الأعمش.

[(1)] سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها في فصل (اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالشفاعة العظمى يوم الفرع الأكبر) فتراجع هناك.

(313/3)

وله من حديث سلمة عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان النبي يبعث إلى قومه، ونصرت بالرعب يرعب مني عدوي شهرا، وأطعمت المغنم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا [(1)] .

وله من حديث سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله، قال: وتابعه عليه الحكم بن عيينة، ورواه يزيد بن أبي زياد مثله عن مجاهد وفيه: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، ولا أقول فخرا: بعثت إلى الأحمر والأسود، فذكر مثله سواء.

وله من حديث ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن رجل سمع عبادة بن الصامت قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن جبريل أتاني فبشرني أن الله أمدني بالملائكة وأتاني النصر، وجعل بين يدي الرعب، وأتاني السلطان والمملك، وطيب لي ولأمتي الغنائم، ولم يكن لأحد قبلنا. والله يؤتي فضله من يشاء وبه يكتفى [(1)] .

[(1)] سبق تخريجه أو نحوه والتعليق عليه.

(314/3)

وأما أنه بعث بجوامع الكلم وأوتي مفاتيح خزائن الأرض

فخرج البخاري في الجهاد من حديث عقيل عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله وأنتم تنتثلونها [(1)] .

وخرجه في كتاب التعبير في باب المفاتيح في اليد ولفظه: بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت مفاتيح خزائن الأرض وضعت [(2)] في يدي، قال محمد: وبلغني أن جوامع الكلم: أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين أو نحو ذلك [(3)] .

وخرجه في كتاب الاعتصام من حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تلغثونها أو ترغثونها، أو كلمة تشبهها [(4)] .

وخرجه مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب، ومن حديث الزبيدي عن الزهري، أخبرنا سعيد بن المسيب وأبو سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول

[(1)]

باب (122) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، حديث رقم

(2977) .

[(2)] في (خ) : «فوضعت» .

[(3)] حديث رقم (7013) ، قوله: (باب المفاتيح في اليد) أي إذا رثيت في المنام، قال أهل التعبير:

المفتاح مال، وعز، وسلطان، فمن رأى أنه فتح بابا بمفتاح فإنه يظفر بحاجته، بمعونة من له بأس، وإن رأى أن بيده مفاتيح فإنه يصيب سلطانا عظيما. (فتح الباري) : 496 / 12 .

[(4)]

باب (1) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بعثت بجوامع الكلم»، حديث رقم (7273) ، واللغث والرغث كناية عن سعة العيش، وأصله من رغث الجدي أمه إذا ارتضع منها، وأرغثته هي أرضعته. (فتح الباري) : 308 / 13 .

(315/3)

الله صلى الله عليه وسلم يقول:.. فذكره [(1)] ، وخرجه من حديث معمر عن الزهري [(2)] ، وخرجه النسائي أيضا من حديث معمر ويونس عن الزهري [(3)] ، وأخرجه أيضا من حديث الزبيدي عن الزهري عن سعيد [(4)] ، وأبي سلمة عن أبي هريرة [(5)] . وقال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت الأمصار في زمان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعده: افتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفسي أبي هريرة بيده ما افتتحتهم من مدينة ولا تفتحوها إلى يوم القيامة إلا الله قد أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك.

وخرج البخاري من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعطيت مفاتيح الكلم ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذا أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي، قال أبو هريرة: فذهب رسول الله وأنتم تنتقلونها. ذكره في كتاب التعبير في باب رؤيا بالليل [(6)] .

وخرج مسلم من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: نصرت بالرعب على العدو، وأوتيت جوامع الكلم، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي [(7)] .

وله من حديث عبد الرزاق، حدثنا معمر عن هشام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم، ذكره والذي قبله في كتاب الصلاة [(8)] .

-
- [(1)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (6) من (صحيح مسلم) .
[(2)] الحديث الذي يليه بالمرجع السابق.
[(3)] (سنن النسائي) : 6 / 310 كتاب الجهاد، باب (1) وجوب الجهاد، حديث رقم (3087) .
[(4)] المرجع السابق، حديث رقم (3089) .
[(5)] المرجع السابق، حديث رقم (3088) .
[(6)] حديث رقم (6998) .
[(7)] ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، حديث رقم (7) .
[(8)] المرجع السابق، حديث رقم (8) .

(316/3)

وخرج من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون [(1)] .
وخرجه أبو نعيم من حديث أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: فضلت على النبيين بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصت بالرعب، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، وأرسلت إلى الناس كافة، وأحلت لي الغنائم، وختم بي النبيون [(2)] .

وله من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيت فواتح الكلم، ونصرت بالرعب، وبيننا أنا نائم إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي [(2)] .
وله من حديث الحسن بن سفيان قال: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا عيسى ابن ميمون، حدثنا محمد بن كعب قال: سمعت ابن عياش رضي الله عنه يقول:
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أوتيت خصالا لا أقولها فخرا، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأوتيت الكوثر آنيته عدد نجوم السماء.

وله من طريق الغرياني جعفر بن محمد قال: حدثنا أبو جعفر النقبلي، حدثنا موسى بن أمين عن عطاء بن السائب عن أبي جعفر عنه أبيه عن جده عن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وأعطيت جوامع الكلم، يعني القرآن [(2)] .

[(1)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (6) من صحيح مسلم.

[(2)] سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها.

(317/3)

وخرج مسلم من حديث مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن مرة الهمداني عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى، أعطي ثلاثا: أعطيت الصلوات الخمس، وأعطيت خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن كان من أمته لا يشرك بالله المقحّمات [(1)] .

وذكر قتادة عن أبي المليح عن وائلة بن الأسقع قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعطيت مكان التوراة السبع، ومكان الزبور المثين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل [(2)] .

[(1)] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان. باب (76) في ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (279)

، والمقحّمات: الذنوب الكبائر التي تقحم أصحابها في النار.

[(2)] [دلائل البيهقي] : 5 / 475، وأخرجه الطبراني في الكبير، وأشار إليه السيوطي

بالحسن، (فيض القدير) : 1 / 565.

(318/3)

وأما تأييده بقتال الملائكة معه

فخرج البخاري من حديث يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقني عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر

فيكم؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة [(1)] .

ومن حديث خالد بن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب [(2)] .

ومسلم قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين [(3)] .

ولعثمان بن سعيد الدارمي من حديث معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل: وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ [(4)] ، قال: أقبلت عبر مكة تريد الشام، فبلغ أهل مكة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الله عز وجل قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا أن يلقوا

[(1)] أخرجه في كتاب المغازي، باب (11) شهود الملائكة بدرًا، حديث رقم (3992) .

[(2)] المرجع السابق، حديث رقم (3995) ، وأخرجه أيضا في باب (17) غزوة أحد برقم (4041) وفيه: «قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ...» وباقي الحديث بمثله سواء.

[(3)] أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب (18) الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم (58) ، وهو حديث طويل.

[(4)] 7: الأنفال.

(319/3)

العير أحب إليهم وأيسر شوكة، وأحضر مغنما، فلما سبقت العير وفاتت سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم، فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بينهم وبين الماء رملة دعصة، فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم القنط يوسوسهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا، فأمطر الله عليهم مطرا شديدا، فشرّب المسلمون وتطهروا،

فأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وصار الرمل كذا، ذكر كلمة أخير أنه أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأمدّ نبيّه والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، [وميكائيل في خمسمائة مجنبة] [(1)] ، وجاء إبليس في جند من الشياطين معه، رأيت في صورة رجال بني مدلج، والشيطان في صورة سراقفة بن مالك بن جشعم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم [(2)] ، فلما اصطف القوم قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره.

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال: يا رب إنك إن تملك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدا، فقال جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينه ومنخره وفمه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس - لعنه الله - فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقفة!! لم تزعم أنك جار لنا؟ وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب [(2)] ، وذلك حين رأى الملائكة.

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال:

وحدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله ابن أبي بكر وغيرهم من علمائنا، فذكر الحديث في يوم بدر إلى أن قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش هو وأبو بكر رضي الله عنه ما معهما غيرهما، وقد تدانى القوم بعضهم من بعض، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من

[(1)] زيادة للسياق من تفسير ابن كثير.

[(2)] 48: الأنفال.

(320/3)

نصره ويقول: اللهم إن تملك هذه العصابة لا تعبد، وأبو بكر رضي الله عنه يقول:

بعض منا شدتك يا رسول الله فإن الله موفيك ما وعدك من نصره.

وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة [ثم هب] [(1)] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع - يقول الغبار-، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعبا [(2)] أصحابه وهياهم

وقال: لا يعجلن رجل بقتال [(3)] حتى تؤذنه، فإذا أكثبوكم [(4)] القوم- يقول: اقتربوا منكم- فانضحوهم [عنكم] [(5)] بالنبل، ثم تراحم الناس، فلما تداين بعضهم من بعض خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من حصباء [(6)] ثم استقبل بها قريشا فنفخ بها في وجوههم وقال: شامت الوجوه- يقول: قبحت الوجوه- ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احمّلوا يا معشر المسلمين، فحمل المسلمون، وهزم الله قريشا، وقتل من قتل من أشرافهم، وأسر من أسر منهم [(7)] .

وقال يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق: قال عبد الله بن أبي بكر: حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة- وكان شهد بدر- قال بعد أن أذهب بصره: لو كنت معكم ببدر الآن ومعى بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة [(8)] .

وقال موسى بن عقبة: فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل ابن الحضرمي شهرين، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب في عير لقريش من الشام، فذكر قصة بدر، إلى أن قال: وعجّ المسلمون إلى الله تعالى يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نشب، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى الله تعالى يسأله ما وعده ويسأله النصر ويقول: اللهم إن ظهر على هذه العصابة ظهر الشرك ولم يقم لك دين، وأبو بكر رضي الله عنه

[(1)] في (خ) : «ثم قال هب» .

[(2)] في (خ) : «فعبي» .

[(3)] في (خ) : «لقتال» .

[(4)] في (خ) : «أكثبكم» .

[(5)] زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

[(6)] في (خ) : «حصاه» .

[(7)] (دلائل البيهقي) : 81 / 3 .

[(8)] المرجع السابق، و (ابن هشام) : 181 / 3، وزاد: «لا أشك فيه ولا أتمارى» .

(321/3)

يقول له: يا رسول الله، والذي نفسي بيده لينصرنك الله عز وجل، وليبيض وجهك، فأنزل الله عز وجل من الملائكة جندا في أكثاف العدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أنزل الله ونزلت الملائكة، أبشر يا أبا بكر فإني قد رأيت جبريل معتجرا يقود فرسا بين السماء والأرض،

فلما هبط إلى الأرض جلس عليها فتغيب عني ساعة، ثم رأيت على شفته غبارا.
وقال ابن إسحاق في رواية محمد بن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي: حدثني
عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس رضي الله عنه قال:
حدثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر
ونحن مشرکان، ننظر الوقعة على من تكون الدائرة، فننتهب مع من ينتهب، فبينما نحن في الجبل إذ
دنت منا سحابة فسمعنا فيها حممة الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي
فانكشف قناع قلبه مات مكانه، وأما أنا فكدت أن أهلك ثم تماسكت [(1)] .
قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق عن يسار عن رجال من بني مازن ابن النجار عن أبي داود
المازني- وكان شهد بدرا- فقال: إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع على
رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري [(2)] .
قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنه قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء وأرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين
عمائم حمرا [(3)] .

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: العمائم
تيجان العرب، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرخواها على ظهورهم، إلا جبريل
فقد كانت عليه عمامة صفراء [(4)] .

[(1)] المرجع السابق، وقال: «على من تكون الدبرة» وهي بمعنى الدائرة.

[(2)] المرجع السابق، وقال: «وقع رأسه» .

[(3)] المرجع السابق: 182، وقال: «بيضا قد أرسلوها على ظهورهم» .

[(4)] المرجع السابق، وقال: «عمائم بيضا» .

(322/3)

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مقسم [(1)] عن ابن عباس قال: ولم تقاتل الملائكة
في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون]
[(2)] .

وقال الواقدي: فحدثني عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس قال: سمعت ابن عباس يقول: لما
تواقف الناس - يعني يوم بدر - أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم [ساعة] [(3)] ،

ثم كشف عنه، فبشر المؤمنين بجبريل في جند من الملائكة [في] [(3)] ميمنة الناس، وميكائيل في جند آخر [في] [(3)] ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسرافيل في جند آخر بألف [(4)] ، قال: وكانت سيما الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم، خضرا وصفرا [وحمرا] [(3)] من نور، والصوف في نواصي خيلهم [(5)] .

وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الملائكة قد سؤمت فسؤموا، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم.

وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال: كان أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون في الزحوف: حمزة بن عبد المطلب معلم يوم بدر بريشة نعام، وكان عليّ معلما بصوفة بيضاء، وكان الزبير معلما بعصابة صفراء، وكان الزبير يحدث:

إن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمائم صفر، وكان على الزبير يومئذ عصابة صفراء، وكان أبو دجاجة يعلم بعصابة حمراء [(6)] .

وقال الزبير بن بكار: حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح بن عبد الله ابن عروة بن الزبير، عن هشام بن عروة عن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير أنه بلغه أن الملائكة نزلت يوم بدر وهم طير بيض عليهم عمائم صفر، وكانت

[(1)] في (خ) : «مغتم» ، والتصويب من المرجع السابق.

[(2)] المرجع السابق.

[(3)] زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .

[(4)] المرجع السابق: 1 / 70 - 71.

[(5)] المرجع السابق: 1 / 75.

[(6)] المرجع السابق: 1 / 76، وقال: «فكان على الزبير» .

(323/3)

على الزبير يومئذ عمامة صفراء من بين الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نزلت الملائكة اليوم على سيما أبي عبد الله، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة صفراء.

حدثني أبو المكرم عقبة بن مكرم الضبي قال: حدثني مصعب بن سلام التميمي عن سعد بن طريف عن أبي جعفر محمد بن علي قال: كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء، فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر.

حدثني محمد بن حسن عن محمد بن يحيى عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: نزلت الملائكة يوم بدر على سيماء الزبير، عليهم عمائم صفراء، وقد أرخوها في ظهورهم، وكانت على الزبير عمامة صفراء، وفي ذلك يقول عامر بن صالح ابن عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنه:

جدي بن عمة أحمد ووراء ... عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في لأمة الصفراء
نزلت بسيماء الملائكة قصره ... بالحوض يوم بسالة الأعداء
وقال الواقدي: وحدثني عبد الله بن موسى بن أمية بن عبد الله بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل قال: سمعت بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون [(1)] .

وحدثني خارجة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل: من القائل يوم بدر من الملائكة: «أقدم حيزوم» ؟ فقال: يا محمد، ما كل أهل السماء أعرف [(2)] .

وحدثني عبد الرحمن بن الحرث عن أبيه عن جده عبيد بن أبي [عبيد، عن أبي] [(3)] رهم الغفاري عن ابن عم له قال: بينما أنا وابن عم لي على ماء بدر، فلما رأينا قلة مع محمد وكثرة قريش قلنا: إذا التقت الفتتان عمدنا إلى عسكر محمد

[(1)] (مغازي الواقدي) : 1 / 76.

[(2)] المرجع السابق: 1 / 77.

[(3)] زيادة في النسب من المرجع السابق.

(324/3)

وأصحابه فانطلقنا إلى الجنبه اليسري من أصحاب محمد ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش، فبينما نحن نمشي [في] [(1)] الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا، فرفعنا أبصارنا إليها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا رجلا يقول لفرسه: «أقدم حيزوم»، وسمعناهم يقولون: رويدا تتأم أخراجكم»، فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت أخرى مثل تلك، فكانت مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنظرنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإذا هم الضّعف على قريش، فمات ابن عمي وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم.

وأسلم وحسن إسلامه [(2)] .

قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة- وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام- إلا ما رأى يوم بدر، قيل: وما رأى يوم بدر؟ قال:

أما أنه قد رأى جبريل يزع الملائكة. قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، إني نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور [(3)] .
وحدثني أبو إسحاق بن أبي عبد الله، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن صالح ابن إبراهيم قال: كان عبد الرحمن بن عوف يقول: رأيت يوم بدر رجلين، عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما، وعن يساره أحدهما، يقاتلان أشد القتال، ثم تلتهما ثالث من خلفه، ثم ربعهما رابع أمامه [(4)] .

وحدثني أبو إسحاق بن أبي عبد الله عن عبد الواحد بن أبي عون عن زياد مولى سعد، عن سعد قال: رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أحدهما عن يساره والآخر عن يمينه، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة، وإلى ذا مرة، سرورا بما ظفره الله تعالى [(5)] .
حدثني إسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال: ما أدري كم يد مقطوعة، أو ضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر، قد رأيتها [(6)] !!

[(1)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(2)] المرجع السابق.

[(3)] المرجع السابق.

[(4)] المرجع السابق.

[(5)] المرجع السابق: 78 / 1.

[(6)] المرجع السابق: 78 / 1.

(325/3)

وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عفير عن رافع بن خديج، عن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتهن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث، فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه فتدهدى أمامه، فأخذت رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك فلان من الملائكة.

وكان ابن عباس يقول: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر [(1)] .
 وحدثني أبو حبيبة [(2)] عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال:
 كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول:
 إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، وذلك قول الله
 تبارك وتعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتُمْ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا [(3)] إلى آخر الآية.
 وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال: كان السائب بن أبي حبيش الأسدي يحدث في زمن عمر
 بن الخطاب رضي الله عنه يقول: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ فيقول: لما انهزمت
 قريش ما انهزمت معها، فيدركني رجل طويل أبيض على فرس أبلق بين السماء والأرض، فأوثقني
 رباطا، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر [(4)]
 : من أسر هذا؟

فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهيت [(5)] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسرك؟ قلت: لا أعرفه [(6)] ، وكهت أن أخبره بالذي
 رأيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسره ملك من الملائكة كريم، اذهب يا ابن عوف
 بأسيرك،

فذهب بي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال السائب، فما زلت تلك الكلمة أحفظها،
 وتأخر إسلامي حتى [كان] [(7)] ما كان من إسلامي.

[(1)] المرجع السابق: 78 / 1 - 79 .

[(2)] في المرجع السابق: «ابن أبي حبيبة» .

[(3)] الأنفال: 18، وتامها: سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ
 وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ .

[(4)] في المرجع السابق: «العسكر» .

[(5)] في المرجع السابق: «حتى انتهى بي» .

[(6)] في المرجع السابق: «لا أعرف» .

[(7)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

وحدثني عائذ بن يحيى عن ابن الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثي عن حكيم ابن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق، فإذا الوادي يسيل نملا، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أئد به محمد صلى الله عليه وسلم، فما كانت إلا الهزيمة، وهي الملائكة [(1)] .

حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم، عن رجل من بني أود قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول وهو يخطب بالكوفة:

بيننا أنا [أسيح] [(2)] في قلب بيدر جاءت ريح لم أر مثلها قط شدة، ثم ذهب فجاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا التي كانت قبلها، فكانت الأولى جبريل في ألف مع رسول الله، والثانية ميكائيل في ألف عن يمينه رسول الله وأبي بكر، وكانت الثالثة إسماعيل في ألف نزل عن يسرة رسول الله، وأنا في اليسرة، فلما هزم الله أعداءه حملني رسول الله على فرس [(3)] فلما جرت خررت على عنقها، فدعوت ربي فأمسكني حتى استويت، وما لي والخيول، إنما كنت صاحب غنم، فلما استويت طعنت بيدي هذه حتى اختضبت مني ذا، يعني إبطه.

وفي مغازي ابن عقبة: أن ابن مسعود وجد أبا جهل جالسا لا يتحرك ولا يتكلم، فسلبه درعه، فإذا في بدنه نكت سود، فحلّ سبعة البيضة وهو لا يتكلم، واخترط سيفه - يعني سيف أبي جهل - فضرب به عنقه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين احتمل رأسه إليه عن تلك النكت السود التي رآها في بدنه، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته، وأن تلك آثار ضرب الملائكة له [(4)] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد قال: حدثنا سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لقد رأيت يوم أحد عن يمين

[(1)] المرجع السابق: 80 / 1، والبيجاد: الكساء.

[(2)] كذا في (خ) ، ولم أجد لها توجيها.

[(3)] في (خ) كلمة لم أتبين معناها لعدم وضوحها.

[(4)] [مغازي الواقدي]: 90 / 1، و (ابن هشام): 185 / 3 [هامش] ، (شرح ابن أبي

الحديد على النهج): 143 / 4.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليها ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد [(1)] . وذكره البخاري في [المغازي] [(2)] ، وخرجه من حديث مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل، لم يقل البخاري: يعني جبريل وميكائيل، ذكره البخاري في كتاب اللباس [(3)] .

وقال ورفاء عن ابن أبي نجيح قال: قال مجاهد: لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر، قال البيهقي: إنما أراد أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به [(4)] .

وحدث الواقدي عن شيوخه في قوله تعالى: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بلى إِنَّ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ [(5)] ، قال: فلم يصبروا فانكشفوا فلم يمدوا [(6)] .

وقال ابن لهيعة: حدثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال: وكان الله عز وجل وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وكان قد فعل، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم، وتركت الرماة عهد الرسول إليهم أن لا يبرحوا منازلهم، وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة،

[(1)] ذكره البخاري في المغازي، باب (18) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم (4054) .

[(2)] في (خ) : «المناقب» ، والصواب ما أثبتناه، وذكره مسلم في الفضائل باب (10) في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، حديث رقم (47) . و (مغازي الواقدي) : 1 / 234 .

[(3)] باب (24) الثياب البيض، حديث رقم (5826) ولفظه: «رأيت بشمال النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه رجلين عليهما ثياب بيض يوم أحد، ما رأيتهما قبل ولا بعد» .

[(4)] [دلائل البيهقي] : 3 / 255 - 256 .

[(5)] آل عمران: 124 .

[(6)] [المرجع السابق: 256، و (مغازي الواقدي) : 1 / 319 - 320، باب ما نزل من القرآن بأحد .

وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُبُوهُمْ بِإِذْنِهِ [(1)] ، فصدق الله وعده وأراهم الفتح، فلما عصوا الرسول أعقبهم البلاء.

وقال ابن هشام: مسؤمين: معلّمين، بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن [البصري] [(2)] أنه قال: أعلموا أذنان خيلهم ونواصيها بصوف أبيض [(3)] .

وذكر يونس بن بكير عن عبد الله بن عون عن عمير بن إسحاق قال: لما كان يوم أحد انكشفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وسعد يرمي بين يديه، وفتى ينبل له، كلما ذهبت نبلة أتاه بها قال: ارم أبا إسحاق، فلما فرغوا نظروا من الشاب فلم يروه ولم يعرف.

ورواه الواقدي عن عبيدة بنت نائل عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد بن أبي وقاص قال: لقد رأيتني أرمي بالسهم يومئذ فيرده عليّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه، حتى كان بعد فظننت أنه ملك [(4)] .

وقال الواقدي: حدثني الزبير بن سعيد عن عبد الله العضل قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلّم مصعب بن عمير اللواء، فقبل: فأخذه ملك في صورة مصعب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول لمصعب في آخر النهار: يا مصعب، فالتفت إليه الملك فقال: لست بمصعب، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه ملك أيّد به [(5)] . [وسمعت أبا معشر يقول مثل ذلك] [(6)] .

وحدثني عبد الملك بن سليم عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال: لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا ويقولون: لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر، قال عبيد بن عمير: ولم تقا تل الملائكة يوم أحد [(7)] .

[(1)] آل عمران: 152.

[(2)] زيادة للسياق من ابن هشام.

[(3)] [سيرة ابن هشام]: 4 / 58.

[(4)] [مغازي الواقدي]: 1 / 234.

[(5)] المرجع السابق.

[(6)] ما بين الحاصرتين زيادة من المرجع السابق.

[(7)] المرجع السابق: 234 - 235.

وحدثني ابن أبي سبرة عن عبد الحميد بن سهيل، عن عمر بن الحكم قال:
لم يمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بملك واحد، وإنما كانوا يوم بدر [(1)] .
وحدثني ابن خديج عن عمرو بن دينار عن عكرمة مثله [(2)] .
وحدثني معمر بن راشد عن أبي لحيح عن مجاهد قال: حضرت الملائكة يومئذ ولم تقاتل [(3)] .
وحدثني سفيان بن [(4)] سعيد عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد قال: لم تقاتل الملائكة إلا
يوم بدر [(5)] .
وحدثني ابن أبي سبرة عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث [(6)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قد وعدهم الله أن يمدهم لو صبروا، فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذ [(7)] .
وحدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض، عن جدته - وهي مولاة جويرية- [قالت] [(8)] :
سمعت جويرية بنت الحارث تقول: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع،
فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت: فكنت أرى من [الخيل والناس] [(9)]
[والسلاح] [(10)] ما لا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجعنا، جعلت انظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، [فعرفت] [(11)] أنه
رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين، [فكان رجل منهم] [(12)] قد أسلم فحسن إسلامه
يقول: لقد كنا نرى رجلا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد [(13)] .

[(1)] المرجع السابق.

[(2)] المرجع السابق.

[(3)] المرجع السابق.

[(4)] في (خ) : «ابن أبي سعيد» وما أثبتناه من المرجع السابق.

[(5)] المرجع السابق.

[(6)] في (خ) : «الليث» .

[(7)] [مغازي الواقدي] : 1 / 235.

[(8)] في (خ) : «قال» .

[(9)] في المرجع السابق: «من الناس والخيل» .

[(10)] زيادة من (خ) .

[(11)] في المرجع السابق: «فعلمت» .

[(12)] في (خ) : «وكان منهم» .

[(13)] [مغازي الواقدي] : 1 / 407، 408.

وقال ابن إسحاق: حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أنه حدث: أن مالك بن عوف بعث عيوناً [من رجاله] [(1)] ، فأتوه وقد تقطعت أوصالهم، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: أتانا رجال بيض [(2)] على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فما رده [(3)] ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد [(4)] يعني في يوم حنين. وخرج بقي بن مخلد من حديث النضر بن شميل قال: أخبرنا عوف عن عبد الرحمن مولى أم برثن صاحب السبقاية- سقاية المربد- قال: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة [(5)] أن كشفناهم، قال: فبينما نحن نسوقهم في آثارهم فإذ صاحب البغلة البيضاء، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه وقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، قال: فاتخذنا من قولهم، وركبوا أجيادنا فكانت إياها [(6)] .

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني والذي إسحاق بن يسار عن من حدثه عن جبير بن مطعم قال: إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يقتتلون، إذ نظرت إلى مثل البجاد [(7)] الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا

[(1)] تصويب من (ابن هشام) .

[(2)] في المرجع السابق: «رأينا رجالاً بيضا» .

[(3)] في المرجع السابق: «فوالله ما رده» .

[(4)] [(سيرة ابن هشام) : 5 / 107 ، عيون مالك بن عوف ونزول الملائكة، وهي رواية ابن إسحاق.

وقال الواقدي: وبعث مالك بن عوف رجالاً من هوازن ينظرون إلى محمد وأصحابه- ثلاث نفر- وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ما شأنكم؟ ويلكم! قالوا:

رأينا رجالاً بيضا على خيل بلق، فوالله، ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى! وقالوا له: ما نقاتل أهل الأرض، إن نقاتل إلا أهل السموات- وإن أفئدة عيوننا تحفق، وإن أطعنا رجعت بقومك، فإن الناس إن رأوا مثل ما رأينا أصابهم مثل الذي أصابنا.

قال: أف لكم! بل أنتم قوم أجبن أهل العسكر، فحبسهم عنده فرقا أن يشيع ذلك الرعب في العسكر، وقال: دلوني على رجل شجاع، فأجمعوا له على رجل، فخرج، ثم رجع إليه وقد أصابه

نحو ما أصاب من قبله منهم.

فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت رجالا بيضا علي خليل بلق، ما يطاق النظر إليهم، فو الله ما تماسكت أن أصابني ما ترى، فلم يثنه ذلك عن وجهه، (مغازي الواقدي): 3 / 892 - 893.

[(5)] كناية عن الزمن اليسير، وهو ما يساوي زمن حلب الشاة.

[(6)] ونحوه في (المرجع السابق): 3 / 906.

[(7)] البجاد يعني الكساء من النمل مبعوثا.

(331/3)

وبين القوم، فإذا نمل منثور قد ملاً الوادي، فلم يكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة [(1)] .

وقال الواقدي [(2)] : حدثني عبد الله بن علي عن سعيد بن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن جده قال: لما تراءينا نحن والقوم، رأينا سوادا لم نر مثله قط كثرة، وإنما ذلك السواد نعم، فحملوا النساء عليه، قال: فأقبل مثله الظلة السوداء من السماء حتى أظلت علينا وعليهم وسترت الأفق، فنظرت فإذا وادي حنين يسيل بالنمل - نمل أسود مبعوث - لم أشك أنه نصر أيدنا الله به فهزمهم الله عز وجل.

وحدثني ابن أبي سبرة، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن، عن شيوخ من قومه من الأنصار قال: رأينا يومئذ كالبجد [(3)] الأسود هوت من السماء ركاما [(4)] ، فنظرنا فإذا نمل مبعوث، فإن كنا لننفضه عن ثيابنا، فكان نصر أيدنا الله به [(5)] .

وكان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يوم حنين، فكان يزيد بن عامر السوائي يحدث وكان حضر يومئذ فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة يرمي بها في الطست فيطن، فقال: كنا نجد في أجوافنا مثل [(6)] هذا.

وكان مالك بن أوس بن الحدثان يقول: حدثني عدّة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون: لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكف من الحصا، [(7)] فما منا أحد إلا يشكو القذى في عينه، وقد كنا نجد في صدورنا خفقانا كوقع الحصا في

[(1)] وقريب منه في (سيرة ابن هشام): 5 / 117 - 118.

[(2)] [المغازي] : 905 / 3 .

[(3)] [البجد: جمع البجاد، وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب.

[(4)] [الركاب: السحاب المتراكم، وفي التنزيل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا [43: النور] .

[(5)] [مغازي الواقدي] : 905. / 3 .

[(6)] [المرجع السابق] : 905 - 906 .

[(7)] [في المرجع السابق.

(332/3)

الطساس، ما يهدأ ذلك الخفقان عنا، ولقد رأينا يومئذ رجلا بيضا على خيل بلق، عليهم عمائم حمراء، أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض، كتائب كتائب، ما يلقون شيئا، وما نستطيع أن نتأملهم من الرعب [(1)] [منهم] .

[(1)] [المرجع السابق] : 906 / 3 ، وما بين الحاصرتين زيادة منه.

(333/3)

وأما أنه خاتم الأنبياء

فقد قال الله تعالى: وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [(1)] ، قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: خاتم النبيين [(1)] : الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، واختلفت القراء في قراءة قوله: وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [(1)] ، فقرأ ذلك الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين، بمعنى أنه ختم النبيين، ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله، ولكن نبينا ختم النبيين، فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم. وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم وخاتم النبيين بفتح التاء، بمعنى أنه آخر النبيين، كما قرأ مَخْتُومَ خِتَانِهِ مَسْكٌ بمعنى آخره مسك، من قرأ ذلك كذلك [(2)] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح

السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا- وقال البخاري: بيتا- فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين، ولم يذكر البخاري قوله: من زواياه [(3)] .
ومسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد [(4)] عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه

[(1)] [الأحراب: 40، وتامها ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .

[(2)] [تفسير الطبري) : 16 / 12، تفسير سورة الأحراب .

[(3)] [ذكره البخاري في كتاب المناقب، باب (18) خاتم النبيين، حديث رقم (3535) ،
ومسلم في كتاب الفضائل، باب (7) ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، حديث رقم (22) .

[(4)] في (خ) : «النهاد» .

(334/3)

وأجمله، فجعل الناس يطوفون به ويقولون: ما رأينا بنيانا أحسن من هذا [(1)] ، إلا هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة [(2)] .
وله من حديث عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر أحاديث منها، قال: وقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابنى بيوتا فأحسنها [وأجملها] [(3)] وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس [يطوفون] [(4)] ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت ها هنا لبنة فيتم [بنيانك] [(5)] ؟ فقال محمد صلى الله عليه وسلم: فكنت أنا اللبنة [(6)] .

وخرج البخاري [(7)] ومسلم [(8)] من حديث سليم بن حيان قال: حدثنا سعيد ابن مينا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها- وقال البخاري فأكملها وأحسنها- إلا موضع لبنة،

[(1)] في (خ) : «هذه» .

[(2)] المرجع السابق، حديث رقم (20) .

[(3)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(4)] في (خ) : «يطيفون» ، والتصويب من المرجع السابق.

[(5)] في (خ) : «بناؤك» .

[(6)] [صحيح مسلم] : كتاب الفضائل، باب (7) ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، حديث رقم (21) ، وفيه فضيلته صلى الله عليه وسلم، وأنه خاتم النبيين، وجواز ضرب الأمثال في العلم وغيره، واللينة، بفتح اللام وكسر الباء- ويجوز إسكان الباء مع فتح اللام وكسرها، كما في نظائرها، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووي) : 15 / 56-57.

[(7)] [صحيح البخاري] : كتاب المناقب، باب (18) خاتم النبيين، حديث رقم (3534) ، قال الحافظ في (الفتح) : أي أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ولمح بما وقع في القرآن، وأشار إلى ما أخرجه في التاريخ من حديث العرياض بن سارية رفعه: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته» ، الحديث، وأخرجه أيضا أحمد وصححه ابن حبان والحاكم، فأورد فيه حديثي أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما، ومعناها واحد، وسياق أبي هريرة أتم، ووقع في آخر حديث جابر عند الإسماعيلي من طريق عفان عن سليم بن حيان: «فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء» ، وفي الحديث: ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين، وأن الله تعالى ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين. (فتح الباري) : 6 / 694.

[(8)] [صحيح مسلم] : كتاب الفضائل، باب (7) ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم

النبيين، حديث رقم (23) .

[\(335/3\)](#)

فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء. انتهى حديث البخاري عند قوله: إلا موضع اللبنة. وترجم عليه وعلى حديث إسماعيل بن جعفر: باب خاتم الأنبياء.

و [خرج] الإمام أحمد من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه

ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة! فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة [(1)] .
 ولمسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال:
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ختم بي النبيون.
 وله من حديث حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي [(2)] .
 انفراد بإخراجه مسلم.
 وله من حديث محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه
 قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى
 إلا أنه لا نبي بعدي [(3)] .
 وخرج البخاري من حديث شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد [(4)] عن أبيه، أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه فقال:

-
- [(1)] (مسند أحمد) : 6 / 164، حديث الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله تعالى
 عنه، حديث رقم (20737) .
 [(2)] (جامع الأصول) : 10 / 36-37، حديث رقم (7496) ، 11 / 316، حديث
 رقم (8879) .
 [(3)] (صحيح مسلم) : كتاب فضائل الصحابة، باب (4) من فضائل علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه حديث رقم (30) .
 [(4)] هو سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه.

[\(336/3\)](#)

أتخلفني في النساء والصبيان؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي
 بعدي [(1)] .؟
 وخرجه مسلم وأبو داود مثله سواء. وفي لفظ لمسلم: خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
 بن أبي طالب في غزاة تبوك فقال: يا رسول الله! أتخلفني في النساء والصبيان؟
 فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي [(2)] .؟
 وخرجه النسائي بإسناده ومثله [(3)] . وفي لفظ لمسلم والترمذي [(4)] والنسائي: أما
 ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟

[(1)] (صحيح البخاري) : كتاب المغازي، باب (79) غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة، حديث رقم (4416) ، وقال في آخره: «وقال أبو داود: حدثنا شعبة عن الحكم، سمعت مصعباً» ، قال الحافظ في (الفتح) : أراد بيان التصريح بالسمع في رواية الحكم عن مصعب، وطريق أبي داود هذه وصلها أبو نعيم في (المستخرج) ، والبيهقي في (الدلائل) من طريقه. (فتح الباري) : 141 / 8.

[(2)] (صحيح مسلم) : كتاب فضائل الصحابة، باب (4) من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (31) .
[(3)] [يشهد له ما قبله.

[(4)] [أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (3732) ، وهو حديث صحيح بشواهده، منها الذي قبله.

(337/3)

وأما أن أمته خير الأمم

قال الله جل ذكره: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [(1)] .

خرج الحاكم من حديث سفيان عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة في قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [(1)] ، تجروهم بالسلاسل فتدخلونهم الإسلام. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد [(2)] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه: هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة [(2)] ، [وشهدوا بدرا والحديبية] [(3)] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من فعل فعلهم كان مثلهم، وقيل: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يعني الصالحين منهم وأهل الفضل، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة.

وقال مجاهد [(3)] : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [(1)] على الشرائط المذكورة في الآية، وقيل معناه: كنتم في اللوح المحفوظ، وقيل: كنتم مد أنتم خير أمة، وقيل: جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأمته، فالمعنى: كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة.

وقال الأخفش [(3)] : أي خير أهل دين، وقيل: خلقتهم ووجدتهم خير أمة، وقيل: أنتم خير أمة، وقيل: كنتم للناس خير أمة.
وقيل: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ [(1)] إذا أنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

[(1)] آل عمران: 110، (صحيح البخاري): كتاب التفسير، باب (3) حديث رقم (4557).

[(2)] [المستدرک]: 2/ 323، كتاب التفسير، باب (3) تفسير سورة آل عمران، حديث رقم (277 / 3160). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي في (التخليص): على شرط مسلم.
[(3)] [فتح البيان]: 2/ 114.

(338/3)

وقيل: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى، وقيل: هذا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم: خير الناس قرني: أي الذين بعث فيهم.
وقال الحافظ أبو نعيم: ومن إكرام الله تعالى [لنبيه] [(1)] صلى الله عليه وسلم، أن فضل أمته.
على سائر الأمم، كما فضله على سائر الأنبياء، وكما أنه فاتح نبيه صلى الله عليه وسلم بالعطية قبل المسألة، كذلك أعطى أمته أفضل العطية قبل المسألة إعظاماً له وإكراماً.
وخرج الحاكم من طريق عبد الرزاق [عن] معمر عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، قال: أنتم متمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله.
قال الحاكم:

هذا حديث صحيح الإسناد [(2)] .

ومن حديث يزيد بن هارون [عن] سعيد بن إياس الجريدي عن حكيم بن معاوية عن أمية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم توفون سبعين أمة، أنتم أكرمهم على الله وأفضلهم [(3)] .

وخرج أبو نعيم من حديث محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا سفيان الثوري عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن عمرو بن عبسة قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتُنَا [(4)] ، ما كان النداء [(5)] ؟ وما كانت

[(1)] زيادة يقتضيها السياق.

[(2)]

(المستدرک) : 5 / 623 ، حديث بجز بن حكيم عن أبيه عن جده ، حديث رقم (19525) ،
ولفظه: «ألا إنكم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل» .

[(3)]

المرجع السابق، حديث رقم (19645) ، ولفظه: «إنكم وفيتم سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها
على الله عز وجل» .

وما بين الحاصرتين في هذا الحديث والذي قبله غير واضح في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه.
[(4)] القصص: 46 ، وتامها: وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

[(5)] قال الطبري: إِذْ نَادَيْتُنَا بَأْن: سَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ [الأعراف: 157] ، وعن أبي
هريرة: أنه نودي من السماء حينئذ: يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني، وغفرت لكم
قبل أن تسألوني، فحينئذ قال موسى عليه السلام: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فالعنى: إِذْ نَادَيْتُنَا
بَأْمْرِك، وأخبرنا بنبوتك، (البحر المحيط) : 8 / 310.

(339/3)

الرحمة [(1)] ؟ قال: كتاب كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام، وستمائة عام على وزن
عرشه، ثم نادى: يا أمة محمد، سبقت رحمتي غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل
أن تستغفروني، فمن لقيني منهم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبدي ورسولي أدخلته الجنة
[(2)] .

وله من حديث أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي، قال: حدثنا سفيان ابن عيينة عن
منصور عن ربي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في قوله تعالى: وَمَا كُنْتُ
بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتُنَا [(3)] ، قال: نودوا يا أمة محمد، ما دعوتونا إذ استجبنا لكم، ولا
سألتمونا إذ أعطيناكم [(4)] .

ومن حديث حمزة الزيات عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة في قوله: وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا، قال: نودي يا أمة محمد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم

[(1)] رحمة بالنصب، فقدّر: ولكن جعلناك رحمة، وقد أعلمناك ونبأناك رحمة. وقرأ عيسى وأبو حيوة: رحمة بالرفع، وقدر: ولكن هو رحمة، أو هو رحمة، أو أنت رحمة لِثُنْدِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ: أي في زمن الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام، وهو خمسمائة وخمسون عاما ونحوه. (المرجع السابق) .

[(2)] أخرج الفريابي، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معا في (الدلائل) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا، قال: نودوا يا أمة محمد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني.

وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا. وأخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر عنه من وجه آخر بنحوه، (فتح القدير) : 251 / 4 - 252.

[(3)] القصص: 46.

[(4)]

أخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن حذيفة في قوله: وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا مرفوعا قال: نودوا: يا أمة محمد ما دعوتونا إذ استجبنا لكم، ولا سألتونا إذ أعطيناكم. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا: «إن الله نادى: يا أمة محمد أجبوا ربكم قال: فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة، فقالوا: لبيك أنت ربنا حقا، ونحن عبيدك حقا، وقال صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدي حقا، قد عفوت عنكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة. (المرجع السابق) ، (تفسير ابن كثير) : 3 / 402.

(340/3)

قبل أن تدعوني [(1)] .

وله من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جبارة بن المغلس، حدثنا الربيع بن النعمان عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن

موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها، فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال: يا ربي، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون [(2)] فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال يا رب إني أجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة أنا جيلهم في صدورهم يقرءونه [(3)] ظاهراً، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أمد، [قال يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتي، قال تلك أمة أحمد] [(4)] ، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة [واحدة] [(4)] ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون [قرون الضلالة] [(4)] المسيح الدجال، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد،

[(1)]

أخرجه ابن مردويه، وأبو نعيم في (الدلائل) ، وأبو نصر السجزي في (الإبانة) ، والديلمي في (مسند الفردوس) [7402] ، عن عمرو بن عبسة قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا، ما كان النداء؟ وما كانت الرحمة؟ قال: كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام، ثم وضعه على عرشه، ثم نادى: يا أمة محمد، سبقت رحمتي غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرتكم قبل أن تستغفروني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبدي ورسولي صادقا أدخلته الجنة. (المرجع السابق) .

[(2)] أي يأتون آخر الأمم في الترتيب التاريخي في الدنيا، ويكونون في مقدمة الأمم في دخول الجنة يوم القيامة.

[(3)] في (خ) : «يقرءونه» .

[(4)] ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من أبي نعيم.

قال: يا رب فاجعلني من أمة أحمد، فأعطي عند ذلك خصلتين، فقال:
يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [(1)]
، قال: قد رضيت يا رب.

قال أبو نعيم: وهذا الحديث من غرائب حديث سهل، لا أعلم أحدا رواه مرفوعا إلا من هذا
الوجه، تفرد به الربيع بن نعمان، وبغيره من الأحاديث عن سهل، وفيه لب [(2)] .
[وخرَج البيهقي من حديث سلام بن مسكين، عن مقاتل بن حيان قال:
وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي صلى الله عليه وسلم وما أوحى إليه في الزبور: يا داود،
إنه سيأتي من بعدك نبي يسمى: أحمد ومحمدا، صادقا سييدا، لا أغضب عليه أبدا، ولا يغضبني
أبدا، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمته مرحومة، أعطيتهم من
النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل،
حتى يأتون يوم القيامة نورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أي افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل
صلاة، كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم،
وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم] [(3)] .
[يا داود، فَإِنِّي فَضَّلْتُ محمدا وأمته على الأمم كلها: أعطيتهم ستة خصال لم أعطاها غيرهم من
الأمم: لا أوأخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنب ركبه على غير عمد إذا استغفروني منه غفرته
لهم، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة، ولهم في المدخور
عندي أضعافا مضاعفة وأفضل من

[(1)] الأعراف: 144.

[(2)] هذا الحديث تفرد به أبو نعيم، وفيه جبارة بن المغلس، قال عنه ابن حجر في (التقريب)
: ضعيف، وقال عنه الدار الدارقطني: متروك، وقال البخاري: حديثه مضطرب، وقال عنه ابن
معين: كذاب، ترجمته في: (ميزان الاعتدال) ، (تهذيب التهذيب) . والحديث ذكره أبو نعيم في
(الدلائل) :

1 / 68 - 69، حديث رقم (31) .

[(3)] ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) : 1 / 380، وابن
كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي أيضا.

(342/3)

ذلك، وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم، فإن دعوي استنجبت لهم، فإما أن يروه عاجلا، وإما أن أصرف عنهم سوءا، وإما أن أذخره لهم في الآخرة] [(1)] .

[يا داود، من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي صادقا بما فهو معي في جنتي وكرامتي. ومن لقيني وقد كذب محمدا، وكذب بما جاء به، واستهزا بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صبا، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار] [(1)] .

وذكر من حديث شيبان عن قتادة قال: حدثنا رجال من أهل العلم أن موسى عليه السلام لما أخذ الألواح قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة- الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة- فاجعلهم أمي، قال: تلك أمة أحمد ... وذكره بطوله. وله من حديث سفيان بن الحرث بن مضر عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صفني أحمد المتوكل، مولده مكة، ومهاجره طيبة، ليس بفظ ولا غليظ، يجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة، وأمتة الحمادون، يأتزون على أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، أنا جيلهم في صدورهم، يصقون للصلاة كما يصقون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار. وله من حديث شريك عن عاصم بن بحدلة، عن أبي صالح عن كعب أنه قال: محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة مكتوب: محمد المختار، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمتة الحمادون، يوضئون أطرافهم، ويأتزون على أوساطهم، يصلون الصلاة لوقتها

[(1)] ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) : 1 / 381، وابن كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي أيضا.

(343/3)

ولو على رأس كناساة، لهم دوي بالقرآن حول العرش كدوي النحل، مولده مكة، ومهاجره بالمدينة، وملكه بالشام.

وذكر أبو نعيم حديث كعب من طرق باختلاف ألفاظ وزيادة ونقصان. وله من حديث موسى بن عقبة قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار أنه سمع

رجلا يقول: رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب، فدعى الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته، ورأى لكل نبي نورين، ولكل من اتبعه نورا يمشي به، فدعى محمد صلى الله عليه وسلّم فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نورا، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما، فقال كعب وهو لا يشعر أنها رؤيا: من حدثك هذا؟

فإني أنا والله الذي لا إله إلا هو رأيت هذا في المنام، فقال: بالله الذي لا إله إلا هو رأيت هذا في منامك؟ قال: نعم، قال: والذي نفس كعب بيده إنها لصفة محمد صلى الله عليه وسلّم وأمته، وصفة الأنبياء وأمهم في كتاب الله، لكأنما قرأه من التوراة.

وذكر الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: حدثني البكالي قال: كان عمرو البكالي إذا افتتح موعظة قال: ألا تحمدون ربكم الذي حضر غيبتكم، وأخذ سهمكم، وجعل وفادة القوم لكم، وذلك أن موسى عليه السلام وفد ببني إسرائيل فقال الله لهم: إني قد جعلت لكم الأرض مسجدا حيث ما صليتم منها تقبلت صلاتكم إلا في ثلاثة مواطن، من صلى فيهن لم أقبل صلاته: المقبرة، والحمام، والمرحاض، قالوا: لا إلا في كنيسة، قال: وجعلت لكم التراب طهورا إذا لم تجدوا الماء، قالوا: لا إلا بالماء، قال: وجعلت لكم حيث ما صلى الرجل مكان وجده تقبلت صلاته، قالوا: لا إلا في جماعة.

(344/3)

وأما ذكره في كتب الأنبياء وصحفيهم وإخبار العلماء بظهوره حتى كانت الأمم تنتظر بعثته فقد قال الله جل ذكره: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [(1)] ، فقوله: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، يخرج اليهود والنصارى من عموم قوله: فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، ويخصها بأمة محمد صلى الله عليه وسلّم. قاله ابن عباس وسعيد بن جبير. وقوله: الَّذِي يَجِدُونَهُ، أي يجدون نعته أو اسمه أو صفته، مكتوبا عندهم. وقوله: يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، قال عطاء: يأمرهم بالمعروف بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، عبادة الأصنام وقطع الأرحام، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ، وهو ما كانت العرب تستطيبه، وقيل: هي الشحوم التي حرمت على بني إسرائيل، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، وهو ما كانت العرب

تستخبثه، وما كانوا يستحلون من الميتة والدم ولحم الخنزير، وَيَصْعَغُ عَنْهُمْ إِصْرُهُمْ، الإِصْرُ الثَّقَلُ،
قاله قتادة ومجاهد وسعيد ابن جبير، والإِصْرُ: العهد، قاله ابن عباس والضحاك والحسن،
فجمعت الآية المعنيين، فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع
بمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك العهد، وثقل تلك الأعمال من تحريم السبت والشحوم
والعروق، والتشديد في البول، ومجانبة الحائض في كل حال، وتحريق الغنائم بالنار.
وقال الزجاج: ذكر الأغلال تمثيل، فقد كان عليهم أن لا يقبل في القتل دية، ولا يعمل في يوم
السبت عمل، وأن لا تقبل توبتهم إلا بقتل أنفسهم ... إلى غير ذلك.

[(1)] : 157 الأعراف.

(345/3)

وقد ذكر صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع من التوراة باسمه وصفته على ما سيرد إن شاء
الله.

وذكرت صفته في الإنجيل في فصل (الفارقليط) من إنجيل يوحنا [(1)] ، هذا مع ما لحق
الكتابين من التحريف والتبديل، فبقي ذكره صلى الله عليه وسلم فيهما من قبيل المعجزة، لأن
اجتهاد أمتين عظيمتين على إزالة ذكره من كتابين لطيفي الحجم ثم لا يستطيعون ذلك معجزة لا
شك فيه، وتعجيز إلهي لا ريب فيه.

حدّث سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب قال: أوحى الله تعالى إلى أشعياء [(2)] أن قم من
قومك، أوح على لسانك، فقام أشعياء خطيباً، فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي، فحمد الله
وسبحه وقدسّه وهلله، ثم قال: يا سماء اسمعي، ويا أرض أنصتي، ويا جبال أوبي، فإن الله يريد أن
[يفضّ] [(3)] شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته، واصطفاهم لنفسه، وخصهم بكرامته،
فذكر معاتبة الله إياهم، ثم قال: وزعموا أنهم [(4)] لو شاءوا أن يطلعوا على الغيب [بما] [(5)]
[(5)] توحى إليهم الشياطين والكهنة اطلعوا، وكلهم مستخف بالذي يقول ويسرّه، وهم يعلمون
أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما بيدون وما يكتمون، وأني قد قضيت يوم خلقت
السموات والأرض قضاء أثبتته، وحتما حتمته على نفسي، وجعلت دونه أجلا مؤجلا، لا بدّ أنه
واقع. فإن صدّقوا بما ينتحلون من علم الغيب [فليخبروك] [(6)] متى هذه [المدة] [(7)]
، وفي أي زمان تكون، [وإن] [(8)] كانوا يقدرّون على أن يأتوا بما يشاءون [فليأتوا] [(9)]
[يمثل هذه القدرة التي بها أمضيت، فإن كانوا يقدرّون على أن يؤلفوا ما يشاءون [فيؤلفوا]]

(9) [مثل هذه الحكمة التي بها أدبر مثل ذلك القضاء إن كانوا صادقين، وإني قضيت يوم خلقت السموات

-
- (1) [لعله في نسخة لم تمتد إليها يد التحريف، حيث لم أجد ذلك في النسخة التي عندي، وهي المترجمة من اللغة اليونانية.
- (2) [أشعياء: أحد أنبياء بني إسرائيل.
- (3) [(في دلائل أبي نعيم): «يفضّ»، وفي (خ): «يقصّ» .
- (4) [كذا في (خ)، وفي المرجع السابق: «إن شاءوا» .
- (5) [كذا في (خ)، وفي المرجع السابق: «لما» .
- (6) [كذا في (خ)، وفي المرجع السابق: «فيخبرونك» .
- (7) [في المرجع السابق: «العدّة» .
- (8) [في المرجع السابق: «فإن» .
- (9) [في المرجع السابق: «فلؤلّفوا» .

(346/3)

والأرض أن أجعل النبوة في غيرهم، وأن أحول الملك عنهم، وأجعله في الرعاء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والكثرة في الأقلء، والمدائن في الفلوات، والآجام [والمفاوز] [(1)] في الغيطان، والعلم في الجهلة، [والحكمة] [(2)] في الأميين، فسلمهم متى هذا، ومن القائم بهذا [(3)] ، وعلى يدي من أثبته، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون؟ [(4)] .

وزاد وهب بن منبه في روايته [(5)] فإني [سأبعث] [(6)] لذلك نبيا أميا، أعمى من عميان، ضالا من ضالين، أفتح به آذانا صما، وقلوبا غلفا، وأعينا عميا، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، عبدي المتوكل، المصطفى المرفوع، الحبيب المتحجب المختار. لا يجزي [بالسيئة] [(7)] السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، بالمؤمنين رحيم [(8)] ، يبكي للبهيمة المثقلة، ويبكي لليتيم في حجر الأمملة، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، لا يتزير بالفحش، ولا قوال بالحنأ [(9)] ، أسدده بكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكنينة لباسه، والبرّ شعاره، والتقوى زاد ضميره، والحكمة معقولة، والصدق والوفاء طبيعته،

[(1)] في (خ) : «والمعادن» .

[(2)] في (خ) : «والحكم» .

[(3)] في (خ) : «على هذا» .

[(4)] هذا الحديث لم أجده غير عند أبي نعيم، وسعيد بن بشير أربعة كلهم ضعفاء، وهم:

[1] سعيد ابن بشير الأزدي، ويقال: البصري، مولاهم أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو سلمة من البصرة، ويقال:

من واسط. [2] سعيد بن بشير الأنصاري النجاري أو البخاري. [3] سعيد بن بشير القرشي.

[4] سعيد بن بشير صاحب قتادة. ترجمتهم في: (المغني في الضعفاء الكبير) : 1/ 256،

(الضعفاء المتروكين) : 1/ 314، 315، (الضعفاء الكبير) : 2/ 100، 101، (تهذيب

: التهذيب)

4/ 10، (الكامل في ضعفاء الرجال) : 3/ 369، 390، (لسان الميزان) : 3/ 30،

(المجروحين) : 1/ 318، 319، (التاريخ الكبير) : 3/ 460، ولعل في بعض أسمائهم تشابه،

والله تعالى أعلم.

[(5)] [الآجام في الصحاري، والبراري في المفاوز والغيطان] ، هذه الزيادة من (دلائل أبي

نعيم) .

[(6)] في المرجع السابق: «مبتعث» .

[(7)] زيادة للسياق من (خ) .

[(8)] في (دلائل أبي نعيم) : «رحيما بالمؤمنين» .

[(9)] الحنا: الفاحش من القول، وفي (الخصائص) بعد قوله: «بالحنا» : [لو يمر إلى جانب

السراج لم يطفئه من سكينته، ولو مشى على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه

مبشرا ونذيرا] .

(347/3)

والعفو والمغفرة والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته،
وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمي به بعد
النكرة، وأكثر به القلة، وأغنى به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب وأهواء
متشنتة، وأمم مختلفة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، أمرا [(1)] بالمعروف وناهيا [(2)
عن المنكر، وتوحيدا بي [(3)] ، وإيمانا بي، وإخلاصا وتصديقا لما جاءت به رسلي،

وهم رعاة الشمس، طوبى لتلك القلوب والأرواح والوجوه [(4)] التي أخلصت إلى [(5)]
 الهمم، ألهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم، ومضاجعهم
 ومتقلبهم ومثواهم. يصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي، هم أوليائي
 وأنصاري، أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان، يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجدا [(6)]
 ويخرجون من ديارهم وأمواهم ابتغاء مرضاتي ألوفا، ويقاثلون في سبيلي صفوفًا وزحوفًا، أختم
 بكتابتهم الكتب، وبشريعتهم الشرائع، وبدينهم الأديان، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابتهم، ويدخل
 في دينهم وشريعتهم فليس مني، وهو مني بريء، وأجعلهم أفضل الأمم، وأجعلهم أمة وسطًا،
 [ليكونوا] [(7)] شهداء على الناس، إذا غضبوا هللوني، وإذا قبضوا كبروني، وإذا تنازعوا
 سبحوني، يطهرون الوجوه والأطراف، ويشدون الثياب إلى الأنصاف، ويكبرون ويهللون على
 التلال والأشرف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبانا بالليل ليوثا بالنهار، ينادي
 مناديتهم في جو السماء، لهم دوي كدوي النحل، طوبى لمن كان منهم وعلى دينهم ومنهاجهم
 وشريعتهم، ذلك فضلي أوتيته من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم [(8)] .

[(1)] في [دلائل أبي نعيم] : أمرا.

[(2)] في [المرجع السابق] : ونهيا.

[(3)] في [المرجع السابق] : «بي» في الموضوعين، وما أثبتناه من (خ) ، فهو أجود للسياق.

[(4)] في [دلائل أبي نعيم] : «الوجوه والأرواح» .

[(5)] في [المرجع السابق] : «لي» ، وفي (خ) «إلى الهمم» ، «ألهمتهم» .

[(6)] كذا في (خ) ، وفي (الخصائص) ، لكن في [المرجع السابق] : «وركوعا وسجودا» .

[(7)] زيادة من المرجع السابق.

[(8)] هذا الحديث أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نعيم، عن وهب بن منبه، وفيه عبد المنعم بن

إدريس القصاص المشهور، قال الذهبي: ليس يعتمد عليه، وقال أحمد بن حنبل:

كان يكذب على وهب بن منبه، وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره، (انظر

ميزان

(348/3)

وفي رواية: ولا صحاب في الأسواق، ولو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي
 على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه مبشرا ونذيرا، وأستنقذ به قياما من الناس

عظماء من الهلكة، أجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصدّيقين، والشهداء والصالحين، وأمتة من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون، أعزّ من نصرهم، وأؤيد من دعا إليهم، أجعل دائرة السوء على من خالفهم وبغى عليهم، وأراد أن ينزع شيئا مما في أيديهم، أجعلهم ورثة لنبيهم، والداعية إلى ربهم، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم، أختهم بهم الخير الذي بدأت به أوّلهم، ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

وقال عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بخت نصر عليهم، وفرقتهم وذلتهم تفرقوا، وكانوا يجدون محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في كتابهم، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية، في قرية ذات نخل، ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يميزون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن، يجدون نعتها نعت يثرب، فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه، حتى نزل من بني هارون من حمل التوراة بيثرب منهم طائفة، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلّم أنه [آت] [(1)] ، ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء، فأدركه من أدركه من أبنائهم وكفروا به وهم يعرفونه.

وقال محمد بن إسحاق: حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد [(2)] عن سلمة بن سلامة [(3)] قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، فخرج علينا يوما من بيته [-] وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلّم

[()] [الاعتدال] : 2 / 668 ، ترجمة رقم (5270) .

وفيه أيضا إدريس بن سنان، وقد ضعفه ابن عدي، وقال عنه الدار الدارقطني: متروك.

[(1)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(2)] [أخى بني عبد الأشهل] ، زيادة من رواية ابن إسحاق.

[(3)] [ابن وقش، وكان سلمة من أصحاب بدر] ، زيادة من رواية ابن إسحاق.

(349/3)

بيسير- [(1)] حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا، عليّ بردة لي مضطجعا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة، والحساب والميزان، والجنة والنار، قال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا: ويحك وتكون دارا فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي أحلف به، ولو دّ أن حظّه من تلك النار

أعظم تنور في [هذه] [(1)] الدار، يحمونه ثم يدخلونه إياه [فيطبقونه] [(2)] [عليه، ثم] [(3)] [ينجو من تلك النار غدا، [قالوا] [(4)] ويحك. وما آية ذلك؟ قال: نبي [يبعث] [(5)] من هذه البلاد- وأشار بيده نحو مكة واليمن- قالوا: [فمتى] [(6)] [تراه؟] [فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي] [(7)] وأنا أحدث القوم سنا فقال: إن يستفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو حي بين أظهرنا فأمانا به، وكفر به بغيا وحسدا، فقلنا: [ويلك] [(8)] يا فلان، ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال:

بلى ولكن ليس به. وذكر الواقدي أن اليهودي اسمه يوشع [(9)] .

وقال الخرائطي [(10)] : حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا حازم بن عقال ابن حبيب بن المنذر بن أبي الحصن بن السموأل بن عاديا قال: حدثني جامع بن حيران ابن جميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحصن بن السموأل بن عاديا قال: لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة، اجتمع إليه قومه من غسان فقال: إنه حضر من أمر الله ما ترى، وقد كنا نأمرك في شبابك أن تتزوج فتأبي، وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين، وليس لك ولد غير مالك، فقال: لن يهلك هالك،

[(1)] زيادة للسياق من (خ) .

[(2)] رواية ابن إسحاق: «فيطينونه» .

[(3)] رواية ابن إسحاق: «بأن ينجو» .

[(4)] رواية ابن إسحاق: «فقالوا له: ويحك يا فلان، فما...» .

[(5)] رواية ابن إسحاق: «نبي مبعوث من نحو هذه البلاد...» .

[(6)] رواية ابن إسحاق: «ومتى» .

[(7)] كذا في (خ) ، وفي رواية ابن إسحاق: «قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا» .

[(8)] في رواية ابن إسحاق: «ويحك»

[(9)] [سيرة ابن هشام] : 38 / 2 .

[(10)] في (خ) : «الخواططي» ، والخبر بتمامه وزيادة في (البداية والنهاية) : 404 / 2 -

.405

ترك مثل مالك، إن الذي يخرج النار من [الورسة] [(1)] ، قادر [على] [(2)] أن يجعل لمالك نسلا، ورجالا بسلا، وكل إلى موت، ثم أقبل على مالك وقال: أي بني، المنية ولا الدنية، العقاب ولا العتاب، التجلد ولا التلدد، القبر خير من الفقر، ومن قلّ ذلّ، ومن كرم الكرم الدفع عن الحرّيم، الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصطر، وكلاهما سينحسر، إنه ليس ينفلت منها ملك متوج، ولا لئيم معلج، سلّم ليومك، حياك ربك، ثم أنشأ يقول:

شهدت السبايا يوم آل محرّق ... وأدرك عمري صيحة الله في الحجر
فلم أر ذا ملك من الناس واحدا ... ولا سوقه إلا إلى الموت والقبر
فعلّ الذي أردى ثمودا وجرهما ... سيعقب لي نسلا على آخر الدهر
يقربهم من آل عمرو بن عامر ... عيون لدى الداعي إلى طلب الوتر
فإن تكن الأيام أبلين جدّي ... وشيّن رأسي والمشيب مع العمر
فإن لنا فاعلا فوق عرشه ... عليما بما نأتي من الخير والشرّ
ألم يأت قومي أن لله دعوة ... يفوز بها أهل السعادة والبشر
إذا بعث المبعوث من آل غالب [(3)] ... بمكة فيما بين زمزم [(4)] والحجر
هنالك فابغوا نصرة ببلادكم ... بني عامر إن السعادة في التصر
ثم قضى من ساعته.

وقال ابن إسحاق: حدثني صالح بن إبراهيم [بن عبد الرحمن بن عوف] [(5)] ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن [سعد] [(6)] بن زرارة قال: حدثني من [شئت] من رجال قومي عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: والله إني

[(1)] في (خ) : «الورسة» ، لعل الصواب ما أثبتناه، فهو يخدم المعنى، لأن «الورسة» من ورس النبت رءوسا: اخضرّ. (لسان العرب) : 254 / 6، قال محققه: وهذا من أبلغ الإعجاز، حيث تخرج النار من الورسة، وهذا ما لا يستطيعه إلا اللطيف الخبير جلّ وعلا.

[(2)] زيادة في السياق.

[(3)] إشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلّم.

[(4)] في (البداية والنهاية) : «بين مكة والحجر» .

[(5)] زيادة في النسب من رواية ابن إسحاق (2) في (خ) : «أسعد» .

[(6)] في (خ) : «تثبت» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[لغلام] [(1)] [يفعه] [(2)] ابن [سبع سنين أو ثمان] [(3)] ، أعقل [كل] [(4)] ما سمعت، إذا سمعت يهوديا يصرخ [بأعلى صوته] [(4)] على أكمة بيثرب: يا معشر يهود! فلما اجتمعوا إليه [(5)] وقالوا له: ويلك، مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به. وفي رواية: طلع الليلة نجم أحمد نبي هذه الأمة الذي ولد به [(6)] .

وفي رواية الواقدي: هذا كوكب أحمد قد طلع، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد. وفيه قصة. وفي رواية له: قال: لما صاح اليهودي من فوق الأطم: هذا كوكب أحمد قد طلع، وهو لا يطلع إلا بالنبوة، قال: وكان أبو قيس من بني عدي بن النجار قد ترهب ولبس المسوح، فقالوا:

يا أبا قيس! انظر ما يقول هذا اليهودي، قال: فانتظاري الذي صنع بي هذا، فأنا أنتظره حتى أصدقه وأتبعه.

وقال ابن إسحاق: عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت عن صفية بنت حيي أنها قالت: كنت أحبّ ولد أبي [(7)] إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع [ولد لهما] [(8)] إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلّم المدينة [ونزل] [(9)] قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب [مغلّين] [(10)] ، قالت: فلم يرجعا حتى [كانا] [(11)] مع غروب الشمس فأتيا

[(1)] في (خ) : «غلام» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[(2)] في (خ) : «يومئذ» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[(3)] في (خ) : «ابن ثمان سنين أو سبع» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[(4)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(5)] في المرجع السابق: «حتى إذا اجتمعوا إليه» .

[(6)] قال ابن إسحاق «فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت: ابن كم

كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلّم المدينة؟ فقال: ابن ستين، وقدمها

رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع وهو ابن

سبع سنين» (سيرة ابن هشام) 1/ 295-296.

[(7)] في (خ) : «والداي» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[(8)] في (خ) : «ولدهما» .

[(9)] في (خ) : «فنزل في قباء» .

[(10)] في (خ) : «مغليين» .

[(11)] في (خ) : «كان» .

(352/3)

كأين كسلايين [ساقطين] [(1)] ، يمسيان الهويينا، قالت: فمشيت إليهما كما كنت أصنع،
فو الله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الهم [(2)] ، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر
وهو يقول لأبي حبيّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله قال [(3)] : أتعرفه وتنبته؟ قال:
نعم، قال [(3)] : فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت [أبدا] [(4)] .
قال ابن إسحاق: وكان من حديث مخيريق وكان حبرا عالما، وكان رجلا غنيا كثير الأموال من
النخل، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم بصفته وما يجد في علمه [وغلّب عليه إلف
دينه] [(5)] ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد- وكان يوم أحد يوم السبت- قال:
يا معشر يهود! والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال:
لا سبت [لكم] [(5)] ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلّم
وأصحابه بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم [فأموالي] [(6)] لحمد
صلى الله عليه وسلّم يصنع [فيها] [(7)] ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل،
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم- فيما بلغني [(8)]- يقول: مخيريق خير يهود،
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلّم أمواله فعامة صدقات رسول [الله] [(9)] صلى الله
عليه وسلّم بالمدينة فيها.

وقال يونس بن بكير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال في قوله: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ [(9)] :
ذكر قصة المعراج وما أعطي الأنبياء، فقال له ربّه: قد

[(1)] زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق.

[(2)] في ابن إسحاق: «الفم» .

[(3)] في (خ) : «قالت» .

[(4)] زيادة من (خ) ، والأثر في (سيرة بن هشام) : 52 / 3.

[(5)] زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق.

[(6)] في (خ) : «فمالي» .

[(7)] في (خ) : «فيه» .

[(8)] زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق.

[(9)] سقط في (خ) ، وأثبتناه من رواية ابن إسحاق. (سيرة ابن هشام) : 3/ 51-52.

(9) أول سورة الإسراء.

(353/3)

اتخذتك خليلا فهو في التوراة مكتوب: محمد حبيب الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا، وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك، وجعلتك فاتحا وخاتما، وشرحت صدرك، ورفعت ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت أمتك أمة وسطا، وأرسلتك رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، وأنزلت عليك الفرقان فيه تبيان كل شيء، فقال إبراهيم عليه السلام للأنبياء: بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلّم.

وقال داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال سموا اليهودي لتبع - وهو يومئذ أضلهم - أيها الملك، إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي مولده مكة، واسمه أحمد، وهذه دار هجرته.

وقال عكرمة عن ابن عباس، قال: كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر، يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم عندهم قبل أن يبعث، وأن دار هجرته المدينة، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلّم قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبأ قالوا: قد تنبأ أحمد، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه.

وقال عاصم بن عمرو بن قتادة عن ثملة بن أبي ثملة عن أبيه أي ثملة قال:

كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلّم في كتبهم، ويعلمون الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلى المدينة، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حسدوا، وبغوا، وأنكروا.

وقال عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت أبي مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم - ونحن يومئذ في هدنة من الحرب - فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظلل خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي - كالمستهزئ به - : ما صفته؟ قال:

رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة، يلبس الشملة ويركب الحمار، سيفه على عاتقه،

وهذا البلد مهاجرة، قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة. وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلا منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟

(354/3)

كل يهود يثرب تقول هذا. قال أبي مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت قريظة فأجد جمعا فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد، وهذا مهاجرة.

قال أبو سعيد: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أخبره أبي هذا الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلم كلهم، إنما هم له تبع.

وقال عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن محمد بن مسلمة قال: لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له يوشع فسمعتة يقول:

وإني لغلام في إزار قد أظلمكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت، ثم أشار بيده إلى بيت الله، فمن أدركه فليصدق، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا، ولم يسلم حسدا وبغيا.

وعن عبد الله بن سلام قال: ما تمت سبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم أحمد لما كان يهود يثرب يخبرونه، وأن تبع مات مسلما. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي، وأنه لا نبي بعده، اسمه أحمد، مهاجرة إلى يثرب، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزلها أنكروه وحسدوا وبغوا.

وعن زياد بن لبيد أنه كان على أطم من آطام المدينة فسمع: يا أهل يثرب!! - ففزع عنا وفرع الناس -: قد ذهبت والله نبوة بني إسرائيل، هذا نجم طلع بمولد أحمد، وهو نبي آخر الأنبياء، ومهاجرة إلى يثرب.

وقال داود بن الحصين، عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن عن الحرث بن خزيمة قال: كان يهود المدينة ويهود خيبر ويهود فدك يخبرون بصفة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه خارج [من نحو هذا البيت] [(1)] ، وأن مهاجرة إلى يثرب واسمه أحمد، وأنه يقتلهم قتل الذر حتى يدخلهم في دينه، وأنه ينزل عليه كتاب الله كما نزل على موسى التوراة، ويخبرون بصفته، فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنكروه وحسدوه.

(355/3)

وقال مسلم بن يسار عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف
لمحمد صلى الله عليه وسلم منه - يعني من بني عامر - كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين،
ويخبرونه بصفة رسول الله، وأن هذه دار هجرته، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك، ثم
خرج إلى الشام فسأل النصارى، فأخبروه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن مهاجره يثرب.
فرجع أبو عامر وهو يقول: أنا على دين الحنفية، فأقام مترها لبس المسوح، وزعم أنه على دين
إبراهيم عليه السلام، وأنه ينتظر خروج النبي، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم
يخرج إليه، وأقام على ما كان عليه.

فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسد وبغى وناقى، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال: يا محمد! بم بعثت؟ فقال: بالحنفية، فقال: أنت تخلطها بغيرها، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم:

أتيت بها ببضء، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي؟ فقال:
لست بالذي وصفوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت، فقال: ما كذبت، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكاذب أمانة الله وحيدا طريدا، قال: آمين،
ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم، وترك ما كان عليه [(1)].
وذكر محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني قريظة قال: هل تدري
علام كان إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية [(2)]، وأسد بن

[(1)] [(سيرة ابن هشام) : 3 / 128.

[(2)] قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحاق -
وهو أحد رواة المغازي - عنه: أسيد بن سعية بضم الألف، وقال يونس بن بكير عن ابن
إسحاق - وهو قول الواقدي وغيره - : أسيد بفتحها، قال الدارقطني: وهذا هو الصواب،
ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق.

وبنو سعية هؤلاء، فيهم أنزل الله عز وجل: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
الَلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ
[113-115: آل عمران] ، وسعية أبوهم يقال له: ابن العريض، وهو بالسین المهملة، والياء
المنقوطة باثنتين.

وأما سعة بالنون، فزيد بن سعة، حبر من أحبار اليهود، كان قد دأب النبي صلى الله عليه
وسلم، فجاءه يتقاضاه قبل الأجل، فقال: ألا تقضييني يا محمد؟! فإنكم يا بني عبد المطلب مطل،
وما أردت إلا

(356/3)

عبيد، نفر من بني [هدل] [(1)] ، [أو هذيل، أتوا بني قريظة، فكانوا معهم في جاهليتهم، ثم
كانوا سادتهم في الإسلام، قال: قلت: لا، قال: فإن رجلا من يهود أهل الشام، يقال له: ابن
الهيبان] [(2)] ، قدم علينا قبيل الإسلام [بسنوات] [(3)] فحل بين أظهرنا [قال لي:] [(4)]
والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا أقحطنا [(5)]
[قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق، فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة،
فيقولون [(6)] :

كم؟ فيقول: صاع [(6)] من تمر أو مدان [(6)] من شعير [عن كل إنسان حي] [(7)]
، قال: فنخرجها، فيخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا، فو الله ما يبرح مجلسه حتى تمر
[السحاب الشراج سائله] [(8)] ونسقي [به] [(9)] ، فعل [(10)] ذلك غير مرة ولا
مرتين ولا ثلاث [(11)] ، قال: ثم حضرته الوفاة [عندنا] [(12)] ، فلما عرف أنه ميت
قال: أيا معشر يهود! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والحمير إلى أرض الجوع والبؤس؟ قال:
قلنا: إنك [(13)] أعلم، قال: فأني قدمت هذا [(14)] البلد

[()] أعلم علمكم، فارتعد عمر، ودار، كأنه في فلك، وجعل يلحظ يمينا وشمالا، وقال: تقول
هذا لرسول الله يا عدو الله؟!

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا إلى غير هذا منك أحوك يا عمر: أن تأمرني بحسن
الأداء، وتأمره بحسن التبعة، قم فاقضه عني، فو الله ما حلّ الأجل، وزده عشرين صاعا بما
روعته.

وفي حديث آخر أنه قال: دعه، فإن لصاحب الحق مقالا، ويذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة
وصف النبي صلى الله عليه وسلم لما كان عنده في التوراة، وكان يجده موصوفا بالحلم، فلما رأى

من حلمه ما رأى أسلم، وتوفي غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. ويقال في اسمه: سعية بالياء كما في الأول، ولم يذكره الدار الدارقطني إلا بالنون.

[(1)] في (خ) : «وهل» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[(2)] في (خ) : السياق مضطرب فيما يبين الحاصرتين، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق،

والهيبان: من المسمين بالصفات، يقال: قطن هيبان: أي منتفش، والهيبان: أيضا الجبان.

[(3)] في رواية ابن إسحاق: «بسنين» .

[(4)] زيادة من رواية ابن إسحاق.

[(5)] في رواية ابن إسحاق: «فكنا إذا قحط عنا المطر» .

[(6)] في رواية ابن إسحاق: «فنقول» ، «صاعا» ، «مدّين» .

[(7)] ما بين الحاصرتين ليس في رواية ابن إسحاق.

[(8)] ما بين الحاصرتين ليست في رواية ابن إسحاق.

[(9)] زيادة من (خ) .

[(10)] في رواية ابن إسحاق: «قد فعل» .

[(11)] في (خ) : «ثلاثا» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق، وهو حق اللغة.

[(12)] زيادة من رواية ابن إسحاق.

[(13)] في (خ) : «الله أعلم» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق.

[(14)] في رواية ابن إسحاق: «هذه البلدة» .

(357/3)

أتوكف [(1)] خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجرة، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تسبقن [(2)] إليه يا معاشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة، قال: هؤلاء الفتية— كانوا شبابا أحداثا—: يا بني قريظة، والله إنه هو بصفته، فنزلوا وأسلموا، فأحرزوا دماءهم وأموالهم [(3)] .

وقال ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ منهم [(4)] ، قال:

قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة، كنا قد علوناهم ظهرا في الجاهلية— ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب— فكانوا يقولون: إن نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد

وإرم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ، إلى قوله: عَذَابٌ مُهِينٌ [(5)] .

وعن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد وإنا أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم: ما هو بالذي كنا نذكر لكم، ما جاءنا بشيء نعرفه! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ولما

[(1)] التوكف: التوقع والانتظار، وفي حديث ابن عمير: أهل القبور يتوكفون الأخبار، أي ينتظرونها ويسألون عنها. وفي التهذيب: أي يتوقعونها، فإذا مات الميت سأله: ما فعل فلان وما فعل فلان؟ يقال:

هو يتوكف الخبر أي يتوقعه، ونقول: ما زلت أتوكفه حتى لقبته. (لسان العرب): 364 / 9.

[(2)] في (خ): «يسبقنكم» .

[(3)] في (خ) «وأهاليهم» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق فهي أجود، وبها جاء التنزيل: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا [6: التحريم] (سيرة ابن هشام): 2 / 39-40 وهامشهما، وفي آخر هذا الأثر قال ابن إسحاق: (فهذا ما بلغنا من أخبار يهود) .

[(4)] في رواية ابن إسحاق: «عن رجال من قومه» .

[(5)] هذا الأثر مختصر من رواية ابن إسحاق، (سيرة ابن هشام): 2 / 37.

(358/3)

جاءهم كتاب من عند الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [(1)] .

وقال عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه: كانت يهود [بني] [(2)] قريظة و [بني]

[(2)] النضير من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون - يدعون - على الذين

كفروا يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي ألا تنصرنا عليهم فينصرون، فلما جاءهم ما

عرفوا - يريد محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يشكوا فيه - وكانوا يتمنونهم ويقولون لجميع العرب:

هذا محمد قد أظننا، هذا أوان مجيئه، والله لنقتلنكم معه قتل عاد وإرم، وكان الناس من لدن

اليمن إلى الشام وجميع الدنيا قد عظموا شأن قريظة والنضير لخصال كثيرة: أنهم أهل كتاب

وأخبار ورهبان وربانيون، لكثرة الأموال التي كانت لهم، ولأنهم كانوا من ولد هارون عليه السلام، وكان الناس يرغبون إليهم، ويسألونهم عن الدين، وكانوا إذا استنصروا على أحد من العرب استنصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويذكرونه بالجميل.

عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان يهود أهل المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعدرة يستفتحون عليهم، يستنصرون يدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون: اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك، وبكتابك الذي تنزل عليه، وعدتنا أنك باعته في آخر الزمان، وكانوا يرجون أن يكون منهم، فكانوا إذا قالوا ذلك نصروا على عدوهم.

وعن قتادة قال: كانت اليهود تستفتح بمحمد على كفار العرب يقولون: اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم، فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم كفروا به حين رأوه بعث من غيرهم، حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله.

وعن ابن أبي نجيح عن علي البارقي في قوله تعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، أن اليهود كانوا يقولون: اللهم ابعث هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس، يستفتحون ويستكثرون على الناس.

[(1)] 89: البقرة.

[(2)] زيادة للسياق والبيان.

(359/3)

وقال قتادة عن كعب الأحبار: كان سبب استنقاذ بني إسرائيل من أرض بابل، رؤيا بخت نصر، فإنه رأى رؤيا فزع منها، فدعا كهنته وسحرته فأخبرهم بما أصابه من الكرب في رؤياه، وسألهم أن يعبروها له، فقالوا: قصها علينا، قال: قد نسيته! فأخبروني بتأويلها، قالوا: فإننا لا نقدر حتى تقصها علينا، فغضب وقال:

اخترتكم واصطفيتكم لمثل هذا، أذهبوا فقد أجلتكم ثلاثة أيام، فإن أتيتموني بتأويلها وإلا قتلتكم! وشاع ذلك في الناس، فبلغ دانيال وهو محبوس، فقال لصاحب السجن وهو إليه محسن: هل لك أن تذكرني للملك؟ فإن عندي [تأويل] [(1)] رؤياه، وإني أرجو أن تنال عنده بذلك منزلة، ويكون سبب عافيتي، قال له صاحب السجن: إني أخاف عليك سطوة الملك، لعل غم السجن حملك على أن تتروح بما ليس عندك فيه علم، مع أني أظن إن كان أحد عنده في

هذه الرؤيا علم فأنت هو، قال دانيال: لا تخف عليّ فإن لي ربا يخبرني بما شئت من حاجتي، فانطلق صاحب السجن فأخبر بخت نصر بذلك، فدعا دانيال فأدخل عليه - وكان لا يدخل عليه أحد إلا سجد - فوقف دانيال فلم يسجد، فقال الملك لمن في البيت: اخرجوا، فخرجوا، فقال بخت نصر لدانيال: ما منعك أن تسجد لي؟ قال دانيال: إن لي ربا آتاني هذا العلم الذي سمعت به على أن لا أسجد لغيره، فخشيت أن أسجد لك فينسلخ عني هذا العلم، ثم أصير في يدك أميا لا ينتفع بي فتقتلني، فرأيت ترك سجدة أهون من القتل، وخطر سجدة أهون من الكرب والبلاء الذي أنت فيه، فتركت السجود نظرا إلى ذلك، فقال بخت نصر: لم يكن قط أوثق في نفسي منك حين وفيت لإلهك، أعجب الرجال عندي الذين يوفون لأربابهم العهود، فهل عندك علم بهذه الرؤيا التي رأيت، قال نعم عندي علمها وتفسيرها، رأيت صنما عظيما رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته، قذفه الله بحجر من

[(1)] زيادة للسياق.

(360/3)

السماء فوق في قبة رابية فدقه حتى طحنه، فاختلط ذهبه وفضته، ونحاسه وحديده وفخاره، حتى تخيل إليك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك، ولو هبت ريح لأذرتة، ونظرت إلى الحجر الذي قذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها، فصرت لا ترى إلا السماء والحجر، قال له بخت نصر: صدقت! هذه الرؤيا التي رأيت، فما تأويلها؟ قال دانيال: أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي أوسطه وفي آخره، وأما الذهب فهذا الزمان وهذه الأمة التي أنت فيها وأنت ملكها، وأما الفضة فابنك يملكها من بعدك، وأما النحاس فإنه الروم، وأما الحديد ففارس، وأما الفخار فأمم يملكها من بعدك امرأتان: إحداهما في مشرق اليمن والأخرى في غربي الشام، وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان ليظهره عليها، فيبعث الله نبيا أميا من العرب فيدوخ الله به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ أصناف الصنم، ويظهره على الأديان والأمم، كما رأيت الحجر ظهر على الأرض وانتشر فيها حتى يملأها، فيمحص الله به الحق ويزهق الباطل، ويهدي [به] [(1)] أهل الضلالة، يعلم به الأميين، ويقوي به الضعيف ويعز به

الأذلاء، وينصر به المستضعفين. قال بخت نصر: ما أعلم أحدا استعنت منذ ولت الملك على شيء غلبي غيرك، ولا أحد له عندي يدا أعظم من يدك، وأنا جازيك بإحسانك.. وذكر القصة. ورويت هذه القصة أيضا عن وهب بن منبه، وقال ابن إسحاق: كان فيما بلغني عما وضع عيسى ابن مريم عليه السلام فيما جاءه من الله تعالى لأهل الإنجيل في الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم [(2)] : اللهم [(3)] من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أي صنعت بحضرتكم [(4)] صنائع ما كانت لكم [(5)] خطيئة، ولكن [من] [(6)] الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني ولكن لا بد أن تتم الكلمة [(7)] التي في الناموس أنهم

-
- [(1)] [زيادة للسياق، (دلائل أبي نعيم) : 1/ 83-85، حديث رقم (44) تفرد به أبو نعيم.
[(2)] [مما أثبت يحنس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال: من أبغضني ...] ما بين الحاصرتين تكملة من رواية ابن إسحاق.
[(3)] [زيادة في (خ) .
[(4)] [في رواية ابن إسحاق: «بحضرتكم لم يصنعها أحد قبلي ما كانت...» .
[(5)] [«لهم»
[(6)] [زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق. في (خ) : «المملكة» .
[(7)] [في (خ) : «فجاءوا» .

(361/3)

أبغضوني [مجانا] [(1)] ، أي باطلا، فلو قد جاء المنحمنًا [هذا] [(2)] الذي أرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج [(3)] ، فهو شهيد [(4)] عليّ وأنتم أيضا، لأنكم قديما كنتم معي [في] [(2)] هذا قلت لكم كي لا تشكوا. قالوا: والمنحمنًا بالسريانية محمد، وهو بالرومية البرقليطس [(5)] ، صلى الله عليه وسلم.
قال ابن إسحاق: وقد ذكر لي بعض أهل العلم، أنه وجد عند حبر من أحبار يهود عهدا من كتاب إبراهيم خليل الرحمن فيه: (مود مود) ، فقلت له: أنشدك بالله ما هذان الحرفان؟ قال: اللهم عمّر من ذكر محمد. وحدثني علي بن نافع الجرشي قال: قرأت في بيت مجرش كتابا كتبه الحبشة حين ظهوروا على اليمن - وكانوا نصارى أهل كتاب - : مصلحا محمدا رشيدا أمما. وقال زياد: سيد الأمم.

وقال الواقدي: حدثني محمد بن سعيد الثقفي، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عثمان بن سهل بن حنيف، وعبد الملك بن عيسى الثقفي، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلي بن كعب الثقفي، ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم، كل قد حدثني من هذا الحديث طائفة، قال: قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك أنهم لما دخلوا على المقوقس قال لهم: كيف خلصتم إليّ ومحمد وأصحابه بيني وبينكم؟ قالوا: لصقنا بالبحر وقد خضناه على ذلك، قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟ قالوا: ما تبعه منا رجل واحد، قال: ولم ذاك؟ قالوا: جاءنا بدين مجدد لا يدين به الآباء ولا يدين به الملك، ونحن على ما كان عليه آباؤنا، قال: فكيف صنع قومه؟ قالوا: تبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه من قومه وغيرهم من العرب في مواطن: مرة تكون عليهم الدبرة، ومرة تكون له.

قال: ألا تحدثوني وتصدقوني؟ إلى ماذا يدعو؟ قالوا: يدعو إلى أن يعبد الله وحده لا شريك له، ونخلع ما كان يعبد الآباء، ويدعو إلى الصلاة والزكاة، قال: وما الصلاة والزكاة؟ ألها وقت يعرف وعدد ينتهي إليه؟ قال: يصلون

[(1)] في (خ) : «فجاءوا» .

[(2)] زيادة للسياق.

[(3)] في (خ) : «يخرج» .

[(4)] في (خ) : «وهو يشهد» .

[(5)] في (خ) : «البلقليطس» ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق (سيرة ابن هشام) : 2/

63-64، باب صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

(362/3)

في اليوم واللييلة خمس صلوات كلها لمواقيت، وعدد قد سموه له، ويؤدون من كل ما بلغ عشرين مثقالا نصف دينار، وكل إبل بلغت خمسا شاة، قال: ثم أخبروه بصدقة الأموال كلها.

قال: أفرأيتم إذا أخذها أين يضعها؟ قال: يردّها على فقرائهم، ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الرّنا والرّبا والخمر، ولا يأكل ما ذبح لغير الله. قال:

هو نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم تبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم، وهذا الذي تصفون منه بعثت به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد فيظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر ومقطع النحور، ويوشك قومه أن يدافعونه بالراح.

قال: فقلنا لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا، قال: فأخفض رأسه وقال:
أنتم في اللعب!؟ قال: كيف نسبه في قومه؟ قلنا: هو أوسطهم نسبا، قال:
كذلك والمسيح، الأنبياء تبعث في نسب قومها، قال: فكيف صدق حديثه؟ قال:
قلنا: ما يسمى إلا الأمين من صدقه، قال: انظروا في أمركم، أترونه يصدق فيما بينكم وبينه
ويكذب على الله؟.
قال: فمن اتبعه؟ قلنا: الأحداث، قال: هم والمسيح أتباع الأنبياء قبله، قال: فما فعلت يهود
يثرب، فهم أهل التوراة؟ قلنا: خالفوه فأوقع بهم وسباهم وتفرقوا في كل وجه، قال: هم قوم
حسد حسدوه، أما إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف.
قال المغيرة: فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاما ذلنا لمحمد صلى الله عليه وسلم وخضعنا وقلنا:
ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بعد أرحامهم منه، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه وقد
جاءنا داعيا إلى منازلنا؟.
قال المغيرة: فرجعت إلى منزلنا فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها، وسألت أساقفتها
من قبضها ورومها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم.

(363/3)

وكان أسقف من القبط هو رأس الكنيسة، أبي [يخسر] [(1)] كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم،
لم أر أحدا إلا يصلي الصلوات الخمس أشدَّ اجتهادا منه، فقلت: أخبرني هل بقي أحد من
الأنبياء؟ قال: نعم، وهو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى ابن مريم أحد، وهو نبي قد أمرنا
عيسى باتباعه، وهو النبي الأمي العربي، اسمه أحمد.
ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة، ليس بالأبيض ولا بالآدم، يعفي شعره ويلبس ما غلظ
من الثياب، ويجتري بما لقي من الطعام، سيفه على عاتقه، ولا يبالي بمن لاقى، يباشر القتال
بنفسه، ومعه أصحابه يقدونه بأنفسهم، هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم، يخرج من أرض
القرظ، ومن حرم يأتي وإلى حرم يهاجر إلى أرض سباح ونخل، يدين بدين إبراهيم عليه السلام.
قال المغيرة بن شعبة: زدني في صفته، قال: يأتزر على وسطه، يغسل أطرافه، ويحض بما لا يحض
به الأنبياء قبله، كان النبي يبعث إلى قومه وبعث إلى الناس كافة، وجعلت له الأرض مسجدا
وطهورا، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى، ومن كان قبله مشددا عليهم، لا يصلون إلا في
الكنائس والبيع، قال المغيرة: فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره وما سمعت من ذلك.
فذكر الواقدي [(2)] حديثنا طويلا في رجوعه من عند المقوقس ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه

وسلم وقال: فأسلمت ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم عن مخرجنا من الطائف وقدمنا الإسكندرية، وأخبرته بما قال الملك وما قال الأساقفة الذي كنت أسألهم وأسمع منهم ومن رؤساء القبط والروم فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب أن يسمعه أصحابه، فكانت أحدثهم ذلك في اليومين والثلاثة.

وخرج الحسن بن سفيان من حديث ملازم بن عمرو، حدثنا عبد الله بن بدر عن قيس بن طلق عن أبيه قال: خرجنا وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا واستوهبناه من فضل طهوره، فدعا بماء فتوضأ منه

[(1)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(2)] (المغازي) : 3 / 964 - 965 .

(364/3)

ومضمض منه وصب لنا في إداوة ثم قال: اذهبوا بهذا الماء، فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعكم وانضحوا مكانها من هذا الماء، واتخذوا مكانها مسجدا، قلنا: إن البلد [بعيد] [(1)] والحر شديد والماء ينشف، قال: فأمدوه من الماء فإنه لا يزيد إلا طيبا، قال: فخرجنا وتشاحنا على حمل الإداوة أينما يحملها؟ فجعلها نبي الله صلى الله عليه وسلم بيننا نوبا، على كل رجل يوما وليلة، فخرجنا حتى قدمنا بلدنا، ففعلنا الذي أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم - وراهبنا يومئذ من طيبي - فأذنا، فقال الراهب لما سمع الأذان: دعوة حق، ثم استقبل تلعة من تلعنا [(2)] ثم هرب فلم ير بعد [(3)] .

وللطبراني من حديث يحيى بن عبد الحميد قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم بن كليب قال: حدثني أبي قال: أخبرني الفلتان بن عاصم قال: كنا قعودا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فشخص بصره إلى رجل يمشي في المسجد فقال: أفلان، قال: لبيك يا رسول الله - ولا ينادي الكلام إلا قال برسول الله - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا! قال: أتقرأ في التوراة؟

قال: نعم، قال: والإنجيل؟ قال: نعم، قال: والقرآن؟ قال: لا، قال: والذي نفسي بيده لو تشاء لقرأته، قال: ثم ناشده: هل تجدني في التوراة والإنجيل؟ فقال:

سأحدثك مثلك ومثل هيتك ومخرجك، وكنا نرجو أن تكون منا، فلما خرجت تخوفنا أن تكون هو أنت، فنظرنا فإذا ليس هو أنت! قال: فلم ذاك، قال: إن معه من أمته سبعين ألفا ليس

عليهم حساب ولا عذاب، وإنما معك نفر يسير، قال: فو الذي نفسي بيده لأنا هو، إنهم لأمتي،
وإنهم لأكثر من سبعين ألفا،

وقد بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن لؤي بن غالب كما ستراه في أخباره.
وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن جدعان عن سعيد بن المسيب قال:
بينما العباس في زمزم إذ جاء كعب الأحبار فقال له العباس: ما منعك أن تسلم في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وأي بكر حتى أسلمت الآن في عهد عمر رضي الله عنهم؟

[(1)] في (خ) : «بعده» .

[(2)] [التلعة: ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها، فهي من أسماء الأضداد.

[(3)] [دلائل أبي نعيم) : 1/ 90-91، حديث رقم (47) قال في (الخصائص) : 1/
217: أخرجه ابن أبي شيبة، وابن سعد، والبيهقي، وأخرجه أيضا النسائي في كتاب المساجد من
طريق رجاله ثقات.

(365/3)

فقال: إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ودفعه إليّ وقال: اعمل بهذا واتبعه، وأخذ علي حق الوالد
على الولد أن لا أفضّ هذا الخاتم، وختم على سائر كتبه، فلما رأيت الإسلام قد ظهر ولم أر إلا
خيرا قالت لي نفسي: لعل أباك غيب عليك علما، ففضضت هذا الخاتم فإذا فيه صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وأمنه، فجننت الآن وأسلمت. وقد تقدم في ذكر حلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصفحه، حديث إسلام زيد بن سعة، وفيه:

قال زيد: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد سوى آيتين لم أخبرهما منه:
يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما.

وخرّج ابن حبان من حديث أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد [(1)
[قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: قال لي حبر من أحبار الشام:

قد خرج نبي في بلدك أو هو خارج قد خرج نجمه، فارجع فصدّقه واتّبعه وآمن به.

ولأبي نعيم من حديث سلمة بن كهيل عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن دحية الكلبي قال:
بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر صاحب الروم بكتاب، فاستأذنت فقلت: استأذنوا
لرسول رسول الله، فأتى قيصر فقيل: إن على الباب رجلا يزعم أنه رسول رسول الله، ففزعوا
لذلك وقال: أدخلوه، فدخلت عليه وعنده بطارقته، فأعطيته الكتاب فقرأ عليه فإذا فيه: بسم

الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم، فنخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط الشعر فقال:

لا يقرأ الكتاب اليوم، لأنه بدأ بنفسه، وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم، قال: فقري الكتاب حتى فرغ منه، ثم أمرهم قيصر فخرجوا من عنده ثم بعث إليّ فدخلت إليه فسألني فأخبرته، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه وكان صاحب أمرهم يصدرون عن قوله ورأيه، فلما قرأ الكتاب قال الأسقف: هو والله الذي بشرنا به عيسى وموسى الذي كنا ننتظره، قال قيصر: فما تأمري؟ قال الأسقف: أما أنا فأني مصدقه ومتبعه، فقال قيصر: إني أعرف أنه كذلك، ولكن

[(1)] مرويات أسامة بن زيد في (صحيح ابن حبان) (16) حديثنا ليس من بينها هذا

الحديث - ر:

(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : 18 / 97 (فهرس الرواة) .

(366/3)

لا أستطيع أن أفعل، فإن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم [(1)] .
وله من حديث العلاء بن الفضل بن أبي سوية بن خليفة قال: حدثني أبي عن جده أبي سوية بن خليفة - وكان خليفة مسلما - قال: سألت محمد بن عدي ابن ربيعة بن سواده بن حبتم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمدا؟ فضحك ثم قال: أخبرني - أي عدي بن ربيعة - قال: خرجت أنا وسفيان بن مجاشع ويزيد ابن ربيعة وأسامة بن مسكة نريد ابن جفنة، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير فقلنا: لو اغتسلنا وادهنا ولبسنا ثيابنا من قشف السفر، فجعلنا نتحدث فأشرف علينا ديران [(2)] من قائم له فقال: إني أسمع بلغة قوم ليس بلغة أهل هذه البلاد، قلنا: نحن قوم من مضر، قال: من أي المضرين؟ قلنا: من خندف [(3)] ، قال: إنه سبيعت وشيكا نبي منكم فخذوا نصيبكم منه تسعدوا، قلنا: ما اسمه؟ قال: محمد.

فأتينا ابن جفنة فقضينا حاجتنا ثم انصرفنا، فولد لكل رجل منا ابن فسماه محمدا يدور على ذلك الاسم [(4)] .

[(1)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 / 101 - 102 ، حديث رقم (53) ، وقال الحافظ في (الفتح) :

«وأخرجه ابن إسحاق مرسلا عن بعض أهل العلم» ، (سيرة ابن هشام) : 6 / 14 ، هامش (1)

، (2) ، (مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة) : 35-37 ، (المصباح
المضنيء) :

71-68 /2 ، (الاستيعاب) : 2 /461 ترجمة دحية الكلبي رقم (701) .

[(2)] [الديراي: صاحب الدير، أو المقيم فيه، نسبة إلى الدير، على غير قياس.

[(3)] [خندف: هي ليلي بنت حلوان بن عمران، زوجة إلياس بن مضر والد مدركة، قال مجد
الدين الفيروزآبادي في (القاموس المحيط) : 2 /115: خرج إلياس في نجعة فنفرت إبله من أرنب،
فخرج إليها ابنه عمرو فأدركها، وخرج عامر- ابنه الثاني- فتصيدا وطبخها، وانقمع عمير. ابنه
الثالث في الحباء، وخرجت أمهم- تسرع، فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف
في أتركم، فلقبوا: مدركة، وطابحة، وقمعة، وخندف.

[(4)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 /93-94 ، حديث رقم (49) ، والحديث أخرجه البيهقي

والطبراني، والخرائطي في (المواتف) - ر: (الخصائص) : 1 /57 ، وقال الحافظ ابن حجر في
(فتح الباري) : رواه البغوي وابن سعد، وابن شاهين، وابن السكن وغيرهم. وقال في (الإصابة) :
هو من طريق العلاء بن الفضل بن أبي سوية المنقري، حدثني أبو الفضل بن عبد الملك، عن أبيه
عبد الملك بن أبي سوية، عن أبيه أبي سوية، عن أبيه خليفة بن عبدة. قال الهيثمي في (مجمع
الزوائد) : 8 /232: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.

(367/3)

وسياتي في التعريف لعبد المطلب ذكر اليهودي الذي نظر في أنفه وقال له: أرى في إحدى يديك
ملكا وفي أنفك نبوة، وذكر وفادته على سيف بن ذي يزن وإخباره إياه أنه يولد له ولد اسمه
محمد، وبشر بنوته.

قال أبو بكر بن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده قال: سمعت أبا طالب يحدث عن عبد
المطلب قال: بينما أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ففرغت منها فرعا شديدا، فأتيت كاهنة
قريش فقلت: إني رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء،
وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نورا أزهرا منها، أعظم من نور الشمس سبعين
ضعفا.

ورأيت العرب والعجم ساجدين لها، وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا، ساعة تختفي
وساعة تزهر.

ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها

أخّره شاب لم أر قط أحسن منه وجهها ولا أطيب منه ريحا، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيبا، فقلت: لمن النصيب؟ فقال: لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها.

فانتبهت مذعورا فرعا، فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب، يدين له الناس، فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث، والنبي صلى الله عليه وسلّم قد خرج، ويقول: كانت الشجرة أبا القاسم الأمين، فيقال له: ألا تؤمن به فيقول: السبّة والعار [(1)] !!.

عن الحرث بن عبد الله الأزدي قال: لما نزل أبو عبيدة اليرموك وضم إليه قواصيه وجاءتنا جموع الروم فذكر أن ماهان صاحب جيش الروم بعث رجلا من كبارهم وعظمائهم يقال له: جرجير إلى أبي عبيدة بن الجراح، فأتى أبا عبيدة فقال: إني رسول ماهان إليك، وهو عامل ملك الروم على الشام، وعلى هذه الحصون،

[(1)] [دلائل أبي نعيم] : 1 / 99 - 100، حديث رقم (51) ، انفرد به أبو نعيم، وفيه خالد بن إلياس، متروك الحديث، (البداية والنهاية) : 2 / 387 - 388.

(368/3)

وهو يقول لك: أرسل إلى الرجل الذي كان قبلك أميرا، قد ذكر لي أن ذلك الرجل له عقل وله فيكم حسب، وقد سمعنا أن ذوي الأحساب أفضل عقولا من غيرهم، فنخبره بما نريد، ونسأله عما تريدون، فإن وقع بيننا وبينكم أمر لنا فيه ولكم صلاح أخذنا الحظ من ذلك وحمدنا الله عليه، وإن لم يتفق ذلك بيننا وبينكم فإن القتال من وراء ما هناك.

فدعا أبو عبيدة خالدا فأخبره بالذي جاء فيه الروميّ وقال لخالد: ألقهم فادعهم إلى الإسلام، فإن قبلوا وإلا فافرض عليهم الجزية، فإن أبوا فأعلمهم أنا سنناجزهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال: وجاءهم رسولهم الرومي عند غروب الشمس فلم يمكث إلا يسيرا حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون، فلما قضوا صلاتهم قال خالد للرومي: قد غشينا الليل، ولكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبك إن شاء الله، فارجع إليه فأعلمه.

فجعل المسلمون ينتظرون الرومي أن يقوم إلى صاحبه فيرجع إليه ويخبره بما اتعدوا عليه، فأخذ الرومي لا يرح وينظر إلى رجال من المسلمين وهم يصلون فيدعون الله ويتضرعون إليه، ثم أقبل على أبي عبيدة فقال: أيها الرجل! متى دخلتم هذا الدين ومتى دعوتم الناس إليه؟ فقال: منذ

بضع وعشرين سنة، فمننا من أسلم حين أتاه الرسول، ومننا من أسلم بعد ذلك. فقال: هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول؟ قال: لا، ولكن أخبرنا أنه لا نبي بعده، وأخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه، قال الرومي، وأنا على ذلك من الشاهدين، وأن عيسى قد بشرنا براكب الجمل، وما أظنه إلا صاحبكم، فأخبرني هل قال صاحبكم في عيسى شيئاً؟ وما قولكم أنتم فيه؟.

قال أبو عبيدة: قول صاحبنا هو قول الله وهو أصدق القول وأبره: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [(1)] ، وقال تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ [(2)] إلى قوله: لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ.

[(1)] 59: آل عمران.

[(2)] 171: النساء.

(369/3)

قال: ففسّر له الترجمان هذا بالرومية، فقال: أشهد أن هذا صفة عيسى نفسه، وأشهد أن نبيكم صادق، وأنه الذي بشرنا به عيسى وأنكم قوم صادق، وقال لأبي عبيدة: أدع لي رجلين من أوائل أصحابك إسلاماً هما فيما ترى أفضل.

فدعا له معاذ بن جبل وسعيد بن جبيرة ويزيد بن عمرو بن نفيل، فقيل له:

هذا من أفضل المسلمين فضلاً ومن أوائل المسلمين إسلاماً، فقال لهم الرومي:

أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟ قالوا: نعم، إن أنت أسلمت واستقمت ولم تغير حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة، قال: فإني أشهدكم أي من المسلمين، فأسلم، ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير.

وخرج أبو نعيم من حديث أبي بشر محمد بن عبيد الله قال: حدثني عطاء بن عجلان عن بهز بن حوشب عن كعب بن ماته الحميري أن إسلامه كان [عند] مقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام، وأخبرني كيف كان بدء أمره، قال:

إن أبي كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى عليه السلام، وكان لم يدخر عني شيئاً مما كان يعلم.

فلما حضره الموت دعاني فقال لي: يا بني! إنك قد علمت أي لم أدخر عنك شيئاً مما كنت أعلم

إلا أني قد حبست عنك ورقتين فيهما نبي يبعث قد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك ولا آمن عليك أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه، وقد جعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما، لا تعرض لهما ولا تنظرن فيهما حينك هذا، فإن الله إن يرد بك خيرا ويخرج ذلك الذي تتبعه.

قال: ثم إنه مات فدفناه، ولم يكن شيء أحب إلي من أن يكون المأتم قد انقضى حتى انظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة، ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: محمد رسول الله، خاتم النبيين لا نبي بعده، مولده بمكة ومهاجرة بطيبة، لا فظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ويجزى بالسيئة الحسنة، ويعفو ويصفح.

أمتة الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال، تذلل ألسنتهم بالتكبير، وينصر نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم ويأتزرون على أوساطهم، أناجيلهم في

(370/3)

صدورهم، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم. قال: فلما قرأت ذلك قلت في نفسي: وهل علمني أي شيئا هو خير لي من هذا؟ فمكثت ما شاء الله، ثم بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة وهو يظهر مرة ويستخفي أخرى فقلت: هو ذا، فلم يزل كذلك حتى قيل لي: قد أتى المدينة، فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه، وكانت تبلغني وقائعه: مرة له، ومرة عليه، ثم بلغني أنه توفي، فقلت في نفسي: لعله ليس بالذي كنت أظن حتى بلغني أن خليفته قد قام مقامه، ثم لم يلبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت في نفسي:

لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أنهم هم الذين أرجو وانظر سيرتهم وأعمالهم. فلم أزل أدافع ذلك وأؤخره لأستثبت حتى قدم علينا عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رأيت وفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في دينهم، فو الله إني ذات ليلة فوق سطحي فإذا رجل من المسلمين يتلو قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [(1)] ، قال:

فلما سمعت هذه الآية خشيت أن لا أصبح حتى يحول وجهي في قفائي، فما كان شيء أحب إلي من الصباح فغدوت على المسلمين.

قال: وحدثني عطاء عن شهر بن حوشب عن كعب قال: قلت لعمر رضي الله عنه بالشام عند انصرافه أنه مكتوب في الكتب: أن هذه البلاد التي كان بنو إسرائيل أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد سواء في الحق عنده، أتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار، متراحون متواضعون متبارون، فقال عمر رضي الله عنه: ثكلتك أمك! أهو ما تقول؟ فقال: إي والذي يسمع ما أقول، فقال:

الحمد لله الذي أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[(1)] 47: النساء.

(371/3)

وله من حديث المسعودي عن نفييل بن هشام بن سعيد بن زيد عن أبيه، عن جده سعيد بن زيد، أن زيد بن عمرو وورقة ابن نوفل خرجا يلتمسان الدين، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو: من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ قال: من بيت إبراهيم، قال: وما تلتمس؟ قال: ألتمس الدين، قال:

ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك، فرجع وهو يقول: لبيك حقا حقا، تعبدا ورقا، البرّ أبغي لا الحال، وهو كمن قال: آمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول: أبقى لك فإني وأهم، مهما تجشمني فإني جاشم، ثم يخر فيسجد.

وله من حديث النضر بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن موسى أبو غزية، عن علي بن عيسى بن جعفر عن أبيه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه عامر ابن ربيعة العدوي قال: لقيت زيد بن عمرو بن نفييل وهو خارج من مكة يريد حراء يصلي فيها، وإذا هو قد كان بينه وبين قومه يوفي صدر النهار في ما أظهر من خلافهم، واعتزل آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم.

فقال زيد بن عمرو: يا عمر إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم خليل الله وما كان يعبد وابنه إسماعيل من بعده، وما كانوا يصلون إلى هذه القبلة، وانتظر نبيا من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب اسمه أحمد، ولا أراني أدركه، فأنا يا عامر أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيتته فأقرئه مني السلام، وسأخبرك يا عامر ما نعته حتى لا يخفى عليك، قلت: هلم. قال: هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليس يفارق عينيه حمرة، وهو خاتم النبوة واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرج قومه منها، ويكرهون ما جاء به

حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فأياك أن تخدع عنه فأنيّ بلغت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم عليه السلام، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراءك، ويعتونه مثل ما نعتته لك ويقولون: لم يبق نبي غيره.

قال عامر: فوقع في نفسي الإسلام من يومئذ، فلما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت حليفا في قومي، وكان قومي أقل قريش عددا، فلم أقدر على اتباعه ظاهرا فأسلمت

(372/3)

سرا، وكنت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبرني به زيد بن عمرو فترحم عليه وقال: قد رأيتك في الجنة يسحب ذيلا له أو ذيو لا له [(1)] .

وله من حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة بن عباس قال: قال العباس:

خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبو سفيان بن حرب فقدمت اليمن، وكنت أصنع يوما طعاما وأنصرف بأبي سفيان والنفر، ويصنع أبو سفيان يوما ويفعل مثل ذلك، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليّ غداك؟ قلت: نعم. فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت [إليه] [(2)] الغداء، فلما تغدى القوم قاموا واحتسبني فقال: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله؟ قلت أيّ بني أخي؟ قال: إياي تكتم؟ وأيّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد، قلت: وأيهم؟ هو محمد بن عبد الله؟.

قلت: قد فعل؟ قال: قد فعل [(3)] ، وأخرج كتابا من ابنه حنظلة بن أبي سفيان: أخبرك أن محمدا أقام بالأبطح فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله، قال العباس: قلت: لعله يا أبا حنظلة صادق، فقال: مهلا يا أبا الفضل، فو الله ما أحب أن تقول هذا، إني لأخشى أن تكون كنت على صبر من هذا الحديث، يا بني عبد المطلب إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة كل واحد منهما قامته، نشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟.

قلت: نعم قد سمعت، قال: فهذه والله شؤمتكم، قلت: فلعلها يمنتنا، قال:

فما كان يبعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن خرافة بالخبر وهو مؤمن، ففشا ذلك في مجالس اليمن، وكان أبو سفيان يجلس مجلسا باليمن يتحدث وفيه خبر من أحبار اليهود، فقال له اليهودي: ما هذا الخبر؟! بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال.

[(1)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 / 100-101 ، حديث رقم (52) ، رواه ابن سعد في

(الطبقات) : 1 / 161، والفاكهي بإسناده ثم ذكر الحديث. وانظر الإصابة أيضا، ويظهر أن إسناده عنده مقبول، و (الخصائص) : 1 / 61.

[(2)] في (خ) : «إلى» ، وما أثبتناه أجود للسياق.

[(3)] في (خ) : «بلى قد فعل» ، وما أثبتناه حق اللغة.

(373/3)

قال أبو سفيان: صدقوا، وأنا عمه، قال اليهودي: أخو أبيه؟ قال نعم، قال: فحدثني عنه، قال: لا تسألني، ما كنت أحب أن يدعي هذا الأمر أبدا، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه، فرأى اليهودي أنه يغمص عليه ولا يحب أن يعيبه، فقال: ليس به بأس على اليهود وتوراة موسى.

قال العباس: فنادى إلى الخبر فجنث وخرجت حتى جلست هذا المجلس من الغد، وفيه أبو سفيان والخبر، فقلت للخبر: بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا، زعم أنه رسول الله فأخبرك أنه عمه وليس بعمه، ولكن ابن عمه، وأنا عمه وأخو أبيه، قال: أخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه، فأقبل على أبي سفيان فقال:

صدق، قال نعم صدق، فقلت: سلني، فإن كذبت فيرده عليّ.

فقلت: نشدتك هل كانت لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قلت: لا، وإله عبد المطلب، ولا كذب ولا خان، وإن كان اسمه عند قريش الأمين، قال: هل كتب بيده؟ قال العباس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده، فأردت أن أقولها، ثم ذكرت مكان أبي سفيان أنه مكذبي وراذ عليّ، فقلت: لا يكتب، فوثب الخبر وترك رداءه وقال: ذبحت يهود وقتلت يهود.

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل إن اليهود تفرع من ابن أخيك، قلت: قد رأيت، فهل لك أيا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقا كنت قد سبقتك، وإن كان باطلا فمعك غيرك من أكفائك.

قال: لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كذا، قلت: ما تقول؟ قال: كلمة جاءت على فمي إلا أني أعلم أن الله لا ينزل خيلا تطلع من كذا.

قال العباس: فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كذا، قلت: يا أبا سفيان! تذكر الكلمة؟ قال: إي والله، إني أذكرها، والحمد لله الذي هداني للإسلام.

وله من حديث إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي قال: حدثني أبي عن عمران بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه قال: خرجت أنا وأميمة بن معاوية

(374/3)

ابن أبي الصلت الثقفي تجارا إلى الشام، فكلما نزلنا منزلا أخذ أميمة سفرا له يقرؤه علينا، وكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه وأكرموه وأهدوا له، وذهب معهم إلى بيوتهم، ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي: يا أبا سفيان، هل لك في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب نسأله؟ قلت: لا أرب لي فيه، والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به، ولئن حدثني بما أكره لأرحل منه.

قال: فذهب وخالفه فتى من النصارى فدخل عليه فقال: ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ؟ قلت: لست على دينه، قال: وإن، فإنك تسمع منه عجبا وتراه، ثم قال لي الثقفي: أنت قلت: لا، ولكني قريشي، قال: فما يمنعك من الشيخ؟ فو الله إنه ليحبكم ويوصي بكم، قال: وخرج من عندنا ومكث أمية حتى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم انحذل إلى فراشه، فو الله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيبا حزينا ساقطا غبوقه على صوحه [(1)] ، ما يكلمنا وما نكلمه. ثم قال: ألا ترحل؟ فرحلنا، فسرنا بذلك ليلتين من همه، ثم قال لي في الليلة الثالثة: ألا تحدث أبا سفيان؟ قلت: وهل بك من حديث؟ والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك، قال: أما إن ذلك شيء لست فيه، إنما ذلك شيء وجلت به من منقلي، قال: قلت: هل أنت قابل أمانتي؟ قال: على ماذا؟

قلت: على أنك لا تبعث ولا تحاسب، فضحك ثم قال: بلى والله يا أبا سفيان لنبعثن ولنحاسبن، وليدخلن فريق الجنة وفريق النار، قلت: ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك؟ قال: لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه.

قال: فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه، حتى قدمنا على غوطة دمشق فبعنا متاعنا فأقمنا شهرين وارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى، فلما رأوه جاءوه أهدوا له، وذهب معهم إلى بيعتهم، حتى جاء بعد ما انتصف النهار، فلبس ثوبيه وذهب إليهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه، فو الله ما نام ولا قام، وأصبح كئيبا حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه.

[(1)] الغبوق: شراب اللبن في المساء، والصبوح: شرابه في الصباح، والمقصود هنا كناية عن الاضطراب وعدم الاتزان.

(375/3)

ثم قال: ألا نرحل؟ قلت: بلى إن شئت، فرحلنا لذلك [من بيته وحزبه] [(1)] ليالي ثم قال لي: يا أبا سفيان! هل لك في المسير فنقدم أصحابنا؟ فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال: هيا صخر، قلت: ما تشاء، قال: حدثني عن عتبة بن ربيعة، أيجتنب المظالم والمحارم؟ قلت: إي والله، قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها؟ قلت: أي والله، قال: وكرم الطرفين وسيط في العشيعة؟ قلت: نعم، قال: فهل تعرف في قريش من هو أفضل منه؟ قلت: لا والله ما أعلمه، قال: أمحوج؟ قلت: لا، بل هو ذو مالك كثير، قال: وكم أتى له من السن؟ قلت: قد زاد على المائة، قال: فالشرف والسن والمال أزرين به، قلت: ولم ذلك يردى به؟ قال: لا والله بل يزيد خيرا. قال: هو ذاك، هل لك في المبيت؟ قلت: لي فيه، فاضطجعنا حتى مرّ الثقل، فسرنا على ناقتين نحيلتين حتى إذا برزنا قال: هيا صخر [(2)] [عن] [(1)] عتبة ابن ربيعة، قلت: هيا فيه، [(3)] قال: وذو مال؟ قلت: وذو مال، قال: أتعلم في قريش أسود [(4)]؟ قلت: لا والله ما أعلمه، قال: كم أتى له من السن؟ قلت: قد زاد على المائة، قال: فإن الشرف والمال أزرين به، قلت: كلا والله، ما أرى ذلك به وأنت قائل شيئا فقلته، قال: لا تذكر حديثي حتى يأتي منه ما هو آت، ثم قال: فإن الذي رأيت أصابني أي جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت: أخبرني من هذا النبي الذي ينتظر. قال: هو رجل من العرب، قلت: قد علمت أنه من العرب، فمن أي العرب هو؟ قال: من أهل بيت تحجه العرب، قلت: وفينا بيت تحجه العرب؟ قال: هو في إخوانكم من قريش، قال: فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط، وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة، وكنت أرجو أن أكون إياه. فقلت: فإذا كان فصفه لي، قال: رجل شاب حين دخل في الكهولة، بدء

[(1)] كذا في (خ) .

[(2)] في (خ) هيا فيه.

[(3)] في (خ) : تكرار من الناسخ لعبارة: «أيجتنب ... إلى ويفعل ذلك» .
[(4)] من السيادة.

(376/3)

أمره يجتنب المظالم والمخارم، ويصل الرحم ويأمر بصلتها، وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشرة، أكثر جنده الملائكة.
قلت: وما آية ذلك؟ قال: قد رجعت الشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثلاثين رجعة كلها مصيبة، وبقيت رجعة عامة فيها مصائب، قال أبو سفيان: فقلت له:
هذا والله الباطل، لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا.
قال أمية: والذي أحلف به إن هذي لكذا يا أبا سفيان يقول: إن قول النصراني حق، هل لك في المبيت؟ قلت: لي فيه، فبتنا حتى جاءنا الثقل، ثم خرجنا حتى إذا كنا بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه، فإذا هو يقول:
أصاب أهل الشام بعدكم رجفة دمّرت أهلها، وأصابهم فيها مصائب عظيمة.
قال أبو سفيان: فأقبل على أمية فقال: كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان، قلت: أي والله، وأظن أن ما حدثك صاحبك حق، قال: وقدما مكة فقضيت ما كان معي، ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فكنت بها خمسة أشهر، ثم قدمت مكة، فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون ويسألون عن بضائعهم.

(377/3)

[ثم جاءني محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم] [(1)] وهند عندي تلاعب صبيا لها، فسلم عليّ ورحب بي، وسألني عن سفري ومقامي، ولم يسألني عن بضاعته، ثم قام، فقلت لهند: والله إن هذا ليعجبني، ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألتني عنها، وما سألتني هذا عن بضاعته، فقالت: وما علمت شأنه؟ قلت: - وفرغت - ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله، فأيقظتني وذكرت قول النصراني ووجمت [(2)] حتى قالت هند:

مالك؟ فانتبهت وقلت: إن هذا هو الباطل، هو أعقل من أن يقول هذا، قالت:
بلى، والله إنه ليقول ذلك، فبوأنا عليه، وإن له لصاحبه على دينه، قلت: هذا الباطل، وخرجت،

فبينما أنا أطوف بالبيت لقيته فقلت: إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا، وكان فيها خير، فأرسل فخذها، ولست بأخذ منك فيها ما أخذ من قومك، فأبي عليّ وقال: إذا لا آخذها، قلت: فأرسل وخذها وأنا آخذ منك ما أخذ من قومك، فأرسل إليّ بضاعته فأخذها، وأخذت منه ما كنت آخذ من قومه غيره.

ولم أنشب أن خرجت تاجرا إلى اليمن فقدمت الطائف، فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقلت له: أبا عثمان! هل تذكر حديث النصراني؟ قال: أذكره، قلت: قد كان، قال: ومن؟ قلت: محمد بن عبد الله، قال: ابن عبد المطلب؟

قلت: ابن عبد المطلب، ثم قصصت عليه خبر هند، قال: فالله يعلم يتصب عرقا ثم قال: والله يا أبا سفيان لعله، إن صفته لهي، ولئن ظهر وأنا حيّ لأبلى الله نصره عذرا. قال: ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله، فأقبلت حتى نزلت إلى أمية بن أبي الصلت بالطائف فقلت: يا أبا عثمان! قد كان من أمر الرجل

[(1)] ما بين الحاصرتين عنوان في (خ) ، إلا أنها بداية فقرة جديدة، وقد أثبتناها كما هي في (خ) .

[(2)] [وجم: سكت على غيظ. (لسان العرب) 630 / 12]

(378/3)

ما قد بلغك وسمعت، قال: قد كان لعمرى، قلت: فأين أنت يا أبا عثمان عنه؟ قال: والله ما كنت لأؤمن لرسول من غير ثقيف أبدا، قال أبو سفيان: وأقبلت إلى مكة، فوالله ما أنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويعزفون، فجعلت أقول: فأين جنده من الملائكة؟ قال: فدخلني ما يدخل الناس من النفاسة [(1)] .

وله من حديث الليث بن سعيد عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن معاوية ابن أبي سفيان، أن أمية بن أبي الصلت كان بعزة أو قال: بإيلياء، فلما قفلنا قال لي: يا أبا سفيان! هل لك أن تتقدم على الرفقة فتحدث؟ قلت: نعم، ففعلنا، فقال لي: يا أبا سفيان، إيه عن عتبة بن ربيعة، قلت: إيه عن عتبة بن ربيعة، قال: كريم الطرفين، ويجتنب المظالم والحارم؟ قلت: نعم، قال: وشريف حسن، قال: السن والشرف أزريا به، فقلت له: كذبت، ما ازداد شيئا إلا ازداد شرفا، قال: يا أبا سفيان! إنها لكلمة ما سمعت أحدا يقولها لي منذ تنصرت، لا تعجل عليّ حتى أخبرك، قلت: هات.

قال إني أجد في كتبي نبيا يبعث من حرتنا هذه، فكنت أظن بل كنت لا أشك أني هو! فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف، فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة، فلما أخبرني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه، قال أبو سفيان: فضرب الدهر من ضربه.

[وأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(2)] وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة، فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به: يا أمية! قد خرج النبي الذي كنت تنعته، قال: أما إنه حق فأتبعه، قلت: ما يمنعك من اتباعه؟ قال: ما يمنعني إلا الاستحياء من نسيات

[(1)] نفست عليه بالشيء أنفسه نفاسة، إذا ضننت به ولم تحب أن يصل إليك. (القاموس المحيط): 238 / 6.

[(2)] ما بين الحاصرتين عنوان في (خ) ، إلا أنها بداية فقرة جديدة، وقد أثبتناها كما هي في (خ) .

(379/3)

ثقيف، كنت أحدثهن أني هو، ثم يريني تابعا لغلام من بني عبد مناف، ثم قال ابن مية: فكأن بك يا أبا سفيان إن خالفته قد ربطت كما يربط الجددي، ثم يؤتى بك إليه فيحكّم فيك بما يريد!. وله من حديث ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس: يا معشر قريش! هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قال القوم:

ما نعلمه، قال: الله أكبر، أما إن أخطأكم فلا بأس، انظروا واحفظوا يا معشر قريش ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الآخر، بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنهن عرف فرس، لا يرضع ليلتين، وذاك أن عفريتاً من الجن أدخل إصبعه في فيه ومنعه من الرضاع، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يعجبون من قوله وحديثه، فلما صاروا إلى منزلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وأسموه محمداً.

فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتم حديث اليهودي وقد بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر فقال: اذهبوا بي حتى انظر إليه، فخرجوا به حتى دخلوا على آمنة بنت وهب فقالوا: أخرجي إلينا ابنك فأخرجته آمنة، فكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة فوق مغشياً عليه، فلما أفاق قالوا له: ويلك! ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة

من بني إسرائيل، أفرحتم به يا معشر قريش؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من
المشرق إلى المغرب.

وكان في نفر يومئذ هشام والوليد ابنا المغيرة، ومسافر بن أبي عمرو وعبيدة ابن الحرث بن عبد
المطلب، وعنتبة بن ربيعة في نفر من بني عبد مناف وغيرهم من قريش.
وله من حديث محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال:
كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى (عيسا) من أهل الشام، وكان متخفراً [(1)]
بالعاص بن وائل، وكان الله قد أتاه علماً كثيراً، وجعل فيه منافع كثيرة

[(1)] خفير القوم: مجبرهم، الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده.

(380/3)

لأهل مكة من طب ورفق وعلم، وكان يلزم صومعة له، ويدخل مكة في كل سنة فيلقني الناس
ويقول: يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة، يدين له العرب ويملك العجم، هذا زمانه فمن
أدركه واتبعه أصاب حاجته، ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته، وتالله ما تركت الحمر والحمير
[والأمي] [(1)] ، ولا حللت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه.
فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول: ما جاء بعد، فيقال له:
فصفه، فيقول: لا، ويكنم ذلك للذي قد علم أنه لا نبي من قومه مخافة على نفسه أن يكون
ذلك داعية إلى أدنى ما يفضي إليه من الأذى يوماً.
ولما كان ظهور اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله بن عبد المطلب
حتى أتى (عصياً) فوقف في أصل صومعته ثم نادى: يا (عصياً) ، فناداه:
من هذا؟ فقال: أنا عبد الله، فأشرف عليه فقال: كن أباه، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت
أحدثكم عليه يوم الإثنين، ويبعث يوم الإثنين، ويموت يوم الإثنين.
قال: فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود، قال: فما سميته؟ قال: محمداً، قال: والله لقد كنت
أشتهي أن يكون فيكم هذا المولود أهل البيت لثلاث خصال بما نعرفه، فقد أتى عليه منها أن
نجمه طلع البارحة، وأنه ولد اليوم، وأن اسمه محمداً، انطلق إليه فإن الذي كنت أحدثكم عنه
ابنك.

قال: فما يمنعك أن تأتيني؟ ولعله لن يولد يومنا هذا مولودون عدة، قال:
قد وافق ابنك الاسم، ولم يكن الله يشبه علمه على العلماء لأنه حجة، وآية ذلك أنه الآن وجع

فيشتكي أياما ثلاثة، يظهر الوجع ثم يعافي، فاحفظ لسانك فإنه لم يحسد حسده أحد قط، ولم يبع على أحد كما يبغى عليه، وإن تعش حتى تبدو معاملة ثم يدعو يظهر لك من قومك ما لا يحتمله إلا على ذل، فاحفظ لسانك ودار عنه.

قال: فما عمره؟ قال: إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين، يموت في وتردونها من السنين، في إحدى وستين أو ثلاث وستين، أعمار جلّ أمته، قال:

[(1)] كذا في (خ) .

(381/3)

وحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشوراء المحرم، وولد يوم الاثنين لثني عشر ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل.

وله من حديث النضر بن سلمة قال: حدثنا يحيى بن إبراهيم بن أبي قتيلة عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو

بالقادسية أن يسرح نضلة بن معاوية الأنصاري وهو من أصحابه في ثلاثمائة فارس إلى حلوان فيغير على قراها، لعل الله يفيدهم إبلا ورقيقا، فلما انتهى كتاب عمر إلى سعد دعا سعد نضلة

فعقد له [لواء] [(1)] وقال: اخرج، فسار نضلة حتى إذا شارف حلوان فرّق أصحابه في

ثلاث رساتق منها، فأغاروا فأصابوا إبلا ورقيقا وشاءا كثيرا، فانصرفوا فتبعهم المشركون، فكرّ

عليهم نضلة وأصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم إن الله صرف وجوه المشركين وولوا، وسار نضلة

في أصحابه معهم الغنائم، وأرهق القوم صلاة العصر، فنادى نضلة أصحابه فقال لهم: سوقوا

الغنائم إلى سفح الجبل وعليكم بالصلاة.

ثم نزل فأذن فقال: الله أكبر الله أكبر، فأجابه كلام من الجبل: كبرت كبيرا يا نضلة، فقال نضلة:

أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أخلصت لله إخلاصا حرمت جسدك على النار، قال: أشهد أن

محمد رسول الله، قال: نبي بعث خاتم النبيين، وصاحب شفاعة يوم القيامة، قال: حيّ على

الصلاة حيّ على الفلاح، قال: البقاء لأمة محمد وهو الفلاح، قال: الله أكبر الله أكبر، قال:

كبرت كبيرا، قال:

لا إله إلا الله، قال أخلصت لله إخلاصا.

قال: فتعجب نضلة وأصحابه، فقال نضلة: من أنت يرحمك الله؟ أهاتف من الجن؟ أم عبد صالح

جعل الله لك في هذا الجبل رزقا؟ حدثنا ما حالك؟ أرنا وجهك، قال: فانشق الجبل عن رأس كأن

هامته رحي، شديد بياض الرأس واللحية، عليه ثياب الصوف، فقال: أنا زريب بن يرثلمي وصي
العبد الصالح عيسى ابن مريم، سألته فطلب إلى ربه حين رفع، فوهب لي عمرا إلى أن يهبط علي.
فإن لي في هذا الجبل رزقا، فأقري عمر بن الخطاب السلام وقل: سدّد

[(1)] زيادة للسياق.

(382/3)

وقارب وأبشر، حضر الأمر ونعم العبد أنت.
ثم انسَدَّ الجبل فنادوا كثيرا فلا جواب، فأخبر نضلة سعدا فكتب بذلك سعد إلى عمر رضي الله
عنه فأجابه: يا سعد، ذاك رجل من أوصياء عيسى ابن مريم عليه السلام، أعطى فيها رزقا وعمرا
فسل عنه، فركب سعد فأقام بفناء الجبل أربعين يوما فلم يجب بشيء، فكتب سعد بذلك إلى
عمر رضي الله عنه.

ورواه الواقدي: حدثني عبد العزيز بن عمر، حدثنا جعونة بن نضلة قال:

كنت في الجبل يوم فتح حلوان، فطلبنا المشركين في الشعب فأمعنا فيه، فحضرت الصلاة
فانتهيت إلى ماء فنزلت [عن فرسي] [(1)] فأخذت بعنانه، فتوضأت ثم صعدت صخرة
فأذنت، فلما قلت: الله أكبر الله أكبر.. فذكره.

وقد روى من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر تفرد [به] [(2)] عبد الرحمن
الراسبي وفيه ضعف ولين.

وله من حديث إسحاق بن أبي إسحاق الشيباني عن أبيه عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن
أبيه قال: إني أجد فيما أقرأ من الكتب أنه ترفع راية بمكة، الله مع صاحبها، وصاحبها مع الله،
يظهره الله على جميع القرى.

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: إعلام نبينا صلى الله عليه وسلّم الموجودة في كتب
الله المتقدمة، قول الله عز وجل في السفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام:
قد أجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه وكثرتة وعظمتها جدا جدا، وسيلد اثني عشر عظيما،
وأجعله لأمة عظيمة، ثم أخبر موسى عليه السلام مثل ذلك في السفر وزاد فقال: لما هربت من
سارة تراءى لها ملك الله وقال: يا هاجر أمة سارة! ارجعي إلى سيدتك واخضعي لها، فإني سأكثر
ذريتك وزرعك حتى لا يحصوا كثرة، وها أنت تحبلين وتلدن ابنا وتسميه إسماعيل، لأن الله قد
سمع خشوعك، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع. [(3)]

[(1)] في (خ) : «عرفوسي» .

[(2)] في (خ) : «عنه» .

[(3)] (العهد القديم) : سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر، وفيه: 7- فوجدها ملاك

الرب على

(383/3)

قال ابن قتيبة: فتدبر هذا القول فإن فيه دليلاً بينا على أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق، ولا كانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع، وكيف يكون ذلك والنبوة والملك في ولد إسرائيل والعيص، وهما ابنا إسحاق؟ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل، فدانت له الملوك وخضعت له الأمم، ونسخ الله به كل شرعة، وختم به النبيين، وجعل الخلافة والملك في أهل بيته إلى آخر الزمان، فصارت أيديهم فوق أيدي الجميع، وأيادي الجميع مبسوطة بالخضوع، قال:

[()] عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور* 8- وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين. فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي* 9- فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها* 10- وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة* 11- وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلتي فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك* 12- وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن» .

(384/3)

ومن إعلامه في التوراة

قال: جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير [(1)] ، واستعلن من جبال فاران [(2)] ،

وليس بهذا خفاء على من يدبره ولا غموض، لأن مجيء الله من سيناء:

إنزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء هو عند أهل الكتاب وعندنا، لذلك يجب أن

يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح عليه السلام الإنجيل، وكان المسيح يسكن ساعير بأرض الجليل بقريّة تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران بإنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلّم في جبال فاران وهي جبال مكة، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا أنّها غير مكة فليس ينكر من تحريفهم وإفكهم. قلنا: ليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران، وقلنا: دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل الله عليه كتابا بعد المسيح، أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد، وهما ظهر وانكشف؟ فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟

[(1)] ساعير، سعير: كلمة عبرانية معناها «كثير الشعر»، وهي اسم الأرض التي كان يسكنها الحواريون، ثم استولى عليها (عيسو) ونسله، وكانت تسمى أيضا جبل سعير، لأنها أرض جبلية على الجانب الشرقي من البرية العربية، ويصل ارتفاع أعلى قمة في هذه الأرض 1600 مترا، وهي قمة جبل هور.

وساعير أيضا جبل في أرض يهوذا، بين قرية يعاريم وبيت شمس، وربما كانت سلسلة الجبال التي تقع عليها قرية ساريس إلى الجنوب الغربي من قرية يعاريم، وإلى الشمال الغربي من أورشليم، ولا زالت آثار الغابات التي كانت تنمو فوقه موجودة إلى اليوم. (قاموس الكتاب المقدس) : 466-467.

[(2)] جبال فاران: برية واقعة إلى جنوب جبل يهوذا وشرق برية بئر سبع وشور. (المرجع السابق) : 667.

(385/3)

ومن إعلامه في التوراة أيضا

قال الله لموسى في السفر الخامس: إني أقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فمه، فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل كما تقول بكر وتغلب أبناء وائل، ثم تقول: تغلب أخو بكر، وبنو تغلب إخوة بني بكر، ترجع في ذلك إلى إخوة الأيوين، فإن قالوا: إن هذا النبي الذي وعد الله نقيمه لهم هو أيضا من بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل، كذبهم التوراة وألد بهم النظر، لأن في التوراة أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى، وأما

النظر:

فإنه لو أراد إني أقيم لهم نبيا من بني إسرائيل مثل موسى لقال: أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى ولم يقل: من إخوتكم، كما أن رجلا لو قال لرسوله: ائني برجل من إخوة بكر بن وائل لكان يجب أن يأتيه برجل من بني تغلب بن وائل، ولا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر.

قال: ومن قول حبقوق [(1)] المتنبي في زمن دانيال قال حبقوق: وجاء الله من [البيتير] [(2)] ، والتقدیس من جبال فاران، وامتألت الأرض من تميمده وتقديسه، وملك الأرض بيمينه ورقاب الأمم.

وقال أيضا: تضيء له الأرض، ومحمد خيله في البحر، قال: وزادني بعض أهل الكتاب أنه قيل في كلام حبقوق: وستنزع في قسيك إغراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء، وهذا إفصاح باسمه وصفاته، فإن ادعوا غير نبينا وليس ينكر ذلك من جحودهم وتحريفهم، فمن أحمد هذا الذي امتألت الأرض من تميمده، والذي جاء من جبال فاران فملك الأرض ورقاب الأمم؟ قال:

[(1)] يبدو أن (حبقوق) تنبأ أثناء حكم يهويا قيم (607-597 ق. م.) لكن من الصعب

تعيين العصر بدقة، ويعتقد غالبية النقاد أن النبوة ترجع إلى زمن وقوع معركة كركميش (بين الكلدانيين والمصريين 605 ق. م.) ويعتقد آخرون أن تاريخ النبوة كان قبل تلك المعركة بزمن وجيز (قاموس الكتاب المقدس): 288، وفيه أن حبقوق كان سبط لاوي.

[(2)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه، ويتبر: اسم عبري معناه «رفعه» وهي مدينة في جبال اليهودية خصصت للكهنة (المرجع السابق): 1053.

(386/3)

ومن ذكر شعيا له

قال شعيا عن الله تعالى: عبدي الذي سرت به نفسي، وفي ترجمه أخرى قال: عبدي خيرتي رضى

نفسى أبيض عليه روي، وفي ترجمة أخرى قال: أنزل عليه وحيي فيظهر في الأرض [وفي] [

(1)] الأمم عدله، ويوصي الأمم بالوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، ويسمع الأذان الصم، ويحي القلوب الغلف، وما أعطيته لا أعطي غيره، أحمد يحمد الله حمدا، حديثا يأتي من أقصى الأرض، يفرح البرية وسكانها، يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية.

وزاد آخر في الترجمة: لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى، ولا يسمع في الأسواق صوته، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبية الضعيفة، بل يقوى به الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهم نور الله الذي لا يطفأ ولا يخضم حتى يثبت في الأرض حجتى ويقطع به العذر، وإلى توراته تنقاد الجن، وهذا إيضاح باسمه وصفاته. فإن قالوا: أي توراة له؟ قلنا: أراد أنه يأتي بكتاب يقوم مقام التوراة لكم. ومنه قول كعب: شكا بيت المقدس إلى الله عز وجل الخراب، فقبل له: لأبدلتك توراة محدثة، وعمالا محدثين، يدفون بالليل دفيف النسور، ويتحننون عليك تحن الحمامة على بيضها، ويملئونك خدودا سجدا. قال ابن قتيبة:

[(1)] زيادة للسياق..

(387/3)

ومن ذكر شعيا له

قال: أنا الله عظمتك بالحق وأيدتك، وجعلتك نور الأمم وعهد الشعوب، لتفتح أعين العميان وتنقذ الأسرى من الظلمات إلى النور، وقال في الفصل الخامس من إيليا: إن سلطانه على كتفه - يريد علامة نبوته - هذا في التفسير السرياني، وأما في العبراني فإنه يقول: إن على كتفه علامة النبوة.

قال ابن قتيبة: ومن ذكر داود عليه السلام له في الزبور: سبحوا الرب تسبيحا حديثا، سبحوا الذي هيكله الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه، ويوت صهيون من أجل أن الله اصطفاه لكرامته، وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحون على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقموا لله من الأمم الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرفهم بالأغلال، قال: فمن هذه الأمة التي سيوفها ذات شفرتين غير العرب؟ ومن المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدون الله؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟ ومن خرت الأمم تحته غيره؟ ومن قرنت شرائعه بالهيبه، فإما القبول أو الجزية أو السيف ونحوه، فقلوه صلى الله عليه وسلم: نصرت بالرعب.

قال: وفي مزمور آخر: أن الله أظهر من صهيون إكليلا محمودا، قال:

ضرب الإكليل مثلا للرئاسة والأمانة، ومحمود هو محمد صلى الله عليه وسلم. قال: وفي مزمور آخر: من صفته أنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، أنه تخر أهل

الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحس أعداؤه التراب، تأتيه الملوك بالقرابين وتسجد له، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، وليخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطي من ذهب من بلاد سيبا، ويصلي عليه ويبارك في كل يوم، ويدوم ذكره إلى الأبد.

قال ابن قتيبة: فمن هذا الذي ملك ما بين البحر والبحر، وما بين دجلة

(388/3)

والفرات إلى منقطع الأرض، ومن ذا الذي يصلي عليه ويبارك في كل وقت من الأنبياء غيره صلى الله عليه وسلّم؟ قال: وفي موضع آخر من الزبور قال داود: اللّهم ابعث صاحب إنه بشر، وهذا إخبار عن المسيح وعن محمد صلى الله عليهما قبلهما بأحقاب، يريد: ابعث محمدا حتى يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود أنهم سيّدعوا في المسيح ما ادّعوا.

قال: وفي كتاب أشعيا قيل: قم فانظر ترى فخبّر به، قلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما للآخر: سقطت بابل وأصنامها المبخرة، قال: فصاحب الحمار عندنا وعند النصارى المسيح، فإذا كان صاحب الحمار المسيح فلم لا يكون محمد صلى الله عليه وسلّم صاحب الجمل؟ أو ليس سقوط بابل والأصنام المبخرة به وعلى يديه لا بالمسيح؟ ولم يزل في إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام؟ أو ليس هو بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار؟

قال ابن قتيبة: فأما ذكر النبي صلى الله عليه وسلّم في الإنجيل: فقد قال المسيح للحواريين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط [(1)] روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون، لأنكم مع من قتل الناس، فكل شيء أعدّه الله لكم يخبركم به. قال:

[(1)] في بعض كتب النصارى: «البارقليط»

(389/3)

وفي حكاية يوحنا عن المسيح

أنه قال: الفارقليط لا يجيئك ما لم أذهب، فإذا جاء سبوح العالم من الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب.

وفي حكاية أخرى: أن الفارقليط [(1)] روح الحق الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء، وقال: إني سائل أبي أن يبعث إليكم فارقليطا آخر يكون معكم إلى الأبد، وهو يعلمكم كل شيء.

وفي حكاية أخرى: أن البشر ذاهب والفارقليط من بعده، يجيء لكم الأسرار ويقر لكم [كل] شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل.

قال ابن قتيبة: وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة، وإنما اختلفت لأن من نقل الإنجيل عن المسيح عليه السلام عدة، فمن هذا الذي هو روح الحق سبحانه، الذي لا يتكلم إلا بما يوحى إليه؟ ومن العاقب للمسيح والشاهد له بأنه قد بلغ؟

ومن الذي أخبر بالحوادث في الأزمنة مثل خروج الدجال، وظهور الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه هذا؟ وأخبر بالغيوب من أمر القيامة والحساب، والجنة والنار، وأشباه ذلك مما لم يذكر في التوراة والإنجيل غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وقال:

[(1)] في بعض كتب النصارى: «البارقليط»

(390/3)

وفي إنجيل متى

أنه لما حبس يحيى بن زكريا ليقتل، وبعث تلاميذه إلى المسيح وقال لهم: قولوا له: أنت هو الآتي، أو يتوقع غيرك؟ فأجابه المسيح وقال: الحق أقول لكم، أنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا، وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى، فأما الآن فإن شئتم فأقبلوا أن الياهو مزعم أن يأتي، فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع.

قال ابن قتيبة: وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال: إما أن يكون قال:

إن أحمد مزعم أن يأتي، فغيروا الاسم كما قال تعالى: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [(1)] ، وجعلوه إياهو، وإما أن يكون قال: إن إيل مزعم أن يأتي، وإيل هو الله عز وجل، ومجيء الله مجيء رسوله بكتابه، كما قال في التوراة: جاء الله من سيناء، فمعناه: جاء موسى من سيناء

بكتاب الله، ولم يأت كتاب بعد المسيح إلا القرآن، وإما أن يكون أراد النبي المسمى بهذا الاسم، وهذا لا يجوز عندهم لأنهم مجمعون على أن لا نبي بعد المسيح.

قال ابن قتيبة: وقد وقع ذكر مكة والبيت والحرم في الكتب المتقدمة فقال في كتاب شعيا: أنه ستمتلي البادية والمدن من قصور قيذار يسبحون، ومن رءوس الجبال ينادون، هم الذين يحصلون لله الكرامة، ويثنون تسيحه في البر والبحر، وقال: ارفع علما بجميع الأمم من بعيد، فيصفر بهم من أقاصي الأرض، فإذا هم سراع يأتون.

قال ابن قتيبة: وبنو قيذار هم العرب، لأن قيذار بن إسماعيل بإجماع الناس، والعلم الذي يرفع هو النبوة، والصفير بهم: دعاؤهم من أقاصي الأرض للحج، فإذا هم سراع يأتون، وهو قول الله تعالى: **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [(2)]** ، وقال في موضع آخر من كتاب

[(1)] 13: المائة.

[(2)] 27: الحج.

(391/3)

شعيا: سأبعث من الصبا قوما فيأتون من المشرق مجيبين بالتلبية أفواجا، كالصعيد كثرة، ومثل الطيان تدوس برجله الطين، والصبا تأتي من مطلع الشمس، يبعث عز وجل من هناك قوما من أهل خراسان وما صاقبها، ومن هو نازل بمهب الصبا فيأتون مجيبين بالتلبية أفواجا كالتراب كثرة ومثل الطيان يدوس برجله الطين، يريد أن منهم رجاله كالين، وقد يجوز أن يكون أراد الهرولة إذا طافوا بالبيت.

قال ابن قتيبة: وقال في ذكر الحجر المسلم: قال شعيا: قال الرب السيد: ها أنا ذا مؤسس بصهيون، وهو بيت الله حجرا في زاوية مكة، والحجر في زاوية البيت، والكرامة أن يستلم ويلثم.

وقال شعيا في ذكر مكة: سرى واهتري أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسيح وافرحي إن لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي، يعني بأهله:

أهل بيت المقدس من بني إسرائيل، [أو] أراد أن أهل مكة يكون ممن يأتيهم من الحجاج والعمار أكثر من أهل بيت المقدس، فأشبهه مكة بامرأة عاقر لم تلد، لأنه لم يكن فيها قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلا إسماعيل وحده، ولم ينزل بها كتاب، ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيت

المقدس لأنه بيت الأنبياء ومهبط الوحي، ولا يشبه بالعافر من النساء.
وفي كتاب شعيا أيضا من ذكر مكة: قد أقسمت بنفسي كقسمي أيام نوح ألا أغرق الأرض
بالطوفان كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ولا أرفضك، وأن الجبال تزول، والقلاع تنحط،
ونعمتي عليك لا تزول، ثم قال: يا مسكينة يا مضطهدة، ها أنا ذا بان، بالحسن حجارتك
ومزينك بالجوهر، ومكمل باللؤلؤ سقفك، وبالزبرجد أبوابك، وتبعدين من الظلم ولا تخافين، ومن
الضعف لا تضعفي، وكل سلاح يصنع لا يعمل فيك، وكل لسان ولغة يقوم معك بالخصومة
تفلقين معها.
ثم قال: وسيسميك الله اسما جديدا- يريد أنه سمي المسجد الحرام وكان قبل ذلك يسمى
الكعبة- فقومى فأشريقي، فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك، انظري بعينك حولك، فإنهم
مجتمعون، يأتوك بنوك وبناتك عدوا، فحينئذ تسرين

(392/3)

ويخاف قدرك ويتبع قلبك، وكل غنم قي دار مجتمع إليك، وسادات نباوث يخدمونك (ونباوث هو
ابن إسماعيل، وقي دار أبو النبي صلى الله عليه وسلم هو أخو نباوث).
ثم قال: وتفتح أبوابك دائما الليل والنهار لا تغلق، وتتخذونك قبلة، وتدعون بعد ذلك مدينة
الرب (أي بيت الله تعالى).
وقال أيضا: ارفعي إلى ما حولك بصرك تبتهجين وتفرحين من أجل أنه تميل إليك ذخائر البحر،
ويحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك قطر الإبل الموبلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع
إليك، وتساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سيب، ويسير إليك بأغنام قاذار، ويخدمك رجالات
نباوث (يعني سدنة البيت، أنهم من ولد نباوث بن إسماعيل). قال ابن قتيبة:

(393/3)

وذكر شعيا طريق مكة فقال:

عن الله عز وجل: أني أعطي البادية كرامة وبها الكرمان، ولبنان وكرمان الشام وبيت المقدس،
يعني أريد الكرامة التي كانت هناك بالوحي وظهور الأنبياء للبادية بالحج وبالنبي صلى الله عليه
وسلم، ويشق في البادية مياه وسواقي أرض الفلاة، ويكون الفيافي والأماكن العطاش يبايع

ومباها، ويصير هناك محجة فطريق الحريم لا يمر به أنجاس الأمم، والجاهل به لا يصل هناك، ولا يكون به سباع ولا أسد، ويكون هناك ممر المخلصين.

وفي كتاب حزقيل أنه ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم بكرمة فقال: ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة، ورمى بها على الأرض فأحرقت السمائم ثمارها، فعند ذلك عرشها في البدو، وفي الأرض المهملة العطش، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصى قوية ولا قضيب.

قال ابن قتيبة: وذكر الحرم في كتاب شعيا فقال: إن الذئب والحمل فيه يرعيان معا، وكذلك جميع السباع لا تؤذي ولا تفسد في كل حرمي، ثم ترى بذلك الوحش إذا خرجت من الحرم عاودت الذعر وهربت من السباع، وكان السبع في الطلب والحرص في الصيد كما كان قبل دخوله الحرم. قال: وذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر فقال شعيا وذكر قصة العرب ويوم بدر: ويدوسون الأمم كدياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون، ثم قال: يهزمون بين يدي سيوف مسلولة، وقسي متورة، ومن شدة الملحمة.

قال ابن قتيبة: فهذا ما في كتب الله المتقدمة الباقية في أيدي أهل الكتاب، يتلونونه ولا يجحدون ظاهره، ما خلا اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً، ولن يخفى ذلك عنهم، لأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية عندهم مشفح، ومشفح هو محمد بغير شك، واعتباره أنهم يقولون شفحاً لإلهيا إذا أرادوا أن يقولوا: الحمد لله.

(394/3)

فإذا كان الحمد شفحاً فمشفح محمد، لأن الصفات التي أقروا أنها هي وفاق لأحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشرعته فليدلونا على من له هذه الصفات، ومن خرت الأمم بين يديه وانقادت لطاعته، واستجابت لدعوته، ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل وأصنامها به، وأن هذه الأمة من ولد قيذار بن إسماعيل الذين ينادون من رعوس الجبال بالتلبية والأذان، والذين نشروا تسبيحه في البر والبحر، هيهات أن يجدوا ذلك إلا في محمد وأمته.

قال ابن قتيبة: ولو لم تكن هذه الأخبار في كتبهم بدليل قوله تعالى الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ [(1)] ، وقوله: لَمْ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [(2)] ، وقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ [(3)] ، وقوله: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ [(4)] ، وكيف جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم بما ليس عندهم ويقول: من علامة

نبوتى أنكم تجدونى مكتوبا عندكم، ولا تجدونه وقد كان عيبا أن يدعوهم بما ينفرهم، ولما أيقن الحال عبد الله بن سلام ومن أسلم أسلموا.

وقد ذكر يوحنا الإلهي الذي كتب الإنجيل في كتاب اسمه الأبو علمسيس نبينا محمدا صلى الله عليه وسلّم وسماه: ماما ديوس، ومعنى ماما بالعبرية ميم، ومعنى ديوس ح م د، وقال ابن الجوزي: وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلّم بصفاته ويقرون به ويعدون بظهوره، ويوصون أهاليهم بالإيمان به، فلما ظهر آمن عقلاؤهم، وحمل الحسد آخرين على العناد كحبي بن أخطب، وأبو عامر الراهب، وأمّية بن أبي الصلت، وقد أسلم جماعة من علماء متأخري أهل الكتاب، وصنفوا كتبنا يذكرون فيها صفاته التي في التوراة والإنجيل، فالعجب ممن يتيقن وجود الحق ثم يحمله الحسد على الرضا بالخلود في النار.

[(1)] 157: الأعراف.

[(2)] 70 – 71: آل عمران.

[(3)] 146: البقرة.

[(4)] 43: الرعد.

(395/3)

وأما سماع الأخبار بنبوته من الجنّ وأجواف الأصنام ومن الكهّان فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث عبيد الله بن عمرو بن محمد بن عقيل عن جابر رضي الله عنه قال: أول خبر قدم المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع فجاء في صورة طائر فوقع على حائط [(1)] دارها فقالت: انزل بخبرنا وبخبرك، قال: إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار وحرم علينا الزنا [(2)] .

وخرج من حديث الزهري عن علي بن الحسين قال: إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم من امرأة تدعى فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع فجاءها ذات يوم فقام على الجدار، فقالت: انزل، قال: لا، قد بعث الرسول الذي حرم الزنا.

ومن حديث أشعث بن شعبة عن أرطاة بن المنذر قال: سمعت ضمرة يقول: كانت امرأة بالمدينة يغشاها جان، فكان يتكلم ويسمعون صوته، قال: فغاب [(3)] فلبث ما لبث فلم يأتها ولم يختلف إليها، فلما كان بعد إذ هو يطلع من كوة فنظرت إليه فقالت: يا ابن

لوذان! ما كانت لك عادة تطلع من الكوة فما بالك؟ فقال:

إنه خرج نبي بمكة وإني سمعت ما جاء به فإذا هو يحرم الزنا، فعليك السلام [(4)] .

[(1)] في (دلائل أبي نعيم) : «الحائط لهم» ، «ألا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك وتخرنا ونخبرك؟
قال لها:

إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار» .

[(2)] [المرجع السابق: 107 / 1 ، حديث رقم (56) ، أخرجه ابن سعد في (الطبقات) : 1 / 189 ، وأحمد ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي ، كلهم عن جابر ، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : 8 / 243 : ورجاله وثقوا .

[(3)] ف (خ) : «فغاب بعد» .

[(4)] [(دلائل أبي نعيم) : 107 / 1 ، حديث رقم (57) ، قال السيوطي في (الخصائص) : 1 / 285 :

أخرجه أبو نعيم عن أرطاة بن المنذر

(396/3)

ومن حديث الواقدي قال: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: خرجنا في غير إلي الشام قبل [(1)] مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كنا بأفواه الشام وبها كاهنة، فتعرضنا لها فقالت: أتاني صاحبي فوقف على بابي فقلت: ألا تدخل؟ فقال: لا سبيل إلى ذلك، خرج أحمد بمكة [(2)] يدعو إلى الله [(3)] . قال الواقدي: وحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري قال: كان الوحي يسمع، فلما كان الإسلام منعوا، وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سعيذة، لها تابع من الجن، فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها يصيح فذهب عقلها، فجعل يقول من صدرها: وضع العناق [(4)] ، ورفع الرفاق [(5)] ، وجاء أمر لا يطاق، أحمد حرم الزنا.

قال الواقدي: وحدثنا أبو داود سليمان بن سالم عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي، أن رجلا مر على مجلس بالمدينة فيه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فنظر إليه فقال: أكاهن أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين! هدي بالإسلام كل جاهل، ودفع بالحق كل باطل، وأقيم بالقرآن كل مائل، وغني بمحمد صلى الله عليه وسلم كل عائل، فقال عمر: متى عهدك بها؟ - يعني صاحبته - قال: قبيل الإسلام، أتتني فصرخت: يا سلام يا سلام، الحق المبين والخير الدائم، خير حلم النائم، الله

أكبر.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين! أنا أحدثك مثل هذا، والله إنا لنسير في «دوية» [(6)]
ملساء لا يسمع فيها إلا الصدى، إذ نظرنا فإذا راكب مقبل أسرع

[(1)] في (دلائل أبي نعيم) : «قبل أن يبعث» .

[(2)] في المرجع السابق: «خرج أحمد، وجاء أمر لا يطاق، ثم انصرفت فرجعت إلى مكة،
فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل» .

[(3)] (المرجع السابق) : 108 / 1، حديث رقم (58) ، قال السيوطي في (الخصائص) : 1 /
258:

أخرجه أبو نعيم، وفيه الواقدي، وهو متروك.

[(4)] العناق: الكذب الفاحش. (القاموس المحيط) : 276 / 10.

[(5)] الرفاق: النزاع إلى الهوى (المرجع السابق) : 10 / 119.

[(6)] في (خ) : «دواية» . والدوية مؤنث الدوّ، وهو الفلاة الواسعة، أو المستوية من الأرض.
(المرجع السابق) : 276 / 14.

(397/3)

من الفرس حتى كان منا على قدر ما يسمعنا صوته، قال: يا أحمد، يا أحمد، الله أعلى وأمجّد،
أتاك ما وعدك من الخير يا أحمد، ثم ضرب راحلته حتى أتى من ورائنا، فقال عمر رضي الله تعالى
عنه: الحمد لله الذي هدانا بالإسلام وأكرمنا.

فقال رجل من الأنصار: أنا أحدثك يا أمير المؤمنين مثل هذا وأعجب، قال عمر: حدّث، قال:
انطلقت أنا وصاحبان لي نريد الشام حتى إذا كنا بقفرة من الأرض نزلنا بها، فبينما نحن كذلك
لحقنا راكب وكنا أربعة قد أصابنا سغب [(1)] شديد فالتفت فإذا أنا بطيبة عضباء [(2)]
ترتع قريبا مني، فوثبت إليها، فقال الرجل الذي لحقنا: خلّ سبيلها لا أبا لك، والله لقد رأيتها
ونحن نسلك هذه الطرق ونحن عشرة أو أكثر من ذلك فيختطف بعضنا فما هو إلا أن كانت
هذه الطيبة فما هاج بها أحد فأبيت وقلت: لا لعمر الله لا أخلها، فارتحلنا وقد شدّتها حتى إذا
ذهب سدف [(3)] من الليل إذا هاتف يقول:

يا أيها الركب السراع الأربعة ... خلوا سبيل النافر المفزعة
خلوا عن العضباء في الوادي سعه ... لا تذبحن الطيبة المرّوعة

فيها لأيتام صغار منفعة

قال: فخليت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام، فقصينا حوائجنا ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف هاتف من خلفنا:

إياك لا تعجل وخذها من ثقه... فإن شر السير سير الحقة [(4)]

قد لاح نجم فأضاء مشرقه... يخرج من ظلماء ضوق [(5)] موبقة [(6)]

ذاك رسول مفلح من صدقه... الله أعلا أمره وحققه

[(1)] السَّغْب: الجوع الشديد، وفي التنزيل: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَبَةٍ [البلد: 14].

[(2)] قال الزمخشري: هو منقول من قولهم: ناقة عضباء: أي قصيرة اليد.

[(3)] السدف: ظلمة الليل، وهو بعد الجح. (القاموس المحيط): 146 / 19.

[(4)] الحقة: سير الليل في أوله، وقد نُهي عنه (المرجع السابق): 58 / 10.

[(5)] ضوق من الضيقة، وهي منزلة للقمر، وهو مكان نحس على ما تزعم العرب (المرجع

السابق):

209 / 10.

[(6)] موبقة: مهلكة: (المرجع السابق): 370 / 10.

(398/3)

وله من حديث القسم بن محمد بن بكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها:

أما كانت تحدث عن عمر بن الخطاب، ومن حديث محمد بن عمران بن موسى ابن طلحة، عن أبيه طلحة قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحدث قال: كنت جالسا مع أبي جهل وشيبة بن ربيعة، فقام أبو جهل فقال: يا معشر قريش! إن محمدا قد شتم آهتكم وسفه أحلامكم وزعم أنه من مضي من آبائكم يتهافتون في النار تهافت الحمير، ألا ومن قتل محمدا فله عليّ مائة ناقة حمراء وسوداء، وألف أوقية من فضة.

قال عمر فقامت فقلت: يا أبا الحكم، الضمان صحيح؟ قال: نعم، عاجل غير آجل، قال عمر:

فقلت: واللات والعزى؟ قال أبو جهل: نعم يا عمر فأخذ أبو جهل بيدي فأدخلني الكعبة،

فأشهد عليّ هبل - وكان هبل عظيم أصنامهم - وكانوا إذا أرادوا سفرا أو حربا أو سلما أو

نكاحا، لم يفعلوا حتى يأتوا هبل فيستأمروا، فأشهد عليه هبل وتلك الأصنام. قال عمر:

فخرجت متقلدا السيف متنكبا [(1)] كنانتي أريد النبي صلى الله عليه وسلم، فمررت على

عجل وهم يريدون قتله، فقامت انظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل: يا آل ذريح،
أمر نجيح، رجل يصيح بلسان فصيح، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله!
فقلت إن هذا لشأن! ما يراد بهذا إلا الحالي، ثم مررت بغنم فإذا هاتف [يهتف وهو يقول] [(2)] :

يا أيها الناس ذوو [(3)] الأجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو [(4)] الحكم إلى الأصنام ... فكلكم أراه كالنعام
أما ترون ما أرى أمامي ... من ساطع يجلو لذي الظلام
أكرمه الرحمن من إمام ... قد جاء بعد الكفر بالإسلام

[(1)] في (خ) : «كانتني» ، والكنانة: بالكسر كنانة السهام، جعبة من جلد. (ترتيب
القاموس) :
.91 /4

[(2)] السياق مضطرب في (خ) ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
[(3)] في (خ) : «ذوي» ، وما أثبتناه من المرجع السابق، وهو حق اللغة.
[(4)] في (خ) : «ومسند» ، وما أثبتناه من المرجع السابق، وهو حق اللغة.

(399/3)

وبالصلاة والزكاة والصيام ... والبر والصلوات للأرحام
وينزع [(1)] الناس عن الآثام ... [مستعلن في البلد الحرام] [(2)]
فقلت: والله ما أراه إلا أن يرادني، ثم مررت بهاتف الضماد [(3)] وهو يهتف من جوفه فقال:
ترك الضماد [(3)] وكان يعبد وحده ... بعد الصلاة مع النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتد
سيقول من عبد الضماد ومثله ... ليت الضماد [(3)] ومثله لم يعبد
فاصبر أبا حفص فإنك لا مردّ ... يأتيك عزّ غير عزّ بني عدي
لا تعجلن فأنت ناصر دينه ... حقا يقينا باللسان وباليد
وتظهر دين الله إن كنت مسلما ... وتسطح بالسيف الصقيل المهتد
جماجم قوم لا يزال حلومها ... عكوبا على أصنامها بالمهتد
قال عمر: فو الله لقد علمت أنه أرادني، فجئت حتى دخلت على أخي، وإذا خباب بن الأرت

عندها، وزوجها سعيد بن زيد، فلما رأوني ومعى السيف

[(1)] في (خ) : «ويزعر» ، وما أثبتناه من المرجع السابق، وهو حق اللغة.

[(2)] هذا العجز من (المرجع السابق) : 17 / 117، وهي مذكورة عقب قصة أخرى في الحديث رقم (64) ، وهي: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا المنجاب قال: حدثنا أبو عامر الأسدي عن ابن خربوذ المكي عن رجل من خثعم قال: كانت العرب لا تحرم حلالا، ولا تحل حراما، وكانوا يعبدون الأوثان، ويتحاكمون إليها، فبينما نحن ذات ليلة عند وثن جلوس وقد تقاضينا إليه في شيء قد وقع بيننا أن يفرق بيننا، إذ هتف هاتف وهو يقول:

يا أيها الناس ذوو الأجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو الحكم إلى الأصنام ... هذا نبي سيد الأنام
أعدل في الحكم من الحكام ... يصدع بالنور وبالإسلام
وينزع الناس عن الآثام ... مستعلن في البلد الحرام

قال: ففرزنا وتفرقنا من عنده، وصار ذلك الشعر حديثا، حتى بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة، ثم قدم المدينة، فجئت فأسلمت.

قال السيوطي في (الخصائص) : 1 / 265: وأخرجه الخرائطي وابن عساكر.

[(3)] الضماد: كما في (القاموس) ، (أساس البلاغة) ، (اللسان) : هو أن تصادق المرأة اثنين أو ثلاثة في القحط، لتأكل عند هذا وهذا لتشبع، ولم أدر المقصود بها في سياق الباب، ولعله اسم لصنم كان يعبد من دون الله قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم.

(400/3)

أنكروا، فقلت لهم: لا بأس عليكم، فدخلت، فقال خباب: يا عمر! ويحك أسلم، فدعوت بالماء فأسبغت الوضوء، وسألتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: في دار أرقم بن الأرقم، فأتيتهم فضربت عليهم الباب، فخرج حمزة بن عبد المطلب، فلما رأني والسيف صاح بي - وكان رجلا عبويا [(1)] - فصحت به،

فخرج إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأني ورأى ما في وجهي عرف فقال: استجب لي فيك يا عمر! أسلم،

[فقلت] : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمسلمون، وكنت رابع أربعين رجلا ممن أسلم، ونزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [(2)] ، فقلت: يا نبي الله! اخرج، فو الله لا يغلبنا المشركون أبدا، فخرجنا وكبرنا حتى طاف النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه، فلم أزل أفاتل واحدا واحدا حتى أظهر الله الدين.

وله من حديث الواقدي عن ابن ذؤيب عن مسلم عن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه قال: خرجنا في غير لنا إلى الشام، فلما كنا بين الزرقاء ومعان عرسنا من الليل، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض:

أيها [النيام] [(3)] هبوا فليس هذا بحين رقاد، قد خرج أحمد وطردت الجنّ كل مطرد، ففرعنا ونحن رفقة حزاورة [(4)] كلهم قد سمع بهذا، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش لنبي خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد [(5)] .

وله من حديث خربوذ عن موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: هتف هاتف من الجن على أبي قبيس [(6)] بمكة فقال:

[(1)] كذا في (خ) ، ولعلها «عبعابا» وهي صفة للرجل إذا كان واسع الحلق والجوف، جليل الكلام.

(لسان العرب) : 1 / 575.

[(2)] الأنفال: 64.

[(3)] في (خ) : «النبا» .

[(4)] جمع حزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوى. (لسان العرب) : 4 / 187.

[(5)] [دلائل أبي نعيم) : 1 / 108، حديث رقم (59) ، قال السيوطي في (الخصائص) : 1 / 259:

أخرجه ابن سعد: 1 / 161، وأبو نعيم وابن عساكر.

[(6)] جبل بمكة.

(401/3)

قبح الله رأي كعب بن فهر ... ما أرق العقول والأحلام

دينها أئمة يعتف فيها ... دين آباتها الحماة الكرام

حالف الجن حين يقضى [(1)] عليكم ... ورجال النخيل والآطام

يوشك الخيل أن تراها [(2)] تهادى ... تقتل القوم في بلاد التهام [(3)]

هل كريم منكم له نفس حرّ ... ما جد الوالدين والأعمام؟

ضارب ضربة تكون نكالا ... ورواحا من كربة واغتمام

قال [ابن عباس] [(4)] : فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة وأصبح [(5)] المشركون

يتناشدونه بينهم، وهمّوا بالمؤمنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: هذا شيطان يكلم الناس

في الأوثان يقال له: مسعر والله يخزيه، قال: فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول:

نحن قتلنا مسعرا ... لما طغى واستكبرا

وسفه الحق وسنّ المنكرا ... فنعتته سيفا جروفا مبرّرا

بشتمه نبينا المطهّرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ذلكم عفريت من الجن يقال له سمح سميتته عبد الله،

آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام، فقال علي بن أبي طالب: جزاك الله خيرا يا رسول الله [

(6)] .

وروى من حديث ابن شهاب وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف سمعا كلاهما حميد

بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف قال: لما ظهر

[(1)] في (خ) : «بصرى» .

[(2)] في (خ) : «تردها» .

[(3)] في (الخصائص) : 261 / 1 : «في البلاد العظام» .

[(4)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

[(5)] في المرجع السابق: «فأصبح» .

[(6)] [المرجع السابق) : 109 - 110 ، حديث رقم (60) ، قال السيوطي في

(الخصائص) :

261 / 1 : ذكره أبو نعيم عن ابن عباس، ثم قال: وأخرج الفاكهي في (أخبار مكة) من حديث

ابن عباس عن عامر بن ربيعة، فذكر مثله، وفيه موسى بن عبد الملك بن عمير، ضعّفه أبو حاتم،

وذكره البخاري في كتاب (الضعفاء) .

- أي رسول الله - صلى الله عليه وسلم قام رجل من الجن على أبي قبيس يقال له مسعر فقال:
قبح الله رأي كعب بن فهر ... ما أرق العقول والأحلاما
حالف الجن حين [يقضي] عليكم ... ورجال النخيل والآطاما
هل غلام منكم له نفس حرّ ... ما جد الوالدين والأعماما
فأصبحت قريش يتناشدونه بينهم، [فإذا رجل من الجن يقال له سمحج يقول:] [(1)]
نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا ... بشتمه نبينا المطهرا
أوردته سيفا جروفا مبترا ... إنا نذود من أراد البطرا
فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله.
ومن حديث ابن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال:
قال خزيمة بن [(2)] فاتك لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ألا أخبرك ببدء [(3)]
إسلامي؟ بينا أنا في طلب نعم لي إذ جنّ الليل بأبرق العزاف [(4)] ، فناديت بأعلى صوتي:
أعوذ بعزير هذا الوادي من سفهائه، وإذا هاتف يهتف بي:
عذ يا فتى بالله ذي الجلال ... والمجد والتعماء والإفضال
[واقراً بآيات] [(5)] من الأنفال ... ووحيد الله ولا [تبال] [(6)]
[قال:] [(7)] فرعت من ذلك روعا شديدا، فلما رجعت إلى نفسي قلت:
يا أيها الهاتف ما تقول ... أرشد عندك أم تضليل
بين لنا هديت ما السبيل [(8)]

-
- [(1)] ما بين الحاصرتين زيادة للسياق حيث أن السياق مضطرب في (خ) .
[(2)] في (خ) : «خزيمة فاتك» ، في (المستدرک) : «خريم» .
[(3)] في (خ) : «بيدو» .
[(4)] ماء لبني أسد.
[(5)] في (خ) : «واقتن آيات» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
[(6)] في (خ) : «تبالي» ، وما أثبتناه من المرجع السابق، وهو حق اللغة.
[(7)] زيادة من المرجع السابق.
[(8)] في المرجع السابق: «ما العويل» ، وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق.

قال: فقال:

هذا رسول الله ذو الخيرات ... يدعو إلى الخيرات والنجاة

يأمر بالصوم والصلاة ... وينزع الناس عن الهنات

قال فأتبعته راحلتي وقلت:

أرشدني رشداً بما هديت ... لا جعت يا هذا ولا عريت

ولا صبحت صاحباً مقيت ... لا يثوين الخير إن ثويت [(1)]

قال: فأتبعني وهو يقول:

صاحبك الله وسلم نفسك ... وبلغ الأهل [وسلم] [(2)] رحلكا

آمن به أفلح ربي حقاً ... وانصر نبياً عزّ ربي نصركا

قال: فدخلت المدينة فاطلعت في المسجد، فخرج إليّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: ادخل

رحمك الله، قد بلغنا إسلامك، فقلت: لا أحسن الطهور فعلمت ودخلت المسجد،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر كأنه البدر وهو يقول: ما من مسلم توضأ فأحسن

الوضوء، ثم صلى صلاة يعقلها ويحفظها إلا دخل الجنة.

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لتأتيني على هذا بينة أو لأنك لن بك، قال: فشهد له شيوخ [

(3)] قريش عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فأجاز شهادته [(4)] .

[(1)] في المرجع السابق: «هديتا»، «عريتا»، «مقيتا»، «ثويتا» .

[(2)] في (خ): «وأدى» .

[(3)] في (مجمع الزوائد): 262 / 8: «شيخ من قريش» .

[(4)] أخرجه أبو نعيم في (الدلائل): 1 / 110-111، حديث رقم (61)، قال في

(الخصائص):

2 / 188: أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر.

وأخرجه الحاكم في (المستدرک): 3 / 720-721، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر خريم ابن

فاتك الأسدي رضي الله عنه، حديث رقم (2204 / 6606)، (2205 / 6607)، وساق

الحديث باختلاف يسير ... إلى أن قال: فإذا هاتف يهتف بي ويقول:

[()]

ويحك عذ بالله ذي الجلال ... منزل الحرام والحلال
ووحّد الله ولا تبال ... ما هو ذو الحزم من الأهوال
إذ يذكروا الله على الأميال ... وفي سهول الأرض والجبال
وما وكيل الحق في سفال ... إلا التقى وصالح الأعمال
قال: فقلت:

يا أيها الداعي بما يحيل ... رشد يرى عندك أم تضليل؟
فقال:

هذا رسول الله ذو الخيرات ... جاء بياسين وحاميمات
في سور بعد مفصلات ... محرمات محلات
يأمر بالصوم والصلاة ... ويزجر الناس عن الهنات
قد كنّ في الأيام منكرات

قال: فقلت من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن مالك، بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أرض أهل نجد، قال: فقلت: لو كان لي من يكفيني إبلي هذه لأتيتته حتى أوّمن به،
فقال: أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى، فاعتقلت بعيرا منها ثم أتيت
المدينة فوافقت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة، فقلت: يقضون صلاتهم ثم أدخل فإني لذهاب
أنبيخ راحلتي إذ

خرج أبو ذر رضي الله تعالى عنه فقال: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدخل،
فدخلت، فلما رأني قال: ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي إبلك إلى أهلك سالمة؟ أما
أنه قد أداها إلى أهلك سالمة، قلت:

رحمه الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أجل رحمه الله،
قال خريم: أشهد أن لا إله إلا الله، وحسن إسلامه.
قال الذهبي في التخليص: «لا يصح» .

(405/3)

[المجلد الرابع]

[تنمة الفصل في ذكر المفاضلة بين المصطفى وبين إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن حديث محمد بن كعب القرظي قال:

بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد إذ مرّ رجل في مؤخر المسجد فقال رجل: يا أمير المؤمنين، تعرف هذا المار؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا سواد بن قارب، وهو رجل من أهل اليمن له فيهم شرف وموضع، وهو الذي أتاه رثيّه [(1)] بظهور رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال [عمر] [(2)] :

عليّ به، فدعي، فقال [(3)] : أنت سواد بن قارب، قال: نعم، قال: فأنت [(4)] الذي أتاك رثيک بظهور رسول الله صلّى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب غضبا شديدا وقال: يا أمير المؤمنين! ما استقبلني أحد [(5)] بهذا منذ أسلمت، فقال عمر رضي الله عنه: يا سبحان الله! والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، أخبرني بإتيانك [(6)] رثيک بظهور رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: نعم.

يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتاني رثيّي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب، فافهم [(7)] واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتجساسها [(8)] ... وشدها العيس [(9)] بأحلاسها [(10)]
تھوى إلى مكة تبغي الهدى ... ما خير الجن كأنجاسها [(11)]

[(1)] الرثيّي والرثيّي: الجني يراه الإنسان، وقال اللحياني: له رثي من الجن ورثي إذا كان يحبه ويؤلفه.

الليث: الرثيّي: جني يتعرض الرجل يريه كهانة وطبا. (لسان العرب): 297 / 14.

[(2)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

[(3)] في (خ) : «قال» .

[(4)] في (خ) : «أنت» .

[(5)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «بهذا أحد» .

[(6)] في (خ) : «بإتيان» .

[(7)] في (خ) : «وافهم» .

[(8)] في (الفتح) 229 / 7: «وتجساسها» ، بفتح المثناة ومهملات، أي أنها فقدت أمرا،

فشرعت تفتش عليه.

- [(9)] العيس: الإبل البيض، يخالط بياضها سواد خفيف.
- [(10)] الأحلاس: جمع حلس، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة.
- [(11)] في (فتح الباري): 229 / 7: «ما مؤمنوها مثل أرجاسها» .

(3/4)

فارحل [(1)] إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينيك إلى رأسها
قال: فلم أرفع بقوله رأسا وقلت: دعني أنام [(2)] ، فإني أمسيت ناعسا، فلما أن كانت
الليلة الثانية أتاني فضربي برجله وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب:
قم فافهم واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته،
ثم أنشأ الجني وهو يقول:
عجبت للجن وتطلباها ... وشدها العيس بأقنابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... ليس قدامها [(3)] كأذناها
قال: فلم أرفع بقوله رأسا، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني وضربي برجله وقال: ألم أقل لك يا
سواد بن قارب: افهم واعقل إن كنت تعقل أنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله
وإلى عبادته، ثم أنشد [(4)] الجني يقول:
عجبت للجن وأخبارها ... وشدها العيس بأكوارها [(5)]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو [(6)] الجن ككفارها
فادخل إلى الصفوة من هاشم ... بين روايبها [(7)] وأحجارها
فوقع في نفسي حب الإسلام، ورغبت فيه، فلما أصبحت شددت على راحتي فانطلقت متوجها
إلى مكة، فلما كنت ببعض الطريق أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة،
فأتيت المدينة فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقليل لي: في المسجد، فانتهيت إلى المسجد
فعقلت ناقتي وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول
الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ادنه ادنه، فلم يزل بي حتى صرت بين يديه فقال: هات،
فأخبرني بإتيانك ربيك، فقلت:

[(1)] في المرجع السابق: «فاسم» .

[(2)] في (خ) : «أنم» .

- [(3)] كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وفي (الخصائص) : «قدّامها» .
[(4)] في (دلائل أبي نعيم) : «أنشأ» .
[(5)] أكوار: جمع كور، وهو ما يوضع على ظهر الدابة.
[(6)] في (خ) : «مؤمن» ، وما أثبتناه من «دلائل أبي نعيم» ، وهو حق اللغة.
[(7)] الروابي: جمع رابية، والرابية، والربوة، والرباة: ما ارتفع من الأرض. (ترتيب القاموس) :
298 / 2.

(4/4)

أتاني نجبي بعد هده ورقدة ... فلم أك [(1)] قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أتاك رسول [(2)] من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسّطت ... بي الذعبل الوجناء بين السباسب [(3)]
فأشهد أن الله لا ربّ غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى ... وإن كان فيما جاء شيب الذوائب [(4)]
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... سواك بمغن عن سواد بن قارب [(5)]
قال: ففرح رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامي فرحا شديدا حتى رئي في
وجوههم.
قال: فوثب إليه عمر رضي الله عنه فالتزمه وقال: قد كنت أحبّ أن أسمع هذا منك [(6)] .
وقد رواه عبيد الله بن الوليد الوصافي عن أبي جعفر عن سواد بن قارب، ورواه الحسن ابن عمارة
عن عبد الله بن عبد الرحمن عن سواد، ورواه أبو معمر عباد بن عبد الصمد

-
- [(1)] في (خ) : «ولم يك فيما قد تلوت» ، وفي (الاستيعاب) : «ولم يك فيما قد بلوت» .
[(2)] في المرجع السابق: «أتاك نجبي» .
[(3)] في المرجع السابق:
فرفعت أذيال الإزار وشمّرت ... بي الفرس الوجناء حول السباسب
[(4)] في المرجع السابق:
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا ... وإن كان فيما جئت سيب الذوائب
[(5)] في المرجع السابق:

«بمغن فتبلا عن سواد بن قارب» .

شرح المفردات:

الذعلب الوجناء: الفرس القوية الشديدة.

السياسب: الأراضي الممتدة البعيدة، مفردتها سباسب.

الذوائب: مفردتها «ذؤابة» ، وهي الناصية.

[(6)] رواه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 111-114 ، حديث رقم (62) ، ابن عبد

البر في (الاستيعاب) :

2/ 674 ، ترجمة رقم (1109) سواد بن قارب الدوسي، الحاكم في (المستدرک) : 3/ 704-

706 ، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر سواد بن قارب الأزدي رضي الله تعالى عنه، حديث

رقم (2156 / 6558) ، وقال عنه الذهبي في (التخليص) : «الإسناد منقطع» ، الإمام

البخاري في (الصحاح) : كتاب مناقب الأنصار، باب (35) ، إسلام عمر بن الخطاب رضي الله

تعالى عنه، حديث رقم (3866) ، وشرحه ابن حجر في (الفتح) : 7/ 227-230 ، والبيهقي

في (الدلائل) :

2/ 243-254 .

(5/4)

عن سعيد بن جبير عن سواد.

وله من حديث علي بن حرب قال حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد

الله العماني [(1)] قال: كان منا رجل [(2)] يقال له: مازن بن الغضوية [(3)] ، يسدن

[(4)] صنما بقرية يقال لها: (سمايا) من عمان، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو خطامة

ومهرة، وهم أخوان [(5)] مازن [لأمه زينب بنت عبد الله ابن ربيعة بن حويص أحد بني

نمران، قال مازن] [(6)] : فعتزنا ذات يوم عند الصنم عتيرة- وهي الذبيحة- فسمعت صوتا

من الصنم يقول: يا مازن! اسمع تسرّ، فظهر خير وبطن شر، بعث نبي من بني مضر [(7)] ،

بدين الله الكبر [(8)] ، فدع نحيتنا [(9)] من حجر، تسلم من حرّ سقر [(10)] .

قال: ففرزعت لذلك، ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا من الصنم يقول: أقبل إليّ

أقبل، تسمع ما لا تجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل، فأمن به كي تعدل، عن حرّ نار تشعل،

وقودها الجندل [(11)] .

قال مازن: فقلت: إن هذا لعجب، وإنه لخير يراد بي.

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءك؟ قال: ظهر رجل يقال له: أحمد، يقول لمن أتاه: أجيئوا داعي الله فقلت: هذا نبأ ما سمعت،

-
- [(1)] في (خ) ، و (الخصائص) : «العماني، وفي (دلائل أبي نعيم) : 1/ 114: «المعاني» .
[(2)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق: «كان رجل منا» .
[(3)] في المرجع السابق: «الغضوب» ، وفي «الإصابة» و (مجمع الزوائد) : «الغضوبة» ،
وفي (الاستيعاب) : «المغضوبة» ، وهو مازن بن الغضوبة بن غراب بن بشر بن خطامة.
[(4)] يسدن: يخدم.
[(5)] في (خ) : «أخوال» ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «أخوان» .
[(6)] ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .
[(7)] في المرجع السابق: «من مضر» .
[(8)] في المرجع السابق: «الأكبر» .
[(9)] نخت: بمعنى منحوت، كقتيل ومقتول.
[(10)] سقر: من أسماء جهنم، قال تعالى: سَأْصَلِيهِ سَقَرَ المدثر: 26.
[(11)] في (دلائل أبي نعيم) : «بالجندل» ، والجندل: الحجر العظيم، إشارة إلى قوله تعالى:
ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ التحريم: 6.

(6/4)

فَسِرْتُ [(1)] إلى الصنم فكسرتة جذاذا [(2)] ، وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشرح لي الإسلام فأسلمت وقلت:
كسرت باجر [(3)] أجزاذا وكان لنا ... ربا نطيف [(4)] به ضلا بتضلال
بالهاشمي هداانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه مني على بال
يا راكبا بلغنا عمرا، وإخوته [(5)] ... أي لمن قال: ربي باجر [(6)] ، قالي [(7)]
يعني بعمر: بني الصامت، وإخوته [(5)] : بني خطامة.
فقلت: يا رسول الله! إني امرؤ مولع بالطرب وباهلوك [(8)] من النساء وبشرب الخمر، فأنت
[(9)] علينا السنون فاذهبن بالأموال وأهزلن الذراري [والعيال] [(10)] .
وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عني ما أجد، ويأتينا بالحياء، ويهب لي ولدا.
فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالإثم

وبالعهر عفة، وآته بالحياء، وهب له ولدا،
قال: فأذهب الله عني ما أجد، وأخصبت عمان، وتزوجت أربع حرائر، [وحفظت شطر القرآن]
[(11)] ، ووهب الله لي حيان بن مازن، وأنشأت أقول:
إليك رسول الله خبت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

-
- [(1)] في (خ) : «فثرت» .
[(2)] في (خ) : «أجدادا» ، وما أثبتناه من رواية أبي نعيم، وبها جاء التنزيل، قال تعالى:
فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ: 58. والجداد والأجداد بمعنى، وهي القطع الصغيرة.
[(3)] باجر: اسم الصنم الذي خرج منه الصوت.
[(4)] لغة في «نطوف» .
[(5)] في (خ) : «واخوتها» ، والتصويب من: (دلائل البيهقي) ، (دلائل أبي نعيم) .
[(6)] في «دلائل البيهقي» : «ناجر» .
[(7)] قالي: تارك، قال تعالى: ما ودَّعَكَ رُبُّكَ وَمَا قَلَى الضحى: 3.
[(8)] الهلوك من النساء: الساقطة منهن.
[(9)] في (خ) : «فأنت» ، وفي (الحْت) : «والرجال» .
[(10)] زيادة للسياق من (أبي نعيم) ، وفي (البيهقي) : «والرجال» .
[(11)] ما بين الحاصرتين في (خ) ، و (أبي نعيم) ، وليست في (البيهقي) .

(7/4)

لتشفع لي يا خير من وطئ الحصا ... فيغفر لي ربي وأرجع بالفلج
إلى معشر خالفت في الله دينهم ... فلا رأيهم رأبي ولا شرجهم شرجي
وكنت امرأ بالعهر [(1)] والخمر مولعا ... شبابي حتى آذن الجسم بالنهج
[فبدلني بالخمر خوفا وخشية ... وبالعهر إحصانا فحصن لي فرجي] [(2)]
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي [(3)] ... فله ما صومي ولله ما حجتي [(4)]
[قال مازن] [(5)] فلما أتيت [(6)] قومي أنبوني وشتموني، وأمروا شاعرا [(7)] لهم
فهجاني، فقلت: إن رددت [(8)] عليه فإنما أهجو نفسي [(9)] ، فرحلت عنهم فأتتني
منهم أرفلة عظيمة، وكنتم القيم بأمورهم، فقالوا: يا ابن عم! عتبنا عليك أمرا وكرهنا ذلك، فإن
أبيت فارجع فقم بأمورنا، وشأنك وما تدين به، فرجعت معهم وقلت [(10)] :

[(1)] في (البيهقي) : «بالزعب» .

[(2)] هذا البيت ساقط من (البيهقي) في سياق الأبيات، ثم استدركه بعد ذلك.

[(3)] في (خ) ، و (أبي نعيم) : «نيتي» ، وفي (البيهقي) : «نية» .

[(4)] بهذه الأبيات تنتهي رواية (أبي نعيم) : 1 / 114 - 117 ، حديث رقم (63) ، قال الحافظ ابن حجر في (الإصابة) في ترجمة مازن بن الغضوية: أخرجه الطبراني والفاكهي في كتاب (مكة) ، والبيهقي في (الدلائل) ، وابن السكن، وابن قانع، كلهم من طريق هشام بن الكلبي عن أبيه قال:

حدثني عبد الله العماني. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : 8 / 248: رواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، وكلاهما متروك.

[(5)] من قوله: «قال مازن» حتى آخر هذا الأثر من (دلائل البيهقي) و (خ) ، وليس في (دلائل أبي نعيم) .

[(6)] في (دلائل البيهقي) : «فلما رجعت إلى قومي» .

[(7)] في (دلائل البيهقي) : «شاعرهم» .

[(8)] في (دلائل البيهقي) : «إن هجوتم» .

[(9)] في (دلائل البيهقي) : «فتركتم وأنشأت أقول» .

[(10)] هذه الأبيات في (دلائل البيهقي) هكذا:

وشتمكم عندنا مرّ مذاقته ... وشتمنا عندكم يا قومنا لئن

لا ينشب الدهر أن يثبت معايكم ... وكلكم أبدا في عيننا فطن

قال أبو جعفر: إلى هنا حفظت وأخذته من أصل جدي، كأنه يريد الباقي:

فشاعرنا مفحم عنكم وشاعركم ... في حرينا مبلغ في شتمنا لسن

ما في الصدور عليكم فاعلموا وغر ... وفي صدوركم البغضاء والإحن

(8/4)

لبغضكم عندنا مرّ مذاقته ... وبغضنا عندكم يا قومنا لئن

لا يفتن الدهر أن يثبت معايكم ... وكلكم حين بنتا عيننا فطن

شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم ... في حرينا مبلغ في شتمنا لسن

ما في القلوب عليكم فاعلموا وغر ... وفي قلوبكم البغضاء والإحن

قال مازن: فهداهم الله بعد إلى الإسلام فأسلموا جميعا.
وله من حديث أبي محمد عبد الله بن داود [وعن دلهاب] [(1)] بن إسماعيل بن عبد الله بن مسرع بن ياسر بن سويد قال: حدثنا أبي عن أبيه [دلهاب] [(1)] عن أبيه إسماعيل، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع، أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال: خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعا من الكعبة حتى أضاء إلى جبل يثرب وأشعر جهينة، فسمعت صوتا في النور وهو يقول:

[()] وباقي الأثر كما في (دلائل البيهقي) :

فحدثنا موادنا من أهل عمان عن سلفهم أن مازنا لما تنحى عن قومه أي موضعا فابتنى مسجدا يتعبد فيه، فهو لا يأتيه مظلوم يتعبد فيه ثلاثا، ثم يدعو محقا على من ظلمه، يعني إلا استجيب. وفي أصل السماع فيكاد أن يعافي من البرص، فالمسجد يدعى مبرصا إلى اليوم. قال أبو المنذر: قال مازن: ثم إن القوم ندموا، وكنت القيم بأمورهم، فقالوا: ما عسانا أن نصنع به، فجاءني في منهم أرفلة عظيمة فقالوا: يا ابن العم، عينا عليك أمرا فنهيناك عنه، فإذا بيت فنحن تاركوك، ارجع معنا، فرجعت معهم فأسلموا بعد كلهم.

قال البيهقي: وقد روي في معنى ما روينا عن مازن أخبار كثيرة، منها حديث عمرو بن جبلة فيما سمع من جوف الصنم: «يا عصام يا عصام، جاء الإسلام وذهبت الأصنام» .
ومنها حديث طارق من بني هند بن حرام: «يا طارق يا طارق، بعث النبي الصادق» .
ومنها حديث ابن دقشة فيما أخبر به رثيه، فنظر إلى ذباب بن الحارث وقال: يا ذباب، اسمع العجب العجاب، بعث محمد بالكتاب، يدعو بمكة ولا يجاب» .
ومنها حديث عمرو بن مرة الغطفاني فيما رأى من النور الساطع في الكعبة في نومه، ثم ما سمع من الصوت: «أقبل حق فسطع، ودمر باطل فانقمع» .
ومنها حديث العباس بن مرداس فيما سمع من الصوت.
ومنها حديث خالد بن سطيح حين أتته تابعته فقالت: «جاء الحق القائم والخير الدائم» ، وغير ذلك مما يطول بسياق جميعه الكتاب، وبالله التوفيق (دلائل النبوة للبيهقي) : 257 / 2 -
259.

[(1)] كذا في (خ) ، ولم أجده فيما بين يدي من كتب الرجال.

انقشعت الظلماء ... وسطع الضياء

وبعث خاتم الأنبياء

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، فسمعت صوتا في النور وهو يقول:

ظهر الإسلام ... وكسرت الأصنام

ووصلت الأرحام

فانتبهت فزعا فقلت لقومي: والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث، وأخبرتهم بما رأيت، فلما انتهينا إلى بلادنا

جاءنا رجل فقال: إن رجلا يقال له:

أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت، فقال: يا عمرو بن مرة! إني المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام، وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهرا، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، فأمن بالله يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من هول جهنم.

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام، وأن أرغم ذلك كثيرا من الأقسام، ثم أنشدته أبياتا فلتها حين سمعت به، وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له، فقامت إليه فكسرتة، ثم لحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وإنني ... لآلهة الأحجار أول تارك

وشمّرت [(1)] عن ساقى الإزار [(2)] مهاجرا ... إليك أجوب الوعث [(3)] بعد

الدكادك [(4)]

لأصحب خير الناس نفسا ووالدا ... رسول مليك الناس فوق الحبائك [(5)]

[(1)] في (خ) : «فشمّرت» .

[(2)] في (خ) : «إزارا» .

[(3)] في (خ) : «أدب القور» ، وأيضا في (اللسان) : «أجوب القور» .

[(4)] الدكادك: جمع دكدك، وهو رمل ذو تراب يتلبد.

[(5)] الحبائك: الطرق، واحدها حبيكة، يعني بها السماوات، لأن فيها طرق النجوم، في (خ)

:

«الحبائك» ، وتصويبات هذه الأبيات من (لسان العرب) : 10/408 ، 426 ، (طبقات ابن

سعد) : 1/333-334 ، (وفد جهينة) .

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من حبابك يا عمرو بن مرة! فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ابعثني على قومي لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك عليّ.
 فبعثني إليهم وقال: عليك بالرفق في القول السديد، ولا تكن فظا ولا متكبرا ولا حسودا،
 فأتيت قومي فقلت فقلت لهم: يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة، إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة وأحذركم النار، وآمركم بحق الدماء وصلة الأرحام، وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهرا، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، يا معشر جهينة! إن الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أنتم منه، وبغض إليكم في جاهليتكم ما حبب إلى غيركم من الرفث، إنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل منهم على امرأة أبيه التراث في الشهر الحرام، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي ابن غالب تنالوا شرف الدنيا وكبير الأجر في الآخرة، فسارعوا في ذلك تكن [(1)] لكم فضيلة عند الله.
 فأجابوا إلا رجلا منهم قام فقال: يا عمرو بن مرة، أمر الله عليك عيشك! أتأمرنا أن نرفض آهتنا ونفارق جماعتنا، ونخالف ديننا إلى ما يدعو إليه هذا القرشي من أهل قمامة؟ لا، ولا حبا ولا كرامة، ثم أنشأ الخبيث يقول:

إن ابن مرة قد أتى بمقالة ... ليست مقالة من يريد صلاحا

إني لأحسب قوله وفعاله ... يوما وإن طال الزمان رياحا

أتسفه الأشياخ ممن قد مضى؟ ... من رام ذلك لا أصاب ولا حبا

فقال عمرو بن مرة: الكاذب مني ومنك أمر الله عيشته، وأبكم لسانه وأكمه بصره، قال عمرو بن مرة: والله ما مات حتى سقط فوه، وكان لا يجد طعام، وعمي وخرس، فخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرحب بهم وحياهم، وكتب لهم كتابا
 نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله، بكتاب

[(1)] في (خ) : «تكون» .

صديق، وحق ناطق، مع عمرو بن مرة الجهنيّ لجهينة بن زيد: أن لكم بطون الأرض وسهوها، وتلاع الأودية وظهورها، تزرعون نباته، وتشربون صافيه، على أن تقرؤا بالخمس، وتصلوا الصلوات الخمس، وفي السعة والضرعة شاتان إن اجتمعتا، وإن تفرقتا فشاة، ليس على أهل [المنير] [(1)] صدقة، [ولا على الواردة لبقه] [(2)] ،
وشهد من حضر من المسلمين [(3)] بكتاب قيس بن شماس. فذلك حيث يقول عمرو بن مرة:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وبين برهان القرآن لعامر
كتاب من الرحمن نور لجمعنا ... وأحلافنا في كل باد وحاضر
إلى خير من يمشي على الأرض كلها ... وأفضلها عند اعتكار الضرائر [(4)]
أطعنا رسول الله لما تقطعت ... بطون الأعادي بالظبا والخواطر
فنحن قبيل قد بني المجد حولنا ... إذا اختليت في الحرب هام الأكاير
بنو نغزيها بأيد طويلة ... وبيض زلالا في أكف المغاور
ترى جولة الأنصار يحمي أميرهم ... بسمر العوالي والصفاح البواتر
إذا الحرب دارت عند كل عزيمة ... ودارت رحاها بالليوث الهواجر
يلج منه اللون وازدان وجهه ... كمثل ضياء البدر بين الزواهر
وله من حديث ابن خربوذ عن رجل من خنعم قال: كانت العرب لا تحرم حراما ولا تحل حلالا،
وكانوا يعبدون الأوثان ويتحاكمون إليها، فبينما نحن ذات ليلة عند وثن لنا جلوس، وقد تقاضينا
إليه في شيء وقع بيننا [كاد] يفرق بيننا، إذ هتف هاتف يقول:
يا أيها الناس ذوو الأجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو الحكم إلى الأصنام ... هذا نبي سيد الأنام

[(1)] في (خ) : «الميرة» .

[(2)] في (خ) : «ليس الوردة اللبقة» .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (مجموعة الوثائق السياسية) : 156 : «والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين» ، وباقي التصويبات منه.

[(4)] الاعتكار: الازدحام والكثرة، اعتكال الضرائر أي اختلاطها، والضرائر: الأمور المختلفة، أي عند اختلاط الأمور، ويروى: «عند اعتكار الضرائر» . (اللسان) : 4 / 600.

أعدل ذي حكم من الحكام ... يصدع بالنور وبالإسلام
ويمنع الناس عن الآثام ... مستعلن في البلد الحرام
قال: ففزعنا وتفرقنا من عنده، وصار ذلك الشعر حديثا حتى بلغنا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قد خرج بمكة ثم قدم المدينة ثم جئت وأسلمت [(1)] .
ومن حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا جلوسا عند صنم ببوانة قبل
أن يبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهر وقد نحرنا جزرا، فإذا صائح يصيح من جوف
واحدة منها يقول:
* اسمعوا إلى العجب * ذهب استراق السمع وترمى الشَّهْب * لنبي بمكة اسمه أحمد ومهاجره إلى
يثرب * قال: فأمسكنا وعجبنا، وخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وله من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عباس، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه،
قال: بعثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حضر موت في حاجة قبل الهجرة، حتى إذا كنت
في بعض الطريق عرست ساعة من الليل، فسمعت هاتفا يقول:
أبا عمرو ناوبي [(2)] السهود ... وراح النوم وامتنع الهجود [(3)]
لذكر عصابة سلفوا وبادوا ... وكل الخلق قصرهم بييد
تولوا واردين إلى المنايا ... حياضا ليس سهلها الورود
مضت لسبيلهم وبقيت خلفا ... وحيدا ليس يستغني وحيد
سدى لا أستطيع علاج أمر ... إذا ما عولج الطفل الوليد
فلا يا ما بقيت إليّ أنا ... وقد ماتت بمهلكها ثمود
وعاد والقرون بذي شعوب ... سواء كلهم إرم حصيد
قال: ثم صاح به آخر: يا خرعب ذهب بك اللعاب، إن أعجب العجب،

[(1)] أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ، 1 / 117 ، حديث رقم (64) ، وسبق الإشارة إليه
وتصويب الأبيات .

[(2)] تناوينا الخطب والأمر، نتناوبه: إذا قمنا به نوبة بعد نوبة، والمراد هنا كثرة السهر.
(اللسان) : 1 / 775 .

[(3)] الهجود: النوم. (اللسان) : 3 / 431 .

بين زهرة ويثرب، قال: وما ذاك يا شاحب؟ قال: نبي السلام، بعث بخير الكلام، إلى جميع الأنام،
فاخرج [(1)] من البلد الحرام إلى نخيل وآطام.

قال: ما هذا النبي المرسل، والكلام المنزل، والآي المفصّل؟ قال: هذا رجل من لؤيّ بن غالب بن
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، قال: هيهات، فات عن هذا سني، وذهب عنه زمي، لقد
رأيتني والنضر بن كنانة نرمي غرضا واحدا، ونشرب حلبا باردا، ولقد خرجت معه من دومة في
غداة شيمة، وطلع مع الشمس وغرب معها، نروي ما نسمع ونثب ما ينضر، فلئن كان هذا من
ولده فلقد سلّ السيف وذهب الحيف، ودحض الزنا وهلك الربا.

قال: فأخبرني ما تكون، قال: ذهبت الضراء والمجاعة، والشدة والشجاعة، إلا بقية من خزاعة،
وذهبت الضراء والبؤس، والحلق المنفوس، إلا بقية في الخزرج والأوس، وذهبت الخيلاء والفقر
والنميمة والغدر، إلا بقية في بني بكر، وذهب الفعال المندم، والعمل المؤثم، إلا بقية في خنعم.
قال أخبرني ما يكون، قال: إذا غلت البرة، وكظمت الجرة، فاخرج من بلاد الهجرة، وإذا كف
السلام وقطعت الأرحام، فاخرج من بلاد النتهام.

قال أخبرني ما يكون، قال: لولا أذن تسمع وعين تلمع، لأخبرتكم بما تفزع، ثم صرصر وأضاء
الفجر، فذهبت لأنظر، فإذا عصا وثعبان ميتان، قال: فما علمت أن رسول الله صلّى الله عليه
وسلم هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث.

وفي رواية عن سعد بن عبادة قال: لما بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم [بيعة] [(2)]
العقبة، خرجت إلى حضر موت لبعض الحاجة، فقضيت حاجتي ثم أقبلت حتى إذا كنت ببعض
الطريق نمت، ففزعت من الليل بصائح يقول: أبا عمرو ناويني السهود، فذكر مثله بطوله.
وله من حديث العطاف بن خالد الوابصي عن خالد بن سعيد عن أبيه

[(1)] كذا في (خ) ، ولعلها: «يخرج» ، إشارة إلى الهجرة من مكة إلى المدينة.

[(2)] في (خ) : «البيعة» .

(14/4)

قال: سمعت تميم الداري يقول: كنت بالشام حين بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فخرجت
إلى بعض حاجتي فأدركني الليل فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة، فلما أخذت
مضجعي إذا أنا بمناد ينادي لا أراه: عذ بالله فإن الجن لا تجير أحدا على الله.
فقلت: أيم الله يقول، فقال: قد خرج رسول الأميين رسول الله وصلينا خلفه بالحنون، فأسلمنا

واتبعناه وذهب كيد الجن، ورميت بالشهاب، فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم.
قال: فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهبا وأخبرته الخبر فقال:
قد صدقوك، يخرج من الحرم [(1)] ومهاجره الحرم [(2)] ، وهو خير الأنبياء، ولا تسبق
إليه، قال: فتكلفت الشخصوس حتى جئت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلمت.
ومن حديث سعد [(3)] بن عثمان بن سعيد الضمريّ عن أبيه قال: حدثني [أبي عن] [(4)]
[خويلد الضمريّ قال: كنا عند صنم جلوسا إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح: ذهب استراق
[السمع] [(5)] بالشهب، لني بمكة اسمه أحمد، مهاجره إلى يثرب، يأمر بالصلاة والصيام،
والبر والصّلات للأرحام [(6)] ، فقمنا من عند الصنم فسألنا، فقالوا: خرج نبي بمكة اسمه
أحمد [(7)] .
ومن حديث الأصمعي قال: حدثني الوصافي عن منصور بن المعتمر عن قبيصة ابن عمرو بن
إسحاق الخزاعي عن العباس بن مرداس السلمي قال: كان أول إسلامي أن مرداسا [أي] [(8)]
[لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال له: [ضمارة] [(8)] ، فجعلته في بيت وجعلت آتية
كل يوم مرة، فلما ظهر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إذ] [(8)] سمعت

[(1)] الحرم المكيّ.

[(2)] الحرم المدني.

[(3)] في (خ) : «سعيد» .

[(4)] كذا في (خ) ، وليست في (دلائل أبي نعيم) .

[(5)] زيادة للسياق من (الخصائص) .

[(6)] في (دلائل أبي نعيم) : «والبر وصلة الأرحام» .

[(7)] أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : 1 / 117 - 118 ، حديث رقم (65) وقال السيوطي

في (الخصائص) : 1 / 767: انفرد به أبو نعيم.

[(8)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(15/4)

صوتا في جوف الليل راعني، فوثبت إلى [ضمارة] [(1)] مستغيثا، فإذا بالصوت من جوفه
وهو يقول:

قل للقبيلة من سليم كلّها ... هلك الأنيس وعاش أهل المسجد

أودي [ضمار] [(1)] وكان يعبد مدة ... قبل الكتاب إلى النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى
فكتمته الناس، فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إبلي بطرف العقيق من ذات عرق راقد،
سمعت صوتا فإذا برجل على جناحي نعامة وهو يقول: النور الذي وقع [ليلة الإثنين و] [(2)]
[ليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء، في ديار إخوان بني العنقاء.
فأجابه هاتف عن شماله وهو يقول: بشر الجن وإبلاسها، إن وضعت المطي أحلاسها، وكألت
السماء أحراسها، [قال:] [(2)] فوثبت مذعورا وعلمت أن محمدا مرسل.
فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعته، ثم انصرفت إلى [ضمار] [(1)] فأحرقته
بالنار، ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فأنشدته شعرا أقول فيه] [(3)] :

[(1)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

[(2)] في (خ) «ضماد» ، والتصويب من (ترتيب القاموس) : 37 / 3.

[(3)] في (خ) : «فأنشد شعرا فذكره» وما أثبتناه من رواية أبي نعيم في (الدلائل) ، وهذه
الآبيات منه:

لعمرك إني يوم أجعل جاهلا ... ضمارا لرب العالمين مشاركا
وتركي رسول الله والأوس حوله ... أولئك أنصار له ما أولئك
كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي ... ليسلك في وعت الأمور المسالكا
فأمنت بالله الذي أنا عبده ... وخالفت من أمسى يريد المهالكا
ووجهت وجهي نحو مكة قاصدا ... أباع نبي الأكرمين المباركا
نبي أتى بعد عيسى بناتق ... من الحق فيه الفصل فيه كذلك
أمين على الفرقان أول شافع ... وأول مبعوث يجيب الملائكا
تلافي عرى الإسلام بعد انتقاضها ... فأحكمها حتى أقام المناسكا
عنيتك يا خير البرية كلها ... توسطت في الفرعين والمجد مالكا
وأنت المصطفى من قريش إذا سمت ... على ضمورها تبقي القرون المباركا
إذا انتسب الحيان كعب ومالك ... وجدناك محضا والنساء العواركا

ومن حديث الزهري عن عبد الرحمن بن أنيس السلمي، عن العباس بن مرداس قال: كان إسلام العباس بن مرداس أنه كان بغمرة في لقاح له نصف النهار، إذ طلعت عليه نعامة بيضاء مثل القطن، عليها راكب عليه ثياب بيض مثل القطن فقال:

يا عباس بن مرداس! ألم تر أن السماء حفت أحراسها، وأن الحرب جوعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي جاء بالبر ولد يوم الاثنين في ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصواء. فخرجت مرعوبا قد راغني ما رأيت وسمعت، حتى جئت وثنا لي يدعى الضماد، كنا نعبده ونكلم من جوفه، فدخلت عليه وكنست ما حوله، ثم قمت فتمسحت به وقبلته، فإذا صائح يصيح من جوفه: يا عباس بن مرداس!

قل للقبائل [(1)] من سليم كلها ... هلك الضمار [(2)] وفاز أهل المسجد

هلك الضمار [(2)] وكان يعبد مدة ... قبل الصلاة [(3)] على النبي محمد

إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال: فخرجت مرعوبا حتى جئت قومي، فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر، فخرجت في

ثلاثمائة راكب من قومي إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فدخلنا المسجد،

فلما رأني رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم تبسم وقال: يا عباس بن مرداس! كيف كان إسلامك؟

[()] [دلائل أبي نعيم] : 1 / 118 - 119 ، حديث رقم (66) قال في (الخصائص) 1 / 267:

أخرجه أيضا ابن جرير، والمعافي بن زكريا، وابن الطراح في كتاب (الشواعر) بأسانيدهم، وقال في هامشه: «كذا في الأصل، ولعلّ الصواب العواتكا»، ونقول: أن العواتك والعوارك كل منهما تخدم المعنى، فإذا أراد الشاعر «العوارك» فمعناها النساء الشابات اللاتي في سنّ الحيض، قال في (ترتيب القاموس) : 3 / 207: عركت المرأة عركا وعروكا: حاضت.

وإذا أراد «العواتك»، فالعواتك: في جدات النبي صَلَّى الله عليه وسلم تسع: ثلاث من سليم:

بنت هلال أم جدّ هاشم، وبنت مرة بن هلال أم هاشم، وبنت الأوقص بن مرة بن هلال أم

وهب بن عبد مناف.

والبواقي من غير بني سليم.

والعواتك من الصحابيات: عاتكة بن أسيد، وبنت خالد، وبنت زيد بن عمرو، وبنت عبد

المطلب، وبنت عوف، وبنت نعيم، وبنت الوليد. (المرجع السابق) : 3 / 150 - 151.

[(1)] كذا في (خ) ، و (الخصائص) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «للقبيلة» .

[(2)] في (خ) : «الضماد» وصوابه في (القاموس) : «ضمار» .

[(3)] في (دلائل أبي نعيم) : «قبل الكتاب» .

فقصصت عليه القصة فقال: صدقت، وسرّ بذلك، فأسلمت أنا وقومي.
ومن حديث سعيد بن عمرو بن سعيد الهذلي عن أبيه عمرو بن سعيد، وكان شيخا كبيرا قد أدرك الجاهلية الأولى والإسلام، قال: حضرت مع رجال من قومي صنما بسواع وقد سقنا إليه الذبائح، فكنت أول من قرّب إليه هدية سمينة، فذبحتها على الصنم، فسمعنا صوتا من جوفها: العجب كل العجب، خروج نبي من بني عبد المطلب، يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام، وحرست السماء ورمينا بالشهب.

فتفرقنا فقدمنا مكة، فلم نجد أحدا يخبرنا بخروج محمد صلّى الله عليه وسلم حتى لقينا أبا بكر الصديق [و] [(1)] عبد الله بن عثمان رضي الله عنهما فقلنا: يا أبا بكر! خرج أحد بمكة يدعو إلى الله يقال له أحمد؟ فقال: وما ذاك؟ فأخبرت أبا بكر الخبر فقال: نعم، خرج محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهو رسول الله، فدعانا أبو بكر إلى الإسلام، فقلنا: حتى ننظر ما يصنع قومنا، وياليت كنا أسلمنا يومئذ.

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي، عن عبد الله بن ساعدة الهذلي، عن أبيه قال: كنا عند صنمنا بسواع، وقد جلبنا إليه غنما لنا مائتي شاة قد كان أصابها الجرب، فأدنيتهما منه أطلب بركته، فسمعت مناديا من جوف الصنم ينادي: قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لنبي اسمه أحمد، فصرفت وجه غنمي منحدرًا إلى أهلي، فلقيت رجلا فخبرني بظهور رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

وعن يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء السلمي [(2)] من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه عن أبيه عن جده [(3)] راشد بن عبد ربه قال: كان الصنم الذي يقال سواع بالمعلاة [(4)] من رهاط [(5)] تدين له هذيل وبنو ظفر من سليم، فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بمهدية من سليم إلى سواع، قال راشد: فألفيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع، وإذا صارخ يصرخ من جوفه: العجب كل العجب [من خروج نبي من بني عبد المطلب، يحرم الزنا والربا، والذبح للأصنام، وحرست

[(1)] زيادة للسياق.

[(2)] في (خ) : «الظفري» .

[(3)] في (خ) : «جده عن راشد» .

[(4)] موضع قرب بدر .

[(5)] موضع على ثلاثة أميال من مكة .

(18/4)

السماء ورمينا بالشهب، العجب كل العجب [(1)] ثم هتف صنم آخر من جوفه:
[ترك الضمار وكان يعبد] [(1)] خرج أحمد، نبي يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام، والبر
والصّلات للأرحام [(2)] ثم هتف من [(3)] جوف صنم آخر هاتف:
إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى
نبيّ يخبر الناس بما سبق ... وبما يكون في غد
قال راشد: فألفيت سواعا مع الفجر، وتعلبان يلحسان ما حوله، ويأكلان ما يهدى إليه [ثم] [(4)]
يعرجان عليه ببوهما، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه:
أربّ يبول الثعلبان [(5)] برأسه ... لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب
وذلك عند مخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم [ومهاجره] [(6)] إلى المدينة وتسامع الناس
به، فخرج راشد حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالمدينة [(7)] ومعه كلب له - واسم
راشد يومئذ (ظالم) ، واسم كله (راشد) -
فقال [له] [(8)] رسول الله صلّى الله عليه وسلم ما اسمك؟ قال: (ظالم) قال: فما اسم
كلبك؟ قال: (راشد) ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: اسمك راشد، واسم كلبك ظالم؟
وضحك النبيّ صلّى الله عليه وسلم، وبايع النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأقام معه، ثم طلب من
رسول الله صلّى الله عليه وسلم قطعة برهاط، فأقطعه رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالمعلاة
من رهاط شأو الفرس [(9)] ورمية ثلاث مرات بحجر، وأعطاه أداة [(10)] مملوءة من
ماء، وتفل فيها [رسول الله صلّى الله عليه وسلم] [(11)] وقال له: فرغها أعلى القطيعة ولا
تمنع الناس فضولها،
ففعل، فجعل الماء معينا مجمة [إلى اليوم] [(11)]

[(1)] ما بين الحاصرتين تكملة من (دلائل أبي نعيم) ، وهو سقط في (خ) .

[(2)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق: «وصلة الأرحام» .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق: «في» .

[(4)] زيادة للسياق.

[(5)] الثعلبان: ذكر الثعلب، والثعلب يطلق على الذكر والأنثى، والثعلبان: مثنى ثعلب، وهو المراد هنا.

[(6)] في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) : «ومجازه» ، ولعل الصواب ما أثبتناه فهو أجود للسياق.

[(7)] في المرجع السابق: «المدينة» .

[(8)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(9)] شأو الفرس: الشوط منه.

[(10)] إناء صغير يوضع فيه الماء.

[(11)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(19/4)

فغرس عليها النخل وصارت رهاطا كلها تشرب منه وسماها الناس ماء الرسول، وأهل رهاط يغتسلون منها ويستشفون بها، وغدا راشد على [(1)] سواع وكسرة [(2)] .
وله من حديث إسماعيل بن عيَّاش، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني [(3)] عن عبد الله بن الديلمِّي قال: أتى رجل عبد الله بن عباس [(4)] رضي الله تعالى عنه فقال: بلغت أنك تذكر سطيحا [و] [(5)] تزعم أن الله خلقه [و] [(5)] لم يخلق من ولد آدم شيئا يشبهه! قال: نعم، إن الله خلق سطيحا الغسانيّ لحما على وضم- والوضم: شرائح النخل [(6)] - وكان يحمل على وضمه فيؤتي به حيث يشاء، ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة والكفان، وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب، فلم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه.
فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضمه، فأتى به مكة، فخرج إليه أربعة من قريش: عبد شمس وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي، والأحوص بن فهر، وعقيل ابن أبي وقاص، انتموا إلى غير نسبهم [فقالوا] [(7)] : نحن أناس من جمح، أتيناك [وقد] [(8)] بلغنا قدومك، فرأينا أن [إتياننا] [(9)] إياك حق لك، واجب علينا

[(1)] في المرجع السابق: «إلى سواع فكسره» .

[(2)] [دلائل أبي نعيم] : 1/ 120-122، حديث رقم (68) ، قال الدميري في (حياة الحيوان) :

1/ 221: وأخرجه البغوي في (المعجم) ، وابن شاهين وغيرهما، وذكره السيوطي في (الخصائص)

- 1/ 193 ، وابن حجر في (الإصابة) : 2/ 434 ، ترجمة راشد بن عبد ربه السلمي ، رقم (2519) وفيه: ورواه أبو حاتم بسند له ، والبيت عنده هكذا:
- أربّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب
- و (مجموعة الوثائق السياسية) : 197 ، وثيقة رقم (213) لراشد السلمي : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد ربه السلمي ، أعطاه: غلوتين بسهم وغلوة بحجر برهاط ، فمن حاقه فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب خالد بن سعيد» .
- [(3)] كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وصوابه (السيباني) بالمهملة (الجرح والتعديل) : 9/ 177 ، ترجمة رقم (735) بحى بن أبي عمرو السيباني أبو زرة .
- [(4)] كذا في (خ) «عياش» ، والتصويب من (دلائل أبي نعيم) .
- [(5)] زيادة للسياق .
- [(6)] في (دلائل أبي نعيم) : «شرائح من جريد النخل» .
- [(7)] في (خ) : «وقالوا» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
- [(8)] زيادة للسياق .
- [(9)] كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق: «زيارتنا» .

(20/4)

وأهدى له عقيل صفيحة هندية [(1)] ، وصعدة [(2)] ، ردينية [(3)] فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا هل يراها سطيح أم لا .

فقال: يا عقيل ، ناولني يدك ، فناوله يده ، فقال: يا عقيل! والعالم الخفية ، والغافر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك للجائي [(4)] بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية .

قالوا: صدقت يا سطيح ، فقال: والآتي بالفرح ، وقوس قزح ، وسائر القرح [(5)] ، واللطم [(6)] المنبطح [(7)] ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرّ سرح [(8)] ، فأخبر أن القوم ليسوا من جمح ، وأن نسبهم في قريش ذي البطح ، قالوا: صدقت يا سطيح ، نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده ، لعل [(9)] أن يكون عندك في ذلك علم .

قال: الآن صدقتم ، خذوا مني إلهام الله إياي: أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم ، سواء [(10)] بصائركم وبصيرة العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشأ من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلعون الردم [(11)] ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم .

- [(1)] الصفيحة: السيف العريض (لسان العرب) : 2 / 513.
- [(2)] الصعدة: القناة المستقيمة (لسان العرب) : 3 / 255.
- [(3)] ردينة: اسم امرأة، تنسب إليها الرماح (لسان العرب) : 13 / 178.
- [(4)] في (خ) : «للجائي» ، وفي (أبي نعيم) : «الجائي» .
- [(5)] القرح: جمع قارح، وهي الناقة أول ما تحمل. (اللسان) : 2 / 559.
- [(6)] اللطيم: صفة من صفات الخيل أو الإبل (المرجع السابق) : 12 / 543.
- [(7)] المنبطح: الملقى على وجهه. (المرجع السابق) : 2 / 412.
- [(8)] السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك (المرجع السابق) : 2 / 490.
- [(9)] في (خ) : «بعد أن يكون» .
- [(10)] كذا في (خ) ، و (الخصائص، وفي (أبي نعيم) : «فتبينوا»
- [(11)] في (أبي نعيم) : «يتبعون الردم» ، والردم: ما يسقط من الجدار إذا تهدم، وكل ما لفق بعضه ببعض فهو ردم. (اللسان) : 12 / 236.

(21/4)

قالوا: يا سطيح! ممن يكون أولئك؟ قال [(1)] : والبيت ذي الأركان، والأمن والسكان، لينشؤون من عقبكم ولدان، يكسرون الأوثان، وينكرون عبادة الشيطان، ويوحدون الرحمن، وينشرون دين الديان، يشرفون البنيان، ويقتنون القيان.

قالوا: يا سطيح! من نسل من يكون أولئك؟ قال: وأشرف الأشراف، والمفضي للإسراف، والمزعزع الأحقاف، والمضعف للأضعاف، لينشؤون الآلاف من بني عبد شمس وعبد مناف، نشوا يكون فيهم اختلاف.

قالوا: يا سواتاه يا سطيح مما تخبر من العلم بأمرهم؟ ومن أي بلد يكون أولئك؟ قال: والباقي الأبد، والبالغ الأمد، ليخرجن من ذا البلد، فتى يهدي إلى الرشد، يرفض يغوث [(2)] والفند [(3)] ، يبرأ من عبادة الضدد [(4)] ، يعبد ربا انفراد، ثم يتوفاه [الله] [(5)] محمودا، من الأرض مفقودا، في السماء مشهودا [(6)] ، وذكر باقية في القوم الذين يلون أمر الأمة الحمديّة.

ومن حديث ابن إسحاق قال: حدثني من أتق به من علمائنا، عن من حدثه من أهل اليمن [

[(7)] .

[(1)] في (أبي نعيم) : «فقال لهم» .

[(2)] اسم صنم.

[(3)] الفند: الكذب.

[(4)] في (خ) ، و (الخصائص) ، بالصاد المهملة، والضدد: من أسماء الحجر.

[(5)] زيادة للسياق من (خ) .

[(6)] في (دلائل أبي نعيم) ، بعد قوله «مشهودا» [ثم يلي أمره الصديق، إذا قضى صدق،

وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الحنيف، مجرب غطريف، ويترك القول العنيف، قد

ضاف المضيف، وأكرم التحنيف، ثم يلي أمره داعيا لأمره مجربا، فيجتمع له جموعا وعصبا،

فيقتلونه نعمة وغضبا، فيؤخذ الشيخ إربا، فيقوم به رجال خطباء، ثم يلي أمره الناصر، يخلط

الرأي برأي الناصر، يظهر في الأرض الفساد، ثم يلي بعده ابنه، يأخذ جمعه ويقل حمده، ويأخذ

المال ويأكله وحده، ويكنز المال لعقبه من بعده، ثم يلي من بعده عدة الملوك، لا شك، الدم

فيهم مسفوك، وذكر القصة] .

(دلائل النبوة لأبي نعيم) : 1/ 122-125، حديث رقم (69) ، أخرجه أيضا ابن عساكر،

والسيوطي في (الخصائص) : 1/ 73. قال محقق (الدلائل) : وفيه سليمان بن عبد الرحمن،

صدوق يخطئ، وآخر القصة يبدو فيها الوضع.

[(7)] [السند في (دلائل أبي نعيم) هكذا: «حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا

جعفر بن أحمد بن فارس قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل قال: حدثني

محمد بن إسحاق، وحدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم القرشي قال: حدثنا

سليمان بن عبد الرحمن بن بشير الشيباني عن محمد بن إسحاق قال: حدثني من أئق به من

علمائنا، عمّن حدّثه من أهل اليمن ... » .

(22/4)

أن ملكا من لحم [(1)] من أهل الملك الأول القديم قبل حسّان ذي نواس، يقال له:

ربيعة بن نصر، رأى رؤيا فظع بما حين رآها، وهالته وأنكرها، وبعث إلى الخزاق [(2)] من أهل

الأرض، من كان في مملكته من الكهان والمنجمين والعرافين [(3)] ، فقال [(4)] لهم: قد

رأيت رؤيا فظعت بما وهالتي، فأخبروني عنها.

قالوا: أيتها الملك اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خيركم [(5)] ، فقال رجل منهم إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقّ، فإنهما يخبران عما أراد [الملك] [(6)] من ذلك، فهما أعلم من ترى [(7)] ، وكان سطيح رجلا من غسان- وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذؤيب بن عدي بن مازن [(8)] - وكان شقّ رجلا [(8)] ، من بجيلة، وقال سلمة بن الفضل في حديثه عن [ابن إسحاق] [(8)] : يقال له: سطيح الذئبيّ لنسبته إلى الذئب بن عدي، وشقّ بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير ابن قيس بن عبقر بن أثمار [(9)] .

فلما قالوا له ذلك بعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شقّ - ولم يك في زمانهما مثلهما من الكهان - فلما قدم سطيح عليه [(10)] قال له الملك: يا سطيح: إني قد

[(1)] لحم: اسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن يزيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ولحم وجدام قبيلتان من اليمن، ينسب إلى لحم خلق كثير. (اللباب في تهذيب الأنساب) :

130 /3

- [(2)] في (دلائل أبي نعيم) : «الحزأة» ، وهم العالمون.
- [(3)] في (دلائل أبي نعيم) : «العراف» .
- [(4)] في (دلائل أبي نعيم) : «وقال» .
- [(5)] في (سيرة ابن هشام) : «إلى خيركم عن تأويلها» .
- [(6)] زيادة من المرجع السابق.
- [(7)] في المرجع السابق: «نراه» .
- [(8)] زيادة من (خ) .
- [(9)] في (سيرة ابن هشام) : «ابن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أثمار بن نزار، وأثمار أبو بجيلة وخنعم» .
- [(10)] في (دلائل أبي نعيم) : «فلما قدم سطيح عليه قبل شقّ دخل عليه، قال الملك ... » ، وفي (سيرة ابن هشام) : «فقدم عليه سطيح قبل شقّ فقال له: إني رأيت ... » .

- رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها حين رأيته، وإنك إن تصفها [لي] [(1)] قبل أن أخبرك تصب تأويلها [(2)] .
- قال: أفعّل، رأيت حممة خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تعمة فأكلت منها كل ذات جمجمة [(3)] .
- فقال الملك: والله ما أخطأت من رؤياي [(4)] [وسمة] [(5)] ، فما عندك [من] [(6)] تأويلها يا سطيح؟.
- قال: أحلف بما بين الحرّيين من حنش، لينزلن أرضكم الحبش، وليملكن ما بين أبين إلى جرش [(7)] .
- قال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجه، فمتى [(8)] هو كائن يا سطيح؟ أفي زماننا هذا؟ أم بعده؟ قال [(9)] : بعده بحين، خمسين إلى ستين أو سبعين تمضين من السنين [(10)] .
- قال له الملك: أفيقيم ويدوم سلطانهم أم ينقطع [(11)] ؟.
- قال: ينقطع بسبع وسبعين من السنين [(12)] ، ثم يقتلون أجمعين، ويخرجون هارين.

-
- [(1)] زيادة من (خ) .
- [(2)] في (سيرة ابن هشام) : «فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها» .
- [(3)] في (دلائل أبي نعيم) : «كل ذات جمجمة من العشاء إلى العتمة، ونصب كل أفصح وأصح» .
- [(4)] في (سيرة ابن هشام) : «ما أخطأت منها شيئا» .
- [(5)] كذا في (خ) .
- [(6)] في (سيرة ابن هشام) ، و (دلائل أبي نعيم) : «في تأويلها» .
- [(7)] أبين وجرش: بلدان في اليمن.
- [(8)] في المرجع السابق: «منى هو» .
- [(9)] في (ابن هشام) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «بل بعده بحين» .
- [(10)] في (دلائل أبي نعيم) : «أكثر من سنتين إلى سبعين سنة يمضين» وفي (ابن هشام) : «أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين» .
- [(11)] في (ابن هشام) : «أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟» ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «أفيقوم أو يدوم سلطانهم أم ينقطع» ، وفي (خ) : «أفيقيم» .
- [(12)] في (ابن هشام) : «لبضع وسبعين» ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «لبضع وستين» ، وما أثبتناه من (خ) .

قال له الملك: ومن الذي يقتلهم ويولي إخراجهم؟.
قال: يليه إرم ذي يزن [(1)] ، يخرج عليهم من عدن، ولا يبقى منهم أحد باليمن [(2)] ،
قال له الملك: أفيدوم ذلك من سلطانه أمن ينقطع؟
قال: بل ينقطع.
قال: ومن يقطعه؟.
قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل [(3)] الله العلي.
قال: ومن هذا النبي يا سطيح؟
قال: من [(4)] ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.
قال: وهل للدهر من آخر؟.
قال: نعم يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، يشقى فيه المسيئون، ويسعد فيه الحسنون، قال:
أحق ما تقول؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق [إذا اتسق] [(5)] ، إن ما أنباتك لحق.
فلما فرغ خرج من عنده. وقدم شق [(6)] فقال له الملك مثل ما قال لسطيح

[(1)] كذا في (خ) ، و (ابن هشام) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «إنه ابن ذي يزن» ، والمعروف
أن اسمه:

سيف بن ذي يزن، ولكن جعله «إرما» ، إما لأن الارم هو العلم ممدحه بذلك، وإما شبهه بعاد
إرم في عظم الحلقة.

[(2)] كذا في (خ) ، (ابن هشام) ، وفي (أبي نعيم) : «في اليمن» .

[(3)] في (ابن هشام) : «من قبل العلي» .

[(4)] كذا في (خ) ، و (ابن هشام) وفي (أبي نعيم) : «لؤي بن غالب» .

[(5)] ما بين الحاصرتين في (خ) فقط.

[(6)] سمي «شق» لأنه كان شق إنسان، له يد واحدة، ورجل واحدة، وعين واحدة. وولد
سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه «طريفة الكاهنة» ، امرأة عمرو بن عامر، وهي بنت الخير
الحميرية، ودعت بسطيح قبل أن تموت، فأتيته به، فتلفت في فيه، وأخبرت أنه سيخلفها في
علمها وكهانتها، ودعت بشق، ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح، ثم ماتت، وقبرها بالجحفة.

لينظر: أيتفقان أم يختلفان؟
 فقال شقّ: نعم أيها الملك، رأيت حممة [(1)] خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة،
 بأرض بهمة، فأكلت منها كل ذات نسمة صحيحة مسلمة.
 ثم قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، وليغلبن على كل طفلة البنان،
 وليملكن ما بين أبين إلى نجران، فقال الملك: يا شقّ! وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجه، فمتى هو
 كائن؟ أي زماني، [(2)] أم بعده؟
 قال: بعده بزمان، يبدهم عظيم ذو شان [(3)] ، فيذيقهم أشد الهوان.
 قال له الملك: ومن هذا [(4)] العظيم الشان؟
 قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدنّ، يخرج من بيت ذي يزن، قال: فهل يدوم سلطانهم أم ينقطع؟
 قال: لا بل ينقطع برسول يأتي بحقّ وعدل، ومن أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى
 يوم الفصل، قال: وما يوم الفصل يا شقّ؟
 قال: يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء دعوات، فيسمع الأحياء والأموات، ويجتمع
 فيه الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.
 قال له الملك: ما تقول يا شقّ؟ [قال:] [(5)] ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع
 وخفض، إن ما أنبأتك لحق ما فيه أمض [(6)] ، فلما فرغ من مساء لتهما جهّز بنيه وأهل بيته
 إلى العراق، وكتب [لهما] [(7)] إلى ملك فارس [(8)] ، وهو

- [(1)] في (خ) : «جمجمة» .
 [(2)] في (خ) ، و (ابن هشام) : «زماني» ، وفي (أبي نعيم) : «زماننا» .
 [(3)] كذا في (خ) ، وفي (ابن هشام) ، و (دلائل أبي نعيم) : «ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو
 شان» .
 [(4)] كذا في (خ) و (ابن هشام) ، وفي (أبي نعيم) : «ومن هو هذا» .
 [(5)] زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
 [(6)] أمض: شك أو باطل.
 [(7)] زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
 [(8)] في (ابن هشام) : «إلى ملك من ملوك فارس» .

شابور [(1)] فأسكنهم الحيرة [(2)] .

فمن بقية ولد ربيعة بن نصر: النعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعلمهم:
النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، [ذلك الملك] [(3)] .
وحدّث أبو علي قال: كان جنافر بن التوائم الحميري كاهنا، وكان قد أوتي بسطه في الجسم وسعة
في المال، وكان عاتيا، فلما وفدت وفود اليمن على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهر الإسلام،
أغار على إبل لمسواد فاكتسحها، وخرج بأهله ولحق بالشجر فخالف جودان بن يحيى الفرصمي،
وكان سيدا منيعا، وترك بواد من أودية الشجر مخصبا كثير الشجر من الأيك والعرين.
قال جنافر: وكان رأيي في الجاهلية لا يكاد يتغيب عليّ، فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة
وساءني ذلك، فبينما أنا ليلة بذلك الوادي إذ هوى هويّ العقاب، قال جنافر: فقلت: شصار!
فقال: اسمع أفل، قلت: اسمع، فقال: عه تغنم، لكل مدة نهاية، وكل ذي أمد إلى غاية، فقلت:
أجل، فقال: كل دولة إلى أجل، ثم يتاح لها حول، انتشحت التحل ورجعت إلى حقائقها الملل،
إنك بيحبر

[(1)] هو شابور بن خرزاد وهو في (ابن هشام) : بالسین المهملة.

[(2)] هذا الحديث ذكره كل من:

أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1 / 125، حديث رقم (70) .

ابن عساکر من طريق ابن إسحاق عن بعض أهل الرواية.

ابن إسحاق في السيرة، (ابن هشام) : 1 / 124.

السيوطي في (الخصائص) : 1 / 87.

أحمد بن حديدة الأنصاري في (المصباح المضيء) : 2 / 206.

ابن كثير في (البداية والنهاية) : 2 / 329، وفيه: «وأخبار سطیح كثيرة، وقد جمعها غير واحد

من أهل العلم، والمشهور أنه كان كاهنا، وقد أخبر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن نعته

ومبعثه،

وروى لنا بإسناد الله أعلم به أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن سطیح فقال: «نبي ضيعه

قومه» .

قال الحافظ ابن كثير: أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة، ولم أره

بإسناد أصلا!!.

ابن الأثير في (الكامل) : 1 / 418.

ابن جرير الطبري في (التاريخ) : 2 / 112.

[(3)] زيادة في (خ) .

موصول، والنصح لك مبدول، إني آنست بأرض الشام، نفرا من آل العذام، حكاما على الحكام، يتدبرون ذا رونق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا السجع المتكلف، فأصغيت فزجرت، وعاودت فلطفت، فقلت: بم يهيمنون، وإلام يعتزون؟ قالوا: خطاب كبار، جاء من عند الملك الجبار، فاسمع يا شصار، عن أصدق الأخبار، واسلك أوضح الآثار، تنج من أوار النار، فقلت: وما هذا الكلام؟ قالوا: فرقان بين الكفر والإيمان، رسول من مضر من أهل المدار، ابتعث فظهر. فجاء بقول قد بهر، وأوضح نهجا قد دثر، فيه مواعظ لمن اعتبر، ومعاذ لمن ازدجر، أَلْف بالآي الكبر، قلت: ومن هذا المبعوث من مضر، قالوا: أحمد خير البشر، وإن خالفت أصليت سقر، فأمنت يا جنافر، وأقبلت إليك أبادر، فجانب كل نجس كافر، وشايع كل مؤمن ظاهر، وإلا فهو الفراق على تلاق، قلت: من أين أبغي هذا الدين؟ قال: من ذات الآخرين، والنفر الميامين، أهل الماء والطين، قلت: أوضح، قال: الحق بيثرب ذات النخل، والحرة ذات النعل، فهناك أهل الفضل، والطول والبذل، ثم أملس عني فبت مدعورا أراعي الصباح، فلما برق لي النور، امتطيت راحلتي وأذنت أعبدي، واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف، فرددت الإبل على أربابها، بجولها وسقائها، وأقبلت أريد صنعاء، فأصبت بما معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعته على الإسلام، وعلمني سورا من القرآن، فمن الله عليّ بالهدى بعد الضلالة، والعلم بعد الجهالة [(1)] ، وقلت في ذلك:

ألم تر أن الله عاد بفضله ... فأنقذ من لفح الرجيح جنافرا
وكشفه لي جحمتي عما هما ... وأوضح لي نهجي وقد كان دائرا
دعاني شصار للتي لو رفضتها ... لأصليت جمرا من لظى الهوف واهرا
فأصبحت والإسلام حشو جوانحي ... وجانبت من أمسى عن الحق باثرا
وكان مضلي من هديت برشده ... فلله مغو عاد بالرشد أمرا
نجوت بحمد الله من كل قحمة ... تورث هلكا يوم شايعت شاصرا

[(1)] لم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من المراجع.

وقد أمنتني بعد ذاك بجائر ... بما كنت أغشى المندبات بجائرا
فمن مبلغ فتیان قومي ألوكة ... بأني من أقاتل من كان كافرا
عليكم سواء القصد لافلّ حدّكم ... فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا
ويروى أن تيم اللات بن ثعلبة عمّر ستمائة سنة وأدرك عيسى عليه السلام، وآمن به وكان على
دينه، وأنه صورّ محمدا صلّى الله عليه وسلم وكتب تحتها: منعت وجّ الحجاز وثمائم مكة وديار
ربيعة إلا من دولة اليتيم، فطوبى لمن أدركه واتبعه، وتيم اللات هذا كان [مخاربا] [(1)] في
حرب البسوس، وكان قائدهم، وكان أجمل الناس.

وقال الخرائطي في كتاب (الهواتف) : أخبرنا عبيد بن محمد البلوي، حدثنا عمادة بن زيد، حدثني
عبيد الله بن العلاء، عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى
عنها قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل يذكران [أنهما أتيا] [(2)] النجاشي
بعد رجوع أبرهة عن مكة.

قالا: فلما دخلنا عليه قال لنا: أصدقاني أيها القرشيان، هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه؟
قلنا: نعم.

قال: فهل لكما علم بما فعل؟ قلنا: تزوج امرأة اسمها آمنة وتركها حاملا وخرج.
قال: فهل تعلمان ولد له أم لا؟ قال ورقة: أخبرك أيها الملك أنه لما ولد له كنت عند صنم لنا
نطيف به ونعبده، إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول:
ولد النبي فذلّت الأملاك ... ونأى الضلال وأدبر الإشرار
ثم انتكس على رأسه، فقال زيد: عندي كخبره أيها الملك، قال: هات، قال: إني في هذه الليلة
التي ذكر فيها حديثه، خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة، حتى أتيت جبل أبي قبيس
أريد الخلوة فيه لأمر رابني، إذ رأيت رجلا نزل من السماء له جناحان أخضران، فوقف عليه [(3)]
ثم أشرف على مكة وقال:

[(1)] هذه الكلمة مطموسة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

[(2)] في (خ) : «أنها أتت» .

[(3)] في (خ) : «على» .

ذل الشيطان، وبطلت الأوثان، وولد الأمين.

قال النجاشي: إني أخبركما عما أصابني: إني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبتي وقت خلوتي، إذ خرج عليّ من الأرض عنق ورأس وهو يقول: حل الويل بأصحاب الفيل، رمتهم طير أباييل، بحجارة من سجيل، هلك الأشرم، المعتدي المجرم، وولد النبي الأمي، الحرمي المكّي، من أجابه سعد، ومن أتاه عند.

وقال عبد الله البلوي: حدثنا عمارة، حدثنا عبيد الله بن العلاء، حدثنا محمد ابن عكبر [(1)] عن سعيد بن جبير، أن رجلا من بني تميم يقال له: رافع بن عمير، كان أهدي [(2)] الناس بطريق، وأسراهم بليل، وأهجمهم على هول، فكانت العرب تسميه: دعموص [(3)] الرمل لهديته وجرأته، فذكر عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عاج [(4)] ذات ليلة، إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحتي وأختتها وتوسدت ذراعها وقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، من أن أؤدي أو أهاج.

فرأيت في النوم رجلا شابا يرصد ناقتي بحربة، يريد أن يضعها في نحرها، فانتبهت فزعا، فرأيت ناقتي تضطرب، وإذا برجل كالذي رأيت في منامي بيده حربة، وشيخ ممسك بيده بردة وهو يقول:

يا مالك بن مهلهل بن أثار ... مهلا فدا لك منزري وإزاري
عن ناقة الإنس لا تعرض لها ... واختر بما ما شئت من أثواري

[(1)] لم أجدّه فيمن روى عن سعيد بن جبير في (تهديب التهذيب) .

[(2)] في (خ) : «أهدا» .

[(3)] الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء، وقيل: هي دويبة تغوص في الماء، والجمع الدعاميص والدعامص. والدعموص أيضا: الدّخال في الأمور، الزوّار للملوك. ودعيميص الرمل: اسم رجل كان داهيا يضرب به المثل، يقال: هو دعيميص هذا الأمر، أي عالم به.
(اللسان) : 36 / 7.

[(4)] هو رملة بالبادية مسماة بهذا الاسم، قال أبو عبد الله السكوني: عاج رمال بين فيد والقربات، ينزلها بنو بختر من طيّئ، وهي متصلة بالثعلبية عن طريق مكة، لا ماء بها، ولا يقدر أحد عليه فيه، وهو مسيرة أربع ليال، وفيه برك إذا سالت الأودية امتلأت، وعالج لها ذكر في شعر حسان بن ثابت بعد أحد، في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا. (معجم البلدان) : 78 / 4،
(سيرة ابن هشام) :

ولقد بدا لي منك ما لم أجب ... إلا دعيت قرابتي وذماري
تسمو إليه بحربة مسمومة ... تبا لفعلك يا أبا العفاري
لولا الحياء وأن أهلك جيرة ... لعلمت ما كشفت من أخباري
قال رافع: فأجابه الشاب:

أردت أن تعلقو وتخفض ذكرنا ... في غير مرزية أبا العيزار
ما كان فيكم سيد فيما مضى ... إن الخيار هو بنو الأخيار
فاقصد لقصديك ما معيكم إنما ... كان الجير مهلهل بن آثار

قال: فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش، فقال الشيخ للفتى:
قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الإنسي، فأخذ منها ثورا ثم انصرف، فالتفت
إلى الشيخ فقال: يا هذا! إذا نزلت واديا من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من
هول هذا الوادي، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها.
قال: فقلت: ومن محمد؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي، قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب.
قال: فركبت راحلتي حتى دخلت المدينة، فنزلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدثني بحديثي
قبل أن أذكر له منه شيئا، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت.
قال سعيد بن جبير فكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ
بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [(1)] .

[(1)] الجن: 6، قوله تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ، روى الجمهور أن الرجل كان إذا أراد
المبيت أو الحلول في واد، نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي، إني أعوذ بك من السفهاء
الذين في طاعتك، فيعتقد بذلك أن الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه. فروي أن الجن كانت تقول
عند ذلك:

لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيئا.

قال مقاتل: أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب. وقال
قتادة: فَزَادُوهُمْ، أي الجن زادت الإنس مخافة أن يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويعوذونهم لما رأوا
من خفة أحلامهم، فازدروهم واحتقروهم. وقال ابن جبير: رهقا: كفرا. (البحر الحيط) :

وذكر ابن سعد في طبقاته عن الواقدي: حدثنا علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: إنا ننتظر [(1)] نبيا من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيتَه فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعتته حتى لا يخفى عليك، فقلت: هلم، قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذه البلدة [(2)] مولده ومبعثه، ثم يخرج قومه منها [(3)] ، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب، فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أسلم [(4)] من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وراءك، ويعتونه بمثل نعتي [(5)] لك ويقولون: لم يبق نبي غيره.

قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول [(6)] زيد وأقرأته منه السلام، فردَّ عليه السلام ورَّحَمَ عليه وقال: قد رأيتَه في الجنة يسحب ذيو لا [(7)] .

وقال أبو عمر بن عبد البر: روينا من حديث واثلة بن الأسقع قال: كان إسلام الحجاج بن علاط [السلمي ثم] [(8)] البهزي أنه خرج في ركب من قومه إلى مكة، فلما جنَّ عليه الليل وهو في واد مخوف [(9)] قعد فقال له أصحابه: يا أبا كلاب! قم فخذ لنفسك ولأصحابك أمانا، فقام الحجاج بن علاط يطوف حولهم يكلؤهم ويقول:

[(1)] في (الطبقات) : «أنا أنتظر» .

[(2)] في (ابن سعد) : «وهذا البلد» .

[(3)] في (ابن سعد) : «منه» .

[(4)] في (ابن سعد) : «أسأل» .

[(5)] في (ابن سعد) : «ما نعتته» .

[(6)] في (ابن سعد) : «قول» .

[(7)] [طبقات ابن سعد] : 1 / 161 - 162 .

[(8)] [زيادة في النسب من الاستيعاب] .

[(9)] في المرجع السابق: «وحش مخوف» .

أعيد نفسي وأعيد صحي ... من كل جني بهذا النقب

حتى أؤوب سالما وركبي

فسمع قائلًا يقول: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ [(1)] ، فلما قدموا مكة خبر [(2)] بذلك في نادي قريش فقالوا له: صبأت [(3)] يا أبا كلاب، إن هذا [(4)] مما يزعم محمد أنه أنزل عليه، قال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم الحجاج فحسن إسلامه [(5)] .. الحديث [(6)]

[(1)] الرحمن: 33.

[(2)] في المرجع السابق: «أخبر» .

[(3)] في المرجع السابق: «صبأت والله يا أبا كلاب» .

[(4)] في المرجع السابق: «فيما» .

[(5)] [(الاستيعاب) : 1/ 325-326]، ترجمة الحجاج بن علاط السلمي رقم (482) .

[(6)] قال أبو عمر بن عبد البر: وحديثه بذلك صحيح من رواية ثابت البناني وغيره عن

أنس. (المرجع السابق) .

(33/4)

فصل في ذكر ما كان من أعلام نبوة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ حملت به أمه آمنة بنت

وهب [(1)] إلى أن بعثه الله برسالته

اعلم أنه كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمارات النبوة آيات وأعلام يهتدى بها إلى

ثبوت نبوته وصدق رسالته، قدمها الله تعالى قبل بعثته برسالته ليكون دليلا واضحا وبرهانا

صحيحا لا نحا على نبوته وتحقيق رسالته.

فمن ذلك: إخبار الحبر لعبد المطلب بأن في إحدى يديه ملكا وفي الأخرى نبوة، وأن ذلك في

بني زهرة، وأن عبد الله بن عبد المطلب كان يرى بين عينيه نور النبوة، وأن أمة آمنة بنت وهب

لما حملت به بشّرت بأنه خير البرية، ولما ضربها المخاض دنت منه نجوم السماء، وخرج منها لما

وضعت نور أضواء له البيت، وانتشر حتى أضاءت له قصور الشام وغيرها، وطرحوا عليه بعد

ولادته برمة فانفلقت، وولد محتونا مسرورا، وفتحت لولادته أبواب السماء، واستبشرت الملائكة،

وتناولت الجبال وارتفعت البحار، وقلّ الشيطان ومردته، وألبست الشمس نورا عظيما،
ونكست الأصنام وحجبت الكهان، وارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة،
وخمدت نار فارس، وغاضت بحيرة ساوي، ورأى المؤبدان

[(1)] هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.
ولا نعلم أنه كان لآمنة أخ فيكون خالا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن بنو زهرة يقولون: نحن
أخوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن آمنة منهم، كانت أفضل امرأة في قريش نسبا
وموطنا، ويؤخذ من اللهجة التي كانت تتكلم بها السيدة آمنة أن أصلها من المدينة.
وكانت السيدة آمنة وفية لزوجها عبد الله والد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، فكانت
تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين
خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما
صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها. (معجم البلدان) :
101 / 1، موضع رقم (152) ، (الأبواء) وهي موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب،
(المعارف) : 129 / 1، (أعلام النساء) : 18 / 1.

(34/4)

أن إبلا تقود خيلا وانتشرت في بلاد فارس.
وردّ الله ببركته أصحاب الفيل عن مكة، ومنعهم من تخريب البيت الحرام الذي جعل الله حجّه
أحد أركان الإسلام، تحقيقا لشريعته، وتأييدا لدعوته، وما ظهر لظئره حليلة من البركة حين
أرضعته من إقبال لبنها، وكثرته بعد قلته، وحلبها اللبن من شاتها التي لم يكن بما قطرة لبن، وسبق
أناؤها حمر رفاقها بعد تخلفها عنهم لضعفها، وسمن أغنامها دون أغنام قومها، وشق صدره المقدس
عندها، ومعرفة اليهود له وهو طفل مع أمه بالمدينة، وتوسم جده عبد المطلب فيه السيادة، وقول
بني مدلج: إن قدمه أشبه بقدم إبراهيم الخليل، ومعرفة أسقف نجران وهو غلام، وإخبار اليهودي
أنه يخرج من صلب عبد المطلب نبي يقتل يهود، وما كان عمه أبو طالب يرى من البركة منذ
كفله، وتظليل الغمام له، واعتراف بحيرا الراهب بنبوته، وإخبار نسطور بذلك.

(35/4)

وأما إخبار الخبر لعبد المطلب بأن في إحدى يديه ملكا وفي الأخرى نبوة، وأن ذلك في بني زهرة فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث أبي عون [(1)] مولى المسور بن مخزومة، عن المسور عن عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما قال: قال عبد المطلب: قدمت اليمن في رحلة الشتاء فنزلت على حبر من أحبار اليهود، فقال لي رجل من أهل الزبور - يعني من أهل الكتاب - : ممن الرجل؟ قلت: من قريش، قال: من أيهم؟ قلت: [من بني هاشم] [(2)] ، قال: يا عبد المطلب! تأذن [(3)] لي أن انظر إلى بعضك؟ قلت: نعم، ما لم يكن عورة، قال: ففتح أحد منخريّ ثم فتح الآخر فقال: أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة، وأنا نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذلك؟ فقلت [(4)] لا أدري، قال: هل لك من شاعة؟ قلت: وما الشاعة؟ قال: الزوجة، قلت: أما اليوم فلا، قال: فإذا رجعت فتزوج منهم [(5)] ، فرجع عبد المطلب إلى مكة فتزوج بهالة [(6)] بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، فولدت له حمزة وصفية، وتزوج

[(1)] سند هذا الحديث في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن عمر الخلال المكيّ قال: حدثنا محمد بن منصور الجواز قال: حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن حميد بن عبد الرحمن الزهري قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز قال: حدثنا عبد الله ابن جعفر المخرميّ، عن أبي عون مولى المسور بن مخزومة، عن المسور عن ابن عباس عن أبيه العباس ابن عبد المطلب قال: ...

[(2)] في (خ) : «من أيهم شئت» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

[(3)] في المرجع السابق: «أتأذن» .

[(4)] في المرجع السابق: «قلت» .

[(5)] في المرجع السابق: «فيهم» .

[(6)] في المرجع السابق: «هالة» .

(36/4)

عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، ووهب ووهيب أخوان، فقالت قريش حين تزوج عبد الله: فلج عبد الله على أبيه [(1)] . ورواه الزهري وعبد الرحمن بن حميد عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه، أن عبد المطلب ... فذكر

[(1)] أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 129-130 ، حديث رقم (71) ، والسيوطي في (الخصائص) : 1/ 99 ، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) : 1/ 86 لكن بسياقه أخرى ضمن قصة طويلة، والحاكم في (المستدرک) : 2/ 656 ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين من وقت ولادته إلى وقت وفاته ما يصح منها على ما رسمنا في الكتاب لا على ما جرينا عليه من أخبار الأنبياء قبله إذ لم نجد السبيل إليها إلا على الشرط في أول الكتاب، حديث رقم (4176 / 186) ، وقال الذهبي في (التلخيص) : يعقوب وشيخه ضعيفان، (ميزان الاعتدال) : 2/ 632 ، ترجمة رقم (5119) عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، وهو عبد العزيز بن أبي ثابت، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال عثمان بن سعيد: قلت ليحيى: فابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران ما حاله؟ قال ليس بثقة، إنما كان صاحب شعر، وهو من ولد عبد الرحمن بن عوف. وابن كثير في (البداية والنهاية) : 2/ 309 ، فصل تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزهرية، والبيهقي في (دلائل النبوة) : 1/ 106-107 .

(37/4)

وأما رؤية النور بين عيني عبد الله بن عبد المطلب فخرج أبو نعيم من حديث ابن شهاب [(1)] عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة، وعامر بن سعد عن أبيه سعد، قال: أقبل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان في بناء له وعليه أثر الطين والغبار، فمرّ بامرأة من خثعم، وقال [(2)] عامر بن سعد [(3)] عن أبيه في حديثه فمرّ بليلى العدوية، فلما رآته ورأت ما بين عينيه دعتة إلى نفسها وقالت له: إن وقعت بي فلك مائة من الإبل، فقال لها [عبد الله بن عبد المطلب] [(4)] : حتى أغسل عني هذا الطين الذي عليّ وأرجع إليك، فدخل على آمنة بنت وهب فواقعها فحملت برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطيب المبارك، ثم رجعت إلى الخثعمية، وقال عامر في حديثه إلى ليلي العدوية فقال لها: هل لك فيما قلت؟ فقالت: لا [يا عبد الله] [(5)] ، قال: ولم؟ قالت: لأنك مررت بي وبين عينيك نور، ثم رجعت إليّ وقد انتزعته آمنة بنت [(6)] وهب

لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مرّ به على كاهنة من أهل تبالة [(5)] متهودة [(6)] قد قرأت الكتب، يقال لها: فاطمة بنت مرّ الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت له: يا فتى! هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل فقال [عبد الله] [(7)] :
أما الحرام فالممات دونه ... والحلّ لا حلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه؟
ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثا، ثم إن نفسه دعت إلى ما دعت [(8)] إليه الخثعمية فأتاها فقالت: يا فتى! ما صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب وأقمت عندها ثلاثا، قالت:

-
- [(1)] [كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : «متحصّرا» ، والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) 1/ 130 ، حديث رقم (72) ، والسيوطي في (الخصائص) : 1/ 100 ، عن أبي نعيم، وأخرج القصة ابن هشام في (السيرة) : 1/ 291 - 292 .
[(2)] [زيادات للسياق والنسب من (دلائل أبي نعيم) .
[(3)] [(دلائل أبي نعيم) : 1/ 131 ، حديث رقم (73) وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك.
[(4)] [(السند في (دلائل النبوة لأبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن حرب، قال: حدثنا محمد بن عمارة القرشيّ، قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس قال: ...
[(5)] [تبالة: بلد باليمن.
[(6)] [في (خ) : «مشهورة» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
[(7)] [زيادة للسياق من المرجع السابق.
[(8)] [في (خ) : «دعت» .

(39/4)

إي والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن رأيت في وجهك نورا وأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يصيره حيث أحبّ، [ثم قالت فاطمة الخثعمية] [(1)] :
وله من حديث داود بن أبي هند [(2)] عن عكرمة قال: كانت امرأة من خثعم تعرض نفسها في [موسم الحج] [(3)] ، وكانت ذات جمال، ومعها آدم تطوف به كأنها تبغيه، فأنت على

عبد الله بن عبد المطلب، فلما رآته أعجبها [(4)] فقالت: إني والله ما أطوف لبيع [(5)] الأدم، وما بي إلى ثمنه من حاجه، ولكني إنما أتوسم الرجال [(6)] ، انظر هل أجد كفؤاً، فإن كانت لك إليّ حاجة فقم، فقال لها:

مكانك [حتى] [(7)] أرجع إليك، فانطلق إلى أهله [(8)] ، فبدأ له [(9)] فواقع أهله، فحملت بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رجع إليها قال: ألا أراك هاهنا؟ قالت: ومن أنت [(10)] ؟ قال: أنا الذي وعدتك، قالت لا: ما أنت هو، ولئن كنت ذاك [(11)]

[(1)] في (خ) : «وقالت شعرا فذكره» ، قالت:
 إني رأيت مخيلة لمعت ... فتألأت بجناتم القطر
 فلماؤها نور يضيء له ... ما حوله كإضاءة البدر
 ورجوته فخرا أبوء به ... ما كل قاذح زنده يورى
 لله ما زهرية سلبت ... ثوبيك ما استلبت وما تدري
 والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : 1/ 131-133 ، حديث رقم (74) ، وابن سعد في (الطبقات) : 1/ 96-97 ، وفيه صدر البيت الثالث هكذا:
 فلماؤها نورا يضيء به

وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) ، و (طبقات ابن سعد) .

[(2)] [السند في (دلائل البيهقي) ، هكذا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا عبد الباقي بن قانع، قال: حدثنا عبد الوارث بن إبراهيم العسكري، قال: حدثنا مسدد، قال: حدثنا مسلمة بن علقمة، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ...

[(3)] في (خ) : «موسم من المواسم» ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

[(4)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «فأظن أنه أعجبها» .

[(5)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «ما أطوف بهذا الأدم وما لي إلى ثمنها حاجة» .

[(6)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «وإنما أتوسم الرجل هل أجد كفؤاً» .

[(7)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(8)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «إلى رحلة» .

[(9)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «فبدأ فواقع أهله» .

[(10)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «فمن كنت؟» .

[(11)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «قال: الذي واعدتك» .

لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن [(1)] .
وله من حديث ابن وهب [(2)] قال: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري قال: كان عبد الله بن عبد المطلب أحسن رجل رأي قط، فخرج [(3)] يوما على نساء قريش وهن مجتمعات، فقالت امرأة منهن: أيتكن تتزوج بهذا الفتى فتصطبّ النور الذي أرى [(4)] بين عينيه؟ فإني أرى بين عينيه نورا، فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة [(5)] ، فحملت بمحمد صلّى الله عليه وسلم [(6)] .
وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق [(7)] : ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله، فمرّ به- فيما يزعمون- على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ فقال:
مع أبي، قالت: لك عندي من الإبل مثل الذي نحرت عنك وقع عليّ الآن، فقال لها: إن معي أبي [الآن] [(8)] ، لا أستطيع خلفه ولا فراقه، ولا أريد أن أعصيه شيئا.

- [(1)] [دلائل البيهقي]: 107-108 .
[(2)] [السند في (دلائل أبي نعيم) هكذا: حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان، قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزهري، قال: ...
[(3)] [كذا في (خ) وفي (أبي نعيم)]: «خرج» .
[(4)] [في (أبي نعيم)]: «النور الذي بين عينيه» .
[(5)] [كذا في (خ) ، وفي (أبي نعيم)]: «بن زهرة فجأة فحملت» .
[(6)] [دلائل النبوة لأبي نعيم]: 133 / 1، حديث رقم (75) ، وهو حديث مرسل، أخرجه أيضا السيوطي في (الخصائص): 104 / 1 قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: ففي ابتغاء اليهود واليهودية وضع هذا النور الذي انتقل إلى آمنة بنت وهب فيها، وذكرهم بني زهرة، وأن هذا الأمر لا يكون فيهم، دلالة واضحة على تقديم الخبر والبشارة بذلك في الكتب السالفة، وما يكون من أمر النبي صلّى الله عليه وسلم وبعثته، كل ذلك آيات واضحة، وبراهين صحيحة لائحة، على نبوته وبعثته صلّى الله عليه وسلم. (المرجع السابق): 133 / 1.
[(7)] [السند في (دلائل البيهقي) هكذا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ... ، وفي (سيرة ابن هشام) بغير سند، وفي (تاريخ الطبري) بغير سند، بل قال:
«فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد» وكذلك قال (البيهقي والمقريزي) .
[(8)] [زيادة للسياق من (دلائل البيهقي)]:

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة- ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا- فزوجه آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا [(1)]

قال: وذكروا أنه دخل عليها حين أملاكها [(2)] مكانه، فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي قالت له ما قالت- وهي أخت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى- وهي في مجلسها، فجلس إليها وقال: مالك لا تعرضين عليّ اليوم مثل الذي عرضت أمس؟.

قالت [(3)] : فارقك [(4)] النور الذي كان فيك، فليس لي بك اليوم حاجة، وكانت فيما زعموا تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل- وكان قد تنصّر واتبع الكتب- يقول: إنه لكائن في هذه الأمة نبي من بني إسماعيل [(5)] ، فقالت في ذلك شعرا فذكره [(6)] ، واسمها أم قتال بنت نوفل بن أسد.

[(1)] [وهي لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي. وأم برة: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي. وأم حبيب بنت أسد: لبرة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن عدي بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر] ما بين الحاصرتين زيادة من (دلائل البيهقي) ، و (ابن هشام) ، و (تاريخ الطبري) .

[(2)] كذا في (خ) ، وفي (الطبري) ، و (ابن هشام) ، وفي (البيهقي) : «ملكها» .

[(3)] كذا في (خ) ، و (ابن هشام) ، وفي (الطبري) ، و (البيهقي) : «فقالت» .

[(4)] في (البيهقي) : «قد فارقك» .

[(5)] (دلائل البيهقي) : 102 / 1 - 104 ، باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب: أبي النبي صلى الله عليه وسلم بآمنة بنت وهب، وحملها برسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعها إياه، (سيرة ابن هشام) . 1 / 292 باب ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب، (تاريخ الطبري) : 243 - 244 .

[(6)] هذا الشعر ذكره البيهقي في (الدلائل) ، حيث قالت أم قتال بنت نوفل بن أسد:

الآن وقد ضيّعت ما كنت قادرا ... عليه وفارقك الذي كان جاءك

غدوت عليّ حافلا قد بذلته ... هناك لغيري فالحقنّ بشانكا

ولا تحسبني اليوم خلوا وليتني ... أصبت جنينا منك يا عبد داركا
ولكن ذاكم صار في آل زهرة ... به يدعم الله البرية ناسكا
وقالت أيضا:
عليك بآل زهرة حيث كانوا ... وآمنة التي حملت غلاما

(42/4)

[()]

ترى المهدي حين ترى عليه ... ونورا قد تقدّمه إماما
وقالت أيضا:

فكل الخلق يرجوه جميعا ... يسود الناس مهتديا إماما

برأه الله من نور صفاء ... فأذهب نوره عنا الظلاما

وذلك صنع ربك إذ حباه ... إذا ما سار يوما أو أقاما

فيهدي أهل مكة بعد كفر ... ويفرض بعد ذلكم الصياما

قال البيهقي: قلت: وهذا الشيء قد سمعته من أخيها في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ويحتمل أن كانت أيضا امرأة عبد الله مع آمنة.

قال الدكتور عبد المعطي قلعجي محقق (دلائل البيهقي) تعليقا على هذا الخبر: خبر غريب

موضوع، لا سند له، ولا منطق يؤيده، ويناقض الأحاديث الصحيحة، تناقلته كتب السيرة بما

دسه عليها أعداء الإسلام، من يهود، وسبيئة، وشانئين، ومنافقين.

1- فرغم ما عرف عن تمسك المؤرخين بالسند، وأن كل الأخبار الصحيحة وردت بالسند القوي

المتواتر، فهذا الخبر ليس له سند، فلا هو بمتصل، ولا بمرفوع، لا، بل نقله (الطبري):

2 / 243، [ابن هشام: 1 / 291]، [البيهقي: 1 / 102]، [المقريزي في النسخة (خ) من

إمتاع الأسماع]، [بقولهم جميعا]: «فيما يزعمون» .

2- إن متنه وما تضمنه من حكاية المرأة التي عرضت الزنا على عبد الله وهو حديث عهد

بزواج، تناقض الأحاديث الصحيحة، من طهارة وشرف نسب الأنبياء، وأن هذه الطهارة، وهذا

الشرف من دلائل نبوتهم،

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة

قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» .

وهذا الحديث في الترمذي ومسنده أحمد،

وأن الله طهره من عهر الجاهلية وأرجاسها، ووالده عبد الله كان صورة طبق الأصل من عبد
المطلب، ولو أمهله الزمن لتولى مناصب الشرف التي كانت بيد عبد المطلب، وكان شعاره الذي
التزمه طيلة حياته:

أما الحرام فالممات دونه

رجل هذا شأنه، هل نطمئن إلى هذه الروايات المزعومة، وأنه بعد أن دخل بزوجته آمنة، عاد فأتى
المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها: «مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنت عرضت عليّ
بالأمس؟» !!.

3- تخبطت الروايات في اسم المرأة، فهي مرة امرأة من خنعم، ومرة أم قتال أخت ورقة ابن
نوفل، ومرة هي ليلى العدوية، ومرة كاهنة من أهل قبالة متهودة، ومرة أنه كان متزوجا بامرأة
أخرى غير آمنة... إلخ هذا التخبط الدال على الكذب، ولماذا اختار الرواة أخت ورقة ابن
نوفل، أو امرأة كانت قد قرأت الكتب؟!.

4- إننا إذا نظرنا إلى الشعر الوارد في هذا الخبر على لسان المرأة، لوجدناه شعرا ركيكا، مزيفا،
مصنوعا، ملفقا، مضطرب القافية، محشورة الكلمات فيه بشكل مصطنع واضح الدلالة على
تلفيقه، وبهذا كله يسقط هذا الخبر الواهي، ويدل على هذا قول ابن إسحاق، والطبري،

(43/4)

قال ابن إسحاق [(1)] : حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: حدثت أنه كان لعبد الله بن
عبد المطلب امرأة مع آمنة بنت وهب [بن عبد مناف] [(2)] ، فمر بامرأته [تلك] [(3)]
وقد أصابه أثر من طين عمل به، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت من أثر الطين.
فدخل فغسل عنه أثر الطين، ثم دخل عامدا إلى آمنة، ثم دعت صاحبتة التي كانت أرادته إلى
نفسها، فأبى [(4)] للذي صنعت به أول مرة، فدخل على آمنة فأصابتها ثم خرج، فدعاها إلى
نفسه فقالت: لا حاجة لي بك، مررت بي وبين عينيك غرة فرجوت أن أصيبها، فدخلت على
آمنة فذهبت بها منك.

قال ابن إسحاق: فحدثت أن امرأته تلك كانت تقول: لمّ بي وإن بين عينيه لنورا مثل الغرة،
ودعوته له رجاء أن يكون لي، فدخل على آمنة فأصابتها فحملت برسول الله صلى الله عليه
وسلم [(5)] .

- [(2)] في (خ) : «فيها هذه» .
- [(3)] في (خ) ، و (المواهب) : حائد، وفي (أبي نعيم) : «عاند» .
- [(4)] كذا في (خ) ، وفي (المواهب) ، و (أبي نعيم) : «خلق مارد» .
- [(5)] زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
- [(6)] في (خ) : «الذي يدني» ، وما أثبتناه من (أبي نعيم) .
- [(7)] كذا في (خ) ، وفي (أبي نعيم) : «لا يطردونه ولا يضرونه» .
- [(8)] زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
- [(9)] ما بين الحاصرتين من (خ) ، وغير موجود في رواية أبي نعيم، وهذا الحديث ذكره أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 136، حديث رقم (78) وقد انفرد به أبو نعيم، وفيه أبو غزيرة محمد بن موسى الأنصاري، وهو ضعيف كما في (ميزان الاعتدال) : 4/ 49، ترجمة رقم (8222) ،

(45/4)

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولِي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد، وكل عبد رائد، يذود عني ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد.

وقال: فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمدا، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء والأرض، واسمه في الفرقان محمد، فسمته بذلك.

فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها، وقد كان هلك أبوه عبد الله وهي حبلى، ويقال: إن عبد الله هلك والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن ثمانية وعشرين شهرا [فالله أعلم أي ذلك كان] [(1)] .

فقالت: قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه، فلما جاءها خبرته خبره وحدثته بما رأت حين حملت به وما قبل لها فيه وما أمرت أن تسميه.

فأخذه عبد المطلب فأدخله على هبل في جوف الكعبة، فقام عبد المطلب يدعو الله ويتشكر لله [عز وجل] [(2)] الذي أعطاه إياه، فقال:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان [(3)]

قد ساد في المههد على الغلمان ... أعيذه بالله [(4)] ذي الأركان

- [()] قال البخاري: عنده مناكر، وقال ابن حبان كان يسرق الحديث، ويروي عن الثقات الموضوعات، وقال أبو حاتم: ضعيف، ووثقه الحاكم. مات سنة سبع ومائتين.
- ومن قوله: «أعيذه بالواحد ... إلى آخر الأبيات» كما في (المواهب) أو إلى قوله: «طرق الموارد» كما في (خ) ، قال عنه الحافظ عبد الرحيم العراقي: هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير، وجعلها من حديث ابن عباس، ولا أصل لها، قال الشامي: وسنده واه جدا، وإنما ذكرته لأنبه عليه لشهرته في كتب الموالييد. (المواهب اللدنية) 1/ 120-121.
- [(1)] زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
- [(2)] زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
- [(3)] الأردان: جمع ردن، وهو أصل الكم، وذلك كناية عن العفة والطهارة.
- [(4)] في (البداية والنهاية) : «بالبيت ذي الأركان» ، وفي (خ) ، و (صفة الصفوة) ، و (ابن سعد) : «بالله ذي الأركان» .

(46/4)

حتى يكون بلغة الفتیان ... حتى أراه بالغ البنیان
أعيذه من كل ذي شنن [(1)] ... من حاسد من مضطرب العنان
ذي همدة ليس له عينان ... حتى أراه رافع اللسان
أنت الذي سميت في الفرقان ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على اللسان [(2)]
[ويقال: إنه أتاها في منامها حين مرّ بها من حملها ثلاثة أشهر] .
وخرج أبو نعيم من حديث أبي بكر بن أبي مریم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه عن كعب الأحبار في صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ابن عباس: وكان من دلالات حمل محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها.
ولم يبق كاهنة في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبته، وانتزع علم الكهانة منها، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا، والملك مخرسا لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا في

كل شهر من شهوره نداء [(3)] في الأرض ونداء [(3)] في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا.

قال: وبقي في بطن أمة تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا ريحا ولا مغصا ولا ما يعرض للنساء من أداء الحمل.

وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمة فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا! بقي

[(1)] الشنآن: البغض.

[(2)] وردت هذه الأبيات بسياقات مختلفة، في بعضها تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، وما أثبتناه ما رواه ابن كثير في (البداية والنهاية) ، فهو أتم الروايات وأصحها، والخبر ورد في: (دلائل البيهقي) :

111 / 1 - 112 ، و (صفة الصفوة) : 1 / 25 - 26 ، و (سيرة ابن هشام) : 1 / 296 ، و (طبقات ابن سعد) : 1 / 103 ، و (البداية والنهاية) : 2 / 224 ، راجع (امتناع الأسماع) : 8 / 1 ، بتحقيقنا.

[(3)] في (خ) : «نداء» ، والتصويب من (المواهب اللدنية) .

(47/4)

نيك هذا يتيما، فقال الله للملائكة: أنا له وليّ وحافظ ونصير، وتباركوا بمولده، فمولده ميمون مبارك، وفتح الله تعالى لمولده أبواب السماء وجنانه.

فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مرّ بي من حملي ستة أشهر، فوكزني برجله في المنام وقال لي: يا آمنة، إنك قد حملت بخير العالمين طرّا، فإذا ولدته فسميه محمدا، واكتمي شأنك.

قال: فكانت تحدث عن نفاسها وتقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم، ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل - وعبد المطلب في طوافه - قالت: فسمعت رجّة شديدة وأمرأ عظيما فهالني، وذلك يوم الاثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني كل رعب وكل فرع ووجع كنت أجد.

ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا - وكنت عطشى - فتناولتها فشربتها، فأضاء مني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً [(1)] ، كأنهن من بنات عبد مناف يمدقن بي، فبينما أنا أعجب وأقول: وا غوثاه، من أين علمن بي هؤلاء، واشتد الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة

أعظم وأهول، فإذا أنا بديباج قد مدّ بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس.

قالت: ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة، وأنا أرشح عرقا كالجمان، أطيب ريحا من المسك الأذفر وأقول: يا ليت عبد المطلب قد دخل عليّ وعبد المطلب نائي.
قالت: فرأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من البواقيت، فكشف الله لي عن بصري، فأبصرت ساعتى تلك مشارق الأرض ومغارها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات:
علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض واشتد بي الأمر جدا، فكنت كأني مستندة إلى أركان النساء، وكثرن عليّ حتى لا أرى

[(1)] في (خ) : «الطول» ، وما أثبتناه من (المواهب اللدنية) .

(48/4)

معي في البيت أحدا وأنا لا أرى شيئا، فولدت محمدا صلّى الله عليه وسلم.
فلما خرج من بطني نظرت إليه فإذا أنا به ساجدا قد رفع إصبعيه كالمترضع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيتها، فغيب عن وجهي، فسمعت مناديا ينادي ويقول: طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها، وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلمون أنه سمي الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به في زمنه.
ثم تجلت عنه في أسرع وقت، فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض، أشد بياضا من اللبن، وتحتة حبرة خضراء، قد قبض محمد صلّى الله عليه وسلم على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة.
ثم أقبلت سحابة أخرى أعظم من الأولى ونور، يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة من كل مكان، وكلام الرجال، حتى غشيتها فغيب عني أطول وأكثر من المرة الأولى، فسمعت مناديا ينادي [و] يقول: طوفوا بمحمد الشرق والغرب على مواليد النبيين، واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والطير والسباع، وأعطوه صفاء آدم، ورقة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، وصبر يعقوب، وجمال يوسف، وصوت داود، [وصبر أيوب] ، وزهد يحيى، وكرم عيسى، واعمره في أخلاق الأنبياء.

ثم تجلت عنه في أسرع من طرف العين، فإذا به قد قبض على حريرة خضراء، مطوية طيا شديدا،

ينبع من تلك الحريرة ماء معين، وإذا قائل يقول: بخ بخ، قبض محمد على الدنيا كلها، لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته طائعا بإذن الله تعالى، ولا قوة إلا بالله.

قالت آمنة: فيينا أنا أتعجب وإذا بثلاثة نفر - ظننت بأن الشمس تطلع من خلال وجوههم - في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي ذلك الإبريق ريح المسك، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر، عليها أربعة نواحي كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء، وإذا قائل يقول: هذه الدنيا شرقها وغربها وبرها وبحرها، فاقبض

(49/4)

يا حبيب الله على [آية] ناحية شئت.

قالت: فدرت لأنظر أين قبض من الطست، فإذا هو قد قبض على وسطها، فسمعت القائل يقول: قبض على الكعبة ورب الكعبة، أما إن الله قد جعلها له قبلة ومسكنا مباركا، ورأيت في يد الثالث حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا فنشرها، فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه، ثم حمل ابني فناوله صاحب الطست وأنا انظر إليه، فغسله بذلك الإبريق سبع مرات، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ختما واحدا ولفه في الحريرة، واستدار عليه خطا من المسك الأذفر، ثم حملة فأدخله بين أجنحته ساعة.

قال ابن عباس: كان ذلك رضوان خازن الجنان، وقال في أذنه كلاما كثيرا لم أفهمه، وقبل بين عينيه وقال: أبشر يا محمد، فما بقي لنبي علم إلا أعطيته، فأنت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا، معك مفاتيح النصر، وقد ألبست الخوف والرعب، ولا يسمع أحد بذكرك إلا وجل في فؤاده، وخاف قلبه، وإن لم يرك يا حبيب الله.

قالت: ثم رأيت رجلا قد أقبل نحوه حتى وضع فاه على فيه، فجعل يرفقه كما ترق الحمامة فرخها، فكنت انظر إلى ابني يشير بإصبعه يقول: زدني زدني، فرقه ساعة ثم قال: أبشر يا حبيبي، فما بقي لنبي حلم إلا وقد أوتيته.

ثم احتمله فغيبه عني، فجزع فؤادي وذهل قلبي، فقلت: ويح لقريش والويح لها! ماتت كلها، أنا في ليلتي وفي ولادتي، أرى ما أرى، ويصنع بي ما يصنع ولا يقربني أحد من قومي، إن هذا هو أعجب العجب.

قالت: فيينا أنا كذلك إذ أنا به قد ردّ عليّ كالبدن، ويرجحه يسطح كالمسك وهو يقول: خذيه، فقد طافوا به الشرق والغرب على مواليد الأنبياء أجمعين، والساعة كان عند أبيه آدم فضمه إليه، وقبله بين عينيه، وقال: أبشر حبيبي، فأنت سيد الأولين والآخرين، ومضى، وجعل يلتفت

ويقول: أبشر يا عزّ الدنيا وشرف الآخرة، فقد استمسكت بالعروة الوثقى، فمن قال بمقاتلك وشهد بشهادتك حشر غدا يوم القيامة تحت لوائك وفي زمرك، وناولنيه ومضى، ولم

(50/4)

أره بعد تلك المرة.

قال كاتبة: هكذا أورد الحافظ أبو نعيم هذا الحديث، وأن الوضع يلوح عليه [(1)] !

[(1)] وأورده القسطلاني في (المواهب) تحت عنوان: «حديث شديد الضعف في حمله صلّى الله عليه وسلم»، وتحت عنوان: «أحاديث مطعون فيها ومنكره في الموالد». (المواهب اللدنية) : 1/ 121، 124 - 126، وقال في آخره: ورواه أبو نعيم عن ابن عباس، وفيه نكارة.

(51/4)

وأما دنوّ النجوم منها عند ولادته وخروج النور منها فخرج الحافظ أبو نعيم [(1)] وأبو بكر البيهقي [(2)] من حديث يعقوب بن محمد الزهري قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال: حدثني عبد العزيز بن عمر ابن عبد الرحمن بن عوف قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان عن ابن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص قال: أخبرني أمي أنها حضرت آمنة أم النبي صلّى الله عليه وسلم لما ضربها المخاض، [قلت] [(3)] : فجعلت انظر إلى النجوم [تدلى] [(3)] حتى قلت: لتقعن عليّ، فلما وضعت خرج منها نور أضاء له البيت والدار، حتى جعلت لا أرى إلا [نورا] [(3)] . قال كاتبة: سند هذا الحديث واه جدا، فيعقوب [(4)] وإن كان حافظا فقد

[(1)] سند (أبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن عمر الخلال المكيّ، قال: حدثنا محمد بن منصور قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال:

حدثني عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان، عن أبي سويد الثقفي، عن عثمان بن أبي العاص، قال: ...

[(2)] وسند (البيهقي) : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل،

قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو بشر مبشر بن الحسن، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن ابن أبي سويد الثقفي، عن عثمان بن أبي العاص، قال:.... [(3)] زيادات للسياق من (أبي نعيم) ، وأما رواية (البيهقي) :

حدثني أُمِّي: أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليلة ولدته. قالت: فما شيء انظر إليه في البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن عليّ.

والحديث ذكره أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 135، حديث رقم (76) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : 1/ 111، رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) : 8/ 220، وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك، والسيوطي في (الخصائص) : 1/ 113.

[(4)] يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو يوسف المدني نزيل بغداد. قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ليس بشيء، ليس يسوى شيئاً. وقال أحمد بن سنان القطان عن ابن معين: ما حدثكم عن الثقات فآكته، وما لا يعرف من الشيوخ فدعوه. وقال

(52/4)

ضعفه أحمد وأبو زرعة وابن معين وعبد العزيز بن عمران [(1)] ، قال ابن معين: وتكلم فيه البخاري والنسائي.

ولأبي نعيم من حديث ابن هبيرة قال: حدثني عمارة بن غزيرة عن سعد بن عبيد بن إبراهيم مولى الزبير، أنه حدثه عن عطاء بن عبيد عن آمنة بنت وهب - أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالت: لقد رأيت ليلة وضعتها نورا أضواء له قصور الشام حتى رأيتها.

ورواه عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمارة بن غزيرة عن سعيد بن عبيد عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة بنت وهب، فجوده الدراوردي عن عمارة [(2)] .

ومن حديث أبي غزيرة محمد بن موسى عن أبي عثمان سعيد بن زيد الأنصاري عن ابن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسترضعا في بني سعد بن بكر فقالت أمه آمنة لمرضعته: انظري ابني هذا! فسلي عنه، فإني رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب أضواء له الأرض كلها حتى رأيت قصور الشام، فسلي عنه [(3)] .

[()] الآجري: عن أبي داود سمعت الدقيقي يقول: سألت ابن معين عنه فقال: إذا حدثكم عن الثقات.

وقال أبو زرعة: واهي الحديث. (تهذيب التهذيب) : 11 / 347-348، ترجمة رقم (665) .
[(1)] عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني الأعرج، المعروف بابن أبي ثابت. قال معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين: كان صاحب نسب، ولم يكن من أصحاب الحديث. وقال عثمان الدارمي عن يحيى: ليس بثقة، إنما كان صاحب شعر. وقال الحسين ابن حبان عن يحيى: قد رأيت به بغداد كان يشتم الناس ويطعن في أحسابهم، وليس حديثه بشيء.

وقال البخاري: منكر الحديث، لا يكتب حديثه.

وقال النسائي: متروك الحديث، وقال مرة: لا يكتب حديثه، وقال ابن حبان: يروى المناكر عن المشاهير. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا، قيل له: يكتب حديثه، قال: على الاعتبار وقال ابن أبي حاتم: امتنع أبو زرعة من قراءة حديثه وترك الرواية عنه. وقال الترمذي والدارقطني: ضعيف. وقال عمر بن شبة في (أخبار المدينة): كان كثير الغلط في حديثه، لأنه احترقت كتبه، فكان يحدث منه حفظه. (المرجع السابق) : 6 / 312-313، ترجمة رقم (674) .

[(2)] [طبقات ابن سعد) : 1 / 102، (دلائل أبي نعيم) : 1 / 137، حديث رقم (79) .
[(3)] [المرجع السابق ضمن الحديث السابق رقم (79) ، وهو حديث طويل وقال فيه: «كأنه خرج مني» ، وفي (خ) «خرج من فرجي» .

(53/4)

وله من حديث أبي اليمان الحكم بن نافع قال: حدثنا أبو بكر بن مريم عن سعيد بن سويد عن العرياض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات النبيين يرين [(1)] .

ورواه معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين، وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم [رأت]

حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام [(1)] .

ومن حديث الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الفرغ ابن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا نبي الله! ما كان بدؤ أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج عنها نور أضاءت منه قصور الشام [(1)] .

[(1)] [المواهب اللدنية: 1/ 127، (مسند أحمد): 5/ 110-111، من حديث العرياض بن سارية، حديث رقم (16700)، حديث رقم (16701)، (المستدرک): 2/ 253، حديث رقم (703/2566)، وقال في آخره: ثم تلا: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب: 45، 46]، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبي في (التلخيص): صحيح، (المرجع السابق)، ص 656، حديث رقم (184/4174)، وقال عنه الذهبي في (التلخيص): صحيح. (سيرة ابن هشام): 1/ 293، (الإحسان): 14/ 312-313، كتاب التاريخ، باب صفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخباره، حديث رقم (6404)، (دلائل البيهقي): 1/ 80-82، باب ذكر مولد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والآيات التي ظهرت عند ولادته وقبلها وبعدها، (المرجع السابق): 2/ 130، جماع أبواب المبعث، باب الوقت الذي كتب فيه محمد نبيا.

(54/4)

وأما انفلاق البرمة عنه

فخرج البيهقي من حديث أبي صالح عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية ابن صالح عن أبي الحكم التنوخي قال: كان المولود إذا ولد من قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصباح فيكفين عليه برمة، فلما ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفعه عبد المطلب إلى نسوة يكفين عليه برمة، فلما أصبح [أتين] [(1)] فوجدن [(2)] البرمة قد انفلقت فلقنت [(3)]، ووجدنه [(3)] مفتوح العينين شاخصا ببصره إلى السماء، فأتاهن عبد المطلب فقلن له: ما رأينا مولودا مثله، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحا عينيه [(4)]، شاخصا ببصره إلى السماء فقال: احفظنه، فإني أرجو أن يصيب خيرا. فلما كان يوم السابع ذبح عنه، ودعا له قريشا، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب! رأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ما سميتته؟ قال: سميتته محمدا، قالوا:

فلم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض [(5)] .

وخرج أبو نعيم من حديث إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: كان عهد الجاهلية إذا ولد لهم المولود من تحت الليل رموه تحت الإناء فلا ينظرون إليه حتى يصبحوا، فلما ولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرحوه تحت البرمة، فلما أصبحوا اشتغلوا بأمه، فلما أتوا البرمة إذا هي قد انفلقت ثنتين، وعيناه إلى السماء، فعجبوا من ذلك، فأرسلوا إلى جده وهو حيّ فجاء فنظر

[(1)] زيادة للسياق من رواية (البيهقي) .

[(2)] في (خ) : «وجدن» .

[(3)] كذا في (خ) ، وفي (البيهقي) : «باثنتين» ، «فوجدنه» .

[(4)] في بعض النسخ: «مفتوح العينين» .

[(5)] [دلائل النبوة للبيهقي] : 1 / 113 ، ونقله ابن كثير في (البداية والنهاية) ، عن (تهذيب تاريخ ابن عساکر) ، وابن الجوزي في (صفة الصفوة) : 1 / 25 والبرمة: قدر من الحجر .

(55/4)

فعجب منه وقال: ادفعوا ابني هذا فإنه منّا، ودفع إلى امرأة من بني بكر ترضعه، فلما أرضعته دخل عليها الخير من كل جانب، وكان لها شويهاة [عجاف] فبارك الله فيها فنمت وزادت زيادة حسنه.

ومن حديث الصلت بن محمد أبي همام قال: حدثنا مسلمة بن علقمة، حدثنا داود بن أبي هند قال: توفي أبو النبي عليه السلام وأمه حبلى به، فلما وضعت نارت الطراب [(1)] لوضعه، واتقى الأرض بكفيه حين وقع، وأصبح يتأمل السماء بعينيه، وكفتوا [(2)] عليه برمة ضخمة فانفلقت عنه فلقطين [(3)] .

[(1)] الطراب: الروابي.

[(2)] في (خ) : «وكفوا» .

[(3)] [دلائل أبي نعيم] : 1 / 138 ، حديث رقم (80) .

(56/4)

وأما ولادته محتونا مسرورا

- فخرج البيهقي من حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد
المطلب رضي الله تعالى عنه قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم محتونا مسرورا، [قال]]
(1) [فأعجب جده عبد المطلب، وحظي عنده وقال: ليكونن لا بني هذا شأن، فكان له شأن
(2)] .
- ولأبي نعيم من حديث الحسن بن عرفة قال: حدثنا هشيم [(3)] بن بشير عن يونس [(4)]
بن عبيد عن الحسن [عن أنس بن مالك] [(5)] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من
كرامتي على ربي أبي ولدت محتونا ولم ير أحد سوائي [(6)] .
- وله من حديث علي بن محمد المدائني قال: حدثنا سلمة [(7)] بن محارب [بن سلم] [(8)]
[بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة، أن جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه]
(9)] .

- (1) [زيادة للسياق من رواية (البيهقي) .
- (2) [(دلائل البيهقي) : 1/ 114، و (طبقات ابن سعد) : 1/ 103.
- (3) [في (خ) : «هيشم» .
- (4) [في (خ) : «موسى» .
- (5) [في (خ) : الحسن بن مالك.
- (6) [(دلائل أبي نعيم) : 1/ 154، حديث رقم (91) ، بيان رضاعه وفصاله وأنه ولد محتونا
مسرورا صلى الله عليه وسلم، والمسرور: مقطوع السرة.
- (7) [في (خ) : «مسلمة» .
- (8) [زيادة للنسب من (دلائل أبي نعيم) .
- (9) [(دلائل أبي نعيم) : 1/ 155 / حديث رقم (93) .
- قال القسطلاني في (المواهب) : قال الحاكم في (المستدرک) : تواترات الأخبار أنه صلى الله عليه
وسلم ولد محتونا. وتعقبه الحافظ الذهبي فقال: ما أعلم صحة لذلك، فكيف يكون متواترا؟
وأجيب: باحتمال أن يكون أراد بتواتر الاخبار اشتهاها وكثرتها في السير، لا من طريق السند
المصطلح عليه عند أئمة الحديث.

وأما استبشار الملائكة وتناول الجبال وارتفاع البحار وتنكيس الأصنام وحجب الكهان ونحو ذلك

فخرج أبو نعيم من حديث أبي أحمد الزبيري قال: حدثنا سعيد بن محمد المدني عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال: لما حضرت الولادة آمنة قال الله لملائكته: افتحوا أبواب السماء كلها، وأمر الله الملائكة بالحضور، فنزلت تبشر بعضها بعضا، وتناولت جبال الدنيا، وارتفعت البحار وتناثر أهلها، فلم يبق ملك إلا حضر.

[()] وقد حكى الحافظ زين الدين العراقي، أن الكمال بن العديم ضَعَفَ أحاديث كونه ولد محتونا، وقال إنه لا يثبت في هذا شيء من ذلك. وأقره عليه، وبه صرح ابن القيم في (الهدى النبوي) ثم قال: ليس من خصائصه، إن كثيرا من الناس ولد محتونا.

ويحكي الحافظ ابن حجر أن العرب تزعم أن الغلام إذا ولد في القمر، فسحت قلفته - أي اتسعت - فيصير كالمختون.

وفي (الوشاح) لابن دريد: قال ابن الكلبي: بلغني أن آدم خلق محتونا، واثني عشر نبيا من بعده خلقوا محتونين، آخرهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم: شيث، وإدريس، ونوح، وسام، ولوط، ويوسف، وموسى، وسليمان، وشعيب، ويحيى، وهود، وصالح صلوات الله عليهم أجمعين. وفي هذه العبارة تجوز، لأن الختان هو القطع، وهو غير ظاهر، لأن الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع، فيحمل الكلام باعتباره أنه على صفة المقطوع. الخلاصة في ختانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وقد حصل من الاختلاف في ختانه على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ولد محتونا كما تقدم.

الثاني: أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمدا. رواه الوليد ابن مسلم بسنده إلى ابن عباس، وحكاه ابن عبد البر في (التمهيد).

الثالث: أنه ختن عند حليلة، كما ذكره ابن القيم، والدمياطي إن جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه.

وكذا أخرجه الطبراني في (الأوسط)، وأبو نعيم من حديث أبي بكر. قال الذهبي وهذا منكر. (المواهب اللدنية) 1/ 133-136. وللقسطلاني في المرجع السابق بحث في فقه الختان ص 136-138 وهو بحث نفيس، فليراجع هناك.

وأخذ الشيطان فغلّ سبعين غلا، وألقى منكوسا في لجة البحر الخضراء، وغلّت الشياطين والمردة، وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما، وأقمن على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرن ولاده محمد صلّى الله عليه وسلم.

وكان قد أذن الله ملك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لأحمد، وأن لا تبقى شجرة إلا حملت، ولا خوف إلا عاد أمنا.

فلما ولد النبي صلّى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا، وتباشرت الملائكة وضرب في كل سماء عمود من زبرجد، وعمود من ياقوت، وقد استنار به، وهي معروفة في السماء، قد رآها النبي صلّى الله عليه وسلم ليلة أسرى به، قيل: ما ضرب استبشارا بولادتك.

وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطئ الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر، وجعلت ثمارها بخور أهل الجنة، وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة.

ونكست الأصنام كلها، وأما اللات والعزى فإنهما أخرجتا من خزانتها وهما يقولان: ويح قريش، جاءهم الأمين، جاءهم الصديق، لا تعلم قريش ماذا أصابها.

وأما البيت: فسمعوا أياما من جوفه صوتا وهو يقول: الآن يرد عليّ نوري ... الآن يجيني زوّاري ... الآن أطهر من أنجاس الجاهلية.. أيتها العزى هلكت.

قال: ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام بلياليها، وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

قال كاتبة: هكذا أورد الحافظ أبو نعيم هذا الحديث، وهو من تلفيق القصص وتنميقهم، وحكى أبو الربيع بن سالم الكلاعي أن تقي بن مخلد ذكر في تفسيره أن إبليس رنّ أربع رنات: رنة حين لعن، ورنّة حين أهبط، ورنّة حين ولد النبي صلّى الله عليه وسلم، ورنّة حين أنزلت فاتحة الكتاب.

(59/4)

وأما ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته وحمود نار فارس ورؤيا المؤيدان فخرج الحافظ أبو نعيم وأبو بكر البيهقي - والسياق للبيهقي - من حديث علي ابن حرب قال: حدثنا أبو أيوب يعلي بن عمران البجلي، حدثنا مخزوم بن هانئ المخزومي [(1)] عن أبيه وأتت عليه خمسون ومائة سنة قال: لما كانت الليلة [(2)] التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى - [هو كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز] [(3)] - وسقطت منه أربع عشرة شرفة [(4)] ، وخدمت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى المؤيدان. إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها [(5)]

، فلما أصبح كسرى أفرغه ذلك [(6)] وتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أن لا يدخر [(7)] ذاك عن وزرائه ومرازيته [حين عيل صبره، فجمعهم] [(8)] لبس تاجه، وقعد على سيره، ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيما بعثت لكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك بذلك، فبينما هم كذلك إذ أتاه كتاب بجمود نار فارس، فازداد غما إلى غمه، ثم أخبرهم بما هاله، فقال الموبدان: وأنا- أصلح الله الملك- قد رأيت في هذه الليلة، ثم قص عليه رؤياه في الإبل، قال: أي نبي [(9)] يكون هذا يا موبدان؟ وكان أعلمهم في أنفسهم، قال: يحدث من [(10)] ناحية العرب، فكتب كسرى عند ذلك:

[(1)] في (خ) : «المخزوم» .

[(2)] في (دلائل البيهقي) : «لما كانت ليلة ولد فيها» ، وقال محقق (دلائل أبي نعيم) : «لعل الصواب «لما كانت الليلة التي...» ، وهي رواية النسخة (خ) ، وأيضا رواية (دلائل البيهقي) .

[(3)] زيادة من (خ) .

[(4)] في (أبي نعيم) : «شرافة» .

[(5)] في (أبي نعيم) : «في بلاده» .

[(6)] في (أبي نعيم) : «أفرغه ما رأى» .

[(7)] في (خ) : «يكتم» .

[(8)] ما بين الحاصرتين في (خ) ، و (دلائل البيهقي) وليس في دلائل أبي نعيم، والمرازبة: جمع مرزبان، وهو دون الملك في المرتبة.

[(9)] في (دلائل البيهقي) : «أي شيء» .

[(10)] في (دلائل البيهقي) : «حدث يكون» .

(60/4)

«من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر، أما بعد فوجه إليّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه» ، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقبيلة الغساني، فلما قدم عليه قال الملك: ألك علم أخبرته، وإلا دللته على من يعلمه، قال: فأخبره بما رأى. قال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطیح، قال: فاذهب إليه فاسأله وائتني بتأويل ما عنده، فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطیح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وحياه، فلم يجد جوابا، فأنشد عبد المسيح يقول:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن ... أم فاد فازمّ به شأو العنن
يا فأصل الخطلة أعيت من ومن ... وكاشف الكربة عن وجه غضن
أتاك شيخ الحي من آل سنن ... وأمه من آل ذئب بن حجن
أزرق بهم الناب صوّار الأذن ... أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسرى بالرّسن ... لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة شزن ... ترفعني وجنا [(1)] وتّوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والقطن ... تلفه في الريح بوعاء الدّمن
كأنما حثّث من حضني تكن

[قال] [(2)] : ففتح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جمل مسيح، جاء إلى سطيح، وقد أوفى
على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلا
صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، [يا] [(2)] عبد المسيح! إذا
كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وخدمت نار فارس وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة
ساوة، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو
آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه، فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

[(1)] في (خ) : «وجن» ، وفي سائر النسخ: «وجنا» .

[(2)] زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(61/4)

شمرّ فإنك ماضي الهم شمير ... لا يفزعنك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم ... فإن ذا الدهر أطوار دهارير [(1)]
فرمّا ربّما أضحوا بمنزلة ... يهاب صوهم [(2)] الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته ... والمهرمان وسابور وسابور
والناس أولاد علّات فمن علموا ... أن قد أقلّ فمحقوق ومهجور
وهم بنو الأمّ أما إن رأوا نشبا ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشّرّ مقرونان في قرن ... فالخير متّبِع والشّرّ محذور
فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا

كانت أمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، والباقون إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه [(3)] .

-
- [(1)] في (دلائل البيهقي) : «فإن ذلك أطوار دهاير» .
- [(2)] في (دلائل البيهقي) : «صولتها» .
- [(3)] هذا الخبر أورده كل من:
- الطبري في (التاريخ) : 2 / 166 - 168 .
- الذهبي في (تاريخ الإسلام) : 2 / 35 - 38، وقال: هذا حديث منكر غريب.
- البيهقي في (الدلائل) : 1 / 126 - 129 .
- ابن سيد الناس في (عيون الأثر) : 1 / 28 - 29 .
- ابن عبد ربه في (العقد الفريد) : 1 / 293 - 295 .
- أبو نعيم في (الدلائل) : 1 / 139 - 141، حديث رقم (82) .
- ابن كثير في (البداية والنهاية) : 2 / 327 - 329، وقال: أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة، ولم أره بإسناد أصلا.
- معاني مفردات الأبيات:
- شأو العنن: يريد الموت وما عنّ منه.
- وفاد: مات، يقال منه: فاد يفود.
- صرار الأذن: صرّها: نصبها وسوّاها.
- قيل: ملك.
- علنداة: القوية من النوق.
- شزن: تمشي من نشاطها على جانب.
- الوجن: الأرض الصلبة ذات الحجارة.
- ثكن: اسم جبل بالحجاز.
- الجمّاجي: جمع جمّوجو، وهو الصدر.

(62/4)

وأما صرف أصحاب الفيل عن مكة المكرمة
فقد قال الله جل جلاله في كتابه لنبيه صلّى الله عليه وسلم - وقريش بأجمعها تسمعه، والعرب

شاهدة له، والحرب بينهم راکدة، والتكذيب منهم ظاهر-: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
 الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ *
 فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ [(1)] ، فلولا أن قصة الفيل كانت عندهم كالعيان، وكان العهد
 قريبا، والأمر مشهورا مستفيضا، لاحتجوا فيه بغاية الاحتجاج، والقوم في غاية العداوة والإرصاد،
 وفي غاية المباينة والتكذيب، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا [(2)] ،
 وقال: بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ [(3)] ، وقال: فَإِذَا ذَهَبَ الْحَافِرُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ [(4)]
 ، وقال: وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّرْزُولِ مِنْهُ الْجِبَالُ [(5)] .
 قوله: أَلَمْ تَرَ: قال الفراء: ألم تخبر، وقال ابن عباس: ألم تسمع، وهو استفهام معناه التقرير،
 والخطاب للرسول ولكنه عام، ومعناه: ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل؟ وكيدهم: هو ما أرادوا
 من تخريب الكعبة، في تضليل: أي في ذهاب.
 والمعنى: أن كيدهم ضل عما قصدوا له، فلم يصلوا إلى مرادهم. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا: أي وأرسل
 الرب عليهم، وهذا عطف على معنى أَلَمْ يَجْعَلْ لا على لفظه.

[()] القطن: أصل ذنب الطائر، وأسفل الظهر من الإنسان، ومنه: [الفقرات القطنية].

البوغاء: التراب الناعم.

الدمن: ما تدمن منه، أي: تجتمع وتلبّد.

وقد ورد هذا الخبر في المراجع السابقة بسياقات مختلفة، في بعضها تقديم وتأخير واختلاف يسير
 في عدد الأبيات.

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، محقق كتاب (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) ، في المقدمة
 ص 18: «فهذا الحديث ليس بصحيح، ولا يجوز قوله ولا إنشاده، ويزيده منعا أنه يتعلق بشأن
 من شئون النبي صلى الله عليه وسلم، وبأمور خارقة للعادة، ولا يغرّك ذكر بعض العلماء له في
 كتب السيرة أو التاريخ» ، وله في ذلك بحث طويل فليراجع هناك.

[(1)] سورة الفيل كلها.

[(2)] مريم: 97.

[(3)] الزخرف: 58.

[(4)] الأحزاب: 19.

[(5)] إبراهيم: 46.

وقال ابن مسعود: الأبايل: المتفرقة من هاهنا وهاهنا، وتبعه عليه الأخفش.
وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: هي التي يتبع بعضها بعضا.
وقال الحسن وطاووس: هي الكثيرة.
وقال عطاء وأبو صالح وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج: إنها الجمع بعد الجمع، والأبايل: جماعات في تفرقة.

وقال زيد بن أسلم: هي المختلفة الألوان.
وقوله: تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، قيل: حجارة من طين، وقال عبد الرحمن بن أبيزى [(1)] :
من سجيل، من السماء، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط.
وقيل: من الجحيم، وهي سجين. وقال الزجاج: من سجيل، أي مما يكتب عليهم أن يعذبوا به، وهو مشتق من السجل الذي هو الكتاب، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ: أي فجعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل ويس وتفرقت أجزاءه.
وقال عكرمة: فصاروا كالحب إذا أكله الدود فصار أجوف.
وقال ابن عباس: المراد به قشر البر، يعني الغلاف الذي يكون فوق حبة البر.
ويروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما [في] جوفه، فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة.

ثم قال تعالى لِإِبِلَافٍ قُرَيْشٍ [(2)] ، أي فعل ذلك ليؤلف قريشا رحلي

[(1)] هو عبد الرحمن بن أبيزى الخزاعي، له صحبه، ورواية، وفقه، وعلم.
قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم (817) ، في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه: «إن هذا القرآن يرفع الله به أقواما، ويضع به آخرين» ، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: ابن أبيزى رفعه الله بالقرآن.
(طبقات ابن سعد) : 6 / 63 ، (الجرح والتعديل) : 5 / 209 ، (التاريخ الكبير) : 5 / 245 ،
(تهذيب الأسماء واللغات) : 1 / 1 / 293 ، (الاستيعاب) : 2 / 822 ، ترجمة رقم (1388) ،
(سير أعلام النبلاء) : 3 / 201 - 202 ، (تهذيب التهذيب) : 6 / 121 ، ترجمة رقم (277) .
[(2)] قريش: 1.

الشتاء والصيف اللتين بما تعبشهم ومقامهم بمكة، تقول: ألفت موضع كذا إذا لزمته وآلفنيه كما تقول: لزمت موضع كذا وألزمنيه الله.

وكرر لإيلاف كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانتته عن كل الناس، فيكرر الكلام للتوكيد.

ثم أمرهم بالشكر فقال: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ [(1)] في هذا الموضع الجذب من الجوع، وَأَمَّنَّهُمْ فِيهِ وَالنَّاسِ يَتَخَطَفُونَ حَوْلَهُ مِنْ خَوْفٍ وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ: وقصة أصحاب الفيل من أشهر القصص، قد نطق القرآن بها [(2)] ، ورويت الأشعار فيها [(3)] ، ولم يختلف أحد فيها، لا مشرك ولا موحد، وصارت هذه القصة في جملة القصص التي لا يمكن إنكارها، وذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فدل ظاهر الحال على أن صرف الله تعالى أصحاب الفيل عن قصدهم في تخريب الكعبة دلالة على تقوية أمر الحج، وتأيد لمن [هو] قائم به، ويدعي أنه شريعة له، فصار أمر الفيل لهذا المعنى بشارة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحقيقا لشريعته، وتأيدا لدعوته ولله الحمد.

[(1)] قريش: 3-4.

[(2)] في (دلائل أبي نعيم) : 1/ 143: «نطق بها القرآن» .

[(3)] هؤلاء الشعراء هم:

- [1] عبد الله بن الزبير بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم، وله خمسة أبيات.
 - [2] أبو قيس: صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس، وله ستة أبيات ثم خمسة أبيات آخر.
 - [3] طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب، وله بيتان.
 - [4] أبو الصلت بن ربيعة بن وهب بن علاج، وله ثمانية أبيات.
 - [5] الفرزدق، واسمه همام بن غالب، أحد بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم، وله خمسة أبيات.
 - [6] عبد الله بن قيس الرقيات، أحد بني عامر بن لؤي بن غالب، وله ثلاثة أبيات.
- وهذه الأشعار ذكرها ابن إسحاق في السيرة، انظر: (سيرة ابن هشام) : 1/ 176-181، «ما قيل في قصة الفيل من الشعر» ، وابن كثير في (التفسير) : 4/ 586-591، تفسير سورة الفيل.

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل

وكان مبعثه بعد الفيل بأربعين سنة، حتى أن قباث بن أشيم [(1)] وعائشة رضي الله تعالى عنهم يذكرون من أمر الفيل وسائقه وقائده، فذكروا من أمر حديث محمد ابن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا زكريا بن يحيى الكنائي، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد عن جده قال: دخل قباث بن أشيم أخو بني المليح على مروان بن الحكم - وقباث يومئذ أكبر العرب - فقال له مروان: أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أقدم منه بعشرين سنة، قال: فما أبعد ذكرك؟ قال: أذكر حتى الفيل [(2)] .

ومن حديث أبي الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباط بن أشيم الليثي: يا قباث! أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله أكبر مني وأنا أسن منه، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وتنبأ على رأس أربعين من الفيل، ووقفت بي أمني على روث الفيل محيلاً أعقله [(2)] .

ومن طريق محمد بن إسحاق عن عبد المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وسأل عثمان بن عفان

[(1)] هو قباث بن أشيم بن عامر بن الملوّح بن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة الليثي، هذا هو المشهور في نسبه، وقيل: هو تميمي، وقيل: كندي، وقال ابن حبان: يعمر ليثي من بني كنانة، له صحبة، وحديثه عند أهل الشام. شهد بدرًا مع المشركين، وكان له فيها ذكر، ثم أسلم بعد ذلك، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بعض المشاهد، وكان على مجنبة أبي عبيده بن الجراح يوم اليرموك (طبقات ابن سعد): 7 / 411، (الإصابة): 5 / 407 - 408، ترجمة رقم (7061 ز)، (الاستيعاب): 3 / 1303 - 1304، ترجمة رقم (2165) .

[(2)] [دلائل أبي نعيم] 1 / 143، حديث رقم (84)، (المستدرک): 3 / 2724، حديث رقم (6624 / 2222)، (الإصابة): 5 / 407، (الاستيعاب): 3 / 303، (دلائل البيهقي): 1 / 78، (سنن الترمذي): برقم (3623)، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق، (البداية والنهاية): 2 / 321.

(66/4)

رضي الله عنه قباث بن أشيم أخوا بني عمرو بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله؟
قال: رسول الله أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد، ورأيت خذق [(1)] الفيل أخضر محيلاً]
(2) [بعده بعام، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده - إما قال ابنه أو قال غلام له -
فقال: يا قباث، أنت أعلم وما تقول] [(3)] .
ومن حديث محمد بن عمر الواقدي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يزيد بن الهاد عن أبي
بكر بن حزم عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت:
رأيت قائد الفيل [وسائسه] [(4)] بمكة أعميين مقعدين يستطعمان [الناس] [(5)] .
ومن حديث جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال:
أقبل أصحاب الفيل حتى لما أن دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال ملكهم: ما جاء بك
إلينا؟ ما عنك إلينا؟ ألا بعثت إلينا فنأتيك بكل ما أردت، فقال: أخبرت بهذا البيت الذي لا
يدخله أحد إلا أمن فجننت أخيف أهله، فقال:
إنا نأتيك بكل شيء تريده فارجع، فأبي إلا أن يدخله، وانطلق يسير نحوه.
وتخلف عبد المطلب، وقام على جبل فقال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله، ثم قال: اللهم إن
لكل إله حلالاً فامنع حلالك، لا يغلبن غدا محالهم محالك، اللهم إن فعلت فأمر ما بدا لك.
فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلتهم طير أبايل، التي قال الله تعالى: تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ
مِنْ سِجِّيلٍ قال: فجعل الفيل يعج عجيجا فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ.
ومن حديث عبد الله بن وهب [(6)] قال: أخبرني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد

[(1)] الخذق: الروث.

[(2)] [دلائل البيهقي] : 1 / 77 وقال: ورواه محمد بن بشر عن وهب بن جرير فقال:
«خذق الطير أخضر محيلاً» .

[(3)] [ما بين الحاصرتين من (تاريخ الطبري) : 2 / 155 - 156] ، باختلاف يسير .

[(4)] [في (خ) : «وسائقه» والتصويب من رواية ابن إسحاق .

[(5)] [زيادة من رواية ابن إسحاق . (سيرة ابن هشام) : 1 / 176 .

[(6)] [السنن في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن

عن عثمان بن المغيرة بن الأحنس أنه قال: كان من حديث أصحاب الفيل أن أبرهة الأشرم الحبشي كان ملك اليمن، وأن ابن ابنته أكشوم بن الصباح الحميري خرج حاجا. فلما انصرف من مكة نزل بكنيسة بنجران فعدا [(1)] عليها ناس من أهل مكة، فأخذوا ما فيها من الحلبي، وأخذوا متاع أكشوم، فانصرف إلى جده الحبشي مغضبا، فلما ذكر له ما لقي بمكة من أهلها تألَّى [(2)] أن يهدم البيت، فبعث رجلا من أصحابه يقال له: شمر بن مصفود على عشرين ألفا من خولان ونفرا من الأشعرين، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم، فتنحت خثعم عن طريقهم، فكلمهم التقتال [الختعمي] [(3)] - وكان يعرف كلام الحبشة - فقال: [هذان على شمران قوسي، على أكلت وسهمي، قحافة] [(4)] وأنا جار لك. فسار معهم وأحبه، فقال له تقتال: إني أعلم الناس بأرض العرب، وأهداه بطريقهم، فطفق في مسيرهم بجيشها الأرض ذات المهمة [(5)] حتى تقطعت أعناقهم عطشا، فلما دنا من الطائف خرج إليهم ناس من بني جشم ونصر وثقيف، فقالوا: ما حاجتك إلى طريقنا، وإنما هي قرية صغيرة، ولكننا ندلك على بيت بمكة يبعد، وهو حرز لمن لجأ إليه من ملكه، ثم له ملك العرب، فعليك به ودعنا عنك. فأتاه حتى إذا بلغ المغمّس [(6)] ، وجد إبلا لعبد المطلب بن هاشم، مائة ناقه مقلدة فأخبها بين أصحابه، فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه - وكان جميلا وكان

-
- [()] سليمان، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة بن الأحنس أنه قال: ...
- [(1)] في (دلائل أبي نعيم): «فغدا» وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق.
- [(2)] تألَّى: آلى على نفسه بيمين حلفه.
- [(3)] زيادة من (دلائل أبي نعيم) .
- [(4)] كذا في (خ) ، وسياقها مضطرب، ولعلها «هاتان يداي لك على شهران وناعس» ، كما في (الروض الأنف) ، وشهران وناعس: قبلي خثعم.
- [(5)] في (دلائل أبي نعيم): «فطفق يجبهم في مسيرهم الأرض ذات المهمة» ، والمهمة: المفازة، الأرض المقفرة.
- [(6)] المغمّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

له صديق من أهل اليمن يقال له ذو عمير [(1)] - فسأله أن يرد إليه إبله، فقال: إني لا أطيق ذلك، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك، فقال عبد المطلب: فافعل، فأدخله عليه فقال: إن لي إليك حاجة، قال: قضيت كل حاجة جئت تطلبها، قال: أنا في بلد حرام، وفي سبيل بين أرض العرب وبين أرض العجم، وكانت لي مائة ناقه مقلدة ترعى هذا الوادي بين مكة وتامة، عليها نمير [(2)] أهلنا ونخرج إلى تجارتنا ونتحمل من عدونا، عدا عليها جيشك فأخذوها، وليس مثلك يظلم من جاوره، فالتفت الحبشي إلى ذي عمرو ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً، فقال: لو سألتني كل شيء أحرزه أعطيته إياه أما إبلك فقد رددتها عليك، ومثلها، فما يمنعك أن تكلمني في بيتكم هذا وبلدكم هذا؟ فقال له عبد المطلب:

أما بيتنا هذا وبلدنا هذا فإن لهما ربا إن شاء أن يمنعهما منعهما، ولكني [إنما] [(3)] أكلمك في مالي، فأمر عند ذلك بالرحيل، وتألى ليهدمن الكعبة مكة [(4)] ، فانصرف عبد المطلب وقد سمع تأليته في مكة وقد هرب أهلها، فليس بما إلا عبد المطلب وأهل بيته، فأخبرهم بذلك واندفع يرتجز وهو يطوف حول الكعبة:

لاهم [(5)] إن المرء يمنع أهله فامنع حلالك [(6)] ... لا يغلبن صليبيهم ومحالمهم غدوا [(7)] محالك [(8)]

فإن فعلت فربما أولاً فأمر ما بدا لك ... فإن فعلت فإنه أمر يتم به فعالك

-
- [(1)] كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : «ذو عمرو» ، وفي ابن هشام: «ذو نفر» .
- [(2)] الميرة: المؤنة، قال تعالى: وَنَمِيرُ أَهْلُنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا [يوسف: 65] .
- [(3)] زيادة في (خ) .
- [(4)] في (دلائل أبي نعيم) : «ليهدمن مكة» .
- [(5)] لاهم: أصلها: اللهم، والعرب تحذف منها الألف واللام، وكذلك تقول في «والله إنك» :

«لاهك» ، وذلك لكثرة دوران هذا الاسم على الألسنة. بل قالوا فيما هو دونه- في الاستعمال:

«أجنك» في «من أجل أنك» . (سيرة ابن هشام) : 1 / 170 هـ.

[(6)] الحلال في هذا البيت: الحلول في المكان، والحلال: مركب من مراكب النساء، والحلال أيضا:

متاع البيت، وجائز أن يستعيره هاهنا. (المرجع السابق) .

[(7)] في (خ) و (دلائل أبي نعيم) : «عدوا» وما أثبتناه من (سيرة ابن هشام) ، وغدوا: غدا.

[(8)] المحال: القوة والشدة.

غدوا بجموعهم والفيل كي يبتزوا عيالك ... فإن تركتهم وكعبتنا فوا حزنا هنالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك [(1)]
وقال [عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي] [(2)] :
لاهمّ أجز الأسود بن مقصود ... الآخذ الهجمة ذات التقليد [(3)]
بين حراء وثبير فالبيد ... أخفر به رب وأنت المحمود [(4)]
قد أجمعوا على أن لا يكون عيد ... ويهدموا البيت الحرام المعمود
والمروتين والمشاعر السود ... فضحها إلى طماطم سود [(5)]
فلما توجه شمر [(6)] وأصحابه بالفيل - وقد أجمعوا ما أجمعوا - طفق كلما وجهوه أناخ وبرك،
وإذا صرفوه عنها من حيث أتى أسرع المسير، فلم يزل كذلك حتى غشيهم الليل.
وخرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس [(7)] ، شبيهة بالوطاويط حمر وسود،
فلما رأوها أشفقوا منها وسقط في أذرعهم، فقال شمر: ما يعجبكم من طير خمال جنبها الليل إلى
مساكنها، فرمتهم بحجارة مدحرجة كالبنادق، تقع في [(8)] رأس الرجل فتخرج من جوفه.

[(1)] وردت هذه الأبيات في (خ) ، (سيرة ابن هشام) ، (دلائل أبي نعيم) ، (تاريخ الطبري)
، (سبل الهدى والرشاد) ، (الروض الأنف) ، بزيادة ونقص، وتقديم وتأخير. وروى ابن هشام
هذه الأبيات الثلاثة:

لاهم إن العبد يمنع ... رحله فامنع حاللك
لا يغلبن صليبيهم ... ومحالمهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم و ... قبلتنا فأمر ما بدا لك
ثم قال: هذا ما صح له منها. (سيرة ابن هشام) : 1/ 170 .
[(2)] ما بين الحاصرتين زيادة من (سيرة ابن هشام) .
[(3)] الهجمة: ما بين التسعين إلى المائة من الإبل.
[(4)] حراء وثبير: جبلان بالحجاز، أخفره: أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه.
[(5)] طماطم سود: يعني العلوج، ويقال لكل أعجمي كافر: طمطمان، والأعلاج: جمع علاج.
[(6)] هو الأسود بن مقصود.
[(7)] البلس: الزرايزير.
[(8)] في (خ) : «على» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) ، وهو أجود للسياق.

وكان فيهم أخوان من كندة، أما أحدهما ففارق القوم قبل ذلك، وأما الآخر فلحق بأخيه حين رأى ما رأى، فبينما هو يحدثه عنها إذ رأى طيرا منها فقال: كان هذا منها، فدنا منه الطائر فقفزه بحجر فمات، فقال أخوه الناجي منها:

إنك لو رأيت ولن ترانا ... لدى جنب المغمس ما لقينا

خشيت الله لما بثّ طيرا ... بظل سحابة مرت علينا

وما تواكلهم يدعو بحق ... كأن قد كان للحبشان دينا

فلما أصبحوا الغد أصبح عبد المطلب ومن معه على جباهم فلم يروا أحدا غشيبهم، فبعث ابنه عبد الله على فرس له سريع ينظر ما لقوا، فإذا القوم مشدّخون [(1)] جميعا فرجع يرفع فرسه كاشفا عن فخذه، فلما رأى ذلك أبوه قال:

إن ابني أفرس العرب، وما كشف عن فخذه إلا بشيرا ونذيرا.

فلما دنا من ناديتهم بحيث يسمعون الصوت، قالوا: ما وراءك؟ قال: هللكوا جميعا، فخرج عبد

المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم، فكانت أموال بني عبد المطلب من ذلك المال. وقال عبد

المطلب:

أأنت منعت الجيش والأفيالا ... وقد رعوا بمكة الأجيالا؟

وقد خشينا منهم القتالا ... وكلّ أمر لهم معضالا

شكرا وحمد لك ذا الجلالا

وقال عكرمة بن عامر العبدري:

الله ربي وولي الأنفس ... أنت حبست الفيل بالمغمّس

فانصرف شمر بن مفسود هاربا وحده، وكان أول منزل نزله سقطت يده اليمنى، ثم نزل منزلا آخر

فسقطت رجله [(2)] اليسرى، فأتى منزله وقومه وهو حينئذ لا أعضاء له، فأخبرهم بالخبر

وقصّ عليهم ما لقيت جيوشه، ثم فاضت نفسه وهم ينظرون.

[(1)] الشّدخ: الشّج.

[(2)] في [دلائل أبي نعيم] : «يده» في الموضوعين.

قال أبو نعيم [(1)] : رويت قصة أصحاب الفيل من وجوه، وسياق عثمان بن المغيرة أتمها وأحسنها شرحا، وما ذكر أن عبد المطلب بعث بابنه عبد الله فهو وهم من بعض النقلة، لأن الزهري ذكر أن عبد الله بن عبد المطلب كان موته عام الفيل، وأن الحرث بن عبد المطلب كان أكبر ولد عبد المطلب، وكان هو الذي بعثه على فرسه لينظر ما لقي القوم [(2)] .

وخرج من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: كان من شأن الفيل أن أبرهة الأشرم ملك الحبشة بعث مع أبي يكسوم [(3)] فبعث فيهم يريد أن يغزو الكعبة فيهدمها، وساكنها يومئذ قريش، وإن أبا يكسوم أقبل بالفيل ومن معه، حتى إذا أبصر الحرم ودنوا منه، حبس الله الفيل بذئ المغمس [(4)] ، فكان إذا ضربوه ليدخل مكة أبي عليهم، وإذا تركوه وجهه راجعا إلى وجهه الذي جاء منه، فرجعوا ذلك العام، حتى إذا كان [بعد ذلك بعامين خرج رجال من] العرب حتى قدموا على أبرهة فعمزوه في إرساله أول مرة، وأمروه أن يبعث الثانية، فبعث الأسود بن مفسود، وبعث معه بكتيبة عظيمة معها الفيل، حتى إذا دنوا من الحرم ونظروا إليه، بعث الله عليهم بقدرته طيرا أبابيل خرجت من البحر. والأبابيل: من أفواج الطير، وزعموا- والله أعلم- أن لها خراطيم أمثال البلس [(5)] ، فلما بلغ ذلك قريشا قام رجال منهم فاستقبلوا الكعبة يدعون الله على الفيل ومن معه، فكان ممن قام في ذلك اليوم عبد المطلب بن هاشم، وعكرمة بن عامر العبدري، فقال عبد المطلب: لاهم فأخز الأسود بن مفسود ... ،

[(1)] في (دلائل أبي نعيم) : «قال الشيخ» .

[(2)] هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 144-148 ، حديث رقم (86) ، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) : 1/ 90 من طرق متعددة جمع رواياتهما، والحاكم في (المستدرک) :

2/ 583-584 ، حديث رقم (1112/3974) وقال في آخره: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن كثير في (التفسير) : 4/ 587-591 ، تفسير سورة الفيل.

[(3)] في هذه العبارة نظر، فأبو يكسوم هو أبرهة، قال ابن إسحاق: ولما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يكنى، فلما هلك يكسوم بن أبرهة، ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة [سيرة ابن هشام] : 1/ 182 ، تحت عنوان: «ولدا أبرهة» .

[(4)] المغمس: موضع على ثلث فرسخ من مكة.

[(5)] وزاد ابن كثير في (التفسير) : «وأكفّ كأكفّ الكلاب» .

الأبيات [(1)] ، وقال أيضا:

فلم أسمع بأرض من رجال ... أرادوا الغزو ينتهكوا حرامك
لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك ... لا يغلبن صليبيهم ومحالمهم فيه محالك
وإن تركتهم وكعبتنا فشا ما بدا لك
وقال عكرمة بن عامر حين أهلكوا:

أنت منعت الحبش والأفيالا ... وقد رعوا بمكة الأجبالا

وقد خشينا منهم القتالا ... كل كريم ماجد بطالا [(2)]

يمشي يجر المجد والأذيالا ... ولا يبالي جنة المختالا

ثم قلبتهم بشر حالا ... وقد لقوا أمرا له مفصالا

وكان بين غزوة أصحاب الفيل الأخيرة وبين الفجار أربعون سنة، وإنما سمي الفجار لحرب كانت
بين بني كنانة وقيس استحلوا فيها الحرمات وفجروا فيها، وكان بين الفجار وبين بنيان الكعبة
خمس عشرة سنة [(3)] .

وقال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث عن عبد الله بن
كعب مولى آل عثمان قال في حديث ذكره: خرج أبرهة وهو يكسوم وهو الأشرم، فخرج بمن
أراد الحبشة، وقوم من أهل اليمن كثير، وكان فيمن خرج من أهل اليمن ملك حمير ذو نفر،
واستعمل على اليمن ابنه يكسوم، فجعل لا يمر بحيّ من العرب إلا استتبعهم فتبعوه، فأقبل في
جمع كثير من الحبشة، وحمير، ومن كندة، حتى مرّ ببلاد خثعم، فخرج إليه نفيل بن حبيب
الختعمي فقال: يميني على شهران وشمالي على ناهس (بطنين من خثعم) .
قال الواقدي: فحدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج أبرهة

[(1)] سبق ذكرها وشرحها ضمن أحاديث هذا الباب.

[(2)] هذه الأبيات في (دلائل أبي نعيم) : 1 / 148.

وقد خشينا منهم القتالا ... وكل أمر لهم معضالا

شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

[(3)] [إمتاع الأسماع] بتحقيقنا: 1 / 16، هامش (5) .

حتى انتهى إلى بلاد خثعم، فخرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في شهران وناهس، ومن أفناء العرب، فاعترضوا ليقاتلوهم فهزمهم أبرهة، وقتل من قتل، وأخذ نفيل أسيرا فأمر أن يضرب عنقه، فقال نفيل: أيها الملك! لا تقتلني، فإنّي أدلّ العرب، وعلى شهران وناهس بالطاعة، فاستحياه، وخرج معه نفيل دليلا ومعه ذو نفر دليلا.

فلما افترت الطريقان، طريق إلى مكة وطريق إلى الطائف تأمر العريبان ومن معهما فقالوا: يذهبون إلى بيت الله الذي ليس له في الأرض بيت غيره لهدمه؟! ألفتوه واشغلوه بثقيف عسى أن يجد عندهم ما يكره، فمالا به إلى الطائف.

قال الواقدي: فحدثني محمد بن أبي سعد الثقفي، عن يعلي عن عطاء عن وكيع بن عدس، عن عمير أبي رزين [(1)] قال: كنا نرعى غنما بين دجنا إلى الطائف، فأتى بالطائف مع الشمس ما شعرنا ولا شعر من بها إلا بالأشرم أبرهة قد جاءهم ضحى، معهم القبيلة والدّه من الناس. فخرج إليه أبو مسعود في رجال من ثقيف فقالوا: أيها الملك! خرجت لأمر تريده، فامض الذي تريد، أمامك ما عندك مكان يحج إليه، إنما البيت الذي تحج إليه العرب بمكة، وإنما أتيت من الذين معك، فدعا ذا نفر ونفيلا فقال: قدمتما بي إلى هاهنا؟ فقالا: هؤلاء عدو وأولئك عدو، فقال: إني لم أرد هؤلاء، إنما أردت أن أهدم البيت الذي يحج إليه العرب وأغيبهم مما صنعوا بكنيستي.

قال: فحدثني زيد بن أسلم عن أبيه، قال: خرج إليه مسعود بن معتب. قال الواقدي: هذا أثبت من الذي يقول: أبو مسعود، قال: ما أنت؟ قال: مسعود منك، ونحن ندلك على البيت الذي تعبده العرب، فأرشدته إلى مكة، وبعث أبا رغال يده على طريق مكة، فأنزله أبو رغال بالمغمّس، فمات أبو رغال بالمغمّس، فقبره هناك ترجمه العرب [(2)] .

قال الواقدي: فحدثني عبد الله بن عثمان عن أبي سليمان عن أبيه قال: خرج

[(1)] كذا في (خ) .

[(2)] (سيرة ابن هشام) : 1 / 166، تحت عنوان: «أبو رغال ورجم قبره» .

أبرهة من اليمن بذى نفر ونفيل بن حبيب فعدلا به إلى الطائف وقالوا: لو أتينا مكة هؤلاء وراء ظهورنا فخشينا أن نؤتي من خلفك، فأردنا أن تبدأ بهم حتى لا يكون من ورائك أحد، فصدقهما

ثم انصرف عن الطائف.

قال الواقدي: وأقبل أبرهة حتى إذا كان عن يسار عرفة، ودنا من الحرم عسكر هناك، وكان أبرهة قد بعث على مقدمته رجلا من الحبشة يقال له: الأسود [(1)] ، على خيل يحشر عليه أموال أهل مكة، فدخل الحرم فجمع سوائم ترعى في الحرم فضمها إليه، فأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم انصرف إلى معسكره فأخبره الخبر، وأنه لم يصدّه أحد عن أخذها. فبعث أبرهة حناطة الحميري فقال: سل عن أشرف أهلها فأخبره بأني لم آت لقتال أحد، إنما جئت لهدم هذا البيت لما نذرت وأوحيت على نفسي لما صنعت العرب بكنيستي ثم أنصرف، فإن صدتمونا عنه قاتلناكم، وإن تركتمونا هدمناه وأنصرف عنكم. فقال عبد المطلب: ما عندنا له قتال، وما لنا به طاقة ولا يدان، وسنخلي بينه وبين ما يريد، فإن لهذا البيت ربا مانعه.

قال له حناطة: انطلق معي إليه، فركب عبد المطلب على فرس وركب معه ابنه الحرث، فلما دخل عسكره جاء حناطة إلى أبرهة فأخبره بما قال عبد المطلب، وأنه دخل عسكره، فقال له أبرهة: أخبرني عن بيتهم، أي شيء بناؤه؟ قال: حجارة منضودة، فعجب أبرهة من ذلك. وكان عبد المطلب حين دخل العسكر سأل عن ذي نفر الحميري- وكان له صديقا- فدخل عليه فقال: هل عندك من غني؟ قال: فيما ذا؟ قال: في إبلي التي أخذت، قال: وما عندي من الغني وأنا أسير في يد رجل عجمي لا أدري

[(1)] هو الأسود بن مفضود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مذحج، بعثه النجاشي مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا، هلكت كلها إلا [محمود] فيل النجاشي لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة.

(75/4)

متى هو قاتلي، ولكن سأكلم لك أنيسا سائس الفيل محمود وإنه صديقي، قال عبد المطلب: فذلك. فقال: هذا سيد قريش الذي يحمل على الجياد ويهب الأموال ويطعم في السهل، ما هبت الريح والوحش والطير، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فأحب أن تكلمه حتى يردها عليه. قال: فذكر ذلك أنيس لأبرهة فقال له: قد أتاك سيد قريش الذي يحمل على الجياد، وقد طلبه

الملك قبل ذلك فأرسل إليه حنطرة، فوافى عبد المطلب باب الملك وعنده حنطرة وأنيس فقال أنيس: هذا صاحب غير مكة، وهو يطعم في السهل والجبل، [ما هبت الريح] والوحش والطير، وقال حنطرة: هو سيد أهل مكة فأذن له، فدخل - وكان عبد المطلب من أوسم الناس وجها وأجلهم - فلما رآه أبرهة أجله واستبشر برؤيته، وأبرهة على سرير فنزل عنه، وكره أن يكون تحته، وكره أن يجلسه على السرير فيراه الحبشة جالسا معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة فجلس على بساط وأجلسه إلى جنبه ورخب به وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تردّ عليّ مائتي بعير أصابوها إليّ، فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد عجبت حين رأيتك لهيبتك مع ما ذكر لي من شرفك وفعالك وتقدمك على أهل بيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير قد غصبنا [منك]، وتترك ما هو دينك ودين آبائك وعزك وشرفك، وقد جئت لأهدمه [و] لا تكلمني فيه. قال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت الذي تريد ربًا سيمنعه. فقال أبرهة: ما كان سيمنع مني. قال عبد المطلب: أنت وذاك. قال: ما أرى القوم يصدقون أتا نصل إليه، وسيرون نصل إليه أم لا، فإني لا أرى أحدا همّ بشيء من هذا قبلي فيقولون قد حيل بينه وبين ذلك. قال أنت وذاك، قد خرجنا عنه وما دونه أحد يصدك عنه، فأمر بإبله فردت عليه.

(76/4)

قال: ولما نزل المغمّس جاء مكة أول من جاء بنزوله ابو قحافة ومعمر بن عثمان وعمير بن جدعان، كانوا في إبل عبد الله بن جدعان هناك، فأخبروا الناس، فحف الناس ولحقوا براءوس الجبال وبالشعاب ويطون الأودية. قال الواقدي: وحدثني سيف بن سليمان قال: سمعت مجاهدا يقول: لما ولى عبد المطلب من عند أبرهة منصورا، أمر أبرهة أصحابه بالتهيؤ والتعبئة لإقحامهم الحرم، فعبثوا كتيبة القتال، وصفوا الصفوف، وقدموا الفيلة كما كانوا يصنعون في الحروب، وقدم صاحب مقدمته الأسود بن مفصود، ووقف أبرهة كما كان يقوم في الحروب، معه وجوه أصحابه قد حفوا به من وجوه الحبشة والعرب ممن قد سار به، وقد أخذت صفوف أقطار الأرض بعضها خلف بعض. وكان الفيل إذا حملوا لم يسر ويحرن كحران الدابة ويكرّ كرّ الناس، حتى بلغ أبرهة ذلك، فجاء وهو في أصحابه حتى وقف على دابته فجعل يصيح بسائس الفيل فيضربه، فإذا ألح عليه رضى

وصحّ [(1)] ، فينخس بالرمح ولا ينثني.

قال: وحدثني عبد الله بن عمرو بن زهير عن أبيه، عن عبد الله بن خراش الكعبي عن أبيه قال: أقبل عبد المطلب يومئذ وأقبل أصحاب الفيل، فلما رأى عبد المطلب ما هموا به سار سريعا على فرسه حتى أوفى على حراء، ومعه عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ومسعود بن عمرو الثقفي، ينظرون كلما حمل الحبشة الفيل على الحرم رضى، فيقبل الحبشة بحراهم ورماحهم وعصبيهم يطعنونه بما فيقوم، فإذا حملوه على الحرم برك وصاح، وإذا وجهوه من حيث جاء ولّى وله وجيف [(2)] ، وأي وجه شاءوا طوعهم ما لم يحملوه على الحرم.

قالوا: فبينما عبد المطلب وأصحابه على حراء- وهم يحملون الفيل على الحرم-

[(1)] صحّ الصوت الأذن يصحّها صحّا، وفي حديث ابن الزبير وبناء الكعبة: فخاف الناس أن تصيبهم صاخّة من السماء، هي الصيحة التي تصخّ الأسماع، أي تقرعها وتصمها. قال ابن سيده: الصاخة صيحة تصخّ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدّتها، ومنه سميت القيامة الصاخة. (لسان العرب) :

33 / 3، (النهاية) : 14 / 3، وفي (دلائل أبي نعيم) : «برك وصاح» .

[(2)] وجيف: اضطراب من سرعة المشي.

(77/4)

ويأبي، إذ قال عمرو بن عائذ لعبد المطلب: انظر! هل ترى شيئا؟ قال: إني لأرى طيرا يأتي من قبل البحر قطعاً قطعاً، وهي أصغر من الحمام، سود الرؤوس، حمر الأرجل والمناقير. قال عمرو: فأقبلت حتى حلقت على القوم، مع كل طائر ثلاثة أحجار: في منقاره حجر، وفي رجله حجران، وقال عبد المطلب لمسعود: هل ترى شيئا؟ قال: نعم، أرى سوادا كثيرا من قبل البحر كثيفا، قال عبد المطلب: هو طائر، قال مسعود: صدقت، قد والله عرفت حين حلوا بنا أن لو أرادوا الدية لقدروا عليها، فلم أزل أبعث الأشرم وأصرفه حتى ولى إلى ما هاهنا، وعرفت أنه لا يصل إلى البيت حتى لا يعذب، وهذا والله عذابه. قال الواقدي: وحدثني قيس بن الربيع عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد ابن عمير قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، أرسل عليهم طيرا أنشئت من البحر كأنها الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار مجزعة [(1)] : حجر في منقارة وحجران في رجله، فجاءت حتى

صفت على رؤوسهم، فصاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما وقع [(2)] حجر على رجل منهم إلا خرج من الجانب الآخر، إذا وقع على رأسه خرج من دبره [(3)] [وإذا وقع على جسده خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادت شدة فأهلكوا] .

[(1)] مجزعة: مقطعة.

[(2)] في [دلائل أبي نعيم] : «فما على الأرض حجر وقع على رجل» .

[(3)] هذا آخر الحديث رقم (88) في [دلائل أبي نعيم] : 1/ 149-150، وفيه الواقدي وعبد الله ابن خراش متروكان، وما بين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وابن كثير في (التفسير) : 4/ 590، وقال ابن كثير: وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب (دلائل النبوة) : من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة، قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن، وإنما بعث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفا، وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى، وهذا السياق غريب جدا، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره، والصحيح أن أبرهة الأشرم قدم من مكة، كما دلّ على ذلك السياقات والأشعار.

وهكذا روى عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة، أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه، والصحيح قدومه، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش. والله تعالى أعلم. (تفسير ابن كثير) : 4/ 590.

(78/4)

وذكر عمر بن شيبه في كتاب (أخبار مكة) : عن أبي عاصم أخبرنا عمرو ابن سعيد قال: سمعت مشيختنا يقولون: حمام مكة من بقية طير أباييل.

قال الواقدي: وحدثني ابن أبي سبرة عن ثور عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الحجارة مثل البندق، وبها نضح حمرة مختمه، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه وحجر في منقاره، حلقت عليهم من السماء ثم أرسلت تلك الحجارة عليهم فلم تعد عسكرهم. وحدثني عمر بن طلحة عن جونة بن عبد عن أمية بن عبد الرحمن قال: سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول: رأيت الحصا الذي رمى به أصحاب الفيل، حصا مثل الحمص وأكبر من العدس، حمر مختمة، كأنها جنح ظفار [(1)] .

وحدثني ابن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله العبيسي قال: قال حكيم بن حزام: كان في المقدار بين الحمصة والعدسة، حصاته نضح أحمر، مختم كالجزع، فلولا أنه عذب به قوم [لأخذت] منه ما أتخذ في مسجدي، أسلمت وهو بمكة كثير في بيوتكم.

وحدثنا سعيد بن حسان عن عطاء بن أبي رباح عن حبيب بن ميسرة، عن أم كرز الخزاعية قالت: رأيت الحجارة التي رمي بها أصحاب الفيل حمرا مختمة كأنها جزع ظفار، وحدثني ابن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله العيشي عن ابن كعب القرظي قال: جاءوا بفيلين، فأما محمود فربض، وأما الآخر فجنح فحصب.

وحدثني رباح بن مسلم عن من سمع وهب بن منبه قال: كانت الفيلة معهم، فكان محمود - وهو فيل الملك - إذا تقدم يربض لتقتدي به الفيلة فجنح منها فيل فحصب فرجعت الفيلة.

وحدثني سيف بن سليمان عن مجاهد قال: كان فيل حصب بالمغمس.

وحدثني عبد الله بن عمرو بن زهير الكعبي عن أبي مالك الحميري عن عطاء

[(1)] جزع: خرز، وظفار: بلد باليمن قرب صنعاء، ينسب إليها هذا الخرز، وأن به سوادا وبياضا.

(79/4)

ابن يسار قال: حدثني من كالم قائد الفيل وسائسه قال لهما: أخبراني خبر الفيل. قالوا: أقبلنا وهو فيل الملك النجاشي الأكبر، لم يسر به قط إلى جمع إلا هزمهم، فاخترت أنا وصاحبي هذا لجلدنا وحرفتنا بسياسة الفيل، قال: فلما دنونا من الحرم جعلنا كلما وجهناه إلى الحرم يربض، فتارة نصره فينهض، وتارة نصره حين برك ثم نتركه، فلما أتينا إلى المغمس يربض فلم يقم، وطلع العذاب.

فقلت: نجا غيركما؟ قالوا: نعم، ليس كلهم أصاب العذاب، وولى أبرهة ومن تبعه يريد بلاده، كلما دخلوا أرضا وقع منه عضو، حتى انتهى إلى بلاد خنعم وليس عليه غير رأسه فمات.

وحدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال: أفلت نفيل والحميري. قال الواقدي: وسمعت أنه لما ولى أبرهة مدبرا جعل نفيل يقول:

أين المفر والإله الطالب ... والأشرم المغلوب ليس الغالب [(1)]

وذكر ابن الكلبي في (الجمهرة) أن ضبّة وعمرا وحميسا أبناء أد بن طائحة ابن إلياس بن مضر شهدوا الفيل فهلكوا، وأفلت منهم ستون رجلا، إذا ولد مولود مات منهم رجل.

قال الواقدي: وحدثني حزام بن هشام عن أبيه قال: لما رد الله الحبشة عن البيت أعظمت قريشا وقالوا: هؤلاء أهل الله لما كفاهم مؤنة عددهم، وجعلوا يقولون في ذلك الأشعار، وخرجت الحبشة يسقطون في كل طريق ويهلكون في كل منهل.

وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أمثلة أمثلة، كلما سقطت أمثلة اتبعها مدة ودم وقيح، حتى قدموا صنعاء وهو مثل فرخ طير، فمات حين انصدع صدره عن قلبه فيما يقولون [(2)] .

[(1)] [دلائل أبي نعيم] : 1 / 150 ، (سيرة ابن هشام) : 1 / 172 ، وقال ابن هشام: قوله:

«ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

[(2)] [المرجع السابق] : 173 .

(80/4)

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث قال: دخلت مع أبي علي فاطمة بنت المنذر فحدثتنا أحاديث، وكان فيما حدثت أن قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تقول: لما قدم أصحاب الفيل بالفيل وأصاحبهم ما أصاحبهم، دخل سائقه وقائده مكة، فلم يزالا بها حتى رأيتهما قبل أن ينبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعميين مقعدين يستطعمان الناس، يكونان حيث يذبح المشركون ذبائحهم، فقال لها: أي أين كانوا يذبحون؟ قالت: على إساف ونائله [(1)] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق أن سبب غزو أبرهة البيت أنه بني القليس بصنعاء، فبني كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبق مثلها لمن كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة غضب رجل [من] [(2)] النساء (أحد بني فقيم بن علي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك ابن كنانة بن خزيمه) فخرج حتى أتى القليس فقعد فيها (يعني سلاح) [(3)] ، ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب أهل هذا البيت الذي يحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك: «أصرف إليه حاج العرب» ، غضب فجاء فقعد فيها، أي لست لذلك بأهل.

فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، وتجهزت ثم أمر الحبشة فتهيأت ثم ساروا، وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم لما رأوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله، فأجابه

[(1)] (المرجع السابق) : 176، (تفسير ابن كثير) : 4 / 590، وقال: كان اسم قائد الفيل [أنيسا] .

[(2)] زيادة للسياق، والنسأة: جمع ناسئ، وهم الذين كانوا ينسئون الشهور، أي يؤخرون حرمة أحد الأشهر الحرم، وقد سبق شرح ذلك.

[(3)] سلح: من السّلاح، وهو النّجوة، [وهو الغائط] ، (ترتيب القاموس) : 2 / 592، (دلائل أبي نعيم) : 1 / 151، قال أبو نعيم: «فقعد فيها أي تغوّط فيها» .

(81/4)

من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ فأقي به أسيرا، فلما أراد قتله قال له: لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي خيرا لك.

فتركه وحبسه عنده، ثم مضى حتى كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب في قتلى خثعم شهران وناهس [(1)] ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له أسيرا، فخلى سبيله وخرج معه يده حتى [إذا] [(2)] مرّ بالطائف خرج ابنه مسعود بن معتب [(3)] فتجاوز عنهم، وبعثوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة حتى أنزله المغمّس مات أبو رغال، وبعث أبرهة الأسود بن مسعود على خيل إلى مكة، فساق أموال أهل تامة، وذكر القصة بمعنى ما تقدم.

وخرج عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أرسل الله على أصحاب الفيل جعل لا يقع حجر على واحد منهم إلا تفتّر جسده، فذلك أول ما كان الجديري، فأرسل الله سيلا فذهب بهم [(4)] فألقاهم في البحر.

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصّفاح [(5)] ، فأتاهم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن هذا بيت الله لم يسلط عليه أحد، قالوا: لا نرجع حتى نهدمه، فكانوا لا يقدمون فيلهم إلا تأخر.

فدعا الله بالطير الأبايل، فأعطاها حجارة سودا عليها الطين، فلما حاذتهم صفت عليهم ثم رمتهم، فما بقي منهم أحد إلا أخذته الحكمة، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه. وقال قيس عن حصين بن عبد الرحمن في قوله: وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا

-
- [(1)] يقال: إن خثعم ثلاث: شهران، وناهس، وأكلب، غير أن أكلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة ابن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم وانتسبوا إليهم. (ابن هشام): 1 / 164.
- [(2)] زيادة للسياق من المرجع السابق.
- [(3)] هو مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.
- [(4)] في (خ): «بها» .
- [(5)] الصَّفاح بكسر الصاد: موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش. (معجم البلدان): 3 / 467، موضع رقم (7558) .

(82/4)

أبابيل [(1)] قال: طير خرجت من قبل البحر، لها رءوس مثل رءوس السباع ترميهم، فمن أصابت جدر [(2)] ، وذلك أول ما كان الجدري، لم ير قبله.

وقد روى عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عليهم السلام: أن قدوم الفيل للنصف من الحرم، وبين الفيل وبين مولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس وخمسون ليلة [(3)] .

-
- [(1)] الفيل: 3.
- [(2)] أصابه داء الجدري.
- [(3)] ذكروا أن الفيل جاء مكة في الحرم، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (أبريل) ، فكانت لعشرين مضت منه، وولد بالغفر من المنازل «منازل القمر» . (ابن هشام): 1 / 394، فصل ولادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هامش) .

(83/4)

وأما الآيات التي ظهرت في مدة رضاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقد روى محمد بن إسحاق عن جهم بن أبي الجهم [(1)] ، عن عبد الله بن جعفر [بن أبي طالب] [(2)] عن حليلة بنت الحرث السعدية [(3)] قالت: أصابتنا سنة شهباء [(4)]

لم تبق لنا شيئا، فخرجت مع نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء [(5)] بمكة على

أتان [(6)] لي قمراء [(7)] ، فلم تبق منا امرأة إلا عرض عليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتأباه، وعرض عليّ فأبيته، ذلك أن الظؤورة [(8)] إنما كانوا يرجون الخير من قبل الآباء ويقولون: لا أب له وما عسى أن تفعل أمه، فلم تبق منهن امرأة إلا أخذت رضيعا غيري، وحن انصرافهن إلى بلادهن.

فقلت لزوجي: لو أخذت ذلك الغلام اليتيم كان أمثل من أن أرجع بغير رضيع، فأتيت أمه فأخذته ثم جئت بعد ذلك، إلى منزلي، فكان لي ابن صغير والله لن ينام من الجوع، فلما ألقيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ثدي أقبلا عليه بما شاء من

[(1)] هو جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحيّ.

[(2)] زيادة في النسب من (ابن هشام) .

[(3)] هي حليلة ابنة أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر، قدمت عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد تزوج خديجة فشكت إليه جذب البلاد، فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة، وأعطتها بعيرا، ثم قدمت عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد النبوة فأسلمت وبايعت، وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزى.

[(4)] سنة شهباء: يعني سنة قحط، لأن الأرض فيها تكون بيضاء.

[(5)] الرضعاء: جمع رضيع، وهم الأطفال حديثو الولادة.

[(6)] الأتان: أنثى الحمار.

[(7)] قمراء: أي يميل لونها إلى الخضرة.

[(8)] الظؤورة: جمع ظئر، وهي العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له، في الناس وغيرهم، للذكر والأنثى، وتجمع على: أظؤور، وأظآر، وظؤور، وظؤورة، وظؤار، وظؤورة. (ترتيب القاموس) :

119 / 3

(84/4)

اللبن حتى روي وروي أخوه وناما، وقام زوجي إلى شارف [(1)] لنا والله ما أن تبصّ [(2)] بقطرة، فلما وقعت يده على ضرعها فإذا هي حافل [(3)] ، فحلب ثم أتاني فقال: والله يا ابنة أبي ذؤيب ما أظن هذه النسمة التي أخذتها إلا مباركة! وأخبرني بخبر الشارف وأخبرته بخبر ثديي وما رأيت منهما.

ثم أصبحنا فغدونا، فكنت على أتان قمراء، والله ما أن تلحق الحمر ضعفا، فلما أن وضعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها جعلت تتقدم الركب فيقولون: والله إن لأتارك هذه لشأنا. قالت: فقدنا بلادنا- بلاد سعد بن بكر- لا نتعرف من الله إلا البركة، حتى إن كان راعيها لينصرف بأغنامنا حفلا وتأتي أغنام قومنا ما أن تبضّ بقطرة، فيقولون لرعيانهم: ويحكم! ارعوا حيث يرعى راعي ابنة أبي ذؤيب، فلم يزل كذلك.

فبينما هما يوما يلعبان في بهم لنا وراء بيوتنا، إذ جاء أخوه يسعى فقال: ذاك أخي القرشي قد قتل، فانطلقت وأبوه فاستقبلنا وهو منتقع اللون، فجعلت أضمه إليّ مرة وأبوه مرة ويقول: ما شأنك؟ فيقول: لا أدري، إلا أنه أتاني رجلان فشقّا بطني وساطها [(4)] ، فقال أبوه: ما أظن هذا الغلام إلا قد أصيب، فبادري به أهله من قبل أن يتفاقم به الأمر.

عند ذلك لم يكن له همة إلا أن أتيت مكة [فأتيت به أمه، فقلت: أنا ظئر ابني هذا، وقد فصلته، وخشيت أن تقع عليه العاهة فاقبله، فقالت: مالك زاهدة فيه؟ وقد كنت قبل اليوم تسأليني أن أتركه عندك لعلك خفت على [ابني] (5)] الشيطان- أو كلام هذا معناه- ألا أخبرك عني وعنّه؟ إني رأيت حيث ولدته

[(1)] الشارف: الناقة المسنة.

[(2)] تبضّ: ترشح.

[(3)] الحافل: الممتلئة الضرع من اللبن، والحفل: اجتماع اللبن في الضرع.

[(4)] في (خ): «وساطا» ، وفي (ابن هشام): «يسوطانه» ولعل ما قد أثبتناه يناسب المعنى، يقال:

سقط اللبن أو الدم أسوطه، إذا ضربت بعضه ببعض، والمسوط: عود يضرب به.

[(5)] السياق مضطرب في (خ) فيما بين الحاصرتين، وقد صوبناه من كتب السيرة.

(85/4)

أنه خرج مني نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام [(1)] . هذا لفظ زياد ابن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق.

وفي رواية يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن ابن إسحاق، قالت أمه: إن لابني هذا لشأنا! ألا أحدثك عنه؟ فما زالت بنا حتى أخبرتنا خبره، قالت: إني حملت به، فلم أحمل حملا قط كان أخف منه ولا أعظم بركة منه، إني لقد رأيت نورا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت له

أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعته، فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعا يده بالأرض رافعا رأسه إلى السماء، وألقا بشأنكما [(2)] .

[(1)] هذا آخر حديث آمنة في (خ) ، لكنه ليس آخر لفظ زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق، وتماه:

«ثم حملت به، فو الله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لو اضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقى راشدة» .

[(2)] حديث حليلة السعدية ورد في كتب السيرة بسياقات مختلفة، بعضها مطول، وبعضها مختصر، وبروايات مختلفة، عن ابن إسحاق، وابن راهويه، وأبو يعلى، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم، فذكره كل من:

* ابن الجوزي في (صفة الصفوة) : 1 / 28-30، وقال في آخره. وظاهر هذا الحديث يدل [على] أن آمنة حملت غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الواقدي: لا يعرف عند أهل العلم أن آمنة وعبد الله ولدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.
* القسطلاني في (المواهب اللدنية) : 1 / 150-153، وقال في آخره: كانت الشيماء أخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول:

هذا أخ لم تلده أمي ... وليس من نسل أبي وعمي
فديته من مخول معمي ... فأتمه اللهم فيما تنمي
وذكر من شعر حليلة ما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم
يا رب إذا أعطيتَه فأبقه ... وأعله إلى العلا وأرقه
وأدحض أبا طيل العدا بحقه

* ابن هشام في (السيرة النبوية) : 1 / 297-303.

* البيهقي في (دلائل النبوة) : 1 / 133-136.

* الطبري في (التاريخ) : 2 / 158-160.

* ابن سيد الناس في (عيون الأثر) : 1 / 31-35.

* أبو نعيم الأصفهاني في (دلائل النبوة) : 1 / 155-157.

* ابن كثير في (البداية والنهاية) : 2 / 333-335.

* ابن سعد في (الطبقات الكبرى) : 1 / 110-112.

* الديار بكرى في (تاريخ الخميس) : 1 / 222-223.

* ابن حجر في (الإصابة) : 7 / 722-733، في ترجمة الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى

ابن رفاعة، رقم (11384)، قال: وذكر محمد بن المعلى الأزدي في كتاب (الترقيص)، قال:

وقالت الشيماء ترقص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغير:

يا ربنا أبق لنا محمدا ... حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيد مسودا ... واكبت أعاديه معا والحسدا

وأعطه عزا يدوم أبدا

قال: فكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها!.

(86/4)

وقال الواقدي: وقدم مكة عشرة نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضعاء، وخرجت حليلة بنت عبد الله بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن فضية بن نصر بن بكر بن هوازن، واسم أبيه الذي أرضعه: الحرث بن العزى ابن رفاعة بن ملان [بن ناصرة] [(1)] بن فضية بن سعد بن بكر بن هوازن، وإخوته عبد الله بن الحرث، وحذافة بنت الحرث - وهي الشيماء - وكانت الشيماء هي تحضنه مع أمها وتوركه.

وخرجوا في سنة حمراء [(2)] ، وخرجت بابنها عبد الله ترضعه، وأتان قمراء تدعى سدره، وشارف دلقاء لا سنّ لها، يقال لها السمراء، لقوح قد مات سقبها [(3)] بالأمس، ليس في ضرعها قطرة لبن قد يبس من العجف [(4)] ، وقالت أمه آمنة لظئره حليلة: يا ظئر! سلي عن ابنك فإنه يكون له شأن، فإنه لم يزل يذكر أنه يخرج من ضئضىء عبد المطلب نبي، ولقد حملت فما وجدت له ما تجد النساء من المشقة في الحمل، ولقد أتيت فقيل لي: قد حملت بسيد الأنام، ولقد قيل لي ثلاث ليال: استرضعي ابنك في بني سعد ثم في آل أبي ذؤيب.

قالت حليلة: فإن أبا هذا الغلام الذي في حجري أبو ذؤيب وهو زوجي، فطابت نفس حليلة وسرت بكل ما سمعت، ثم قالت: والله إني لأرجو أن يكون مباركا، فخرجت برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منزلها، فتجد حمارها قد قطعت رسنها فهي

[()] * ابن سعد في (الطبقات الكبرى) : 1 / 110 - 112.

* الديار بكرى في (تاريخ الخميس) : 1 / 222 - 223.

* ابن حجر في (الإصابة) : 7 / 722 - 733، في ترجمة الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى

ابن رفاعة، رقم (11384)، قال: وذكر محمد بن المعلى الأزدي في كتاب (الترقيص)، قال:

وقالت الشيماء ترقص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغير:

يا ربنا أبق لنا محمدا ... حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيد مسودا ... واكبت أعاديه معا والحسدا

وأعطه عزا يدوم أبدا

قال: فكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها!.

[(1)] زيادة للنسب.

[(2)] سنة حمراء: شديدة الجذب.

[(3)] سقبها: ما قاربها من العمر.

[(4)] العجف: الضعف.

(87/4)

تجول في الدار، وتجد شارفها قائمة تقصع بجزءها [(1)] ، فقالت لزوجها: إن هذا المولود مبارك! فقال أبوه: قد رأينا بعض بركته.

قال: ثم عمد إلى شاتها فحلبها قعبا فسقى حليلة، ثم حلبها قعبا آخر فشرب حتى روى، ولمس ضرعها فإذا هي بعد حافل، فحلب قعبا آخر فحقنه في سقاء [(2)] له ثم حدجوا [(3)] أتاها فركبتها حليلة، وركب الحرث شارفهم، وحملت حليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديها على الأتان فطلعا على صواحبها بوادي السرر مرتعات وهما يتواهقان في السير، فقلن: هي حليلة وزوجها، ثم قلن: هذا حمار أنجى من حمارتها، وهذا بغير أنجى من بغيرها، وما يقدران على أن يضبطا رءوسهما حتى نزلت معهن فقلن: يا حليلة! ماذا صنعت؟ قالت: أخذت والله خير مولود رأيته قط وأعظمه بركة، فقالت النسوة: أهو ابن عبد المطلب؟ قالت: نعم، وأخبرتن بما قالت آمنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمرتها أن تسأل عنه، وما رأت حليلة من إقبال درها ودرّ لقوحها وما رأوا من نجاء الأتان واللقحة، فقالت حليلة: فما رحلنا من منزلنا حتى رأيت الحسد في بعض نسائنا [فيمرون بسنح] [(4)] من هذيل على عراف كبير، فقالت النسوة: سلي هذا، فجاءت حليلة إليه برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته خبره وما قالت فيه آمنة، فصاح الهذلي: يا آل هذيل! اقتلوه.. اقتلوه، وآلته ليتمكن في الأرض وإنه لينتظر من السماء أمرا، فرحن إلى بلادهن، وإنما اعتاف العائف في قبض النبي صلى الله عليه وسلم التراب حين ولد [(5)] .

قالت: فقدما على عشرة أعنز ما يرمن البيت هزالا فإن كنا لتريح الإبل وإنها لحفل، فحلب

ونشرب، ونحلب شارفنا غبوقا وصبوحا [(6)] ، وإني لأنظر إلى الشارف قد نصبت في

سنامها، وانظر إلى عجز الأتان فكأن فيها

- (1) [] تقصع بجرتها: تجتر، وذلك يعني أنها كانت قد أكلت فامتلات.
- (2) [] في (خ) : «سقاية» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
- (3) [] حدجوا: شدوا عليه الحدج، وهو الحمل.
- (4) [] سنح: موضع في طرق من أطراق المدينة وهي منازل بني الحارث بن الخزرج.
- (5) [] ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وليس في رواية أبي نعيم.
- (6) [] الغبوق: ما يشرب في المساء، والصبوح: ما يشرب في الصباح.

(88/4)

الأفهار [(1)] وإن كان عجزها لدبراء [(2)] مما ننحسها، وجعل أهل الحاضر يقولون لرعيانهم: ابلغوا حيث تبلغ غنم حليمة، فيبلغون، فلا تأتي مواشيهم إلا كما كانت تأتي قبل ذلك، ولقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمس ضرع شاة لهم يقال لها «أطلال» ، فما يطلب منها ساعة من الساعات إلا حلبت غبوقا وصبوحا، وما على الأرض شيء تأكله دابة [(3)] . فحدثني عبد الصمد بن محمد السعدي عن أبيه عن جده قال: حدثني بعض من كان يرعى غنم حليمة أنهم كانوا يرون غنمها ما ترفع رءوسها، ويرى الخضر في أفواها وأبعارها، وما تزيد غنمنا على أن تربض [(4)] ، ما تجد عودا تأكله، فتروح الغنم أغرث [(5)] منها حين غدت، وتروح غنم حليمة يخاف عليها الحبط [(6)] .

قالوا: فمكث سنتين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى فطم، فكأنه ابن أربع سنين، فقدموا به على أمه زائرين لها، وهم أحرص شيء على رده مكانه، لما رأوا من عظيم بركته، فلما كانوا بوادي السرر لقيت نفرا من الحبشة وهم خارجون منها، فرافقتهم، فسألوها، فنظروا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظرا شديدا، ثم نظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه، وإلى حمرة في عينيه، فقالوا: يشتكي أبدا عينيه للحمرة التي فيها؟ قالت:

لا، ولكن هذه الحمرة لا تفارقه، فقالوا: هذا والله نبي، فغالبوها عليه، فخافتهم أن يغلبوها، فمنعه الله عز وجل، فدخلت به على أمه، وأخبرتها بخبره، وما رأوا من بركته، وخبر الحبشة، فقالت أمه: ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة، فو الله ليكون له شأن، فرجعت به.

- (1) [] أي أن لحمها قد تكتل كتلا من السمن.
- (2) [] الدبراء: التي بها قرحة.

[(3)] [دلائل أبي نعيم] : 1 / 157 - 159 ، حديث رقم (96) ، أخرجه ابن سعد في (الطبقات) :

110 / 1 مختصرا .

[(4)] تربص : تطوي قوائمها وتقيم .

[(5)] أغرث : أكثر جوعا ، وفي شعر حسان يعتذر لعائشة رضي الله تعالى عنها :

وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

[(6)] الحبط : الانتفاخ من كثرة الأكل .

(89/4)

وقام سوق ذي المجاز فحضرت به وبها يومئذ عراف يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم من هوازن ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الحمرة التي في عينيه وإلى خاتم النبوة صاح : يا معشر العرب ! فاجتمع إليه أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبي ولا يرون شيئا قد انطلقت به أمه ، فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاما وآهته ليغلبن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم .

فطلب بذي المجاز [(1)] فلم يوجد ، ورجعت به حليلة إلى منزلها ، فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس ، ولقد نزل بهم عراف ، فأخرج إليه صبيان أهل الحاضر وأبت حليلة أن تخرجه إليه ، إلى أن غفلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج من المظلة فرآه العراف فدعاه ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الخيمة ، فجهد بهم العراف أن يخرج إليه فأبت ، فقال : هذا نبي [هذا نبي] [(2)] ، قالوا : فلما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريبا من الحي .

فبينما هو يوما مع أخيه في البهم ، إذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذته غمية ، فجعل يكلم رسول الله فلا يجيبه ، فخرج الغلام يصيح بأمه : أدركي أخي القرشي ! فخرجت أمه تعدو ، ومعها أبوه فيجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا منتقع اللون ، فسألت أمه أخاه : ما رأيت ؟ قال : رأيت طائرين أبيضين وقعا [(3)] ، فقال أحدهما : أهو هو ؟ فقال : نعم ، فأخذه فاستلقياه على ظهره فشقا بطنه فأخرجا ما كان في بطنه ، ثم قال أحدهما : اثني بماء ثلج ، فجاء به فغسل بطنه ، ثم قال :

اثني بماء برد [(4)] ، فجاء به فغسل بطنه ثم أعاده كما هو .

قال : فلما رأى أبواه [(5)] ما أصابه شاورت أمه أباه وقالت : نرى أن نرده على [(6)]

أمه، إنا نخاف أن يصيبه عندنا ما هو أشد من هذا فنرده إلى أمه فيعالج،

[(1)] في (دلائل أبي نعيم) : «فطلب بعكاظ» .

[(2)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(3)] في المرجع السابق: «فوقنا» .

[(4)] في المرجع السابق: «بماء ورد» .

[(5)] في المرجع السابق: «أبوه» .

[(6)] في المرجع السابق: «إلى أمه» .

(90/4)

فإني أخاف أن يكون به لمم [(1)] ، [فقال أبوه: لا والله ما به لمم] [(2)] إن هذا أعظم مولود رآه أحد بركة، والله إن أصابه [ما أصابه] [(2)] إلا حسد من آل فلان، لما يرون من عظم بركته منذ كان بين أظهرنا [يا حليلة] [(2)] .

قال أبوه: يا حليلة! أخذناه ولنا عشر أعنز عجاف فغنمنا اليوم ثلاثمائة، قالت: إني أخاف عليه، فنزلت به إلى أمه فذكرت من بركته وخيره، ولكنه قد كان من شأنه فأخبرتها [(3)] خبره.

قال الواقدي: فحدثني معاذ بن محمد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت حليلة: إنا لا نرده إلا على جدع أنفنا، ما رأينا مولودا أعظم بركة منه، ولكننا كرهنا أن نحدث به عند ما حدث.

قال ابن عباس: فرجعت فكان عندنا سنة أو نحوها، لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا، فغفلت عنه، فجاءتها أخته الشيماء في وقت الظهر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البهم وقد ردت البهم، فخرجت أمه تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت: في هذا الحر؟ فقالت أخته: يا أمه! ما وجد أخي حرا، رأيت غمامة تظل عليه، إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع، تقول أمها: أحقا يا بنية؟ قالت: إي والله.

قال: تقول حليلة: أعود بالله من شرّ ما نخدر على ابني، فكان ابن عباس يقول: رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين، وكان غيره يقول: ردّ على أمه وهو ابن أربع سنين، فكان معها إلى أن بلغ ست سنين.

وخرّج أبو محمد بن حبان من حديث الصلت بن محمد أبي همام قال: حدثنا

[(1)] اللمم: ضرب من الجنون.

[(2)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(3)] [دلائل أبي نعيم] : 1 / 159 - 162 ، حديث رقم (97) ، وقال في آخره زيادة عن (خ) :

قال ابن عباس: رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين. وكان غيره يقول: ردّ إلى أمه وهو ابن أربع سنين، وكان معها إلى أن بلغ ست سنين، (الخصائص الكبرى) : 1 / 144 وقال: أخرجه أبو نعيم من طريق الواقدي، عن عبد الصمد بن محمد السعدي عن أبيه عن جده، والواقدي متروك.

(91/4)

سلمة بن علقمة، أخبرنا داود بن أبي هند قال: لما ولدت آمنة ذهب عبد المطلب يطلب ظئرا، فوافق امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليلة بنت الحرث فجاء بها فدفعه إليها وشيعها وهو يقول:

يا رب هذا الراكب المسافر ... محمد فاقلب بخير طائر
وازرجه عن طريقة الفواجر ... واخل عنه كل خلق فاجر
أخنس ليس قلبه بطاهر ... وجنة تصيد بالهواجر
إني أراه مكرمي وناصري [(1)]
فانطلقت به الظئر، فذكر نحو حديث الجهم.

[(1)] هذه الأبيات مضطربة السياق والوزن في (خ) ، وصوبناها من (دلائل أبي نعيم) .

(92/4)

وأما معرفة اليهود له وهو غلام مع أمه بالمدينة، واعترافهم إذ ذاك بنبوته فقد قال الله جل جلاله: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [(1)] ، أي يعرفون نبوته وصدق رسالته، والضمير عائد على محمد صلى الله عليه وسلم، قال مجاهد وقتادة وغيرهما: وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس، وإن كانت الصق، لأن الإنسان يمر عليه في زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه، وقد روى أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدا

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَعْرِفُ ابْنَكَ؟ قَالَ:

نعم وأكثر، بعث الله أمينه في السماء إلى أمينه في الأرض فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ: يعني اليهود الذين أوتوا الكتاب ليكتُمون الحق يعني محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال مجاهد وقتادة وخصيف، وهم يعلمون ظاهر كفرهم عنادا. ومثله: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ [(2)] ، وقوله: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ [(3)] .
وقال الواقدي: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم العامري، وربيعة بن عبد الله بن الهدير التيمي، وموسى بن يعقوب الزمعي في عدة [(4)] ، كل قد حدثه من هذا الحديث بطائفة، قالوا: [وغير هؤلاء المسمين قد حدثوني أيضا أهل ثقة وقناعة] [(5)] كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون مع أمه، فلما بلغ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار

[(1)] البقرة: 146.

[(2)] النمل: 14.

[(3)] البقرة: 89.

[(4)] في (دلائل أبي نعيم) : «عن عدة من شيوخه» .

[(5)] زيادة في السند من المرجع السابق.

(93/4)

بالمدينة تزور أخواله، ومعه أم أيمن [(1)] ، فنزلت به في دار النابغة- رجل من بني عدي بن النجار- فأقامت به شهرا، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر أمورا كانت في مقامه، ذلك لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفها،
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نظرت إلى رجل من يهود يختلف إليّ، ينظر إليّ ثم ينصرف عني، فلقيني يوما خاليا فقال:

يا غلام، ما اسمك؟ قلت: محمد، ونظر إلى ظهري فأسمعه يقول: هذا نبي هذه الأمة، ثم راح إلى أخوالي فخيرهم الخبر، فأخبروا أُمِّي فخافت عليّ وخرجنا من المدينة، وكانت أم أيمن تحدث تقول: أتاني رجلان من يهود يوما نصف النهار بالمدينة فقالا: أخرجني لنا أحمد. فأخرجته فنظر إليه وقلباها مليا، حتى أُنمَّا لينظران إلى سواته، ثم قال أحدهما لصاحبه: هذا

نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسي أمر عظيم، قالت أم أيمن: فوعيت ذلك كله من كلامهما [(2)] .

[(1)] وهي بركة، أم أسامة بن زيد، وهي حاضنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
[(2)] [دلائل أبي نعيم]: 1/ 163-164، حديث رقم (99)، وفيه الواقدي، متروك، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث، منكر الحديث، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم العامري، رموه بالوضع، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات): 1/ 118 من طريق الواقدي أيضا.

(94/4)

وأما توسم جده فيه السيادة لما كان يشاهد منه في صباه من مخايل [(1)] الرباء [(2)] فقال الواقدي: فرجعت به أمه إلى مكة، فلما كان بالأبواء توفيت آمنة، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدما عليهما إلى مكة وكانت تحضنه. قالوا:

فلما توفيت آمنة قبضه عبد المطلب وضمه إليه، فرق له [عبد المطلب] [(3)] رقة لم يرقها على ولد، وكان يقربه ويدنيه، وكان عبد المطلب إذا نام لا يدخل عليه أحد إعظاما له، وإذا خلا كذلك أيضا، وكان له مجلس لا يجلس عليه غيره، وكان يفرش له في ظل الكعبة فراش، ويأتي بنو عبد المطلب فيجلسون حول ذلك الفراش ينتظرون عبد المطلب [(4)] ، ويأتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [حتى] [(3)] يرقى على الفراش فيجلس عليه، فيقول له أعمامه: مهلا يا محمد عن فراش أبيك، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني، إنه ليؤنس ملكا. ويقال: إنه قال: إن ابني ليحدث نفسه بذلك [(5)] .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني العباس بن عبد الله بن سعيد ابن العباس بن عبد المطلب قال: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول عبد المطلب: دعوا ابني، ويمسح على ظهره ويقول: إن لابني هذا لشأنا، وإنه ليحس من نفسه بخير، فتوفى عبد المطلب ورسول الله ابن ثماني سنين.

[(1)] [تفرس الخير فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (ترتيب القاموس): 2/ 138].

[(2)] [الربا: الزيادة والنماء، المرجع السابق: 297].

- [(3)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .
[(4)] في المرجع السابق: «ينظرون إلى عبد المطلب» .
[(5)] هذا الحديث امتداد للحديث رقم (99) من (دلائل أبي نعيم) ولعل إسنادهما واحد.

(95/4)

وروى الأزرقى أحمد بن محمد بن الوليد عن سعيد بن سالم القداح، حدثني ابن جريج قال: كنا جلوسا مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله.
وقال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبي يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامة، وأحسن الناس وجها، ما يراه أحد قط إلا أحبه، وكان له مفرش في الحجر لا يجلس عليه أحد غيره، ولا يجلس عليه معه أحد، وكان الندى من قريش حرم بن أمية فمن دونه يجلسون دون المفرش، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام فجلس على المفرش فجبذه رجل فبكى، فقال عبد المطلب: ما لابني قالوا له: أراد أن يجلس على المفرش فمنعه، فقال: دعوا ابني أن يجلس عليه، فإنه يحس من نفسه بشيء، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه غيره قبله ولا بعده.

قال: ومات عبد المطلب والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكي حتى دفن بالحجون.

وروى النضر بن سلمة عن محمد بن موسى أبي غزيرة، عن أبي عثمان سعيد ابن زيد عن ابن بريدة عن أبيه، وعن بريدة بن سفيان الأسلمي قال: لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقق [(1)] عبد المطلب عنه يوم السابع بكبش وسماه محمدا، ولم يسمه بأسماء آبائه، وقال: أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض. وقد فعل الله تعالى ذلك، والله خير الحامدين.

[(1)] عقق عنه: صنع له عقيقة، وقد سبق شرحها.

(96/4)

وأما إلحاق القافة [(1)] قدمه بقدم إبراهيم عليه السلام وتحدثت يهود بخروج نبي من ضئضى
[(2)] عبد المطلب

فقال الواقدي: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعب مع الصبيان حتى بلغ الردم، فرآه

قوم من بني مدلج، فدعوه فنظروا إلى قدميه وإلى أثره، ثم خرجوا في إثره فصادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه، وقالوا لعبد المطلب: ما هذا منك؟ قال:

ابني، قالوا: احتفظ به، فإننا لم نر قدما أشبه بالقدم الذي في المقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول، فكان أبو طالب يحتفظ به [(3)] .

وقالوا: بينا يوما عبد المطلب جالس في الحجر وعنده أسقف نجران- وكان صديقا له- وهو يجادته ويقول: إنا نجد صفة نبي بقي من ولد إسماعيل هذا [البلد] [(4)] مولده، من صفته كذا وكذا، وأتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بقية الحديث، فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال: هو هذا! ما هذا منك؟ قال: ابني، قال الأسقف: لا، ما نجد أباه حيا، قال عبد المطلب:

هو ابن ابني، وقد مات أبوه وأمه حبلى [به] [(5)] ، قال: صدقت، فقال عبد المطلب

[لبنيه] [(5)] : تحفظوا بآبائكم، ألا تسمعون ما يقال فيه [(6)] ؟

قال: فحدثني موسى بن شيبه عن خارجة، بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: حدثني شيوخ من قومي أنهم خرجوا عمارا وعبد المطلب يومئذ حي

[(1)] القافّة: جمع قافّ، وهو الذي يقتضي الأثر.

[(2)] الضنّضي: الأصل والمعدن، أو كثرة النسل وبركته. (ترتيب القاموس) : 3 / 3.

[(3)] جزء من الحديث رقم (92) من (دلائل أبي نعيم) : 1 / 165.

[(4)] زيادة للسياق من كتب السيرة.

[(5)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

[(6)] (دلائل أبي نعيم) : 1 / 165، حديث رقم (100) ، وهو بإسناد الحديث رقم (99) .

(97/4)

بمكة، ومعهم رجل من يهود تيماء [(1)] صحبهم للتجارة يريد مكة أو اليمن، فنظر إلى عبد المطلب فقال: إنا نجد في كتابنا الذي لم يبدّل أنه يخرج من ضنّضي هذا نبي يقتلنا وقومه قتل عاد [(2)] .

ولأبي داود من حديث إسرائيل عن سماك بن [حرب] عن عكرمة عن ابن عباس قال: أتى نفر من قريش امرأة كاهنة فقالوا: أخبرينا بأقربنا شبها من صاحب هذا المقام، قالت إن جردتم علي السهلة عباءة ومشيتم عليها، أنبئكم بأقربكم شبها، فجردوا عليها عباءة ثم مشوا عليها، فرأت

أثر قدم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: هذا والله أقربكم إليها به.
قال ابن عباس رضي الله عنه: فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة، ثم بعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قلت: ويؤيد هذا

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ورأيت إبراهيم فإذا أقربكم إليها به أنا.
وذكر هشام بن الكلبي أن الذي نظر قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هذه القدم من تلك القدم التي في المقام- يعني قدم إبراهيم عليه السلام- هو كرز بن علقمة ابن هلال [(3)] ، الذي قفا أثر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأي بكر حين خرجا إلى الغار.

[(1)] تيماء: قرية في أطراف بلاد الشام بين الشام ووادي القرى.

[(2)] [(دلائل أبي نعيم) : 165-166 ، حديث رقم (101) ، وهو من طريق الواقدي وهو متروك، وفيه أيضا موسى بن شيبان لين الحديث.

[(3)] هو كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة بن عبد نهم بن حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي. أسلم يوم الفتح، وعمر طويلا، وعمي في آخر عمره، وكان ممن جدد أنصاب الحرم في زمن معاوية، فهي إلى اليوم. وذكر ابن الكلبي هذه القصة فقال: عمي على الناس بعض أعلام الحرم، وكتب مروان إلى معاوية بذلك، فكتب إليه: إن كان كرز حيا فله أن يقيمك على معالم الحرم، ففعل.

وقال أبو سعد في (شرف المصطفى) : أن المشركين كانوا استأجروه لما خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجرا، ففقى أثره حتى انتهى إلى غار ثور، فرأى نسج العنكبوت على باب الغار، فقال: إلى هنا انتهى أثره، ثم لا أدري أخذ يمينا أو شمالا أو صعد الجبل.
وهو الذي قال حين نظر إلى قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذه القدم من تلك القدم التي في المقام. (الإصابة) :

/ 583-584 ، ترجمة كرز بن علقمة بن هلال، رقم (7402) .

(98/4)

وأما رؤية عمه أبي طالب منذ كفله ومعرفته بنبوته

قال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن نافع بن جبير قال: سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم وأنا ابن ثمانين سنين [(1)] . قالوا: فلما توفي عبد المطلب ضم أبو طالب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه وهو يومئذ ابن

ثمانين سنين، وكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان له قطعة من إبل تكون بعرة [(2)] فيبدو إليها، فيكون [ينشأ فيها] [(3)] ويؤتي بلبنها إذا كان حاضرا بمكة. وكان أبو طالب قد رق عليه وأحبه، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا، وكان إذا أراد أن يعشّيهم أو يغديهم يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم، وكانوا يفضلون من طعامهم.

وإن كان لبنا شرب رسول الله أولهم، ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبا وحده، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك، وكان الصبيان يصبحون شعنا رمضا، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهننا كحيلًا [(4)] .

[(1)] [دلائل أبي نعيم]: 161 / 1، حديث رقم (103) حديث مرسل، وهو من رواية الواقدي، وهو متروك.

[(2)] [عرة: وادي عرفة، والفقهاء يقولون: عرة بضم الراء، وذلك خطأ. (معجم ما استعجم)]:
935 / 2

[(3)] [زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم)].

[(4)] [دلائل أبي نعيم]: 167 - 166 / 1، حديث رقم (104)، وهو بإسناد الحديث رقم

(99/4)

قال: فحدثني علي بن عمر بن [(1)] الحسين عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية، عن عقيل بن أبي طالب قال: سمعته يقول: كنا إذا أصبحنا وليس عندنا طعام لصبوحنا يقول أبو طالب: [أي بني] [(2)] اتوا زمزم، [فنأتي زمزم] [(2)] فنشرب منها فنجتري به [(3)] .

قال: فحدثني محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أهله عن أم أيمن قالت:

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعا قط ولا عطشا، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فرما عرضنا عليه الغداء فيقول: لا أريد، أنا شبعان [(4)] .

وخرج أبو نعيم من حديث الحسين بن سفيان قال: حدثنا زهير بن سلام قال:

قال عمرو بن محمد: حدثنا طلحة بن عمرو بن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجر أبي طالب بعد جده عبد المطلب فيصبح ولد عبد المطلب غمضا [(5)] ويصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دهيئا صقيلا [(6)] .
قال أبو نعيم: ورواه محمد بن حميد عن سلمة بن الفضل عن طلحة مثله، وبسند الحسن بن سفيان المذكور عن ابن عباس أن أبا طالب كان يقرب للصبيان يصبغهم فيضعون أيديهم فينتهبون، ويكف محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده، فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه.

[()] [(99)] ، (طبقات ابن سعد) : 1 / 119 ، باب ذكر أبي طالب وضمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وخروجه معه إلى الشام في المرة الأولى، (الخصائص الكبرى) : 1 / 205 ، وقال: أخرجه ابن سعد وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس، ومن طريق مجاهد وغيره، [قال: وحدثنا محمد ابن صالح، وعبد الله بن جعفر، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، دخل بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما توفي عبد المطلب ...] وذكر الحديث باختلاف يسير.
[(1)] في (خ) : «عمر بن علي بن الحسين» ، «عن ابن الحنفية» .
[(2)] [زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم)] .
[(3)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 / 167 ، حديث رقم (105) وسنده كالحديث رقم (99)] .
[(4)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 / 167 ، حديث رقم (106) ، وهو من طريق الواقدي] .
[(5)] [الغمص في العين: ما سال منها من رمص] .
[(6)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 / 167 ، حديث رقم (107) ، وهو من طريق طلحة بن عمرو، متروك، (طبقات ابن سعد) : 1 / 119] .

(100/4)

وروى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوما لعمه أبي طالب: إني أرى في المنام رجلا يأتيني معه رجلان فيقولان: هو هو، وإذا بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم، فوصف أبو طالب مقالته هذه لبعض أهل العلم، فلما نظر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: هذه الروح الطيبة، هذا والله النبي المنتظر؟

فقال أبو طالب: فأكنتم على ابن أخي لا تغري به قومه، فو الله إن قلت ما قلت، لعلي ما قلت، ولقد أنبأني عبد المطلب أنه النبي المبعوث، وأمرني أن أستر ذلك كيلا تغري به الأعادي.

(101/4)

وأما تظليل الغمام له في صغره واعتراف بحيرى ونسطورا بنبوته

فقد أوردت ذلك بطرقه في ذكر الأماكن التي حلها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الحافظ أبو نعيم: وما تضمن هذا الفصل من أحواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين تزوجت آمنة وحملها به، ووضعها له [(1)] ، واسترضاعه وحضانهه [(2)] هي وحليمة ظئرهِ إلى أن بلغ خمساً وعشرين سنة، المقرونة بالآيات دالة على نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لخروجها عن التعارف والمعتاد، مع توَسُّم أهل الكتاب وغيرهم الأمارات التي دَوَّنت في الكتب المتقدمة والأخبار السالفة بالبشارات به وترقبهم لمبعثه ومخرجه، علامات ودلائل لمن منَّ اللهُ عَلَيْهِ بالإيمان، وصار به موقناً، ولنبوته محققاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(3)] .

[(1)] في (دلائل أبي نعيم) : «وحملها ووضعها به» ، وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق.

[(2)] في المرجع السابق: «وحضانهه حليمة ظئرهِ» .

[(3)] (دلائل أبي نعيم) : 174 / 1 .

(102/4)

فصل في رعاية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغنم قبل النبوة

اعلم أن في رعي البهائم العجم التي لا تعقل ولا تعرب عن نفسها، رياضة لحمل أعباء النبوة، فإن راعيها يسوسها ويحوطها من المتالف المخوفة، كالجوع والعطش والسباع، ويكف عادية قوياها عن ضعيفها في منعها الرعي في مراتعها، وشرب الماء من مواردها، وإن القيام بذلك لسياسة يصعب معاناتها، ويشق على النفوس ملازمتها.

فإذا مرَّ الإنسان عليها وتهدبت بها أخلاقه، وصارت سيرة العدل والإحسان ملكة له، تأهل لسياسة العقلاء من البشر بحسن التدبير لهم، وإرشادهم إلى مصالحهم والأخذ بحجزاتهم عما يؤذيهم، والصبر على أذاهم، واحتمال الأفعال عنهم.

ولهذا - والله أعلم - كانت الأنبياء صلوات الله عليهم رعاة البهائم أولاً، حكمة من الله سبحانه لتتهذب أخلاقهم برعايتها، وتتهذب نفوسهم بسياستها، رياضة لقيامهم بأعباء النبوة، وصبرهم على ما يلقون فيها من مصاعب تكذيب المكذبين، ومشقات أذى المخالفين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

خرج البخاري من حديث عمرو بن يحيى عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم، كنت أرها على قراريط لأهل مكة، ترجم عليه باب رعي الغنم على قراريط [(1)] .
وخرج النسائي من حديث خالد عن شعبة عن أبي إسحاق عن ابن حزن

[(1)] (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا: 16 / 1.

(103/4)

وخرج النسائي من حديث خالد عن شعبة عن أبي إسحاق عن ابن حزن قال: افتخر أهل الإبل والشاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعث موسى وهو راعي غنم، وبعث داود وهو راعي غنم، وبعثت وأنا أرى غنما لأهلي بأجياد [(1)] . ذكره في [تفسير] سورة طه [(2)] .

وخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق شعبة به مثله.

وخرج أبو نعيم من حديث زمعة بن صالح عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر ابن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي إلا وقد رعاها [(3)] .
ومن حديث موسى بن يزيد عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجتني الكباث [(4)] فقال: عليكم بما اسود منه فإنه أطيبه، فقلنا: وكنت ترعى الغنم؟ قال: نعم، وهل من نبي إلا وقد رعاها [(5)] .

قال ابن عبد البر: وهذا الحديث لا أعلمه يروى إلا من حديث أبي سلمة ابن عبد الرحمن، وبعضهم يجعله عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وبعضهم يجعله عن أبي سلمة مرسلا، وبعضهم يجعله عن أبي سلمة عن أبيه، وبعضهم يجعله عن جابر.

وخرج من حديث ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن قيس بن مخزوم عن الحسن

[(1)] في (خ) : «بجياد» وما أثبتناه من (طبقات ابن سعد) .

[(2)] هذا الحديث في (طبقات ابن سعد) : 1 / 126 ولفظه: كان بين أصحاب الغنم وأصحاب الإبل تنازع، فاستطال عليهم أصحاب الإبل، قال: فبلغنا - والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ... وذكر الحديث.

[(3)] [دلائل أبي نعيم) : 1 / 175 ، حديث رقم (112) ، وأخرجه أيضا البخاري في (الصحيح) من طريق ابن عمرو بن يحيى بن سعيد، عن جده عن أبي هريرة، ومالك في (الموطأ) : 689 ، باب ما جاء في أمر الغنم، حديث رقم (1770) ، وابن ماجه في (السنن) : 2 / 727 ، كتاب التجارات باب (5) الصناعات، حديث رقم (249) .

[(4)] [الكباث: النصيح من ثمر الأراك.

[(5)] [دلائل أبي نعيم) : 1 / 174 - 175 ، حديث رقم (111) ، وقد أخرجه أيضا البخاري في (الصحيح) ، ومسلم في (الصحيح) : 13 / 248 - 249 ، كتاب الأشربة، باب (29) فضيلة ما اسود من الكباث، حديث رقم 163 - (2050) ، (طبقات ابن سعد) : 1 / 126 - 125 .

(104/4)

ابن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منها، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلها نرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة كما يسمر الفتيان [(1)] .

ومن حديث مسعر قال: حدثنا سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبيه قال: مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نجتني ثمر الأراك فقال: عليكم بما اسود منه، فإنني كنت أجتنيه وأنا أرعى الغنم، قالوا: يا رسول الله! أو كنت ترعاها؟ قال: ما من نبي إلا وقد رعاها [(2)] .

وروى مرسلا.

[(1)] وهو حديث طويل سبق الإشارة إليه، وقد أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1 / 186 ، حديث رقم (128) ، قال في هامشه: أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن إسحاق، والبزار، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن عساكر، كلهم عن علي بن أبي طالب، وقال ابن حجر: إسناده حسن، ورجاله ثقات.

[(2)] سبق توثيقه.

(105/4)

فصل في ذكر اشتهاار رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته بالرسالة من الله تعالى إلى العباد

خرج البخاري ومسلم في حديث بدء الوحي أنه صَلَّى الله عليه وسلم لما أتااه الوحي قال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، وأخبرها الخبر

فقلت له: كلا، أبشر! فو الله لا يخزيك الله أبدا، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصديق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. وفي رواية لغيرهما: إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم، وتؤدي الأمانة [(1)] .

وخرج أبو نعيم من حديث ابن إسحاق عن وهب مولى الزبير، سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدأ الله به رسوله من النبوة حين جاءه جبريل، فذكره وفيه: فرجع إلى خديجة فقالت: أين كنت؟ قال: قلت: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت:

أعيذك بالله من ذاك، ما كان الله ليصنع ذلك بك مع صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلتك رحمك [(1)] .

وله من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق [(2)] عن محمد بن مسلم ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة

[(1)] [إمتاع الأسماع] بتحقيقنا: 2/ 361، فصل في ذكر بدء الوحي لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وكيف تراءى الملك له، وإلقاؤه الوحي إليه، وتقريره له أنه يأتيه من عند الله عز وجل، وأنه قد صار يوحى إليه نبيا ورسولا إلى الناس جميعا.

[(2)] [سنده في (دلائل أبي نعيم)]: حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي عن محمد ابن إسحاق عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلم، قالت ...

(106/4)

رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا [بها] [(1)] خير جار: النجاشي، آمننا على [(2)] ديننا، وعبدنا الله لا نؤذي ولا نسمع شيئا نكرهه.

فأرسل إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعاهم، وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبده نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش وقول الزور، وأكل ما اليتيم، وقذف المحصنة.

وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، فقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة [(3)] .

ولعظم مقدار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفوس قومه كان هو الذي وضع الحجر الأسود موضعه بيده لما اختلفت قريش في وضعه، فخرج غير واحد من الأئمة

[(1)] في المرجع السابق: «جاونا خير جار» .

[(2)] في المرجع السابق: «أمتنا» .

[(3)] أخرجه أبو نعيم مطولا في (دلائل النبوة) : 1/ 246-250، حديث رقم (194) ، وفي (الحلية) : 1/ 115-117 في ترجمة جعفر بن أبي طالب، ترجمة رقم (17) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : 2/ 285-307، باب: الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية، وما ظهر فيها من الآيات وتصديق النجاشي ومن تبعه من القسيسين والرهبان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإمام أحمد في (المسند) :

1/ 332-334، حديث رقم (1742) ، حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة، وابن هشام في (السيرة) : 2/ 176-182، فصل إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها.

حديث حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب، عن خالد عن عرورة عن علي رضي الله عنه قال: لما بنت قريش البيت فبلغوا موضع الحجر اختلفوا في وضعه. فقالوا: إن أول من يطلع من الباب، قال: فطلع النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد طلع الأمين، فبسط ثوبا ووضع الحجر وسطه، وأمر بطون قريش فأخذ كل بطن منهم طرفا من الثوب، ووضع بيده صلى الله عليه وسلم [(1)] .

وقد روى من طرق كثيرة عن ابن جريج ومجاهد و [معمر] [(2)] بن سليمان، ومحمد بن جبير بن مطعم،

وقال: هبيرة بن أبي وهب المخزومي حين جعلت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما: لما تشاجرت قريش الأحياء في فصل خطة ... جرت طيرهم بالنحس من سعد أسعد فلاقوا لها بالبغض بعد مودة ... وأوقدوا نارا بينهم شرّ موقد فلما رأينا الأمر قد جد جده ... ولم يبق شيء غير سل المهند رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجيء من البطحاء على غير موعد فلم يفجننا إلا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد بخير قريش كلها أمسى شيمة ... وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد فجاء بأمر لم ير الناس مثله ... أعم وأرضى في العواقب والبدي أخذنا بأكناف الرداء وكلنا ... له حصة من رفعه قبضة اليد فقال ارفعوا حتى إذا ما علت به ... أكف إليه قرّ في خير مسند فكان رضانا ذاك عنه بعينه ... وأعظم به من رأى هاد ومهتد فتلك يد منه علينا عظيمة ... يروح بها ركب العراق ويغتدي

[(1)] قال الحافظ أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1 / 175: ومما يدخل في هذا الباب مما خصّ الله به نبيه في الجاهلية الجهلاء، أن وفقه لوضع الحجر الأسود موضعه بيده، لما اختلفت قريش في وضعه، دلالة بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم، وقد سبق تخريج وشرح هذا الحديث.

[(2)] في (خ) : «سليمان بن سليمان»، وصوابه: «معمر بن سليمان النخعي أبو عبد الله الرقي»، (تهذيب التهذيب) : 10 / 223.

فلما خرجوا رجع إلى امرأته فقال: ما علمت ما قال لي أخي البشري؟ فأخبرها الخبر فقالت امرأة أمية: ما يدعنا محمد.

فلما جاء الصريخ وخرجوا إلى بدر، قالت له امرأته: أما تذكر ما قال لك أخوك البشري؟ فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف أهل الوادي فسر معنا يوما أو يومين، فسار معهم فقتله الله [ببدر] [(1)] .

ومن حديث الأعمش عن مجاهد قال: حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال: كنت شريك النبي صَلَّى الله عليه وسلم في الجاهلية، فلما قدمت المدينة قال: تعرفني؟ قلت: نعم، كنت شريكي، فنعم الشريك لا تداري ولا تماري [(2)] .

[(1)] الحديث أخرجه البخاري من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق بهذا الإسناد، ومن طريق يوسف بن إسحاق عن أبي إسحاق بهذا الإسناد أيضا، (فتح الباري) : 7 / 357-358، كتاب المغازي، باب (2) ذكر النبي صَلَّى الله عليه وسلم من يقتل ببدر، حديث رقم (3950) . وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 178-179 .

[(2)] قال ابن هشام في (السيرة) : السائب بن أبي السائب شريك رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم الذي جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: «نعم الشريك السائب لا يشاري ولا يماري» ، وكان أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا والله تعالى أعلم (سيرة ابن هشام) : 3 / 268، وفي هامشه: وذكر فيمن قتل من المشركين: السائب بن أبي السائب، واسم أبي السائب: صيفي بن عابد، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قتل كافرا، قال: وقد أسلم وحسن إسلامه، وفي الموضوع اضطراب لا يثبت به شيء، ولا تقوم به حجة، والله تعالى أعلم.

(110/4)

فصل في ذكر عصمة الله تعالى للرسول صَلَّى الله عليه وسلم من الجن والإنس والهوام [(1)]

خرج مسلم من حديث جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: ما منكم [(2)] من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير [(3)]

[.

ومن حديث سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة [(4)] الحديث.

ومن حديث ابن وهب قال: أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط، حدثه أن عروة حدثه أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً، [قالت] [(5)] : فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة؟ أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟.

[(1)] الهوام: ما كان من خشاش الأرض، نحو العقارب وما أشبهها، الواحدة: هامة، لأنها تهم، أي تدب، وهميمها دبيبها،

وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيدكما بكلمات الله التامة، من شر كل شيطان وهامة، ومن شر عين لامة، ويقول: هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام.

والهوام: الحيات، وكل ذي سم يقتل سمه، وأما ما لا يقتل: فهو السوام مشددة الميم، لأنها تسم ولا تبلغ أن تقتل، مثل: الزبور والعقرب وأشباهاها.

والقوام: هي أمثال القنافذ، والفأر، واليراسيع، والخنافس، فهذه ليست بهوام ولا سوام، والواحدة من هذه كلها: هامة، وسامة، وقامة. (لسان العرب): 12 / 661 - 662.

[(2)] في (خ): «ما فيكم» .

[(3)] (مسلم بشرح النووي): 17 / 163، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب (16)

تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا، حديث رقم (69) من أحاديث الباب، وأخرجه أبو نعيم في (الدلائل): 1 / 185، حديث رقم (127) .

[(4)] المرجع السابق: 163 - 164.

[(5)] زيادة في السياق من المرجع السابق.

(111/4)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقدم عليك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم

ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم [(1)] .
وقال الترمذي: وسمعت علي بن خشرم يقول: قال سفيان بن عيينة في تفسير قول النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم: ولكن الله أعانني عليه فأسلم، يعني أسلم أنا منه [(2)] . قال سفيان: الشيطان لا يسلم.
وقال أبو نعيم: وقوله فأسلم، يعني استسلم وانقاد، فليس بأمر بشر، وقيل: أسلم: أي آمن، فيكون عليه السلام مختصا بإسلام قرينه وإيمانه [(3)] .
وذكر [من] حديث إبراهيم بن صدقة قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم: فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافرا فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكن أزواجي عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً وزوجته عوناً له على خطيئته [(4)] .
وله من حديث الصلت بن مسعود قال: حدثنا عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان ساجداً بمكة، فجاء إبليس فأراد أن يظأ [على] [(5)]
[عنقه، فنفخه جبريل عليه السلام نفخةً بجناحيه، فما استقرت

[(1)] المرجع السابق: 164، حديث رقم (70) ،

قوله: «إلا أن الله أعانني عليه فأسلم» ،

«فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: أن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير ... وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان. (مسلم بشرح النووي): 17 / 163 - 164 مختصراً.

[(2)] راجع التعليق السابق.

[(3)] [(دلائل أبي نعيم) : 1 / 185، الفصل الثالث عشر، ذكر ما خصه الله به عز وجل من العصمة، وحماه من التدين بدين الجاهلية، وحراسته إياه عن مكائد الجن والإنس، واحتياهم عليه صَلَّى اللهُ عليه وسلم، حديث رقم (127) . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : 1 / 662، حديث رقم (3792) .

[(4)] [أخرجه البيهقي في (الدلائل) : 5 / 488 وهو من رواية محمد الوليد بن أبان القلانسي البغدادي، مولى بني هاشم، عن يزيد بن هارون. قال ابن عدي: كان يضع الحديث. وقال أبو عروبة: كذاب. وقال الدار الدارقطني: ضعيف، وله أباطيل ذكرها الذهبي في (ميزان الاعتدال) : 4 / 59، ترجمة رقم (8293) .

[(5)] [زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

قدماه على الأرض حتى بلغ الأردن [(1)] . قال: ورواه حجاج الصواف عن ثابت .
وله من حديث الحسن بن سفيان قال: حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة، حدثنا جعفر بن
سليمان، حدثنا أبو التياح [(2)] ، قال: سألت رجل عبد الرحمن بن خنيس [(2)] : كيف
صنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كادته الشياطين؟ قال: تحدّرت عليه الشياطين من
الجبال والأودية يريدونه [(3)] ، [قال:] [(4)] وفيهم شيطان بيده مشعلة من نار، يريد أن
يحرق بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزع منهم .
فجاءه [(5)] جبريل فقال له: يا محمد، قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا
فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شرّ فتنة الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً [(6)]
[يطرق بخير يا رحمان، فقاهن فطفنت نار الشيطان وهزمهم .
قال: حدث به أحمد بن حنبل عن سيار بن حاتم عن جعفر مثله، وقال: ابن حبيش [(7)] .
ولأبي نعيم من حديث الأوزاعي قال: حدثني إبراهيم بن طريف قال: حدثني يحيى بن سعيد قال:
حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني عبد الله بن مسعود قال: كنت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الله عليه وسلم ليلة صرف إليه نفر من الجن، فأتى رجل من الجن بشعلة من نار إلى رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال جبريل: يا محمد، ألا أعلمك

- [(1)] أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) 1 / 190 - 191، باب: أما حراسة الله عزّ وجلّ إياه
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كيد إبليس وجنوده، حديث رقم (136) ، وأخرجه الطبراني في
(الأوسط) ، وفيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف .
[(2)] في (خ) : «أبو السياح» ، «خنيس» ، وفي (مسند أحمد) : «خنيس» .
[(3)] في (دلائل أبي نعيم) : «يريدون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .
[(4)] زيادة من المرجع السابق .
[(5)] في المرجع السابق: «فجاء» .
[(6)] في (خ) : «طارق» ، وما أثبتناه حق اللغة .
[(7)] أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1 / 191 ، حديث رقم (137) ، وأخرجه الإمام
أحمد في (المسند) : 4 / 431 ، من حديث عبد الرحمن بن خنيس رضي الله تعالى عنه . حديث
رقم (15034) قال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا سيار بن حاتم أبو سلمة العنزي، قال:
حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - قال: حدثنا أبو التياح قال: قلت لعبد الرحمن بن خنيس وكان

كبيراً:

أدرت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم، قال: قلت: كيف صنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة كادته الشياطين؟
فقال.. وذكر الحديث. وهذا الحديث رجاله ثقات.

(113/4)

كلمات إذا قلتهم طفتت [(1)] شعلته وانكب إلى منخره [(2)] ؟ .
قل: أعود بوجه الله الكريم وكلماته التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمان [(3)] .
وله من حديث عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمدا لقمنا [(4)] إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله.
فأقبلت ابنته فاطمة عليها السلام حتى دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: هؤلاء الملاء من قومك قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من ديتك [(5)] .
قال: يا بنية، انتني بوضوئي [(6)] ، فتوضأ ثم دخل المسجد، فلما رأوه قالوا:
ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا [(7)] في مجالسهم، فلم [(8)] يرفعوا إليه أبصارهم [(9)] ، ولم يقيم منهم إليه رجل، وأقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قام على رءوسهم فأخذ كفا [(10)] من تراب فقال: شأهت الوجوه، ثم حصبهم [بها] [(11)] ، فما أصاب رجل منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر [كافرا] [(11)] .

[(1)] في (خ) : «كفيت» .

[(2)] في (دلائل أبي نعيم) : «لمنخره» .

[(3)] هذا الحديث انفرد به أبو نعيم في (الدلائل) : 1/ 192، حديث رقم (138) وكذا

أشار إليه السيوطي في (الخصائص) : 1/ 313، وله شاهد من أحاديث الباب.

- [(4)] في (خ) : «لقد قمنا» .
- [(5)] في (خ) و (المسند) «من دمك» .
- [(6)] في (خ) : «بوضوء» .
- [(7)] في (خ) : «وعرقوا» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) ، (مسند الإمام أحمد) .
- [(8)] في (خ) : «ولم» .
- [(9)] في (المسند) : «بصرا» .
- [(10)] في (المسند) : «قبضة من تراب» وفي (دلائل أبي نعيم) «حفنة من تراب» .
- [(11)] زيادة للسياق من (المسند) .
- هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 192 - 193 ، باب عصمة الله رسوله
صلى الله عليه وسلم

(114/4)

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الأعلى، وله من حديث يحيى ابن عبد الحميد قال:
حدثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت:
تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبِّ [(1)] جاءت امرأة أبي هب [(2)] إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه
أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر: يا رسول الله: لو تنحيت عنها لا تسمعك شيئا يؤذيك،
فإنها امرأة بذيئة، فقال [صلى الله عليه وسلم]: سيحال بيني وبينها، فلم تره.
فقلت لأبي بكر: هجانا صاحبك، فقال [أبو بكر] [(3)] : والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله،
قلت، إنك لمصدق، فاندفعت راجعة فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله؟ قال: كان بيني
وبينها ملك يسترني حتى ذهبت [(4)] .

قال أبو نعيم: كذا رواه ابن فضيل مرسلا، ورواه عبد السلام بن حرب وغيره متصلا عن ابن
عباس.

وله من حديث سفيان بن عيينة قال: حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي
بكر رضي الله عنها قالت: لما نزلت: تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبِّ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها
ولولة، ويدها فهر وهي تقول:

مذمما أبينا ... ودينه قلينا

وأمره عصينا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فلما رآها

[()] حين تعاهد المشركون على قتله، حديث رقم (139) . وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : 1/ 498-499، حديث رقم (2757) ، 1/ 607، حديث رقم (3475) ، وأخرجه الحاكم في (المستدرک) : 3/ 170، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (340/2742) ، عن ابن عباس عن فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت: اجتمع مشركو قريش في الحجر، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يا بنية اسكني، ثم خرج فدخل عليهم المسجد فرفعوا رءوسهم ثم نكسوا، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال: شامت الوجوه، فما أصاب رجلا منهم إلا قتل يوم بدر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي هامشه: حذفه الذهبي في التلخيص لضعفه.

[(1)] المسد: 1.

[(2)] هي العوراء واسمها أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، تكنى بأُم جميل.

[(3)] زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

[(4)] أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : 1/ 193-194، حديث رقم (140) ،

والبخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المسد، باب (4) قوله: وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، حديث رقم (4973) (فتح الباري) 8/ 957-958، (تفسير ابن كثير) : 4/ 604 عند تفسير سورة المسد، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : 14/ 440، كتاب التاريخ، باب المعجزات، حديث رقم (6511) .

(115/4)
